تفسير ملا كوراني

T. C.
MİLLÎ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KİTAPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 151

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب
عفي عنه

٢٠٥

RAĞIP P.
Ka. N
204

T.C. Süleymaniye Kütüphanesi Müdürlüğü

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتوحد بالإعجاز في نظام الكلام ۞ المتفرد بالأزلية وقدم الكلام ۞ المقدس عن التشبيه في الأوصاف
والأحكام ۞ المنزه عن التبديل في التشريع والأحكام ۞ أنزل على عبده كتابا محكما آياته من لدن
حكيم خبير ۞ ونزله منجما كفاء الحوادث إنه بعباده لخبير بصير ۞ غرقت في بحار أساليبه بلغاء
قحطان ۞ وبكمت عما يدانيه زعما معتقدو عدنان ۞ تعالى عن معارضة البشر كلام مبدع الأنام
ومنشئ العدد ۞ والصلاة على صفوة قصي ومضر ۞ سيد الرسل أفضل أهل المدر والوبر
وعلى آله وصحبه الأخيار ۞ سيما الذين هاجروا والذين تبوؤوا الدار ۞ وبعد فإن من صرف
نقد عمره في درك المعارف ۞ وسهر غايصا على فرائد العوارف ۞ حاز قصب السبق في مضمار
السعادة ۞ وفاز بالترغيب والمعلى يوم الوفادة ۞ والعلم بأسرار كلام الله من بينها نار على علم
بل شمس طالعة من أفق الحكم ۞ نعم هو الكاشف عن حال مراد الله للأنام ۞ الرافع عن كنوز فوائده ختام
من عدم من حزبه وأعوانه ۞ وجال في الحلبة دهانه وميدانه ۞ لا ريب أنه في أسعد طالع مولود في
أم الكتاب اسم محمود ۞ الكلام في أطرائه ليس له أمد ۞ ولذا كانت التفاسير بلا عدد ۞ غاص بحار
حقايقه ذوو الحذق من الأوائل ۞ وغاص في لجة لؤلؤ الحذاق من الأواخر ۞ حتى أنه واجد الدهر الأذى
الفرائد ۞ وناظموا على جبينه غرر الفوائد ۞ فأحببت أن أكون من أناس تبعهم ۞ ولحشر في زمرتهم
وإن لم أكن من عدتهم ۞ أو معدود من جملتهم ۞ فوجهت ركاب العزم نحو ذلك المطلب الأزيد ۞
عسى أن آتي بكتاب عزيز ۞ مسطع عن خالد ما أعتل من غبش الظلام ۞ ممن زاغ عن منهج الحق تفضيل الأنام
آتي بالحق وهو باسم أبلج ۞ وأذهب بالباطل وهو نادم لجلج ۞ ذكر لو ستيفاء مغانيه التسبيح المتواترة ۞
وأحذف منها الشواذ النادرة ۞ وسميته خاضعا لله غاية الأماني ۞ في تفسير الكلام الرباني ۞
وهو بعناية الله طبق المسمى كذلك ۞ والألقاب تنزل من السماء ۞ وإذا برز كالبدر في التمام ۞ والنجوم [illegible]

عن وجه التمام ۞ تهدى الحجر المعارف ۞ ومعدن العوارف الذوارف ۞ من نصب لأهل الفضل
ميزان الفضائل ۞ ليجاري طبعها جزل الفواضل ۞ الأسد الكرار ۞ والمزن المدرار ۞ أبي الفتح
فاتح القسطنطينية ۞ ناصر دين الله الناصر ۞ من الدولة العثمانية ۞ السلطان ابن السلطان
محمد خان بن مراد خان بن عثمان ۞ ملكه الله بسيط الأرض ۞ ومهد له من الطول إلى العرض ۞
والله تعالى أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم ۞ ومنجاتي من عذابه الأليم ۞ إنه جواد كريم ۞

سورة الفاتحة مكية وقيل نزلت مرة بمكة ومرة بالمدينة وبعضهم قال مدنية تسمى الواقية والكافية
والشافية وسورة الشفاء والدعاء والحمد والشكر والوجه في الكل واضح وأم القرآن لاشتمالها
على أصول ما فصل في القرآن ۞ وسورة الكنز لذلك ۞ وسورة الصلاة إذ بها تكون مجزئة والسبع
والمثاني لأنها تثنى في كل ركعة أو لنزولها مرتين ۞ سبع آيات بالاتفاق إلا أن منهم من عد صراط
الذين أنعمت عليهم آية دون البسملة ومنهم من عكس **بسم الله الرحمن الرحيم** اختلف في كونها من القرآن
في أوائل السور ذهب ابن مسعود ومالك رضي الله عنهما وهو المشهور من مذهب أبي حنيفة رحمه الله
وإن لم يوجد له نقل إلى أنها ليست من القرآن وعليه قراء المدينة والشام والبصرة وذهب الزهري و
سعيد بن جبير والشافعي وابن كثير من مكة وعاصم والكسائي من كوفة رحمهم الله إلى أنها آية من كل
سورة والدليل عليه كتبها في المصاحف بلا مخالف مع أنها جردت عن الشكل والنقط لئلا يكون ثمة
دفتي المصحف سوى القرآن على ما نقل عن محمد بن الحسن حين سئل عنها فقال ما بين دفتي المصحف قرآن و
لتواتر كونها قرآنا عند ابن كثير وعاصم والكسائي ولقول ابن عباس رضي الله عنه من تركها فقد ترك
مائة وأربعة عشر آية ومن لم يثبتها قرآنا فإنما يكتبها تيمنا لقوله عليه السلام كل أمر ذي بال لم يبدأ
ببسم الله فهو أبتر ولما كان وضع الحروف الجارة لإيصال معاني الأفعال إلى الأسماء فلا بد للباء من فعل
تتعلق به ثم ذلك المطلق يتعين بالقرائن كالفعل المبدوء به مثل أقرأ هنا وكذلك كل فعل شرع
فيه كالأكل والشرب والعمل بموجب الخبر حاصل لوجود معنى الابتداء في ضمن تلك الخاصة وهو غرض
الشارع إذ لا يتقيد بلفظ الابتداء والباء آلة وسيلة فالابتداء باسم تعالى والختام الاسم لتناول
المضاف سائر أسمائه صريحا وإن دل عليها الاسم الجامع التزاما والفرق بين اليمن والتيمن إذ الأول
بالمعنى والثاني باللفظ والأولى تقديره مما يقدر مؤخرا لإفادة الحصر لأنه رد على المشرك باللات
والعزى كما في إياك نعبد وإنما قدم في اقرأ باسم ربك لكونها أول سورة فالأمر بالقراءة أهم ولكون
المخاطب لم يتوهم في حقه الإشراك ثم هذا إنما يتأتى إذا لم تكن السورة مصدرة بالبسملة تنزلت أو
فالكلام فيه كسائر السور كأنه قيل باسم الله اقرأ ثم قال باسم ربك الذي خلق اقرأ أما تكرير التقرير
لأنه أول تعليم أو باسم ربك اقرأ كلما قرأت بدءا أو إنشاء ولذلك شرعت في الأجزاء والأبعاض وللباء
للاستعانة أو المصاحبة كأنه قيل مستعينا بالله اقرأ وقيل الأولى لأن اعتقاد الموحد أن الفعل بدونه
لا يتأتى بل يكون خداجا كما أن الكتبة لا تكون بدون القلم والأول دور في كلام العرب وأحسن تجانسا
من إطلاق لفظ الإله على اسمه تعالى ولأنه لا معنى لكون اسمه آلة إلا الاستعانة ثم هذا وأمثاله مقول على
ألسنة العباد تعليما وإرشادا والأصل في بناء حروف المعاني السكون كغد وبل ثم الفتح لأنه أخ السكون

خفة واوثر الكسر في الباء لعلته وهي تناسب العدم وليكون الموثر على وفق الاثر والاسم احد الاسماء العشرة
التي بنيت العرب اوائلها على السكون لسنعا الوان كانت متحركة تقديرا لقولهم اصل اسم سمو والحكمة في
وضعها كذلك طلب الخفة والتفنن ولجاذب الهمزة ليس لان الابتداء بالساكن محال بل لان فيه لكنة
وبشاعة ولان الحرف الاول كالاس للبناء فاريد احكامه وعكسه الوقف لان اخر الكلمة محل الملالة
والراحة واختصاص الهمزة لانه حرف شديد من اقصى الحلق اجدر بالجبران ومنهم من حرك الساكن
كسرا او ضما على الاصل او ليدل على الواو المحذوفة وجاء مقصورا كهدى قال شعر الله اسمان سمى
مباركا آثرك الله به تباركا وهو ناقص واوي حذف منه الواو كما حذفت اللام في يد ودم دل
عليه تصاريفه كاسماء وسمي وسميت ومعناه الرفعة لانه تنويه بالمسمى واشادة لذكره وقيل
من الوسم وهي العلامة وحذفت الالف منه في الكتابة لكثرة الدور والقياس ثبوتها لان وضع الكلمة
على حكم الابتداء ولذلك ثبتت في اقرا باسم ربك مع انهم طولوا الباء ليكون كالعوض والله
اصله الاله عرف ثم ادغم اعتبارا لما دل عليه وجوب الادغام والتعويض ولذلك قطع همزته في ياالله
وقيل قياسا ووجوب الادغام والتعويض من خواصه وهو من الاعلام الغالبة بعد الادغام
تقديرا وقبله تحقيقا عن تحاوفا للبلخي جامد عند سيبويه واحد قولي الخليل واليه ذهب كثير
في طائفة وجزم المتأخرون باشتقاقه من اله الرجل فزع اليه فعال بمعنى مفعول او من وله تحير
ابدلت الواو همزة او من لاه احتجب كما احتجبت البرية في كنه ذاته كذلك وهو اسم للذات لا يشبهه شيء ذاتا
وصفة واسما تعالى وتقدس وتفخيم لامه اذا لم يكن قبله كسرة سنة العرب كابرا عن كابر لكونه دالا
على تعظيم الاسم وهو الاسم الاعظم عند المحققين ولكن شرط الاستغراق في بحر الخلاص ورفع الكون
ليزول على المسامع والرحمن والرحيم صفتان مشبهتان من رحم بعد نقله الى فعل بضم العين لان الصفة
المشبهة لا تشتق الا من فعل لازم وهذا مطرد في باب المدح مثل رفيع الدرجات وبديع السموات وفي
الرحمن من المبالغة ليس في الرحيم لان زيادة المباني لزيادة المعاني وهي اما في الكم كقوله يا رحمن
الدنيا ورحيم الاخرة او الكيف كما في رحمن الدنيا والاخرة ورحيمهما واشتقاقهما من الرحمة بمعنى
الرقة والعطف وهي من اوصاف الاجسام اريد لازمها وهو الانعام او ارادته وهذا مطرد في كثير
من صفاته تعالى ومنه قيل اذا لم تنجح البدايات فعليك بالنهايات واختصاصه به تعالى حرم وجدان
مؤنثه فيرجع الى اخواته في منع الصرف وهي كل فعلان من فعل بكسر العين فان قلت فقد جاء رحمن اليمامة لمسيلمة
الكذاب قال الشاعر وانت غيث الورى لا زلت رحمانا قلت خروج عن اللغة تعنتا في الكفر ولم يسلك
به سنن الترقي كما في شجاع باسل وجواد فياض ايثارا لطريقة التتميم لانها افضى بحق المقام وافضل للمرام
المراد الملحوظ في مقام الكبرياء جلائل النعم ثم اشير بالرحيم الى ان الكل منه وان عنايته شاملة
لذرات الوجود منه بسل الجليل والحقير كما روي انه تعالى اوحى الى موسى عليه السلام ارفع الي كل حاجة
حتى الملح الذي تجعله في عجينك **الحمد لله** هو الثناء والنداء على الجميل الاختياري والمدح على الجميل مطلقا
وقيل تراد فهما والشكر فعل ينبئ عن تعظيم المنعم لسانا او جنانا او اركانا قال افادتكم النعماء مني
ثلث يدي ولساني والضمير المحجبا والسنان اشيع شعبة لاعرابه عن الخفايا والخبايا وعدم احتمال الغير

احتمال الغير كما في اداب الجوارح واليه اشار بقوله الحمد رأس الشكر لم يشكر الله من لم يحمده وهو من المصادر
التي حذف ناصبها سماعا او استعمل باللام والعدول الى الرفع لقصد دوام الثبوت بمعونة المقام
كما في سلام الجمل الاسمية ولا يأبى ذلك مع النصب لانه بتقدير الفعل الدال على الحدوث ولذلك عدل
الخليل الى سلام في جواب قالوا سلاما ليكون احسن تحيته واللام فيه للاشارة الى الماهية كما في
ارسلها العراك وهذه الاشارة هي الفارقة بينها وبين النكرة والمعنى ان هذا الجنس مختص به تعالى
لا يتجاوزه فان قلت اختصاص الجنس وجب انحصار الافراد فما بالهم ينكرون الاستغراق اشد انكار
قلت انكار الاستغراق انكار لان يكون معنى اللام وضعا الا ترى الى اطباقهم عليه في ان الانسان
لفي خسر الا الذين امنوا فان قلت فقد صح في المقام الاستغراق ايضا فلم اوثر الجنس قلت الحصر في
الجنس مستفاد من جوهر اللفظ على طريقة البرهان من غير معونة المقام بخلاف المثال المشتمل على الاشارة
المقتضي لشمول الافراد صريحا وهذا كالبسملة مقول على السنة العباد **رب العالمين** الرب مصدر
وصف به او صفة بعد تنزيل فعله منزلة اللازم والتربية ايصال الشيء الى كماله والله تعالى هو
الرؤوف الموصل الى كل كمال فلذلك لا يطلق على غيره الا مضافا والعالم ما يعلم به الشيء كالخاتم غلب
فيما يعلم به الصانع وجمع لئلا يتبادر العالم المشاهد او افراد نوع او جنس والقدر المشترك
وبالواو وبالنون للتغليب وقيل المراد الثقلان والملائكة وقيل افراد الانسان اذ في كل فرد
ما تفرق في العالمين مع بدايع اخرى قال وتزعم انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر **الرحمن
الرحيم** سبق الكلام فيهما **مالك يوم الدين** مثل يا سارق الليل اهل الدار اضيف اسم الفاعل الى
الظرف اتساعا والمعنى مالك الامور في يوم الدين وانما وقع صفة المعرفة لان الاضافة فيه
حقيقية اما لقصد الاستمرار اذ بين الامور في الازمان ولتنزيل ما سيكون منزلة الكائن لتحققه
وتوجهه لا محالة كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة وقرأ الحرميان وابن عامر وابو عمرو ملك
ملك مقصورا وهو الاخص لكونه للثبوت والاضافة ليوم الدين والجزاء شأن الملوك وعموم
ما تحت حيطته والكلام مسوق للعقد ولا يبلغ الاختصاص الشرعي ولانه تعالى ملك الناس توافق
الفاتحة الخاتمة ولان اهل الحرمين اولى بسند او افصح لغة وعليه الرسم وكثرة الثواب بزيادة
الحروف معارض بقوة المعنى والدين الجزاء كما تدين تدان او الطاعة او الشريعة فتقدم مضمون
والصفات المذكورة جار به مجرى التعليل على غلبة انحصار الحامد مع الوعد والوعيد في الاول
صريحا والثاني رمزا اشارة الى سبق رحمته غضبه ليكون العبد بين الخوف والرجاء راجحا جانبه
وقد استوفى فيهما ما يتعلق بالمبدأ والمعاد فقال **اياك نعبد واياك نستعين** ايا هو الضمير
واللواحق من الكاف والهاء والياء لبيان المراد به وعن الزجاج ان ايا اسم مضاف والمضمر
ما بعده لقولهم اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب ورد بان المثال شاذ لا يعول عليه
وعن الخليل ان ايا مضمر اضيف الى اللواحق ولم يوافقه احد لان المضمر لا يضاف والمثال المذكور
فيه ما فيه لا يتم دليلا والكوفية على ان المجموع ضمير ورد بان الاختلاف باللواحق غير معهود في
الضماير والعبادة اقصى غاية الخضوع ولذلك اختصت به وهو على اعلام ارباب العلو ومنه طريق معبد

اي مذلل وقدمت على الاستعانة لان الوسائل امام المطالب واطلقت الاستعانة ليتناول كل مستعان
فيه والاوفق ان يكون الاستعانة في العبادة لان اياك نعبد بيان لحمدهم وقوله اهدنا الصراط
المستقيم بيان اياك نستعين كانه قيل كيف اعينكم قالوا اهدنا الصراط فيتسق النظام غاية
الاتساق فان قلت كيف يستقيم ان يكون اياك نعبد بيانا للحمد وشرط البيان مساواته للمبين
قلت الاعتراف بالمنان لما كان ابلغ من سائر انواع العبادات ولذلك جعله الشارع راس الشكر جعل
عين العبادة التي هي اقصى غاية الخضوع او اريد بالحمد صرف العبد ما انعم الله عليه الى ما خلق
لاجله على ما هو الاوفق بالمقام وما تغير اليه بيان المعنى اللغوي وقدم المفعول للتخصيص ولما
كان الحصر المستفاد منه بطريق الفحوى وذا الاسند لا اشتبه على اقوام واخراج الكلام من
الغيبة الى الخطاب تفنن فان الكلام اذا نقل من اسلوب الى آخر كان انشط للسامع وادعى له الى الاصغاء
فذلك اكثر منه البلغاء في اشعارهم وخطبهم وكما يأهون في قرع الاسماع بالجمع بين لون ولون
فهم في قرع الارواح ارعى في الاتيان بفن وفن هذا وقد يختص موقعه بنكتة شريفة كما في اياك
نعبد وذلك انه لما ذكر الحمد بطريق الحصر لمستحقه الحقيقي الدال عليه الاسم الاعظم توجهت النفس
اليه توجها تاما فلما اجريت عليه تلك الصفات الدالة على استحقاقه مفصلا ازداد التحرك شيئا
فشيئا الى ان قال مالك يوم الدين بيده ازمة الامور تم ذلك ان اقبلت اليه بغاية الخضوع و
نهاية الاستكانة واستغرقت في المقام الذي اشار اليه بقوله صلى الله عليه وسلم اعبد الله كانك
تراه وهو آخر مقام السالكين **اهدنا الصراط المستقيم** الهدى متعد ولازم ويتعدى الى الثاني
بنفسه وبالى وباللام الاولى لغة الحجاز ويبنى من قبيل واختار موسى قومه وهدايته تعالى نوعان
الدلالة الى الموصل وخلق الاهتداء واليهما اشار بقوله والله يدعو الى دار السلام ويهدي
من يشاء الاية وتفسيرها بافاضة القوى تسامح ثم من حصر المحامد فيه تعالى وعرفه بتلك الصفات
التي اجراها عليه مهتد بلا ريب فطلب الهداية منه طلب الزيادة او الثبات وصيغة افعل دعاء من
الخضوع امر مع الاستعلاء التماس مع التساوي والصراط المستقيم هو الاسلام لانه الموصل الى السعادة
الابدية بلا اعوجاج ولا انحراف واصله السين من سرط الطعام اذا ابتلعه لانه يسلع السابلة او
او العكس كما سميت لقما للدال وبه قرأ ابن كثير في رواية قنبل والجمهور بالصاد بدلا من السين
لمناسبة الطاء في الاستعلاء والاطباق والانتقال من السين الى الطاء انتقال من التسفل الى العلو
وهي لغة قريش وعليه رسم المصحف وحمزة اشم الصاد زايا حيث وقع في القرآن في رواية خلف
ووافقه خلاد في الاول دون الثاني هنا ومعنى اشمام الحرف باخر مزجه به شيوعا ليكون حرفا
بين حرفين وفي ذلك رعاية الجانبين **صراط الذين انعمت عليهم** بدل من الاول بدل الكل وفائدته
التوكيد لانه لو كان الشيء مرتين مع تكرير العامل وبه يمتاز عن التوكيد وعطف البيان وفيه ايضاح
بعد الاجمال وشهادة على طريق المسلمين بالاستقامة على آكد وجه والنعمة فعلة من التنعم وهي
اللين والمراد بها المنعم به وهو الاسلام والمنعم عليه هو المؤمنون كافة وقيل الانبياء وعن ابن
عباس رضي الله عنه قوم موسى قبل التبديل وقيل الذين اشير اليهم بقوله اولئك الذين انعم الله

انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الاية ولا اختلاف في المنعم به وكذلك
اطلق ولان من قاربه لم تعد نعمة وقرء حمزة عليهم بضم الهاء وكذا اليهم ولديهم حيث وقع وهي
في الوصل والوقف
لغة الحجاز وهي الاصل قيل لا اتصال وكسرها الباقون لمجانسة الياء وضم الميم موصولا
بالواو ابن كثير وقالون وحيث وقع رعاية للاصل لان اصل هم هموا واسكنه الباقون
تخفيفا وعليه رسم المصحف والضمير المجرور في محل النصب على المفعولية **غير المغضوب عليهم**
بدل من الذين انعمت عليهم او صفة لان الذين انعمت عليهم لا توقيت فيه مثله ولقد امر على
اللئيم يسبني او لان غير تعرف بالاضافة الى ما له ضد معين كما في عليك بالحركة غير السكون
والمجرور في محل الرفع لقيامه مقام الفاعل وكل من مات كافرا ضال مغضوب عليه وقيل
المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى لقوله في حق اليهود وغضب الله عليهم
وفي حق النصارى ضلوا واضلوا والوجه هو الاول لظهور العموم ولمجيء هذا الوعيد
لغير الطائفتين ولو صح رفعه الى رسول الله لكان منه اشارة الى رسوخ هؤلاء في الغضب
واولئك في الضلال لا للانحصار وقيل يتجه ان يقال المغضوب عليهم هم العصاة لقوله
في حق القاتل وغضب الله عليه قلت وعلى كون كل عاص مغضوبا عليه باطل لان الغضب منه
تعالى اما انتقام او ارادته وهي متعلقة اليه وكون كل من عصى كذلك ممنوع والاسند لا له
بالغضب في اية القتل غير ناهض لانه مصروف عن ظاهره في مقام الترهيب كالخلود المقرون
به اتفاقا ولئن اجري على ظاهره لم يلحق به كل ما يوجب العصيان لظهور الفارق **ولا الضالين**
الضلال عدم الاهتداء وسلوك غير الطريق ولا بسند مذكرة مفيدا استفادة نفي فادخلت
عليه مبالغة كما في قوله عز وجل لا بارد ولا كريم ووقع وهم كون المنفي هو المجموع وتكون بعد
واو نفي تقدمه نفي صريح او غير صريح كغير والدليل على ان غير في معنى لا جواز قولك انا زيدا غير
ضارب كقولك انا زيدا لا ضارب ولم يجز انا زيدا مثل ضارب لان معمول المضاف اليه لا يتقدم
المضاف **آمين** ليس من القرآن اتفاقا وانما ختم السورة به لانها دعاء وسن ختم الدعاء به لما
روى ابو داود آمين يحفظ الدعاء من الخيبة كما يحفظ الختم الكتاب عن اطلاع الغير عليه
وعنه صلى الله عليه وسلم ان جبرائيل عليه السلام علمني آمين عند ختم الفاتحة وهو اسم استجب وما
يرادفه وعن الزجاج اسم المصدر كالاستجابة وتشكل عليه بنا في وفيه لغتان المد والقصر
وتشديد خطأ يجهر به الامام والمأموم عند الشافعي في الجهرية لكونها تابعا للقراءة ولما روى
انه كان يجهر به ومن خلفه حتى ان المسجد للجة وعن ابي حنيفة رحمه الله عليه يخفيها الامام والمأموم
لانه دعاء وما روي من الجهر محمول على التعليم روى البخاري عن ابي سعيد بن المعلى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لاعلمنك اعظم سورة في القرآن فاتحة الكتاب هي السبع المثاني والقرآن
الذي اوتيته وروى مسلم والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
جالسا وعنده جبرائيل اذ سمع نقيضا فوقه فرفع جبرائيل راسه وبصره الى السماء وقال هذا باب فتح
لم يفتح قط فنزل منه ملك لم ينزل قط فاتى رسول الله وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي فاتحة

الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا الا اوتيته وعن حذيفة بن اليمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله يبعث العذاب على قوم حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين
فيرفع عنهم العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية آيها مائتان وثمانون وست بسم الله الرحمن الرحيم

حروف الهجاء اسماء البسائط في مباني الكلم وذلك لان دلالة الالف على اوسط حروف قال وكان
كدلالة الاسد على الحيوان المعروف بلا تفاوت فيما يرجع الى نفس الدلالة ولاعتوار خواص الاسم من الوقف
والتعريف وغيرهما عليه وقد نص عليه امام العربية خليل بن احمد وما روى عن ابن مسعود رضي الله عنه
من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر امثالها ولا اقول الم حرف بل الف حرف
ولام حرف وميم حرف لم يرد مصطلح النحو فانه عرف حادث والكلمات مركبة راعوا في وضعها
لطيفة بان جعلوا المسمى صدر الاسم ليكون اول ما يقرع الاسماع الا الالف فانهم استعاروا الهمزة
مكان مسماها لانه لا يقع الابتداء بالساكن وسكون آخرها وقف كسائر الاسماء اذا عددت مجردة
توجب بناءها فاذا وليها العامل ظهر الاعراب لان قابلية المحل يحتاج الى المؤثر والدليل على ان سكون
اعجازها وقف وليس بسكون بناء يجمع فيها بين الساكنين والالحاق بها احد وكيف واين وكونها
مقصورة حالة الهجاء فاذا ادركها الاعراب مدت كقوله لولا التشهد لم يسمع له لاء فان حالة الهجاء
خليقة بالاخف لكثرة الدور وهي في اوائل السور اعلام منقولة لما نص عليه سيبويه وهي على
نوعين نوع لا يتأتى فيه الا الحكاية نحو الم وكهيعص وآخر يتأتى فيه الاعراب والحكاية وهذا اما
يكون اسما فردا كصاد وقاف ونون او هو اسماء على زنة المفرد كحم وكس فانها على وزن قابيل
وكذا طسم لو فتح النون وضم اليه الميم كما في دارابجرد والحكاية حينئذ فقط لان الجميم قبل التقدم
ولابتنائه عن الاصل المنقول منه اكثر وقد اعرب العنسي في قوله يذكرني حاميم والرمح شاجر ومنعه الصرف
للعلمية والتانيث والحكاية نقل القول محفوظا صورته الاولى كقولك قرأت الحمد لله وسورة انزلناها
قال وجدنا في كتاب بني تميم احق الخيل بالركض المعار وفي الاتيان بها محكية اشارة الى ان مسمياتها اوائل
السور مركبة من مدلولاتها ففيه نوع ايقاظ ولذلك لو سمي رجل بها لم تمنع الحكاية لفوات الوجه
المذكور وانما كتبت على صور مسمياتها والقياس صورها مثل صاد ونون لان خط المصحف خارج
عن القياس قال درستويه خطان لا يقاسان خط المصحف وخط العروض فان قلت خط العروض داخل في
القياس له وجه وهو ان الداخل في الاوزان الحروف الملفوظة دون المكتوبة فكتبوا ما يدخل في الوزن
على صورته كالتنوين على صورة النون والاشباع بعد الضمة واوا والكسرة ياء فما وجه مخالفة خط
المصحف والعدول لا بد له من حكمة لاسيما وقد وقع ذلك باتفاق خير القرون قلت كل كلمة تحتمل اوائلها
القياس له فائدة ذكرت في علم الرسم واعظم الفوائد ايماء الى ان يكون مجزيا عن العدد كاهل الكتاب ويكون
طريق اخذ القرآن السماع من افواه الرجال كما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هنا وقيل كتبت كذا
اختصارا لعدم اللبس اذ لا طائل في التلفظ بها مع منبهات وانضم اليه الجري على العادة بالتلفظ بالاسم
وكتابة المسمى والقرآن المجيد يلائم الاختصار وقد قرئ صاد وقاف بالاعراب فتحا وكسرا اما الفتح فعلى
انه النصب باذكر وعدم التنوين لامتناع الصرف او مجرورة باضمار حرف القسم كقولك الله لافعلن وهذا

وهذا اوجه من قول ابن عباس رضي الله عنه اقسم الله تعالى بهذه الحروف واما نصبها بحذف الجار واعمال القسم فلا
لان ما بعدها مجرور وهو القرآن والقلم وهما معطوفان فان قلت يجعل الواو للقسم دون العطف قلت
نص الخليل على كونه مستكرها لاستلزامه يجمع بين قسمين على مقسم عليه واحد واما الكسر فللحذر في الهرب
من التقاء الساكنين وقيل هي حروف مقطعة على نمط التعديد في اوائل السور مسرودة ايقاظا
لمن تحدى بالقرآن وذلك ان كلام العرب مؤلف من هذه الحروف كانه قيل هذه الحروف مواد كلامكم
في الاشعار والخطب والمحاورات فان لم يكن ما اوتي محمد من عند الله فهلموا بآية بمثله ولو كان بمقدار
ثلاث آيات وقيل كانت العرب في التلفظ بمسميات الحروف الواقعة في مباني الكلمات متساوية الامم
واما التلفظ بحروف الهجاء على نمط التعديد كان مخصوصا بمن قرأ وخط وخالط الكتاب قال الله تعالى
وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون الاية فكان تصدير السور بها ليكون
اول ما يقرع الاسماع مستقلا بنوع اعراب تقدمة الاعجاز وطليعة للاحتذاء وقد روعي في وقوعها على
الوجه الواقع في اوائل السور من ذكر الحروف المخصوصة دون الجميع او ما عداها وما لوحظ في ذلك
مما يتعلق بمخارج الحروف وصفاتها ما يدهش العقل المتحير وتنقسم الثنائي والثلاثي والرباعي الى الساكن
الوسط ومتحركه فالاول مثل رواحا لا مد فيه زائدا على مقدار الالف والثاني ما كان فيه بعد حرف
المد ساكن نحو ميم وسين وصاد وقاف يمد للسبعة زائدا على حرف المد حركة حاجزة بين الساكنين
ولذلك يسمى مد الحجز والعدل وليس في الفواتح حرف اللين سوى العين ولهم فيه وجهان المد
لذكر حرف المد والقصر لقصور حرف اللين لعدم مجانسة حركة ما قبله واذا كانت على نمط التعديد
او كانت اسماء السور اخبارا حذف المبتدأ عنها او منصوبة باذكر او قسما محذوف الجواب فالوقف عليها
تام لو سبقها طائلها او شرط فيها استغناؤها بما بعدها ايضا بلا اضمار لا يكون الوقف على الم ونحوه
تاما واما اعرابها فان كانت مقطعات على نمط التعديد فلا محل لها من الاعراب واما اذا جعلت اسماء
السور فهي مرفوعة على الابتداء ان صح ان يكون ما بعدها خبرا او على الخبرية عن مبتدأ محذوف او
منصوبة باذكر او مجرورة باضمار حرف القسم كما تقدم **ذلك الكتاب** المشار اليه ما دل عليه الم وهي
السورة او القرآن فالاشارة اليه بذلك الموضوع للبعيد لان الكلام بعد التكلم به في حكم المتباعد
قال الله تعالى فارض ولا بكر عوان بين ذلك الاية ولانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع اليه
في حكم المتباعد فان قلت قبل وصوله ذلك على حاله قلت لما كان مقطوعا بوصوله جعل كأنه وصل
وكثيرا ما يؤلف المتكلم كلاما فلا يحفظه فيجنح ايفة وصوله الى المخاطب به وقيل ذلك اشارة
الى الكتاب الموعود في التوراة والانجيل والى الموعود بقوله انا سنلقي عليك قولا ثقيلا الاية فان قلت
فعلى الاول المشار اليه مؤنث فما وجه تذكير المشار به قلت لما كان ما بعده خبرا جرى حكمه على المبتدأ
في التذكير فيهما متحدين ذاتا كما اجري عليه في التانيث في قوله من كانت امك وان كان وصفا فكون
الاشارة اليه صريحا كقولك هند ذلك الانسان قال النابغة نبئت نعمى على الهجران عاتبة سقيا ورعيا
لذاك العاتب الزاري والكتاب لغة الجمع مصدر كتب وشرعا هو المنزل للاعجاز بسورة منه بطريق العلم
والبعض وهو المراد للاختيار فلا وجه لما قيل اطلق على المنظوم قبل ان يكتب لانه مما يكتب ويراد به

القرآن وان كان اشهر منه وكل منهما يطلق على القديم ايضا وفي تأليف ذلك الكتاب اذا جعل اسم السورة او مجموع
ان يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثان والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الاول والمعنى ان هذا هو الكتاب
الكامل كقولك زيد هو الرجل قال هم القوم كل القوم يا ام خالد وان يكون ذلك خبرا والكتاب صفة
ومعناه الم هو ذلك الكتاب الموعود على ان اللام للعهد اذ لا فائدة في الاخبار عن السورة بصدق جنس
الكتاب عليها ويجوز ان يكون ذلك بدلا وان يكون الم خبر مبتدأ اي هذه الم وان جعل حروفا للتعديد
فذلك مبتدأ وما بعده خبره او خبر مبتدأ محذوف اي المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب او مبتدأ
والكتاب صفته **لا ريب فيه** هو الخبر والريب لغة القلق والاضطراب ومنه ريب الدهر لنوائبه مصدر رابني
اذا حصل فيك الريبة اطلق على الشك اطلاق المسبب على السبب لان الشك مما يقلق النفس ويزعجها
ونفي جنس الريب عنه وكم مرتاب شك فيه لانه لسطوع برهانه بحيث لا يتصور فيه الريب وان يثبت ريبة لاحد
فبارتيابه فالمنفي هو كونه بتلك الصفة وكونه مظنة له كقولك لمن يكابر بعد ظهور الحق من غير امكان
شبهة هذا مما لا شك فيه وان كان المخاطب منكرا فضلا عن الشك وهذا التقرير حسنه ايضا مما لا شك
فيه وانما اجرى الكلام على ظاهره ولم يقدم الظرف كما في لا فيها غول لان الحصر هناك مقصود لان نفيه في
مقابلة خمور الدنيا ولو قدم هنا لدل ان في كتاب آخر ريبا والقرآن يذكر في مقابلة الكتب السماوية
وفساده لا يبطل امع انه لو خلا عن هذا فليس بغرض بل الغرض انه ليس بمحل الريب وقيل معناه لا ريب فيه
للمتقين على ان هدى حال من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي وضعفه لا يخلو
لفوات المبالغة المقصودة في مقام نفي الريب **هدى للمتقين** هدى مصدر كالسرى ووزنه فعل لان الزنة
على الاصول وكونه هدى للمتقين والمتقي لا يكون الا مهتديا يراد به التثبيت او الزيادة وكلاهما هدى آخر
او اريد بهم المشارفون للتقوى عبر عنهم بالمتقين لانه اخصر وليكون صدر اولى الزهراوين باسم خواص اوليائه
تعالى وكونه هدى لا يقتضي ان يكون جميع ابعاضه كذلك ككونه معجزا وعربيا ودعوى ذلك والقول بان المجمل
والمتشابه لم ينفك عن بيان تعيين المراد منه غير ظاهر لا سيما عند من يقول بوجوب الوقف على الا الله والمتقي
شرعا من لم يأت بالفرائض ويجتنب الكبائر ولم يصر على الصغائر من الوقاية وهي فرط الصيانة وله ثلاث مراتب
الاولى التوقي عن الشرك والثاني ما اشير اليه آنفا والثالث ربط السر على ذكر الله والتبرؤ عن كل ما
سواه وقد اشار اليها في قوله ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا
وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا الآية ومحل هدى للمتقين الرفع على خبر به
محذوف او خبر آخر لذلك او مبتدأ والظرف المتقدم خبره ويجوز نصبه على الحال والعامل فيه الظرف او معنى
الاشارة والذي هو لنسق نوع ادق في البلاغة وارجح فربما ان يجري ترابط عقليه بين الجمل المذكورة فيقال
الم جملة مستقلة حذف منها المبتدأ او طائفة من حروف الهجاء وفيها تنبيه على ان الكلام المتحدى به
اما على الثاني فظاهر واما على الاول فلان العلمية لاشتمالها على المعاني الاصلية وذلك الكتاب
جملة ثانية تدل على ان المتحدى به هو الكتاب الكامل وفيه تقوية لجهة التحدي وسد من اعضاه ولا ريب
فيه جملة ثالثة تشهد بكماله اذ لا كمال فوق حق اليقين قيل لبعض العلماء فيم لذتك قال في حجة تتبختر
اتضاحا وشبهة تتضاءل افتضاحا او تاكيد لذلك الكتاب ثم اخبر عنه بانه الكتاب الكامل كان مظنة

مظنة ان يتوهم انه مبالغة في مقام المدح وليس الامر محمولا على الحقيقة ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين فتقرر
انه يقين لا يحوم حوله شك وحق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الآية **الذين يؤمنون بالغيب**
موصول بالمتقين صفة مجرورة او نصب او رفع على المدح فهو في حكم التابع لاتصاله معنى ومقطوع
مبتدأ خبره اولئك على هدى فعلى الاول الوقف على المتقين حسن غير تام ثم ان جعلت صفة فاما كاشفة
وقد اشار بذكر الايمان والصلوة والزكوة الى فعل جميع الطاعات وترك سائر المعاصي بالطف وجه
وذلك ان الايمان اس لا يقوم شيء بدونه والصلوة عماد الدين التي تنهى عن الفحشاء والمنكر والصدقة
بذل شقيق الروح وسماها الشارع برهانا وقنطرة الاسلام فذكر الثلاثة ينطوي على ذكر سائر العبادات
وترك السيئات كما هو الاوفق ببلاغة القرآن ورموزه مع ما في ذلك من الاشارة الى رتبة الصلوة والزكوة
بين سائر الفروع وهذا ما يقال ان الثلاثة كناية عن فعل الطاعات وترك السيئات او مادحة كصفات
الله الجارية عليه اجلالا له او مقيدة ومناط الفرق ان المتقي ان حمل على المعنى الشرعي فالوصف كاشف
ان كان المخاطب لم يعرف مفهوم الموصوف مفصلا والا فمادحة وان حمل على من اجتنب الكبائر
فالوصف مخصص والايمان افعال من الامن يقال آمنته وآمنت به غيري فاستعمل في التصديق
اما مجازا لان من صدق احدا آمنه من التكذيب او حقيقة فيه ايضا وهذا هو الظاهر واستعماله
بالباء لتضمينه معنى الاعتراف والاقرار وقد يتعدى باللام لتضمينه معنى الاذعان وقد يكون همزته
للصيرورة كما يحكى عن ابي زيد ما آمنت ان اجد صحابة ويجوز ان يكون الجار والمجرور في محل النصب
حالا اي غائبين عن المؤمن به فالغيبة على هذا بمعنى الخفاء وعلى الاول بمعنى الغائب اما تسمية بالمصدر
كرجل عدل واما فيعل كقتيل مخفف والمراد منه ما لا يهتدى فيه ابتداء الا علام علام الغيوب والانبياء
والمؤمنون انما يعلمون منه ما اعلمهم او نصب لهم عليه دليلا عقليا او سمعيا كالصانع وصفاته
والنبوات وقيل المراد بالغيب القلب اي يؤمنون بقلوبهم تعريضا بالمنافقين الذين يقولون بالسنتهم
ما ليس في قلوبهم فالباء للآلة كما في كتبت بالقلم فان قلت ما الايمان الصحيح عند الله قلت هو التصديق
بما علم مجيء الرسول به ضرورة وزادت الحنفية الاقرار ركنا زائدا يسقط بالاكراه والخوارج و
المعتزلة الاعمال وان كان بين معتقد الفريقين فرق واما المحدثون فهم برآء من مذهب هؤلاء وانما
اعتبروا الاعمال في كمال الايمان كيف لا وهم الذين يروون من قال لا اله الا الله دخل الجنة وان
زنى وان سرق ويخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وابدل ورش عن نافع والسوسي
عن ابي عمرو الهمزة واوا حيث وقع به في القرآن وكذا حمزة في الوقف **ويقيمون الصلوة** الاقامة
لغة الانتصاب والاقامة افعال منه يقال اقمت العود اذا سويته وازلت اعوجاجه فاستعير لتعديل
اركانها وحفظها عن الخلل في سننها وآدابها بعد ما صار حقيقة في تعديل الاجسام وقيل حقيقة
في الاعيان والمعاني ايضا لغة او يديمونها من قام السوق اذا نفق لانها اذا دووم عليها كانت كالشيء
المرغوب النافق الذي يتنافس فيه المحصلون او يصلحون شانها بتحصيل ما يتوقف عليه من القوام وهو ما يقوم
به الشيء يقال فلان قوام اهله اي قائم بامرهم يصلح شانهم او يتشمرون لادائها بلا فتور من قام بالامر
اذا تشمر له ومنه قامت الحرب على ساق وفي ضده تقاعد عن الامر وتقاعد والصلوة فعلة من صلى اذا دعا

تشبيها له بالمصلي في تخشعه وليس بوجه لان الاشتقاق مما ليس بحدث قليل ولان الصلوة في اشعار الجاهلية
بمعنى الدعاء شايعة ولم يكن لهم علم بالاركان المخصوصة فانى يظن التجوز بما لا علم لهم به وانما كتبت
بالواو للاشعار بالاصل كمشكوة وسريت بالياء وقيل كتبت بالواو على لفظ المفخم وليس بشيء اذ لم يقرأ به
احد فكيف يوضع الرسم باتفاق الصحابة على شيء لا وجود له واما تغليظ ورش لامه فليس لامالة الالف
نحو مخرج الواو بل لان الصاد من الحروف المستعلية فغلظ اللام لتقارب الصاد كما فخم في ظلموا وطال
ومما رزقناهم ينفقون الرزق لغة كل ما ينتفع به الحيوان حراما كان او حلالا لقوله قل ارايتم ما انزل
الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا الاية ولقوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها
الاية وما في الاية يراد به الحلال بقرينة المدح على انفاقه والمراد منه الزكوة المفروضة لكونه قرين
الصلوة او ما يعمها وساير الانفاقات في سبيل الله كقوله الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله سرا وعلانية
وهذا اوفق بمقام المدح والتقديم للاهتمام وقيل للتخصيص اي يخصون بعض ما رزقناهم دون
الكل تحاشيا عن رذيلة الاسراف قلت لا سرف في الخير كما لا خير في السرف ويدل عليه قوله ويؤثرون
على انفسهم ولو كان بهم خصاصة الاية في مقام المدح وقوله والذين لا يجدون الا جهدهم الاية
وفي الحديث افضل الصدقة جهد المقل وقضية الصديق في التجرد وايثار الكل متواترة فان قلت فما
فائدة من اذا قلت فائدتها ان انفاق البعض كاف في نيل رتبة المتقين ويدل دلالة ظاهرة على ان
انفاق الكل نور على نور والاولى حمله على ما يشمل المعارف ايضا كما نقل عن كل ما منحوا يبذلون وفي
الحديث ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك هم اهل
الكتاب الذين امنوا برسول الله وعلمائهم كعبد الله بن سلام واضرابه عطف على الذين يؤمنون بالغيب
فيشملهم صفة التقوى لانه لم يكن الموصول الاول مقطوعا او هم الاولون والعطف باعتبار تغاير الصفات
كقوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم والايمان بالغيب وان شمل الايمان بالكتب
المنزلة الا انه افرد اشعارا بمكانه ولذلك اعيد الموصول ولم يكتف بذكر الصلوة مبالغة كان الموصوف
بها مغاير للموصوف بما تقدم وهذا الوجه اوجه لان الايمان بالكل مشترك بين الكل ولا دلالة في ايراد
بالذكر على الايمان به منفردا كما ان شاهده قوله قولوا امنا بالله ثم قال وما اوتي موسى وعيسى الاية
ولان الصفات السابقة شاملة للفريقين فلا وجه لتخصيصها بطائفة ولانه لا يأتي في بناء يوقنون
على هم انما يحسن موقعه على الوجه الاول والا لا وهم خروج الاولين وفيما انزل تغليب للموجود وعلى
المترقب لان الايمان بالكل واجب والانزال نقل الشيء من علو الى سفل وهو على الاعراض محال فهو وصف
بتبع حامله ومبلغه واذا التقى حرف المد الهمزة بعده يزاد في مده للسبعة اذا كانتا في كلمة نحو جاء وشاء
لان الهمزة حرف قوي وحرف المد ضعيف يزاد في مده ليقاوم القوي ويجانس المجاور واذا كانتا في
كلمتين فلهم فيه خلاف لعروض الانفصال وبالاخرة هم يوقنون تانيث الاخر اسم فاعل من اخر بمعنى تأخر
من الصفات الغالبة على تلك الدار كالدنيا على هذه ثم جرتا مجرى الاسماء حتى ترك ذكر موصوفها و
الايقان والتيقن اتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه فلا يوصف به العلم القديم ولا الضروري
فلا يقال ايقنت ان الواحد نصف الاثنين كذا قيل ويشكل بقوله لترونها عين اليقين فان المشاهد

فان المشاهد اعلى مراتب اليقين وفي بناء يوقنون على الضمير اشارة الى ان ما عليه اهل الكتاب جهل محض
كما ان معتقدهم خيال باطل وكذا في تقديم بالاخرة ونقل ورش حركة الهمزة الى اللام وكذا كل
همزة قطع بنقل حركتها الى الساكن قبلها رأسا لعدم ما يدل عليه اولئك على هدى من ربهم خبر
الذين يؤمنون بالغيب مع ما عطف ان كان مستأنفا جوابا لمن يقول لما للمتقين اختصوا بالهدى بين الانام
ندل بالاوصاف المذكورة على انهم احقاء بذلك الاختصاص وان جعل موصولا والذين يؤمنون بما
انزل اليك كلاما مستأنفا غير معطوف على الموصول الاول ولا على المتقين فاولئك على هدى خبر عنه
وان جعل موصولا بالمتقين لفظا او معنى وعطف عليه والذين يؤمنون بما انزل اليك فالاستئناف
واقع على اولئك وليس بوجه لانه بعد ذكر اختصاص المتقين بالهدى واجراء الصفات التي اهلتهم
لذلك لا وجه للسؤال وضم الى الهدى نتيجتها وهي الفلاح تحاشيا عن وصمة التكرار فان قلت صفة
التقوى كافية في علة الاختصاص فما اوردته على الثاني وارد على الاول قلت ليس المجمل كالمفصل
فاذا فصلت صفات المتقين ولخصت لم يبق للسؤال مجال واعلم ان الموصول الثاني اذا جعل مستأنفا
ولم يجر على المتقين انما يحسن اذا قصد به التعريض باهل الكتاب الذين يزعمون انهم على هدى و
ليسوا منه في شيء اذ لو لم يقصد ذلك فحق الموصول الثاني ان يكون جاريا على ما جرى عليه الاول
لعدم فائدة العدول مع اتحادهما ذاتا فان قلت فاجعل الثاني مخالفا للاول ذاتا وقد استقام
الكلام بلا تعريض قلت اذا كان مغايرا للاول ذاتا فالوجه عطفه على الاول ليشملها صفة التقوى
وان جعل مستأنفا فالوجه قصد التعريض ايضا لئلا يوهم انتفاء الحكم عن الموصول الاول وانما عدل
عن الضمير الى اسم الاشارة للدلالة على ان ما يرد بعده فالمشار اليهم احقاء به لتلك الصفات
السابقة وفي اسم الاشارة يلاحظ المشار اليه مع الصفات المميزة له دون الضمير فان قلت
قد ذكروا في اياك نعبد ان العدول من الغيبة الى الخطاب لكونه ادل على التمييز الذي لا يحق العبادة
بدونه فقد دل على ان الصفات المميزة يعتبر في المضمر ايضا قلت المراد كمال التمايز الا ترى انهم
يقولون جعل المسند اليه اسم الاشارة ليفيد كمال تميزه ولذلك يؤثره البلغاء قال ابو تمام
الطائي لما استوفي ثنا ترمد وحذف ذلك انه يهلك محسني ثناوه والاستعارة في على تبعية شبه
تمكنهم من الهدى من غير مانع ولا مزاحم من الشبه والشكوك باعتلاء الراكب مركوبه فجرى اولا في
متعلق الاعتلاء ثم في معنى على تبعا وذلك لان معنى الحرف غير مستقل بالمفهومية فلا يصح
ان يكون مشبها او مشبها به اصالة وكذلك الافعال لاستلزامها نسبها على النسب فيقع التشبيه
في المصادر ثم يسري الى الافعال تبعا والتنكير في هدى للتعظيم اي هدى واي هدى واتفق السبعة
على ادغام النون الساكنة في الراء واللام بلا غنة اما الادغام فلتلاحق المخرج واما عدم الغنة
للمبالغة في التخفيف ونقلها عن ابن عامر وعاصم واولئك هم المفلحون كرر اسم الاشارة
دلالة على انهم مستبدون بكل من الهدى والفلاح على حيالها وادخل العاطف لاختلاف الجملتين
مفهوما وقصدا لان الغرض في الاول اثبات الهدى لما اشير اليه في الدنيا بتلك الصفات والغرض
من الثاني الفوز في الاخرة من اجل الهدى بخلاف قوله اولئك هم الغافلون بعد قوله اولئك كالانعام

فانهما وان تخلفا ذاتا ومفهوما فقد اتحدا مارضا وقصدا لان الغرض من تشبيه الكفرة بالانعام ليس
الا الحكم عليهم بالغفلة المتناهية فالثانية مؤكدة او بيان فلا مجال للعاطف ومن قال هما متحدان
مفهوما فقد التبس عليه وفائدة ضمير الفصل تأكيد الحصر المستفاد من تعريف الخبر وتمييزه اياه عن الصفة
وقد يقال انه مبتدأ ومابعده خبره ومعنى التعريف في المفلحون اما العهد وذلك انك احطت علما بان
طائفة من الناس يفلحون فكانه قيل ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم مفلحون كما اذا بلغك ان انسانا
من اهل بلدك قد تاب فقلت من التائب فقيل زيد التائب على ما اختاره سيبويه في من ابوك من كون
من مبتدأ والمعنى ازيد ابوك ام عمرو وكانه قيل المتقون هم المفلحون ام غيرهم فالمطلوب الحكم
بالمفلحون على تلك الخصوصيات واما الجنس على معنى ان صفة الفلاح اذا حصلت وقامت بحقيقة
فالمتقون هم لا يعدونهم وهذا المعنى من فروع الجنس وابلغ شعبه لدعوى الاتحاد بخلاف الحصر
لانتفاء هذه الدعوى فيه ولدقة مسلكه يحتاج الى تأمل وافر والفلاح الشق ولذلك سمي الحارث
فلاحا والمراد به الفوز لان من فاز ببغية كانه انفتح في وجهه كل باب خير وكل ما وافقه في الفاء
والعين دال على معناه كفلق وفلذ وفي تشييد شأن المتقين بما لا مزيد عليه من طرق شتى ذكر اسم الاشارة
وتكريره وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل ترغيب السامع في انتهاج منهجهم لينال ما نالوا وفقنا
الله لذلك بفضله وكرمه **ان الذين كفروا** سنة الله تعالى في كتابه العزيز ارداف قصة الابرار بالكفار
وبالعكس واتباع الوعد بالوعيد اذ بضدها تتبين الاشياء ولم تعطف الثانية على الاولى لتباينهما
غرضا واسلوبا لان الاولى مسوقة لوصف الكتاب بكمال الهداية وانه الموعود المتحدى باعجازه والثانية
لبيان حال الكفرة واصرارهم بحيث لا يجدي فيهم الآيات والنذر والحكم في الاولى على الكتاب وفي الثانية
على الكفار ولا تفاوت هذا باجراء الموصول على المتقين واستئنافه لان الكلام المبني على السؤال
ادنى شيء من الاول يتصل به معنى ولا يكون الموصول الثاني مبتدأ مخبرا عنه باولئك لان ذلك الوجه انما
يجري اذا قصد به التعريض بمن لم يؤمن بالقرآن من اهل الكتاب وزعموا انهم مؤمنون عند الله ولا مدخل
لقصة الكفار في ذلك الغرض والموصول كاللام في العهدية والجنس وفروعه فيجوز ان يراد به ناس معدودون
معروفون بالنفاق كعبد الله بن ابي واضرابه والجنس شامل لهم ولغيرهم والاخبار بالاصرار مختصة
بالبعض والكفر لغة الستر وشرعا انكار شيء اعتبر وجوده في الايمان وسد التاء والفاء المحض
في لغا ذوات انما عد كفرا لكونه دليلا على خبث الباطن والنزاع بين اهل الحق والاعتزال انما هو في
اثبات الكلام القديم القائم بذاته تعالى مع الوفاق على حدوث اللفظ فلا وجه للرد عليهم بان ذلك يستلزم
التعلق وهو لا يستلزم حدوث الكلام **سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم** السواء لغة العدل وعدم ميلان
احد الطرفين قال تعالى فانبذ اليهم على سواء الابزم المصدر ويوصف به كقوله في اربعة ايام سواء وما في
الآية اما خبر عما بعده مقدم عليه وعدم التثنية لكونه مصدرا او خبر عما قبله مسند الى ما بعده اي مستو
عليهم انذارك وعدمه والاول هو الوجه لان الغرض من الوصف بالسواء المبالغة في شأنه حتى كأنها
صارت عين ما قام بها وارتفع وقوع الفعل مخبرا عنه لان الجملة في معنى المصدر كما في الفاعل ميلا الى
المعنى كما في تأكل السمك وتشرب اللبن والهمزة جردت عن الاستفهام لمطلق التسوية لوقوعها

لان اللفظ الحامل لمعنيين قد يجرد لاحدهما قال سيبويه جرى على حرف الاستفهام ما جرى على حرف النداء
في قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة لانه جرد عن قصد اي فبالحري ان جرد الاختصاص فان قلت اذا جرد
لمعنى الاستواء يؤول المعنى الى ان المستويين سواء قلت لا ضير اذ المعنى المتساويين وقوعا سواء في عدم النفع
وانما قال سواء عليهم دون عليك كما في قوله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون لان الانذار وعدمه
عليه بالنسبة الى المثوبة العظمى فلا يستويان بالنسبة اليه والانذار الابلاغ مع التخويف واقتصر عليه لانه
الاهم سهل نافع وابن كثير وابو عمرو الهمزة الثانية بين بين هنا وحيث وقع همزة القطع متلاصقين
ووافقهم ابن عامر في رواية هشام في المفتوحة وابدلها ورش في رواية المصريين عند القراء وما
التخفيف لان همزة القطع في غاية الثقل وفي بين بين قطع من الحركة قال قطرب هي لغة قريش وان لم يكن
قياسية لكنها كثرت حتى اطردت والعجب ممن زعم انه ناقل القراءات ثم يطعن في المتواتر بما يخيله
لا يؤمنون خبر ان قدر سواء خبرا مقدما ليكون الجملة اعتراضا وان تجعل اسم فاعل لما بعده فاعله
تعين ان يكون لا يؤمنون بيانا او تأكيدا وهذا اوجه لان الاخبار بتساوي الانذار وعدمه اقوى
في افادة الغرض المسوق له الكلام وهو بيان تمردهم في الكفر فالشأن ان يجعل عمدة لان الامر في
صورة المستغنى عنه ومنه ظهر ان الابدال الظاهر ليس المبدل وفي المقصود والشرط عكسه واما
جعله خبرا بعد خبر او حالا مؤكدة مما لا يليق بشأنه وما علم الله تعالى عدم وقوعه او اخبر به ليس
التكليف به محالا بل النزاع فيما لا يكون متعلق القدرة الحادثة وان كان ممكنا واما المحال الذاتي
لم يقل به احد وان جاز فعلا عند من لم يوجب لفعله غرضا **ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم
غشاوة** استئناف دال على علية استواء الانذار وعدمه الختم والكتم اخوان ولا ختم ولا تغشية حقيقة
بل المعنى على تشبيه الحائل هيأة في القلوب والاسماع مانعة من خلوص الحق وقبوله بضرب الخاتم على الاواني
استعارة تحقيقية لمعقول بمحسوس بجامع عقلي هو الاشتمال على منع القابل عما من شأنه ان يقبله فيرشح الاستعارة في
الفعل تبعا او تشبيه صورة منتزعة من القلب والحالة الحادثة فيه المانعة من الانتفاع بالامور الدينية
بصورة منتزعة من الشيء والختم الوارد عليه المانع من الانتفاع بما فيه والالفاظ المنوية في التمثيل
كافية وان لم يستقم تقديرها وفي حال الابصار مع الغطاء على القلوب والاسماع مع الختم وهذه
الاشياء ونظائرها كائنة بخلق الله وارادته اذ لا قبح لصنعه بخلق ما يشاء ويحكم ما يريد ومن لم
يجوز ذلك اول في مثلها تأويلات الاول جعل اسناد الختم اليه تعالى كناية عن رسوخ نبو القلوب
والاسماع وفرط التمكن حتى كانها مخلوق الثاني تمثيل قلوبهم بقلوب ختم الله عليها كقلوب البهائم او قلوب
مقدرة ختم عليها فالاسناد حقيقي وان كان الختم مجازا والتمثيل في المجموع كما في قولك اراك
تقدم رجلا وتؤخر اخرى الثالث ان هذه الاشياء من الشيطان والاسناد اليه تعالى اسناد الى المسبب
لانه باقداره والمسند اليه حقيقة المجاز كقوله اذا ردعاق القدر من يستعيرها الرابع ان الختم مستعار للترك
القسر والالجاء لانه لازمه وفيه اشارة الى تناهي طغيانهم وانه لا سبيل الى ايمانهم الا القسر ولا الالجاء
التكليف على الاختيار الخامس ان هذه حكاية ما كانوا يقولون قلوبنا في اكنة وفي آذاننا وقر رد عليهم
الباطل وانما ادخل السمع تحت الختم دون الغشاوة لقوله ختم على سمعه وقلبه الآية ولان ادراك الكل انها

لا يختص بجهة والختم يمنع الوصول من الجهات والقلب هو العضو الصنوبري ويطلق على العقل كقوله لمن كان له
قلب والسمع والبصر الجارحتان المعروفتان ويطلقان على الادراك بهما وعلى نفس القوة الدراكة وافراد
السمع لانه مصدر في الاصل واعادة الجار للدلالة على الاستقلال مبالغة وتنكير غشاوة للتنويع اي نوع
غير ما يتعارفه الناس هو غطاء التعامي عن آيات الله او التعظيم وارتفاعها على الابتداء عند سيبويه والفاعلية
عند الاخفش وربما انتصب بالعطف على الفعلية ولم يمنع ابا عمرو والكسائي امالة الف بعد ما هو الصاد المطبقة
المستعلية لانه في الراء من صفات القوة ما يقاوم ذلك وقيل لما في الراء من التكرير وليس بشيء لان قولهم
الراء حرف مكرر ليس معناه انه بالتلفظ يقع مكررا بل معناه انه اذا وقف بلصوق لسانه بالحنك الاعلى
لئلا يقع لحن بارتعاد اللسان فحدث راآن كذا عن امام النحو خليل بن احمد ولهم عذاب عظيم العذاب كالنكال
وزنا ومعنى ومنه اعذب عن الشيء امتنع عنه وفي حديث علي لما ارسل سرية اعذبوا عن ذكر النساء ومنه وصف
الشراب بالعذوبة لانه يقمع العطش كما سمي نقاخا لانه ينقخه اي يكسره والعظيم ما لا يحاط به يستعمل في
الجثث والمعاني كما ان الحقير دون الصغير يكون العظيم فوق الكبير بحكم العادة لان الاشرف يقابل بالادنى
والحديث الالهي الكبرياء ردائي والعظمة ازاري يدل على خلافه لان الرداء اشرف من الازار ومن الناس
من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر هؤلاء المنافقون اهل الدرك الاسفل وهم اقبح الكفرة ولذلك عطف
قصتهم على قصة الماحضين وفصل صفاتهم الذميمة في ثلاثة عشر آية وعطف القصة على القصة يكفيه
التناسب في الغرض ومن لم يهتد اليه اشكل عليه مواضع من التنزيل واصل ناس اناس لانهم يونسون اي
يبصرون كما سموا بشرا لذلك يدل عليه انسان واناسي حذفت همزته تخفيفا وقيل من النوس وهو الاضطراب
بدليل نويس والجواب انه من تغيير النسب كانسان وزنه فعال لان الزنة في المحذوف والمبدل على الوصف
ليندرج به الى معرفة حصول الصيغة ويعكس في القلب لانه على اصله ولذلك يقال اصل ايس يئس واللام
فيه للجنس وفائدة الاخبار بان من يقول كذا من الناس التعجب من شانه وان تلك الصفات تنافي الانسانية
ويجوز ان يكون مضمون الجار والمجرور مبتداء كقول الحماسي فمنهم ليوث لا ترام وبعضهم مما قمشت وضم
حبل الحاطب وللعهد اي ومن الصنفين طائفة كذا ولا ينافيه ما ذكر من تثنية الكلام بالماحضين لان المتغيرين
لما افردوا باحوال واحكام كان المقصود من ذلك الحكم المشترك بيان حال الماحضين ثم على الاول من
موصوفة لان الجنس لا توقيت فيه فكذا في ابعاضه وعلى الثاني موصولة وبالوجهين ورد التنزيل
من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ومنهم الذين يؤذون النبي واليوم الآخر هو الابد الذي
لا امد له او من وقت النشور الى ان يدخل فريق في الجنة وفريق في السعير لانه آخر الاوقات المحدودة
وذكر مع الله تعالى للدلالة على انهم آمنوا بالمبدأ والمعاد واحاطوا بقطريه واما ل ابو عمرو الف الناس
لكثرة الدور وما هم بمؤمنين رد لدعواهم على ابلغ وجه لان كونهم في عداد المؤمنين من لوازم ايمانهم
فاخراجهم عن زمرتهم نفي لوازم ايمانهم على طريقة البرهان ولذلك زيدت الباء وقد دلت الآية على ان الايمان
ليس مجرد القول مع ابطان الكفر وفيه بطلان مذهب الكرامية يخادعون الله والذين آمنوا الخدع ان
توهم غيرك خلاف ما تريد به لتوقعه في المكروه من حيث لا يدري ومنه ضب خادع اذا اقبل الى الحارش
ثم خرج من باب نافقائه وفي الحديث يكون في آخر الزمان سنون خداعة اي يكون ذات امطار بلا ريع ومخدع

ومعنى مخادعة المنافقين علام الغيوب وتخادعه اياهم ان من الجانبين معاملة شبيهة بالخداع في
اظهارهم الايمان مع ابطان الكفر واجراء الله تعالى عليهم احكام المؤمنين وهم اهل الدرك الاسفل وكذا
امتثال الرسول والمؤمنين باجراء الاحكام عليهم صورته صورة الخداع ففي يخادعون استعارة تبعية
او لجهلهم بالله وبصفاته اعتقدوا جواز ذلك فهو ترجمة معتقدهم او ذكر الله توطئة تنبيها على قوة
اختصاص المؤمنين به وقربهم منه حتى ان الفعل المتعلق بهم يصح تعلقه به كقولك اعجبني زيد
وكرمه ومثل والله ورسوله احق ان يرضوه او نسبة اليه تعالى ما هو لرسوله على نمط المجاز العقلي لانه
الناطق عنه والمبلغ احكامه او يخادعون بمعنى يخدعون اخرج في زنة المفاعلة مبالغة لان الفعل
اذا قابله مقاوم ترقت دواعيه شوقا الى الغلبة وكان لهم في الخداع اغراض سلامتهم من القتل
والاسر ونيل ما ينال المؤمنون من المغانم واطلاعهم على عورات المؤمنين واذاعة اسرارهم والقاء
الاكاذيب المرجفة ولذلك سماهم المرجفين في المدينة وما يخدعون الا انفسهم لان ضرر خداعهم
لا يتعداها ولا يحيق المكر السيئ الا باهله او يخادعون انفسهم بالاطماع الاماني وتمنيهم هي ايضا
اما انها فيخدع كل منهما الآخر ويحمل على ارتكاب اسبابها فان قلت النفس ذات الشيء وحقيقته وحقيقة
الخداع تقتضي فاعلين متغايرين قلت يكفي في تصوير ذلك التغاير اعتبارا ولو توهما او فاعل بمعنى فعل
والاخراج الى المفاعلة لتلك المبالغة ويؤيده قراءة الكوفيين وابن عامر يخدعون مفصولا وعليه
الرسم ويطلق النفس على الروح وعلى القلب والدم والماء وما يشعرون ان ضرر الخداع لا يتخطاهم
والشعور علم يكتسب بالمشاعر والحواس الظاهرة وفيه اشارة الى انهم اضل سبيلا من الانعام في قلوبهم
مرض مستأنف لبيان موجب خداعهم وما هم فيه من النفاق ويجوز ان يكون تقريرا لعدم شعورهم
والاول اولى لانه لا يشعرون سبيله الاعراض والمرض حقيقة فيما يعرض البدن ويخرجه عن
الاعتدال وكان همهم الرياسة وفوات اكل الرشى امرض قلوبهم او اريد به الاعراض النفسانية كالغل
والحسد وسائر الاخلاق المتولدة من الكفر وسوء العقيدة فانها آفة في الادراك فزادهم الله مرضا
بنصر رسوله وتبسط في البلاد وكثرة الفتوح او بانزال الآيات والسور فانهم ازدادوا كفرا بزيادة
ما كفروا به كما ازداد المؤمنون ايمانا واسناده الى السورة في قوله فزادتهم رجسا اسناد الى السبب
وعطف الفعلية على الاسمية للدلالة على ان ذلك المرض لم يزل غضا طريا وانه تسبب تزيدا متحدثا
المتحقق اذ لولا انه تنمى الفطر لا ازدادوا بزيادة امداد الاسلام ونزول الآيات شيئا وقد ظهر ان حمله
على الاخبار دون الدعاء هو الوجه ولهم عذاب اليم هو لم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع وصف
العذاب مبالغة كقوله تحية بينهم ضرب وجيع وكقولك الرائم وجع وجيع بما كانوا يكذبون بسبب
كذبهم واقحام كان للدلالة على الاستمرار في الماضي والكذب هو الاخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه
وقبحه ليس ذاتيا فيحسن اذا كان فيه نجاة مظلوم وحقن بالمذكر من بين جهات استحقاقهم تخييلا للخوف
العذاب لاجله تنفيرا عنه وقرأ غير الكوفيين مشددا اي يكذبون الرسول ولم يؤمنوا به ويجوز ان
يكون مبالغة في الكذب كتصدق في صدق او كثرة الفاعل كموتت الابل فيرجع الى قراءة التخفيف سوى ما به
من المبالغة او من كذب الوحشي اذا جرى شوطا ثم نظر وراءه كانه يكذب رأيه لان المنافق متحير متردد في

قال الله تعالى مذبذبين بين ذلك والمختار هو التشديد على كل وجه **وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض** عطف على يكذبون او يقول امنا والاول اوجه لقربه ولافادته تسبب الفساد للعذاب وتخلوه عن تخلل البيان والاستيناف بين اجزاء الصلة او الصفة وان لم يكن اجنبيا وقد يؤيد الثاني بكون الايات على نمط التعديد قصدا الى نفاقهم بكلها استقلالا ولذا يفوت المبالغة في التنفير عن الكذب بمثله كما في التسبيب للعذاب ولما عطفه على ومن الناس يستلزم خروج هذه الصفة وما بعدها من قصة المنافقين اذ على ذلك التقدير لا يحسن عود الضمير اليهم والافساد جعل الشيء فاسدا اي خارجا عن اعتداله والمراد جعلوا مفسدين ما في الارض لانهم كانوا يمايلون الكفار ويمالؤنهم على المسلمين ويحرفون الكلم عن مواضعه وذلك مما يهيج الحروب والفتن وفيه فساد الدنيا والدين او جعل ما كانوا فيه من الفساد وكانه قيل لا تاتوا با الفساد والقائل رسول الله والمؤمنون اذ لم يقع الله معهم كلاما ابتداء **قالوا إنما نحن مصلحون** اي خالصا مقصورا على الاصلاح لا يشوبه شيء من الافساد واثروا انما لادعائهم ان اصلاحهم بين مكشوف **ألا إنهم هم المفسدون** الا حرف تنبيه ينبه على تحقيق ما بعده وقيل مركب من همزة الانكار ولا النافية فهي من مقدمات اليمين وطلائعه كاما واللام يتلقى بهما القسم رد دعوتهم ابلغ رد بان حصر حالهم في الافساد لا حظ لهم في الاصلاح قلبا لدعواهم وتوسط ضمير الفصل لتوكيد الحصر المستفاد من تعريف الخبر والاوجه حمل اللام على الاتحاد والضمير لتوكيد نسبة الاتحاد كما في هم المفلحون **ولكن لا يشعرون** سبق تحقيقه **وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس** سلكوا معهم سلوك المرشد مع الطالب المسترشد نهوهم عن الفساد وارتكاب الرذائل ثم امروهم بالاتصاف بالايمان الذي هو اساس الحسنات تحلية بعد التخلية واللام للعهد والناس رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم لانهم معهودون في الايمان او عبد الله بن سلام ونظراؤه لانهم مع تلك المقابلة غافلون لهم بالايمان حاضرون في الاذهان او للجنس اي الكاملون في الانسانية كان من عداهم ليس بانسان كما في ذلك الكتاب وقوله اذ الناس ناس والزمان زمان واسناد الفعل الى الجملة في قوله واذا قيل لهم لا تفسدوا او قوله واذا قيل لهم امنوا والاسناد من خواص الاسم لان اقسام الكلمة متساوية الاقدام في الاسناد الى لفظها وما اختص به الاسم هو الاسناد الى معناه نحو قام زيد فالمسند اليه هنا اللفظ باعتبار المعنى وانما لم يتعرض النحاة لبيان هذا القسم من الاسناد لانه يعلم حاله بالمقايسة اولان مآله ذلك لان قولك ضرب فعل ماض واذا قيل لهم لا تفسدوا اي هذا القول **قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء** السفه الخفة في الراي واللام للعهد اشير به الى الناس المسبوق ذكرهم او للجنس ويدخل فيهم الجاري ذكرهم لانهم اعرق الناس في السفه عندهم اما لتدني فطنتهم يرون فحاكا المريض المختل ذائقته يجد الحلو مرا او قالوا تجلدا وعدم مبالاة لمن فارقهم من شيعتهم ومن الموضعين مصدرية او كافة **ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون** لاعتقادهم الباطل حقا مع جلاء بطلانه وانما فصل الاولى بنفي الشعور وهذه بنفي العلم لان امر الديانة يحتاج الى تامل في تمييز الحق عن الباطل ولا كذلك الافساد في الارض **وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا** ليس من التكرار في شيء لان قوله ومن الناس من يقول امنا لبيان معتقدهم وادعائهم حيازة الايمان من الجهات وما هم منه في شيء وهذا البيان سلوكهم مع المؤمنين ولو لم يكن الغرض ذلك لم يلزم التكرار ايضا لان المعنى من خلوت بفلان واليه اذا انفردت

اذا انفردت به ومنه خلا ك الذم اي مضى وانفرد او من خلوت به اذا سخرت منه وعدي بالى لتضمين معنى الانهاء وشياطينهم شطارهم الذين ماثلوا الشياطين في التمرد والشيطان فيعال من شطن اي بعد لبعده عن الخير والصلاح او من شاط اي بطل فالنون زائدة **قالوا إنا معكم** قلبا واعتقادا اثروا في مخاطبة اخوانهم الاسمية مؤكدة بان لانهم في ذلك على صدق رغبة ونشاط وكمال اريحية وهو رائج منهم ومع المؤمنين الفعلية لانهم لم يكونوا سابقا موقنين بذلك فلم يرج منهم لو ادعوا غير احداث الايمان ولم يكن ايضا صادرا عن اريحية كما يرى من تكلم بكلام متكلف **إنما نحن مستهزئون** تاكيد لانا معكم لان الاستهزاء بالاسلام مرفع له على ابلغ وجه ورفع نقيض الشيء تاكيد لثباته وازالة ما عسى يتوهم من تجوزه او قيل انا معكم قلوبا يلزمه ان قولنا امنا عند لقاء المؤمنين ليس على حقيقته فقولهم انما نحن مستهزؤون توكيد لذلك اللازم والاول اوجه لان التاكيد يكون للكلام لا للوازمه او بدل لانه اوفى بالمقصود وهو التصلب في الباطل او استيناف لظهور ورود السؤال كانه قيل كيف تكونون معنا مع قولكم للمؤمنين امنا والا الاستخفاف من الهزء وهو القتل سريعا **الله يستهزئ بهم** الاستهزاء من باب السخرية والعبث ولا يليق ذلك بالحكيم فالمراد منه انزال الهوان وتحقير شانهم لان ذلك غاية فعل المستهزئ وغرضه الذي يرمي به او لعلاقة التشبيه الصوري والعدول عن الحقيقة للاشارة الى ان مداهنتهم حقيق بان يسخر منها الساخرون وانما لم يعطف لان ما حكي عنهم من شناعة ما ارتكبوه مما يحرك كل سامع ان يقول من هذا شانه ما مصير امره وصدر باسم الله للدلالة على ان المؤمنين عنده بمكان وهو الذي يتولى مجازاة اعدائهم مع الاشارة الى ان استهزاء المنافقين مضمحل في جنب استهزائه لصدوره عمن يضمحل كل شيء تحت قدرته ومن قال سمي جزاء الاستهزاء استهزاء لكونه ماثلا له في القدر ثم قال لا نوه باستهزائهم في مقابلة ما يفعل الله بهم فقد نسى فصل كلامه واثار المضارع للدلالة على تجدد الفعل واستمراره وكذا كانت نكايات الله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم **ويمدهم في طغيانهم يعمهون** مد الجيش وامده اذا زاده وليس من المد في العمر لانه يعدى باللام والحذف والايصال خلاف الاصل وما روي عن ابن كثير يمدهم بضم الياء يدل عليه والطغيان مصدر طغى تجاوز عن الحد واضافته اليهم كاضافة الحسن الى زيد في قولك اعجبني حسن زيد فلا يدل على انه ليس بخلق الله وارادته وايثار طريق الابهام والتفسير للدلالة على اضافته كثرة الاسباب والعمه في البصيرة كالعمى في البصر **أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى** تعليل لاستحقاقهم الاستهزاء الابلغ والمد في الطغيان او اعتراض مقرر لما تقدم في الطغيان ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى استبدالها به على سبيل الاستعارة لان الاشتراء فيه اعطاء بدل واخذ اخر ومنه قوله كما اشترى المسلم اذ تنصرا والمراد بالهدى تمكنهم منه او ان التكليف وتيسير الاسباب والفطرة التي فطروا عليها لانها اساس الهدى والضلال الجور عن القصد استعير للذهاب عن الصواب في الدين **فما ربحت تجارتهم** اي خسروا في ذلك الاستبدال لان راس مالهم الذي هو الهدى استبدلوا به ما يضاده وهو الضلال والضال خاسر دامر ولو نال ما نال ولان من لم يسلم له راس ماله

او يوصف بالربح ولما استعار الاشتراء للاستبدال رشحه بذكر الربح ترشيحا للاستعارة لان مبناها على تناسي
التشبيه وذكر روادف المشبه به وتوابعه يشد من اعضادها كما في قوله ولما رايت النسر عز ابن داية
وعشش في وكريه جاش له صدري لما استعار لفظ النسر للشيب وابن داية للشباب كيف رشحه بذكر التعشيش
والوكر فان قلت نفي الربح عن التجارة حقيقة الا يرى انك لو قلت ما ربحت التجارة بل التاجر لم يكن هناك
مجاز وكذا قولك ما صام النهار ثم ما وجه قول من يقول ان الاسناد فيه مجاز قلت جعل عدم الربح كناية عن
الخسران وان كان اعم منه تصريحا بانتفاء مقصود التجارة وهو الربح مع حصول ضده بخلاف قوما الوكيل
خسرت تجارتهم وكذا كل فعل نفي عن غير فاعله كقولك ما صام النهار وما نام الليل ان لم يجري على ظاهره كان
حقيقة وان اول بفعل آخر ثابت للفاعل كما فطر وسهر كان مجازا **وما كانوا مهتدين** ليس المراد منه عدم الاهتداء
في الدين ليكون تكرارا بل تقرير للترشيح وتشييد لاركانه بان هولاء الذين خسروا في التجارة لم يكونوا
داخلين في زمرة البصراء بالامور ويجوز عطفه على اولئك الذين اشتروا والضلالة من تمام التعليل
مثلهم كمثل الذي استوقد نارا المثل في الاصل بمعنى النظير ثم نقل الى قول مثل مضربه بمورده ولا يضرب
مثلا الا ما فيه غرابة ثم استعير لكل شان فيه غرابة والامثال في كشف الحقايق واظهار الخفايا شان به
لاراءته المعقول في صورة المحسوس والمخيل محققا ولذلك كثر في كلام الله وكلام الحكماء والبلغاء والجملة
مقررة لقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة او لجملة قصة المنافقين والذي وضع موضع الذين لكثرة
وقوعه لكونه وصلة الى وصف كل معرفة واستطالته بالصلة ولان الذين ليس جمعا له حقيقة بل زيد
الياء والنون للدلالة على الزيادة الا يرى الى وجودهما في الرفع او قصد جنس المستوقد او بعد ذلك الفوج
ونحوه على ان التشبيه ليس للذوات حتى يشكل واشتقاق النار من نار ينور اذا تحرك واضطرب وهو هذا الجسم
اللطيف المعروف والنور ضوءها **فلما اضاءت ما حوله** عطف على استوقد والاضاءة فرط الانارة متعد وما
الموصولة مفعوله او لازم مسند الى ما والتانيث لان ما حوله اماكن او مسند الى ضمير النار وما مزيدة
وحوله ظرف لغو او موصولة مع صلتها مفعول فيه والاول اوجه لان الثاني يقتضي ذكر في لان حذفه
لفظ مكان لكثرته ولا كثرة في الموصول فان قلت اذا كان الفعل لازما مسندا الى ضمير النار يلزم وجود
النار حول المستوقد حتى يتصور اضاءتها فيها قلت النار وان لم توجد فقد وجد ضوءها فالاسناد الى النار
اسناد الى السبب كما في بنى الامير المدينة وتانيث الحول للدوران والاضافة ومنه الحول للعام وحال الشيء
واستحال وحال الانسان لعوارضه **ذهب الله بنورهم** جواب لما جمع الضمير مع توحيده في استوقد وحوله
بالنظر الى اللفظ والمعنى والغرض تصوير حال المنافق فلا وجه لما يقال ان المستوقد لم يفعل ما يستحق به اذهاب
نوره وقيل مستانف لجيب به اعتراض سائل يقول ما بالهم اشبهت حالهم حال المستوقد والجواب محذوف او خمدت
نارهم او طفئت حذفت ايجازا ومبالغة في سوء حال المستوقد بالابهام ولكونه مستنبطا الا بصلته لو ذكر
الجواب والضمير للمنافقين في هذا الوجه والاول اوجه لان ذهاب النور شديد الملائمة مع الاستيقاد ولان المبالغة
في المشبه به يستلزم المبالغة في المشبه ضمنا ولان كونه من تتمة التمثيل الاول يوجب مطابقته للتمثيل الثاني
لاشتماله على مبالغة مع ان الاستيناف لا وجه له لان سببيتها لمآلهم قد علم مما سبق وقيل بدل من جملة التمثيل
على وجه البيان وفيه فوات المبالغة وحذف الجواب لاستدعائه ان يكون او في من البدل منه وانما وصف النار

وصف النار بالاضاءة اولا لما تقرر ان الباطل له صولة ثم يضمحل كنار العرفج ويحتمل ان يراد النار المجازية
كالفتنة وعداوة الاسلام والوصف بالاضاءة ترشيح للمجاز وآثر الباء على الهمزة لدلالتها على
المصاحبة والالصوق وما يمسكه الله فلا مرسل له **وتركهم في ظلمات** ترك الشيء طرحه يتعدى الى مفعول
واحد وقد تضمن معنى التصيير فالى مفعولين كقول عنترة العبسي فتركته جزر السباع ينشنه ومنه ما في
الاية لان اصله هم في ظلمات والظلمة عدم النور وقيل عرض ينافيه واصل المنع من قولهم ما ظلمك
ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنع وهذا ما يعتقده الجمهور فلا يرد ان العدم لا يكون مانعا
وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيمة او ظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة
العقاب او ظلمة شديدة كانها ظلمات كما في الحديث الظلم ظلمات يوم القيمة وان عاد الضمير الى المستوقد
فالظلمات ظلمة الليل منضما الى ظلمة الغمام وتطبيقه **لا يبصرون** اي ليس لهم ابصار راسا فلا يقدر له
مفعول لفوات المبالغة واعلم ان الاية يجوز ان يكون تمثيلا وتشبيها مفرقا وذلك ان المستوقد سعى
في ايقاد النار وكدح في احيائها وحصل على طرف من الاضاءة المطلوبة ثم انطفأت وزالت بالكلية
سريعا فبقي حائرا في ظلمات كالاعمى وكذلك المنافق اظهر كلمة الايمان وحصل بها منافع الامن
والامان فقهره الله بالموت وصير في ظلمات متراكمة فان لوحظ في كل واحد من الجانبين هيأة
وحدانية ملتئمة من تلك المعاني تشارك الاخرى في هيأة منتزعة منهما كحصول تباشير المقصود
وقوة الرجاء والوقوع في حيرة الحرمان والخيبة كان تمثيلا وان قصد تشبيه كل واحد من
تلك المعاني بما يناظره كان تشبيها مفرقا والاول اوجه لما في تشبيه الهيآت من جزالة
المعنى والخلو عن التكلف في تطلب وجه الشبه في كل متناظرين لا سيما اذا كان ذكر المشبه
مطويا ولان لفظ المثل ينادي بمنعه القصة العجيبة كالمثل السائر وهي الهيآت المركبة
دون كل واحد **صم بكم عمي** ترقي في بيان حال المنافق من التمثيل المذكور الى ما لا ابهام فيه
في الحرمي اعطاء للمقام حقه وسواء جعل ذهب الله بنورهم جواب لما اولا فالمبتدا المقدر
ضمير المنافقين كانت حواسهم سليمة ولكن حيث لم يصغوا الى الحق ولم ينطقوا به ولم ينظروا
في الافاق والانفس وتقديم الصم على البكم بين لان تلقي الايات من الشارع مقدم على ذكرها
والنطق بها واما تاخير العمى فلانه شامل لعمى القلب وهو معقول صرف فاستحق التاخر الا
يرى الى قوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما لما اريد به رؤية البصر كيف
قدم دلالة على ان المحشور اشد ما عليه فقد البصر ثم البكم لئلا يستجير بمغيث وهو من التشبيه
البليغ الذي حمل فيه المشبه به على المشبه مع حذف الاداة ووجه الشبه وليس من الاستعارة
في شيء لان شرطها كون الكلام خاليا عن ذكر المستعار له لفظا وتقديرا ونية بحيث يجوز ان
يراد بالمشبه به معناه الحقيقي لولا القرينة وذلك لان مبنى الاستعارة على تناسي التشبيه و
لاجل ذلك كانت المرشحة اقوى اقسام الاستعارة فان قلت قد ذكروا ان قول الشاعر قد زر ازراره
على القمر من الاستعارة مع ان الضمير المجرور عائد الى المشبه قلت المراد من طي المشبه ان لا يذكر
على وجه الحمل فلا ينافي ذكره على وجه آخر ولانه لا يقدح في التناسي المطلوب **فهم لا يرجعون** نتيجة قوله

منه بكم عمي وذلك لان فاقد الحواس لا يبصر ومنه رجوع **او كصيب من السماء** او في الاصل للتساوي في الشك
ثم اتسع فيه فاطلق للتساوي من غير شك نحو جالس الحسن او ابن سيرين وهو عطف على كمثل الذي
استوقد نارا اي كمثل ذوي صيب لقوله يجعلون اصابعهم في اذانهم والمعنى ان قصة المنافقين
شبيهة بهاتين القصتين بايتهما شبهت فقد اصبت وكذا ان جمعت والصيب فيعل من صاب يصوب اذا
نزل وقيل هو السحاب قال الشماخ واسحم وان صادق الوعد صيب ولما بالغ فيه مادة وبناء
وتنكيرا والاعلى التهويل كتنكير النار في التمثيل الاول اتى بتعريف السماء الدال على العموم ويؤيد
الافاق لان كل افق يسمى سماء قال ومن بعد ارض بيننا وسماء اي قطعة ارض وقطعة سماء اذ
لا يتصور ان يكون بينه وبين الحبيبة بعد جميع الارض والسماء وان اريد به السحاب فالمراد
انه مطبق اخذ بآفاق السماء **فيه ظلمات** اي في الصيب فان اريد به المطر فالظلمات ظلمة تكاثفه
وتتابع قطره واظلاله غمامه وظلمة الليل او السحاب فظلمة سحمته وتطبيقه وظلمة الليل وارتفاعها
بالظرف لاعتماده على الموصوف **ورعد وبرق** الرعد صوت شديد يحصل من اصطكاك اجرام السحاب
يتولد منها باذن الله نار لامعة هي البرق لبريقه ووقوع المطر فالمهما لوجود الملابسة
لكونهما في اعلاه ومصبه كقولك زيد في البلد وان كان في طرف ويصح منه لان الظرفية الحقيقية
وهي كون الشيء مكانا لآخر غير مراد وان كان الظرف سحابا لانهما عرضان والتمكن من خواص الاجرام
وانما لم يجمعا لانهما مصدران في الاصل وجات منكرات على قياس تنكير النار والصيب اي ظلمات وجيه
ورعد قاصف وبرق خاطف **يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق** كلام مستأنف كانه قيل
كيف حالهم مع ذلك الرعد والبرق فقال يجعلون اصابعهم في اذانهم والمجعول في الاذان وان كان
رؤس الاصابع الثاني في اطلاق الكل وارادة الجزء من المبالغة الدالة على انهم لو قدروا على ادخالها
بكمالها لفعلوا والصاعقة قطعة نار في غاية الحدة تنفصل من السحاب اذا اصطكت اجرامه لا تمر بشيء
الا احرقته وكذلك اشتق لها هذا الاسم من الصعق وهو الهلاك كقوله وخر موسى صعقا ومن فيه
ابتدائية فيها معنى العلية **حذر الموت** علة للجعل المعلل وكلاهما نافع غير عرض والموت عرض يضاد
الحيوة لقوله خلق الموت والحيوة وقيل عدم الموت والخلق بمعنى التقدير على ان عدام الملكات مجعولة عند
المحققين **والله محيط بالكافرين** اعتراض دال على ان الحذر غير نافع وضع الكافرين موضع الضمير ليظهر
استحقاقهم شدة الامر على طريقة قوله اصابت حرث قوم ظلموا والمراد بالكافرين المنافقون وانما
وسط حالهم بين احوال المشبه به والقياس تقديمها او تأخيرها اشارة للابتداء الاتصال بين المشبه
والمشبه به ودلالة على فرط الاهتمام بشان المشبه والاحاطة مجاز عن شمول قدرته وعدم الفوت
على بعد الاستعارة التبعية او تشبه حالهم معه بحال المحيط على انها تمثيلية ولا يتصور اجتماعهما لتنافي
اللوازم لاستلزام التبعية البساطة والتمثيل التركيب **يكاد البرق يخطف ابصارهم** استئناف ثان
كانه قيل فما حالهم مع الرعد وصواعقه فما حالهم مع البرق والخطف الاخذ بالسرعة **كلما اضاء
لهم مشوا فيه** استئناف ثالث جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته وفيه بيان شدة
الحال على المنافقين وتناهي حيرتهم بطريق التشبيه فاذا خفق البرق مشوا خطوات يسيرة مع خوف خطف

سوء خطف الابصار **واذا اظلم عليهم قاموا** واذا خفي وفتر لمعانه وقفوا وانما قال كلما مع الاضاءة
واذا مع الاظلام لان الاضاءة مطلوب لهم وهممهم معقودة بها ولا كذلك الاظلام والمشي يقابله
الوقوف وانما قابله بالقيام للدلالة على انهم حاله فتور البرق قيام ينتظرون لخفوقه واظلم جاء
متعديا ولازما نقله الثلث واللزوم اكثر استعمالا **ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم**
عطف على مجموع الجمل الاستينافية لان المعنى لو شاء الله ان يذهب اسماعهم بقصيف الرعد وابصارهم
بومض البرق وكلمة لو لمجرد ربط الجزاء بالشرط من غير دلالة على انتفاء احدهما لانتفاء الاخر فهي بمنزلة
ان ويجوز ان يكون على اصلها دالة على ان الرعد والبرق بلغا مبلغا لم يحتاجا في ازالة الحواس
الا على مجرد تعلق المشية ومفعول المشية كثر حذفه لدلالة الجواب عليه الا اذا كان مستغربا غير
مالوف كقوله ولو شئت ان ابكي دما لبكيته فلم يكتف بالقرينة لاحتمال ضد المقصود واعلم ان هذا
التشبيه ابلغ من الاول لانه ادل على فرط الحيرة ونهاية شدة الامر ولذلك اخر تدرجا وهو
كالاول يحتمل التعريف بان يشبه دين الاسلام الذي به الحيوة الابدية بالصيب ولما كان على
وجه الخداع اوجب الهلاك كما اوجب الصيب وان كان رحمة هلاك هؤلاء المستحيين وشبه الكفار
بالظلمات لان الظلمة سبب حيرة ذوي الصيب كما ان شبه اهل النفاق سبب حيرتهم وزيادة ضلالهم
وكل واحد من الرعد والبرق شبه به وعد المومنين ووعيد المنافقين وما يصيب الكفار من الافزاع
والبلايا من جهة اهل الاسلام بالصواعق ونفاقهم حذرا من نكايات المومنين واطلاعهم عليهم
بجعل الاصابع في الاذان من الصواعق حذر الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله شيئا واما قوله
يكاد البرق يخطف ابصارهم وما بعده من متممات الرعد والبرق زيادة في تصويرهما واطنابا
في شرح الوعيد لان الكلام بالاصالة فيه هنا والقول الحق والمذهب الجزل كما اشير اليه سابقا
جعله من التشبيه المركب فانك اذا تصورت حال من اخذته السماء في ليلة تكاثف ظلمتها بتراكم
السحب وانتساج قطراتها وتواتر فيها الرعد والهائلة والبروق الخاطفة والصواعق المخيفة وهم
في ذلك يزاولون غمرات الموت حصل في نفسك حالة تعرف بها حال المنافقين على وجه يتقاصر عنه
تشبيه تلك المفردات بمقابلاتها بحيث لا يبقى للمجال الريب **ان الله على كل شيء قدير** دليل على
ان لو شاء لذهب بحواسهم لانه شيء من الاشياء داخل تحت هذا العموم والشيء ما يراد فيه اعم
وجودا من كل اعم كما ان لفظ الله اشد خصوصا من كل خاص والمعدوم ليس بشيء بمعنى انه لا تقرر
له ولا ثبوت بدون الوجود والمعتزلة قالوا به في المعدوم الممكن ولغة يطلق على كل ما امكن
ان يخبر عنه ويتصور حتى المحال وهذا هو سبب العام ويخرج عنه المحال بقرينة العقل كذا يخرج
الواجب عن قوله والله خالق كل شيء ولا حاجة الى ان يقال كل ما شاء الله فهو موجود في الجملة لانه
قبل تعلق القدرة والمشية وحين التعلق ليس بموجود ولا شيء بعده لا تعلق القدرة صفة
حقيقية يقتضي التمكن من الايجاد وليست نفس التمكن ولو نفي العجز عنه والقادر هو الذي ان شاء
فعل وان لم يشأ لم يفعل والقدير كامل القدرة البالغ نهاية القوة ولذلك لم يوصف به غير الله
يا ايها الناس اعبدوا ربكم لما ذكر الفرق وعقائدهم ونتائج اعمالهم ورغب ورهب ناداهم مزيدا عليهم

اقبل عليهم مخاطباً ليزيل مرارة التكليف بلذة الخطاب كما هو دأب المستبد الرؤوف ويا حرف ينادى
به البعيد ونداء الله به عباده وهو اقرب من حبل الوريد لاظهار الكبرياء وبعد مقام الربوبية
ونداء العبد به مولاه لاستقصار نفسه عن مقام القرب واى اسم مبهم جعل وصلة الى نداء ذى اللام
لعدم جواز اجتماع اداتى التعريف والتزم الهاء عوضاً عن المضاف اليه لكون اى لازم الاضافة نداء
الله رسله وسائر عباده بهذا لان اوامره ونواهيه امور عظام من حقها ان يقبل عليها المنادى
بشراشره والنداء على هذا الوجه مستقل باوجه من التاكيد تكرر الذكر والايضاح وبعد الابهام و
كون اللفظ موضوعاً للبعيد واقحام حرف التنبيه والناس اسم جمع للجموع واسماؤها الحادثة بعموم
حيث لا عهد علم ذلك من موارد الاستعمال فيعم الموجود وقت النزول بشرائط التكليف ومن سيوجد
بقاء شرعه الى اخر الدهر وعمومه مقتضى خطابه وما روى عن علقمة والحسن ان يا ايها الناس
مكى لم يصح نقله مع الاتفاق على ان السورة مدنية ولو صح لم يقدح فى عمومه والعبادة المامور
بها اعم من فعل القلب والجوارح فيتعين بحسب المخاطب كما تقول لجماعة احدهم لا يصلى والاخر يصوم
والثالث لا يحج اعبدوا الله وان خصت بفعل الجوارح فالمؤمن مامور بزيادتها والكافر بايقاع الشرط
اولاً ثم بالمشروط ثانياً لان الامر بالشئ امر بما لا يتم الا به كالمامور بالصلوة فانه مامور
بالوضوء واشار الرب بين اسماء الحسنى للدلالة على ان الامر بالعبادة تربية وايصال الى الكمال
وان كان شاقاً على النفس وقيل لان الموجب للعبادة هى التربية الذى خلقكم صفة مادحة لانه
الرب المتفق عليه او لوجهه بين الفريقين وكذا ان خص الخطاب بالمشركين لانهم رتبوا الارباب ويجوز
ان يكون مخصصة لاطلاقهم الرب على الهتهم والخلق هو الايجاد على تقدير واستواء يقال خلق النعل
اذا قدرها والذين من قبلكم من الامم فيه تغليب لانه موضوع لجمع الذكور العقلاء ولغير الاناث
فقبلاً عما يتقدمه بالذات او بالزمان ولو جعل شاملاً للاناث ولغير العقلاء ايضاً تغليباً فلا معنى للتقدم
ذاتاً وقرأ زيد بن على من قبلكم على ان من موصولة فيكون تاكيداً بالمرادف او موصوفة خبر المبتدأ
والجملة صلة الذين لعلكم تتقون موضوع لانشاء توقع مرغوب ويسمى ترجياً او مرهوب ويسمى
اشفاقاً وكل منهما اما راجع الى المتكلم وهو الاصل لان المعانى قائمة به او المخاطب لانه متلبس بالكلام
تلبساً تاماً وقد يرجع الى غيرهما فمن الاول لعل زيداً يكرمنى ومن الثانى فقولا له قولاً ليناً
لعله يتذكر او يخشى ومن الثالث قوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك اى بلغت من الحرص على ايمانهم
مبلغاً يرجون ان تترك بعض ما يوحى اليك وقد جاءت فى كلامه تعالى للاطماع على اسلوب الملوك فى
المواعيد المقطوع بانجازها من الاقتصار على لعل وعسى للدلالة على انه لا فرق بين الجزم وغيره
فى كلامهم مع الايماء الى انه لا ينبغى الاتكال بل على العباد الاجتهاد وما فى الاية ليست من ذلك الكلام
فى شئ لان الرجاء من علام الغيوب المطلع على عواقب الامور محال وكذا من المخاطبين لعدم خلقهم
لا شعور لهم بالتقوى ولا المحال الاشفاق وكذا الاطماع لان التقوى من افعالهم شاقة عليهم فهى مجاز
عن الطلب لانه لا يلزم حصول المطلوب او عن ترتب الغاية على ما هى ثمرة له لان تعليل افعاله بالحكم
والمصالح بمعنى انها نهاية كمالية اقتضى اليها فعل الحكيم تعالى هو الحق الذى لا مرية فيه وانما المنفى فعله

من فعله هو الغرض الباعث الذى لولاه لم يقدم على الفعل على ان طائفة من الاصحاب رضى الله تعالى
عنهم قد جوزت ذلك فان قلت هلا حمله على ترجى العباد متعلقاً باعبدوا اى اعبدوه راجين ومنكم
الى التقوى التى هى اعلى مراتب العبادة او بخلقكم على انه حال مقدرة اى خلقكم مقدراً رجاءكم للتقوى
كما فى قوله وبشرناه باسحق نبياً اى مقدراً نبوته قلت لان تعلقه باعبدوا يستلزم توسط الحال
من فاعله بين وصفى مفعوله فان الذى جعل لكم الارض فراشاً صفة لربكم معنى وان رفع او نصب
على المدح واما تقدير الرجاء حين الخلق فيفيد ان المقدر اذ ذاك هو التقوى لقوله وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون ولان كثيراً من الناس لا يخطرون التقوى بالبال فضلاً عن رجائها فكيف تقيد
الخلق بتقدير الرجاء والاية دلت على ان الطريق الى معرفته تعالى هو النظر فى الانفس والافاق
وان العبد وان بلغ نهاية الامر وهى التقوى لا يستحق اجراً على مولاه لان النعم السابقة تفوق عمله
فهو عاجز عن شكر بعضها بل التوفيق للشكر نعمة اخرى تقتضى شكراً آخر وهلم جرى اذ كان شكر نعم
الله نعمة مجددة فكيف السبيل الى الشكر الذى جعل لكم الارض فراشاً اشار الى بعض اصول النعم وقدم
الارض لان وجود المتمكن بدون المكان بديهى الاستحالة وجعل يكون بمعنى صار وبمعنى خلق نحو وجعل
الظلمات والنور وبمعنى صير كما فى الاية ومعنى الفراش كونها لينة مبسوطة تصلح للقعود والنوم عليها
وكونها ان تثبت لا ينافى الفراشية لانها لعظم جرمها الجوانب البارزة لا يخرجها عن الكروية والسماء بناء قبة
مضروبة عليكم اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد وقيل جمع سماء والبناء مصدر يسمى به المبنى فيه
او بيتاً او خباء ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا اعرسوا بنوا عليها قبة وانزل من السماء ماء
فاخرج به من الثمرات رزقاً لكم ايجاد الاشياء بقدرته تعالى لكن جرت عادته بربط بعض الاشياء
باسبابها ومن ذلك جعل الماء سبباً لما يخرج من الارض من الثمار والحبوب وسائر انواع النباتات كقوله
فاخرجنا به ازواجاً من نبات شتى بان اودع فى الماء قوة فاعلة وفى الارض قوة قابلة وله تعالى
فى ذلك الجعل ونقل الاشياء فى الاطوار مدرجاً لها من حال الى حال حكم وعبر للنظار بعين الاعتبار
والاستبصار ومن تبعيضية بشهادة النظائر فاخرجنا به من كل الثمرات فاخرجنا به ثمرات ولانه
المكتنفين به منكران وهما الماء والرزق ولان الواقع اذ لم يخرج بالماء المنزل كل الثمرات وكم من ثمرة
بعد فى حيز الامكان وكذا المنزل بعض الماء فالمعنى اخرج لكم شيئاً من الثمرات لاجل ان يرزقكم فرزقاً
مفعول له او مفعول مطلق لاخرج لانه بمعنى رزق ولكم ظرف لغو ويجوز ان يكون بمعنى المرزوق
نصباً على الحال وان يكون بياناً فرزقاً مفعول به لاخرج على ان المراد به العين ولكم ظرف مستقر
صفة ومن الثمرات بيان له مقدم فصار حالاً اى اخرج مرزوقاً لكم هو الثمرات ولا فرق بين جمع القلة
والكثرة اذا عرفا فى مقام الاستغراق على انهما يتعارضان كما فى كم تركوا من جنات وثلثة قروء لان
والثمرة اريد بها الكثرة لا الوحدة كقولك ادركت ثمرة بستان فلان فيكون ابلغ ولو اقل من المساواة
فلا تجعلوا لله انداداً متعلق باعبدوا لان العبادة شاملة للتوحيد كانه قال امركم بالعبادة فلا
تشركوا به شيئاً لان اصل العبادة واساسها هو التوحيد وقيل نهى معطوف على الامر عليه وفيه ان
الاولى الواو وبدل الفاء كقوله واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وقيل نصب بلعل انتصاب اطلع به فى

في قوله لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى وانما يصح باعتبار صورة لعل لانه مجاز
عن الطلب كما مع نظيره في ليت بدون التمني كقولك لمن همك همه ليتك تحدثني فتفرج همي وهذا معنى حسن
لاشتماله على التنبيه على تقصيرهم وان المطلوب منهم في صورة المرجو او بالذي جعل اذا رفعته خبر
مبتدأ كانه قيل هو الذي جعلكم بدلائل التوحيد فلا تشركوا به واما اذا نصبته على الاختصاص فلا
معنى لقولك اعني الذي جعل كذا وكذا فلا تشركوا به وكذا ان تجعل وصفا والند هو المثل المخالف المناوئ
من ند البعير اذا شرد فهو كالضد لفظا ومعنى والمشركون لم يدعوا في الاوثان الاستقلال بالالوهية
بل كان زعمهم انها شفعاؤهم عند الله ولكن لما سموها آلهة وعظموها بالتقرب اليها وتعفير الجباه لها و
ابتغوا الها الضر النفع اشبهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات لها خواص الالوهية
فتهكم بهم وشنع عليهم بانهم ابتغوا الند لمن لا ند له اندادا وفي ذلك قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن
نفيل اربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل
البصير **وانتم تعلمون** حال من فاعل فلا تجعلوا والمفعول متروك اي والحال انكم من اهل العلم والمعرفة
لا يبتغ غباركم او محذوف اي وانتم تعلمون ان هذه الجمادات لا تماثله ولا تصلح للالوهية والاول ابلغ ذما
وعلى الوجهين الغرض منه التوبيخ لا تقييد الحكم فان العالم والجاهل سواء في توجيه التكليف هذا وفي تفصيل
آيات الآفاق اشارة الى تفصيل ما اجمل من خلق الانسان في خلقكم فان الاصل بمثابة البدن والسماء للنفس و
الماء للعقل والثمرات للفضائل النظرية والعملية الحاصلة من استعمال العقل للحواس وازدواج القوى
النفسانية والبدنية ولما قرر دلائل الصانع والتوحيد بآيات الآفاق والانفس على وجه دلت على ثبوت
صفات الكمال ونعوت الجلال افاض الى تقرير اثبات نبوة رسوله ومبلغ احكامه الداعي الى توحيده بقوله
وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة معجزاته وان فاتها الاحصاء كثرة الا ان
القرآن اعظم معجزاته لكونه باقيا على وجه الدهر الى آخر الزمان مع ابانته عما كان وما يكون وهو ادفع
للريب واوضح للشبهة لانه لسان من تحدى به فارشدهم الى كيفية تعرفهم حاله هو من عند الله كما ادعى
ام من عند نفسه كما زعموه بان يجربوا قواهم في الاتيان بمقدار اقصر سورة منه لانهم اهل جلادته
المتكلمون بلغته فاذا عجزوا عن آخرهم ظهر انهم كابروا وخالفوا مقتضى العقل كما جحدوا التوحيد
هوى وعنادا وانما اثر التنزيل على الانزال لانه نزل منجما فدحهم وحمل ارتيابهم حين جاء على نمط
خطبهم ورسائلهم واشعارهم وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فقيل لهم ان ارتبتم فاتوا
باقل نجم منه فانه ايسر عليكم فالذي اتخذوه ريبة قادحة جعل ذريعة الى كونه حقا لا يحوم حوله حما
شك وفيه غاية الالزام والتبكيت والسورة طائفة من القرآن ملقبة باسم خاص هو علم لها كسورة
الفاتحة والاخلاص ولا يراد آية الكرسي والمداينة لانه بمجرد اضافة ولم يبلغ حد العلمية مأخوذ
من سور البلد لانها طائفة محوزة على حيالها كالبلد المسور او من السورة بمعنى الرتبة كما في قول
النابغة ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار فانها منازل ومراتب للقارئ او لانها
في نفسها منازل ومراتب في الطول والقصر والاحكام بعضها فوق بعض اي رتبة قل هو الله من ثبت
ونظيرها وقيل من السور مهموزا وهو بقية الشيء وليس بقوي لفظا اذ لم يقرأ به ولا في نفسه الشيء

الشيء وبقيته سنبذ عن القلة والحقارة وذهاب الاكثر ولا ذهاب هنا لشيء ما والحكمة في تفصيل القرآن
سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال وتنشيط القارئ والترغيب فيه وتسهيل الحفظ فانه اذا
ختم سورة تنفس لذلك كالمسافر اذا قطع مرحلة او ميلا وفرسخا الى غير ذلك من الفوائد
من مثله صفة سورة والضمير لما نزلنا ومن بيانية لان السورة المفروضة التي بها تعلق الامر
التعجيزي مثل المنزل في حسن النظم وغرابة البيان وقيل تبعيضية وفيها ايهام ان للمنزل مثله
عجزوا عن الاتيان ببعضه او لعبدنا ومن ابتدائية لان السورة المفروضة مبتدأة ناشئة من مثل
العبد وعلى هذا يجوز ان يكون الجار متعلقا بفأتوا لا لان العبد مثله في البشرية والعربية والامية
فيجوز قصد التعجيز باعتبار المأتي به وهي السورة من مثله الموجود واما اذا عاد الضمير الى
المنزل تبادر منه ان له مثلا محققا والعجز انما هو عن الاتيان بشيء منه هذا والاوجه
رد الضمير الى المنزل لموافقة النظائر فأتوا بسورة مثله فأتوا بعشر سور مثله ولانه سيق له
الكلام واقتضاء المقام لغرض الارتياب فيه وذكر العبد رافع بالغرض ولو رد عود الضمير
الى العبد ترك التصريح بان السورة المأتي بها يجب ان يكون مماثلة للمنزل نظما واسلوبا ولانه
الجم الغفير اذا خوطبوا بالاتيان بمقدار اقصر سورة كان ابلغ في التحدي من ان يقال ليأت واحد
منكم بنحو ما اوتي به هذا الواحد وهو الذي يلائم قوله **وادعوا شهداءكم من دون الله** دون ظرف
مكان مثل عند وفيه معنى القرب والدنو لتوافقهما في الحروف الاصول فمعنى دون زيد ادنى
مكان منه فاستعير للتفاوت في الرتب ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد والجار متعلق بادعوا
او بشهداءكم فان تعلق بالثاني فالمراد بالشهداء الاصنام اي ادعوا الاصنام التي اتخذتموها
آلهة تشهد لكم يوم القيامة او ادعوا التي تشهد لكم يوم القيامة بين يدي الله بانكم على الحق كقول
الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه وندائي فدامها من في الاول ابتدائية فان الاتخاذ ابتداء
من التجاوز والمجرور في محل النصب على الحال وفي الثاني تبعيضية لان الفعل واقع في بعض جهة العدم
كقولك جئت من خلفك والظرف لغو وعلى الوجهين تهكم بهم حيث امروا بان يستظهروا في معارضة
القرآن الذي اخرس كل منطيق بالجماد وشهداءكم من دون الله من دون اولياء الله المؤمنين وهم رؤساؤكم
ووجوه المشاهد وفرسان البلاغة يريد ان امر الاعجاز في الظهور بلغ مبلغا لا يرضى هؤلاء
المعروفون بالمجادلات والذب عنكم في المهمات لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد واستقامة
المحال الجلي احالته فالجار والمجرور في محل الحال ومن ابتدائية ايضا وان تعلق بالدعاء فالمعنى
ادعوا اولياءكم وهم زعماء القوم متجاوزين اولياء الله فانهم يشهدون عليكم لا لكم ومن
للابتداء والظرف مستقر وادعوا شهداءكم من الناس في تصحيح دعواكم كما هو المتعارف في اثبات
الحقوق عند الحكام ولا تقتصروا على قولكم الله يعلم الله يشهد انا لصادقون كما هو ديدن المبطل في
الدعاوى وقيل لرجل من العرب كيف نسبك قال علوي الحمد لله فقيل له قولك الحمد لله ريبة في نسبك
او ادعوا من حضركم من الانس والجن ليأتوا بمثله متجاوزين الله فانه ممن حضركم او تستعينوا به
فانه المتفرد بالقدرة على الاتيان بمثله وهذا ارجح الوجوه الذي يشهد له قوله قل لئن اجتمعت الانس

والجن على ان يأتوا بمثل القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ومن في هذين الوجهين
ايضا ابتدائية والظرف مستقر وقد يقال من في الوجوه كلها بمعنى في كما في سائر الظروف اللازمة التي تكون
منصوبة على الظرفية ابدا ولا يجر الا بمن **ان كنتم صادقين** في انه كلام البشر وجوابه محذوف دل عليه
ما قبله والصدق الاخبار عن الشيء على ما هو عليه **فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار**
التي وقودها الناس والحجارة اي ان جربتم قواكم واستبان لكم فاتركوا العناد فعبر عن الاتيان
بالفعل تعبيرا عن الملزوم باللازم على طريقة الكناية ايثارا للايجاز الذي هو حلية القرآن كما اذا
عدد عليك صاحبك جملة من افعال مستنكرة تقول في جوابه نعم ما فعلت وكذا عن ترك العناد باتقاء
النار لان نفي اتقاء النار ترك العناد فهو من لوازمه وروادفه وكان الظاهر اذا الآية كلام الله
ابتداء وعدم الاتيان مقطوع به وانما آثر ان اما سوقا للكلام على حسب حسبانهم قبل التأمل لاغترارهم
بما كانوا فيه من الفصاحة والبلاغة او على طريقة التهكم كما يقول المدل بقوته لمن يريد ان يغلبه
فاذا تقول ولن كلمة مقتضية لنفي المستقبل مع التأكيد وعن الخليل ان اصلها لا ان وعن الفراء لا ابدلت
الالف نونا والواو اعتراضية والجملة الاعتراضية لا محل لها من الاعراب لعدم وقوعها موقعا
يستحق الاعراب وهو موقع المفرد وفي الآية دليلان لاثبات النبوة ظهور كون المتحدى به معجزا
والاخبار بالغيب ولو عارضوا النقل لتوفر الدواعي واذا عجز الذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا
فمن بعدهم اعجز والمخاطب شرط ان يكون عالما بمضمون الصلة والصفة ولذلك اشتهر ان الصفات
قبل العلم بها اخبار كما ان الاخبار بعد العلم بها اوصاف فالمخاطب بهذه النار المشركون وقد سمعوا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم واهل الكتاب نارا موصوفة او من آية التحريم ان تقدم نزولها و
المخاطب بآية التحريم المؤمنون وقد علموا الوصف باستماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم
والتنكير تارة والتعريف اخرى فتنن فلا وجه للقول بان آية التحريم مكية لاتفاق الثقات على
انها مدنية من غير استثناء شيء منها والوقود ما يوقد به وانما قرن بين الناس والحجارة جمعا
بين العابد والمعبود لقوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم زيادة في تحريمهم لانهم كانوا
تعبدونها لدفع العذاب **اعدت للكافرين** هيئت وجعلت لهم عدة صلة بعد صلة بلا عاطف
على قياس الاخبار والصفات وحال من النار بتقدير قد او استئناف وفيه دلالة على ان النار مخلوقة
وانها بالاصالة للكفار **وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها**
الانهار عقب ذكر الاشقياء وما اعد لهم بذكر السعداء وما لهم من النعم والآلاء كما اشير اليه سابقا
من جريان سنة الله تعالى المقارنة بين الاضداد والمقابلات تنشيطا لاكتساب ما يزلف وتثبيطا
عن اقتراف ما يتلف وهو من عطف القصة على القصة فالتناسب في الغرضين بالضدية وما
عقاب الكفار وثواب المؤمنين كاف في حسنه وقيل عطف على فاتقوا النار وفيه ان التقدير اذا فان
لم تفعلوا انتم ايها الكفار فبشرانت بالاولين ولا ارتباط بينهما ولان عطف الامر بمخاطب على الامر
لمخاطب آخر انما يحسن اذا صرح فيه بالنداء وقيل عطف على قل مقدرا قبل يا ايها الناس اي قل كذا
وكذا وبشر وفيه ان قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا لا يصلح ان يكون مقولا له لعبد الا

للعبد الا باجرائه على طريقة كلام الغير وفيه تكلف وقيل عطف على مقدر بعد اعدت اي فانذر الذين
كفروا ابتلاء النار وبشر الذين آمنوا والاول هو الوجه والبشارة هو الخبر السار لانه يظهر به
السرور على البشرة ولذلك لو قال من بشرني من عبيدي بقدوم زيد فهو حر فبشروه مرتبا لم يعتق الا
الاول بخلاف ما اذا قال من اخبرني فانهم يعتقون والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او العالم
كل عصر او لكل من يتأتى منه البشارة وهذا ابلغ وعطف الصالحات على الايمان دل على عدم دخولها
فيه واما ترتيب الثواب عليهما فللترغيب في الاعمال الصالحة الا ترى كيف رتب على مجرد الايمان
في قوله وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق وقوله وبشر المؤمنين واستغراق الجمع كالمفرد
فيفيد ان كل فرد فرد ولا يلزم منه ان يأتي كل احد بكل العبادات بل يختلف باختلاف احوال
المكلفين من الغنا والفقر والاقامة والسفر وفيه شائبة توزيع والعمل الصالح ما ورد الثناء
عليه من الشارع فخرج المباح وان كان حسنا شرعا والجنة اسم لدار الثواب سميت بذلك لاستتار
ارضها بالاشجار او لاستتار ما فيها من النعيم وهي اسم للقدر المشترك لها مراتب متفاوتة بقدر
الاستحقاق فلكل طبقة من العاملين جنات واقعة في مرتبة واحدة فالتنكير للتنويع واعلى المراتب
الفردوس وفي الحديث اذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فانه اوسط الجنة نسأل الله ان يجعله
من سكانه بفضله واحسانه ومعنى جري الانهار تحتها اشجارها النابتة على شواطئها كما هو
المتعارف في بساتين الدنيا والنهر بسكون الهاء والفتح اكثر المجرى الواسع فوق الجدول ودون
البحر واسناد الجري الذي هو للماء اليها مجاز واللام فيه للجنس من غير نظر الى عموم او خصوص كما
في اهلك الناس الدينار والدرهم او بدل الاضافة او للعهد تقديرا او تحقيقا ان سبق نزول
قوله وانهار من ماء غير آسن وهذا الحسن لو قيل اذ لم يكن قصد الاستغراق
كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا صفة ثانية لجنات بدون العاطف واستئناف لانه لما ذكر
ان لهم جنات لم يخل خلد السامع من ان يقع فيه التردد في حال تلك الثمار وهل تشبه ثمار
الدنيا ام لا وهذا هو الوجه لما علم من فوائد الاستئناف والاستغناء به عن العطف ولان الاعتراض
في قوله واتوا به متشابها على هذا اوقع لانه يؤكد ما سبق له الكلام بخلاف ما اذا كان وصفا
تابعا ومن في الموضعين للابتداء والمعنى ان الفعل المطلق وهو الرزق جعل مبتدأ من الجنات
وبعد تقييده بالابتداء منها جعل ابتداء من الثمرة والمراد بها النوع لا الفرد اذ لا معنى لابتداء
الرزق من البستان من تفاحة واحدة لانه لو حيوانا يكون المرزوق قطعة منها يكون من الابتداء
وكلا الظرفين لغو ويجوز ان يكون من ثمرة بيانا فالظرف الاول لغو والثاني مستقر وقع حالا
من رزقا فانه مفعول ثان لرزقوا في الوجهين وعلى هذا يجوز حمل الثمر على النوع او الفرد
لان كل فرد مرزوق **قالوا هذا الذي رزقنا من قبل** اي في الدنيا وحذف اداة التشبيه
لاستحكام التشبيه كقولك زيد اسد ويجوز ان يكون اشارة الى النوع دون الخاص كقولك مشيرا
الى الماء الجاري هذا الماء لا ينقطع **واتوا به متشابها** معترضة انجر اليه الاعراض في آخر الكلام
والاتي فتذييل والتشابه يقتضي التعدد فالضمير راجع الى جنس المرزوق الشامل للنوعين قيل

ثوابه متشابها نوعاه النوع الذي في الدنيا والنوع الذي في الآخرة ولا يلزم ان يكون الآكل
بهما في الآخرة بل الاتيان بالاخير كافٍ في ذلك نظرا الى تمام الاتيان به ويجوز ان يكون الضمير
للرزق والمعنى اتوا بمرزوق الجنة متشابه الافراد والاول هو الوجه الملائم لوجاز التنزيل
لاشتماله على بدايع نكت بقاء كلما على عمومه اذ في الوجه الثاني يختص بما عدا المرة الاولى
وبقاء قبل على اطلاقه ولان الابتهاج والاغتباط انما يحصل اذا كان التشابه بين ثمار الدنيا
وثمار الجنة ولان المتشابه في الحقائق مع اختلاف الصفات اتم في باب التشابه ولان عدم
الاستيناف متعين في الوجه الثاني فتفوت تلك الفوائد وهذه عدة فوائد يكفي كل واحد
عدة لاولوية الاولى **ولهم فيها ازواج مطهرة** الزوج قرين الشيء من جنسه ليشمل الذكر
والانثى والتطهير يشمل الانجاس والادناس الطبيعية بحسب العرف بل هو في تطهير الاخلاق
عن الرذائل اشهر وابثاره على الطاهرات للدلالة على ان مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله
ففيه من الفخامة ما ترى **وهم فيها خالدون** هذا رأس النعم ونهاية السعادة لا طيب للعيش
ما دامت منغصة لذاته باذكار الموت والهرم والخلد هو البقاء مع الدوام وما جعلنا لبشر
من قبلك الخلد وتقديم الظرف للاختصاص والتقييد بالابد في موافقة تأكيدا كما وكيد
واستبعاد بقاء البدن مؤيدا قصور والله على كل شيء قدير مع ان احوال تلك الدار غير قياسية
ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة لما ذكر الكتاب ومن انتفع به ومن لم ينتفع اردفه
باثبات وجود الصانع وحجية الكتاب ونبوة من انزل به لئلا تكون الكلام خطابيا ورتب عليه
وعيدا للمنكر ووعدا للمقر ازاح عن طريق المسترشد ما عسى ان يعتريه من شبه المنكرين وما فيه
مساق امر واضح البطلان عند كل ذي بصيرة في صورة من القصور ليكون منار الله ومقياسا
لساير الشبه وفيه تحقيق لما تقدم من انه هدى للمتقين دون غيرهم وانما قطع عما تقدم
لانه باب برأسه وكانت شبهة هؤلاء السفهاء انهم قالوا كيف يكون كلام الله وفيه ذكر
الذباب والعنكبوت اين مقام الربوبية عن حقارة هذه الاشياء وعميت بصيرتهم عن ان
التضارب للمثل غرضه الذي يرمي به ايضاح للقصة المشتبهة واراءة المعقول في صورة المحسوس
كشفا عن حقيقة الحال فهو ينسج على منوال ذلك الغرض ولا عليه من كون الممثل به جليلا او حقيرا
ولما كانت الجمادات التي يتخذونها اندادا من دون الله لا يتوهم منها اصابة نفع ولا دفع ضر
فلا يوجد في الاذهان بشيء يضرب المثل به في شأنها احرى واولى من بيت العنكبوت في
الوهن والضعف وعدم مقاومة الذباب والحياء امر وجداني غني عن التعريف من جنس
ساير الوجدانيات وقد نبه عليه بانه تغير وانكسار يعتري الانسان خوف الملام لئلا يلتبس
ببعض الوجدانيات فلا يرد انه قد يكون للاحتشام ممن يستحيي منه ولما كان محالا على الله اريد
لازمه وهو الترك اوجاء على طريقة التمثيل كما تقدم في الرحمة والغضب وما في الاثر من قبيل
لا تأخذه سنة ولا نوم ولم يلد ولم يولد فلا يحتاج الى تأويل وانما يحتاج اليه ما في الحديث
ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد اليه يديه ان يردهما صفرا او اذ يضرب بها محقرات

مجرور المحل باضمار من او منصوب بافضاء الفعل والضرب لغة هو الاعتماد المؤلم وضرب
المثل اعتماده من ضرب اللبن ومن الله تعالى صنعه وايجاده وابهامية تفيد توكيدها افاد
تنكيرما قبلها كانه قيل مثلا اي مثل كان في الحقارة او صلة للتاكيد نفسه لا للتنوع كما في
فبما نقضهم وفيما رحمة كانه قيل ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا البتة وانتصاب مثلا
وبعوضة على المفعولية لما في الضرب من معنى الجعل والتصيير وقدم الثاني على الاول اهتماما
واشتقاق البعوض من البعض وهو القطع كالبضع لانها تقطع الجلد **فما فوقها** اي فما فوقها في الخفة
والقلة وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم جناحها مثلا للدنيا او في العظم والجرم
كالذباب والعنكبوت لانهما سبب النزول والاول هو الوجه لان المعنى الذي سبق له الكلام
المفيد للمبالغة في الرد وفي احتمال المعنيين حديث عائشة الذي رواه مسلم ما من مسلم
يشاك شوكة فما فوقها الا كتب له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئته **فاما الذين آمنوا**
اما حرف وضع للتفصيل فقد يكون لمحل سابق كقولك جاء القوم اما العلماء فكذا واما الزهاد
فكذا وقد لا يذكر القسم ويكتفي بما يقوم مقامه اشارة الى ان ما دخلت عليه هو المقصود
الذي سبق له الكلام كقوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ مع قوله والراسخون لان
الغرض ذم الزائغين وقد يكون تفصيلا لما في الذهن مع سبق ما يدل عليه بوجه كما في
الاية فان قوله ان الله لا يستحيي دل على ان ثم من داخله شبهة او بدونه كما في صدر الكتب
والرسائل وفائدتها التوكيد لما في التفصيل بعد الاجمال من الدلالة على الاعتناء بشأن
المذكور بعدها ولما دلت على ان المذكور بعدها هو المختار والمقصود من بين الاشياء
لا محالة كيف كان ولم يكن للشرط معنى غير ربط امر بآخر قيل انه حرف فيه معنى الشرط و
لما لزمت طريقة واحدة التزم حذف الفعل كما التزم حذف متعلق الظرف في نحو زيد في
الدار وقدم جزء مما في حيزها تعويضا عن المحذوف وتنبيها على انه النوع المراد تفصيل
جنسه من مصدر او ظرف او ذات او غير ذلك وقول سيبويه اما زيد فمنطلق مهما يكن
من شيء ايضاح لمعنى التفصيل واشارة الى وجه كونها حرفا فيه معنى الشرط فلا يتوهم
منه كونها اسما عنده لا يحتاج الى تحاوت **فيعلمون انه الحق من ربهم** اي الثابت الذي لا
يجوز انكاره لما تقدم من فوائده والضمير للمثل او لان يضرب **واما الذين كفروا فيقولون
ماذا اراد الله بهذا مثلا** كان الظاهر فلا يعلمون ليطابق قرينه والعدول الى المنزل
ايثار للكناية لتكون برهانا على جهلهم وفي ماذا من التعجب وفي هذا من الاسترذال
كما في قول عائشة رضي الله عنها عجبا لابن عمرو هذا حين افتى بنقض الضفائر للنساء في
الغسل وفي ماذا وجهان ان يكون ما استفهامية وذا بمعنى الذي وما بعده صلة والمجموع
خبرها وان يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اي شيء منصوب المحل على المفعولية والاحسن
في الجواب على الاول الرفع وعلى الثاني النصب وجوز العكس اذا اتفق السائل والمجيب في الفعل
وكان السؤال في المتعلق في مثل قوله ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين متعين الرفع

وهذا يجب الأصل لو نافي الاوته ليس على معنى الاستفهام وارادة الله تعالى صفة حقيقية ترجح احد طرفي المقدور وتخصيصه بوجه وتفسيرها بالترجيح الشامل ثم الترجيح ان كان مع ميل الى التفصيل يسمى اختيارا ومثلا منصوب على التمييز او الحال كقوله ناقة الله لكم آية يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا استينافا وجار مجرى الاعتراض تتميما للبيان او عطف بيان يقرر ان كلا من الفريقين موصوف بالكثرة وان العلم بكونه هدى حقا كما ان الجهل يحسن موقعه وقيل جواب ماذا والعدول الى الفعل للدلالة على التجدد والحدوث وفيه ان الاستفهام ليس على اصله ليقتضي الجواب وكثرة المؤمنين بالذات وفي انفسهم وان قلوا في مقابلة الضالين فان كلا من القلة والكثرة تعتبر بالذات وبالاضافة او وان قلوا كما فهم كثيرون كيفا فلم ار امثال الرجال تفاوتت لدى المجد حتى عد الف بواحد والاستدلال على قلتهم بقوله وقليل من عبادي الشكور غير سديد لان المراد به البالغ في الشكر غايته وما في الاوية مجرد الايمان بما انزل لقوله فاما الذين امنوا وما يضل به الا الفاسقين الخارجين عن الايمان لانصراف المطلق الى الكامل بقرينة المقام والفسق لغة الخروج ومن ارتكب كبيرة مجمعا عليها فهو فاسق يقطع بدخوله الجنة لقوله يخرج من النار من كان في قلبه وزن ذرة من ايمان ومن قال مرتكب الكبيرة كافر وخارج من الايمان غير داخل في الكفر فقد ضل سواء السبيل بقدحه فيما تواتر عن خاتم الرسل وخرق اجماع خير القرون والله يقول الحق وهو يهدي السبيل الذين ينقضون عهد الله صفة الفاسقين والنقض فك التركيب وتحليل اجزائه واكثر ما يستعمل في طاقات الحبل واستعماله في العهد على طريقة الاستعارة بان شبه العهد الذي هو سبب الوصلة بين المتعاهدين بالحبل الذي هو سبب الوصلة بين الجسمين وادفع النقض الذي من رواد في الحبل عليه فالاستعارة في العهد مكنية وفي النقض تصريحية تحقيقية لانه شبه ابطال العهد بابطال تاليف الجسم واطلق اسم المشبه به على المشبه وهي قرينة استعارة الحبل للعهد وبه ظهر ان قرينة المكنية لا تلزم ان تكون تخييلية كما في اظفار المنية ويد الشمال ولله مع عباده ثلاثة عهود الاول عهد في عالم الذر على كافة الخلق حين اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى والثاني على الانبياء ان يبلغوا انباءه على عباده واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم والثالث على العلماء الذين هم ورثة الانبياء واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه الاية وقد يطلق على الامان واليمين والذمة والحفاظ وما في الاية هو الاول او الثالث والناقض احبار اهل الكتاب حيث كتموا نعته وحرفوا الكلم من بعد مواضعه و كذا من زاغ في اتباع المتشابه من غيرنا وقيل دون الثاني لان النقض من الانبياء محال من بعد ميثاقه مفعال بمعنى ما يوثق به من الوثاقة وهي الابرام والاحكام اما من الله بالايات والكتب ومنهم بالالتزام والقبول ويجوز ان يكون مصدرا والضمير على الوجهين للعهد ومن ابتدائية وقد يستعمل بمعنى العهد كقوله وينقضون الميثاق واذ

اخذ الله ميثاق النبيين ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يشمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى من قطع الارحام وموالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء والكتب دون الوصل في العقائد وهذا في الافعال والفروع والامر هو القول الجازم ويجمع على الاوامر وحقيقته من نحو افعل حقيقة في طلب الفعل استعلاء وقد يطلق على المامور تسمية للمفعول به باسم المصدر فانه مما يؤمر به وشانا لانه يسئل اي مقصود يفسدون في الارض بما امكنهم لاستيصالهم المسترشدين عن الايمان اولئك هم الخاسرون لاستبدالهم الضلال بالهدى والنقض بالوفا والفساد بالصلاح والعذاب بالمغفرة واتباعهم في ذلك ضعفاؤهم فاولئك الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة كيف تكفرون بالله كيف يطلق في السؤال عن الاحوال كلها ولما كان الاستفهام للانكار والتعجب والمقام مقام مبالغة افاد العموم كانه قال لا يجوز ان يكون تكفركم حال ما توجد فيه وانكار احوال الشيء كلها انكار له بطريق البرهان اذ لا يعقل وجوده الا على حال من الاحوال وكنتم امواتا ترابا ونطفا في اصلاب الاباء وعلقا ومضغا في ارحام الامهات والموت لا يقتضي سبق الحيوة بل عدم الحيوة مطلقا لقوله فسقناه الى بلد ميت او كنتم كالاموات في عدم الروح والاحساس فاحياكم عطفه بالفاء لعدم التراخي من الموت واعطاء الحيوة بخلاف الاماتة بعدها والاحياء تلك الاماتة ثم يميتكم ثم يحييكم في القبر او وقت النشور او اعم منهما فان الفعل لا يدل على العموم وضعا ولا على المرة والقبر اول منازل الاخرة فبين الاحياءين شدة ارتباط والرفع حالا ليس للحال على حدتها حتى يقال كيف صح وقوع الماضي حالا ولا القصة من حيث هي حتى يقال بعضها ماض وبعضها مستقبل بل العلم بمضمون القصة كانه قيل كيف يتصور منكم الكفر وانتم عالمون باول هذه القصة واخرها والاحياء ثانيا وان لم يقربه و بعضهم جعلوا عالمين به للدلائل القاطعة ثم اليه ترجعون للمجازاة وما عدد عليهم من الايات مع كونها دلائل وايات وجود الصانع من اوائل النعم واعظمها فهي صارف قوي عن الكفر من الوجهين والحيوة صفة يتبعها الحس والارادة ولا يشترط فيها وجود البنية وحيوة الله صفة حقيقية توجب صحة العلم والقدرة وتفسيرها بصحة الاتصاف تسامح وانما التفت الى الخطاب لانه ابلغ في التقريع وحمله على خطاب المؤمنين خاصة بعيد عن المقام وكيف يبالغ هذه المبالغة مع من مدح آنفا بقوله فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم بعد تصدير السورة باوصافهم الكاملة والحكم المترتب عليها وهو كونهم على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون وليس المساق للامتنان حتى يكون تعديد تلك الآلاء امتنانا هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا اي انواع ما يحتاجون اليه من اجزاء الارض من المعادن وما عليها من الموجودات قبل وجودكم وهي مع كونها نعما دنيوية يحصل من النظر فيها معرفة المبدء والمعاد وما فيها من الانس واللذة

يذكر بنعيم الاخرة وما فيها من الهموم والوحشة واسبابها كانها انموذج عذاب الاخرة ثم
استوى الى السماء الاستواء مشتق من السواء وهو وسط الشيء وخافه والمراد انه بعد تمام
خلق الارض وما فيها قصد ايجاد السموات من غير ان يحدث شيئا آخر يقال استوى اليه كالسهم
المرسل اذا قصده قصدا مستويا لا يلوي الى غيره وثم على اصلها من التراخي زمانا لقوله في سورة
السجدة خلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها
في اربعة ايام ثم استوى الى السماء فقضيهن سبع سموات في يومين ومن غفل عن هذا التفسير
جعل ثم للتراخي رتبة لقوله والارض بعد ذلك دحاها وقيل الارض متاخرة عن خلق السماء لا
عن التسوية وليس بسديد لان قوله بعد ذلك دحاها اشارة الى السابق وهو رفع السمك
للتسوية فان قلت فما وجه قوله والارض بعد ذلك دحيها قلت وجهه النصب بنحو تدبر او تذكر
واذكر الارض بعد ذلك ثم شرع في تفصيل احوالها مستانفا بقوله دحيها اخرج منها ماءها
ومرعيها والجبال ارسيها متاعا لكم ولانعامكم وفيه اشارة الى ان ايات الارض قاصرة عن عجائب
ملكوت السموات وما يروى من ايجاد الجوهرة النورية والنظر بعين الجلال المبطل وبال الرحمة
الجمال وذوبها وامتياز لطيفها عن كثيفها وصعود المادة الدخانية وبقاء الكثيف ان صح فكل
ذلك سابق على الايام الستة فسويهن سبع سموات خلقهن سويات لا عوج فيها ولا فطور و
الضمير للسماء لانه جنس وقيل جمع سماءة او مبهم وسبع سموات تفسيره وهذا الوجه لما فيه من
الابهام والتفسير كقولك ربه رجلا ونا لها فئة على الجمعية لم تثبت وفي عود ضمير الجمع المؤنث
الى الجنس تكلف وهو بكل شيء عليم اعتراض وتذييل لتقرير ما سبق اي لاجل كونه عالما بالاشياء
كلها دبر امر الكائنات من الارض والسموات على احسن نظام ومن كان علمه وقدرته بهذا الكمال استبعاد
الاعادة منه غاية الجهل ونهاية الضلال واسكن ابو عمرو وقالون والكسائي هاء هو وهي بعد
الواو والفاء واللام تنزيلا منزلة الجزء بواسطة الاتصال فصار المذكر كعضد والمؤنث ككتف
واذ قال ربك للملئكة اني جاعل في الارض خليفة ذكرهم بالجل ما انعم عليهم وهو تكريم آدم
باسجاده سكان ملكوته من الملاء الاعلى والكروبيين فان شرف الاباء سار في الذرية ولذا
لم يكن العلوي كفوا لغيرها واذ اسم بمعنى الوقت الماضي يضاف الى الجملة بعدها ولذا بني وانتصابه
باذكر كانه قال اشكر النعم السابقة واذكر وقت هذه التي لا نعمة فوقها لتعرف قدر ما انعم الله
عليك والغرض الحث على القيام بشكرها ومن جعله لازم الظرفية قدر الحادث كانه قيل اذكر الحادث
في ذلك الوقت ويجوز انتصابه بقالوا وتعين ان يكون عطفه قصة على قصة مبتداة من قوله
كيف تكفرون او من قوله ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا والملئكة جمع ملاك كالشمائل جمع
شمأل ولست بانسي ولكن بملاك تنزل من جو السماء يصوب وهو من الالوكة وهي الرسالة
لكونهم رسل الله الى البشر في تنفيذ اوامره وفي الفاء والعين قلب مكاني والميم زائدة على انه
موضع الرسالة او مصدر بمعنى المفعول وقيل لاك لغة اصلية فان ثبت فهو اولى لسلامته من
القلب وقيل من ملك والهمزة زائدة لدوران مادة ملك مع القوة والشدة كالملك والمالك وملك

والمالك وملك الطريق بالحركات الثلث معظمه وهذا المعنى ظاهر في الملئكة كلهم وكمال كونهم
يسبحون الليل والنهار لا يفترون وكونهم وسائط في عجائب ما يظهر في العالم السفلي والفاء
لتاكيد معنى الجمعية كالصياقلة وجاعل من جعل الذي يتعدى الى مفعولين وما في الارض خليفة
والخليفة من يخلف غيره والتاء للمبالغة والمراد ذرية آدم لقوله هو الذي جعلكم خلائف
الارض ولانه لو اريد هو لم يكن لقول الملئكة اتجعل فيها من يفسد فيها وجه وانما افرد
باعتبار لانه الاصل الجامع كما يستغنى بذكر ابي القبيلة كهاشم ومضر والمراد الخلافة
في الحكم والانبياء خلفاء الله على عباده يا داود انا جعلناك خليفة في الارض ومن
بسبب سيرهم في اممهم فهم خلفاء الرسل قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء
عرفوا ذلك من الطبيعة البشرية لانه اخبرهم مفصلا كيفية خلقه من تراب ثم من طين
مسنون ثم يصير كالفخار فيجتمع فيه العناصر الاربعة المتنافرة الطباع او من اللوح
او قاسوهم على من سكن قبلهم من الجن او من لفظ الخليفة ان اريد به الخليفة في الحكم
لاقتضاء تقدم الظلم والتعدي السفك والسفح اخوان وهو الصب بكثرة ونحن نسبح
بحمدك ونقدس لك الواو للحال والباء لاستدامة الصحبة والمعية والتسبيح تبعيد الله
على كل ما يليق بجلاله والجمع بينه وبين التقديس للمبالغة وقيل التسبيح في الاعمال والطاعات
والتقديس في المعارف والاعتقادات وقيل لوحظ في الاول حال العارف لان اصله من
سبح الفرس اذا ابعد في الجري وفي الثاني حال المعروف لان القدس هو الطهر ولاح منه
ان الثاني ابلغ لان منشأه الذات ولما قابلوا نهاية الافساد وهو السفك بنهاية الاصلاح
وهو التقديس نشأ منهم التعجب الذي بعثهم على السؤال عن الحكمة الخفية قال اني اعلم ما لا
تعلمون من المصلحة الراجحة وسيفصل بعضها وانما شاورهم ليكون المشاورة سنة
بين عباده ولكونها فعل علام الغيوب ولئلا يعتريهم الشبهة وليعلموا ان الحكمة تقتضي
اتخاذ ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير للشر القليل خارج عن الحكمة وقد استبان ان سؤالهم
كان سؤال استعلام لا غيبة وحسد واعجاب منهم لانهم معصومون عن الذنب راسا لا
يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وعلم آدم الاسماء كلها آدم كآزر ونظائره اسم
عجمية واشتقاقه من الادمة بمعنى اشتقاق العجمي من المصدر العربي غير سديد ودعوى
جريان الاشتقاق في سائر اللغات او توافق اللغتين بعيدة والتعليم كان بعد التسوية ونفخ الروح لقوله
فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وانما قدم لشدة ارتباط برد دعوى
الملئكة وعدم علمهم بما احاط به علما والمعنى علمه اسماء المسميات وحقائقها ومنافعها
وخواصها اذ لا فضل يعتد به في العلم بمجرد الالفاظ واللغات ولذلك قدر بعضهم حذف
المضاف اي علمه مسميات الالفاظ وفيه ان التعليم والانباء لا يتعلق الا بالاسماء و
يتوجه على الاول لان تلك الاحوال والخواص لها اسماء ثم عرضهم على الملئكة اي المسميات
غلب العقلاء فقال انبئوني باسماء هؤلاء امر تعجيز ان كنتم صادقين ان هذه الطائفة و

الحكمة في خلقهم غير جلي اي من كان يزعم ان القيام بمعرفة الله وطاعته على اكمل الاحوال من الجهات كلها من شاننا وبه غنية عن غيره ينبغي ان لا يخفى عليه مثل هذه الاشياء فحين خفي عليكم ذلك وعلمه آدم تبين لكم انه لم يكن مقصورا على الفساد وكما ظننتم بل كان مشرفا بشرف العلم محيطا باسماء الاشياء ومسمياتها وخواصها ومنافعها التي عليها مدار امر الخلافة واساس بناء العدل والحكم بين الناس فقد ظهرت الحكمة في استخلافه واستخلافهم وقيل ان كنتم صادقين في زعمكم انكم احقاء بالخلافة لعصمتكم وان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم ويرد عليه ان الملئكة لم تزعم ولم يعتقد ذلك وغاية الامر انهم استشكلوا القضية وارادوا الاطلاع على خصوص الحكمة وان علموا انه تعالى شانه لا يخلو فعله عن حكمة بل حكم وكيف يخفى مثله على الكروبيين بل على سيدهم وامام الملأ الاعلى جبرائيل عليه السلام وهو الذي علم سيد الانام فان قلت اذا كان السؤال عن الحكمة ولم يكن منهم زعم الافضلية فلم هذا التوبيخ والتعجيز وهلا اخبرهم بالحكمة اذا سألوا عنها قلت لم قال لهم اني جاعل في الارض خليفة كان نحال قربهم منه وعلمهم بغوامض دقائق حكمه يقتضي ان يقولوا لك الشان الاعلى وما تعلقت به ارادتك هو الصواب وعين الكمال ولما لم يسلكوا ذلك المسلك بل اجابوا بما انا والاستغراب والاستعجاب اجراهم مجرى الانام لبعد مقامهم عن مثل هذا الجواب الا يرى ان النبي لما ارى على قرية وهي خاوية على عروشها لما قال انى يحيي هذه الله بعد موتها مستعجبا كيف اماته الله مائة عام ثم بعثه لبعد حاله عن مقام التعجب ولولا ذلك التعجب لاراه الله احياء واحد من تلك الاموات كما اراه ابراهيم عليه السلام حين قال رب ارني كيف تحيي الموتى قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف بالعجز ودليل لما قلنا ان ذلك لم يكن اعتراضا بل استعلاما وصدروا الكلام بسبحان الذي هو من مفاتيح التوبة وطلائعها كقول موسى عليه السلام سبحانك تبت اليك وقول يونس عليه السلام سبحانك اني كنت من الظالمين دلالة على ما كان منهم من عدم التفويض ذنب يحتاج الى التوبة على ما هو طريق المقربين من عد خلاف الاولى جريمة وسبحان علم للتسبيح البليغ وقيل ذلك في حال الاضافة والحق انها لا تنافي العلمية كحاتم طي وعنترة عبس انك انت العليم كامل العلم شامله والتوكيد بان وانت دفع لما سبق منهم من مخايل الريب الحكيم المتقن في صنعه الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة وان خفيت على اللبيب الالمعي قال يا آدم انبئهم باسمائهم اي اعلمهم فلما انبأهم باسمائهم اعاد المظهر ليوقع عليه لفظ الانباء صريحا قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض ما خفي عليكم من امورها استحضار لقوله اعلم ما لا تعلمون الا انه ابسط واشرح وان يكاد ما لا تعلمون اشمل لشموله جميع معلوماته فليس الثاني دليلا على الاول واعلم ما تبدون ما ابديتم من قولكم اتجعل فيها من يفسد فيها وايثار المضارع لاستحضار صورة فعلهم حال المعاينة وما كنتم تكتمون قبل المشاورة ظانين ان الله لا يخلق افضل منكم خلقا وذلك لما راوا افساد سكان الارض قبل آدم على ما روي ابن عباس رضي الله عنه ان اول من سكن الارض الجن فافسدوا فيها وسفكوا الدماء

الدماء فارسل الله عليهم ابليس مع طائفة من الملائكة فقتلوا منهم وطردوا البقية الى الجزائر ورؤوس الجبال وقيل ما اظهروا وما ابطن ابليس من عدمها وقد تبين ان شرف الانسان انما هو بالعلم وحيث عنه الحق بالبهائم بل هو ادنى واضل وان سائر الكمالات والاعمال بدونه في حيز العدم الا يرى ان الهدهد مع اجرامه واستحقاقه العقوبة وهو طير ضعيف لا معوان له ولا ظهير كيف استظهر بمسئلة جزئية وقال احطت بما لم تحط به يخاطب به سليمان الذي علم منطق الطير واوتي العلم من كل شيء ودل ظاهر الآية على ما قاله الاشعري ان اللغات توقيفية وتاويل التعليم بالالهام والتمكين خلاف الظاهر وعلى ان علم الملئكة يقبل الزيادة وليس في الآية ما يدل على قصور الملئكة عن رتبة الخلافة وان التركيب يفيد ما لا يفيده الآحاد كما ان الاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات كيف ولم تعالى ان يوجد في الجزء الذي لا يتجزى الحيوة وما يتبعها من الكمالات على ان الملئكة اجسام نورانية لطيفة قابلة للتشكل باي شكل ارادت ومن سير جبرئيل عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في تعليم الحروب والارشاد وفي الجزئيات لا سيما تعليمه لنوح في اختراع السفينة لم يرتب في ذلك وما كان الله ليعجز من شيء وناهيك تعليمهم الاسماء من آدم لما انباهم فان قلت اذا كانت الملئكة بهذه المثابة فما وجه تفضيل آدم عليهم كما فصل في موضعه قلت وجه ذلك ان امالة القوى الشهوانية والغضبية التي هي حزب الشيطان وكبح عنان النفس عن اتباع الهوى الذي هو مقتضاها جبلة بتسخيرها وتهذيبها بحيث تصير مطاوعة لجند الرحمن وهي القوة العقلية من خواص الانسان فاذا انضم الى شرف العلم كان نورا على نور يهدي الله لنوره من يشاء واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم السجود لغة الخضوع والانحطاط قال ترى الاكم فيها سجدا للحوافر واسجدا وطاما قال وقلن له اسجد لليلى فاسجدا وهو المراد بها في الآية وتخصيصه بوضع الجبهة عرف حادث ويجوز ان يكون مرادا واختلاف الاحوال باختلاف الاوقات والشرائع في امثاله لا يلزم اتفاقها وعليه يحمل سجدة اخوة يوسف عليه السلام ان صح انه كان بوضع الجبهة والمسجود له حقيقة هو الله تعالى وآدم جعله قبلة كالبيت تشريفا له ولما كان حسن الاشياء شرعا فالاوجه كلها حسنة وقد سبق ان السجود كان سابقا على التعليم واللام فيه كاللام في اقم الصلوة لدلوك الشمس والقول بان الانسان نسخة لما في العالم الروحاني والجسماني يتوقف على وجود المجردات ولم يقل به اكثر اهل الحق فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر امتنع عن الطاعة وطلب العلو وتعدى عن قدره وقد صرح بالعلة في قوله انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والاستثناء متصل والمانع وهو عدم دخوله في الملئكة مرتفع بالتغليب ويدل عليه قوله ما منعك الا تسجد اذ امرتك ولو لم يكن مأمورا به لم يكن لذكر الاباء والاستكبار معنى وفيه دلالة على ان المامور به جميع الملئكة كما دل عليه تعريف الجمع ونص عليه كلهم اجمعون وكان من الكافرين في علم الله اشارة الى الوجوب اذ لا يمكن تغير معلومه ولا يستلزم تكليف المحال لوجود الاختيار

او صار من الكافرين لاستقباحه ما استحسنه الله تعالى لا من ترك المأمور به لا يوجب الكفر ثم ترتيب
قوله ففسق على قوله كان من الجن صريح في انه لم يكن ملكا وانما كان جنيا مغمورا بينهم وليس من
الملئكة وان اطلق عليهم لفظ الجن لاستتارهم قال تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا كيف و
الملئكة عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون لا يعصون الله ما امرهم فالقول
بان الجن ايضا كانوا مأمورين بالسجود وان من الملئكة من ليس بمعصوم ويجوز ان لا تخالف
الملئكة بالذات الشياطين وان خالفوهم بالعوارض والصفات مخالف للنصوص وما هو مركوز في
العقل السليم ونسبته الى ابن عباس رضي الله عنه اعظم واطم بل المروي عنه والله اعلم ان طائفة
من الملئكة يقال لهم الجن وابليس كان منهم رواه ابن جرير وفي الآية دليل على ان الامر للوجوب
والغورتية علت من فاء ففعواله وان السعيد من سعد في بطن امه والشقي من شقي في بطن امه
والايمان الموافات على ما نقل عن الاشعري تابع لسلال السعادة السابقة **وقلنا يا آدم اسكن
انت وزوجك الجنة** السكنى من السكون بمعنى اتخاذ المسكن لاستلزامه اللبث لا بمعنى ترك الحركة
ولذلك ذكر بدون في واكد المستكن بانت ليلا يلزم العطف على المستكن بدون فصل وانما استعمل
امر الغائب بصيغة افعل تغليبا وايثارا على اسكنا مع اختصاره اشعارا بالاصالة والتبعية و
الزوج قرين الشيء من جنسه يشمل الذكر والانثى وقد يلحق به التاء والجنة دار الثواب وقد
تواترت بذلك الاخبار وصرح موسى في مناظرته بذلك حيث قال اهبطت الناس من الجنة
بخطيئتك وفي حديث الشفاعة قال آدم كيف يرجون الشفاعة ممن كان سبب اخراجكم من الجنة و
في لفظة الهبوط ايضا دلالة صريحة والقول بانها كانت بستانا في ارض فلسطين او بين فارس
وكرمان من موضوعات القدرية النافين لخلق الجنة **وكلا منها رغدا** اكلا واسعا **حيث شئتما**
في اي مكان **ولا تقربا هذه الشجرة** هي الحنطة وقيل الكرمة وقيل التينة او شجرة غير معروفة
من اكل منها احدث والاول هو المشهور والتاء للوحدة نوعا او شخصا وهذا اوجب لغة في ازالة
العلة وعلى التقدير ان اللام للجنس لان الجاري على المبهم هو اسم الجنس المعرف بتعريفه البتة و
قد بالغ في النهي عن الاكل باقحام لفظ القرب لان من رعى حول الحمى يوشك ان يواقعه **فتكونا
من الظالمين** انفسكما بالاخراج من النعيم المقيم وتعريضهما للآفات عطف على النهي او نصب
على الجواب وعلى الوجهين الفاء للسببية **فازلهما الشيطان عنها** اصدر الشيطان زلتهما
عن الشجرة كقوله وما فعلته عن امري او صادرا عنه والحاصل حملهما على الزلة بسببها او عن الجنة
بمعنى اذهبهما او بعدهما عنها من زل رجله اذا زالت عن مكانها **فاخرجهما مما كانا فيه** من النعيم
لا من الجنة لان الازلال اخراج مع الاوبعاد فلو يعطف عليه مطلقة بالفاء وعلى الاول لجاز الوجهان
وقرء حمزة فازالهما من الازالة والاول ابلغ له لدلالته على المزاولة والاحتيال وعليه الرسم قيل
توسل الى اغوائهما بعد خروجه بان ناداهما من وراء الباب وقيل دخل في فم الحية فدخلت به
وقيل لم يكن ممنوعا من الدخول للوسوسة بل للكرامة قلت كل هذا رجم بالغيب ولا دليل عليه والآيات
دلت على انه كان قبل خروجه وهو قوله الا ابليس ابى فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا

لا يخرجنكما من الجنة فتشقى فوسوس اليه الشيطان فان الفاء الاولى دلت على عدم تراخي القول
عن الاباء والثانية على عدم تراخي الوسوسة عن القول وكذا لفظ هذا يدل على حضوره حين هذا
القول لهما وقوله انظرني الى يوم يبعثون اذ لو كان الامر بالخروج قبل الاغواء لم يكن لهذا القول
وجه لان نعيم الجنة لا صوت ولا بعث واظهر منه قوله لازينن لهم في الارض **وقلنا اهبطوا**
خطاب لآدم وحوا والجمع بادخال الذرية لانهما الاصل فكانهما الجنس كله والدليل عليه قوله
في سورة طه اهبطا منها جميعا **بعضكم لبعض عدو** لان القصة واحدة والتعادي بين الذرية
لا بينهما او بين ابليس وكذا قوله فمن تبع هداي الى آخره فانه بيان لجزاء الفريقين ولو ذكر
لابليس **ولكم في الارض مستقر** مكان استقرار او استقرار **ومتاع** منفعة وتمتع يقال متع
النهار اذا طال وقد اشتهر استعماله في نفع بشارف الزوال كمتاع المسافر ولذلك يستعمل
في معرض التحقير **الى حين** الى يوم القيمة والموت ابتداؤه من مات فقد قامت قيامته او لادخال
مقدمة الشيء فيه او لانتفاع بالقبر لانه مسكنه **فتلقى آدم من ربه كلمات** استقبلها
والتلقي التعرض للقاء اطلق على الاستقبال لدلالته على انه تلقاها بالاجلال والاكرام كما
يتلقى الوعد وقرء ابن كثير برفع كلمات اي وصلت اليه والاول هو الاوصل والاحسن والجار والمجرور
حال من كلمات في الوجهين والكلمات ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
الخاسرين وعن ابن مسعود رضي الله عنه احب الكلام الى الله تعالى ما قال ابونا آدم سبحانك
اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك **فتاب عليه** وروى ذكر حواء لانها تبع
كما بطوى ذكر النساء في اكثر الاحكام وقد روى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنه ان آدم لما اصاب
الخطيئة قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال وكتبت هذا علي قال بلى قال ان تبت هل
راجعي الى الجنة قال بلى وبالفاء دل على ان التلقي كان توبة من آدم والتوبة من العبد الرجوع
الى الطاعة بالاقلاع عن المعصية والعزم على ان لا يعود ويلزمه الندم على الماضي ومن الله
تعالى الرجوع اليه بالغفران ومحو الذنب عن ديوان الحفظة **انه هو التواب الرحيم** شديد القبول
بقبول توبة العبد لو استغرق في المعاصي دهرا ثم اقلع قبل ان يتغرغر ولو بلحظة كان كيوم و
لدته امه ولذا اكثر بوجوه **الرحيم** حيث لم يقتصر على التجاوز بل يتخذه حبيبا ويجعل مكان
سيئاته حسنات **قلنا اهبطوا منها جميعا** ليس فيه تكرار لان الاول لبيان حال آدم ولذا
فرع عليه حديث التلقي وقبول التوبة وذكر الذرية بالتبع وفي الثاني بالعكس ولذلك
اكد بقوله جميعا وفصل بعده حال الفريقين واستانف لذلك الكلام ولم يقله بالاول و
قيل كرر تاكيدا وقيل الاول من الجنة الى السماء والثاني منه الى الارض والوجه هو الاول
ونصبه جميعا على الحال ولا دلالة فيه على الاجتماع في زمان **فاما ياتينكم مني هدى فمن
تبع هداي** الشرط الثاني مع جوابه جواب الاول كقولك ان اكرمتني فان قدرت على المجازات
فعلت والثاني يجري في الكل وايتان الرسل كائن لا محالة لانه قدر ووعد ووعده لا يتخلف
للانذار بان الانزال والارسال يتفضل منه والتنبيه على ان آدم من الهدى وعلم الاسماء

للترتيب فان اتى بشيء آخر فذاك والا فقد كفى ذلك مع انه خبر ما فات بها ونون التاكيد واضافة الهدى
ثانيا للتشريف فهو عين الاول لانها نكرة اعيدت معرفة وقيل الثاني اعم فيشمل ما اقتضاه العقل
فان اريد به اقتضاء العقل استقلالا لمن دون ارسال وانزال فلم يقل به وان اريد ما يرجع اليه فلا عموم
اذ لا حكم قبل البعثة **فلا خوف عليهم** فضلا عن ان يحل بهم مكروها **ولا هم يحزنون** على فوات
محبوب **والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** عطف على من تبع
اي ومن لم يتبع والعدول الى المنزل للتنفير من الكفر والتكذيب والآيات الاحكام المنزلة ومفهوم
الآية ان من لم يكذب بآيات الله لا يخلد فان قلت ما وقع من آدم لم يكن الا نسيانا في الفروع
والنسيان مغتفر فكيف سمي عصيانا وغواية قلت عوتب على ترك التحفظ وفرط الاحتياط والاعتزاز
بقول العدو مع قرب العهد بالتحذير منه والتصريح بعداوته والانبياء والرسل يؤاخذون بالذرات
وآدم اول الناس وقدوتهم فشدد عليه ترهيبا للاولاد ولطفا بهم ولله مع عباده لا سيما مع رسله
شان ليس لغيره فلا يجترئ احد على ان يقول عصى آدم فتاب الله عليه او غوى او اذنب فانا اذنبت فلي فيه
اسوة فان هذه جرءة عظيمة **يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** خصهم من بين المخاطبين
لانهم اهل العلم واولى بان يكونوا اتباع رسول الله شكرا للنعمة اللاحقة السابقة على اسلافهم من
الانجاء واغراق العدو والعفو وقبول التوبة فان النعمة على الآباء واصلة بالابناء واسرائيل لقب
يعقوب معناه بالعبرية صفوة الله او عبد الله وفي كونه عبد الله تشريف له والذكر اعم من اللسان
لان المراد منه الشكر **واوفوا بعهدي اوف بعهدكم** العهد هو الذمة والحفاظ ولا يكون الا بين اثنين
فالمعنى اوفوا بما عاهدتموني عليه من الايمان والطاعة او اتباع محمد اوف بما عاهدتكم عليه من الثواب
ورفع الاصار والاغلال اشار الى الاول بقوله ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وعدد عليهم الايمان
والاعمال ثم قال لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات والى الثاني بقوله الذين يتبعون الرسول
النبي وعدد عليهم امورا ثم قال ويضع عنهم اصرهم والاغلال فالعهد مضاف الى المفعول في الاول
والثاني او لا معنى لقولك اوف بعهد غيرك ولما كان المعاهد عليه جملة فالقيام بكلها هو الوفاء
الامور بها في قوله واستقم كما امرت وادناها التصديق بالقلب والتصديق باللسان **واياي فارهبون**
هو اوكد من اياك نعبد في الاختصاص لان الاختصاص من نفي واثبات فاذا تكرر الاثبات تاكد الاختصاص
على ان الاثبات الاخير يمكن اعتباره على وجه الاختصاص لكونه مفسرا لما فيه الاختصاص سيما اذا
قدر الشرط العام اي مهما يكن من شيء فاياي فارهبوا فارهبون صار اوكد من وجه آخر والواو للعطف
والفاء الجزائية اخرت الى المفسر بعد حذف المفسر ولا يمنع عمل الفعل المشغول بالضمير فيما قبله كقوله
وربك فكبر وبل الله فاعبد **وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم** اذ لا وجه للكفرية والحال انه مصدق
لشرعكم والمراد بالتصديق كونه من عند الله فلا يقدح في ذلك نسخ بعض فروعه واليه يشير حديث
رواه مسلم الانبياء بنو العلات الاب واحد والامهات شتى **ولا تكونوا اول كافر به** اول افعل
تفضيل بدليل اولى واوائل واصله اوأل ابدلت الهمزة واوا ثم ادغمت فاذا اضيف الى نكرة يجب مطابقة
موصوفه لما اضيف اليه فالتقدير اول فوج او فريق او كل واحد والكلام تعريض باهل الكتاب بانهم

بانهم كانوا احقاء بان يكونوا اول مؤمن به لما عندهم من اسباب الاولية من كمال معرفتهم به يعرفونه كما
يعرفون ابناءهم وكانوا يستفتحون به على الذين كفروا فلا يرد ان المشركين اول كافر به ولا ان الكفر
مطلقا منهي كيف ما كان فما وجه التقييد بالاولية وقيل اريد الاولية مع العلم او اول كافر
من اهل الكتاب او مثل اول كافر او اول كافر بالتورية على ان الضمير في به لما معكم فان الكفر بالقرآن
كفر بها كالعكس ايضا لوجوب الايمان بكل الكتب وقد دل اعجازه على انه كلام الله وهم يعلمون
ولذلك وبخهم بقوله وانتم تعلمون فلا وجه لما يقال انما يلزم من الكفر بالقرآن الكفر بما معهم ان
لو كان كفرهم به انه كذب كله واما اذا كفروا بكونه كلام الله واعتقدوا ان فيه الصادق والكاذب
فلا **ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا** لا تستبدلوا بالايمان الرياسة والرشاء عبر عن المشترى بلفظ
الثمن الذي هو المشترى به تقريعا لهم وتجهيلا حيث جعلوا ما حقه ان يكون وسيلة مبذولة
في نيل المطالب مطلوبا حتى بذلوا فيه الاعز الاشرف **واياي فاتقون** بامتثال الاوامر واجتناب المناهي
فصل الاولى بالرهبة وهذه بالتقوى لان الاتقاء هو التحفظ وفرط الصيانة ولا ريب في كونه
مسبوقا بالرهبة ولذلك عقب الاول ذكر النعمة والوفاء والثاني الايمان بالمنزل لان التقوى
نتيجة وغاية وقيل لان الاولى تعم العالم والمقلد والثانية تخص اهل العلم فامروا بالتقوى
الذي هو منتهى السلوك وفيه ان المخاطب واحد في الاثنتين والانفكاك انظار **ولا
تلبسوا الحق بالباطل** اولا تخلطوه به بان يكتبوا في التورية ما ليس منه او لا تجعلوا الحق ملتبسا
على الناس بسبب الباطل فالباء على الاول صلة وعلى الثاني للاستعانة والاول اظهر لان الصلة
من تمام الفعل واكثر ولانما الثاني الى الاول لوجود الخلط لا محالة **وتكتموا الحق** جزم داخل
تحت حكم النهي ومعنى كتمان الحق محوه من التورية او تحريف الكلم عن مواضعها كما نعت في التورية
نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ربعة ابيض بدلوه بقصير اسمر او منصوب باضمار ان والواو
للجمع اي لا تجمعوا بين اللبس والكتمان لا على ان المذموم هو الجمع بل نعيا عليهم الجمع بين امرين كل منهما
مستقل بالقبح والشناعة ولذلك اعاد الحق **وانتم تعلمون** زيادة للتقبيح لان الجاهل ربما يعذر **واقيموا
الصلوة وآتوا الزكوة** صلوة المسلمين وزكوتهم لان ماعداها ... والجنس على ان ماعدا صلوة المسلمين
وزكوتهم ليس بصلوة وزكوة **واركعوا مع الراكعين** لان صلوة اليهود لا ركوع لها او صلوا مع المصلين
جماعة فانها تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة ولا دليل فيه على وجوبها لان النهي عنها كانوا
متعابدين به من الانفراد فيكون كونها سنة مؤكدة وفي الآية دليل على ان الكفار مخاطبون
بالفروع وقيل الركوع الانقياد والخضوع فيكون تعميما **أتأمرون الناس بالبر** الهمزة للتقرير مع
الانكار والتعجيب ومعنى التقرير الالجاء الى الاقرار لان الاربع في الاكتفاء مبلغا لا يعرف الخير
الكامل وقد يجتمع مع التحقيق كما في الآية ويوصف كل منها بما دون الاخر والبر الخير الواسع من البر
وهو الفضاء ومنه قول الحجيج صدقت وبررت اي ثبت بخير واسع فقصد قلا حنث دعوت
كل مانع في الفلاح **وتنسون انفسكم** تتركونها من البر كالمنسي وعن ابن عباس رضي الله عنه
كان احبار اليهود يأمرون من نصحوه باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كانوا يأمرون بالصدقة

ولا يصدقون وفي معناه قوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون روى البخاري ومسلم عن ابي وائل رضي الله
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بالرجل يوم القيمة فيلقى في النار فيدور فيها كما يدور الحمار
برحاه فيطيف به اهل النار فيقولون يا فلان الم تك تامرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر فيقول كنت
امركم ولا افعل وانهاكم وافعل ولقد احسن من قال ما اقبح التزهيد من عالم يزهد الناس ولا يزهد
لو كان في تزهيده صادقا اضحى وامسى بيته المسجد وانتم تتلون الكتاب تبكيت لهم افلا تعقلون
ما تتلونه فتعرفوا وخامة ما انتم فيه واستعينوا بالصبر والصلوة لما كلفوا بترك ما الفوه
من الرياسة ودين الآباء وكان يشق عليهم ارشدوا الى ما يسهل عليهم ذلك وهو الصبر على تكاليف
الصلوة والقيام بها على الوجه الاكمل مراعى فيها الاركان والشرائط والسنن والآداب فان الصلوة
تنهى عن الفحشاء والمنكر او استعينوا على النوايب بالصبر والصلوة بالجمع بينهما وعن حذيفة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وقيل الصوم والصلوة لان في الصوم حبس
النفس عن المفطرات وهذا اوجه لان في الصوم جلاء النفس وقطع الشهوات التي هي جنود الشيطان
وفي الصلوة مناجاة الحق وفيضان الانوار وهي جامعة لانواع العبادات البدنية جنانا ولسانا
واركانا ولذلك كانت عماد الدين وانها لكبيرة الا على الخاشعين الضمير للصلوة ان قيد التغير بالصبر
عليها لانها المقصود والمذكور لفظا وان فسر بمعنى لجزء الضمير للاستعانة لتكونه اشمل والخشوع الاخبات
اصله الانخفاض يقال مكان خاشع ولذلك يوصف به الجوارح كما يوصف القلب بالخضوع ويقاربه ان
الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم اللقاء مجاز عن الرؤية او التوليد والظن على اصله من الطمع والتوقع
اذ لا قطع بذلك او عن مطلق الجزاء فالظن بمعنى اليقين لانه مقطوع بربوبيته قوله وانهم اليه راجعون
الآن يقدر له عامل اي ويعلمون وهو خلاف الظاهر والظن بمعنى اليقين كثير قال فقلت لهم ظنوا بالفي
مدجج سراتهم في الفارسي المسرد ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها وانما لحقت عليهم لعلمهم
بما ادخر الله لهم وفي المثل من ايقن بالخلف جاد بالعطية ومن عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل ومن
ذلك قال قدوة المتقين جعلت قرة عيني في الصلوة وارحنا يا بلال بها يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي
التي انعمت عليكم اخذ في تقرير النعمة وتفصيل اصنافها ولذلك اعاد النداء واني فضلتكم على
العالمين على عالمي زمانهم جماعة على الموجود بالفعل كما نرى اشرف القبايل كالعلوية في زماننا او على
الجم الغفير يقال اذا رأيت فلانا فقد رأيت العالم قال لو زرته لرأيت الناس في رجل فلا دلالة
فيه على تفضيلهم على الملئكة ولا على امة اخرى فضلا عن خير الامم واتقوا يوما اي ما فيه من الحساب
والعذاب لا تجزي نفس عن نفس شيئا لا تقضي ومنه الجزية وحديث جذعة بن نيار لا تجزي عن احد بعدك
والتنكير في الاسماء الثلثة في سياق النفي للعموم اي نفس ما عن اي نفس كانت شيئا ما او ادنى جزاء على
انه مصدر والجملة صفة يوما حذف منه العايد اما مع الجار ابتداء على ما اتى سيبويه او تدريجا بحذف
الجار اولا والضمير ثانيا بعد ايصاله كما ذهب اليه المبرد والكسائي والشايع حذف العايد من الصلة ثم
من الصفة ثم من الخبر ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي فداء اصله المساواة اطلق على
الفداء لانه يساوي المفدى به بالفتح من غير الجنس وبالكسر منه والضمير للنفس الثانية او الاولى ويؤيد

ويؤيد الاول ولا هم ينصرون فان ضمير هم للنفوس المجزية عنها والتذكير باعتبار الاشخاص
لقوله ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة الشافعين سد عليهم طرق دفع العذاب لانه اما ان
يكون مجانا او بعوض وبشفاعة او بقهر ناصر ولا دلالة فيه على عدم الشفاعة لاهل الكباير
لانه عام مخصوص بالآيات والاحاديث او مقيد بموطن او بما قبل الاذن وقرأ ابو عمرو وابن
كثير تقبل بالتاء والتذكير احسن لوجود الفاصل واذ نجيناكم من آل فرعون من
قبل عطف جبريل وميكائيل على الملئكة واصل آل اهل بدليل تصغيره على اهيل واختص بالاناسي
دون الاماكن وذوي الاخطار منهم دينيا كآل النبي او دنيا كآل فرعون وعن الكسائي
اصله اول ونقل عن يونس فيصح اويل في تصغيره وقيل الاول القرابة تابعها والاهل اعم
ولذلك اوثر في الصلوة الآل وفرعون لقب من ملك مصر كقيصر لملك الروم وتبع لمن ملك
اليمن وكان اسمه مصعب بن ريان او وليد بن مصعب يسومونكم سوء العذاب يكلفونكم
من سام المشتري السلعة اذا طلبها والسوء مصدر ساء واصله العذاب السوء ثم قدم و
اضيف والمعنى اسوأ العذاب لان العذاب كله سيء والجملة حال من الضمير او من آل فرعون
او منهما لوجود ضمير كل يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم بيان ليسومونكم ولذا
عطفه في سورة ابراهيم لكونه اشد العذاب فامتاز امتياز جبريل وميكائيل وكان سبب
ذبح الابناء قول الكهنة سيولد من بني اسرائيل مولود يكون زوال ملكه على يديه وقد عمي
قلبه لان قول الكهنة ان كان حقا فلا بد من وقوعه وان كان باطلا فلاي معنى لقتل
الاطفال وفي ذلكم بلاء محنة والاشارة الى صنيعهم او نعمة والاشارة الى الانجاء و
الاختبار بالشر للصبر وبالخير للشكر وهذا اليق بقوله من ربكم واوفق لمقام تعداد النعم
عظيم صفة بلاء واذ فرقنا بكم البحر فلقنا فصلناه لاجل انجائكم فالباء للسببية او
ملتبسا بكم فالباء للمصاحبة كقول ابي الطيب تدوس بنا الجماجم والتريبا فانجيناكم
واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون تشاهدون ذلك لا تشكون فيه ملتذون مسرورون
وسيأتي القصة مستوفاة واذ واعدنا موسى اربعين ليلة لما دخل بنو اسرائيل مصر بعد
هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب وعد الله موسى ان يؤتيه كتابا وضرب له ميقاتا ذا القعدة
وعشر ذي الحجة وذكر الليالي لانها غرر الشهور وحين يرى الهلال وانتصاب اربعين على الظرفية
اما على قول ابن عباس رضي الله عنه كلمه في اربعين يوما وليلة فواضح ومن خصه بالاول
او بالآخر فكذا لانه من باب رايته سنة كذا لكن فيه وقوع الفعل في جزئه ومن قال بعد
فللاتصال وعدم التراخي والمفعول به محذوف وهو المشترك بين الظرفين اي واعدنا موسى
الوحي واعدنا المجيء والاولى ان يجري اربعين مجرى المفعول به وفيه مبالغة بجعل ميقات
الوعد موعودا وقرأ ابو عمرو وعدنا بغير الالف وعليه الرسم والمعنى ظاهر ويمكن ان يحمل
قراءة الجمهور عليه وايثار المفاعلة للمبالغة ثم اتخذتم العجل من بعده اي الها من بعد ذهابه
وانتم ظالمون باتخاذ العجل الها ثم عفونا عنكم من بعد ذلك الامر العظيم العفو محو الجريمة

عفا دون وهلك ابلغ من الغفران وافراد الخطاب باعتبار كل احد لعلكم تشكرون لكي تشكروا
او لتكونوا في صورة من يرجى منه الشكر وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان اي الكتاب الجامع بين
كونه كتابا منزلا وبين كونه فرقانا كقوله ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا
والتعريف فيه دون ضياء وذكرا لكونه معهودا كالاعلام دونهما او البرهان الفارق بين
الحق والباطل من سائر معجزاته او الشرع الفارق بين المعروف والمنكر او النصر الذي فرق بينه
وبين عدوه كقوله يوم الفرقان يوم التقى الجمعان يريد يوم بدر لعلكم تهتدون بالتأمل في الكتاب
والتفكر في آيات الله وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فان قلت
أليس قد تقدم ذكر اتخاذ العجل وان الله تعالى عفى عنهم قلت اعاده مقصدا حثا للموجودين على اتباع
النبي الامي الذي وضع عنهم الاصار التي كانت على آبائهم واكتفى في التوبة بالندم فتوبوا
الى بارئكم اي اذ قد ظلمتم فتوبوا الفاء للسببية وايثار البارئ دون سائر الاسماء الحسنى
للتنبيه على غباوتهم حيث آثروا على خالق الاشياء بريئة من الخلل والتفاوت العجل الذي هو ابلد
الحيوانات فاقتلوا أنفسكم بايديكم وهو البخع او من لم يعبد العجل عابده والتعبير بالانفس
لما بينهما من التعلق في القرابة والاتحاد في الاعتقاد وتفسير القتل بقطع الشهوات كما قيل من لم يقتل
النفس لم يحيها غير مستقيم لكون القتل مرادا قطعا عن ابن عباس رضي الله عنه احتبى الذين عبدوا
العجل بافنية دورهم وقام الذين لم يعبدوا واخذوا الخناجر في ايديهم وكان الوالد
يرى ولده وذو القرابة قريبه فيشق عليه فالقى الله عليهم ظلمة شديدة فدعى موسى وهرون
فانكشفت عن سبعين الف قتيل ذلكم خير لكم عند بارئكم لكونه وصلة الى الحيوة الابدية
ووسيلة الى رضوان الله واسكن ابو عمرو همزة بارئكم لثقل توالي ثلث حركات وفي رواية
قلب الهمزة ياء روما للتخفيف وروى عنه الدوري الاخذ من اكتفاء بعض السكون فتاب
عليكم من قول موسى جواب شرط محذوف اي ان فعلتم فقد تاب عليكم او من كلام الله تعالى
عطف على محذوف اي ففعلتم فتاب عليكم ففيه التفات من الغيبة وهو لفظ القوم الى الخطاب
ومن التكلم الى الغيبة في فتاب إنه هو التواب الذي يكثر توفيق التوبة او قبولها الرحيم الذي
يبدل مكان السيئة الحسنة وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة في ابتداء
دلالة على مراجعات بينه وبينهم لولاها لانقلبت جوابا ابتداء والجهر مستعار للرؤية عيانا لانه
من خواص الصوت وليس فيه دلالة على عدم جواز الرؤية ولولا ان كفرهم كان بسبب طلبها الاجرى
ان موسى قد سألها وانما كفروا بتعنتهم وعدم الاعتداد بسائر معجزاته وهذا ظاهر لمن كان له قلب
او القى السمع فأخذتكم الصاعقة الرجفة وكان فيها موتكم او نار فيها وأنتم تنظرون ما
اصابكم او اثره لا تشكون فيه ثم بعثناكم من بعد موتكم يوما وليلة لعلكم تشكرون نعمة
البعث او ما كفرتم سابقا هؤلاء الاحد السبعون الذين اختارهم موسى لميقات ربه فلما سمعوا كلامه
طلبوا الرؤية عيانا وهذه القصص قد بسطت في سائر السور واشير اليها هاهنا بوجوه لانه سوقها
لتعداد النعم على المخاطبين وآبائهم وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى لما ذكرنا وقع

لما ذكرناه وقعه عنهم من النقم شرع يفصل ما اولاهم من النعم والغمام السحاب الابيض سمي به
لانه يغم السماء ويواريه والمن الترنجبين كان ينزل عليهم على صفة الثلج بين الطلوعين
والسلوى السمانى وهو نوع من الطير دون الحمام جثة وكانوا مأمورين بان يأخذوا قدر
كفايتهم ولا يدخروا فادخروه وخبز فنتن روى البخاري انه قال صلى الله عليه وسلم لولا بني
اسرائيل لم يخنز اللحم كلوا من طيبات ما رزقناكم على ارادة القول وما ظلمونا ولكن كانوا
أنفسهم يظلمون بتعريضها للسخط وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية هي بيت المقدس وقيل اريحا
والاول هو الصواب فكلوا منها حيث شئتم رغدا واسعا صفة مصدر او في موضع الحال من الواو
وادخلوا الباب اي باب المسجد الاقصى وهو المسمى الآن بباب حطة سجدا على هيئات الراكعين
تواضعا لله وشكرا على نجاتهم من التيه وقهر عدوهم وهم الجبارون الذين قاتلهم يوشع
بعد موت موسى وقولوا حطة اي مسألتنا او امرك حطة فعلة كالجلسة والركبة والمراد
حطة الاوزار لقوله نغفر لكم خطاياكم جزم على الجواب وقرأ نافع بالياء وابن عامر بالتاء
التأنيث على بناء المفعول والمختار قراءة الباقين بالنون بالاصالة وفخامة المعنى ولقوله
وسنزيد المحسنين على غفران الخطايا بانواع المزايا واخرجه عن الجواب الى الاخبار للدلالة
على الوقوع لا محالة فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم قالوا مكان حطة حنطة حمراء
في شعيرة فان قلت لم يحك تبديل الفعل فانه روي انهم دخلوا زحفا على استاههم مقنعي رؤوسهم
قلت اكتفى بالقول لانه اظهر في المخالفة ولانه ربما يتوهم ان الدخول على ذلك الوجه كان لعذر
فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء عذابا وهو الطاعون مات منهم في ساعة سبعون الفا
بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم عن طاعة الله تعالى وهذه الآية ابلغ من آية الاعراف من وجوه
لخروج سنزيد عن الجواب وتكرير الظلم والجمع بينه وبين الفسق وتبديل الانزال بالارسال وذلك
لان هذه خطاب معهم وتلك اخبار عنهم ولان هذه نزلت بعد تلك فلا بد من زيادة فائدة
وإذ استسقى موسى لقومه لما عطشوا في التيه فقلنا اضرب بعصاك الحجر اللام فيه للعهد روي انه
كان حجرا معهودا على هيئة رأس الانسان او رأس ثور نزل به آدم مع العصا من الجنة فتوارثه
الانبياء فدفعه اليه شعيب عليه السلام مع العصا او للجنس اي حجر كان وهذا ابلغ في الاعجاز
فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا اي فان ضربت او فضرب والفاء على الوجهين فصيحة لانها تنبئ
عن محذوف اشارة الى ان السبب الاصيل في ذلك هو امر الله وارادته لا فعل موسى والوجه هو
الثاني لقلة التقدير ولان الفاء الجزائية لا تفتح بدون قد واضمارها ضعيف قد علم كل أناس
مشربهم اي كل سبط عرفوا العين المختصة به لئلا يقع تنازع كلوا واشربوا على ارادة القول
من رزق الله المن والسلوى والماء واضاف الرزق اليه لكونه حاصلا من غير كد منهم ولا تعثوا
في الارض مفسدين لا تعتدوا حال كونكم مفسدين وانما قيده لانه ربما كان على وجه الجزاء كمقاتلة
المعتدي بمثل فعله وقيل الحال مؤكدة ومن عرف الله بصفات الكمال لا يستبعد امثال هذه الآية
هذا ونبوع الماء من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم اغرب وابدع من الحجر لانه معتاد في

الاحجار وصخور الجبال وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ ارادوا المن والسلوى ووحدته باعتبار
عدم تبدله كما يقال مائدة الامير طعام واحد يريدون على نمط وان اشتملت على الوان فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ
يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ الاسناد مجاز مِنْ بَقْلِهَا الخضر والمراد اطايبه وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا
وَبَصَلِهَا من قبيل عطف جبريل على الملئكة وقيل الفوم الحنطة لقول العرب فوموا لنا اي اختبزوا وقيل الثوم
او فوق بالبصل ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه بالثاء وشعر حسان رضي الله عنه وانتم اناس
لئام الاصول طعامكم الفوم والحوقل اراد الثوم والبصل كانوا فلاحة اكارين مالت نفوسهم
الى ما الفوه قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي يريد به المن والسلوى الباء داخلة على
المتروك هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا هي البلدة المعروفة والصرف لسكون الوسط او باعتبار البلد
والمكان وان كان اصله مصرائيم عجميا فلعدم التانيث وعدم الاعتداد بالعجمة لوجود التعريب
والتصرف والاولى ان يراد مصر من الامصار لان ما طلبوه ليس بمنحصر في تلك البلدة والتنبيه
منصرف على سائر البلاد فيكون منه المهبوط اليها كلها فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ اي ذلك الادنى وَضُرِبَتْ
عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ جعلت محيطة بهم احاطة القبة بداخلها او الصقت بهم الصاق الطين
بالحائط وعلى الوجهين استعارة مكنية ولا ابعد في كون الكلام كناية عن كونهم اولاء صاغرين
ولا ترى اليهود والا اولاء مساكين اما حقيقة او تكلفا خيفة يضاعف الجزية وفي المثل فلان اذل
من اليهودي وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ اي رجعوا من سفرهم الذي كان للجهاد مصاحبين لغضب الله
او صاروا احقاء من قولك باء فلان بفلان اذا ساواه ذَلِكَ اشارة الى جميع ما حل بهم بِأَنَّهُمْ كَانُوا
يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ اللام للجنس والمعنى انه باطل عندهم ايضا كما في الرابع
فهو كقوله بغير حق في آل عمران والاولى ان يكون للعهد وهو ما يعتقدونه ويدينون به وتنكيره
في آل عمران للعموم وايثار المضارع لاستحضار تلك الصورة الشنيعة والاشارة الى انهم ساعون
في قتل محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ نافع ينبئين بالهمز ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كرر الاشارة
دلالة على ان لهم غير الكفر بآيات الله وقتل الانبياء معاصي اخر واعتداء في الحدود تكون جالبة
للذلة وبواء الغضب فكيف والاجتماع كائن او اشار الى الكفر والقتل بيانا لسبب السبب وهو تمرد
على العصيان والاعتداء ويجوز ان يكون الباء بمعنى مع فيكون كالاول اي ذلك الكفر والقتل مع العصيان
والاعتداء والاول سبب كامل فكيف وقد انضم اليه الثاني والاشارة الى الاشياء بلفظ المفرد على
تأويل المذكور إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بالسنتهم دون قلوبهم وَالَّذِينَ هَادُوا دخلوا في اليهودية يقال هاد وتهود
اما لانهم هادوا اي تابوا من عبادة العجل او لقولهم انا هدنا اليك او معرب يهوذا اكبر اولاد يعقوب
تسمية باسم ابي القبيلة وَالنَّصَارَى جمع نصران كندامى وندمان والياء في نصراني للمبالغة كما في
احمري سموا بذلك لنصرهم المسيح او لانهم كانوا معه في قرية تسمى نصران او ناصرة فسموا
او اخذ اسمهم من اسمها وَالصَّابِئِينَ قوم من النصارى مالوا عن دينهم الى عبادة الملائكة من صبا
اذا مال وقرأ نافع بالياء وترك الهمز اجتزاء بدلالة الكسرة قبل الياء عليه وقيل صبا يصبو لغة
والهمز هي الفصحى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا اي منهم فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ خبر من ان

خبر من ان جعل مبتدأ والجملة خبر ان وان جعل من بدلا من الذين فخبر ان ودخول الفاء لتضمن
الموصول معنى الشرط وفيه الزام سيبويه حيث منع دخول الفاء بعد دخول ان وَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ من ارتكاب ما سلف وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ على ما فات بل يثابون اجرا كما مر والكلام من حيث
ضرب الذلة الى هنا مستطرد لبيان انهم لما آثروا الامتنان باستبدال الذي هو ادنى بالذي
هو خير كان ذلك اول ذلة اصابتهم ثم بين ان من كان جهله في تلك الرتبة غير بديع منه الكفر
بآيات الله وقتل الانبياء ثم ضم اليهم اضرابهم ممن تمرد على الكفر وان من اخلص في ايمانه فاز
بما فاز به المخلص وباء بالرضوان بدل بواء الغضب ترغيبا في الايمان وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ
باتباع موسى عليه السلام والعمل بما في التورية وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ حين عصيتم روي ان موسى
لما جاءهم بالتورية شق عليهم ما فيه من التكاليف فابوا قبولها فقلع جبريل الطور ورفعه
فوقهم كانه ظلة وقربه اليهم شيئا فشيئا حتى رفع احد جانبي رأسهم الى الارض وهم
ينظرون باحدى العينين الى الجبل فلما سجدوا رفع الله عنهم فهم الى الان يسجدون على حرف
الرأس لانها سجدة رفع الله بها العذاب خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ باجتهاد وجد وَاذْكُرُوا
مَا فِيهِ احفظوا احكامه او اسوة فيشمل ذكر القلب واللسان لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ لكي تتقوا وتكونوا
في صورة من يرجى منه التقوى ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ اعرضتم بعد ذلك الميثاق فَلَوْلَا
فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ بتوفيق اسلافكم للتوبة لان المخاطبين لم يؤمنوا القولة فتقطع
ان يؤمنوا لكم لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ بعض الكاملين في الخسران وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ
فِي السَّبْتِ اللام موطئة والسبت الراحة والقطع ومنه سبت اليهود لكفهم عن الاعمال او
لقطعهم ذلك اليوم عن غيره بالحكم وهو جرأة الصيد فيه كان اهل ايلة على شاطئ البحر فابلاهم
الله بحرمة الصيد في يوم السبت فكانت الحيتان تأتيهم يوم سبتهم شرعا خارجة خراطيمها
ويوم لا يسبتون لا يرون منها واحدا فاحتالوا في صيدها بان اتخذوا على الشاطئ حياضا
وشرعوا اليها الجداول ليدخلها الحيتان يوم السبت فيصطادوها يوم الاحد فَقُلْنَا لَهُمْ
كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ اذلاء من الخسوء وهو الصغار والامر للتسخير والمراد سرعة التكون اذلالهم
قدرة لهم على القيود وقيل صار شيوخهم خنازير وشبانهم قردة وعن مجاهد رحمه الله
مسخت قلوبهم دون صورهم وهو خلاف الاجماع مع انه لا يلائم مقام الترغيب فَجَعَلْنَاهَا
اي المسخة نَكَالًا زجرا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا من الامم وكان ذكر المسخة في كتب الاولين فاعتبروا
بها ودخول الفاء باعتبار القريب اللاحق او من قرب من اهل عصر المسخة ومن بعد الانبياء البعد
عن قرب من اضيف اليه واللام على الوجهين صلة وايثار ما على من لتحقير شأنهم لقصد
الكلام عن مقام الكبرياء واظهار السخط او لما تقدم من ذنوبهم وما تأخر والنكال بمعنى العقوبة
واللام للتعليل فان قلت بعد المسخة لم يبقوا مكلفين حتى يتصور منهم ذنب قلت يحمل على ما
سبق من الصيد وسائر المعاصي كما في قوله ونكتب ما قدموا وآثارهم وقوله بما قدم واخر
وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ لكل متق حضرها او سمع وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا

بقرة اول القصة واذ قتلتم نفسا وانما قدمت هذه الآية لتستقل نظم مساويهم من نسبة النبي
الى الهزء وترك الامتثال شرعا والاشتغال بما لا يعني من الاستقصاء في السؤال كان شيخ
موسر في بني اسرائيل وله ابن فقتله بنو عمه ليرثوا الشيخ وقيل كان الشيخ عقيما وله بنو اخ
فقتلوه مستعجلين باخذ ماله وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤا يطالبون بدمه فطلبوا ورفعوا
القصة الى موسى عليه السلام فامرهم ان يذبحوا بقرة ويضربوا الميت ببعضها ليحيي الميت ويخبر
بالقتل قالوا اتتخذنا هزوا مكان هزء او نفس الهزء لبعد حيوة الميت من لحم بقر ميت وقرئ
هزءا بسكون الزاء وهي لغة تميم واسد وابدل حفص الهمزة واوا استثقالا للهمزة بعد الضمتين
وكذا حمزة وقفا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزء في مقام الارشاد لا سيما من الرسل
بتبليغ الاحكام سفه ولذلك استعاذ بالله قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ما صفتها المميزة لكون
حقيقتها معلومة كقولك ما زيد فيجاب بفاضل ونحوه وقيل اقيمت ما مقام كيف ولعل ايماء الى
ان هذه البقرة كانها نوع خارج عن حقيقة البقر قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر لا مسنة
ولا فتية الفارض من الفرض وهو القطع لانها قطعت العمر وبلغت آخره وتركيب البكر للاولية ومنه
الباكورة لاول الثمر عوان بين ذلك بين ما ومن ذكر الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين وانشادهما
لقصد الاختصار كما جعلوا فعل نائبا عن افعال جمة والذي حسنه ان اسماء الاشارة والموصولات
ليست على قانون سائر الاسماء في التثنية والجمع والتانيث بل وضعت صيغا مخصوصة فلذلك
سهل الامر فيها وقد يقع مثله في الضمير ايضا كقول رؤبة فيها خطوط من سواد وبلق كانه
في الجلد توليع البهق حيث لم تقل كانها عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعا لما شددوا شدد الله
عليهم ولو ذبحوا ادنى بقرة اجزاتهم وايم الله لو لم يستثنوا ما بينت لهم آخر الابد وقيل بكرة
معينة وتاخير البيان عن وقت الخطاب جائز وفيه انه تاخير عن وقت الحاجة لا الخطاب فافعلوا
ما تؤمرون اي تؤمرونه كقولك امرتك الخير فانحذف الجار وقد يتاع فيه حتى لحق بالمتعدي
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع
شدة الصفرة كالحلوك للسواد والقنو للحمرة يوصف به اللون حقيقة والملون بسببه مثله
الوجه ومن ذهب العلامة ومن الحسن سوداء شديدة السواد على ان الفقوع ترشيح والسواد الخالص
جالب للسرور كسواد الحدق تسر الناظرين السرور لذة القلب عند حصول نفع او توقعه وعن
علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي تكرير للسؤال
الاول ومزيد استكشاف ان البقر تشابه علينا اعتذار عن التكرير وتعليل لو استكشاف فالبقرة
بتلك الصفة كثيرة عن عمر بن عبد العزيز انه قال لبعض عماله اذا كتبت اليك ان اعط فلانا
شاة فلا تراجعني اضان ام ماعز ولو اذا قلت لك ضانا قلت اذكر ام انثى واذا قلت ذكر قلت
اسود ام ابيض وانا ان شاء الله لمهتدون الى المطلوب قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير
الارض ولا تسقي الحرث الذلول ضد الصعب من الذل بكسر الذال صفة بقرة ولا الثانية لتوكيد
الاولى والمعنى بقرة غير مذللة بالحراث والسقي مسلمة سلمها الله من العيوب كلها او اهلها من العمل

او اهلها من العمل لا شية فيها لا لون فيها يخالف صفرتها حتى القرن والظلف يقال وشاه وشيا
اذا خلط بلونه لونا آخر قالوا الآن جئت بالحق بالوصف المطلوب فذبحوها الفاء فصيحة اي
فحصلوها فذبحوها وما كادوا يفعلون فهذه الحالة ايضا لكثرة تعنتهم وتثاقلهم
او لخوف الفضيحة او لغلاء الثمن روي انهم طلبوها اربعين سنة فلم يجدوها ثم ظفروا بها
عند ارملة لها يتيم وكان ابوه من الصالحين فلما دنا الموت كانت عجلة فذهب بها الى الغيضة
او سيبها وقال يا رب هذه امانة عندك لهذا اليتيم فرباها الله تعالى احسن تربية وادى
الامانة في وقتها حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكان ثمن البقرة ثلاثة دراهم
واذ قتلتم نفسا نسب الفعل الى الكل لوجوده بينهم فادارأتم فيها مجاز عن الاختصام
او كناية عنه لانه روادفه او حقيقة والمعنى دفع بعضكم قتلها الى بعض او دفع كل منكم
الآخر من البراءة الى التهمة والله مخرج ما كنتم تكتمون لا محالة ولذلك اوثر الاسمية
وانما عمل مخرج لانه حكاية المستقبل بالماضي كما عمل باسط ذراعيه لكونه حكاية حال ماضية
والجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه فقلنا اضربوه ببعضها الضمير للنفس و
التذكير باعتبار الشخص والمراد اي بعض كان وقيل ضربوه باللسان وقيل بالاذن وقيل بالفخذ
اليمنى وقيل بعجز ذلك والله اعلم والمعنى فضربوه فحيي فحذف المعطوف والمعطوف عليه
لدلالة قوله كذلك يحيي الله الموتى عليه مع الاشارة الى ان الاحياء كان بمحض قدرته تعالى
من دون تاثير الضرب ويريكم آياته لعلكم تعقلون خطاب لمن حضر القتيل او لمنكري
البعث في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا اوجه لعدم احتياجه الى تقدير القول
ولانهم الذين عدلوا عن مقتضى العقل فيقع لعلكم تعقلون في موقعه ولان اراءة الآيات
لهم قد وجد بالغ من هذا القول ثم بعثناكم من بعد موتكم واولاد الخطاب في ذلك ايماء الى
ان الاحياء امر عظيم يخاطب به كل من يتأتى له الخطاب وكان الله قادرا على الاحياء ابتداء و
انما اجرى الامر على النمط المحكي لما في ذلك من بدائع الحكم تركة تزال الذنب وحسن اثر التوكل وان
من وقع فيه ينبغي ان يتقرب الى الله ويؤثر الاحسن ويغالي بالثمن روي ان عمر بن الخطاب قرب
بدنة بثلاثمائة دينار ومن لطائف اشارات ان من اراد الحيوة الحقيقية يجب عليه ان يقتل
الجاهلية الطالبة للماء والعلف الشبيهة بالبقرة حين مجاوزة حد الصبى ولم يلحقها ضعف الكبر
فهي حينئذ كاسلة القوى معجبة بحالها ليحيى بعد ذلك حيوة طيبة ثم قست قلوبكم من بعد ذلك
اشارة الى جميع ما عدد من الآيات وثم لاستبعاد القسوة بعدها لوجود الاسباب المقتضية لها
كقوله ثم انتم تمترون والقسوة الغلظة مع الصلابة مثل بها حال القلوب في عدم الاعتبار والاتعاظ
ولذلك رتب عليه قوله فهي كالحجارة لان هذا التشبيه متفرع على ما عرفه فان حالها او اشد قسوة
عطف على الكاف اما بتقدير مضاف فاعل اشد من الحجارة كالحديد مثلا او بدونه على معنى
انها كالحجارة او هي اشد منها والمعنى ان من عرف حالها فهو مخير في احد التشبيهين او اصاب الامرين
ولا تنافي من المتكلم ولا من السامع وانما لم يقل اشد قسوة وان صح بناء اسم التفضيل من القسوة وهو

احصر لدلالة اشد على الزيادة جوهرا وهيئة اعتناء بشأن الزيادة او لم يرد تفضيل القلوب في
القسوة على الحجارة بل اشتراك القسوتين في الشدة ثم تفضيل قسوة القلوب في الشدة ولا
تفاوت في الحاصل لان قولك فلان اكثر علما من فلان التفضيل راجع الى العلم الا ان لفظ اشد
اشهر استعمالا في التوصل **وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه
الماء وان منها لما يهبط من خشية الله** عطف على جملة في كالحجارة وتعليل للتفضيل وتقرير له
معنى والتفجر التفتح والجري بكثرة والخشية محمولة على الحقيقة لان المزاج ليس شرطا في الحيوة
وتسليم الحجر حديث مشهور وقيل مجاز عن الانقياد واطلاقا لاسم الملزوم على لازمه
وهي متعلقة بالافعال السابقة كلها **وما الله بغافل عما تعملون** قرء ابن كثير بياء الغيبة
والخطاب اشد وعيدا **أفتطمعون ان يؤمنوا لكم** الخطاب لرسول الله والمؤمنين والهمزة
للانكار واستبعاد الايمان منهم **وقد كان فريق منهم** اي من اليهود **يسمعون كلام الله** اي التورية
ثم يحرفونه كتحريفهم نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم واية الرجم وفي لفظ السماع
اشارة الى عدم حفظهم من معناه **من بعد ما عقلوه** فهموا مراد الله منه **وهم يعلمون** ان التحريف
كفر وضلال واذا كان علماؤهم كذلك فما ظنك بالجهال السفلة منهم وقيل هؤلاء السبعون
المختارون لما سمعوا كلام الله لموسى عليه السلام بالامر والنهي قالوا لقومهم سمعنا يقول
في اخر كلامه ان استطعتم فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا **واذا لقوا الذين آمنوا** اي منافقوهم
حذف المضاف لوجود القرينة **قالوا آمنا** احدثنا الايمان **واذا خلا بعضهم** بعض اليهود
الى بعض سخذنا اليه **قالوا** غير المنافقين لهم على وجه العتاب **أتحدثونهم** اي المؤمنين **بما فتح
الله عليكم** بينه لكم يقال فتحه على كذا اذا اوقفه عليه ويجوز ان يكون فاعل قال المنافقون
اظهارا للتصلب وانكارا عليهم ان يصدر منهم في المستقبل فهم مع المؤمنين منافقون حقا ومع
اخوانهم في صورتهم **ليحاجوكم به** اي بما في كتابكم **عند ربكم** جعلوا محاجتهم بما في كتابه محاجة
عند الله لان حاصل قولهم في كتاب الله كذا عند الله كذا لان المراد حكمه ومبنى الكلام على الاحتجاج
في الدنيا لانهم يعلمون انهم يوم القيمة محجوجون سواء ابدوا ام اخفوا **أفلا تعقلون** من تمام
كلامهم واحتمال كونه كلام الله تعالى مع المؤمنين متصلا بقوله افتطمعون بعيد لكون رسول
الله صلى الله عليه وسلم مخاطبا به **أولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون** ولا يخفى
عليه خافية الضمير للقائل والمقول له **ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني** جمع امنية
من مني الشيء قدره والمعنى جهلة لا يعلمون شيئا من الكتاب لكن يقدرون من عند انفسهم ان الله
يغفر لهم وان اباءهم الانبياء تشفع وان النار لا تمسهم الا اياما معدودة وغير ذلك من الاكاذيب
والاستثناء منقطع لان تلك الاباطيل والحرف التي تلقنوه من علمائهم ليس من الكتاب والعلم
في شيء **وان هم الا يظنون** في امر دينهم الظن يطلق بازاء العلم على كل رأي واعتقاد كان جازما كاعتقاد
المقلد سوى بين العالم والمقلد في التعادل ثم اشار الى ان العالم لكونه قدوة في الاضلال له
مزيد العذاب بقوله **فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم** الويل الهلاك مصدر والدعاء يستعمل في

وقيل واد او جبل في جهنم وصح الابتداء به لكونه دعاء مثل سلام وذكر اليد للتوكيد ودفع
المجاز كقولك رأيته بعيني **ثم يقولون هذا من عند الله** ثم للتراخي رتبة لان القول اشد جرما
من الكتبة **ليشتروا به ثمنا قليلا** عوضا يسيرا وهو بقاء الرياسة واكل الرشى **فويل لهم مما كتبت
ايديهم وويل لهم مما يكسبون** اي كتبتهم وكسبهم او للذي كتبوه ويكسبونه والاول احسن لفظا
ومعنى كرر الويل بازاء كل فعل مبالغة وآثر المضارع في الكسب لكونه ممتدا دون الكتبة
وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة نوع آخر من اكاذيبهم اي اياما قليلة قيل سبعة مقدار
بقاء الدنيا سبعة الاف سنة بزعمهم في مقابلة كل الف يوم وقيل اربعين ايام عبادة العجل
قل أتخذتم عند الله عهدا وعدا موثقا **فلن يخلف الله عهده** لامحالة لاستحالة الخلف في وعده
والفاء جواب شرط مقدر اي ان اتخذتم وقرء ابن كثير وحفص بالاظهار على الاصل والباقون
بالادغام لقرب الدال من التاء **أم تقولون على الله ما لا تعلمون** ام معادلة للهمزة ومعنى
الاستفهام التقرير لعلم المستفهم وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم بوقوع الشق الاخير
هو الافتراء ففي الكلام تهكم بهم او منقطعة والاستفهام في اتخذتم للانكار وفي ام للتحقيق
او الحمل على الاقرار والتقريع **بلى** اثبات لما نفوه من العذاب الدائم **من كسب سيئة** الكسب تحصيل
الشيء بالاختيار فان كان فيه زيادة تعمل تسمى اكتسابا **واحاطت به خطيئته** بحيث لم تبق
له حسنة فقط اذ معها الاحاطة والخطيئة اسم للذنب من خطئ بالكسر خطاء وخطاء سواء
بالقصد او بالعرض لقوله ان قتلهم كان خطأ كبيرا وقرء نافع خطيئاته بالجمع والافراد اولى
لان المحيط هو الكفر حقيقة **فاولئك اصحاب النار** الملازمون لها **هم فيها خالدون** لا غيرهم من
اصحاب الكبائر وتفسير الخلود باللبث الطويل عرفان بالمقصود مع الايهام المخل **والذين آمنوا وعملوا
الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون** جرت سنته تعالى في كتابه بان يشفع الوعد بالوعيد
ترغيبا وترهيبا ليرجى ثوابه ويخشى عقابه وبضدها تتبين الاشياء **واذ اخذنا ميثاق
بني اسرائيل لا تعبدون الا الله** لما طال الخطاب عدل الى الغيبة تفننا وتذكيرا بان الخطاب
مع بني اسرائيل ولا تعبدون اخبار في معنى النهي بدليل قوله قولوا وهذا ابلغ من صريح النهي
كان سارع الى الامتثال وانت تخبر عنه ولا بد من تقدير القول اي قائلين او قولنا على انه
بدل من الميثاق او جواب لاخذنا ميثاقهم لان القول الجازم المبني جار مجرى القسم كقوله و
قضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض ويجوز ان يكون في تأويل المصدر بان
محذوفة كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وقرء ابن كثير وحمزة والكسائي
لا يعبدون بياء الغيبة **وبالوالدين احسانا** تحسنون او احسنوا احسانا للبر بينه **وذي
القربى واليتامى والمساكين** اليتم لغة الانفراد وتخصيصه بالصغر عرف الشرع والمسكنة
من السكون كان الفقر اسكنه **وقولوا للناس حسنا** وقرء حمزة والكسائي حسنا بالفتح للحاء والسين
والاول ابلغ لكونه وصفا بالمصدر والقول الحسن اظهار نعته صلى الله عليه وسلم ومن التوري
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر **واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** ما كان عليهم في شرع موسى

ثم توليتم التفات من الغيبة سواء خوطب الحاضرون او غلبوا لان بني اسرائيل طريق الغيبة الا قليلا
منكم هم الذين اقاموا اليهودية ومن اسلم منهم بعد النسخ وانتم معرضون جملة معترضة اي وانتم
قوم عادتكم الاعراض وهما مترادفان وقيل التولي ان يرجع عودا على بدء والاعراض ان ياخذ
عن المنهج في العرض فهو اسوء حالا من التولي وفي الجمع غاية الذم واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون
دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم نزل قتل الغير واخراجه منزلة قتل نفسه واخراجه
للاتصال دينا ونسبا او لانه يترتب القصاص عليه واشتراك العار والصغار بين المخرج والمخرج ثم
اقررتم وانتم تشهدون اي اقر اسلافكم وشهدوا على انفسكم والاسناد الى الحاضرين لكونهم
على طريقتهم او انتم ايها المخاطبون معترفون بذلك على اسلافكم وانما ذكرت الشهادة بعد الاقرار
مبالغة كما في قولك فلان مقر بكذا شاهد على نفسه او انتم مستمرون بعد الاقرار ثم انتم
هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه بعد اخذ الميثاق والمعنى ثم انتم الموصوفون بنقيض تلك الصفة ونحوه
الاعتبار مع الحمل كما تقول فلان غير الذي كنت تعرفه وقيل هؤلاء اسم موصول تقتلون انفسكم
اشارة الى نقض لا تسفكون وتخرجون فريقا منكم من ديارهم اشارة الى نقض لا تخرجون انفسكم
تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان تتعاونون من الظهر لانه مناط القوة وقرء الكوفيون بحذف
تاء المضارعة تخفيفا وفي ذكر العدوان بعد الاثم رمز لانه ظلم الغير وان ياتوكم اسارى
تفادوهم كان بين الاوس والخزرج محاربات وكانت قريظة من اليهود خلفاء الاوس والنضير خلفاء
الخزرج وقيل بنو قينقاع كانوا خلفاء الاوس وقريظة والنضير للخزرج فكان اذا اسر منهم احد
فادوه وجمعوا له من اليهود وكلهم وكان الله قد اخذ عليهم في التورية الميثاق بعداء الكل
ترك القتل والاخراج والمظاهرة فاعرضوا عن الكل الا الفداء وقرء حمزة اسرى وهو قياس
جمع فعيل كقتلى وجرحى والباقون اسارى على انه جمع الجمع او جمع الاسر كعذارى في جمع قديم
وعن ابي عمرو اسرى عند الاخذ واسارى بعد الاستقرار وقرء ابن كثير وابن عامر وابو عمرو
وحمزة تفدوهم وهو الاصل لان المفادي معطي الفداء وعليه الرسم فيحمل قراءة المدعليه وقيل فداه
اذا خلصه بالمال وفاداه خلصه بالاسير وهو محرم عليكم اخراجهم الضمير للشان او مبهم يفسره
اخراجهم او راجع الى ما دل عليه تخرجون من المصدر والمذكور بيان له ولم يتعرض للقتل للعلم به
من حال الاخراج افتؤمنون ببعض الكتاب بالفداء وتكفرون ببعض ماعداه من القتل والاخراج
فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا الخزي ذل يستحي منه كالقتل والاسر وضرب
الجزية ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب اي اشد انواع عذاب الاخرة وما الله بغافل عما
تعملون تاكيد للوعيد وقرء نافع وابن كثير وابو بكر بياء الغيبة والخطاب ابلغ ترهيبا اولئك الذين
اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة اثروها على الاخرة حين استبدلوها بها فلا يخفف عنهم العذاب
في الدنيا والاخرة ولا هم ينصرون بدفع وقهر من احد ولقد اتينا موسى الكتاب التورية بعد اغراق
فرعون وقفينا من بعده بالرسل اي ارسلنا على اثره رسلا كثيرة كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى وسبعين
القفا وهيا اربعة الاف يقال قفيت فلانا اذا اتبعته وقفيته بفلان اتبعته اياه والباء داخل

داخل على التابع ماخوذ من القفا كذنب من الذنب واتينا عيسى ابن مريم البينات افرده بالذكر
وان كان من بني اسرائيل لانه صاحب شرع لفظ سرياني اصله ايشوع وكذا مريم معناه الخادم وقيل
العابد والتي تحب مجالسة الرجال وكانه من قبيل المفازة للمهلك والسليم للديغ وقيل عربي وزنه
مفعل اذ فعيل ليس من اوزانه والبينات المعجزات الواضحة كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص
وايدناه بروح القدس جبريل او روحه اي الروح المقدسة من اضافة الموصوف الى ما اشتق
منه الوصف مبالغة في ثبوته له كقولهم حاتم الجود وقرء ابن كثير باسكان دال القدس حيث وقع
افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه يقال هوي بالكسر اذا احب وبالفتح سقط
والهمزة للتوبيخ والتعجيب من ترتب هذا الفعل على ما سبق والفاء عاطفة للشرطية على الفعلية
قبلها اعني ولقد اتينا موسى ويجوز ان يكون عطفا على مقدر كانه قال ولقد اتينا موسى الكتاب
وارسلنا بعده رسلا كراما فجحدتم وعصيتم افعلتم ذلك فكلما جاءكم رسول استكبرتم عن الايمان
به ففريقا كذبتم كموسى وعيسى عليهما السلام وفريقا تقتلون كزكريا ويحيى عليهما السلام
وايثار المضارع اما للاستحضار تلك الصورة الفظيعة او للدلالة على انهم كانوا ساعين في قتل
محمد صلى الله عليه وسلم ولذلك سحروه وسموه يوم خيبر وعن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي توفي فيه لا زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت
ابهري وقالوا قلوبنا غلف ذات غلاف لا يصل اليها ما يقول محمد مستعار من الاغلف الذي
لم يختتن او هو مخفف غلف جمع غلاف كحمر في حمار اي اوعية للعلوم فلا حاجة لنا بعلم محمد
بل لعنهم الله بكفرهم طردهم من رحمته بسبب صرفهم القدرة والارادة من الطاعة الى ايثار
الكفر فافسدوا الفطرة او هم بجهلهم ملعونون من اين لهم الاستغناء عنك فقليلا ما يؤمنون
ما مزيدة لتاكيد معنى القلة وهو ايمانهم ببعض ما في التورية ولا حال المصدرية ويجوز ان يكون
القلة بمعنى العدم لعدم الاعتداد بذلك الايمان وقليلا من صفات الاحيان ولما جاءهم كتاب
من عند الله اي القرآن مصدق لما معهم من الكتاب ولا مخالفة في الاصول وكانوا من قبل
يستفتحون على الذين كفروا يستنصرون به على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث
في آخر الزمان ويقولون للمشركين قد اظل زمان من نجد نعته فاذا خرج نقتلكم معه قتل عاد وارم
وقيل كانوا يفتحون على المشركين ويعرفونهم قرب زمانه والسين للمبالغة كما في استعجب او سال
بعضهم بعضا والتماسح وقوع الجملة حالا لا عما قبله لما بين الكتابين والنبي من الاتصال وجواب لما
محذوف لدلالة جواب الثاني عليه او الثاني تكرير للاول والفاء للدلالة على ان مجيئه كان
عقيب الاستفتاح به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به حسدا فلعنة الله على الكافرين
اي عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم فاللام للعهد
او للجنس ويدخلون فيه دخولا اوليا بئسما اشتروا به انفسهم ما نكرة موصوفة تمييز
فاعل بئس والمخصوص ان يكفروا بما انزل الله والتعبير بالمضارع استحضار للصورة كما في نظائره
واشتروا معناه باعوا الاسر واظنا بين خلاصها لكونهم موقنين هلاكها لا يشكون فضلا عن الظن

بوقوع التبغيض بغيا علة اشتروا لا ان يكفروا لان المعنى المسوق له الكلام ذمهم على ايثار الكفر
على الايمان معللا بالحسد لا لزم الكفر المعلل والفصل ليس باجنبي لان المخصوص فاعل معنى والصفة
والموصوف شيء واحد ان ينزل الله اي حسدوه على ان ينزل الله من فضله الذي هو الوحي على من
يشاء من عباده واقتضت حكمته ارساله وقرأ ابن كثير وابو عمرو وان ينزل الله مخففا فباؤ
بغضب عطف على اشتروا والجار والمجرور في محل النصب على الحال على غضب صفته اي فصاروا
احقاء بترادف الغضب للكفر والحسد او لكفرهم بعيسى ومحمد عليهما السلام وللكافرين عذاب
مهين لاستكبارهم عن اتباع الحق وقيل العذاب المهين للكافر لان عذاب المؤمن طهرة لذنوبه
فلا تنافي بقوله انك من تدخل النار فقد اخزيته وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله كله
قالوا نؤمن بما أنزل علينا وحده ويكفرون بما وراءه عطف على قالوا والعدول اما للتصوير
او للدلالة على استمرار كفرهم الى زمان الاخبار وحال انه لا يجوز كون المضارع المثبت حالا مع
الواو والوراء مصدر في الاصل مشترك بين الخلف والقدام لان التواري يقع بكل منهما وهو
الحق الضمير لما مصدقا لما معهم حال مؤكدة رد لمقالتهم لان الكفر باحد الكتب كفر بما عداه فهم
كافرون بالتورية قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين بالتورية اذ ليس فيها
جواز قتل نبي فضلا عن نبيين والحاضرون وان لم يقتلوا الا انهم على دين ابائهم معتقدون صواب
افعالهم اسند فعلهم اليهم ولقد جاءكم موسى بالبينات المعجزات الظاهرة كالايات التسع ثم
اتخذتم العجل الها من بعده وانتم ظالمون اي وانتم قوم دابكم الظلم فلا يبعد منكم عبادة العجل
اعتراض او حال والغرض منه التوبيخ اذ عبادة العجل لا يكون الا ظلما واذ اخذنا ميثاقكم و
رفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا كرر رفع الطور لما نيط به الزيادة او
الاول تذكر النعمة وهذا احتجاج عليهم في رد دعوى الايمان قالوا سمعنا وعصينا تفصيل
لما اجمله هناك من قوله ثم توليتم وانتم معرضون واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم يقال
سيف اشرب سما ولون مشرب حمرة والمعنى جعلوا شاربين حب العجل نافذا في اعماقهم نفوذ الماء
فيما يتغلغل وذكر القلب لبيان المحل بعد الاسناد الى الجملة كقوله انما يأكلون في بطونهم نارا وفي
الابهام والتفسير والتمكن المستفاد من الظرف وجعل العجل هو المشرب دون حبه ما لا يخفى من الفخامة
قل بئسما يأمركم به ايمانكم بالتورية لانه ليس في التورية عبادة العجل وفي اسناد الامر الى ايمانهم
واضافته اليهم تهكم واستهزاء اذ لا دلالة على ان ايمانا يدعو الى عبادة العجل انما يليق بهم ان كنتم
مؤمنين فرضا وتقديرا قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله كما تزعمون لن يدخل الجنة الا
من كان هودا خالصة نصب على الحال ان لم يجوز الحال عن اسم كان فعن المستكن في لكم من دون
الناس كلهم فتمنوا الموت ان كنتم صادقين في دعويكم لان من ايقن ان الجنة له ماذا توقفه
في دار البلايا والآفات ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم من الكفر والمعاصي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لو تمنوا الموت لشرق كل يهودي بريقه ولم يبق على وجه الارض يهودي وانما اسند فعل الجملة
الى اليد لانها جارحة الانسان ومحل قدرته وبها اكثر اعماله والله عليم بالظالمين اي بهم

او بهم وضعا لهم بالظلم في الافتراء على الله ودعوى ما ليس لهم عنده ولتجدنهم احرص الناس
على حيوة اي حيوة متطاولة ولذلك نكرها فاني لهم تمني الموت ومن الذين اشركوا عطف على احرص
الناس معنى لان تقديره احرص من الناس وانما افرد من المشركين بالذكر لانهم لا يقولون بالمعاد
فهم في غاية الحرص على الحيوة فاذا زاد حرص اليهود والذين يزعمون ان لهم الجنة من دون
الناس فقد ظهر انهم كاذبون في ذلك الزعم احقاء باعظم التوبيخ ويجوز ان يكون ومن الذين
اشركوا كلاما مبتدأ على ان المراد بهم اليهود لقولهم عزير ابن الله والمعنى ومن هؤلاء اليهود
اناس يود احدهم وعلى الاول استئناف لبيان زيادة حرصهم لو يعمر الف سنة لو مصدرية
مفعول يود واو للتمني حكاية لودادتهم وكان القياس لو اعمر وانما عدل عنه لئلا يلتبس في
نحو ود زيد لو افعل بتمني فعل الحاكي وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر الضمير لاحدهم
وان يعمر فاعل بمزحزحه وما احد بمزحزحه من العذاب تعميره او لما دل عليه ان يعمر من مصدره
وان يعمر بدل منه او مبهم فسره ان يعمر والزحزحة التبعيد والله بصير بما يعملون وعيد
لهم قل من كان عدوا لجبريل كانت اليهود تزعم ان جبرائيل عدوهم لانه ملك العذاب
اهلك الامم السالفة وان ميكائيل صديقهم لانه موكل بالامطار والخصب وروي الشعبي ان
عمر بن الخطاب كان كثير الدخول لمدارس اليهود ويستمع الى التورية فيرى اليهود ان دخوله
الى اليهودية فقالوا يوما قد طمعنا فيك يا ابن الخطاب فقال والله ما ازددت بدخولي
عليكم الا بصيرة في امر محمد ثم سالوه عن الملك الذي يجيء بالوحي على محمد فقال جبريل فقالوا
ذاك عدونا لو كان ميكائيل لآمنا به فقال عمر كيف منزلتهما عند الله قالوا جبريل عن يمينه
وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال عمر رضي الله عنه ان كان الامر كما تقولون فهما
ليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا
لهما كان عدوا لله فجاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقه جبريل بالوحي وقرأ
حمزة والكسائي جبرئيل كسلسبيل وابن كثير كذلك الا انه حذف الهمزة وابو بكر كذلك الا انه حذف
الياء دون الهمزة والباقون بكسر الجيم والراء وحذف الهمزة على وزن قنديل وهو المختار لانه
لغة الحجاز فانه نزله على قلبك الضمير للقرآن وان لم يسبق له ذكر كانه علم لفرط شهرته
لا يذهب الوهم الى غيره وجعل تفهيم جبريل اياه تنزيله على قلبه مجازا وفي على دلالة على ان
المنزل اتحد بمجامع قلبه باذن الله بارادته وتيسيره مصدقا لما بين يديه وهدى و
بشرى للمؤمنين احوال من المفعول وجزاء الشرط محذوف مسبب عن المذكور اي من كان عدوا
لجبريل فلا وجه لعداوته لانه الذي نزل القرآن المصدق لكتابه فهو حقيق بان يصادق
ولا يعادى او من كان عدوا له فلعداوته وجه لانه انزل بما يكرهه ويزيل رياسته وقيل
التقدير من كان عدوا لجبريل فليمت كمدا فانه نزل القرآن على قلبك من كان عدوا لله وملائكته
ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين اي لهم والاظهار للدلالة على علة
المعادات وافراد الملكين لمزيتهما لانهما غير داخلين في الملئكة وفي الكلام دلالة على ان

ان عاداه كل واحد مما ذكر كفر لارتباط الجزاء به لا بالمجموع وقرء ابو عمرو وحفص ميكال بحذف
الهمزة والياء ونافع بحذف الياء والباقون باثباتهما والكل لغات ولقد انزلنا اليك
آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون نزلت في ابن صوريا قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ما جئتنا باية نعرفها واللام في الفاسقون للجنس اي الكاملون في الفسق والاولى
ان يكون للعهد مشارا بها الى اليهود ليقع الحصر موقعه لان الكلام في عد كفرانهم المتناهية
اولا واخرا فالوصف بالتمرد اليق بحالهم او كلما عاهدوا عهدا الواو للعطف على محذوف
اي اكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا اذ لا مجال للعطف على الكلام السابق نبذه
فريق منهم نقضه والنبذ طرح الشيء من غير مبالاة وقيده بفريق لان بعضهم لم ينقضه
ودل بكلما على وقوعه منهم كثيرا اخرها نقض قريظة عهد الله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب
بل اكثرهم لا يؤمنون بالتورية ولا يعدون نقض العهد ذنبا وفيه دلالة على ان المؤمنين
بالعهد هم الاقلون ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم كعيسى ومحمد عليهما السلام
نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كناية عن الازدراء به وعدم
الاعتداد بلحكامه عن التورية ادرجوه في الحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولا حرموا
حرامه وقيل كتاب الله يعني هو القرآن والنبذ يقتضي سابقة الاخذ فالمراد الاعراض عنه بعد
الزامه اياهم ولزومه لهم القبول كانهم لا يعلمون لا يشكون في كونه كتاب الله لكن شبهوا بمن لا يعلم
لسلوكهم منهج من يجهل او كانهم لا يعلمون انهم عالمون من غير شك وهذا ادل على رصانة علمهم المستفاد
من الذين اوتوا الكتاب واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان عطف على نبذ اي نبذوا كتاب الله
وراء ظهورهم واتبعوا كتب السحر التي كانت الشياطين تقرؤها على عهد سليمان وذلك ان الشياطين
كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب ويلقونها الى الكهنة فدونوها في الكتب
وفشا ذلك في زمن سليمان فنسبوه اليه وقالوا انما تسخر الجن بهذا قال ابن عباس رضي الله عنه فدعى
فجمع سليمان تلك الكتب ودفنها تحت كرسيه وكان الامر على ذلك حتى مات سليمان والعلماء العارفون
حال سليمان فتمثل شيطان في صورة انسان واتى اليهود فقال هل ادلكم على كنز علم سليمان فاتى
موضع الكرسي وقال احفروا هذا الموضع فحفروا فوجدوا صندوقا فاخرجوه واعتقدوا انه
علم سليمان وفشى فيهم ان سليمان كان ساحرا فرد الله عليهم بقوله وما كفر سليمان بعمل السحر
وانما يكفر الساحر اذا اعتقد تاثيره استقلالا او انضم اليه ما هو كفر كعبادة الكواكب والا
فهو من اكبر الكبائر واما تعلمه فكذلك الا اذا دعت اليه حاجة بان فشى في ناحية واريد تبيين
فساده ورد الخلق الى الحق كتعلم الفلسفة للذب عن الدين ودفع الشبهة ولكن الشياطين
كفروا باعتقاد السحر وعمله للاغواء والسحر لغة الصرف وحكى الازهري عن الفراء ويونس ولا
يظهر الا على يد فاسق شرير لمزاولته قولا وفعلا محرما كما ان الكرامة لا تظهر الا على يد مؤمن متقي
وقرء ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن مخففا والمعنى واحد يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا
وما انزل على الملكين عطف على السحر كانه نوع اقوى منه او قيل ما نافية عطف على ما كفر تكذيب لليهود

تكذيب لليهود في هذه القصة والملكان جبرئيل وميكائيل وعلى هذا هاروت وماروت
بدل بعض من الشياطين ويرده قوله انما نحن فتنة فلا تكفر اذ مثله لا يقوله الشيطان
المغوي ببابل ظرف او حال هاروت وماروت بدل او عطف بيان هما ملكان انزلا ابتلاء
للناس كما ابتلى قوم طالوت بالنهر وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة ابتلاء
واختبار فلا تكفر بتعلمه واعتقاد حقيته فيتعلمون منهما الضمير لما دل عليه من احد
ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله بارادته و
تيسيره والسحر سبب من الاسباب ويتعلمون ما يضرهم لانه يجر الى العمل او ان تجرد تعلمه
لا يترتب عليه فائدة ولا ينفعهم بوجه وما كان ضررا محضا لا يقربه عاقل ولقد علموا
اي اليهود لمن اشتريه استبدال السحر بكتاب الله ما له في الاخرة من خلاق من نصيب من الخلق
وهي الملاوسة يقال للمرأة الرتقاء الخلقاء اللام الاولى جواب القسم والثانية ابتدائية تعلق
العلم عن العمل ولبئس ما شروا به انفسهم عطف على جملة القسم وجوابه او على الجواب وعطف
الانشاء على الاخبار شايع كثير لو كانوا يعلمون اثبت لهم اولا العلم على طريق التوكيد ثم
نفاه عنهم لعدم جريهم على حد موجب العلم ومقتضاه دلالة على ان من لم يعمل بعلمه كمن لا يعلم
فان العلم بالقبح للارتداع من القبيح بحيث لا ارتداع لا نفع وما لا نفع فيه كالمعدوم وقيل
المثبت اولا العقل الغريزي او العلم الاجمالي بقبح الفعل وفيه ان الكلام مع علماء اليهود الذين
نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون مع رصانة علمهم بما فيه ولو انهم امنوا بمحمد
عليه السلام وما انزل عليه واتقوا التحريف واتباع السحر لمثوبة من عند الله خير او لو انهم لاثيبوا
الله مثوبة والعدول الى المنزل للدلالة على ثبات المثوبة لهم واستقرارها على تقدير الايمان والتقوى
وفي وكر من عند الله خير تخيير لهم وترغيب لغيرهم في الايمان والتقوى لو كانوا يعلمون تقدم
تحقيقه ويجوز حمل لو على التمني في الموضعين والمعنى انهم على حال يتلهف الناظر بها عليهم
يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا نوع آخر من كفر اليهود وخداعهم وذلك
ان المؤمنين كانوا في مجلس تخاطب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون راعنا يا رسول
الله حتى نفهم ما تقوله وكان راعنا كلمة مسبة بالسريانية فشرعوا يخاطبون به رسول الله
صلى الله عليه وسلم فامر المسلمون ان يقولوا ما يؤدي معناه وهو انظرنا من النظرة بمعنى الانتظار
وروي ان سعد بن معاذ قال لهم عليكم لعنة الله لئن سمعتها من احد منكم لاضربن عنقه فقالوا
الستم تقولونها فنزلت واسمعوا كلامه باذان واعية حتى لا تحتاجوا الى تلك الكلمة او بدلها او سماع
طاعة على انه تعريض باليهود او اسمعوا ما نهيتم عنه او امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى مثله فهو
تاكيد للقول والاول اولى فائدة وللكافرين عذاب اليم ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب
ولا المشركين الود محبة الشيء مع التمني ان ينزل عليكم من خير من ربكم من وحي من الاولى
بيان والثانية لتاكيد الاستغراق والثالثة للابتداء والله يختص برحمته بوحيه ونبوته
من يشاء اختصاصه واقتضت حكمته والله ذو الفضل العظيم حيث يخص فردا من البشر بين نوعه

بالرسالة التي لا رتبة فوقها بعد الالوهية ولذلك خاطب سيد الرسل ثانيا بقوله وكان فضل
الله عليك كبيرا واخرى بقوله وكان فضل الله عليك عظيما ما ننسخ من آية او ننسها من مطاعن
اليهود ايضا القدح في رسالته بالنسخ كانوا يقولون يأمر اليوم بحكم وغدا بما ينقضه والنسخ
لغة الازالة والنقل يقال نسخت الشمس الظل ونسخت الكتاب ومنه التناسخ ومناسخات المواريث
وفي الشرع بيان انتهاء حكم شرعي بآخر يعارضه وقيل رفع حكم شرعي والمراد رفع تعلقه و
المآل واحد والنسخ قد يكون للفظ والحكم وهو كثير وهو كذا النسخ للحكم وحده واما نسخ اللفظ
دون المعنى فقليل ومنه الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما جزاء بما كسبا نكالا من الله قال
عمر لولا ان يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لاثبتها في المصحف لئلا يقول احد انا لم نجد في
كتاب الله الآية انا قد قرأناها ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم والانساء التأخير في الازالة
او الاذهاب عن القلوب وقرأ الكوفيون ونافع وابن عامر بضم النون وكسر السين من الانساء
وهو الاذهاب عن القلب او الامر بتركه وقرأ ننسأها نأت بخير منها للمكلف اما في الدنيا اذا كان البدل
اخف ويدخل فيه النسخ لا الى بدل وفي الاخرى اذا كان اثقل او مثلها اما في الثقل او في الثواب
ويشمل النسخ بالوحي المتلو وغيره ويعم النسخ والانساء واذ لا امتناع في الاتيان بعد الانساء
حكم بما يكون اخف واكثر ثوابا وقيل الخير في النسخ والمثل في النسي على طريقة اللف الم تعلم
ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على النسخ والاتيان بالبدل الم تعلم ان الله له ملك
السموات والارض توضيح للاول وجار مجرى تفصيله وما لكم من دون الله من ولي يتولى امركم
ولا نصير يدفع عنكم اذا اراد بكم سوء وفيه دلالة على انه المؤثر في الكائنات من غير واسطة
ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ام متصلة لان قوله الم تعلم الى آخره حمل على
الثقة معادلة له كانه قيل اتشكون بعد العلم بما يوجب الوثوق ام لا او تقترحون كما اقترحت
اسلافكم اليهود وفيه حمل على الوثوق على ابلغ وجه كقوله فهل انتم منتهون بعد بيان مفاسد الخمر
ويجوز ان يكون منقطعة بان نزلهم منزلة من يريد السؤال بعد بيان الضار فعنه فانكر عليهم
والظاهر ان المخاطب هم المؤمنون كما في قوله يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ولذلك ذيله
بقوله ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل دلالة على ان اقتراح الآيات من شيم
الكفار مبالغة في المنع فلا يحوم حول خواطرهم وقيل نزلت في اهل الكتاب حين سألوا ان ينزل
عليهم كتابا من السماء وقيل في المشركين حين قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ود كثير
من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا نوع آخر من قبائح اليهود بعد وقعة احد دعا
اليهود عمارا وحذيفة الى دينهم حملهم على ذلك ما وقع في المسلمين من بعض النكال حسدا من عند
انفسهم اي كائنا متبالغا من اصل نفوسهم ويجوز ان يكون متعلقا بود على معنى انهم ودوا
ذلك من قبل انفسهم لا ميلا مع الحق والاول هو الوجه لو تأخر ولو تم مال الثاني اليه ولو
قوله من بعد ما تبين لهم الحق مغن عنه فاعفوا تجاوزوا من عفا الرسم اذا ذهب اثره واصفحوا
اعرضوا وانتشروا من صفح الوجه وهو جانبه لان المعرض يولي صفحة وجهه فهو ابلغ من العفو حتى

يأتي الله بامره هو قتل قريظة واجلاء النضير ان الله على كل شيء قدير فهو قادر على الانتقام
منهم ولكن اقتضت حكمته التأخير واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة عطف على فاعفوا امرهم
بالتقرب اليه ليكون وسيلة الى دفع مكايدهم وما تقدموا لانفسكم من خير اي خير كان تعميم
بعد التخصيص تجدوه عند الله اي ثوابه ان الله بما تعملون بصير لا يخفى عليه منه شيء وقالوا
لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى اي وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان يهوديا
وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا وانما لف بين القولين ثقة بان السامع يرد
الى كل قائل قوله لامن الالتباس لان كل فرقة تضلل الاخرى وافراد الاسم وجمع الخبر باعتبار لفظ
من ومعناه تلك امانيهم اشارة الى جميع ما تقدم من قوله ما يود الذين كفروا الى ما في الآية
قل هاتوا برهانكم على ما تدعون متصل بقوله لن يدخل الجنة وما بينهما اعتراض وهات اسم فعل بمعنى
احضر ان كنتم صادقين فجعل الصدق بمنزلة الملزوم لاقامة البرهان دلالة على ان ما لا دليل
عليه لا ثبوت له فان قلت الدليل ملزوم وانتفاؤه لا يوجب انتفاء المدلول لجواز وجود ملزوم
آخر قلت مبنى الكلام على انتفاء الملزومات كلها وعدم جواز التقليد في العقائد بلى اثبات لما
نفوه ثم ابتداء بقوله من اسلم وجهه لله اي ذاته وهو محسن مخلص في ايمانه اي من اتصف
بهذه الاوصاف كائنا من كان على طريق كلام المنصف فله اجره عند ربه كاملا من غير نقص ويجوز
ان يكون من اسلم جواب سؤال كانه قيل من يدخلها فقيل من اسلم وقوله فله اجره يتم زيادة على
دخول الجنة ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون من وقوع مكروه او فوات مطلوب وقالت اليهود
ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء اي شيء يعتد به في امر الدين لما ذكر
من قدحهم في الاسلام شرع في قدحهم فيما بينهم والظاهر ان المراد نقل مقالتهم وقيل تناظروا
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم وفد نجران وهم يتلون الكتاب الواو للحال والمراد جنس
الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون الجهلة من المشركين والمعطلة مثل قولهم صفة مصدر اي قولا
مثل قولهم والكاف في كذلك في محل الحال اي قالت الجهلة مثل ما سمعت من هؤلاء على ذلك النمط
فلفظ المثل دل على التماثل في المؤدى والكاف على التوافق في الصفات ويجوز ان يكون الكاف
مفعولا فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بان يكذبهم ويدخلهم النار ويوفيهم
ما يستحقونه من العذاب فان الحكم بين الخصمين لا يقتضي ان يكون احدهما محقا ومن اظلم ممن منع
مساجد الله ان يذكر فيها اسمه اي لا اظلم وان يذكر ثاني مفعولي منع او مفعول له اي كراهة ان يذكر
وحذف ثاني مفعولي منع لشيوع في الدخول والعمارة ونحوهما فان قلت كم من ذنب اعظم من المنع المذكور
لا سيما الشرك بالله قلت اذا كان الباعث على المنع كراهة الذكر يكون المانع كافرا لا محالة والآية
واردة لبيان زيادة شناعة حال اهل الكتاب بانهم مع كونهم نافين لسائر الاديان مانعون
المساجد عن ذكر الله فهم مستغرقون في الضلال قولا وفعلا واعتقادا نزلت في الروم خربوا
المسجد الاقصى واحرقوا التورية وقيل في المشركين لما صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام
الحديبية وسعى في خرابها تعطيلها عن الذكر او تخريب بنيانها وانما اتى بالجمع والمنع من المسجد

لاستواء سائر المساجد في ذلك الحكم لان السبب لا يخصص اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين
اي ما كان للمؤمنين يخالهم ان يدخلوا المساجد الا خائفين من المؤمنين ان يبطشوا بهم لولا ظلمهم وعتوهم
او ما كان لهم في حكم الله المسطور في اللوح الا ذلك ففيه وعد للمسلمين بالنصر وقد وقع ذلك حتى
نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول قوله انما المشركون نجس لا يحجن بعد هذا العام مشرك
ولا يطوفن بالبيت عريان واستخلص الفاروق بيت المقدس من ايدي الروم اولا وصلاح الدين
يوسف ثانيا في خلافة الناصر لدين الله واختلفت الائمة في جواز دخول الكافر المسجد فجوزه ابو حنيفة
رحمة الله عليه ومنعه مالك رحمه الله وفرق الشافعي رحمه الله بين المسجد الحرام وغيره لهم في الدنيا
خزي بالقتل والسبي وضرب الجزية ولهم في الآخرة عذاب عظيم لا يحيط بكنهه علم البشر ولله المشرق
والمغرب خلقا وملكا مستطر وعند ذكر المساجد وتمهيد لنفي الولد لان مكون الجهات مقدس عنها
والولد من جنس الوالد فيستحيل ان يماثله ذو جهة فأينما تولوا فثم وجه الله الوجه والوجهة
كالوزن والزنة مصدران نقلا الى الاسم والعرب يقول الوجه للقصد قال شعر رب العباد اليه
الوجه والعمل والمعنى ففي اي مكان فعلتم التولية نحو القبلة فهي الجهة التي ارادها وارتضاها ولا
يختص عبادته بالمساجد على ما رواه البخاري في خواصه جعلت لي الارض مسجدا فاي رجل ادركته
الصلوة فليصل حيث كان وعن جابر نزلت في سرية صلوا في ظلمة الليل ثم تبينوا خطاهم وقيل نزلت في
المسافر يصلي النافلة حيث توجه وقيل نزلت تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى نحو بيت
المقدس مدة في المدينة وفيه توطئة لنسخ القبلة وعن ابن عباس رضي الله عنه اول ما نسخ في القرآن القبلة
ان الله واسع رحمته حيث سهل عليكم امر القبلة عليم بالمصالح وقالوا اتخذ الله ولدا اي اهل الكتاب
والمشركون قالت اليهود عزير بن الله والنصارى المسيح بن الله والمشركون الملائكة بنات الله وقرء ابن عامر
قالوا بدون الواو وعليه رسم مصحف الشام على انه مستأنف كانه قيل هل انقطع حبل مفترياتهم وامتد
فقيل بل قالوا اعظم من ذلك او تتمة للاعتراض بزيادة لافراطهم في الظلم سبحانه تنزيه له عما نسب اليه
بل له ما في السموات والارض خلقا وملكا ومن جملته العزير والمسيح والملائكة كل له قانتون منقادون
وما هذا شانه لا يجانس المكون فكيف يكون ولدا او تما غلب غير اولي العقل ولا تحقير لشانهم لاقتضاء
المقام ذلك كما عبر عن الملائكة باسم الجنة في مثله او لولا العقل ثانيا اشارة الى ان الجمادات في الانقياد
والمشيئة كانها عقلاء مميزون ففي مقام كبريائه العقلاء كالجمادات وفي مقام العبودية بالعكس
بديع السموات والارض من اضافة الصفة الى فاعلها اي بديع سمواته وارضه والابداع ايجاد الشيء
دفعة ومنه البدعة لما لا اصل له في الدين فهو الصق في المقام من الصنع والتكوين وامثالهما تنزيه
عن الولد لان الولد جزء من الوالد منفعل منه ومبدع الاشياء منزه عن الانفعال وفيه رد على النصارى
قال من وجد الاكوان من غير مادة ايجاد مولود من غير اب لا يستبعد منه واذا قضى امرا اراد تكونه
والتعبير بالقضاء للدلالة على التمام واللزوم فهو اخص من الارادة فانما يقول له كن فيكون شبه
الحالة المقصودة من تعلق ارادته بالمكونات وسرعة ايجاده بلا ريث ولا توقف على اسباب ومواد و
روية بامر آمر نافذ التصرف في المأمور المطيع الذي لا يتوقف في الامتثال فاستعمل فيها ما حقه ان يستعمل

ان يستعمل في ذلك ولا قول هناك ولا امر وقيل بل جرت السنة الالهية بان يكون الشيء بكلمة كن
والمأمور هو الحاضر في العلم لان وجودات الاشياء في العلم الازلي تعينات والمأمور به
الدخول في الوجود بمقتضى الارادة وفي الكلام ترق اذ هذا الشان اقوى في الابداع من كونه
بديع السموات والارض وقرء ابن عامر كن فيكون بالنصب على الجواب لفظا وقال الذين
لا يعلمون لولا يكلمنا الله اي المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله طلبوا ان يكلمهم الله
كفاحا او تأتينا آية او تأتينا لعدم اعتدادهم في القرآن وسائر المعجزات كذلك قال الذين
من قبلهم من الامم السالفة مثل قولهم مثل قول هؤلاء قالت اليهود ارنا الله جهرة وقالت
النصارى هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء تشابهت قلوبهم في الكفر والعناد
قد بينا الآيات لقوم يوقنون ايقانا خاليا عن الكفر لان الايقان المجرد عن الاذعان و
القبول ليس من الايمان في شيء لقوله يعرفونه كما يعرفون ابناءهم انا ارسلناك بالحق ملتبسا
بحال مؤكدة لان الارسال من الله لا يكون الا كذلك بشيرا بالجنة لمن آمن ونذيرا من النار
لمن كفر ولا تسأل عن اصحاب الجحيم لم لم يؤمنوا عبر باصحاب الجحيم اشارة الى انهم مخلوقون
لها فلذلك لم يجد الانذار وقرأ نافع ولا تسأل على الخطاب اما لان حالهم في الفظاعة
بلغت حدا موحشا للسامع او المتكلم من التكلم بها او لما روى القرطبي وابن عباس انه صلى الله
عليه وسلم قال ليت شعري ما فعل ابواي على ما انتهى امرهما فنزلت والاول هو الوجه يقول
ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم اقناط له عن اتباعهم اياه فانه كان
يلاطف معهم رجاء ان يتبعوه او صرحوا بذلك فحكى الله كلامهم ثم بدأ قوله قل ان هدى الله
هو الهدى فانه يقتضي سابقه قول منهم اي دين الاسلام هو الهدى الذي يجب اتباعه لا
الهوى الذي تدعون اليه وعبر عن الاسلام بهدى الله لو توجه في مقابلة هواهم ولئن
اتبعت اهواءهم جمع هوى وهو رأي تتبع الشهوة ويبدل الله بعد الذي جاءك من العلم بطلان
ما هم فيه او من الدين المعلوم صحته ما لك من الله من ولي ولا نصير يدفع عقابه
عنك الذين آتيناهم الكتاب المؤمنون منهم كعبد الله بن سلام يتلونه حق تلاوته من غير تحريف
وتبديل تعريض بالمحرفين خبرا وحال مقدرة والخبر اولئك يؤمنون به بكتابهم ومن يكفر
به فاولئك هم الخاسرون في تجارتهم رمز الى ما ذكر اولا من اشترائهم الضلالة بالهدى
يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين خاطبهم اولا من بين بني
ادم وحثهم على اتباع من هو رحمة للعالمين فانقسموا الى مقبل ومعرض ثم خاطبهم ثانيا خطابا
شاملا للفريقين تحذيرا للمهتدي وتحذيرا للمكذب والى قليل لتكرير لمجرد التقرير كما فيه من
حسن التخلص الى ذكر جدهم قدوة الموحدين على وجه مؤكد ما ندبوا اليه واتقوا يوما لا تجزي
نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون تقدم تفسيره وانما
ذكر القبول مع العدل والنفع مع الشفاعة عكس الاول تفننا واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات الابتلاء
والبلاء بمعنى الامتحان يتضمن امرين تعرف ما يجهل من حال الشيء وظهور جودته ورداءته فقد

يقصدان وان يقصد احدهما والاول محال فما حققه تعالى فتعين الثاني وقيل ابتلاه اصابه بالبلاء
والمكروه لان التكاليف شاقة على النفس وهو عايد الى الاول مع استهجان اطلاق لفظ البلاء
والمكروه على اوامر الله والعامل في اذ اذكر واذ ابتلاه كان كيت وكيت او قال اني
جاعلك والكلمات الاحكام كقوله وصدقت بكلمات ربها عن ابن عباس رضي الله عنه هي عشر خمسة
في الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس وخمسة في البدن تقليم
الاظفار ونتف الابط وحلق العانة والختان والاستنجاء بالماء روى مسلم رحمه الله عن عايشة
رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر من الفطرة الا ان في روايتها اعفاء اللحية بدل
الفرق وغسل البراجم بدل الختان وروى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير الكلمات انها
ثلثون سهما من خصال الايمان عشر في براءة التائبون الى اخر الاية وعشر في الاحزاب ان المسلمين
الى اخر الصفات وعشر في قد افلح المؤمنون وعن الحسن ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس والهجرة
والالقاء في النار وذبح الولد وقيل ابتلاه بالمناسك فاتمهن قام بهن على الوجه الاكمل وابراهيم
الذي وفى قال اني جاعلك للناس اماما استينافا ان اضمر عامل اذ وان جعل هو العامل فالواو
داخلة عليه وتقديره اذ عطف القصة على القصة المعادة اجمالا بقوله يا بني اسرائيل اذكروا
ويجوز ان يكون بيانا على الوجه الاول فيراد بالكلمات الامور الاربعة وهي الامامة وتطهير
البيت ورفع قواعده والاسلام وقيل الكل والامام فعال بمعنى المفعول اسم لمن يؤتم به كالازار
قال ومن ذريتي عطف على الضمير المجرور لان الاضافة اللفظية في تقدير الانفصال اي وجاعل
لذريتي الامامة ايضا اخرجه في صورة الاخبار اسماما بوقوعه وتفاديا عن صورة الامر خطابا
لمن تحاشا شانه فهو كعطف التلقين في قولك وزيدا لمن قال ساكرمك بجعل نفسك نائبا عن
المتكلم وفيه من الاختصار والحسن ما يروق كل ناظر وانما لم يسأل لكل ذريته لعلمه بان بعضهم
لا يؤمن قال لا ينال عهدي الظالمين اجابة الى مسؤله وابرز ما اشار اليه في السؤال بمن التبعيضية
اي امامتي لمن كان ظالما لا كقولك لا ترث مني اجنبي لمن قال اوص بنيك والاية دلت على ان الظلم
الموجود مانع واما ان الطاري يبطل الامامة فلا ولا دلالة فيه على عصمة الانبياء قبل النبوة
لان الفاسق بعد التوبة صالح للامامة واذ جعلنا البيت علم بالغلبة للكعبة الشريفة مثابة
للناس مرجعا من ثاب رجع اي يثوب الزائرون اليه اما باعيانهم او بامثالهم لان الزائر ربما
لا يثوب واللام للجنس وانما اسند اليه لاتحاد الكل في الاسلام والقصد الى الحج والاعتماد وقيل
للاستغراق والمراد الكل والاشراف وامنا اي ذا امن او نفس امن وصفا بالمصدر مبالغة والامن
للساكن اما في الدنيا فلان الناس يتخطفون حوله ولان الجاني اذا التجأ اليه لا يتعرض له كما ذهب
اليه ابو حنيفة او في الاخرة لان الحج يجب ما قبله واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى خطاب لامة
محمد عليه السلام او لامة ابراهيم عليه السلام بتقدير القول والامر للاستحباب وابنا الاشرف
دون الفرض لا يختص بمكان اجماعا والحديث المستفيض كما تقدم في قوله فاينما تولوا فثم وجه الله
روى البخاري عن انس بن مالك عن عمر رضي الله عنه وافقت ربي في ثلث قلت يا رسول الله لو اتخذنا

يا رسول الله لو اتخذنا مقام ابراهيم مصلى فنزلت وقلت لو امرت نساءك بالحجاب فنزلت اية
الحجاب وقلت لنسائه عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا فنزلت ومقام ابراهيم هو الحجر
الذي قام عليه حين بنى البيت فغاصت رجله فيه فالمعنى عند مقامه وكان عند الحائط فنقل
الى المقام الذي الان به لئلا يشوش على الطائفين ولما وقع سيل الجحاف وذهب السيل بالمقام
الى اسفل مكة سال عمر المطلب بن ابي وداعة عن مكانه وكان قد قاس من البيت الى مكانه بحبل
مخافة مثله فدل على المكان الذي الان به وضرب عليه عمر سدا لئلا يصل اليه السيل وقيل
مقام الحرم كله فالامر بالتوجه اليه لا فوق عند من اكتفى بالجهة وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا
بالفتح ماضيا والكسر اكد وادل على المشروعية وقرأ ابن عامر ابراهام بالالف هنا وفي غيره في
احدى الروايتين وعليه رسم مصحف الشام وهو اصله في السريانية والياء بعد التعريب و
عهدنا الى ابراهيم واسمعيل ان طهرا بيتي للطائفين اي امرناهما امرا موكدا بتطهير البيت
من الانجاس والاقذار ان مصدرية او مفسرة والعاكفين المجاورين المقيمين فيها والواقفين
فيه للصلوة لقوله والقائمين او المعتكفين وهذا هو الوجه لشموله اصناف العبادات لما روي
ان الله تعالى ينزل فيه كل يوم مائة وعشرين رحمة ستين للطائفين واربعين للمصلين و
عشرين للعاكفين والركع السجود فان قلت تطهير البيت واجب سواء كان فيه احد المذكورين
او لا فما وجه تقييد التطهير بهم قلت وجه الامتنان على هؤلاء بان شغل ابراهيم في رفعة شانه
امر بتطهير مكان عبادتهم فان قلت لم لم يعطف السجود على الركع كما عطف العاكف على الطائف
قلت لانهما عبارة عن المصلي لعدم مشروعية الركوع عبادة واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا
امنا اي اهله فان قلت لم جاء في سورة ابراهيم معرفا وعكس هاهنا قلت ذلك سابق ولا اشارة
الى الحاضر في الذهن قبل كينونته بلدا وهذا انما قاله بعد ما صار بلدا فالمسؤل ولو صلوحه
للسكنى بالامن في اكثر الاحوال كساير البلاد وثانيا اذ لا خوف يعتري البلاد الامنة او اله
او احدهما امن الدنيا والاخر امن الاخرة وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر
قاس الرزق على الامامة قال ومن كفر عطف على من امن عطف تلقين كانه قال قل ومن كفر فانك
مجاب وليس شان الرزق شان الامامة ويجوز عطفه على مقدر اي ارزق من امن ومن كفر بلفظ
الخبر وان يكون من كفر مبتداء فامتعه خبره اي فانا امتعه قليلا والفاء لما في المبتداء من معنى
الشرط والكفر سبب لقلة التمتيع وقرأ نافع وابن عامر فامتعه من امتعه والتشديد ابلغ ومنه
ثم اضطره الى عذاب النار الزه اليه لا يجد الى غيره سبيلا ثم للتراخي رتبة اذ لا فاصلة بين زوال
التمتع ودخول النار لان قبر الكافر حفرة من حفر النيران وبئس المصير المخصوص محذوف اي النار
او مصيرهم واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل انزل الله لادم البيت المعمور ياقوتة حمراء
الى موضع البيت وحج اليه ادم من الهند اربعين حجة وكان باقيا الى زمن الطوفان فرفع وكان
مكانه رابية يذهب السيل من حواليه الى ان امر الله تعالى ابراهيم ببناء بيت على تلك الرابية والمضارع
حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس جرت مجرى الاسماء ومعنى رفع الاساس رفع

رفع البناء عليه من باب جرى النهر والجمع باعتبار الاجزاء كان كل جزء اساس او سافات البناء من الحجر
والطين لانه اذا وضع ساقا فوق ساق فقد رفع البناء وانما لم يضف القواعد الى البيت مع كونه
اخصر ايثارا للابهام والتفسير تفخيما لشان المبين روى الترمذي والنسائي ان البناء لما ارتفع الى
موضع الحجر جاء جبرائيل بالحجر الاسود وهو اشد بياضا من الثلج فسودته خطايا بني ادم وانما اخر ذكر
اسمعيل عن رفع القواعد لانه كان معينا وابراهيم هو الباني ربنا تقبل منا بتقدير القول انك
انت السميع لدعائنا العليم بنياتنا ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين او منقادين من اسلم
انقاد والمعنى زدنا اخلاصا وانقيادا ومن ذريتنا امة مسلمة لك بعض ذريتنا ويجوز ان يكون
من بيانا وانما دعوا للذرية لانهم احق بالشفقة واولى بالرعاية الابدية قوا انفسكم و
اهليكم نارا وقيل اراد امة محمد عليه السلام وارنا مناسكنا متعبداتنا النسك في الاصل غاية
العبادة ثم غلب على اعمال الحج وقرا ابن كثير وابو عمرو وفي رواية السوسي بسكون الراء لثقل الكسرة
على الراء والدوري عنه باختلاس الكسرة جمعا بين التخفيف وابقاء الحركة لدلالتها حركة الهمزة المنقولة
وهذا هو المختار للتوسط وتب علينا ما فرطنا او استتابة لذريتنا انك انت التواب فابل التوب
الرحيم تبدل سيئات التائب حسنات ربنا وابعث فيهم في الامة رسولا منهم من قومهم هو رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذ لم يبعث من ذرية اسمعيل غيره روى الامام احمد عن عرباض بن سارية
والى امامة ان رسول الله قال انا دعوة ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي رات انه خرج منها نور
اضاءت له قصور الشام وكان في ذلك اشارة الى بقاء شرعه بالشام الى اخر الدهر ولذلك هنالك يبرز
عيسى ويهلك الدجال يتلوا عليهم اياتك دلائل وحدانيتك وكمال ذاتك وصفاتك ويعلمهم الكتاب
القران والحكمة المعارف اصولا وفروعا انما اخر في الاية التلاوة اشارة الى ظهورها وانها غنية
عن التفهيم ويزكيهم يطهرهم عن اوضار الشرك والمعاصي او يوم القيمة حين يشهدون على الامم
انك انت العزيز الغالب لا يعجزك مراد الحكيم الذي لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة ومن يرغب عن ملة
ابراهيم انكار لان يكون عاقل راغبا عن ملته لانها في الحسن اوضح من كل واضح والملة من امللت الكتاب
جمعته او مللت الطريق سلكته تراد في الدين والشريعة واكثر ما تستعمل في الاصول ولذلك لا يقال
ملة الانبياء واحدة ولا تضاف الى الله فلا يقال ملة الله بخلاف الشرع والدين الا من سفه نفسه
بدل لان من رغب غير موجب ويجوز النصب اي استخفها واذلها متعد بنفسه وفي الحديث الكبر ان
تسفه الحق وتغمص الناس وقيل تمييز وان كان معرفة على الشذوذ كغبن رايه وقوله ونأخذ بعده بذناب
اجب الظهر ليس له سنام او بنزع الخافض وعن الزجاج ضمن معنى جهل والمعنى لا يرغب عن ملته الا من جهل
نفسه وهو معنى حسن لدلالته على جلاء ملته وظهور حسنها فلا يتوجه القول بان الجاهل قد يعذر
ولقد اصطفيناه في الدنيا بالرسالة جواب قسم محذوف وانه في الاخرة لمن الصالحين مندرجا
في زمرتهم والصلاح وصف جامع لمعنى الاستقامة مع الله وعباده وقيل انما وصف بالصلاح ترغيبا
فيه لانه مما يوصف به مثله ومن كان حاله في الدارين هذا فالراغب عن طريقه سفيه اذ قال له
ربه اسلم ظرف للاصطفاء اراد انه منذ تميز كان مصطفى مرجحا ثم سنه الى ان فارق الدنيا او ام

واسلم اذن واخلاصا كقوله يا ايها النبي اتق الله او نصب باذكر اي اذكر ذلك الوقت وجوابه
ليظهر انه المصطفى الذي لا يرغب عن ملته ويجوز ان يكون متعلقا بقال وعدم العاطف للدلالة على
مبادرته كانه مع الامر به قال اسلمت لرب العالمين دعى عبد الله بن سلام ابني اخيه سلمة ومهاجرا
فاسلم سلمة وابى مهاجر فنزلت ووصى بها ابراهيم بنيه عطف قصة على اخرى والضمير للملة او عطف
على قال اسلمت والضمير لقوله اسلمت باعتبار الكلمة والمعنى وصى بنيه بان يقولوا انهم اسلمت والاول
هو الوجه ولذلك اتى بالمظهر وعطف عليه يعقوب والتوصية التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح
واصلها الوصل يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله وقرا نافع وابن عامر اوصى وعليه
رسم مصحف الشام والمدينة والتشديد ابلغ ويعقوب عطف على ابراهيم اي وصى هو ايضا بنيه
يا بني بتقدير القول عند البصرية وعند الكوفيين يتعلق بوصى لانه في معنى القول ان الله
اصطفى لكم الدين اي وفقكم للاخذ بصفوة الاديان وهو الاسلام فلا تموتن الا وانتم مسلمون
النهي يرجع الى القيد لان الموت لا اختيار فيه والمعنى لا يكن حدوث الموت [illegible] الا في حال
اسلامكم كقولك لا تصل الا وانت خاشع اشارة الى ان الصلوة بلا خشوع كلا
صلوة ومعناه ان الموت على غير الاسلام موت لا خير فيه ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت
ام منقطعة للاضراب عن الكلام الاول والاخذ فيما سواه والخطاب للمؤمنين وذلك انه لما حث
على اتباع ملة ابراهيم وبين حاله وحال يعقوب في التوحيد والاهتمام به انكر ان يكونوا شاهدين
لتلك الاحوال وانما حصل لهم العلم بها سماعا ممن لا ينطق عن الهوى فكان حقيقا بالاتباع ام
لليهود حيث زعموا انه لم يمت نبي الا على اليهودية على ان الاستفهام للتقرير اي اسلافكم كانوا
حاضرين حين وصى يعقوب بنيه بالتوحيد وقد تواتر ذلك بينكم فكيف تدعون عليه
اليهودية او على ان الانكار وقد تم عند قوله ما تعبدون من بعدي وقوله قالوا نعبد بيان
لما دعوا بهم ويجوز ان يكون ام متصلة اي اتدعون على الانبياء اليهودية ام كان اسلافكم
حاضرين وصية بنيه والغرض تبكيتهم لاعتراضهم بالتابع اذ قال لبنيه ما تعبدون من
بعدي بعد موتي ما عام في العقلاء وغيرهم عند الابهام سواء كان الاستفهام او غيره فاذا علم
التي يخص من بذوي العلم وما بغيرهم ويجوز ان يحمل ما في الاية على الصفة اي ما نعت ما تعبد
قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق عد اسمعيل من الاباء تغليبا وفي الحديث
عم المرء صنو ابيه اي عديله وقائم مقامه عند فقده الها واحدا بدل من الهك لكونه موصوفا ثاني
ناصية خاطئة وفائدته دفع توهم التعدد الناشئ من العطف كما في غلام مالك وغلام زيد ويجوز نصبه
على الاختصاص ونحن له مسلمون منقاد وله حال من الفاعل او المفعول او عطف على نعبد والعدول
الى الاسمية افادة لكل نوع الاستمرار او اعتراض يؤكد امر العبادة تلك امة المذكورين نفسا
قد خلت لها ما كسبت من التوحيد والاعمال ولكم ما كسبتم لا يجازون كم وفي الحديث ادم من تراب
والناس من ادم لا فضل لعربي على عجمي ومن بطا به عمله لم يسرع به نسبه ولا تسئلون انتم
عما كانوا يعملون فضلا عن المؤاخذة بها والثواب وقالوا كونوا هودا او نصارى والتنويع اي ليس

اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم اي بل نكون ملة ابراهيم
اي اهل ملته او نتبع ملته حنيفا مائلا من الباطل الى الحق قال الحنيفاء بيننا عن كل دين والحنف بفتح
النون ميل في اليدين والرجلين وانتصابه على الحال من المضاف اليه كقوله ونزعنا ما في صدورهم
من غل اخوانا وانما يحسن اذا جاز وقوعه موقع المضاف كما في المثال الذي يقولون ضربت غلام
هند جالسة والعامل فيه هو العامل في المضاف وما كان من المشركين تعريض بمن يدعي انه
على ملته وهو مشترك بين اليهود والنصارى وعبدة الاوثان وقولوا آمنا بالله الخطاب للمؤمنين
بمنزلة البدل او البيان لقوله قل بل ملة ابراهيم لان المراد به هو وامته والاولى ان يكون
لاهل الكتاب القائلين كونوا هودا او نصارى ابتداء الكلام كانه قيل قل في جوابهم اتبعوا ملة
ابراهيم وقولوا آمنا بالله وما انزل الينا اي القرآن لانهم امة الدعوة او لان النبي هو القائل
فحكى الله تعالى كلامه ولو حكى كلامهم لقيل وما انزل اليكم وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط الصحف وان نزلت على ابراهيم الا انهم اولاده وحفدته كانوا متعبدين
بها كتعبدنا بالقرآن الاسباط جمع سبط وهو ولد الولد واصله الاسترسال والامتداد قال
شعر وجادت به سبط العظام كانما عمامته فوق الرحال لواء سمي به الحافد لانه امتداد في
وما اوتي موسى وعيسى من التورية والانجيل غير الاسلوب لما ان اعظم شان الكتابين ولم يعد
الموصول مع عيسى لان اكثر احكامه بالتورية فكانما اوتي موسى اوتيه ايضا وما اوتي النبيون
المذكورون وغيرهم والنزول لا يكون الا من فوق فيستعمل بعلى وبالى بملاحظة معنى الوصول
من ربهم لا نفرق بين احد منهم في النبوة وان تفاوتوا رتبة وانما دخل بين على احد لانه اسم لمن يخاطب
يستوي فيه المفرد والمثنى والجمع ويبين ذلك لوقوعه في سياق النفي الا ترى الى عدم استقامة
قولك لا نفرق بين رسول ونحن له مسلمون منقادون بالجوارح والاعمال فان آمنوا بمثل ما آمنتم
به فقد اهتدوا بني الكلام على الفرض تبكيتا لان دين الحق واحد لا مثل له فاذا رجعوا الى
انفسهم هجم بهم الكفر الى ان ذلك منهم فيما امن به المؤمنون وقيل الباء للاستعانة اي وجدوا
الايمان واحدثوه بواسطة شهادة مثل شهادتكم قولا واعتقادا وقد يقال بزيادة الباء والمثل
على ان ما مصدرية فان قلت اذا كان الخطاب في قوله قولوا آمنا لاهل الكتاب فما وجه قوله
فان آمنوا بمثل ما آمنتم به قلت تقديره قل لهم اتبعوا ملة ابراهيم وقولوا آمنا فان آمنوا بمثل
ما آمنتم به انت واصحابك فقد اهتدوا وان تولوا اعرضوا عما عرضت عليهم فانما هم في شقاق
ما هم الا في شق والايمان في شق آخر وليسوا من طلب الحق في شيء فسيكفيكهم الله انجزهم لا محالة
وان تاخر وهو السميع العليم يسمع اقوالكم ويعلم نياتكم وعود ووعيد صبغة الله مصدر مؤكد
لنفسه لكونه مضمون جملة لا تحتمل الغير وهي آمنا اي طهرنا الله تطهيرا لا مثل تطهيركم كانت
النصارى تغمس اولادهم في المعمودية ويقولون الآن صار نصرانيا حقا وهو ماء اصفر فاطلق
الصبغ على طريقة المشاكلة الحالية واختصاصه بالنصارى مع ان الخطاب لهم ولليهود لوقوعه
بينهم او للاستعارة لان الايمان حلية المؤمن او لظهور اثره عليه ظهور الصبغ على المصبوغ او لانه

او لانه اشرب قلبه اشراب الصبغ الثوب وامر المسلمين ان يقولوا لهم آمنا بالله وصبغنا ومن
احسن من الله صبغة لا احسن منه لانه يصبغ بالايمان الذي لا يمحى اثره سرمدا ونحن له عابدون
عطف على آمنا ومن جعل صبغة الله نصبا على البدل من ملة ابراهيم او على الاغراء اي الزموا صبغة
جعله اعتراضا تعريضا بمن اشرك في عبادته لئلا يقع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه
بالاجنبي والعطف على فعل الاغراء بتقدير القول اي الزموا وقولوا نحن له عابدون تكلف
واضمار بلا دليل قل اتحاجوننا في الله في شانه واصطفائه نبيا من العرب كانوا يزعمون ان ابراهيم
سال الله ان يكون النبوة في اولاد اسحق والملك في اولاد اسمعيل وهو ربنا وربكم الناس
في ذلك سواء ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فقد استوينا فطرة واكتسابا فلم يبق الا فضل الله و
رحمته لمن يشاء من عباده ونحن له مخلصون الايمان والطاعة دونكم فنحن اولى واكثر قابلية
والاخلاص افراد الشيء عما يشوبه والمراد العمل لوجه الله وقد روعي في الفواصل اسلوب
الترقي اذ ذكر اولا الاسلام وثانيا العبادة وثالثا الاخلاص ام تقولون ان ابراهيم و
اسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى اضراب على الخطاب في
اتحاجوننا وام منقطعة لانكار هذا القول عليهم وقرأ حمزة وابن عامر والكسائي وحفص
بالخطاب على ان متصلة معادلة لهمزة اتحاجوننا وهذا ابلغ لدلالته على ان كل واحد
من الامرين منكر فكيف وقد اجتمعا كقولك لمن اخطأ رأيا وفعالا اتدبيرك ام تعذيرك
وكذا ان جعلت منقطعة قل أأنتم اعلم ام الله وقد برأه عما تنسبون اليه ومن اظلم
ممن كتم شهادة عنده من الله الظرفان مستقران صفتا شهادة والمعنى لا اظلم من اهل الكتاب
حيث كتموا شهادة الله لابراهيم بالحنيفية في التورية والانجيل فقد ضموا الى الكتمان التكذيب
وفيه تعريض لما انكر عليهم من الادعاء وتعريض بهم في كتمانهم شهادة الله لمحمد في كتابهم
او المعنى لو كتمنا معشر المسلمين شهادة الله له لكنا اظلم الناس والماضي في الاول على اصله
وفي الثاني للتعريض كما في لئن اشركت وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم تلك امة قد
خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون خطاب للمؤمنين تحذيرا عن
التاسي بهم كرره للتاكيد والتقرير وخاتمة المشروع في مشروع آخر وقيل الاول اريد به الانبياء
والثاني اسلاف اليهود والنصارى سيقول السفهاء من الناس الخفاف الاحلام المنهمكون في التقليد
وهم اليهود لانهم كانوا يودون موافقته او المنافقون لانهم وجدوا موضع الطعن او المشركون
قالوا سيعود الى دين آبائه كما رجع الى القبلة وانما اخبره قبل الوقوع ليتوطن نفسه ويتلقى
المكروه بصدر رحيب ويستحضر الجواب قبل الحاجة ليكون اثبت عند الحجاج وفي المثل قبل الرمي
يراش السهم ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها اي صرفهم عن بيت المقدس والقبلة للجهة
التي يقبل اليها الانسان غلبت على الجهة التي يتوجه اليها المصلي او المكان قل لله المشرق والمغرب
فاي مكان وجهة شرعت كانت قبلة لان مدار حسن الاشياء وقبحها امره ونهيه يهدي من يشاء الى
صراط مستقيم او ما اقتضته حكمته ومنه التوجه الى بيت المقدس تارة والى الكعبة اخرى

وكذلك جعلناكم امة وسطا اى جعلناكم امة وسطا هذا الجعل البديع الذى تشاهدونه والاشارة
الى الجعل المدلول عليه بالفعل والكاف مقحمة تفخيما ولذلك امتد بما وضع لبعد المشار اليه وقيل
المعنى على التشبيه اى كما جعلناكم مهديين جعلنا قبلتكم اشرف القبل والوسط مركز الدائرة و
بالسكون ما بين الاطراف من الاماكن المبهمة ولذلك تقول جلست فى وسط الدار فى الاول و
جلست وسطه فى الثانى ثم اطلق على كل حسن لكونه بين الافراط والتفريط حسنى صار مثلا وخير
الامور الوسط والمفرد والجمع فيه سواء اى جعلناكم خيارا او عدولا لان الوسط عدل لتساوى
نسبة الاطراف اليه لتكونوا شهداء على الناس يوم القيمة ويكون الرسول عليكم شهيدا
روى البخارى وغيره ان الامم المكذبة ينكرون تبليغ الرسل فيستشهد الرسل بامة محمد عليه السلام فيقول
الامم من اين علمتم وانتم لم تكونوا موجودين فيقولون علمنا ذلك باخبار الله فى كتابه المنزل
على نبينا فيؤتى برسول الله مزكيا لهم فيشهد بعدالتهم وانما عدى شهادته بعلى مع انها لهم لا
عليهم لتضمين معنى المراقبة لاشتراط كون المزكى خبيرا بحال المزكى وفى ذلك غاية مدح لهم
وقدمت الصلة لاختصاص شهادته بهم ولا يقدح فى ذلك كونه شاهد الرسل ايضا
لان هذه تزكية وتلك شهادة تبليغ على ان الحصر اضافى لوقوع التقابل بين الامم لا بين امته
والرسل وما جعلنا القبلة التى كنت عليها اى الجهة التى كنت عليها ثانى مفعولى جعل وهى الكعبة
فانه كان قبل الهجرة يستقبلها او بيت المقدس لانه توجه اليه بعد الهجرة سبعة عشر شهرا
فالمخبر به على الاول الجعل الناسخ وعلى الثانى المنسوخ الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على
عقبيه اى ما رددناكم الى قبلتك الاولى الا امتحانا وتمييزا بين الصادق فى اسلامه الثابت
وبين الناكص المتزلزل او ما جعلنا بيت المقدس قبلتك الا لامر عارض وهو الامتحان والا فاصل
شانك ان تكون الكعبة قبلتك لانها اشرف الاماكن وانت اشرف الرسل وبناء جملتك وقبلته و
عن ابن عباس رضى الله عنه كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل البيت بينه وبين
بيت المقدس وانما قال لنعلم ولم يزل عالما اراد علما يتعلق به الجزاء او اراد علم الرسول والمؤمنين
اسند الى ذاته تجوزا لانهم خواصه واهل الزلفى عنده او اراد التمييز لان العلم سببه او هو
من باب التخييل مصورا حاله بحال من يريد ان يعلم وان كانت لكبيرة المحولة والجملة ان مخففة
واللام هى الفارقة وقيل اللام عوض عن اسمها او فارقة بينها وبين المشددة وهو سهو وكذا
جعل الضمير للقبلة الا على الذين هدى الله الى الصواب وما كان الله ليضيع ايمانكم صلوتكم
قبل تحويل القبلة روى البخارى عن البراء قالوا كيف باخواننا الذين ماتوا قبل التحويل فنزل
وقيل ثباتكم فى عدم تزلزلكم ان الله بالناس لرؤف رحيم الرافة شدة الرحمة فذكرها بعدها
تتميم وقيل للفواصل وفيه انه مطرد حيث وقع وقرء ابو عمرو وحمزة والكسائى وابو بكر بالقصر
على انه صفة مشبهة وهو ابلغ لدلالته على اللزوم قد نرى تقلب وجهك فى السماء تردد
فى جهة السماء تطلعا للوحى كان يتوقع ان توجه الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم وادعى للعرب
الى الاتباع دليله تعلق اليهود باتباعهم فلنولينك قبلة ترضيها تحبها لك والنيا متمكنا من

متمكنا من استقبالها او تلى سمتها دون سمت بيت المقدس فول وجهك شطر المسجد الحرام الشطر
فى الاصل ما انفصل من الشئ واكثر ما يستعمل فى النصف كما فى الحديث الطهور شطر الايمان
وتقعد احديكن شطر دهرها لا تصلى وفى ذكر المسجد دلالة على ان الجهة كافية للبعيد
كما ذهب اليه ابو حنيفة ومالك والشافعى فى احد قوليه رحمهم الله لانهم لا يريدون بالجهة المسجد
الحرام بل يدل على عكسه لان مستقبل المسجد مستقبلة للكعبة كالخطوط المستقيمة من محيط
الدائرة الى المركز وان كانت اوسع دائرة تتصور والتكليف بحسب الامكان فان امكن اصابة
العين يقينا كداخل المسجد فذاك والا فظنا ولا حرج فى ذلك فلا يرد التوجه الى اطراف
الدائرة ولا الصف المستطيل لانه اما ظان للاصابة او لا فعلى الاول لتصيب وعلى الثانى
لم يات بما كلف به روى البخارى ومسلم عن ابن عمر بينا الناس يصلون صلوة الصبح فى
مسجد قباء اذ جاء رجل فقال ان رسول الله انزل عليه القرآن بالتوجه الى الكعبة و
كانوا فى الركوع فداروا كما هم قبل البيت وما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى الصلوة
فسهو واستدل به على قبول خبر الواحد وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره خصه بالذكر
قضاء لوطره المهتم ثم عمم لئلا يظن انه من خواص البلد او من خواصه دون امته وان الذين اوتوا
الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم لانه فى الكتب السالفة ان المبشر به يصلى الى القبلتين لا
لعلمهم بان عادة الله تخصيص كل شريعة بقبلة اذ لا دليل على ذلك كيف والقبلة منحصرة فى
الكعبة وبيت المقدس فى الشرائع كلها وما الله بغافل عما تعملون وعيد لاهل الكتاب وقرء
ابن عامر وحمزة والكسائى بالخطاب للمؤمنين والغيبة احسن لان الكلام فى معاندة اهل الكتاب
بعد علمهم ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية اقناطا له عن ايمانهم واشارة الى انهم الذين
طبع الله على قلوبهم ما تبعوا قبلتك جواب القسم المحذوف الدال عليه اللام الموطئة وساد
مسد جواب الشرط ايضا وما انت بتابع قبلتهم عطف على القسمية لا على الجواب وايثار الاسمية
للدوام قطع لاطماعهم فان اليهود ارادوا خداعه وقالوا لو ثبت على قبلتنا كنا نرجو ان يكون
الموعود المبشر به وما بعضهم بتابع قبلة بعض اى اهل الكتاب يخالف بعضهم بعضا فى القبلة
ايضا فان اليهود يصلى الى الغرب والنصارى الى الشرق ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما
جاءك من العلم كلام وارد على سبيل الفرض بعدما اخبر بكونه غير تابع لهم قطعا لمادة اطماعهم
مع الاشارة الى فظاعة حال المخالف لاتباع مواد وفيه مبالغة من نيف وعشرة اوجه انك
اذا لمن الظالمين الداخلين فى زمرتهم الموسومين بسمتهم الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه
كما يعرفون ابناءهم الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم متصل بقوله وان الذين اوتوا الكتاب
ليعلمون انه الحق من ربهم ولا التباس عليهم هذا على العلم بانه يصلى الى القبلتين وقيل
الضمير للتحويل او القرآن او العلم ويؤيد الاول ما روى ان عبد الله بن سلام قال لعمر انا
اعلم به منى بابنى قال ولم قال لانى لم اشك فيه وابنى لا ادرى بما خانت امه فقبل عمر يافوخه فان
قلت طريقة التشبيه تدل على ان معرفتهم بالابناء اقوى فما وجه قول عبد الله قلت اراد

عند الله ان بنوته قطعية والولد لظاهر الفراش وما في الآية بالنظر الى الظاهر فان كونه ابنا له
مشاهد والنبوة نظرية وان فريقا منهم ليكتمون الحق الضمير للعارفين فسهم اولى مذعنين
ومعاند فدل على ان المعرفة ليس بايمان وهم يعلمون تأكيد للذم لان الجاهل ربما يعذر الحق
خبر مبتداء اي ما جاءك من العلم او الذي يكتمونه الحق واللام للجنس كما في ذلك الكتاب من ربك
خبر بعد خبر او حال والحق مبتداء ومن ربك خبره واللام للعهد اشارة الى ما جاء به رسول
الله او الى الذي يكتمونه واللام للجنس كما في الحمد لله فلا تكونن من الممترين للخطاب عاما او
للرسول والمراد امته اشارة الى ان من كان مؤمنا به امترؤه كامتراءه او المراد تثبيته على اليقين
ولكل وجهة هو موليها الضمير لكل والمفعول محذوف اي وجهه او لله والمحذوف ضمير كل اي
الله موليها اياه والمعنى لكل ملة من الملل جهة يتوجهون اليها او لكل واحد منكم يا امة محمد جهة
يتوجه اليها من شمال وجنوب وغيرهما وقرأ ابن عامر موليها بفتح اللام فالضمير لكل اي غير فاستبقوا
الخيرات كلها من امر القبلة وغيره وقيل امروا بالتسابق الى الجهات الفاضلة وهي المسامتة للكعبة
واذا امروا بسبق بعضهم بعضا فسبق غيرهم اولى اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا يا اهل الاديان
او يا امة محمد والاول اوجه لان الكلام في اهل الملل واختلافهم على منوال قوله ولكل جعلنا
منكم شرعة ومنهاجا ان الله على كل شيء قدير فهو قادر على الاتيان بكم بعد الشتات وتفرق
الاجزاء ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام من اي مكان خرجت للسفر وانه للحق من ربك
الامر بالتوجه وما الله بغافل عما تعملون وعيد لمن ترك التوجه من اليهود كما او وعدا وعلى الكتم
وقرأ ابو عمرو يعملون بالغيبة والاول اوجه ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام
وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ذكر الامر بالتولية ثلث مرات لان امر القبلة من عظائم الامور
ومظان الاشتباه فهو حقيق بالتقرير والتجديد اثر تقرير وتجديد ولانه نيط بكل ما لم ينط بالآخر
ففي الاول تكريم الرسول بالاجابة الى ابتغاء مرضاته وجوبه على كل ملة مع التصريح بسفه
اليهود وفي الثاني بيان حكم السفر حيث كان لئلا يظن اختصاصه بالمدينة او بالمقيمين وخصه
بالخطاب لانه سيد القوم وامام الكل وارد فه بوعيد المخالف وفي الثالث تشريفا منه
بالخطاب مؤكدا فيه وجوبا التمسك به مبينا حكمة الحكم بقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة
لليهود حيث كانت في كتابهم انه يصلي الى القبلتين والمشركين حيث قالوا اما له ترك قبلة ابيه ابرهيم
الا الذين ظلموا منهم بدل ويجوز نصبه اي الا المعاندون فانهم باقون على حجتهم يقولون ما توجه
الى الكعبة الا لحب الوطن وانما سمى الشبهة الواهية حجة لانهم يسوقونها مساق الحجة كقوله
حجتهم داحضة والاشبه انه من قبيل ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب فلا
تخشوهم لانهم على الباطل واخشوني في مخالفة امري ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون متعلق بال
محذوف اي لاتمام النعمة عليكم وارادة اهتدائكم امرتكم بذلك او عطف على مقدر كانه قيل اخشوني
لاوفقكم ولاتم نعمتي عليكم وانما حذف المعطوف عليه اختصارا ودلالة على ان الفائدة غير واحدة
وتمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه الموت على الاسلام وقيل عطف على لئلا يكون وقوله

وقوله فلا تخشوهم وما عطف عليه جار مجرى الاعتراض وهو بعيد لاسيما اذا فسر تمام النعمة بالموت
على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا في محل المصدر اما متعلق بما قبله اي لاتم نعمتي عليكم
في الآخرة كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسول امرتكم بالتوجه او بقوله فاذكروني والفاء
تخللت بين العامل والمعمول كما في قولك وربك فكبر منكم من جلدتكم تعرفون نسبه وحسبه
يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم يحملكم على محاسن الاخلاق قدمه على تعلم الكتاب والحكمة لانه المقصود
وفيه تنشيط للمخاطب وفي دعوة ابرهيم اخر نظرا الى الوجود ويعلمكم الكتاب والحكمة علم الشرايع
ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون لولا الوحي من الاخبار بالمغيبات واحوال المعاد فاذكروني بالطاعة
اذكركم بالمغفرة والثواب روى البخاري عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى
يا ابن آدم ان ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي وان ذكرتني في ملاء ذكرتك في ملاء خير منهم
وان دنوت مني شبرا دنوت منك باعا وان اتيتني تمشي اتيتك هرولة واشكروا لي يعني عدا باللام
لتضمين معنى الاخلاص ولا تكفرون بالجحد والعصيان تصريح بما علم ضمنا يا ايها الذين آمنوا
استعينوا بالصبر والصلوة بعد الامر بجملة من التكاليف والحث على ما يتوسلون به اليها وهو الصبر
والصلوة التي هي المناجاة مع من هو غاية الغايات ونهاية الطلبات والمناسب ان يراد بالصبر
الصوم لانقطاع النفس عن الشهوات الشاغلة عن التوجه الى الجناب القدس ان الله مع الصابرين
بالحفظ والاعانة تسهيل للامر وتنشيط للمخاطب ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء
اي بل هم احياء اضراب عن نفيهم الى الاخبار بهذا وليس معطوفا على اموات عطف مفرد او جملة
بتقدير هم اموات لعدم كونه مقولا لهم ولكن لا تشعرون بحياتهم نزلت في شهداء بدر وقيل في
شهداء بئر معونة والمراد الحيوة بالابدان لان الروحانية مشتركة بين المؤمنين قاطبة و
قيل بالرزق والفرح ولما روى مسلم ان ارواحهم في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت
ولا دلالة في قوله لا تشعرون على ان الحيوة ليست بالجسد بل على العكس اول لان الشعور علم يستند
الى الحواس ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ولنعاملنكم معاملة المختبر وتنكير الشيء للدلالة على ان
ما يصيب المؤمن نزر بالنظر الى ما يدفعه الله واخبر به قبل الوقوع ليوطنوا انفسهم عليه
عند الوقوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات عطف على شيء او على الخوف وعن الشافعي رحمه الله
ان الخوف خوف الله والجوع صيام رمضان والنقص من الاموال الزكوة ومن الانفس الامراض ومن الثمرات
موت الاولاد وفي كون الخوف خوف الله وعده من المصائب نظر وبشر الصابرين الذين اذا
اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون عطف على الجملة القسمية لا على جوابها از
مراده المصائب بلذة البشارة والخطاب عام وتنكير مصيبة لتوافق تنكير شيء ويدل على ان الجزاء
المذكور بعده مترتب على ادناها روي ان سراج رسول الله طفئ فاسترجع فقيل امصيبة هي
فقال نعم كل شيء يؤذي المؤمن مصيبة روى مسلم عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال وما من مسلم يصيبه مصيبة يقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واخلف
لي خيرا منها الا آجره الله واخلف له خيرا منها فلما مات ابو سلمة قلت من ابو لي خير من ابي سلمة ثم قلته

فاخلف الله تعالى خبرا منه رسول الله أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة مبتداء وخبر والجملة
مستأنفة دالة على المبشر به والصلوة من الله الرأفة والعطف كأنه قيل عليهم من الله رأفة ورحمة
والتنكير للتفخيم والجمع للدلالة على التكرير كالتثنية في لبيك وحاصله البشارة بإيصال المسار
على التوالي ودفع المضار وأسباب المذلة وأولئك هم المهتدون إلى طريق الصواب سبق بيان حالهم
إن الصفا والمروة جبلان معروفان وأصل الصفا الصخر الملساء من الصفوة وهي الخلوص
والمروة الحجر البراق الذي يقدح منه من شعائر الله من مناسكه جمع شعيرة من الشعور بمعنى
العلامة وإضافتها إلى الله إعلام مواضع عبادته وإذا أضيفت إلى الشرع أريد بها العلامات
كالأذان والإقامة فمن حج البيت قصده أو اعتمر زاره كأنه مأخوذ من العمارة فلا جناح عليه
أن يطوف بهما روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن الأنصار كانوا يهلون قبل الإسلام
لمناة صنم لهم بالمشلل وكانوا يتحرجون من الطواف بين الصفا والمروة فأنزل الله تعالى إن الصفا
والمروة من شعائر الله وعن أبي إسحق أن إسافا ونائلة رجل وامرأة زنيا داخل الكعبة فمسخا
حجرين فوضع أحدهما على الصفا والآخر على المروة فكره المسلمون الطواف بينهما لذلك فنزلت
فعند الشافعي ورواية عن أحمد والمشهور عن مالك رحمهم الله أنه ركن لقوله صلى الله عليه وسلم
اسعوا فإن الله تعالى قد كتب عليكم السعي وعند أبي حنيفة رحمه الله واجب لأن رفع الجناح يعم الوجوب
وخبر الواحد لا يثبت الركن ولا في قراءة ابن مسعود أن لا يطوف بهما لأن لا زائدة جمعا بين الأدلة و
الحديث ومن تطوع خيرا أي طاعة مما رغب فيه في الطاعات كلها فهو خير له وقرأ حمزة والكسائي
يطوع بياء الغيبة مضارع تطوع أدغمت التاء في الطاء والماضي خفف فإن الله شاكر يثيب على
طاعته عليم كامل العلم رغب في الإخلاص ورهب عن الرياء إن الذين يكتمون ما أنزلنا من
البينات والهدى نزلت في أحبار اليهود ولما صرفوا وبدلوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والآيات
الدالة على نبوته من بعد ما بيناه لخصناه للناس كافة بحيث لم يكن فيها اشتباه في الكتاب في التورية
لا القرآن أولئك يلعنهم الله لعنهم والمضارع للتصوير لم يدخل الفاء في أولئك ليدل على أن لعنهم
ليس لهذا السبب وحده بل لأسباب جمة ويلعنهم اللاعنون كل من يتأتى منه اللعنة من الملائكة والثقلين
إلا الذين تابوا ندموا على ما فعلوا وأصلحوا ما أفسدوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا
التواب الرحيم ۝ أي بينوا للناس ما كتموه فإنه من تمام توبتهم أو أظهروا توبتهم ليمحوا سمة الكفر
عنهم ويقتدي بهم غيرهم من أضرابهم إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار من الكاتمين وغيرهم
أو منهم على أن الموصول معهود لأن الكلام فيهم أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين
لعنهم أحياء وأمواتا وآثر في الأول المضارعية وفي الثاني الاسمية لأن أمور الدنيا على التجدد و
الآخرة على الثبوت والدوام والتي يجعل ليدل على الشمول والاستقرار خالدين فيها في اللعنة أو في
النار للدلالة السياق عليها لا يخفف عنهم العذاب تكذيب لمن يقول يعتادون بالعذاب فيهون عليهم
ولا هم ينظرون يمهلون دفع لتوهم التخفيف كما دفع في الأول كيفا أو لا ينظر إليهم تحقير لهم أو لا
ينظرون ليعتذروا وإلهكم إله واحد فرد في الألوهية وفي إعادة الله ثانيا فخامة وزيادة

وزيادة تقرير كقولك أميرنا أمير كريم لا إله إلا هو لا إله في الوجود إلا هو استئناف لتقرير الوحدانية
ودفع توهم اختصاص الوحدانية بإله المخاطبين وأوثر البدل لأنه المقصود والنسبة إليه
بعد نقض النفي وهو إثبات الرحمن الرحيم خبران آخران لإلهكم تقرير لاستحقاق العبادة بحسب
الصفات أيضا ولما سمعه المشركون قالوا هات آية تدل على دعواك فنزل قوله إن في خلق
السموات والأرض جمع السموات دون الأرض لما روي أنها مختلفة الحقائق بخلاف الأرض
واختلاف الليل والنهار تعاقبهما أو تعاكسهما طولا وقصرا والفلك التي تجري في البحر بما
ينفع الناس بالذي ينفعهم أو بنفعهم على أن ما مصدرية والفاعل ضمير البحر والجري أو الفلك لأنه
جمع وما أنزل الله من السماء من ماء من الأولى للابتداء والثانية بيان فأحيا به الأرض بعد
موتها بالنبات بعد يبسها وزوال نضارتها وبث فيها من كل دابة عطف على أنزل داخل
تحت حكم الصلة لأن أحيى متصل به داخل تحت الصلة أيضا أو عطف على أحيى مسبب عن الإنزال
لأن المطر سبب بث الدواب في الأرض من العقلاء وغيرهم لأنهم الأرزاق من النبات والأشجار
والزروع والثمار والمياه في الأنهار يبقى على المطر والأول أولى لأن إنزال الماء والبث إنما
حينئذ والتنكير مطلوب والاستغناء عن تقدير الجار والمجرور وظهور كون من بيانا وعلى
الثاني تبعيضية لأن الموجود بعض الممكن أو لأن في السماء أيضا دواب كما سيأتي في سورة الشورى
وتصريف الرياح في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفي أحوالها باردة وحارة عاصفة
ولينة تارة بالرحمة وأخرى بالعذاب والسحاب المسخر بين السماء والأرض بمحض القدرة والمشيئة
اشتقاقه من السحب لأن بعضه يجر بعضا لآيات لقوم يعقلون ينظرون بنور البصيرة في الكائنات
واستيفاء تفصيل الآيات متعذر والأمر الجلي هو أن المذكورات أمور ممكنة تحتاج في وجودها
إلى مرجح ولجب دفعا للتسلسل ودالة على وحدانيته الانتظام المستمر إذ لو كان فيهما آلهة لذهب
كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض وحديث المنطقة والدائرة والأوج والحضيض وحركة الفلك
حنو بطان عنه تفسير لحسن الحديث وإنما أطنب لأن الكلام مع المشركين عبدة الجماد ولذلك
تخصص في آل عمران لما كان المخاطب أحبار أهل الكتاب ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا
يحبونهم أمثالا في الألوهية وهي الأصنام وقيل هم الرؤساء الذين كانوا يقتدون بهم وعلى إرادتهم
لقوله إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ولا دلالة فيه لجواز أن يكونوا غيرهم ومعنى يحبونهم
أنهم يعظمونها ويظهرون طاعتها كحب الله كتعظيم الله مأخوذ من حبة القلب يقال حببته وحبيته
أو ضربته حبه فيقلب ضرب الطين على البناء والذين آمنوا أشد حبا لله لأنهم لا يعدلون عنه
بحال بخلاف المشركين عند الشدائد يعدلون صنما دائما يتركونه ويعبدون غيره كان لباهلة
صنم من حيس أكلوه في المجاعة آثر أشد حبا على أحب لشيوعه في الأشد محبوبية ولو يرى الذين ظلموا
لو يرى هؤلاء المتخذون أندادا والمظهر مع الموصول للدلالة على شدة ظلمهم في اتخاذ الأنداد
إذ يرون العذاب إذ عاينوه أجرى المستقبل مجرى الماضي لتحقق وقوعه كقوله ونادى أصحاب الجنة
وعبر عنه بالمضارع استحضارا للصورة الهائلة أن القوة لله جميعا أي القدرة لله لا تأثير لقدرة

عن مساد مسد مفعولي يرى وان الله شديد العذاب جواب لو محذوف اي لكان منهم ما لا يدخل
تحت الوصف من الندم لما يرون من فظيع العذاب في مقابلة ظلمهم الفاحش وقرء نافع وابن عامر
ولو ترى بالخطاب لرسول الله او لكل من يتأتى منه الرؤية وهذا ابلغ ولذلك اتفقوا في ولو ترى
اذ المجرمون وابن عامر يرون على بناء المفعول اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا بدل من اذ
يرون اي تبرء المتبعون من الاتباع ورأوا العذاب حال من الاتباع والمتبوعين ويجوز العطف على
تبرء وتقطعت بهم الاسباب عطف على تبرء او على راوا والواو للحال والاول احسن لظهور استعماله
في الاستعظام من جزاء يكون فيه الفعل والاسباب هي الوصل التي كانت بينهم والسبب في الاصل
هو الحبل الذي يرتقى به وقال الذين اتبعوا الاتباع لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا
لو للتمني ولذلك اجيب بالفاء وانما تمنوا الكرة الى الدنيا لان التبرء في الاخرة لا يفيد عليهم
نصر لانهم في شغل شاغل كذلك يريهم الله مثل هذه الاراءة اشارة الى المصدر الفعل اعمالهم حسرات
عليهم ثالث مفعولي اري ان كان من رؤية القلب والا فحال وهذا اظهر والمعنى ان اعمالهم
تنقلب عليهم حسرات وما هم بخارجين من النار اصله وما يخرجون والعدول للدلالة على الدوام
يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا اي بعض ما في الارض من تبعيضية في موقع المفعول
وحلالا حال ومفعول به ومن ابتدائية طيبا حاليا عن الشبهة وقيل ما استطابه الطبع السليم
ولا تتبعوا خطوات الشيطان في تحريم ما احل الله من السائبة والوصيلة والحام والخطوة بفتح
الخاء مسافة ما بين القدمين وقرأ بضم الطاء ابن عامر والكسائي والبزي وحفص وهو الاصل في
جميع الاسم والاسكان للتخفيف انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة لا شيء اجل من عداوته انما
يأمركم بالسوء والفحشاء بيان وتقرير لعداوته واستعارة الامر لتزيينه وسوسته وتسفيهه لهم
دائما الى انهم بمنزلة المأمور به في سرعة طاعتهم والسوء كل ما قبح شرعا والفحشاء ما يجاوز الحد
منه وقيل الاول ما لا حد فيه والثاني ما شرع فيه حد وقيل سيخالف ذا تاسوء لاغتمام العاقل به
وفحشاء لاستقباحه اياه وان تقولوا على الله ما لا تعلمون كاتخاذ الولد وتحريم السوائب وفيه
دليل على عدم جواز اتباع الظن ما عدا ظن المجتهد لانه مأمور باتباعه لان ظنه متوصل الى العلم
بما ظن واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله الضمير للناس التفاتا الى الغيبة للدلالة على انهم احقاء بان
يصرف الخطاب والاعراض عنهم كانه نادى العقلاء الى التعجب من ضلالهم قيل هم المشركون وقيل طائفة
من اليهود قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا وجدناهم عليه لانهم كانوا خيرا منا اولو كان اباؤهم
لا يعقلون شيئا ولا يهتدون الهمزة للانكار والواو للحال وقيل للعطف على محذوف والمعنى ايتبعونهم
ولو كان المانع قائما واورده على طريق الانفصال كانه قال قبلتم ما املوا ان هناك مانعا او لا وخرج بذلك
تقليد الانبياء المجتهدين ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء
عطف على الشرطية بتقدير ماذا تهم من التقليد ويجوز عطفه على اباؤهم والذين كفروا لفظهم في موضع
المضمر والمعنى تشبيه حال داعيهم الى الايمان بحال راعي بهائم يصوت عليها ولا يدري من صوته الا
جرس ودوي وحال المدعو بالبهائم فيقتدر مضافا ما في المشبه اي مثل داعيهم وفي المشبه به

المشبه به اي كمثل بهائم الذي ينعق فلا يحس بدون ذلك وان كان مركبا لا يلاحظ مفردات مناسبة
للطرفين ويجوز ان يراد بما لا يسمع الاصم الاصلخ ونظيرها والنعيق يؤيد الاول وقيل معناه
مثلهم في اتباع ابائهم كمثل البهائم في الجهل بحقيقة الحال لان البهائم لا تعرف ما تحت الدعاء
والنداء وقيل مثلهم في دعائهم الاصنام كمثل الناعق بالبهائم ولا حاجة الى تقدير مضاف
وفيه ان لا معنى للاستثناء لان الاصنام لا تسمع ايضا شيئا وان تجعل من التشبيه المركب
لان المذكور في الجانبين لا بد وان يكون له مدخل في انتزاع الهيئة وان لم يكن وحده ملحوظا
صم بكم عمي رفع على الذم تقريب وتوكيد لما تقدم فهم لا يعقلون لانعدام طرف الادراك
والمراد عمى القلب فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم من مستلذاته لان الحل قد علم من امر الاباحة والخلو عن الشبهة من قوله حلالا
طيبا وخص به المؤمنين لانه في معرض الامتنان واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون جعل
الشكر لازما للعبادة لانه بالجنان والاركان واللسان فلا وجود للعبادة بدونه انما
حرم عليكم الميتة خص منه السمك والجراد والدم خص منه الكبد والطحال لقوله صلى الله
عليه وسلم احلت لنا ميتتان ودمان ولحم الخنزير خصه بالذكر لانه المتعارف في الاكل
ويعلم منه حكم سائره دلالة وما اهل به لغير الله ما ذبح باسم غيره والاهلال من الهلال
وهو اول الشيء ومنه الطلاق للغرو واهل الصبي رفع صوته اول ما يولد وكانوا يرفعون اصواتهم
باسم الاصنام وانما حرم عليكم هذه المذكورات لا ما حرمتموه من السائبة والوصيلة فالقصر
اضافي لوجود محرمات اخر فمن اضطر غير باغ على مضطر اخر كسر نون من ابو عمرو وعاصم
وحمزة على الاصل في التقاء الساكنين وضمه الباقون على الاتباع ولا عاد متجاوز سد الرمق فلا
اثم عليه في تناوله ان الله غفور لفعله ذلك رحيم حيث رخص مع قيام المحرم ان الذين
يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا عوضا يسيرا اولئك ما يأكلون في
بطونهم الا النار اي الا ما يؤدي ويفضي الى النار كقوله اكلت دما ان لم ارعك بضرة وقوله
ياكلن كل ليلة اكافا او يوم القيمة لا ياكلون الا النار وجعل البطن ظرفا للاكل مبالغة كانه
قال ملاء بطونهم ولا يكلمهم الله يوم القيمة كناية عن عدم اكرامهم او عن ازلالهم والانتقام
منهم او كلاما يحبونه مجاز بجعل ما لا يحب كلا كلام لوقوع التكليم لا محالة كقوله لنسألنهم
اجمعين ولا يزكيهم ولا يثني عليهم كما اثنى على المؤمنين ولهم عذاب اليم مع ذلك الحرمان
اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى في الدنيا والعذاب بالمغفرة في الاخرة فما اصبرهم
على النار تعجب من حالهم في التلبس بموجبات النار ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اي ذلك
العذاب بسبب ان الله نزل جنس الكتاب ملتبسا بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب وهم
اهل الكتاب القائلون بحقية التورية وبطلان القران او ذلك الكفر من اليهود ولاجل اختلاف
المشركين في القران على ان الكتاب معهود لان القران هو المتبادر منه واختلافهم فيه قول بعضهم
شعر واخرين منهم سحر والمعنى لو لم يقدح قريش في القران لما جسرت اليهود على الكفر به وعلى الرجيب

الجمل حال والسببية راجعة اليها لا الى ما دخل عليه الباء لفي شقاق بعيد لان الكتب السماوية يصدق بعضها بعضا ولان اساليب القرآن تباين الشعر والسحر ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الخطاب لاهل الكتاب اذ دخلتم قصة القبلة والمعنى ليس توليتكم المشرق والمغرب من جنس البر لكونهما منسوخة او عام لهم وللمسلمين والمعنى ليس البر الكامل الذي يهتم به الخوض في شان القبلة وقرا حمزة وحفص ليس البر بالنصب على الخبرية والرفع اولى لجريه على الاصل في تقدم الاسم وقراءة علي رضي الله عنه بان تولوا ولا تفهم عليه في ليس البر بان تاتوا البيوت ولكن البر من آمن بالله بتقدير مضاف اي بر من آمن او البر بمعنى ذي البر او مجاز في الاسناد كما في قولها وانما هي اقبال وادبار وهذا اوجه وقرا نافع وابن عامر ولكن مخففا والبر مرفوعا واليوم الآخر والكتاب جنس الكتاب او القرآن كما في نزل الكتاب والنبيين كلهم وآتى المال على حبه حب المال لما روى مسلم والبخاري عن ابي هريرة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل اي الصدقة افضل قال ان تصدق وانت صحيح شحيح ترجو الغنا وتخشى الفقر او حب الله او الايتاء والجار والمجرور حال على الوجوه ذوي القربى قدمهم لان ايتاءهم صدقة وصلة واليتامى والمساكين جمع مسكين اي دائم السكون اسكنه الفقر كالمسكير في دائم السكر وابن السبيل المسافر المحتاج الذي لا يجد ما يبلغه الوطن والاضافة للملابسة والسائلين وان كانوا اغنياء لما روى ابو داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للسائل حق وان جاء على فرس وفي الرقاب المكاتبين او الاسرى واقام الصلوة وآتى الزكوة المفروضتين والاول في التطوع والحث على نوافل الصدقات او في المال حق سوى الزكوة لما روى ابن ماجه والترمذي عن فاطمة بنت قيس انها سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل في المال حق سوى الزكوة فتلاها وحمل قوله نسخت الزكوة كل صدقة على الواجب المتقدم وقيل الاول لبيان مصارف الزكاة وفيه بعد لان تقييد ذوي القربى واليتامى بالمحاويج والسائلين بالفقراء ونقص بعض والموفون بعهدهم اذا عاهدوا مع الخالق والخلق والصابرين في البأساء والضراء في اموالهم وانفسهم اخرج من بين الصفات نصبا على المدح اظهارا لفضل الصبر على الشدائد وحين البأس وقت التحام القتال اولئك الذين صدقوا في دعوى الايمان لاتصافهم باصوله وفروعه وتخلقهم بجل العقائد والاعمال ظاهرا او باطنا واولئك هم المتقون الكفر والمعاصي وفيه تعريض باهل الكتاب بانهم الذين كذبوا واولئك هم الفاسقون يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى روى البخاري والنسائي انه في بني اسرائيل كان القصاص دون الدية فنزلت وعن ابن جبير والشعبي كان بين الحيين من احياء العرب في الجاهلية قتال ولاحدهما طول على الاخرى فحلفوا ان يقتلوا بالعبد منهم الحر وبالانثى الذكر فنزلت ولا مفهوم للآية عند القائل به لان شرطه ان لا يظهر للقيد فائدة وسبب نزوله قد كشف عن الفائدة ولانه يلزم ان لا يقتل الذكر بالانثى بالعكس ولم يقولوا به واستدلال من لم يقتل الحر بالعبد بالقياس على الاطراف فانه مجمع عليه

مجمع عليه ولان العبد مال فلا يساوي المالك والقصاص يقتضي ذلك لانه من قفى الاثر اذا تتبعه وعلى عدم قتل المؤمن بالكافر بحديث رواه البخاري عن علي بن ابي طالب رضي الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقتل مسلم بكافر وما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل يوم خيبر مسلما بكافر لم يصح سنده ولم يروه الا ابراهيم بن يحيى وهو كذاب وآية المائدة لا دلالة فيها لا لانها حكاية ما في التورية بل لان الحكم مقيد بهم لقوله وكتبنا عليهم فيها كما اذا قلت يجب على بني هاشم ان لا ياخذوا من الزكاة فلا يتناول غيرهم فمن عفي له من اخيه شيء من العفو اي شيء يسير فانه كاف لسقوط القصاص في موضع المصدر الموصوف كضرب ضرب شديد وليس بمفعول به لان عفى لا يتعدى اليه صريحا بل يتعدى بعن اما الى الجاني كقولك عفوت عن فلان او الى الجناية كقولك عفوت عن ذنبه واذا ذكر الجاني والجناية فذكر الجاني باللام يقال عفا الله لزيد عن ذنبه والجناية هنا في حكم المذكور لسبق العلم بها فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان اي فليكن اتباع او فالامر اتباع توصية للعافي والمعفو عنه بان لا يطالب ولي المقتول القاتل بعنف وان يؤدي القاتل اليه الدية بلا مطل وتسويف وسمي ولي المقتول اخا القاتل ترفيقا له وتذكيرا باخوة الاسلام ذلك المذكور من الحكم تخفيف من ربكم عما كان في التورية من وجوب القصاص البتة ورحمة في شرعية القصاص والدية حيث لم يجب العفو كما في الانجيل وقيل كان في التورية القصاص والعفو والدية وعند الشافعي رحمه الله يخير الولي بين الثلثة وعند ابي حنيفة رحمه الله الواجب القصاص والدية بدل لا يكون الا برضاء القاتل ولفظ كتب وعفا صريحان فيما ذهب اليه وعن مالك اذا عفى الولي عن القصاص والدية يضرب القاتل مائة ويحبس سنة فمن اعتدى بعد ذلك بقتل الجاني وغيره وكما كان في الجاهلية فله عذاب اليم شديد الالم وعن قتادة يقتل لا محالة لما روى احمد عن سمرة عنه صلى الله عليه وسلم لا اعافي احدا قتل بعد الدية ولكم في القصاص حيوة الظرفان خبران او الثاني خبر والاول حال والمعنى لكم في مشروعية القصاص حيوة عظيمة لما كانوا في الجاهلية يقتلون جماعة لواحد ولان القاتل اذا علم انه يقتل يرتدع فيسلم هو وصاحبه وهذا كلام في اقصى البلاغة لان قول العرب القتل انفى للقتل في معناه كان ابلغ كلام عندهم وقد فاقه ما في التنزيل بقلة حروفه والنص على المطلوب وهو الحيوة والتنكير الدال على التعظيم ولا اطراده دونه لان القتل ظلما ادعى للقتل وخلوه عن التكرار واستغنائه عن التقدير بخلافه اذ المعنى انفى من تركه وبالطباق وكون الشيء ظرفا لضده والخلو عن توالي الاسباب الخفيفة المخلة بسلاسة الكلام والتقديم الدال على الحصر يا اولي الالباب لعلكم تتقون التجاوز عن القصاص وعبر عن العقول بالالباب اشارة الى ان من عقل لكانه مرفوع خال كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت اماراته واسبابه ان ترك خيرا مالا والتعبير عنه بالخير اشارة الى ان فائدة المال ان يتوسل به الى الخير وعن علي وعائشة رضي الله عنهما هو المال الكثير الوصية للوالدين والاقربين مرفوع بكتب وانما حسن تذكير الفعل للفصل وهذا

فلا حاجة الى تاويل الوصية بالايصاء والعامل في اذا كتب لا الوصية لضعف المصدر المعرف
ولتقدمها عليه وكانت الوصية للوالدين والاقربين واجبة بهذه الاية من تقدير الانصباء فنسخت
باية المواريث وهي قوله يوصيكم الله في اولادكم و قوله صلى الله عليه ان الله قد اعطى كل
ذي حق حقه الا لا وصية للوارث المراد بها الزيادة على نصيبه فان لفظ الوصية في عرف
الشرع يطلق على جميع الاوامر والنواهي والمواعظ وتخصيص بالتبرع المضاف الى ما بعد الموت
عرف طار فظهر ان لا نسخ في الاية ولا تعارض بينها وبين اية المواريث بالمعروف بالعدل لا يفضل
احدهما على الاخر اذا كانا في طبقة وتفسيره بان لا يتجاوز عن الثلث لا معنى له لكون ذلك في الاجانب
كيف واية المواريث بيان لها حقا على المتقين فيه تعريض بهم لانهم المتقاعدون به فمن بدله غيره من
الاوصياء والشهود بعدما سمعه وتحقق عنده فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء المبدل
الا على المبدل لا على الموصي والموصى له وجمع الضمير بعد الافراد بالنظر الى المعنى ان الله سميع عليم
يسمع ما يقوله المبدل عليم بتبديله فمن خاف من موص جنفا توقع وظن ميلا منه على سبيل الخطاء
او اثما تعمدا للحيف فاصلح بينهم بين الموصى لهم بان اجراهم على قانون الشرع فلا اثم عليه لانه
يسعى في اظهار الحق وتبديل الباطل وقرء ابو بكر وحمزة والكسائي موص بالتشديد ان الله غفور
لما فرط من الموصي خطاء رحيم بان شرع تدارك ذلك باصلاح المبدل يا ايها الذين امنوا
كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم من الانبياء والامم فانا قبل من ادم فالتشبيه
في مجرد الفرضية او ثلثين يوما كما رواه الحسن في الكمية وانما زادت النصارى عشرين يوما لما
وقع فيهم وقيل وقع في الحر اخروه الى الشتاء وزادوا فيه او في حرمة التناول بعد العشاء رواه
ابن عمر ثم نسخ بقوله احل لكم ليلة الصيام الرفث وانما عبر بالكتابة عن الفرض مبالغة في الالزام
لعلكم تتقون ببركته فانه ينور القلب اذ لا يسع فيه الرياء او تجتنبون المعاصي فانه يكسر القوة
الشهوية وقد روى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معشر
الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه
بالصوم فانه له وجاء او لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين وتدرعون في لباسهم وتبرزون في
شعارهم اياما معدودات معلوما عددها او قلائل لعدم العد في الكثير بل يهال هيلا و
في التعبير به دون شهر كامل تهوين وتيسير على التابع روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كان يصوم عاشوراء فلما نزلت قال من شاء صام
ومن شاء افطر وانتصابها بالصيام لجواز عمل المصدر في الظرف مع الفاصل وان لم يجز في غيره
فمن كان منكم مريضا مرضا يشق معه الصوم لقوله يريد الله بكم اليسر او على سفر مستعليا عليه
فلا يجوز الافطار يوم انشاء السفر ولذلك اثر على والمراد به سفر يقصر فيه الصلوة حملا للفظ
الى الكامل وهو الذي يقع فيه المشقة غالبا وقيد الشافعي رحمه الله بان لا يكون سفر معصية
لان الرخصة لا تناط بالمعصية فعدة من ايام اخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين
كان اول ما فرض الصوم قبل ان يعتادوه به من شاء صام ومن شاء افطر وفدى حتى نسخ بقوله فمن شهد

فمن شهد منكم الشهر فليصمه وعن ابن عباس رضي الله عنه الاية في الحامل والمرضع والشيوخ الهرمى ومعنى يطيقونه
يجهدونه وينالهم فيه مشقة فالاية محكمة وتؤيد الاول كلمة على اذ على ما ذهب اليه كان اللازم
هو الظاهر وقوله وان تصوموا خير ورواية البخاري تجري في الابتداء والفدية نصف صاع
من بر او صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز وقرء فدية بالاضافة نافع
وابن ذكوان والباقون منونا ورفع طعام بدلا منه ونافع وابن عامر مساكين مجموعا بالنون
مراعاة للذين فمن تطوع خيرا زاد في الفدية فهو خير له من الاقتصار على الواجب وان تصوموا
خير لكم من الافطار والفدا لمزية العزيمة على الرخصة وجعل الخطاب للرخص مطلقا لتدخل
فيه المريض والمسافر يرده ان المريض والمسافر اذا افطرا لا خير في صومهما وناهيك قوله
صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام في السفر ولذا ذهب ابو هريرة رضي الله عنها الى وجوب
الافطار ان كنتم تعلمون خيرية الصوم وانما ازدادت والخيرية معلومة لميل النفوس الى الافطار
وجواب الشرط محذوف اي اخترتموه دل عليه ما قبله شهر رمضان فعلان من رمض احترق
من الرمضاء كانهم سموه بذلك لاحتراقهم من شدة الجوع او لانهم لما نقلوا اسماء الشهور من
اللغة القديمة سموها باسماء الازمنة الواقعة فيها فوافق هذا زمن الحر والعلم هو المجموع
ومنع صرفه احد جزئي العلم لان الغالب في الكنى الاضافة الى الاعلام فاجروا غيرها مجريها
الا يرى الى عدم جواز اللام في ابي تراب وابن داية ووجوبه في امرء القيس وجوازه في العباس
والحسن كل ذلك نظرا الى انه لا يتغير عن حاله كالعلم وعن مجاهد رمضان من اسماء الله واما
قوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه فمن باب
واسئل القرية لامن الالتباس وارتفاعه على انه خبر مبتداء او مبتداء خبره ما بعده وقيل بدل
اشتمال وان قدر مضاف فبدل كل من الصيام وفيه بعد لكثرة الفاصلة الذي انزل فيه
القرآن في ليلة القدر منه لقوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر نزل جملة الى بيت العزة في
سماء الدنيا وفي مواقع النجوم بحسب الوقائع نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلث وعشرين
سنة روى الامام احمد عن واثلة ان صحف ابراهيم انزلت في اول ليلة من رمضان والزبور في
الثانية عشرة والقرآن في الرابعة والعشرين وبه استدل طائفة على ان ليلة القدر ليلة
اربع وعشرين من رمضان وقرء ابن كثير بنقل حركة الهمزة الى ما قبله وابدالها حيث وقع
معرفا ومنكرا هدى للناس هاديا لهم الى الحق وبينات من الهدى صفة بينات اي بينات
من جنس ما يهديهم والفرقان ومن جنس ما يفرق به بين الحق والباطل عطف على هدى وجمع بينات
لان جميع الاحكام البالغة فمن شهد منكم الشهر فليصمه من شهدت الجمعة ادركتها ويخرج المريض
والمسافر بقوله ومن كان مريضا او على سفر وقيل الشهود بمعنى الحضور والاقامة وانتصاب الشهر
على الظرف فيخرج منه المسافر والمريض خارج من قاعدة عدم الحرج لقوله وما جعل عليكم في
الدين من حرج وذكرهما بعده ليرتب عليه القضاء بقوله فعدة من ايام اخر اي فعليه عدد ايام
افطر فيها لا يلاحظ فيها الطول والقصر ولا الموالاة والمواصلة يريد الله بكم اليسر ولا يريد

بكم العسر الحرج في الدين ولذلك رخص لكم ما رخص من افطار المريض والمسافر واكتفى بالعدة من غير مطابقة
في الوقت والكيف ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون الفعل المعلل
محذوف مدلول عليه بما سبق اي وشرع جملة ما ذكر من الامر بمراعاة العدة في الاداء والقضاء ومن
الترخيص في اباحة الفطر فقوله لتكملوا العدة علة للامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة للعلم بالقضاء
والخروج عن عهدة الفطر وقرء ابو بكر لتكملوا بالتشديد الميم ولعلكم تشكرون علة التيسير و
هذا نوع من اللف والنشر بديع قليل الوقوع نظيره ان يقول ضربت زيدا واعطيت عمرا وخرجت
من البلد للتأديب والاكرام ويحتمل النشر فعلت ويجوز العطف على علة مقدرة مثل ليسهل
عليكم او لتعلموا ما تعملون وان يعطف على اليسر كقوله يريدون ليطفؤا نور الله فاللام لتأكيد
معنى الارادة والاول اوجه لذلك اللف البديع ولما في الثاني من كثرة الحذف وانما عدى التكبير
بعلى لتضمين معنى الحمد او لتكبروه حامدين والمراد تعظيم الله وقيل تكبير العيد يوم الفطر وقيل
التكبير عند رؤية الهلال فيفوت ذلك اللف مع انه تقييد بلا دليل وإذا سألك عبادي عني
فاني قريب تمثيل لحاله بحال من قرب لاحاطة علمه بالاقوال والاحوال والافعال روي ابن عباس
ان اعرابيا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ربنا اقريب فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت
وعن الحسن سال الصحابة رضي الله عنهم اين ربنا والآية سيقت اعتراضا بين احكام الصوم تأكيدا لكم
من امر الصوم دلالة على ان الذي هنا شانه حقيق بالاجابة اجيب دعوة الداع اذا دعان
صفة قريب او خبر بعد خبر فليستجيبوا لي بالايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعوني وليؤمنوا بي
بعد الاستجابة او ليدوموا على الايمان او جعلت نفس الايمان لعلهم يرشدون راجين الرشد
وهو اصابة الحق احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روى البخاري عن البراء قال لما نزل صوم رمضان
كانوا لا يقربون النساء في رمضان كله وكان رجال يخونون انفسهم وعن ابن عباس رضي الله عنه كان حل الاكل و
الشرب والوقاع الى العشاء ثم ان ناسا اصابوا من الطعام والنساء بعد العشاء منهم عمر بن الخطاب
فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وزعموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر لم تكن
خليقا بذلك يا عمر فنزلت والرفث الفحش في القول وفي الفعل هنا مرافقة لا مشافهة كني به عن الجماع
لانه قلما يخلو عن ذلك مطايبة بين الزوجين وعدى بالى لتضمين معنى الافضاء ولم يكن به وبأمثاله
من المباشرة والمس واللمس لسوق الكلام معهم في معرض العتاب لوقوعهم في المحظور قبل الاباحة هن
لباس لكم وانتم لباس لهن استيناف لبيان موجب الحلول او شدة الاختلاط وجالبه المواقعة تشبه
كل منهما بالباس لصاحبه لاشتمال كل منهما على الآخر لدى الاعتناق ولان كلا منهما يستر الآخر من الفجور
والكلام من التشبيه البليغ لا الاستعارة علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم تعبيرها بالعقاب بالاختيان
ابلغ من الخيانة لدلالته على ثقل كالاكتساب والكسب فتاب عليكم قبل توبتكم وعفا عنكم ما وقع منكم تبرعا
باعلم ضمنا لان التوبة يجب ما قبلها فالآن باشروهن فان قلت اي فائدة في هذا الامر بعد قوله احل لكم
ليلة الصيام الرفث قلت فائدته دفع توهم احد ولاما وقع منهم كما تقول لمن اكل مال الا احللته لك
وليعطف عليه قوله وابتغوا ما كتب الله لكم من الولد لا قضاء الوطر لان الحكمة في ابداع الشهوة والنكاح

في الذكر والانثى هو ذلك وفيه توبيخ لهم حيث وقعوا فيما وقعوا فيه لقضاء الشهوة وقيل نهي
عن العزل لان الامر بطلب النسل نهي عن ضده وقيل اطلبوا المأتى والمحل الحلال لا الحرام وكلاهما
بعيد عن المقام وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر روى مسلم
والبخاري رحمهما الله عن سهل بن سعد رضي الله عنه ان الآية نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا
ارادوا الصوم ربط احدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال ياكل ويشرب
الى ان يتبين له فنزل من الفجر فعلموا انما المراد بهما الليل والنهار وليس فيه تأخير البيان عن
وقت الحاجة لان الصوم محله النهار فذكر الخيطين لبياض الصبح وسواد الليل كان ظاهرا
من دلالة الحال غايته انه التبس على الاوساط دون ذوي البصائر وقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم لعدي بن حاتم لما حمل الخيطين على الحقيقة انك لعريض الوسادة شاهد صدق
ودليل ظاهر له حيث غفل عن المراد مع وضوحه ثم اذيح الاشتباه بزيادة البيان وفي
الآية دلالة على جواز صوم من اصبح جنبا كما صرح به حديث عائشة رضي الله عنها كان يصبح
رسول الله صائما وهو جنب ثم اتموا الصيام الى الليل بيان لانتهائه بعد بيان ابتدائه ولا دلالة
فيه على جواز النية بالنهار ولا على وجوبه بالليل واستدل الشافعي رحمه الله على تبييته
بالليل في الفرض بقوله صلى الله عليه وسلم لا صيام لمن لم يعزم الصيام بالليل ولا على حرمة
صوم الوصال اذ لا يلزم من بيان وقت الافطار عدم جواز المواصلة بل الوصال انما حرم
بقوله لا تواصلوا على ما رواه البخاري وغيره ولا تباشروهن لا تجامعوهن بدليل قوله فالآن
باشروهن وانتم عاكفون في المساجد معتكفون الاعتكاف هو اللبث في المسجد بقصد القربة
وفي الآية دلالة على اختصاصه بالمسجد اي مسجد كان اما الاول فلان المباشرة حرام في الاعتكاف
اجماعا فلو لم يكن المسجد قيدا لكان المراد بيان حرمته في المسجد واما الثاني فلعدم الجمع
وعن الزهري وابن المنذر يختص بالجامع وعن سعيد بن المسيب بالمساجد الثلاثة مسجد رسول الله
والمسجد الحرام والمسجد الاقصى لقوله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد و
خصه ابو حنيفة رحمه الله بمسجد يصلى فيها الخمس جماعة وله امام ومؤذن معلوم تلك حدود الله
اي الاحكام المذكورة ذوات حدود فلا تقربوها اي حدودها فضلا عن تجاوزها فهو ابلغ
من قوله فلا تعتدوها روى البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اتقى الشبهات
استبرأ لدينه ومن رتع حول الحمى يوشك ان يواقعه كذلك يبين الله آياته للناس مثل هذا
التبيين الواضح يبين سائر دلائل احكامه لعلهم يتقون مخالفة اوامره ولا تأكلوا اموالكم
بينكم بالباطل لا ياكل كل منكم مال الآخر بوجه غير مشروع وتدلوا بها الى الحكام عطف على
النهي او منصوب باضمار ان ولا يلزم تقييد الحرمة بالاجماع والادلاء الالقاء والدلو في البئر
يجوز به عن الالقاء والمراد القاء شانها وحكومتها او القاء بعضها اليهم رشوة لتأكلوا فريقا
من اموال الناس بالاثم بشهادة الزور واليمين الكاذبة وجور الحاكم روى البخاري ومسلم
عن ام سلمة رضي الله عنها ان رسول الله قال وانما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم يكون

الحق بحجته فاقضي له على نحو ما اسمع فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقضي له بقطعة من النار وانتم تعلمون انكم مبطلون فان قبح المعصية مع العلم اشد يسألونك عن الاهلة السائل معاذ وثعلبة بن غنم الانصاري قالا ما بال الهلال يبدو دقيقا ثم يزيد حتى يمتلئ ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا قل هي مواقيت للناس والحج يوقتون بها امور معاشهم لاسيما الحج فانه يحتاج الى الوقت المعين اداء وقضاء وقيل الجواب من الاسلوب الحكيم لانهم سألوا عن السبب والفاعل فاجيبوا بالغاية والحكمة وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى لما اجيبوا عن سؤال الاهلة ببيان الحكم كانه قال لهم دعوا السؤال عن الحكمة في افعاله فانها لا تخلو عن حكم ومصالح وانظروا فيما تفعلونه انتم وليس من البر في شيء روى البخاري عن البراء كانوا في الجاهلية اذا احرموا اتوا البيوت من ظهورها وعن جابر كانت الانصار تفعله دون قريش وقيل استطراد لانهم كانوا يفعلونه في الحج وقيل تمثيل لتعكيسهم في السؤال بمن يدخل البيت من غير بابه والاول هو الوجه الحديث ويدل على هذا اشارة واتوا البيوت من ابوابها عطف على مقدر اي انظروا واتوا او قل هي مواقيت وقل ليس البر قل واتوا البيوت وقرا ابو عمرو وحفص وورش بكسر باء البيوت وبالضم على الاصل واتقوا الله في التجاوز عن احكامه لعلكم تفلحون حال كونكم راجين للفلاح وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم يناجزونكم القتال ويبارزون دون المحاجزين نسخت بقوله وقاتلوا المشركين كافة او من له قدرة دون المشايخ والصبيان او من بصدد قتالكم او في الحرم والاشهر الحرم لما خاف المسلمون عام الحديبية حين شرط المشركون ان يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في العام القابل ان لا يفوا بالشرط وعن ابي العالية اول اية نزلت في القتال بالمدينة وعن الصديق اول اية نزلت فيه بعد الهجرة اذن للذين يقاتلون ولا تعتدوا يعم كل اعتداء من قتل النساء والصبيان والرهبان والمثلة ان الله لا يحب المعتدين لا يريد بهم خيرا واقتلوهم حيث ثقفتموهم وجدتموهم من الثقف وهو الادراك ومنه غلام ثقف اي سريع خفيف الحركة واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة بمن لم يسلم واوصى باخراج المشركين من جزيرة العرب والفتنة اشد من القتل اي اخراجهم اياكم من الوطن اشد من قتلكم اياهم على ان اللوم للعهد او اخراجكم اياهم اشق عليهم من قتلهم فيكون حثا على اخراجهم او عذاب الاخرة بعد القتل اشد كقوله ولعذاب الاخرة اشق ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه تكريما للبلد الحرام فان قاتلوكم فاقتلوهم فالاثم عليهم اذ فاقتلوهم يدل على اباحة القتال بالاولى وقرا حمزة والكسائي الافعال الثلاثة بالقصر والمداولة لان القتال مقدمة القتل فاذا لم يحل فالقتل كذلك جزاء الكافرين الذين كفروا بما اوجب الله من حرمة الحرم فان انتهوا عن القتال والكفر فان الله غفور رحيم يقبل توبتهم ويرحمهم وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة شرك لقوله ويكون الدين لله فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين كناية اي لا ظلم على المنتهين او لا ظلم الا على الظالمين على طريق المشاكلة

المشاكلة او لا عدوان الا عليكم لو ظلمتموهم بعد الانتهاء بان تسلط الله عليكم من ينتقم منكم على سواء فهو مظهر موضع المضمر مع المشاكلة الشهر الحرام بالشهر الحرام نزلت بعد الحديبية لما هم رسول الله واصحابه الى قضاء العمرة فخاف اصحابه ان يمنعوا دخول مكة كما منعوا في العام الماضي وكان ذلك في ذي القعدة فاباح الله لهم القتال كما فعل المشركون فانهم رموا بالحجارة والسهام في الحديبية وقيل نزلت لما حاصر الطائف ودخل ذو القعدة والحرمات قصاص الحرمة ما يحافظ عليه عرضا كان او مالا والمراد منها ما يجوز القصاص فيه فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ذكر الاعتداء ثانيا مشاكلة كقوله وجزاء سيئة سيئة واتقوا الله في رعاية المماثلة واعلموا ان الله مع المتقين كلاءة ونصرا في الدنيا ورحمة في الاخرة وانفقوا في سبيل الله تتمة لامر القتال لانه بالمال والرجال ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة لا تجعلوا ايديكم ملقاة الى الهلاك او انفسكم بالكف عن القتال على ما روى الترمذي وابو داود عن ابي ايوب الانصاري انه قال فينا نزلت معشر الانصار لما وضع الحرب اوزارها رجعنا الى اموالنا فكانت التهلكة ترك القتال وروى البخاري عن حذيفة نزلت في الامساك عن النفقة في سبيل الله وعن الحسن في البخل وعن زيد بن اسلم في اناس كانوا يغزون بغير نفقة وكانوا كلا على الناس والتهلكة مصدر على ان اللام مكسورة ضمت كالجوار في الجوار واحسنوا ان الله يحب المحسنين ولا سيما على من حث الله واتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما كاملين بمناسكهما والامر بالاتمام امر بالاداء وعلى صفة التمام لا بالوصف وحده فيدل على وجوب العمرة كالحج وما روى احمد والترمذي عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن العمرة اواجبة هي فقال لا معارض برواية عن ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تابعوا بين الحج والعمرة وقول عمر لمن قال وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي هديت لسنة نبيك تقرير لفرضيتهما وعن علي رضي الله عنه اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك وعن الثوري من الميقات وعن عمر رضي الله عنه افراد كل منهما بسفر لله خالصا لوجه الله فان احصرتم منعتم يقال حصره واحصره اذا منعه مثل حبسه واحبسه فيتناول باطلاقه كل منع وعليه ابو حنيفة رحمه الله والحكم وخصه مالك والشافعي رحمهما الله بالعدو لما روى البخاري ومسلم والنسائي عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لضباعة بنت الزبير حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني لما شكت المرض ولو كان المرض حصرا لم يحتج الى الاشتراط وما رواه احمد والترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كسر او عرج فقد حل لو صح لم يعارض ما رووه ويؤيده تقييد ابن عباس رضي الله عنه بالعدو وهو العمدة في مدارك التنزيل فما استيسر من الهدي اي فعليكم ما تيسر من الازواج الثمانية الابل والبقر والضان والمعز والهدي جمع هدية كجدي وجدية ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله اي لا تحلوا حتى يبلغ الهدي الذي بعثتموه الحرم فانه محل النحر وهذا ظاهر على مذهب ابي حنيفة وحمله الشافعي رحمه الله على موضع الاحصار لانه

المكان الذي عينه الشارع لما روى البخاري ان رسول الله نحر الهدي عام الحديبية خارج الحرم
فمن كان منكم مريضا مرضا يحوجه الى الحلق او به اذى من رأسه جراحة او قمل ففدية
من صيام او صدقة او نسك وقد بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري عن
كعب بن عجرة قال رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهي فقال ما كنت
ارى ان الجهد بلغ بك هذا اما تجد شاة قلت لا قال صم ثلثة ايام او اطعم ستة مساكين
لكل واحد نصف صاع من طعام فاذا امنتم او احصار او كنتم في سعة فمن تمتع بالعمرة الى
الحج بان نوى العمرة قبل الحج فانه يتمتع بما حرم عليه بعد اعمال العمرة فما استيسر من الهدي
جبرانا لاستمتاعه فلا يأكل منه وعن ابي حنيفة رحمه الله هو كالاضحية فمن لم يجد فصيام
ثلثة ايام فعليه صيام ثلثة ايام في الحج في ايام الاشتغال بالحج وعن ابي حنيفة رحمه الله
في اشهر الحج والافضل اليوم السابع والثامن والتاسع والاكثر ون ان لا صوم في التشريق
وسبعة اذا رجعتم الى الوطن وعن ابي حنيفة رحمه الله اذا رجعتم من عرفات تلك عشرة
على نمط فذلكة الحساب الاجمال بعد التفصيل فائدة للعلمين ودفعا لوهم ان يكون الواو
بمعنى او والفاصلة وان يكون السبعة اطلقت على الكثرة لا العدد المخصوص كاملة دفع لوهم
المجاز واشارة الى انها وان كانت عند الحساب عددا ناقصا فهي كاملة في الثواب وقيامها مقام الهدي
ذلك الحكم المذكور لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام لا شيء على المتمتع ان كان مقيما بمكة او فيما دون
مسافة القصر منها وعند ابي حنيفة رحمه الله ذلك مشار به الى التمتع ولا متعة ولا قران للمقيم
يؤيد ما ذهب اليه ان الكلام مسوق له وذكر الفدية بالعرض واتقوا الله في مخالفة الامر
واعلموا ان الله شديد العقاب استيناف للحث على التقوى الحج اشهر معلومات معروفات
في الجاهلية والاسلام والمراد وقت الاحرام به وهي شوال وذو القعدة وتسعة ايام
مع ليلة النحر عند الشافعي رحمه الله وعند ابي حنيفة رحمه الله مع يوم النحر وفائدته وقوع
طواف الركن في وقته والا فالحج قد فات بفوات الوقوف يوم عرفة واطلاق الاشهر على
الشهرين والعشر تجوز اما لعلاقة الاجتماع فيما فوق الواحد واما لتنزيل بعض الثالث منزلة
كله لا نافية بوقوع افعال الحج فيه فمن فرض فيهن الحج بالنية عند الشافعي رحمه الله والتلبية
وتقليد الهدي عند ابي حنيفة رحمه الله فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج عن ابن عباس رضي الله عنه
الرفث الجماع ومقدماته والفسوق السيئات والجدال المراء مع صاحبك بحيث تغضبه فالنفي
في الثلثة بمعنى النهي مبالغة وقيل الاولان نهي والثالث نفي على ظاهره والمعنى لا ترفثوا ولا
تفسقوا وقد ارتفع الاختلاف في الحج بتعيين وقته وموقفه ورفع ما كان عليه المشركون
من التقديم والتأخير كانوا يؤخرون الحج كل عامين من شهر الى آخر فيكون العام الاول ثلثة
عشر شهرا والثاني اثني عشر وكذا الثالث مع الرابع فكل سنتين عنه ما خمسة وعشرون شهرا
فيستدير حجهم في كل خمس وعشرين سنة والسنة التي حج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وافق حسابهم ذا الحجة وكان قريش تقف بمزدلفة وسائر الناس بعرفات فارتفع ذلك الخلاف

الخلاف ايضا وقرء ابن كثير وابو عمرو برفع الاولين على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق او
على ان لا بمعنى ليس بحصر الكف عنهما مطلقا وهذا يؤيد الوجه الثاني في معنى الجدال وكذا
ما رواه البخاري من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه وما تفعلوا من خير
قليلا كان او كثيرا يعلمه الله فيجازي عليه وتزودوا روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه
ان اناسا من اليمن كانوا يحجون من غير زاد زعما منهم انهم متوكلون ويكونون كلا على
الناس فامروا بالتزود فان خير الزاد التقوى عن سؤال الناس والثقل عليهم وفيه اشارة
الى ان زاد سفر الآخرة نوع آخر ليس من الاكل والشارب بل هو التقوى واتقون يا اولي
الالباب حثهم على التقوى اولا واكده ثانيا بان يكون المقصود بها هو الله وسماهم اولي
الالباب تنشيطا لهم ولان تقوى الله وخشيته نتيجة اللب ليس عليكم جناح ان
تبتغوا فضلا من ربكم روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ان مجنة وذا المجاز وعكاظ
كانت اسواقهم في الجاهلية فلما جاء الاسلام ما تحرجوا في القيام بها للتجارة فنزلت وسماه
فضلا اذ لا وجوب عليه فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام الافاضة
الدفع بالكثرة مستعار من افاضة الماء والمفعول محذوف اي انفسكم وعرفات علم لتلك
البقعة جمع لا واحد له كاذرعات وتنوينه للمقابلة غير منصرف للعلمية والتأنيث وقيل منصرف
لو كان هذه التاء لبست للتأنيث واختصاصها بالتأنيث يمنع تقدير تاء اخرى والحق منع صرفه
ان اعتبرت البقعة والمعرف ان اعتبر المكان وانما سمي به اما لان آدم وحوا التقيا فيه
فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه او لان جبرائيل عرف ابراهيم المناسك فلما اتى الجبل
قال عرفت وفي الآية دليل على وجوب الوقوف بعرفات لان اذا تدل على القطع كانه قال
الافاضة واجبة عليكم فاذا اتيتم بها فاذكروا الله عند المشعر الحرام وهذا يقتضي سابقة
استقرار بعرفات ليكون ابتداؤها منها واتى به قوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة والمشعر
الحرام جبل قزح وبه بناء معروف والمزدلفة كلها موقف الدعاء الآن القريب
موقوف الامام افضل كالوقوف بموقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصخرات بعرفات
والمشعر من الشعور لانه معلم للعبادة واذكروه كما هديكم او ذكرا بسبب هدايته لكم في الكمال
وما مصدرية او كافة وان كنتم من قبله لمن الضالين عن طريق الحق ثم افيضوا من حيث
افاض الناس عطف على الامر بالذكر والذكر بعد الافاضة لا محالة فثم للتراخي رتبة كانت
قريش تقف بمزدلفة ولا تقف بعرفات مع سائر الناس جهارا لانهم سكان الحرم لا يخرجون
الى الحل فامروا بالوقوف بعرفات وان يفيضوا من حيث افاض الناس او امر الناس بالافاضة
بعد المعشر الى منى فاللام في الناس للعهد وهم قريش لانهم كانوا يفيضون منه وقرأ الناس
بكسر السين والمراد آدم عليه السلام واستغفروا الله في تلك الاماكن والازمان ان الله
غفور يغفر ذنوبكم رحيم يثيبكم بعد العفو فاذا قضيتم مناسككم اعمال الحج فاذكروا الله
كذكركم آباءكم كانوا في الجاهلية بعد قضاء المناسك يتناشدون ويتفاخرون بانسابهم ومآثرهم

بترك ذلك والاشتغال بذكر الله او كذكركم اباءكم اذ كنتم اطفالا لا تعرفون غيرهم فالمقصود
التوجه الى جناب قدسه بالذ اللغات اليه عنده اَوْ اَشَدَّ ذِكْرًا بل كونوا اشد ذكرا او عطف
على ذكركم بتقدير مضاف اى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا لاباءهم او على اباءكم على ان المصدر
بمعنى المفعول اى كذكركم شيئا اشد مذكورية من اباءكم او على ذكر بطريق المجاز بجعل الذكر
ذاكرا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ تفصيل للذاكرين بيان تفاوت هممهم واحوالهم رَبَّنَا آتِنَا فِي
الدُّنْيَا اى عجل لنا حظنا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ لعدم جعله الدنيا وسيلة للاخرة بل
قصر نظره عليها والخلاق النصيب لانه حظ الانسان مخلوق له او من فلان خليق بكذا لجدير
لا يق واصل الخلاقة الملاسة يقال للرنعاء الخلقاء وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً
نصيبا بجعله وسيلة للاخرة ولذلك سماه حسنة وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً نعيما وَقِنَا
عَذَابَ النَّارِ اى عذاب الاخرة لانه اعظم انواعه وقد دخل في الحسنتين خير الدارين روى
مسلم عن انس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اتاكم الله الحسنة في
الدنيا والاخرة ووقاكم عذاب النار فقد اتاكم الخير كله أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا
اى لهم نصيب وافر من جنس ما نالوا من الحسنة من ابتدائية او تبعيضية لان الحسنتين ناشئتان
من مطلق الحسنة ونوعان منه وسمى الدعاء كسبا لانه مخ العبادة او لاجل ما كسبوا والتعليل
لا ينافي الابتداء وقيل اولئك اشارة الى الفريقين وفيه ان امر الكافر قد ختم بقوله
ما له في الاخرة من خلاق وليس ما رزق في الدنيا من نصيب لاجل كفره ولا من جنسه وَاللَّهُ
سَرِيعُ الْحِسَابِ عن قريب يحاسبكم فبادروا او سريع حسابه يحاسب الخلق في مقدار حلب
شاة وروى في مقدار فواق ناقة عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وفي لمحة طرف لا يشغله
شان عن شان وعد ووعيد وحسن موقعه بعد ذكر المناسك الكثيرة وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ
مَعْدُودَاتٍ عن ابن عباس رضي الله عنه الايام المعلومات عشر ذي الحجة والمعدودات
ايام التشريق والذكر التكبير عند الجمار وادبار الصلوات فَمَنْ تَعَجَّلَ تعجل واستعجل بطاوع
لعجل وجاء متعديين اى تعجل الذهاب والاولى وفق بقوله فِي يَوْمَيْنِ في ثاني ايام
التشريق بعد رمي الجمار عند الشافعي رحمه الله وبعد طلوع الفجر عند ابي حنيفة رحمه الله
والاول اظهر فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ بان رمي الجمار في الثالث بعد الزوال
عند الشافعي رحمه الله وعند ابي حنيفة رحمه الله قبل الزوال والتخيير بين الافضل والفاضل
لان التخيير يجري في كلا الطرفين وليس من لوازمه التساوي لِمَنِ اتَّقَى اى ذلك التخيير ورفع
الاثم للمتقي لانه نقلته التشبيه وتغريره وفيه اشارة الى ان الحاج حقيقة وعند الله من يلتفت
اليه وَاتَّقُوا اللَّهَ ليعبأ بكم ويجعلكم من اهل التخيير ومعه الخطاب وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ
فتوسلوا اليه بالتقوى فانها نهاية السالكين وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
الجار متعلق بالقول اى قوله في الدنيا وطلب حظها يروقك ويعظم في نفسك لحلاوة عبارته
ورشاقة الفاظه او يتعجل اى يروقك في الدنيا لا في الاخرة اذ لا قول له هنالك اما لما

اما لما يزعجه من شدة الخوف ولا يؤذن له في الكلام او يختم على لسانه وَيُشْهِدُ اللَّهَ
عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ من الود والصدق كقولهم نشهد انك لرسول الله وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ اى شديد
الجدال على ان الخصام مصدر من اضافة الصفة الى فاعلها كحسن الوجه او جمع خصم
والمعنى اشد الخصوم لا لان الراسم تفضيل تكون بعضه لذا بل لان الالد وشدة الخصومة
فهو بالنسبة الى ما دونه اشد واشتقاقه من لديدى الوادي جانبيه لانه يأخذ
في كل جانب من الجدال والعداوة والاية في شان المنافقين وقيل نزلت في الاخنس
بن شريق الثقفي كان حلو المنطق يدعي حب رسول الله وليس بصحيح لان الاخنس اسلم سنة
الفتح وحسن اسلامه فان قلت لم لا يجوز ان يكون اسلم بعد نزول الاية قلت يمنع ذلك قوله
في حقه حسبه جهنم وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ باتلاف
الاموال وقيل لا تفقوا الذراري او يشوم كفره ونفاقه ويمنع الله القطر فيهلك الحرث
والنسل وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ولو كان صادقا في قوله لما ارتكب ما لا يرضاه الله وَإِذَا قِيلَ
لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ الزمته وحملته عليه حمية الجاهلية لجاجا وعنادا
يقال اخذته بكذا اذا الزمته اياه او على رد قول الواعظ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ كافيه جزاء و
عذابا علم لدار العقاب وفي الاصل مرادف النار وقيل معرب وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ جواب القسم و
المخصوص محذوف للعلم به والمهاد ما يمهد كالفراش لفظا ومعنى وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي
نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ عن ابن عباس رضي الله عنه وانس رضي الله عنه نزلت في صهيب
هاجر الى رسول الله فاخذه المشركون فقال انا رجل كبير غريب لا اضر ولا انفع اعطيكم مالي
ودعوني اذهب فرضوا بذلك ولما ورد المدينة تلقاه عمر رضي الله عنه وكان بينهما المؤاخاة
المؤاخاة فناداه يا صهيب ربح البيع وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرهم بقصته
فقال لصهيب هذا خبر السماء وقيل نزلت في الجهاد وكل امر بمعروف ونهي عن منكر وبشرى بيع
باع نفسه وبذلها في مرضات الله وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ وافر الرحمة ولذلك ارشدهم
الى ما فيه رضاه الذي لا مطلب اعلى منه يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً السلم
بكسر السين وفتحه نافع وابن كثير والكسائي وهما لغتان الانقياد والطاعة والخطاب للمؤمنين
او لاهل الكتاب الذين امنوا بنبيهم او المنافقين الذين امنوا بالسنتهم او للكل كافة
حال من ضمير ادخلوا او من السلم لانها تؤنث كالحرب وكافة اسم الجملة لانها تكف الاجزاء
من الخروج والتفرق وعن يونس والاخفش ان السلم هو الاسلام فالخطاب لاهل الكتاب
او للمنافقين اولهما ويجوز خطاب المؤمنين بتقدير مضاف اى ادخلوا في شعبه وفروعه
لان لفظ الدخول يدل على الثبات والازدياد وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ بالتفرق و
التفريق وقرا ابن كثير رواية قنبل وحفص وابن عامر والكسائي بضم الطاء إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ
ظاهر العداوة فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ خرجتم عن الانقياد والاسلام من زلت
في الطين اذا وقع فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غالب حَكِيمٌ لا يؤاخذ الا بعد لزام الحجة هَلْ يَنْظُرُونَ

إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام اي ما ينتظرون الا اتيان امره وبأسه او المأتي به محذوف اي
اتيانه بالبلية والنقم والظلل جمع ظلة كقلل في قلة وهي ما اظلك ولذلك بلية بالغمام
والاتيان على هذا الوجه افظع لان الغمام مظنة الرحمة فاتيان الشر منه لا شر فوقه
كما ان اتيان الخير من مظان الشر لا اسر منه والملائكة لانهم وسائط في اوامره وتنفيذ
احكامه وقضي الأمر يقضى ويفرغ منه وايثار الماضي لتحققه لا محالة وإلى الله ترجع
الأمور كلها فذلكة القصة وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وعاصم على بناء المفعول
من الرجع والباقون بالعكس من الرجوع والاول اشهر وابلغ لدلالته على ان راجعا موكلا بها
سل بني إسرائيل ارداف للامر بالدخول في السلم بنقض بني اسرائيل عهودا كثيرة تحذيرا عن
ارتكاب مثله والمأمور بالسؤال اما رسول الله او كل احد والقصد التقريع لا الجواب
كم آتيناهم من آية بينة كم خبرية او استفهامية للتقرير ولا ينافي التقريع مفعول ثان
لآتيناهم والجملة في موضع المصدر كأنه قيل سل هذا السؤال والمفعول به او بيان للمقصود
اي سلهم جواب هذا السؤال وفي محل الحال اي قائلا كم آية تميزكم واذا فصل بينه
وبين المميز حسن الاتيان بمن والآيات اما معجزات انبيائهم او آيات كتبهم ودلائل الاحكام
ومن يبدل نعمة الله آياته الدالة على صدق الرسل وآياته الدالة على نعت محمد وصحة
دينه سماها نعمة لانها اسباب الهدى ووسائل النجاة من بعد ما جاءته اي من بعد ما عرف
انها آية وتمكن منه والا فالتبديل لا يكون الا بعد المجيء فإن الله شديد العقاب دليل
الجزاء اي يعاقبه زين للذين كفروا الحياة الدنيا بيان للعلة الباعثة والمزين هو الله لانه
خالق الخير والشر وقيل اذ ما من شيء الا وهو فاعله وفيه ان الخالق غير الفاعل يظهر في الكذب
والسرقة او الشيطان والاسناد مجاز ويسخرون من الذين آمنوا من فقراء المهاجرين كبلال
وعمار عطف على زين والعدول الى المضارع لقصد الاستمرار وقيل حال بتقدير وليس بوجه
اذ لا معنى لتقييد التزيين بحال السخرية والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة رتبة او مكانا لانهم
في عليين والتعبير عن الايمان بالتقوى تذكير بها وترغيب فيها لان هذا الحكم عام لكافة
المؤمنين والله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير كناية عن التوسعة فالبسط على الكفار
استدراج لكونه وسيلة الى النقمة كان الناس أمة واحدة على الاسلام عن ابن عباس رضي الله
من آدم الى نوح عشر قرون كلهم على التوحيد وقيل بعد نوح عليه السلام اذ ما نجا معه
الا من آمن وقيل على الكفر ولا دليل له كذا فاختلفوا في الايمان فبعث الله النبيين لان
كفر الكل يصلح حكمة للبعث فلا يحتاج الى الاختلاف مبشرين بالجنة لمن آمن ومنذرين لمن كفر
وأنزل معهم الكتاب جنس الكتاب فلا يلزم ان يكون مع كل كتاب واحد يخصه بالحق حال
من الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه اي الله او النبي او الكتاب وانما اعاد المظهر لعدم
اختصاص حكمه بالذين اختلفوا وما اختلف فيه اي في الحق الا الذين أوتوه اي الكتاب عكسوا
الامر بان جعلوا ما انزل للوفاق سببا للخلاف والمراد زيادة الاختلاف لوجود اصله قبل البعثة

بدليل البعثة من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم حسدا وظلما لحرصهم على الدنيا فهدى الله
الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق اي هدى الذين آمنوا الى الحق الذي اختلف فيه من اختلف
بإذنه بارادته وتيسيره والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم يوفقه لسلوكه أم حسبتم
أن تدخلوا الجنة ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وانكار الحسبان ورسول الله صلى الله عليه وسلم
وامته داخلون في عموم البيان والذين آمنوا خوطبوا على طريق الالتفات تشجيعا لهم على
الثبات والصبر ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التي بمنزلة المثل في الغرابة ولما نقيض
قد فان الفعل المذكور بعدها منتظر متوقع لا نفيه مستهم البأساء والضراء بيان للمثل
جواب سؤال مقدر وزلزلوا ازعجوا ازعاجا شديدا يشبه الزلزلة حتى يقول الرسول
والذين آمنوا معه متى نصر الله اي بلغت الشدة مبلغا ضجر الرسول واستبطاء النصر وتمناه
مع كمال ثبات الرسل وغاية صبرهم على البلايا والرزايا وقرأ نافع يقول بالرفع على انه
حكاية حال ماضية والباقون بالنصب على الاستقبال نظرا الى ما قبله وهذا ابلغ لما فيه
من صريح التدرج الى تلك الغاية ألا إن نصر الله قريب اي اجيبوا الى طلبتهم وقيل لهم
قد قرب النصر ودنا الفرج وقيل هذا مقول الرسول ومتى نصر الله مقول من معه وفيه
فوات بيان تناهي الامر في الشدة فلا يحسن يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير
فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل سألوا عن المنفق فاجيبوا ببيان المصرف
مفصلا ومدمجا فيه ما سألوا وهو ما انفقتم من خير لان النفقة لا يعتد بها ما لم يقع موقعها
فان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع والمجيب بمنزلة الطبيب يبني
العلاج على مقتضى المرض لا على قول المريض وعن ابن عباس رضي الله عنه ان عمرو بن الجموح سأل
رسول الله وما انفق من اموالنا واين نضعها فنزلت فعلى هذا في السؤال المحكي في التنزيل
اختصار اعتمادا على الجواب وما تفعلوا من خير ما شرطية فإن الله به عليم اي اي شيء تفعلونه
من الخير فاسيجازيكم عليه كتب عليكم القتال قدم ذكر الانفاق وعقبه بالقتال لاعلاء كلمته
ترقيا من الادنى الى الاعلى وهو كره لكم مكروه وفعل بمعنى المكروه كالخبز او شاق مصدر بمعنى
المفاعل واتفق السبعة على ضم الكاف وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم والتكاليف كلها كذلك
لانها خلاف هوى النفس ولا يلزم منه كراهة حكم الله كما في الشرور فانها مكروهة منكرة مع
كونها بقضاء الله ومشيئته وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ومنه المعاصي والله يعلم ما فيه الخير
والشر وأنتم لا تعلمون ذلك يسألونك عن الشهر الحرام روى ابن اسحق عن ابن عباس وابن هاشم
عن زياد البكالي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية الى نخلة بين مكة والطائف
لترصد قريشا وتعلم خبرها بعدما رجع من بدر الاولى وامر عليهم عبد الله بن جحش واعطاه كتابا
ولم يدر ما فيه وامره ان لا يقرأ الا اذا بلغ مكان كذا فلما بلغ قرأ وقال سمعا وطاعة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما بلغوا نخلة وجدوا عير القريش تمر بهم فتعرضوا لها فقتلوا بعضا واسروا
بعضا وكان اول يوم من رجب فظنوه آخر الجمادى فلما قدموا بالاسرى والغنيمة وكانت اول

غنيمة جاءت رسول الله اعظم ذلك المشركون واليهود وقالوا محمد استحل الشهر الحرام وتوقف رسول
الله صلى الله عليه وسلم في امر الغنيمة وقال لهم ما امرتكم بالقتال في الشهر الحرام فنزلت والمعنى
يسئلك المسلم والكافر عن الشهر الحرام قتال فيه بدل اشتمال قل قتال فيه كبير اثم كبير منسوخ
باية القتال فان قلت حيث وجدتموهم في اية القتال عام في المكان والكلام في الزمان قلت
عموم الامكنة قرينة عموم الازمان اذ هما في حق النسخ لا يفترقان وصد عن سبيل الله كما فعلوا
عام الحديبية مبتدأ خبره اكبر وكفر به بالله والمسجد الحرام عطف على سبيل لامتناع العطف على
الضمير المجرور بدون اعادة الجار ولا وجه لتقدير الجار اذ لا معنى للكفر بالمسجد والصد والكفر
متحدان ذاتا فكأن لا فاصلة واخراج اهله منه كما فعلوا برسول الله والمؤمنين اكبر عند الله
اي جرائم قريش وكبائرها اعظم جرما مما فعلت السرية فما لهم لا يذكرون عيوب انفسهم والفتنة
اكبر من القتل يعم المذكورات وغيرها ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم لكي يردوكم ان
استطاعوا ايذان مع الجزم بعد الوقوع للدلالة على انه من المحالات المفروضة ومن يرتدد
منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم استدل به الشافعي رحمه الله على ان
الموافاة على الكفر شرط في احباط العمل والا لم يكن للقيد فائدة واحتج ابو حنيفة رحمه الله بقوله
ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهي مسئلة حمل المطلق على المقيد تماما هنالك وثمرة الخلاف
تظهر فيما اذا صلى وارتد والعياذ بالله ثم اسلم والوقت باق يجب اعادتها لبقاء السبب دون قضاء
غيرها لانعدام السبب في الدنيا لا يعتد بها بل يسلب عنه اسم المسلم واحكامه والاخرة بسقوط الثواب
واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ذا ثم قوله ان الذين امنوا والذين هاجروا اعاد الموصول لتعظيم
شأن الهجرة وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله اشار بالرجاء الى ان العمل غير موجب
ولان العبرة بالخاتمة وهي غيب ولما لم يعقب بالخيبة بل بما يصدق علم انهم واصلون الى المرجو
والله غفور لفرطاتهم رحيم باجزال الاجر والثواب ولم ينقصه ما وقع في الشهر الحرام من القتل
يسئلونك عن الخمر والميسر روى الامام احمد عن عمر رضي الله عنه لما نزل تحريم الخمر في اية النحل تتخذون
منه سكرا ورزقا حسنا قال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت هذه فقال اللهم بين لنا
في الخمر بيانا شافيا فنزلت اية النساء ولا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقال اللهم بين لنا
في الخمر فنزلت في المائدة الى قوله فهل انتم منتهون قال انتهينا انتهينا والخمر مصدر خمره اى
ستره سمي به العصير اذا اشتد وقذف بالزبد لانه يستر العقل وهل يختص هذا الاسم بعصير
العنب فيه كلام واستدل الشافعي رحمه الله على ان كل مسكر حرام بما رواه مسلم الخمر ما خامر
العقل وكل مسكر حرام وعند ابي حنيفة يحل شرب المثلث وما طبخ من عصير العنب ونقيع التمر
والزبيب حتى ذهب ثلثاه ما لم يسكر ولم يقصد بشربه اللهو والطرب والميسر القمار من اليسر
مصدر كالموعد لان اخذ مال الغير بالسهولة او من اليسار لانه يسلب يساره قل فيهما اثم كبير
اي في تعاطيهما فان قلت كيف سوغوا شربها بعد هذا قلت فهموا ان الحرمة باعتبار جلب المفاسد
لا لذاتهما ومنافع للناس من الطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان وتوفر المروة والتشجيع وكسب المال

وكسب المال في الميسر وقرء حمزة والكسائي كثير بالثاء المثلثة ككثرة ما يترتب عليهما من الاثام
وهو المختار واوفق بقوله ومنافع واثمهما اكبر من نفعهما كم افتقر من غني واذلت من عز و
سلبت من نعمة وجلبت من نقمة ونسخت من مودة ونتجت من عداوة وبالجملة مفتاح الشرور
وام الخبائث وفي الحديث من شربها لم يشرب خمر الجنة وسقاه الله من طينة الخبال والخبال عصارة
اهل النار ويسئلونك ماذا ينفقون سألوا اولا عن حقيقة المنفق وهذا سؤال عن وصفه
قل العفو الفاضل عن الحاجة لئلا يحتاج الى السؤال روى ابو داود ان رجلا اتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ببيضة ذهب قال يا رسول الله اصبت هذا من معدن فخذها واجعلها
في الصدقة فاخذها منه وحذفه بها لو اصابه لعقره او لشجه وقال يأتي احدكم بما له
ثم يجلس يتكفف الناس انما الصدقة من ظهر غنى وهذا اذا لم يكن له قوة يقين وكمال توكل
لقوله ويؤثرون على انفسهم في معرض المدح ولقوله خير الصدقة جهد المقل وقضية
الصديق وخروجه عن ماله مشهورة وقيل المراد بالغنى غنى القلب وقرء ابو عمرو العفو
بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف والنصب اقل تغييرا وابلغ كذلك يبين الله لكم الايات
اي سائر الايات الدالة على الاحكام افرد الخطاب اولا باعتبار كل من يخاطب ثم اجمل ثانيا
لعلكم تتفكرون في الدنيا والاخرة اي في امور الدارين وتؤثرون ما هو انفع وابقى ويجوز
ان يتعلق بيبين وتوسيط التفكر بين الجار ومتعلقه للاهتمام ويسئلونك عن اليتامى
روى ابو داود والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنهم لما نزلت ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي
هي احسن تحاموا مداخلة الايتام والتولي عليهم وشق ذلك عليهم قل اصلاح لهم اي مخالطتهم
على وجه الاصلاح خير من المجانبة وان تخالطوهم فاخوانكم اي فلا استبعاد فان الاخوة
تقتضي المخالطة والايتام والاسلاف والله يعلم المفسد من المصلح فتحروا الاصلاح ولا عليكم
بعد ذلك ان طرأ فساد ولو شاء الله لاعنتكم لاوقعكم في العنت اي المشقة بالمنع عن المخالطة
ان الله عزيز غالب على ما اراد حكيم متقن في صنعه لا يريد الا ما فيه حكمة ولا تنكحوا المشركات
حتى يؤمن المخالطة تعم النكاح فناسب ذكر المحرمات بعدها نزلت في ابي مرثد الغنوي كان يهوى
بغيا اسمها عناق فلما اسلم دعته الى الخلوة بها فقال ويحك قد حال دون ذلك الاسلام فدعته
الى التزوج بها فقال حتى استأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمره فنزلت والكتابيات
وان دخلن في المشركات خصصهن اية المائدة والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب فان المائدة
اخر القران نزولا لا نسخ فيها ولامة مؤمنة خير من مشركة في معرض التعليل وايثار الامة
لان النساء اماء الله ولو اعجبتكم اي المشركة لو للتأكيد بثبوت الحكم والواو اما للعطف على
مقدر هو ضد المذكور اي لو لم تعجبكم او للحال اي ولو كان الحال كذا ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا
باق على عمومه ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك اي المشركات والمشركون
يدعون الى النار اي اسبابه من الكفر والمعاصي وفي يدعون تغليب الذكور واستعمال المشترك
في معنييه وكل من الواو والنون ضمير ولا تدافع لاعتبار الجنسين والله يدعو الى الجنة والمغفرة

باذنه اي وليائه لو فوعم في مقابلة اولئك يدعون الى النار ولقوله باذنه اذ لا معنى للقول
بان الله يدعو باذنه وانما اسند اليه تشريفا لهم ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون ليكون
في صورة المرجو منهم التذكر فصل الاية بالتذكر لظهور قبح ازدواج المؤمن والمشركة ويسالونك
عن المحيض روى مسلم عن انس رضي الله عنه ان اليهود كانوا لا يواكلون الحيض ولا يساكنوهن فسال
ثابت بن الدحداح رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمحيض مصدر كالمبيت ذكر يسئلونك
في سبعة مواضع ثلثة بالواو واربعة بدونه ولعل المقرونات بالواو نزلت في وقت واحد
قل هو اذى شيء من القاذورات فاعتزلوا النساء في المحيض اي وقاعهن في زمان الحيض اقتصادا
بين افراط اليهود وتفريط النصارى من مباشرتهن في حال الحيض واستدل الشافعي رحمه الله
على هذا بما روى انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قراء الاية وقال اصنعوا
كل شيء الا النكاح وبما روى مسروق عن عايشة رضي الله عنها له كل شيء الا الشعار وفي رواية
الا فرجها وابو حنيفة رحمه الله الحرمة ما اشتمل عليه الازار لما روى مسلم والبخاري عن ميمونة
رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد ان يباشر احدا من نسائه وهي حائض
امرها ان تتزر وبه قال الشافعي في احد قوليه ولا تقربوهن حتى يطهرن من القربان وهو
الوقاع حتى يطهرن وقرء حمزة والكسائي بتشديد الطاء فحمل ابو حنيفة رحمه الله قراءة التخفيف
على اكثر الحيض حتى تحل بمجرد الانقطاع لان الطهر نقيض الحيض وقراءة التشديد على اقل من العشر
فلا يحل حتى تغتسل او يمضي عليها وقت صلوة الا ان تكون ذمية فتحل بالانقطاع وحمل
الشافعي رحمه الله قراءة التخفيف على الغسل اما لان طهر بمعنى اغتسل كما في حديث ام سلمة انما
افضت الماء عليك فقد طهرت او بجواز الاكتفاء في فاذا تطهرن وذهب الاوزاعي الى غسل
الفرج ومجاهد الى الوضوء فاتوهن من حيث امركم الله وهو القبل ان الله يحب التوابين
المكثرين من التوبة او الذين يتوبون من ادنى شيء كالوطي قبل الطهر او التطهر روى احمد
واصحاب السنن ان من اتى امرأة وهي حايض يتصدق بدينار او بنصفه ويحب المتطهرين
من الانجاس والمستقذرات طبعا وان كانت مباحة وللترغيب اعادة المحبة نساؤكم حرث لكم
بيان لقوله فاتوهن من حيث امركم الله شبه حال اتيانهم النساء من الماء في النطف بحال اتيانهم المحارث
في عدم الاختصاص بجهة دون اخرى وفيه تعريض باليهود القائلين بان من اتى امرأته في قبلها
من ورائها يجيء الولد احول رواه مسلم عن جابر فاتوا حرثكم انى شئتم تصريح بما علم التزاما و
ليعطف عليه قوله وقدموا لانفسكم اي الاعمال الصالحات وقيل التسمية حال الجماع وقيل هو
طلب الولد وهذا اوفق لان اتيان الحرث كناية عن الوقاع الذي يقصد به الولد لا قضاء
الوطر كما ان الاذى كناية عن المستقذر قصدا الى التنفير والاعتزال كناية عن ترك الوطي
قصد الى التبعيد وحيث امركم الله كناية عن القبل تحرزا عن غيره وفيها تعريضات باليهود
والنصارى والراغبين في غير القبل واتقوا الله ان تعتدوا حدوده واعلموا انكم ملاقوه
فسائلكم عنها وبشر المؤمنين عطف على قل هو اذى تحريض على الامتثال لما سبق من الاوامر والنواهي

والنواهي ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس مؤخر رجاء لما
حلفتم عليه من الخيرات كالبر والاتقاء والاصلاح ويجوز ذلك من عرضت العود على الاناء
فالايمان مجاز عن الامور المحلوف عليها وان تبروا وما عطف عليه عطف بيان واللام تتعلق
بالفعل او الايمان حقيقة وان تبروا مقدر باللام والعرضة بمعنى المعرض لكذا والمعنى
لا تجعلوا الله معرضا لحلفكم تحلفون به دائما فان ذلك ابتذال له اي كفوا عن ذلك لتبروا
فهو نهي معلل وعلى الاول المعلل نهي وهو الوجه لما روى البخاري ومسلم عن ابي موسى رضي الله
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني لا احلف على يمين وارى غيرها خيرا منها الا اتيت
الذي هو خير وكفرت عن يميني ولما روى انها نزلت في ابي بكر حين حلف لا ينفق على مسطح وقيل
في عبد الله بن رواحة حلف لا يكلم النعمان بن بشير زوج اخته والله سميع لايمانكم عليم
بنياتكم لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو من كل شيء الساقط وفي حديث ابي هريرة رضي الله
اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة والامام يخطب انصت فقد لغوت وهو عند الشافعي رحمه الله
ما رواه ابو داود عن عايشة رضي الله عنها وابن عباس عن رسول الله هو كلام الرجل كلا والله
بلى والله وعند ابي حنيفة رحمه الله هو الحلف بالظن على ما كان ولم يكن ولكن يؤاخذكم
بما كسبت قلوبكم اقترفته قصدا يشمل الغموس وغيره ولا فرق بين المكسوبة والمعقودة
عند الشافعي رحمه الله والمؤاخذة الكفارة او العقوبة ان لم يكفر وعند ابي حنيفة رحمه الله
الكفارة في المكسوبة وهي الغموس وهو ان يحلف عمدا على خلاف الواقع في الماضي والمعقودة
هي التي توثق بالقصد والنية على امر في المستقبل بفعله او لا يفعله والله غفور لا يؤاخذ
باللغو حليم لم يعاجل بالعقوبة بعد الحنث للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر
ضمن القسم تعدى بعلى والتعدية بمن لتضمنه معنى البعد او حال من الضمير في الخبر اي تربص
اربعة اشهر حاصل للذين يؤلون حال كونه من نسائهم والتربص الانتظار والمراقبة
مصدر اضيف الى المفعول فان فاؤا رجعوا في اليمين بالحنث فان الله غفور لهم للحنث
بالكفارة رحيم بشرع الكفارة تلافيا وان عزموا الطلاق فان الله سميع لطلاقهم عليم
بنياتهم الايلاء حلف الزوج على الامتناع من الوطي اما مطلقا او مقيدا باكثر من اربعة
اشهر وحكمه بعد المدة الفيء اي الرجوع اما بالوطي او الوعد ان عجز فان لم يفئ طلقها
فان ابى طلقها القاضي استدل الشافعي رحمه الله على هذا بالفاء في فان فاؤا فانها تدل
على طلب الفيء بعد اربعة اشهر وبقوله ان الله سميع لدلالته على ان من الزوج كلاما
وهو الطلاق وذهب ابو حنيفة رحمه الله الى جواز الايلاء في اربعة اشهر فان فاء في
المدة لزمه الكفارة والا بانت منه بطلقة وجعل قوله فان فاؤا تفصيلا لقوله للذين
يؤلون من نسائهم والسماع متعلقا بما يقع من المقاولة عند ترك الفيء والضرار وفيه
ان المفصل عين المجمل ولا تعقيب الا في الذكر وما في الاية متغاير ان وجودا والمطلقات
عام خص منه الامة والصغيرة والآيسة وذات الحمل وغير المدخول بها بنصوص اخر يتربصن

بأنفسهن خبر اريد به الانشاء فجاز تشبيها لما هو المطلوب الوقوع بالمحقق في الحال او الاستقبا
ابلغ من صريح الامر لدلالته على انهن يمتثلن لا محالة وبناؤه على المبتدا زاده وكادة
لتكرر الاسناد والحاق الانفس هنا دون الايلاء لان القوى من صفاتهن دونه وقيل
لان نفوسهن طوامح الى الرجال في العدة فامرن بحفظها وكفها ثلثة قروء القرء لغة
الحيض والطهر والى الاول ذهب ابو حنيفة رحمه الله في تفسير الاية مستدلا بما روى ابو داود
والترمذي عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال طلاق الامة
طلقتان وعدتها حيضتان ولاتفاقهم على الحيض في الاستبراء ولما رواه ابو داود عن
فاطمة بنت ابي حبيش دعي الصلوة ايام اقرائك وذهب الشافعي الى الثاني مستدلا بقوله
فطلقوهن لعدتهن فان اللام للتوقيت كقوله ولما جاء موسى لميقاتنا وقوله اقم الصلوة
لدلوك الشمس وبما رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله انه طلق امرأته وهي حائض
فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يراجع ثم يطلقها في كل قرء تطليقة ورواية الشيخين
مقدمة عند التعارض والاعتراض بان ما ذهب اليه يبطل مدلول الخاص القطعي وهو الثلثة
لاعتداده بساعة بل لحظة من الطهر غير ناهض لان الطهر عنده اسم للكل ولكل جزء منه
فان قلت اذا كان اسما لكل جزء منه فكان ينبغي ان تنقضي العدة بثلث ساعات من طهر وقع
فيه الطلاق قلت الطهر الذي يجعله قرءا شرطه ان يكون محاطا بدمين ولذلك لم يجعل
طهر الصغيرة قبل الحيض قرءا وبذلك يسقط وهم التحكم حيث جعل اجزاء من الطهر الذي وقع
فيه الطلاق قرءا دون الثالث وانما جمع الكثرة مع ثلثة للاتساع في استعمال كل موضع الاخر
مع اشتمال كل قرء على اجزاء كثيرة ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الولد و
الحيض استعجالا لقبول قولها ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر ليس بشرط في عدم الكتمان حتى
لو لم يؤمن حل لها ذلك بل قصد اعظام ذلك وان عدم الاقدام عليه من لوازم الايمان و
بعولتهن احق بردهن البعولة جمع بعل والتاء لتاكيد معنى الجمع كالفحولة والضمير اخص من
المرجع لاختصاص هذا الحكم بالرجعيات والمعنى ان الزوج احق بالرجعة منها بالاباء كقولهم
الصيف احر من الشتاء وفيه حث لاقاربها بان يكونوا عونا له ان تنازعا في ذلك في زمان
التربص اذ بعده مستقلة بما شاءت ان ارادوا اصلاحا اي الاحقية عند الله مقيدة بارادة
الله الاصلاح لا في الظاهر لان تلك الارادة امر خفي ومناط الاحكام الظواهر سنن الفتوى
غير سنن التقوى ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف من الحقوق والرعاية وللرجال عليهن
درجة مرتبة في الحق وزيادة فضيلة باعتبار الخلقة والدرجة منزلة لوحظ فيها التفوق
كما اعتبر التسفل في الدركة والله عزيز قادر على الانتقام ممن خالف امره حكيم حيث فضل
الرجال لانهم قوامون على النساء بالنفقة والحراسة وبينا ركونهن في غرض الزواج الطلاق
مرتان اي الطلاق المعقب للرجعة طلقتان لان الكلام في شان الرجعيات وحكم البوائن مستوفى
في سورة الطلاق ولما روى ابو داود عن ابن عباس رضي الله عنه كان في بدء الاسلام الرجل

الاسلام الرجل احق بامرأته وان طلقها مائة تطليقة وكذا عن ابن جرير وابن ابي حاتم عن عروة
والحديث هذا اذا طلق زوجته ثلثا وعند ابي حنيفة رحمه الله تعليم لكيفية ايقاع الطلاق
ان الطلاق الشرعي تطليقة بعد تطليقة دون الجمع والارسال فانه بدعة فامساك
بمعروف او تسريح باحسان متفرع على التعليم فبعد العلم بكيفية الطلاق انتم مخيرون بين
الامساك وحسن المعاشرة والطلاق على الوجه المشروع تخييرا بين الفاضل والمفضول
لان الطلاق انكر المباحات وعند الشافعي رحمه الله التسريح باحسان الطلقة الثلثة او
بدع الرجعة حتى تبين بانقضاء العدة ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا نزلت
في جميلة بنت ابي بن سلول كانت عند ثابت بن قيس روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه
انها جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله ثابت لا اعتب عليه في خلق
ولا دين ولكن اكره الكفر في الاسلام اكره ذمامته رأيته مقبلا في عدة فاذا هو اشدهم
سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فقال تردين عليه حديقته وكان اصدقها حديقة
فقالت نعم فاختلعا والخطاب للحكام لانهم الامرون وهذا القدر كاف في الاسناد وان لم
يكن مسبوقا بالترافع او للازواج والحكام وينصرف الى كل ما يليق به او للازواج وان كان
الخطاب في فان خفتم للحكام لانه تفنن في الخطاب ومثله كثير الا ان يخافا اي الزوجان
الا يقيما حدود الله من مراقبة الزوجية وقرأ حمزة يخافا على بناء المفعول على ان ما بعده
بدل اشتمال من الضمير وفيه تأييد لكون الخطاب للحكام فان خفتم ايها الحكام الا يقيما حدود
الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به اي شيء كان جميع المهر او اقل او اكثر فاندفع به وهم
البعضية مما آتيتموهن تمسك طائفة من السلف منهم ابن عباس والحسن رضي الله عنهما بظاهر
الاية على اختصاص الخلع بحال الشقاق وبما روى الترمذي عن ثوبان ايما امرأة سألت زوجها
طلاقها من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة والائمة على ان القيد محمول على الغالب حتى قال
الشافعي رحمه الله اذا صح في حال الشقاق ففي الوفاق اولى واختلف فيه هل هو طلاق او فسخ
فذهب الامام احمد والشافعي في احد قوليه الى انه فسخ وان كان بلفظ الخلع او المفاداة
واصح قوليه الى انه طلاق وثمرة الخلاف ان كان فسخا لا ينقص به عدد الطلاق واختلفوا
في لحوق الطلاق بعد الخلع يلحقها عند ابي حنيفة رحمه الله وعند مالك ان اتبع الخلع طلاقا
من غير سكوت تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون
الكاملون في الظلم فان طلقها اي بعد الطلقتين وحديث الخلع بيان لاحد قسمي الطلاق
وهو الذي على عوض وعند الشافعي رحمه الله حديث الخلع معترض والطلقتان رجعيتان
فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره النكاح هو العقد لاسناده الى الزوجة لا الاصابة
لانه فعل الزوج وانما اشترطت زيادة على الكتاب لحديث العسيلة فانه مشهور فان قلت ما رواه
الثقات من قوله لعن الله المحلل والمحلل له يناقض الاية لان الزوج الثاني محلل البتة قلت
ذاك محمول على الاشتراط والاضمار فلا تناقض لاختلاف المورد فان طلقها اي الزوج الثاني

ولا جناح عليهما على الزوجين أن يتراجعا يرجع كل منهما الى صاحبه إن ظنا أن يقيما حدود الله
في احكام الزوجية وايثار الظن لان اليقين متعذر وحمل الظن على اليقين مع كونه رجما بالغيب
ينافيه ان الناصبة الدالة على التوقع وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون اي يعلمون بعلمهم
وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن شارفن آخر العدة اذ بعد انقضائها لا زوجية والأجل
يطلق على آخر المدة كما يطلق عليها اما اشتراكا او تجوزا في احدهما فأمسكوهن بمعروف أو
سرحوهن بمعروف اعاده مفرعا على بيان مدة الرجعة وليعطف عليه ولا تمسكوهن ضرارا
كانوا يطلقون فاذا شارفت انقضاء العدة راجعوها لا للاحسان بل ضرارا لتعتدوا ومن
يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا آيات الله هزوا كانوا يطلقون
ويعتقون ثم منهم من يقول كنت لاعبا فنزلت روى ابو داود والترمذي عن ابي هريرة رضي الله
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والعتاق
واذكروا نعمت الله عليكم بارسال الرسول ورفع سنة الجاهلية والذكر اعم من اللساني لان
المراد منه الشكر وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة علم الشريعة عطف على نعمت الله المفسر
بارسال الرسول فيلائم النظم يعظكم به جملة حالية واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم
تأكيد وتهديد وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن روى البخاري ان اخت معقل بن يسار
كانت عند رجل فطلقها فلما انقضت عدتها خطبها مع سائر الخطاب فابى معقل فنزلت واستدل
به من قال لا تزوج المرأة نفسها والاجل محمول على الحقيقة الاجل آخر العدة وهذا معنى قول
الشافعي دل بالسياق على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن تسميتهم ازواجا
بعد العدة باعتبار ما كان خطاب للاولياء وقيل خطاب للازواج لما روي انهم كانوا يمنعون
المطلقات من التزوج بالغير حمية الجاهلية والاحسن ان يكون خطابا عاما ليسلم من انتشار
الخطاب لان الخطاب في اذا طلقتم خاص بالازواج ولما فيه من تهويل امر العضل فعلى الاولياء
والازواج ان لا يحوموا حوله وعلى الناس كافة نصر المظلوم إذا تراضوا بينهم اي الخطاب والنساء
فيه تغليب واذا ظرف للنكاح او العضل بالمعروف بما يعرف شرعا ويستحسنه المروءة ذلك اشارة
الى ما مضى من الاحكام خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانحراف الخطاب في اسماء الاشارة
لمن يتلقى الكلام سواء كان مخاطبا بالحكم اولا وليس هذا خطابا لرئيس القوم بمنزلة خطابهم
كما في يا ايها النبي اذا طلقتم النساء او لكل من يتأتى منه تلقي الكلام وهذا اوفق لان الخطاب
الآتي والسابق عام يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر لانه المنتفع بالموعظة
ذلكم أزكى لكم افضل واكثر خيرا وأطهر من دنس الآثام وصف للشيء بوصف صاحبه والله يعلم
ما فيه صلاحكم وأنتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات يرضعن أولادهن خبر في معنى الامر
مبالغة والامر للندب ان وجد غير الام وان لم توجد او وجدت ولم يرضع الا منها او كان
الوالد عاجزا عن اجرة الظئر ويجوز استئجار الام عند الشافعي رحمه الله بكل حال وعند ابي حنيفة
رحمه الله لا يجوز ما دامت في النكاح او معتدة حولين كاملين وقع التجوز بتنزيل ما يعرب الكل

ما يعرب الكل منزلته ولا ينافي هذا كون اسم العدد خاصا لا يحتمل الزيادة والنقصان لان المذكور
مراد ادعاء لمن أراد أن يتم الرضاعة اللام بيان لمن خوطب كما في هيت لك بيان للمهيت به اي
الخطاب لك هلم واسرع والضمير للاب لانه الذي يجب عليه الارضاع والمعنى هذا نهاية المدة و
يجوز النقص ان لم يتضرر الولد وعند ابي حنيفة رحمه الله مدته ثلثون شهرا لقوله وحمله و
فصاله ثلثون شهرا وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن اي اجر المثل وبه استدل الشافعي
رحمه الله على جواز استئجار الام مطلقا وعند ابي حنيفة رحمه الله الوالدات المطلقات لان الكلام
فيهن والنفقة والكسوة لاجل الرضاع وانما قال المولود له دون الوالد دلالة على وجوب
قيامهم برزق المرضع وايماء الى ان النسب الى الآباء في الكفاءة وغيرها عاب هشام بن علي المأمون
قبل الخلافة بانه ابن امة وهو يروم الخلافة فقال له المأمون ان هاجر كانت امة وقد ولدت
اسمعيل ومن نسلها سيد ولد آدم فانشد الشاعر للمأمون فانما امهات الناس اوعية مستودعات
وللابناء آباء بالمعروف حسب ما يليق به من اليسار والفقر والتوسط لا تكلف نفس إلا وسعها
تعليل للتقييد بالمعروف ولا يمنع جواز تكليف المحال لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده
تشاق كل منهما الآخر لاجل الولد بان تطلب هي منه فوق المعروف وما ليس بعدل من الرزق
والكسوة ولا هو يمنع حقها او يطلب انتزاع الولد منها وهي راغبة في ارضاعه واشباه ذلك
وان كان مبنيا للمفعول فهي نهي عن ان يلحق بهما الضرار من قبل الزوج وبالعكس ويجوز ان يكون
بمعنى تضر والباء صلة اي لا تضر والدة بولدها بان تفرط في تعهده اذا لم يرضعها الوالد
وكذا الوالد بان ينزعه منها بعدما الفها وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب لا تضار
بالرفع وهو ابلغ لكونه خبرا ويريد به الانشاء وانما نسب الولد اليهما استعطافا بان لا يضر كل
منهما ولا يضار صاحبه لانه يؤول الى الاضرار بالولد وعلى الوارث مثل ذلك عطف على المولود له
وما بينهما تعليل معترض والوارث الصبي لتقدم ذكر الولد والاصل في اللام العهد ولان
الولد اذا كان له مال لا يجب على الوالد اجرة الارضاع وقيل يتم ما عدا الولاد لعموم اللفظ و
الاشتقاق من الارث فقيل وارث المولود له وقيل وارث الصبي مطلقا عند ابن ابي ليلى ومن كان
ذا رحم محرم عند ابي حنيفة رحمه الله وقيل اصوله من الآباء والامهات وقيل عصباته
وقيل وعلى الوارث اي الباقي من الابوين بعد موت الآخر وفيه فلو اذ كمقدر فعلى الاب
نفقة وعلى الباقي من الاب والام فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما
التحديد بالحولين وجواز النقص علم سابقا الا ان من اراد كان ظاهرا في الاب فاشار هنا الى ان
اللازم حقا في الجملة وليست معزولة عن النظر رأسا وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح
عليكم اي اذا اتفق الوالد والوالدة على تسليم الولد الى المرضع فلا جناح في ذلك سواء كان بالام
عذر اولا يقال ارضعت المرأة واسترضعتها كانجح واستنجح بمعنى فالمفعول الاول محذوف
للعلم به إذا سلمتم ما آتيتم اي ما اردتم ايتاءه وقرأ ابن كثير بالقصر اي ما اردتم فعله والاول
احسن وليس التسليم شرطا لرفع الجناح بل حث على الاولى بالمروءة والاصلح بالولد اذ بذلك يزداد

رغبتها ويقوى اهتمامها بالمعروف متعلق بسلمتم اى بالطريق المعروف شرعا ومروة واتقوا الله
بالمحافظة على حدوده واعلموا ان الله بما تعملون بصير لا يخفى عليه خافية والذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اى ازواج الذين يتوفون منكم او الكلام
يتوفون منكم ويذرون ازواجا بعدهم وهذا اولى لان الظاهر من النكرة المعادة المغايرة
وانما قال عشرا لان الليالي غرر الايام والشهور باعتبار الاهلة قال الله ان لبثتم الا عشرا احق
الحامل بقوله واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن والامة قياسا على عدة الطلاق وما روى
عن علي وابن عباس رضى الله عنهما عدة الحامل باقصى الاجلين متروك بالاجماع وقرئ على بن ابي
طالب يتوفون على بناء الفاعل بمعنى يستوفون اعمارهم وما روى انه خطأ السائل عن الميت من
المتوفى باسم الفاعل محمول على ان السائل لم يكن بليغا عارفا بمواقع الكلام والحكمة في المدة
اعتبارها بمدة الايلاء والتي هي غاية صبر المرأة عن الزوج على ما نقل عن عمر رضي الله عنه
وقيل لان الولد يتحرك في اربعة اشهر وزيد العشر استظهارا فاذا بلغن اجلهن آخر المدة
فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن ايها الحكام مما كان محرما عليهن من الزينة والتعرض للخطاب
بالمعروف والله بما تعملون خبير فصل الآية الاولى بالبصير وهذه بالخبير لان الارضاع واحكام
امور مكشوفة بخلاف العدة وضبط ايامها ربما يتساهل فيه الحكام ولا جناح عليكم فيما عرضتم
به من خطبة النساء التعريض امالة الكلام الى عرض اى جانب يدل على الغرض والفرق ان استعمال
اللفظ في الموضوع حقيقة وفي غيره مجاز والكناية لفظ استعمل في غير الموضوع له مع جواز ارادة
الموضوع له ايضا والتعريض ما فهم من السياق من غير استعمال في المعرض به كقول الراغب في المعتدة
مثلك لا يوجد وكم لك من طالب والخطبة اسم الحالة الاتية تختص بطلب النكاح او اكننتم في
انفسكم اضمرتم علم الله انكم ستذكرونهن لغلبة ميل الرجال الى النساء ولذلك ابيح التعريض
والاضمار وفيه توبيخ لطيف ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن مقدر اى فاذكروهن و
لكن لا تواعدوهن سرا والسر كناية عن الوطء لانه مما يسر به ثم اطلق على العقد مجازا او لم
يطلق عليه ابتداء لعدم العلاقة الا ان تقولوا قولا معروفا متعلق بلا تواعدوهن والقول
المعروف هو التعريض اى لا تواعدوهن نكاحا الا بتعريض الطريق وحكم المعتدة من الطلاق
البائن حكم المتوفى عنها زوجها ولا تعزموا عقدة النكاح نهى عن العزم مبالغة في تحريم المباشرة
وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح لان معنى العزم في الاصل اى لا تبرموا النكاح ولا تلزموه
حتى يبلغ الكتاب اجله اى ما كتب وفرض من العدة آخر مدته ونهاية امره واعلموا ان الله يعلم
ما في انفسكم من العزم والميل فاحذروه واعلموا ان الله غفور لمن عزم عليه ولم يفعله خوفا
منه حليم لا يعاجل بالعقوبة لا جناح عليكم لم يعطفه لان ما تقدم في بيان المعتدة و
خطبتها وهذا في بيان المهر والجناح هو المهر لقوله بعد هذا وان طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم
ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة اى لا ايجاب مهر كلا او بعضا مدة انتفاء
احد الامرين المس والفرض وقرأ حمزة والكسائي تماسوهن لان المراد به الوقاع ولا يكون الا بين [illegible]

التخصيص والقصر اولى لان الوطء فعل الزوج والفريضة فعيلة بمعنى المفعول والتاء للنقل من
الوصفية الى الاسمية ويجوز ان يكون مصدرا ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره
الموسع الغني يقال اوسع الرجل اذا صار ذا سعة وغنى والمقتر ضيق الحال من الاقتار وهو الحجة
البلخ او من القتر وهو الغبار لتغير حاله وكآبة وجهه وقرأ حمزة والكسائي وحفص قدره بتحريك
الدال وهما لغتان والمتعة درع وملحفة وخمار عند ابي حنيفة رحمه الله الا ان يقل مهر
مثلها عن ذلك فلها نصف مهر المثل واستحسن الشافعي رحمه الله ان لا ينقص عن ثلثين
درهما والظاهر تخصيص المتعة بغير الممسوسة اذا طلقت قبل الفرض والحق بها الشافعي المدخول
بها استدلالا بقوله فتعالين امتعكن في آية التخيير فالتي لا متعة لها ذات التشطير متاعا
بالمعروف شرعا ومروة حقا على المحسنين ترغيب في اعطاء المتعة بانه وصف المحسنين لانه
فقد روى ان حسن بن علي رضي الله عنهما طلق امرأته ومتعها عشرة الاف فقالت متاع
قليل من حبيب مفارق وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف
ما فرضتم اى فلهن نصف ولا متعة لانه قسيم ذات المتعة الا ان يعفون اى المطلقات والنون
ضمير ولذلك لم يسقط بالناصب او يعفو الذي بيده عقدة النكاح قيل هو الولي واليه ذهب
مالك والشافعي رحمهما الله في قوله القديم والصحيح انه الزوج والمعنى او يترك الزوج
النصف واطلاق العفو وهو الاسقاط على الزيادة مشاكلة وعطفه على المستثنى وحكم ترك
الواجب وفي المعطوف ترك الزيادة عليه لاشتراكهما في طلب اى الا ان تعفو المرأة فلا يجب
او يكمله الزوج فلا ينصف وان تعفوا اقرب للتقوى لان من ترك حقه الذي نطق به القرآن
فهو بترك الشبهات اسمح وعن ابن عباس رضى الله عنه الخطاب للزوجين وفيه تغليب الذكور ولا
تنسوا الفضل بينكم اى تفضل بعضكم على بعض ترغيب في المسامحة الخطاب للاولياء والازواج
ان الله بما تعملون بصير فلا يضيع عنده الفضل والاحسان حافظوا على الصلوات عقب
الحث على العفو والنهي عن نسيان الفضل بالحث على محافظة الصلوة لانها تهيء النفس لاكتساب
كوامل الملكات فانها الناهية عن الفحشاء والمنكر جمعا بين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق
الله والمراد بالمحافظة رعاية اركانها وشرائطها وسننها وادابها والصلوة الوسطى اى الفضلى
من الوسط بمعنى الخيار ولذلك افردت بالذكر وهي صلوة العصر لكثرة الاخبار في فضلها و
لقوله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم
وقبورهم نارا وقد اكثروا القول فيها ولا يعارض ما روينا شيء مما ذكروا وقوموا لله قانتين
خاشعين او ذاكرين الله لامر لما روى مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يرد السلام وهو في الصلوة فلما رجعنا من الحبشة فسلمنا عليه فلم يرد علينا
وقال ان الله يحدث من امره ما يشاء وان مما احدث ان لا تكلموا في الصلوة فان خفتم من عدو
فرجالا جمع راجل كقيام في قائم او ركبانا جمع راكب ظاهر فيما ذهب اليه الشافعي رحمه الله من
جوازها حال المسابقة والمشي وقال ابو حنيفة رحمه الله بما اذا امكن الوقوف فسند لا باده

بان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصل يوم الخندق اربع صلوات فلو صح كيف اتفق لم يتركها
فاذا امنتم من الخوف فاذكروا الله اى صلوا على الوجه الذى علمكم والتعبير بالذكر لله لانه على ان
العرض من الصلوة ذكر الله واشكروه كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون اى شكرا يوازى تعليمه اياكم
من الشرايع والاحكام التى لا يمكن الوقوف عليه بفكر ونظر والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
وصية لازواجهم مفعول مطلق اى فليوصوا او كتب الله عليهم وصية وقرء نافع وابن كثير وابو بكر
والكسائى بالرفع على انه مبتداء خبره لازواجهم كسلام عليك او عليهم وصية او كتب عليهم
متاعا الى الحول بوصية او بفعله ان قدر غير اخراج بدل منه او حال من ازواجهم او مصدر مؤكد
لان الوصية بالتمتع تدل على عدم الاخراج والاية منسوخة بالتى تقدمت اربعة اشهر وعشرا لان
الترتيب للنزول لا يلزم ان يكون على ترتيب الوضع كما فى سيقول السفهاء مع قد نرى تقلب وجهك
ولا يقدح فيه كون ترتيب الوضع على وفق ترتيب اللوح والنفقة سقطت بالارث لان لان قوله
فلهن الربع فلهن الثمن دل على ان لها ذلك لا غير بل الانتقال المال الى الورثة وانما اوجب الشافعى
السكنى بما رواه الترمذى ان الفريعة بنت مالك بن سنان وهى اخت ابى سعيد الخدرى قتل زوجها
ولم يكن ساكنة فى بيت يملكه زوجها فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ترجع الى بنى خدرة
فقال امكثى حتى يبلغ الكتاب اجله فان خرجن فلا جناح عليكم ايها الولاة والحكام فيما فعلن
فى انفسهن من معروف لم ينكره الشرع وهذا يدل على انها لم يكن مجبرة على عدم الخروج بل
مخيرة والله عزيز قادر على الانتقام حكيم فى بناء الاحكام على المصالح وللمطلقات متاع
بالمعروف حقا على المتقين استدل به من اوجب المتعة لكل مطلقة وخص الشافعى رحمة الله عليه
عن هذا العام المطلقة قبل الدخول اذا كان لها مسمى لدلالة النص بايجابه على ان نصف المهر لها
فى مقابلة المتعة للمفوضة دون دخول وحمله الحقيقة على اعم من الواجب والمستحب وفيه جمع بين
الحقيقة والمجاز اذ التقدير وعلى الازواج للمطلقات وقيل تكرار للتاكيد لما روى زيد بن اسلم
لما نزل قوله حقا على المحسنين كان الرجل يقول ان شئت احسنت والا فلا فنزل حقا على المتقين
فاللام فى المطلقات للعهد كذلك يبين الله لكم اياته الدالة على الاحكام والاشارة الى الذكر
من احكام الطلاق والعدد لعلكم تعقلون فتعملون بموجبها الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم
بعد بيان جملة من الاحكام اسطر وقصة دالة على تأثير قدرته وسرعة تكون مراده لكون المخاطب
بها على حذر من مخالفته الاستفهام للتقرير والمخاطب اما من احاط بقصتهم علما من اهل الكتاب والاخبار
او كل احد ممن لم ير ولم يسمع وهذا ابلغ لدلالته على انها لم يخف على احد والرؤية مجاز عن النظر و
لذلك وصلت بالى او عن الادراك والمعنى الم ينته علمك اليهم والاول اوجه لان التقرار اختيارى
دون الادراك فهو الصق بالاعتبار عن ابن عباس رضى الله عنه هم اهل داوردان قرية قبل واسط وقع
من الطاعون وقيل قوم من بنى اسرائيل دعاهم نبيهم الى الجهاد ففروا حذرا من الموت وهم الوف
اى الاف كثيرة ولم يعلم عدد معين حذر الموت علة الخروج فقال لهم الله موتوا اى اماتهم
دفعة شبه تعلق الارادة بموتهم دفعة بامر الآمر المطاع وموتهم على ذلك الوجه بامتثال الا

بامتثال المأمور المبادر طاعته ثم احياهم بعدما تمزقت لحومهم وتفرقت عظامهم وتفرقت اوصالهم
حزقيل النبى فتعجب من عظم قدرة الله على الاحياء فاوحى اليه ان نادهم قوموا باذن الله فناداهم
فاذاهم قيام يقولون سبحانك اللهم وبحمدك ان الله لذو فضل على الناس يرى بعضهم الايات
ويبقيها الاخرى ليكون وسيلة الى مزيد الايقان ولكن اكثر الناس لا يشكرون بالتامل و
الاعتبار ولما عرفهم بان الحذر لا يغنى من القدر شجعهم على القتال فى سبيل الله بقوله وقاتلوا
فى سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم وفيه تعريض بالمنافقين الذين كانوا يقاتلون
للغنائم ولما كانت سورة البقرة سنام القرآن والجهاد سنام الدين كرره بطرف شتى استينافا
واستطرادا واردفه بالانفاق الذى لا يمكن الجهاد بدونه بقوله من ذا الذى يقرض الله قرضا
حسنا القرض لغة القطع وفى الشرع هو المال المعطى بقضى بمثله استعير لبذل المال والنفس
فى الجهاد رجاء الثواب ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى الاقراض والاستفهام للعرض والحث
على الانفاق فهو ابلغ من الامر وسماه قرضا ولالة على لزوم ثوابه ووجوب تحققه وحسنا خالصا
عن الرياء او لانه نفع النفع الى المقرض بخلاف اقراض الناس فيضاعفه له اى ثوابه وجزاءه
اضعافا كثيرة لا يحيط بها الا علمه تعالى وتاجيل ما بسبب الله كثيرا روى ابن ابى حاتم عن
ابن عمر رضى الله عنه لما نزلت مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع
سنابل فى كل سنبلة مائة حبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رب زد فنزل وقرء
نافع وابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى بالرفع والباقون بالنصب بان مضمرة بعد فاء
الجواب وثقله ابن كثير وابن عامر مع القصر والتخفيف اكثر لما روى ابو عمرو تقول العرب ضعفت
درهما جعلته درهمين وضاعفته جعلته اكثر وضعف الشئ مثلاه فلو قال لك عندى
ضعف درهم لزمه درهمان وقيل ضعف الشئ مثله والله يقبض ويبسط لمن يشاء بيده
المنع والعطاء وقرء نافع وابن كثير فى رواية البزى وابو عمرو والكسائى بالصاد والسين هو
الاصل وابدال الصاد منه لمشاكلة الطاء اطباقا واستعلاء واليه ترجعون فيرى كل
ما قدم الم تر الى الملاء من بنى اسرائيل قصة اخرى تشجع على القتال وتحذر عن التكاسل و
القاعد من بعد موسى حال من الملاء اذ قالوا لنبى لهم قيل هو شمعون وقيل اشمويل وقيل يوشع
ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله نصدر عن رأيه جزم على الجواب قال هل عسيتم ان
كتب عليكم القتال ان لا تقاتلوا عسى لتوقع وقوع الخبر فلا وجه للاستفهام عنه لانه
معنى قائم بالمتكلم بل الاستفهام فيه لتقرير الخبر وتحقيقه لان افعال المقاربة قيود لاخبارها
والمعنى ترك المقاتلة منكم امر متوقع ثم حققه بادخال هل دلالة على ان ذلك المتوقع كائن
مثلها فصل بين على الاخبار وقرء نافع بكسر السين وهما لغتان والفتح اخف واشهر قالوا
وما لنا الا نقاتل فى سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اى داع لنا الى ترك القتال
وقد اصبنا باشد المصايب من ترك الاوطان ومفارقة الابناء والولدان وذلك ان قوم جالوت
كانوا على ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فاسروا من ابناء ملوك بنى اسرائيل اربعمائة واربعين

فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم قيل كان القليل ثلثمائة وثلثة عشر عدد اهل بدر
والله عليم بالظالمين وعيد للكثير على ما فعلوا وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت
ملكا عطف على مقدر اي قال لهم ان الله كتب عليكم القتال وجعل لكم طالوت اميرا قالوا انى
يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه كان من سبط يهوذا وكان الملك في سبط لاوي
ولذلك ادعوا الاحقية ولم يؤت سعة من المال حال اخرى معطوفة على الاولى وكلاهما
في التحقيق تعليل للاستبعاد قدحوا اولا في نسبه وثانيا في حسبه قال ان الله اصطفيه
عليكم الناس اولا وادم المختار من اختاره الله وزاده بسطة في العلم والجسم وهما اللذان
يحتاج الملك اليهما ليكون بعلمه ذا رأي وتدبير وبجسامته عظيما في الاعين لا يزدريه الناظر
والله يؤتي ملكه من يشاء فلا وجه لمعارضته ودعوى لا احقية بعد تعلق ارادته بتمليكه
والله واسع عليم واسع الفضل كامل العلم بما يختار لاحكمة وان خفيت وقال لهم
نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت هو الصندوق فعلوت من التوب لانه يرجع اليه
مرة بعد اخرى وليس بفاعول من تبت لقلة ما فاؤه ولامه من جنس واحد كسلس وقلق فيه
سكينة من ربكم سكون وطمأنينة الضمير للاتيان وكان موسى اذا قاتل قدمه امامه فتسكن
اليه نفوس بني اسرائل وقيل كان صورة من زبرجد وياقوت لها رأس كرأس الهرة وجناحان
فتأتي فتزف الصورة نحو العدو فتسكن قلوبهم وقيل كان فيه صور الانبياء ومن قال التابوت
هو القلب والسكينة هي العلم ماذا يقول في قوله وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون هي رضاض
الالواح وعصى موسى رفع الى السماء وقيل كان في يد جالوت فوقع فيهم طاعون حتى هلك
منهم خمس مداين فتشأموا به فحملوه على ثورين فيجرجوه من بينهم فاستاقهما الملئكة الى
طالوت ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين من كلام الله او كلام النبي فلما فصل طالوت
بالجنود اي فصل بنفسه من الفصل ويجوز ان يكون لازما من الفصول كوقف من الوقف والوقوف
قال ان الله مبتليكم بنهر قال ابن عباس رضي الله عنه هو نهر الشريعة بين الاردن وفلسطين
فمن شرب منه فليس مني اي من ابتداء شربه منه فليس متصلا بي ومتحدا معي في الدين كقوله
انت مني بمنزلة هارون من موسى والشرب حقيقة في الكرع واليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله
فيمن حلف لا يشرب من هذا النهر وصاحباه الى مطلق الشرب عرفا ومن لم يطعمه فانه مني اي لم
يذقه كقوله وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا الا من اغترف غرفة بيده استثناء منقطع
من قوله فمن شرب منه لان الاغتراف ليس من جنس الكرع فلو اتصل وانحمل الشرب على المطلق
فالاستثناء متصل ولا يجوز ان يكون مستثنى من قوله ومن لم يطعمه فانه متى على معنى المغترف
ليس مني لان الاغتراف كان رخصة والا لبطل فائدة النهر فشربوا منه الا قليلا منهم عن البراء
كنا نتحدث ان اهل بدر عدد اصحاب طالوت فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه لم يجاوز الا
ذلك القليل قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده القائل ناس من المؤمنين غير كامل في
اليقين وقيل القائل هم الكثير كانهم تقاولوا بعد ما جاز القليل النهر وفيه بعد لان الكارعين

لان الكارعين ممنوعون من الذهاب لقوله فليس مني فلا حاجة بهم الى الاعتذار قال الذين
يظنون انهم ملاقوا الله وهم الخلص منهم او كل من جاوز ان كان القائل الاول هو الكثير كم من
فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله بارادته وتيسيره والله مع الصابرين حث
على الثبات في مداحض الحرب ولما برزوا لجالوت وجنوده ظهروا وتصافوا للحرب وجالوت
اسم جبار من اولاد عمليق بن عاد كانت بيضته زنة ثلثمائة رطل قالوا ربنا افرغ علينا صبرا
وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين املأ قلوبنا قدموا اسؤال الصبر لانه
سبب الثبات والنصر غايتها فهزموهم باذن الله بعونه وتيسيره وقتل داود جالوت كان ايشي
ابا داود له سبعة بنين داود اصغرهم فاوحي الى ذلك النبي ان قاتل جالوت داود وكان
يرعى الغنم فطلبه طالوت من ابيه فلما جاء كلمه في الطريق ثلثة احجار وقالت خذنا معك
فانك بنا تقتل جالوت فالقاها في مخلاته فلما قتله كان له بنت زوجه طالوت اياها
وآتاه الله الملك بعد ان كان راعيا والحكمة النبوة وعلم الشريعة وعلمه مما يشاء كلام
الطيور وصنعة الدروع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض الدافع الجنس والبعضان
مبهمان او البعض المدفوع هم الكفار لان العاقبة للمتقين لفسدت الارض بقتل المسلمين
ونحو ذلك مما يفضي الى الخراب وهلاك اهل الارض بالكلية بشؤم الكفار وقرأ نافع دفاع
وهما مصدرا دفع والقصر اشهر ولكن الله ذو فضل على العالمين بترتيب اسباب البقاء
تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق اي الامور المذكورة في شأن طالوت وجالوت او ما
ذكر من اول السورة الى هنا وهذا اوجه ليكون فذلكة ورجوعا الى ما بدئ به من حديث
النبوة بقوله وانك لمن المرسلين داخل في زمرتهم لانك تخبر عن وقايعهم وما كنت تتلوا من قبله
من كتاب ولا تخطه بيمينك ليرتاب المبطلون ثم استأنف بما يدل على انه افضلهم فضلا عن ان يكون
منهم بقوله تلك الرسل اي المذكورون فانهم اولوا العزم او ما ذكر وما هو في علمه وجملتهم واللام
للاستغراق فضلنا بعضهم على بعض في الرتبة منهم من كلم الله من غير واسطة وهو موسى وبان
لجهة تفضيله ورفع بعضهم درجات كثيرة من جهات شتى ولذلك لم يشر الى ما به فضل وليس
ذلك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما روى البخاري انه كان في يده كتف شاة فنهس منه
نهسة وقال انا سيد ولد آدم اتعرفون بم ذلك ثم ذكر حديث الشفاعة وقيامه في المقام المحمود
وفي تنكير البعض فخامة لا تخفى لدلالته على انه اوضح من ان يشتبه على احد وحمله على ابراهيم
بعيد لان الكلام مسوق لبيان فضل رسول الله فلا يجوز اخلاؤه عن ذكره واما ابراهيم
فالفرق متفقون على حبه ونبوته فلا يحتاج الى ذكره هذا ما عليه المفسرون ولكن فيه
اشكال وهو ان قوله تلك الرسل ظاهر ان رسول البشر منهم لان الانسان لا يثبتا وله وما بعده
تفصيل لاحوال اولئك وآتينا عيسى ابن مريم البينات المعجزات الواضحة من ابراء الاكمه والابرص
واحياء الموتى اضافه الى امه تكذيبا للنصارى في دعوى البنوة والنقف في ابقاء البينات الى
التكلم مبالغة في دفع وهم الربوبية وايدناه بروح القدس بروح مطهرة من غير واسطة اب

بارسال جبرائيل سكن والدال ابن كثير ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم اى الذين كانوا بعد الرسل
من بعد ما جاءتهم البينات متعلق باقتتل ولكن اختلفوا فمنهم من آمن بتوفيق الله ومنهم من كفر
ولو شاء الله ما اقتتلوا كرر للتاكيد وللاستدراك بقوله ولكن الله يفعل ما يريد اى لكنه لم يشا
عدم القتال بل ثبوته فوقع مراده فالكلام على قانون العربية من انتفاء المسبب لانتفاء سببه
يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم يشمل الواجب والمندوب ويتناول المنفق في الجهاد
فلينتظم مع آيات القتال وايصال الوعيد باعتبار اشتماله على الواجب من قبل ان ياتي يوم
لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة صفات اليوم وقرأ ابو عمرو وابن كثير الثلثة بالفتح وهو اقوى
والرفع على تقدير سؤال هل هناك بيع او خلة او شفاعة والمعنى ان التدارك اما بالاداء
ولا معاملة هناك او بالمجاملة من الاخوان والخلان ولا وجود لها لكل امرئ منهم يومئذ
شان يغنيه او بالابراء بالشفاعة ولا سبيل اليه لاسيما في حقوق العباد والكافرون هم
الظالمون عبر تارك الزكوة بالكافر تغليظا كما في آية الحج او تسمية للشارف باسم المباشر
كما في هدى للمتقين او تعبيرا باللازم عن الملزوم لان ترك الزكوة من صفات الكفار وويل
للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة الله لا اله الا هو الحي القيوم هذه آية الكرسي والاخبار في
فضلها فوق الاحصاء منها ما روى ابي بن كعب سالني رسول الله صلى الله عليه وسلم اى آية
في كتاب الله اعظم قلت آية الكرسي فضرب بيده في صدري فقال ليهنك العلم يا ابا المنذر حي
لخاصة حقيقية توجب العلم والقدرة والقيوم الدائم البقاء لا يطلق على غيره تعالى وقيل
القائم بنفسه المقيم لغيره والمعنى هو المستحق للالوهية لاختصاصه بصفاتها والحي القيوم
اما بدل من هو او خبر ثان لا تاخذه سنة ولا نوم السنة النعاس المتقدم على النوم قال
وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم فتقديمها رعاية الوجود والابتداء
بالاخف كقوله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة وليس من قبيل التتميم بل من اسلوب الاحاطة والاحصاء
والجملة مقررة لقيوميته لان التيقظ ينبئ عن القيام بالتدبير له ما في السموات وما في الارض
تقرير لعظمته وكبريائه لافتقار الكل اليه فلكيا كان او ارضيا وهذا ايضا تقرير لقيوميته
من وجه آخر من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه اى لا يصدر من احد شفاعة الا باذن خاص وفيه
ايضا تقرير كبريائه بانه كما انفرد بالايجاد ابتداء كذلك منفرد بالنفع بقاء وفيه رد على
المشركين في ان شركائهم شفعاء عند الله والشفاعة اعم من ان تكون في ازالة نقصان او
افادة رجحان يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم الضمير لما في السموات والارض باعتبار العقلاء
وما بين ايديهم وما خلفهم امور الدنيا والآخرة وفيه تقرير للقيومية لاقتضاء العلم التام
ولقوله له ما في السموات وما في الارض لان موجد الشيء يعلم ما هو عليه وما يؤول اليه ولا
يحيطون بشيء من علمه من معلوماته الا بما شاء لحدوثهم وحدوث علمهم وسع كرسيه السموات
والارض روى النقاش ان الله تعالى كرسيا دون عرشه لا يعلم عظمته الا هو وعن ابن عباس رضي الله عنهما
لو ان السموات السبع والارضين السبع بسطن ثم وصلن لم يكن في سعة الكرسي وقيل المراد

وقيل المراد تصوير عظمته تعالى بعظم من يكون له كرسي هذا نعته فاطلق المركب الحسي المتوهم على
العقل المحقق والجملة ايضا تقرير لقيوميته باعتبار سعة العلم وتعلقه بالمعلومات كلها او
بجلاله وعظم قدره ولا يؤده حفظهما لا يشغله ولا يشق عليه تتميم حسن وهو العلي العظيم
المتصف بصفات الكمال والجلال لا اكراه في الدين لان امر الايمان على الاختيار لا يتصور فيه
الاكراه وروى ابو داود والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في الانصار كانت
المرأة قبل الاسلام تقول ان عاش ولدي لله على ان اجعله يهوديا فلما اجلى اليهود ارادوا
انتزاع الاولاد والذين يهود وابا الاكراه وقيل في اهل الكتاب ان بذلوا الجزية وقيل نسخ
باية القتال قد تبين الرشد من الغي تميز الكفر من الايمان بالدلائل النيرة فمن يكفر با
لطاغوت بالشيطان فعلوت من طغا يطلق على كل رأس في الضلال مفردا وجمعا كقوله
اولياؤهم الطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها شبه
التدين بالدين الحق بالتمسك بالعروة الوثقى المتخذة من الحبل المحكم المامون انقطاعه و
الفصم بالفاء قطع بلا ابانة وبالقاف مع الابانة ايذانا بمبالغة في الوثاق والله سميع
عليم الله ولي الذين آمنوا قصدوا الايمان يخرجهم من الظلمات الى النور الى الايمان
والظلمات شبه الجهل ووساوس الشيطان والذين كفروا صمموا على الكفر اولياؤهم الطاغوت
الشياطين وكل مضل يخرجونهم من النور الى الظلمات من الايمان الفطري ويجوز ان يكون
آمنوا وكفروا على ظاهرهما والمراد بالظلمات الشبه وبالنور البينات والاسناد الى الطاغوت
مجاز للسبب اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لم يذكر وعد المؤمنين تفخيما لشأنه الى
شيء يطول شرحه الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه ذكر من الفريقين فردين هما علم في الايمان
والكفر تصويرا للاخراج من الظلمات الى النور وبالعكس والاستفهام للتعجب ان آتاه الله الملك
اللام للعلة حقيقة والمعنى حمله على ذلك البطر او مجاز باعتبار الاستعقاب كما في قوله تعالى
فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا او الوقت مقدر والغرض تعكيسه فجعل الكفر
مكان الشكر وهذا المحاج نمرود بن كوش بن كنعان بن سام بن نوح واذ قال ابراهيم ربي الذي
يحيي ويميت ظرف حاج او بدل من آتاه ان قدر الوقت باعتبار امتداد الزمان قال انا احيي و
اميت قيل احضر رجلين فقتل احدهما واطلق الآخر قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق
فات بها من المغرب كان الاعتراض عليه لا يحابان يقول ليس ما اتيت به من الاحياء والاماتة
في شيء لكنه لما كان جاهلا وكلامه خارجا عن قانون التوجيه اراد ازاحة الشبهة بحيث
لا يبقى مجال للريب وليس من الانتقال الذي يعده اهل النظر عيبا في المناظرة فان ذلك قبل
تمام الدليل وحجة الخليل عليه السلام كانت تامة على انه في التحقيق ليس من الانتقال
من دليل الى آخر بل الى مثال اجلى لا يقبل الشبهة لان الشمس للعالم بمنزلة الروح فبهت الذي
كفر صار مبهوتا بعد تمام الحجة والله لا يهدي القوم الظالمين الذين سبق في علمه انهم اهل
النار او كالذي مر على قرية تقديره او ارايت مثل الذي عطف جملة الى اخرى فحذف لدلالة

المدة عليه وخص بحرف التشبيه لان منكري الاحياء اكثر من مدعي الربوبية والجاهل بكيفية اكثر من ان يحصى او التقدير او رايت مثل الذي حاج ابراهيم او مثل الذي مر على قرية على انه من عطف المفرد والقرية بيت المقدس حين خربها بخت نصر والمار عن مجاهد كافر وعن علي وابن عباس رضي الله عنه عزير وهو المشهور وارجح رعاية للتفصيل المقدم لان نمرود مثال من وليه الطاغوت وهذا مثال لمن وليه الرحمن ولان كلام الله مع الكافر يحتاج الى تكلف وهي خاوية على عروشها ساقطة حيطانها على السقوف او خالية عن الناس سالمة قائمة على عروشها والعروش جمع العرش وهو ما يرفع يستظل به قال انى يحيي هذه الله بعد موتها انكارا ان كان المار كافرا وتعجب من امر قدرته ان كان نبيا كقول زكريا انى يكون لي غلام فاماته الله مائة عام ثم بعثه بعد تلك المدة قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم اضرب عن اليوم لان نوم يوم كامل غير معتاد وقيل لانه مات وقت الضحى وكان احياؤه قبل غيبوبة الشمس فلما راى الشمس قال او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه لم يتغير من السنه والهاء اصل لقولهم سانهت او هاء سكت لقولهم سنوات في الجمع فعلى الاول الجزم باسكان الهاء وعلى الثاني بحذف الواو ويجوز ان يكون مضاعفا من سن تغير كقوله من حمإ مسنون وقرأ حمزة والكسائي لم يتسن في الوصل بلا هاء ذهابا الى اصله واو مضاعف فلا وجه للهاء والمختار اثباتها اما لانها اصل او لاجراء الوصل مجرى الوقف تباعا للرسم وتوحيد الضمير العايد الى الطعام والشراب لان الجنس الذي به عيش الانسان فكان طعامه تينا وعنبا وشرابه عصيرا او لبنا وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه وقيل انظر اليه سالما عاش مائة عام حيث ربط من غير ماء وعلف ولنجعلك آية للناس فعلنا ما فعلنا قيل لما تم عمره اربعين سنة فلما جاء قومه قال انا عزير فقالوا عزير قد مات من مائة سنة وكان يحفظ التورية فقراها عليهم فقالوا هذا ابن الله كان عندنا مذ غاب وكان على صورة شابا وابنه شيخا وابنه شيخا قد بلغ مائة وعشرين سنة وابن ابنه تسعين وفيه لاي يقول الشاعر واسود رأس شاب من قبله ابنه ومن قبله ابن ابنه فهو اكبر ترى ابنه شيخا يدب على العصا ولحيته سوداء والرأس شعر وعمر ابيه اربعون امرها ولابن ابنه في الناس تسعون غير وانظر الى العظام كيف ننشزها عظام حمارك والموتى الذين تعجبت من احيائهم والانشاز الرفع من نشز المكان ارتفع وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو ننشرها بالراء المهملة من انشر الله احياء والاول اوفق لان المعنى على التركيب والحيوة متأخرة لقوله ثم نكسوها لحما فلما تبين له ما كان مخفيا من كيفية الاحياء قال اعلم ان الله على كل شيء قدير لان عين اليقين اعلى من رتبة العلم وقرأ حمزة والكسائي اعلم بهمزة الوصل مع الجزم امرا من قائل الله تعالى ارتقى الى مقام عين اليقين كما قال بعد هذا لابراهيم واعلم ان الله عزيز حكيم او قال عزير مخاطبا نفسه توبيخا وتبكيتا او على زوال الشك ان كان القائل كافرا واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى سؤال عن كيفية الاعادة لا عن نفسها قال اولم تؤمن باصل الاعادة ولابد لها من كيفية لان الافعال الواقعة لا تخلو عنها

لانطواعها والاستفهام للتقرير قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فان العلم الحاصل بالمشاهدة لا تعتريه الشبهة في العيان معنى لا يوجد في البرهان قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ضمها اليك ليحصل لك ما تطلب وقرأ حمزة بكسر الصاد وهما لغتان ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا امر بذبحها وخلط لحومها وان يأخذ رؤسها عنده ويجعل اللحم المختلط اجزاء على كل جبل جزءا منه حتى لا يلتبس عليه اذا احياها الله وقرأ ابو بكر بضم اسكان الزاء وهما لغتان الضم للحجاز والاسكان لتميم ثم ادعهن يأتينك سعيا ساعيات مشيا او طيرانا واعلم ان الله عزيز لا يغالب ولا يأبى عليه مراد حكيم في اخفاء الاحياء والاعادة على الناس ابتداء قيل كانت الطيور طاوسا وغرابا وديكا وحمامة وكان في ابتيارهن اشارة الى ان السالك انما يصل اذا امات القوة الشهوية الطالبة للزخارف التي هي صفة الطاوس والغضبية الباعثة على الصولة والترفع التي هي صفة الديك وازاح عن النفس الدناءة والميل الى الجيفة كذبا التي هي صفة الغراب والخفة والمسارعة في نيل المستلذات التي هي صفة الحمام فان قلت كل من عزير وابراهيم كان موقنا بان الله قادر على الاحياء والخفاء في الكيفية فلم ارشد ابراهيم من غير توقف واماته عزير امائة عام ثم اراه ذلك قلت لان ابراهيم سأله مناديا سؤال المسترشد وكان في عبارة عزير معنى التعجب ولذلك اراه في نفسه وجعله آية للناس والمقربون يعاملون بمثل هذه المعاملات الا ترى ان موسى عليه السلام لما قيل له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا كيف عتب الله تعالى عليه حيث لم يرد العلم الى الله وسيره في الارض طالبا للعلم متلمذا لمن ليس في رتبته مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله عقب سؤال ابراهيم بالحث على الانفاق كانه قال ليس الكمال في الكشف عن كيفية الاعادة وتحصيل العلم بها انما الكمال فيما يدخر لما بعد البعث ولا وسيلة اوثق من التقرب اليه بانفاق المال في سبيله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة اي مثل نفقتهم لابد من حذف المشبه به وان كان من تشبيه المركب الذي لا يلاحظ فيه المفردات وايثار سنابل على سنبلات للدلالة على الكثرة في المعنى لاشتمال كل سنبلة على مائة حبة وهذا واقع في الدخن والذرة وفي البر في الاراضي المغلة مع ان المدرك بالحس يجوز ان يكون خياليا كما في اعلام ياقوت نشرن من رماح من زبرجد روى مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الانفاق في سبيل الله فجاء رجل بناقة مخطومة فقال لك بها سبعمائة ناقة مخطومة يوم القيمة والله يضاعف لمن يشاء على هذا العدد الى اضعاف لا يعلمها غيره وذلك بحسب قوة اليقين والاوقات ومحل الصدقة والله واسع فضله عليم بمن يستحق الزيادة الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى تحذير عن القوادح في الانفاق المن الاعتداد بالمعروف بان يرى فضله على من احسن اليه والاذى ان يذكر لمن احسن اليه احسانه او يواجهه به ويقول فعلت معك وفعلت وفي نوابغ الكلم صنوان من منح سائله ومن ومن منع نائله وضن وفيه ايضا طعم الآلاء احلى من المن وهو امر من الآلاء مع المن لهم اجرهم عند ربهم لا يدخل الفاء في خبر الموصول اشعارا

بان التسبب لذلك الاجر هو فضله تعالى والاعمال امارات وانما ادخلها في قوله الذين ينفقون
اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم اعتدادا بها لاستيعاب الازمنة والتخلص
عن قصة الرياء وقيل لم يدخل الفاء ايهاما بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف اذا فعلوا وفيه
ان الانفاق سرا وعلانية اولى بذلك فكان ترك الفاء فيه اظهر ولا خوف عليهم من فوات ولا هم
يحزنون على مترقب قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى صح الابتداء بالنكرة لتخصيصها
بالوصف والمعطوف على المخصص حكمه حكمه والتحقيق ان التخصيص ليس بشرط على ما اشار اليه ابن الحاجب
اذا صح المعنى لخبر بما انبت عما ثبت والمعنى الرد الجميل للسائل كقول الغني له يفتح الله عليك و
انالك والتجاوز عنه ان بدا منه غلط والحاف في السؤال خير من الصدقة التي تتبعها اذى
واكتفى بالاذى لانه على قرينة وفي الحديث الكلمة الطيبة صدقة وكفك نفسك عن الشر
صدقة والله غني على انفاق بالمنفق وانما حث على الانفاق لينال به الزلفى فلا ينبغي ان يبطل
بالمن والاذى حليم لا يعاجل بالعقوبة روى مسلم عن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم المنان بصدقته
والمسبل ازاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن
والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر ساق الاية الاولى للترغيب
في الصدقة خاليا عن المن والاذى وهذه في ذم من ابطل صدقته لشيء منهما وراى بها وشبهه
بفعل المنافق تحذيرا عن ارتكابه وحثا على اجتنابه والكاف في موضع الحال والمصدر ثم صور
حاله المحسوس لم يجاوز بصر معرفته بقوله فمثله كمثل صفوان حجر املس عليه تراب فاصابه وابل
مطر عظيم القطر فتركه صلدا اجرد نقيا من التراب لا يقدرون على شيء مما كسبوا اي من ثوابه
كقوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وانما جمع الضمير في لا يقدرون مع انه
حال من الذي واستيناف والضمير عائد اليه لارادة الموصول جنسا او بقدر اي قوم فوج وما
في معناه او الذي في موضع الذين كما في كالذي خاضوا والله لا يهدي القوم الكافرين [illegible]
الاهتداء وهم الذين جبلوا على الكفر ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا
من انفسهم اي وليثبتوا ابذلك بعض انفسهم على اثار العبادات فان بذل المال اشق شيء فمن ذلك به هان
عليه غيره او تثبيتا لاسلامهم ناشيا من انفسهم فان الانفاق امارة ان الايمان من اصل القلب
وسنخ القلب او تثبيتا للمؤمنين بعلمهم انهم صادقون في الايمان ومن يحتمل التبعيض والابتداء
انه لا مقصود هو ان يعلم المؤمنون ثباتهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فاتت اكلها ضعفين
فان لم يصبها وابل فطل اي حال نفقة هؤلاء لكونها ناشئة عن ينبوع الصدق والاخلاص كحال
جنة في مكان مرتفع لان الشجر فيه احسن وانمى واصابها المطر وابلا وطلا فان الطل يغني غناء
غناء الوابل بحسن المكان وطيبه ومن تظلل الخليل امام النحو يمدح بستانا على ربوة ترفعت عن
ندى الاعماق وانخفضت عن المعاطش واستغنت بسقياها او حالهم في انتاج القليل والكثير الاضعاف
لاجورهم كحال الجنة في انتاج الوابل والطل الواصلين اليها الاضعاف لاثمارها وقرئ نافع

وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو اكلها بسكون الكاف تخفيفا والله بما تعملون بصير
حث على الاخلاص وتحذير من الرياء آخر البصير على الخبير ايماء الى ان الرياء وان كان خفيا
كالمبصر عنده ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار
له فيها من كل الثمرات افرد النخيل والاعناب لكونهما اكرم الشجر واكثرها منافع وثمرهما فاكهة
وقوت واصابه الكبر اي كبر السن والواو للحال او للعطف على يكون بالمعنى فكانه قيل ايود
احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر وذلك لان المضارع يدخل ان تخلص للاستقبال
فلا يعطف عليه الماضي وله ذرية ضعفاء حال من الهاء في فاصابه فاصابها اعصار
فيه نار عطف على اصابه الكبر والاعصار الريح المستديرة في الارض ترتفع نحو السماء
فاحترقت او الجنة مثل ضربه الله لمن يحبط اعماله الصالحة بالرياء فاذا كان يوم القيمة
وهو افقر ما يكون اليها لا يجد لها اثرا والمعنى في جانب المشبه به انكار ان يود احد
هذا الحال المستفاد من المجموع كذلك يبين الله لكم الايات كلها ايضاحا وكشفا لعلكم
تتفكرون كي تتفكروا في العاقبة وتجتنبوا ما يورثكم الندامة يا ايها الذين امنوا
انفقوا من طيبات ما كسبتم من خيار مكسوبكم لان الحل علم من الامر بيان للمنفق بعد تقييد
الانفاق بالاخلاص ومما اخرجنا لكم من الارض ومن طيبات ما اخرجنا اعاد الجار
للدلالة على الاستقلال كما في ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ولا تيمموا الخبيث قرأ ابن
كثير في رواية البزي بادغام التاء في الوصل لعدم الابتداء بالساكن والتخفيف اخف
والاشهر منه تنفقون جزء حال مقدرة ولستم باخذيه حال اخرى على الترادف او التداخل
الا ان تغمضوا فيه اي لا تاخذونه بوجه من الوجوه الا بالتسامح يقال اغمضت عن كذا
وغمضت واغتمضت اذا تغافلت عنه كانك لا تبصر قال ومن لم يغمض عنه عن صديقه وعن
بعض حبه ايمت وهو عاتب روى الترمذي عن البراء قال فينا نزلت كان الرجل ياتي بالقنو
الحشف فيعلقه بين الاسطوانتين في المسجد لاهل الصفة واعلموا ان الله غني عن انفاقكم
وانما يامركم به لانتفاعكم حميد بقبوله واثابته او كثير الثناء على المنفق وكم اثنى في
كتابه على المنفق في سبيله الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء بالبخل والعرب تسمي
البخيل فاحشا والوعد يستعمل في الخير والشر ان ذكر مفعوله والا فالوعد في الخير والايعاد و
الوعيد في الشر والله يعدكم مغفرة منه بالانفاق وفضلا في الدنيا عوضا عما بذلتم و
تقديم المغفرة للدلالة على ان العاقل يجب ان يكون قصده الاول ذلك والله واسع فضله
عليم بنية المنفق ترغيب في الاخلاص وايثار الاجود للصدقة يؤتي الحكمة من يشاء العلم
مع الايمان والعمل مع الاتقان ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واي خير كثيرا تاكيد له
كما اكده بالتنكير كيفا وما يذكر الا اولوا الالباب العقول الخالصة عن شوائب الوهم حث
على العمل بما تضمنته الاي السابقة من انفاق الطيب واجتناب الخبيث وتوخي المغفرة
والفضل وعدم الركون الى المن والاذى وايثار المتذكرين ابناء الحجاء تلك المقاصد وما

انفقتم من نفقة في طاعة او معصية او نذرتم من نذر التزاما في الذمة فان الله يعلمه فيجازيكم
عليه من اطلاق الملزوم وارادة اللازم وما للظالمين من انصار مقابلة الجمع بالجمع يقتضي
التوزيع اي ما لظالم من نصير قط ان تبدوا الصدقات فنعما هي ما في فنعما نكرة غير
موصولة ولا موصوفة اي نعم شيئا ابداؤها وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون
وهما لغتان وقرا ابو عمرو وقالون وابو بكر باختلاس كسر العين تخفيفا وهو المختار رعاية
للجانبين وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم اي صدقة التطوع لما روي عن ابن عباس
رضي الله عنه انها سرا تفضل من صدقة العلانية سبعين ضعفا وصدقة الفرض تفضل علانيتها
من السر بخمسة وعشرين ضعفا وقيد الاعطاء للفقراء وخال السر لانه مظنة الالتباس فانه
اكثر ما يكون لبادور روى البخاري ومسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله في
ظله يوم لا ظل الا ظله منهم رجل تصدق بيمينه فاخفاها حتى لا يعلم شماله ويكفر عنكم سيئاتكم
قراه بالياء ابن عامر وحفص مسندا الى ضمير الله وجزمه نافع وحمزة والكسائي والمختار الرفع لانه
انجم والجزم لاندراج تكفير الذنوب في جزاء الصدقات موافقا لقوله ان تقرضوا الله قرضا حسنا
يضاعفه لكم ويغفر لكم والله بما تعملون خبير ترغيب في الاسرار لكون الخبرة في العلم ببواطن الامور
ليس عليك هداهم خلق الاهتداء فيهم تسلية له كانه يشق عليه عدم امتثال بعضهم ولكن
الله يهدي من يشاء هدايته وما تنفقوا من خير من مال سماه خيرا باعتبار ثوابه فلانفسكم
لا يتجاوزها ثوابه وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله عطف على جملة وما تنفقوا والمعنى
ان انفاقكم لما كان بوجه الله فلا وجه للمن والاذى والاحسن ان يكون حالا اي وما تنفقوا
فلانفسكم ثوابه حال كونكم تنفقونه ابتغاء وجه الله روى النسائي عن ابن عباس رضي الله عنه
كانوا يكرهون ان يرضخوا لانسابهم المشركين فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمعنى
على هذا ليس عليك هدايتهم حتى تمنع الصدقة عليهم كي يسلموا وانما عليك الحث على مكارم الاخلاق
وكل ما ابتغي به وجه سواء كان على بر او فاجر فهو واصل الى المنفق مشكور فيه سعيه وما تنفقوا
من خير يوف اليكم اجره كاملا وليس في هذا دلالة على ان الصدقة على الصالح والطالح سيان
بل ترغيب في الصدقة على الكافة وانتم لا تظلمون لا تنقصون من ثوابه للفقراء الذين احصروا
في سبيل الله اي اجعلوا صدقاتكم للفقراء الموصوفين او صدقاتكم لهم على الابتداء والخبر على الاحصار
بالجهاد والمرض والخوف لا يستطيعون ضربا في الارض لطلب المعاش لاشتغالهم بالجهاد او لوجود
المانع والاكثرون على انها نزلت في اصحاب الصفة من فقراء المهاجرين لم يكونوا يحصون في عدد
كانوا يزيدون وينقصون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر اصحابه بان يعشي كل رجل واحد
منهم فاذا افضل جماعة بعشيهم هو يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف لاظهارهم الغنى مبالغة
في العفة وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو والكسائي يحسب بكسر السين وهو المختار لانه لغة الحجاز
تعرفهم بسيماهم انت او كل احد برثاثة حالهم ولسان الحال انطق لا يسألون الناس الحافا الحاحا
ومبالغة بل ان سألوا تعريضا واصل الالحاف من اللحاف كانه يسأل كل نحو حتى اللحاف او يشمل

او لشمول سؤاله الناس شمول اللحاف صاحبه او لا يسألون الناس راسا كقوله ولا ترى الضب
بها ينجحر اي لا ضب ولا انجحار وهذا اوجه لقوله يحسبهم الجاهل اغنياء ولما روى البخاري
عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس المسكين الذي ترده التمرة
والتمرتان ولا اللقمة واللقمتان انما المسكين الذي يتعفف اقرؤوا ان شئتم لا يسألون الناس
الحافا ولم ير عن هؤلاء الاجلاء سؤال قط وانما ورد هذا الاسلوب للدلالة على ان حالهم
كان يقتضي الالحاف لولا غنى النفس يبعثهم على التعفف وما تنفقوا من خير فان الله به عليم
حث على الاخلاص الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية يعمون الاوقات كلها
لا يتعللون بعذر ولا يؤخرون من وقت الى وقت وتدخل فيه النفقة على العيال وعن ابن
عباس رضي الله عنه نزلت في علي بن ابي طالب كان معه اربعة دراهم تصدق بدرهم ليلا وبدرهم
نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وعن ابن الحجاج نزلت في علف خيل الغزاة وقيل نزلت
في الصديق تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة سرا وعشرة علانية
فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ادخل الفاء قصدا الى سببية اعمالهم
اعدادها وان الاجر فضلا منه تعالى الذين يأكلون الربوا لم يعطف القصة على ما قبلها
لكمال التباين بين الغرضين والربوا لغة الزيادة وفي الشرع زيادة مخصوصة اما في الاجل
كربوا النسيئة او في العين كربوا الفضل وانما كتب بالواو للدلالة على الاصل كالزكوة والصلوة
لا على لغة المفخم اذ لم يقرأ به احد وكتب الالف بعدها تشبيها بواو الجمع وخص الاكل لانه اعظم
منافعه ولانه اكثر ما يكون في المطعومات عند العرب لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان
من المس من الجنون والخبط الضرب على غير الاستواء تشبيها بخبط العشواء ذلك العقاب بانهم قالوا
انما البيع مثل الربوا اي الربوا مثل البيع وانما عكسوا مبالغة في اعتقادهم حل الربوا حتى جعلوه
الاصل المقيس عليه واحل الله البيع وحرم الربوا هدم لقياسهم لانه في مقابلة النص ان لو كان
صحيحا كيف وهو قياس مع الفارق فان من اعطى درهمين بدرهم لا يقابل احد درهميه بشيء
ولان الفضل فيه محقق وفي البيع متوهم باختلاف الاوقات والاسواق فمن جاءه موعظة
من ربه فانتهى فله ما سلف لا يؤاخذ بما اربى قبل التحريم وامره الى الله يعامل بما شاء ومن
عاد الى الاستحلال فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مع سائر الكفرة يمحق الله الربوا المحق
والابطال منا والغرض لان مرتكبه لم يرم الا الزيادة اشارة الى انه لو لم يكن فيه عذاب
الآخرة لكفى به زاجرا ويربي الصدقات يكثرها او يكثر ثوابها لما روى البخاري عن ابي هريرة رضي الله
عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله الا
الطيب فان الله يربيه كما يربي احدكم فلوه والله لا يحب كل كفار اثيم بالقول والفعل يشير الى
ان من عاد بعد هذا البيان فهو كفار اثيم وهذا الحكم مخصوص بالمستحل لانهم الذين يقولون انما
البيع مثل الربوا وسيذكر حكم مرتكب الفعل من دون استحلال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
واقاموا الصلوة واتوا الزكوة لهم اجرهم عند ربهم لم يدخل الفاء للدلالة على تحقق الوقوع

ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون افردهما بالذكر لزيادة الشرف يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا
ما بقي من الربوا انزلت في ثقيف اربوا بني المغيرة بمكة في الجاهلية فلما جاء الاسلام طالبوهم
فابوا وقالوا لا نودي الربوا في الاسلام فتحاكموا الى عتاب بن اسيد قاضي مكة فكتب الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يساله الحكم في ذلك فنزلت ان كنتم مؤمنين فان الامتثال لامر الله
دليل الايمان فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله اي فاعلموا بالحرب واي حرب
ولذلك لم يضفه وعن ابن عباس رضي الله عنه يقال لآكل الربوا يوم القيمة خذ سلاحك للحرب
وقرء حمزة وابو بكر آذنوا بالمد اي اعلموا غيركم وهذا ابلغ كانهم امتثلوا وامروا باعلام الغير
وان تبتم فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون غيركم ولا تظلمون انتم ومفهوم الآية انهم ان لم
يتوبوا ليس لهم رؤس اموالهم وهو كذلك ان كانوا مستحلين والا فحكمهم للتعزير والمحاربة
ان كانوا ذوي شوكة والمفهوم ملغى للاجماع على خلافه او لان الكلام مسوق لدفع توهم ان
سقوط راس المال من تمام التوبة وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة اي وان وجد الغريم معسر
كان تامة والنظرة بمعنى الانتظار اي فالحكم الانتظار الى وان اليسار وقرء نافع ميسرة بضم السين
وهي لغة الحجاز والتنوين للتقليل اشارة الى انه يجب الاداء بادنى يسار وان تصدقوا خير لكم
اي تصدقكم بالانظار خير لكم من المطالبة لما روى الامام احمد من انظر معسرا قبل ان يحل
الدين فله بكل يوم مثله صدقة وان انظر بعد ان يحل فله بكل يوم مثلاه صدقة او بالابراء
من راس المال لما روى مسلم من نفس عن غريمه او محى عنه كان في ظل العرش يوم القيمة وقرء عاصم
تصدقوا مخففا بحذف التاء ان كنتم تعلمون حث على العمل واشار بان الى قلة العاملين و
اتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وقرء ابو عمرو بفتح التاء من الرجوع والضم ابلغ واكثر
ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون بنقص ثواب روى النسائي عن ابن عباس رضي الله
عنه انها آخر آية نزلت عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدى وثمانين يوما وعن سعيد بن
جبير عاش بعدها تسع ليال يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى يقال داينت الرجل
اذا عاملته بدين معطيا العين او اخذا منه كقولك بايعته اذا باعك او بعته وانما ذكر الدين
لان المراد به احد العوضين فلا يدل عليه الفعل فيبقى الضمير بلا مرجع او لتخليص المعنى المشترك
ودفع الايهام فان التداين قد يكون بمعنى التجازي ولان التنوين فيه للتنويع فلو لم يذكر لم يعلم
ان الدين لا يكون الا مؤجلا الى اجل مسمى اي اجل معلوم لان الجهل بمقداره ينافي حكمة مشروعية
الاجل ويودي الى التنازع فاكتبوه امر ارشاد لانه اوثق وعن ابن عباس رضي الله عنه المراد به
السلم لما حرم الله الربوا احل السلم وليكتب بينكم كاتب بالعدل الجار والمجرور صفة اي كاتب
مامون فقيه عالم بالشروط ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله من كتابة الوثائق
لا يبدل ولا يغير ويجوز تعلقه بقوله فليكتب والمعنى نهي الكاتب عن الاباء عن الكتابة المطلقة
ثم الامر بها مقيدة بالتشبيه الذي ارشده الله اليه وهذا ابلغ لما في التقديم من المبالغة والتدريج
من المطلق الى المقيد وليملل الذي عليه الحق لا يملي الا الذي عليه الحق لانه المقر بالحق ولئلا

يكون له سبيل الى النزاع وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا ولا ينقص في الاملاء
عن حق صاحبه فان كان الذي عليه الحق سفيها محجورا عليه او ضعيفا شيخا كبيرا او صبيا
او لا يستطيع ان يمل هو لعي او خرس فليملل وليه بالعدل من يلي امره ويقوم مقامه و
استشهدوا شهيدين من رجالكم من رجال المؤمنين كلهم احرارا وجوز شريح وابن سيرين
رحمهما الله شهادة العبيد لانهم من رجالنا وابو حنيفة رحمه الله شهادة الكفار بعضهم
على بعض مع اختلاف الملل فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان اي فالمستشهد رجل و
امرأتان خص الشافعي رحمه الله شهادة النساء بالاموال لعموم البلوى ولانها لم ترد الا
في آية المداينة وجوز شهادة اربع فيما لا يطلع عليه غير النساء وابو حنيفة رحمه الله
بما عدا الحدود والقصاص لقوله صلى الله عليه وسلم ادرؤا الحدود بالشبهات ونقصان عقل
المرأة شبهة والقضاء بالشاهد واليمين ثبت بالاحاديث ولا مفهوم للآية ولو سلم
لا يعارض النص كما في النكول عن اليمين ممن ترضون من الشهداء لعلمكم بعدالتهم في محل
الرفع على الوصفية ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى اي استشهدوا امرأتين لان
تذكر احديهما الاخرى ان ضلت اي نسيت وانما ذكر الضلال لانه يجب به التذكير والعدول
عن الظاهر للاعتناء بشان التذكير حتى كان المهروب منه صار مطلوبا لاجله وقرء حمزة
ان بالكسر شرطا ورفع تذكر لكونه جوابا بعد الفاء وقرء ابن كثير وابو عمرو فتذكر مخففا
من الاذكار والتشديد ابلغ ولذلك اتفقوا في فتذكر وكان الظاهر فتذكرها الاخرى و
انما اعاد المظهر لايقاع التذكير على صريح ما اسند اليه الضلال ولا لبس لان الاخرى غير
الضالة لان المعرفة المعادة عين الاولى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاقامة الشهادة
ان تعينوا او لتحملها واليه ذهب قتادة وعلى هذا لفظ الشهداء مجاز باعتبار المشارفة فان
قلت في صحيح مسلم عن زيد بن خالد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم بخير الشهداء
الذي يأتي بشهادته قبل ان يسئلها وفيه وفي البخاري الا اخبركم بشر الشهداء الذين يشهدون
قبل ان يستشهدوا فما التوفيق قلت الاول محمول على العدول الذين يقيمون الشهادة لله
لاحياء حقوق الناس والثاني على شهود الزور الذين يبيعون دينهم بدنيا غيرهم ولا تسأموا
ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله كنى عن الكسل بالسآمة اذ لا سآمة قبل الفعل عند عنه
لان صفة المنافق لا يأتون الصلوة الا وهم كسالى او على اصله فيمن كثرت مداينات ولا تكرار
في ذكر الاجل لان الاول في العقد وهذا في الكتابة ذلكم اشارة الى مصدر تكتبوا اي الكتب
اقسط عند الله واقوم للشهادة افعل التفضيل من المزيد على مذهب سيبويه لان قسط بمعنى
جار لا يبنى منه اقسط بمعنى اعدل وكذا اقوم لان المعنى اشد اقامة لا قياما وجعلهما من النسب
كلابن وتامر اي اشد قسطا واشد استقامة بعيد لعدم جريانهما على الفعل وادنى الا ترتابوا
اقرب من انتفاء الريب الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم اي الا ان تتبايعوا بيعا
ناجزا يدا بيد كان ناقصة وتجارة اسمها وحاضرة نعت الاسم وتديرونها خبر كان وقرء

عاصم بنصب تجارة على ان في كان ضمير الاموال والرفع احسن فليس عليكم جناح الا تكتبوها فلو
واشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل البنائين والمعنى على بناء الفاعل
النهي عن اضرارهما بالزيادة والنقصان في الكتابة والشهادة وعلى بناء المفعول النهي عن الضرار
بان لا يعطى الكاتب اجره وان يحمل الشاهد على المجيء من مكان بعيد او تعجل عن مهمهما وان تفعلوا
فانه فسوق بكم اي ما نهيتم عنه واتقوا الله في المحافظة على احكامه ويعلمكم الله استيناف
لا حال لان المضارع المثبت لا يكون مصدرا بالواو والله بكل شيء عليم ولذلك شرع
الاحكام المذكورة رعاية لمصالحكم وكرر لفظ الجلالة لاستقلال الجمل فان الاولى حث على
التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشانه وان كنتم على سفر ولم تجدوا
كاتبا فرهان مقبوضة اي فالمستوثق به رهان مقبوضة وذكر السفر خارج مخرج الغالب
لان اكثر وقائعهم كانت في الجهاد وقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتقل الى جوار الله
ودرعه مرهونة وعندنا ان لزومه لا يتوقف على القبض لقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون
عند شروطهم وقرئ ابن كثير وابو عمرو فرهن بضم الراء والهاء وكلاهما جمع رهن وكسر الراء
اكثر فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته سماه امانة حيث اكتفى الدائن
بديانة المديون ولم ياخذ به رهنا وفي ذلك الحث له على ان يكون عند ظن الدائن به وليتق
الله ربه في اداء الامانة جمع بين لفظ الجلالة والرب الدالين على الجلال والكمال ترغيبا
وترهيبا لعظم شان الامانة واليه اشار بقوله صلى الله عليه وسلم الدين امانة لا دين
لمن لا امانة له ولا تكتموا الشهادة لاقرار بالامانة فانه شهادة المرء على نفسه او خطابا
للشهود ومن يكتمها فانه آثم قلبه اي يأثم قلبه او قلبه يأثم خبران واسناد الاثم الى القلب
لان الكتمان فعله واللسان ترجمان او لانه رئيس الاعضاء والمضغة التي اذا صلحت صلح الجسد
كله واذا فسدت فسد الجسد كله والله بما تعملون عليم وعيد على الكتمان لله ما في
السموات وما في الارض خلقا وملكا تقرير لعلمه وبرهان على قوله وان تبدوا ما في
انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله حجة على من انكر الحساب ولا يلزم منه التكليف بالمحال لانه
الحساب غير العقاب فالاية محكمة والصحيح انها منسوخة لما روى مسلم انها لما نزلت ضج المسلمون
منها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقولون كما قال اهل الكتاب سمعنا وعصينا قولوا
سمعنا واطعنا فلما فعلوا نسخها الله بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها فيغفر لمن يشاء
ويعذب من يشاء دليل على ان اصحاب الكبائر في مشيئته تعالى وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو
وحمزة والكسائي بجزم الفعلين عطفا على الجواب ومن رفعه عطف على الشرطية وادغم الراء في
اللام ابو عمرو وفي رواية السوسي وهو مذهب الفراء والكسائي ونقل عن سيبويه منعه معللا
بان الراء فيه تكرار يفوت بالادغام وقد قدمنا في امالة ابقاءهم النقل على الخليل ان لا
تكرير وادغم باء يعذب في الميم نافع في رواية قالون وابن كثير في احد الوجهين وابو عمرو
وحمزة والكسائي ولا شك ان ابا عمرو وعلى كعبا والعجب ممن هو قدوة في الدين يقتدي بمن ضل ونهك

ويقدح في الكلام المتواتر سماعه عمن لا ينطق عن الهوى والله على كل شيء قدير ومنه المغفرة
والعذاب آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل اي كل منهم مبتدأ آمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله خبره والجملة مستأنفة لبيان المؤمن به فيحسن الوقف على
المؤمنون او المؤمنون مبتدأ والتنوين في كل عوض عن ضمير المؤمنين خاصة وهذا الوجه
احسن عظاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالافراد ولان ايمانه ليس بطريق الاستدلال
وقرأ حمزة والكسائي وكتابه بالافراد على ارادة القرآن او الجنس فيعم الكتب ورادف الجمع و
اشتماليه المفرد في المعرف غير مسلمة ولو سلم فبعد نقله تواترا غايته ان يكون شاذا والنقل
عن ابن عباس رضي الله عنه الكتاب اكثر من الكتب معارض بالقواطع والله يحب المحسنين والله
لا يحب الظالمين لا نفرق بين احد من رسله اي بين جمع منهم لان احدا هم من يخاطب مفردا
كان او جمعا ذكرا كان او انثى وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك منصوب باضمار فعله اي
اغفر مغفرتك التي لا يقدر عليها غيرك ربنا واليك المصير ايمان بالبعث لا يكلف الله
نفسا الا وسعها الا ما يتيسر لها من غير ضيق ومشقة ولذلك اول لما فرض الصلوة خمسين
صلوة ثم نسخ الى الخمس لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت لا يتجاوزها مكسوبها آثر الاكتساب
في الشر لانجذاب النفس الى الشهوات دلالة على انه يثيب على الخير كيف ما كان ولا يجازي
على الشر الا بعد اعتمال وتصرف لطفا منه ولما قالوا غفرانك اردفه بهذا الكلام دلالة
على غفرانه اذ لو كلفوا فوق الطاقة لم يقدروا على الطاعة وسماع القبول اعتراض حسن
بين اجزاء المحكي عنهم ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا اي لا تؤاخذنا بتفريط يكون
سببا لوقوع فيهما لانهما قل ان ينفكا الا عن تفريط او ما يتسبب عنهما كالقتل خطأ
ونسيانا لانه لا مؤاخذة على نفس الخطاء والنسيان لقوله صلى الله عليه وسلم رفع عن امتي
الخطاء والنسيان او ان الله تعالى حكى عنهم ثناء عليهم دلالة على ان ساحتهم برأسه من
لوث العمد فيختص بمن اتقى الله حق تقاته او المطلوب استدامة ما علم دوامه اظهارا للشكر
عند من يجيز التكليف لما ليس بمقدور ولا تحمل علينا اصرا الامر الثقيل الذي يحبس صاحبه
في مكانه كما حملته على الذين من قبلنا من الامم كقتل للتوبة وقطع الاعضاء للخاطئة وقرض
موضع النجاسة ووجوب القصاص بدون جواز العفو وغيرها من احكام التورية ربنا ولا تحملنا
ما لا طاقة لنا به من البلاء والعقوبات النازلة بالذين كلفوا الاصار ويجوز ان يكون
تكريرا للاول اهتماما بطلب العفو وقيل المراد ما لا يطيقه البشر فيدل على جواز التكليف بالمحال
وفيه انه كان اللائق بالتنظيم تقديمه على سؤال وضع الاصر منهم لان اعظم الحظرين تقدم على
واعف عنا ما سلف واغفر لنا واستر سيئاتنا ولا تفضحنا وارحمنا بالتوفيق والعصمة من وقوع
في نهي منها انت مولانا سيدنا او ناصرنا ومتولي امورنا فانصرنا على القوم الكافرين
فان من شان السيد نصر عبده او فان ذلك من امورنا التي انت تتولاها ختمت السورة الكريمة
بما بدأت به من ذكر اوليائه السامعين المطيعين الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله

وجعل ختام ذلك كله ما يدل على ان كمال العارف ان لا يزال يستمد من جوده الفياض بلسان الحال و
المقال اذ بذلك ازدياده في مدارج الكمال واقتباسه لانوار الجلال والجمال ربنا آمنا بما
انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين روى البخاري عن ابن مسعود ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وروى
مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى الى السدرة المنتهى اعطي ثلاثا الصلوات
الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك من امته وروى النسائي عن ابن عباس رضي الله عنه
ان جبرائيل عليه السلام كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع نقيضا فرفع بصره
وقال هذا باب فتح من السماء ما فتح قط فنزل منه ملك لم ينزل قط فاتى رسول الله وقال
ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة والاحاديث في فضلها
لا تعد تمت والحمد لمن له وجلت والصلوة على من به ابتدأ الرسل تمت سورة آل عمران مدنية
آيها مائتان بسم الله الرحمن الرحيم الم اسم السورة او حروف مقطعة صدرت بها السورة
ايقاظا وقد سبق انها معربة ساكنة الاعجاز وقفا لعدم مقتضى الاعراب وعند القائل
بالبناء ايضا سكونها سكون وقف ولذلك اغتفر فيها التقاء الساكنين وكان القياس سكون
الميم في الم الله الا ان القراء اطبقوا على تحريكه واثروا الفتحة للخفة وتفخيم اللام في الله عند
سيبويه وطائفة الى ان الحركة لالتقاء الساكنين والفتح لما اشير اليه وآخرون الى انها
حركة الهمزة نقلت بعد حذف الهمزة تخفيفا لان الميم في حكم الوقف فهمزة الوصل للقطع لكونها
في الابتداء فان قلت نقل الحركة الى ما قبل من احكام الوصل فاذا كان الميم في حكم الوقف فما
وجه النقل قلت لانه وقف معنى لكونه على نمط التقدير ووصل لفظا لعدم السكت وروى
يحيى عن ابي بكر عن عاصم السكون على الأصل الله لا إله إلا هو الحي القيوم تقدم عليه الكلام
في آية الكرسي والحديث الوارد في ان الاسم الاعظم في هاتين الآيتين نزل عليك الكتاب
القرآن منجما لذكره في مقابلة انزل بالحق بالعدل او بالصدق او بالاعجاز الدال على انه من عند الله
مصدقا لما بين يديه من الكتب حال مؤكدة من المفعول وبين مستعار من المكان للزمان لما بينهما
من التلبس وأنزل التوراة والإنجيل جملة على موسى وعيسى عليهما السلام افردا بالذكر لعظم
شأنهما ودخول اللام عليهما دليل العربية واليه ذهب نحاة البصرة والكوفة واشتقاق
التوراة من الورى وهو ايقاد النار بالزند لكونها مظهر الاحكام والوقائع اصله وورية قلبت
الواو الأولى تاء كما في تولج والإنجيل من النجل وهو الاستخراج لكون اكثره مجاهد ونفذ بيانا وقيل
لفظان عجميان من قبل من قبل القرآن هدى للناس حال من الكتابين واللام للعهد اي للناس الذين
تعبدوا بأحكام التوراة والإنجيل وأنزل الفرقان اي القرآن اعاده ليرتب عليه ما بعده
وغير العنوان للدلالة على كونه فارقا بين الحق والباطل باعجازه دون التوراة والإنجيل
وقيل هو زبور داود وذكره بعد التوراة والإنجيل لاشتماله على المواعظ والزواجر او جنس
الكتب لان كلها يفرق بين الحق والباطل إن الذين كفروا بآيات الله الدالة على تفرده بالوهية

بالالوهية وصدق الرسل والكتب لهم عذاب شديد بجحدهم بهم والله عزيز ذو انتقام
غالب لا يغالب لا يقدر على مثل انتقامه منتقم وهو عفو بر المجرمين النقم وهو العيب إن الله لا
يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء تقرير لقيوميته لان القائم بنفسه المقيم لغيره
يلزمه ان يكون بهذه المثابة من العلم والشيء المنكر في سياق النفي يتناول لكل موجود وعبر
عن العالم بالسماء والأرض لان الحس لا يتجاوزهما فهما العالم ظاهرا وقدم الأرض لانها
بالانحطاط ابعد عن مقام كبريائه فالعلم بها ادل على كمال العلم ولانها محل نزول الكتب
ودار التكليف وقيل قدمت ترقيا هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء تحقيق لكمال العلم
بتصوير الجنين في ظلمة الرحم كيف ما تعلقت به ارادته على اشكال مختلفة وصور متباينة
على مر الدهور في كل الأقطار وفيه رد على النصارى دعوى الالوهية لعيسى عليه السلام لانهم
قائلون بانه مصور في الرحم فان صدر السورة الى نيف وثمانين آية نزلت فيهم وقد تجادلوا على تمام
شرح القصة لا إله إلا هو نتيجة للسابق لاختصاص ذلك الشأن به فلا الوهية لغيره العزيز
لكمال قدرته الحكيم المتقن في حكمه صنعه بوفور علمه وبالغ حكمته هو الذي أنزل عليك الكتاب
منه آيات محكمات حفظت عن الاجمال والاشتباه هن أم الكتاب اصله الذي يدل على اصل
الشرع وفروعه ويرد اليه غيره بالتأويل افرادا ام وكان الظاهر امهات باعتبار كل واحدة
وأخر متشابهات محتملات لا يتضح المقصود منها بسهولة بل يحتاج الى استنباط علوم يتوقف
الاطلاع عليها تحصيلها مع اتعاب القرائح وتدقيق النظر وردها الى المحكم لينال الراسخون
بذلك معالي الدرجات فأما الذين في قلوبهم زيغ ميل عن الحق الى الباطل فيتبعون ما تشابه
منه دون المحكم ابتغاء الفتنة طلب فتنة الناس بالتشكيك في دينهم وابتغاء تأويله بما
يشتهونه وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم الثابتون فيه بقدم راسخ المتمكنون
منه غاية التمكن فانهم يحملونه على الحق الذي يجب حمله عليه ومن وقف على إلا الله فسر المتشابه
بما استأثر الله تعالى بعلمه كعدد الزبانية والأول هو الوجه لان الايمان بان الكل من عند الله
حاصل لعموم المؤمنين فيستدرك وصف الرسوخ ولان تخصيص الراسخين لو كان الايمان به
دون العلم لكان الاوفق واما الراسخون لكونه في مقابلة الزائغين ولان أم الكتاب في وصف
المحكم انما يظهر اذا رد اليه المتشابه ولانحصار الكتاب في القسمين لانه اذا فسر المتشابه
بما استأثر الله بعلمه ولان التذييل بقوله وما يذكر إلا أولوا الألباب يؤكد رسوخهم
بانهم خالص عقولهم واصلون الى كنه الامر واقفون على الحقائق النازحة عن بصائر غيرهم
واعلم انه لا ننكر اشتمال القرآن على حقائق لا سبيل للبشر عليها لقوله وما اوتيتم من العلم
إلا قليلا ولقوله صلى الله عليه وسلم هو البحر لا تنقضي عجائبه انما الكلام في المتشابه المذكور
في قوله وأخر متشابهات فان ما سبق لتلك المعاني التي استأثر الله بها لها ظاهر كلفنا
بعلمه وباطن كلفنا تصديقه ايمانا وفيه جمع بين ما درج عليه السلف واستمر عليه
الخلف والمحكم اصل يرجع اليه كل من القسمين احدهما بيانا والاخر ايمانا يقولون آمنا به

مستأنف على الوجه الأول موضح لحال الراسخين او حال من المعطوف لقيام القرينة كما في قوله ويعقوب
نافلة وضمير به للمتشابه او للكتاب كل من عند ربنا كل من القسمين وما يذكر الا اولوا الالباب
عطف على يقولون وعلى ما نعلم تأويله في الوجه الثاني ربنا لا تزغ قلوبنا لا تملها عن نهج الراسخين
بعد اذ هديتنا اليه وهب لنا من لدنك رحمة توفيقا لما يزلفنا عندك او علما فائضا من جناب
قدسك لا طريق اليه بالكد والتعلم انك انت الوهاب حقيقة ومن عداك وان افاض فهو مستفيض
من تيار جودك ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه بدل من النداء الاول واضافة اسم الفاعل
الى المفعول بتقدير مضافا اي بحسابه او لجزائه ان الله لا يخلف الميعاد الوعد مصدر كالموعد
والالتفات من الخطاب الى كلمة الجلالة للدلالة على ان الالوهية تنافي الخلف للمعنى الاصلي في
العلية ان الذين كفروا برسول الله ليصح التشبيه بآل فرعون والذين من قبلهم لن تغني
عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا من هذه بدليه وشيئا اما مصدر او مفعول به اي شيئا
من الاغناء او شيئا من الاشياء بدل طاعته كقوله فليت لنا من ماء زمزم شربة اي بدله ومنه
ولا ينفع ذا الجد منك الجد ويجوز ان يكون للابتداء واولئك هم وقود النار ما يوقد به
كدأب آل فرعون الدأب كالقدح هو الاستمرار على العمل اريد به الاستمرار على الظلم والكاف
في محل الرفع اي دأب هؤلاء كدأب آل فرعون او النصب مصدر لن تغني او وقود اي عدم اغناء
مثل عدم الاغناء من آل فرعون او توقد بهم النار كما توقد باولئك والذين من قبلهم من الامم
كذبوا باياتنا جملة حالية او استيناف وخبر الذين ان جعل مبتداء فاخذهم الله بذنوبهم
من التكذيب وغيره والله شديد العقاب تهويل للمؤاخذة وزيادة تخدير قل للذين كفروا
ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد الخطاب لمشركي مكة والمراد مغلوبيتهم يوم بدر
وعن ابن عباس رضي الله عنه الخطاب لليهود جمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بدر بالمدينة
وقال يا معشر اليهود احذروا ما نزل بقريش اسلموا قالوا لا يغرنك انك قاتلت قوما اغمارا لا
لئن قاتلتنا لتعلمن انا نحن الناس وقيل كانت اليهود وبعد بدر اتفقوا على انه النبي
المبشر به في التورية وعزموا على اتباعه فقال بعضهم نصبر حتى ننظر له وقعة اخرى
فلما كان يوم احد شكوا في امره فهذا يدل على نزولها بعد احد والاول قبل بدر وكوسط
على الوسط وقرء حمزة والكسائي الفعلين بياء الغيبة والمعنى بلغهم كلامي سيغلبون
كقوله قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم قد كان لكم آية في فئتين التقتا الخطاب
للمشركين او للمؤمنين او لليهود او للكل فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة
يرونهم مثليهم رأي العين رؤية مكشوفة لا لبس فيها اي يرى المؤمنون المشركين
مثل عدد المسلمين وكان المسلمون ثلاثمائة وبضعة عشر والمشركون نحو الف فقللوا في
اعينهم حتى اجترؤا عليهم لا لانهم كانوا مأمورين بمصابرة مثليهم بقوله فان يكن منكم
مائة صابرة يغلبوا مائتين لان سورة الانفال نزلت بعد بدر او يرى المشركون المؤمنين
مثل عددهم ستمائة ونيفا او مثل عدد الكفار الفين كثر الله المؤمنين في اعينهم ليجبنوا

في اعينهم ليجبنوا وقوله ويقللكم في اعينهم قبل التحام القتال وقرء نافع بالخطاب للمشركين
اي ترون المؤمنين مثلي عددهم او مثلي فئتكم او للمؤمنين او لليهود والتقدير ترونهم
رؤية عين لو رأيتموهم او الخطاب للكل وهذا اوجه لان للكل آية في ذلك ولقوله
ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار ومحل يرونهم على الغيبة استيناف وعلى الخطاب حال
من ضمير لكم ولا يقدح هذا في الحسبان لانه معجزة خارقة والله يؤيد بنصره من يشاء
كما نصر اهل بدر مع قلتهم ان في ذلك النصر لعبرة لاولي الابصار مقياسا لمن له بصيرة فعلة
من العبور والمراد بها التجاوز من الشيء الى اشكاله ونظائره زين للناس حب الشهوات
المزين هو الله لانه الخالق وعن الحسن هو الشيطان عبر عن المشتهيات مبالغة كانهم
احبوها حتى احبوا شهواتها والاوفق بمقام التنفير ان يكون اشارة الى استرذالها
لانها صفة البهائم ولخستها اكثرها شهوة كالخنزير فانه مثل في ذلك وبه ظهر ان لا وجه
لما قيل زينها لهم ليتوسلوا بها الى السعادة الابدية من النساء والبنين والقناطير
المقنطرة القنطار المال الكثير روى الامام احمد عن ابي هريرة رضي الله عنه انه سئل
عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اثنى عشر الف اوقية وروى الحاكم عن انس
الف اوقية والمقنطرة من قنطرت الشيء اذا رفعته ومنه القنطرة وانما وصف القناطير
بها على طريقة العرب اذا ارادوا المبالغة كقولهم ليل اليل وظل ظليل من الذهب
والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث المسومة من التسومة وهي العلامة اي
الخيل الجياد كانها شامة بين الخيل وقيل من السوم وهو الرعي والانعام الازواج الثمانية
الابل والبقر والضان والمعز ذلك متاع الحيوة الدنيا سماه اولا شهوة وآخرا
متاع الدنيا مبالغة في التنفير والله عنده حسن المآب اي المآب الحسن وفيه دلالة
على ان ذلك المتاع القليل قل أؤنبئكم بخير من ذلكم المذكور للذين اتقوا عند ربهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها كلام مستأنف لبيان ما هو خير كقولك
هل ادلكم على رجل فاضل عندي رجل صفته كذا وكذا ويجوز ان يتعلق اللام بخير ويخص التقييد
بالمتقين لانهم المنتفعون به ويرتفع جنات على الخبرية اي هو جنات وعند ربهم يتعلق
باتقوا على معنى ثبت تقواهم عند ربهم شهادة لهم بالاخلاص ويجوز ان يكون خبرا
مقدما وازواج مطهرة مما يستقذر في النساء ورضوان من الله الذي هو فوق كل
نعمة وقرء ابو بكر ورضوان بضم الراء كالرجحان لغة تميم وقيس والكسر اخف واشهر
والله بصير بالعباد حث على الاخلاص الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا
ذنوبنا وقنا عذاب النار رفع او نصب على المدح او صفة المتقين او للعباد وفيه
طول الفصل على الاول وتخصيص العباد بالمتقين على الثاني والمعنى على العموم وترتيب
سؤال المغفرة على الايمان وحده دل على انه كاف في الاستحقاق الصابرين والصادقين
والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار صفة الذين يقولون او مدح بعد

وبتوسيط الواو بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة والتقييد بالاسحار لانه وقت شريف روى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا الى سماء الدنيا اذا بقي الثلث الاخير من الليل ويقول هل من تائب فاتوب عليه هل من مستغفر فاغفر له وذلك كل ليلة ونظام الصفات على وفق احوال السالك فان اول امره قطع المالوفات والصبر على مفارقتها ثم الصدق في عدم العود اليها ثم الدوام على الطاعة بدل المعاصي لان الحسنات يذهبن السيئات ثم انفاق المال الذي هو شقيق الروح وحبه راس كل خطيئة ولذلك جعله رسول الله برهانا ثم الاستغفار مما يعتريه من التقصير الذي هو من لوازم البشرية ولذلك قال سيد المقربين انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة شهد الله انه لا اله الا هو استدل على وحدانيته بالادلة المبثوثة في الافاق والانفس ثم شرع في الادلة العقلية وقطعه عن الاول لانه فن اخر شبهت دلالته على وحدانيته بانزال الكتب وارسال الرسل على طريقة الاستعارة التبعية بالشهادة والوجه الكشف والبيان والملائكة بالاقرار واولوا العلم بالاستدلال والكل داخل تحت الدلالة فلا جمع بين الحقيقة والمجاز قائما بالقسط مقيما للعدل الباء للتعدية حال من فاعل شهد وجاز افراد المعطوف عليه به لعدم اللبس كما في ويعقوب نافلة ولم يحترز عن الملائكة واولي العلم اعتناء بشهادتهما او نصب على المدح وهو في النكرة قليل لا سيما اذا كان المنتصب عنه معرفة كما في الاية لانه في الاصل وصف مقطوع وجعله صفة اسم لا بعيد لوجود الفاصل الاجنبي والاوجه ان يكون حالا من هو لانه اقرب وادل على المقصود وهو دخوله تحت الشهادة كالتوحيد واوفق بالاستعمال من ان الحال المؤكدة اكثر ما يكون بعد الجملة الاسمية حتى ذهب كثيرون الى انها لا تكون الا كذلك وان كان للحق خلافه وكذا جعله نصبا على المدح من هو اوجه من جعله مدحا من فاعل شهد لا اله الا هو العزيز الحكيم كرره لان التوحيد اعظم المقاصد واتى الوصفين لان العزة وهي القهر والغلبة تلائم الوحدانية والحكمة القيام بالقسط وارتفاعهما على البدل من هو وقيل صفة فاعل شهد وفيه طول الفصل بين الصفة والموصوف روى الطبراني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يجاء بصاحب شهد الله يوم القيمة فيقول الله لعبدي عندي عهد ادخلوه الجنة ان الدين عند الله الاسلام لا غير من قصر المسند اليه على المسند والجملة مؤكدة لجملة شهد الله ايذانا بان الاسلام هو التوحيد والعدل والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد عليه السلام وقرء الكسائي ان بالفتح بدل كل من انه لا اله الا هو وما اختلف الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى او ارباب الكتب كلها في دين الاسلام فقال بعضهم حق وبعضهم مخصوص بالعرب ونفاه اخرون راسا او في التوحيد فثلث النصارى وقالت النصارى عزير ابن الله واليهود وذلك ان موسى عم استودع التورية سبعين حبرا فلما مضى قرن بعد قرن اختلف ابناء السبعين فاللام في الاول والثالث للعهد وفي الثاني للجنس الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقة الامر بغيا بينهم ظلما وحسدا على حظوظ الدنيا ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب وعيد لهم فان حاجوك

الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقة الامر بغيا بينهم ظلما وحسدا على حظوظ الدنيا ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب وعيد لهم فان حاجوك جادلوك بعد ظهور الحق فقل اسلمت وجهي لله دفعا للمحاجة اذ لا معنى لها بعد انضاح الحق والوجه مجاز عن الذات ومن اتبعن كذلك عطف على التاء في اسلمت وحسن لوجود الفصل وقل للذين اوتوا الكتاب قبل القران والاميين مشركي العرب ءاسلمتم الاستفهام لاستقصار السامع وتعييره بالمعاندة بعد تخليص الحق كما تقول بعد تحرير المسئلة بالبرهان الساطع لمن يقصر فهمه هل فهمت لا ام لك بغيا عليه بالبلادة وكقوله تعالى فهل انتم منتهون في تحريم الخمر اشادة الى شدة حرصهم على شربها فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم وان تولوا فانما عليك البلاغ فلم يضرك لانك مبلغ وقد بلغت والله بصير بالعباد وعد ووعيد ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم روى ابن جرير عن ابي عبيدة انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشد الناس عذابا قال رجل قتل نبيا او من امر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم قال قتل بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا اول النهار فقام مائة وسبعون امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فقتلوهم اخر النهار وعن ابن مسعود رضي الله عنه اقاموا سوق بقلهم اخر النهار والحكم على المعاصين بدليل قوله فبشرهم وهم لا يباشرون القتل لرضاهم بفعل الاوائل وقد ودوا قتل محمد ولذلك اتى بالمضارع الدال على الاستمرار وتنكير الحق هنا وتعريفه في البقرة مع وحدة القصة تفنن واشارة الى ان العهد الذهني بمنزلة النكرة وقرء حمزة ويقاتلون الثاني من المقاتلة والعطف ابلغ ذما والاسم مختلف اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين يدفع عنهم العذاب العضد التوبيخ كما الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي نصيبا هو الكتاب او نصيبا منه على ان من بيانية او تبعيض واللام للعهد لان المراد به التورية او من جنس الكتب ومن ابتداء او تبعيض او من اللوح ومن ابتداء والتنوين للتعظيم يدعون الى كتاب الله الى التورية وعن الحسن هو القران لانهم لم يشكوا فيه ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم لان فريقا منهم امنوا وهم معرضون دابهم الاعراض نزلت في رجم وقيل في رد دعويهم ان ابراهيم كان يهوديا وثم لاستبعاد التولي بعد العلم بانه كتاب الله ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات سبعة ايام بقدر بقاء الدنيا سبعة الاف سنة بكل الف يوم او قدر ايام عبادتهم العجل وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من انهم ابناء الله واحباؤه وان اباءهم الانبياء يشفعون لهم ونحو ذلك من اكاذيبهم فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه كيف يكون حالهم في ذلك اليوم استعظام لما يحيق بهم وتكذيب لدعويهم بابلغ وجه ووفيت كل نفس ما كسبت جزاء كسبها وهم لا يظلمون بنقص ثواب او زيادة عقاب الضمير للنفس لانه في معنى كل الناس قل اللهم مالك الملك الميم المشددة عوض عن حرف النداء لا يجتمعان واوثر الميم لانه شفوي كالواو وهذا من خواص هذا الاسم كاختصاصه بالباء في القسم وقطع الهمزة في النداء وجمع حرف النداء مع حرف التعريف ومالك الملك نداء ثان عند سيبويه لان اللهم لا يوصف لان وقوع حرف النداء بينهما كوقوع حرف النداء

وعند الكوفيين اصله يا الله آمنا بخير فخفف لكثرة الدور مثل عموا صباحا ورد بانه يجوز الجمع اذا و
يمنع الجمع العوض ونحوه تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء الملك الاول عام لمقام المدح ولانه
المفهوم الاصلي والآخران بعضان لان المعطى والمنزوع خصه وتعز من تشاء بالتوفيق والنصر وتذل من تشاء
بالخذلان والادبار بيدك الخير لم يذكر الشر مراعاة للادب في الخطاب او لان الكلام فيه اذ روي انه عليه السلام
لما خط رسول الله الخندق يوم الاحزاب ظهرت كدية لم تعمل فيها المعاول فوجهوا اليه سلمان فاتى واخذ
المعول وضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتي المدينة فكبر وكبر المسلمون وقال اضاءت
لي قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية وقال اضاءت لي القصور الحمر من ارض الروم ثم
ضرب الثالثة وقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا
فقال المنافقون يمنيكم ملك فارس والروم وانتم تحفرون الخندق حول المدينة من الفرق انك
على كل شيء قدير ثم استدل على ذلك ببيان قدرته بقوله تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل
تعاقب بينهما وتخرج الحي من الميت الحيوان من النطفة او العالم من الجاهل وتخرج الميت من الحي النطفة
من الحيوان او الجاهل من العالم وترزق من تشاء بغير حساب ومن هذا شانه ايتاء جزء من الملك
ونزعه ايسر ما يكون عليه وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر الميت مخففا لا يتخذ المؤمنون
الكافرين اولياء من دون المؤمنين متجاوزين عنهم لان في ولايتهم مندوحة عن موالات
الكفار وذلك لان الحب في الله والبغض في الله اصل كبير في الايمان على ما روي في البخاري من
احب لله وابغض لله فقد استكمل الايمان ذكره عقيب ما بين ان الخير كله بيده حسما لتوهم نفع
منهم ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء بل ينسلخ عنه اذ الضدان لا يجتمعان قال تود عدوي
ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب الا ان تتقوا منهم تقاة فحاسنوا معهم ظاهرا
من كلام عيسى ابن مريم كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه ومخالفة اوامره والى الله المصير
فاستعدوا للقائه قل ان تخفوا ما في صدوركم من موالات الكفار وغيرها او تبدوه يعلمه الله
لاستواء الكل في علمه ويعلم ما في السموات وما في الارض علما حضوريا والله على كل شيء قدير
فيقدر على عقوبتكم يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها
وبينه امدا بعيدا يوم نصب بتود وما عملت عطف على ما عملت اي تود كل نفس يوم تجد خيرها
وشرها حاضرين لو كان بينها وبين ذلك اليوم امد بعيد ويجوز ان يكون منصوبا باذكر ويقع
على ما عملت وحده ويرتفع وما عملت من سوء على الابتداء وخبره تود وضمير بينه لما عملت من سوء
ويجوز عطف ما عملت على ما عملت فيكون تود حالا والضمير اما لليوم او لما عملت وما موصولة لا
الشرطية لارتفاع تود لان فعل الشرط اذا كان ماضيا والجزاء مضارعا مثبتا يجوز فيه الرفع
والجزم واطباق القراء على احد الجائزين وان كان مرجوحا جائز كقوله وجمع الشمس والقمر لكن هذا
الكلام حكاية الكائن في ذلك اليوم والموصولة تفيد الوقوع والكينونة ولا كذلك الشرطية و
يحذركم الله نفسه كرره للتأكيد وليكون نصب عينهم والله رؤوف بالعباد ولذلك بين لهم
وحذرهم قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله عن الحسن نزلت في قوم ادعوا المحبة لله و

والمحبة امر وجداني لا يحتاج الى كشف وبيان بل الى ما يميزها من سائر الوجدانيات وعن هذا
قيل هي ادراك الكمال من حيث انه مؤثر فكلما كان الكمال اشد يكون المحبة اقوى وعن بعض
العارفين المحبة سارية في الموجودات كلها عليها مدار المبداء والايجاد وفي الجملة محبة
العبد لله ايثار طاعته ومن الله الرضى والقبول ويغفر لكم ذنوبكم اذ لا عقوبة مع الرضى
والله غفور رحيم كثير الغفران والاحسان فكيف بمن احبه قل اطيعوا الله والرسول
بان لاتباعه الذي هو سبب لمحبة الله ولم يعد الفعل لانه مامور به بخلاف واطيعوا الله
واطيعوا الرسول ويا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول لانه ابتداء كلام منه
تعالى اعتناء بطاعة رسوله فان تولوا ان تتولوا احذف احدى التائين ويجوز ان يكون ماضيا
اخبارا من الله فان الله لا يحب الكافرين ايثار المظهر للاشارة الى العلة وبغيهم وغيرهم ان
الله اصطفى آدم ونوحا بالنبوة وآل ابراهيم اسمعيل واسحق كان من قول اهل الكتاب لو كان
النبي الموعود لكان من ولد اسحق وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر او عيسى ومريم
بنت عمران بن ماثان وبين العمرانين الف سنة وثمانمائة على العالمين كلهم فيه دليل
على فضل الانبياء على الملئكة ذرية بعضها من بعض متصلة يتشعب بعض من بعض وقد دخل
في آل ابراهيم رسول الله وفي آل عمران عيسى وكذا في الذرية او في الدين كقوله المنافقون
والمنافقات بعضهم من بعض والله سميع قول اهل الكتاب عليم بمن يصلح للاصطفاء اذ قالت
امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا اذ نصب باذكر او متعلق بسميع عليم على التنازع
هي حنة بنت فاقوذ كانت عقيما وقد عجزت قال ابن اسحق رأت طائرا يطعم فرخه فاشتهت الولد
وقالت اللهم ان رزقتني ولدا احرره لسدانة المسجد الاقصى وكان نذرا مشروعا في شرعهم فلما
احست بالحمل قالت هذا الكلام عزما على الوفا فتقبل مني هذا النذر انك انت السميع العليم
اظهار لاخلاصها فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى كان التحرير لسدانة مختصا بالذكور
وكان توطئها ان نذرت لك ما في بطني محررا سوءا او طلبا لان يكون الولد ذكرا ابدا كرا لازم
فلما خاب رجاؤها اظهرت التحزن والتحسر فليس المراد فائدة الخبر ولا لازمها وانثى في محل النصب
على الحال وتأنيث الضمير العائد الى ما باعتبار الخبر لان الحال خبر معنى كانها قالت وضعت
ما في بطني انثى من غير اعتبار التانيث في الضمير ليلزم ان يكون التقدير وضعت انثى والله
اعلم بما وضعت بالشيء الذي وضعته تعظيم للمولود لما ينطبه من عظائم الامور وكونها
وابنها آية للعالمين وقرا ابن عامر وابو بكر وضعت بتاء التكلم كانها سلت نفسها وقالت
لعل فيها سرا وليس الذكر كالانثى ليس الذكر الذي طلبته كالانثى التي وهبتها بل هي اشرف
واجل بيان وتفسير لقوله والله اعلم بما وضعت واللام في الاسمين للعهد خارجا اما الانثى
فلسبق الذكر صريحا واما الذكر فلان ما في بطني كناية عن الذكر بقرينة التحرير وقيل من تمام
قولها تحزنا اظهارا للتفاوت وليس بوجه بعد التسلية بقولها والله اعلم بما وضعت واني
سميتها مريم عطف على اني وضعتها لان التسمية تنهها بدليل واني اعيذها وما بين المعطوفين

جملتان معترضتان متعاطفتان وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ
باقامتها مقام الذكر ولم تقبل قبلها انثى للسدانة وصانها وذريتها من شر الشيطان على ما روى
البخاري ومسلم ما من مولود يولد الا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من مسه الا
مريم وابنها ولا يلزم من ذلك الاغواء واختصاص بعض المصطفين بامر لا يوجب تفضيله على
ابنا قين وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا بين الانبياء والصالحين وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كانت تحت خالتها ايشاع
بنت فاقوذا اخت حنة وقوله في حديث المعراج عيسى ويحيى ابنا خالة تجوز بجعل خالة امه خالته
وقرأ كفلها بتشديد الفاء الكوفيون وزكريا بالقصر الا شعبة فانه مد ونصبه والباقون
بالتخفيف مع المد رفعا والقصر لغة والنسب بموسى وعيسى ويحيى كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ
لما بلغت مبلغ النساء بنى لها زكريا غرفة في مقدم المسجد يرقى اليها بالسلم والمحراب كل موضع مرتفع
عال ومنه محراب المسجد وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا جواب كلما وناصبه قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا والابواب
مغلقة قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ كرامة كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس إِنَّ اللَّهَ
يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ من كلامها او من كلام الله تعالى روى ابو يعلى عن جابر رضي الله عنه ان فاطمة
اهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجاعة رغيفين وبضعة لحم اثرته بها فرجع اليها بها
وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فقال لها اني لك هذا قالت هو من عند الله
فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء العالمين هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ في ذلك المكان
او الزمان على ان هنا مستعار له قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً كان شيخا كبيرا وامرأته
عاقرا ولذلك قال من لدنك كقول مريم هو من عند الله وانما طلب في ابان كبره لقوله اني خفت الموالي
من ورائي وقيل لما ولدت حنة مريم وهي عقيم تنبه من رؤية فاكهة الشتاء في الصيف إِنَّكَ
سَمِيعُ الدُّعَاءِ او كل دعاء فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ لم يبرح من مكانه
المنادي جبرائيل والجمع للتعظيم والذرية فعلية او فعولة من الذرء قلبت الهمزة ياء وادغمت
وقرأ حمزة والكسائي فناداه لان المؤنث غير حقيقي والتأنيث احسن لعدم الفاصل أَنَّ اللَّهَ
يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى سماه الله تعالى به وقرأ ابن عامر وحمزة ان بالكسر لان النداء في معنى القول وقرأ
حمزة والكسائي يبشرك مخففا من البشارة والتشديد ابلغ واكثر مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ بعيسى فهو اول
من آمن به سمي عيسى كلمة لتكونه من كلمة كن او بكتاب الله وكلامه كقوله وكلمة الله هي العليا وانتصابها
بالقطا المرد عرف طار وَسَيِّدًا شريفا في قومه بالتقوى لم يذنب ولم يهتم به قط وَحَصُورًا
نفسه عن النساء اشتغالا بالطاعة لا لقدحته فانه نقص يصان عنه الانبياء وعن مذام الاخلاق
كلها وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ناشئا من قوم صالحين وصفه بالنسب الفاخر بعد الثناء عليه بالحسب الزاكي
قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ استعلام لكيفية حصوله ايكون وهما
على حالهما او يعودان شابين كان عمره تسعين سنة وعمر امرأته ثمانين لا استبعاد من قدرته تعالى
كيف وهو الطالب ابتداء قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ على هذه الصفة وهو التوليد من الشيخ الهرم والعجوز
العاقر يفعل كل شيء تعلقت به مشيته من غير تفاوت قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً اعرف بها الحبل لاتلقاه

بالشكر ويزول تعب مرارة الانتظار قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ بلياليها لقوله في
مريم ثلاث ليال حبس لسانه عن التكلم الا الذكر لله اسعافا لما ابتغاه لا لآفة حين لقوله في مريم
سويا اي سالما وحذفه هنا لكون تلك اسبق نزولا إِلَّا رَمْزًا اشارة اصله التحريك لانه يحصل من
تحريك الحاجب ومنه سمي البحر راموزا والاستثناء منقطع او متصل لانه يفهم منه ما يفهم من الكلام
وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ لانهما اشرف الاوقات واقرب الى الاجابة او عبر عن
الكل بالطرفين وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ بالقبول ولم يقبل انثى للسدانة
قبلها او بالرزق من عنده وَطَهَّرَكِ من اقذار النساء او مما قذفك به اليهود وَاصْطَفَاكِ عَلَى
نِسَاءِ الْعَالَمِينَ بابن هو آية وبسائر الكرامات روى الترمذي عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفاطمة بنت محمد عليه السلام
وخديجة بنت خويلد وزاد البخاري وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام
ومن انكر الكرامة حمل كلام الملائكة لها على معجزة زكريا او ارهاص نبوة عيسى للاجماع على عدم
نبوة النساء يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ دومي على طاعته وَاسْجُدِي وصلي لان السجود احد اركانها
وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ وصلي جماعة قدم السجود اما لانه كان كذلك في شرعهم او ليقارنه الركوع
بالراكعين ولو قال اسجدي مع الساجدين لم يدل على صلاة الجماعة لان السجود عبادة مستقلة
دون الركوع ذَلِكَ المذكور من الوقائع مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ
إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ اي ما تخبر به لا سبيل لنظر العقل اليه وهم ينكرون الوحي والسماع
لم يبق ما يحتاج الى الكتب سوى المشاهدة التي هي اظهر انتفاء فنفيها تهكم بهم مع ثبوت كونه
يوحي الله على لا وحيه والاقلام هي التي كانوا يكتبون بها التوراة او القداح واهر اقترعوا
بها لما وضعتها لفتها في خرقة واتت بها الاحبار بيت المقدس وقالوا دونكم هذه النذيرة
فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم [illegible] ذهبوا الى نهر الاردن وقالوا
كل من ثبت قلمه على الجرية فهو كفيلها فثبت قلم زكريا وقال لان خالتها كانت عندي والخالة
بمنزلة الام أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ [illegible] يلقون [illegible] والتعليق ليس الاستفهام [illegible]
الافعال لا دالية والالقاء سبب العلم والنظر بالبصر في الجملة وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ
تنافسا [illegible] من الالقاء وكونه [illegible] إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ بدل من اذ قالت الملائكة
او اذ يختصمون على ان الاختصام والبشارة وقعا في زمان متسع كما تقول لقيته سنة كذا
إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لقبه من الالقاب [illegible]
الاشياء وهو مجموع الثلاثة [illegible] والمسيح عبراني اصله مشيحا ومعناه
المبارك فهو من الالقاب المدح كالصديق والفاروق وقيل [illegible] ابن عباس رضي الله عنه لانه
لانه كان لا يمسح ذا عاهة الا برئ او لانه ممسوح بالبركة او من الاوزار [illegible] مريم مع
ان الخطاب معها لان ذلك هو موجب التبشير وكونه آية [illegible] لان الانبياء ينسبون الى الآباء
دفعا لشبهة النصارى وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا بالنبوة والمعجزات الباهرة وَالْآخِرَةِ بعلو الدرجة

وقبول الشفاعة وانتصابه على الحال من كلمة لانها نكرة موصوفة ومن المقربين اخص من الوجاهة
ويكلم الناس في المهد وكهلا بلا تفاوت وايثار المضارع للدلالة على ذلك والمهد مصدر
سمي به ما يمهد فيه ومن الصالحين من جملتهم و في عدادهم حال اخرى وهذه الاحوال كلها
مقدرة قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر تعجب واستبعاد لانه على خلاف العادة
قال كذلك الله يخلق ما يشاء القائل جبرائيل او الله وجبرائيل حاك لها ولما كان الولد من غير اب
ابعد من الولد من شيخ وعجوز اثر لفظ الخلق على الفعل للدلالة على التقدير اذا قضى امرا اذا اراده
والتعبير بالقضاء للدلالة على اللزوم فانما يقول له كن فيكون فلا استبعاد وقرا ابن عامر
يكون بالنصب على جواب الامر وهو طوى ذكر الحمل والولادة لذكرهما في سورة مريم وهي اسبق نزولا
ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل عطف على يبشرك بتقدير القول اي ان الله يبشرك و
يقول يعلمه الكتاب او على وجيها اي ومقولا فيه يعلمه او على يخلق كذلك وهذا اولى لعدم
الفصل وقرا نافع وعاصم بالياء فلا حاجة الى تقدير القول لكن النون ادل على التعظيم
والكتاب الكتبة كذا عن ابن عباس والحكمة العلم المقرون بالعمل ورسولا الى بني اسرائيل
المنصوبات المتقدمة في حكم الغيبة وهذا في حكم التكلم لقوله اني قد جئتكم وكذا مصدقا
لقوله لما بين يدي فيضمر القول اي يعلمه ويقول ارسلت رسولا فانك اني قد جئتكم او لدى
والمصدق فيهما معنى القول كانه قيل وناطقا وهذا اوجه لعدم الحذف اني قد جئتكم باية من ربكم
باني اني اخلق لكم من الطين اصور بدل من اني قد جئتكم او خبر مبتدا محذوف واني هو اني او بدل
من اية وهو الوجه للدلالة على ان ذلك بقدرته تعالى وقرا نافع بالكسر على الاستيناف
والمختار الفتح لذلك الا الاوجه كهيئة الطير كصورته فعلة من هياء بمعنى هيأ فانفخ فيه فيكون
طيرا باذن الله حقيقة الطير ذا روح بارادة الله وتيسره وقرا نافع طائرا وهو الظاهر و تذكير
الضمير باعتبار لفظ الكاف والتانيث في المائدة باعتبار المعنى وهي الهيأة وابرئ الاكمه
الذي ولد اعمى فانه اغرب في الاعجاز والابرص بعجز الاطباء عن ازالته واحيي الموتى باذن الله
يتعلق بالاحياء لانه محل وهم الاستقلال وقيل بالافعال الثلثة لقوله وتبرئ الاكمه
والابرص باذني في المائدة وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم مما لا سبيل الى معرفته
الا بالوحي ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين بالايات ومصدقا لما بين يدي من التورية
وهذا شان الرسل يصدق بعضهم بعضا عطف على رسولا بالوجهين السابقين ولاحل لكم بعض
الذي حرم عليكم عطف للجملة اي جئتكم باية وجئتكم لاحل لكم ويجوز ان يكون مصدقا ايضا
عطفا على باية ويكون الكل في معنى الحال اي جئتكم ملتبسا باية وكائنا لاحل لكم ومصدقا لما بين
يدي فلا يتخلل بين المعطوفين اجنبي وفيه دلالة على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى ولا
ينافي ذلك الحكمة بما في التورية في الجملة كنسخ القران بعضه بعضا وجئتكم باية من ربكم فا
تقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم هذا هو الاية وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض
ومعنى كون هذا القول اية انه من علامات النبوة بعد ثبوتها بالمعجزات الباهرة لانه مفوض

والرفع اصح وانشاه من الكاف

لانه معقول كل الرسل والانبياء على ان صدوره ممن نشاء بين قوم بدلوا الدين وحرفوا الكتاب
وقتلوا الانبياء خارق للعادة ويجوز ان يكون في التورية مرجاكم بهذا القول فهو رسول
فاعبدوه استكمالا للقوة العملية كما ان الاول استكمال للقوة النظرية هذا صراط مستقيم
اي الجمع بين الامرين كقوله صلى الله عليه وسلم قل امنت ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر
تحقق عنده كالمحسوس قال من انصاري الى الله ذاهبا الى نصر دينه او الجار متعلق بانصاري
مضمنا معنى الضم والاضافة اي من ينصرني مضيفا نفسه الى الله او الى بمعنى في او اللام دونه
مع لقوله قال الحواريون نحن انصار الله اي انصار دينه الحواري منسوب الى الحور وهو البياض
الخالص والالف من تغيير النسبة اطلق على خالصة الرجل وخاصته امنا بالله واشهد بانا
مسلمون مخلصون لله ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول قائلين هذا القول باللسان و
الاعتقاد فاكتبنا مع الشاهدين مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او الشاهدين
بوحدانيتك او مع امة محمد عليه السلام فانهم يشهدون للانبياء بالتبليغ ومكروا و
مكر الله الضمير للذين احس منهم الكفر ومكر الله للازدواج والمشاكلة والله خير الماكرين
لكمال علمه وقدرته اذ قال الله ظرف لمكر الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي فابعثك
من الارض ورافعك الى السماء من توفيت مالي اذا استوفيته او متوفيك نوما فانه روى انه الموت
كقوله وهو الذي يتوفيكم بالليل ورافعك الان وبعد الثاني او متوفيك وتقديره
لئلا يتوهم ان الرفع بجواز من الموت وقيل اماته الله سبع ساعات وقيل ثلثة ايام والمحرر
منقول عن اهل الكتاب ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم او من دنس اخلاقهم وجاعل
الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة هم الذين امنوا به في زمانه ومن بعده الى
يوم القيامة ولم يسمع ان اليهود قامت لهم راية بل لم يزالوا مقهورين تحت السيف والجزية
حتى صاروا امثاله اذل من اليهود ثم الي مرجعكم الضمير لعيسى ومن تبعه ومن كفر فاحكم بينكم فيما
كنتم فيه تختلفون واختلافهم كلام بموجب عمله ثم فصل فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا
شديدا في الدنيا والاخرة ترتب عذاب الدنيا على الرجوع اليه وهو يوم القيامة باعتبار انه
من مقدمات عذاب الاخرة وملازم له وقيل الرجع اعم من الدنيوي والاخروي والى يوم القيامة
غاية التوقيت لاغاية الجعل والرجوع متراخ عن الجعل وما لهم من ناصرين في الدارين واما
الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم كما هو اسلوب حكمه [illegible]
الى عليه رحمته وقرا حفص بالياء والله لا يحب الظالمين تذييل حسن لان تعذيب الكافر مختص
وقد لا يحبه ابو الطيب قوله وما الى الا الوصل لم يكن قوله ذلك نتلوه عليك مبتدا
وخبر اي نباء عيسى وغيره من الايات والذكر الحكيم خبران اخران والذكر القران وصف به
من قام به او لاشتماله على الحكم كانه ناطق بها وقيل هو اللوح ان مثل عيسى عند الله كمثل
ادم شانه الغريب كشأنه المغرب بالاعراب جسما الدابر شبهة الخصم والتشبيه انما تصفي المشاركة
في الوصف المقصود فلا يقدح كون ادم من تراب ولام كونهما مشاكلين في ان وجدا وجودا

عن العادة فمن قال بالوهية عيسى لكونه من غير اب محجوج بآدم خلقه من تراب قدّره وصوّره ثم
قال له كن انشأه خلقا آخر انسانا ذا روح فيكون فكان حكاية حال ماضية وقرأ ابن عامر يكون
بالنصب على الجواب باعتبار اللفظ الحق من ربك خبر مبتدأ اى المذكور من شأن عيسى ومن ربك
حال من ضمير الحق او مبتدأ وخبر اى الحق من ربك والاول وجه لان المقصود تقرير كون
عيسى كآدم فلا تكن من الممترين الخطاب له والمراد نهى السامعين او هو من باب التهييج والالهاب
فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم من الدلائل الموجبة للعلم فقل تعالوا ندع
ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اى قل لهم كل منكم ومنى يدعو نفسه
واعزة اهله ثم نقول بهلة الله على الكاذب والبهلة بالضم والفتح اللعنة ثم نبتهل فنجعل
لعنة الله على الكاذبين تفسير للابتهال روى البيهقى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة
تسع من الهجرة كتب الى اهل نجران كتابا يدعوهم الى الاسلام ونجران واد باليمن كان فيه مائة
وعشرون قرية مسيرة يوم للراكب المسرع فلما ورد عليهم كتابه ارسلوا اربعة عشر رجلا رؤساءهم
ثلثة العاقب والسيد وابو حارثة وافدين لاستعلام خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا عليهم
من اول السورة الى هنا فابوا الا العناد فدعاهم الى المباهلة فواعدوه الى صبيحة الغد فلما اصبحوا
غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم محتضنا الحسن آخذا بيد الحسين وفاطمة تمشى خلفه وعلى
خلفها رضى الله عنهم وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران وهو ابو حارثة
يا قوم انى لارى وجوها لو شاء الله ان يزيل بها جبلا من مكانه لازاله الى ان قال ترادعوا
الرجل فقالوا يا ابا القاسم انت على دينك ونحن على ديننا ولا نباهل فقال اسلموا يكن لكم
ما للمسلمين فابوا فقال بيننا وبينكم الحرب فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة بل نصالحك على
ان نؤدى اليك فى كل سنة الفى حلة الف فى رجب والف فى صفر فكتب بذلك كتابا وسألوه
ان يرسل معهم رجلا امينا يحكم بينهم فى اشياء كانوا مختلفين فيها فارسل معهم ابا عبيدة بن
الجراح قال الزهرى فهو اول جزية فى الاسلام وعن ابى اسحق ان وفد نجران كانوا ستين راكبا
اربعة عشر من اشرافهم وانما دعى الابناء والنساء الى المباهلة لانهم اعز على المرء من نفسه
ودلالة على انه موثق بهلاك خصمه واعزته وقتهم لانهم به مفدون بالارواح لاستماعه
وفى هذا فضل ظاهر لعلى وفاطمة وابنيهما ان هذا لهو القصص الحق اى الذى قص عليك من نبأ
عيسى واللام داخلة على ضمير الفصل لكونه اقرب الى المبتدا فهو بالجزاء اولى من الخبر وما من اله
الا الله رد على النصارى فى التثليث وان الله لهو العزيز الحكيم الغالب المتقن فى صنعه ومن تجرد
عن الوصفين لا يصلح للالوهية فكيف بعيسى والنصارى يزعمون ان اذل الخلق وهم اليهود قتلوه
فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين اى بهم اتى بالمظهر للدلالة على انهم مفسدون للعقائد
مضلون ولذلك قال زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون قل يا اهل الكتاب تعالوا
الى كلمة سواء بيننا وبينكم عامة فى اهل الكتاب وقيل فى يهود مدينة وقيل فى وفد نجران
سواء اى الرسل والكتب متفقون فيه ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا

بعضا اربابا من دون الله تفسير للكلمة فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون
تعريض بانهم كافرون حيث تولوا عن الحق بعد ظهوره او اشهدوا بانا مسلمون دونكم كما يقول
الغالب جدلا او مراعا اشهد بانى الغالب فقد تدرج وهذه المناظرة احسن تدرج ذكرا ولا
كيفية حدوث مريم التى هى اصل عيسى ثم اطوارها التى تغلب بها المنافية للالوهية ثم ازاح شبههم
بما هو اغرب حالا منه ولما اصروا على العناد وعدم الانقياد دعاهم الى المباهلة ولما تحجموا
عنها اخذ معهم فى نوع آخر من الارشاد وهو الدعاء الى ما تطابق عليه الملل ولما ايس منهم
احسن المتاركة وقال اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما انزلت
التورية والانجيل الا من بعده عن ابن اسحق تنازع نصارى نجران واحبار اليهود عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى ابراهيم وادعى كل فرقة انه كان على دينهم فنزلت افلا تعقلون
ان المتقدم لا يكون على طريق المتأخر وبين ابراهيم وموسى الف سنة وبينه وبين عيسى الفا سنة
ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم انتم مبتدأ وهؤلاء
خبر وحاججتم جملة مبينة كرر هاء التنبيه لشدة غفلتهم والاشارة للتحقير كانه قال انتم
هؤلاء الحمقاء وبيان ذلكم انكم جادلتم بالباطل فيما اصله فى كتابكم فكيف تجادلون فيما لا
يلتبس بطلانه على احد وقرأ ورش وقنبل هانتم بالقصر على ان اصله أانتم قلبت الهمزة هاء
لاستثقال الجمع والله يعلم وانتم لا تعلمون فعليكم باتباع رسوله الناطق بوحيه ما كان ابراهيم
يهوديا ولا نصرانيا تصريح بما علم ضمنا مبالغة فى تخليص الحق ولكن كان حنيفا مائلا عن الباطل
مسلما لله وما كان من المشركين تعريض بمن يدعى انه على ملته ان اولى الناس بابراهيم للذين
اتبعوه لخصهم به واقربهم اليه من الولى وهو القرب وهذا النبى والذين آمنوا من امته افرده
مع امته بالذكر وان دخلوا فى الذين اتبعوه لمزيد الشرف او الذين اتبعوه فيما مضى ثم هذا النبى
والمؤمنون والله ولى المؤمنين ناصرهم ومتولى امورهم دعت يهود قريظة والنضير حذيفة
وعمارا ومعاذا الى اليهودية فنزل ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون
الا انفسهم اذ بذلك يضاعف لهم العذاب او الامثال لهم الاغيار وابناء الانفس لاتحادهم دينا
وما يشعرون لغاية تجاهلهم سلبوا الشعور اضل من البهائم يا اهل الكتاب لم تكفرون
بآيات الله الشاهدة بصدق الرسول هى ما فى التورية والانجيل من نعت رسول الله او بالآيات
جميعا وانتم تشهدون مجاز عن الاعتراف بحقيتها اى تعلمون علما كالمشاهدة يا اهل الكتاب
لم تلبسون الحق بالباطل تخلطونه به وتكتمون الحق نعت محمد ونبوته اعاد لفظ الحق ليوقع
عليه الكتمان او لانه مغاير للاول وانتم تعلمون اهل العلم الذين شانهم الارشاد دون الاضلال
او وانتم تعلمون ما على كاتم الحق من الاثم وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذى انزل
على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون وجه النهار اوله كقوله من كان
مسرورا بمقتل مالك فليأت نساءنا بوجه نهار هذا من مكايد اليهود تشاوروا ان يؤمنوا بمحمد
وما انزل عليه فى اول النهار ويكفروا آخره لعل ان يوقعوا الشك فى قلب من آمن ويقولوا هؤلاء

اهل الكتاب لو لم يعلموا بطلان دينه لما رجعوا وقيل فعلوا لما حولت القبلة قال لهم كعب بن اشرف
صلوا معهم صلوة الصبح الى الكعبة ثم صلوا في اخر النهار الى الصخرة ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم
قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم اى لا تؤمنوا بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من
الكتاب ولا تظهروا التصديق بذلك الا لاتباعكم لا للمسلمين لئلا يزدادوا تصلبا ولا للمشركين
لئلا يرغبوا فيه وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض للرد عليهم فيما هموا ولو ابات من اراد
توفيقه لا يرده عن الايمان مكايدهم وحيلهم ويجوز ان يتم الكلام عند قوله الا لمن تبع دينكم
ويجعل ان يؤتى وجوه اما ان يتعلق بفعل مضمر بتقدير اللام اى لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
دبرتم ما دبرتم اى ما دعاكم الى ذلك الا الحسد ويؤيده قراءة ابن كثير ان يؤتى بالاستفهام
تقريرا وتوبيخا او ينتصب بمضمر اى لا تنكروا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم وخبران وهدى الله
بدل والمعنى قل ان هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم به عند ربكم حتى يحاجوكم
به في حكم الله وقضائه فيدحضوا به حجتكم وعلى الوجوه الاول ومعنى الواو وجهة العدول
الدالة على الاستقلال قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص
برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم اعتراض اخر ابلغ من الاول ومن اهل الكتاب من ان
تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك اشارة الى انهم
ليسوا على الضلال باسرهم بل منهم ذو الامانة وديانة كاملة بحيث لو امنته على جملة كثيرة
من غير بينة يؤده اليك كاملة ومنهم خائن يخون في اقل شيء ولو طلبته منه انكر الا ما دمت
عليه قائما بالبينة والرفع الى الحاكم او بان تدفع اليه ثم لا تفارقه حتى تأخذ منه فانه
لا يقدر على الانكار لوجود العين حاضرة وقيل نزلت في عبد الله بن سلام وفنحاص بن عازورا
استودع رجل من قريش عبد الله بن سلام الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه واستودع اخر
فنحاص دينارا فجحده وقيل المأمونون النصارى والخونة اليهود وقرأ ابو عمرو وحمزة وابو بكر
باسكان الهاء في الوصل والباقون بالكسر والصلة الا قالون وهشاما من قراءه بالصلة فعلى
الاصل ومن حذف الصلة اكتفى بالكسرة الدالة ومن سكن فللخفة وعدم اللبس ذلك بانهم
قالوا ليس علينا في الاميين سبيل اثم وعتاب عن سعيد بن جبير لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه
كذب اعداء الله ما من شيء كان في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر
والفاجر ويقولون على الله الكذب اى يكذبون في مقالتهم ويكذبون في نسبته الى الله تعالى
وهم يعلمون انهم كاذبون مزيد توبيخ بلى عليهم سبيل من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب
المتقين استيناف تقرر للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير في بعهده راجع لمن والمعنى من وفى
باداء الامانة واتقى الخيانة فان الله يحبه والاتيان بالمظهر للدلالة على انه بذلك يدخل
في زمرة المتقين ومن لم يتصف بالتقوى لا خلاق له من محبته تعالى ان الذين يشترون بعهد الله
وايمانهم ثمنا قليلا اى يستبدلون بما عاهدوا عليه من الايمان بالمبعوث وبما حلفوا عليه
ليؤمنن به ولينصرنه بالثمن القليل وهو الترؤس والارتشاء اولئك لا خلاق لهم في الاخرة

في الآخرة لا نصيب لهم من الخلوقة وهي الملوسة ومنه الخلقاء للمرأة الرتقاء ولا يكلمهم الله بكلام
الرضى لقوله فوربك لنسألنهم اجمعين او كناية عن الغضب والحمل على عدم انتفاعهم بايات الله
وكلامه بعيد بدليل السباق والسياق اما السباق فقوله في الآخرة واما السياق فقوله ولا
ينظر اليهم يوم القيمة ولا ينظر اليهم يوم القيمة النظر تقليب الحدقة محال في حقه تعالى فهو كناية
عن الاحسان وتركه عن الاهانة والسخط ولا يزكيهم كما يزكي المؤمنين بالثناء عليهم ولهم عذاب
اليم فوق هذه المحن وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب يميلونها عن الفصيح الى المحرف
لم يرضوا بالتحريف والتلبيس على الجهال حتى جعلوه من جملة كتاب الله المتلو لتحسبوه انتم ايها
المسلمون الضمير للمحرف من الكتاب وما هو من الكتاب في شيء ويقولون هو من عند الله صرح
بما رمز اليه بالحسبان لئلا يكون لهم سبيل الى غلط الحاسب وما هو من عند الله ويقولون على الله
الكذب يستمرون عليه وهم يعلمون ذلك لفرط جرأتهم على الله ما كان لبشر ان يؤتيه الله
الكتاب والحكم الحكمة او الحكم بين الناس والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله
روى ابن اسحق عن ابن عباس رضي الله عنه لما اجتمع نصارى نجران واليهود عند رسول الله صلى الله
قال ابو رافع القرظي اتريد ان نعبدك يا محمد فقال معاذ الله ما بذلك يعنى فانزل الله ما كان لبشر
ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول هذا القول الرباني منسوب الى الرب اى كونوا عبادا مختصين
لان الشيء ينسب الى ما اشتهر او من اشتهر به والالف والنون من تغييرات النسب وما روي عن ابن
عباس رضي الله عنه في تفسيره علماء حلماء حكماء وعن الحسن فقهاء ماخوذ من قوله بما كنتم تعلمون
الكتاب وبما كنتم تدرسون واذا كان من يعلم الكتاب ويدرسه ربانيا فكيف بالانبياء وفيه
اشارة الى ان علما لا يفضي الى ذلك المسبب كلا علم وقرأ نافع وابو بكر وابن كثير يعلمون مخففا
من العلم والتشديد ابلغ لكونه مسبوقا بالعلم ولدلالة الدراسة عليه ولا يأمركم ان
تتخذوا الملئكة والنبيين اربابا كلام مستأنف والفاعل ضمير الله او بشر وقرأ نافع وابن
كثير وابو عمرو والكسائي بالرفع وهو احسن لان النصب يقتضي مقدرا عطفا على ان يؤتيه والضمير
لبشر لاغير ولا مزيدة لبعد العهد وتخلل الفاصل بالاستدراك والمعنى ما استقام لبشر ايتاء الكتاب
اياه وقوله كونوا عبادا لي من دون الله ولا امره اياكم باتخاذ الملئكة والنبيين اربابا وعلى
الرفع في الثاني للدلالة على بعد هذا القول عمن اوتي بذلك الايتاء او لا على اصلها نافية والمعنى
ما صح ايتاء الله بشر النبوة ثم يقول لكم اعبدوني وينهى عن عبادة امثاله من الملئكة والانبياء
ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون وفيه دليل على ان المخاطبين مسلمون لما روي انهم قالوا
له اذن لنا ان نسجد لك واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم
رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه اللام الاولى موطئة وما شرطية باتيتكم او
موصولة مبتداء والخبر من كتاب ولتؤمنن به جواب القسم والميثاق مضاف الى المفعول لما روي
ابن عباس رضي الله عنه لما اخرج الله الذرية من ظهر آدم اخذ الميثاق على الانبياء والرسل ان
يقروا بمحمد وان جاءهم يؤمنوا به وعنه وعن علي ابن ابي طالب رضي الله عنهما ما بعث الله نبيا

الآخذ عليه الميثاق يعني محمد والأيمان به أن أدركه وإذا كان هذا حال الأنبياء فكيف بالأمم وفيه
ذم وتوبيخ للمحرفين وقيل إضافته إلى الفاعل أي أخذ الله الميثاق الذي وثقه الأنبياء على
الأمم وقيل المراد بالأنبياء بنو إسرائيل على طريق التهكم لادعائهم أنهم أولى بالنبوة والمعنى
أن هؤلاء الذين يدعون الأولوية قد أخذ الميثاق عليهم بأن يؤمنوا بك وقرأ حمزة لما بكسر
اللام الجارة متعلقة بأخذ على أن ما مصدرية ومن تبعيضية أي لأجل إيتاء بعض الكتاب
والحكمة ثم لمجيء رسول الله مصدق أو موصولة بحذف العائد كقوله فاصدع بما تؤمر ومن
بيانية وعن الأخفش لما معكم قام مقام العائد وإذ انتصب باذكر أي اذكر ذلك الوقت لتظهر
للمنكر ما خصك الله به من المقام العالي والرتبة السنية **قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم
إصري** أي عهدي سمي به لثقل المحافظة عليه **قالوا أقررنا قال فاشهدوا** بعضكم على بعض
أو أد وأهذه الشهادة على أنفسكم إلى أممكم أو إلى الرسول **وأنا معكم من الشاهدين** حث
على المحافظة على الشهادة بأن من لا يخفى عليه خافية مشاركهم فيها **فمن تولى بعد ذلك
فأولئك هم الفاسقون** الكاملون في الفسق والخروج عن الطاعة **أفغير دين الله يبغون**
عطف على الجملة السابقة وهمزة الإنكار توسطت داخلة على المفعول لأنه محل الإنكار أو على
مقدر أي يتولون فغير دين الله يبغون **وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها**
طائعين رغبة كالمؤمنين والملائكة أو مكرهين بالسيف ونحوه كنتق الجبل وإدراك الغرق و
الإشفاء على الموت مستسلمين فإنهم لا يقدرون على الامتناع عما قضى عليهم **وإليه يرجعون** وقرأ حفص
يرجعون بياء الغيبة وهو وأبو عمرو يبغون كذلك والخطاب هو المختار توبيخا لهم مكافحة و
هو بكسر الالتفات **قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب
والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم** أمر رسوله بأن يخبر عن نفسه وعن أمته
بالإيمان بالله وبما أنزل عليهم والقرآن وإن كان نازلا عليه إلا أن أمته متعبدون بما فيه
كالولي وإبراهيم والأسباط بالصحف فكان نازلا عليهم أيضا وآية في البقرة قولوا خطابا للأمة
أو أجلاه على طريقة الملوك مع تقدم قل بل ملة إبراهيم هو ناعي التكرار والتنزل يستعمل بعلى
وهو الأصل لأنه حركة من فوق وبإلى باعتبار الوصول **لا نفرق بين أحد منهم** في موضع الحال **ونحن
له مسلمون** منقادون ولذلك آمنا بكل الأنبياء والكتب مخلصون تعريضا بالمنافقين **ومن
يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه** استدل به على اتحاد الإسلام والإيمان فإن أريد الاتحاد
مفهوما فغير ناهض وإن أريد الاتحاد صدقا في الشرع فتام **وهو في الآخرة من الخاسرين** لأنه
رأس ماله وهي الفطرة التي فطر الناس عليها **كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم و
شهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات** روى الحاكم والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنه
أنها نزلت في رجل من الأنصار ارتد والعياذ بالله وعن مجاهد نزلت في الحارث بن سويد كفر بعد
الإسلام ثم رجع وحسن إسلامه والمعنى استبعاد هداية الله من كفر بعد الإيمان وشهادته بأن الرسول
حق وبعدما جاءه الشواهد من القرآن وسائر المعجزات شهد واعطف على إيمانهم لأنه بتقدير الفعل

بتقدير الفعل مع أن أو في موضع الحال بتقدير قد ولا يجوز عطفه على كفروا لفساد المعنى **والله لا
يهدي القوم الظالمين** لا يوفقهم للإيمان **أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس
أجمعين** أي الموصوفون ملعونون من كل أحد حتى من أنفسهم فإنهم يلعنون المبطل ويوم القيامة يدعون
بالثبور ومفهومه وإن دل على عدم لعن غيرهم الآن لمعني بالنصوص الدالة على لعن الكافر **خالدين
فيها** في اللعنة أو في النار لقوله **لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون** يمهلون وفيه رد لما
يقوله الملاحدة من أنهم يعتادون فلا يحسون بالألم **إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا**
ما أخلوا به من الحقوق فإن توبة المرتد لا تسقطها **فإن الله غفور** لما صدر منهم **رحيم** بقبول
توبتهم **إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا** هم اليهود كفروا بعيسى وازدادوا
كفرا بمحمد أو آمنوا به قبل بعثته وكفروا به بعده وازدادوا كفرا بالإصرار على معاداته وعن
ابن عباس رضي الله عنه نزلت في قوم أسلموا ثم ارتدوا ولحقوا بمكة وازدادوا كفرا بأن قالوا
نتربص بمحمد ريب المنون **لن تقبل توبتهم** استدل به الإمام أحمد على أن من تكرر ارتداده لا تقبل
توبته والجمهور على أن المراد استمراره إلى الموت لسائر النصوص **وأولئك هم الضالون** طريق
الصواب **إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به**
أدخل الفاء في الخبر إذ الموت على الكفر سبب لامتناع قبول الفدية بخلاف الآية الأولى فإن إرادة الموت
لتحقيق الخبر لا يؤذنه بالإصرار المفضي إلى عدم الرجوع والمعنى لا يقبل منه فدية ولو افتدى بملء
الأرض فإنه غاية الكثرة عرفا **أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين** ستعليهم طريق النجاة
بطريق الافتداء والدفع بالقهر **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون** حث على الإنفاق قبل فوات
وقته روى البخاري ومسلم لما نزلت قال أبو طلحة يا رسول الله أرى ربنا يسألنا من أموالنا وإنه
أحب أموالي إلي بيرحاء فضعها يا رسول الله حيث أراك الله فقال بخ بخ ذلك مال رابح وإني أرى أن
تجعلها في الأقربين فقسمها أبو طلحة في الأقربين وتصدق عمر بن ... وجاء زيد بن حارثة
بفرس له فأعطاه رسول الله أسامة فقال زيد إنما أردت أن أتصدق به فقال إن الله قد قبلها منك
وما تنفقوا من شيء أي شيء كان فلا يستحقر شيئا ...
شاة وفيه اتقوا النار ولو بشق تمرة **فإن الله به عليم** فيجازيكم عليه **كل الطعام كان حلا لبني
إسرائيل** أي كل المطعومات والحل مصدر نعت به ولذلك يستوي فيه ... الاتفاق ...
لمناسبة اقتداء الكافرين ... لعدم النسخ ...
هادوا وحرمنا عليهم ... وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ...
بذلك كانت محرمة من زمن نوح عليه السلام فكذبهم الله في ذلك **إلا ما حرم إسرائيل على نفسه
من قبل أن تنزل التوراة** يحرم على نفسه لحوم الإبل وألبانها وقيل كان به عرق
النساء فنذر إن شفي أن لا يأكلها وقيل كان ذلك للتداوي بإشارة الأطباء والاستدلال به على جواز
الاجتهاد للأنبياء ... **قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين** فإن
في التوراة أن ذلك التحريم خاص بهم **فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك** من بعد ظهور ما ذكر

فاولئك هم الظالمون الكاملون في الظلم حيث كذبوا كتابهم الذي آمنوا به ولما الغمهم الحجر قال قل صدق
الله فيما اخبر به في القرآن والتورية فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا مايلا عن الباطل خاطبهم على طريق
الانصاف حيث لم يقل اتبعوني بل امرهم باتباع من يفتخرون باتباعه وما كان من المشركين تعريض بهم
وتكذيب لهم في ادعائهم انهم على ملته ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين
اشارة الى حل شبهة اخرى لليهود قالوا كيف يكون محمد على ملة ابراهيم وقد ترك التوجه الى البيت المقدس
التي هو قبلة الانبياء فاشار الى ان ذلك مما يدل على انه على ملته لان الكعبة قبلته وهي اقدم من بيت
المقدس واشرف روى البخاري ومسلم عن ابي ذر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله اي مسجد وضع اول
قال المسجد الحرام قلت ثم اي قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعون سنة مكة وبكة اسمان لتلك
البلدة الشريفة وقيل بكة موضع البيت ومكة سائر البلد وهو ظاهر النظم سميت بكة لانها
تبك اعناق الجبابرة اي تدقها وقيل لان الناس يتباكون فيها اي يزحم بعضهم بعضا ولا مكان
اكثر بركة منه كم من تجارة نفقت ورقبة عتقت وهدى للعالمين لانه قبلتهم وفي صلواتهم و
لما فيه من الآيات العظام ولذلك بينه بقوله فيه آيات بينات الضمير لحرم البيت مقام ابراهيم
الحجر الذي غاص فيه قدمه لما قام عليه وهو يبني وقيل لما جاء زائرا قالت له امرأة اسمعيل عليه السلام
انزل حتى تغسل رأسك لان سارة كانت شرطت عليه ان لا ينزل وانما صح بيان الجماعة بالواحد
لتعدد جهاته غوص القدم والانه الحجر الصلد وبقاؤه على مر الدهور وناحيك ان القرامطة
اخذوا الحجر الاسود الى بلادهم واعماهم الله عن المقام او لانه اشار الى الجنس الآيات بذكر اعظمها
وطوى ذكر الآخر كثيرتها منها انحراف الطيور عن موازنته وضواري السباع تخالط الصيد وكل
جبار قصده قصمه الله وقصة اصحاب الفيل اجلى دليل ومن دخله كان آمنا ليس من الآيات
بل بيان لشرفه والامن اما في الدنيا على ما ذهب اليه ابن عباس وابو حنيفة من عاذ بالبيت وعليه
قصاص لا يتعرض له ولكن لا يطعم ولا يسقى حتى يضطر الى الخروج وهو الظاهر لقوله اولم نجعل لهم
حرما آمنا وقوله وآمنهم من خوف ولما روى مسلم والبخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة لا هجرة بعد الفتح لكن جهاد ونية ثم قال ان هذا
البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض لم يحل لاحد قبلي وانما احل لي ساعة من نهار فهو حرام
بحرمة الله الى يوم القيمة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته الا من عرفها فليبلغ
الشاهد الغائب واما في الآخرة لما روى البخاري [illegible] من حج ولم يرفث فكانما ولدته امه او
المطلق وهو الاحسن [illegible] وعن ابن مسعود رضي الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة وقال ليبعث الله من هذه البقعة سبعين الفا وجوههم كالقمر
ليلة البدر يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وروى انه قال
يؤخذ بالحجون والبقيع وهما مقبرتا مكة والمدينة وينثران في الجنة ولله على الناس حج البيت
من استطاع اليه سبيلا الحج لغة القصد وشرعا هو القصد المخصوص بيت او لا شرف البيت والحرم
ثم دعى كافة الناس اليه والحج احد اركان الاسلام بالاحاديث والاجماع والآية وفيها انواع

وفيها انواع من التاكيد ابراز الامر به في صورة الخبر والابدال المشتمل على الاجمال والتفصيل ولهم
الاختصاص واسمية الجملة وتسمية تاركه كافرا ووجوبه في العمر مرة لما روى مسلم عن ابي هريرة
رضي الله عنه خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ايها الناس ان الله كتب عليكم
الحج فقال اقرع بن حابس اكل عام يا رسول الله فقال لو قلت لوجب ذروني ما تركتكم الحج مرة وروى
الترمذي عن ابن عمر ان رجلا سأل رسول الله عن الاستطاعة فقال الزاد والراحلة وعند مالك
قوة البدن كافية لقوله واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر وفي حمزة والكسائي
وحفص حج البيت بكسر الحاء على انهما لغتان وعن الزجاج المفتوح مصدر والمكسور اسم والمختار
هو الفتح لاتفاقهم في واذن في الناس بالحج ومن كفر بتركه مستحلا او هو تهديد كقوله
من ترك الصلوة عامدا فقد كفر وروى الترمذي عن علي بن ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من ملك زادا او راحلة ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا فان الله غني عن
العالمين دل على غناه عن حجه بطريق البرهان لانه اذا كان غنيا عن العالمين تناوله لا محالة
قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله اذ لم يبق لكم شبهة فضلا عن حجة والله شهيد
على ما تعملون والعاقل لا يرتكب نفع فيه فكيف بما يجلب سخط القاهر القادر قل يا اهل الكتاب
لم تصدون عن سبيل الله من آمن لم ترضوا بضلالكم حتى تضموا اليه اضلال المسترشدين تبغونها
عوجا توهمون الناس ان فيها اعوجاجا او تبغون انفسكم لطلب المحال بغيتك الشيء اذا طلبته له
وانتم شهداء عالمون بانها سبيل الله او انتم موصوفون بالعدالة والديانة بين اتباعكم وما الله
بغافل عما تعملون وعيد لهم يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب
يردوكم بعد ايمانكم كافرين نزلت في نفر من الاوس والخزرج وذلك ان الاوس والخزرج قبيلتان
من عرب اليمن من اولاد سبأ الذي ضرب به المثل في قولهم ذهبوا ايدي سبا وكان بينهما
[illegible] عداوة قديمة وحروب كثيرة وجرت بينهم يوم بعاث كان الظفر في ذلك اليوم للاوس
وكان شاس بن قيس كثير العداوة للاسلام واهله فمر يوما على نفر من الاوس والخزرج جلوس
[illegible] فامر شابا كان معه ان يجلس اليهم ويذكرهم [illegible] وينشدهم الاشعار ويذكرهم يوم بعاث ففعل
[illegible] وتنادوا السلاح السلاح عازمين على القتال فبلغ رسول الله
امرهم فخرج اليهم وقال اتدعون بدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم بعد ان اكرمكم الله بالاسلام
فعرف القوم انها من نزغات الشيطان فالقوا السلاح [illegible] فما كان يوم اقبح اولا واحسن
آخرا من ذلك اليوم [illegible] رسول الله [illegible] وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم
آيات الله وفيكم رسوله انكار لان يوجد لهم حال [illegible] الى الكفر الذي هو [illegible]
[illegible] عليهم [illegible] وفيهم من يشاهد [illegible] من الآيات والمعجزات [illegible] ومن يعتصم
بالله فقد هدي الى صراط مستقيم [illegible] الى الهدى
لا محالة وجعل الجزاء مع ذلك [illegible] يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته
اصل تقاة وقاة قلبت واوها تاء كما في تراث [illegible] عن ابن مسعود رضي الله عنه حق تقاته ان يطاع

ولا يعصي ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى رواه الحاكم مرفوعا وعن ابن عباس رضي الله عنه ان لا يموت
الله لومن لابد وعن بعض العارفين ان يحافظ على الحدود ظاهرا وعلى الاخلاص باطنا ولا تموتن
إلا وأنتم مسلمون اي لا تكونوا حال الموت الا على الاسلام النهي راجع الى القيد كقولك لا تأت الا
الا وانت ذو سلاح واعتصموا بحبل الله جميعا استعارة تمثيلية على اعتبار تشبيه الحالة بالحالة
او الحبل مستعار للعهد او القرآن لقوله تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا القرآن حبل الله
المتين والاعتصام مستعار للوثوق بالعهد او ترشيح لاستعارة الحبل لان اضافته الى الله قرينة
ولا تفرقوا لا تفعلوا شيئا يوجب تفرقكم وفي الحديث يد الله على الجماعة من شذ شذ في النار واذكروا
نعمة الله عليكم اشكروها اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم كانت العرب قبل الاسلام متفرقين
بينهم التحارب والتعادي فالقى الله بينهم الالفة والمودة ببركة الايمان والاوس والخزرج داخلون
في العموم فاصبحتم بنعمته اخوانا اي صرتم اخوانا ملتبسين بنعمة الله المراد اخوة الاسلام وكنتم
على شفا حفرة من النار شفا كل شيء حرفه واوي والمعنى لو ماتوا على الكفر لوقعوا في حفرة من النار
وهي نيران الكافرين فانها حفرة من حفر النيران فانقذكم منها من النار او من الشفا وهو الوجه لان الانقاذ
منه وتأنيث الضمير لان الشفا من الحفرة كما يقول سقطت بعض انامله كذلك يبين الله لكم آياته
مثل هذا البيان الجلي يبين سائر آياته لعلكم تهتدون لكي تهتدوا الى الحق ولتكن منكم امة يدعون
الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية يجب
على الكل ويسقط بفعل البعض كصلوة الجنازة ودفن الميت وشروط القائم به العلم والاحكام والطرق
وكيفية التعاذر ويجب على الجاهل التعلم اذا لم يقم به غيره ويختلف باختلاف المذاهب ويكون واجبا
ومندوبا ويكره اذا خاف على نفسه وله ثلاث مراتب كما روى البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه
من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وليس وراء ذلك
من الايمان حبة خردل وعطف يأمرون بالمعروف على يدعون من عطف جبرئيل على الملائكة و
أولئك هم المفلحون اي الموصوفون هم الكاملون في الفلاح عن حذيفة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن ان يبعث الله عقابا ثم
لتدعنه فلا يستجيب لكم ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا نهي اولا عن التفرق وثانيا عن
المشابهة بمن تفرق مبالغة من بعد ما جاءهم البينات الدلائل الواضحة والمراد النهي عن الاختلاف
الناشئ عن الاهواء فيخرج عنه اختلاف المجتهدين واولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه و
تسود وجوه انتصاب يوم بالظرف او باذكر مضمرا او بعظيم البياض والسواد على الحقيقة اسماء
السعادة والشقاوة او كنايتان عن السرور والحزن فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم
بعد ايمانكم يوم الميثاق اذ قلتم بلى بعد الست بربكم وقيل هم اليهود والنصارى امنوا به قبل بعثه
فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقيل اهل البدع الذين بدعتهم كفر كالمجسمة والمعطلة والهمزة
للتوبيخ والقائل الملائكة وفائدة القول زيادة العذاب وتوفير حظ السامعة فذوقوا العذاب
اي اهانة بما كنتم تكفرون بسبب كفركم واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله

في الجنة من اطلاق الملزوم وارادة اللازم اشارة الى ان دخول الجنة بفضل رحمته تعالى لا بالعمل
وانما وسط حديث السواد ليكون الفاتحة والخاتمة بحلية المؤمنين هم فيها خالدون
استئناف لبيان خلودهم في الرحمة او حال لا تصح للاسمية ضمير فلا حاجة الى الواو تلك
آيات الله نتلوها عليك بالحق ملتبسة به وما الله يريد ظلما للعالمين شيئا منه لاحد
منهم نفاه بنفي لازمه اذ لو وقع كان مرادا له ودل على ان ظلم العباد بينهم مراد له وان لم
يرض به فمن استدل به على انه لا يريد ظلم العباد بعضهم بعضا فقد زلت به القدم ولله ما
في السموات وما في الارض ايجادا وملكا فكيف يتصور منه الظلم والى الله ترجع الامور
فيجازي كلا بما وعد واوعد كنتم خير امة اخرجت للناس اي في علم الله او في اللوح والخطاب
لامته كافة لما روى الترمذي عن بهز بن حكيم عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
انتم تتمون سبعين امة انتم خيرها واكرمها عند الله وقيل للصحابة وقيل للشهداء والصالحين
تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استئناف لبيان الخيرية واللام للاستغراق اي كل معروف
وكل منكر مستمرون على ذلك وبه خرج الامر والاستدلال به على حجية الاجماع غير ناهض لان
قيام واحد او شرذمة كاف في ذلك والاسناد الى الكل لوقوع الفعل بينهم وتؤمنون بالله
باتصافهم بكل ما يليق به اخره للدلالة على ان امرهم بالمعروف والنهي عن المنكر ايمانا بالله وتعظيما
ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم لاندراجهم في زمرة خير الامم منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام
واكثرهم الفاسقون لن يضروكم الا اذى باللسان كالطعن في دينكم ودنياكم [illegible]
هذه الجملة وما عطف عليها والتي قبلها وما عطف عليها وردت على طريق الاستطراد تتميما لبيان
حالهم ولم يعطف لعدم الاستطراد على الاخر لكون كل منها نوعا آخر من الكلام وان يقاتلوكم
يولوكم الادبار ينهزموا ثم لا ينصرون اي ثم اخبركم انهم لا ينصرون قط ولذلك لم يعطف
على الجزاء لئلا يتقيد بالشرط وثم للتراخي في الرتبة فان الاخبار باستمرار الخذلان عليهم اعظم
من الاخبار بتوليهم ضربت عليهم الذلة شبه الذلة بالقبة على طريق الاستعارة بالكناية
والضرب تخييل وشبه احاطتها بهم باحاطة القبة على من فيها استعارة تبعية اينما ثقفوا
اينما وجدوا شرقا وغربا الا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء من اعم الاحوال اي لا يجدهم
في حال الا في حال اعتصامهم بذمة الله وذمة المسلمين وانما اعاد الحبل لتغاير الذمتين لان حبل الله
هو الاسلام وحبل المسلمين هو عقد الجزية او عهد الله ان يقاتلوهم بالجزية وعهد المسلمين تقدير
كمية الجزية والوهم من قبيل الله ورسوله احق ان يرضوه لان الناس هم المؤمنون فيتحد الحبلان
وباءوا بغضب من الله صاروا احقاء به وهو ارادة الانتقام وضربت عليهم المسكنة الفقر
اكثر اليهود فقراء او الذلة والفقر والمسكنة الانكسار ظاهرا كيف لا والتزام الجزية اعظم
ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله اي المذكور من ضرب الذلة وعدم الانتصار بسبب كفرهم بآيات الله
ويقتلون الانبياء بغير حق في اعتقادهم ايضا ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون
اي ذلك الكفر والقتل بسبب عصيانهم فان الاصرار على الصغائر يفضي الى الكبائر والكبائر على

الى الكفر غالبا او ضرب الذلة مسبب عن الكفر والمعاصي ايضا فيدل على انهم مخاطبون بالفروع
ليسوا سواء اي الاقلون وهم من امن من اهل الكتاب والاكثرون الفاسقون من اهل الكتاب امة قائمة
استيناف لبيان حال الاقلين بعد بيان حال الاكثر ومعنى قائمة عادلة من قام العود اذا اعتدل
اعوجاجه او القيام كناية عن الجد يدل عليه وصف اضدادهم بالكسل يتلون ايات الله اناء الليل
وهم يسجدون عبر عن صلوتهم تهجدا ابلغها وهو الذكر المدلول عليه بالتلاوة والسجود الذي
هو اقرب مقامات العبد في معراجه زيادة تصوير لها وتمييزا عن صلوة اهل الكتاب يؤمنون بالله
واليوم الاخر تعريض بقبائحهم لان ايمانهم بالله واليوم الاخر ليس بايمان ويأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ولا يداهنون ويسارعون في الخيرات كلها من فرط رغبتهم لان من رغب في شيء
سارع اليه كل ممكن واثر الفور على التراخي واولئك من الصالحين اي والذين صلحت احوالهم
عند الله والخلق او بعض الصالحين بعد ودون منهم وما يفعلوا من خير فلن يكفروه اي جزاءه
ضمن معنى الحرمان ولذا عدي الى مفعولين وقرأ حمزة والكسائي وحفص الفعلين بالياء والغيبة والضمير
لاهل الكتاب والخطاب اما التفات او على سنن كنتم خير امة لان قصة اهل الكتاب معترضة و
استطرادا والله عليم بالمتقين حث على الاخلاص وبشارة للمتقين ان الذين كفروا لن تغني
عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون من الاغناء
او من العذاب مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا
انفسهم فاهلكته الصر البرد وهو في الاصل مصدر جيء به على الاصل او صفة بمعنى الباردة ووصف
الريح بالباردة مبالغة او من قبيل التجريد انتزع من الريح ريح باردة كقوله لكم في رسول الله
اسوة وقول الشاعر وفي الرحمن للضعفاء كاف والتشبيه من المركب شبه ما كانوا ينفقون في
المكارم والمفاخر لا يبتغون بها وجه الله بالزرع الذي اصابه البرد المفرط فبلى وانه فجعله
حطاما او ما كانوا ينفقون في عداوة رسول الله فلم يبلغوا به ما راموا وانما شبه بحرث قوم
ظلموا لان الاهلاك عن سخط اشد وابلغ وما ظلمهم الله اي المنفقين بابطال اعمالهم ولكن
انفسهم يظلمون لانهم باشروا الاسباب بغفلة يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة بطانة الرجل
خاصته وصاحب سره ومنه بطانة الثوب لخفائها واستتارها وعن البخاري مرفوعا انه صلى الله عليه وسلم
قال في مدح الانصار الناس دثار والانصار شعار وروى ابو داود عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل من دونكم من دون المؤمنين
صفة ويجوز تعلقه بلا تتخذوا لا يألونكم خبالا من الالو وهو التقصير يقال لا الوك جهدا على
تضمين معنى المنع فيتعدى الى المفعول الثاني والخبال الفساد ودوا ما عنتم عنتكم وهو اشد الضرر
والمشقة اصله كسر العظم بعد الجبر قد بدت البغضاء من افواههم من فلتات لسانهم من فرط البغض
كالاناء الممتلي وما تخفي صدورهم اكبر مما بدا قد بينا لكم الايات بشرح احوالهم والجمل المذكورة
مستانفة كل منها علة مستقلة للنهي ولذلك ترك تعاطفها ويجوز ان يكون كل لاحقة علة للمتقدمة
سوى قوله قد بينا لكم الايات فانه لا يصلح تعليلا لبدو البغضاء فيكون كلاما مبتدأ والحمل على الصفة

والحمل على الصفة يوهم تقييد النهي بكون البطانة على هذه الصفات ان كنتم تعقلون وفي ايثار ان
وجعل الفاصلة تعقلون توبيخ على ما وقع منهم من نوع موالاة ها انتم اولاء تحبونهم ولا
يحبونكم انتم مبتداء واولاء خبره والهاء للتنبيه فان قلت قد تقدم نظيره في محاجة اليهود
ها انتم هؤلاء فلم اقتصر على احدى الهائين هنا قلت دعوى اليهود ان ابراهيم كان يهوديا ناشئة
عن فرط الغفلة لان المتقدم لا يعقل ان يكون على مذهب المتاخر فكررت الهاء لذلك بخلاف
مودة المؤمنين لمن لا يحبهم فانه احسان الى غير مستحقه فلم يكن بذلك البعد وتؤمنون
بالكتاب كله حال بتقدير المبتداء من المفعول اي لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكل الكتاب
او عطف على تحبونهم على معنى انتم تجمعون بين المحبة والايمان بالكتب كلها وهم لا يحبونكم
ولا يؤمنون بشيء من كتبكم فلا تجامع بينكم وبينهم واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا
عليكم الانامل من الغيظ النادم والمغتاظ كثيرا ما يعضان الانامل من شدة الاسف والندم
قال الحارث بن ظالم المري فاقتلوا اقواما لئاما اذله يعضون من غيظ رؤس الانامل وقال الاخر
غري جنو وانا المعاقب فيكم فكانت سبابة المتندم قل موتوا بغيظكم اي ازدادوا غيظا
الى ان تموتوا به وذلك بازدياد شوكة الاسلام وارتفاع شانه ان الله عليم بذات الصدور
داخل في مقوله اي قل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما يسرون بينكم وهو مضمرات قلوبكم التي
في الصدور او استيناف منه تعالى بغير ما اطلعه عليه من اسرارهم او تذييل لكل ما سبق من قوله
ها انتم وعيدا على اضمار مودتهم واطلاعا لرسوله على نفاقهم وتحذيرا لهم عسى ان يرجعوا
والاحسن ان يكون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم برجاء العاقبة وعلو الشان من غير قول
ولا تخاطب كانه قال احدث نفسك بهذا ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا
بها لفرط عداوتهم يحسدونكم على العافية اثر في الحسنة المس اذ ادنى الاصابة وفي السيئة
الاصابة لانهم لا يفرحون بادنى اصابة وان تصبروا على اذاهم وتتقوا موالاتهم او تصبروا
على مرارة التكاليف وتجتنبوا محارم الله لا يضركم كيدهم شيئا ومن يتق الله يجعل له مخرجا
وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو لا يضركم من ضاره يضيره والمعنى واحد والتشديد اشهر ان الله
بما يعملون محيط علما فيجازيهم به واذ غدوت من اهلك من حجرة عائشة اي اذكر ذلك اليوم
ليظهر لك ان النصر منوط بالصبر ولما لم يصبروا اصابهم ما اصابهم واليه اشار بقوله
قل هو من عند انفسكم هذه وقعة احد كانت في شوال من سنة ثلث من الهجرة وذلك ان ابا سفيان
لما جامع العرب وقتل من اشرافهم يوم بدر قالوا نجعل هذه الاموال لقتال محمد فجمعوا الجموع
وخرجوا في ثلاثة الاف اميرهم ابو سفيان فنزلوا باحد يوم الاربعاء فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الجمعة استشار الاصحاب فاشار اليه اكثر الانصار بالاقامة بالمدينة وفيهم عبد الله
بن ابي راس النفاق وقالوا ما دخل علينا عدو قط الا اصبنا منه وما خرجنا اليه الا اصاب
منا دعهم ان اقاموا اقاموا بشر محبس لا ماء ولا علف وان قاتلوا قاتلهم الرجال ورمي
في وجوههم النساء والصبيان الحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين واشار اليه بالخروج بعض من فاته

بدر واراد الله اكرامه بالشهادة قالوا يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الكلاب لا يرون انا جبنا
فدخل ولبس لامته وظاهر بين الدرعين فندم المشيرون بالخروج وقالوا يا رسول الله افعل ما بدا لك
ان شئت اقمت قال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته ثم يرجع حتى يحكم الله فخرج في الف فلما سار شوطا
رجع ابن ابي المنافق في ثلث الجيش وقالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم واستمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم سايرا حتى نزل بالشعب في عدوة الوادي وجعل ظهره الى احد تبوء المؤمنين مقاعد للقتال
مواطن ومواقف يستعمل في مجرد المكان اتساعا كقوله في مقعد صدق وذلك انه لما اصبح يوم
السبت تهيأ للحرب وجعل يصف اصحابه ويسويهم كما يسوي القدح وامر على الرماة عبد الله بن
جبير وهم خمسون رجلا وقال الزموا مكانكم وانضحوا الخيل ولا تبرحوا مكانكم لنا او علينا وان خطفتنا
الطيور وكانت مع قريش مائتا فرس على ميمنتها خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن ابي جهل و
الله سميع لاقوالكم عليم بضمايركم اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا ظرف لسميع عليم على التنازع
او بدل من اذ غدوت والطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة الفشل الجبن وموجب ذلك ان ابن ابي فيمن
لما رجعوا همت الطائفتان بالرجوع وكانت همة لا عزم معها او كانت عزمة كفرت بالثبات
والله وليهما عاصمهما ومتولي امورهما روى البخاري ومسلم من جابر فينا نزلت وما يسرنا انه لا تنزل
لقوله تعالى والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون لا على غيره ولقد نصركم الله ببدر اسم ماء سمي باسم
صاحبه بدر بن النار رجل من جهينة اول قتال وقع بين رسول الله وبين المشركين بها وافق ذلك
السابع عشر من رمضان سنة ثنتين من الهجرة اعز الله الاسلام فيه وحزبه وانتم اذلة ثلثمائة
وثلثة عشر اكثرهم مشاة يتعقبون وفيهم فرسان وسبعون بعيرا والعدو في زها الف وعدة
كاملة على الخيول المسومة فاتقوا الله لعلكم تشكرون بتقويكم لان نعمة النصرة تقتضي المقابلة بالتقوى
شكرا والتقوى شكر للنعمة مستجلب للنصر فعليكم بها اذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم او بدل من اذ غدوت
على ان هذا القول كان يوم احد ونزول الملئكة كان مشروطا بالصبر والثبات الن يكفيكم ان يمدكم ربكم
بثلثة الاف من الملئكة منزلين استفهام الانكار دخل على النفي فافاد الاثبات وقرأ ابن عامر منزلين
بفتح النون وتشديد الزاء بلى ايجاب بعد النفي اي بلى يكفيكم الامداد ثم قال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم
من فورهم هذا هذا في الان الحاضر من غير ريث مستعار من فور القدر وهو الغليان يمددكم ربكم
بخمسة الاف من الملئكة مسومين زيادة على العدد والاولى التسومة العلامة عن ابن عباس رضي الله عنه
كانت خيولهم معلمة بالصوف الابيض في نواصيها واذنابها ولم يقاتل الملئكة الا يوم بدر وفي غيره
لم تقاتل وعن هشام بن عروة كانت خيلهم بلقا وعن الزجاج كانت ثيابهم بيضا وقيل كانت عمائمهم صفرا
مرخاة على اكتافهم على صورة عمامة زبير وفايدته اظهار التشجيع نفسه وعدم الانثناء عند التحام القتال
وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم بكسر الواو مسومين لان الفرسان هم الذين يسومون والفتح اشهر
وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به اي وما جعل الامداد الا ليحصل لكم سرور وتطمئن
قلوبكم بالعدد الكثير وتندفع به وساوس الشيطان استعارة البشارة من القول للفعل وما النصر الا
من عند الله لا من عند العدد والعدد العزيز الغالب الذي لا يغالب الحكيم في نصر المؤمنين بانزال الملئكة

بانزال الملئكة تارة وبدونه اخرى ليقطع طرفا من الذين كفروا متعلق بنصركم الله على ان اذ تقول ظرف
له لا بدل من اذ غدوت والمعنى نصركم ببدر ليهلك طائفة من الكفار او كذا او كذا او تقول ومن النصر
الا من عند الله وهذا احسن لعمومه وجريانه على وجهي البدل والظرف او يكبتهم يخزيهم فان الكبت
بمعنى اصاب كبده بالغيظ والحرقة فينقلبوا خائبين لم ينالوا الخير ليس لك من الامر شيء روى البخاري
عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقنت بعد الركوع ويدعو على مضر
ولحيا من العرب فنزل ليس لك من الامر شيء وروى ايضا عن انس رضي الله عنه انه لما كسر رباعيته
وشج راسه جعل يسيح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم فنزل اي انما انت عبد
منذر ومامور بالقتال وقد فعلت ما امرت به كانه غاضب به على استبعاد فلاح القوم لانهم
من آل ابي سفيان وخالد بن الوليد او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على ليقطع وليس لك من الامر
شيء اعتراض بين المتعاطفين فان القطع والكبت في العاجل والتوبة والتعذيب في الآجل ويجوز ان
يكون منصوبا باضمار ان عطفا على المجرور او المرفوع اعني الامر او شيء اي ليس لك من الامر التوبة
عليهم او التعذيب او ليس لك من التوبة عليهم او تعذيبهم شيء وعلى الوجهين من عطف الخاص على العام
مبالغة في شمول النفي للخاص وقيل او بمعنى الا اي ليس لك من الامر شيء الا ان يتوب الله عليهم فتسر
او يعذبهم فتشتفي منهم فانهم ظالمون علة التعذيب ولله ما في السموات وما في الارض ايجادا
وملكا تقرير لقوله ليس لك من الامر شيء يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء لا علة لصنعه ما ذاك الا
مشيته والتقييد بالتوبة قول بلا دليل ومعارض لما تواتر من الاحاديث معنى والله غفور كثير المغفرة
رحيم لا يعاجل بالعقوبة يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة هذا ايضا من اخلاق
الكفار بعدما نهاهم عن موالاتهم نهاهم عن الاتصاف باخلاقهم وسلوك سنتهم والتقييد باضعافا
مضاعفة زيادة توبيخ واشارة الى ما كانوا فيه من الطريقة التي لا يرضاها ذو المروة مع كلية
الربوا فلا مفهوم له وقرء ابن كثير وابن عامر مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون لكي
تفلحوا واتقوا النار التي اعدت للكافرين بالاصالة فلا تشاركوهم في اسبابها واطيعوا الله والرسول
مبالغة في الحث على التقوى لعلكم ترحمون وسارعوا الى مغفرة من ربكم اي موجباتها ووسائلها وقرء
نافع وابن عامر سارعوا بلا واو على انه استيناف على تقدير سؤال او حذف العاطف لعلم التلبس
وكذا رسم المصحف المدينة والشام وجنة عرضها السموات والارض ليس المقصود التحديد بدعوى الجنة
بل هو كناية عن غاية السعة بما هو غاية في الدعة في علم السامعين والتمثيل بالعرض لانه انقص من الطول
وعن ابن عباس رضي الله عنه لو بسطت السموات والارض ووصل بعضها ببعض كانت مقدار عرض الجنة واما طولها فلا
يعلمه الا علام الغيوب اعدت للمتقين الا انه وصفهم ولا يلزم منه ان لا يدخلها العصاة من المؤمنين
لان المراد انها لهم اصالة كما ان النار للكفار اصالة الذين ينفقون في السراء والضراء حالتي الرخاء
والشدة او في جميع الاحوال لان الانسان لا ينفك عن احدهما وعن عائشة رضي الله عنها تصدقت
بحبة عنب والكاظمين الغيظ يقال كظم البعير اذا ترد جرته وكظم القربة اذا ملأها وشد رأسها
وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تعدون فيكم الصرعة قلنا الذي

لايصرعه الرجال قال لا ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب والعافين عن الناس جرايمهم عند القدرة اخص من كظم الغيظ واخفائه مزيد من العفو وعن ابن عباس رضي الله عنه اذا كان يوم القيمة نادى مناد اين العافون عن الناس هلموا الى ربكم خذوا اجوركم والله يحب المحسنين هؤلاء المذكورين اللام للعهد والاولى للاستغراق فيتناولهم ويدخلون دخولا اوليا والذين اذا فعلوا فاحشة عطف على المتقين اي اعدت للمتقين ولهؤلاء التائبين والفاحشة فعلة متناهي قبحها او ظلموا انفسهم بارتكاب اي ذنب كان ذكروا الله بصفات الجلال والجمال فاستغفروا لذنوبهم رغبة ورهبة ومن يغفر الذنوب الا الله بالغ في الدلالة على سعة رحمته بابتناء الاسم الجامع و استغراق الذنوب باللام وتصدير الكلام بالاستفهام الدال على انه المتفرد بذلك والاعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه لئلا ينفك المغفرة عن الاستغفار وفي الحديث التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوبة تجب ما قبلها ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا على المعاصي وهم يعلمون حال من فاعل يصروا اي النفي منصب عليهما بمعنى ان عدم الاصرار يتحقق البتة حال كونهم عالمين بقبح الاصرار اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها خبر والذين اذا فعلوا ان لم يعطف على المتقين والا فكلام مستأنف لبيان حال المتقين والتائبين وقوله والله يحب المحسنين في البين لرفع شأن المتقين وليس في الاية الا ان الجنة اعدت للمتقين والتائبين اي للمتقين خاصة والتائبون اجرهم مغفرة وجنات ولا دلالة في ذلك على عدم دخول المصرين الجنة مفهوما وهو سلم لان الكلام مسوق لترهيب اكلة الربوا او ترغيب في الاقلاع والتقييد بعدم الاصرار بلازم الغرض وشرط المفهوم عند القائل به ان لا يكون له فائدة اخرى ونعم اجر العاملين اي المذكور سمى عوض العمل جزاء اولا واجرا ثانيا بالنظر الى المعطي والعامل قد خلت من قبلكم سنن وقائع المكذبة وطرق هلاكها المختلفة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين تروا منازلهم خاوية بما ظلموا احثهم على الاعتبار بما يشاهدون من احوال امثالهم هذا بيان للناس من سوء عاقبتهم ان داموا على التكذيب وهدى وموعظة للمتقين زيادة هدى وتثبيت لهم و يجوز ان يكون قد خلت جملة معترضة حثا على الايمان وقوله هذا بيان اشارة الى ما لخص من حال المتقين والتائبين ولا تهنوا ولا تحزنوا عطف على فانظروا تسلية لهم لان الغرض تلك الوقائع يورث الطمأنينة بان العاقبة لحزب الله كر الى تمام حديث احد بعد توسيط حديث الربوا والدلالة على انه نوع تحزن من حرب الله وحديث الجهاد الاكبر لان الاخ الاهم وانتم الاعلون شانا لانكم تقاتلون لاعلاء كلمة الله ولانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم احد او اعلون في العاقبة لان حزب الله هم الغالبون ان كنتم مؤمنين اي لا تهنوا ان صح ايمانكم لان ما بداهم ينافي قوة الايمان او متعلق بالاعلون او قسم بالبشارة بالعلو في العاقبة اي انتم الاعلون ان كنتم مصدقين بهذه البشارة ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله يوم بدر او يوم احد اول النهار قبل ان يخالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر القرح بضم القاف على انهما لغتان او بالفتح الجراح او بالضم وتلك الايام مبتدأ وخبر نداولها بين الناس جملة موضحة كما في قولك انت حاتم تجود او حال او خبر بعد خبر والمداولة من الدولة وهي الكرة والعود والايام اوقات النصر و الغلبة والمعنى نجعل النصر تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء وفي حديث ابي سفيان لما ساله هرقل عن حال حربهم مع رسول الله الحرب بيننا سجال وليعلم الله الذين امنوا ليتميز الثابت على الايمان من المتزلزل من اطلاق المسبب وارادة السبب وتمثيل اي فعلنا فعل من يريد ان يعلم الثابت على الايمان او علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلم الثابت موجودا فالمعلل محذوف او العلة محذوفة والمعلل نداولها اي نداولها لكيت وكيت وليعلم وانما حذفت للدلالة على ان المصلحة في ذلك غير واحدة ويتخذ منكم شهداء وليكرم منكم ناسا بفضل الشهادة وقيل يتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم وفيه ان تلك الشهادة عامة لكافة الامة والله لا يحب الظالمين اعتراض بين العلل للدلالة على ان اداله النصر والظفر للكفار زيادة ليست الا استدراجا وليمحص الله الذين امنوا عطف على ويتخذ واللام بمعنى كي والتمحيص تخليص الشيء اي ليطهرهم من الذنوب قتلوا او قتلوا ويمحق الكافرين ويهلكهم والمحق نقص الشيء قليلا قليلا فالربح للمؤمنين في الحالين ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ام منقطعة انكر حسبانهم دخول الجنة دون القيام بما امروا به من مشاق التكليف نفسا بما عرض به اولا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم اي ولما تجاهدوا وانفى العلم بنفي المعلوم اذ لو وقع لكان معلوما لله ولما كلم في نفي الماضي الا ان فيه معنى التوقع فدل على ان الجهاد المنفي في الماضي متوقع في المستقبل ويعلم الصابرين نصب باضمار ان والواو بمعنى الجمع والمعنى انكار حسبان دخول الجنة ما لم يتحقق الامران معا ولقد كنتم تمنون الموت اسبابه فان الذين تخلفوا عن بدر وحرضوا رسول الله على الخروج الى احد من قبل ان تلقوه وتشاهدوا اي شدته فقد رايتموه حين قتل اخوانكم وانتم تنظرون والحال انكم بصراء تشاهدون ذلك لا علة بكم ولا غفلة وفيه دلالة على كراهة تمني لقاء العدو لا الشهادة لما روى البخاري عنه صلى الله عليه وسلم لولا ان اشق على امتي لا قعدت خلف سرية ولوددت اني اقتل ثم احيى ثم اقتل ثم احيى ولقد قال عبد الله بن رواحة لما ركب متوجها الى غزوة مؤتة وقيل له ردك الله سالما لكنني اسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا او طعنة بيدي حران مجهزة بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا حتى يقولوا اذا مروا على جدثي ارشدك الله من غاز وقد رشدا ولزوم تمني غلبة الكفار من تمني الشهادة وهم وما محمد الا رسول وما يوم احد عبد الله بن قمئة رسول الله فشجه ونادى الشيطان في الناس قتل محمد فحصل بذلك وهن في الناس ورسول الله في طائفة من اصحابه ينادي الي عباد الله فانحازت اليه طائفة فلامهم فقالوا فديناك باباءنا وامهاتنا سمعنا انك قتلت والرعب فقصر قلبنا كانهم من شدة تعظيمهم رسول الله اعتقدوا ان شانه يخالف شان سائر الرسل يدل عليه انه لما انتقل الى جوار الله قال عمر من قال ان محمدا مات ضربت عنقه بل ذهب الى الله وسيعود ويضرب اعناق رجال حتى جاء ابو بكر وكشف عن وجهه وقال بابي انت وامي لا يميتك الله موتتين اما الموتة التي كتبت عليك فقد متها ثم قرأ على الناس هذه الاية فكانهم لم يسمعوها قبل فلم يبق رجل الا قرأ وقيل فقرأوا فكانهم اعتقدوا واجمعه بين الوصفين الرسالة والتبرئ من الموت وعلى هذا قد خلت من قبله الرسل ابتداء كلام وعلى الاول صفة رسول

أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم الهمزة للانكار والفاء لربط مضمون الجزاء بعد تقييده بالشرط
بالجملة التي قبلها وهي وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل اي اجعلتم خلو الرسل من قبله سببا
لانقلابكم على الاعقاب بعد خلو محمد كان الواجب عليكم عكس ذلك وهو التمسك بدينه بعده وقدم الموت
مع انه الكلام في القتل لانه الذي لا بد منه والقتل احد اسبابه ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله
شيئا من الضرر او من الاشياء لتعاليه وغناه وسيجزي الله الشاكرين نعمة الاسلام مع مدح الثابتين
في ذلك اليوم لما فشا خبر قتله قال انس بن النضر يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت فقاتلوا
على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم شد بسيفه وقاتل حتى قتل وفيه نزل من المؤمنين رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه او لكل شاكر فيدخل فيهم الثابتون دخولا اوليا وما كان لنفس ان
تموت الا باذن الله بقضائه لا الاقدام يدنيه ولا الاحجام يقصيه فيه تشجيع لهم لما كان الموت
لاحقا بالنفس اخرجه مخرج فعل لها كتابا مؤجلا مصدر مؤكد لان المعنى كتب كتابا مؤجلا له وقت معين
لا يتقدم ولا يتأخر ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها تعريض بالذين خالفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتركوا المركز لطلب الغنيمة ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها مدح الثابتين والذين قالوا
لا نخالف قول رسول الله قدم ثواب الدنيا لان الكلام فيه والحرث في سورة الشورى لسوق الكلام
في الترغيب وقرأ ابو عمرو وحمزة وابو بكر باسكان هاء نؤته في الموضعين وسنجزي الشاكرين اعاده
بنون العظمة مبالغة في الاعتداد بفعلهم وكأين اصله اي دخل عليها كاف التشبيه والنون اصله
التنوين كتب نونا على غير قياس وقرأ ابن كثير وكائن على وزن فاعل ووجهه قلب الياء الى مكان الهمزة
ثم حذف احدى اليائين وقلب الاخرى الفا وعلى الوجهين معناه الكثرة من نبي بيان قاتل معه
ربيون كثير العلماء والعباد منسوب الى الرب والكسر لتغيير النسب وقيل منسوب الى الربة وهي الجماعة
وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وقتادة مجهولا والربيون قائم مقام فاعله وهذا ابلغ لان القتل يستلزم
المقاتلة دون العكس وقيل في قتل ضمير النبي ومعه ربيون حال خالية وليس يقوى لما روي عن الحسن
انه لم يقتل نبي في الحرب ولان الكلام في تعيير من تزلزل يوم احد ولم يثبت ثبات الربيين مع الانبياء
فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله الوهن ضعف الرأي او البصيرة كقول علي لا واهن في عزم وما
ضعفوا عن مباشرة القتال وما استكانوا وما خضعوا كما خضعتم تعريض بمن تذلل منهم قال بعض المنهزمين
ليت عبد الله بن ابي اخذ لنا امانا من ابي سفيان جهدا والله يحب الصابرين لاسيما في مواطن الحرب وما كان
قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين
وما كان قولهم الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين هضما لانفسهم
وقدم الاستغفار على طلب النصرة ليكون اقرب الى الاجابة لوقوعه بعد تزكية وطهارة واتفقوا على نصب
قولهم خبرا والفعل المؤول بالمصدر اسما وذلك لان ما كان معلوما ينبغي ان يجعل محكوما عليه كما في
احوال زيد تارة وزيد اخوك اخرى فكان ذلك القول المخصوص معلوما والمجهول كونه قولهم فجعل قولهم
وذلك المخصوص لانه جنس الخبر وقيل اولى الفعل الدلالة على النسبة وزمان الحدث وشبه
انه الاعرفية لا تفيد هنا انما في باب المعرفة كالخبر في ... العلم مع ان الفعل اولى

في تأويل المصدر المضاف فيفيد ان علة ... وقرأ ابن كثير وابن عامر
فآتاهم الله ثواب الدنيا بالنصر والغنيمة وطيب الذكر والثناء عليهم وحسن ثواب الآخرة زاد لفظ الحسن دلالة
على انه المعتد به وثواب الدنيا انموذج او طليعة له والله يحب المحسنين تذييل لما هو افضل من كل
يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين نزل حين قال ان
ناس من المسلمين فالبث عبد الله بن ابي اخذ لنا امانا من ابي سفيان فالذين كفروا اعداء الله
ومن تابعهم وقالوا ارجعوا الى دين آبائكم لو كان نبيا لما قتل بمن اصابه او اليهود والنصارى
هو يوش ... والخطاب للمؤمنين كافة ان يجانبوا الكفار ولا يطيعوهم في شيء
بل الله مولاكم ناصركم وهو خير الناصرين لا نصر الا من عند الله فلا حاجة بكم الى غيره سنلقي
في قلوب الذين كفروا الرعب لما انصرف المشركون نادى ابو سفيان رسول الله وقال يا محمد موعدنا
يوم بدر والحرب سجال يوما بيوم بدر في العام القابل ان شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان شاء الله فلما كان موسم بدر خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ووفى بوعده ولم يخرج ابو سفيان
القى الله الرعب في قلبه وضم عين الرعب ابن عامر والكسائي وهما لغتان والاسكان اخف بما اشركوا
بالله ما لم ينزل به سلطانا برهانا ليس المعنى ان للمشرك برهانه لو انزل ثم دعواهم بل هو من قبيل
لا ضب بها ينجحر اي لا ضب ولا انجحار وفائدته ان لو كان له دليل انزل القول له ما فرطنا في الكتاب
من شيء ومأواهم النار مرجعهم وبئس مثوى الظالمين النار ولقد صدقكم الله وعده اي بالنصر
اذ تحسونهم تقتلونهم قتلا مستأصلا من حسه اذا ابطل حسه باذنه بتيسيره حتى اذا فشلتم جبنتم حتى
ابتدائية داخلة على الجملة وجوابها اذا محذوف واي منعكم نصره وتنازعتم في الامر حين انهزم المشركون
قال بعض الرماة نذهب الى الغنيمة وقال امرهم لا تبرحوا ولا تخالفوا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون من النصر والظفر منكم من يريد الدنيا الذين طلبوا الغنيمة
ومنكم من يريد الآخرة الذين ثبتوا ثم صرفكم عنهم حتى قتلوا منكم سبعين رجلا وقتلوا امير الرماة
فانه ثبت مكانه مع سبعة ليبتليكم ليعاملكم معاملة المختبر ولقد عفا عنكم ما فرطتم من العصيان
والله ذو فضل على المؤمنين في الاحوال كلها بالنصر او بالاجر اذ تصعدون منصوب باذكروا
اي اذكروا اذ الوقت لتعلموا قبح فعلكم وفضل الله عليكم بالعفو ومتعلق بصرفكم او ليبتليكم
والاصعاد الابعاد في الارض ولا تلوون على احد لا تلتفتون عطفا ورقة على احد من شدة خوفكم
والرسول يدعوكم في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم المتأخرة يناديكم الي عباد الله الي عباد الله من كر فله الجنة
فاثابكم غما بغم غما مضاعفا متضاعفا بغم من الجرح والقتل والارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم
او اثابكم غم الانصراف والانهزام بسبب ما اذقتم رسول الله غم المخالفة لكيلا تحزنوا على ما
فاتكم ولا ما اصابكم كي تتمرنوا على الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت ولا ضر لاحق وقيل
في اثابكم ضمير الرسول اي واساكم في الاغتمام كما اغتممتم لاجله لما اصابه من الشج وكسر رباعيته غم
لاجلكم ولم يثربكم على عصيانكم لئلا تحزنوا على الغائب من النصر ولا على ما اصابكم من الانهزام والله خبير
بما تعملون ببواطن اعمالكم حث على الاخلاص ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا روى البخاري

عن ابي طلحة قال اخذني النعاس ونحن في المصاف حتى وقع السيف من يدي مرارا وعن ابن مسعود النعاس
في القتال من الله وفي الصلوة من الشيطان والامنة مصدر كالامن نصب على المفعول ونعاسا
بدل منه او حال متقدم ونعاسا هو المفعول وهذا اوجه لقوله في الانفال اذ يغشيكم النعاس
امنة او مفعول له او حال من المخاطبين بتقدير مضاف اي ذوي امنة او على انه جمع آمن يغشى
طائفة منكم اي النعاس وقرأ حمزة والكسائي بالتاء ردا للضمير الى امنة والتذكير احسن
لقربه ولقوله في الانفال يغشيكم النعاس وطائفة مبتداء والخبر محذوف اي ومنهم طائفة او ونحن
طائفة على ان الخطاب للفريقين والخبر قد اهمتهم لان النكرة موصوفة تقديره اي وطائفة اخرى
او قد اهمتهم ويظنون هو الخبر والواو للحال نص عليه سيبويه والاحسن العطف على الفعلية لان
على حدوث الامن للمؤمنين واستمرار الخوف للمنافقين قد اهمتهم انفسهم صارت همة لهم ليس لهم
همهم غيرها او اقلقتهم واوقعتهم في الهموم يقال اهمني الامر اذا كان مهما له واهمه اقلقه يظنون بالله
غير الحق صفة اخرى لطائفة او حال من المفعول او استيناف ببيان لما قبله وغير الحق نصب على المصدر
ظن الجاهلية بدل منه او ظنا مختصا بالجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شيء استينافا او حال
او بدل من يظنون لان السؤال لما كان صادرا من الظن بناء على انه طلب علم فيما يشك او يظن
جاز ابداله منه اذ الظن او العلم متعلق بما يقال في جواب ذلك الاستفهام فلا يلزم كون الا
ترجمة للخبر قل ان الامر كله لله النصر والظفر لاوليائه كتب الله لاغلبن انا ورسلي وقرأ ابو عمرو كله
كله بالرفع على الابتداء والنصب اظهر لظهور كل في التاكيد يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك
حال من فاعل يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض او استيناف وهو الوجه لقلة الاعتراض بين الحال
وصاحبه ولفوائد الاستيناف يقولون لو كان لنا من الامر شيء بدل من يخفون يدل على ان سؤالهم
لم يكن سؤال مسترشد عن الزبير كنت نعسا في المصاف سمعت معتب بن قشير يقول هذا الكلام
ما قتلنا ههنا في المعركة قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم الى مصارعهم
والاماكن التي قتلوا فيها لان قضاء الله لا يرد وحكمه لا يتغير وليبتلي الله ما في صدوركم عطف
على علة محذوفة مع معللها اي فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء او ما في صدوركم من الاخلاص والنفاق
ولاظهار سرائرها وليمحص ما في قلوبكم ليخلصه ويخلصه من الوساوس والله عليم بذات الصدور
بضمائرها التي هي اخفى من السر تحث على الاخلاص ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم
الشيطان ببعض ما كسبوا الاستزلال طلب الايقاع في الزلل من زلت به القدم وهو المتولي ههنا والمعنى
ان الذين فروا من القتال وقت التقاء الفريقين انما اوقعهم الشيطان في تلك الاجل ذنوب
كسبوها سابقا والذنب يجر الى الذنب ولم يستحقوا التاييد الالهي لاجلها او لاجل ذنب المخالفة
وترك المركز وهذا هو الوجه دل عليه قوله حتى اذا فشلتم وقوله قل هو من عند انفسكم وقيل
ذكرهم الشيطان الذنوب السابقة فكرهوا لقاء الله معها فاخروا الجهاد الى ان يتوبوا منها
فكان الخال وكيف يعقل من امثالهم ترك رسول الله واخوانهم تحت سيف العدو خوفا من ذنوبهم
وهل توبة اولى من الثبات في ذلك الموطن والتقييد بالبعض لقوله ويعفو عن كثير ولقد عفا الله

عنهم لما ندموا ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بالانتقام يا ايها الذين آمنوا
لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى لو كانوا عندنا ما
ماتوا وما قتلوا كان الكفار والمنافقون لجهلهم بالقدر اذا مات احد من اخوانهم في سفر
او قتل في غزوة قالوا لو كان مقيما سالما فنهى الله المؤمنين عن مثل ذلك الاعتقاد وحسن موقعه
بعد ذكر استزلال الشيطان وانما جاز ان يكون اذا ضربوا ظرفا لقالوا مع ان المستقبل لا
ظرفا للماضي لان المعنى لا تكونوا كالذين كفروا اذا ضربوا اخوانهم في الارض وماتوا قالوا لو كانوا
عندنا ما ماتوا وفائدة التقديم بث القول بالوقوع ويجوز ان يكون اذا ظرفا للاحوال العارضة
لهم دون القول كانه قيل قالوا لاجل الاحوال العارضة لهم اذا ضربوا وعن الزجاج اذ لمجرد
الوقت وغزى جمع غاز كعفو جمع فاسق ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم ذلك الاعتقاد الفاسد
غصة وغما اللام للعاقبة كقوله ليكون لهم عدوا او لا تكونوا مثلهم ليجعل ذلك الاعتقاد
خاصة حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت ابطال لذلك الوهم والله بما تعملون بصير تهديد
للمؤمنين عن تحمل مثله وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي يعملون بالغيب وصيغة المنافقين و
الخطاب احسن لو قوهم بعد نهي المؤمنين ولقوله ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة
من الله ورحمة خير مما يجمعون اللام الاولى موطئة والثانية جواب القسم الساد مسد جواب الشرط
والمعنى ما يناولونه بالموت او القتل في سبيل الله من المغفرة لذنوبكم والرحمة المدخرة لكم خير مما
يجمعونه من الحطام الفاني لو سلمتم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر متم بضم الميم في جميع
القرآن وحفص وافق ههنا وهو افصح واكثر وقرأ حفص يجمعون بياء الغيبة اي مما يجمعه الناس
ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون لالى الغزو قدم القتل اولا لان الكلام فيه واحق المغفرة
والرحمة واخره ثانيا لان المحشور موتا اكثر فبما رحمة من الله لنت لهم اي بعدما وقع منهم ما وقع
مالنت لهم الا برحمة وافرة من الله وهو ان ربط على جاشك ووفقك للرفق بهم فلم تثرب بل
اغتممت لاجلهم وزيادة ما للتاكيد معنى الحصر ولو كنت فظا سيء الخلق غليظ القلب قاسيه
لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك لخامة اللوم والمواخذة فاعف عنهم فيما يتعلق بك واستغفر لهم
مما هو حق الله وهو الفرار من الزحف وشاورهم في الامر اي امر كان تطييبا لقلوبهم وفي امر الحرب دائم
بل كان يشاورهم قبل نزول الاية وكانه لما شاورهم قبل نزول الاية وكانه لما شاورهم
في قصة احد واشاروا بالخروج ثم فروا كان مظنة ان يترك مشاورتهم وليكون سنة في
امته وعند ما ندم من استشار ولا خاب من استخار وقد ذهب بعض العلماء الى وجوب المشاورة
عليه بعد نزول الاية فاذا عزمت فتوكل على الله اذا اجمعت رايك بعد المشاورة فتوكل علي والعدل
الى المظهر لانه الاسم الجامع لصفات الجمال والجلال له شان في مقام الوعد والوعيد لا يخل به
في موارد هما وقرأ جعفر الصادق فاذا عزمت بتاء التكلم اي اذا امرتك امرا جازما لا تشاور فيه
احدا ان الله يحب المتوكلين عليه للامر ان ينصركم الله فلا غالب لكم اذ لا نصر الا من عنده وان
يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده غير الاسلوب لما في من ذا من الاستبعاد كقوله من ذا الذي

ينفع عنده وعلى الله فليتوكل المؤمنون كلهم لايقانهم بان لا مؤثر سواه وما كان لنبي ان يغل وما صح لنبي ان يغل يقال غل واغل اخذ شيئا من الغنيمة خفية اصله الخفاء ومنه غل الصدر روى ابو داود والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنه ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض الصحابة رضي الله عنهم لعل رسول الله اخذها لنفسه فنزلت تنزيها له وعن مقاتل نزلت في الرماة لما تركوا المركز وقالوا لانخاف ان يقول من اخذ شيئا فهو له فلما عاتبهم قال ظننتم انا نغل وما قيل خافوا ان لا يقسم كما لا يقسم يوم بدر فاسد الاصل وقرء نافع وابن عامر وحمزة والكسائي يغل بضم الياء والمعنى يوجد غالا او ينسب الى الغلول ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة بعينه يحمله بعيرا او شاة رواه البخاري ومسلم وروي ان اعرابيا كان قد سرق نافجة مسك فلما سمع الآية قال الحمد لله احملها طيبة الريح خفيفة المحمل ثم توفى كل نفس ما كسبت غلولا وغيره ولذلك اورده عاما وهم لا يظلمون بزيادة او نقصان افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ليس كذلك بل بينهما بون بعيد ومأويه جهنم وبئس المصير جهنم حذف المخصوص هم درجات عند الله ذووا درجات حذف المضاف او لهم درجات حذف الجار وشبهوا بالدرجات في التفاوت والدرجة منزلة لوحظ فيها العلو كما لوحظ في الدركة النزول ففيها تغليب والله بصير بما يعملون لا يخفى عليه شيء لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم عربيا مثلهم يعرفون نسبه وصدقه واما نالوا نعمة اجل منه وقرئ من انفسهم اي اشرفهم لان عدنان ذروة ولد اسماعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وهاشم ذروة قريش ومحمد ذروة هاشم يتلوا عليهم آياته دلائل وحدانية الله على الاستمرار بين اظهرهم يرجعون اليه في كل مشتبه ويزكيهم من دنس الطبايع بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ويعلمهم الكتاب والحكمة القران والسنة او يتلوا عليهم آيات الكتاب الدالة على نبوته ويعلمهم معانيها واحكام الشرع وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ان مخففة والجملة في موضع الحال او استيناف اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها يوم بدر قتلوا منهم سبعين واسروا سبعين قلتم انى هذا كيف نصاب ونحن موعودون بالنصر لما ظرف مضاف الى الجملة بعده والواقع موقع الجزاء ناصبه قلتم انى هذا مقول القول اي قلتم حين اصابتكم والواو عاطفة اما على مقدر نحو افعلتم كذا او على قوله لقد صدقكم الله لان ما في البين كله قصة احد والهمزة متخللة بين المعطوف عليه والمعطوف للتقرير والتقريع على ما تضمنه المعطوف قل هو من عند انفسكم بترككم المركز بمخالفتكم الرسول او بخروجكم من المدينة وروي عن علي باخذكم الفداء يوم بدر ان الله على كل شيء قدير فيقدر على ان يصيبكم مرة ومنكم اخرى وما اصابكم يوم التقى الجمعان الفريقان يوم احد فباذن الله بارادته وقضائه ودخول الفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط على معنى ان ذلك سبب للاخبار بانه من الله نحو وما بكم من نعمة فمن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا اي فعل ذلك ليمتاز الفريقان وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله من تمام الصلة عطف على نافقوا او كلام مستقل عطف على وما اصابكم او ادفعوا عن اموالكم ان لم تقاتلوا نصرة لدين

لدين الله او كثروا سواد المؤمنين فانه مما يدفع العدو والقائل عبد الله بن عمرو ابو جابر قال له لابن ابي لما انخذل بثلث العسكر قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم جحدوا ان يكون لهم علم بالقتال رأسا او خطأوا رسول الله والمؤمنين بان القتال يقتضي نوع تكافؤ ورجاء غلبة وما هم فيه الا القاء النفس الى التهلكة هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان اي قربهم من الكفر في ذلك اليوم يزيد على قربهم من الايمان لانهم قبل ذلك لم يتظاهروا بالكفر بل كانوا مذبذبين او بتقدير مضاف اي لاهل الكفر اقرب نصرة لان تقليل سواد المؤمنين تقوية لاهل الشرك يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم هو قولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم وما بينهما اعتراض والله اعلم بما يكتمون منكم لانكم تعلمونه بامارات وتخايل وهو يعلم تفاصيله الذين قالوا لاخوانهم لاجلهم الموصول بدل من الذين نافقوا او رفع او نصب على الذم او بدل من واو قالوا والمجرور في بافواههم وابدال المظهر عن ضمير الغايب شايع كقول الفرزدق على حالة لو ان في القوم حاتما على جوده لضن بالماء حاتم مجرورا بدلا من الضمير المجرور وقعدوا والحال انهم قعدوا عن القتال لو اطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين لان انفسكم اهم والموت هو المهروب منه لان القتل احد اسبابه الفتهم الحجر لتهم مع شدة عنادهم لا يقدرون على انكاره ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا نزلت في شهداء بئر معونة وكانوا سبعين رجلا وقيل في شهداء احد والحكم عام الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يخاطب وقرأ هشام في وجه يحسبن بالغيبة خطابا ومسندا الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف اي لا يحسبن الشهداء انفسهم امواتا والخطاب احسن لما روى ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما اصيب اخوانكم جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة و تأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة تحت العرش فقالوا من يبلغ اخواننا انا احياء لخوطب رسول الله واخبر بحالهم وقرء هشام قتلوا وابن عامر ثابتا بالتشديد والتخفيف اظهر لانه مدار الحكم بل احياء عند ربهم قربا ورتبة يرزقون اكلا وشربا تاكيد لكونهم احياء فرحين بما آتاهم الله من فضله القرب والكرامة ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الذين تخلفوا من اخوانهم ويكافؤ المسلمين الى اخر الدهر لما شاهدوا ما اعد الله للمؤمنين الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل اشتمال من الذين اي يستبشرون بعدم الخوف والحزن لمن خلفهم آثر المضارع في الرزق والاستبشار لانهما على التجدد حينا فحينا بخلاف الفرح فانه دائم مستمر والآية صريحة وانهم احياء بالابدان بدلوا ابدانا خيرا من اجسادهم ولان الترغيب في الجهاد انما يكون بذلك والا فارواح المؤمنين في عليين متنعمة نطق به الكتاب والسنة وقوله تعالى في آل عمران النار يعرضون عليها دليل على ان العرض للارواح والاجساد معا ان الارواح ايضا اجسام لطيفة فيجوز ان يكون الفرح والترح لها وفيه احوال تنبيه لاخيه المؤمن خير الاكرام رواه البخاري لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه يستبشرون بنعمة من الله ثوابا جزيلا وفضل زيادة على جزاء اعمالهم وان الله لا يضيع اجر المؤمنين تام

المستبشر به عطف على فضل يؤيد ان الذين لم يلحقوا بهم هم المؤمنون كافة وقرا الكسائي بالكسر
على الاستئناف وهو ابلغ وفيه اشارة الى ان ما نالوه من رتبة الشهادة بايمانهم الكامل وسعيهم
في اسباب الشهادة الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة للمؤمنين او نصب
على المدح او مبتدا خبره للذين احسنوا لما رجع المشركون من احد قالوا فيما بينهم لا محمدا قتلتم
ولا الكواعب اردفتم بئس ما صنعتم وهموا بالرجوع فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك
فنادى في الناس بالخروج الى المشركين وقال لا يخرج الا من كان معنا بالامس فقال جابر فكان
لم يشهد يا رسول الله خلفني ابي على سبع اخوات فاذن له فخرج فاتاهم حتى بلغ حمراء الاسد
وهي من المدينة على ثمانية اميال والقى الله الرعب في قلوب المشركين فرجع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومن معه سالمين فائزين بالثناء من الله روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها
انها قالت لعروة بن الزبير ابوك وجدك ابو بكر ممن استجابوا لله والرسول وقرا ابو بكر وحمزة
والكسائي بضم القاف وقد سبق انهما لغتان للذين احسنوا منهم بالخروج واتقوا مخالفة رسول الله
اجر عظيم لا يعلم قدره غير الله الوصف للمدح ومن بيان لان كلا منهم محسن الذين قال لهم
الناس ركب عبد القيس وقيل نعيم بن مسعود الاشجعي ان الناس قد جمعوا لكم اي ابا سفيان فالمعرفة
المعادة ليست عين الاول ولو ان اللام اشارة الى المذكور بل الى ما يعرفه المخاطب فاخشوهم
فزادهم ذلك القول ايمانا حيث لم يعتدوا به فازدادوا ايقانا او لان الخروج مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعدما اصابهم القرح من افضل الطاعات وقالوا حسبنا الله كافينا ونعم
الوكيل الموكول اليه معترضة او تذييل فانقلبوا بنعمة من الله تلبسوا بجزيل وفضل وربح وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما واعد ابا سفيان ان يلاقيه ببدر وخرج ولم يخرج
ابو سفيان وكان للعرب في ذي القعدة موسم ببدر فوافاه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
رضي الله عنهم فتباعوا وكسبوا ربحا لم يمسسهم سوء من العدو واتبعوا رضوان الله باتباع
رسول الله والله ذو فضل عظيم من ذلك ما من به على هؤلاء وفيه تحسير للقاعدين وتخطية
لرايهم انما ذلكم الشيطان اشارة الى القائل ان الناس قد جمعوا لكم والشيطان خبر او صفة
على التشبيه او اشارة الى القول بتقدير المضاف والشيطان ابليس فالتجوز في الاسناد حيث
نسب قول ذلك القائل الى ابليس يخوف اولياءه اي يخوفكم اولياءه وقيل المذكور هو المفعول
الاول والثاني محذوف اي يخوفهم من ابي سفيان واصحابه فلا تخافوهم الخطاب للخارجين
بعد والنهي عن الشيء لا يستلزم وقوعه او النهي عن الخوف في المستقبل او للقاعدين واولياؤه
من وضع المظهر موضع المضمر نعيا عليهم بانهم اولياء الشيطان وخافون ان كنتم مؤمنين
فان الايمان يستلزم القول بان لا مؤثر غيره وايثار ان مع كونهم مؤمنين قطعا للمكان بهم
من فتور لكون اكثرهم جرحا او مصابا بقتل قريب او صديق ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر
في اسباب ترويج الناس والانفاق عليهم كما فعل ابو سفيان واقرانه وقيل اريد المنافقون وقيل
اهل الكتاب الذين يحرفون الكلم قال التفتيزاني الحزن على كفر الكافر وعناده يوجر عليها الا الله

الا الله ان رسول كان يفرط في ذلك لقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقيل معناه لا يحزنك
كفرهم فانهم لا يضرونك به وانما يضرون انفسهم وقرا نافع يحزنك من احزن عن الفراء
انهما لغتان وعن الخليل حزنه ادخل فيه الحزن واحزنه صيره حزينا انهم لن يضروا الله
شيئا دينه اولياءه شيئا من الضرر ومن الاشياء مفعول مطلق او مفعول به يريد الله الا يجعل
لهم حظا في الاخرة خبر بعد خبر او استئناف وذكر الارادة لله للدلالة على ان الشر ايضا بارادته
وايماء الى ان تماديهم بلغ حدا لم يرد لهم ادنى نصيب من رحمته وسعت كل شيء ولهم عذاب عظيم
فوق ذلك الحرمان وقع لوهم الاقتصار عليه ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله
شيئا تكرير للاول وهذا في اهل الكتاب الذين حرفوا واشتروا بايات الله ثمنا قليلا ولهم
عذاب اليم في مقابلة ما التذوا به من الرياسة والرشى ولا يحسبن الذين كفروا انما
نملي لهم خير لانفسهم اي الذي نمليه لهم من العمر يقال املى لفرسه اذا ارخى طوله ان مع ما في حيزه
ساد مسد المفعولين وقرا حمزة بالخطاب اما لرسول الله او لكل حاسب فاقتصر على المفعول
الاول لان البدل وهو انما نملي لهم هو المقصود او بتقدير مضاف في الاول اي حال الذين او في الثاني
اي اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما وتكامل اسباب عقوبتهم هذا و
امثاله ظاهر ان يجوز تعليل فعله بالغرض وان لم يجوز فهي حكمة صالحة لانتهاء فعله الكامل
او على التشبيه بالعلة كقوله ليكون لهم عدوا ولهم عذاب مهين في مقابلة استكبارهم وطغيانهم
ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب المخلص واهل النفاق
واللام للتاكيد اي ما كان مقتضى حكمته ان يترك الفريقين مختلطين لا تمايز بينهما اشارة الى
في اعتراف اهل النفاق وقولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم وحمزة والكسائي يميز مشددا من التميز
وهو ابلغ وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيعلمه بعض
المغيبات يشير الى ان اخبار رسول الله بان فلانا منافق او اهل النار ليس من علم الغيب في شيء
فامنوا بالله بانه المتفرد بعلم الغيب ورسله بان الله هو الذي يطلعهم على بعض الغيوب وان
تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله
من فضله هو خيرا لهم المفعول الاول محذوف اي بخلهم فيه ضمير رسول الله او لكل حاسب
كان وفي قراءة حمزة بالتاء بتقدير مضاف اي بخل الذين وقرا عاصم وابن عامر وحمزة هنا
والموضعين السابقين يحسبن بفتح السين وهو القياس والكسر لغة الحجاز وفي قوله بما
آتيهم الله دون اموالهم زيادة ذم بان الذي يبخلون به ان يحسنوا كما احسن الله بل هو شر لهم
سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة سيلزمون وباله والطوق مثل في اللزوم ونفسه حقيقة
لما روى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اتاه الله
مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا اقرع له زبيبتان مطوقة فياخذ بشدقيه
ويقول انا مالك انا كنزك ولله ميراث السموات والارض ستر كونه للحث على الانفاق قبل
فوات وقته والله بما تعملون خبير وعيد للبخلاء وقرا ابن كثير وابو عمرو بياء الغيبة

لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء دخل ابو بكر رضي الله عنه مدراس اليهود
وفيه جماعة من اليهود منهم فنحاص بن عازوراء وكان من احبارهم فتلا عليهم واقرضوا الله قرضا حسنا
فقال فنحاص ان الله فقير يسأل القرض يا معشر اليهود يريد تكذيب القرآن والا كما يه في التورية
نحن على الصدق فضرب الصديق وجهه وقال لولا العهد بيننا ضربت عنقك سنكتب ما قالوا
وقتلهم الانبياء بغير حق اى سنثبته في كتابنا مقالتهم السين للتاكيد ولهذا عطف عليه الماضي
وهو قتل الانبياء والعدول الى المضارع مبالغة كانه معد بين يدي الكاتب يطالعه حينا
ف وقرء حمزة بضم التاء على بناء المجهول ورفع القتل ونقول ذوقوا عذاب الحريق اى نقول لهم
هذا القول عند الانتقام بقاء لمسامعهم مرارته حيث لم تضع الى الحق والحريق النار العظيمة
ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد اى بسبب اعمالكم ولاجل ان الله ليس بظلام
لهم بدون الجناية وذكر الايدي لان اكثر الاعمال تزاول بهن وبناء الظلام مع كونه لا يظلم مثقال
ذرة باعتبار كثرة المتعلق او لانه لو ظلم لكان ظلمه في النهاية لكبر صفاته او لان ذلك العذاب
لو كان ظلما لكان ظلما عظيما الذين قالوا ان الله عهد الينا وصانا رفع او نصب على الذم
او بدل من الذين او من العبيد الا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار يريدون ان
في التورية هذا الحكم افتراء على الله قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات المعجزات الواضحات
وبالذي قلتم وبعني ما قلتم لان الذي قالوه الفاظ مخصوصة بهم فلم قتلتموهم ان كنتم
صادقين في دعواكم فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب
المنير تسلية له بان تكذيب الجهلة للانبياء امر قديم ليس مختصا به والزبر جمع زبور كرسل في
رسول وهي الصحف والكتاب المنير التورية او هو والانجيل والزبور وقرأ ابن عامر وبالزبر
وبالكتاب بزيادة الباء تاكيدا وهو رسم مصحف الشام كل نفس ذائقة الموت لا محالة وانما
توفون اجوركم يوم القيمة تجزون جزاء اعمالكم كاملة فان بعضها قد وصل اليهم لان القبر روضة
من رياض الجنة او حفرة من حفر النار فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز الفوز الذي
كل فوز دونه والزحزحة تكرير الزح وهو التبعيد والجذب بعجلة روى الامام احمد عن عمرو بن
العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه
منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وما الحيوة الدنيا
الا متاع الغرور اشارة الى ما يعوق السالك عن ادراك ذلك الفوز شبه حياة هذه الدار بمتاع
روى يغتر به المشتري ويدلس عليه ثم يظهر له حقيقة الحال ويندم حيث لا ينفعه الندم وهذا
لمن لا يتوسل بها الى الباقي لقوله نعم المال الصالح للرجل الصالح لتبلون في اموالكم وانفسكم
بالقتل والاسر والجرح وانفاق الاموال في سبيل الخير ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا بالطعن في دينكم والافتراء عليكم وانواع الهجاء خاطبهم
بذلك قبل وقوعه ليوطنوا انفسهم على احتماله عند الوقوع وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من
عزم الامور من معزومات الامور التي عزم الله عليكم وفرضها او مما تعزمون عليها لوجوبها او

لوجوبها او من عازم الامور على ان الاسناد مجازي كقوله فاذا عزم الامر واذ اخذ الله ميثاق الذين
اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه اى اذكر وقت الذي اخذ الله الميثاق على علماء
اهل الكتاب على لسان انبيائهم وقرأ نافع وابن عامر وحمزة وحفص الفعلين بالخطاب على الحكاية
عند الاخذ والضمير المنصوب للكتاب او لرسول الله ولا تكتمونه تاكيد وتصريح بما علم ضمنا
فنبذوه وراء ظهورهم كناية عن عدم الاعتداد به وعكسه جعله نصب عينه واشتروا به
ثمنا قليلا من متاع الدنيا فبئس ما يشترون يستبدلون به والآية وان نزلت في اهل الكتاب
فالحكم عام لقوله صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله الجمه الله بلجام من النار وعن علي بن
ابي طالب رضي الله عنه ما اخذ الله على الجاهلين ان يتعلموا حتى اخذ على العلماء ان يعلموا
ولا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة
من العذاب روى البخاري ومسلم عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رجالا من المنافقين كانوا
يتخلفون عن الغزو فاذا قدم رسول الله اعتذروا اليه واحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت
وعن ابن عباس رضي الله عنه سأل رسول الله اليهود عن شيء فكتموه واخبروه بخلافه واستحمدوا
اليه وفرحوا والمعنى لا تحسبن يا محمد هؤلاء الذين يفرحون بمفازة من العذاب على ان الفعل الثاني
مع الفاعل تاكيد للاول والفاء زائدة للدلالة على ان افعالهم المذكورة سبب لعدم الحسبان
وقرأ نافع وابو عمرو وابن كثير وابن عامر الفعل الاول بياء الغيبة والفاعل ضمير الرسول
واول المفعولين الموصول والثاني بمفازة ان قدر الثاني ثانيا والا فالعكس والموصول هو الفاعل
والمفعول الاول محذوف اى انفسهم والثاني على ما ذكر وقرأ ابن كثير وابو عمرو والفعل الثاني
بياء الغيبة وضم الباء مسندا الى ضمير الموصول ولهم عذاب اليم ولله ملك السموات والارض
هو الغني المطلق لا كما قاله اليهود ان الله فقير والله على كل شيء قدير فيقدر على اغناء الفقراء و
اثابة شاكريهم الى القصد فيه ليتناولوا بذلك الاجر والثواب ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار لآيات لاولي الالباب دليل على كونه ملك السموات والارض يتصرف فيها كيف
يشاء عن عطاء ذهبت انا وابن عمر وعبيد بن عمير الى عائشة رضي الله عنها فقال عبيد اخبرينا
باعجب ما رأيت من رسول الله فقالت كل امره كان عجبا اتاني ليلة ودخل في لحافي حتى مس جلده جلدي
ثم قال ذريني اتعبد لربي قلت اني احب قربك واحب ما يحب فقام الى القربة فتوضأ فصب
وبكى حتى بل الارض ثم اضطجع على جنبه حتى جاء بلال يؤذنه بالصلوة فقال يا رسول الله ما يبكيك
وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال ويحك يا بلال وما يمنعني ان ابكي وقد انزلت
علي هذه الليلة ان في خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها
واما الطيف في سورة البقرة لان الكلام هناك مع عبدة الاصنام الذين هم كالانعام وهنا
مع احبار اليهود ولذلك فصل هناك بما يعقلون وهنا باولي الالباب الخالصة العقول الخالصة
عن معارضة الوهم تعريضا بالاحبار الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم احوال
مترادفة او الموصول نعت لاولي على الوصفية اشار الى الاخلاق الزكية والافعال الحميدة تقرب

على تصفية الباطن والجلاء النفس للانتقاش بغوامض العلوم ودقائق الاسرار ويتفكرون في خلق
السموات والارض في بدايع صنعهما وعجايب وضاعهما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له العمل كل يوم بقدر عمل اهل الارض اراد المماثلة
في الكيف واراد بعمله التفكر في امر الله لان احدا لا يقدر على قدر عمل اهل الارض بالجوارح
قيل لما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكر ربنا ما خلقت هذا باطلا بتقدير
القول اي قائلين اشارة الى السموات والارض باعتبار المخلوق والعدول من الضمير الى اسم الاشارة
للدلالة على كمال التمييز وضرب من التعظيم وباطلا صفة مصدر او حال اي ما اوجدت هذا الكون
عبثا بل ليستدل به على وحدانيتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك سبحانك فقنا عذاب النار اي نحن
ننيهك فقنا عذاب النار الذي هو جزاء العاصين ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته ادخلته
في الخزي اطلقه ليقابل قوله فقد فاز وفيه دليل على ان العذاب الروحاني اشد وما للظالمين
من انصار الكاملين في الظلم فيخرج الفاسق ولو عم لا يدل على عدم الشفاعة لان النصرة دفع
بالقهر ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ايقاع الفعل على المنادي باعتبار الوصف
وهو النداء ابهم المنادي ثم فسره تفخيما لشانه او للمنادي له والمنادي هو الرسول لانه الداعي
حقيقة وقيل القرآن ويعدى باللام والى لتضمنه معنى الاختصاص والانتهاء ان آمنوا بربكم
ان مصدرية او مفسرة فآمنا ذلك لقاء على اتصال ايمانهم بالنداء ربنا فاغفر لنا ذنوبنا
وكفر عنا سيئاتنا جمعوا بين الغفران والتكفير مبالغة او الاول في الكباير والثاني في الصغاير
فانها مكفرة باجتناب الكباير وتوفنا مع الابرار معهم وذوين منهم جمع بر او اسم جمع لبار
ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك على تصديقهم او على السنتهم سال ... انجاز ما وعد مع انه لا يخلف
الميعاد خضوعا لجناب قدسه والتذاذ بمناجاته ولا تخزنا يوم القيامة بكشف الستر عن فضايحنا
انك لا تخلف الميعاد لذلك سالناك لا لاستحقاقنا خص بطالب من عز عاطف لاستقلال كل وصدرها بلفظ الرب توسلا بوجوده السبوق للاستجابة الاحرى فاستجاب لهم ربهم الذي عود
بجوده ولذلك اعاد لفظه يقال استجاب له واستجابه والجابه بمعنى مع ما في التبين من قوة المعنى
اني لا اضيع عمل عامل منكم بان لا اضيع الكلام في الجواب على ما بنوا عليه من الاطناب عناية ولطفا من ذكر
او انثى بيان لعامل لانه بمعنى شخص روى الحاكم عن ام سلمة انها قالت يا رسول الله لم اسمع الله
بذكر النساء في الهجرة فنزلت بعضكم من بعض في الدين او من اصل واحد اعتراض يؤكد التساوي
في الثواب فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي تفصيل بعمل العامل اعتدادا به
وتفخيما كانه قال الذين فعلوا هذه الافعال المرضية وقاتلوا وقتلوا وقرأ حمزة والكسائي
بتقديم المقصور على الممدود لان الواو لا ترتيب فيه او لان القتال وقع من بعضهم بعد قتل
البعض ففيه زيادة مدح لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار
ثوابا من عند الله تفضلا منه لان الاعمال وسايل عادية والتفت الى الاسم الجامع من التكلم للدلالة
على الالوهية التي من شانها التفضل والعطاء والله عنده حسن الثواب تتميم لما تقدم وتوكيد

وتوكيد له والاتيان بالمصدر مضاعفا مبالغة لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد تبرددهم
فيها بالمتاجر والمزارع وساير الاسباب والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى
لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم والمراد تثبيته او خوطب هو والمراد امته كما في
نظايره او الخطاب عام متاع قليل في نفسه لما روى البخاري ان آخر من يدخل الجنة له بقدر الدنيا
عشر مرات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يدخل احدكم اصبعه
في اليم فلينظر بم يرجع او قليل البقاء سريع الزوال ثم مأواهم جهنم مصيرهم وبئس المهاد المخصوص
محذوف اي جهنم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا
من عند الله النزل ما يعد للضيف قال ابو الشعر وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا
والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحال من جنات اي جعل فاعلا لاعتماده او من الضمير في الظرف
ان جعل مبتدأ او على المصدر المؤكد لمضمون الجملة كانه قيل رزقا او عطاء وما عند الله خير
للابرار من متاع الدنيا للفجار ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وان من اهل الكتاب لمن
يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم روى مسلم والبخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
نعى النجاشي ملك الحبشة وكان مؤمنا برسول الله وخرج باصحابه الى البقيع وصلى عليه فقال المنافقون
انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني فنزلت وبه استدل الشافعي رحمه الله على صلوة الغايب
خاشعين لله حال من فاعل يؤمن لانه لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا تعريض بالمحرفين منهم
اولئك لهم اجرهم عند ربهم لم يرد واحد ولم يخط بقلبه ان الله سريع الحساب كناية عن قرب
المجازاة وعدله لانه من لوازمه او من كان اعلم على احاطته بمقادير الاجور ومراتب الاستحقاق
يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا اصبروا على مشاق الطاعات … وعلى الجهاد
مع الاعداء الظاهرة والباطنة افرده بالذكر لانه اشق وافضل ورابطوا … في الثغور …
روى البخاري عن سهل بن سعد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم
خير من الدنيا وما فيها وروى مسلم عن سلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط
يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات اجري عليه رزقه وعمله … وروى ابو داود
كل ميت يختم على عمله الا المرابط … وروى الترمذي عن عثمان رضي الله عنه انه قال رباط
يوم خير من الف فيما سواه وروى الامام احمد عن عثمان رضي الله عنه انه قال وهو على المنبر
سمعت رسول الله يقول رباط يوم خير من الف يوم بصيام وقيام ليلة بقيام … وفي الامر الثلاثة
اشارة الى المراتب الثلاثة المعتبرة الشريعة والطريقة والحقيقة كانه قيل اصبروا على
الطاعات … ومجاهدة النفس … وقطع الاوقات ومرابطة السر على جناب القدس ترصدا للواردات
واتقوا الله في المحافظة عليها لعلكم تفلحون تفوزون بما لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها الناس خطاب يعم بني آدم اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة هي نفس آدم وخلق منها
زوجها حواء من ضلع من اضلاعه … عطف على محذوف … صفة نفس اي خلقكم من نفس

خلقها وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء بيانا لكيفية الخلق الكثير من النفس الواحدة
بانه انشأها ثم شعبها بالحرى منكونة منها ثم بث من الزوجين مما لا يحصى وفي الخطاب تغليب
او خاص بالموجودين والعطف على خلقكم والمبثوث غير المخاطب كانه قال خلقكم من نفس آدم وخلق
منها امكم حوا وبث منهما رجالا كثيرا ونساء فان قلت المخلوق من آدم هو حوا الا المخاطبون
فكان الظاهر تقديمها وخلقكم منهما قلت المقصود هو الاشارة الى المنشأ والاصل الذي تفرعوا
وتشعبوا منه ليدل على كمال القدرة واسباغ النعمة الموجبين لمن قاما به غاية الخوف ومزيد
الشكر ليقع بعد الامر بالتقوى ما يوجبها ولا دلالة فيه على عدم مدخلية الزوج في وجود المخاطبين
وانما وصف الرجال بالكثرة دون النساء لانها اكثر من الرجال واتقوا الله الذي تساءلون به
والارحام بالنصب عطفا على اسم الله اي واتقوا الارحام لا تقطعوها لقوله ووصينا الانسان
بوالديه وقوله وآت ذا القربى حقه او على محل الجار والمجرور فان العرب تسأل بالله وبالرحم تقول
ناشدتك الله والرحم والمعنى يسأل بعضكم بعضا بالله وبالرحم او تسألون غيركم على ان تفاعل بمعنى فعل
وهذا مطرد اذا كان في التفاعل كثرة وقرأ الكوفيون تساءلون مخففا وقرأ حمزة والارحام بالجر
على القسم والعطف على المجرور بدون اعادة الجار والتوكيد كما ذهب اليه نحاة الكوفة والقراءة
المتواترة يكفيها وجه نحوي ان الله كان عليكم رقيبا حفيظا وآتوا اليتامى اموالهم بتفصيل
ما يتعلق بالارحام من رعاية اليتامى وبيان المواريث والوصايا والعدل في النكاح وما يتصل
بذلك اليتم لغة الانفراد واليتيم شرعا صغير لا اب له والمراد البلّغ لان الولاة وقيم الايتام
انما يؤمرون بدفع اموالهم اليهم بعد البلوغ فالتعبير مجاز باعتبار ما كان وايثاره على الحقيقة
للاختصار والحث على ايتاء اموالهم بعد ايناس الرشد منهم قبل زوال هذا الاسم منهم عرفا وقيل
جمعه فعالى ككرما في كريم او فعلى كمرضى في مريض وانما جمع على فعالى لجريه مجرى الاسماء
فجمع شايم ثم على يتامى او لان اليتيم من الآفات جمع على فعلى كاسير واسرى ثم على فعالى كاسارى ولا
تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تتركوا الكسب الحلال وتأكلوا مال اليتيم او لا تختاروا الخبيث وهو
مال اليتيم على الطيب الذي هو حفظه او لا تأخذوا الطيب من مال اليتيم وتعطوا الردي مكانه فان
قلت هنا معنى تبديل لان الباء دخلت على المأخوذ والتبدل يقتضي دخولها على المتروك كقوله
ومن يتبدل الكفر بالايمان قلت اذا ابدل الردي بالجيد لنفسه فقد بدل اليتيم الردي بالجيد
واوثر التبدل ملاحظا لجانب اليتيم لان الكلام في شانه ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم مضمومة
اليها هذا اذا لم يكن محتاجا لقوله ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف انه كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما
وقرأ الحسن حوبا بالفتح مصدر حاب وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى روى البخاري عن عائشة
رضي الله عنها اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها فيتزوجها ولا يقسط لها في المهر
فنهوا عن نكاحهن الا ان يقسطوا لهن وعن ابن عباس رضي الله عنه كان الرجل في الجاهلية يكثر من
النساء ولا يقدر على القيام بحقهن ولما نزلت الآية الاولى تحرجوا عن ولاية مال اليتيم فقيل لهم ان
تحرجتم عن ولاية مال اليتيم خوفا من الاثم فما لكم لا تتحرجون عن هذا الاثم وقيل كانوا لا يتحرجون

لا يتحرجون من الزنا ويتحرجون من ولاية مال اليتيم فقيل ان تحرجتم من ذلك فتحرجوا عن هذا ايضا
فانكحوا ما طاب لكم من النساء ما استطابته انفسكم ما لم تخصه قوله حرمت عليكم امهاتكم واحل لكم
على انه مجمل يتبين به وما قيل ان الامر للاباحة فيؤول الى ابيح لكم ما ابيح فغير لازم لان الاباحة راجعة
الى قوله مثنى وثلث ورباع اي ابيح لكم من غير المحرمات هذا العدد وانتصابها على الحال من فاعل
طاب اي ابيح لكم نكاح الطيبات متفاوتات على هذه الاعداد غير منصرفة للعدل والوصف لانها
لم تستعمل الا صفة ومن لم يعتد بالوصفية لعروضها فلكونها معدولة لفظا ومعنى لان ثلث
معدول عن ثلثة ومعناه لقصد التكرير نكرات خلافا للكوفيين والمعنى تخيير المخاطبين بين هذه
الاعداد من غير تجاوز ومن جوز نكاح التسع مستدلا بان الواو للجمع لم يحافظ على كيفية النكاح
المشار اليها بالتعديد والتفصيل فان قلت كان الظاهر او لانها جاءت للتخيير كقوله جالس
الحسن او ابن سيرين قلت المعنى تخيير المخاطبين بين هذه الاعداد من غير تجاوز واو لاحد الامرين
غير مجموع بينهما فيكون التخيير في هذه الاعداد غير مجموع بينهما ومعنى الواو التخيير من غير تجاوز
هو المراد فان خفتم الا تعدلوا فواحدة اي اختاروا الواحدة وذروا تلك الاعداد او ما ملكت
ايمانكم من السراري من غير حصر ذلك اي اختيار الواحدة او التسري ادنى الا تعولوا تميلوا وتجوزوا
عن الحق يقال عال الميزان اذا مال وفي شعر ابي طالب يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بميزان
قسط لا يخيس شعيرة له شاهد من نفسه غير عائل وعن الشافعي رحمه الله تعولوا بكثر عيالكم يقال
عال يعول بمعنى مان يمون جعله كناية عن كثرة العيال لان من كثر عياله لزمه المؤنة نقله الا
عن الاصمعي والكسائي والدار قطني عن زيد بن اسلم فالقادح في الشافعي رحمه الله قادح في نفسه لعدم
احاطته باقوال اهل العربية والآثار مع ان الشافعي رحمه الله في معرفة لسان العرب على كعبا
اطول باعا من الثعالب المذكورين فان قلت هب ان اللغة استقامت كيف وجه القلة مع تجويز التسري
من غير حصر قلت المهر يحتاج الى زيادة النفقة والسكنى اللايق والكسوة المعتبرة باعتبار حال الزوج
من اليسار والتوسط والفقر وان ولدت فلها ان لا ترضع الولد وان ارضعته فلها طلب الاجرة
وكل ذلك منتف في الاماء وآتوا النساء صدقاتهن نحلة مهورهن جمع صدقة بضم الدال [illegible]
والنحلة العطية نحله كذا اعطاه ومنه قول الصديق لعائشة رضي الله عنها كنت نحلتك
جدا وعشرين وسقا بالعالية وانتصابها على المصدر او الحال من الفاعل او المفعول ونحوله او
من الله حالا من الصدقات او من نحل كذا اذا دان اي دينا بانه على انه مفعول له او حال من الصدقات
اي دينا من الله شرعه والخطاب للازواج وقيل للاولياء فانهم كانوا يأخذون مهور الموليات
فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه كانوا يتأثمون ان يأخذوا شيئا مما ساقوا فابيح لهم ذلك
وحيث قيد بطيب النفس دل على صعوبة المسلك ووجوب الاحتياط ولذلك روي عن عمر بن الخطاب
انه كتب الى قضاته ان امرأة اعطت شيئا زوجها ثم رجعت فلها ذلك وكذا روي عن القاضي شريح
وقيد بمنه حثا لها على عدم هبة الكل واليه ذهب الليث فلم يجوز التبرع الا باليسير و
عن الاوزاعي لا يجوز تبرعها قبل الولادة وعن مالك يجوز من الثيب دون البكر وتذكير الضمير

باعتبار المعنى لان التقدير اتوا كل واحدة صداقها او اجرى به الضمير مجرى اسم الاشارة كقوله تعالى
قل اؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات والمراد بالاكل الانفاق وتعبير عنه باشهر المنافع
هنيئا مريئا صفتان من هنؤ الطعام اذا لذ من غير نغص ومرؤ حمد عاقبته من غير ضرر نصبا بهما على
المصدر اي اكلا هنيئا مريئا ويجوز ان يكونا دعاء كسقيا ورعيا فيحسن الوقف على فكلوه ولا
تؤتوا السفهاء اموالكم الخطاب للاولياء والسفهاء الصغار والمجانين والمبذرون اضاف
الاموال اليهم لانها مما يقام به المعاش ويدخر لاوقات الحاجة وهذا المعنى لا يختص بارباها
كقوله ولا تقتلوا انفسكم وقوله فمما ملكت ايمانكم قصدا الى الجنس فان احدا لا يقتل نفسه
ولا يؤمر بنكاح مملوكته او لكل احد والغرض النهي عن صرف المال الى من يضيعه التي جعل الله
لكم قياما اي سبب قيامكم من قبيل انما هي اقبال يؤيد ان الخطاب لكل احد وارزقوهم فيها
واكسوهم اجعلوها مكان رزقهم بان تتجروا فيها لئلا ياكلها الانفاق ولذلك اثر في على من
وقولوا لهم قولا معروفا احسنا بان يقول الولي لمن تحت حجره المال مالك اذا صلحت للتصرف
دفعته اليك ويقول الرجل لعياله اذا ربحت في سفري هذا او ربحت في بيعي كسوتكم واوسعت
عليكم وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان انستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم
اي اختبروا واعقولهم في التصرف قبل البلوغ حتى اذا تبين لكم رشدهم وهو صلاح الدين والدنيا
عند الجمهور والمروي عن ابن عباس رضي الله عنه واعتبر ابو حنيفة رحمه الله التهدي الى التصرف
في المال لا غير وبلوغ النكاح كناية عن الاحتلام او خمس عشرة سنة لما روى مسلم عن ابن عمر رضي الله
عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد وانا ابن اربع عشرة سنة فلم يجزني وعرضت عليه
يوم الخندق وانا ابن خمس عشرة سنة فاجازني واعتبر ابو حنيفة في الغلام ثماني عشرة فان اونس
منه الرشد فذاك والا يترك الى خمس وعشرين سنة فيدفع اليه ماله رشيدا كان او غير رشيد
وعند الجمهور لا يدفع الا اذا كان رشيدا والكلام من اعتراض الشرط على الشرط فيعتبر المعترض
مقدما على الحكم والايناس الابصار من غير شبهة استعير للتبيين وتنكير الرشد للاكتفاء باي
شيء منه وحتى ابتدائية وفيها ايضا معنى الغاية والفاء دلت على وجوب الدفع بعد الايناس
من غير توقف ولذلك اعتبر الابتلاء قبل البلوغ ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا
مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم يقال كبر كعلم في السن وكبر ككرم في
القدر والعظم وكذا في القول ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف
اي ان كان قيم اليتيم غنيا فليتعفف بما رزق الله اشفاقا عليه وطلبا لاجر الاخرة وان كان فقيرا
ياكل بقدر القوت وما يسد اوده اجرة له وقيل يرد بدله ان ايسر ويؤيد الاول الاستعفاف
لان غاية العفة لا توجد في الامتناع عما لا حق له فيه روى ابو داود ان رجلا سال رسول الله صلى
عليه وسلم عن اكل مال يتيم في حجره قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله فاذا دفعتم
اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم دفعا للتهمة والخصومة واستدل به الشافعي رحمه الله على عدم
قبول قول القيم في الدفع وكفى بالله حسيبا محاسبا حث على مراعاة ماله للرجال نصيب مما

ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون نزلت في ام كحة امراة
اوس بن ثابت مات زوجها وترك ثلث بنات وبني عم فاخذوا ميراثه على طريقة الجاهلية كانوا
يخصون الميراث بالذكور لانهم يحاربون ويحمون الحوزة فشكت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله وبعث الى بني عمه لا تتصرفوا في المال فنزلت ابطالا لما كانوا
عليه تمهيدا لتبيين الانصباء بقوله يوصيكم الله الى اخره وفي ايثار الاقرب اشارة الى حجب الابعد وهو
على حرمان ذوي الارحام اذ لا من العكس مما قل منه او كثر بدل مما ترك نصيبا مفروضا انتصاب
نصيبا على المصدر كقوله فريضة من الله او الحال او الاختصاص وان قل في النكرة ومعنى مفروضا
لازما فلا يسقط باعراض الوارث واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه
الامر للندب ولذلك لم يضرب له حد ولو كان لكان كما في المتعة وقيل للوجوب وقيل منسوخ باية
المواريث واولوا القربى من ليس له شيء من ذلك الميراث وقدم الاهم فالاهم وقولوا لهم قولا معروفا
بان تستقلوا ما تعطونهم او قولا جميلا ان كانت التركة عقارا وليخش الذين لو تركوا من
خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم لو مع ما في حيزه صلة الذين والامر للاوصياء متصل
بقوله وابتلوا اليتامى وما في البين من احكام الميراث تتميم لان الوارث فيهم اليتيم والبالغ
فتعرض لوصية الاوصياء رعاية لجانبهم او الذين يجلسون الى المريض فلا يدعون ان يوصي
بحيث يتضرر ورثته ولذلك اكره العلماء الوصية بالثلث ان كان في المال قلة او في الورثة
كثرة استدلالا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن ابي وقاص الثلث والثلث
كثير انك ان تدع ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم فقراء يتكففون الناس او للورثة حثا
على الايثار لمن حضر القسمة وعلى الوجهين متصل بقوله واذا حضر القسمة وعلى الوجوه الثلاثة
معنا ويخش الذين شانهم لو شارفوا على الموت وكانت لهم صغار كيف يخافون ضياعهم
ويودون لهم كافلا محسنا فليكونوا مع ايتام الغير على ذلك النمط فليتقوا الله وليقولوا قولا
سديدا ذكر اولا الخشية لانها الباعثة على الامتثال وثانيا التقوى لانها نهاية مقامات الكمال
والقول السديد ان يقولوا للمحتضر انظر ان كان لاحد عليك حق وظن بالله خيرا ان الله يغفر
الذنوب جميعا ويقول الوصي لليتيم تأدب بآداب الشرع ويدل على محاسن الاخلاق وللورثة
لمن حضر القسمة ليس على هذا على مقداركم وما بايدينا هنا فان الكلمة الطيبة ايضا صدقة
ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما يؤيد ان الامر للاوصياء انما ياكلون في بطونهم نارا
لانه يجر الى النار وعن ابي برزة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث قوم يوم القيمة وافواههم
تاجج نارا وروي انه يبعث اكل مال اليتيم يوم القيمة والدخان يخرج من قبره ومن انفه
وفمه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه اكل مال اليتيم ومعنى في بطونهم ملء بطونهم
لان حقيقة الظرفية الاحاطة بالمظروف بحيث لا ينفصل الظرف منه ولذلك قيد في قوله
شعر كلوا في بعض بطنكم تعفوا وسيصلون سعيرا عن قريب يدخلون نارا موقدة من صلي النار
لزمها وقرا ابن عامر وابو بكر يصلون بضم الياء من اصليته النار والاول ابلغ

يوصيكم الله في اولادكم نعهد اليكم وشأنهم للذكر مثل حظ الأنثيين بيان لذلك المجمل والمراد حالة
الاجتماع والاجماع على ان الابن يحوز جميع المال حالة الانفراد فإن كن نساء اي اولاد الميت نساء خلصا
انث الضمير باعتبار الخبر فوق اثنتين بالغة ما بلغت صفة او خبر ثان فلهن ثلثا ما ترك
استدل بظاهره ابن عباس رضي الله عنه والحق الثنتين بالواحدة واجمع من عداه على انهما في حكم الجماعة
لما روى ابو داود وابن ماجه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطى ابنتي سعد بن الربيع الثلثين ولأن
الواحدة تأخذ مع الذكر الثلث فمع الأنثى من باب الأولى وقياسا على الأختين لكونهما ابعد من الميت
والنظم فوق لدفع وهم الزيادة بازدياد العدد وإن كانت واحدة فلها النصف وهو نصف حظ
الذكر ايضا اذا انفرد ولأبويه لأبوي الميت لكل واحد منهما بدل بتكرير العامل السدس مما ترك
ان كان له ولد ذكرا او انثى فان كان ذكرا فذاك وان كان انثى فله الباقي ايضا بالعصوبة فإن لم يكن
له ولد وورثه ابواه فلأمه الثلث والباقي للأب بالعصوبة وقرأ حمزة والكسائي فلامه بكسر الهمزة
اتباعا وعن الكسائي انها لغة قريش فإن كان له اخوة فلأمه السدس فان كان معهما الأب فله الباقي
لانه يحجب الاخوة وللأخوين والأختين حكم الأخوة اجماعا روى البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنه
انه نازع عثمان في ذلك وقال الاخوان ليسا اخوة في لسان قومك فقال لا انقض امرا كان قبلي وانتشر في
الأقطار من بعد وصية يوصي بها او دين اي القسمة على هذا النمط من بعد هذين الأمرين اجتماعا
وانفرادا ولذا لم يات بالواو وقدم الوصية وان كانت متاخرة عن الدين لان الدين له طالب معين والوصية
اكثر ما يكون لجهات البر فيقع فيها التساهل ولان نفوس الورثة موطنة على اداء الدين دونها وقرأه
ابن كثير وابن عامر وابو بكر يوصى بفتح الصاد واقامة الجار والمجرور مقام الفاعل آباؤكم وأبناؤكم
لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اعتراض يؤكد شأن الوصية ويحث على امضائها اي المقصود ان من
اوصى منهم اكثر نفعا لكم لانكم بامضاء وصيته تنالون ثواب الآخرة ولا شك انه خير من ان يترك
كم متاعا فانيا واذا لم تدروا ايهم اقرب نفعا يوم القيمة لما في الحديث ان الابن يرفع الى منزلة الأب
ان كان ارفع درجة وبالعكس فارضوا بما قسم الله ولا تقولوا لم آثر الأب على الابن ولم جاز الأب الكل
دون الأم فريضة من الله نصب على المصدر ان الله كان عليما كامل العلم حكيما متقن الصنع في كل ما قدر
ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية
يوصين بها او دين اطلق الولد ليتناول ما كان من الزوج وغيره ذكرا كان او انثى ولهن الربع مما
تركتم ان لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين
روعي من الزوج كما روعي من الذكر على الأنثى وترك ذكر الواحدة اشارة الى عدم الفرق وإن
كان رجل يورث كلالة الكلالة القرابة التي لا يكون ولادا من الكلال وهو الاعياء لكلالها
عن القرابة الماسة كانها ارادت ان تصل فكلت ولم تبلغ وقيل من تكلل بالشيء احاط به لانها
في الجوانب وحواشي النسب يطلق على الميت وعلى الوارث اطلاقا للمصدر على العين او بتقدير مضاف
فالمعنى على الأول ان كان الميت يورث منه حال كونه كلالة وان جعل يورث وصفا فكلالة خبر كان
وعلى الثاني ان كان رجل اورث مال الكلالة والإعراب كما تقدم ويجوز نصب كلالة على المفعول له في الوجهين

في الوجهين لانها قائمة بالطرفين كقولك ورث عصوبة او ولاء واورث كذلك او امرأة وله أخ
او اخت فلكل واحد منهما السدس ضمير له للواحد من الرجل والمرأة وضمير منهما للأخ والأخت
ان كان الميت هو الكلالة وان كان الوارث فضمير منهما راجع الى اسم كان وواحد من الأخوين اي
فلكل منه ومن اخيه او اخته وحكم الانفراد علم منه ضرورة وحكم المرأة المعطوفة بأو والدال
على التسوية حكم الرجل فإن كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث لا يتجاوزونه ولما ذكر في آخر
حال الاخوة والاخوات من الأبوين ومن الأب بقوله يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان
امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا
اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين دل
على ان المراد بالاخوة والاخوات هنا من الأم وعليه اجماع الأئمة من بعد وصية يوصى بها او دين
كرره لئلا يتوهم اختصاصه بطائفة دون اخرى غير مضار بأن يزيد في الوصية على الثلث او لا ينوي
بالوصية القربة بل اضرار الورثة او يقر بالدين لمن ليس له عليه دين فان قلت قد ذكر الوصية
مرتين ولم يذكر هذا القيد قلت ذكر آخر لئلا يتكرر ولان المضارة اكثر ما يقع في الكلالة لبعد
القرابة وقلة الشفقة وصية من الله مصدر مؤكد او منصوب بغير مضار مفعول به والله
عليم بالمضار وغيره حليم لا يعاجل بالعقوبة تلك حدود الله اي الأحكام المذكورة سميت حدودا
لعدم جواز التجاوز عنها ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين
فيها حال مقدرة والجمع باعتبار معنى من وذلك الفوز العظيم الذي لا فوز دونه ومن يعص الله
ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها حالا كالأول والافراد باعتبار لفظ من
وقرأ نافع وابن عامر في الموضعين ندخله بالنون وهو اقوى ترغيبا وترهيبا وله عذاب
مهين لاستهانته باحكام الله واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم الفاحشة الزنا لمحض
قبحها فاستشهدوا عليهن اربعة منكم من رجالكم المؤمنين والحكمة في اعتبار الأربعة في
الزنا دون القتل مع انه اعظم كونه جرما لله المبني على المساهلة والستر فإن شهدوا فأمسكوهن
في البيوت حتى يتوفاهن الموت ملائكة الموت او يستوفي الموت ارواحهن او يجعل الله لهن سبيلا
روى مسلم واصحاب السنن عن عبادة بن الصامت انزل الله تعالى على رسوله ذات يوم فلما سري
عنه قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة والثيب بالثيب
رجم بالحجارة فإن قلت كيف صح نسخ القرآن بالحديث الذي هو من الآحاد قلت ليس هذا من النسخ
بل بيان لقوله او يجعل الله لهن سبيلا فانه مجمل وعن ابن عباس رضي الله عنه نسخها سورة النور
وكأنه اراد آية الجلد والشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما واللذان يأتيانها منكم اي الرجل والمرأة
فيه تغليب الاولى لبيان حكم يخص النساء وهذه لما يعم الفريقين وقيل الأولى في الزنا وهذه
في اللواطة وقرأ ابن كثير بتشديد النون لاحدهما نون التثنية والأخرى عوض عن الياء المحذوفة
فآذوهما بالتوبيخ البالغ والتقريع البليغ فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما لأن التوبة تمحو ما قبلها
ان الله كان توابا شديد الاعتناء بقبول التوبة رحيما بعباده ولذلك شرع التوبة انما التوبة

على الذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب اي الذين يعملون الذنب عمدا او خطأ ملتبس
بالجهل فان من عرف عظمة الله لا يجترئ على معصيته والقريب امر اضافي وقد بينه في الآية الثانية
بقوله اذا حضر احدهم الموت والحديث المشهور ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر عن ابن عباس
رضي الله عنه ما لم يشاهد ملك الموت فاولئك يتوب الله عليهم يقبل توبتهم ويجازيهم
عليها بالغ في الحث على التوبة بايثار على الدالة على اللزوم والوجوب مع تعاليه عن وجوب
شيء ولزومه لتحقق وقوعه لا محالة وكان الله عليما باخلاص التائب حكيما بالعفو والصفح
عنه وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا
الذين يموتون وهم كفار سوى بين المسوف لتوبته الى حضرة الموت وبين المايت على الكفر
سواء كان المسوف فاسقا او كافرا وقيل المراد بالذين يعملون السيئات المنافقون والوجه
هو الاول لحديث الغرغرة ولئلا يتوهم حال الفاسق المصر غير مبينة فان قلت اذا اشتمل
الفاسق فما قولك في قوله اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما مع ان الفاسق المصر في المشيئة
ولا يجزم له بعذاب قلت الاعتداد لا يستلزم وقوع العذاب كالجزاء في قوله فجزاؤه
جهنم خالدا فيها في حق القاتل الاعتاد من العتاد وهو العدة وقيل اصله اعددنا ابدل
الدال تاء يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها مكرهات او كارهات
روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه كانوا اذا مات الرجل كان اولياؤه احق بامرأته ان شاء
بعضهم تزوجها وان شاؤوا زوجوها وعنه ان المرأة في الجاهلية كانت اذا توفي عنها
زوجها فجاء رجل القى عليها ثوبه كان احق بها وقرأ حمزة والكسائي كرها بالضم على انها
لغة وعن ابي عمرو والفراء بالفتح الاكراه والاجبار وبالضم المشقة ولا تعضلوهن
لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن كان الرجل اذا تزوج امرأة ولم يكن من حاجته حبسها مع
العشرة لتفتدي منه بمالها الا ان يأتين بفاحشة مبينة كالزنا والسلاطة والنشوز
الاستثناء من اعم الاوقات او من اعم العلل وقرأ ابن كثير وابو بكر بكسر الياء من بين
لازما اي فاحشة جلية وعاشروهن بالمعروف بطيب القول ومحاسن الاخلاق عن
رسول الله خيركم خيركم لاهله وانا خيركم لاهله فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا
ويجعل الله فيه خيرا كثيرا بان يرزق منها اولادا صالحين او يبدل الله البغضاء مودة
وفي الحديث لا يفرك مؤمن مؤمنة ان كره فيها خلقا رضي منها آخر وفيه تنكح المرأة
لمالها وجمالها ودينها عليك بذات الدين تربت يداك وايضا في الصبر عليها رياضة النفس
وتهذيب اخلاقها وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا
مالا كثيرا من قنطرت الشيء رفعته ومنه القنطرة فلا تأخذوا منه شيئا قل او كثر
أتأخذونه بهتانا واثما مبينا البهتان الكذب الذي يبهت به المكذوب عليه ويحير
اتسع فيه ما استعمل في كل باطل وقيل كان الرجل اذا كره امرأته رماها ببهتان فالكلام
خارج مخرج الغالب والجمع بينه وبين الاثم مبالغة والعطف باعتبار الصفات وانتصابهما

وانتصابهما على الحال او المفعول له غاية روى زبير بن بكار ان عمر بن الخطاب قال وهو على
المنبر لا تغالوا في مهور النساء وان كانت بنت ذي القصة يزيد بن الحصين الحارثي فمن
زاد القيت الزيادة في بيت المال فقالت امرأة طويلة في انفها فطس ما ذاك اليك قال
ولم قالت لان الله يقول وآتيتم احداهن قنطارا فقال عمر رضي الله عنه امرأة اصابت
ورجل اخطأ والمستعان بالله وهذا يدل على الجواز والاولى عدم المغالات لما روى
الامام احمد والترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصدق امرأة من نسائه
ولا واحدة من بناته اكثر من اثنتي عشرة اوقية وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم
الى بعض بالوقاع وساير انواع الامتزاج والاختلاط واخذن منكم ميثاقا غليظا
هو الامساك بالمعروف او تسريح باحسان وفي الحديث استوصوا بالنساء خيرا فانهن
عوان في ايديكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله والخلوة الصحيحة كافية
في ذلك عند ابي حنيفة رحمه الله لحديث رواه الدارقطني وروي عن علي رضي الله عنه ايضا
ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء كانوا يتعاطونه في الجاهلية والنكاح الوطء فيشمل الملك
والتسري والعقد ويقاس الامة الموطوءة على المنكوحة وما موصولة او مصدرية بمعنى
المفعول الا ما قد سلف تأكيد الشيء بما يشبه نقيضه كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب لان نكاح ما قد سلف محال وقيل الاستثناء منقطع اي لكن ما قد سلف
لا مؤاخذة عليه انه كان فاحشة شرعا ومقتا عقلا وكانوا يسمونه نكاح المقت قبل ورود
النهي وساء سبيلا في المتعارف ومجرى العادات حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم
وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت التحريم حكم من احكام الله لا يتعلق الا بفعل
المكلف وانما نسبه الى الاعيان كما في الآية وفي قوله حرمت عليكم الميتة للملابسة وعدم
اللبس ثم تعيين المحذوف في الخصوص القرائن كالنكاح والاكل فانهما اظهر المقاصد واسبق
الى الفهم وقد دل عليه قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم واذا حرم النكاح الذي هو وسيلة
الاستمتاعات حرمت بطريق الاولى وقيل اذا كانت الحرمة لمعنى في ذات المحرم يسند الحرمة
ويوقع عليه كالميتة مثلا والا فيقدر مضاف يناسب كحرمة شاة الغير والام كل انثى ولدتك او
ولدت من ولدك قربت او بعدت والعمة كل انثى شاركت احد آبائك في احد اصليه والخالة كل انثى شاركت
امك في اصليها وبنات الاخ وبنات الاخت يتناول القربى والبعدى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم
واخواتكم من الرضاعة روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة وقيل خص منه اربع صور الاولى يجوز للرجل
ان يتزوج اخت ابنه من الرضاعة دون النسب الثانية له ان يتزوج ام اخيه من الرضاع دون
النسب الاخريان ام النافلة وجدة الولد والحق ان لا استثناء لان الحرمة في النسب للمصاهرة
لا له واختلف في مقدار الرضاع قال بمطلقه مالك وابو حنيفة رحمهما الله لاطلاق الآية
والحديث وقيل بالثلث وما فوقه احمد واسحق بن راهويه لما روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها

لا تحرم المصة والمصتان ولا الإملاجة ولا الإملاجتان وذهب الشافعي رحمه الله إلى خمس
لما روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن
ثم نسخن بخمس وفي المدة فعند الشافعي رحمه الله في الحولين وعند أبي حنيفة رحمه الله ثلاثين
شهرا ﴿وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم﴾ الربائب جمع ربيبة وهي بنت المرأة من غيره
وذكر الحجر خارج مخرج الغالب وفيه إشارة إلى علة التحريم لأنها في الاختلاط والتقلب كالولد
وإلى ظاهره ذهب داود الظاهري ﴿من نسائكم اللاتي دخلتم بهن﴾ حال من الربائب ومن ابتدائية
وذهب بعضهم إلى أنه متعلق بالربائب وأمهات النساء حتى شرط الدخول فيهن أيضا وروي عن علي
ابن أبي طالب رضي الله عنه وزيد بن ثابت ووجهه جعل من اتصالية أو ابتدائية في الثاني
بيانية في الأول إلا أن الإجماع على خلافه وعن ابن عباس رضي الله عنه أن أم المرأة مبهمة في كتاب الله
أراد أنها محرمة من كل وجه كالليل البهيم الذي لا نور فيه والخيل البهيم الذي لا شية فيه
وعند أبي حنيفة رحمه الله الخلوة كالدخول ﴿فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم﴾ صرح به
بعد الإشعار دفعا للقياس ﴿وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم﴾ رفع لما كانوا عليه من تحريم
مطلقة الدعي فلا يرد أن الرضاع والحافد والتعبير بالحلائل ليشمل أمته الموطوءة ﴿وأن
تجمعوا بين الأختين﴾ نكاحا أو في ملك اليمين وطأ ﴿إلا ما قد سلف﴾ منكم فإنه مغفور لكم بدليل
قوله ﴿إن الله كان غفورا رحيما﴾ على أن الاستثناء منقطع ويجوز أن يكون من تأكيد الشيء
بما يشبه نقيضه ﴿والمحصنات من النساء﴾ عطف على المحرمات الإحصان لغة المنع من الحصانة ويكون
بالعفة كما في قوله والذين يرمون المحصنات وبالإسلام كما في قوله فإذا أحصن وبالزوج
كما في الآية ﴿إلا ما ملكت أيمانكم﴾ من ذوات الأزواج روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله
أن ناسا أصابوا سبايا يوم أوطاس فتحرجوا منها لأجل أزواجهن فنزلت وقيد أبو حنيفة
رحمه الله بما إذا لم يسب معها الزوج وخص المشتري ذات الزوج إجماعا ﴿كتاب الله عليكم﴾
ذلك التحريم نصب على المصدر بمضمر ﴿وأحل لكم ما وراء ذلكم﴾ ما سوى المذكور إلا ما خص من الخالة
والعمة رضاعا وقرأ حمزة والكسائي وحفص أحل على بناء المفعول عطفا على حرمت أو على ناصب
كتاب الله كما في بناء الفاعل ﴿أن تبتغوا بأموالكم﴾ مفعول له أي إرادة أن تبتغوا أو بدل اشتمال
مما وراء ذلكم والابتغاء الطلب أريد به طلب خاص بالمهر أو الثمن ﴿محصنين غير مسافحين﴾
السفح الصب أريد به الزنا لأنه غرض الزاني بخلاف النكاح فإن الغرض منه النسل ذكره
بعد الإحصان لتعيين معناه ﴿فما استمتعتم به منهن﴾ الضمير لما وراء ذلك من ابتدائية أي
فالذي تمتعتم به من جماع ونكاح وخلوة من المنكوحات ﴿فآتوهن أجورهن﴾ مهورهن خبر
عن الموصول بحذف العائد لعدم اللبس ويجوز أن يكون ما شرطية ولا حذف لأن الجزء مجموع
الشرط والجزاء وأن يكون ما عبارة عن النساء ذهابا إلى الوصف أو تنزيلا لهن منزلة غير
ذوي العقول فالمستمتع به نفسهن والضمير في به راجع إلى لفظ ما وفي فآتوهن إلى المعنى
وفي منهن إلى ما وراء ومن للبيان أو التبعيض وسمي المهر أجرا لأنه عوض البضع ﴿فريضة﴾ حال من الأجور

حال من الأجور أو صفة مصدر ﴿ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة﴾ زيادة في
الصداق أو نقصان منه وغير ذلك من موجبات النكاح وقيل نزلت في نكاح المتعة والمعنى
لا جناح عليكم فيما تراضيتم به من زيادة الأجل بعد الأجل والحق أن نكاح المتعة ثبت بالحديث
ونسخ به لما روى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة أيها الناس إني كنت
أذنت لكم في الاستمتاع وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة وعن الشافعي رحمه الله أبيح مرتين
ونسخ مرتين لهذا الحديث ولما روى البخاري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم حرم يوم خيبر نكاح المتعة ولحوم الحمر الأهلية ﴿إن الله كان عليما﴾ بمصالح
العباد ﴿حكيما﴾ في كل ما شرع ﴿ومن لم يستطع منكم طولا﴾ أي غنى من الطول الزيادة في الابتداء مفعول
لم يستطع ﴿أن ينكح المحصنات المؤمنات﴾ متعلق بطولا بتقدير الجار أي على أن ينكح ويجوز أن يكون
طولا بتقدير مضاف أي لعدم طول وأن ينكح بدلا منه والإحصان الحرية لأن الحرائر مصونات عن
الابتذال الرق بدليل قوله ﴿فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات﴾ من ترفيع نكاحهن بالغنا
استدل الشافعي رحمه الله على تحريم نكاح الأمة لواجد طول الحرة ومن إضافة الفتيات إلى
المخاطبين على عدم جواز نكاح الأمة الكتابية مطلقا والاستدلال بعدم اشتراط الإيمان
في الحرائر على عدم اشتراطه في الإماء غير ناهض لأن عدم الاشتراط في الحرائر مستفاد من قوله
والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ولا يمكن إلحاق الإماء بهن لوجود الفارق من
رق الولد وثبوت حق المولى عليها في الخدمة وما على الناكح من المهانة بجر وجها ولوجها
روى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقل أحدكم عبدي وأمتي كلكم عبيد الله
وليقل فتاي وفتاتي وقرأ الكسائي المحصنات غير الذي تقدم بكسر الصاد على معنى أحصن أنفسهن
والفتح على أنها محصنات بإحصان الأزواج وهذا أشهر ﴿والله أعلم بإيمانكم﴾ ترغيب في نكاح الصالحات
من الإماء لما في النفوس من الأنفة والاستنكاف من ذلك فأشار إلى أن الأمة ربما كانت أكمل إيمانا
من الحرة وأن الأولى بالرجل أن يكون مطمح نظره الصلاح والديانة فإن للأخلاق سرا ﴿بعضكم
من بعض﴾ متواصلون في الآدمية فلا وجه للاستنكاف ﴿فانكحوهن بإذن أهلهن﴾ مواليهن عبر
بالأهل لأن مولى القوم منهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت وإطلاق
الإذن يتناول المباشرة والتوكيل ودل أيضا على جواز مباشرتها بإذن المولى كما ذهب إليه أبو حنيفة
رحمه الله ﴿وآتوهن أجورهن﴾ بإذن المولى علم ذلك من تقييد النكاح بإذنه وإيثار هذا الأسلوب
للدلالة على أن المولى إنما يستحق المهر بتبعية ملك الرقبة وفيه إشارة إلى تأكيد وجوب الأداء
إلى الحرائر وقيل لفظ المولى مقدر وذهب مالك إلى الظاهر جريا على أصله من جواز تمليك الرقيق
﴿بالمعروف﴾ من غير ضرر ولا إضرار ﴿محصنات﴾ عفائف وقرأ الكسائي بكسر الصاد ﴿غير مسافحات﴾ مجاهرات بالزنا
﴿ولا متخذات أخدان﴾ أخلاء في السر جمع خدن ﴿فإذا أحصن﴾ بالتزويج وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن
عامر وحفص على بناء المجهول وهو المختار ﴿فإن أتين بفاحشة﴾ يعني الزنا ﴿فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب﴾
الحرائر من الجلد لأن الرجم لا ينتصف وبالإحصان أشار إلى عدم اختلاف الحالين كما في الحرائر ﴿ذلك﴾

نكاح الاماء ﴿لمن خشي العنت منكم﴾ الزنا اصله الامر الشاق ومنه العنت في الامر وفيه تأييد لما ذهب
اليه الشافعي رحمه الله ﴿وان تصبروا﴾ عن نكاح الاماء ﴿خير لكم﴾ من التزوج بهن لان ارقاق الولد
امانته معنى ولان الامة لا تقيم اعباء البيت قال ومن لم يكن في بيته قهرمانة فذلك بيت لا ابا لك
ضائع ﴿والله غفور﴾ للصابر ان بدا منه زلة ﴿رحيم﴾ ولذلك شرع نكاح الاماء ﴿يريد الله ليبين لكم﴾
يريد الله اظهار الاحكام لكم واللام لتاكيد معنى الارادة لما فيها من معناها كما في جئتك لاكرامك
ومدخولها مفعول بها ﴿ويهديكم سنن الذين من قبلكم﴾ مناهجهم وطرقهم التي سلكوها لتقتدوا بهم
﴿ويتوب عليكم﴾ ويستر زلاتكم ﴿والله عليم﴾ بالمصالح ﴿حكيم﴾ فيما شرع ﴿والله يريد ان يتوب عليكم﴾ كرره
تأكيدا وليقابل قوله ﴿ويريد الذين يتبعون الشهوات﴾ وتعلق ارادته بوقوع التوبة بينهم لا استلزم
وقوعه من الكل والذين يتبعون الشهوات كل فاجر منهمك وقيل اليهود وقيل المجوس لانهم يحلون
نكاح المحارم ﴿ان تميلوا﴾ عن الحق ﴿ميلا عظيما﴾ موصلا الى الكفر ﴿يريد الله ان يخفف عنكم﴾ ولذلك اباح النكاح
والتسري وعمم النكاح في الحرائر والاماء توسعة من فضله لان النساء حبائل الشيطان ليس على الانسان
اشق منهن في باب دينه عن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من ابن آدم الا واتاه من قبل النساء
فقد اتى علي ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخاف علي فتنة
النساء ﴿وخلق الانسان ضعيفا﴾ لا يصبر على المشاق ويشير الى حكمة التوسعة وانها مقتضى الحكمة
﴿يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل﴾ بغير الحق ما به يقوم امر المنزل وكيفية شرعية
تحصيل اسبابه وخص الاكل لانه اكمل المنافع واكثر احتياجا ﴿الا ان تكون تجارة عن تراض منكم﴾
الاستثناء منقطع لان التجارة ليس من الباطل في شيء اي لكن اقصدوا التجارة او لكن وقوع تجارة
عن تراض غير منهي وانما خص التجارة بالذكر لانها اعم اسباب الملك او من استعمال المقيد في المطلق
وقرأ غير الكوفيين بالرفع على كان التامة ﴿ولا تقتلوا انفسكم﴾ اخوانكم من المؤمنين او انفسكم بتعريضها
للعقاب او مباشرة كما يفعله بعض الجهلة كالروافض في مشاهد الائمة ﴿ان الله كان بكم رحيما﴾ حيث
بين لكم الاحكام وشرعها على وجه السهولة ﴿ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما﴾ اي ما ذكر من المناهي
العدوان ظلم الغير لاشتماله على معنى التجاوز والعطف باعتبار تغاير الصفة ﴿فسوف نصليه نارا﴾
ندخله نارا عظيمة يقال اصليته النار اذا ادخلته للاحراق محمول على الاستحلال والموت من غير توبة
ان شاء بشهادة سائر النصوص ﴿وكان ذلك على الله يسيرا﴾ لاستواء الممكنات في قدرته من غير مزاحم
﴿ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾ على لسان الرسول ﴿نكفر عنكم سيئاتكم﴾ صغائركم ﴿وندخلكم مدخلا كريما﴾
شريفا هو دار السلام من كل مكروه والفرق بين الصغيرة والكبيرة ان كل ذنب شرع له حد او كان
فيه مساويا له او زائدا عليه فهي كبيرة فلا تنحصر في عدد كما اشار اليه ابن عباس رضي الله عنه لما قيل
له سبعة انها الى سبعمائة اقرب وما نقل عن بعض السلف لا صغيرة في الذنوب اراد معنى آخر وهو كون
مخالفته تعالى وكبريائه والا فالآيات والاحاديث ناطقة بالفرق ﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم﴾
﴿على بعض﴾ التمني طلب الشيء ممكنا او محالا وانه من تمنيت الكتاب قرأته فان المتمني يناجي نفسه بالمتمنى
ويدل عليه قوله ما كل ما يتمنى المرء يدركه وقيل لا يكون الا في طلب المحال حث على محاسن الاخلاق بعد

الاخلاق بعد بيان الذنوب وكيفية الخروج منها وهذا اذا لم يقصد به التقرب الى الله تعالى لما روى
البخاري لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله علما
فهو يقضي به ويعلمه الناس ﴿للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن﴾ جعل لكل من
الرجل والمرأة ما قدر له من الحظ كسبا ارشادا الى طلب المعاش روى الامام احمد عن ام سلمة انها قالت
يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو ولنا نصف ما لهم من الميراث فنزلت ﴿واسألوا الله من فضله﴾
الواسع عطف على تتمنوا وما بينهما اعتراض روى الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال سلوا الله من فضله فان الله يحب ان يسأل وان افضل العبادة
انتظار الفرج وقرأ ابن كثير والكسائي وسلوا الله بنقل حركة الهمزة وحذفها وحذف همزة الوصل
تخفيفا ﴿ان الله كان بكل شيء عليما﴾ يعلم ما يستحق البسط والقبض ﴿ولكل جعلنا موالي مما ترك﴾
﴿الوالدان والاقربون﴾ اي ولكل مال تركه هؤلاء جعلنا وراثا يحوزونه والتقدير وجعلنا لكل
مما ترك فلا فاصل بين الموصوف والصفة او لكل قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك الوالدان
والاقربون ولا يتوجه ان للموالي جميع المال لا نصيبا منه لان في التركة مؤن التجهيز وقد يكون
الوصايا والديون او ولكل مورث جعلنا وراثا على ان من صلة موالي لما فيه من معنى الفعل
ثم فسر الموالي بقوله الوالدان والاقربون والوالدان وان دخلا في الاقربين الا انهما افردا بالذكر
فيهما وزيادة في الاهتمام ﴿والذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم﴾ مبتدأ وخبر والفاء لتضمن
الموصول معنى الشرط ويجوز عطفه على الوالدان وقوله فآتوهم جملة مسببة عن المتقدمة مؤكدة
ونصبه على شريطة التفسير نحو زيدا فاضربه عن ابن عباس رضي الله عنه كان قبل الاسلام يعاقد
الرجل الرجل ويقول دمي دمك وحربي حربك ويرثني وارثك وكان الارث بالحلف في ابتداء الاسلام
حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله فان قلت لا تنافي بين هذا وبين
توريث الحلف قلت روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ذهب الميراث ولكن يوصى له
وفسر قوله فآتوهم نصيبهم على النصر والنصيحة وذهب ابو حنيفة رحمه الله الى ان من اسلم
على يد رجل وتعاقدا على ان يتوارثا يرثه ان لم يكن له وارث آخر ﴿ان الله كان على كل شيء شهيدا﴾
رقيبا فاحذروه في مخالفة اوامره ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض﴾
﴿وبما انفقوا من اموالهم﴾ قام بالامر حفظه ورعاه وفلان قوام اهله او يقيم شأنهم اشار الى
وجه الحكمة في تفضيل الرجال على النساء في الحظوظ والقسم بامرين احدهما موهبي لا دخل للسعي و
الكسب فيه كالنبوة والامامة والقضاء وعموم الشهادة والجمعة والاعياد والآخر كسبي و
هو انفاق الاموال في المهور والنفقات روى ابن جرير ان سعد بن الربيع الانصاري رضي الله عنه
وهو احد النقباء ليلة العقبة لطم امرأته زينب بنت زيد بن ابي زهير فانطلق بها ابوها الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فامر بالقصاص فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله غيره والذي اراده
الله خير ﴿فالصالحات قانتات﴾ مطيعات من قنت اطاع ومن يقنت منكن لله او قائمات بحقوق
الازواج ومنه افضل الصلوات طول القنوت ﴿حافظات للغيب﴾ ما يجب حفظه من الاموال والاسرار

التي تقع بين الأزواج في الخلوات وقيل بإيقاع الحفظ على الغيب مبالغة في الوصف بالحفظ بما حفظ
الله اي بحفظ الله اياهن بأن أوصى الله ورسوله برعاية حقوق الأزواج فالحفظ مسند الى السبب
الآمر والثناء للمقابلة او بحفظ الله اياهن عن الخيانة او بالوعد على المحافظة والوعيد على
الخيانة على ان الحفظ مجاز عن سببه وما مصدرية على الوجوه واللاتي تخافون نشوزهن
النشوز لغة الارتفاع فانها بالعصيان ترتفع عن رتبتها فعظوهن بما اعد الله للمطيعات
من الثواب وللناشزات من العقاب روى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فأبت لعنتها الملائكة الى الصباح وروي
عنه لو امرت ان يسجد احد لغير الله لامرت المرأة ان تسجد لزوجها واهجروهن في المضاجع
فان ذلك شديد عليهن وعن ابن عباس رضي الله عنه كناية عن عدم الجماع واضربوهن ضربا
خفيفا لا كسر فيه ولا جراح ولا في الوجه والاعضاء الرئيسة فان اطعنكم في احدى تلك
الاحوال فلا تبغوا عليهن سبيلا بوجه قولا وفعلا فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له وذكر
الوحشة وخشنه ان الله كان عليا كبيرا ومع ذلك اذا تاب العبد تاب عليه فتخلقوا باخلاقه
وان خفتم شقاق بينهما الخطاب للولاة والحكام واضافة الشقاق الى البين مجاز اما تشبيها
بالمفعول به اتساعا في الظرف او بالفاعل بجعل البين شاقا كانهار صائم فابعثوا حكما من
اهله وحكما من اهلها ان اشتبه عليكم حال الظالم منهما وقيد الاهل استحباب لانهم اشفق
واسعى في الاصلاح ولا دلالة فيه على جواز التحكيم فان الحكمين ليسا من جهة الزوجين
بل من جهة الولاة وهل لهما الجمع والتفريق بغير رضى الزوجين على الجديد من قول الشافعي
وقول ابي حنيفة نعم ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما اي ان قصد الحكمان الاصلاح بين
الزوجين بنية صادقة وفق الله بين الزوجين واوقع الالفة بينهما وقيل الضميران للحكمين
اي ان قصدا الاصلاح وفق الله بين كلمتيهما ويحصل الغرض وقيل للزوجين اي ان تابا عن النزاع
واضمار الشر والمنافقة يبدل الله البغض بالمحبة والشقاق بالوفاق ان الله كان عليما خبيرا
كامل العلم بظواهر الاشياء وبواطنها يعلم كيف يؤلف بينهما وفيه تحذير للحكمين من سعي
بالفساد كما ان في الاول ترغيبا في الاصلاح واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا اسوة جملة من
الاحكام ثم عاد الى التوحيد الذي هو ملاك الامر وانتصاب شيئا على المصدر اي شيئا من الاشراك
او المفعول به اي شيئا ما وبالوالدين احسانا احسنوا احسانا وبذي القربى ذي القرابة فان الصدقة
عليه صدقة وصلة رحم واليتامى والمساكين والجار ذي القربى الذي قرب جواره روى البخاري
عن عائشة رضي الله عنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي جارين فالى ايهما اهدي فقال
الى اقربهما منك بابا وقيل الجار ذي القرابة والاول هو الوجه لتقدم ذي القرابة والجار الجنب
بعيد الدار او الاجنبي والصاحب بالجنب وابن السبيل الرفيق في السفر او التعلم او المرأة وفي
البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنه ما زال جبرائيل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه وما ملكت
ايمانكم الارقاء وروي انه صلى الله عليه وسلم قال في مرض موته الصلاة الصلاة وما ملكت ايمانكم

ملكت ايمانكم فيخل بكبرها ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا متكبرا ابياها كثير الفخر بخلاله
الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بدل من من كان مختالا او نصب او رفع على الذم وفي
الحديث اياكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم وقيل البخيل من بخل بمال الغير وروى ابو
داود شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع وروى الترمذي خصلتان لا تجتمعان في المؤمن
البخل وسوء الخلق وروي ايضا ثلثة لا يدخلون الجنة خب وبخيل ومنان وقرأ حمزة والكسائي البخل
بفتح الباء والخاء والباقون اكثر ويكتمون ما آتاهم الله من فضله عابهم على كتمان ما انعم الله عليهم
كما عابهم على البخل ان الله يحب ان يرى اثر نعمته على عبده واما بنعمة ربك فحدث وقيل نزلت في
اليهود بخلوا بما اوتوا في التورية وكتموا ما انعم الله عليهم من نبوة محمد عليه السلام واعتدنا
للكافرين عذابا مهينا في مقابلة ذلك الاختيال والافتخار او قع الظاهر موقع المضمر للاشعار
بالعلية وللعموم والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ليقال انهم اجواد وروى مسلم عن ابي هريرة رضي
اول من يدخل النار رجل صرف ماله في وجوه البر لا اخلاصا بل ليقال فقد قيل ولا يؤمنون
بالله ولا باليوم الآخر ليكون باعثا لهم على الحذر مما يحبط العمل ومن يكن الشيطان له قرينا
في الدنيا يزين له القبائح ويحثه على ارتكابها او في الآخرة بان يقرن معه في النار لقوله
وقيضنا لهم قرناء فساء قرينا قرينه وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم
الله انكار وتوبيخ عليهم كما جهلهم فان العاقل يسارع الى ما فيه احتمال نفع فكيف والمدعو اليه
رأس كل منقبة ومنبع كل سعادة الضمير للمنفقين رئاء اولهم وللباخلين وكان الله بهم عليما
لو اخلصوا او كان الله بهم عليما انهم لا يؤمنون فلذلك لم يجد فيهم الآيات والنذر ان الله لا
يظلم مثقال ذرة وزن ذرة نقصانا من الثواب وزيادة في العقاب والذرة النملة الصغيرة
وقيل اجزاء الهباء المبثوث في الكوة عند شعاع الشمس وعن ابن عباس رضي الله عنه انه ادخل يده
في التراب ثم اخرجها وقال كل هذه ذرات والمثقال مفعال من الثقل وان تك حسنة يضاعفها
يضاعف ثوابها اقله عشرة اضعاف واكثره لا يعلم الا الله والتأنيث باعتبار الخبر او
لاكتساب التأنيث من المضاف اليه وحذف النون تبعا للواو وهذا مطرد فيما لا ساكن بعده لكثرة
الدور وقرأ نافع وابن كثير حسنة بالرفع على كان التامة وقرأ ابن كثير وابن عامر يضعف
مشددة ويؤت من لدنه اجرا عظيما لا يقادر قدره واشار بقوله من لدنه الى انه تفضل منه فكيف
اذا جئنا من كل امة بشهيد اي نبيهم يشهد عليهم بالتكذيب اي فكيف بمن كذب في ذلك الوقت
استعظام للهول وجئنا بك على هؤلاء شهيدا اشارة الى كل مكذب من كل امة وشهادته شهادة
امته كما رواه البخاري وتقدم في سورة البقرة ويحتمل ان يكون شهادته ايضا والاول ادل على
عظم شأنه ويجوز ان يكون اشارة الى مكذبي امته روى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لي اقرأ علي القرآن قلت اقرأ عليك وعليك انزل قال اني احب ان اسمعه
من غيري فقرأت سورة النساء حتى بلغت فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا
فقال حسبك فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان قيل كان بكاء سرور وحيث شرفت امته بالشهادة

للانبيا، والظاهر انه بكاء شفقة على عباد الله يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض كناية عن الموت والدفن لعظم ما يشاهدون والباء للملابسة او بمعنى على وقرا نافع وابن عامر تسوى بفتح التاء والتشديد بادغام احدى التائين وقرا حمزة والكسائي بالفتح والتخفيف بحذف احدى التائين والباقون بالضم والتشديد وهو المختار لانه الاصل ولا يكتمون الله حديثا لا يقدرون على كتمانه لان الجوارح تشهد عليهم عطف على يود ويومئذ يتعلق بالفعلين ويجوز ان يكون عطفا على تسوى داخلا تحت التمني وحالا من الضمير على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم اذا راوا مغفرة الله للمذنبين يقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم على افواههم وتشهد عليهم جوارحهم فحينئذ من شدة الخجل يودون ان لو لم يكذبوا في قولهم والله ربنا ما كنا مشركين يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى اردف اهوال القيمة بالمحافظة على اشرف الوسائل في ذلك اليوم عنه صلى الله عليه وسلم اول ما يحاسب المرء الصلوة فان كانت تامة وافية يقبل فيسوا ساير اعماله بما روى الترمذي عن علي بن ابي طالب صنع عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعانا وسقانا من الخمر فاخذت منا وحضرت الصلوة فقدموا فلانا فقرا قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون فنزلت والمراد النهي عن شربها في اوقات الصلوة وقيل لا تقربوا مواضعها وهي المساجد كما يجتنب الصبيان والمجانين من اطلاق الحال على المحل حتى تعلموا ما تقولون بعلامة حد السكر وهو ان يشرب حتى لا يدري ما يقول ولا جنبا عطف على جملة وانتم سكارى لان الجملة التي لها محل من الاعراب في حكم المفردات والجنب يطلق على المفرد والجمع مذكرا كان او مؤنثا الا عابري سبيل الا مسافرين حال مقيدة للفعل المقيد بالحال الاولى كانه قيل لا تقربوا الصلوة في حال الجنابة الا ومعكم حال اخرى تعذرون فيها وفيه ايماء الى ان سائر الاعذار مثل السفر وايثاره بالذكر لانه الغالب فلا ينافي هذا الحصر ما يذكر بعد من الموجبات ويجوز ان يكون صفة لجنبا اي جنبا غير عابري سبيل حتى تغتسلوا غاية للنهي وفيه اشارة الى ان المصلي ينبغي ان يكون مراعيا للطهارة الباطنة مما يلوث من الحقد والحسد وغيرهما وبه استدل الشافعي رحمه الله على ان التيمم غير رافع للحدث لانه سماه جنبا مع التيمم وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط كنى به عن الحدث لجري العادة بقضاء الوطر في الغائط وهو المكان المنخفض او لامستم النساء كناية عن الوقاع وذهب الشافعي رحمه الله الى ظاهره وجعل مجرد مسه الذكر والانثى من اسباب الحدث وقرا حمزة والكسائي لمستم بالقصر لان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره في مقابلة الوقاع في حديث المقر بالزنا حيث قال لعلك قبلت او لمست والاسند لان يتقدم الجنابة غير ناهض لان ذلك في استعمال الماء وهذا في اباحة التيمم فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا ذكر اربعة امور الاول سبب للترخيص والعدول من الماء الى التراب والثالث للوضوء والرابع للغسل و الجزاء شيء واحد لاشتراك الكل فيه فان عدم وجدان الماء معتبر في الكل اما حقيقة كما في ثلثة او تقديرا كما في المريض الذي لم يقدر على استعمال الماء وقدم المرض والسفر لانهما من اغلب الاسباب فكانه قال ان جاء احد منكم من الغائط او لامستم النسا خصوصا المرضى والمسافرون فتيمموا او كان

وكان الظاهر او جئتم من الغائط عدل الى المنزل لئلا يسند الفعل الى المخاطب في المستقذر صعيدا طيبا اي طاهرا صاعدا على وجه الارض وعن ثعلب والزجاج هو وجه الارض واليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله حتى لو ضرب يده على حجر صلد ومسح به صح تيممه فامسحوا بوجوهكم وايديكم ولم يعلم كيفيته ولم يتبين غاية المسح لانه مبين في الوضوء وبينه قول رسول الله لعمار وفعله ان الله كان عفوا غفورا ميسرا وستارا ولذلك شرع العدول من الماء الذي هو غاية في التطهير الى التراب الذي هو كثيف الاركان الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب حظا وافرا منه تعجيب من حال احبار اليهود والرؤية رؤية القلب اي الم ينته اليهم علمك او النظر يشترون الضلالة يستبدلونها بالهدى مع ذلك العلم ويريدون ان تضلوا السبيل ايضا فتساووهم في الجهل والشقا والله اعلم باعدائكم منكم لانكم تعلمون بالمخايل والامارات وهو مطلع على ما في الصدور من الضمائر وكفى بالله وليا فلا تلتفتوا الى الوهم وكفى بالله نصيرا ناصرا فتوكلوا عليه والباء في الموضعين صلة تؤكد الاسناد لان حروف الجر لايصال معاني الافعال الى الاسماء من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا او لاعدائكم وما في البين اعتراض والمعنى ينصركم منهم كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا لتضمينه معنى الانجاء ويجوز تعلقه بما بعده اي من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم عن مواضعه يزيلونها راسا او يبدلونها بما يشتهون او يأولونها تأويلا باطلا ويقولون سمعنا قولك وعصينا امرك واسمع غير مسمع دعاء عليه بالصمم او الموت او انت غير مسمع جوابا ترضاه ولو وجه مدح يؤدى به اي غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان كلاما اذا قال له ما يكره وراعنا حتى نفهم كلامك كلمة سب عند اليهود ليا بالسنتهم عن الحق الى الباطل يقصدون السب ويظهرون انهم ارادوا معنى الرعاية وطعنا في الدين قدحا في دينكم ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم واسد واعدل اريد بصيغة افعل الزيادة المطلقة ولكن لعنهم الله بكفرهم طردهم لاجل كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا الا ايمانا قليلا لا يعتد به سماه ايمانا على زعمهم او القلة بمعنى العدم كقوله قليل التشكي للمهم يصيبه او الاستثناء من ضمير الفاعل اي الا قليلا منهم امنوا يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها الطمس محو الشيء وازالة اثره يقال طمس واطمس وطريق طامس يتعدى ولا يتعدى والمعنى امنوا قبل ان نمحو اثار اثار الوجوه ونزيل محاسنها من العيون والحواجب وغيرها فنصيرها على هيئة الاقفاء مطموسة والفا للسببية او للتعقيب فالتوعد بالامرين الطمس وبعكس الحال فيجعل الوجه قفاء وبالعكس او الوجه رؤساء القوم على عرف العرب اي من قبل ان نسلب وجاهتهم ونردهم الى حيث جاؤا الى بلاد الشام وقد اجلاهم عمر رضي الله عنه الى اذرعات وتيما او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت بان نجعلهم قردة وخنازير وهذا مترقب في اليهود سيقع فيهم المسخ وقيل كان مشروطا بعدم ايمانهم وقد امن طائفة عن ابن جرير ان كعب الاحبار من اليهود لما سمع الاية اسلم مكانه وكان امر الله النافذ مفعولا واقعا لا محالة ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن

ترغيب في الإيمان بعد ما قدم عظيم جريان اليهود والمشركين وقد دل صريحا على انه لا يغفر الشرك ويغفر
ما دونه لمن يشاء وابل سائر الآيات والأحاديث المتواترة معنى فمن قيد الثاني بالتوبة فقد
الكلم والمراد من الشرك الكفر مطلقا لقوله ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وايثار الشرك
لانه حال المخاطبين من اليهود وعبدة الأوثان ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما اي [illegible]
ذلك اشتقاقه من الفرى وهو القطع لانه اختراع من عنده يطلق على القول والفعل والمراد به
القذر المشترك الم تر الى الذين يزكون انفسهم هم اهل الكتاب قالت اليهود والنصارى نحن
ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وغيرهم هذا من تخلفاتهم
بل الله يزكي من يشاء بالتوفيق للطاعات والثناء عليه ولا يظلمون فتيلا اقل قليل والفتيل
ما في شق النواة يضرب به المثل في القلة انظر نقل تعجب الخطاب عام كيف يفترون على الله
الكذب في زعمهم وتزكيتهم انفسهم وكفى به إثما بذلك القول والزعم مبينا لا يخفى على احد
الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت تعجيب من نوع آخر من
اباطيل اليهود الجبت يطلق على كل باطل غير عربي لاجتماع الجيم والتاء من غير حرف ذولقي و
الطاغوت رأس كل ضلال له شيطانا كان او انسانا يطلق على المفرد والجمع اشتقاقه من الطغيان
وهو التجاوز عن الحد ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا عن ابن عباس
رضي الله عنه نزلت في حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف وامثالهما جاؤوا اهل مكة يحالفونهم على حرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المشركون انتم اهل الكتاب واهل العلم نحن نسقي الحاج و
نفك العاني ومحمد قطع الارحام واسع سراق الحاج من غفار نحن خير ام محمد فقالوا انتم خير فنزلت
اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا اذ لا راد لارادته ولا مقاوم
لقدرته فان قلت النصير اخص من الناصر فلا يستلزم سلبه سلبه قلت اراد ان الكامل في باب
النصرة اذا لم يقدر على نصرهم فغيره ابعد ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس
نقيرا ام منقطعة للانكار لان يكون لهم ملك واشار الى انهم احقاء بذلك بانهم لو نالوه لمنعوا الناس
اقل قليل والنقير النقرة في ظهر النواة اضرب عن ذمهم بوصفهم انفسهم بالزكاء الى ذمهم بالبخل
لان الاتصاف بالرذيلة ابلغ ذما من الخلو عن الفضيلة ولانه كالدليل على ان لا زكاء او المعنى
انكار الجمع بين الامرين فانا نالوا الملك كان حريا بان يوثروا ويمنحوا خايبا في حب من خولهم
وقد عكسوا او المعنى لو كان لهم نصيب كامل من ملك الله لشحوا بادنى شيء كقوله لو انتم تملكون
خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم فالفاء في اذن للسببية والجزائية لشرط محذوف على التقادير ويجوز
ان يكون عاطفة والمنكر مجموع الامرين والتوبيخ اي قد اوتوا نصيبا من الملك فانهم كانوا
ذوي ثروة واموال جزيلة ومنحوا اقل قليل واذن على هذا لزيادة الانكار ام يحسدون الناس
على ما آتاهم الله من فضله اضرب عن الاضراب تدريجا فان الحسد انكر واشنع لانه بخل واعتراض
على الحكم وعدم الرضا فما قسم الناس رسول الله والفضل النبوة او هو والمؤمنون والفضل النصر
المتواتر والمدد المتكاثر والعز المتظاهر يوما فيوما فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة و

والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما الفاء فصيحة اي ان كان حسدهم رسول الله والمؤمنين على ما آتاهم
من العز والنبوة والنصر فقد عرفوا ان اسلافه قد اوتوا توابع النبوة ملكا عظيما مثل ملك داود وسليمان
فلا بدع في ان يخوله الله ما خول وهو افضل الرسل وعنه صلى الله عليه وسلم خيرني الله بين
ان اكون نبيا ملكا وان اكون نبيا عبدا فاخترت ان اكون عبدا نبيا فانا آكل كما يأكل العبيد
واجلس كما يجلس العبيد وقيل عابوه بكثرة النساء فاجيبوا بان في الانبياء من كان اكثر نساء فان
داود كان له مائة امرأة وسليمان كان له ثلثمائة مهيرة وسبعمائة سرية فمنهم من آمن به ومنهم
من صد عنه اي فمن اليهود من آمن بما ذكر من حديث آل ابراهيم ومنهم من اعرض عنه وانكره
مع علمه او من اليهود من آمن برسول الله ومنهم من انكر نبوته او من آل ابراهيم من آمن به
ومنهم من اعرض وانكر كقوله فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون وكفى بجهنم سعيرا نارا
موقدة من سعرت النار اوقدتها ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كالبيان لما كان
آل ابراهيم او غيرهم كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها مكانها جلودا اخرا وازلنا
فسادها وجعلنا جلودا جديدة كما كانت روى ابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تبدل جلودهم في الساعة الواحدة مائة وعشرين مرة
وروى الامام احمد عن ابن عمر عن رسول الله ان ما بين شحمة اذن الكافر وعاتقه مسيرة سبعمائة
عام وغلظة جلده سبعون ذراعا ليذوقوا العذاب على الدوام ان الله كان عزيزا غالبا على كل شيء
حكيما فيما احل من العذاب لمن كذب بآياته والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قدم عذاب الكفار لان الكلام مسوق لبيان شانهم
وايراد التبيين هنا وصريح ذكر الابد اشارة الى سبق رحمته غضبه لهم فيها ازواج مطهرة
وندخلهم ظلا ظليلا ظلا وافيا ليس فيها شائبة حرور في مقابلة ظل الكفار ظل ذي ثلث
شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب ترمي بشرر كالقصر ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى
اهلها اردف ما نعى به على اهل الكتاب من الخيانة وتحريف الكلم بالامر باداء الامانة الخطاب
للمؤمنين كافة والامانة تعم ما بين العبد وبين الله وما بين العباد روى البخاري عن ابن عمر
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة اراد ان يدخل البيت وكان
المفتاح في يد عثمان بن ابي طلحة الحجبي فطلبه منه فابى فقال علي رضي الله عنه اعطي المفتاح لرسول الله
قال لو علمت انه رسول الله ما منعته فلوى علي يده واخذ منه المفتاح فلما دخل البيت ودخل معه
بلال واسامة بن زيد صلى فيه ركعتين ودعا في نواحي البيت ثم خرج فطلب العباس منه المفتاح
ليكون له السدانة والسقاية فنزلت فامر عليا ان يرده الى عثمان ويعتذر اليه فلما جاء علي
بالمفتاح معتذرا قال اكرهت وآذيت اولا ثم جئت معتذرا فقرأ عليه الآية وقال الآن
نزل في شانك فاسلم عثمان مكانه واستمرت السدانة في اولاده الى يومنا هذا واذا حكمتم بين
الناس ان تحكموا بالعدل قيل الخطاب للولاة لان الحكم شانهم والحق عموم كالاول لما روى البخاري
عنه صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته الرجل راع في بيته ومسؤول عن رعيته

والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ان الله نعما يعظكم به ما نكرة موصوفة اى نعم
شيئا الذي يعظكم به او موصولة اى نعم الشيء قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين
وابن كثير وورش وحفص بكسر النون والعين وابو عمرو وقالون وابو بكر بكسر النون واختلاس كسر العين
الاول هو الاصل والثاني لاتباع النون العين والثالث لطلب الخفة لاجتماع الكسرتين وهو المختار ان
الله كان سميعا لاقوالكم في الاحكام بصيرا باحوالكم من الميل الى الحق والباطل يا أيها الذين آمنوا
أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم امر الرعايا باطاعة الولاة بعد ما وصى الولاة بهم وطاعة
الولاة طاعة الله ورسوله لما روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما الطاعة في المعروف ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق والاية عامة في كل من يلي امرا من امور
المسلمين فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول الى الكتاب والسنة ولا دليل فيه لمنكر القياس
لان الرد الى الكتاب والسنة لا يكون الا الاجماع وهو القياس إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر
بالمبدا والمعاد آثر ان بعد ندائهم بوصف الايمان اشارة الى ان النزاع ليس من اخلاق المؤمنين
ذلك الرد خير وأحسن تأويلا عاقبة المراد الزيادة المطلقة اذ لا خير في الرد ألم تر إلى الذين يزعمون
أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت تعجيب لمن لم يرض بحكم الله
ورسوله نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى رسول الله ودعى المنافق الى كعب
بن الاشرف فتحاكما الى رسول الله فحكم لليهودي فلم يرض المنافق ودعاه الى عمر بن الخطاب رضي الله
عنه فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله فلم يرض بقضائه فقال عمر اكذلك قال نعم فقال لهما مكانكما
حتى اخرج فدخل وخرج والسيف في يده فضرب عنق المنافق وقال هكذا اقضي لمن لم يرض بحكم رسول الله
فنزلت وقال جبرائيل ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله انت الفاروق صيغة
مبالغة كالناموس والجاسوس والطاغوت كعب بن الاشرف سماه لشدة طغيانه او على التشبيه
بالشيطان استعارة او الشيطان بان يجعل التحاكم الى غير رسول الله تحاكما الى الشيطان وهذا
اولى لقوله وقد أمروا أن يكفروا به اى بالشيطان ولقوله ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا
بعيدا اسند البعد الى الضلال مجازا مبالغة في ضلال صاحبه وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل
الله من الكتاب وإلى الرسول والحكم رأيت المنافقين من رؤية البصر يصدون عنك صدودا
يعرضون عنك الجملة في محل الحال يدل على انهم كانوا مستمرين على الاعراض فكيف إذا أصابتهم
مصيبة بما قدمت أيديهم بما اكتسبوا من الاثم بالاعراض عن حكم الله تعالى تهويل للعذاب الذي سينزل
بهم ثم جاؤوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا اليك بان لا نشغل بالك ولذلك تحاكمنا الى غيرك
وتوفيقا بين الخصمين لا اعراضا عن حكمك فتفرج عنا هذه المصيبة بدعائك وقيل جاء اولياء
بشر المنافق يطالبون عمر بدمه وقد اهدره الله تعالى هذا اذ المجرد الفارقية أولئك الذين يعلم الله
ما في قلوبهم من النفاق ورسوخ العداوة فأعرض عنهم مجاملة لاظهارهم الايمان وان لا يبطل محمد
بقتل اصحابه وعظهم كما هو دأب الناصح الشفيق وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا مؤثرا في انفسهم يغتمون
به ويستشعرون منه الخوف بان يقول لهم انكم في النفاق معلوم وان بدا منكم شيئا آثر المخالفة كم

رتم واستيفنا لكم وهذه المجاملة ليست الا لاظهاركم الايمان او قل لهم قولا بليغا في الخلوات لان النصح
في الخلوة انجع وادعى الى القبول والجار متعلق بقل اى قل لهم في شأن نفوسهم لما وقر بها الجهل ومن
النفاق بان يداووها بترياق الايمان وصفوة الاخلاق فالتبليغ في هذا الوجه من البلاغة و
في الاولين من البلوغ بمعنى الوصول والتأثير وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله
بسبب اذنه في طاعته او بارادته وتيسيره واذا انحصرت الغرض في طاعته فمن ابى فقد نازع الله
في احكامه فكان قتله عين الصواب ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم بالتحاكم الى غيرك وسائر وجوه النفاق
جاؤوك مقرين بالذنب فاستغفروا الله طلبوا مغفرته واستغفر لهم الرسول شفيعا عدل من
الخطاب الى لفظ الرسول للدلالة على ان من كان في منصب الرسالة حقيق بان يكون شفيعا للمذنبين
لوجدوا الله توابا رحيما قابلا توبتهم متفضلا عليهم فلا وربك لا يؤمنون لا مزيدة للقسم كما في
لا اقسم والفاء للدلالة على ان القسم مسبب عن فعلهم حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما التبس عليهم ومنه
الشجرة لاختلاط اغصانها وفي لفظ التحكيم اشارة الى انه يجب ان يكونوا هم الطالبين منك الحكم التسليم
اليك ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ضيقا صدرهم وقلقا ويسلموا وينقادوا للحكم تسليما انقيادا
ظاهرا روى مسلم والبخاري انها نزلت في الزبير ورجل من الانصار اختصما في شراج من الحرة فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال الانصاري لان كان ابن عمتك
فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اسق يا زبير حتى يرجع الماء الى الجدر وكان في الاول
امره بما كان فيه رفق لصاحبه فلما احفظ استوفى للزبير حقه والقول بان الخصم زبيرا حاطب بن
ابي بلتعة سهو لان حاطبا حليف قريش ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم كما كتبنا على بني اسرائيل
أو اخرجوا من دياركم تعرضا الى الاذى ما فعلوه إلا قليل منهم وقرأ ابن عامر الا قليلا وهم الكل
او الا فعلا قليلا كان ثانيهم وفيه توبيخ شديد حيث جعلهم اقل انقيادا من بني اسرائيل وهم خير
القرون من خيرانه وعن شريح بن عبيد لما نزلت اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبد الله بن
رواحة وقال هذا من ذلك القليل ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به اثره على يوعظون به اشارة
الى ان اوامره من قبيل الوعظ والنصح كدواء المريض الطبيب لكان خيرا لهم عاجلا واجلا وأشد
تثبيتا لدينهم او لما هو شبه من المال والمنال وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما علق على الجزاء
وزيادة اذن للدلالة على ان هذا الجزاء بعد ترتب السابق ويحتمل القسم اى اذن والله لآتيناهم
كما في قول الحماسي اذن لقام بنصري ولهديناهم صراطا مستقيما لا اعوجاج فيه اخره عن اعطاء
الاجر لان المقصود منه ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم مشتمل بقوله
اطيعوا الله واطيعوا الرسول وحديث المنافقين واعراضهم مستطرد وروت عائشة وابن عباس و
غيرهما رضي الله عنهم ان ناسا من اصحاب رسول الله شكوا اليه شدة حبهم اياه وخوفهم من فراقه في الجنة
فانه يرفع الى اعلى المنازل فنزلت من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بيان للمنعم
عليهم اربعة اقسام الانبياء الذين حازوا قصب السبق في مضمار السعادة جمعوا بين الكمال والتكميل
وهم الواسطة بين الله وبين عباده ثم العرفاء والاصحاب والصديقون المبالغون في الصدق كابي بكر

وعمر ومن نهج منهجهم رضي الله عنهم والشهداء الذين جادوا بارواحهم في اعلاء كلمة الله اخلاصا و
الصالحين الذين صلحت احوالهم مع الله وعباده لا الذين عرفانهم بالله بامارات واقناعات
لعدم الاعتداد بها في العقايد لاسيما في معرفة الله تعالى وحسن اولئك رفيقا الرفيق كالصديق يطلق
على المفرد والجمع والظاهر انه جمع حال او تمييز ويجوز ان يكون تمييزا مفردا قصد به بيان الجنس كالماء
والعسل ذلك الفضل من الله مبتداء وخبر على ان الجار والمجرور من تتمة الخبر حال منه او الفضل
وصف والجار والمجرور هو الخبر اي ذلك الانعام تفضل منه تعالى وفيه حث على التوخي في زمرتهم
وكفى بالله عليما بمن هو اهل لذلك يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم الحذر والحذر كالاثر والاثر
التيقظ والاحتراز جعل مأخوذا على طريقة الاستعارة بالكناية بيان رتبة الشهيد مما يحث على
المبادرة الى نيلها من عدة واسباب فاشار الى ان لقصد اعلاء كلمة الله واهوال اعدائه
وذلك بالاسباب والآلات فانفروا ثبات جماعات كالثبات جمع ثبة من تثبيت فلانا اذا ذكرت
مآثره او انفروا جميعا جيشا واحدا وكوكبة مجتمعة وان منكم لمن ليبطئن اللام الاولى
للابتداء دخلت على اسم ان لوقوع الخبر فاصلا والثانية جواب القسم والقسمية خبر ان وبطأ
بمعنى تبطأ والتشديد للتكثير والتعدية اي يتبطأ غيره ويدعوه الى التقاعد هذا كان حال المنافقين
كما فعل عبد الله بن ابي يوم احد الخذل مع ثلثمائة فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله علي
اذ لم اكن معهم شهيدا بعد ذلك من نعم الله عليه ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن كأن
لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين القول ومفعوله وهو يا ليتني كنت معهم يشتمل على التهكم
لان تشبيه حالهم بحال عديم المودة يشعر بثبوت المودة بينهم ومعلوم انه لا مودة لان الكلام
في بيان نفاقهم وجعله داخلا تحت القول بان يقول المنافقون لضعفة المسلمين كأن لم تكن
بينكم وبين محمد مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز يبعد عن المقام بل هو واقع جزما و
قرأ ابن كثير وحفص تكن بالتاء والتذكير احسن لوجود الفاصل فافوز فوزا عظيما عدوا لما بينا
من سهم الغنيمة فوزا عظيما لقصور نظرهم على حطام الدنيا فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون
الحيوة الدنيا بالآخرة يشترونها ويختارونها على الآخرة حث للمبطئين على التشمير والخوف
بالفاء في الفاء للتعقيب او حث للمؤمنين على القتال وان لا يبالوا بالمنافقين والفاء جواب
شرط مقدر والمعنى ان بطأ هؤلاء المؤثرون للحيوة الدنيا فليقاتل في اعلاء كلمة الله الذين
باعوا الحيوة الدنيا واشتروا بها الآخرة ومن يقاتل في سبيل الله كائنا من كان فيقتل او يغلب
قدم القتل مع ان قصد المقاتل الغلبة تشجيعا لنفور النفوس منه فسوف نؤتيه اجرا عظيما لا يجهله
الا علام الغيوب وما لكم مبتداء وخبر اي اي شيء ثابت لكم لا تقاتلون في سبيل الله حال كونكم غير مقاتلين
في سبيل الله والمستضعفين وسبيل المستضعفين وهو استخلاصهم من ايدي المشركين او نصب على
الاختصاص لان سبيل الله يشمل ابواب البر كله فيه وتخص من ذلك الخلاص هؤلاء الضعفة من الرجال
والنساء والولدان بيان للمستضعفين على وجه الترقي من الادنى الى الاعلى لانه اذا كان مستضعفا فالاولى
اولى وذكر الولدان للدلالة على فرط ظلمهم حيث عذبوا الاطفال الذين هم محل الرأفة والترحم

الرأفة والترحم وقيل الولدان العبيد والاماء لاطلاق الوليد عليهما ويجمع على الولدان والوجه
هو الاول لما روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه كنت انا وامي منهم الذين يقولون ربنا اخرجنا
من هذه القرية الظالم اهلها هي مكة شرفها الله وصفت بوصف اهلها واجعل لنا من لدنك
وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا فاستجاب الله دعاءهم فخرج من خرج وفتح الله مكة على رسوله
فجاءهم خير ولي وخير ناصر من غير كلفة ومشقة وليس الذي يستتبع الفطر واياه نكحا في داره
والا لقيل فخرج بعد فتح مكة الى هوازن وهو غزوة حنين وولى عتاب بن اسيد واليا على اهل مكة
وكان سنه ثماني عشرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت اسيدا في الجنة وكان مات
مشركا فاولته بابنه الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله ترغيب للمؤمنين بان قتالهم في الله لا لحاجة
المشركين واماطة للاذى عن سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت في طريق
الشيطان الموصل الى النار فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا غاية الوسوسة
والكذب كان يوم بدر مع المشركين وقال لا غالب لكم اليوم من الناس فلما رأى امداد الملائكة
نكص على عقبيه وقال اني ارى ما لا ترون الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم عن القتال واقيموا
الصلوة وآتوا الزكوة كان المفروض بمكة من الاحكام الصلوة والزكاة بمعنى مواساة الفقراء
والمساكين ومقاديرها بينت بالمدينة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مأمورا بترك التعرض
للكفار بقوله دع اذاهم واصبر ونظائرهما فجاء عبد الرحمن بن عوف واناس من الصحابة يستأذنون
في القتال فلم يأذن لهم فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله
كاهل خشية الله اي حال كونهم متشبهين بهم او اشد خشية عطف على الحال والمعنى يخشون الناس حال
كونهم اشد خشية من اهل خشية الله فالتفاضل بين خشيتي الفريقين ولا يجوز ان يكون اشد
صفة مصدر محذوف لان الخشية الموصوفة بالاشد يلزم ان يكون نوعا من سائر الخشيات والخشية
ولا يستقيم الا على طريقة جد جده وقد تقدم مستوفي في فاشد قسوة في البقرة وقالوا ربنا لم كتبت
علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب زيادة توبيخ حيث لم يكتفوا بما في ضميرهم من الخوف بل
اظهروا التضجر قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى فلم تطلبون الامهال على ذلك القليل
ولا تظلمون فتيلا اي ولا ينقص من ثوابكم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بياء الغيبة والخطاب
على الالتفات ابلغ في التسلية اينما تكونوا يدرككم الموت في اي مكان كنتم ولو كنتم في بروج مشيدة
في قصور مرتفعة حصينة وعن السدي في بروج السماء واذا كان الموت امرا محتوما وقدرا مقدورا
فلا وجه لطلب تأخير القتال لان الاقدام في القتال لا يدنيه ولا الاحجام يقصيه وان تصبهم حسنة
يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك الضمير للمبطئين وما في البين
مستطرد لترغيب المؤمنين وقيل نزلت في اليهود قالوا منذ قدم محمد غلت الاسعار ونقصت الثمار
والحسنة تطلق على الطاعة والنعمة وكذا السيئة على الاثم والبلية والمراد بهما الخصب والقحط ونحوه
الاصابة والحسنة كثيرة الوقوع وكان الظاهر اذا وانما ان للدلالة على انهما حقا باذ تتوالى
عليهم النعم قل كل من عند الله يبسط ويقبض فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا شيئا من الحديث

اوحديثا كاملا في البيان والبلاغة وهو القرآن احسن الحديث الناطق بان الامر كله لله ولا واسطة
في احكامه ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك لانها الواسطة في ايجاده
وان كان من عند الله ايجادا وخلقا والخطاب عام والاحسن ان يكون الخطاب لرسول الله دلالة على انه
مع زكائه عن الذنوب وقربه من الله اذا كان كذلك فالغير اولى وعن بعض العارفين اذا عصيت الله علم
من خلق دابتي وارسلناك للناس رسولا الجار يتعلق برسولا اي للناس كافة فلا ينبغي ان يخرج احد
من طاعتك وفيه اشارة الى تعكيسهم حيث تشاءموا بالرحمة المرسلة وجالب خير الدارين وكفى
بالله شهيدا على رسالتك بان ايدك بمعجزات ظاهرة وآيات باهرة دالة على صدق دعواك
من يطع الرسول فقد اطاع الله بالغ في الحث على اتباعه بجعل طاعته طاعته ثم حذر بقوله
ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا رقيبا تحفظ لاحوالهم ما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا
ويقولون طاعة امرنا او شأننا طاعتك فاذا برزوا من عندك ظهروا بيت طائفة منهم
غير الذي تقول دبر امرا آخر من بيت الامر اذا دبره بالليل لان تجمع الآراء والخواطر فالفكر فيه
اصوب وادغم التاء في الطاء ابو عمرو وغيره لقرب المخرج والله يكتب ما يبيتون علام الغيوب
او كتب تبييته ادل على كمال اعتنائه بمجازاة فاعله والاسناد مجاز لانه الآمر وما موصولة او مصدرية
ابلغ فاعرض عنهم وتوكل على الله فوض امرك اليه وكفى بالله وكيلا موكولا اليه ولا ينافي هذا
لبس آلات الحرب وسائر مكايد القتال لانها اسباب دافعة لوساوس الشيطان افلا يتدبرون
القرآن فيستدلون به على رسالتك لانه كلام فوق طوق البشر صادر عن امي لم يتعاط كتابة
وقريضا وخطبا والتدبر التصرف في دبر الشيء وعواقبه والفكر النظر في مقدماته وسوابقه
ثم استعمل في كل تأمل ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا بان يوجد فيه
موضع طعن يدركه ارباب البلاغة ولم يقع ذلك مع انه نزل منجما بين اقوام حراص على القدح
فيه ومعنى بان يوجد فيه نقل يخالف لما في زبر الاولين مع احتوائه على احوال المبدأ والمعاد
واحكام النشأتين اصولا او فروعا وما قيل لو كان من عند غير الله لكان مختلفا بعضه بالغا حد
الاعجاز وبعضه قاصرا عنه بناء على الفرض اي لو فرض وقوع معجز فيه لكان في البعض خاصة
او يكون ماخوذا من كلام الله على طريق الاقتباس ونحوه واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به
ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم عطف على ويقولون طاعة وقوله افلا يتدبرون القرآن
اعتراض يحذر عن اعتضاد لما يخالف الظاهر وان في تدبر القرآن ما يحل الطاعة المنزل عليه
وضمير هم لبعض ضعفة المؤمنين لا ضمير يقولون بعض المبيت وغيره وكان هؤلاء اذا بلغهم من
سرايا رسول الله امر يسر او يحزن بادروا الى اذاعته واشهاره فيقع بذلك مفاسد ولو القوا
ذلك الخبر بعد سماعه الى رسول الله وذوي التجارب لعلمه الذين يستنبطونه منهم اي يستخرجون
تدبيره بافكارهم الثاقبة من استنبط الماء اذا اخرجه من البئر بكدح ومشقة وقيل كانوا
اذا وقفوا على امر من الامن او الخوف من رسول الله واطلعوا عليه من جهته اذاعوه وكان في ذلك
مفاسد ولو سكتوا عنه كانهم لم يسمعوا لعلمه المستنبطون كيفية تدبيره ولما اشاعوا ان رسول الله

ان رسول الله طلق نساءه سأله عمر هل طلقت نساءك قال لا فقال عمر انا من الذين يستنبطونه وقيل
كانوا يسمعون امرا من الامن او الخوف من افواه المنافقين ويردونه الى الرسول والى اولي الامر عدم
اذاعته الى ان يسمعوه منهم فالمستنبطون هم المذيعون لاستعلامهم الخبر من الرسول والى الامر
فمن على هذا ابتدائية وعلى الاولين بيانية تجريدية او تبعيضية ولولا فضل الله عليكم
ورحمته ايها المؤمنون بارسال الرسول لاتبعتم الشيطان الا قليلا منكم يوفقه الله بعلم
من لدنه كزيد بن نفيل موحد الجاهلية لم يسجد لصنم ولم ياكل ذبيحة المشركين قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثناء عليه يحشر يوم القيامة امة وحده والتمثيل بورقة بن نوفل سهو لانه
ادرك رسول الله وآمن به واخبره بانهم يستخرجونه من مكة ويعادونه وتمنى ان يدرك
ذلك اليوم رواه البخاري او المعنى ولولا فضل الله عليكم ايها الرسول والمؤمنون لاتبعتم
الشيطان بالاصغاء الى المثبطين في ترك القتال الا قليلا هو الرسول والمستنبطون و
هذا انسب بالمقام وفيه احما وحالا لافوتا وتحريك لحمية الضعفاء واذا وقفت ايها الرسول
هذا التوفيق من تجنب اتباع الشيطان واوتيت هذا الفضل فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا
نفسك الا فعل نفسك وحرض المؤمنين بما اعد الله من الاجر لمقاتل في سبيله عسى الله ان
يكف بأس الذين كفروا من قريش وقد فعل فان ابا سفيان واعد رسول الله يوم احد ان يلقاه
في القتال ببدر فالقى الله الرعب في قلبه فلم يجسر على المجيء والله اشد بأسا من كل ذي بأس واشد
تنكيلا تعذيبا كالدوام لاول من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها من اجرها الشفاعة
من التشفع لان الشافع يضم نفسه الى ذي الحاجة والحسنة ما كانت لدفع مفسدة دينية او جلب
مصلحة كذلك ومن يشفع شفاعة سيئة ما يجلب وزرا يكن له كفل منها من وزرها والكفل المثل
من الكفالة وهي القيام بمثل ما على الغريم اي لا تجزي السيئة سيئة مثلها بخلاف الحسنة
فان الاجر فيها مضاعف وكان الله على كل شيء مقيتا مقتدرا من اقات على الشيء اقتدر قال
زبير بن عبد المطلب وكنت على اساءته مقيتا اشتقاقه من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها
واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها اردف الشفاعة التي هي من حقوق المسلمين بما هو
افضل منها وهو السلام روى البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل اي الاسلام افضل
قال ان تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف وروى عن سلمان الفارسي
قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله
ثم جاء آخر فقال السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ثم جاء آخر
فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقال
الرجل يا رسول الله زدت فلانا فقال انك لم تدع شيئا وقال الله تعالى او ردوها فرددناها عليك
ابتداء السلام سنة ورده فرض وهذا مما يستطرف يقال سنة افضل من الفرض وله مواضع
يستثنى فيها تركه كالخلاء والحمام والصلاة فان سلم لا يستحق الجواب ومن آدابه ان يسلم الماشي
على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر

وابتدائه من واحد كاف وكذا الرد إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا محاسبا مجازيا عليه حث على محافظة
فانه مما يتساهل فيه اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ مبتداء وخبر او لا اله الا هو اعتراض يؤكد معنى الالوهية
والخبر لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ واللام جواب قسم محذوف تعليل لما قبله وعدى بالى لتضمين معنى
الحشر لَا رَيْبَ فِيهِ اى في يوم القيمة حال من اليوم او في الجمع صفة مصدر وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا
اى لا احد لان الكذب للضرورة او الجهل بقبحه وعدم العيوب والغنى المطلق محال في حقه تعالى عن ذلك
علوا كبيرا وقرء حمزة والكسائي باشمام الصاد زايا لان الصاد مهموس والدال مجهور فقرب بينهما
بجعله من الزاء فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ نصب على الحال كقولك مالك قائما اى اى شيء ظهر لكم
من امارات الايمان حتى افترقتم في شأنهم روى الامام احمد عن زيد بن ثابت انها نزلت في الذين تخلفوا
يوم احد ثلثمائة رجل وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوم تكلموا بالاسلام بمكة وخرجوا مظاهرين
للمشركين وقيل في قوم هاجروا ثم استأذنوا رسول الله في البدو ولاجتواء المدينة فلحقوا
بالمشركين وقيل في العرنيين قتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا سرحه ولا
يصح لانهم قتلوا في ذلك اليوم بل قطعت ايديهم وارجلهم وسمرت اعينهم والقوا في
الحرة حتى ماتوا عطشا وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا ردهم الى الكفر بما كسبوا من اسبابه من الركس
وهو رد الشيء مقلوبا والجملة حالية تؤكد معنى الانكار ولذلك امتد بقوله أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا
مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ جعل ترددهم في ايمانهم بعد ظهور نفاقهم بمنزلة الارادة لما اراد الله ضلاله وَمَنْ
يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا الخطاب لرسول الله لانه ارسل رحمة للعالمين فاذا لم يقدر هو فغيره
بالاولى وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً في الكفر والتمني استيناف لبيان بعدهم
عن الاهتداء فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا توالوهم حتى يظاهروا الايمان
بهجرة خالصة في الجهاد معكم او من مكة فَإِنْ تَوَلَّوْا اعرضوا عن ذلك الايمان فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ
حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ في الحل والحرم اذ لا فرق بينهم وبين سائر المشركين وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا
نَصِيرًا لينقطع الحبل بينكم من كل وجه زيادة على سائر الكفار لانهم اخبث الكفرة ولذلك بالغ بتكرير
النهي وتنكير المفعول وتكرير إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ استثناء من قوله
فخذوهم واقتلوهم لا من لا تتخذوا منهم وليا لان اتخاذ الولي حرام بلا استثناء بخلاف القتل والقوم
هم الاسلميون سيدهم هلال بن عويمر كان بينه وبين رسول الله عهد سنة الفتح ان لا يعينه ولا يعين
عليه ومن يصل اليه ولجأ اليه فله الجوار وقيل هم بنو بكر بن مناة أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ
قد حصرت في محل الحال والعطف على الصلة اى او الذين كفوا عن قتالكم دلالة على ان الكافة
عن القتال احد سببي عدم التعرض كالاتصال بالمعاهدين ويجوز عطفه على الصفة وهي بينكم
وبينهم ميثاق والمعنى او الذين يصلون الى قوم حصرت صدورهم فان المتصل بمن كف حكمه
والاول اوجه لان المتصل بالكاف كاف فلا وجه لالحاقه به بخلاف المتصل بالمعاهد ولان
قوله فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم تقرير للكف لا للاتصال ولان هؤلاء بنو مدلج سيدهم سراقة
بن مالك جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسال ان يوادع قومه فان اسلم قريش اسلموا فبعث معه

فبعث معه خالد بن الوليد فصالحهم على ان لا يعينوا رسول الله ولا يعينوا عليه وان اسلمت
قريش اسلموا أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ لان كراهته قتال الفريقين علة لحصر الصدور
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ بان يقوى قلوبهم على قتالكم فَلَقَاتَلُوكُمْ فيه استئناف وتوكيد
للكف عنهم بعد كفهم ولذلك امتد بقوله فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ بعد ذلك الاعتزال
وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا للتعرض بوجه سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ
أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ هؤلاء منافقوا الاعراب حول المدينة غطفان وبنوا عبد الدار
وبنوا اسد كانوا اذا قدموا المدينة اظهروا الايمان واذا رجعوا الى قومهم كفروا كُلَّمَا
رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ كلما دعوا الى الشرك او قتال المسلمين أُرْكِسُوا فِيهَا قلبوا فيها شر قلب
لان الواقع في الحفرة منكوسا شر من الواقع سويا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ فحارب وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ
السَّلَمَ الانقياد ظاهرا اشارة الى عدم ايمانهم باطنا وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ عن قتالكم فَخُذُوهُمْ
وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ في اى مكان تمكنتم منهم ابلغ من قوله حيث وجدتموهم لان الثقافة
في الاصل الخفة والحذق وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا حجة واضحة لانكشاف
حالهم وعظم جرمهم وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ما كان من شيم المؤمن ولخلوته
قتل اخيه المؤمن في شيء من الاحوال ولعلة من العلل وقتلا بوجه الا في حال الخطاء او
للخطا ولا يلزم منه جواز القتل خطأ شرعا نزلت في عياش ابن ربيعة اخي ابي جهل لامه قتل
الحرث بن زيد العامري خطاء وذلك ان عياشا اسلم قبل الهجرة وهاجر الى المدينة فحلفت
امه لا تاكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحرث فوجداه
في اطم فقال له ابو جهل اليس محمد يامر بصلة الارحام صل امك وانت على دينك فلم يزل
به حتى انزله فلما فسحا به عن المدينة كتفاه وضربه كل منهما مائة جلدة فقال لهذا اخي فمن
يا حارث لله على ان تمكنت منك ان اقتلك فقدم على امه فحلفت ان لا تحل كتافه حتى يكفر
فارتد ثم هاجر ثانيا وهاجر بعده الحارث فلقيه عياش بقباء ولم يدر باسلامه فقتله و
القتل الخطاء ان لا يقصد الفعل او الشخص او يقصد بما لا يزهق غالبا او يقصد ولا يكون
مكلفا وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فعليه او واجبه اعتاق نفس مؤمنة و
عن ابن عباس رضي الله عنه لا تصح الا اذا صلت وصامت والتحرير جعل الشيء حرا وهو في
الاصل الكريم الخالص من العيب واطلاق الرقبة من اطلاق الجزء الذي لا يوجد الكل بدونه
عليه اثره لانه محل الزينة في الانسان كقوله المؤذنون اطول اعناقا يوم القيمة وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ
إِلَىٰ أَهْلِهِ الى ورثته فان الدية ميراث لما روى الضحاك بن سفيان الكلابي كتب الي رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان اورث امرأة اشيم الضبابي من دية زوجها وهذه الدية على العاقلة لخمسة
لما روى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بها على العاقلة
فان لم توجد عاقلة فعلى بيت المال لما روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه لما قتل خالد
بن الوليد بني جذيمة خطأ بعث رسول الله عليا فوداهم وكذا اذا لم يكن للميت وارث فالدية

بيت المال إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا اي الا ان يعفوا اهل الميت عن الدية عبر عنه بالصدقة فحثا عليه ولانه
كل معروف صدقة والاستثناء من اعم الاحوال فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ
رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ اي ان كان المقتول مؤمنا واهله كفرة محاربون فلا وراثة بين المؤمن والكافر
فالواجب التحرير لانه حق الله لا يسقط اتلف نفسا فعليه احياء لجزء لان الرق موت معنى و
العدو في الاصل مصدر واطلق على الجمع وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ
إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ اي وان كان المقتول من اهل الذمة او من قوم معاهدين فالحكم
في الدية والتحرير حكم المسلم في اصل الوجوب لا في الكمية فان دية الذميين والمعاهد ثلث دية
المسلم وقدم الدية هنا والتحرير في المسلم لان اهل الذمة ضعفة ربما يطمع فيهم والتحرير
حق الله لا طالب له ربما يتساهل فيه وحمل الشافعي الرقبة المطلقة في سائر الكفارات على المؤمنة
هنا على اصله من حمل المطلق على المقيد مطلقا فَمَنْ لَمْ يَجِدْ الرقبة بان لم يجدها ولا ما يتوصل
به اليها فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ قيد التتابع تغليظ عليه فان افطر فعليه الاستئناف
تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ مفعول له لمقدر اي شرع ذلك وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا باحوال العباد حَكِيمًا في شرع الاحكام
على الوجه المذكور ولم يوجب القصاص على الخاطئ خطأ ولم يهمل شان المقتول رأسا وشرع الدية
والتحرير رعاية لحق الله وحق العباد وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ
عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا اي جزاؤه ذلك والاولى بقوله الا ان الله يغفر ما دون الشرك
لمن يشاء او محمول على الاستحلال توفيقا بين الادلة وعلى هذا اجماع الصحابة وروي عن ابن عباس
رضي الله عنه خلافه ثم روى الترمذي والنسائي وابن ماجه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لزوال الدنيا اهون على الله من قتل مسلم وروى الترمذي عن ابي هريرة وابي سعيد رضي الله عنهما
لو ان اهل الدنيا اشتركوا في دم مسلم لاكبهم الله في النار وروي ايضا عن ابن عباس رضي الله عنه
ان المقتول يأتي يوم القيمة واوداجه تشخب وما يقول يا رب سل هذا لم قتلني فيدينه الله
حتى يدنيه من العرش يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا بالغوا في الكشف والا
حتى لا تقعوا في محذور وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الثاني فتثبتوا بالثاء من الثبات عدم العجلة في
قتل من يزعم في دار الحرب ربما كان مسيرا اسلاما ولا تقبلوا قول كل مخبر وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ
السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه كان رجل في غنم له فلحقه المسلمون فقال
السلام عليكم فقتلوه واخذوا غنمه فنزلت فقرأ نافع وابن عامر وحمزة بقصر السلام بمعنى الانقياد
والطاعة وهو المختار لانه مناط حقن الدم وعليه الرسم تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لا اعلاء كلمة الله
فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ له خزائن السموات والارض اطلبوا الرزق من وجه آخر كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ
عن عينه يهيب بالايمان تابعي العدم فيه فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بالثبات والرسوخ فيه فَتَبَيَّنُوا كرره تاكيدا
روى البخاري ومسلم ان سرية اغارت على فدك فرأى رجلا في غنم فشد عليه اسامة بالسيف فقال
لا اله الا الله فلم يرجع عنه فقتله فاخبر بذلك رسول الله فشق عليه وقال كيف بك اذا جاء يوم القيمة
ولا اله الا الله معه قال انما قالها خوفا من السيف فقال هلا شققت قلبه قال اسامة ما زال

ما زال يكررها حتى تمنيت اني لو اسلمت ذلك اليوم إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا عالما بقصدكم لَا
يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الامر بالتثبيت يوقع في الوهم التقاعد عن الجهاد فحث على المبادرة
اليه والجار والمجرور في محل الحال غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ ذوي العاهات من العمى والمرض والعرج وغيرها
روى البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم املى علي لا يستوي القاعدون
من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله ونحن على فخذي فجاء ابن ام مكتوم وهو يمليها فقال لو استطيع
الجهاد لجاهدت فثقلت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترض فخذي ثم سري عنه فقال اكتب غير اولي الضرر
قال زيد كأني انظر الى ملحقها عند صدع الكتف وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة غير اولي بالرفع على
الوصف لان القاعدون لا توقيت فيه والاخبار بعدم التساوي مع كونه معلوما باوائل العقول
لا ذكار ما بينهما من التفاوت هز العطف السامع ليأنف من التقاعد مثله هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ اي في اعلاء كلمته فَضَّلَ اللَّهُ
الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً استئناف لبيان عدم التساوي وانتصاب
درجة بنزع الخافض او على المصدر وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى كلا من المجاهد والقاعد المنزلة
الحسنة وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا نصب على المصدر لتضمن فضل معنى اجر دَرَجَاتٍ
مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً بدل من اجرا او نصب درجات على المصدر كقوله ضربته اسواطا كانه
قيل فضلهم تفضيلات ونصب مغفرة ورحمة باضمار فعلهما وانما كرر جزاء المجاهدين اعتناء لكون
الجهاد سنام الدين وافرد الدرجة اولا وجمعه ثانيا اشارة الى ان التنكير للتعظيم فهي في المعنى
درجات او الاولى درجتهم عند الله والثانية مراتبهم في الجنة او الدرجة في الدنيا من الغنيمة
والذكر الجميل والدرجات في الاخرة ولذلك اردفه بالمغفرة والرحمة او الدرجة لمن جاهد بالمال
والنفس والدرجات لمن ربط نفسه على الله او الدرجة للجهاد الاصغر والدرجات للاكبر وهو جهاد
النفس على ما روي عنه انه قال في انصرافه من تبوك رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر
وربما قيل ان المفضلين درجة هم المفضلون على القاعدين اولي الضرر والمفضلون درجات المفضلون
على من تخلف من غير ضرر اكتفاء بغيرهم لان الجهاد فرض كفاية ففيه ان اولي الضرر لا ينقص اجرهم
دل عليه الاستثناء كما اذا قلت لا اساوي بين زيد وعمرو في العطاء الا اذا كان عمرو فقيرا ولما روى
البخاري عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم
واديا الا كانوا معكم قالوا وهم بالمدينة قال نعم حبسهم العذر وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا لما فرط منهم
رَحِيمًا ولذلك اجزل لهم الاجر إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ يحتمل الماضي والمضارع هؤلاء قوم اقاموا
بين المشركين حين كانت الهجرة واجبة ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ بعدم الهجرة قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ اي قال الملئكة في اي
شان كنتم حيث لم تهاجروا توبيخا لهم قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ارض مكة قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ
أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا كما هاجر اقرانكم فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ دل على انهم كاذبون
في الاعتذار عن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في طائفة منهم قتلوا يوم بدر خرجوا مع المشركين وَ
سَاءَتْ مَصِيرًا اي جهنم إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً

من الزاد والراحلة ولا يهتدون سبيلا لا معرفة لهم بالطريق ولا يظفرون بالرفيق صفة للمستضعفين
مع عطف عليه لعدم التوقيت فيه وانما ادخل الولدان في حكم الرجال والنساء مع انهم لا يستحقون
الوعيد وان استطاعوا لعدم التكليف مبالغة في شأن الهجرة وايهاما بان غير المكلف لو استطاع
لوجب عليه وانباء الى ان بعد البلوغ لا محيص عنها فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم دل بذكر عسى
والعفو على التضييق في ترك الهجرة بان من لم يجب عليه يجب ان يعد تركها ذنبا يحتاج الى العفو المرجو
وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض
مراغما كثيرا وسعة اى طريقا واسعا واتساعا في الرزق ترغيب في الهجرة قال النابغة كطود يلاذ
باركانه عزيز المراغم والمذهب او طريقا يراغم بسلوكه قومه اى يفارقهم على رغم منهم
يقال راغم فلان قومه اذا نابذهم مغاضبة من الرغام بالفتح وهو التراب ومن يخرج من بيته
مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت نزلت في حكم بن حزام الاسدي وعن ابن عباس رضي الله
نزلت في ضمرة بن جندب لما سمع قوله تعالى لا يستطيعون حيلة فقال للاولاد احملوني على السرير
وكان شيخا كبيرا لا يستمسك على الراحلة فلما بلغ التنعيم ادركه الموت فصفق بيمينه على شماله
وقال اللهم هذه لرسولك وهذه لك ابايعك على ما بايعك عليه رسولك فقد وقع اجره على
الله وايثار قد ولفظ الوقوع وعلى الدالين على اللزوم وابهام الاجر والتعبير عنه بالاجر
دون الثواب والاسم الجامع شأن في المبالغة ليس بالخفي وكان الله غفورا لما فرط منه
رحيما حيث جعل قاصد الفعل كفاعله واذا ضربتم في الارض ضرب في الارض سار فيها لطلب
الرزق ثم اتسع فيه فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة الرباعية باسقاط ركعتين
ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا اخارج مخرج الغالب اذ كانت اسفارهم غزوات وسرايا ولما
روى مسلم عن يعلى بن امية سألت عمر بن الخطاب ما لنا نقصر وقد امن الناس فقال عمر رضي الله
عنه عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق الله عليكم فاقبلوا
صدقته ورواه الترمذي والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج
من المدينة لا يخاف الا رب العالمين يصلي ركعتين الى مكة استدل الشافعي رحمه الله بقوله لا جناح
عليكم في جواز الاتمام وبما روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قصر واتم كل ذلك فعل وشرط ان يكون سفرا مباحا لقوله في المضطر غير متجانف لاثم فاذا اشترط
جواز اكل الميتة لابقاء المهجة بعدم العصيان فالقصر اولى بذلك واستدل ابو حنيفة رحمه الله
على اطلاق السفر باطلاق الآية وعلى كون القصر عزيمة بما روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله
عنها فرضت الصلوة ركعتين ركعتين فاقرت صلوة السفر لما هاجر رسول الله وزيد في صلوة
الحضر وبهذا يسقط ما قيل ان القصر في الاحوال كالايماء والتخفيف دون الكم ان الكافرين
كانوا لكم عدوا مبينا علة للتخفيف واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة تعلق بظاهره من لم
يجوز صلوة الخوف بعده والصواب خلافه لانه اذا جازت مع وجوده فبدونه اولى فلتقم
طائفة منهم معك مصلين معك وليأخذوا اسلحتهم اى المصلون امر ندب وقيل امر وجوب

امر وجوب فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم اى الساجدون للحراسة ولتأت طائفة اخرى
لم يصلوا فليصلوا معك استدل به مالك على ان الطائفة تتم صلوتها ثم تذهب الى وجه العدو
والكل صواب لانه صلى بعسفان وبذات الرقاع وببطن النخل مختلفا وقد روى عند الامام احمد ست
طرق في كيفيتها وليأخذوا حذرهم واسلحتهم جعل الحذر ملحوظا لتنزيله منزلة الآلة وانما
ضم اخذه الى الاسلحة هنا دون الاول لان حال الصلوة وقت انتهاز الفرصة فامروا بكمال التحفظ
ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة استئناف
تعليلا للامر بالتحفظ ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم
دفعا للاذى ورفع الجناح ربما يؤيد ان الامر الاول للوجوب وخذوا حذركم لئلا يهجم العدو
ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا تقوية لقلوبهم واشارة الى ان الامر باخذ الحذر والاسلحة
لكونهما نوعا من العبادة والاعتصام انما هو بعصمة الله تعالى فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله
قياما وقعودا وعلى جنوبكم اذا اردتم اداءها استدل به الشافعي رحمه الله على وجوب الاداء
حال المسايفة والمقارعة وحمل قوله فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلوة على حالة الامن او اداء ما
معدلة الاركان وايثار الفاء دون ثم لعدم التراخي بين الخوف والامن والمعنى عند ابي حنيفة
رحمه الله اذا صليتم صلوة الخوف فداوموا على ذكر الله في الاحوال كلها كقوله يا ايها الذين
امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا وقوله فاذا اطمأننتم عطف على واذا ضربتم
في الارض وذكر صلوة الخوف مستطرد لتقدم ذكر الخوف في صلوة السفر ان الصلوة كانت
على المؤمنين كتابا موقوتا مكتوبة مقيدة بوقت لا يجوز تأخيرها عنه كسائر الموقتات يؤيد
ما ذهب اليه الشافعي من وجوب الاداء حال المسايفة وقيل موقوتا مفروضا لان الوقت
من لوازمه اما مضيقا او موسعا ولا دلالة فيه على ان الكفار غير مكلفين بالفروع بل هو كقوله
هدى للمتقين ولا تهنوا في ابتغاء القوم بعد التخفيف عنهم اشتد تخفيف حثهم على النهوض بهم
بجعل ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون اى اذا ساويتم بالهم
في الالم ولكم رجاء النصر عاجلا والثواب آجلا فالواجب عليكم المبادرة لظهور الرجح نزلت في
بدر الصغرى تثاقل بعضهم عن الخروج لما كان بهم من الجراح والوهن وكان الله عليما باحوالكم
حكيما في كل ما دبر وامر انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اريك الله كان الكلام
في شأن المنافقين وتخلفهم عن الجهاد فوقع الكلام في احكام السفر استطرادا ثم عاد الى استيفاء
احوالهم روى العوفي عن ابن عباس رضي الله عنه انها نزلت في طعمة بن الابيرق احد بني ظفر
سرق درعا وجرابا فيه دقيق من قتادة بن النعمان واودعه عند زيد بن السمين اليهودي
وكان قد انتثر الدقيق من الجراب في الطريق فلما اصبحوا اتبعوا الدقيق فوجدوا الدرع عند
اليهودي فقال اليهودي اودعنيه طعمة فانكر طعمة فاحتكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فبادر اخو طعمة بشر وبشير ومبشر وقالوا يا رسول الله ان لم تجادل لنا تفتضح مع اليهود وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة اعتنائه بشأن المؤمنين احب ان يظهر الحق لطعمة دون اليهودي

لانه هم بالجدال باطلا متبرّا من ذلك وكونه هذا قوله ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم
نوعنه قربا الركون الذي هو الميل اليسير فضلا عن وقوع الميل والنهي عن الشيء لا يستلزم
سبق وجوده فان قلت فما وجه قوله واستغفر الله مقرونا بلا تجادل قلت كونه يوهم ظهور
الحق لاحد الخصمين دون الآخر مع استواء نسبة الكل اليه وعلو شأنه واعتلائه غبار التهمة
بعد منه امرا موجبا للاستغفار الا ترى الى قوله انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم
مائة مرة **ولا تكن للخائنين خصيما** عطف على مقدر اي فاحكم بما امرت ولا تكن **واستغفر الله**
عن ذلك الخاطر **ان الله كان غفورا رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم** كانا من
ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما كثير الخيانة مؤمنا كان او كافرا وايثار صيغة المبالغة
لان الله كريم لا يؤاخذ على القليل وفيه اشارة الى كثرة خيانة طعمة جيء عمر بن الخطاب رضي الله
بسارق فامر بقطع يده فقالت امه اعف عنه يا امير المؤمنين فانها اول سرقة سرقها فقال
كذبت ان الله لا يؤاخذ اول مرة روي ان طعمة هرب الى مكة مرتدا فدخل حائطا ليسرق فوقع
عليه الحائط فمات تحت الهدم عليه لعنة الله **يستخفون من الناس** ولذلك يأمرونك بالجدال
باطلا **ولا يستخفون من الله** وهو احق بالحياء **وهو معهم** عالم بحالهم **اذ يبيتون ما لا يرضى
من القول** من رمي البريء بالخيانة وتبرئة الخائن التبييت التدبير بالليل لان الوقت فيه اخلى
والرأي اصفى **وكان الله بما يعملون محيطا** لا يخفى عليه منه شيء **ها انتم هؤلاء** الهاء
للتنبيه وانتم واولاء مبتدأ وخبر اي انتم الموصوفون بالوصف العجيب ثم بينه بقوله **جادلتم
عنهم في الحيوة الدنيا** فرضا وتقديرا او قيل الخطاب لقوم طعمة ويرده قوله **فمن يجادل
الله عنهم** اي عن طعمة وقومه **يوم القيمة** اذا اخذهم العذاب **ام من يكون عليهم وكيلا** حفيظا
ومحاميا **ومن يعمل سوءا** ذنبا يسوء به غيره **او يظلم نفسه** بذنب بينه وبين الله وقيل هو الشرك
لقوله ان الشرك لظلم عظيم **ثم يستغفر الله يجد الله غفورا** لذنبه فان قلت حق العبد لا يسقط
بالاستغفار قلت المراد من الاستغفار التوبة بشرائطها ومنها استحلال صاحب الحق الغير او الاداء
وايضا لا يلزم اداء حق الغير من ماله او عمله بل اما ان يؤديه من خزائن كرمه ان قبل توبته
ورضي عنه دلت عليه الاحاديث الصحيحة دلالة ظاهرة **رحيما** متفضلا و يبدل سيئاته
حسنات **ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه** لا يتعداه وباله **وكان الله عليما** باحوال العباد
حكيما لا يؤاخذ احدا بذنب غيره **ومن يكسب خطيئة** صغيرة اسم للخطأ بكسر الخاء **او اثما** كبيرة
ثم يرم به بما كسب او بالاثم او باحد الامرين **بريئا** عنه **فقد احتمل بهتانا** ذنبا بهت به **واثما
مبينا** ذنبا واضحا **ولولا فضل الله عليك ورحمته** بالعصمة **لهمت طائفة منهم ان يضلوك**
لا تهمهم في اضلالك **وما يضلون الا انفسهم** لان وباله عايد اليهم **وما يضرونك من شيء**
اقل قليل لان الله تعالى يعصمك من الناس **وانزل الله عليك الكتاب** القرآن **والحكمة** علم الشرائع
استيناف عليه واشارة الى انه بعيد عما راموه من الاضلال **وعلمك ما لم تكن تعلم** بما لا يمكن
علمه بالكسب والنظر كاحوال المعاد وسائر المغيبات التي اخبر بها **وكان فضل الله عليك عظيما**

عظيما اذ لا فضيلة فوق المعرفة وقد خصك بالحظ الاوفر وقد آتيناك من لدنا علما قال رأيت
ربي في احسن صورة فقال لي فيم يختصم الملأ الاعلى قلت لا اعلم فوضع كفه بين كتفي فعلمت
ما بين السماء والارض فقلت يختصمون في الكفارات والحدود **لا خير في كثير من نجواهم** مما
يتروون به تقبيح لما تشاوروا به وتبيين فاضلوا له بالمجادلة **الا من امر بصدقة** الا نجوى من امر
بصدقة ففي نجواه خير **او معروف** امر معروف فلما روى البخاري الامر بالمعروف صدقة **او اصلاح
بين الناس** فيما اختلفوا وتنازعوا فيه روى الترمذي عن ابي الدرداء ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلوة والصدقة قالوا بلى قال اصلاح
ذات البين وعنه ليس الكذاب من يصلح بين الناس فينمي خيرا **ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله**
مخلصا **فسوف نؤتيه اجرا عظيما** ذكر الامر اولا ورتب الاجر على الفاعل ثانيا لان الامر كناية عن الفعل
لان الغرض هو الفعل او من يفعل كناية عن الامر لو فرع الفعل على كل عمل وقرء ابو عمرو وحمزة يؤتيه بالياء
والنون ابلغ **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى** طريق الصواب المشاقة المخالفة لان كلا
منهما في شق غير شق الآخر **ويتبع غير سبيل المؤمنين** ما هم عليه من الدين يشمل الاصول والفروع
نوله ما تولى نكله الى ما اختاره من الضلال **ونصله جهنم** من اصليته النار ادخلته فيها
قرء ابو عمرو وحمزة وابو بكر باسكان هاء نوله ونصله تخفيفا **وساءت مصيرا** اي جهنم استدل
بالآية على حجية الاجماع بناء على ان الجزاء مرتب على كل واحد من المشاقة واتباع غير سبيلهم
لان مجرد مشاقة الرسول كاف في استحقاق الوعيد فان قلت الاجماع اتفاق مجتهدي عصر على
حكم شرعي والمؤمنون جمع مستغرق يشمل كل مؤمن الى آخر الدهر فاين الدلالة قلت قوله صلى الله
عليه وسلم لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق الى قيام الساعة لا يضرهم من خالفهم دل على
ان المراد اهل عصر والمقلد خارج لعدم اهليته لاخذ الحكم من الدليل **ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** كرره اهتماما كتكرير سائر الاحكام والقصص المهمة **ومن
يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا** وصف الضلال بالبعد مجاز مبالغة اذ لا ضلال فوق الكفر
وختم تلك بقوله ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما لاتصالها بقصة اهل الكتاب المحرفين
للكلم وهذه بقصة طعمة وقومه الضالين التابعين في اضلال سيد المعصومين **ان يدعون من دونه
الا اناثا** استيناف لتحقير ما اتخذوه شريكا والاناث اصنامهم كاللات والعزى ومناة وعن
الحسن كان لكل حي من احياء العرب صنم يعبدونه تسمى انثى بني فلان او الملائكة يسمونها بنات الله
وان يدعون في الحقيقة **الا شيطانا مريدا** املس مجردا عن الخير لانهم عبدوها باغوائه **لعنه الله**
صفة ثانية **وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا** مقدرا مقطوعا عن غيره صفة اخرى
او جامعا بين اللعن وبين هذا القول **ولاضلنهم ولامنينهم** عن طريق الحق **ولآمرنهم فليبتكن
آذان الانعام** ما كان يفعله المشركون علامة للسوائب والبحائر **ولآمرنهم فليغيرن خلق الله**
كالوشم والوشر والتنمص والتفليج لما روى مسلم والبخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال لعن الله
الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله وعن مجاهد

وابن عباس رضي الله عنه تغيير دين الله و فطرته التي فطر الناس عليها ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله مجانبا وزاعما ولايته فقد خسر خسرانا مبينا جليا لا يجاج الحروبة وتامل يعدهم المواعيد الكاذبة ويمنيهم الاماني الباطلة بان الجمادات تشفع لهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا باطلا لا حقيقة له اولئك مأواهم جهنم مالهم ومرجعهم ولا يجدون عنها محيصا محيدا ومعدلا من حاص عن الشيء عدل عنه مصدر وقيل يتعلق بالجار او مكان فيتعلق بالفعل والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد من الله لاوليائه في مقابلة وعد الشيطان وعد الله حقا الاول مصدر مؤكد لنفسه لان ما تقدمه من الكلام وعد والثاني مؤكد لغيره وهو الباطل بمعنى انه يدفعه ويقطع احتماله ومن اصدق من الله قيلا قولا تاكيد آخر بليغ للدلالة على صدق اخباره وان لا اصدق منه وهذه المبالغات بازاء مبالغات ابليس في اكاذيبه ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب الخطاب للمشركين لما تقدم من قوله ان يدعون الا اناثا فانهم كانوا يقولون ان كان ما يقوله محمد حقا فنحن احسن حالا افرأيت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا واهل الكتاب قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقيل للمسلمين تنازعوا هم واهل الكتاب فقال اهل الكتاب نحن خير وكتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم وقال المسلمون نبينا خاتم الانبياء وكتابنا يحكم على كتابكم من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا يواليه ولا نصيرا يدفع عنه العذاب فان قلت اذا كان الخطاب للمسلمين يلزم ان يكون كل مؤمن مجزيا بسوء عمله قلت هو كذلك الا انه لا يلزم ان يكون في الآخرة لما روى ابو سعيد وابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه الا كفر به من سيئاته او مقيد بعدم التوبة والعفو لسائر النصوص ومن يعمل من الصالحات بعض الصالحات لان كل مؤمن لا يعمل كل الصالحات من ذكر او انثى في موضع الحال ومن بيان وهو مؤمن اذ لا يعتد بعمل دون الايمان فان قلت قد روى البخاري ان حكيم بن حزام قال يا رسول الله ارأيت اشياء كنت اتحنث بها في الجاهلية فقال اسلمت على ما اسلفت قلت معناه ان تلك الحسنات جرتك الى الاسلام او مخصوص به او وهو مؤمن في آخر العمر لاطلاق اللفظ فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون اي الفريقان او المؤمنون وعزهم كذلك دلالة نقيرا فعيل بمعنى المفعول وهو نقرة النواة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر ويدخلون بضم الياء وهو ابلغ مدحا ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله ذاته عبر عنه بالوجه لانه اشرف الاعضاء ومحل السجود الذي هو اقصى الخضوع وهو محسن مخلص في ذلك العمل فسره الحديث بان تعبد الله كانك تراه واتبع ملة ابراهيم من التوحيد وسائر العقائد حنيفا مائلا عن كل باطل حال من ابراهيم واتخذ الله ابراهيم خليلا اعتراض للترغيب في اتباعه والخليل من الخلة وهي اقصى غاية المحبة كانها دخلت في اعماق قلبه وخلاله او من الخلل فان المتحابين يسد كل منهما خلل الآخر او من الخلة بالفتح وهي الصفة فان الخليلين متوافقان في الخصال او بمعنى الحاجة فان كلا منهما راغب الى خليله في النوائب ومن الخل بفتح الخاء وهو الثوب البالي والجسم النحيف فان الحب اذا استولى نحل الجسم الى الهوى اسقا يوم النوى بدني وقال ان حسبي بعدها الى الخل وهو الطريق في الرمل لان الخليلين على طريقة واحدة وفي الحديث يحشر المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل

من يخالل وليس في الكلام دلالة على انتفاء الخلة فيه روى البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في آخر خطبة خطبها لو كنت متخذا من الناس خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا يختار منهما من يشاء ويجوز ان يتصل بقوله ومن يعمل سوءا ومن يعمل من الصالحات وقوله ومن احسن دينا الى آخره اعتراض بين كلامين متصلين معنى واتخذ الله ابراهيم خليلا يتعلق بقوله واتبع ملة ابراهيم على انه اعتراض في آخر الكلام وكان الله بكل شيء محيطا علما وقدرة يختار من علم انه اهل للاجتباء ويستفتونك في النساء عاد الى ما كان مبنى السورة عليه من احكام النساء بعدما استطرد من احكام الجهاد واحوال المنافقين قل الله يفتيكم فيهن في شأنهن وما يتلى عليكم في الكتاب عطف على اسم الله او المستتر لوجود الفصل من قبيل اعجبني زيد وكرمه لان دليل الحكم هو المتلو وهو قوله تعالى وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء وقيل ما يتلى مبتدأ وفي الكتاب خبره على ان المراد بالكتاب اللوح او قسم بما يتلى في الكتاب فاما جعل الواو عاطفة على المجرور فمختل لفظا لعدم الفاصل ومعنى اذ التقدير يفتيكم في حق ما يتلى عليكم في يتامى النساء صلة يتلى او بدل من فيهن بدل بعض ولا يجوز عده ان كان ما يتلى مرفوعا على الابتداء ومجرورا على القسم اذ لا معنى لتقييد ما في اللوح ولا القسم بهذا التقييد مع ما في الاول من الفصل بالخبر بين اجزاء الصلة والاضافة بمعنى من اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن من الميراث عبر عنه بالكتابة مبالغة في الوجوب وترغبون ان تنكحوهن في نكاحهن ان كن جميلات وعن نكاحهن ان كن ذميمات لما روى ابن عباس رضي الله عنه كانوا في الجاهلية اذا كان عند احد يتيمة القى عليها ثوبه فان كانت جميلة تزوجها واكل مالها وان كانت ذميمة منعها من الازواج حتى تموت عنده فيرثها والمستضعفين من الولدان كانوا لا يورثونهم ويقولون انما يرث من يباشر الحروب ويحمي الحوزة عطف على يتامى النساء وكذا قوله وان تقوموا لليتامى بالقسط ان لم يكن بدلا من فيهن والخطاب في شأن يتامى النساء للاولياء خاصة وفي المستضعفين لهم وللورثة البالغين او للاحياء بان ينظروا على الوجه المشروع وفي ان تقوموا للائمة والقوام وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما مجازاة به ترغيب فيما امر به وان امرأة خافت من بعلها نشوزا ترفعا عليها بعدم المودة والرحمة وتقليل النفقة من النشز وهو المكان المرتفع او اعراضا بان تقل مواتيتها وحديثها فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا في معنى المصدر والمعنى لا جناح عليهما في ان تتنزل عن بعض حقها او كلها ولا عليه بان يسامحها في بعض ما يجب عليه روى ابو داود عن ابن عباس رضي الله عنه خشيت سودة ان تطلقها رسول الله فجعلت يومها لعائشة على ان لا يطلقها فامسكها وجعل يومها لعائشة فنزلت وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها الرجل يكون عنده المرأة ليس بمستكثر منها فيقول اجعلك من شأني في حل فنزلت وقرأ الكوفيون يصلحا بضم الياء والصلح وهو الحنان والصلح خير من الفرقة او من النشوز والاعراض او خير من الخيور كما ان الخصومة شر من الشرور وعلى كل تقدير اعتراض يؤكد رفع الجناح بانه مندوب فضلا عن الجواز واحضرت الانفس الشح جعل لازما

لما عرفها رق الطباع وتحثهم على تكليفها فانها بالطبع ناكبة عن الفعل فليدع الطبع اللئيم الى التحلي بالخلق
الكريم وان تحسنوا اليهن ايها الازواج وتتقوا عن المشاقة وتتركوا النشوز والاعراض رغب النظر في
في اسباب الالفة دلالة على ان الوفاق عنده احب من الفراق روى ابو داود وابن ماجه عن
عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابغض الحلال الى الله الطلاق فان الله
كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء عدلا من كل وجه ظاهرا
او باطنا كما روت عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه
ثم يقول يا رب هذا قسمي فيما املك فلا تلمني فيما تملك ولا املك ولو حرصتم على العدل اذ لو كان
ممكنا لكان رسول الله اولى به فلا تميلوا كل الميل فتتركوا المقدور فتذروها كالمعلقة لا مزوجة
ولا مطلقة وان تصلحوا ما وقع من الجفاء في النشوز وتتقوا في المستقبل عن ارتكاب مثله فان الله
كان غفورا اكثر الغفران لما سلف رحيما عسى ان يوفق في المستقبل رحمته ومن رحمته
جعل لكم من انفسكم ازواجا وان يتفرقا ولم يقع الصلح يغن الله كلا من سعته من فضله الواسع
وكان الله واسعا فضله وطريق رزقه يكون تارة بالزوج واخرى بدونه حكيما ربما كانت الفرقة
احسن عاقبة لهما ولله ما في السموات وما في الارض برهان على سعة فضله ولقد وصينا الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم جنس الكتاب واياكم في القران ومواضع شتى ان اتقوا الله ان مفسرة او بان
فمصدرية والمعنى ان الامر بالتقوى شرع قديم لم يخل عنه كتاب ولا امة وان تكفروا فان لله ما في
السموات وما في الارض عطف على ان اتقوا اي وصيناكم ومن تقدمكم بالتقوى وقلنا لكم ولهم ان
تكفروا بما وصيناكم وكان الله غنيا عن طاعتكم وعن كل شيء حميدا في ذاته حمد ام لم يحمد واحمد
قبل حمد الحامدين والاكوان كلها حامدة بلسان الحال حيث بسط على الماهيات بساط الوجود
واعطى كل شيء خلقه ولله ما في السموات وما في الارض كرره تاكيدا لان التقوى والخشية اصل
كل خير وتمهيدا لما بعده وكفى بالله وكيلا موكولا اليه ان يشا يذهبكم لانه المالك المتصرف
ويات باخرين جنس اخر غير الاناسي ومما يعم جنود رب الاهوا والخطاب لقريش لما روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وضع يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا وكان الله على ذلك قديرا بالغ القدرة
من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة تقديرا لا فتداره اي من كان يريد ثواب الدنيا
فما له يرضى بالاخس الاوضع وعند الله الاحسن الارفع وبهذا ارتبط الجزاء بالشرط او عند الله
كلاهما يعطي كلا ما اقتضته الحكمة لقوله من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث
الدنيا نؤته منها وكان الله سميعا بصيرا ترتيبهما على الارادة للدلالة على ان ما في الضمير عنده بمنزلة
المسموع والمبصر يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شديدي القيام بالعدل جادين فيه شهداء
لله حال كونكم تقيمون الشهادة لوجه الله ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم والمراد بها
الاقرار لانه في الزام الحق كالشهادة او الوالدين والاقربين فان قلت قدم القسط هنا واخر في
المائدة مع اتحاد الاسلوب قلت مع التفنن اهتماما بالعدل لان شهادة المرء على نفسه والاقربين
مظنة الجور والعدول ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما ان يكن احد هذين فلا تمنع الشهادة

الشهادة عليه غناء طلبا لرضاه او فقر شفقة عليه فان الله اولى وارحم بالجنسين وقد حكم باقامة
الشهادة عليهما وانما ثنى الضمير للدلالة على الامرين في الجملة وان لا على الافراد مع ظهور قصد
التعميم وان لا يتوهم اختصاص الاولوية باحدهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا كراهة العدل بين الناس
وارادة العدول عن الحق وان تلووا او تعرضوا اي تلووا السنتكم عن الشهادة او تعرضوا عن ادائها
فان الله كان بما تعملون خبيرا وعيد على اللي والاعراض وقرء ابن عامر تلوا بضم اللام على وزن
تقوا من الولاية او الواو الاولى قلبت همزة ثم خففت فوافق الاولى يا ايها الذين امنوا احدثوا
الايمان في الماضي امنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل
استمروا على ذلك الايمان في المستقبل او ازدادوا او امنوا بكل الكتب والرسل ان كان الخطاب
لاهل الكتاب الذين قالوا نؤمن ببعض ونكفر ببعض او باللسان والقلب ان كان لاهل النفاق
الذين قالوا الذين امنا ولم تؤمن قلوبهم وانما نزل في القران لنزوله منجما وقرا ابن كثير
وابو عمرو وابن عامر الفعلين على بناء المفعول ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الاخر اي بشيء من المذكورات فان الكفر بواحد منها كفر بسائره فقد ضل ضلالا بعيدا عن طريق الحق
الاسناد مجاز مبالغة في بعد صاحبه ان الذين امنوا بموسى ثم كفروا بعبادة العجل ثم امنوا بالتوبة
ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد المراد جنس اليهود الذين هذه صفتهم لم يكن الله
ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا طريقا الى المغفرة لانهم اهل الطبع والختم مستهزئين بالدين
والرسل واستدل الامام احمد على ان من تكرر ارتداده لا تقبل توبته وروي عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما استعارة تهكمية تدل على ان الاية في المنافقين
الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين رفع او نصب على الذم ايبتغون عندهم العزة
لموالاتهم فان العزة لله جميعا فيجعل منها لاوليائه نصيبا لقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين
وقد نزل عليكم ايها المؤمنون في الكتاب في القران ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزا بها
فلا تقعدوا معهم ان مخففة حذف منها ضمير الشان والانشائية لا تصلح مفسرة فالمعنى حرم
عليكم القعود معهم لانه من لوازم النهي والمراد بالمنزل عليهم اية الانعام واذا رايت الذين
يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره نزلت بمكة حين كان المؤمنون يجالسون
المشركين الخائضين في القران فان الخطاب وان كان لرسول الله فالمراد الاصحاب حتى يخوضوا
في حديث غيره انكم اذا مثلهم لان الرضى بالكفر كفر وقول موسى في فرعون وآله واشدد على قلوبهم
ليس رضى بالكفر بل دعاء على العدو باقبح الاشياء مع استقباحه والرضى بالشيء استحسان له
ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا دل على ان الخطاب في انزل عليكم لغير الخلص و
غيرهم وان المجالسين هم المنافقون وانما لم ينكر على المؤمنين في اية الانعام لانهم كانوا عاجزين
ضعفة الذين يتربصون بكم بدل من الذين يتخذون منصوبا ومرفوع او مجرور صفة للمنافقين
فان كان لكم فتح من الله ظفر بالكفار وغلبة عليهم قالوا الم نكن معكم شاركونا في الغنيمة كما شاركناكم
في القتال وان كان للكافرين نصيب ستر ظفر المؤمنين فتحا لانهدام ركن الكفر به فحق له ذلك الاسم

بخلاف ظفر المشركين فانه استدراج وحظ قليل قالوا ألم نستحوذ عليكم نغلبكم حين كان الظفر للمسلمين
وكنا قادرين على قتلكم واسركم وقد ابقينا عليكم جاء الفعل على الاصل وعن ابي زيد قياس مطرد يقال
استجاب واستجوب ونمنعكم من المؤمنين بان خيلنا لهم شوكتكم وتوانينا في مظاهرتهم فالله
يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا في الدنيا بالحجة وفي الآخرة بالتوبيخ
او بوجه فيه مذلة واستدل به على بينونة المرأة بارتداد الزوج وعدم صحة بيع المسلم
للكافر ومن قال بصحته امر بازالة ملكه ان المنافقين يخادعون الله يعاملونه بانهم لا يخادع او
فعلهم في بطان الكفر واظهار الايمان فعل المخادع او اولياءه والاسناد اليه للتشريف وهو
خادعهم غالبهم في الخداع باجراء احكام المؤمنين وهم اهل الدرك الاسفل واذا قاموا الى
الصلوة قاموا كسالى متثاقلين لانهم لا يرجون ثوابها روى البخاري ومسلم اثقل الصلوة على
المنافقين صلوة العشاء وصلوة الفجر وفي الحديث لا يقول احدكم كسلت وليقل ثقلت يراءون الناس
استيناف لبيان كسلهم اي يراءون الناس انهم مثلهم ويريهم الناس كذلك او المفاعلة بمعنى التفعيل
كناعم بمعنى نعم ولا يذكرون الله الا قليلا عند مرائاة الناس او لا يصلون الا قليلا او الذكر ذكر القلب
والقلة بمعنى العدم مذبذبين بين ذلك بين الايمان والكفر من الذب وهو الدفع او من الذبة
وهو الطريق عن ابن عباس رضي الله عنه اتبعوا ذبة قريش لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء لا منسبة لهم
الى احدى الطائفتين روى مسلم عن ابن عمر رضي الله عنه مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين
الغنمين تعير الى هذه والى هذه مرة ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الهداية يا ايها الذين
آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين فانه صفة المنافق ولانه لا يؤمن بعد تمايز بين
الايمان والكفر أتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة واضحة لانهم اعداء الله وبعض
عدو الصديق معاداة للصديق قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب
ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار لشدة كفرهم ولجهنم سبع دركات ولها سبعة ابواب
وقرأ الكوفيون الدرك بسكون الراء والفتح اكثر ولن تجد لهم نصيرا يدفع عنهم العذاب الا الذين
تابوا عن النفاق واصلحوا ما افسدوه واعتصموا بالله بدينه واخلصوا دينهم لله في ذلك الاعتصام
عكس ما كانوا عليه فاولئك مع المؤمنين في زمرتهم وعدادهم وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما
لا يقادر قدره ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم لا حاجة به الى عذابكم لانه غني مطلق وانما
يعذب من لم يشكر نعمته ولم يؤمن بمقتضى حكمته قدم الشكر لان افاضة النعم يقتضي شكر موليها
عرف على ما هو عليه او لا ثم ذلك الشكر الاجمالي يحركه الى ان يعرفه على ما هو عليه وهو الايمان ثم
يتبع ذلك الشكر المفصل بالجنان واللسان والاركان او قدم اهتماما وقليل من عبادي الشكور
وكان الله شاكرا فاثابوا للشكر عليما كامل العلم باخلاص الشاكر ومراتب الشكر لا يحب الله الجهر
بالسوء من القول الا من ظلم الا جهر المظلوم فانه يحبه لقوله ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم
من سبيل روى ابو داود عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المستبان ما قالا
فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم وكان الله سميعا قول المظلوم عليما بحال الظالم ان تبدوا خيرا

ان تبدوا خيرا تظهروه او تخفوه او تعفوا عن سوء اصابكم فان الله كان عفوا كثير التجاوز قديرا
بليغ القدرة على الانتقام ومع ذلك يعفو ويصفح فتخلقوا انتم باخلاقه وفيه ارشاد الى الافضل بعد
تجويز الادنى ولذلك جعل ابداء الخير واخفاءه شرطا تمهيدا او وقع العفو جزاء ان الذين يكفرون بالله
ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله هم اهل الكتاب الذين كفروا ببعض الانبياء كفرهم
بالله وصفه بالولد ولان الكفر بالرسل كفر به وهذا اوفق لقوله يريدون ان يفرقوا بين الله
ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض تشهيا من عند انفسهم ويريدون ان يتخذوا
بين ذلك سبيلا بين الايمان والكفر طريقا الى الله اولئك هم الكافرون الكاملون في الكفر حقا
مصدر مؤكد لمضمون الجملة اي حق كونهم كاملين في الكفر او كفروا كفرا حقا لا شك فيه لان
انكار احد من الرسل في حكم انكار الكل لاشتراك العلة وهي المعجزة واعتدنا للكافرين اي لهم
او لكل كافر عذابا مهينا لاهانتهم بالرسل المكرمين والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد
منهم صح دخول بين على احد لانه اسم من يصلح لخاطب مفردا كان او جمعا اولئك سوف نؤتيهم اجورهم
سوف لتاكيد الوعد لا لتاخير الموعود وذلك ان المضارع يحتمل الحال والاستقبال فاذا دخل
عليه سوف اكد ما كان موضوعا له من الاثبات في المستقبل مثله لن في النفي ولذلك قال سيبويه
لن يفعل نفي سوف يفعل وقرئ حفص يؤتيهم بالياء والنون ابلغ وكان الله غفورا كثير الغفران رحيما
بالغ الرحمة يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء جملة واحدة كما انزل التورية ومن
ابن جريج سألوا ان ينزل عليهم كتابا من الله الى فلان وفلان يامرهم فيه بتصديقه فقد سألوا
موسى اكبر من ذلك جواب شرط مقدر اي ان سألوك انزال الكتاب فلا تعجب فان اسلافهم سألوا
موسى اعظم مما سألوك هؤلاء فقالوا ارنا الله جهرة عيانا نراه كما نرى بعضنا بعضا نصب على المصدر
او الحال والفاء لتفصيل المجمل فاخذتهم الصاعقة نار محرقة بظلمهم بتعنتهم بعد ظهور الحق كما مر
في البقرة وجاز به بعد صيد السبت وليس فيه ما يدل على عدم امكان الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل
الها من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الظاهرات فعفونا عن ذلك بعد توبتهم وآتينا موسى سلطانا
مبينا لم يوجد في نبوة شبهة وانما كانوا يرتكبون المنكر لفرط غباوتهم ورفعنا فوقهم الطور
بميثاقهم بسبب نقض ميثاقهم وهو ترك العمل بما في التورية وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا باب المسجد
الاقصى حين فتحه يوشع بعد موت موسى وهو الباب الذي يسمى اليوم بباب حطة وقيل قلنا لهم ادخلوا
الباب سجدا والطور مشرف عليهم بيد جبريل وهو سهو لان نتق الجبل فوقهم كان في زمن موسى
والطور مشرف عليهم بيد جبريل وقلنا لهم لا تعدوا في السبت بصيد السمك واخذنا منهم على هذه
الاحكام ميثاقا غليظا مؤكدا غاية التاكيد فبما نقضهم ميثاقهم المؤكد الباء للتاكيد تتعلق
بمقدر اي لعناهم صرح به في المائدة ومن الزجاج يتعلق بحرمنا على معنى السببية ولا ينافي الا اذا
جعل فبظلم من الذين هادوا بدلا عن قوله فبما نقضهم وفيه بعد لطول الفصل وابدال الجار المجرور
مع الفاء وكفرهم بآيات الله التي جاء بها موسى وقتلهم الانبياء كزكريا ويحيى عليهما السلام
بغير حق بغير استحقاق للقتل في اعتقادهم وقولهم قلوبنا غلف اوعية العلم فلا حاجة لنا الى علمك

وفي أكنة مما تدعونا إليه كما قال المشركون لرسول الله بل طبع الله عليها بكفرهم أي ليس الأمر كما زعموا فلا يؤمنون إلا قليلا منهم كعبد الله بن سلام أو إيمانا قليلا لا يعبأ به وبكفرهم عطف على فبما نقضهم وقوله بل طبع الله عليها بكفرهم مستطرد لتتميم قولهم قلوبنا غلف والعطف على بكفرهم مرجوح لأن أحد الكفرين مستقل بالسببية للطبع كما في سائر الآيات وقولهم على مريم بهتانا عظيما يعني نسبتها إلى الفاحشة وصفه بالعظيم لأنهم قالوا ذلك بعد ما رأوا منها الكرامات والخوارق وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وصفوه بهذه الأوصاف الجليلة تهكما كقول فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون أو وضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح وصفوه بها رفعا لقدره وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم اشتبه عليهم بفعل مسند إلى الجار والمجرور أرسل الله إلى بني إسرائيل رسولا فادعى الرسالة وأبرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتى ودعا على طائفة من اليهود فمسخوا قردة وخنازير فاجتمعت طائفة منهم على قتله فدخل الغمامة ومعه شمعون فأوحى الله إليه إني رافعك إلي ومطهرك من اليهود الأنجاس فسأل شمعون أن يلقى عليه شبهه ليقتل على يد اليهود ولا أراده الله من اليهود والنصارى فدخلوا وعيسى قد رفع وشمعون جالس في صورة عيسى فقتلوه ثم قالوا أين صاحبه وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن ليس بدنه فذلك قوله شبه لهم وقيل دخل أحد اليهود الغمامة وعيسى قد رفع فرجع إليهم وقد ألقى الله عليه شبه عيسى فقتلوه ثم دخلوا فلم يجدوا في الغمامة أحدا فقالوا إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا وإن كان صاحبنا فأين عيسى وإن الذين اختلفوا فيه في شأن عيسى لفي شك منه مستغرقون في الشك لا يخرجون منه إذ لم يكن لهم بيان في سوى القرآن وهم لا يؤمنون ما لهم به من علم إلا اتباع الظن استثناء منقطع لأن الظن ليس من العلم في شيء إذ العلم مطلق الاعتقاد فإنه استعمال مشهور ومعنى اتباع الظن بعد الحكم بالاستغراق في الشك انتصاري أمرهم أن تلوح لهم تارة أمارة ثم يضمحل ثم يعطشون في بحر الشك وهذا أشد في الحيرة من استمرار الشك حالما وما قتلوه يقينا أي عدم قتله متيقن قيد للنفي دل عليه قوله بل رفعه الله إليه ويجوز أن يكون حالا من الفاعل أي متيقنين قتله بل اشتبه عليهم والوجه هو الأول لأن هذا قد علم مما تقدم وكان الله عزيزا غالبا إذا أراد شيئا كان حكيما في كل ما دبر وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته اللام جواب قسم محذوف والاستثناء من أعم الأوصاف والموصوف مبتدأ مقدم أو فاعل الظرف أي وإن أحد من أهل الكتاب أو وإن من أهل الكتاب أحد إلا يؤمن بعيسى قبل موت ذلك الكتابي ولو عند زهوق روحه عند انكشاف الغطاء حين لا ينفع الإيمان عليه ابن عباس رضي الله عنه وهو الظاهر من إطلاق أهل الكتاب وقيل الضميران لعيسى عليه السلام بناء على ما رواه البخاري مرفوعا يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويرفع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام فاليهود والنصارى الذين يدركونه يؤمنون كلهم وهذا أنسب للسياق إذ بعد نزوله برفع الشبهة ويكذب الطائفتين ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا بكفرهم أو بإيمانهم فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم أي ما حرمنا عليهم الطيبات التي كانت حلالا لهم إلا بظلم عظيم وهو الكبائر التي عددها وتلك الطيبات هي التي ذكرها في الأنعام وعلى الذين هادوا حرمنا

هادوا حرمنا كل ذي ظفر إلى آخر الآية فإن قلت تحريمهما من أحكام التوراة قبل الظلم والكفر بعيسى ومحمد عليهما السلام والصد عن سبيل الله قلت ابتداء التحريم كان لظلم منهم لقوله كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل واستمراره من الظلم الحادث الأبدي إلى قوله يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم في نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل فبظلم إشارة إلى قوله في الأنعام ذلك جزيناهم ببغيهم على أنه متعلق بحرمنا وحده وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وما عطف عليه متعلق بمحذوف وأخذهم الربا وقد نهوا عنه حرام في شرائع السائر وفيه دلالة على أن النهي يفيد التحريم عند عدم الصارف وخص الأخذ وإن كان المعطي أيضا آثما لكونه أعظم جرما وأكلهم أموال الناس بالباطل بالرشوة على الأحكام وتحريف ما أنزل الله وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما عطف على حرمنا لكن الراسخون في العلم منهم الثابتون القدم فيه المتقنون كعبد الله بن سلام والمؤمنون منهم أو مطلقا يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك خبر الراسخون والمقيمين الصلاة نصب على المدح لبيان فضلهم أو مجرور عطف على ما أنزل أي يؤمنون بالمقيمين الصلاة وهم الأنبياء لأن الصلاة شريعة سائر الأنبياء والمؤتون الزكاة عطف على الراسخون أو الضمير في يؤمنون لوجود الفصل وكذا والمؤمنون بالله واليوم الآخر أي بالمبدأ والمعاد أو جعل أولئك مبتدأ خبره سنؤتيهم أجرا عظيما لايقاد رقتهم بمجازاتهم العبادة الخالصة والأعمال الصالحة وقرأ حمزة سيؤتيهم بالياء وهو أبلغ في الوعد إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده متصل بقوله يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء وما في البين استطراد لبعض قبائحهم دلالة على أن ذلك السؤال ليس بأول منكر ارتكبوه والابتداء بنوح لأنه أول رسول عذب قومه ولأنه أبو البشر ثانيا لقوله وجعلنا ذريته هم الباقين ولأن معجزته كانت في نفسه عاش ألفا وسنا ولم يشب ولم يسقط منه سن وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا عد المشاهير منهم اثنى عشر وذكر زبور داود دون صحف الأنبياء دلالة على أن فضله به لا بالملك وقرأ حمزة زبورا بضم الزاء جمع زبر بمعنى مزبور ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل في هذه السورة في الأنعام والصافات والأنبياء وانتصاب رسلا إما بنزع الخافض أو بفعل دل عليه أوحينا أي أرسلنا ورسلا لم نقصصهم عليك روي عن أبي ذر مرفوعا أن جملتهم مائة وعشرون ألفا والرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر عدد أهل بدر وليس في الآية ما ينافيه وكلم الله موسى تكليما من غير واسطة هذا نهاية مراتب الوحي وأكد بالمصدر دفعا للتجوز وآتينا إشارة إلى أجل أحواله تكذيبا لليهود ومن دعوى بقاء شريعته ولذلك وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بخاتم النبيين رسلا مبشرين ومنذرين نصب على البدل أو التأكيد أو المدح وهو أوجه لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل بأن يقولوا لولا أرسلت إلينا رسولا كيف ومع كثرة الرسل يقولون يوم القيامة ما جاءنا من بشير ولا نذير واستدل به الأشعري رحمه الله على أن لا تكليف

قبل البعثة وكان الله عزيزا غالبا على امره يفعل ما يريد حكيما فى ارسال الرسل لعدم اهتداء العقل
الى احوال المعاد لكن الله يشهد بما انزل اليك استدراك من مفهوم الكلام السابق لوان سئلهم
ان تنزل عليهم كتابا من السماء تكذيب لما جاء به والمعنى يشهد لك بانه كلامه بان جعله معجزا خارقا
لقبايله او يشهد لك بان المنزل اليك كلامه فالباء صلة انزله بعلمه استيناف يفسره ويؤكد
شهادته والمعنى انزله ملتبسا به بعلمه الخاص به بان الفه معجزا كما اذا رأيت فعلا متقنا تقول
فعله بعلم او حال من الفاعل اى انزله اليك وهو عالم بانك اهل لذلك الله اعلم حيث يجعل رسالته
فالجملة مؤكدة لصلته او انزله ملتبسا بعلم بمصالح العباد ومشتملا على بيانها او انزله ملتبسا
بعلم محفوظا من الشياطين انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون والملئكة يشهدون بما شهد الله
علو ذلك باخبار الله تعالى روى الدارمى مرفوعا ان الله تعالى قرء طه ويس قبل خلق السموات والارض
بالف عام فلما سمعت الملئكة القران قالوا طوبى لامة ينزل عليها هذا طوبى لاجواف يحمل هذا طوبى
لالسنة تتكلم بهذا وليس فيه ما يفيد على ان اليهود كانوا يودون ان يعلموا نبوته من غير نظر كما علمت
الملئكة وانهم لو اتوا بالنظر الصحيح لعلموا نبوته واى حاجة الى النظر وهم يعرفونه كما يعرفون
ابناءهم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وكفى بالله شهيدا على نبوتك بما ايدك به من المعجزات
الباهرة ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله هم اليهود الذين اضلوا المسترشدين باخفاء
نعت رسول الله قد ضلوا ضلالا بعيدا لان المضل غارق فى الضلال بعيد اقلاعه ان الذين
كفروا وظلموا بترك الواجبات ومحمدا صلى الله عليه وسلم بتحريف نعته او تغالوا وافرطوا فى الكفر
لم يكن الله ليغفر لهم ان ماتوا على ذلك ولا ليهديهم طريقا يوم القيمة الا طريق جهنم خالدين فيها
ابدا حكم بذلك فى الازل وفى ذكر الهداية تهكم وكان ذلك على الله يسيرا لا يتوقف الا على تعلق
الارادة فى الحديث القدسى خلقت هؤلاء للنار ولا ابالى يا ايها الناس قد جاءكم الرسول
بالحق خاطب كافة الناس بعد ازاحة الشبهة والجار والمجرور فى الموضعين حال الاول من الفاعل و
الثانى من المفعول فامنوا خيرا لكم انتصابه بمضمر اى اقصدوا خيرا او صفة مصدر اى ايمانا خيرا
لكم او خبر يكن عند الكوفية وان تكفروا بعد ظهور الحق بالدلايل وهذا النصح فان لله ما فى السموات
وما فى الارض من الاجرام المحيطة والاجزاء الداخلة فهو غنى عنكم وانما ارشدكم رافة بكم وكان الله
عليما كامل العلم باحوال الخلق حكيما فى كل ما دبر يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم لما ازاح الشبهة
عن حال محمد عليه السلام اراد ازاحتها عن عيسى عليه السلام وخص اهل الكتاب لان اليهود والنصارى
بين افراط وتفريط ولا تقولوا على الله الا الحق الذى هو ثابت فى الواقع انما المسيح عيسى بن
مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم فليس هو من غير شدة كما يقول اليهود ولا هو ابن الله كما
يقول النصارى اوقع عيسى عطف بيان لانه اشهر ونسبته بالكلمة نسبة الشئ باسم سببه و
روح منه كائنة من جهته كساير الارواح المخلوقة سوى انه من غير اب وقيل سمى روحا لانه كان
يحيى الموتى او النفوس الميتة بداء الجهل بالحكمة والمعارف او ذو روح وجسم كساير الاجسام الى له
مقام الالوهية او التولد من لا يجانسه شئ فامنوا بالله ورسله وعيسى من جملتهم ولا تقولوا

ولا تقولوا ثلثة اى الآلهة قول الملكانية والنسطورية قالوا هو ابن الله واليعاقبة قالوا
هو الله وضلالهم ظاهرة فلا حاجة الى ايراد دلائل التى لا تعقل انتهوا خيرا لكم انتهوا
من التثليث وفى اعرابه خبرا ما تقدم انما الله اله واحد لا شريك له ذاتا وصفاتا ولا تعدد فى
ظهور الحكم بادنى تأمل سبحانه ان يكون له ولد اى تنزه عن هذه النقيصة لان الولد يشابه
الوالد ولو من وجه وليس كمثله شئ له ما فى السموات وما فى الارض خلقا وملكا فلا
يجانسه شئ وهو غنى عن ولد يكون له ظهيرا وكفى بالله وكيلا حافظا تتوكل اليه الامور
تقرير لغناه لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله استفعال من النكف يقال نكف وبعد
اذا انحا لان المترفع عن الشئ ينحى نفسه عنه او من النكاف داء يأخذ فى حلق البعير ولا
الملئكة المقربون الكروبيون كجبرائيل وميكائيل ومن بعدهم رتبة نزلت فى وفد نجران
لما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال لم اذا اعيبه قالوا نقول فيه انه
عبد الله قال ان صاحبكم يأبى بذلك تمسك به من فضل الملئكة على الانبياء لان هذا اسلوب
الترقى يقول هذا امر لا يأنف عنه الوزير ولا السلطان وهذا انما يستقيم لو سيق الكلام لبيان
الافضلية بين الفريقين وليس كذلك بل انما سيق لدفع شبهة النصارى فى انه موجود من غير
اب مع كمال العلم والقدرة على احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص لا شك ان الملئكة فى باب
التجرد والاطلاع على المغيبات والقدرة على الافعال الشاقة لا سيما المقربين منهم على شأنا
من عيسى عليه السلام وناهيك ما جرى على المؤتفكات بريشة من جناح جبرائيل والقول بانه رد
على النصارى وعبدة الملئكة من مشركى العرب مع كونه سياقا بابا لا يدفع شبهة الترقى وكذا القول
بان غايته كون المقربين افضل من عيسى ولا يلزم منه افضلية الجنس على ما هو المتنازع فيه يبطل
كون خواص البشر افضل من خواص الملك مع انه انما يصح رد النصارى لو كان عندهم مسلما كون
الملئكة افضل منه وهيهات ومن يستنكف عن عبادته الاستنكاف اخص من الاستكبار لانه تكبر
مع الاعراض ولذلك عطف عليه ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا للمجازاة فاما الذين امنوا وعملوا
الصالحات فيوفيهم اجورهم اجزاء اعمالهم سماها اجورا تنبيها على استحقاقهم وعد الله على ما رقم
ثبوتها ويزيدهم من فضله زيادة على ثوابها واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم
عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا اقتصر فى المجمل على ذكر احد الفريقين
وهو المستنكف وفى المفصل ذكر الفريقين اما لان احدهما يدل على الاخر فطوى ذكره او لان القصد بالذات
عذاب المستنكف من وجهين التعذيب بنار الجحيم وبنار الحسرة عند الاطلاع على اجر من تقدم بالهدى
لنار اولى واشد عند اهل العرفان هنا والتصدير باما يؤيد الوجه الاول يا ايها الناس قد جاءكم
برهان من ربكم البرهان الحجة القاطعة والمراد به رسول الله او شرعه لقوله الصدقة برهان
وانزلنا اليكم نورا مبينا هو القران لظهور اعجازه وهدايته الى كل خير فاما الذين امنوا بالله
واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه فى الجنة من اطلاق الحال على المحل وفضل من عطف الشئ
على نفسه باعتبار الصفة او زائدا على قدر الثواب ويهديهم اليه صراطا مستقيما لا اعوجاج فيه

اخره اهتماما بالمقصود ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم في الكلالة روى مسلم والبخاري ان
جابر بن عبد الله في حجة الوداع كان مريضا فدخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يعقل فتوضأ
وصب عليه من وضوءه فافاق فقال يا رسول الله لا يرثني الا الكلالة فكيف الميراث فنزلت وهي اخر
آية نزلت كما ان براءة اخر سورة نزلت وقد تقدم تفسير الكلالة اول السورة ان امرؤ هلك
ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر ليس له ولد صفة لا حال لان امرؤ نكرة ولان المعنى ليس على
التقييد وله اخت فلها نصف ما ترك فان قلت لها النصف اجماعا ان ترك بنتا والثلث
ان ترك بنتين او اكثر فكان المراد من الولد الابن فانها تسقط به قلت الكلام في الفرض المقدر و
هي مع البنات عصبة فلا اشكال والاستدلال على عموم الولد بان الكلام في الكلالة وهو من لا يكون
له ولد ولا والد ليس بناهض لان الكلالة اسم مشترك بين الوارث الذي ليس باصل ولا فرع و
مورث كذلك والكلام في الاول صرح به في حديث جابر وهو لا ينافي وجود البنات فنصادم من نبت
والمراد الاخت من الابوين او من الاب لانه تعالى من الام لها السدس لا غير تقدم في اول السورة وهو
يرثها ان لم يكن لها ولد اي المرء يرث الاخت جميع ما تركت ان لم يكن لها ولد اصلا او مع الذكر ما
ومع الانثى له ما بقي بعد الفرض فان كانتا اثنتين اي فان كان الوارث من الاخوات ثنتين او
اكثر كما تقدم في قوله فوق اثنتين والتثنية باعتبار الخبر فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا
اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا كراهة ان تضلوا
وطريق الحكم او لئلا تضلوا وما قيل يبين ضلالكم لو ضلكم لان من شأنكم ففيه ان الذي بينه
في اول السورة والتي ختمها احكام اصولا وفروعا فالوضوء ورد على هذا المعنى الفلق والله بكل شيء
عليم كامل العلم فالذي قرر من الاحكام ناشئ عن حكمة وان وقف على بعض الافهام تمت والحمد لله

سورة المائدة مدنية وآيها مائة وثلاث وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها
الذين آمنوا اوفوا بالعقود وفوا واوفى بالعهد قام بمقتضيه والثاني ابلغ والعقد العهد الموثق
مستعار من ربط الحبل ولما كانت السورة مشتملة على امهات الاحكام اصولا وفروعا اجملها اولا
بما هو الاستهلال ثم بينها مفصلة بعد الاجمال احلت لكم بهيمة الانعام البهيمة كل ذات اربع
من حيوان البر والبحر من البهائم وفي التكملة ومنه امر مبهم والانعام الازواج الثمانية من الابل
والبقر والغنم والاضافة بيانية وقيل بهيمة الانعام الظباء والوحش البقر لانها تؤاخي الانعام ولازم
بمعنى اللازم للاوصية النسبة وتحمل من الاول مبالغة في التشبيه الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى
عليكم او الا ما يتلى عليكم اية تحريمه لان المتلو لفظا لا استثناء من البهيمة غير محلي الصيد حال
من ضمير لكم وانتم حرم وانتم محرمون حال من فاعل محلي فان قلت هذا اظاهر انه حل بهيمة الانعام
على الظباء وبقر الوحش واما اذا اريد بها الازواج الثمانية فلا ولان احلالها لا يختص بحال الامساك
المحرم عن الصيد قلت ذكرها اشارة بعدم الحرج وان لا يتوهم انها كالصيد وعن الاخفش حال من
فاعل وفوا ولا غبار عليه وان بعد لفظا ان الله يحكم ما يريد لا يسأل عما يفعل يا ايها الذين
آمنوا لا تحلوا شعائر الله جمع شعيرة اسم ما جعل شعارا اغلب على معالم الحج لانها امور تحدد ركة بالمنا

بالمشاعر والاضافة للتشريف ولا الشهر الحرام هو الاربعة المعروفة ولا الهدي ما يهدى
للكعبة ولا القلائد ما قلد من الهدي بقلادة اشعارا بانها هدي فلا يتعرض لها من قبل
عطف جبرائيل على الملائكة او لا تحلوا نقض القلائد فضلا عن البدن المقلد ولا آمين البيت
الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا مؤمنا كان او كافرا نزلت في حطم بن هند البكري
من اليمامة اغار على سرح المدينة ثم في العام القابل عام عمرة القضاء احرم معتمرا والاخبار
من الكافر بابتغاء الرضوان باعتبار ظنه على المبالغة في الكف عن المسلم الام لان توهم ابتغاء
الرضوان يوجب الكف فضلا عن تحققه عن ابن عباس والشعبي انها نسخت بقوله اقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم والحق ان تخصيص لبقاء الحكم في المسلم الا ان تشترط مقارنة المخصص والجملة
حال من ضمير آمين لا وصف له لان عامل فلا يوصف وقرأ ابو بكر رضوانا الاول دون الثاني بضم
الراء وهما لغتان واذا حللتم فاصطادوا امر اباحة لان الحرمة كانت لعارض فلا يلزم منه
ان يكون كل امر بعد الحظر للاباحة ولا يجرمنكم شنآن قوم وقرأ ابو بكر وابن عامر بسكون النون
كلاهما مصدر شنئته بالغ في بغضه والفتح اكثر وجرم بمعنى كسب متعدي الى مفعولين ان
صدوكم عن المسجد الحرام مفعول له بتقدير اللام وقرأ ابن كثير وابو عمرو بكسر الهمزة شرطا دل على جوابه
ما تقدمه والفتح هو المختار لتحقق معلله لان الصد عام الحديبية سنة ست والآية نزلت سنة
ثمان ووجه الكسر التوبيخ على ان ذلك الصد مما ينبغي ان لا يكون والاولى وجه الغرض وبقدر
ان كانوا اذ لا صد بعد الفتح ان تعتدوا بالتجاوز واحكم الله ثاني مفعولي يجرمنكم وتعاونوا على
البر والتقوى على فعل الخيرات والانتقاء على المحارم ولا تعاونوا على الاثم على ترك ما امر الله
والعدوان والتجاوز عما حد الله روى البخاري عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال انصر اخاك ظالما او مظلوما قيل هذا نصرته مظلوما فكيف نصرته ظالما فقال تمنعه
من الظلم واتقوا الله في جميع اموركم ان الله شديد العقاب حقيق بان يتقى حرمت عليكم الميتة
هي التي ماتت حتف انفها والدم المسفوح كانوا يفصدون البعير ويأكلون دمه ولحم الخنزير وسائر
اجزائه افرد اللحم لانه المعارف اكله وما اهل لغير الله به ما ذبح باسم الاصنام والاهلال رفع الصوت
والمنخنقة التي ماتت خنقا او خنقت والموقوذة التي ضربت بالخشب فماتت والمتردية الساقطة
من مكان عال والنطيحة التي نطحها الاخرى والتاء لعدم ذكر الموصوف وما اكل السبع ذو ناب
الا ما ذكيتم ادركتم ذكاته وذلك بقطع الحلقوم والمري مع شخب الدم من الاوداج بحل محدد
لا يكون عظما ولا ظفرا وما ذبح على النصب واحد الانصاب قال الاعشى وذا النصب المنصوب
لا تأتينه وقيل جمع واحدها نصاب ككتب وكتاب او جمع نصب كسقف وسقف كانوا ينصبون الحجارة
حول البيت يذبحون عليها تقربا اليها وان تستقسموا بالازلام جمع زلم كقفل او زلم كفرس
ثلاثة اقداح مكتوب على احدها افعل وعلى الاخرى لا تفعل والثالثة غفل كانوا يجعلونها في وعاء
فاذا عرض لهم مهم اخرجوا واحدا منها فان خرج افعل مضوا فيه وان خرج لا تفعل انتهوا وان
خرج الغفل اجالوا ثانيا ومعنى الاستقسام بها طلب اظهار القسم والحظ ذلكم المذكور من المحرمات

فسق خروج عن طاعة الله وشرعه لانه توسل الى استعلام الغيب من غير الله كاستعلام الخير والشر
من الكهنة واهل التنجيم وقيل هو طلب قسمة الجزور بها وكونه فسقا لانه ميسر وليست القرعة التي
قال بها الشافعي رحمه الله منه لما روى البخاري ان رسول الله كان اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه
وهو حق شرعي فيقاس عليه اليوم يئس الذين كفروا من دينكم من ابطاله بان يرجعوا الى دينهم
محللين هذه الخبائث فلا تخشوهم بعد اظهار الله دينه واخشون اخلصوا الى الخشية اليوم
اكملت لكم دينكم بدل من اليوم والمراد به الزمان الحاضر لا اليوم المتعارف كقولك اصبح فلان
غنيا وكان بالامس يتكفف او المتعارف لما روى البخاري عن طارق بن شهاب ان يهوديا قال لعمر رضي الله عنه
آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال عمر رضي الله عنه قد علمنا ذلك
اليوم والمكان الذي نزلت فيه نزلت ورسول الله واقف على ناقته بعرفة وهو معنى الاكمال لان الحج
آخر اركان الاسلام الخمسة اتفاقا روى ابن جرير لما نزلت بكى عمر رضي الله عنه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لم تبكي قال لانا كنا في زيادة ولا زيادة بعد الاكمال فقال صدقت يا عمر وعاش بعد
نزولها احدا وثمانين يوما واتممت عليكم نعمتي باكمال دينكم وفتح مكة واخراج المشركين من الحرم
وتطهير البيت من الاصنام والازلام ورضيت لكم الاسلام دينا اخترته لكم من بين الاديان
فمن اضطر متصل بالمحرمات وقوله ذلكم فسق وما بعده اعتراض يؤكد معنى التحريم في مخمصة بان
لا يجد شيئا غيرها مصدر كالمغبة من الخمص وهو الجوع غير متجانف لاثم منحرف وقاصد له بان ياكل فوق
سد الرمق او يدخر منه واستدل الشافعي على ان العاصي بسفره لا يتناوله وحد الاضطرار ان يخاف
الهلاك على نفسه او ما يقرب منه فان الله غفور لا لتناوله ضرورة رحيم بالترخيص فيه يسألونك
ماذا احل لهم لما تلا عليهم المحرمات سأله عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل عما احل لهم قل احل لكم الطيبات
ما احله الكتاب والسنة والقياس واستطابته العرب وما علمتم من الجوارح وصيد ما علمتم اي مصيده
لانه عطف على الطيبات ويجوز ان يكون ما شرطية مبتداء والجملة عطفا على جملة ما احل ولا حاجة
الى تقدير المضاف والجوارح السباع والطيور من الجرح وهو الكسب ويعلم ما جرحتم بالنهار فيحل مخنوقه
ومجروحه مكلبين حال مؤكدة معلمين الكلاب لان اكثر الصيد بها او لان الكلب يطلق على سائر السباع
اشتقاقه من كلب اشتد يقال كلب عليه الدهر وفي الحديث اللهم سلط عليه كلبا من كلابك تعلمونهن
مما علمكم الله الهمكم من كيفية التعليم ولطائف الحيل او ما هو شرط في حل صيده من الاسترسال بالارسال
والانزجار بزجره وعدم الاكل منه وهذا اوجه لافادته ان شرط المكلب ان يكون فقيها في باب الصيد
فكلوا مما امسكن عليكم من غير تصرف فيه وبذلك يتم تعليمه وهذا عام عند الشافعي رحمه الله في جوارح
الطيور وخصه ابو حنيفة رحمه الله بالسباع لتعذر تعليم الطيور الى هذا الحد واذكروا اسم الله عليه
على ما علمتم عند ارساله او على ما امسكن ان ادركتم ذكاته واتقوا الله بالمحافظة على حدوده
ان الله سريع الحساب اذ لا يشغله شأن عن شأن فيجازيكم على اعمالكم اليوم احل لكم الطيبات بدل
من قوله اليوم اكملت لكم دينكم والسؤال والجواب في البين اعتراض وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم اخذ
بعمومه ابو حنيفة رحمه الله وخصه الشافعي رحمه الله بغير متنصرة العرب كتغلب وتنوخ وبهراء وجذام ولخم وعاملة

وجذام ولخم وعاملة لما روى ابن جرير عن علي رضي الله عنه لا تاكلوا ذبائحهم لانهم لم يتمسكوا من النصرانية
الا بشرب الخمر وطعامكم حل لهم فلا جناح عليكم ان تطعموهم وحل لهم في اعتقادهم والمحصنات
من المؤمنات الحرائر اليه ذهب الشافعي فلم يجوز نكاح الامة لواجد طول الحرة او العفائف كالنخعي
وهذا اوجه لقوله محصنات غير مسافحات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم الحرائر
او العفائف كما في المسلمات ولذلك لم يجوز الشافعي رحمه الله نكاح الامة الكتابية والحربية
ان كانت اسرائيلية فذاك والا فلا يجوز نكاحها الا بعد العلم بدخول آبائها في ذلك الدين
قبل النسخ اذا آتيتموهن اجورهن مهورهن المراد التزام المهر كما في المسلمات وايثار الاتيان
مبالغة محصنين اعفاء دفع لتوهم جعل الاجر على معناه. واستدل بظاهره الامام احمد
فلم يجوز عقد الفاجر على العفيفة غير مسافحين حال مؤكدة ولا متخذي اخدان جمع خدن
وهو الصديق يطلق على الذكر والانثى واتخاذ الاخدان ما يفعله الفسقة من التعشق و
التعلق بمعينه وقيل الزنا السفاح الزنا جهرا وهذا سرا ومن يكفر بالايمان بشرائعه
فقد حبط عمله ان مات عليه لقوله فيمت وهو كافر في البقرة وهو في الآخرة من الخاسرين
من عداهم ولم يخرجه العمل السابق يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة اذا اردتم
القيام من اقامة المسبب مقام السبب او احد لازمي الشيء مقام الآخر اي اذا قصدتم التوجه
الى الصلوة وذلك لانه لو اريد به مباشرة الصلوة عقيب القيام يلزم ان يكون الوضوء
في الصلوة او بعدها ولو اريد القيام اليها يلزم ان يكون الوضوء بعد القيام متصلا بالصلوة
والخطاب للمحدثين بقرينة الحال وكونه صرح به في البدل وان حمل الخطاب على غير المحدثين
والامر للندب وايجابه على المحدث فمع كونه مخالفا لاتفاق العلماء تخصيص لا دليل عليه وكذا
القول بانه كان فرضا لكل صلوة ثم نسخ اذ ناسخ الكتاب لا يكون الا متواترا وانى له ذلك
هذا وقد روى مسلم عن بريدة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ
لكل صلوة فلما كان يوم الفتح صلى الصلوات بوضوء فقال عمر صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال
عمدا فعلته يا عمر وسورة المائدة نزلت بعد الفتح ومن جعل الامر مشتركا او للقدر المشترك
وهو الطلب الراجح او جوز الجمع بين المعنيين فالامر عنده ظاهر فاغسلوا وجوهكم الغسل
اسالة الماء والوجه ما بين منبت الشعر الى الذقن طولا وما بين الاذنين عرضا و
ايديكم الى المرافق جمع مرفق بالكسر والفتح مفصل الذراع والعضد والجمهور على وجوب غسله
لان الى للغاية من غير دلالة على الدخول والخروج فاخذ بالاحتياط وقد روى جابر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان اذا توضأ ادار الماء على مرفقه وقيل اذا تناولها صدر الكلام
وخلت كما في الآية والا فهي لمد الحكم كاتموا الصيام ولا نظر لورود قرأت القرآن الى سورة
كذا واسرى بعبده من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى طردا وعكسا وامسحوا برؤوسكم المسح متعد ضمن
معنى الالصاق فعدي بالباء فيصدق بادنى شيء ولو بعض شعرة كما ذهب اليه الشافعي رحمه الله
والايراد بذلك القدر حاصل بغسل الوجه غير موجه لوجوب الترتيب عنده وذهب مالك واحمد

رحمهما الله الى وجوب الاستيعاب لما روى مسلم والبخاري عن عبد الله بن زيد انه وصف وضوء رسول
الله فمسح رأسه بيديه فاقبل بهما وادبر وابو حنيفة رحمه الله الى ربع الرأس لحديث المغيرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على الناصية والظاهر ما ذهب اليه الشافعي رحمه الله لان
حكاية الفعل لا تعم وارجلكم الى الكعبين قرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر وحمزة بالجر للجوار كجحر ضب خرب
او بتقدير وامسحوا برؤسكم مراراته الغسل اشارة الى الاقتصاد لان اخر الوضوء محل الاسراف
مع عدم الالتباس بضرب الغاية فان قلت قراءة النصب بالعطف على محل المجرور لا على المغسول
لوجود الفاصل قلت لو سلم تساوي الاحتمالين فالترجيح بما روى البخاري عن ابن عمر انه قال تخلف عنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمسح على ارجلنا فنادى باعلى صوته ويل للاعقاب من النار
وبانه اقرب الى الاحتياط لان الغسل مسح دون العكس وعن الشافعي رحمه الله اراد بالنصب قوما
وبالجر اخرين يريد به المسح على الخف وان كنتم جنبا فاطهروا بالغ في الطهارة بغسل البدن
كله اصله تطهروا ادغمت التاء فاجتلبت الهمزة وان كنتم مرضى مرض يمنع استعمال الماء او على
سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء في هذه الاحوال اما حقيقة
او تقديرا بان يحتاج اليه لعطش محترم فتيمموا صعيدا طيبا ترابا طاهرا فامسحوا بوجوهكم و
ايديكم منه من ذلك التراب ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ادنى حرج او من زائدة والاولى
اوجه لغاية بعد التراب من الماء ولكن يريد ليطهركم في الاحوال كلها ولذلك جعل التيمم
بدل الوضوء اذ قل ما تفقد التراب وهو ظاهر فيما ذهب اليه ابو حنيفة رحمه الله من كون
التيمم رافعا للحدث وحمله الشافعي رحمه الله على التطهير من الذنوب لقوله في النساء ولا جنبا الا
عابري سبيل حتى تغتسلوا اجيب جعل الغسل نهاية الجنابة وليتم نعمته عليكم بافاضة المعارف
والتوسعة في اسباب الطاعات لعلكم تشكرون لتكونوا في صورة من يرجى منه الشكر وفيه
اشارة الى كون الانسان كفورا واذكروا نعمة الله عليكم نعمة الاسلام او كل نعمة وميثاقه الذي
واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا كان اذا اسلم احد في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم بايعه
على السمع والطاعة في المنشط والمكره وقيل المراد به بيعة الانصار ليلة العقبة سنة احدى
عشرة من النبوة كانوا اثني عشر رجلا وفي سنة ثلاث عشرة بايعوا ايضا وكانوا سبعين وبايعه
الانصار والمهاجرون تحت الشجرة وهم الف وخمسمائة واربعمائة واتقوا الله في نقض الميثاق او
في السمع والطاعة ظاهرا او باطنا ان الله عليم بذات الصدور من الضمائر يا ايها الذين امنوا
كونوا قوامين لله شهداء بالقسط بالعدل ولا يجرمنكم يحملنكم شنآن قوم شدة بغضهم
على ان لا تعدلوا معهم اعدلوا هو اقرب للتقوى صرح بعد ما علم ضمنا مبالغة في شأن العدل
واذا كان هذا في شأن الكفار الاعداء فما ظنك بالمؤمنين والضمير للمصدر المدلول عليه واتقوا الله
في المحافظة على الحدود ان الله خبير بما تعملون حث على الاخلاص وعد الله الذين امنوا وعملوا
الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم اورد الجزاء جملة اسمية على طريق الاستئناف جوابا للسؤال
بخلاف سورة الفتح مبالغة في تحققه بالاجمال والتفصيل فان قلت لم اوعد هنا ولم يراع هناك قلت

فان قلت لان هذا متأخر نزولا فيفيد زيادة ولذكره بعد الشهادة والامر بالعدل والتقوى
والقيام بها من اشق الاعمال وذكره هناك بعد الاوصاف الكمالية للصحابة وقيل الجملة مفعول
القول المقدر او الوعد لان فيه معنى القول والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب
الجحيم ذكرهم للتقابل ترهيبا بعد الترغيب يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم
اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم روى مسلم والبخاري عن جابر رضي الله
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزى غزوة ذات الرقاع سنة خمس من الهجرة فنزلنا واديا
فتفرقنا نستظل بالشجرة وتركنا شجرة ظليلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فعلق سيفه
ونام في ظلها فاستيقظ وسيفه في يد اعرابي مشرك صلتا فقال من يمنعك مني فقال الله تعالى
ثم شام الاعرابي السيف فقتنا وله رسول الله صلى الله عليه وسلم منه وقال من يمنعك مني ثم جمع
اليه اصحابه رضي الله عنهم فنزلت وعن ابن اسحق ومجاهد ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى يهود بني النضير يستقرض منهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن امية خطأ فقالوا اكرمك
يا ابا القاسم واقعد في صفة وامروا واحدا منهم ان يعلوا السطح ويلقي عليه رحى فاخبر جبرئيل
فقام وانصرف سالما فنزلت واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون لتفرده بالامر اعاد المظهر
دلالة على النعوت الموجبة للتوكل ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر
نقيبا اردف الامر بحفظ الميثاق على بني اسرائيل ونقضهم ذلك الميثاق وما حل بهم بعده من النكال
تحذيرا ولطفا بالسامعين عن ابن عباس رضي الله عنه لما استقر بنو اسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون
امرهم الله على لسان موسى عليه السلام بالمسير الى اريحا وارض الشام وقال كتبها لكم دار
القرار وكان يسكنها العمالقة وكانت بنو اسرائيل اثني عشر سبطا فجعل على كل سبط نقيبا ينقب
عن شأنهم ويعرف احوالهم وقال الله اني معكم بالنصر والاعانة لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة
اكتفى بهما لانهما امهات العبادات وامنتم برسلي استمر ثم على الايمان بهم وعزرتموهم نصرتموهم
من العزر وهو المنع ومنه التعزير قال القطامي تعتفي والمرء ينفعه العزر واقرضتم الله
قرضا حسنا يشمل انواع البر لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب القسم ساد مسد جواب الشرط
ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم بعد اخذ الميثاق والوعد
المؤكد فقد ضل سواء السبيل اخطأ الطريق المستقيم من اضافة الصفة الى الموصوف
فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم طردناهم عن رحمتنا الباء مزيدة توكيدا وجعلنا قلوبهم
قاسية من القسوة وهي اليبس والصلابة تجاز عن عدم تأثرها بالايات والنذر وقرأ حمزة و
الكسائي قسية وهو ابلغ يحرفون الكلم عن مواضعه بيان لقسوة قلوبهم اذ لا قسوة اشد من
تحريف كلام الله والافتراء عليه ونسوا حظا مما ذكروا به نصيبا وافيا من العلم بشؤم معاصيهم
عن ابن مسعود رضي الله عنه ان المرء ينسى بعض العلوم بالمعصية وتلا الاية من تبعيضية او النسيان
مجاز عن الترك ومن للابتداء وما ذكروا به في التورية وجوب اتباع محمد عليه السلام ولا
تزال تطلع على خائنة منهم يريد ان الخيانة على طريق الاسلاف دأبهم خيانة الرسل والخيانة

مصدر كالعافية او وصف لمقدر كنفس و فرقة او للمبالغة كالراوية الا قليلا منهم
وهم الذين امنوا فاعف عنهم تجاوز عن ذنبهم واصفح واعرض ولا تعاتب قيل نسخت باية
السيف والظاهر ان هذا فيما يتعلق به من خيانتهم لاطباق الجمهور على ان لا نسخ في المائدة و
لقوله ان الله يحب المحسنين يحسن موقعه على ذلك التقدير ومن الذين قالوا انا نصارى
اخذنا ميثاقهم ميثاق الذين تقدم ذكرهم او ميثاق الذين قالوا انا نصارى وفي قوله من
الذين قالوا انا نصارى دون ومن النصارى اشارة الى انهم ليسوا من دين النصارى
الانجيل وادعاء فنسوا حظا مما ذكروا به تقدم تفسيره فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء
الى يوم القيمة اوقعنا والصقنا بهم من الغراء وهو ما يلصق به ان فتحته قصرت وان
كسرته مددت ثم ترتيب اللعن على نقض اليهود ووصفهم بالقسوة والخيانة والاكتفاء في النصارى
بالاغراء والاقتصار على نسيان الذكر دل على علو اليهود في الكفر وانهم اسوء حالا وسوف
ينبئهم الله بما كانوا يصنعون يقصدونه من الكفر والنقض يا اهل الكتاب خاطب الجنس بعد
بيان حال كل فريق قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كاية الرجم ونعت
محمد عليه السلام ويعفوا عن كثير مما لا يدعو ضرورة الى اظهاره والكثرة باعتبار ذاتهم دون
التقابل قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين اي القران فقدم شرف وصفيه والمبين من ابان
لازما ومتعديا ولم يعطفه لاستقلاله بالهداية يهدي به الله بالقران من اتبع رضوانه
ما ارتضاه من الدين سبل السلام طريق السلامة او سبيل الله على ان السلام من اسمائه تعالى
ويخرجهم من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر والجهل الى نور الايمان والمعرفة باذنه بتوفيقه
وتيسيره ويهديهم الى صراط مستقيم كرر للتاكيد وبين ان جمع السبيل للتعظيم ويجوز ان
يراد به الفروع لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم هم القائلون بالاتحاد اللاهوت
والناسوت قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض
جميعا الملك هو الامساك بقوة والحفظ بحزم والمعنى من يقدر على منعه من مراده اي تعلقت
ارادته والاقتصار على من في الارض لان الكلام في عيسى عم ولله ملك السموات والارض
وما بينهما يخلق ما يشاء كيف يشاء ويرد بذلك عيسى وامه واذا كان ابداء الكل وافناؤه منه لم
يتوهم لشيء شان الالوهية والله على كل شيء قدير ويرد الخلق عيسى من غير اب وقالت اليهود
والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه اتباع ابنائه كما تقول خواص الملوك نحن الملوك والاحباء
جمع الحبيب بمعنى المحبوب قل فلم يعذبكم بذنوبكم بالمسخ في الدنيا والعذاب في الاخرة ايامًا معدودة
ان صح ما ادعيتم فان احدا لا يعذب حبيبه فالوا اذ الحبيب اني بذنب واحد جاءت محاسنه
بالف شفيع ولو انتساع ابنه وانضمام وفي المثل لاجل عين الف عين يكرم روى انس رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله لا يلقي الله حبيبه في النار وما قيل بكان يهذا النصب
لا يفعل ما يوجب تعذيبه غير لازم وكم من عاق اباه وولد لا لذة للكلام عليه بل انتم بشر
ومن يزعمون انكم اشباه بشر ممن خلق لا مزية لكم اضرب عن الجواب للقطع بعجزهم عنه يغفر لمن يشاء

يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء مؤمنا كان او كافرا ان لم يتب ولله ملك السموات والارض
وما بينهما كرر ليرتب عليه امر المعاد كما رتب على الاول امر المبداء واليه المصير فيجازي كل احد
على عمله يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم الدين القويم وفي اضافته اليه توبيخ
لهم حيث لم يرضوا بمن ارتضاه على فترة من الرسل على بعد عهد منهم وشدة احتياج اليه
اصل الفترة الانكسار اطلق على ما بين الرسولين لضعف الدين الجار يتعلق بجاءكم او في
محل الحال روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه ان مدة الفترة كانت ستمائة سنة ولا
بين عيسى وبين رسول الله عليهما السلام لقوله انا اولى الناس بابن مريم لا نبي بينه وبيني وقيل كان
بينهما اربعة انبياء ثلثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي ان تقولوا
ما جاءنا من بشير ولا نذير لئلا تقولوا فقد جاءكم بشير ونذير اي لا تعتذروا فقد جاء
ما ابطل اعذاركم والله على كل شيء قدير واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم
اي اذكروا ذلك الوقت لتحيط علما بما قاساه من جهلة بني اسرائيل فان فيه ما يسليك اذ جعل
فيكم انبياء من لدن يعقوب عليه السلام لم يبعث الانبياء في طائفة اكثر مما بعث فيهم
وجعلكم ملوكا تملكون انفسكم بعد ان كنتم في يد القبط عبيدا او ملوك مصر بعد فرعون
وقيل من له زوجة ودار وخادم فهو ملك روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه ان رجلا
قال له السنا من فقراء المهاجرين فقال هل لك من امرأة ودار تسكنه قال بلى قال فانتم
من الاغنياء قال ولي خادم قال فانت من الملوك واتيكم ما لم يؤت احدا من العالمين من
فلق البحر والايات التسع او تظليل الغمام وانزال المن والسلوى يا قوم ادخلوا الارض
المقدسة هي الشام من نهر الفرات الى وادي العريش الى الوادي الايمن وتقديسها بانها موطن
الانبياء وبها قبلتهم وهي ارض المحشر التي كتب الله لكم تشجيعهم بانها قد كتبت لهم قبل
خلق السموات والارض بتحسين الفعام ولا ترتدوا على ادباركم الى مصر او المخالفة موسى
فتنقلبوا جزم بالعطف وبنصب على الجواب خاسرين خير الدارين قالوا يا موسى ان فيها قوما
جبارين الجبار فعال من جبر بمعنى اجبر هو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد وقيل من يقتل
اذا غضب وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون اذ لا طاقة لنا
بحربهم قال رجلان من الذين يخافون يخافون الله كانه قيل من الكمل المتقين هما يوشع
بن نون وكالب بن يوقنا انعم الله عليهما بالثبات وقوة القلب ادخلوا عليهم الباب باب
المدينة فاذا دخلتموه فانكم غالبون علموا ذلك باخبار موسى عليه السلام او من عادة الله بنصر
الرسل ولما شاهدوا من حال فرعون والظاهر انهم لما راوا عظم اجسامهم علموا انهم لا يتمكنون
من القتال من المضايق وذلك ان موسى ارسل اثني عشر رجلا وهم النقباء جواسيس يأتونه بخبرهم
فلقيهم رجل منهم فجعل كلهم في كساء واتى بهم قومه فقالوا من انتم قالوا نحن اصحاب موسى
قال واحد منهم او وسهم برجلي فقال ملكهم اطلقوهم ليخبروا بحالكم وما شاهدوا فلما رجعوا
واخبروا بحالهم قال بنو اسرائيل ما قالوا وقيل كانا رجلين من العمالقة امنوا بموسى وبعده لا يجلوا

وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين بانه لا مرد لوعده قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها
نفوا الدخول على ابلغ وجه بلن ثم قيدوه بالزمان بذكر الابد ثم اشاروا الى ان الابد لم يرد به
منه فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون لم يريدوا حقيقة الذهاب والا
لكفروا واستهانتهم بل ارادوا انك منصور من عند الله وقد شاهدنا حالك مع فرعون
ونصره معك حيث كنت ومعنى انا هاهنا قاعدون انا لا نرجع بل ننتظر خبرك معهم وقيل
ارادوا حقيقة الذهاب لجهلهم وعدم مبالاتهم واذا قابلت بمقالهم مقالة الانصار
يوم بدر لما استشارهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتال قريش قالوا لا نقول لك كما قال
بنو اسرائيل بل نقول اذهب انت وربك فقاتلا انا معكم مقاتلون ولو ضربت اكبادها الى برك
الغماد لاتبعناك ظهر لك ما فضلت بخير الامم قال رب اني لا املك الا نفسي واخي نصب بالعطف
على نفسي او على ضمير اني او رفع عطف على ان وما في حيزها كانه قال انا لا املك الا نفسي وهرون
كذلك او على المستكن في لا املك لوجود الفصل ولم يذكر الرجلين لعدم الوثوق بهما اولشا
لى قلة من موافقة على طريقة تمثيل حاله بحال من لا يملك الا نفسه واخاه او اراد بالاخ من
يواخيه في الدين والغرض من الاخبار بث الشكوى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين
خلصنا من مجاورتهم واخلاقهم الذميمة قال فانها محرمة عليهم اي الارض المقدسة اربعين
سنة يتيهون في الارض الظرف متعلق بيتيهون والتحريم على اطلاقه والصحيح تعلقه بما روي
ابن عباس رضي الله عنه ان الله استجاب دعاء موسى فمات هرون بعد سنة وهو بعد ثلث
سنين فقال حين حضرته الوفاة اللهم ادنني من الارض المقدسة ولو برمية حجر فاستجاب
الله منه فهو في الارض المقدسة بينه وبين بيت المقدس ثلث فراسخ تقريبا وبعد اربعين
سنة بعث الله يوشع بن نون نبيا فسار بمن بقي منهم ففتح بيت المقدس وقتل الجبابرة وكان
يوم الجمعة بعد العصر فخاف دخول السبت فنادى اللهم احبس الشمس على مجيئها حتى فتحها
الى القصة اشار ابو تمام بقوله فوالله ما ادري احلام نائم المت بنا ام كان في الركب يوشع
فلا تاس على القوم الفاسقين بعد استجابة دعائك لرقة القرابة واتل عليهم نبا ابني ادم
لما كان كفر اهل الكتاب برسول الله صلى الله عليه وسلم ناشيا من الحسد امره بان يتلو عليهم حال
اول من حسد وما اثمر له الحسد كان في شرع ادم تزويج الاخوات الاخوة وان لا تزوج
توامته وكانت توامة قابل احل من توامة هابيل فابى قابيل ان يتزوجها هابيل وقال هي اختي انا
اولى بها فقال لهما ادم عليه السلام قربا بقربان فايكما تقبل منه فهو على الحق وكان قابيل
صاحب زرع فجاء بحزمة حصيد اخبث ما كان في زرعه وهابيل صاحب ضرع فجاء بكبش احسن
ما كان في غنمه فنزلت النار على قربان هابيل بالحق تلاوة بالحق صفة مصدر او حال من المفعول
اي نبا ملتبسا بالحق او من الفاعل اي وانت محق ملتبس بالصدق والباء في الاوجه للملابسة
اذ قربا قربانا ظرف النبا او حال منه او بدل بتقدير مضاف اي حديث ذلك
الوقت والقربان ما يتقرب به كالفرقان والحلوان ولم يثن لانه مصدر في الاصل فتقبل من احدهما

ولم يتقبل من الاخر لسوء ضميره قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين فلو كنت
منهم لتقبل منك فان قلت انما يتقبل الله من المتقين لا يدل على انه يتقبل من كل متق كما اذا قلت
فلان لا يقبل الا عطا الملوك لا يلزم ان يقبل عطاء كل ملك قلت اراد ان قبول قربانه لاجل
تقواه واوهم انه لو كان متقيا لكان مثله في قبوله لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا
بباسط يدي اليك لاقتلك اثر الاسمية في الجواب مؤكدا بالباء مبالغة اخراجا له عن الاتصاف
بهذه الرذيلة على اكد وجه كما تقدم في وما هم بمؤمنين اني اخاف الله رب العالمين
بل اختار الاولى وان كان الدفع جائزا وقيل لم يكن جائزا في شرع ادم يؤيده اني اخاف
الله وفي الحديث كن خير ابني ادم مظلوما ولا تكن ظالما اني اريد ان تبوء باثمي واثمك
باثم قتلي واثمك السابق من الحسد او بمثل اثم قتلي اياك لو باشرته واثم قتلك اياي الذي
باشرته كما في الحديث المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم وقيل باثمي يوم القيمة
فان الظالم اذا لم يكن له حسنات يحمل سيئات المظلوم فتكون من اصحاب النار لكفرك
بانكار ما شرع الله وذلك جزاء الظالمين عند الله فطوعت له نفسه قتل اخيه سهلت
وهونت من طاع له المرتع اتسع فقتله فاصبح من الخاسرين دينا ودنيا اذ لم يظفر بما قتله
لاجله وحمله على ظهره سبعة ايام دايرا به لا يدري ما ذا يفعل به روى البخاري ومسلم
عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقتل النفس ظلما الا كان على ابن
ادم الاول كفل منه لانه اول من سن القتل وروي ان الشيطان جاء في صورة ناصح وقال
هل تدري لما اذا اكلت النار قربان لنجل انما اكلته لانه كان يعبدها ويتقرب اليها فشرع
قابيل في عبادة النار ثم قال له انت في ساعة تمتا فاني فاشتغل بدفع همتك فعلمه الات الملاهي
وشرب الخمر ونشات ذريته على الكفر والفسوق فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه
كيف يواري سوءة اخيه بعدما روح ونتن بحمله ارسل الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما
الاخر وحفر له ودفنه فيه قال يا ويلتى اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب من الويل وهو كلمة
تاسف بها على فائت واشار الى وجه الشبه بقوله فاواري سوءة اخي السوءة كل ما يستحى
منه من السوء فاصبح من النادمين على حمله ومشقته تلك الايام وقيل على قتله لا توبة
بل لعدم ظفره بالمطلوب ونكد عيشه عن ابن عباس رضي الله عنه لم يكن قبل قتله شوك
على شجر ولا حموضة في ثمر ولا بعد وذئب على غنم ولم يضحك ادم مائة سنة حتى جاءته
الملئكة بتحية من الله وقالوا حياك ربك وبياك ونسب اليه شعر مليح انه رثى به هابيل وهو
كذب عليه لان الشعر ليس من شيم الانبياء من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل
نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس
جميعا الاجل مصدر اجل كذا اجناه والمعنى ان ذلك القتل جنى وجر على بني اسرائيل هذا الحكم وهو
ان من قتل نفسا لم يبح الشرع قتله بان يقتل نفسا يوجب القصاص او يفعل فسادا يوجبه كزنى
المحصن وقطع الطريق والردة فكانما قتل كل فرد ولد ويولد الى يوم القيمة من مؤمن وكافر

وكذلك احياؤها والتسبب في خلاصها وانما كان كذلك لاستواء الكل في الجنسية المكرمة ترغيبا
في الاحياء وتنفيرا عن القتل والافناء روى ابن ماجه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من اعان على قتل مؤمن ولو بشطر كلمة لقي الله مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله وتخصيص بني
اسرائيل بالذكر لانه في عدمنا لهم وانهم بعد ان كان هذا في كتابهم قتلوا الانبياء وسئل الحسن
البصري عن هذا فقال اما جعل الله دماء هذه الامة اهون من دماء بني اسرائيل ولقد جاءتهم
رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك المذكور من الكتبة وآيات الرسل في الارض لمسرفون
مبالغون في الافساد ولم يتزجروا بذلك انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله محاربة الله
ورسوله محاربة المؤمنين ومن بينهم من اهل الذمة ويسعون في الارض فسادا للفساد ان
يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض وذهب بعضهم الى
ان الامام مخير في قطاع الطريق من هذه العقوبات مستدلا بظاهرها وحملها ابو حنيفة رحمه الله
على التنويع لانها اجزية مختلفة غلظا وخفة فلا يكون الا في مقابلة جنايات كذلك فانه
ظفر بهم قبل قتل واخذ مال حبسوا حتى يتوبوا هو المراد بالنفي وان اخذوا ما لا يبلغ نصيب
كل واحد نصاب السرقة قطعت ايديهم وارجلهم من خلاف وان قتلوا ولم ياخذوا مالا
قتلوا حدا وان جمعوا بين القتل واخذ المال ان شاء قطع ايديهم وارجلهم من خلاف وقتلهم
وصلبهم وان شاء اقتصر على القتل او الصلب وبه قال الشافعي رحمه الله الا انه حمل النفي على فك
شوكتهم وتشريدهم في البلاد وتحتم القتل والصلب ان اخذوا المال وقتلوا بان يقتل ولا
ثم يصلب ثلثة ايام والآية نزلت في العرنيين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمل
اعينهم فنسخ بها فقيل نزلت في قوم هلال بن عويمر مر بهم ناس يريدون رسول الله فقطعوا عليهم
الطريق ذلك لهم خزي في الدنيا ذل ولهم في الآخرة عذاب عظيم يلحق ذل الدنيا منهم
الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فان حق الله يسقط دون حق العباد ان لم يكونوا حربيين فاعلموا
ان الله غفور لما سلف منهم رحيم بجعل سيئاتهم حسنات يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا
اليه الوسيلة اسم ما يتقرب به من وسل بكذا تقرب به قدم عليه الامر بالتقوى لما تقدم من قوله
انما يتقبل الله من المتقين وجاهدوا في سبيله من كل ترعا بلغت اليه طاقتكم لعلكم
تفلحون تفوزون برضاه ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا من صنوف المال ناطقا
وصامتا ومثله معه وحد الضمير باعتبار المذكور او الواو بمعنى مع يدل على معية التبوع
ومع على اقتران التابعين حال الثبوت والعامل فيه الفعل المقدر بعد لو لا معنى الفعل في لهم لجواز
العطف لوجود الفاصل وتعينه في العامل المعنوي ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة ما تقبل
منهم ليس المعنى على انهم لو زادوا على المذكور تقبل منهم بل ايراد كلمة يفهم منه دوام العذاب
ولزومه على طريق الكناية ويجوز ان يكون تمثيلا لحالهم في عدم التقصي عن العذاب بحال من يكون
له امثال ما في الارض ويريدها الخلاص عن العذاب ولا يجد اليه سبيلا ولهم عذاب اليم يريدون
ان يخرجوا من النار بيان لسوء حالهم وما هم بخارجين منها ان الاسمية مؤكد بالباء ردا

بالباء ردا على ابلغ وجه ولهم عذاب مقيم ابدا الايفاء فيهم دفع لما يقول بعض الملاحدة من انهم
يعتادونه فلا يحسون بالالم روى البخاري ومسلم عن انس رضي الله عنه قال يؤتى بالرجل
من اهل النار فيقول الله له تفتدي بقراب الارض ذهبا لو كان ذلك فيقول بلى يا رب فيقول
كذبت قد سالتك اهون من ذلك فلم تفعل يريد كلمة التوحيد والسارق والسارقة فاقطعوا
ايديهما جملتان عند سيبويه كانه قال الحكم السارق والسارقة فيما يتلى عليكم ثم اشار
الى الحكم بقوله فاقطعوا ايديهما وذهب المبرد الى انها جملة والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط
وليس من قبيل وربك فكبر لان الفاء الجزائية يمنع العمل فيما قبلها والمقطوع اليمين من
الكوع بينة فعله صلى الله عليه وسلم وما يقطع به ما لم يخرج عن الحرز خفية مقدار
عشرة دراهم عند ابي حنيفة رحمه الله وربع دينار عند الشافعي رحمه الله ودرهم عند الحسن
جزاء بما كسبا نكالا من الله نصب على المفعول له وترك العاطف لان المعنى ان القطع الذي
للجزاء لقصد النكال وقدم السارق لانه اكثر ما يكون في الرجال وقطع العضو الجاني منه
دون الزاني محافظة على العورة او بقاء النسل والله عزيز غالب على امره حكيم في كل ما شرع
من الزواجر فمن تاب من بعد ظلمه واصلح ما افسد بالرد والاستحلال فان الله يتوب عليه
يقبل توبته ان الله غفور للذنوب رحيم بقبول التوبة الم تعلم ان الله له ملك السموات
والارض استفهام تقرير اي قد علمت ذلك الخطاب عام يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء قدم
التعذيب لان الكلام في موجب العقاب والله على كل شيء قدير والاختصاص من الارادة
يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر في تقوية اسبابه واعانة اعوانه وقرأ نافع
بضم الياء وكسر الزاء وقد تقدم في آل عمران انه ابلغ من الذين قالوا آمنا بافواههم الجار
يتعلق بقالوا دون آمنا ولم تؤمن قلوبهم حال او عطف ومن الذين هادوا من اليهود
سماعون للكذب مبتدأ خبره من الذين هادوا او خبر مبتدأ محذوف اي هم والضمير لليهود
او للطائفتين باعتبار وقوع الفعل بينهم واللام للتاكيد والسماع بمعنى القبول كقوله سمع
الله لمن حمده او للعلة والمفعول محذوف اي سماعون كلامك ليكذبوا عليك بالزيادة و
النقصان سماعون لقوم آخرين لم ياتوك اي يسمعون منك لينهوها الى سفلتهم الذين لم يحضروا
على مجالستك وقيل لم ياتوك تكبرا او افراطا ويرده قوله يحرفون الكلم من بعد مواضعه
لانه وصف علمائهم الذين كانوا يجادلونه وكذا قوله بعد اكالون للسحت فانه وصف للاحبار
بأكل الرشى والجملة حال من قوم لكونه موصوفا او صفة وهذا ادل على الذم من قوله يحرفون
الكلم عن مواضعه لدلالته بعد على الاستقرار والثبات يقولون ان اوتيتم هذا يجري في اعرابه
الوجوه المذكورة فخذوه اي المحرف وان لم تؤتوه فاحذروا قبوله نزلت في يهود زنى شريف
منهم بشريفة وكان الحكم في التوراة الرجم فظنوا ان الحكم عند رسول الله الجلد فرفعوا اليه
وقالوا ان حكم بالجلد فاقبلوا وان حكم بالرجم فلا تقبلوا الحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالرجم فابوا قبوله وقالوا ليس عندنا الا ان تسود وجوههما ويجزيهما فانزل الله تعالى قل فاتوا

بالتورية بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين فاتوا بالتورية فوضع القارى يده على آية الرجم
وقرأ ما قبلها وما بعدها فقال عبد الله بن سلام جز يدك فرفعها فوجدوا آية الرجم فامر
عبد الله بن عمر رضي الله عنه فامر بهما فرجما عند المسجد وانا ممن رجمهما ومن يرد الله فتنته
اضلاله فلن تملك له من الله شيئا من الهداية دليله على ان حزنه كان لتعقبه عليهم اولئك
الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من الشرك والنفاق لهم في الدنيا خزي بظهور كذبهم على الله
في كتابه الذي يؤمنون به وعز ذلك من الذلة المضروبة عليهم ولهم في الاخرة عذاب عظيم
لا نسبة لخزي الدنيا اليه سماعون للكذب اكالون للسحت هو الحرام لانه يسحت البركة او
ساحتها اذا اختلط بالحلال من سحته استأصله وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي بضم الحاء
والمراد به ما كانوا يأخذونه من الرشى على الاحكام وتحريف الكلم فان جاؤك فاحكم بينهم
او اعرض عنهم انت مخير نسخ بقوله واحكم بينهم بما انزل الله وبه قال الشافعي وابو حنيفة
رحمهما الله الا ان الشافعي قيد وجوب الحكم بما اذا كان احد الخصمين مسلما وان تعرض
عنهم فلن يضروك شيئا من الضرر لان الله عاصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط
بالعدل ان الله يحب المقسطين العادلين في الاحكام وكيف يحكمونك تعجيب من طلبهم الحكم
منه وهم لا يؤمنون به ولا بكتابه واشارة الى انهم انما تحاكموا اليه لغرض لهم وعندهم التورية
والحال ان عندهم ما يغنيهم عن سؤال فيها حكم الله تقرير لكون التورية مغنية عن طلب الحكم
ثم يتولون من بعد ذلك التحكيم ثم لاستبعاد التولي بعد الرضى بحكمه داخل تحت التعجيب وما
اولئك بالمؤمنين بكتابهم فقادوا عن الايمان بغيره او ليسوا بالكمل في الايمان تهكم بهم لانهم
كانوا يزعمون ذلك انا انزلنا التورية فيها هدى ونور عظم شان التورية بمزيد توبيخ لهم
يحكم بها النبيون من لدن موسى الى محمد عليهما السلام الذين اسلموا صفة مدح لا للموصوف
فان النبوة اعلى شانا من الاسلام بل للصفة نفسها اشارة الى عظم شانها تعريضا باليهود بانهم
بعدوا عن ملة الاسلام التي هي دين الانبياء ويجوز ان يراد بالاسلام التفويض بالكلية والتوجه
الى جناب القدس كقول ابراهيم اسلمت لرب العالمين والمعنى مع نباهة شانهم منقادون لحكم التورية
وهؤلاء يعرضون عنه ويحرفونه للذين هادوا صلة يحكم او انزلنا لان نفعه عائد اليهم و
الربانيون العلماء الزهاد منسوب الى الرب والالف والنون لتغيير النسب والاحبار جمع حبر بالكسر
والفتح العالم الكبير بما استحفظوا من كتاب الله لاجل استحفاظ الانبياء اياهم الحكم والقضاء بما فيه
ويجوز ان يكون الضمير لهم وللانبياء اي بان كلفهم استحفظه من التحريف والتبديل وكانوا عليه
شهداء رقباء يحفظونه عن التبديل والتحريف فلا تخشوا الناس اي اذا علمتم ان الاحبار كانوا حافظين
للتورية حاكمين بما فيه فانتم اولى بذلك فلا تجوزوا في الاحكام خشية من الناس واخشوني لان الامر
كله بيدي ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا حطاما فانيا كما فعل اهل الكتاب ومن لم يحكم بما انزل
الله فاولئك هم الكافرون حقيقة ان اعتقد واجوزه والا كفروا بان ستر نعم الله وهو العلم الذي
لم يعملوا به وكتبنا عليهم فيها في التورية ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن

بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص استدل به ابو حنيفة رحمه الله على
ان المسلم يقتل بالذمي والحر بالعبد بناء على ان ما حكى شرع من قبلنا على انه شرعنا وخالفه الشافعي
رحمه الله لما روى البخاري عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا يقتل مسلم بكافر وحكى الاجماع على عدم قتل الحر بالعبد ولما قال ابن عباس رضي الله عنه
ان الاية اوجبت القود لزوما من غير بدل ولا عفو فلا تعمنا ولا تشمل الحر بالحر والعبد
بالعبد قرأ نافع الاذن بسكون الذال وقرأ الكسائي العين وما بعدها بالرفع عطفا على ان
واسمها لان الكتابة فيها معنى القول فالمفتوحة بعدها في حكم المكسورة وقرأ هو وابن كثير
وابو عمرو وابن عامر الجروح بالرفع والوجه ما تقدم فمن تصدق به بالقصاص سمى العفو
صدقة ترغيبا فهو كفارة له يكفر الله به ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه القصاص ولا يجني
بعده ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون الكاملون في الظلم وقفينا على
اثارهم بعيسى ابن مريم قفيت زيدا اذا جئت بعده وبعد على الثاني بالباء تقول قفيت
زيدا بعمرو وحذف المفعول الاول لان على اثارهم ساد مسده اي اتبعنا النبياء بني اسرائيل
بعيسى مصدقا لما بين يديه من التورية واتيناه الانجيل فيه هدى ونور فيه هذان
الوصفان ومصدقا لما بين يديه من التورية عطف على فيه هدى وكذا قوله وهدى و
موعظة ويجوز نصبهما على العلية للمتقين لانهم المنتفعون به وليحكم اهل الانجيل
بما انزل الله فيه اي قلنا لعيسى بن مريم بان يحكموا بما فيه على حد وما اتيكم الرسول
فخذوه وقرأ حمزة بكسر اللام ونصب الفعل على انها لام كي عطفا على هدى لانه في حكم المفعول
وان انتصب هدى على الحال يتعلق باتينا عطفا على علة محذوفة ومن لم يحكم بما انزل الله
فاولئك هم الفاسقون فقيل اولا بالكفر وثانيا بالظلم وثالثا بالفسق فعن ابن عباس
رضي الله عنه ان الكل في اهل الكتاب لما سئل عنه قال نعم القوم انتم ما كان من حلو فهو
لكم وما كان من مر فهو لاهل الكتاب وعن الشعبي ان الاول في المسلمين والثانية في اليهود
والثالثة في النصارى وعن ابن مسعود والحسن رضي الله عنهما الكل في الكل وهو الوجه
وفي الاية دليل على ان شريعة عيسى عليه السلام كانت ناسخة لشرع موسى عليه السلام
والقول بان مما انزل الله في الانجيل العمل بما في التورية خلاف الظاهر ويرده لكل جعلنا
منكم شرعة ومنهاجا وانزلنا اليك الكتاب القرآن بالحق ملتبسا مصدقا لما بين يديه
من الكتاب ما تقدمه من الكتب اللام في الاول للعهد وفي الثاني للجنس ويجوز العهد باعتبار
كونه سماويا اخص مما عدا القرآن ومهيمنا عليه رقيبا وحفيظا يشهد بصدقه من الامن
اصله مؤامن بهمزتين قلبت الاولى هاء والثانية ياء تخفيفا فاحكم بينهم بما انزل الله
ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق منحرفا عنه ضمن تتبع معناه فعدى بعن لكل جعلنا منكم
شرعة ومنهاجا الشرعة والشريعة طريق الماء اطلق على الدين الموصل الى زلال الحيوة الابدية
والمنهاج الطريق الواضح فالعطف باعتبار الصفة وقيل المنهاج الدليل الموصل الى الدين ولا

يلزم المخالفة في كل الاحكام فلا ينافي شرع من قبلنا شرعنا ولا قوله فبهديهم اقتده لانه في العقائد
التي لا تتبدل ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة تابعة لشرع واحد ولكن ليبلوكم فيما
آتيكم من الشرائع المختلفة فان ترك المألوف مخالف لهوى النفس الا ترى انهم لما كانوا لم يبرحوا
في اشهر الحج العمرة في الجاهلية لما امرهم بها كيف شق عليهم وتوقفوا فيه حتى قال لو استقبلت
من امري ما استدبرت لما سقت الهدي فاستبقوا الخيرات كلها الاستباق بمعنى المسابقة وهي
القصد الى التقدم على الآخر في السبق الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون
ويجازي السابق والمقصر على قدر سعيه ويميز المحق عن المبطل وان احكم بينهم بما انزل الله
عطف على الكتاب او على بالحق ان موصلة اي وبالحكم او عطف بحسب المعنى على فاحكم كرر ليناط به
قوله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك روى ابن اسحق عن
ابن عباس رضي الله عنه ان كعب بن اسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس قالوا تعالوا نذهب
الى محمد نفتنه فاتوا رسول الله وقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار وانا ان اتبعناك يتبعنا اليهود
وبيننا وبين قوم خصومة فنحاكمهم اليك فتحكم لنا ونحن نؤمن بك فابى ذلك فنزلت فان تولوا
اعرضوا من حكمك فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم اي بسبب توليهم وابهامه
اشارة الى عظمه بين الذنوب كقول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها والمراد عذاب الدنيا
لان العذاب على الكل في الآخرة وكان كذلك عن قريب قتل قريظة واجلي النضير وان كثيرا
من الناس لفاسقون خارجون من طاعة الله افحكم الجاهلية يبغون كانت بنو النضير اشرف
من قريظة فكان النضيري بالقرظي ودية القرظي نصف دية النضيري فتحاكموا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فحكم بالسواء فقالوا نرجع الى حكم ابائنا فنزلت وفيه توبيخ لهم حيث كانوا
اهل العلم ويبتغون الملة الجاهلية وقرأ ابن عامر تبغون بالخطاب وهو اشد تقريعا ومن
احسن من الله حكما لقوم يوقنون اي لا احسن اللام للبيان كما في هيت لك اي القاهذا الكلام
تحقق لمن يوقن فانه الذي يتدبر فيه ولا يحسن ان يكون صلة لان حسن حكم الله لا يختص قوما
دون قوم يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء لانهم اعداء الله ورسوله
ثم علل بقوله بعضهم اولياء بعض لان الجنسية علة الضم وفي الحديث المرء على دين خليله فلينظر
احدكم من يخالل وقال لا تسأل عن المرء وسل عن قرينه وكل قرين بالمقارن يقتدي ومن
يتولهم منكم فانه منهم تشديد وتنفير كقوله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا
خالصا ان الله لا يهدي القوم الظالمين الكاملين في الظلم وهم الذين لا يتركون موالاتهم
بعد النهي عن عبد الله بن عتبة ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ليتق احدكم ان يكون يهوديا او
نصرانيا فعلمنا انه يريد هذه الآية فترى الذين في قلوبهم مرض نفاق يسارعون فيهم روى
ابن اسحق ان قينقاع نقضت عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بين عبد الله بن سلول وعبادة
بن الصامت وبينهم موالاة وحلف فاما عبادة بن الصامت فانه تبرأ منهم وقال اتولى الله ورسوله
والمؤمنين واما ابن سلول فهو الذي في قلبه مرض قال انا لا ابرأ من موالاتهم ان لي اموالا واسبابا

اتولى الاولياء اباءا ولا ادري ما يكون من ريب الزمان ودوائره فقال له رسول الله يا ابا الحباب ما نفست
به من ولاء اليهود على عبادة فهو لك دونه فقال رضيت والمسارعة تستعمل بالى وايثار في للدلالة
على انه داخل في عدادهم واحد منهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله ان يأتي بالفتح بفتح
مكة وبظهور شوكة الاسلام او امر من عنده من قتل قريظة واجلاء النضير وضرب الجزية على غيرهم
فيصبحوا فيصير المنافقون على ما اسروا في انفسهم من الشك في امر رسول الله نادمين حين لا
ينفعهم الندم ويقول الذين آمنوا اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم كلام مبتدأ
اي ويقول المؤمنون في ذلك الوقت فيما بينهم هذا الكلام اظهارا لما انعم الله عليه او موجهة
لليهود ونصبه ابو عمرو على ان عسى فعل تام وان يأتي بدل من فاعله ويقول عطف عليه او يقدر
آمنوا اي عسى الله ان يقول الذين آمنوا ولما كان قول المؤمنين مسببا عن الاتيان بالفتح اقيم
مقامه مبالغة في اتحادهما او عطف على الفتح لانه بتقدير الفعل مع ان او على فيصبحوا لانه جواب
الترجي وهو من الله تحقيق وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر بحذف الواو جواب سؤال اي ماذا
يقول المؤمنون اذا جاء الله بالفتح والرسم مختلف ثابتة في العراقي محذوفة في الحجازي و
الشامي وجهد الايمان اغلظ الوسع فيها توكيد حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين في الدارين
من قول المؤمنين تعجبا يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه ارتد في زمن رسول الله
ثلث طوائف بنو مدلج ورئيسهم ذو الخمار وهو الاسود العنسي باليمن قتله فيروز الديلمي
واصحابه وبنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب قتل في ايام الصديق قتله الوحشي قاتل حمزة
وبنو اسد قوم طليحة ثم اسلم طليحة وحسن اسلامه وسبع طوائف في زمن الصديق فزارة
وغطفان وسليم وبنو يربوع وبعض تميم وكندة وبنو بكر بن وائل وقرأ نافع وابن عامر
ومن يرتدد بفك الادغام وهو الاصل لان ثاني المثلين ساكن وعليه رسم الامام والمدني
والشامي ومن ادغم حرك الثانية روما للتخفيف فسوف يأتي الله بقوم هم اهل اليمن وقيل فارس
روي انها لما نزلت وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على عاتق سلمان وقال هم هذا وذووه
فان قلت اين الراجع الى المبتدأ قلت ان جعل الخبر الجزاء وحده فالتقدير يأتي الله بقوم مكانهم
وان جعل الشرط والجزاء فضمير دينه يحبهم ويحبونه محبة الله عبده توفيقه للايمان و
الطاعة وغفران ذنوبه ومحبة العبد امتثال اوامره واجتناب مناهيه والكناية في ذلك تنفيا
تفاوتا بفوت الحصر وقدم محبته لانها الاصل والموجب لمحبة العبد اذلة على المؤمنين من الذل
بضم الذال ضد العز عدي بعلى اما للمقابلة او لتضمين معنى العطف والحنو اعزة على الكافرين
غالبين بالبأس كقوله اشداء على الكفار يجاهدون في سبيل الله في اعلاء كلمته ولا
يخافون لومة لائم اي يجاهدون وحالهم هذا لا كالمنافقين الذين يجاهدون نفاقا وطمعا
في المغانم خائفين من لوم اليهود او عطف على معنى انهم في دينهم صلاب او حدبون لا يبق
عيارهم يقتلون الآباء والابناء فيه توكيد من وجهين بناء المرة وتنكير لائم اي لا يخافون شيئا
من اللوم من لائم ما ذلك المذكور من الاوصاف الشريفة فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع

عليم بمن يستحقه إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا متصل بقوله لا تتخذوا وما في البين
تأكيد للنهي وإنما أفرد الولي ليكون في الكلام أصل وتبع كقوله صلى الله عليه وسلم للخطيب لما قال
ومن يعصهما فقد غوى قل من يعص الله ورسوله بئس خطيب القوم أنت الذين يقيمون الصلوة
ويؤتون الزكوة وهم راكعون رفع أو نصب على المدح أو بدل من الموصول بميز الخلص من الذين
السنة ومعنى راكعون خاشعون مدح لهم بأنهم جامعون بين حسن الأعمال ظاهرا وباطنا أو
قيل حال من يؤتون الزكوة لما روي أن ابن عباس رضي الله عنه أن سائلا مر بعلي بن أبي طالب
رضي الله عنه وهو راكع فألقى إليه خاتمه فنزلت وعلى هذا إيثار الجمع إعطاء ماله وترغيبا للغير
والحصر للمبالغة لكونه في أقصى مراتب البر ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب
الله هم الغالبون الحزب طائفة اجتمعوا لأمر حزبهم أقام مقام المضمر إشارة إلى أنهم أعلام
في كونهم حزب الله لا يسبق إلى الفهم غيرهم أو ذكر الله للتوطية وحزب الله رسول الله
والمؤمنون والمعنى ومن يتولاهم فقد تولى حزب الله والأولى وفق يا أيها الذين آمنوا لا
تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء
أفراد أهل الكتاب أولا وضم إليهم الكفار ثانيا لشدة عداوة أهل الكتاب والغرض من الهزؤ
تحقير المهزوء به ومن اللعب جلب الفرح وقرأ أبو عمرو والكسائي والكفار بالجر وهو المختار لقرب
المعطوف عليه ولشمول الاستهزاء الفريقين ولقراءة أبي ومن الكفار واتقوا الله إن كنتم
مؤمنين في إيثار ذلك دلالة على نوع موالاة بينهم وإذا ناديتم إلى الصلوة اتخذوها هزوا
ولعبا أي وإذكروا إذ ذلك الوقت ليظهر لكم موجب عدم موالاتهم كانوا يضاحكون عند ركوع
المؤمنين وسجودهم ويكثرون اللغو يقولون قاموا لا قاموا صلوا لا صلوا ذلك بأنهم قوم لا
يعقلون إذ لو عقلوا ما اتخذوا أفضل الأعمال ومعراج العبد ومحل مناجات الرب هزوا وكيف
ولا عباده بدينه الأولى هي موجودة في الصلوة وفي كل ركعة سجدتان وأقرب ما يكون العبد
من الله وهو ساجد روى ابن جرير أنه كان بالمدينة رجل من نصارى نجران كلما سمع في الأذان
أن أشهد أن محمدا رسول الله يقول حرق الله الكاذب فدخلت خادمه بالنار ليلا وهو نائم
فتطايرت منها شرارة فأحرقه الله وأهله وماله قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا
بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل أي ما تعيبون منا إلا ما هو أصل المناقب وهو الإيمان بكل
الكتب المنزلة عن ابن عباس رضي الله عنه أن جمعا من اليهود قالوا لرسول الله بماذا تؤمن فقال بالله
وبما أنزل إلينا وبما أنزل إلى إبراهيم وعد الأنبياء إلى عيسى فعابوه لما ذكر عيسى فنزلت وأن أكثركم
فاسقون عطف على أن آمنا أي ما تعيبون إلا الجمع بين إيماننا وفسقكم أو على المجرور أي إيماننا بالله
وبأن أكثركم فاسقون قل هل أنبئكم بشر من ذلك المتقدم أي أهله مثوبة عند الله استعمال
المثوبة في الشر على طريقة التهكم نحو فبشرهم بعذاب أليم وتجيد بينهم ضرب ترجيح من لعنه الله
وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير خبر مبتداء أي هو من لعنه الله أو بدل من بشر أو نصب
بما دل عليه أنبئكم ذكر اليهود بأقبح الأوصاف وهو الطرد من رحمته الواسعة وتبديل خلقهم من حسن

من حسن تقويمه إلى الخسيس شكل وصورة من القردة والخنازير وهؤلاء هم أصحاب السبت مسخ
شبانهم قردة وشيوخهم خنازير وقيل القردة أصحاب السبت والخنازير أصحاب المائدة
وعبد الطاغوت الشيطان أو الكاهن أو الساحر أو الصنم وكل رأس شر طاغوت صيغة
مبالغة من طغى وقرأ حمزة عبد بضم الباء وجر الطاغوت على أنه اسم جمع أو مفرد كحذر و
فطن وهو الغالي في العبودية أولئك شر مكانا إسناد الشر إلى المكان كناية عن ثبوته لهم
كقولهم المجد بين برديه والسلام على المجلس العالي وأضل عن سواء السبيل عن وسطه المعتدل
واسم التفضيل في أمثال هذه المواضع من باب المجازات والبناء على زعم الخصم والإلزام ولا شركة
بين المؤمنين وبين اليهود وإذا جاؤكم قالوا آمنا هؤلاء منافقوا اليهود وقد دخلوا
بالكفر وهم قد خرجوا به حال من فاعل جاؤا ولذا دخلت عليه قد ولأن رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان متوقعا إخبار الله بنفاقهم وزاد الضمير وقدمه في الجملة الثانية لأن خروجهم
بالكفر بعد سماع كلام الله ومواعظ رسول الله مستبعد والله أعلم بما كانوا يكتمون في
ضمائرهم من العداوة وترى كثيرا منهم من اليهود يسارعون في الإثم في الشرك لقولهم عزير ابن الله
أو في الزور بالتحريف والافتراء على الله لقوله وقولهم الإثم والعدوان والظلم المتعدي
وأكلهم السحت الحرام أفرده بالذكر لأن اليهود موسومون بأكل الرشاء لبئس ما كانوا يعملون
لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت تحضيض وحث للزهاد والعلماء
منهم على النهي عن المنكر لبئس ما كانوا يصنعون أي الربانيون والأحبار آثر لفظ الصنع الذي
يحتاج إلى تدرب وتعمل زيادة توبيخ لهم لأن مرتكب المنكر له داعية إليه والالتذاذ مباشرته
بخلاف تارك النهي عنه ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه هي أشد آية في القرآن وقالت
اليهود يد الله مغلولة الغل والبسط كنايتان عن البخل والجود أو مجازان ولذلك لو كان مقطوع
اليدين لقيل بسط يديه بالعطاء الأترى إلى قوله في وصف السحاب جاد الحمى بسط اليدين بوابل
شكرت نداه تلاعه ووهاده كانوا أصحاب أموال وزروع فأخذهم الله بالقلة والقحط لما
كذبوا رسول الله كما فعل بآل فرعون لما كذبوا موسى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من
الأموال والثمرات لأنهم لما لم يشكروا أجل نعم الله منعهم إياها وهي الخصب والقائل فنحاص
بن عازوراء أسند قوله إلى الكل لأنهم رضوا بما قال غلت أيديهم دعاء عليهم بالبخل
ولذلك لا ترى أبخل من اليهود ولا أنكد عيشا أو بحقيقة الغل في الدنيا بالأسر والرق وفي الآخرة
حين يسحبون إلى جهنم والأغلال في أعناقهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان أثبت ما نفوه
من جوده على أبلغ وجه إذ غاية أحوال الجواد أن يجني للسائل بيديه ينفق كيف يشاء استيناف
لبيان بسط اليدين أو حال من مفهومه لأنه في معنى الجواد أي ينفق على وفق حكمته لا ينقص الإنفاق
عن خزانته شيئا كما رواه مسلم عنه عز وجل عطائي كلام ومنعي كلام وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل
إليك من ربك طغيانا وكفرا إذا سمعوا أمثاله وقبائحهم وكما أن الإيمان يزداد بازدياد المؤمن
به فكذلك الكفر يزداد بازدياد ما كفر به وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة لا

لايتوافقون على كلمة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله تجاوز عن السعي في اسباب الحرب والفتن
عن قتادة لما خالفوا احكم التورية سلط الله عليهم بخت نصر وافسدوا ثانيا فسلط عليهم
قسطوس الرومي ثم جاء الاسلام وهم تحت يد المجوس ودل كلما على ان ذلك كان دابهم ويسعون
في الارض فسادا باخذ الرشى وتحريف كتاب الله وتضليل العوام والله لا يحب المفسدين كل
مفسد منهم ومن غيرهم ولو ان اهل الكتاب امنوا بما جاء به محمد عليه السلام واتقوا عما كانوا فيه
من السعي بالفساد لكفرنا عنهم سيئاتهم لان الايمان ما يجب ما قبله ولادخلناهم به جنات
النعيم تفضلا بعد العفو عن جناياتهم ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم
من ربهم وهو القرآن المجيد لانهم مكلفون بما فيه لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم كناية
عن السعة في الرزق كقوله ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض
او من فوقهم ثمار الاشجار ومن تحتهم حبوب الزروع او من فوقهم الجنة لانها فوق السماء ومن
تحت ارجلهم الدنيا لانها تحت نظرهم فهم متمكنون منها اشارة الى ان ما يصيبهم من القلة و
القحط بسبب كفرهم منهم امة مقتصدة هم الذين امنوا منهم وكثير منهم ساء ما يعملون ما اسوء
عملهم من الاشراك وتحريف الكتاب يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك من الوحي يشمل المتلو
وغيره وان ازداد اليهود بذلك طغيانا وكفرا فلا تبال وان لم تفعل ما امرت به وتركت منه ادنى
شيء فما بلغت رسالته خرجت منها وسلب منك اسم الرسول كالمصلي اذا ترك ركنا من اركانها
وشرايطها لم يكن مصليا روى مسلم والبخاري عن عايشة رضي الله عنها من قال ان رسول الله
لم يبلغ شيئا مما انزل الله فقد كذب والله يقول بلغ ما انزل اليك ولو كتم شيئا لكتم وتخشى
الناس والله احق ان تخشيه وما قيل المراد تبليغ ما يتعلق بمصالح العباد فان من الاسرار
الالهية ما يحرم افشاؤه مع كونه قولا بلا دليل مناقض للحديث وعموم ما دل عليه كلمة ما
وقراء نافع وابن عامر رسالاته جمعا باعتبار الاحكام والله يعصمك من الناس ازاحة لعذره
في عدم التبليغ نزلت في حجة الوداع فلا اشكال في كسر رباعيته وشج راسه يوم احد وقيل
المراد عصمته من القتل عن عايشة وانس بن مالك رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يحرس بالليل فكان ليلة من الليالي في قبة فاخرج راسه من القبة وقال ايها الناس
انصرفوا فان الله عصمني ان الله لا يهدي القوم الكافرين الذين خلقوا للنار وقيل لا يمكنهم
منك لان التمكين لازم للهداية وفيه تاكيد للعصمة قل يا اهل الكتاب لستم على شيء من
الدين حتى تقيموا التورية والانجيل بان تزيلوا ما حرفتم وبدلتم وما انزل اليكم من ربكم
وهو القرآن بان تؤمنوا بما فيه وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا
كرره لترتب عليه قوله فلا تاس على القوم الكافرين الاسى اشد الحزن ان الذين امنوا والذين
هادوا والصابئون والنصارى ارتفع الصابئون على الابتداء والخبر محذوف على نمط فاني
وقيار بها لغريب او المذكور خبر التقدير لا خبر كقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض
على ما اختاره سيبويه في زيد وعمرو قائم واما عطفه على محل ان واسمها فلا يجوز لان ذلك

لان ذلك مشروط بتقدم الخبر فلا تقول ان زيدا وعمرو منطلقان برفع عمرو على الابتداء لاجتماع عاملين
مختلفين على معمول واحد فان قلت فقدر لا خبر او قد زال المانع قلت الخبر صالح للمجموع
والتقدير خلاف الاصل ولا نكتة للعدول من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون قدم الابعد فالابعد فان المنافقين واليهود ابعد عن الايمان
من الصابئة وهم ابعد من النصارى والعايد محذوف اي منهم فان قلت ذكر في سورة البقرة
فلهم اجرهم عند ربهم فلم اختصر هنا قلت لتقدم تلك نزولا فاكتفى باصل الكلام لقد اخذنا
ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا اعاد ذكر اخذ الميثاق ليرتب عليه ساير قبايحهم
ليعلم ان نقض الميثاق منهم كان من وجوه شتى كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم من
التكاليف فريقا كذبوا كمحمد وعيسى عليهما السلام وفريقا يقتلون كزكريا ويحيى اثر في القتل
المضارع لتصوير تلك الفعلة الشنيعة وحسبوا ان لا تكون فتنة بعد ذلك التكذيب
والقتل ان مع ما في حيزه ساد مسد مفعولي الحسبان وفيه اشارة الى خطائهم في ذلك الحسبان
فعموا عن طريق الحق وصموا عن استماعه ثم تاب الله عليهم قبل توبتهم لما تابوا ثم عموا وصموا
مرة بعد اخرى او المراد بهؤلاء اعقابا ولذلك كثير منهم بدل من الضمير لكونه موصوفا ولا حاجة
الى جعله من قبيل اكلوني البراغيث والله بصير بما يعملون وعيد لهم لقد كفر الذين قالوا ان
الله هو المسيح بن مريم اعاده لان ما تقدم مقالة من عاصر رسول الله الذين جاءوه من وفد نجران
وهذه مقالة من كان في عهد عيسى بدليل قوله وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم
وقد سبق ان هذه مقالة اليعاقبة انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة منعه منها كما
يمنع المكلف من الحرام وماويه النار منزلة المعدلة وما للظالمين من انصار من كلامه تعالى
اي اذا كان من ادعى الالوهية هذا كلامه من اين لهم ناصر بعد او من تمام نصح عيسى لقومه اي
لا ناصر لكم في هذا القول او من عذاب الاخرة وايثار المظهر للدلالة على انهم بذلك القول داخلون
في زمرة الظالمين وجمع الانصار اما باعتبار زعمهم او على طريق مقابلة الجمع بالجمع او بتقدير مضاف
اي جنس الانصار لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة هؤلاء النسطورية والملكانية وما
من اله يستحق العبادة الا اله واحد في ذاته وصفاته وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين
كفروا منهم عذاب اليم اقام المظهر مقام المضمر لتكرير الشهادة عليهم بالكفر واعلاما بانهم اعلام
في الكفر لان المبين اعرف واعرق من المبين لا محالة افلا يتوبون الى الله عطف على قوله لقد كفر
او على يصرون مقدرا والهمزة للتعجيب من اصرارهم بعد تكرر الشهادة عليهم بالكفر ويستغفرونه
لما سلف من ذنوبهم والله غفور لما سلف رحيم حيث دعاهم الى التوبة بعد ذلك الكفر البليغ
ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل شانه كشانهم ان كانت الشبه في ابراء الاكمه
والابرص فصيرورة عصا موسى حية مع تلك الصفات اغرب وان كان في ولادته من غير والد فادم
اولى بذلك منه وامه صديقة كساير الصديقين وفيه دلالة على انها لم تكن نبية كما زعم
بعضهم ولا موسومة بما رماها به اليهود كانا ياكلان الطعام يحتاجان الى ما يحتاج اليه ساير

سائر الحيوانات وتخصيص الطعام لأن النصارى لا يقدرون على انكاره انظر كيف نبين لهم الآيات
على اسلوب بديع حاسم للشبهة ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق بعد ظهوره ثم للتراخي
بين التعجبين لأن اعراضهم بعد ذلك البيان العجيب اعجب قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك
لكم ضرا ولا نفعا شيئا من المضار دينا ودنيا وفي ابراء الأكمه والأبرص لم يكن مستقلا بل
مستفيدا والله هو السميع لأقوالكم العليم بعقائدكم او تعبدون العاجز وتذرون القادر
على عدم ضره ونفعه اباه كناية عن عجزه كما ان السمع والعلم كناية عن القدرة وايثار ما لكون
الكلام في مقام الكبرياء بتعبد الله عن مقام الألوهية قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم
غير الحق الى غير الحق او غلوا غير الحق على انه مؤكد وصف كامس الدابر لأن الغلو يكون حقا
وباطلا لأنه تجاوز عن الحد فلا يكون موصوفا بالحقية فما الأنبياء الى قوله اياكم والغلو
في الدين ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل قبل بعثة محمد عليه السلام واضلوا كثيرا
ممن تابعهم وضلوا بعد بعثته عن سواء السبيل متعلق بضلوا لفظا وبالثلاثة معنى لعن
الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم تنفير عن اتباعهم بانهم ملعونون
على لسان الرسل ثابت لعنهم في الكتب الالهية عن ابن عباس رضي الله عنه لعنهم الله في زبور
داود وانجيل عيسى وقيل دعا داود على اهل ايلة لما احلوا السبت فمسخوا قردة ودعا عيسى
على اهل المائدة لما كفروا فمسخوا خنازير ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون لم يكن ذلك
اللعن الا للافراط والغلو في العصيان لأن الرحيم لا يؤاخذ الا بعد الاسراف كانوا لا
يتناهون عن منكر فعلوه تفسير للاعتداء في المعصية لأن الانسان له داعية الى مباشرة المعصية
واما ترك التناهي فلا والمعنى لم ينه بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او
اراد وافعله روى ابو داود عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان رجلا من بني اسرائيل كان يرى الآخر في معصيته فيقول له اتق الله ثم يلقاه في الغد فيكون اكيله
وشريبه ثم قال والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد المسيء
اوليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ويلعنكم كما لعنهم وروى ابو داود والترمذي عن ابي
سعيد رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال افضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان
جائر لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا ترقى بهم الحال في الفساد حتى
يوالون من يباشر اشد المنكرات فسادا من كتب عنده لبئس ما قدمت لهم انفسهم ما اسوءا قدموه
ليوم تشتد فيه الحاجة ان سخط الله عليهم مخصوص بالذم على تقدير المضاف اي موجب سخط الله
وفي العذاب هم خالدون لا محالة ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي الذي امنوا به وما انزل اليه
من الكتاب او بمحمد وما انزل اليه على ان الكلام في منافقي اهل الكتاب ما اتخذوهم اولياء للتنافي بين
الولائين ولكن كثيرا منهم فاسقون فلذلك يوادونهم لتجدن اشد الناس عداوة للذين
امنوا اليهود والذين اشركوا كون اليهود حريا كونهم ملزوزين مع المشركين في قرن جنة كونوا
ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى وان لم يكونوا من النصارى حقا

حقا ذلك بأن منهم قسيسين علماء من قس الشيء طلبه قال بعضهم عن قس الأذى غوا فادوا ورهبانا
عبادا من رهب الشيء خافه وانهم لا يستكبرون لرقة طبعهم ورأفة قلوبهم وجعلنا في قلوب
الذين اتبعوه رأفة ورحمة وفيه حث على محاسن الأخلاق فانها محمودة من الكافر فكيف من المؤمن
لما اعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم بنت حاتم واعطاها نفقة فقال اكرموها فان اباها كان
يقري الضيف واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع عطف على لا يستكبرون
يقال فاض الماء اذا كثر وسال عن جوانب الحوض اطلق على الامتلاء اطلاق المسبب على السبب او الاسناد
مجاز مثل جرى النهر والدمع مصدر وعن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في النجاشي واصحابه وذلك
ان بعد وقعة بدر ارسل المشركون عمرو بن العاص الى النجاشي يطلب منه من هاجر الى الحبشة من
اصحاب رسول الله ليقتلوهم بدل قتلاهم فلما وفد اليه عمرو ذكر له انهم يعيبون عيسى بن مريم
فدعاهم النجاشي الى مجلسه وجمع القسيسين والرهبان ووضعوا الكرسي ونشروا عليها الانجيل
فلما حضروا مجلسه وكان جعفر بن ابي طالب اكبرهم فسأله النجاشي عن شأن رسول الله وما يأمر
فذكر انه يأمر بالصلوة والصدق والعفاف وصلة الارحام وقال هل معك من كلام الله تعالى
الذي جاء به قال بلى قال فاتل منه وكان جعفر حسن الصوت جهوريا فافتتح سورة مريم فلما
سمعوا شأن عيسى في حمله وتولده بكوا هذا البكاء الذي اخبر الله عنه فقال النجاشي لعمرو
ابن عيب عيسى قال لعمرو والبس يقول فيه انه عبد الله وكان بيد النجاشي قضيب فقال والله ان
عيسى بن مريم لا يباهي بان يكون عبد الله ولم يتجاوز عيسى عن كونه عبدا بمقدار هذا العود ثم رد
هدية المشركين وقال لجعفر واصحابه كونوا آمنين مما عرفوا من الحق من الاولى ابتدائية
والثانية بيانية وما موصولة او تبعيضية لان ما عرفوه بعض الحق او مصدرية يقولون
ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين الذين يشهدون بالحق او مع امة محمد الذين يشهدون للانبياء
بالتبليغ وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وما لنا لا نؤمن بالله وما
جاءنا من الحق جملة حالية والعامل فيها معنى الفعل في اللام استبعدوا ان يكونوا غير مؤمنين
مع قيام موجب الايمان روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنه ان هؤلاء كانوا ملاحين
قدموا مع جعفر واصحابه عام خيبر فآمنوا برسول الله فقال لهم لعلكم اذا رجعتم الى ارضكم انقلبتم
قالوا وما لنا لا نؤمن ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين حال اخرى والعامل فيها هو العامل
في الاولى معتدا بها اي اي شيء يحصل لنا غير مؤمنين والحال انا نطمع او حال عن فاعل لا نؤمن
او عطف عليه باعتبار النفي اي وما لنا لا نجمع عدم الايمان والطمع او باعتبار المنفي اي وما لنا لا نجمع
بين الايمان والطمع بالدخول في صحبة الصالحين بالدخول في الاسلام فاثابهم الله بما قالوا بذلك
القول الناشئ عن خلوص الاعتقاد جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين
كل محسن والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم الملازمون طاعة الاسلوب دلالة
على سعة رحمته وسبقها والتكذيب بالآيات وان كان داخلا في الكفر الا انه صرح به لانه في مقابلة
كلام المصدقين بما جاءهم من الحق يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم كما فعل اهل الكتاب

او لاتتركوها ترك الحرام تزهدا او تقشفا روى مسلم والبخاري ان ناسا من اصحاب رسول الله سالوا ازواجه
عن عمله سرا فكانهم تقالوا وقالوا اين نحن منه قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فقال
بعضهم انا لا اتزوج النساء وقال بعضهم انا لا انام على الفراش فبلغ ذلك رسول الله فقال ما بال
اقوام يقولون كذا وكذا والله اني لاخشاكم واعلمكم بالله لكني اصوم وافطر واقوم وانام واكل
اللحم واتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني وعن الحسن انه دعي الى طعام فذهب باصحابه فقعد على
المائدة وكان عليها الوان وفيها الفالوذج فاعتزل فرقد السبخي ناحية فقال الحسن ما له اصائم
هو قالوا لا لكنه يكره الالوان فاقبل الحسن عليه وقال يا فرقد لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن
ما عابه مسلم وقيل له ان فلانا لا ياكل الفالوذج يقول لا اقدر على شكره فقال اجاهل بنعمة الله
عليه في الماء البارد اكبر من الفالوذج ولا تعتدوا لا تتجاوزوا حد الاعتدال الى الاسراف او حد
الشرع او بتحريم الطيبات او لا تعتدوا مطلقا ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا
مقيدا بهذه الحال دل على ان الرزق قد يكون حراما وحمله على الحال المؤكدة او صفة لمصدر محذوف
الظاهر مفعول كلوا او حال حذف العائد الى الموصول طيبا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون
فان الايمان به وبصفاته وافعاله من الثواب والعقاب يوجب التقوى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم
هو قول الرجل لا والله وبلى والله من غير قصد اليه وذهب الشافعي واحمد رحمهما الله او ما يظن انه كذا و
لم يكن كذلك واليه ذهب ابو حنيفة وقيل اليمين في الغضب ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان عزمتم
عليها ووثقتموها بربط القلب وقرا حمزة وابو بكر وابن ذكوان بالتخفيف والباقون مشددا وزاد
ابن ذكوان الفا بعد العين اما على ان المفاعلة بمعنى فعل نحو عاقد الله او عاهدتم عن كرما الايمان
والمختار للتكثير والتخفيف اكتفاء بمجرد العزم فكفارته اطعام عشرة مساكين لكل مسكين نصف
صاع من بر او صاع من غيره عند ابي حنيفة رحمه الله ومد من اي كان عند الشافعي رحمه الله من اوسط
ما تطعمون اهليكم صفة اطعام او صفة مصدر او اطعاما من اوسط او مفعول به او بدل من اطعام
اي من الاعدل من الاعلى والادنى توسطا بين الافراط والتفريط وعن عطاء من خير او كسوتهم
عطف على اطعام او على ان الكسوة فعل فان قلت هل يصح عطفه على محل من اوسط قلت نعم ان قدر مضاف
اي الباس كسوتهم او يجعل من قبيل علفتها تبنا وماء باردا والمقدار من الكسوة ما يطلق عليه اسمها
او تحرير رقبة سالمة وشرط الشافعي الايمان حملا للمطلق على المقيد به في كفارة القتل فمن لم يجد
فصيام ثلاثة ايام فعليه صوم ثلاثة ايام وشرط ابو حنيفة رحمه الله التتابع لقراءة ابن مسعود رضي الله
عنه ذلك المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم وحنثتم في ايمانكم واحفظوا ايمانكم لا تحنثوا فيها فان
الحنث هتك لاسمه تعالى كذلك يبين الله لكم آياته مثل هذا البيان الشافي يبين سائر ولا بل احكامه لعلكم
تشكرون نعمة العلم والتخيير في الكفارة والتسهيل فيه يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب
والازلام رجس من عمل الشيطان الميسر القمار والانصاب الاحجار المنصوبة التي كانوا يذبحون عليها
او الاصنام والازلام الاقداح التي كانوا يتفالون بها او يقسمون بها الجزور والرجس النجس او انه كثير
فيما يستقذر من الافعال افرده لانه مصدر في الاصل او لانه خبر الخمر وصح كون قوله من عمل الشيطان

من عمل الشيطان بيان له وهو عام في المذكورات كلها فاجتنبوه اي تعاطي المذكورات لعلكم تفلحون
لكي تفوزوا انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر افردهما بالذكر
لان الكلام مع المؤمنين وهم لم يتعاطوا الانصاب والازلام ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة
التي هي عماد دينكم ولذلك افردها فهل انتم منتهون ابلغ من ان يقال انتهوا لان العاقل اذا تامل
ما سبق من الاوصاف يرتدع لا محالة كانه قال قد تلي عليكم ما فيهما من الفساد فبعد هذا البيان
هل انتم منتهون ام لا اكد تحريمهما بوجوه تصدير الكلام بانما وقرنهما بالانصاب والازلام
الذين هما من اعمال اهل الاوثان والحكم عليهما بالنجاسة وجعل الاجتناب عنهما الفلاح
وما فيهما من ضرر الدنيا من وقوع العداوة والبغضاء والدين من الحجاب عن ذكر الله الذي
حياة القلوب الا بذكر الله تطمئن القلوب روى ابو داود عن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لعن في الخمر عشرة بايعها وشاربها وساقيها ومشتريها وعاصرها
ومعتصرها وحاملها والمحمولة له واكل ثمنها وروى مسلم ان تميم الداري كان يهدي
لرسول الله كل عام راوية خمر فجاء بها بعد تحريم الخمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها
حرمت بعدك فقال يا رسول الله ابيعها وانتفع بثمنها فقال ان الذي حرمها حرم ثمنها و
اطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا عن مخالفة اوامرهما ونواهيهما فان توليتم فاعلموا انما
على رسولنا البلاغ المبين فلا تضرون الا انفسكم فان الرسول قد بلغ ما عليه بالوعد ليس على
الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا من الخمر قبل تحريمها روى البزار عن جابر ان ناسا
قتلوا يوم بدر او احد وقد شربوا الخمر فقال فيهم اليهود فنزلت وقيل معناه رفع الجناح عن سائر
المستلذات لئلا يقاس على الخمر وهذا اوفق بقوله اذا ما اتقوا وآمنوا ثبتوا على ايمانهم وعملوا
الصالحات ثم اتقوا ما يتجدد حرمته كالخمر وآمنوا بان حكم الله ثم اتقوا ثم استمروا على التقوى
واحسنوا واخلصوا في ذلك كله لقوله الاحسان ان تعبد الله كانك تراه او احسنوا على الناس بما
امكنهم وقيل اشارة في المواضع الثلثة الى مراتب التقوى الاول ان يتقي ما حرم الله وهي تقوى
العوام والثاني ان يتقي الشبهات وهي تقوى الخواص والثالث تقوى المقربين وهي ربط السر عليه
تعالى والى ذلك يشير قوله ما زاغ البصر وما طغى والله يحب المحسنين يوفقهم للطاعات
ويحسن لهم المثوبات ويعفو عنهم السيئات يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد
تناله ايديكم ورماحكم نزل عام الحديبية كثر الصيد بينهم حتى كانوا يقدرون على اخذه باليد
ونكر الشيء تحقيرا له لانه ليس من الامور العظام كبذل الاموال والارواح وحمله احمد والشافعي
رحمهما الله على التنويع تخصيصا بالماكول لانه المتعارف في الصيد ولقوله خمس من الدواب ليس
على المحرم في قتلهن شيء الغراب والحداة والفارة والعقرب والكلب العقور ليعلم الله من
يخافه بالغيب ليتميز الخائف من عذابه ملتبسا بالغيب عن غيره فمن اعتدى بعد ذلك بعد ورود النهي
فله عذاب اليم في الاخرة وعن ابن عباس رضي الله عنه يجز ظهره وبطنه يا ايها الذين آمنوا لا
تقتلوا الصيد وانتم حرم اعاد النداء وصرح بالنهي مبالغة وليترتب عليه الجزاء في الدنيا وذكر

القتل دون الذبح لان الصيد قل ما يتمكن من ذبحه ومن قتله منكم متعمدا قاصدا قتله فجزاء مثل ما قتل من النعم اى فعليه جزاء يماثل المقتول لحال كونه من جنس النعم وقراءة غير الكوفيين باضافة جزاء اضافة المصدر الى المفعول اى فعليه ان يجزى المقتول مثله وجعله من قبيل مثلك لا يبخل لا يلائم يحكم به ذوا عدل منكم بان مثل المقتول ان لم يكن منصوصا من الشارع هذا اذا كان له مثل فى النعم والا فالقيمة وعند ابى حنيفة رحمه الله سواء كان المقتول مثليا او لا يبلغ الا القيمة ثم هو مخير فيها ان شاء تصدق بها وان شاء اشترى هديا وجوز الشافعى رحمه الله ان يكون القاتل احد الحكمين هديا بالغ الكعبة تذبح فى الحرم باتفاق الائمة فان قلت وجوب الجزاء حكم عام فى العمد والخطاء فما وجه قوله متعمدا قلت انما ذكره ليرتب عليه حكم التاثم بقوله ليذوق وبال امره ومن عاد فينتقم الله منه فان قلت كيف الحق به الخطاء فى حكم الجزاء والاجماع بين الخطاء والعمد قلت لم يلحق به قياسا بل اجماعا على ان ضمان المتلفات لا يختص بالعمد او كفارة طعام مساكين بدل من كفارة او عطف بيان وقرأ نافع وابن عامر باضافة كفارة نحو خاتم فضة او عدل ذلك صياما يساوى الطعام بان يطعم كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره او يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم يبلغ طعام مسكين تخير بين ان يتصدق به او يصوم عنه يوما هذا عند ابى حنيفة رحمه الله والشافعى رحمه الله الا ان طعام كل مسكين مد من اى طعام كان عنده ليذوق وبال امره يتعلق بمحذوف دل عليه الكلام اى وجب عليه جزاء الصيد على النمط المذكور ليذوق وخامة جنايته من الوبل وهو الثقل ومنه الوابل للمطر العظيم القطر عفا الله عما سلف من الصيد قبل التحريم اذ لا مؤاخذة على الفروع قبل البيان اتفاقا ومن عاد بعد النهى فينتقم الله منه بالكفارة او بالعقوبة اى فهو ينتقم الله منه خبر مبتدأ لان الجزاء اذا كان مضارعا لا يدخله الفاء والله عزيز غالب ذو انتقام لا يقدر على منعه احد اذا اراد احل لكم صيد البحر مصيده وطعامه ايضا متاعا لكم وللسيارة متعلق بطعامه اى احل لكم الانتفاع بصيد البحر واكل ذلك الصيد طريا لكم وللمسافرين يتزودون منه وقيل الضمير فى طعامه للبحر وهو ما قذفه ميتا رواه ابو هريرة رضى الله عنه مرفوعا وتخصيص ابى حنيفة رحمه الله الصيد بالسمك يرده حديث ابن عمر رضى الله عنه هو البحر الطهور ماؤه والحل ميتته رواه البخارى واهل السنن وكذا حديث جيش ابى عبيدة اكلوا منه من دابة تسمى عنبر وبقوا عمهم نعته اكل منها رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما ما دمتم محرمين اصطاده بنفسه او امر غيره او اصطاده غير محرم للمحرم وخصه ابو حنيفة رحمه الله بما اصطاده بنفسه او امر غيره ويرده حديث صعب بن جثامة كما رواه البخارى ومسلم انه اهدى لرسول الله حمارا وحشيا وهو محرم فرده عليه فلما راى ما فى وجهه قال انا لم نرده عليك الا انا حرم وانما رده لانه صاده لاجله بدليل انه قبله من ابى قتادة كما رواه ايضا ولا دليل له فى قوله ما دمتم حرما الآية فيد لحرمة ما حرم سواء كان صيده او صيد غيره ولو لاصحابه ابى قتادة لحرم مطلقا لدخوله تحت صيد البر ولا فى قوله لا تقتلوا الصيد لان خطاب الخطاب عن قتل الصيد وهو محرم لا يدل على حرمة ما

على حل ما صاده غيره لاجله ولا على ان ما قتله لا يحل له اكله ولا لغيره لانه فى حكم الميتة فهذه الاية لاحكام اخرى لا يدل عليها الاية الاولى واتقوا الله فى المحافظة على حدوده الذى اليه تحشرون جعل الله الكعبة لما حرم صيد الحرم اشار الى شرف الكعبة ليدل على ان من دخل فى اعمالها حرما حقيق بان يؤمن من اذاه لسراية الامن منها اليه البيت الحرام عطف بيان وله فى هذا الموضع شان لا يخفى قياما للناس قيام الشىء وقوامه ما به صلاح الشىء واستقامته وكذلك البيت المعظم للتجار يربحون فضل الاموال ويحطون حمل الاوزار عنده وقرا ابن عامر قيما مقصورا وهى لغة والشهر الحرام ذا الحجة لانه ايام الحج او الجنس لحصول الامن منها والتمكن من السفر والهدى نتمتع بها الفقراء ويثاب بها المتقربون والقلائد ذوات القلائد افردها لانها اشرف واكثر ثوابا ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض فلا يخلو فعله عن حكمة وان الله بكل شىء عليم المذكور وغيره اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم قدم صفة الجلال لانه فى مقام التكليف ما على الرسول الا البلاغ وقد ادى ما عليه والله يعلم ما تبدون وما تكتمون حث على الاخلاص قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو اعجبك ايها المخاطب كثرة الخبيث فى بادى الراى ارد فرضة الحرم لان الحرم محل القرابين والتصدقات على المجاورين المحاويج فاتقوا الله فى انفاق الخبيث يا اولى الالباب يا ذوى العقول الخالصة لعلكم تفلحون لكى تفوزوا يا ايها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم روى الترمذى انهم سألوا فى حجة الوداع افى كل عام فسكت ثم قالوا افى كل عام فقال لو قلت لوجب دعونى ما تركتكم فاذا امرتكم بشىء فاتوا منه ما استطعتم فنزلت وروى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنه ان قوما كانوا يسألونه استهزاء فيقول الرجل من ابى ويقول الآخر اذا ضلت ناقته اين ناقتى فنزلت وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم الحين تنزل الوحى تسألوا عنها تظهر لكم ببيان رسول الله وقيل لا تسألوا عن تلك الاشياء ما دام رسول الله فيكم يظهر لكم ما يسوءكم عفا الله عنها عما سلف من المسائل والله غفور للسيئات حليم لا يعاجل بالعقوبة قد سألها قوم من قبلكم اى المسألة دل عليها ذكر الفعل والضمير فى موضع المصدر او هو من الحذف والايصال او السؤال بمعنى الاستعطاء من سأله الله درهما كسؤال اصحاب المائدة وقوم صالح ثم اصبحوا بها كافرين بتاسا الراعد او بسبب المسألة كافرين ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد ونفى لتمين عن السؤال باشياء من اخلاق الجاهلية تاكيدا للنهى اشارة الى ان تلك المسألة من هذا القبيل ومعنى ما جعل ما شرع والبحيرة ناقة كانت اذا انتجت خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اى شقوه وحرموا الانتفاع بها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى وكان الرجل يقول ان قدمت من سفرى سالما او شفيت من مرضى فناقتى سائبة يريد تحريم الانتفاع بها او يقول سائبة يريد ان لا عتق ولا توارث واذا ولدت الشاة ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لاجلهم وان ولدت ذكرا وحده ذبحوه واذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن

قالوا قد حمى ظهره فلا تركب ولا تطرد عن ماء ومرعى وهذا هو الحام ولكن الذين كفروا يفترون على
الله الكذب كانوا يزعمون انه شرع ابراهيم روى البخاري رحمه الله عن ابي هريرة رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت عمرو بن لحي في النار يجر قصبه وهو اول من سيب
السوائب وغير دين ابراهيم عليه السلام واكثرهم لا يعقلون بل هم كالانعام فلذلك يصدر
منهم ما لا يعقل واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه
آباءنا تقرير لعدم عقلهم وتناهي بلادتهم حيث لا يتبعون المؤيد بالمعجزات ويقلدون اباءهم
أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون الواو للحال والهمزة للانكار والمعنى ايقلدونهم
وهم على هذا الحال لان شرط المقتدي ان يكون عالما مهتديا يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم
نصبا انفسكم على الاغراء اي الزموا انفسكم اذا امرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر بقدر الطاقة
او لم يقدروا عليه لفساد الزمان لما روى الترمذي رحمه الله عن ابي ثعلبة رضي الله عنه سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر حتى اذا رأيت
شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك فان من
ورائكم ايام الصبر فيهن كالقبض على الجمر للعامل فيهن اجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم لا يضركم
من ضل مستأنف او جزم على الجواب اذا اهتديتم بعد ان اديتم ما عليكم من الامر والنهي الى الله مرجعكم
جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا
حضر احدكم الموت ظرف للشهادة اي شارف الموت حين الوصية بدل منه وفي ابداله
دليل على وجوب الوصية لانه جعل زمان حضور الموت الذي لا بد منه زمان الوصية قلت لا دلالة
في ذلك كقولك اعدلي اذا طلعت الشمس حين صلوة الضحى وحاصله ان لزوم وجود الظرف ليس مستلزما
لوجود المظروف اثنان خبر مبتدأ على تقدير مضاف اي شهادة بينكم شهادة اثنين او فاعل شهادة
بينكم اي فرض عليكم ان يشهد اثنان ذوا عدل منكم صفة اثنان اي من اقارب الموصي وعن ابن عباس
رضي الله عنه من المسلمين او آخران من غيركم من غير الاقارب او من غير المسلمين ان انتم ضربتم في الارض
فاصابتكم مصيبة الموت شارفتكم عطف على ضربتم وجزاء الشرط محذوف دل عليه الكلام اي ان وقع
الموت في السفر ولم تجد الاقارب فاستشهدوا من الاجانب ومن غير المسلمين روى الترمذي وابن
ماجه رحمهما الله عن ابن عباس رضي الله عنه ان تميم بن اوس الداري وعدي بن بداء كانا نصرانيين
وكانا بالشام في تجارة فقدم مولى لبني سهم يقال له بديل بن ابي مريم فلما حضرته الوفاة اوصى اليهما
ان يوصلا ما تركه الى اهله وكان في تركته جام من فضة فباعاه بالف درهم واقتسما قال تميم فلما اسلمت
جئت اهله بخمسمائة درهم واخبرتهم الخبر فوثبوا على عدي فانكر فاحتكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستحلفوه بما يعظم به اهل دينه فحلف فقام عمرو بن العاص وآخر منهم فحلفا فنزعت الخمسمائة
منه ففيهم نزلت الآيات تحبسونهما استئناف او صفة آخران من بعد الصلوة صلوة العصر لان رسول
الله صلى الله عليه وسلم استحلف عديا بعد صلوة العصر عند المنبر ولان اهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة
بعدها وقيل جنس الصلوة لانها تنهى عن الفحشاء والمنكر فيقسمان بالله ان ارتبتم اعتراض بين القسم و

بين القسم وجوابه وهو لا نشتري به ثمنا اي بالقسم ولو كان ذا قربى اي المقسم له ولا نكتم شهادة الله التي
امرنا باظهارها وحفظها الاضافة للتعظيم انا اذا لمن الآثمين لو كتمناها او حرفناها والغرض المبالغة
في الصدق وايماء الى دخولهم تحت قوله كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين
والاقربين فان عثر على انهما استحقا اثما اطلع على انهما خانا اثما بان كذبا في تلك الشهادة يقال
استحق كذا اذا لاق بان ينسب اليه ومرتكب الاثم حقيق بان ينسب اليه فجعل استحق كناية من الجناية
فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم من الذين جني عليهم وهم ورثة الميت الاوليان
الاقربان الى الميت من سائر الورثة رفع على البدل من آخران او من ضمير يقومان او مبتدأ خبره
آخران لا العكس لكون الخبر معرفة والمبتدأ نكرة او خبر مبتدأ محذوف اي هما الاوليان وقرأ
حفص استحق على بناء الفاعل على ان الاوليان فاعل والمعنى استحق الاوليان على سائر الورثة اقامتهما
للشهادة في مقابلة شهادة الخائنين وقرأ حمزة وابو بكر الاولين بصيغة الجمع صفة الذين مجرورا
او نصبا على المدح فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما اولى بالقبول كما فعل عمرو وصاحبه
مع عدي وما اعتدينا وفي هذه الشهادة ما هو الحق انا اذا لمن الظالمين داخلين في زمرتهم لو تجاوزنا
الحق ذلك ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم اي شرعية الحكم
على الوجه المذكور اقرب الى ان يأتي الشهداء بالشهادة على وجه الصدق ويخافوا ان ترد ايمانهم بقيام
آخرين من اهل الميت يقسمان على خلاف ما اقسموا عليه واي واحد من الامرين كان منع اداء الشهادة
بالصدق والامتناع عن الاداء على وجه الكذب كان فيه صلاح فان قلت المائدة لا نسخ فيها وفي الآية
احكام لم يقل بها الائمة وجوب الايصاء الى اثنين وتحليف الشاهد وحلف اثنين من الورثة وكون
اليمين بعد العصر قلت ليس في الآية ما يوجب الايصاء الى الاثنين بل دلالة على الاولى لا سيما في السفر
فانه مظنة الآفات والاثنان اذا كانا وصيين يحلفان اذا اتهما كما في قصة بديل فان تميما وعديا
كانا وصيين في ايصال التركة الى اهل الموصي وانما حلف الاثنين من الورثة فهو اذا ادعى الوصي بعد
ثبوت المردود به بعد حلف الوصيين وذكر الاثنين للاستظهار حتى لو كان الوارث واحدا كان الحكم
كذلك بلا خلاف فان قلت المذكور في الآية هو الشهادة فكيف يحمل على الايصاء قلت الايصاء اشهاد على
نفسه كما ان الاقرار كذلك لقوله كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم فان قلت هلا
قيل بالنسخ وفيه ارتفاع الاشكال قلت ناسخه لا بد وان يكون متواترا واني لك به فان قلت الاجماع
الآن كاشف عنه قلت معارض بما ذكر من تقدير الاحكام واتقوا الله في الحكام واسمعوا سماع تدبر
وطاعة والله لا يهدي القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل متعلق بيهدي او نصب باذكر او يجمع الله
الرسل يكون كيت وكيت او بدل من كلمة الجلالة كانه قيل واتقوا الله يوم جمعه فيقول ماذا اجبتم
اجابة اقرار او انكار والقصد اظهار المعدلة وتوبيخ الامم المكذبة على رؤوس الاشهاد وماذا
نصب على المصدر قالوا لا علم لنا بالنسبة الى علمك الشامل ويختص به دونك او لا علم لنا بما ابطنهم
وانما نعلم ظاهرها او هو اظهار للتشكية كما يقول المتظلم في جواب الحاكم بحضرة الظالم ماذا فعل بك لا اعلم او
لا علم لنا بما احدثوا بعدنا كقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وقيل يدهشون من هول

لسؤال ثم يجيبون بعدما تثوب اليهم عقولهم وفيه ان الرسل آمنون لقوله لا يخاف لدي المرسلون و
لقولهم انك انت علام الغيوب وقرأ حمزة وابو بكر بكسر الغين لمناسبة الياء وثقل الضمة اذ قال
الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي بدل من يوم يجمع الله الرسل من نمط ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار
او نصب باذكر وقيل لما قال الله اذكر نعمتي كان يلبس الشعر ويأكل الشجر لا اهل ولا مال ولا وطن ولا دار
واليه اشار ابو العلاء بقوله سعد المسيح بسيح في الغبراء لا ولد يموت ولا بناء يخرب والوجه
هو الاول لقوله وكنت عليهم شهيدا وقوله يوم ينفع الصادقين صدقهم عليك وعلى والدتك
بالاصطفاء على نساء العالمين والنعم على الاصول نعمة على الفروع اذ ايدتك بروح القدس بالكلام
الذي به حيوة القلوب لقوله تكلم الناس فهو روح القدس مجاز لغوي وحكمي والاضافة الى القدس
لانه سبب الطهر عن اوضار الآثام وقيل بجبرائيل في المهد وكهلا في الحالين على السواء وفيه دلالة
على انه رفع بعد الكهولة وهما ما فوق الثلثين وقيل فيه دلالة على انه ينزل في آخر الزمان لانه
حين رفع لم يكن كهلا وليس بشيء لانه حين النزول يكون شيخا والمشهور انه رفع وهو ثلث
وثلثين سنة واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية والانجيل خصا بالذكر مما تناوله الكتاب
والحكمة وقيل الكتاب الخط والحكمة القول الصواب واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني
بتوفيقي وتيسيري فتنفخ فيها الضمير للكاف لانه صفة الهيئة المشبهة فتكون طيرا باذني كرر
الاذن مبالغة في دفع وهم الاستعداد لعلما ظنه اهل الضلال وقرأ نافع طائرا اي واحدا من
جنس الطير وتبرئ الاكمه الذي ولد اعمى والابرص باذني معجزة لك فان الاطباء معترفون
بالعجز عن ذلك واذ تخرج الموتى من قبورهم باذني قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وجارية وكان
اذا اراد احياء ميت صلى ركعتين ثم قال يا قديم يا خفي يا دائم يا فرد يا وتر يا احد يا صمد وقيل
لما احيى سام بن نوح رآه اشمط فقال ما بالك اشمط ولم يكن قبل ابراهيم شيب قال لما ناديت
ظننت انه يوم القيمة فمن ذلك هذا الشيب واذ كففت بني اسرائيل عنك اليهود لما هموا بقتله
اذ جئتهم بالبينات المعجزات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين ظاهر يعرفه كل
احد وقرأ حمزة والكسائي ساحر يريدون عيسى عليه السلام واذ اوحيت الى الحواريين على السنة
او في الانجيل لانهم مكلفون بما فيه كانه اوحي اليهم كقوله لقد انزلنا اليكم كتابا وعن الحسن
وحي اليهم الهاما كقوله واوحينا الى ام موسى ان آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد باننا
مسلمون مخلصون اذ قال الحواريون ظرف لمسلمون او لقالوا آمنا يا عيسى ابن مريم المختار في اعرابه
الفتح لانه علم موصوف بابن مضافا الى العلم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء المائدة
خوان اذا كان عليها طعام من ماده اذا اعطاه كانها تعطي من تقدم اليها واستدل بظاهره على ان
القائلين لم يكونوا مؤمنين لان المؤمن لا يشك في قدرة الله تعالى والحق انهم كانوا مؤمنين لقوله
تعالى كونوا انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله وقولهم هذا كقول
ابراهيم عليه السلام كيف تحيي الموتى وقوله ولكن ليطمئن قلبي او السؤال عن الفعل دون القدرة
تعبيرا عنه بلازمه وقرأ الكسائي هل تستطيع بتاء الخطاب ونصب ربك اي سؤال ربك قال اتقوا الله

قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين كاملي الايمان قالوا نريد ان نأكل منها وتطمئن قلوبنا بينوا
عذرهم في طلبها بانهم ارادوها لغرض صحيح وهو ان يكتفى بذلك عن طلب المعاش ونتوفر لطاعة
الله ونعلم ان قد صدقتنا في رسالتك علم المشاهدة الذي هو اعلى مراتب اليقين ونكون عليها
من الشاهدين لبني اسرائيل قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء لما علم
صحة غرضهم دعا الله لما طلبوه تكون لنا عيدا يوم نزولها قيل كان يوم نزولها يوم الاحد ولذلك
اتخذ النصارى عيدا وقيل كانه عز السرور العائد لاولنا وآخرنا وآية منك بدل بتكرير
العامل اي لمن في زماننا ولمن يأتي بعدنا من اهل الدين او المقدم والاتباع او آخر الناس
كاولهم وارزقنا ما سألناك وانت خير الرازقين اذ غيرك واسطة وانت الرازق في حقيقة
قال الله اني منزلها عليكم لا محالة وان الجمع لان السؤال كان لاجلهم فمن يكفر بعد منكم فاني
اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين وكذلك وقع فانهم لما كفروا مسخوا قردة وخنازير
ولم يقع بعد مثله فان قلت ذكرت انهم كانوا مؤمنين لقوله كونوا انصار الله كما قال عيسى ابن
مريم للحواريين من انصاري الى الله اي كونوا كالحواريين انصار الله فكيف يستقيم ان يكون المؤمنون
مأمورين بان يكونوا مثل قوم كفروا ومسخوا قردة وخنازير قلت الحواريون فرقتان فرقة
استمروا على ايمانهم وفرقة كفروا روي ان عيسى عليه السلام لما اراد ان يسأل الله تعالى انزال
المائدة لبس الصوف وصلى ركعتين وقام على رجليه ناكسا رأسه مسبلا دمعه ودعا فنزلت
سفرة حمراء بين غمامتين حتى سقطت بين ايديهم فقال عيسى عليه السلام ليقم احسنكم عملا
فليكشف عنها فقال شمعون انت اولى بذلك فقام عيسى عليه السلام وبكى بكاء طويلا ثم كشف
المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا فيها سمكة مشوية لا شوك فيها ولا فلوس تسيل دسما
عند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها انواع البقول سوى الكراث وخمسة ارغفة على واحد
زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون من
طعام الدنيا هذا يا روح الله ام من طعام الجنة فقال ليس من شيء منهما ولكن شيء ابتدعه الله
فكلوا واشكروا نعمة ربكم فقالوا كن اول الآكل فقال معاذ الله ليأكل من سألها فخافوا فامر بأكلها
فاطعمها الفاقة وكانوا اكثر من الف فأكلوا وأوحى ان اجعل رزقي في الفقراء فعظم ذلك على الاغنياء
فشكوا وشككوا فمسخوا قردة وخنازير وما يروى عن الحسن انها لم تنزل لا يصح لقوله تعالى اني
منزلها عليكم فان قلت لو نزلت لبقيت الى آخر الدهر لقوله عيدا لاولنا وآخرنا وبه تمسك الناقل
عن الحسن قلت كان ذلك مشروطا بعدم كفرهم واذ قال الله يا عيسى ابن مريم يقوله يوم القيمة
وايثار الماضي لكونه محقق الوقوع أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله
سوى الله على انه صفة الهين فيكون الآلهة ثلثة او يتعلق باتخذوني اي شريكين لله في الالوهية
واستحقاق العبادة كما قال المشركون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله قال سبحانك انزهك عما
لا يليق بكبريائك روي انه يقع على الارض ويسيل من تحت كل شعرة عين من الدم ما يكون لي ان اقول
ما ليس لي بحق نفي الكون وما ليس بحق على وجه العموم مبالغة في التبري عما نسب اليه ان كنت قلته

فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك اى تعلم معلومى ولا اعلم معلومك عبر عنه بلا اعلم ما فى
نفسك مشاكلة إنك أنت علام الغيوب لاعزك تقرير للجملتين لان الحصر يشتمل على الاثبات والنفى
فالاثبات تقرير لتعلم ما فى نفسى والنفى تقرير لقوله ولا اعلم ما فى نفسك ما قلت لهم إلا ما أمرتني
به رد العلم اليه على ابلغ وجه ثم نفى ما نسب اليه كذلك أن اعبدوا الله ربي وربكم ان مفسرة
لمعنى القول كانه قال ما امرتهم الا ما امرتنى به الا انه عدل عنه الى المنزل تأدبا لئلا يجعل ربه
ونفسه امرين ولا يطرد ان يجعل مفسرة بعد كل فعل فيه معنى القول ويجوز ان يكون مصدرية
بدلا من المجرور فى به ولا يقدح فيه بقاء الموصول بلا عائد اذ ليس من شرط البدل استقامة المعنى
به مع طرح المبدل وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم مدة بقائى فيهم فلما توفيتني بالرفع
الى السماء كنت أنت الرقيب عليهم المطلع على احوالهم وأنت على كل شيء شهيد مطلع إن تعذبهم
فإنهم عبادك والسيد متصرف فى ملكه وفى اضافة العباد اليه تعطيف وقيل معناه عبادك
العاصون حقيق بالعذاب وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم الغالب الذى لا يغالب والحكيم
الذى لا يفعل الا ما فيه حكمة بل حكم فان قلت كان الظاهر انت الغفور الرحيم كما قال ابرهيم ومن
عصاني فإنك غفور رحيم فاى وجه للعدول قلت قول ابراهيم فى الدنيا والعصاة احياء اسناد
الى انك قادر على مغفرتهم وان ترحمهم بالتوبة واما العفو عن الكافر فى الاخرة فشأن العزيز الغالب
الذى يفعل ما يشاء والعفو عن الشرك جائز عقلا وانما امتنع لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به
قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم اى هذا اليوم يوم ينفع صدق الصادقين وقرأ
نافع بنصب يوم مفعولا فيه على ان هذا اشارة الى قوله أأنت قلت للناس فقال الله هذا القول
يعنى فى ذلك اليوم فان قلت هلا كان مبنيا كما فى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا قلت اليه ذهب الكوفيون
ومنعه البصريون لان المضارع معرب ولا يقاس على لا تملك لو تلا مع مدخوله غير ممكن فافترقا
والمعنى ان فى هذا اليوم ينفع الصادقين صدقهم المستمر نفعهم فى الدارين كصدق عيسى عم لان الصدق
فى الاخرة لا يجدى كصدق ابليس وسائر الكفار لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا
رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم الذى كل فوز دونه لله ملك السموات والأرض
وما فيهن من الكائنات الاجزاء والجزئيات وفيه تكذيب للنصارى لان عيسى وامه من جملة ما فى
السموات والارض وغلب غير العقلاء وفاء بما على من كون الكلام صادرا عن مقام الكبرياء والسخط
على من اتخذ الها دونه وهو على كل شيء قدير فيقدر على خلق الولد بلا والد واشار الى ازاحة
شبهة النصارى تمت المائدة والحمد لله على نعمه الزائدة سورة الأنعام مكية إلا ست آيات
أو ثلاث آيات من قوله قل تعالوا أتل وهي مائة وخمس وستون آية بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله
الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور اخبر بالجملة الاسمية الدالة على اختصاص
الحامد فيه تعالى اظهارا للغنى عن حمد الحامدين واشارة الى ان حمدهم لم يثبت له شيئا لم يكن
ثابتا بل ذلك منهم ذكر لبعض اوصافه الكمالية ليعود نفعه اليهم واوقع خلق السموات والارض
وانشاء الظلمات والنور فيها فى مقابلة الحمد لانها اصول النعم التى تعم الملئكة والثقلين وغيرها

وغيرها والفرق بين الخلق والجعل هو انه لوحظ فى مفهوم الخلق التقدير والتسوية وفى الجعل
معنى الارتباط بين الشيئين بان ينشأ احدهما من الآخر كالظلمات والنور فانهما ينشآن
من تكاثف الاجرام والنيرات وقد يتعدى الى مفعولين فيكون فيه معنى التصيير كقوله
وجعلوا الملئكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وقدم السموات لعظمها وشرفها لا لتقدمها
فى الوجود وجمع السموات دون الارض للتخفيف لقوله ومن الارض مثلهن وجمع الظلمات
دون النور لانه اريد الجنس ولم يعكس ليكون فيه نوع طباق للسموات والارض وقيل لان
اسباب الظلمة كثيرة تتجاوز النور وتفسير النور بالهدى والظلمات بالضلال والهدى واحد
والضلال كثير لا يلائم المقام ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عطف على الاسمية اعانة تلاحق
بالحمد على هذه النعم والكفار يعدلون عن شكره او على خلق اى الفعلية والمعنى خلق هذه الاجرام
وما يترتب عليها من الظلمات والنور ثم الذين كفروا يساوون به من لا يقدر على شيء فالباء
صلة يعدلون من العدل وثم على الوجهين للاستبعاد هو الذي خلقكم من طين قدم عليه دليل
الآفاق كقوله سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم لتقدمها وظهورها وكونها اصولا و
مواد ثم قضى أجلا هو الموت وأجل مسمى عنده تفرد به لا يعلمه غيره وهو القيمة او ما بين الموت
والبعث والاجل يطلق على اخر المدة وعلى مجموعها وقيل الاول النوم والثانى الموت وتنكير
مسمى للتعظيم ولذلك قدم على الظرف فخالف قولك عندى ثوب جيد وكتاب صحيح ثم أنتم
تمترون من المرية وهى الشك وهذا الاستبعاد فوق الاول لانضمام دليل الانفس الى الآفاق
مع اشتماله على المبدأ والمعاد ولذلك قدم الضمير لتقوى الحكم وخاطب الذين هم به يعدلون
توبيخا لهم وتعجيبا لما هم فيه من الامتراء بعد هذا البرهان الجلى والدليل النير وهو الله مبتدأ
وخبره في السموات وفي الأرض المنفرد بالالوهية فيهما فالجار متعلق بما دل عليه لفظ
الجلالة من الصفات التى اشتهر بها او خبر بعد خبر يعلم سركم وجهركم تقرير لتفرده و
توحده بالالوهية لان الذى يكون السر والجهر عنده سواء هو الله لا شريك له فى ذلك او خبر
اخر ويعلم ما تكسبون من افعال سائر الجوارح تعميم بعد التخصيص واشار الى انه كما تفرد بايجاد
السموات والارض وانشاء الظلمة والنور فيهما وخلق البشر من الطين وحكمه عليهم بالموت
ثم بالبعث كذلك يتفرد بما بين المبدأ والمعاد من التدبير والالوهية فى السموات والارض
والعلم الشامل بما فى الجو سرا وجهرا بل بجميع ما يأتون ويذرون لا يعزب عنه مثقال ذرة
وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين عاد الى اسلوب الغيبة تبعيدا لهم
عن ساحة الحضور لانكارهم الدلائل والمعجزات الباهرة من الاولى استغراقية والثانية تبعيضية
واتى بكان ايماء الى ان اعراضهم عن آيات الله امر مستمر فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فى معرض
الجزاء لشرط مقدر اى كانوا معرضين عن الآيات الدالة على نبوتك فلا تتعجب لانهم كذبوا بما
هو اعظم الآيات الدالة على نبوتك وهو القرآن وكماله فى ظهوره عبر عنه بالحق فسوف يأتيهم
أنباء ما كانوا به يستهزئون عند نزول العذاب بهم جمع الانباء كناية عن عظم العذاب لانه

الواقعة اذا عظمت تواترت الاخبار بها مختلفة ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن القرن
بالكسر مثال في السن وبالفتح اهل زمان واحد وقيل سبعون سنة وقيل ثمانون والاول هو المراد
قال شعر اذا ذهب القرن الذي انت فيهم وخلفت في قرن فانت غريب الاستفهام للتقرير و
كم خبرية والمعنى ان هؤلاء قد شاهدوا آثار المكذبين فما لهم لا يعتبرون وكانت مساكن
عاد وثمود واصحاب الحجر في ممرهم الى الشام ويجوز ان يكون من رؤية القلب فانهم سمعوا تلك
الاخبار وتواترت عندهم مكناهم في الارض جعلناهم متمكنين فيها يتصرفون كيف شاؤوا
في اعمار متطاولة وقوى واموال متزايدة ما لم نمكن لكم يا اهل مكة عدل الى الخطاب ايقاظا لهم
عن سنة الغفلة كما هو دأب السيد الرؤوف يعرض عن عبده المذنب ثم يلتفت اليه ناصحا له
وارسلنا السماء عليهم مدرارا كثيرا متتابعا من الدرة وهي سيلان اللبن والسماء هو المطر
كقوله شعر اذا نزل السماء بارض قوم رعيناه وان كانوا غضابا او السحاب او السماء حقيقة
ومعنى ارسالهما ارسالنا فيهما تجوزا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فعاشوا في رغد عيش
فاهلكناهم بذنوبهم اي بالغلو في العصيان فاستأصلناهم ولم تغن عنهم تلك الاسباب
والقوى وانشأنا من بعدهم قرنا آخرين يعمرون الارض ويسكنونها فنحن قادرون على ان
نفعل بكم ما فعلنا باولئك ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس وحيا مسموعا مكتوبا في الورق
والقرطاس بالكسر والضم وكذا القرطس بفتح القاف ما كتب فيه شيء فلمسوه بايديهم لان
اللمس باليد اقوى ما يكون في رفع الشبهة اذ لو قيد بالرؤية لقالوا انما سكرت ابصارنا
وذكر الايدي مع ان اللمس لا يكون الا باليد كقولهم ابصرته بعيني وسمعته باذني لقال الذين
كفروا ان هذا الا سحر مبين عنادا واتى المظهر ليدل على ان ذلك القول ناش عن كفرهم
وقالوا لولا انزل عليه ملك يشهد له بالرسالة ولو انزلنا ملكا يشهد له كما اقترحوا
لقضي الامر اي امر هلاكهم وشانهم لانهم لا بد وان يكذبوا ثم لا ينظرون طرفة عين وقد جرت
عادته تعالى بان يستأصل من كذب بعد الآية المقترحة كما فعل بثمود بعد الناقة وباصحاب المائدة
بعد نزولها وقيل لقضي الامر اي ماتوا من هول مشاهدة الملك وعظم خلقته والوجه الاول لقوله
ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اي لو كان ذلك الرسول الذي يطلبونه ملكا لكان في صورة
رجل لان البشر لا يقدر على الاستفادة من الملك وهو في صورته ولذلك كان اكثر ما يأتي جبرئيل
رسول الله في صورة دحية لانه كان اجمل العرب في زمانه وان رآه في صورته مرتين لم يستفد
منه في تلك الحالة وللبسنا عليهم ما يلبسون جواب لو مقدر اي لخلطنا عليهم ما يخلطون
على انفسهم فانهم اذا راوا الملك في صورة الانسان يقولون ما هذا الا بشر مثلكم ويكون العجز
في تصديقه المعجزة وهؤلاء لا يؤمنون بها فلا فائدة في ارساله ولقد استهزئ برسل من قبلك
تسلية لرسول الله بان ما يلقاه ليس خاصا به بل شان الرسل مع المعاندين فحاق بالذين
سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون احاط بالمستهزئين منهم الذي حل به الاستهزاء ونسبت
له وهو الهلاك والعذاب قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين للاعتبار

لما قصروا ادراكهم عن الدلائل العقلية امرهم بالنظر في الامور المحسوسة لا سيما البصر فان مدركه
اجلى من كل بديهي والفرق بينه وبين قوله قل سيروا في الارض فانظروا ان في الفاء معنى
سببية الاول للثاني وليس مقصودا في ذاته ولا كذلك في ثم بل السير مقصود لذاته قل
لمن ما في السموات والارض خلقا وملكا حالا فيهما او جزاء ولخلو قل لله تعيين للجواب لا
يقدرون على انكاره وان كانوا لا ينطقون به كتب على نفسه الرحمة كناية عن سعة
رحمته وانها كالواجب الذي لا يمكن الاخلال به ولذلك ارسل الرسل وامهل بعد التكذيب
ليجمعنكم الى يوم القيمة جواب قسم محذوف والمعنى يجمعكم في القبور الى يوم القيمة او في يوم
القيمة الى بمعنى في وقيل بدل بعض من رحمته لان جمعه في ذلك اليوم بعض رحمته وفيه
ان الخطاب للفريقين واي رحمة لمن يقول يا ليتني كنت ترابا لا ريب فيه في ذلك اليوم او الجمع
الذين خسروا انفسهم بابطال فطرتهم ودنسوها بصدى الغواية وعدم التفكر في
الآفاق والانفس وموضعه رفع على الذم او على الابتداء والخبر فهم لا يؤمنون والظاهر
كون عدم الايمان سببا للخسران لكن قصد ان ابطال تلك الفطرة هو الذي ادى بهم الى عدم
التصديق وله ما سكن في الليل والنهار من السكنى يتعدى بفي كقوله وسكنتم في مساكن
الذين ظلموا وقد يحذف كقولك سكنت الدار او من السكون ضد الحركة واكتفى به كقوله
سرابيل تقيكم الحر وآثر السكون لانه ادخل في كونه نعمة وهو السميع العليم كما لا يخرج من ملكه
وسلطانه شيء وكذلك لا يخفى عن سمعه سر ولا يعزب عن علمه ذرة قل أغير الله اتخذ
وليا كانوا يدعونه الى عبادة الاصنام ويقولون ما نعبد الهك حتى تعبد الهتنا قدم المفعول
لانه المنكر لا اتخاذ الولي مطلقا فان اتخاذ الله وليا مطلوب فاطر السموات والارض
خالقهما من فطرت الشيء شققته وعن ابن عباس رضي الله عنه ما كنت اعلم معنى الفاطر
حتى احتكم الي اعرابيان في بئر فقال احدهما انا فطرتها ولعله لم يكن لغة قريش وهو
يطعم ولا يطعم يرزق ولا يرزق وايثار الطعام لشدة الحاجة اليه وقرئ بفتح العين
في الاول وكسرها في الثاني فالضميران لغير الله وعلى بناء الفاعل فيهما اي يطعم تارة ولا
يطعم اخرى قل اني امرت ان اكون اول من اسلم لكونه اول داع الى الله فلا يمكن تقدم غيره
عليه ولا تكونن من المشركين عطف على امرت بتقدير قيل او على قل استدل على عدم جواز عبادة
غيره بالعقل بان غيره لا ينفع فلا يختاره ذو عقل ثم بالنقل بمنزلة الخلق والامر وقدم الدليل
العقلي لكونه العمدة لعدم اعترافهم بصحة النقل قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم
عظيم قطع لاطماعهم رأسا وتعريض بانهم عصاة مستحقون للعذاب واتى بلفظ الرب ايماء
الى ان من يكون مربيا محسنا عصيانه في غاية القبح والجواب محذوف دل عليه ما تقدم من الشرط
وفائدة هذا التقديم الاهتمام من يصرف عنه يومئذ ذلك العذاب فقد رحمه بالنجاة من عذاب
الآخرة اللهم ارزقنا برد عفوك واسقنا من صفو رحمتك وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر
يصرف بفتح الياء على بناء الفاعل وذلك الفوز المبين الواضح المكشوف وان يمسسك الله بضر

فلا كاشف له الا هو الخطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد تشبيه واسماع غيره او هو خطاب
لكل احد وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير فكما قدر على ايصال الخير اليك قادر
على ازالته فعليك تعبده بالشكر وفي سورة يونس وان يردك بخير بلفظ الارادة بدل
المس المنبئ عن الفعل ترجيحا لجانب رحمته وانما قدم الشر على الخير لان دفع المفاسد
اهم من جلب المصالح وهو القاهر فوق عباده تصوير لعلوه بشأنه ونفاذ امره فيهم وتقرير
للكلام السابق فان من تفرد بالعلو ونفاذ الامر اليه يرجع الامر كله في الشر والخير وهو
الحكيم يفعل على وفق الحكمة الخبير ببواطن الامور فكما هو متصف بصفات الجلال كذلك
متفرد بنعوت الكمال قل اي شيء اكبر شهادة نزلت حين قال المشركون من يشهد لك
بالرسالة فانا قد سألنا اهل الكتاب فلم يعرفوك والشيء لغة يطلق على ما يتعقل ويمكن الاخبار
عنه موجودا كان او معدوما ومحالا كان او ممكنا فهو ابلغ في العموم من قولك اي شهيد اكبر
قل الله شهيد بيني وبينكم يجوز ان يتم الكلام عند قوله الله اي الله اكبر ثم يبتدئ اي
هو شهيد وان يكون الله شهيد هو الجواب واوحي الي هذا القرآن لانذركم به يا اهل مكة
واكتفى بالانذار لكونه اهم به ومن بلغ من الاسود والاحمر او الثقلين او الى يوم القيمة فانه
مرسل الى الكل ائنكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى استفهام تقرير مع انكار ولم يصح بان
من لم يصح ان يكون معه اله آخر فقد اشركوا معه آلهة قل لا اشهد فان شهدوا فلا بتعدد الالهة
فلا تشهد معهم قل انما هو اله واحد حصر الالوهية فيه وانني بريء مما تشركون تصريح
بما علم ضمنا الذين آتيناهم الكتاب من اليهود والنصارى الذين سألهم المشركون وقالوا ليس
ذلك المنعوت في الكتابين يعرفونه محمدا كما يعرفون ابناءهم من غير تفرقة في كمال العلم و
الايقان عن عبد الله بن سلام انه قال اعرفه اقوى من معرفتي بابني فقال له عمر لم ذلك قال
لاني ابيح بما لم يكن مني بان خانت امه واما محمد لم يحتمل غيره فقبل عمر ما وجهه الذين خسروا
انفسهم فهم لا يؤمنون استئناف في بيان عدم ايمانهم اي ليس عدم الايمان لعدم المعرفة به
بل لانهم افسدوا فطرة الله التي هي بمنزلة الاكسير ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا لا احد
اظلم ممن قصد الكذب على الله وهم اليهود والنصارى والمشركون القائلون باتخاذ الولد
او كذب بآياته المعجزات الدالة على صدق مدعي النبوة انزاوا وان كانوا جامعين دلالة على
ان كل واحد من الامرين كاف في الظلمية المتصف به فكيف بمن جمع انه الشأن لا يفلح الظالمون
فيما ظلموا بالاظلم ويوم نحشرهم جميعا للجزاء نصب بمضمر اي يكون كيت وكيت حذف للتهويل
ثم نقول للذين اشركوا بالله اين شركاؤكم اي شركاء الله بزعمكم الذين كنتم تزعمون انهم
شركاؤه ولعلها لم يكن حاضرة حين هذا القول ولعدم غنائها كانها ليست بحاضرة ثم لم
تكن فتنتهم اعتذارهم وكفرهم الفتنة لغة الضلال والافساد وقال ما انتم عليه بفاتنين
اي مضلين مفسدين الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين يكذبون في ذلك اليوم عند
من لا يخفى عليه خافية وذلك ان المرء يحشر على صفته التي كان عليها يموتون كما يعيشون ويحشرون

ويحشرون كما يموتون وقيل يقولون ذلك من فرط الحيرة والدهشة كما يقوله المؤاخذ بالذنب
عند العقوبة وان علم انه لا يروج وانت لم يكن حمزة والكسائي بتأنيث الخبر نحو من كانت امك
وفتنتهم ابن كثير وابن عامر وحفص بالرفع ونصب باء ربنا على النداء حمزة والكسائي انظر
كيف كذبوا على انفسهم تعجيب من كذبهم فان الانسان ربما يكذب على الغير اذا رجا ان يروج
منه واما ان يكذب على نفسه مع الجزم بانه لا يروج منه فهو غاية السفاهة وضل عنهم
ما كانوا يفترون غاب عنهم ما كانوا يجعلونه عدة لذلك اليوم ومنهم من يستمع اليك من
المشركين من يستمع القرآن حين تتلوه استمع اليه نفر من المشركين فيهم ابو جهل وابو سفيان و
النضر بن الحارث فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال والله ما يقول الا مثل ما اقوله لكم وكان
النضر قصاصا للمشركين يقرأ عليهم وقايع العجم مما جرى بين رستم واسفنديار وجعلنا على
قلوبهم اكنة اغطية لا يصل اليها الحق جمع كنان كازمة وزمام وهو ما يستر الشيء ان
يفقهوه وفي آذانهم وقرا صمما وان استمعوا اقلوا سماع لفقد انتفاعه وهو بالفتح الثقل في
الاذن وبالكسر هو الحمل وتقديم القلوب على الآذان مع ان ادراك المسموعات طريقها السمع
لانها مناط الفائدة وان يروا كل آية مما اثبتها وما لم ترات مما اقترحوها لا يؤمنوا بها
لانهم مخلوقون للنار مختوم على قلوبهم حتى اذا جاؤك بمن حتى على انها لا تعمل في الجمل ويجوز
تجريدا عن الظرفية فيكون مجرورا بها يجادلونك اي بلغ كفرهم الى ان لم يرضوا انسار لبس
بل يجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين
بيان للمجادلة او حال من فاعلها وهو العامل في حتى والاساطير الاباطيل جمع اسطورة بالضم
او الاسطارة بالكسر وهم ينهون عنه وينأون عنه جمعوا بين الضلال والاضلال وكانوا
اذا ورد مكة مسترشد يحذرونه ويمنعونه عن اتباع رسول الله عن ابن عباس نزلت في ابي طالب
فانه كان ينهى قريشا عن التعرض له وينأى ويتجانب عنه وقيل في اعمامه العشرة وان يهلكون
الا انفسهم لان ضرر ما يباشرونه لاحق بها وما يشعرون وليس لهم بذلك شعورا اشارة الى
انهم دون البهائم ولو ترى اذ وقفوا على النار اروها وهم مطلعين عليها او عرفوا
مقدار عذابها من وقفته على كذا عرفته اياه الخطاب لكل احد لان شناعة حالهم لا يختص رؤيته
راء والجواب محذوف واي لرأيت امرا عظيما فقالوا يا ليتنا نرد تمنيا من شدة العذاب ولا
نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين عطف على المتمني عطف الخبر على الانشاء او وعد بعد
القول او على المتمني او حال عن ضميره وقوله انهم لكاذبون باعتبار ما تضمن من الوعد والا
فالتمني قرأ حمزة وحفص ولا نكذب بالنصب باضمار ان بعد الواو فانه كالفاء في جواب الامنية
وقرأ نكون بالنصب حمزة وابن عامر وحفص ورفع ابن عامر في الاول على العطف ونصب الثاني
على الجواب بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل اضراب عما تفوهوا به اي ليس الامر كما زعموا بل
لما شهدت عليهم جوارحهم وبدت فضايحهم وقعوا في حيص بيص فذكروا واما ذكروا الا عزم
على الايمان بقلوبهم والقول بان هذا قول المنافقين يرده كون السورة مكية ولا انفاقهم

ولو ردوا الى الدنيا بعد الوقوف على النار لعادوا لما نهوا عنه لكونهم في علم الله من اصحاب النار
وانهم لكاذبون في ذلك الوعد لعدم مطابقته الواقع وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا
عطف على الجزاء اي ولو ردوا لكفروا ولقالوا كما يقولون قبل معاينة القيمة ان هي الا حياتنا
الدنيا او على انهم لكاذبون في كل ما يقولون وهم الذين قالوا ان هي الا حياتنا او عطف على
نهوا وما نحن بمبعوثين مستأنف لتقرير السابق وتوكيده ولو ترى اذ وقفوا على ربهم للسؤال
على وجه التقريع كما يوقف العبد الجاني بين يدي مولاه وهذا الوقوف اشد من الاول ولذلك
اخر وقيل وقفوا على جزاء ربهم قال أليس هذا بالحق مستأنف جواب سؤال كانه قيل
ماذا قال لهم ربهم والاشارة الى لقاء الله الذي كانوا ينكرونه لقوله قد خسر الذين
كذبوا بلقاء الله والاستفهام للتوبيخ قالوا بلى وربنا اقرار مؤكد بالقسم واثروا لفظ
الرب لعلمهم بان ما كلفوا به في الدنيا كان لنفعهم وتربيتهم مما فيه من الاستعطاف
قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بكفركم وستركم الحق قد خسر الذين كذبوا بلقاء
الله فائدة هذا ترهيب للسامعين حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة غاية للتكذيب لا لخسرانهم
لا غاية له والساعة من ساع بمعنى حضر سميت القيمة بها لسرعة مجيئها كانها حاضرة والبغتة
مصدر بغتت الامر اذا وقع فجاءة نصب على الحال او على المصدر لانها نوع من المجيء قالوا يا
حسرتنا يقال فيهذا اوانك معناها التلهف والندم من حسر كمه اذا كشفه لانها يكشف
عن الحزن الكامن على ما فرطنا فيها في الدنيا لسبق ذكرها او في الساعة اي في شأنها والاعداد
لها والتفريط التقصير من فرطت القوم سبقتهم لانه لما فاته الامر كان سبقه فلم يدركه
وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم اي يقولون ذلك القول والحال ان ظهورهم مثقلة بالاوزار
والاثام واصل الوزر الثقل وذكر الظهر معه لكون الاثقال اكثر ما تحمل على الظهر نحو قوله بما
كسبت ايديكم الا ساء ما يزرون وزرهم صدر بحرف التنبيه ايقاظا للسامع وما الحيوة
الدنيا الا لعب ولهو منحصرة فيهما من الزهو بنوع اللعب ما يجلب به السرور واللهو ما
يدفع به الهم وتقديم كل منهما على الاخر من المقام والكلام هنا مع الذين يأكلون كما تاكل
الانعام فلذلك قدم اللعب وللدار الاخرة خير للذين يتقون خص المتقين بالذكر لانهم
الفائزون بها قرأ ابن عامر ولدار الاخرة بالاضافة افلا تعقلون بتاء الغيبة اي المذكورون
وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم بالخطاب تغليبا قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون
قد للتحقيق مثل قد يعلم الله المعوقين وما يقال انه للتكثير فيه ان علم الله لا يقبل الزيادة
والنقصان والذي يقولون هو قولهم ان هذا الا اساطير الاولين وامثاله فانهم
لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فان قلت كذب الخبر عدم مطابقته للواقع
والتكذيب نسبة المخبر الى ذلك وكانوا مطبقين على تكذيبهم فكيف نفى عنه قلت جعل تكذيبه
تكذيبا لله في آياته المنزلة استعظاما وتسلية له او المنفي صدور التكذيب عنهم بالقلب
او ليس قصدهم تكذيبك لانك موسوم عندهم بالصدق وانما يقصدون تكذيبي والجحود بآياتي

والجحود بآياتي روى ابن جرير ان اخنس بن شريق خلا بابي جهل يوم بدر وقال يا ابا الحكم اخبرني
عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس هنا غيري وغيرك فقال والله لم يكذب محمد قط وانه
لصادق ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فما لسائر قريش و
لقد كذبت رسل من قبلك من لم يكن في زمنك واوذوا بانواع من المحن فصبروا عليها
حتى اتاهم نصرنا الموعود فانت اولى بذلك ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده نحو قوله انا
لننصر رسلنا ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون ولقد جاءك
من نبإ المرسلين بعض اخبارهم فيما انزل اليك واحطت علما بما كان لهم من النصر في العاقبة
من التبعيضية فاعل جاء وان كان كبر عليك اعراضهم عظم وشق اثر ان وان كان اعراضهم
محققا وشاقا عليه دلالة على انه ما كان ينبغي منه ذلك بعد علمه بحال الرسل مع اممهم
فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتأتيهم بآية جوابه محذوف لا
لسباق الذهن اليه اي فافعل مع جوابه جواب الشرط الاول والمعنى قد علمت حال الرسل وما
قاسوا مع اممهم فعليك بالتاسي بهم وان عظم عليك ما تلقاه من اعراض قومك فان قدرت
على ان تطلب سربا ومنفذا في الارض او درجا ومصعدا في السماء فتأتيهم باية تكون
سبب قصد يتعلق عليك ان تبادر اليها وهذا الكلام مدح له صلى الله عليه وسلم بشدة حرصه
على ايمان قومه ووفور رأفته والجار والمجرور في الموضعين صفة نفقا وسلما او يتعلقان
بتبتغي او حالان من مستكنه اي ذاهبا في الارض او صاعدا في السماء ولو شاء الله لجمعهم
على الهدى اي لو تعلقت مشيئته بهدايتهم وجمعهم عليها لجمعهم حذف مفعول المشية
لدلالة الجواب عليه فلا تكونن من الجاهلين ان الكل بمشيئته وهذا وامثاله انما يقال
له تعريضا بغيره وتثبيتا له في مواطن يضطرب فيه انما يستجيب الذين يسمعون
الاستجابة الاجابة على وفق ما ادعى اليه ولا يتصور بدون السماع والموتى يبعثهم الله
يجيبهم بقدرته والمعنى ان هؤلاء لكونهم مختوما على قلوبهم في حكم الموتى ولا قدرة لك
على احياء الموتى مثل قوله انك لا تسمع الموتى ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور
ثم اليه يرجعون فيسمعون او فيجازيهم بما يستحقونه وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه
قالوه عنادا وعدم اعتداد بسائر المعجزات كما قال قوم هود يا هود ما جئتنا ببينة وتذكير
الفعل لان المؤنث غير حقيقي مع وجود الفاصلة قل ان الله قادر على ان ينزل آية [illegible]
لقولهم لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه او آية تضطرهم على الايمان كنتق الجبل على
بني اسرائيل ولكن اكثرهم لا يعلمون ان نزول الاية المقترحة ضرر لهم لانهم اذا عصوا بعدها
استؤصلوا او لا يعلمون قدرته على ذلك لجهلهم بالله وبصفاته وما من دابة في الارض و
لا طائر يطير بجناحيه بين شيء من هذين الجنسين الا امم امثالكم محفوظة احوالها مقدرة
ارزاقها واجالها وانما جمع الخبر وهو الامم مع كون المبتدإ مفردا حملا على المعنى لان قوله من دابة
ولا طائر دال على الاستغراق ومغن عن ان يقال وما من دواب ولا طيور ومعنى وصف دابة بقوله في الارض

وطائر يطير بجناحيه القصد إلى زيادة التعميم والإحاطة كأنه قيل وما من دابة قط في جميع
الأرضين السبع ولا طائر قط في جو السماء إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء
أي اللوح المحفوظ فإنه الديوان الذي يضبط أمور الملك والملكوت وإن كان لا يعزب عن علمه
تعالى شيء إظهارا للعظمة وجريا على آداب الملك والسلطنة والقصد من هذا الكلام إظهار
كمال قدرته وعلمه ليكون دليلا على جهلهم وأنه لو كان نزول الآية من مصالحهم لأنزلها
ثم إلى ربهم يحشرون يعني الأمم كلها ذكر الضمير تغليبا للعقلاء روى الإمام أحمد عن أبي
ذر أن رسول الله رأى شاتين ينتطحان فقال إن الله سيقضي بينهما يوم القيمة وعن أبي هريرة
رضي الله يحشر كل ذي نفس لينصف المظلوم من الظالم حتى ينصف الجماء من القرناء والذين
كذبوا بآياتنا صم لا يسمعون ما نتلو عليك من الآيات والذكر الحكيم وبكم لا ينطقون
بالحق في الظلمات مستغرقون فيها لأن أحوال الدواب والطيور مشاهدة فمن لم يستدل
بها على وحدانيته فهو غريق في الظلمات وقيل ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد
من يشاء الله إضلاله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم مستعليا على الطريق
القويم متمكنا تمكن الراكب من مركوبه غير الأسلوب دلالة على غلبة رحمته قل أرأيتكم أي أخبروني
لما كان العلم والمشاهدة سبب الإخبار صح وضع كل منهما موضع طلب الإخبار والكاف حرف
لا محل له من الإعراب لأنك تقول أرأيتك زيدا ما شأنه فلو كان للكاف محل لكان التقدير أرأيت
نفسك زيدا ما شأنه وفساده لا يخفى إن أتاكم عذاب الله في الدنيا أو أتتكم الساعة من تدعونه
أغير الله تدعون تخصونه بالدعاء فيما دهاكم إن كنتم صادقين أن الأصنام آلهة دون الله
جوابه محذوف أي فادعوها بل إياه تدعون عطف على أغير الله إضراب عنه أي لا تدعون غيره لما تقرر
في النفوس وركز في الأذهان أنه لا يقدر على دفع ضر سواه فيكشف ما تدعون إليه أي كشفه
إلقاء دل على أن كشفه لا يترتب على الدعاء لكمال قدرته ووفور رأفته إن شاء ذلك
الكشف وقيده بالمشيئة ليدل على أنه متفضل في ذلك وتنسون ما تشركون به من الأوثان
وفيه توبيخ شديد لأنها كانت معدة للشدائد ودفع المهمات فما نسيت عندها إلا لحقارتها
ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك كائنة قبل زمانك من ابتدائية إذ لا يشترط معها تقديرا
لانتهاء نحو أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقيل زائدة وليس بمرضي لأن الكلام موجب
فأخذناهم بالبأساء والضراء البأساء الجوع والقحط والضراء البلاء والمرض اسمان مؤنثان لا مذكر
لهما لعلهم يتضرعون بدل عتوهم فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ظرف التحضيض للوم على
ترك التضرع لقيام الموجب وعدم الصارف ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا
يعملون استدراك بما يوجب شدة الانتقام منهم وهي قسوة قلب وابتهاجهم لما سول لهم الشيطان
وزينه فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء عدهما تذكرة لأن العاقل إذا ابتلي بشيء منهما
توجه إلى الله بسرائره وتخشع له فيصرفه عنه كما حكى عن يونس وأيوب عليهما السلام فتحنا عليهم
أبواب كل شيء فتح الأبواب كناية عن إفاضة النعم وكثرتها أي أنعمنا عليهم أنواعا من كل جنس وكذلك

وكذلك عادة الله في خلقه بأن يراوح عليهم بالسراء والضراء امتحانا بالصبر والشكر وقرأ ابن
عامر فتّحنا بالتشديد حتى إذا فرحوا بما أوتوا من الخير والنعم ولم يزيدوا على الفرح والبطر
من غير شكر ولا تصد لاعتذار أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون آيسون من رحمة الله
من أبلس إذا يئس ومنه إبليس للشيطان فقطع دابر القوم الذين ظلموا أي استأصلهم
من آخرهم لأن الدابر هو الآتي في دبرهم وإذا لم ينجوا هو فالغير بالأولى والحمد لله
رب العالمين على إهلاكهم لأن هلاك عدو الله وعدو المؤمنين لا نعمة فوقه وفي الحديث
الكافر إذا مات يستريح منه البلاد والعباد قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم و
أبصاركم أي أصمكم وأعماكم قدم السمع لأنه آلة تلقي الأوامر والنواهي من الرسل
وختم على قلوبكم فلا تدركون شيئا وتأخيرها لانصراف القوى واستعمالها متقدم على
الإدراكات ولذلك يقال من فقد حسا فقد علما من إله غير الله يأتيكم به بالمأخوذ
لدلالة الفعل عليه أو بالمذكور أي ليس غيره انظر كيف نصرف الآيات نكررها للدلالة
على وحدانيتنا وصدقك بأساليب مختلفة تارة في صورة الترغيب والترهيب وتارة
بالنقل وتارة بالعقل والاستفهام للتعجيب ثم هم يصدفون يعرضون استبعاد لأن
يعرض من له فهم من مثلها قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة ليلا ونهارا
أو غير موقت بوقت معين كما خسف بقارون أو موقتا كإهلاك قوم صالح فعقروها فقال
تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب هل يهلك إلا القوم الظالمون أي لا
به أحد سوى الظالمين وأنتم منهم إذ لا ظلم فوق الشرك وما نرسل المرسلين إلا مبشرين
من آمن ومنذرين من عصى وكفر فمن آمن وأصلح وندم على ما كان منه من الكفر والعصيان
فلا خوف عليهم لأن الإيمان يجب ما قبله ولا هم يحزنون على فائت بما ارتكبوه قبل الإيمان
أفرد الضمير أولا وجمعه ثانيا نظرا إلى لفظ من ومعناه والذين كذبوا بآياتنا يمسهم
العذاب بما كانوا يفسقون المس للمس بالإسناد إلى العذاب لجعله كالطالب لهم كناية
عن سرعة نفاذ أمره وإيماء إلى سعة رحمته لأنه ينبئ عن الغفلة قل لا أقول لكم عندي خزائن
الله جواب لقولهم لولا أنزل إليه ملك أو يلقى إليه كنز والخزائن جمع خزانة وهي ما يحفظ
فيها الأموال من خزنت الشيء كتمته ولا أعلم الغيب جواب لقولهم متى هذا الوعد لما كان
يوعدهم بمجيء العذاب محله نصب عطف على عندي خزائن الله ولا أقول لكم إني ملك أقدر
على ما يقدر عليه الملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي ليس لي من الصفات إلا اتباع الوحي فكم
امتنا فتبرأ بهذا التبري عن تلك الدعاوي الباطلة وإثبات ما هو غاية كمالات البشر قل هل
يستوي الأعمى والبصير أي لا يستويان منزلة الضلال والمهتدي والجاهل والعالم وتقديم
الأعمى مع أن الملكات متقدمة على عدمها لأن الكلام مع المتصف بها أفلا تتفكرون ناوين
بالفكر الصحيح ليؤديكم إلى التفرقة بين الحق والباطل وأنذر به بما يوحى إليك الذين يخافون
أن يحشروا إلى ربهم من المؤمنين والكفار فإن من لا يعتقد الحشر لا وجه لإنذاره ويشركوا

العرب كان منهم من يعتقد الحشر ومنهم دهرية يقولون ما يهلكنا الا الدهر ليس لهم من دونه ولي
ولا شفيع في موضع الحال او مستانف لعلهم يتقون راجيا ان تمنهم التقوى او يرجى منهم ولا
تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه روى مسلم عن سعد بن ابي وقاص
كنا ستة نفر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان
لست اسميهما فقال المشركون اطرد هؤلاء لا يجترؤن علينا فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما شاء الله ان يقع فانزل الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشي والوجه
الذات والتقييد به للاشارة الى الاخلاص وان العمل بدونه كلا عمل ما عليك من حسابهم من
شيء وما من حسابك عليهم من شيء كانوا يقولون ما تبعك يا محمد هؤلاء الا لفقرهم واحتياجهم
فانه صلى الله عليه وسلم كان يؤانسهم فرد الله تعالى مقالتهم بانه على تقدير صحة ما يقولون
لست مؤاخذا بذلك فان حسابهم لا يتعداهم اليك ولا حسابك يتعداك اليهم والكلام وان كان
مسوقا لبيان حسابهم الا انه ارد فيه بحسابه ليسوي في معنى قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى
من الثانية زائدة لتوكيد معنى الاستغراق والاولى ابتدائية والجار والمجرور حال من شيء قدم
عليه لكونه نكرة وقيل الضمير للمشركين ويرده قوله فتطردهم نصب بكونه جواب النفي فتكون
من الظالمين جواب للنهي والمعنى لا تطردهم فتدخل في زمرة الظالمين وكذلك فتنا بعضهم
ببعض ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اي ومثل ذلك الفتن الذي فتن به رؤساء قريش
مع المؤمنين فتنا سائر الناس بعضهم ببعض حتى كان ذلك سببا لقول المشركين هذا القول
وذلك ان المشركين لقصور نظرهم على حطام الدنيا كانوا يستبعدون ويستنكرون ان يكون
الفقراء ممنونا عليهم بالتوفيق دونهم ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه اليس الله باعلم
بالشاكرين الاستفهام للانكار يفيد الاثبات والمعنى الله اعلم بالشاكرين نعمه وقد اقتضت
حكمته بان يكون الشاكر منعما عليه بالاسلام واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام
عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة امر باكرامهم مكان طردهم ووصفهم بما يوجب ذلك وهو الايمان
بايات الله واتباع حججه وان يبشرهم بان الله قد اعطاهم وراء هذا الاكرام من رحمته ما تقر به
اعينهم وعبر عن ذلك بالكتابة مبالغة في صدق الوعد وقيل ان قوما جاؤا الى رسول الله وقالوا
انا قد اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت انه من عمل منكم سوءا وقرأ
نافع وابن عامر وعاصم بالفتح بدلا من الرحمة بجهالة في موضع الحال اي جاهلا بقبحه وكونه مما يضر
في الدين وكان عمر بن الخطاب اشار الى رسول الله بطرد الفقراء عن مجلسه اذا حضره صناديد قريش
او ملتبسا فعل الجهالة من غير روية اذ الحكيم لا يرتكب شيئا الا بعد تامل ونظر في العاقبة ثم تاب
من بعده من بعد العمل او السوء واصلح بالتدارك والعزم على ان لا يعود فانه غفور رحيم فتحه من فتح
الاول سوى نافع وكذلك نفصل الايات اي مثل ذلك التفصيل الواضح نفصل ايات القرآن في
احوال المجرمين والمطيعين فانه ذكر اهل الطبع بقوله والذين كذبوا باياتنا صم وبكم في الظلمات
ومن فيه امارة القبول مؤمنا كان او كافرا بقوله وانذر به الذين يخافون ان يحشروا والمتقين

والمتقين بقوله ولا تطرد الذين يدعون ولتستبين سبيل المجرمين وقرأ نافع بالتاء ونصب
سبيل اي ولتستوضح انت يا محمد سبيل المجرمين فتعامل كلا بما يليق به فصلنا ذلك التفصيل
وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم بالتاء الفوقانية من استبان بمعنى
تبين لمجيئه لازما ومتعديا والباقون بالياء لان السبيل يجوز فيه التذكير كالطريق اي
ليتضح لك قل اني نهيت نهاني الله قبل النبوة بما ركب في من العقل السالم عن معارضة الوهم وبعد
بالايات الزاجرة عن عبادة غيره ان اعبد الذين تدعون من دون الله ما تسمونها آلهة
الدعاء بمعنى العبادة قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم عبادتكم قل لا اتبع اهواءكم تصريح بما
علم ضمنا قطعا لاطماعهم وتعليلا للانتهاء بانه اتباع للاهواء قد ضللت اذا على تقدير وقوع
ذلك الضلال لا بينا وما انا من المهتدين معدودا من جملتهم في زمرتهم قل اني على بينة من ربي
دليل مبين للمطلوب يشمل الدلائل العقلية والنقلية من القرآن وغيرها وكذبتم به الضمير
للرب والبينة لانها في معنى الدليل ما عندي ما تستعجلون به العذاب الذي كانوا يستعجلونه
بقولهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم
وبقولهم متى هذا الوعد مستبطئين نزول العذاب ان الحكم الا لله ان يريد الامر كله ان قدم
العذاب واخر ليس لاحد عليه اعتراض يقص الحق اي القضاء او مفعول به اي يصنعه قال عليهما
من الدرع مسرودتان قضاهما داود او صنع السوابغ وقرأ نافع وابن كثير وعاصم يقص الحق
ومن قص اثره اذا تتبعه وهو خير الفاصلين الحاكمين قل لو ان عندي ما تستعجلون به
من نزول العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لعاجلتكم بالعذاب انتقاما لله لافترائكم عليه وتخلصت
الهم عن قلبي والله اعلم بالظالمين في معنى الاستدراك كي يعلموا ان الامر بيده وهو اعلم بالظالمين
وسيجازيكم على ظلمكم وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو شبه الغيب بالاشياء المستوثق
بها بالاقفال استعارة بالكناية واثبت لها المفاتح تخييلا جمع مفتح ومن عرف المفتاح وعرف
كيف يفتح به يوصل به الى ما في الخزائن والله تعالى هو المتفرد بالغيب لا يقدر على التوصل اليها احد
لان علمه بمنزلة المفتاح ويجوز ان يكون مفتح بفتح الميم وهي المخزن اي عنده خزائن الغيب
ليس لاحد وصول اليها يؤيده قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه ويعلم ما في البر من الغرائب
والبحر من العجائب كيف وهو الذي ابدعها واودعها فيه وما تسقط من ورقة الا يعلمها
قبل سقوطها ووقت سقوطها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة
بمعنى الا في كتاب مبين بدل من الا يعلمها بدل الكل لان المراد به علمه تعالى او بدل الاشتمال
ان اريد به اللوح المحفوظ وقرئت الثلاثة بالرفع عطفا على محل من ورقة او على الابتداء والخبر
الا في كتاب وهو الذي يتوفاكم بالليل بالنوم الذي هو الموت الاصغر والتوفي اخذ الشيء وافيا
وكذلك النائم لا فرق بينه وبين الجماد ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم ولا مفهوم للكلام بناء
على الغالب ثم يبعثكم فيه في النهار الذي بعد انقضاء الليل والنهار الاول وهو السابق على
الليل وانما قدم التوفي لكونه اغرب وادل على كمال القدرة ليقضى اجل مسمى مدة مضروبة لبعثهم

فيصل الى اخرها ثم اليه مرجعكم بعد بعث الموت ثم ينبئكم بما كنتم تعملون فيجازيكم عليها والخطاب مع
الكفار لقوله ثم انتم تشركون ولذلك بسط الكلام والاقوال وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو كان دالا
على ما فصل وهو القاهر فوق عباده الغالب المستعلي المتصرف فيهم كما يشاء ويرسل عليكم حفظة الكرام
الكاتبين الموكلين بحفظ اعمالكم والحكمة في ذلك ان الانسان اذا علم ان الله رقيبا يضبط حركاته و
سكناته وسيواجهه بها على رؤس الاشهاد يتزجر عن القبائح بخلاف ما اذا كان الامر مفوضا على
علم مولاه فانه كثيرا ما يعتمد على لطفه ولذلك ترى اكثر الناس يستحيون من الناس ولا يستحيون
من الله حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا ملك الموت واعوانه قيل هم اربعة عشر سبعة منها
من الملئكة الرحمة وسبعة من الملئكة العذاب وهو الذي يباشر قبض الروح فاذا قبضه فان كان مومنا
سلمه الى ملائكة الرحمة وان كان كافرا فالى ملائكة العذاب والارض بين يديه مثل الطشت ولا يرفع
بعض عنها فاذا حان اجل واحد منهم خط اليه خط فيعلم بذلك ولم يعلم قبل ذلك الا علام الغيوب
وهم لا يفرطون لا يتجاوزون عن ذلك الوقت ولا يقدمون ثم ردوا الى الله بعد التوفي مولاهم الحق
سيدهم الحق لا سائر الموالى المجازية وهذا الرد يحتمل ان يكون بعد الموت حين يفارق الروح البدن
لما روى مسلم ان الارواح تعرض على الله فيقول الله تعالى ردوها الى اخر الاجل فيستقر ارواح المومنين
في عليين وارواح الكفار في سجين او الحشر الى الله للجزاء الا له الحكم لا لغيره صدره بحرف التنبيه [illegible]
السامع وهو اسرع الحاسبين اذ لا يشغله شان عن شان وفي الحديث يحاسب الخلق في قدر حلبة شاة
قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر كناية عن شدائدهما تدعونه جملة حالية تضرعا وخفية متذللين
خافي الاصوات مما ذهبكم من الشدة وقرا ابو بكر عن عاصم بكسر الخاء لئن انجيتنا من هذه الشدايد
بتقدير القول اي قائلين لنكونن من الشاكرين اللام الاولى موطئة والثانية جواب القسم وقرا الكوفيون
انجانا بصيغة الغيبة قل الله ينجيكم منها [illegible] شدده الكوفيون
وهشام عن ابن عامر ومن كل كرب غم سواها اذ لا منجى في الكون الا هو ثم انتم تشركون قدم الضمير
لتقييد التقوي في الحكم وتبرز الجملة في صورة الاسمية الدالة على الاستمرار زيادة في التوبيخ حيث
بدلوا الشكر على تلك النعمة بالشرك المستمر قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم
بالطوفان والقذف بالحجارة والصيحة كما فعل بقوم نوح ولوط وهود او من تحت ارجلكم بالخسف
والاغراق والزلزال كما فعل بقارون وفرعون وقيل من فوقكم من قبل كبرائكم ومن تحت ارجلكم من قبل
سفلتكم او يلبسكم شيعا يخلطكم فرقا بان يثبت في قلوبكم اهواء مختلفة قال شعر وكتيبة لبستها
بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي ويذيق بعضكم باس بعض شدته من القتل والنهب وعن خباب
بن الارت رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي قلت يا رسول الله لقد رايتك تصلي صلاة ما رايتك
تصلي مثلها قال اجل انها صلاة رغبة ورهبة سالت ربي فيها ثلاثا فاعطاني اثنين وزوى عني
واحدة سالته ان لا يسلط على امتي عدوا من غيرهم فاعطاني وسالته ان لا ياخذهم بالسنة فاعطاني
وسالته ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعني انظر كيف نصرف الايات بالوعد والوعيد والامر والنهي
والاخفاء والاهلاك وتصريف الليل والنهار لعلهم يفقهون لكي يفهموا وفيه انهم من الجهل و

من الجهل والبلادة بمكان وكذب به قومك اي بالقران وهو الحق الكائن الذي لا محالة عنه و
الحق في الصدق وتتحد ان ذاتا وان اختلفا اعتبارا قل لست عليكم بوكيل بمسلط عليكم املك
التصرف فيكم حتى اجبركم على التصديق به لكل نبا مستقر لكل خبر اخبر الله به وقت قرار
ووقوع لا يتخطاه وسوف تعلمون ذلك اذا وقع واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا
كان المشركون اذا سمعوا القران كذبوه واستهزؤا به نهى عن مجالستهم في ذلك الوقت الخطاب
له والمراد هو وامته فاعرض عنهم ولا تجالسهم حتى يخوضوا في حديث غيره ذكر الضمير
لكون الايات عبارة عن القران واما ينسينك الشيطان اسناد مجازي تحكونه بوسوسته
وقرا ابن عامر ينسينك مشددا وهو ابلغ فلا تقعد بعد الذكرى اي بعد تذكرك النهي
مع القوم الظالمين اي الظاهر موضع المضمر اشارة الى انهم ظالمون بذلك الخوض وما على
الذين يتقون من حسابهم من شيء اذا جالسوهم حين خوضهم جعل نفي الحساب دليلا على
نفي الاثم ولكن ذكرى لكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويعرفوهم قبح صنيعهم فان ذلك [illegible]
يزجرون عليه نصب على المصدر او رفع على الابتداء ولا يجوز عطفه على محل من شيء لفساد
المعنى لا على لفظه لان من لا تزاد في الاثبات ومنع زيادة من هنا وتجويزه في قوله ولقد
ارسلنا رسلا من قبل الحكم لعلهم يتقون الخوض وتنفعهم الذكرى ويجوز ان يكون الضمير
للمتقين اي لعل المتقين يستمرون على تقويهم اذا نهوا المشركين عن ذلك المنكر نزلت حين
قال المسلمون لئن كنا نقوم كلما خاض المشركون في القران لم نقدر على طواف ولا صلوة
وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا لم يكن للمشركين دين وانما اضاف اليهم الذين بمعنى
انهم اتخذوا الدين الواجب الحق شيئا من جنس اللعب واللهو وهو عبادة الاصنام اي اتخذوا
ما يدينون به ويجعلونه بمنزلة الدين من الاديان شيئا من اللعب واللهو او اتخذوا دين
الاسلام الذي هو دينهم الذي كلفوا به لعبا ولهوا يستهزؤن به وقيل لكل قوم عيد اتخذوه
لعبا ولهوا الا المسلمين فان عيدهم الصلوة والصدقة والتكبير وغرتهم الحيوة الدنيا
فلم ينظروا في امر الاخرة وذكر به اي بالقران ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تسلم الى
الهلاك هو اصله المنع ومنه شجاع باسل لامتناعه من قرنه بقوته ليس لها من دون الله ولي
ناصر يدفع عنها العذاب بقوته ولا شفيع يستوهب ذنوبها بشفاعته الجملة صفة نفس
او حال من فاعل كسبت وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء العدل يطلق على الفدية كما في قوله
تعالى ولا يؤخذ منها عدل والمراد هنا الفداء لكونه مفعولا مطلقا لا يؤخذ منها الفعل
مسند الى الجار والمجرور ولا يجوز اسناده الى ضمير المصدر لانه للتوكيد ولا يسند اليه والى
ضميره الا اذا كان للنوع او المرة اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا اي اتخذوا دينهم لعبا ولهوا
اسلموا الى العذاب والهلاك بسبب كسبهم تلك الجرايم لهم شراب من حميم وعذاب اليم استيناف
لتفصيل ذلك الابسال او حال من ضمير ابسلوا مبين لهيئته بما كانوا يكفرون بما استمروا على
الكفر قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين دعاه

ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاوثان قبل اسلامه والمعنى انعبد ما لا نقع فيه ولا ضر بنجاوز بن
من عبادتم تعالى **ونرد على اعقابنا** راجعين الى الشرك **بعد اذ هدينا الله** الى الاسلام اى لا يكون
ذلك **كالذى استهوته الشياطين فى الارض** استهامته مردة الجن فى مهامة الارض لا يدرى
مراده من هو يهوى بالكسر اذا سقط من الاعلى الى الاسفل ومحل الكاف النصب على الحال من ضمير نرد
او مشتبهين **حيران** متحيراً ضالاً **له اصحاب** لهذا الذى استهوته الشياطين حال اخرى **يدعونه
الى الهدى** الى ان يهدوه او الى الطريق المستقيم تسمية بالمصدر مبالغة **ائتنا** قائلين له ائتنا
وخمسة عليه ونعطفنا **قل ان هدى الله** وهو الاسلام او الهداية اليه **هو الهدى** لا غير ومن
يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه **وامرنا لنسلم لرب العالمين** عطف على محل ان هدى الله دا
تحت القول واللام فيه للتعليل تقديره امرنا بان نسلم للاسلام لا لغرض آخر وقيل اللام فيه بمعنى
الباء وقيل زائدة **وان اقيموا الصلوة واتقوه** عطف على لنسلم اى للاسلام ولاقامة الصلوة
وانما امر رسول الله بان يقول هذا الكلام مع ان الاية نزلت فى ابى بكر اشارة الى غاية الاتحاد
بينهما وان كلا منهما يقوم مقام الآخر وانه لو اجاب كان جوابه ما اجاب به رسول الله وفيه تعظيم
الصديق ما لا يخفى **وهو الذى اليه تحشرون** لا الى غيره فيجازيكم على وفق اعمالكم **وهو الذى
خلق السموات والارض بالحق** اى خلقهما ملتبسا بالحق لا بالباطل واللعب كقوله وما خلقنا
السماء والارض وما بينهما لاعبين وقوله ربنا ما خلقت هذا باطلا والمعنى انا خلقناهما
ليتدبروا فى شانهما ويستدلوا بذلك على كمال قدرة مبدعهما وعلى وحدانيته وتفرده با
بالالوهية **ويوم يقول كن فيكون قوله الحق** قوله مبتداء والحق صفته ويوم يقول خبره
مثل قولك القتال يوم الجمعة والمعنى قوله الحق كائن حين يقول لشئ من الاشياء كن فيكون
ذلك الشئ فيكون برهانا على قوله وهو الذى خلق السموات والارض بالحق لدخول كينونتهما
تحت هذا العموم ويجوز ان يراد بالقول المقول والمعنى فالظرف يتعلق بمقدر اى يقوم بالحق
حين يقول للقضية كن لعدم جواز الاخبار بالظرف وحينئذ **وله الملك** مبتداء وخبر **يوم ينفخ
فى الصور** ظرف له والمعنى لا ملك فى ذلك اليوم لا حقيقة ولا مجازا الا لله تعالى والصور قرن فيه
ارواح الخلائق فاذا كان وقت البعث نفخ فيه اسرافيل فطار كل روح الى جسده وعن الكلبى لا
ادرى معنى الصور وقيل جمع صورة كبسر وبسرة والمعنى ينفخ الارواح فى الصور اى الاجساد
عالم الغيب والشهادة رفع على المدح او خبر مبتداء **وهو الحكيم** فى كل صنع **الخبير** ببواطن الاشياء
واحوالها فذلكة الاية لان من يكون له ذلك الابداع لا يكون الا كذلك **واذ قال ابرهيم
لابيه آزر** كان المشركون يزعمون انهم على ملة ابراهيم ويدعون الاستغناء بذلك عن سائر الاديان
فلما الح عليهم عبادة الاصنام كذبهم فى دعواهم الانتساب الى ملته فانه قدوة الموحدين
واول من كسر الاصنام وآزر عطف بيان لابيه واتفق المورخون على ان اسم ابيه تارخ فقيل
هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل آزر لقب له ومعناه الشيخ او المعوج وقيل اسم صنم
والمضاف مقدر وقيل نصب بفعل يفسره ما بعده اى تعبد آزر وقرئ بالرفع على النداء **اتتخذ

اتتخذ اصناما آلهة** اى بصيغة الجمع مبالغة فى تجهيله حيث لم يرض بالله آخر من دون الله **انى اريك
وقومك فى ضلال مبين** ظاهر لانها لا تسمع ولا تبصر بينه وبين الالوهية بون بعيد **وكذلك
نرى ابرهيم ملكوت السموات والارض** كما وفقناه لاطلاعه على ضلال قومه شرحنا صدره
بالمعارف والملكوت من الملك كالرهبوت من الرهبة وايثار المضارع حكاية عن الماضى ونصوره
وليكون من الموقنين فعلنا ذلك اوليستدل وليكون **فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا
ربى** عطف على اذ قال ابرهيم وكذلك نرى جملة معترضة او تفصيل وبيان لرؤية الملكوت كان
ابوه وقومه يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان يوقظهم من غفلتهم ويرشدهم الى طريق
الاستدلال ويعرفهم ان النظر الصحيح يابى ان يكون شئ منها الها لظهور امارات الحدوث منها
وقيل قال هذا الكلام اول اوان بلوغه يقال جنه ستره وجن عليه اظلم **فلما افل قال لا احب
الآفلين** لا افول الغروب ومن عدم محبته يلزم عدم العبادة بالطريق الاولى **فلما رأى القمر بازغا**
طالعا ابتدء البزوغ اى الطلوع **قال هذا ربى فلما افل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم
الضالين** استعان به فى درك الحق لما التبس عليه الامر وكثرت الشبه او اراد تنبيه قومه بانهم
على الضلال لان لم يوفقهم الله وانخرط نفسه اظهارا للنصفة **فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى
هذا اكبر** لان عظم الالهة مركوز فى النفوس او قال اظهارا لشبهة الخصم وانما ذكر اسم الاشارة
مع ان المشار اليه مؤنث باعتبار الخبر وفيه صيانة الرب عن لفظ المؤنث **فلما افلت قال يا قوم انى برئ
مما تشركون** من الاجرام العلوية لانها متغيرة تنتقل من حال الى حال وذلك دليل الحدوث
المنافى للالوهية واستدل بالافول دون البزوغ مع ان كلا منهما امارة الحدوث لان بالبزوغ يظهر
سلطان الكوكب وكماله ولذلك تسبح عبدة الشمس حين طلوعها وبالافول ينعدم اثره فهو ابهر فى
الدلالة وليتجدد الالهة لكونه مسبوقا بالبزوغ وقيل لانه رأى الكوكب الذى كانوا يعبدونه
فى وسط السماء حين حاول الاستدلال ولو يطرد فى القمر والشمس لذكر البزوغ فيهما مع ان لفظ
يابى ذلك التوجيه لتنكير الكوكب **انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من
المشركين** لما ابطل شبهة قومه وادى ما عليه من النصح وصرح بالبراءة من تلك الشركاء صرف كلمته
الى من فطر السموات السابقة فى الوجود على تلك الكواكب وتبرأ عن الاشراك رأسا بعد تبريه عما
يشركون **وحاجه قومه** خاصموه فى التوحيد ونفى الشركاء كما قال مشركو العرب لرسول الله اجعل
الآلهة الها واحدا ان هذا لشئ عجاب **قال اتحاجونى فى الله** انكر المحاجة فى وحدانيته وفى كل
شئ له آية تدل على انه واحد قرأ نافع وابن عامر بتخفيف النون **وقد هدان** الله الى توحيده **ولا اخاف
ما تشركون به** كانوا يخوفونه بان آلهتهم ستصيبه بمكروه **الا ان يشاء ربى شيئا** الا وقت مشية الله
ان يصيبنى بمكروه منها فحينئذ اخاف **وسع ربى كل شئ علما** لعل ان يكون تعلق علمه بان يصيل الى
منها مكروه او ان علمه محيط بكل شئ فهو عالم بانى لا اخاف ما اشركتم به فان الخوف فعل القلب لا يطلع عليه
غيره تعالى **افلا تتذكرون وكيف اخاف ما اشركتم** معناه استبعاد لانها لا تضر ولا تنفع **ولا تخافون
انكم اشركتم بالله** بمن بيده الضر والنفع الى اياكم تنكرون على الامن فى موضع الامن ولا تنكرون على انفسكم

الأمن في موضع الخوف ما لم ينزل به عليكم سلطانا دليلا قاطعا لا يجوز مخالفته فإن حسن الإشراك
وقبحها منه تعالى فأي الفريقين أحق بالأمن إذا تأملتم كلام في فأي ولم احق بالأمن مني ومنكم
نظير قوله صلى الله عليه وسلم للمشركين وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين هذا نوع
من الكلام يسمى كلام المنصف وإنما عدل إلى الفريقين ولم يقل أنا أو أنتم تحاشيا من تزكية
النفس إن كنتم تعلمون ما يحق أن يخاف الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن
وهم مهتدون ويجوز أن يكون جوابا منه أو من الله تعالى واللبس هو الخلط والظلم هو الشرك روى البخاري
لما نزلت شق على المسلمين فقالوا وأينا لم يظلم يا رسول الله فقال النبي ما تظنون بل هو الشرك قال لقمان
لابنه إن الشرك لظلم عظيم فالتنوين في بظلم للتعظيم ومعنى لبس الإيمان بالكفر تغطيته به وستره
ولذلك يسمى ما يستر الإنسان لباسا ولو أجري الظلم على عمومه لم يلزم منه تعذيب العصاة غايته
أن لا يكون لهم الأمن وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه أي ما استدل به إبراهيم من تلك الأدلة
إنما علمه بهذا بيننا لأنه استعان بنا حيث قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين
والجار في قوله على قومه متعلق بحجتنا سواء جعلته خبر تلك أو بدلا منه نرفع درجات من
نشاء بالعلم والمعارف قرأ الكوفيون بالتنوين ونصب درجات على المصدر أو التمييز وهو أبلغ
إن ربك حكيم عليم في أفعاله تعالى بمن يستحق الرفع والخفض ووهبنا له إسحاق ولدا من صلبه
ويعقوب فإن الذرية الصالحة من النعم الجزيلة كلا هدينا كلا منهما مفعول هدينا ونوحا
هدينا من قبل أي من قبل إبراهيم عده نعمة على إبراهيم لأن شرف الآباء يسري على الأبناء ومن
ذريته الضمير لنوح لأن لوطا ويونس ليسا من ذرية إبراهيم وقيل الضمير لإبراهيم والمذكورين
من ذريته تغليبا ولعل هذا هو الراجح لأن سوق الكلام له بأنه لما قرر حجة التوحيد وذب
عنها أكرمه الله تعالى برفع الدرجات وجعل مشاهير الأنبياء من ذريته داود وسليمان وأيوب
ويوسف وموسى وهارون معطوفات على نوحا وكذلك نجزي المحسنين كما جزينا إبراهيم بأنواع من
الكرامات وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين الكاملين في الصلاح وإسماعيل و
اليسع قرأ حمزة والكسائي والليسع بتشديد اللام وسكون الياء على أنه أعجمي دخلته اللام ويونس
بن متى ولوطا بن هاران وكلا فضلنا على العالمين بالنبوة ويدخل في العالمين الملائكة ومن آبائهم
وذرياتهم وإخوانهم عطف على كلا ومن تبعيضية أي فضلنا كل الأنبياء وبعض آبائهم وذرياتهم
وإخوانهم وعلم من ذكر عيسى في الذرية إطلاقها على أولاد البنات فالحسن والحسين من ذرية رسول الله
واجتبيناهم عطف على فضلنا أو هدينا وهديناهم إلى صراط مستقيم تكرير لبيان ما هدوا
إليه ذلك هدى الله إشارة إلى ما دانوا به يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم
ما كانوا يعملون أي لو أشرك هؤلاء الأنبياء الكمل مع علو شأنهم لحبط عنهم كما يحبط عن سائر الناس
فإن الله غني عن العالمين وهذا أمر فرضي ولذلك أتى بلو الدالة على الاستحالة وفرع الشرط أولئك
الذين آتيناهم الكتاب جنس الكتاب والحكم الأمر والقضاء على الناس والنبوة ذكرها بعد إنباء الكتاب
دفعا لتجويز أن الكتاب بغير النبوة في الأمة لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم فإن يكفر بها بالتوحيد أو

بالتوحيد أو بالثلاثة المذكورة هؤلاء كفار مكة فقد وكلنا بها قوما هم الأنبياء المذكورون
وقيل هم أصحاب رسول الله وكل من آمن به وقيل الملائكة وادعى الأنصار أنهم هم وقيل هم الفرس
قاله مجاهد ومعنى توكيلهم بها أنهم وفقوا للإيمان بها والقيام بحقوقها ليسوا بها بكافرين
الباء الأولى صلة كافرين والثانية تأكيد النفي أولئك الذين هدى الله أي الأنبياء المذكورين
فبهداهم اقتده لا بغيرها المراد بها الإلهيات وأصول الدين التي لا تتبدل بتبدل الملل لقوله لكل
جعلنا منكم شرعة ومنهاجا فلا دليل في الآية على أنه عليه السلام كان متعبدا بشرع من قبله وقرأ
حمزة والكسائي بحذف الهاء وابن عامر بكسر الهاء على أنها كناية المصدر والباقون بسكونها أجري
للوصل مجرى الوقف واتفق الكل على السكون في الوقف قل لا أسألكم عليه على التبليغ أجرا
حتى تتهموني بذلك إن هو أي التبليغ إلا ذكرى للعالمين إلا تذكرة وموعظة لكل من يعقل من الثقلين
وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء لما ذكر رؤساء الأنبياء واتفاقهم
في الملة وأصل الدين تشنيع على من أنكر النبوة رأسا بأنه جاهل بالله وبصفاته فإنه أرحم الراحمين
كيف يترك عباده في ظلمة الجهل من غير إرسال رسول يبصرهم طريق الوصول إليه تعالى ولم يعرفوا
أيضا شدة عذابه وقوة بطشه ولذلك أقدموا على هذا القول روي أن رسول الله صلى الله عليه
دعا اليهود إلى الله وكان مالك بن الصيف من أحبار اليهود حاضرا فشرع يدافع كلام رسول الله
جهلا وعنادا فقال له رسول الله أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها إن الله يبغض الحبر
السمين فأنت الحبر السمين قد سمنت مما أطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت إلى عمر بن
الخطاب وقال ما أنزل الله على بشر من شيء فقال قومه ويلك ما هذا الذي بدا منك فقال إنه أغضبني
فقلته بالغضب فنزعوه عن الحبورة وولوا كعب بن الأشرف وقيل نزلت في مشركي مكة لأن السورة
مكية ويرده قوله تجعلونه قراطيس لأنه صفة اليهود قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا
وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا إلزام لليهود بما لا يقدرون على إنكاره
وأدرج فيه ما هو نهاية في التقريع بأن الكلام المنزل على موسى جعلوه مجزأ بحسب أغراضهم أوراقا متفرقة
يظهرون بعضه الذي يوافق غرضهم الفاسد ويخفون الذي لا يلائمهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
الأفعال الثلاثة بالغيبة والخطاب أبلغ توبيخا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم زيادة على ما في
التوراة من المعارف والحكم الذي خص بها القرآن الكريم هذا إن كان المراد بالآية اليهود و
إن كان المشركين فالأمر ظاهر فإنهم ما تذكروا ولا آباؤهم قل الله متعين للجواب لا يمكن سواه
ثم ذرهم في خوضهم يلعبون دعهم في أباطيلهم لا عليك بعد ذلك التبليغ منسوخة بآية
السيف ويلعبون حال من المنصوب في ذرهم أو من المجرور في خوضهم ويجوز أن يكون في خوضهم حالا
من يلعبون وأن يكون صلة له أو لذرهم وهذا كتاب أنزلناه مبارك المشار إليه هو القرآن والمبارك
من البركة وهي النماء والزيادة في الرد عليهم بإنزال التوراة أمر رسول الله بالجواب وفي إنزال القرآن
أجاب بنفسه مسندا الإنزال إلى ضمير الجمع الدال على عظم المنزل إجلالا للقرآن مصدق الذي
بين يديه من الكتب السماوية فلا وجه لإنكاره لا سيما ممن يكون من أهل الكتاب ولتنذر أم القرى

عطف على ما دل عليه وصف الكتاب لان المعنى انزلناه للبركات والتصديقات والانذار وقراه بالغيبة ابو بكر عن عاصم والخطاب لحسن لان رسول الله هو المنذر حقيقة وام القرى مكة لانها مكان اول بيت وضع للناس او لان الارض دحيت من تحتها او لان الناس يرجعون اليها في المواسم او لعظم شانها وكونها قبلة سائر القرى ومن حولها من جميع الجوانب الى انقطاع الارض والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون لان من ايقن بالاخرة وما فيها من الثواب والعقاب هو الذي يتأمل في القرآن ويتدبره ويبعثه ذلك على الايمان به رجاء لذلك الثواب وخوفا من ذلك العقاب وانما وصفهم بمحافظة الصلوة لانها عماد الدين لتكررها واشتمالها على شرائط كثيرة ولذلك وصفها بانها كبيرة الا على الخاشعين ولان الاتي بها لا يخل بغيرها في الاغلب ولذلك وصفها بانها تنهى عن الفحشاء والمنكر ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي لا احد اظلم منه وهو الذي يدعي الرسالة لنفسه افتراء على الله مثل مسيلمة الكذاب والاسود العنسي او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء كعبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله الوحي فلما نزل ولقد خلقنا الانسان فلما بلغ قوله ثم انشأناه خلقا آخر قال عبد الله فتبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال له رسول الله اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه فارتد ثم عاد الى الاسلام واكثر بلاد المغرب فتحت على يديه في زمن عثمان وقيل كان يكتب في موضع عليم حكيم عزيز حكيم وفي موضع سميع عليم غفور رحيم وهذا باطل اذ لو وقع منه ذلك لنبه عليه رسول الله لقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ومن قال سانزل مثل ما انزل الله هو النضر بن الحارث القائل لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون المذكورون في غمرات الموت شدائده وهي سكراته من غمرة الماء اذا سترته والملائكة باسطوا ايديهم كناية عن غاية التسلط فان العزيز اذا بالغ في التقاضي بسط يديه حاذيا باطراف صاحبه اخرجوا انفسكم فانه يقولون لهم هذا القول تغليظا عليهم ولجاشا لانفسهم ليكمل عليهم العذاب من جميع الجوانب او اخرجوها من ابداننا ان كان بكم قدرة وقد علموا ان لا قدرة لهم فهو من النمط الاول اليوم تجزون عذاب الهون من تتمة المقول والمراد به يوم الموت او الوقت الممتد من الموت الى ما لا ابتداء في الهون الهوان الشديد واضافة العذاب اليه من قبيل رجل سوء يفيد العراقة في الهوان بما كنتم تقولون على الله غير الحق من انزال الوحي ودعوة النبوة واثبات التنزيل والولد لله تعالى وكنتم عن آياته تستكبرون ترفعون انفسكم عن التدبر فيها فلا تؤمنون بها ولقد جئتمونا فرادى منفردين عن الاموال والاولاد والطواغيت التي كنتم تعبدونها جمع فرد على خلاف القياس كانه لما كان بمعنى الفرد على وزن السكران جمع جمعه كما خلقناكم اول مرة بدل من فرادى او حال ثانية او صفة مصدر جئتمونا وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم من متاع الدنيا من خوله الشيء اذا ملكه وراء ظهوركم ولم تقدموا منه شيئا ليوم تشتد اليه الحاجة وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اي شركاء الله في عبادتكم لانهم مشاركون له في الربوبية لقد تقطع بينكم قراه نافع بالرفع وابن عامر و

وابن عامر وحمزة وابو بكر عن عاصم والمعنى انصرم الوصل الذي كان بينكم والباقون بالنصب والفعل مسند الى ضمير المصدر او وقع التقطع وهذا في بناء الفاعل نظير قوله وحيل بينهم وبين ما يشتهون في بناء المفعول او بتقدير الامر اي تقطع الامر بينكم يؤيده قراءة من قرأ لقد تقطع ما بينكم والبين من الاضداد وضل عنكم ما كنتم تزعمون من الاشتراك والشفاعة ان الله فالق الحب والنوى برهان على التوحيد بعد ابطال الاشراك والفلق لغة الشق والمعنى شاق الحب والنوى باخراج النجم والشجر منهما وعن مجاهد المراد الشقوق التي في الحب والنواة والوجه ما تقدم يخرج الحي من الميت اراد النجم والشجر الناميين او المؤمن من الكافر والعالم من الجاهل وهذا ابعد معنى والاول اوفق للمقام ومخرج الميت من الحي كالحب من النبات والبيض من الطير او الكافر والجاهل من المؤمن والعالم وانما اتى باسم الفاعل عطفا على فالق الحب لان قوله يخرج الحي من الميت بيان على الوجه الاول واستيناف على الثاني عبر عنه بالمضارع استحضارا لتلك الصورة لانه ابدع واغرب ذلكم الله الحي المميت هو الحقيق بالعبودية فانى تؤفكون تصرفون عنه استفهام توبيخ وتعجيب فالق الاصباح شاق ظلمة الليل عن بياض الصبح وهو غلس آخر الليل كقوله تعرى لباس عن بياض نهار او شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وعن بياض النهار والاصباح مصدر سمي به الصبح وقرئ بالفتح على صيغة الجمع وجعل الليل سكنا يسكن اليه ويطمأن ولذلك سميت المرأة والنار سكنا او ما يسكن فيه لقوله وهو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه وانتصابه بجاعل لكونه بمعنى الاستمرار الشامل للازمنة فبالنظر الى الحال والاستقبال اضافته غير حقيقية فيعمل وبالنظر الى الماضي حقيقية فلوحظ في مالك يوم الدين وفاطر السموات جانب الماضي ولذلك وصفهما المعرفة وهنا جانب الحال والاستقبال ولذلك يعمل الاسم فلا حاجة الى تقدير فعل ناصبه والشمس والقمر حسبانا عطف على محل الليل لانتصابه بجاعل وعلى لفظه في قراءة الكوفيين جعل بصيغة الماضي والحسبان بضم الحاء مصدر حسب يحسب كنصر ينصر معناه العد والاحصاء ومعنى جعل الشمس والقمر حسبانا جعلهما على حساب لان الاوقات تنضبط بدورهما والحسبان بالكسر مصدر حسب يحسب كعلم يعلم معناه الظن والتخمين وما يقال ان كلاهما بمعنى الظن سهو ذلك تقدير العزيز اي ذلك الجعل او المذكور من الفلق والجعل تقدير الغالب القهار الذي تحت الاشياء العليم الكامل العلم المحيط بكل شيء سخره ما يليق به من المصالح او المنافع وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل والاضافة الى البر والبحر لوقوعه ملابسة او الظلمات استعارة مشتبهات الطرق اللام الاولى للتخصيص والثانية للعلة قد فصلنا الآيات الدلائل الدالة على الوحدانية لقوم يعلمون لانهم الذين ينتفعون بالدلائل وهو الذي انشأكم من نفس واحدة يريد آدم عليه السلام فانه الاصل والمنشأ بواسطة وبغير واسطة فمستقر ومستودع لكم استقرار في اصلاب الآباء او فوق الارض او مكانه واستيداع في الارحام او تحت الارض او مكانه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بكسر القاف اي فمنكم مستقر ومنكم مستودع على ان الاول اسم فاعل والثاني اسم مفعول قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون انما ختم الدليل الاول بالعلم وهذا بالفقه لان انشاء ذرية آدم منه ادق مسلكا من جعل النجوم اسبابا للاهتداء والفقه يدل على كمال الفطنة ودقة النظر

وهو الذي انزل من السماء ماء من السحاب او من جهة العلو فان ما علاك سما فاخرجنا به نبات كل شيء نبت كل صنف من
ما ينبت فالسبب واحد والمسببات مختلفة كقوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل دليل
على كمال علمه وتفرده بالايجاد ولذلك اسند الى ضمير المتكلم ملتفتا اليه من اسلوب الغيبة فاخرجنا منه
خضرا غضا طريا مع يبس الحبة المخرج منها يقال اخضر وخضر مثل اعور وعور نخرج منه حبا متراكبا
بعضه فوق بعض كما يشاهد في السنابل ومن النخل من طلعها قنوان جمع قنو وهو من النخل بمنزلة
العنقود من الكرم ويسمى العذق بكسر العين والذال المعجمة قنوان مبتدأ ومن النخل خبر ومن طلعها
بدل البعض ويجوز ان يقدر الخبر فعلا خاصا لدلالة اخرجنا عليه اي ويخرج من النخل دانية
قريبة بعضها من بعض لقرب الشجر بكثرة حمله او قريبة المتناول فان النخل ثمر وهو قصير القامة وقد
شاهدناه مما يكون اغصانه على الارض وانما اقتصر على وصف الدنو وان كان منه ما يكون
عاليا لكونه ادخل في كونه نعمة وقيل اكتفى باحد الضدين لدلالته على الاخر كقوله سرابيل تقيكم
الحر وجنات من اعناب عطف على نبات كل شيء وقرئ بالرفع اي وثم جنات من اعناب او ولكم
جنات من اعناب او وجنات عطف على قنوان ومن اعناب على من النخل عطف المفرد على المفرد
كقول الشاعر عندي اصطبار وشكوى عند فاتنتي فلا يلزم ان يكون العنب خارجا من النخل والزيتون
والرمان عطف على نبات ايضا والاحسن النصب على الاختصاص لكونهما اشرف الثمار مشتبها و
وغير متشابه حال من الجميع او من الرمان اي بعض الثمار متشابه في اللون والطعم وبعضه غير متشابه
يقال اشتبه وتشابه بمعنى انظروا الى ثمره اذا اثمر حين يبدو حشفا لا طعم ولا لون يعتد به
وينعه وحين نضجه مصدر مضاف الى الفاعل من ينع الثمر اذا استوى وصلح فانه يصير ذا لون
وطعم معجب وقيل جمع يانع كتجر وتاجر فان ذلك الانقلاب دليل على تأثير حكمة الصانع وقرأ حمزة و
الكسائي ثمره بضمتين على صيغة الجمع ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون فانهم المتأملون فيه فايق
متابعة المستدلون بالآثار على وجود المؤثر وبانتظامها على احسن الانتظام على تفرده بذلك
وجعلوا لله شركاء الجن عطف قصة على اخرى والجن الملائكة لاجتنانها وعبر بها عنهم تحقيرا او تبعيد
لها عن رتبة الالوهية لانها محجبة لاجرام وانزل والشياطين لانهم اطاعوهم وعبدوا الاوثان
بتسويلهم او اعتقدوا ان الله خالق الخير والشيطان خالق الشر كما يقوله الثنوية وجعل بمعنى صير
ومفعولاه لله شركاء والجن بدل من شركاء ولا يشترط استقامة المعنى لان المبدل ليس في حكم التنحية
من كل وجه او شركاء الجن مفعولاه وقدم المفعول الثاني استعظاما للشرك ولذلك قدم على شركاء و
خلقهم والحال انهم عالمون بان من جعلوه شريكا له مخلوق او مخلوقاته زيادة توبيخ وان ذلك العلم
لا اثر له وقرئ وخلقهم مصدر بمعنى المفعول عطفا على شركاء اي وجعلوا له مخلقاتهم حين قالوا
والله امرنا بها وخرقوا من الخرق وهو الشق كانهم شقوا العدم واخرجوا منه وقرأ نافع خرقوا لشدة
مبالغة له بنين وبنات قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وبعض مشركي
العرب الملائكة بنات الله بغير علم تصريح بما علم ضمنا وفي محل الحال من الفاعل اي خاطئين او مصدر
غير علم سبحانه وتعالى عما يصفون اي انزه الموصوف عما وصفوه به وتعالى عن تلك الاوصاف

عن تلك الاوصاف ولحوقها به بديع السموات والارض تقرير لتعاليه عن تلك الصفات باثبات
ما يضادها وان السموات والارض التي هي من مخلوقاته بديعة عديمة النظير فكيف يكون له
ولد اذ لو كان له ولد لكان نظيرا له وهو بديع السموات والارض لا نظير له او هو مبدع السموات
والارض من العدم فلا حاجة له الى الولد ليكون له انى يكون له ولد استبعاد لان يكون له ولد
ولم تكن له صاحبة يتولد منها الولد وهم يعترفون بذلك وهذا توبيخ وتجهيل لمن يثبت له الولد
مع اعترافه بان لا صاحبة له وخلق كل شيء والولد شيء لا محالة وما كان مخلوقا له لا يكون
ولدا له لانه ملك وهو ينافي البنوة وهو بكل شيء عليم اي كما تفرد بخلق الاشياء فكذلك تفرد
بالعلم الكامل الشامل فانسدت انحاء الاحتياج الى الولد وقيل لان الولد كفو للوالد والله
عالم بذاته بجميع المعلومات وغيره ليس كذلك اجماعا وفيه ان الكفاءة لا يستلزم التساوي من كل
وجه كما ترى بين الاباء والبنين ذلكم اشارة الى الموصوف بصفات الالوهية الله ربكم لا اله
الا هو خالق كل شيء اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا او صفة والبعض خبرا اعاد وصف
الخالقية لانه اجلى البراهين ولذلك اكثر ايراده في القران الكريم فاعبدوه مسبب عن تلك
الاوصاف وان كان مستحقا لذاته مع قطع النظر عن كل صفة وهو على كل شيء وكيل حال
من المفعول توكيد الامر بالعبادة اي وهو مع تلك الصفات موصوف بكونه موكولا اليه جميع
الامور وهو له وتراقب احوالها لا تدركه الابصار لا تحيط به لانه ليس بجسم ولا جسماني فهو احق
من الرؤية فلا يستلزم نفيه نفيها او لا تدركه الابصار كلها فالنفي متوجه الى الاستغراق
كقولك لم اضرب زيدا اجمعنا وشبهة نافي الرؤية انما هي في الوقوع لا في الامكان لان نفي
الشيء لا يدل على امتناعه والبصر النور المودع في الجارحة الذي به رؤية الاشياء ويطلق
على الجارحة ايضا والاول هو المراد لقوله وهو يدرك الابصار لان تفرده انما هو بادراك
تلك لا الجارحة وهو اللطيف الخبير ودقيق حكمته في كل شيء او لطيف بعباده في الضاء خبير
بنيانهم او الوصفان نشر لما تقدم اللطيف لا تدركه الابصار والخبير يدرك الابصار
قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة وهي للقلب كالبصر للعين والمراد الدلائل
القاطعة جعلها بصائر لدلالتها على غاية جلائها فمن ابصر بقلبه وامن فلنفسه نفعه
لا لغيره ومن عمي قلبه عن ادراكها فعليها وبال ذلك وما انا عليكم بحفيظ ان علي الا البلاغ
الاية واردة على لسانه صلى الله عليه وسلم وكذلك نصرف الايات اي كما صرفنا الايات الناطقة
الدالة على الوحدانية نصرف سائر الايات في القران وليقولوا درست متعلقة بمحذوف
اي صرفنا واللام للعاقبة كقوله ليكون لهم عدوا والدرس هو القراءة والتعلم وقرأ ابن كثير
وابو عمرو دارست اي اهل الكتاب لكونهم مشهورين بذلك وابن عامر درست وبناء الفاعل
من الدروس والمراد التقدم في الزمان كقولهم اساطير الاولين المد والخطاب اي لتقول
واعانه عليه قوم اخرون وقوله انما يعلمه بشر ولنبينه اللام على اصله من التعليل
والضمير للايات باعتبار المعنى لانها القران او للمصدر لقوم يعلمون لان الجاهل بمعزل عن الفهم

اتبع ما اوحي اليك من ربك بالتدين به اذ لا عليك بعد البلوغ الا ذلك لا اله الا هو حال مؤكد بعد
التعليقة كقوله قائما بالقسط او اعتراض اكد به ايجاب الاتباع واعرض عن المشركين منسوخة باية
السيف والمراد عدم الالتفات اليهم دون الكف ولو شاء الله ما اشركوا صريح في ان اشراكهم
بمشيته وما جعلناك عليهم حفيظا رقيبا وما انت عليهم بوكيل مسلط اسورهم ولا تسبوا الذين
يدعون من دون الله السب ذكر مساوي الشيء على سبيل النقص والتحقير وما وصف الله به آلهتهم
من كونها حصب جهنم ونظائره في معرض الاستدلال على عدم صلاحيتها للالوهية فيسبوا الله
عدوا تجاوزا عن الحق بغير علم جهادا منهم بمن يليق به السب وسب آلهتهم وان كان طاعة
ولكن حيث اشتمل على المفسدة انقلبت مفسدة ورفع المفاسد مقدم على جلب المصالح والتخلية
قبل التحلية كذلك زينا لكل امة عملهم كما زينا لهؤلاء سب خالق الاشياء زينا لكل امة عملهم
من الخير والشر ويجوز ان يراد بكل امة الكفار لان الكلام فيهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم
بما كانوا يعملون مجازى عن الحساب والمجازاة عليه واقسموا بالله جهد ايمانهم مصدر في موقع
الحال اي اغلين في الايمان جهدهم وطاقتهم والداعي لهم الى هذا القسم التعنت واستحقار
ما الحي به من القران وغيره من المعجزات لئن جاءتهم اية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الايات
كلها عند الله لا عندي فاو قدرتي على الاتيان بها الا اذا اراد شيئا منها وما يشعركم
استفهام انكار انها اذا جاءت لا يؤمنون كان المؤمنون يتمنون مجيء الاي المقترحة لعلها تكون
سببا لايمانهم فرد الله عليهم بانكم لا تدرون عدم ايمانهم اذا جاءت تلك الايات فلذلك
تمنيتم مجيئها فالنفي انما توجه الى ما هو الواقع لا الى ما ادعاهم وقيل لا مزيده وقيل ان بمعنى
لعل كذا روي عن الخليل وعليه قول امرئ القيس عوجا على الطلل المحيل لاننا نبكي الديار كما
بكى ابن خذام وقرئ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر في رواية انها بالكسر ابتداء كلام كانه قال
وما يشعركم ما يكون منهم بعد نزول الاية المقترحة ثم اخبر انهم لا يؤمنون وقرء ابن عامر وحمزة
لا تؤمنون بناء الخطاب فالانكار فيما يشعركم للكافرين على خطابهم ونقلب افئدتهم و
ابصارهم عطف على لا يؤمنون داخل تحت الانكار اي وما يشعركم انا نقلب افئدتهم وابصارهم
عن سنن الاستقامة بان يطبع عليها فلا يفقهون الحق لا يبصرونه تمثيل بحالهم بحال الطرف القلق
الذي لا يمسك سببا كما لم يؤمنوا به اي فلا يؤمنون بالمقترحة كما لم يؤمنوا بما انزل من سائر
الايات اول مرة قبل الاقتراح ونذرهم في طغيانهم يعمهون فتجاوزهم عن الحق متحيرين عطف
على لا يؤمنون ولو اننا نزلنا اليهم الملئكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا اشار الى بعض
تلك الاي المقترحة فانهم كانوا تارة يقولون لولا انزل علينا الملئكة فيخبرنا بابلاغ رسول الله وتارة
يقولون فاتوا بآبائنا ان كنتم صادقين وتارة لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملئكة قبيلا
والقبل بضم القاف والباء جمع قبيل بمعنى الكافل والضامن او جمع قبيلة بمعنى جماعة او مصدر
بمعنى المقابلة كقبلا بكسر القاف وفتح الباء وهي قراءة نافع وابن عامر وعلى التقديرين حال من كل وانما جاز
لعمومه ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله الا وقت تعلق مشيته به استثناء من اعم الاحوال وكر

ولكن اكثرهم يجهلون ولذلك اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم يؤمنون عند الاي المقترحة او اكثر المسلمين
يجهلون ذلك ولذلك يتمنون نزولها طمعا في ايمانهم وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين
الانس والجن اي كما جعلنا لك عدوا جعلنا لكل نبي تقدمك عدوا من مردة الفريقين
لينالوا ببذل الاجر العظيم وليبتلى العلماء اذا عاداهم الجهلة وبتأسوا بالانبياء وعدوا اريد به
الجنس ولذلك وقع شياطين بدلا عنه او شياطين اول مفعولي جعلنا وعدوا مفعوله الثاني
وعن مالك بن دينار ان شياطين الانس اشد علي من شياطين الجن فاني اذا تعوذت هرب
شياطين الجن بخلاف شياطين الانس وكانه الى ذلك اشير بتقديم شياطين الانس
يوحي بعضهم الى بعض الوحي الكلام الخفي والمراد به وسوسة الشياطين زخرف القول اباطيل
هو في الاصل الذهب واستعماله كثير في المموه والا الباطل غرورا احداعا مصدر غره يغره
وهذا الوزن نادر في المصادر المتعدية ونصبه على العلة او الحال ولو شاء ربك ما فعلوه
ذلك الغرور او الايحاء صريح في ان وقوع الشرور بمشيته فذرهم وما يفترون فلا عليك
بعد البلوغ منسوخ باية السيف ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة عطف
على غرورا ان جعل علة او انه فعل مقدر اي ليتناولوا بذلك اجرا ولتصغى اللام فيه وفي ليرضوه
وليقترفوا لام العاقبة لان جعل الانبياء مبتلين بعداوة الشياطين ليس لتصغوا افئدة
الكافرين ولكن لما ترتب عليه جعل كالغرض وليرضوه الضمير المنصوب فيه والمجرور في اليه
عائد الى ما عاد اليه ضمير فعلوه وليقترفوا ما هم مقترفون من الاثام من قرف لعياله اذا اكتسب
افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول اي قل لهم يا محمد افغير الله اطلب حكما يحكم بيني وبينكم رد
لما كانوا يقولون اجعل بيننا وبينك حكما فالهمزة للانكار وغير مفعول ابتغي وحكما حال منه
وعكسه لا يستقيم لان غير يعرف بالاضافة لتعين الضد والحكم هو الحاكم مطلقا وقيل من
في بينه يولي الحكم وفي الحديث يوشك ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا وقيل يختص بالحاكم
العدل ولا يسند له وهو الذي انزل اليكم الكتاب القرآن المعجز مفصلا مبينا للسور وسوره الى
ايات او مفصلا فيه الحق والباطل وقد دل ذلك المنزل على صدقي وكوني على الحق والذين اتيناهم
الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق عضد دلالة الاعجاز على صدق القرآن بعلم الكتاب
الموصول بالجنس فيكون ان يعلم ذلك علماؤهم وقيل من لم يعلم كان متمكنا منه بادنى تأمل و
انما علم اهل الكتاب بانه منزل من عند الله بموافقته لكتابهم وتصديقه اياه مع كونه صادرا
ممن لم يخالط احدا من علمائهم وقرء ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد فلا تكونن من
الممترين من عظلك تشرك ليحبطن عملك من الكلام الذي يراد به الالهاب والتهييج او فلا تكونن
من الممترين في ان اهل الكتاب يعلمون او الخطاب له والمراد امته لانه الواسطة والمترجم عن
احوالهم او المراد كل احد على معنى انه لا ينبغي لاحد الامتراء في ذلك فانه غاية في الوضوح وسطوع البرهان
وتمت كلمت ربك اوامره واحكامه صدقا فيما كان من الاخبار وعدلا فيما كان من الاحكام نصب
على الحال او التمييز او المفعول له لا مبدل لكلماته بان يأتي احد باصدق من اخباره وفي الاحكام

باعتدالها او تمت اى استوت ودامت لعدم ورود النسخ عليها او لا يتطرق عليها التحريف كما تطرق على سائر الكتب فيكون ضمانا من الله بحفظه كقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون يتحقق بكلمات القرآن وقرأ الكوفيون كلمة لا بالتوحيد اراده الجنس وهو السميع لما يقولون من المفتريات العليم بقصدهم من ذلك وعنادهم وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله لان اكثر من في الارض ضلال فلا ينبغي ان يلتفت اليهم في معترحاتهم فان اتباعهم مفض للضلالة ان يتبعون الا الظن الذي هو اكذب الحديث وان هم الا يخرصون يكذبون الخرص هو التقدير والتخمين وانما فسر بالكذب لئلا يقع التكرار والمعنى ان حالهم وصفتهم منحصرة في الظن ولما كان الظن محتملا للصدق وحصرهم في الكذب فهو كالعلة للنهي عن اطاعتهم ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين كان المشركون يقولون لمن اسلم صبا وضل فرد الله تلك المقالة عليهم بجملة رد بانه اعلم بالضال والمهتدي من غيره ولم يسند الضلال اليهم صريحا لئلا يشنع عليهم ومن موصولة او موصوفة في محل النصب بفعل دل عليه اسم التفضيل لا به اذ لا يعمل النصب في الظاهر ويجوز ان يكون استفهامية علق عنها الفعل واعلمية لا تحتاج الى برهان وله تقييد بوجه دون وجه فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار اتباع المضلين كانوا يقولون الميتة اكلها اولى من المذكاة لانها ماتت بقتل الله ان كنتم بآياته مؤمنين فاقصروا اكلكم على ما ذكر اسم الله عليه والحصر مستفاد من الوصف كقولك كل من مال الغني وانما اثر ان وان كان ايمانهم مقطوعا به اذ ربما خالج قلبهم شبهة حين قال المشركون ما قتل الله اولى بالاكل مما قتلتم وما لكم الا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه اى ما عرض لكم واى مانع لكم من اكل ما ذكر اسم الله عليه خاصة والقيد علم من الوصف وقد اشكل حله على بعض فزعم ان المشركين كانوا يحرمون المذكاة ويحلون ما ذبح باسم آلهتهم او مات حتف انفه وقد فصل لكم ما حرم عليكم جملة حالية وما فصله من المحرمات هو ما في آخر هذه السورة من قوله قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا الى آخر الآية فانه وان كان متأخرا في الوضع متقدم نزولا وقرأ نافع والكوفيون فصل على بناء الفاعل وقرأ نافع وحفص حرم على بناء الفاعل الا ما اضطررتم اليه من المحرم فانه يحل تناوله ايضا رخصة مع قيام المحرم ابقاء لمهجة المؤمن وذلك بقدر الضرورة وما يسد به الرمق وان كثيرا ليضلون بتحليل الحرام وتحريم الحلال وان كثيرا من الناس فيه اشارة الى ان الضلال ليس مختصا بالمشركين وقرأ الكوفيون بضم الياء وهو ابلغ باهوائهم بغير علم بما يشتهونه من الباطل غير مستند الى دليل يفيد العلم ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين حدود الله فيجازيهم عليه وذروا ظاهر الاثم وباطنه اى دعوا كل ما يوجب الاثم ما يؤتى به جهارا وما يفعل سرا او ما يكون بالجوارح وما يكون بالقلب ان الذين يكسبون الاثم ظاهرا او باطنا سيجزون بما كانوا يقترفون يكتسبون ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر الآية يدل على حرمة ما لم يذكر اسم الله عليه حيوانا كان او غيره لكن المراد هو الحيوان لما كان اجماعا ويتناول بظاهره متروك التسمية مطلقا وذهب ابو حنيفة الى حل متروك التسمية

تسمية نسيانا وهو رواية عن مالك وابن حنبل ومذهب داود لما روي انه صلى الله عليه وسلم سئل عن متروك التسمية نسيانا فقال كلوه فان تسمية الله على قلب كل مسلم ولقوله وانه لفسق بدون ترك اسمه نسيانا ليس بفسق وهذا هو المشهور عن مالك واحمد وذهب الشافعي الى حله مطلقا عمدا تركه او نسيانا لقوله وانه لفسق فانه في موقع الحال اذ لا يستقيم عطفه على الانشاء ولا على الصلة وقد بين الفسق بقوله اهل لغير الله به في آخر السورة ولما كان سابقا ولا اكتفي بذكره وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليوسوسون الى الكفار ليجادلوكم بقولهم تأكلون مما قتلتم ولا تأكلون مما قتله الله وهو اولى واظهر وان اطعتموهم في استحلال ما حرم الله انكم لمشركون فانكم جعلتم لله شريكا في تشريع الاحكام وحسن حذف الفاء من الجزاء لان الشرط بلفظ الماضي اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس مثل حال المؤمن بحال من كان ميتا ثم جعل له الحياة واعطي نورا يمشي به حيث اراد من غير تعب ولا نكد يحصل به مطالبه كمن مثله في الظلمات المتراكمة مستمر في تلك الظلمات لا يهتدي الى مقصد من مقاصده فالحياة هي الايمان والنور الذي يمشي به في الناس هو معرفة احكام المبدأ والمعاد اصولا وفروعا والظلمات هي الكفر والشبهات فلعلها تنقلب ظلمات حقيقة يوم القيامة ليس بخارج منها ابدا حال من المستكن في الظرف لا من الهاء في مثله للفصل وكان الظاهر كمن هو في الظلمات وانما اقحم المثل للدلالة على الحال والصفة روي انها نزلت في حمزة وابي جهل كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون كما زين للمؤمنين ايمانهم او كما زين للمشركين عملهم زين لسائر الكفار والمزين هو الله لقوله وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها اى كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها يستتبعون الضعفاء على الكفر جعلنا في كل قرية مثلهم ابتداء وقوله اكابر مجرميها مفعولا جعلنا لكونه بمعنى صيرنا قدم الثاني على الاول ويجوز ان يكون في كل قرية اكابر مفعوليه ومجرميها بدلا او مضافا اليه بدليل قراءة اكبر مجرميها وان يكون في كل قرية ظرفا لغوا واكابر مجرميها مفعولا اولى وليمكروا مفعولا ثانيا وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون ان ذلك التمرد عائد اليهم واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله القائل الوليد بن المغيرة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا اولى بالنبوة منك لاني اكبر سنا واكثر مالا وقيل ابو جهل قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا كنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى ولا نتبعه حتى يأتينا وحي كما يأتيه والاسناد الى الكل لوقوع الفعل بينهم والله اعلم حيث يجعل رسالته كلام مستأنف للرد عليهم وابطال قياسهم فان النبوة فضل من الله يختص بها من يشاء ليس بكثرة المال ولا كبر السن من اسبابها ولوازمها وقرأ ابن كثير وحفص رسالته بالافراد وفتح التاء والجمع اظهر نظرا الى الاحكام سيصيب الذين اجرموا صغار وضع الموصول موضع الضمير لتشعر الصلة بعلية الحكم والصغار هو الذي من صغر وزنه علم عند الله اى يوم القيامة او ثابتا من قبله في الدنيا كما وقع يوم بدر وعذاب شديد مضافا الى الذل بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم ومكافأة على

مكرهم فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام مسبب عن الكلام السابق اي اذا تبين ان
النبوة ليست الا فضلا منه فمن اراد هدايته و توفيقه شرح صدره للاسلام والانقياد لامره
فانسع بنور الايمان وانكشف عنه ظلمة الكفر والجهل ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا
كانما يصعد في السماء ومن اراد اضلاله وخذلانه يلبي الشبه وكدورات الجهل على ظلمة النفس
التي كانت لها جبلة فلا يمكن من الوصول الى ذلك لانعدام آلتها بالكلية ولذلك مثله بمن يريد
الصعود الى السماء والكلام على الاستعارة التمثيلية او التبعية روي ان ابن عباس قرأ الآية
ثم قال هل من بني بكر هنا احد فقال رجل نعم انا من بني بكر قال ما الحرجة فيكم قال الوادي الكثير
الشجر الذي لا طريق فيه فقال ابن عباس رضي الله كذلك قلب الكافر وقد روي مرفوعا انه صلى الله
عليه وسلم سئل عن شرح الصدر فقال هو نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينفسح فقيل هل
لذلك امارة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد لما بعد الموت
وقرأ ابن كثير ضيقا بالتخفيف والباقون بالتشديد وحرجا بكسر الراء نافع وابو بكر وقرأ
ابن كثير يصعد باسكان الصاد وتخفيف العين والباقون بفتحها مشددة الا ابا بكر فانه
لم يشدد العين وزاد الفا بعدها كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون اي كما جعل
عليهم الضيق والحرج في الدنيا يجعل عليهم العذاب في الآخرة او اللعن والطرد ووضع المظهر
موضع المضمر للتعليل وهذا صراط ربك مستقيما اشارة الى ما بينه من ان النبوة فضل منه وان
الاسعاد والاشقاء بيده او الاسلام صراطه المستقيم الذي لا اعوجاج فيه قد فصلنا الآيات
الدالة على حقية تلك الصراط لقوم يذكرون العهد الذي اخذ عليهم في عالم الذر او في الكتب
السماوية على لسان الانبياء والتذكر ضد النسيان لهم دار السلام اي للمتذكرين دار السلام
التي هي الجنة اضافها اليه تعالى فان السلام من اسمائه تعظيما للمضاف والخبر من اسمائه او بمعنى
السلامة فانها لا سقم فيها ولا تعب ولان تحيتهم فيها سلام عند ربهم اي مخفية حالها الا له
كنهها عجزه وهو وليهم ناصرهم ومتولي امرهم لا يكل امرهم الى غيره تشريفا لهم بما كانوا يعملون
بسبب اعمالهم الصالحة فكما لم يشركوا احدا معه في تلك الاعمال فكذلك لم يشرك في جزائهم احدا ولا
يطلعه عليه ويوم يحشرهم جميعا منصوب باذكر او بمقدر اي قلنا او يوم يحشرهم ونقول لهم
يا معشر الجن يكون من الامر ما لا يمكن شرحه والضمير للثقلين والجن قد سبق ذكرهم في قوله وان
الشياطين ليوحون الى اوليائهم يا معشر الجن يريد الشياطين منهم قد استكثرتم من الانس
اي من اغوائهم واستتبعتم كثيرا منهم وانما يقال لهم هذا الكلام توبيخا وتقريعا على سوء صنيعهم
وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض كان انتفاع الانس بالجن على زعمهم في الجاهلية
اذا نزل مسافر منهم في مغارة يقول اعوذ برب هذا الوادي من سفهاء قومه فيبيت آمنا في جواره
وانتفاع الجن سرورهم بهذا القول الدال على احتياج الانس اليهم ونيلهم مرتبة جليلة عند الجن و
غرورهم وقيل انتفاع الانس بالجن اخذ السحر والكهانة واباطيل القول منهم فان قلت كيف
خاطب الجن واجاب الانس وما وجه ذلك قلت خطاب الجن كان لتقريع الانس لكونهم متبوعين ولو ما

وعلو شانه بصيرتنا بعد ذلك الشر الخسيس لم يستحق الخطاب فانه نوع تكريم فكان الجواب من الانس
لكونهم مجرمين يحتاجون الى نوع اعتذار وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا هو البعث و
عن الماتريدي الموت يقولون هذا الكلام للتلهف على الفائت والاسف قال النار مثواكم
خالدين فيها اي هذا الاعتذار لا يغني شيئا فان النار مقركم ومقامكم حال كونكم دائمين فيها
الا ما شاء الله الا الاوقات التي ينقلبون منها الى الزمهرير او الا ايام البرزخ وهو ما بين
الموت والبعث او بعد البعث الى استقرار فريق في الجنة وفريق في السعير ان ربك حكيم في
افعاله متقن في كل ما دبر عليم كامل العلم اتقان فعله مسبوق بذلك العلم وكذلك نولي
بعض الظالمين بعضا اي كما ولينا الجن الانس كذلك نولي الظلمة بعضهم على بعض في الاغواء
والوسوسة او في العذاب يوم القيامة وفي الحديث يحشر المرء على دين خليله فلينظر احدكم
من يخالل بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم من قبيل
قوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فان خروجهما من الملح لا من العذب وقيل للجن رسل تمسكا
بظاهره ويرده قوله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم وقيل رسل الجن رسل
الرسل لقوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن يقصون عليكم آياتي و
ينذرونكم لقاء يومكم هذا اي يوم القيامة قالوا شهدنا على انفسنا اقررنا على انفسنا بالجرم
واستحقاق العذاب وغرتهم الحياة الدنيا اي قالوا ذلك القول والحال انهم كانوا مغرورين
بالحيوة الدنية واللذات المخدجة السريعة الزوال وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين
كرر الشهادة لان الاولى حكاية لقولهم والثانية ذم لهم وتخطئة على ما كان منهم من الغرور
واقرارهم بالكفر في هذه الآية وانكارهم في قوله والله ربنا ما كنا مشركين باعتبار الحالين
في وقتين مختلفين ذلك اشارة الى ارسال الرسل ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون
تعليل للارسال وان مصدرية او مخففة من المثقلة فيقدر ضمير الشان وبظلم حال من القرى
بتقدير الاهل اي ملتبسين بظلم وضلال فعلتهم او من فاعل مهلك اي ملتبسا بظلم ويحمل العلية
وفيه دليل للشيخ الاشعري على ان لا تكليف قبل البعثة ولكل درجات مما عملوا لكل واحد
من المرسل اليهم مراتب لاجل اعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر او اطلاق الدرجات على الهبطات
تغليب وما ربك بغافل عما يعملون عن اعمالهم اعتراض في آخر الكلام او تتميم وقرأ ابن عامر
بالخطاب تغليبا وربك الغني المطلق لانسداد انحاء الاحتياج عليه ذو الرحمة البالغة
ولذلك ارسل الرسل وشرع الاحكام تكميلا للعباد بالمعارف والاعمال الصالحة ان يشأ
يذهبكم تقرير لمعنى الغني اي ليس له اليكم حاجة وانما ابقاكم رحمة لتداركوا ما فرط منكم
ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق اثر ما على من قصد الى الوصف كما قيل ويستخلف من بعدكم
المطيع لامره كما انشأكم من ذرية قوم آخرين جيلا بعد جيل ان ما توعدون لآت اي البعث و
احواله او العذاب او ظهور هذا الدين على الدين كله وما انتم بمعجزين فائتين طالبكم من اعجزه
الشيء اذا فاته ماخوذ من عجز الشيء وهو مؤخره قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اي تمكنكم مصدر

مصدر مكن بالضم فهو مكين اذا تمكن غاية ما يمكن او اعملوا على طريقتكم وجهتكم التي انتم عليها من
الكفر والعصيان من بمعنى المكان يقال مكان ومكانة كمقام ومقامة على الوجهين الامر للتهديد
على نمط اعملوا ما شئتم والوعيد اذا كان بصيغة الامر يفيد غاية الانذار كان المهدد قد عزم
على تغلب المهدد فيامره بما يوجب ذلك ويفضي اليه وفيه ايماء الى ان المهدد لا يتوقع منه
الا الشر فهو لازم له ولجب عليه فعله كالمامور به اني عامل على مكانتي او جهتي قرا ابو بكر
مكاناتكم بالجمع وهو ابلغ في التهديد فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار من استفهامية
والفعل معلق عنه او خبرية مع ما في حيزها قائم مقام المفعولين او العلم بمعنى المعرفة والموصول
مفعوله وعاقبة الدار هي العاقبة الحسنى واضافتها الى الدار لانها تحصل بما في هذه الدار
من الاعمال من كلام المصنف حيث لم ينسب الخصم الى الضلال صريحا لتأنف نفسه انه لا يفلح
الظالمون كافرا كان او غيره وجعلوا لله اي مشركوا العرب مما ذرأ خلق من الحرث و
الانعام من الزرع والمواشي نصيبا محفوظا مفرزا فقالوا هذا لله بزعمهم هذا ما يستحقه
ويجب ان يصرف في ابواب البر وهذا لشركائنا التي تقربنا الى الله زلفى يستحق صرف بعض
اخرا اليها لكونها وسيلة الى المعبود بالحق فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله
فهو يصل الى شركائهم كانوا يصرفون ما عينوه اذا كان ازكى وحسن للسدنة آلهتهم ويصرفون
الردي الى الفقراء والمساكين ترجيحا لآلهتهم الباطلة على خالق الكائنات ولفظ الزعم اشارة
الى انه باطل اخترعوه من عند انفسهم وقرا الكسائي في الموضعين بضم الزاء والفتح لغة الحجاز
وهي افصح ساء ما يحكمون بئس شيئا حكمهم هذا وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم
اي مثل ذلك التزيين البليغ والمشبه به تزيين جعل ما خلق الله من الحرث والانعام للاصنام
منه نصيبا شركاؤهم فاعل زين وهم الشياطين من الجن او سدنة الاصنام وكانوا يقتلون
الاولاد اما خشية الاملاق او العار كما في وأد البنات او تقربا الى الله باعز الاشياء كما فعل
عبد المطلب حين نذر ان ولد له عشرة بنين يذبح الله واحدا منهم وقرا ابن عامر زين على بناء
المفعول مسند الى قتل ونصب اولادهم وجر شركائهم باضافة قتل اليه والفصل بين المضافين
واقع في شعر الفصحاء ولو لم يثبت ذلك منهم كانت هذه القراءة كافية في صحته لانها قراءة
افصح الخلق ثبتت عنه تواترا فمن طعن فيها لانها تخالف قول بعض النحاة فقد زلت به قدمه
ليردوهم ليهلكوهم من الردى وهو الهلاك وليلبسوا عليهم دينهم الذي كلفوا به وهو الدين الحق
او دينهم الذي كانوا عليه وهو دين ابراهيم قبل شركهم والمزين ان كان من الشياطين فاللام للتعليل
وان كان من السدنة فللعاقبة ولو شاء الله ما فعلوه ما فعلوا التزيين او القتل او ذلك
كله لان افعالهم مخلوقة له تعالى بمشيئته فذرهم وما يفترون افتراءهم او ما يفترونه من تحريمهم
وينسبونه الى الله تعالى ويزعمون انه شرعه وقالوا هذه انعام وحرث حجر اشارة الى ما جعلوه للاصنام
من الحرث والانعام والحجر كالذبح والطحن بمعنى المفعول وهو الحرام لانه يحجر شرعا يستوي فيه الذكر
والانثى والواحد والكثير لانه في عداد الاسماء لا يطعمها الا من نشاء وهم خدم الاوثان او من نشاء

او من نشاء من الرجال والنساء بزعمهم متعلق بالقول اي قالوا ذلك بمجرد زعم منهم وانعام حرمت
ظهورها وهي البحائر والحوامي التي تقدمت عطف على هذه انعام وانعام لا يذكرون اسم الله عليها
بل اسماء آلهتهم وقيل لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها والمعنى انهم قسموا اموالهم الى هذه
الاقسام الثلثة افتراء على الله للافتراء او مفترين او افتروا افتراء لان ذلك القول بمعنى
الافتراء سيجزيهم بما كانوا يفترون بقدره عذابا او بسببه لما وانما زاد لفظ كان للدلالة
على ان ذلك عادة مستمرة منهم فيظهر بذلك استحقاقهم وقالوا ما في بطون هذه الانعام يعني
من اباطيلهم وهو ما في بطون البحائر والسوائب خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا حلال
للذكور وحرام على الاناث انث خالصة وذكر محرم حملا على اللفظ وان يكن ميتة فهم فيه
شركاء الرجال والنساء فيه سواء قرا ابن عامر وعاصم في رواية شعبة تكن بتاء التانيث
ورفع ميتة جعل ابن كثير وابن عامر وجه التانيث ورفع الميتة جعل كان تامة ووجه التانيث
مع نصب ميتة جعل كان ناقصة مضمر فيه ضمير الانعام ووجه التذكير مع الرفع جعل كان تامة
ووجهه مع النصب جعلها ناقصة والمختار التانيث مع الرفع لكون التانيث حقيقيا وبعض الصور
والرفع لا يحتاج الى اضمار سيجزيهم وصفهم جزاء وصفهم ونسبتهم الى الله ما هو بريء عنه
واصل الوصف الكشف والاظهار تقول وصفت زيدا بكذا اذا اظهرت ما فيه مدحا كان
او ذما انه حكيم في ذلك الجزاء عليم باستحقاقهم قد خسر الذين قتلوا اولادهم اعاده لان الكلام
سبق هناك لبيان ان ما يصدر عنهم من تحريم ما احل الله ومن قتل الاولاد مسبب عن تزيين
الشياطين وهذا لبيان خسرانهم وهو حكم يتعلق بهم سفها لخفة عقلهم بغير علم في موقع الحال
يؤكد معنى السفه وحرموا ما رزقهم الله ومن البحائر والسوائب والحوامي افتراء على الله في
اعرابه الوجوه السابقة فيهم قد ضلوا عن الصواب وما كانوا مهتدين ولم يدخلوا في زمرة
المهتدين قط وهو الذي انشا جنات معروشات وغير معروشات عطف على القصة السابقة
لابطال ما تقدم من الاحكام التي اخترعوها والجنات الكروم لانها اكثر اشجار البساتين نفعا
والمعروش ما رفع قضبانه من الارض وغير المعروش ما كان على وجه الارض وقيل المعروش
ما في الامصار والرساتيق مما انبته الناس واعتنوا به وغير المعروش مما انبت في الجبال والبراري
والنخل والزرع مختلفا اكله ما يؤكل منه في اللون والطعم والرائحة والحجم بتذكير الضمير
باعتبار المذكور مختلفا حال مقدرة او نصب على القطع والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه
يتشابه بعض الافراد دون بعض كلوا من ثمره امر اباحة اذا اثمر وقت ظهوره ثم وقع لوهم عدم
جواز التناول منه بناء على كون المساكين شركاء فيه وآتوا حقه يوم حصاده هو ما يعطيه
المالك لمن حضر تبرعا لا الزكاة المفروضة وان كانت الاية مكية لان الزكاة فرضت بمكة في
الجملة وبين المقادير بالمدينة وعن ابن عمر وسعيد بن جبير ان هذا هي غير الزكاة وهو حق الفقير
لمن حضر وكما غلب التمر في الاول على الحب غلب الحصاد على الجذاذ ثانيا وقرا حمزة والكسائي
ونافع وابن كثير بكسر الحاء وهما لغتان في نظائره كالعطاف والجذاذ ولا تسرفوا بعطيته

في المعصية اذ لا اسراف في الانفاق في وجوه البر لقوله ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة
كذا فسره مجاهد وقيل لا تسرفوا في الصدقة لما روي انها نزلت في ثابت بن قيس بن حرم كانت له
خمسمائة نخل ففرقها في المساكين ولقوله ولا تبسطها كل البسط انه لا يحب المسرفين تعليل الحكم
السابق وتحذير عن ارتكابه ومن الانعام حمولة وفرشا عطف على الجنات اي وانشا من الانعام
ما يحمل الاثقال وهو ما يفرش للذبح او ما ينسج من صوفه ووبره وشعره فرشا وقيل الحمولة
الكبار والفرش الصغار كالفصلان والغنم لدنوها من الارض كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا
خطوات الشيطان وسواسه وتسويلاته في تحليل ما حرم وتحريم ما حلل انه لكم عدو مبين
ظاهر العداوة من لدن آدم ثمانية ازواج بدل من حمولة او مفعول كلوا بتقدير مضاف والزوج
ضد الفرد ويقال للشيء اذا كان له قرين من جنسه يزاوجه كقوله خلق الزوجين الذكر والانثى
هو المراد في الاية من الضان جمع ضائن كركب وراكب والانثى ضائنة وقد يجمع على ضئين على وزن
فعيل كغاز وغزي اثنين بدل من ثمانية ان صح وقوع البدل عن البدل والا فهو بدل من حمولة و
فرشا ومن المعز اثنين الذكر والانثى وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بفتح العين وهو نظير الضان
في المفرد والجمع قل آلذكرين حرم ام الانثيين منصوب بحرم والمقصود انكار التحريم وانما اورد
في صورة انكار المفعول ليكون انكاره بطريق برهاني اذ لا بد للفعل من شيء يتعلق به فاذا نفي
جميع ما يتعلق به مقصودا لزم نفيه اما اشتملت عليه ارحام الانثيين ام متصلة عطف على المنفصلة
الاولى كانوا يحرمون ذكور الجنسين تارة واناثهما اخرى والاولاد كيف كانت انفرادا واختلاطا
انكر ذلك كله والزمهم بقوله نبئوني بعلم ان كنتم صادقين اخبروني ملتبسين بعلم ان المحرم على
الوجه الذي تدعونه هو الله لا بالجهل والافتراء كما هو دابكم وقيل بامر معلوم من جهة الله ومن
الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين
الكلام هنا هو الكلام المتقدم في الضان والمعز ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا هذا مقابل
لقوله نبئوني بعلم اضرب عن البرهان الى العيان لانه ابلغ في التبكيت كما تقول لصاحبك مكذبا
لما تملكه اخبرك بهذا ام طالعته من اللوح المحفوظ فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل
الناس بغير علم كذبهم في دعواهم على ابلغ وجه حيث حكم بانه لا اظلم منهم والحق بهم وكل مفتري
على الله وادخل عليه الفاء اشعارا بسببية ما تقدم وعلل فعل المفتري بافحش علة وهو الاضلال
بالجهل الذي هو كل عيب دونه ان الله لا يهدي القوم الظالمين الكاملين في الظلم المختوم على
قلوبهم قل لا اجد فيما اوحي الي متلوا وغيره لعموم لفظ محرما على طاعم يطعمه اي طاعم كان
الا ان يكون ميتة استثناه من محرما او وقوعه في سياق النفي والمراد ما مات حتف انفه وخص
بما عدا السمك والجراد لقوله صلى الله عليه وسلم احلت لنا ميتتان ودمان قرا ابن كثير وابن
عامر وحمزة يكون بالتانيث باعتبار الخبر وابن عامر برفع الميتة بجعل كان تامة او دما مسفوحا
مصبوبا كالدم في العروق لا الكبد والطحال للحديث المتقدم ولكونه غير مسفوح حين عطف على ميتة وفي
قراءة ابن عامر عطف على ان مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه

رجس اي الخنزير او لحمه نجس خبيث او فسقا اهل لغير الله به عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل
والاهلال به لغير الله صفة جارية مجرى التعليل وانما سمي المذبوح لآلهتهم فسقا لتوغله في باب
الفسق ويجوز ان يكون مفعولا له لاهل قدم على فعله المعلل اهتماما وعلى هذا اهل معطوف على
يكون والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته ضرورة الى تناول
شيء من المذكورات غير باغ متعمد على مضطر مثله ولا عاد متجاوز قدر سد الرمق فان
ربك غفور لا يؤاخذه بذلك رحيم حيث انعم عليه بحله والاية لا تنفي حرمة شيء آخر غير
المذكورات اذ غاية الامر انه لم يجد الى ذلك الوقت محرما سواها وكذلك الحصر في قوله انما
حرم عليكم الميتة الى اخر الاية فلا يلزم نسخ الكتاب بحديث حرم كل ذي ناب من السباع
وكل ذي مخلب من الطيور وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر اي على اليهود خاصة حرمنا
لحم كل ذي ظفر والظفر هو العظم النابت على اصبع الحيوان من دابة وطاير واراد به ما سوى
البقر والغنم لقوله ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما وحرمنا الشحم من البقر
والغنم وعن ابن عباس انه لم يحرم عليهم من منفرج الاصابع شيء كالابل والبط والنعام
وانما كرر الفعل واضاف الشحوم مبالغة في التحريم الا ما حملت ظهورهما من الشحم فانه باق
على الاباحة او الحوايا او ما حملته الحوايا جمع حوية او حاوية وهي المعاء اي الا ما حملت ظهورهما
والا الشحوم الحوايا او ما اختلط بعظم ما اتصل به كالالية وما في القوايم والرؤس والعيون
ذلك اي الجزاء المذكور او التحريم جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم هو نظير قوله فبظلم من الذين
هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الى اخر الاية وانا لصادقون في ان هذا التحريم خاص
بهم لاجل ظلمهم لا كما يدعون من ان المحرمات كانت في شريعة نوح وابراهيم واسرائيل فان
كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة فلذلك امهلكم بعد التكذيب ولا يرد باسه عن القوم
المجرمين الكاملين في الاجرام لانه وان امهل لا يهمل سيقول الذين اشركوا اخبار عن الغيب
ووقوع مخبره دليل على كونه من عند الله لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء
اعتقدوا ان كل ما هو واقع بمشيته تعالى حق لانهم جعلوا كل مراد مامورا به وكل مامور به
حسنا فاصابوا في الثاني واخطاوا في الاول او هم احسن حالا ممن اخطا في القضيتين كذلك
كذب الذين من قبلهم مثل تكذيب هؤلاء كذب متقدموهم رسلهم ولو كان الكفر والضلال
غير داخل تحت مشيته تعالى لنسبهم الى الكذب لا التكذيب وحمل المشية على مشية القسر كما مر
ورجم بالغيب حتى ذاقوا باسنا الذي انزلنا عليهم ايماء الى انه سينزل بهم ما نزل باولئك قل هل
عندكم من علم مستند الى دليل لما تزعمونه فتخرجوه لنا فتظهروه مجاراة للخصم روما للتبكيت
والا لكون العلم عندهم معلوم الانتفاء ولذلك حصر حالهم واعتقادهم في الظن بقوله ان
تتبعون الا الظن الذي لا يجدي في مقابلة القاطع وان انتم الا تخرصون اي تكذبون في
ذلك الظن قل فلله الحجة البالغة الغالية اي انتم محجوجون ملزمون لانكم تقولون ما فعلنا
من الاشراك بمشيته تعالى وما كان بمشيته لا اعتراض فيه على مرتكبه فحكمكم ايضا على الحق بل كل

كل من اتى بفعل فهو محق فيرتفع التكليف ولا تتناقض المذاهب فلو شاء لهداكم اجمعين مرتب على
دعواهم ان ما ارتكبوه بمشيئته تعالى وقوله قل فلله الحجة البالغة اعتراض والمعنى اذا كان الكل بمشيئته
فلو اراد هدايتكم لهداكم حذف مفعول المشيئة لدلالة الجواب او عليه قل هلم شهداءكم الذين
يشهدون ان الله حرم هذا هلم اسم فعل ويأتي لازما كقوله هلم الينا يستوي فيه المفرد والجمع عند
الحجازيين وبنو تميم يؤنث ويجمع وما في الاية دليل الحجازيين اي هاتوا شهداءكم المخصوصين بكم
الذين قلدتموهم ولذلك اضيفوا اليهم واتي بالموصول ليدل على العلم بشاهدتهم ولو لم يصف لكان
موهما بان المطلوب منهم الاتيان بشهداء بالحق وليس بعرض لقوله فان شهدوا فلا تشهد معهم
ويجوز ان يكون الكلام على الفرض والتقدير والمراد بالشهداء الاصنام والغرض تشبيه صلى الله
عليه وسلم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا تعميم بعد التخصيص لان تلك الشهادة من جملة الاهواء
وايثار المظهر اشارة الى ان تلك الشهادة والاتباع تكذيب بآيات الله والذين لا يؤمنون
بالآخرة وهم بربهم يعدلون جملة حالية من الفاعل لزيادة التقبيح والتسفيه كما تقول فلان
تارك الصلوة واخبركم بانه لا يعتقد كعبدة الاصنام وجوبها قل تعالوا مشتق من العلو اصله
ان يخاطب به من كان في سفل ثم اتسع فيه ابطل ما ابتدعوا من الاحكام بالقواطع ثم دعاهم الى الحق
الواضح اتل ما حرم ربكم عليكم ما موصولة منصوبة بفعل التلاوة او استفهامية نصب بفعل
التحريم والجملة مفعول اتل لانه في معنى القول وجعلها مصدرية تعسف لان التحريم ليس بمتلو الا
على التأويل وعليكم يصح تعلقه بكل من الفعلين الا تشركوا به شيئا ان مفسرة ولا تشركوا نهي
ليصح عطف الامر عليه وان هذا صراطي مستقيما متعلق بفاتبعوه بتقدير اللام ويعود الضمير الى
لتقدمه لفظا ولا يصح عطفه على ان لا تشركوا لكونه ليس من المحرمات في شيء فان قلت فكذا الاوامر
المذكورة المعطوفة قلت اريد بالاوامر اضدادها مجازا اشارة الى ان الانتهاء عن تلك الاضداد
غير كاف بل يجب الاتيان بتلك الافعال وعليكم اسم فعل بمعنى الزموا وان ناصبة مدخولة بلا
الناهية واما جعلها مصدرية بدلا من ما او من العائد المحذوف فلاستلزامه القول بزيادة
لا الناهية وبالوالدين احسانا اي لا تسيئوا اليهما واحسنوا ولا تقتلوا اولادكم من املاق
لاجل فقركم كقوله خشية املاق وقيل هذه في الفقراء الذين كانوا يقتلون اولادهم لوجود
الفقر وتلك في الاغنياء الذين كانوا يقتلون الاولاد من خوف حصول الفقر والدليل على
ذلك تقديم المخاطبين هنا وتأخيرهم هناك والاملاق الافتقار من الملق وهو المحق نحن نرزقكم
واياهم تعليل للنهي ازاحة للعذر في ترك المنهي عنه ولا تقربوا الفواحش كبائر الذنوب كالزنا
والسرقة وقذف المحصن ما ظهر منها وما بطن بدل من الفواحش يشمل كل كبيرة لعدم خروج
شيء منهما ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق افرد بالذكر وما بعده لعظمه والقتل
بالحق مذكور في كتب الفروع ذلكم المذكور مفصلا وصاكم به امركم بحفظه التوصية امر بالشيء
مع التأكيد لعلكم تعقلون تستعملون عقولكم وترشدون لان المذكورات امور ظاهرة بعد توجه
العقل ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن من سايرها وهي المبالغة

في حفظه حتى يبلغ اشده كمال عقله وقواه مفرد كالآنك وقيل جمع لا مفرد له كأبابيل و
قيل جمع شدة كانعم جمع نعمة لان انعما جمع نعم لا نعمة واوفوا الكيل والميزان بالقسط بالعدل
لا نكلف نفسا الا وسعها ما يقدر على القيام به اردف بقاء الكيل والميزان به لان الوقوف
على حد التسوية فيهما عسر جدا واذا قلتم فاعدلوا بشيء من الحكم والشهادة ولو كان ذا قربى
اي المشهود عليه قوله ولو على انفسكم او الوالدين وبعهد الله اوفوا بما عاهدكم عليه بقوله
ان الله يأمر بالعدل والاحسان ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون افردها بتوصية مستقلة
لكونها امورا حسانا ولما تقدم ذكرها اكثر من الاخر ختم الاية بتذكر الذي يقتضي سبق العلم
الذي لحقه النسيان وقراءة حمزة والكسائي وحفص بتخفيف الذال ههنا وحيث وقع وان هذا
صراطي مستقيما اشارة الى ما ذكر من اول السورة الى ههنا من توحيد وشرايع الاسلام وقرأ
ابن عامر بالتخفيف وحمزة والكسائي بالكسر مشددا والباقون بالفتح والتشديد والمختار الكسر
لسلامته عن الحذف والتقدير ولكونه في مصحف ابي وهذا صراط ربك مستقيما وابن مسعود
وهذا صراط ربكم فاتبعوه فاسلكوه ولا تتبعوا السبل وداعي الشهوات ومسالك الهوى
وعن ابن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا
عن يمينه وشماله وقال هذه سبل وعلى كل منها شيطان يدعو اليه وقرأ الاية فتفرق بكم
عن سبيله الموصل اليه وهو ما شرع على لسان رسله الباء للتعدية اي يفرقكم ويزيلكم ذلكم
وصاكم به لعلكم تتقون اي بفعل ايماء الى ان سلوكها امر خطير وعن ابن عباس ان هذه الآيات
محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب ثم آتينا موسى الكتاب عطف على ذلكم وصاكم لاجل
الفعلية لعدم استقامة المعنى وثم للتراخي مرتبة اي اعظم من تلك التوصية انزال الكتاب
الى موسى والبيان وقيل عطف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب
ثم على ظاهره تماما حالا ومفعول له لكونه بمعنى اتماما او مصدر من غير فعله نحو انبت نباتا
على الذي احسن اي تماما للكرامة لكل محسن على ان الذي للجنس ويؤيده قراءة ابن مسعود على الذين
احسنوا او للعهد والمراد به موسى اي احسن في كل ما امر من الطاعة او تماما على الذي احسن
موسى من العلم والمعارف من قولهم احسن فلان كذا اي اتقنه ففعل اي اجاد والمعنى زيادة على ما عنده
من العلم وتفصيلا لكل شيء مما يحتاج اليه في الدين اصولا وفروعا وعاطفا على تماما يجري فيه وجوه
اعرابه وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون بجزائه وثوابه وهذا كتاب انزلناه مبارك
فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون اي القرآن عطف على الكتاب لعله من خبر ثم وايثار الاسمية
المصدرة باسم الاشارة الدالة على كمال التميز ووصفه بالانزال الدال على العلو والبركة التي
يشمل كل نفع وضرها لشرفه وانا فتحه لما ختم الاية بالرحمة التي هي صفة وختم الاولى بالاتقاء
الذي هو فعلهم ان تقولوا كراهة ان تقولوا او لئلا يقولوا تجد والمضاف عند البصريين و
حرف النفي عند الكوفيين انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى مع طهر
لان التورية تشتمل على الاحكام وان كنا عن دراستهم قراءتهم لغافلين لا ندري ما هي لعدم

والوجه الفارقة بينها وبين النافية او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب نوع من الكتب لكنا اهدى
منهم لغزارة فهمنا وسرعة ادراكنا وحدة نظرنا فقد جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة
لا يقبل ايقاع الشبهة فيها وهدى ورحمة جعلها نفس الهدى والرحمة مبالغة وتسميتها حجة
بالنظر الى الخصم وهدى بالنظر الى المطلوب ورحمة بالنظر الى الطالب فمن اظلم ممن كذب
بآيات الله لا اظلم منه وصدف عنها صد ومنع الناس عنها فضل واضل سنجزي الذين
يصدفون عن آياتنا يصدون عنها سوء العذاب العذاب السيء من اضافة الصفة الى
الموصوف بما كانوا يصدفون لم يذكر جزاء التكذيب بل جزاء الصدف اشارة الى ان الاول
قبحه لانه ضرر متعد وصد للمسترشد هل ينظرون الا الاستفهام بمعنى النفي ولذلك
صح الاستثناء الا ان تأتيهم الملائكة ملائكة الموت او العذاب او يأتي ربك امره بالعذاب
او الآيات كلها وهو يوم القيمة ولذلك قابله بقوله او يأتي بعض آيات ربك يريد اشراط
الساعة روى مسلم عن حذيفة بن اسيد الغفاري قال اطلع علينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ونحن نتذاكر الساعة فقال ما تذكرون قالوا نذكر الساعة قال انها
لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدجال والدخان والدابة وطلوع الشمس من
مغربها ونزول عيسى ويأجوج ومأجوج وثلث خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب
وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى المحشر يوم يأتي
بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لان الامر عيان حينئذ والايمان المعتبر هو الايمان
بالغيب لم تكن آمنت من قبل صفة نفسا او حال من الضمير المجرور او كسبت في ايمانها
خيرا عطف على آمنت استدل به على عدم نفع الايمان المجرد عن العمل وذلك ان او في النفي لعموم
النفي كقوله ولا تطع منهم آثما او كفورا اي واحدا منهما وللجمع لنفي العموم وذلك اذا قدر
عطف النفي على النفي ثم جيء باو والآية من قبيل الثاني لتعذر الاول لانه اذا انتفى الايمان
انتفى كسب الخير في الايمان بالضرورة فالمعنى انتفاء الايمان وانتفاء كسب الخير فيه سيان
والجواب انه من قبيل اللف التقدير يعني لا ينفع نفسا ايمانها ولا كسبها في الايمان ان لم تكن
آمنت من قبل او كسبت فيه فيوافق سائر الآيات والاحاديث او هو من قبيل القلب اي لم
تكن كسبت خيرا او آمنت من قبل وفائدة هذا القلب التنبيه بتقديم الايمان على انه الاصل
الذي نيط به النجاة قل انتظروا انا منتظرون ذلك قلنا فيه الويل ولكم الويل ان الذين
فرقوا دينهم تركوه بالمد وقرأ غير حمزة والكسائي فرقوا من التفرقة وهي التجزية اي آمنوا
ببعض وكفروا ببعض وهذا ابلغ في الوعيد واوفق بقوله وكانوا شيعا والقول بان
القراءتين واحد لان من فرق فقد فارق ذهول عن عكسه اذ من فارق لا يلزم ان يكون فرق
وشيعا جمع شيعة وهي الطائفة التي تشيع اماما لست منهم في شيء فاتركهم وما هم عليه
منسوخة بآية السيف او لا تسأل عن شيء من احوالهم كقوله ولا تسأل عن اصحاب الجحيم او انت بريء
منهم انما امرهم الى الله هو الذي يجازيهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون كناية عن العقاب تقول

تقول لمن جنى عليك سأخبرك بما فعلت من جاء بالحسنة فله عشر امثالها تفضلا منه
تعالى وهذا اقل ما ورد وقد جاء سبعمائة الى اضعاف لا يعلمها الا الله وذلك باعتبار الاخلاص
والامكنة والاوقات وقيل المراد بالعشر الكثرة وانما حذف التاء لان الامثال في معنى الحسنات
ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها ان لم يعف عنها وخلود الكافر جزاء بالمثل لانه كان عازما على
الاستمرار لو عاش ابدا وهم لا يظلمون نقصا من الثواب او زيادة في العذاب جار على التعادل
والا فالظلم من المالك الحقيقي مستحيل وان زاد او نقص قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم
بالوحي لقوله ان اهتديت فبما يوحي الي ربي دينا نصب على البدل من محل صراط او على الاختصاص
قيما فيعل من قام كسيد من ساد وقرأ الكوفيون وابن عامر قيما على وزن عوضا مصدر كرجل
عدل فهو ابلغ معنى والاول ابلغ صيغة ملة ابراهيم عطف بيان لدينا وما شرع الله على لسان
الرسل يسمى دينا واسلاما باعتبار الانقياد وملة باعتبار الاجتماع عليه وشرعا وشريعة
باعتبار الوصول المتمسكين به الى نيل رحمته حنيفا مائلا من الباطل حال من المضاف اليه وما كان
من المشركين رد على المشركين الذين يزعمون انهم على ملته قل ان صلاتي ونسكي عبادتي كلها
وافراد الصلوة لزيادة شرفها او قرباني في الحج لانهم كانوا يذبحون القرابين للاصنام
ومحياي ومماتي ما يقارن حيوتي وما يقارن مماتي من الطاعات كالصدقة الجارية والولد
الصالح والعلم على ما نطق به الحديث وقرأ ورش عن نافع باسكان الياء في الوصل لان زيادة
المد يقوم مقام الحركة لله رب العالمين خالصة له لا لغيره لا شريك له وذلك تعريض بالمشركين
وبذلك امرت لا بغيره تصريح بما علم ضمنا وانا اول المسلمين زمانا لان اسلام امته بعده او
لان احدا لا يلحقه في كمال الاسلام وهذا اوجه لان الاول ظاهر لا يحتاج الى الاخبار به
قل اغير الله ابغي ربا انكار لانه يتخذ ربا سواه وهو رب كل شيء ومنه ما تعبدون ولا
تكسب كل نفس الا عليها والحال ان جناية كل نفس لا يتخطاها ولا تزر وازرة وزر اخرى
الوزر لغة الثقل جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيمة
للجزاء فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بتبين الرشد من الغي وبمجازاة المحق والمبطل وهو الذي جعلكم
خلائف الارض صفة احتج الله بها على عدم جواز الاشراك ولما كان صلى الله عليه وسلم آخر الرسل
كانت امته خلائف سائر الامم او يخلف بعضهم بعضا او هم خلفاء الله في ارضه يتصرفون فيها
ورفع بعضكم فوق بعض بالملك والشرف والعلم والرزق درجات متفاوتة ليبلوكم فيما آتاكم
ليعاملكم معاملة المختبر ان ربك سريع العقاب لان وقوعه متعلق بارادته لا غير وانما قدمه لان
الكلام مع المشركين وانه لغفور رحيم اكده باللام واسنده الى الذات المقدسة ايماء الى وفور غفرانه
وسبق رحمته غضبه وكان افتتاح السورة بالحمد وختامها بالرحمة التي لا نعمة اجل منها فانتظم آخرها
بالاول غاية الانتظام وهو الاليق بكلام الملك العلام سورة الاعراف مكية الا ثمان آيات من
واسألهم عن القرية الى واذ نتقنا الجبل وآيها مائتان وخمس او ست
وخمس بسم الله الرحمن الرحيم المص اسم السورة او القرآن والاول اوطى لان البعض اذا استقل بالكما

والايجاز فالكل جملة او حروف متعددة ايقاظا او اعرابا كما سبق في مثله كتاب خبر المص او
خبر محذوف اي هو كتاب انزل اليك صفته فلا يكن في صدرك حرج منه شك لان الشاك حرج الصدر
قلقه كما ان المتيقن منشرح الصدر منفسحه والمراد نهيه عن حرج الصدر وانما عبر عنه بعدم
الحرج تعبيرا عن اللزوم بالملزوم نفيه وليجدوا فيكم غلظة او حرج وضيق صدر في تبليغه
مخافة التكذيب او القيام بحقه كما ينبغي فان الله مؤيدك لتنذر به متعلق بانزل اي انزل لانذار
به او بالنهي لانه اذا نهيت عن الحرج والقلق يكون جسورا على التبليغ وذكرى للمؤمنين عطف
على تنذر لكونه مصدرا في المعنى او يقدر له فعل من جنسه اي وتذكر ذكرى فانه بمعنى التذكير و
يحتمل الرفع عطفا على كتاب او خبر مبتداء محذوف اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يعني جميع ما انزل
هذه السورة وغيرها ولذلك اتى بالمظهر ليشمل السنة ايضا لانه لم ينطق عن الهوى بل ليس كلامه
الا وحي يوحى ولا تتبعوا من دونه اولياء من دون الله من الجن والانس يضلونكم عن طريق الحق او
من دون دين الله دين اولياء وقري لا تبتغوا بالغين المعجمة قليلا ما تذكرون تذكرا قليلا او
زمانا قليلا اذ لو تذكرتم حق التذكر لما تركتم ولا بدينه او دينه الحق وما مصدرية والعامل
في قليلا الفعل المذكور اذ ليس لما اول بالمصدر في حكمه من كل وجه او زائدة لتاكيد معنى القلة
وقراء ابن عامر بزيادة الياء في اول الفعل اي من بعث اليهم لا يتذكرون الا قليلا وقرا حمزة
والكسائي وحفص عن عاصم وابن عامر تذكرون بتخفيف الدال والباقون بالادغام والمختار هو الاول
والخطاب يجري الكلام على النسق الاول وكم من قرية اهلكناها اي كثير من القرى اردنا اهلاكها
بدليل فجاءها باسنا بياتا بائتين كالبيوتة النوم ليلا كما لقوم لوط نهارا او هم قائلون عطف
على بياتا وانما حذف الواو الحالية كراهة الجمع بين حرفي العطف لان الواو الحالية عاطفة في الاصل
وانما خص الوقتين لانهما وقت الدعة والاستراحة فوقوع العذاب فيهما افظع ولذلك اهلك قوم
لوط في آخر السحر لانه اطيب ساعات الليل فما كان دعويهم اي دعاؤهم او ادعاؤهم الذي كانوا ينتحلونه اذ جاءهم
باسنا وقت مجيء العذاب الا ان قالوا انا كنا ظالمين الا الاعتراف ببطلانه او ما كان دعاؤهم
واستغاثتهم الا هذا القول لحسن العلم بانه ليس الوقت فائدة الاستغاثة فلنسئلن الذين ارسل
اليهم الامم عن اجابتهم الرسل ولنسئلن المرسلين عن تبليغهم وعما اجيبوا به ولا ينافيه قوله
لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان لاختلاف الحال باختلاف المواقف ولا قوله ولا يسئل عن ذنوبهم
المجرمون لان هذا سؤال توبيخ والمنفي سؤال العرض والحساب والقول بان المنفي سؤال الاستعلام
سهو لان الاستعلام على علام الغيوب محال فلنقصن عليهم على الرسل والمرسل اليهم ما كانوا
عليه بعلم عالمين ظاهرهم وباطنهم وما كنا غائبين عنهم في البصر فائدته التوكيد وتخصيص العلم
بالحضور على الذي لا يقبل شبهة ولا يحوم حوله ريب والوزن مبتدأ يومئذ خبر المبتدأ الحق
صفة الوزن او هو الخبر لانه بمعنى الكائن او خبر محذوف ومعناه العدل السوي الذي لا زيغ فيه
والموزون صحائف الاعمال لما روي الترمذي وابن ماجه عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يؤتى برجل من امتي على رؤوس الاشهاد فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول

ثم يقول اتنكر شيئا من هذا فيقول لا يا رب فيقول الله ان لك عندنا حسنة ولا ظلم اليوم فيخرج
بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فيقول الله احضر وزنك فيقول
يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول انك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة و
البطاقة في اخرى فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا تثقل مع اسم الله شيء وفائدة
هذا الوزن مع انه تعالى لا يخفى عليه خافية اظهار المعدلة وازاحة المعذرة بحضور الخلايق
وقيل الوزن القضاء او مجازات الاعمال بثوابها فمن ثقلت موازينه حسناته جمع موزون او
ما يوزن به جمع ميزان وانما جمع باعتبار الموزونات وتعددها والاول اوجه لقوله ونضع
الموازين بالقسط فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة يوم الحساب ومن خفت موازينه
فاولئك الذين خسروا انفسهم حيث اوردوها موارد المهالك وفوتوها الخلود الحياة الابدية
ونعيمها بما كانوا بآياتنا يظلمون يكذبون وضع موضع التكذيب دلالة على ان التكذيب بآيات
الله ظلم كقوله وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ولقد مكناكم في الارض جعلنا لكم مكانا تسكنونه
وجعلناكم متمكنين يتصرفون فيها كيف شئتم وجعلنا لكم فيها معايش جمع معيشة وهو ما به
قوام العيش والياء في الاصل متحركة فلا تقلب همزة في الجمع وكذلك مكايل ومبايع والمعتمد على ان
قراءته بالهمز لحن فاحش ومنهم من شبهه بما الياء فيه زائدة فهمزه قليلا ما تشكرون شكرا قليلا او
زمانا قليلا ولقد خلقناكم اي اباكم آدم طينا ثم صورناكم بصورة الانسان في احسن تقويم
لقوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم او لقد قدرناكم في علمنا ثم صورناكم في ظهر آدم ثم تخبركم
اي قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين لم يدخل في زمرتهم قال
ما منعك الا تسجد اذ امرتك لا مزيدة لتاكيد معنى الفعل مثله لئلا يعلم اهل الكتاب وقد حذفها
في قوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي وقيل الممنوع عن الشيء مضطر الى خلافه فكانه قيل ما اضطرك
الى عدم السجود وانما التفت من التكلم الى الغيبة بعد عصيانه لانحطاطه عن ساحة الحضور بارتكاب
المخالفة والتكبر المخالفة قال انا خير منه استانف بذكر العلة ليكون جوابا وزيادة خلقتني
من نار وخلقته من طين تعليل الخيرية واخطاء من وجوه منها انه لم يلاحظ الامر بل المامور
وهذا جهل منه لانه لو كان مزيد المجاهد قعاد في كل ما امر به ولا يصرح بالفضلية في تلك الحضرة و
لو كان الآمر ايضا بغيرها لو كان فرضنا ان الواجب عليه اظهار الطاعة هضما للنفس كما هو داب الفضلاء
في المحافل مع المفضولين ولانه تقدم له اول الحسن الفي عقلا وهو اول من سن ذلك المذهب الباطل
ومنها انه لو سلم له القول بالحسن العقلي لم يتم له ما رامه لان خيرية النار من التراب ممنوعة لان النار
مفسدة بالطبع معدة للعذاب والنار بكل فيها تقع ما في الارض والتراب اصل المنافع كلها ومنبع
الاجناس والانواع حيوانا ونباتا معبد الملائكة ومقرها قبل خلق آدم وكان ابليس عارفا
بذلك بل قيل انه كان رئيس تلك الطائفة وكانه في علم انه كان التراب يكون مادة لاجسام العباد
المكرمين من الانبياء والرسل وما وهبهم ومرقدهم في جوار الله بعد مماتهم والنار التي هي
بها انشاء كل شيطان وكانت الحكمة اقتضت لان يكون

بما فيه من قدوة للاشقيا ليعلم انه لم ياته ما اتاه الا من جهله واعظم بها الاية انه لم يتدارك ذنبه بالتوبة
ليذيقه برد العفو وحلاوة الغفران كما فعل صفية ادم من اعظام الذنب والمبادرة الى التوبة
النصوح ونسبة الظلم الى نفسه بقوله ربنا ظلمنا انفسنا مع ان ما ارتكبه كان في حيز العفو لانه
وقع منه نسيانا لقوله فنسي ولم نجد له عزما قال فاهبط منها من الجنة فما يكون لك ان تتكبر اي
لا يصح ولا يجوز لك التكبر فيها وقد وجد منك ذلك فاوجب طردك فاخرج انك من الصاغرين
داخل في زمرتهم من الصغار وهو الذل والهوان وجوله ذلك فانه نازع الحق تعالى رداء الكبرياء وفي
الحديث من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله وفي الحديث ان الله خاطب الجبال وقال
سنفف على واحد منكم سفينة نوح عليه السلام فتطاولت الجبال وتقاصر الجودي فساقها الله
اليه واستوت عليه قال انظرني الى يوم يبعثون الى يوم القيمة قال انك من المنظرين اجابة لا لطلبه
استدراجا قال فبما اغويتني اي بسبب اغوائك اياي والقائي في الغي وهو ضد الرشاد والباء متعلقة
بفعل القسم لا باقعدن لان اللام تصد عنه او الباء للقسم اي اقسم بالاغواء الذي هو فعل الله لاقعدن
لهم صراطك المستقيم هو دين الاسلام ونصبه على الظرف وان كان حذف في من المحدود شاذ
نحو قوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل تقديره ان على صراطك كقولهم ضرب زيدا الظهر والبطن
اي على الظهر والبطن ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم من الجهات الاربع
كما هو شان قطاع الطريق على السابلة واستعمال جهة الامام والخلف بمن واليمين والشمال بعن
وارد على لغة العرب واستعمالهم وقيل انما ذكر من في الاوليين لان متوجه اليهم من تلك الجهتين
ومن جهة اليمين والشمال منحرف عنهم فيوجد فيهما معنى المجاوزة وعن ابن عباس من بين ايديهم من
قبل الاخرة ومن خلفهم من جهة الدنيا وعن ايمانهم من قبل حسناتهم وعن شمائلهم من سيئاتهم و
قيل انما لم يذكر جهة الفوق لان الرحمة تنزل منها وجهة التحت لانه موضع السجود ومقام القرب منه تعالى
ولا تجد اكثرهم شاكرين مطيعين لاوامرك وانما قال ذلك ظنا لانه حين كان ادم جسدا ملقى
بمكة والطائف راه خلقا اجوف فقال مخلوق ضعيف لو سلطت عليه لاغويته والى هذا الظن اشار
بقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه او سمعه من الملئكة حين قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك
الدماء قال اخرج منها مذؤما مذموما من الذام وهو العيب بهمز ولا بهمز مدحورا مبعدا من الدحور
وهو الطرد والاقصاء لمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم اجمعين اللام الاولى موطئة والثانية جواب
القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ بكسر اللام والمعنى لمن تبعك هذا الوعيد او متعلق باخرج ويا
ادم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما اي وقلنا يا ادم عطف على قلنا للملئكة اسجدوا
لادم ثم بعد قلنا الفساد المعنى اذ يؤل المعنى الى قلنا للملئكة ويا ادم اسجدوا ولم يعطف ايضا على ما بعد
قال ليكون التقدير قال يا ابليس اخرج ويا ادم اسكن لانه ذكر في مقام الاستيناف لجزاء ابليس على ما
بدا منه وعزمه على التعرض لاضلال بني ادم بكل ممكن وهذا من تتمة الانعام على بني ادم باكرام ابيهم
ولا تقربا هذه الشجرة هي السنبلة وقيل الكرمة وقيل التينة والهاء في هذه عوض من الياء بدليل
تصغيره على ذيا فتكونا من الظالمين نصب ان جعلته جوابا جزم على العطف ونصب على الجواب فوسوس

فوسوس لهما الشيطان فعل الوسوسة لاجلهما وهي في الاصل الصوت الخفي كالخشخشة ومنه وسوس
الحلي ليبدي لهما ليظهر لهما علة للوسوسة ولا ينافي قصد اضلالهما والايقاع في المعصية ما ووري
عنهما من سوآتهما ما غطي وستر من الوري بمعنى الستر ومنه حتى توارت بالحجاب والسوءات العورة
من العطايا ولا يجوز الا بقدر الضرورة والزوجان وان كان جاز لكل منهما النظر الى عورة صاحبه
الا انه مخل بالمروة وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها ما رأيت منه ولا رأى مني تريد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحذف المفعول لان ذكره مستهجن وانما لم تقلب الواو الاولى همزة لان الثانية
مدة بخلاف اواصل وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين
الا كراهة كونكما متصفين بما في الصفتين ولا يدل على افضلية الملك مطلقا كيف وقد امر بالسجود
له بل كان القصد من الملكية الانقطاع عن الشهوات وما يحتاج اليه البشر والتبتل بالمرة على عبادته
تعالى كالملئكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين حلف لهما واخرج
على زنة المفاعلة مبالغة او حلفا له بالقبول بعد ما حلف لهما بالنصح فدليهما بغرور اوقعهما
في الخطيئة بغرور بسبب يغتر به وهو الوسوسة والمقاسمة والتدلية فيه معنى التسفل والنزول
ماخوذ من الدلو كانه بالايقاع في الخطيئة نزلهما من رتبة عالية ومقام سني قيل كانا لا يعتقدان
ان احدا يحلف كاذبا فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما فلما اخذا في الاكل فان الذوق من مبادي
الاكل ولذلك لا يبطل الصوم به وهذا ظاهر في ان بدو السوءة كان بعد الذوق قبل الاكل وفي
سورة طه فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما يدل على ان ذلك كان بعد الاكل والتوفيق ان البدو كان
بداه بعد الذوق وتمامه وكماله بعد الاكل لتكامل الجناية حينئذ وطفقا يخصفان عليهما من ورق
الجنة شرعا يخصفان ورقة فوق ورقة اصله من خصف النعل وهو ان يجعل طرقة منه فوق طرقة
وذكر الفاء في قوله في سورة طه فطفقا لا ينافي ذكر الواو هنا مع اتحاد القصة لان الواو للجمع المطلق
وناديهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين فيه دليل على ان النهي
يفيد تحريم المنهي عنه ان لم يصرفه عنه صارف وانما ذكر اسم الاشارة الموضوع للقريب اولا وللبعيد
ثانيا لانهما بعد وقوع ما وقع واطلاعهما على تغرير ابليس فرا من الشجرة فكانا حين العتاب بعيدين
عنها قالا ربنا ظلمنا انفسنا نقصنا حظنا بارتكاب مخالفة امرك الموجب لانحطاط شاننا والمؤول
بان الظلم تعريضهما للاخراج من الجنة لا يستقيم لانهما لم يعلما بعد انهما مخرجان بل علم ذلك من قوله
اهبطوا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ان لم تغفر زلتنا وترحمنا بقبول توبتنا
لنكونن من الذين خسروا خسرانا مبينا وهذا دليل على ان الصغائر يجوز العقاب عليها مع
اجتناب الكبائر وانما علم عدم العقاب من الشرع لقوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم
سيئاتكم وتظاهر من الاحاديث قال اهبطوا من الجنة الى الارض خطاب لادم وحواء وذريتهما
او لهما ولابليس ذكر ثانيا تبعا لانه قرينهم والاول هو الوجه بعضكم لبعض عدو حال من الفاعل
وانما صح وقوع الاسمية حالا بالضمير وحده لانها في معنى المفرد اي متعادين ولكم في الارض مستقر
ومتاع موضع استقرار وتمتع او استقرار وتمتع الى حين الى حين الموت قال فيها تحيون وفيها

تموتون ومنها تخرجون للجزاء استئناف جواب سؤال كأنه قيل بعد استقرارنا كيف يكون الحال فقرأ حمزة
والكسائي تخرجون بفتح التاء والباقون بالضم وهو المختار لقوله ويخرجكم اخراجا يا بني آدم قد أنزلنا عليكم
لباسا يواري سوآتكم أنزلنا أسبابه لأن الأجرام السفلية المركبة من النبات والحيوان والمعادن
إنما تتكون بأسباب سماوية كالسحاب والريح والمطر مثله وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج
وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد وفي الحديث أن المشركين كانوا إذا قدم أحدهم حاجا أو معتمرا فإن
وجد من أهل الحرم من يعيره الثياب طاف فيها وإلا طاف عريانا فنزلت وإنما ذكره بعد قصة آدم
وعريه بإغواء الشيطان إيماء إلى أنه من وساوس الشيطان وهو أول محنة أصابت آدم من قبله
وريشا الريش والرياش اللباس الفاخر ومنه ريش الطائر لأنه جماله وقيل هو المال والخصب ومنه ارتاش
فلان إذا حسنت حاله ولباس التقوى لباس الورع وخشية الله تعالى ذلك خير رفع على الابتداء
والخبر إما الجملة التي هي ذلك خير كأنه قيل ولباس التقوى هو خير لأن اسم الإشارة بمنزلة الضمير في
ربط المبتدأ بالخبر أو ذلك صفة له كأنه في تأويل المشار إليه وخير خبره وعلى هذا ذلك لتعظيم
لباس التقوى ويجوز أن يكون إشارة إلى اللباس المواري تفضيلا له على لباس الزينة وقيل لباس
التقوى لباس الحرب من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها مما يتقى به في الحروب وقرأ نافع
وابن عامر والكسائي ولباس بالنصب عطفا على لباسا والمختار الرفع ذلك من آيات الله أي الإنزال
أو نوع اللباس من آيات الله الدالة على كمال قدرته ووفور فضله ورحمته لعلهم يذكرون
فيتعقلون ويتوفرون للشكر وإنما التفت من الخطاب إلى الغيبة لانتقال الكلام من فعله المشتمل
على التفصيل إلى فعلهم المشعر بذهولهم عن تصور ذلك الإحسان فضلا عن القيام بالشكر له فهم
أحقاء بالبعد عن ساحة الحضور يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان لا يضلنكم عن طريق الحق بفتنته
إذ الإضلال لازم الفتن بمعنى المحن والخبر كما أخرج أبويكم من الجنة أو فعلهما في الزلة الموجبة للخروج
والإسناد إليه مجاز بعلاقة السببية وإنما استأنف الكلام ولم يعطف القصة على القصة لأنه
شروع في نوع آخر من الكلام وإنما أسند النهي إلى الشيطان مبالغة في التحذير كما تقول لا أرينك ههنا
ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال من أبويكم أو من فاعل أخرج أو منهما والإسناد إلى السبب
إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم حث على غاية التحذير منه لأنه عدو يترصد ويخفى عن
الأبصار واستتاره عنها يوجب كمال أسباب كيده وقبيله جنوده وذريته وهو في الأصل الجماعة فوق
الثلاثة إذا كانوا أشتاتا وإنما عطف على المستتر في يراكم لأنه مؤكد بالمنفصل ولا دلالة في الآية
على عدم إمكان الرؤية وقد ورد في الأحاديث رؤيته لجماعة من الصحابة رواه البخاري وغيره إنا جعلنا
الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون أبلغ في التحذير من الأول ولذلك لم يعطفه عليه وصرح بأن
من يوالي الشياطين ليس بمؤمن وأسند الجعل إلى نفسه دلالة على كونه حتما مقضيا وإذا فعلوا فاحشة
أي أولياء الشياطين والفاحشة ذنب تناهى قبحه كالزنا والقتل والطواف عريانا قالوا وجدنا
عليها آباءنا والله أمرنا بها استدلوا على حسنها بشيئين الأول تقليد آبائهم المخطئين والثاني
الافتراء على الله تعالى بأنه أمرهم بها ولما كان تقليد الآباء فساده واضحا لم يتعرض له ورد الثاني بقوله

بقوله قل إن الله لا يأمر بالفحشاء لا لأنه قبيح منه إذ لا يتصور منه لأنه المالك المطلق بل لأنه يختار
لعباده محاسن الأعمال وليس في الآية دليل على القبح العقلي لأن المراد بهما ما يكون سببا للعقاب
آجلا وملائمات الطبع ووصف الكمال والنقص حسنها وقبحها عقلي اتفاقا وليس فيها أيضا
ما يدل على بطلان التقليد مطلقا بل بما قام البرهان على خلافه أتقولون على الله ما لا تعلمون
إنكار وتوبيخ على ذلك القول ويتضمن النهي عن افتراء مثله وفيه إيماء إلى أن القول بلا علم
مذموم وإن لم يكن منسوبا إليه تعالى قل أمر ربي بالقسط أي بالتوحيد الذي هو أساس كل عمل
أو بالأمر المتوسط بين الإفراط والتفريط الذي هو المحمود وأقيموا وجوهكم عطف على مقدر أي
قوموا بالقسط واجعلوا وجوهكم إلى القبلة عند كل مسجد في كل وقت صلاة أو في كل مكانها
وقيل توجهوا إليه غير عادلين إلى غيره من المعبودات والأول أوفق بالمقام وادعوه مخلصين
له الدين أي اعبدوه مخلصين له الطاعة وإنما أطلق الدعاء لأنها مخ العبادات ولأن العابد في
الدعاء يتوجه إلى المعبود بالجوارح كما بدأكم تعودون جار مجرى التعليل أي إذا كان منشأكم
منه ومعادكم إليه فلا وجه للإشراك في العبادة وتشبيه الإعادة بالبداءة من حيث إن كلا
منهما نسبة إلى قدرته سواء وهو بعينه قوله بالبداءة أو من حيث التجرد والانفراد عن المال
والأهل ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة أو من حيث الشقاوة والسعادة لأن الخاتمة
فرع البداية ولذلك قال فريقا هدى خلق فيهم الهداية الموصلة إلى السعادة وفريقا حق
عليهم الضلالة أي خذلهم فضلوا ولزمتهم الضلالة وإنما أسند الهداية إلى ذاته المقدسة
دون الإضلال إشارة إلى سبق رحمته وسعتها إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله
تعليل للزوم الضلالة أو تحقيقها ويحسبون أنهم مهتدون أي مع كونهم ضالين لا يلتفتون
إلى الرشد لفرط جهلهم وليس يلزم منه تساوي المعاند والمخطئ في الذم والعقاب وإن اشتركوا
في الجملة فيهما يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد لما أمرهم بإقامة الوجوه نحو القبلة في الصلاة أمر بستر
العورة الذي هو من شروطها أيضا وإنما عبر عنه بالزينة لئلا يتوهم الاقتصار على قدر الحاجة
وقيل المراد أن يكون المصلي لابسا أحسن الثياب وأجملها كما ورد الأمر بذلك في الجمع والأعياد
وكلوا واشربوا المراد بهما الطيب الطاهر كما قيد بهما في غير هذا الموضع ولا تسرفوا بتجاوز الحلال
والإفراط في الأكل والشره عليه وإظهار الخيلاء بأكل المستلذات على الفقراء المحاويج وعن ابن
عباس رضي الله عنه كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وعن علي بن
الحسين رضي الله عنه جمع الله الطب في نصف آية وقرأ كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين
المجاوزين حد الاعتدال وعن مجاهد لو أنفقت مثل أحد ذهبا في طاعة الله لم يكن سرفا ولو
أنفقت درهما في معصية كان سرفا وقيل لبعض السلف لا خير في السرف قال لا سرف في
الخير وقيل لا تسرفوا لا تشركوا قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق
إنكار لأن يكون ما يحل به حراما على المؤمن كيف وقد خلق لهم ما في الأرض جميعا روى مسلم عن عبد الله
بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر

فقال رجل ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال رسول الله ان الله جميل يحب الجمال الكبر
بطر الحق وغمط الناس ولم يكتف بذلك بل امر باظهار شكره فقال واما بنعمة ربك فحدث والحق
ان مناط التقوى هو القلب وفي الحديث ان الله لا ينظر الى صوركم واعمالكم وانما ينظر الى قلوبكم و
نياتكم والطيبات من الرزق هي المآكل والمشارب المستلذة والاباحة انما علمت من جهة النفي
ولا دلالة فيه على ان الاصل فيها الاباحة قبل الشرع قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا وان
شاركهم فيها غيرهم فذلك بالعرض خالصة يوم القيامة حال كونها مختصة بهم في ذلك اليوم و
لم يقل في الآخرة في مقابلة الدنيا اشارة الى انهم في ذلك اليوم في تحلل وطيبات قبل مصيرهم
الى الجنة اللهم اجعلنا منهم يا واسع العطايا وقرأ نافع بالرفع على انه خبر بعد الخبر كذلك نفصل
الآيات مثل هذا التفصيل نفصل سائر الآيات لقوم يعلمون فانهم هم الذين ينتفعون بها وافراد
القوم اشارة الى كمال من قام به العلم قل انما حرم ربي الفواحش جاء بصيغة الحصر تأكيدا للاباحة
ما قدم والفواحش كل ذنب تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج ما ظهر منها وما بطن ما حرم والاثم
مطلق الذنب تعميم بعد التخصيص وقيل شرب الخمر لان الاثم من اسمائها شعرا لو اشربت الاثم قلت
كلا وانما شربت التي في تركه عندي الاثم والبغي الظلم على الغير سواء تعلق بماله او بعرضه او بنفسه
وقوله بغير الحق والبغي لا يكون الا كذلك تنفير عن ارتكابه ولا يراد به الكفر لقوله وان تشركوا بالله
ما لم ينزل به سلطانا برهانا يدل على حجته بل اخترعوه سفاهة وان تقولوا على الله ما لا تعلمون
من الالحاد في صفاته كاتخاذ الولد وامره بالفحشاء ولكل امة اجل مدة مقدرة لاعمارهم او لنزول
العذاب وفيه اشارة الى ان ظلمهم قد تجاوز حده وانهم اهل لنزول العذاب بهم لولا ذلك
الاجل الذي لا يعلم الحكمة فيه الا هو فاذا جاء اجلهم انقضى مدتهم المقدرة لا يستأخرون ساعة
عن ذلك الوقت والمراد بالساعة ادنى ما يتصور من الزمان لا المتعارفة ولا يستقدمون عطف
على الشرطية لا الجزاء لعدم استقامة المعنى والسين للتاكيد مثله في سنكتب ما قالوا وقيل للشدة
لطول لا يطلبون التقدم والتأخر يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي يتلونها
كما امروا من قص الاثر تتبعه وفائدة منكم الترغيب في اتباعهم لانهم من الجنس الذي يوجب الالفة
والائتناس وان كان تحققا لكن لما لم يكن واجبا كما زعمه اهل التعليم ادخل لفظ ان واكد بما [illegible]
من معنى اذا فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون جواب الشرط اي من اتقى الشرك والتكذيب
واصلح ما افسد فقد جمع بين هذين الفوزين والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون لم يدخل الفاء في الجزاء لدلالة السابقة على تقديرها او ايماء الى
المسامحة في الوعيد لان الفاء يدل على سببية السابق فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته
ساوى بين الامرين في القباحة فالويل لمن قال في الدين قولا بغير علم اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب
الموصوفون بهذه الصفة لهم حظ من الارزاق والاعمار في الدنيا يستوفونها فالكتاب بمعنى المكتوب
او هو اللوح المحفوظ حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم يقبضون ارواحهم غاية لنيل النصيب وحتى هذه
التي يبتدأ بعدها الكلام قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله جوابا لاستفهام تقريع اي هذا

اي هذا يوم الحاجة فكان الواجب ان يستعينوا بما كنتم تعبدون بجاههم وعبادتهم قالوا ضلوا عنا
اقرارهم بعبادتهم فان قلت اذا كان قولهم ضلوا عنا اقرارا منهم بالكفر فما فائدة قوله وشهدوا
على انفسهم انهم كانوا كافرين قلت فائدته زيادة التوبيخ واظهار لفظ الكفر الذي دل عليه قولهم
ضلوا عنا التزاما قال ادخلوا في امم القائل هو الله مثل قوله قال اخسئوا وخطابه مع المجرمين
لا يستبعد لانه خطاب غضب وانتقام او بعض الملائكة قد خلت من قبلكم صفة امم من الجن والانس
بيان لها في النار متعلق بادخلوا وفي امم حال اي كائنين في زمرتهم وعدادهم وفيه اشارة الى
ان دخولهم في زمرتهم اشد عليهم من عذاب النار ولذلك قدمه كما قال في النفس المطمئنة فادخلي
في عبادي وادخلي جنتي لان دخولها في تلك الطائفة اشرف واعلى من دخول الجنة والنص في
التكافؤ لا في المنزل كلما دخلت امة لعنت اختها وهي الطائفة التي سنت ذلك الكفر وكانت
المؤمنين لحوقا في الذين كذلك الكفرة حتى اذا اداركوا فيها جميعا الاتباع والقادة قالت
اخراهم دخولا لاولاهم للسقفة اي فيهم لا للمخاطبة لقوله ربنا هؤلاء اضلونا بان سنوا لنا
الكفر والتكذيب فآتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا على عذابنا لانهم ضلوا واضلوا قال الله
لكل ضعف اي منكم ومنهم اما القادة فللضلال والاضلال واما الاتباع فللكفر والتقليد او
لانهم ضالون مضلون ايضا ولكن لا تعلمون ما لكل منكم وقرأ عاصم في رواية ابي بكر بياء الغيبة
على الانفصال وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل اخذوا هذا الكلام من قوله تعالى لكل
ضعف لانه يدل على مساواة الفريقين في الجناية فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من قول القادة
او من قول الله للفريقين ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها عن الاذعان لاحكامها لا تفتح
لهم ابواب السماء حتى يصلوا الى الجنة التي هي في السماء فضلا عن دخولها او لاعمالهم اليه يصعد
الكلم الطيب او لارواحهم بل ترد الى السجين لورود الاحاديث بذلك كله قرأ حمزة والكسائي با
الغيبة والتخفيف وابو عمرو بالخطاب مخففا والباقون بالخطاب مشددا والمختار هو التانيث
لوجود الفاصل فان قلت قوله تعالى مفتحة لهم الابواب في حق المؤمنين يدل على فتح جميع ابواب الجنة
وعلى ذلك القياس يكون معنى قوله لا تفتح لهم ابواب السماء جميع ابوابها ولا يلزم عدم فتح شيء
من ابوابها قلت النفي موجه الى اصل الفعل لا على القيد ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط
تعليق بالمحال عادة والخياط والمخيط اسم لما يخاط به وهو الابرة كالازار والمئزر لما يتزر به
وكذلك نجزي المجرمين الكافرين الكاملين في الاجرام وانما عبر عن الكفر بالاجرام ايماء الى قبحه و
زجرا عن ارتكابه وانما اعاد الكلام مؤكدا بالتاكيدات البالغة لئلا يتوهم من الخلود المكث
الطويل وليترتب عليه شدائد العذاب التي خلت عنها الاية السابقة من قوله لهم من جهنم مهاد
وزنه فعال بمعنى المفعول ومن فوقهم غواش جمع غاشية وهي ما يغطي به جمعه ليدل على تكاثفه
وعظم العذاب منه كقوله من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل وانما الترجيح الاول لكونه
مصدرا في الاصل وكذلك نجزي الظالمين العابدين غير الله وهذا الحكم اخص من الاول اذ لا يلزم
من عدم دخول الجنة دخول النار والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها او

أصحاب الجنة هم فيها خالدون عادة الكريم لينشط عليه وصف حالهم فيها وحسن مقامهم واعترض
بين المبتدأ والخبر بقوله ولا نكلف نفسا إلا وسعها ترغيبا في العمل الصالح الموصل إلى النعيم المقيم بأنه
مع كونه مورثا لنيل السعادة سهل التناول ونزعنا ما في صدورهم من غل إتماما للنعمة فإن من
في صدره غل وحقد وإن كان في أرفه حال وأرغد عيش لم يخل عن حرج صدر وضيق عطن وعن علي رضي
حين قتل طلحة والزبير في وقعة الجمل إني لأرجو أن أكون أنا وهؤلاء منهم تجري من تحتهم الأنهار
لتوفير الحظ الناشئ مع أنه يسري سروره إلى سائر الجوانح ويذهب عن القلب الحزن وقالوا الحمد لله
الذي هدانا لهذا لما كان وسيلة لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لولا هدايته وتوفيقه
وهذا الكلام منهم على وجه الالتذاذ والسرور إذ لا تكليف هناك وجواب لو محذوف لدلالة
ما قبله عليه وقرأ ابن عامر ما كنا بدون الواو على أنه بيان وهو رسم مصحف الشام والمختار
إثبات الواو لعدم ظهور البيان لقد جاءت رسل ربنا بالحق اعترافا منهم بعد عين اليقين
كما اعترفوا في الدنيا بعد علم اليقين ونودوا أن تلكم الجنة أشار بلفظ البعيد باعتبار أنهم كانوا
يعلمون في الدنيا بالوصف كما تقول لصاحبك مشيرا إلى الرجل بين يديك هذا ذلك الرجل
الذي كنت تسمع به أو تعظيما لها والقول بأنه يقال لهم قبل الدخول يرده قوله الحمد لله الذي
هدانا لهذا فإن هذا النداء بعد ذلك القول أورثتموها بما كنتم تعملون تحصلتموها بسبب
أعمالكم والأعمال وإن لم يكن سببا حقيقيا مستلزما عقلا ولكن جرت عادته تعالى بذلك فكان
سببا عاديا وقوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل أحدكم الجنة بعمله نفي للسبب الحقيقي وإنما عبر
عن إعطائه وتفضله بالإيراث لأنه أقوى أسباب الملك لحصوله حتما من غير اختيار وشعور وقيل
ورثوها من الكفار لما ورد في الحديث أن لكل مؤمن موضعا من النار يضاف إلى نصيب واحد من
الكفار ولكل واحد موضعا من الجنة يضاف إلى حظ واحد من أهل الجنة وهذا أوفق بالمقام المحاورة
الطائفتين ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم
ما وعد ربكم حقا قالوا هذه المقالة تبجحا وإظهارا للشماتة وهو ألذ الأشياء كما أن أشد العذاب
شماتة الأعداء وإنما ألقى بلفظ الوعد في العذاب مشاكلة ولم يضفه كما أضاف الأول إما لأنه
علم من الأول أنه بنسبته أو لأن ما وجدوه لم يكن كله موجودا بخصوصهم كالبعث والحساب
قالوا نعم إقرار بالوجدان وقرأ الكسائي بكسر العين وهما لغتان والفتح هو المختار لأنه لغة أهل الحجاز
وعامة العرب فأذن مؤذن بينهم بعد استقرار الفريقين وانقضاء تلك المحاورة قيل هو إسرافيل
أن لعنة الله على الظالمين إخبار بحصول اللعنة لهم وفائدته التحسر عليهم وتنفير السامع عن
ارتكاب الظلم وأن هي المخففة حذف عنها ضمير الشأن وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتشديد
وهو المختار لكونه أصلا مع خلوه عن الإضمار الذين يصدون عن سبيل الله يمنعون القاصدين
عن الإسلام ويبغونها عوجا يطلبون لها عيبا بكسر العين عيب المعاني وما لا انتصاب له وبالفتح
عيب الأجسام المنتصبة ومحله الجر على أنه صفة مقررة أو رفع على الذم أو نصب على الاختصاص
وهم بالآخرة كافرون منكرون لها وفيه إشارة إلى أن ارتكابهم الظلم لعدم اعتقادهم المصير

إلى من يجازيهم وبينهما حجاب هو السور الذي ضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره
من قبله العذاب وعلى الأعراف رجال أعراف ذلك السور أي أعاليه جمع عرف مستعار من عرف
الفرس والديك هم طائفة من المؤمنين قصر بهم العمل يوقفون بين الجنة والنار على ذلك السور
إلى وقت يريده الله وقيل هم الأنبياء والشهداء يوقفون كرامة وقيل هم العلماء وورد بذلك
الحديث يوقفون للشفاعة فيمن عمل بعلمهم يعرفون كلا بسيماهم هذا قبل دخول الجنة يعلمون
ذلك بإلهام الله أو علامة كبياض الوجه وسواده يدل عليه لفظ السيما لأنها فعلى من الوسم ونادوا
أصحاب الجنة أن سلام عليكم بأهل الجنة إما حين الدخول أو بعده لم يدخلوها وهم
يطمعون حال من فاعل نادوا وقيل إن كان أهل الأعراف المقصرين فالحال عن الواو وإن كانوا
الأنبياء والشهداء أو خيار المؤمنين فعن أصحاب الجنة وإنما ذهب إلى هذا استبعادا لأن
يكون دخول الأنبياء متأخرا عن الأمم وليس بشيء لما روى البخاري ومسلم في حديث الشفاعة
عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا كان يوم القيامة فأخر لربي ساجدا فأشفع فيحد لي
حدا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود فيحد لي حدا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة
ثم ذكر العود ثالثا على هذا وقد روي أيضا أنه تعالى يقول له يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب
عليه من الباب الأيمن وهم شركاء الناس في سائر الأبواب فإن قلت ما معنى الطمع والأنبياء وغيرهم
ما طمعوا بدخول الجنة قلت لا تنافي بين الطمع في رحمته والقطع بموجب وعده وإذا صرفت أبصارهم
تلقاء أصحاب النار وما فيه من العذاب استعاذوا بالله قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين
في النار وإنما لم يقل وإذا نظروا أهل النار إشارة إلى أن رؤيتهم ليس مقصودا بالذات بل كان
صار فاصرف أبصارهم نحوهم ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم من رؤساء الكفرة
قالوا ما أغنى عنكم جمعكم كثرة أعدادكم أو مالكم وما كنتم تستكبرون ولا وجود استكباركم
عن الحق وقرئ تستكثرون من الكثرة أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قول
الرجال أشاروا بهؤلاء إلى فقراء المهاجرين كخباب وعمار وبلال فإن صناديد قريش كانوا يحلفون
أنهم لا يدخلون الجنة ويستهزئون بأهلها ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون وكأنهم
لما رأوا الفقراء بصدد الدخول خاطبوا المشركين بذلك الخطاب ثم التفتوا وقالوا هذا الكلام
وقيل لما عير أصحاب الأعراف أهل النار حلفوا بأنكم لا تدخلونها أيضا فقال الله تعالى أهؤلاء
الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة والوجه هو الأول ونادى أصحاب النار أصحاب
الجنة بعد استقرار كل طائفة في مستقرها أن أفيضوا علينا من الماء الإفاضة الإفراغ والصب
وقيل فيه دليل على أن الجنة فوق النار أو مما رزقكم الله من سائر الأشربة أو المأكل من قبيل
علفتها تبنا وماء باردا وهذا يمكن أن يكون على الحقيقة بأنهم لا يعلمون حرمة ذلك عليهم
أو قالوا تحسرا وتحيرا وإن تيقنوا عدم الحصول قالوا إن الله حرمهما على الكافرين استعارة
تبعية كقوله شعر ومن يعلا بأم العتيق وصاحب حرام على عيني أن تطعما الكرى إذ لا تكليف
هناك الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا من قول أصحاب الجنة أو من قول الله واللهو ما يلهيه

الإنسان أي يصرف همه به واللعب ما يجلب به الفرح وغرتهم الحيوة الدنيا خدعتهم فاليوم ننسيهم
نفعل بهم فعل الناسين أي نتركهم كما نسوا لقاء يومهم هذا فلم يستعدوا له وما كانوا بآياتنا
يجحدون وكما كانوا عطف على ما لم يعد الجار للقرب لفظا ومعنى وتخصيصه بجازيهم بمثل ما
فعلوا ولقد جئناهم بكتاب فصلناه أي بيناه من يخاطب به معانيها على علم عالمين بما فيه
من الحكم والأحكام ولفظ على للدلالة بجلال العلم حال من المرفوع في فصلناه وجعله حالا من
المفعول ليس بذلك الحسن وفيه دليل على أنه تعالى عالم بالعلم وقرئ فضلناه أي على سائر الكتب
هدى ورحمة لقوم يؤمنون حال من منصوب فصلناه هل ينظرون إلا تأويله أي ما ينتظرون
إلا ما يؤول الكتاب إليه من وقوع ما نطق به من الوعد والوعيد والتقسيم للمكذبين المستكبرين
وقصة أصحاب الأعراف كانت استطرادا للترغيب والترهيب يوم يأتي تأويله يقول الذين
نسوه من قبل هو يوم القيمة قد جاءت رسل ربنا بالحق أي تبين لنا أن ما جاؤوا به كان حقا
فهل لنا من شفعاء اليوم فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل عطف جملة فعلية على اسمية
وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا والمعنى على الرفع تمني الشفاعة أو الرد وعلى النصب تمني الشفاعة
بدون الرد أو مع الرد بدون الشفاعة ويجوز أن يكون أو بمعنى إلى أن كقولك لألزمنك أو تعطيني
حقي وعلى هذا المعنى تمني الشفيع للشفاعة المفضية إلى الرد قد خسروا أنفسهم حين أوردوها
مورد الهالكين وضل عنهم ما كانوا يفترون من المعبودات الباطلة إن ربكم الله الذي
خلق السموات والأرض في ستة أيام لما بين حال الفريقين في المعاد كر إلى ذكر المبدأ وكيفية
وجود الكائنات على النمط الذي فطرت عليه إرشادا للضالين وتثبيتا للمهتدين والخلق هو الإيجاد
واقتصر على ذكر السموات والأرض دون ما بينهما لأنه ذكر في مواضع أخر أو لأن أحدا لم يقل بالفصل
أو لأنهما إذا كانتا مخلوقتين له فغيرهما بالأولى والأحلق والمراد بالأيام الأوقات أو مقدارها
لو كان هناك طلوع شمس وغروب وفيه دليل على أنه فاعل بالاختيار وإرشاد للعباد على التأني
في الأمور تخلقا بأخلاق الله تعالى ثم استوى على العرش أي بعد تكامل خلق الأشياء أجرى أحكامه
على الموجودات إسعادا وإشقاء وإماتة وإحياء لأن ذاته تعالى وإن كانت قديمة لم تزل ولكن
آثار سلطنته إنما ظهرت بعد وجود الأشياء فمثل حاله بحال ملك جلس على سرير ملكه للنظر
في شأن من تحت حكمه والقول بأن العرش هو الجسم المحيط بسائر الأجسام مما لا دليل عليه شرعا و
أن يثبت أن عرش الرحمن فوق السموات جسم نوراني عظيم يغشي الليل النهار أي يجعل كلا منهما
غشاء الآخر وهو ما يغطي ويستر به وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم بالتشديد وهو أبلغ
معنى يطلبه حثيثا يطلب كل منهما الآخر طلبا سريعا على أنه مصدر ويجوز أن يكون حالا
من الفاعل أي حاثا أو من المفعول أي محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره بقضائه و
قرأ ابن عامر برفع الأربع وهو الحث لكونه أبلغ في العذر ولعدم احتياجه إلى تقدير العامل ألا له
الخلق والأمر تنبيه لمن سمع هذا الكلام الدال على تأثير قدرته تعالى وعظمة شأنه بأن يعترف
بأن لا خالق ولا متصرف لغيره تبارك الله رب العالمين البركة النماء والزيادة والمعنى وصفه بزيادة

وصفه بزيادة التفضل في ترتيب الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر والنجوم ولما كان سياق الآية في
سورة قد أفلح الخلق الإنسان وأطواره ختم الآية بقوله تبارك الله أحسن الخالقين ادعوا ربكم
تضرعا وخفية بعد ما تبين أن شأنه فوق كل شأن أمرهم بالاستكانة والتضرع التذلل
ذوي ذل وخفية فإن الإخفاء في الدعاء أقرب إلى الإخلاص وفيه نوع من الانكسار الملائم
للضراعة وفي الحديث يفضل دعاء السر على الجهر سبعين ضعفا وقرأ أبو بكر بكسر الخاء إنه لا يحب
المعتدين المجاوزين الحد بأن يسهب غاية الإسهاب أو يطلب ما لا يليق به كرتبة الأنبياء وفي
الحديث سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم إني أسألك الجنة وما
يقرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما يقرب إليها من قول وعمل ولا تفسدوا في
الأرض بعد إصلاحها بهذا النظام الأحسن وشرع الأحكام على لسان الأنبياء وادعوه خوفا
وطمعا خائفين عقابه نظرا إلى قلة أعمالكم بالنظر إلى الكبرياء طامعين رحمته نظرا إلى كرم
وعموم عطائه روي أنه تعالى لما طرد إبليس بكى جبرائيل وميكائيل فقال تعالى ما هذا البكاء قالا ربنا
بكاء خوف فإن هذا كان قد قطع أعمارا في عبادتك قال هكذا كونا خائفين من سطوتي
وقهر سلطاني إن رحمت الله قريب من المحسنين إشارة إلى ما يتوسل به الطامعون إلى رحمته وإنما
ذكر القريب بمعنى الفاعل مع تأنيث الموصوف تشبيها له بالفعيل بمعنى المفعول وهو الذي يرسل
الرياح سرد لأدلة وحدانيته الدالة على قدرته على الإعادة إرسال الرياح قرأ ابن كثير وحمزة و
الكسائي الريح بالتوحيد على إرادة الجنس بشرا بين يدي رحمته قرأ الكوفيون إلا عاصما
وابن عامر بإسكان الشين جمع ناشر ونشور وأصله الضم والإسكان لثقل الضمتين وقرأ
حمزة والكسائي نشرا بفتح النون على المصدر لأن الإرسال فيه معنى النشر أو على الحال وقرأ عاصم
بالباء على أنه جمع بشير كنذير ونذر وقيل إن الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره
والدبور تفرقه وفي الحديث أن الدبور معد للعذاب ولهذا أشار صلى الله عليه وسلم بقوله
اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أن الجمع للرحمة والمفرد
للعذاب شرح للحديث النبوي حتى إذا أقلت سحابا رفعته من القل لأن المقل للشيء يرفعه سحابا
جمع سحابة على حد تمر وتمرة ثقالا بالماء سقناه أفرد الضمير وكذا باعتبار اللفظ لبلد ميت لا
أي لإحيائه وسقيه والبلد ما رادف الأرض وقرأه مخففا ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر
فأنزلنا به الماء أي بالبلد فالباء للوصف أو بالسحاب أو بالسوق أو الريح فالباء للآلة
فأخرجنا به أي بالماء ويحتمل الوجوه السابقة أيضا من كل الثمرات بعضا من كل نوع وإنما لم
يذكر الحبوب لأن الثمرات أبدع وشأنها أغرب أو لأن الحبوب من ثمر الأرض أيضا كذلك
نخرج الموتى مثل إخراج الثمرات الذي تشاهده ونمدة أعماركم لعلكم تذكرون متعلق بقوله
أي إنما نتلو عليكم الإخراج على النمط المذكور لعلكم تذكرون أن لا فرق بينه وبين الإعادة
فتقرون به والبلد الطيب الأرض الكريمة التربة يخرج نباته بإذن ربه بعلمه وإرادته والذي
خبث الأرض الرديئة كالسباخ والفيفاء لا يخرج إلا نكدا يقال فلان نكد أي قليل الخير والمراد

بالنبات الذي لا نفع فيه نصب على الحال عن المستتر في خبث مثل ضربه الله للمؤمن والكافر وروى
ابو موسى الاشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال مثل ما بعثني الله به من العلم والهدى
مثل غيث اصاب ارضا منها طائفة طيبة قبلت الماء فانبتت الكلاء والعشب الكثير ومنها طائفة
اجادب امسكت الماء فنفع الله الناس به فشربوا وسقوا وزرعوا ومنها طائفة اخرى قيعان
لا تمسك الماء ولا تنبت الكلاء فذلك مثل من فقه في دين الله فنفعه ما بعثني الله به فعلم
وعلم ومثل من لم يرفع بذلك راسا ولم يقبل هدى الله الذي ارسلت به رواه البخاري ومسلم
كذلك نصرف الآيات مثل هذا التصريف الجلي نصرف سائر الآيات لقوم يشكرون نعم الله فيعلمون
ان تصريف الآيات من اجل النعم لقد ارسلنا نوحا الى قومه اللام فيه للقسم وانما التزم ذكر
قد مع القسم لان المخاطب بالجملة المقسم عليها منكر او متردد فاذا سمع القسم توقع وقوعها او
رد قصة نوح بعد قصة آدم وشرح احوال اهل الجنة والنار ودلائل التوحيد لانه اول مبعوث
عذب قومه وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن ادريس بعث وهو ابن خمسين سنة او اربعين وعاش
الف سنة على الاصح فقال يا قوم اعبدوا الله وحده بدليل قوله ما لكم من اله غيره واضافهم
الى نفسه اظهارا للشفقة والنصح قرأ الكسائي بكسر الراء حملا على اللفظ صفة او بدلا وهذا اولى
من قراءة الجمهور بالرفع لان رعاية اللفظ عندهم اكثر من المحل اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم
تعليل للامر بالتوحيد واليوم يوم القيمة وعظمه لعظم ما فيه والاستئناف وقيل يوم الطوفان
قال الملأ من قومه اشرافهم لم يذكر الفاء كما في سائر السور اشارة الى فرط جهلهم كانه لم يتعقب
كلامهم كلامه فرده وافصحه من غير تأمل في نفعه انا لنراك في ضلال مبين واضح قال يا قوم ليس
بي ضلالة اي واحدة من جنس الضلال لرد كلامهم على ابلغ وجه كما اذا قيل لك الك تمر فتقول
ليس عندي تمرة ولكني رسول من رب العالمين استدراك بحسب المعنى لانه اذا كان رسولا منه لا
يمكن ان يكون ضالا لظهور التنافي بين الرسالة والضلال ابلغكم رسالات ربي استئناف
لبيان كونه رسولا او صفة له والرسول وان كان لفظه غائبا ولكنه عبارة عن ضمير المتكلم فصح
كونه صفة له بذلك الاعتبار قرأ ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع رسالة باعتبار الوقائع والآيات
والعقائد والاحكام وقراءة التشديد ابلغ وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون يقال نصحه ونصح له
واللام يدل على ان النصح خالصا للمنصوح له يراعي به جانبه والمراد علمه بصفات الله وشدة
بطشه او كان اوحى اليه انهم ان لم يؤمنوا ليستأصلهم الله بالعذاب كانوا آمنين لان العذاب
لم يكن حل بقوم قبلهم اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم الهمزة للانكار والواو للعطف والمعطوف
عليه محذوف كانه قيل اكذبتم وعجبتم ان جاءكم والذكر هو الرسالة لاشتماله على المواعظ على
رجل منكم على لسان رجل من قومكم يعرفون بالامانة معروف النسب وكانوا يعتقدون ان الرسول
لا يكون بشرا لينذركم يحذركم بأس الله ونقمته لمن كفر ولتتقوا المعاصي ولعلكم ترحمون بعد
التقوى وانما ذكره بلفظ الترجي على أسلوب الملوك وان كان مقطوعا به كقوله عسى ان يبعثك ربك
مقاما محمودا او للاشارة الى ان التقوى لا يوجب شيئا والترحم فضل منه تعالى ولذلك يعتمد العاملون

يعتمدون العاملون على عملهم فكذبوه صريحا في دعوى الرسالة لان قولهم انا لنراك في ضلال
مبين غير صريح فانجيناه والذين معه في الفلك انجيناهم في الفلك او يتعلق بمعه او حال اما
من الموصول او ضمير معه قيل كانوا ثمانين نفسا اربعين رجالا واربعين امراة وقيل كانوا تسعة
هم بنوه الثلثة سام وحام ويافث وستة من قومه كانوا مؤمنين به واغرقنا الذين كذبوا
بآياتنا انهم كانوا قوما عمين عمي القلب جار مجرى التعليل والى عاد اخاهم هودا اعطف على
نوحا الى قومه وسماه اخا مجازا لانه واحد منهم كقولهم يا اخا العرب والحكمة في بعث الانبياء
من القوم لكونهم يعرفون ديانته وامانته ولذلك بانقواعي ابتاعه قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره لم يعطفه كما في قصة نوح عليه السلام لانه جاء على طريقة الاستيناف كانه
قيل ما قال لهم وكذلك جوابهم افلا تتقون عرض على التقوى كقولك الا تنزل بنا الجواب محذوف
اي تأمنوا من عذاب الله قال الملأ الذين كفروا من قومه دل على ان من الملأ من كان مؤمنا
والقول بان هذا الوصف دل على كونهم اقرب من قوم نوح ليس بشيء لمجيء هذا الوصف في قومه
ايضا في سورة هود وقد افلح والقول بان الوصف في قومه في السورتين للذم خلاف الظاهر
وتحكم بل الوجه في حذفه من قصة نوح انها ما سبقت هنا مسوقات وحيث ذكرت على وجه
الاطناب ذكر الوصف انا لنراك في سفاهة اي سفاهة كاملة متمكنا فيها وصفوه بالسفاهة
وهي خفة العقل لمخالفة قوم نوح وصفوه بعدم الاهتداء لانه نتيجة تلك الخفة وانا
لنظنك من الكاذبين مستند رجائي زعمهم والظن بمعنى العلم قال يا قوم ليس بي سفاهة كما
زعمتم ولم يتعرض لرد الكذب لان منشاء السفاهة جنت لا سفاهة ولا كذب ولكني رسول
من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين وصفه بالامانة وتقديم التعبير
المفيد للتقوى وايثار الاسمية يدل على فرط عنادهم اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل
منكم لينذركم مر تفسيره قريبا واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ذكرهم نعمة الله
عليهم مع ذكر ... لهم من العذاب ... بقوم ساكنوا امكنتهم
وزادكم في الخلق بسطة ... في الخلقة فانها نعمة فائقة قيل كان اطولهم مائة ذراع
واقصرهم ستين ذراعا او بالمال فانهم كانوا على غاية من الشدة وقوله وفجح قارون اولم
يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا يشير الى قوم
عاد فان شداد بن عاد ملك المعمورة من رمل عالج الى شحر عمان فاذكروا آلاء الله تعميم
نعمهم بعد التخصيص لعلكم تفلحون عسى ان يؤديكم الى الفلاح قالوا اجئتنا لنعبد الله
وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا انما كانوا منهمكين في فطرة الله التي يولد عليها كل مولود
استبعدوا ان يكون فاطر الاشياء وموحد الصانع معبودا وحده والمراد من المجيء الاقدام
على تبليغ الرسالة او كان معتزلا عنهم كما هو دأب الصالحين كما كان رسول الله يتحنث في غار
حراء قبل بعثته او في قوله تهكما به والمراد المجيء من السماء فأتنا بما تعدنا من العذاب انما لم يكن
صرح به او فهم من قوله افلا تتقون ان كنت من الصادقين فيه وحدنا ثم قال قد وقع عليكم

من ربكم رجس عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب انتقام من الله عطف تفسيري واراد انتقام
عذابا الأبد بعد العذاب في الدنيا وانما عبر عنه بالماضي لانه واقع لامحالة لتصديق وعيد لا يخلف
الميعاد اتجادلونني في اسماء في استحقاق عبادتها سميتموها انتم واباؤكم ما نزل الله بها
من سلطان برهان دال على استحقاق عبادتها فانتظروا العذاب اني معكم من المنتظرين لنجاة
واستيصالكم فانجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا دابر القوم
من ياتي في آخرهم فاذا لم ينج فغيره بالاولى الاجلاء وما كانوا مؤمنين فائدته بعد ذكر التكذيب
التعريض عن آمن منهم ولئلا يتوهم حدوث التكذيب من لفظ الماضي بل لم يؤمنوا قط وقصتهم
انهم كانوا قاطنين بين عمان وحضرموت كانوا عبدة الاصنام فارسل الله تعالى اليهم هودا وكان
فيهم ذا نسب وشرف فكذبوه فامسك الله عنهم المطر ثلث سنين وكان الناس اذا نزل بهم ضر وبلاء
توسلوا الى الله في كشفه بالبيت الحرام وكان قطان مكة اذ ذاك العمالقة اولاد عمليق
بن لاوذ بن سام بن نوح وكان سيدهم معاوية بن بكر فوجهت عاد الى مكة للتوسل بالبيت المعظم
سبعين رجلا من اشرافهم فيهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد وكان مرثد مؤمنا يكتم ايمانه
فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر سيد العمالقة وكان بارزا خارج الحرم وكانوا اخواله
واصهاره فاكرمهم فاقاموا عنده في ارغد عيش يشربون الخمر وكان لمعاوية قينتان تغنيانهم
فلما راى معاوية ان شرب الخمر شغلهم عما قدموا لاجله اهمه ذلك وقال هلكت اخوالي وهؤلاء
فيما هم فيه وكان يكره ان يصرح لهم بذلك لئلا يتوهموا انه استثقلهم وكان شاعرا فعمل بيتين
وهما الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا لا يبينون
الكلاما فلما غنت الجاريتان وسمعوا معانيها قالوا القوم في ضنك قوموا فادخلوا الحرم و
استسقوا فقال لهم مرثد والله ما تسقون الا ان اطعتم هودا فقالوا لمعاوية احبس عنا هذا
فانه ترك دين ابائه لا يقدم معنا مكة فلما دخلوا الحرم قال قيل اللهم اسق عادا ما كنت
تسقيهم فانشأ الله تعالى ثلث سحائب بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من جهة السماء
يا قيل اختر لك ولقومك احدى السحائب فقال اخترت السوداء فانها اكثرها ماء فتوجهت السوداء
الى ارض عاد فكان كما قال الله تعالى فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا
بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم فاهلكتهم ونجا هود ومن آمن معه فقدموا مكة و
عبدوا الله الى ان قضوا نحبهم والى ثمود اخاهم صالحا هم طائفة اخرى من العرب سموا با
الاكبر وهو ثمود بن غابر بن ارم بن سام بن نوح وقيل انما سموا ثمودا لانهم كانوا ساكنين على ماء
قليل والقليل يسمى الثمد قال طرفة شعرا واحكم كحكم فتاة الحي اذ نظرت الى حمام سراع وارد
الثمد وكان من قصتهم انهم خلفوا عادا في ارضهم وكان المدر والحجر لا يفي باعمارهم فتنهدم فشرعوا
كما اخبر الله ينحتون من الجبال بيوتا وكانوا يعبدون الاوثان فارسل الله اليهم صالح بن عبيد بن حاذر بن
ثمود فدعاهم الى الاسلام وكان من اشرافهم فسالوه آية دالة على صدقه فقال ما تريدون من الآية
فقالوا اخرج معنا يوم العيد فنسالك اذ ذاك فلما حضر نظر واحد منهم يسمى جندعا الى صخرة عظيمة

الى صخرة عظيمة بجنب الجبل يسمى كاثبة فقالوا اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة تسمى عشراء وبراء ذات عرف
فصلى صالح ركعتين ودعا فتمخضت الصخرة كما تتمخض الناقة النتوج فولدت سقبا بقربها في
العظم فكان ما بين ضبعي الناقة مساحة مائة واثنين وعشرين ذراعا ثم قامت والسقب
يتبعها فتوسطت القوم فقال لهم صالح لكم شرب يوم ولها شرب يوم فكانت ترد الماء غبا
فاذا وضعت راسها في البئر شربت الماء باسره فشق ذلك عليهم وكانت تصيف بظهر الوادي
وتشتو ببطنه فيهرب منها مواشيهم فتحيروا من ذلك ايضا وكانت فيهم امراتان تسمى احديهما
صدوف والاخرى عنيزة وكان لكل منهما الف فالصدوف سمت قدارا وصاحبة عنيزة مصدع
وكان لهما مواش فتحيا الى الالفين وسالتاهما قتل الناقة فقالا اصبحتا بالخمر فلما سكرا جاءا الى نادي
القوم واستتبعا طائفة من سفهائهم ولكن العاقر اولا قدار وثانيهما مصدع فلما قتلوها
هرب السقب الى الجبل فقال لهم صالح ادركوه فانكم ان ادركتموه نجوتم فاسرعوا خلفه فلما يلحقوه قيل
ادخل في تلك الصخرة التي كانت امه خرجت منها بعد ان رغا ثلث رغوات فقال لهم صالح ياتيكم
العذاب بعد ثلث وعلامة ذلك انكم غدا تصبحون ووجوهكم مصفرة وبعد غد محمرة وفي اليوم
الثالث مسودة ثم في الرابع يصبحكم العذاب فلما اصبحوا في الغد وراوا العلامة هموا بقتله فنجاه
الله تعالى منهم فركب الجمار هو ومن آمن معه واتى الى مكة وسكن بها الى ان جاءه الموت فدفن
صلوات الله عليه في المسجد الحرام من جهة الحجر وقيل مات بالشام فلما اصبحوا في اليوم الرابع
تحنطوا وتكفنوا بالانطاع وانتظروا البلاء فجاءتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فاصبحوا
في دارهم جاثمين ليس منهم احد فان قلت قد اخبر الله عنهم بانهم ندموا على ما فعلوا بقوله فاصبحوا
نادمين والندم توبة فكيف لم تدركهم رحمة ارحم الراحمين قلت جرت عادة الله تعالى بان من كفر بعد
الآية المخترعة لا يمهل كما في اصحاب المائدة والى هذا اشار بقوله فلولا كانت قرية آمنت فنفعها
ايمانها الا قوم يونس قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره سبق تفسيره قد جاءتكم بينة
من ربكم معجزة واضحة على صدق دعواه عاما وصفها بالوضوح لانها التي طلبوها هذه ناقة
الله لكم استئناف لبيان البينة لكم آية بيان لمن له الآية ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا وعطف
بيان ولكم خبرا عامله في آية والاضافة للتشريف فذروها تأكل في ارض الله اي ليس عليكم مؤنتها
واساسها ازاحة العذر رغبي التعرض لها ولا تمسوها بسوء نهي عن الاصابة بالمكروه فياخذكم
عذاب اليم نصب على الجواب واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد تذكير النعمة وتيديا بما الى
اتهم ان حالفوا يصيبهم مثل ما اصابهم وبوأكم في الارض ارض الحجر الزم للعهد تتخذون
من سهولها قصورا السهول الارض بعيد مرتفعة صلبة من الحجر او بعض سهولها جاجع سهل مثل الجبل
وتنحتون الجبال بيوتا نصب على المفعولية اي من الجبال بيوتا وحال مقدرة او معنى تنحتون
تتخذون فالمنصوبان مفعولاه فاذكروا آلاء الله نعمه بعد التخصيص ولا تعثوا في الارض
مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا اي لم يتبعوا الاصلاح ولهم
لمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا القوم الذين كانوا مؤمنين بدل كما هو شان الارسال

مثل بلال وعمار وصهيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لمن آمن منهم بدل من الذين بإعادة الجار بدل الكل إن
كان الضمير للقوم وإن كان للمستضعفين بعض كعلم قومه أتعلمون أن صالحا مرسل
من ربه قالوه على الاستهزاء قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون كان ظاهر الجواب نعم أو بلى وإنما عدلوا عن
ذلك لأن الإقرار بالرسالة لا يستلزم الإيمان لجواز الجحد ولأن الإيمان بما جاء به يستلزم الإيمان
به فكان أبلغ من ظاهر الجواب ولأن العدول فيه تنبيه على أن إرساله مما لا يشك فيه عاقل
وإنما الكلام فيمن آمن قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون لم يقولوا إنا بما أرسل
به كافرون لاشتماله على اعترافهم برسالته فعقروا الناقة أخرجوها أسند إلى الكل لوقوع
الفعل بينهم وإنما لم يذكر قتلها إشارة إلى أن عقرها كان من العظائم لأن تعليق العذاب العظيم
كان على مجرد المس بالسوء وعتوا عن أمر ربهم تجاوزوا عنه وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا
إن كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة أي بعد ثلاثة أيام لقوله في هود تمتعوا في داركم
ثلاثة أيام والرجفة الزلزلة وفي موضع بدل الرجفة الصيحة والتوفيق بينهما أنهما كانتا معا
فنسب أخذ كل واحدة منهما فلا حاجة إلى جعل الرجفة مجازا عن الصيحة فأصبحوا في دارهم
جاثمين ساقطين على الأرض ميتين من جثم الطائر بالأرض تلبد بها وأصبح بمعنى صار لأن
هلاكهم كان ضحوة من النهار فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت
لكم ولكن لا تحبون الناصحين خطابه هذا بعد موتهم مثل خطابه صلى الله عليه وسلم يوم بدر مع
القليب هل وجدتم ما وعد ربكم حقا أو كان هذا القول منه حين تولى عنهم بعدما هموا بقتله ولوطا
إذ قال لقومه أي أرسلنا لوطا أو وقت قوله أو مفعول لاذكر إذ بدل منه أتأتون الفاحشة اللام
فيها للعهد كأنها علم بين الفواحش لا يذهب الذهن إلى غيرها والاستفهام للتوبيخ ما سبقكم بها من
أحد من العالمين كلام مستأنف مقرر للإنكار لأن مبتدع المعصية أعظم وفي الحديث ما قتل
أحد ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل منه لأنه أول من سن القتل رواه البخاري إنكم لتأتون
الرجال شهوة من أتى المرأة إذا غشيها شهوة مفعول له وفيه نسبة إلى البهيمية أو لا داعي لكم سوى
من جهة العقل لطلب النسل وقرأ نافع وحفص إنكم على الإخبار استئنافا وعلى الأول بيان لقوله
أتأتون الفاحشة وفائدة قوله من دون النساء قطع المعذرة ودفع توهم الضرورة بل أنتم
قوم مسرفون إضراب عن الإنكار إلى بيان الحال التي أوجبت ارتكاب الفاحشة وهي أنهم قوم
عادتهم الإسراف والتجاوز عن حدود الله ولذلك وصفهم تارة بأنهم قوم عادون وتارة بأنهم
قوم تجهلون وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم أي لم يأتوا بما قال ولم
يلتفتوا إلى نصحه بل غاظهم ذلك وأمروا بإخراجه من قريتهم مع من آمن به إنهم أناس يتطهرون
بالعود في الطهارة قالوه تهكما فأنجيناه وأهله المؤمنين لقوله إلا امرأته كانت من الغابرين
الذين بقوا في ديارهم وهم الهالكون بكونها على دين قومها والتذكير لتغليب الذكور وأمطرنا
عليهم مطرا أي نوعا من المطر عجيبا وهي حجارة من سجيل والفرق بين مطر وأمطر أن في الثاني معنى
الإرسال ويتعدى إلى مفعولين إلى المرسل بنفسه وإلى المرسل إليه بعلى والأول يتعدى إلى واحد بنفسه

بين مطر وأمطر أن في الثاني معنى الإرسال ويتعدى إلى مفعولين إلى المرسل بنفسه وإلى المرسل إليه بعلى
والأول يتعدى إلى واحد بنفسه وهو من إصابة المطر وقيل هما بمعنى واحد واستعمال الثاني في
الشر غالبا والأول في الخير ذكره الجوهري فانظر كيف كان عاقبة المجرمين المراد به نظر القلب
وهو التدبر والخطاب عام قيل إن لوطا ابن عم إبراهيم صلوات الله عليه ممن هاجر مع إبراهيم إلى
الشام فنزل سدوم وتزوج من أهلها فأرسل إليهم نبيا فدعاهم فلم يطيعوه فأهلكهم بأن
أمطر عليهم الحجارة وقيل أمطر على المقيمين وخسف بالمسافرين وقيل كان رجل منهم بالحرم فوقف
حجر في الجو أربعين يوما إلى أن خرج فوقع عليه فقتله وقيل كان خمس بلدان وإلى مدين أخاهم شعيبا
أي وأرسلنا إلى مدين عطف على نوحا إلى قومه ومدين اسم بلدة سمي باسم بانيها وهو مدين بن ولد
بن إبراهيم وشعيب بن ميكيل من أولاد ابنة لوط ويسمى خطيب الأنبياء لحسن فصاحته وغاية
بلاغته في تبليغ الأحكام والدعاء في الدعاء قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم
بينة من ربكم معجزة دالة على نبوتي وليست بمذكورة في القرآن كما لم تذكر معجزة كثير من الأنبياء
وأما محاربة عصى موسى التنين وولادة الغنم الدرع وكانت هي الموعودة لموسى ووقوع عصى
آدم في يد موسى في المرات السبع لا يستقيم حمل ما في الآية عليه لتأخرها عن هذه المقالة مع احتمالها
كرامة موسى وإرهاصا لنبوته فأوفوا الكيل والميزان أي آلة الكيل لمقارنة مع الميزان ولقوله
والمكيال في سورة هود وحمل الميزان على المصدر بعيد غير مستعمل ولا تبخسوا الناس أشياءهم
تعميم بعد التخصيص وتصريح بما علم ضمنا وذكر الكيل والميزان لفرط احتياج الناس إلى الكيل والوزن
ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها أي بعدما أصلح الأنبياء شأن أهلها بالشرع القويم ويجوز
أن يكون إضافة إلى الفاعل مجازا كإضافة المكر إلى الليل والنهار ذلكم خير لكم إشارة إلى ما أمرهم
به ونهاهم عنه أي العمل به والمراد بالخيرية الزيادة المطلقة أو في الإنسانية وحسن الأحدوثة
إذ لا خير فيما كانوا عليه والكسب والربح إذ لا بركة مع الخيانة إن كنتم مؤمنين مصدقين
لقولي لأنهم لم يكونوا من الإيمان في شيء ولا تقعدوا بكل صراط توعدون كانوا يقعدون على
المراصد يرصدون من قصد شعيبا للإيمان به توعدونه بالقتل وسائر أنواع العذاب وقيل
كانوا يقطعون الطريق ويجوز أن يراد بكل صراط مناهج الحق وشعب الدين من المعارف والأحكام
والحدود على الإيمان فإن الإيمان بضع وسبعون شعبة والأول هو الوجه لقوله وتصدون
عن سبيل الله ولقوله فلهذا سبيلي وأن هذا صراطي مستقيما صراط الله الذي له ما في السموات
وإضافة السبيل إليه مثل ناقة الله من آمن به مفعول تصدون وتعدد لتوعدون إذ لو كان له لقال
تصدونهم ولقيل تصدونه لأنه المختار والمضارعات موقع الحال من فاعل تقعدون وتبغونها
عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا بإلقاء الشبه فيها أو بوصفكم للناس بأنها معوجة وما عليه و
يجوز أن يكون تهكما بهم لأنهم يطلبون ما هو محال فحقيقتها واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم فقليل
العدد فكثركم في العدد أو كنتم مقلين فقراء فجعلكم مكثرين موسرين والذكر ذكر القلب بالتدبر
لا بالتوقير والتشكر وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الأمم قبلكم قوم لوط لقوله ومثله

لوطا منكم ببعيد وان كان طائفة منكم امنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا امر للفريقين
بالصبر والانتظار حتى يحكم الله بيننا بنصر المؤمنين على الكافرين لقوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين
وهو خير الحاكمين اذ يستحيل في حقه الظلم ولا معقب لحكمه قال الملأ الذين استكبروا من قومه
لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا لم يلتفتوا الى نصحه وقابلوه
على داب السفهاء بما يكره وهو احد الامرين واكدوه بالقسم لفرط الاهتمام وشعيب وان لم يكن
على ملتهم لكونه معصوما عن الكفر قبل النبوة ولكن غلب عليه من امن معه ولذلك اجرى الجواب على
التغليب قال اولو كنا كارهين عطف على مقدر اي انعود فيها ولو كنا كارهين لها والقول بان لو مع
ان ليس بشيء لان المعنى على الفرض قد افترينا على الله كذبا استيناف فيه معنى التعجب وادخل عليه
قد للتحقيق لا للتقريب من الحال وقيل قسم محذوف اللام ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله
منها شرط حذف جوابه لدلالة ما تقدم عليه واذ بمعنى ان مصدرية والمعنى ان هممنا بالعود في
المستقبل فنحن في الحال مفترون باعتقاد حقية ما انتم عليه وبطلان ما نحن فيه وما يكون لنا ان
نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا اي يستحيل ذلك العود منا الا ان تعلقت مشيته تعالى به فانه يقع
لا محالة وهذا صريح في ان الكفر بمشيته تعالى وسع ربنا كل شيء علما وما علمه لابد من وقوعه ايمانا
او كفرا على الله توكلنا وضع المظهر موضع المضمر لان الالوهية تلايم التوكل والتفويض ربنا
افتح بيننا وبين قومنا بالحق من الفتاحة وهي الحكم والقاضي يسمى الفاتح وقوله بالحق لاظهار
الوثوق من الداعي بانه على الحق وانت خير الفاتحين لعدم تصور الجور منك وقال الملأ الذين
كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون دينكم لانكم على الحق وهو على الباطل او دنيا
لفوات ما كان يحصل لكم بالبخس والتطفيف وانما عبر بالاستكبار اولا للملاءمة الاخراج والاكراه
على العود في ملتهم وثانيا بالكفر لانه انكار بحت بعد ظهور الحق فاخذتهم الرجفة فاصبحوا
في دارهم جاثمين الزلزلة وفي سورة هود الصيحة لاجتماعهما كانه قيل تاخذهم العذاب من فوقهم
ومن تحتهم الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها في القرية التي كانوا يريدون اخراج شعيب
منها من غني بالكسر اذا اقام كناية عن استيصالهم الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين الكاملين
في الخسران لذهاب الدين والدنيا راسا لا من اتبع شعيبا كما زعموا استيناف ترتيبي وصدر
الاستينافين بالموصول مبالغة في تسوية حالهم وتقبيح مالهم فتولى عنهم بعد اهلاكهم وقال
يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي اكد الكلام لتصويرهم احياء بصفة الانكار ونصحت لكم فكيف
اسى على قوم كافرين كانه قيل له لم تاسف على قومك فاجاب بما اجاب والكلام مع نفسه لما
تاسف عليهم في بداء الاعراب نفسه بانهم كافرون لا وجه للاسى عليهم او الكلام مع قومه
لكن لما وصفهم بالكفر عدل عن الخطاب تبعيدا لهم وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها
بالباساء والضراء مصدران بمعنى البوس والضر الاول في البدن والثاني في المال لعلهم
يضرعون كي يتذللوا ويتبعوا الانبياء ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي بعد ذلك اجرينا
عليهم الصحة والنعم وطاب حالهم وصفا عيشهم حتى عفوا كثروا من العفو بمعنى الزيادة يسئلونك

يسئلونك ماذا ينفقون قل العفو وفي الحديث احفوا الشوارب واعفوا اللحى وقالوا قد مس اباءنا
الضراء والسراء اي هذا من عادة الدهر مع اهله فاخذناهم بغتة فجاة وهم لا يشعرون
كما نفعل بقوم هود ظنوا ان في الغيم مطرا فكان فيه عذاب اليم وقوم لوط كانوا نائمين
على فرشهم وقت السحر ولو ان اهل القرى المبعوث اليهم امنوا بلسانهم واتقوا بقلوبهم لقوله
صلى الله عليه وسلم انما التقوى ههنا واشار الى صدره وقيل اتقوا المعاصي لفتحنا عليهم بركات
من السماء والارض لوسعنا عليهم من جميع الجهات من قولهم باب فتح اي واسع وقارورة فتح اي
واسعة وقيل بركات السماء المطر والارض النبات ولكن كذبوا الانبياء فاخذناهم بالعذاب
بما كانوا يكسبون بسبب كسبهم الكفر والمعاصي وفائدة لفظ كان الدلالة على استمرارهم في ذلك
وتكامل جناياتهم وحمل القرى على مكة وما حولها لا يستقيم لان السورة مكية ولم يقع العذاب
على اهل مكة ورسول الله بها لقوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم افامن اهل القرى اي
اهل مكة وما حولها عطف على مقدر دخله الاستفهام اي بعدما علموا احوال اولئك وما نزل
بهم امنوا التعجب من عنادهم في الغفلة ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نائمون اي كالذي في قوم لوط
مصدر في موقع الحال او وقت بيات او بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون
حال من المستتر في بياتا ان كان حالا والا فمن المنصوب في ياتيهم او امن اهل القرى ان
ياتيهم باسنا ضحى وهم يلعبون لاهين عن امر الاخرة فهم كاللاعبين والضحى وقت ارتفاع
النهار قيد رمح وهو في الاصل ضوء الشمس سمي به الوقت المذكور لتكامل شعاع الشمس فيه
وقرا نافع وابن كثير وابن عامر بسكون الواو على ان او عاطفة اي امنوا احد العقبتين
افامنوا مكر الله عن استدراجه اياهم من حيث لا يشعرون وانما عطف الثاني بالواو وهذا بالفاء
لان المعنى اخذناهم بغتة فلا صنعوا ما صنعوا بعد ذلك امن اهل هذه القرى من مجيء باسنا
بياتا وامنوا اتيانه ضحى فالمنكر امنهم اتيان الباس في هذين الوقتين من غير ترتيب واما الثالث
فتكرير للاول على طريقة الجمع بعد التقسيم مبالغة في التحذير فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون
الكاملون في الخسران اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها يخلفون ويملكون ديارهم
واذا عدي هذا باللام كان معناه التبيين ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ان الشان لو نشاء
عذبناهم كما فعلنا بمن قبلهم من المصرين فهو فاعل ولم يهد ومن قرا بالنون جعله مفعولا
ونطبع على قلوبهم قلوب هؤلاء المصرين كلام مستانف على طريقة الاعتراض قاله الزجاج
والفراء او عطف على ما دل عليه الكلام السابق اي يغفلون عن الهداية ولا يستقيم عطفه على
جواب لو لافضائه الى انتفاء الطبع الذي دل على وجوده قوله فهم لا يسمعون تلك القرى
هي المار ذكرها مبتدا وخبر نقص عليك من انبائها نقص اخبار سكانها من اصرارهم وما لحقهم
من العذاب بعده ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات المعجزات الواضحة ازاحة للعذر والزاما
للحجة فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل لكونهم مختوما على قلوبهم وانما زاد لفظ كان ولام الجحد
مبالغة في نفي الايمان عنهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين مثل طبعنا على قلوب اهل

اهل القرى المار ذكرهم نطبع على قلب كل كافر سبق علمنا بعدم ايمانه وانما التفت الى الغيبة لان
الطبع صفة فهو يناسب لفظ الجلالة الدالة على الالوهية والقهر وما وجدنا لاكثرهم
من عهد اى لاكثر الناس وفاء بعهد اعتراض بين قصة اصحاب القرى او لاكثر الامم المار ذكرهم
والعهد هنا اقرارهم في جواب الست بربكم او ما عاهدوا الله عليه عند الوقوع في الشدة من
قولهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وان وجدنا اكثرهم لفاسقين وان الشان
علمنا بان اكثرهم خارجون عن الطاعة متمردون والوجدان معناه العلم لدخول اللام المستلزمة
للمبتداء والخبر ثم بعثنا من بعدهم موسى اى بعد الرسل المذكورين او المرسل اليهم وانما لم يذكر
قصة موسى في تلك القصص ولم يسقها على ذلك النمط لاشتمالها على وقايع كثيرة وغرايب
عظيمة بآياتنا بمعجزاتنا فظلموا بها كفروا بها ضمن بها معناه لدلالته على ان الكفر بتلك
الايات ظلم لانهم جحدوا الاتباع عن الايمان واذوا من امن بها او ظلموا انفسهم بكفرهم بها
فانظر كيف كان عاقبة المفسدين تامل وتدبر الخطاب عام وقال موسى يا فرعون انى رسول من رب
العالمين اليك والى قومك وانما وصفه برب العالمين ليدخل فرعون فيهم واختار لفظة
الرب رمزا الى انه منعم يجب الايمان به شكرا للنعمة حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق
جواب لتكذيبه اياه ومعناه واجب على اداء الرسالة على الوجه المطابق لنفس الامر هذا على
قراءة تشديد الياء كما هو قراءة نافع واما على قراءة غيره بسكون الياء فمحمول على القلب مبالغة كان
الوجوب الذى هو صفته سرى الى القول وضمن معنى الحرص وجعل قول الحق بمنزلة رجل يجب عليه
شيء ثم جعل قايليته بمنزلة الواجب على قول الحق على طريقة الاستعارة المكنية وفرعون لقب
من ملك مصر كتبع لمن ملك اليمن والنجاشى لمن ملك الحبشة واسم فرعون موسى قابوس وقيل اسمه وليد
بن المصعب بن ريان ولشهرته بالعتو والطغيان يشتق من اسمه الفعل فيقال تفرعن لكل متحكم
من عناد وتجبر قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معى بنى اسرائيل الى موطن ابائهم وهى ارض الشام فانه
استعبدهم بعد الانبياء قال ان كنت جئت باية فأت بها اى اظهر ما تزعم انك جئت به ان
كنت من الصادقين فى دعواك الرسالة فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين واضح لكل احد لا شك
فيه والثعبان ضرب من الحية طوال وعبر عنه في النمل بالجان وهى حية بيضاء لاجتماع الصفتين
فيهما روى انه لما القاه صار ثعبانا اشعر فاتحا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل
فى الارض ولحيه الاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فوثب فرعون من سريره واستطلق
بطنه ولم يكن احدث قبل كان يستفرغ ما ياكله وحمل على الناس فانهزموا ومات من شدة
الازدحام خمسة وعشرون الف انسان ونادى فرعون يا موسى خذه وانا اومن بك وارسل معك
بنى اسرائيل فاخذه فاذا هو عصا مثل ما كان ونزع يده من تحت مدرعته وكان عليه جبة صوف
فاخرج يده منها فاذا هى بيضاء بياضا نورانيا يغلب شعاعه شعاع الشمس وكان موسى ادم شديد
الادمة للناظرين متعلق ببيضاء والمعنى ان بياضها كان خارقا للعادة يجتمع له النظار تعجبا واما
قصة ولادته وتبنى فرعون وفراره بعد قتل القبطى فلم يذكر هنا لكونه مسوقا في القصص ولم

فى القصص ولم يتعلق بذكره هنا غرض قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم تقاولوا
بهذه المقالة عند التشاور وحكى هنا مقالة الملأ وفى الشعراء مقالة للملأ او هو القائل
ابتداء وهذا الكلام الملأ مع اتباعهم او قالوا للناس تبليغا عنه كما هو شان الملوك فان
الخاصة تبلغ اوامرهم الى العامة يؤيده قولهم ارجه واخاه يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا
تامرون الامر على حقيقته ان كان كلام الملأ مع فرعون ومعناه الاشارة ان كان كلام فرعون
مع قومه قالوا ارجه واخاه وارسل فى المداين حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم من الارجاء
وهو التاخير اى اخره واخاه واحشر من سائر بلادك كل ساحر ماهر لمعارضته قرأ نافع فى
رواية قالون ارجه بكسر الهاء بلا همز وكذا ورش عنه الا انه وصل كسر الهاء بالياء وابن كثير
بالهمز ساكنا مع ضم الهاء الموصولة بالواو وكذا ابو عمرو الا انه لم يوصل الضم وهشام عن ابن
عامر فكابى عمرو وابن ذكوان بالهمز وكسر الهاء دون وصل وعاصم وحمزة بسكون الهاء دون الهمز
والكسائى بكسر الهاء مع الصلة كورش وقرأ حمزة والكسائى سحار هنا وفى يونس ويؤيدهما الاتفاق
عليه فى الشعراء وجاء السحرة فرعون اى بعد ارساله فى طلبهم قالوا ائن لنا لاجرا ان كنا نحن
الغالبين استفهموا ليقوى عزمهم فيكون ادعى للنصح وقرأ نافع وابن كثير وعاصم فى رواية حفص
على الاخبار جزما بوجوب الاجر لعظم الامر قال نعم جواب عن الاستفهام وتصديق لذلك الخبر
وانكم لمن المقربين عطف على ما دل عليه نعم زادهم على ما تصوروه تحريضا لهم قالوا يا موسى اما
ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين خيروه كما هو دأب المتانين فى المناظرة وقولهم اما ان نكون
نحن الملقين باقحام ضمير الفصل وتعريف الخبر يدل على انهم كانوا راغبين فى البداءة بهم حاجتهم
الى ذلك قال القوا تحقيرا لشانهم وازدراء بهم وثقة بما عنده فلما القوا سحروا اعين الناس
خيلوا اليهم ما لا حقيقة له واسترهبوهم ارهبوهم ارهابا شديدا بدا لتبيين للتاكيد لا للطلب
او كانهم استدعوا رهبتهم وجاءو بسحر عظيم يروى انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا و
جعلوا فيها الزيبق فتوهم انها تتحرك وانها حيات عظام بعضها راكبة بعضا واوحينا
الى موسى ان الق عصاك فاذا هى تلقف من لقف بالكسر اذا تناوله سريعا ما يأفكون اى
فالقاها فصارت ثعبانا فاذا هى تلقف ما يزورونه ويحرفونه عن وجهه من الافك وهو الصرف وانما وضع المضارع
موضع الماضى استحضارا لتلك الصورة الهائلة وقرأ حفص تلقف بالتخفيف فوقع الحق ظهر بعد ما كان خفيا
وبطل ما كانوا يعملون ظهر بطلانه بحيث لم يبق فيه شبهة لما تلقفت تلك الحبال والاخشاب
وكانت عصى على ما هى بها الاولى فقالت السحرة لو كان هذا سحرا لازداد حجم العصى فغلبوا هنالك
فى ذلك المكان او الزمان وانقلبوا صاغرين صاروا او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين
الصغار وهو الذل والقى السحرة ساجدين من شدة ما بهرتهم الى السجدة كانت ملقيا القاهم
او بهرهم الحق فدهشوا لكونها والقاهم الله على وجوههم من غير اختيار منهم فامنوا مختارين قالوا
امنا برب العالمين ابدلوا بعطفه اياه لانه يجوز انه لم يتنازع في هذا القول المتقدم مرادهم
الى الايمان رب موسى وهارون بدل من رب العالمين لئلا يتوهم ان رب العالمين اريد به فرعون

لقوله ما علمت لكم من اله غيري قال فرعون آمنتم به بموسى والاستفهام للانكار وقرأ عاصم في رواية ابي بكر
وحمزة والكسائي بتحقيق الهمزتين واسقط حفص الاولى وابدلها قنبل واوا وفي الملك قبل ان آذن لكم
ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة في مصر قبل ان تخرجوا الى المناظرة لتخرجوا منها اهلها اي القبط
وتخلو لكم ولبني اسرائيل فسوف تعلمون ما اجازيكم به من العقاب اجمال فصله بقوله لاقطعن ايديكم
وارجلكم من خلاف تقطيعا ناشئا من المخالفة بان تقطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى او بالعكس
قيل انه اول من سن هذا العذاب جعله جزاء قطاع الطريق لعظم جنايتهم ولذلك سمى فعلهم
محاربة الله ورسوله ثم لاصلبنكم اجمعين دلت لفظة ثم على انه بعد القطع لم يصلبهم على
الفور بل تركهم زمانا مطروحين على الارض احتقارا لشانهم ولما افاد هذا المعنى هنا ذكر
بالواو في سائر السور اختصارا قالوا انا الى ربنا منقلبون استطابوا ذلك العذاب لكونه
وصلة الى لقاء الله تعالى وعن قتادة انهم كانوا اول النهار كفارا سحرة وآخر النهار شهداء
بررة او ان مصيرنا ومصيرك الى الله فيجازيك على ما فعلت بنا ويجازينا على اتباع الحق والصبر على
عذابك او انا ميتون لا محالة سواء كان بقتلك او بطريق آخر من اسباب الموت وما تنقم منا
الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وما تعيب منا الا ما هو افضل المناقب واساس المآثر ومنه ولا
عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب وفيه ايماء الى فرط حماقة فرعون حيث
جعل الايمان الذي لا يدانيه كمال سببا للقتل ربنا افرغ علينا صبرا افضه علينا كما يفرغ
الماء عليه اذ غمرته باستعارة تبعية طلبوا عند اشد العذاب لجزل العطاء وقد روى البخاري
انه قال صلى الله عليه وسلم لم يعط احد عطاء خيرا واوسع من الصبر وتوفنا مسلمين ثابتين
لقضائك قال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض بدعوة الناس الى
مخالفتك وحاشيتهم لما علموا ان بموسى ستمائة الف من بني اسرائيل فقالهم ذلك فقتا ولو انهم
المقالة ويذرك وآلهتك كان من فرط عتوه جعل اصناما لقومه على طريقة عبدة الاصنام ليتقربوا
بعبادتها اليه لدى الحاجة ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقيل كان يعبد الكواكب وقيل يشبه
لقوله ما علمت لكم من اله غيري ويذرك منصوب بالعطف على ليفسدوا واللام للعاقبة على
طريقة قوله ليكون لهم عدوا وحزنا وجواب للاستفهام بالواو كقول الحطيئة الم اك
جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء والمعنى ايكون منك ترك موسى ويكون منه تركه
اياك وآلهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل قبل ولادته لئلا يظن العامة
انه المولود الذي حكمت الكهنة والمنجمون بزوال ملكنا على يده قرأ ابو عمرو وابن عامر وعاصم
وحمزة والكسائي بضم النون وفتح القاف وتشديد التاء وهو ابلغ واوفق بالمقام وانا فوقهم
قاهرون مستمرون بصفة القهر لم تزل قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا جواب
سؤال كانه قيل ماذا قال موسى حين قال فرعون تلك المقالة وانما قال موسى لقومه ما قال تشجيعا
لهم وتسلية بقوله ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده فلا اعتبار بمقالته والعاقبة
للمتقين الجامعين بين الطاعات واجتناب المعاصي وفرعون وقومه ليسوا في شيء من ذلك

من ذلك واما لم يسنده الى نفسه مع كونه جازما بذلك هضما لنفسه قالوا اوذينا من قبل ان تأتينا
بالرسالة بقتل الابناء والاستعباد ومن بعد ما جئتنا باعادة ذلك فحق اذا اظهرنا الجزع
فلنا فيه معذرة قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون انشكرون
ما من به عليكم من الامارة بعد الرق والعبودية ام تكفرون روي ان عمرو بن عبيد دخل على
المنصور قبل الخلافة فلم تكن على مائدته الا رغيفان فطلب الزيادة لعمرو فلم يوجد بحيث
لحن فقرا عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعد الخلافة فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف
تعملون ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات بالجدب والقحط وقلة الامطار
والسنة غلبت على عام القحط لان الوقائع بها تؤرخ وكثرة دورانها على السنتهم لعلهم يذكرون
ان ذلك بسبب كفرانهم النعم فيسارعوا الى التوبة بشكر موليها فاذا جاءتهم الحسنة اي الخصب
والرخاء كثيرا والسيئة التي تقابلها نادرا اتى في الاول باذا مع الماضي وفي الثاني بان مع
المضارع ولا يرد قوله واذا مس الناس الضر لان المراد اي ضر كان بالنسبة الى الانسان المعرض
الكافر للنعم الجدير بان يصيبه كل آفة قالوا لنا هذه مختصة بنا لمزية فينا توجب الاختصاص
وان تصبهم سيئة قحط وفاقة يطيروا بموسى ومن معه يتشاءموا بهم ويقولون هذا بشومهم
وهذا على داب العرب فانهم كانوا يسمون الشوم طيرا وطائرا وطيرة تشاؤمهم بالبارح
ونعيق الغراب والآية دلت على فرط غباوتهم لادعوى الاختصاص بمحاسنهم مع انهماكهم في الكفر والطغيان
ونسبة السيئة لمن هو مستغرق في شكر نعم الله قائم باوامره ونواهيه نهاية الغي والجهالة
الا انما طائرهم عند الله اي ذلك الشوم انما هو بقدر الله ومشيئته السبب عن كفرانهم ومعاصيهم
لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد ولما ذهبهم في الغفلة صدر الجملة بحرف التنبيه
وانما ولكن اكثرهم لا يعلمون الامور على وجهها فيؤديهم ذلك الى العلم بان الامر كله لله وقيد الاكثر
يدل على ان قليلا منهم كانوا عالمين بذلك ولكن تابعوا الاكثر في هواهم وقالوا مهما اصله ما الشرطية
زيد عليها ما للتأكيد والاستثقال التكرار قلبت الالف هاء وقيل مركبة من مه الذي هو اسم
الفعل بمعنى اكفف وما الجزائية ومحلها الرفع على الابتداء او النصب على شريطة التفسير تأتنا به
اي تحضرنا به من آية بيان لما وتسميته ما جاء به آية تهكم او على زعم موسى لتسحرنا بها ذكر الضمير اولا
وانثه ثانيا نظرا الى اللفظ والمعنى فما نحن لك بمؤمنين اقناط لموسى وردوع عن الاشتغال باظهار
المعجزات فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم الطوفان مصدر كالغفران
من طاف بالشيء قيل مطر ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا يقدر احد على الخروج
من داره وامتلأت بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء وبيوت بني اسرائيل مشتبكة ولم يدخل
فيها قطرة وامتنعوا بذلك عن اسباب المعاش وقيل هو الجدري وهو اول عذاب وقع فيهم وقيل
في الارض وقيل هو الموت الذريع فاستغاثوا بموسى فدعى لهم فارتفع عنهم فاقاموا شهرا ثم
نقضوا فارسل عليهم الجراد فاكل كل شيء حتى الابواب والسقوف والثياب ولم يدخل بيت بني اسرائيل
ولا اكل من اموالهم شيئا ففزعوا الى موسى فدعى واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد

الى النواحي فلما كشف عنهم نقضوا العهد فسلط عليهم القمل جمع دويبة اصغر من القردان وعن ابي
عبيدة هي كبار القردان وقيل هي اولاد الجراد قبل نبات جناحها وقيل البراغيث وعن سعيد بن جبير
السوس فاكل ما ابقاه الجراد وقيل لما عصوا بعد انكشاف الجراد كان الى جنبهم كثيب فضربه موسى
بعصاه فصار قملا فاخذ في اكل ابشارهم واشعارهم واشفار عيونهم وحواجبهم فتابوا الى الله تعالى
فانكشف عنهم فاقاموا يسيرا ونقضوا التوبة فارسل الله عليهم الضفادع فامتلأت بيوتهم
ذا اتاهم ضفادع وكان اذا اراد القبطي التكلم وثب الضفدع الى فيه وامتلأت مضاجعهم
فلم يقدروا على الرقاد فلجأوا الى موسى فدعا الله فكشف عنهم فاقاموا يسيرا ثم نقضوا العهد
فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما فشكوا الى فرعون فقال هذا من سحره فشرع
يجمع القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فما يلي الاسرائيلي يكون ماء قراحا وما يلي القبطي دما
عبيطا حتى ان المرأة القبطية يقول لجارتها الاسرائيلية اجعلي الماء في فيك ثم مجيه في فمي فيعود
فيصير وما في فيها دما وقيل جرى عليهم النيل دما وقيل سلط الله عليهم الرعاف قيل مكث موسى
فيهم عشرين سنة بعد قصة السحرة يدعوهم الى الله ويريهم الآيات يتوبون تارة وينقضون
اخرى آيات مفصلات لا يشك العاقل انها من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره او فصل بعضها
من بعض بزمان ليعلم مآل توبتهم هل هم مخلصون ام لا الزاما للحجة فاستكبروا عن الايمان
وكانوا قوما مجرمين مستمرين على الاجرام ولما وقع عليهم الرجز هو العذاب المفصل وقيل هو
الطاعون ارسل عليهم بعد ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك بنبوتك فان
النبوة عهد من الله لرسله كما يكتب الملوك للولاة العهود والمناشير او بالذي عهد اليك من الاسرار
والاسماء التي اذا دعوت بها اجابك وعلى الوجهين الباء صلة ادع او حال اي متوسلا بما عهد عندك
او الباء للقسم جوابه لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا
عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه في علم الله وهو الوقت المقدر لاهلاكهم وقيل الى وقت غرقهم
لايمانهم وكانهم كانوا عينوا وقتا يجتمع فيه الحاضر والبادي والوجه هو الاول اذا هم ينكثون
فاجئوا النكث ونقض العهد جواب لما واذا الفجائية سدت مسد الفاء فانتقمنا منهم
واردنا الانتقام لان ما يعقبه من الاغراق هو الانتقام ويحتمل كون الفاء تفسيرا فاغرقناهم
في اليم في البحر وقيل بحر لا يدرك قعره وقيل لجة بانهم كذبوا بآياتنا اي ذلك الاغراق بسبب
عن تكذيبهم بتلك الآيات وكانوا عنها غافلين مستمرين على الغفلة اشارة الى ان ما حل بهم
ليس ناشيا من التكذيب وحده حتى لو تداركوا التكذيب لم يحل بهم ما حل واورثنا القوم الذين
كانوا يستضعفون بذبح الابناء وسائر انواع الخدام مشارق الارض ومغاربها ارض الشام
ملكها بنو اسرائيل بعد هلاك فرعون والعمالقة وتمكنوا فيها التي باركنا فيها بالاشجار والانهار
او بانها موطن الانبياء ومثابة الاولياء وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل ما وعد بقوله
ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين والحسنى تانيث
الاحسن واستعمال التمام بعلى مبالغة في انجاز الوعد كانه استعلاهم وشملهم بما صبروا بصبرهم

بصبرهم حيث قال لهم موسى استعينوا بالله واصبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه اهلكنا
واعدمنا مكايده ومحونا آثار تجاوزه وابطاله من الدمار وهو الهلاك وما كانوا يعرشون من
القصور والبنيان العالية كصرح هامان وما رفعوه من الكروم والبساتين قرا ابو بكر عن
عاصم وابن عامر بضم الراء روي ان فرعون عاش اربعمائة عام لم يصبه مرض وشيد القصور فاعدم
الله وما فيه في طرفة عين تمت قصته هنا وجاوزنا ببني اسرائيل البحر شرع في قبائح بني اسرائيل
وذكر ما قابلوا به نعم الله العظام من انواع الجهالات فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم
يقبلون على عبادتها ملازمين من عكف على الشيء اقبل عليه مواظبا والقوم كانوا من العمالقة
الجبارين الذين امر الله بقتالهم وقيل من لخم وقرأ حمزة والكسائي بكسر الكاف والباقون بضم
قالوا يا موسى اجعل لنا الها نتقرب به ونجعله وسيلة الى المعبود الحقيقي كما لهم آلهة يتوسلون
بها قال انكم قوم تجهلون ذلكم للجهل يحدث منكم وقتا بعد وقت قيل تلك التماثيل التي
رأوها كانت على صورة البقر ومن هنالك مالوا الى عبادة عجل السامري وفي بلاد الهند الى
الآن طائفة من السامرة يعبدون البقر وقد سمعت جما غفيرا ان ملوكهم يلطخون اشرف
مواضعهم بروث البقر تقربا به الى الله واما ذبح البقر فعندهم لا جريمة فوقها ان هؤلاء
متبر ما هم فيه مهلك لا ثبات له من التبار وهو الهلاك وباطل ما كانوا يعملون من عبادة
الاصنام لا يؤتيه دليل فالاول بالنظر الى الاعتقاد والثاني بالنظر الى العمل ولذلك نسب
الى الاول الهلاك والى الثاني البطلان قال اغير الله ابغيكم الها ومعبودا من بغيته الشيء
طلبته له وهو فضلكم على العالمين بانواع الكرامات لم يشاركم في ذلك احد ولا سبق
لكم استحقاق واي فائدة في ذلك اذا كان هو المنفرد واذ انجيناكم من آل فرعون ابتداء كلام
من الله تعالى بعد ما ذكر موسى وتقريعا لبني اسرائيل اي واذكروا تلك النعمة العظيمة وقرأ ابن عامر
انجاكم فيكون من مقول موسى والاول هو المختار لموافقته واعدنا وكونه اوفق معنى لتغيير
الاسلوب يسومونكم سوء العذاب يريدونكم عليه فهو من سام الشيء اذا اجبره عليه وسوء
العذاب من اضافة الصفة الى الموصوف يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم بيان لسوء العذاب
وصيغته التفعيل للدلالة على كثرة القتل وقرأ نافع يقتلون بفتح الياء مخففا وفي ذلكم بلاء
من ربكم عظيم في الانجاء نعمة عظيمة او في العذاب نقمة جسيمة وواعدنا موسى ثلثين ليلة وعدنا
بعشر لما كانوا بنو اسرائيل بمصر وعدهم موسى ان يأتيهم بكتاب بعد هلاك فرعون يكون فيه بيان
ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه ذلك الكتاب فامر بصوم ثلثين يوما
وهو شهر ذي القعدة فلما فرغ منه استاك فقال الله تعالى اما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب
عندي من ريح المسك فصام عشر ذي الحجة فذلك قوله واتممناها بعشر وعدنا باسقاط الالف حيث وقع
وهو المختار لان الوعد منه تعالى وحده وعليه رسم المصاحف فتم ميقات ربه اربعين ليلة
بالغا اربعين نصب على الحال وقيل خبر تم لانه فعل ناقص وانما ذكر الليالي لان الصوم في النهار
لان الليالي غرر الايام وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي واصلح كن خليفة عليهم لان هرون

وان كان نبيا لكن كان موسى صاحب الشريعة واقدم منه وان كان اصغر سنا منه واصلح ما يفسد من امر الدين لعلمه بجهالة بني اسرائيل ولا تتبع سبيل المفسدين ولا تسلك سبيل من يدعوك الى الافساد فلما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتنا لمجيئه فاللام للاختصاص اي اختص مجيئه بذلك الوقت ويقال له لام التبيين والتوقيت مثله اقم الصلوة لدلوك الشمس وكلمه ربه من وراء حجاب بلا واسطة اي اسمعه كلامه القديم بلا صوت وحرف او اوجد اصواتا وحروفا في سمعه فلما سمع الكلام هاج شوقه الى رؤية المتكلم قال رب ارني انظر اليك ارني نفسك اي مكني من رؤيتك فانظر اليك فاريك وهذا لان الرؤية مسبوقة بالنظر يقال نظرت الى الشيء فلم اره قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني علق رؤية موسى على ثبوت الجبل مع استوائه ولا ريب انه امر ممكن فيكون المعلق عليه ايضا ممكنا ولا يلزم من قوله لن تراني نفي امكان الرؤية مطلقا ولذلك لم يقل ذلك محال او لن ارى ولا قيد المنفي بلن بما يفيد التأبيد وقد روى البخاري ومسلم عنه صلى الله عليه وسلم انكم سترون ربكم كما ترون الشمس وقت الظهيرة ليس دونها سحاب وحمل الرؤية على المعرفة لا وجه له لانه صرف الحقيقة من غير ضرورة والرؤية بخلق الله لا يستدعي الجهة ومن جوز سماع كلامه من غير جهة ومنع الرؤية واستحاله كذلك فقد اتى بما لا يرتضيه عاقل واما قوله لا تدركه الابصار فلا يقوم دليلا لان الادراك هو الاحاطة وتحقيق هذه المسئلة مع الاطناب في علم الكلام فلما تجلى ربه للجبل بعد ان خلق فيه الرؤية جعله دكا مدكوكا متفتتا مستويا بالارض وقرأ حمزة والكسائي دكاء ممدودا اي ارضا مستوية وكان في ذلك ارشاد لموسى الى انه مع تلك القدرة في هذه الدار لا يمكن له ذلك وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما رأى فلما افاق قال سبحانك تبت اليك من جرأتي واقدامي على تلك المسئلة من غير استيذان وانا اول المؤمنين بان الرؤية في هذه الدار لا يكون ولا تيسر لاحد تقدم قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي باحكام التورية فان كل حكم رسالة من الله وقرأ نافع وابن كثير بالتوحيد وهذا اوفق بما بعده وبكلامي بتكليمي اياك فخذ ما اتيتك من الرسالة والتقريب وكن من الشاكرين على هذه النعمة التي هي اقصى مراتب البشر و ان تفاوتت الافراد ولو حصلت الرؤية لموسى لم يبق لسيد البشر ما يمتاز به عن سائر الرسل فكانت مدخرة له صلى الله عليه وسلم وكتبنا له في الالواح من كل شيء مما يحتاجون اليه في امر دينهم مثله واوتيت من كل شيء موعظة بدل من محل المجرور وتفصيلا لكل شيء عطف على البدل اي وكتبنا له في الالواح المواعظ وتفصيل الاحكام فالاول يفتقر اليه الاعتقاد والثاني الى العمل والالواح كانت عشرة وقيل سبعة كانت من زمرد او زبرجد او ياقوت احمر وقيل من صخرة لينها لموسى فقطعها بيده فخذها بقوة الالواح عطف على كتبنا بتقدير القول وجعله بدلا من فخذ والضمير للرسالة بعيد بقوة بجد وعزيمة كما هو شان اولي العزم وأمر قومك يأخذوا باحسنها ارشدهم الى الاولى والاخلق فان التورية فيها الاحسن والحسن وهذا مثل قوله اتبعوا احسن ما انزل اليكم سأريكم دار الفاسقين مقر دار فرعون واتباعهم مصر وديارها خاوية

خاوية على عروشها او ديار عاد وثمود في ممركم الى الارض المقدسة او جهنم يوم القيمة وانما ذكره بعد الامر بالاخذ بما في التورية من الاحكام تحذيرا عن المخالفة لشيء منها فيحل به ما حل باولئك سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض باهلاكهم وعد لهم بانهم منصورون ويفعل بعدوهم ما فعل بفرعون او اصرفهم عن ابطال الآيات وان اجتهدوا وبذلوا وسعهم كما فعل بفرعون بعد ما افرغ جهده في ابطال معجزات موسى بغير الحق صلة يتكبرون اي يتكبرون بما يغاير الحق وهو دينهم الباطل او حال عن الفاعل اي يتكبرون غير محقين فان المتكبر حقا هو الله وان يروا كل آية يمكن اثبات الرسل بها لا يؤمنوا بها لان الطبع قد سد طريق الادراك عليهم وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا لان على ابصارهم غشاوة وقرأ حمزة والكسائي الرشد بفتح الراء والشين وهما لغتان كالسقم والسقم وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا لانهم عماة يعوذهم الشيطان اليه ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين اي عدم الايمان بالآيات وترك سبيل الرشاد وسلوك سبيل الفساد بسبب تكذيبهم بالآيات او ذلك الصرف للتكذيب بالآيات والغفلة عنها ذلك رفع على الابتداء او نصب على المصدر والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة الآخرة او ما وعدهم الله في الدار الآخرة من اضافة المصدر الى المفعول او الظرف حبطت اعمالهم لعدم الايمان الذي هو الاساس هل يجزون الا ما كانوا يعملون لا يجزون الا جزاء اعمالهم واتخذ قوم موسى من بعده من بعد ذهابه الى الطور ليرجع في نوع لتجربة من صالحي بني اسرائيل من حليهم جمع حلي كثدي جمع ثدي وقرأ حمزة والكسائي بكسر الحاء اتباعا لكسر اللام عجلا جسدا كسائر الاجساد له خوار هو صوت البقر قيل صار ذا لحم و دم وحصل فيه الحيوة لانه رمى فيه قبضة من تراب موطئ فرس جبرائيل وقيل بل كان ذا جوف فيه انابيب وضعه السامري على مهب الريح فاذا دخل جوفه وسرى في تلك الانابيب ظهر منه صوت يشبه صوت البقر فان قلت الحلي كان للقبط وكان مستعارا في يد بني اسرائيل والغنايم لم تحل لاحد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته بل كانوا يجمعون الغنايم فتحرقها النار قلت لعل موسى لم يطلع على تلك الحلي في ايدي بني اسرائيل ولذلك احرق العجل بعد رجوعه ونسفه في اليم نسفا او قضية بني اسرائيل مستثناة لقتل القبط ابناءهم واستعبادهم اياهم يدل عليه قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون ومقام كريم كذلك واورثناها بني اسرائيل وانما نسب الاتخاذ الى قوم موسى والمتخذ هو السامري لرضاهم بذلك او لكونهم اتخذوه الها يعبدونه الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا قدح في عدم اقتداره على ما يقدر عليه آحاد البشر من مجرد الكلام والهداية الى سبيل ما ومع ذلك اتخذوه الها تفريع على فرط غباوتهم اتخذوه وكانوا ظالمين اعاده مقيدا بما يفيد زيادة التوبيخ اي ليس ذلك الاتخاذ اول منكر صدر منهم بل دأبهم الاستمرار على وضع الاشياء في غير موضعها ولما سقط في ايديهم اي ندموا غاية الندم لان من اشتد ندمه يعض بنانه قال شعر كأني سبابة المتندم واصل التركيب سقط افواههم في ايديهم حتى كانهم لم يتملكوا بل كانوا عضوا الايدي من غير اختيار منهم فالكلام كناية ايمانية ورأوا انهم قد ضلوا

ظهر لهم ظهور المحسوس قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التوبة ويغفر لنا ما صدر منا لنكونن من
الخاسرين الكاملين في الخسران وحمزة والكسائي الفعلين بالخطاب ونصب ربنا على النداء والخطاب
او في المقام لدلالته على الاستكانة لمن يقبل التوبة عن عباده والغيبة حكاية فيما بينهم ولما
رجع موسى الى قومه غضبان اسفا اخبره تعالى بقوله انا قد فتنا قومك من بعدك
واضلهم السامري فرجع الى قومه والاسف الحزين وفي الحديث ان ابا بكر رجل اسيف اي حزين
بكاء قال بئسما خلفتموني الخطاب لهرون ومن معه من المؤمنين لقوله لهرون اخلفني في قومي
وفاعل بئس مضمر يفسره ما والمخصوص محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها خلافتكم من بعدي
اي بعدما رأيتم من التوحيد والذب عن عبادة غير الله تعالى وحمل البعدية على بعدية الانطلاق
يأباه لفظة الخلافة وجعله من قبيل البصرية يعني لا يناسب المقام اعجلتم امر ربكم ما امركم به من
الانتظار اربعين يوما يقال عجل زيد عن امره اي تركه غير تام فضمن معنى السبق او حذف عنه
الجار روي انه وعدهم بالرجوع في اربعين يوما فعدوا عشرين يوما اربعين اعتدادا بالليالي
لفرط بلادتهم والقى الالواح التي كان فيها التورية لفرط غضبه وكان شهيرا بالحدة و
الشدة في الدين وهرون عكس ذلك من سلامة الاخلاق ولين العريكة ولذلك كان احب الى
بني اسرائيل واخذ برأس اخيه يجره اليه ظنا منه انه قصر في الخلافة ومن قلع عين ملك الموت
حين دعاه الى الموت لا يبعد منه ان يفعل مع اخيه ما فعل اذ اعبد العجل قال ابن ام نسبه
الى الام وان كانا اخوين من ابويهم ترقيقا له بانهما ولدا من بطن وارتضعا ثديا قرأ ابن عامر
وابو بكر عن عاصم وحمزة والكسائي بكسر الميم لان اصله امي فحذف الياء اكتفاء بالكسرة والباقون بفتح
الميم تشبيها بخمسة عشر وما للتخفيف ان القوم استضعفوني عدوني ضعيفا وكادوا
يقتلونني ازاح ذلك الوهم بانه بالغ في النصح حتى قاربوا قتله وهذا القدر كان واجبا عليه من النهي عن
المنكر فلا تشمت بي الاعداء لا تجعلهم فرحين بي من الشماتة وهي فرح العدو بما نزل بعدوه
ولا تجعلني مع القوم الظالمين في عدادهم وحزبهم قال رب اغفر لي ما فرط من القاء الالواح
المسطورة فيها كلام الله وعدواني على اخي ولاخي ان ندر منه نوع تقصير وادخلنا في رحمتك الواسعة
كل شيء وانت ارحم الراحمين يجري النوال على قبيل الشكر ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب
من ربهم ابتداء كلام منه تعالى بان من عبد العجل وان لم يصبه على الفور جزاء جريمته فسيناله غضب الله
وانتقامه وهؤلاء ان كانوا هم التائبين فالغضب هو قتلهم انفسهم وان كانوا غير التائبين فعذاب
الآخرة وذلة في الحيوة الدنيا بخروجهم عن ديارهم لان ذلة الغربة شديد وقيل ما نال ابناءهم وهم
بنو قريظة والنضير من رسول الله من القتل والجلاء وكذلك نجزي المفترين على الله ولا فرية
اعظم من ادعاء الالوهية في ولد البقر والذين عملوا السيئات الكفر وسائر المعاصي ثم تابوا من بعدها
الى الله منها وامنوا اخلصوا الايمان او ثابتوا وما هو من موجبه وهي الاعمال الصالحة ان ربك من بعدها
ستار لتلك المعاصي رحيم بتبديلها حسنات من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله تغفر
سيئاتهم حسنات ولما سكت عن موسى الغضب باعتذار اخيه وتوبة القوم شبه الغضب بالحامل والموحي

بالحامل والمغري له على ما فعل ومكونه بالسكوت واخذ الالواح التي القاها وفي نسختها وفيما نسخ
فيها فعلة بمعنى المفعول كالقبطة والخطبة هدى الى الرشاد ورحمة للذين هم لربهم يرهبون
دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل لتقدم المفعول مثله ان كنتم للرؤيا تعبرون او المفعول
محذوف واللام للتعليل اي يرهبون المعاصي لله لا لامر آخر واختار موسى قومه سبعين رجلا
لميقاتنا اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل وهذا كثير في فصيح الكلام اذا امن اللبس
روي انه تعالى امره ان يأتيه الى الطور في سبعين رجلا من قومه من كل سبط فرقة ليسمعوا
كلامه موسى بالاوامر والنواهي ويكون ذلك ادعى لهم الى الطاعة فاختار من كل سبط ستة
نفر فزاد اثنان فتشاحوا في التخلف فقال موسى من تخلف له اجر من حضر فقعد يوشع وكالب
التخلف فخرج موسى متقدما قومه كما اخبر عنه وما اعجلك عن قومك يا موسى قبل قدومهم
وحضورهم كان يشتاق الرؤية وما جرى له من الصعقة واندكاك الجبل وانابته فسأله
بعد ذلك عن تقدمه على قومه مع انه كان مأمورا باستصحابهم فاجاب بان موجب التقدم
هو المسارعة الى مرضاته فقال انا قد فتنا قومك من بعد ذهابك واضلهم السامري فرجع موسى
الى قومه وجرى مع اخيه وقومه ما حكاه الله في كتابه وعاد الى الطور معه السبعون فلما دنوا
من الجبل غشيه غمامة فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوا كلامه بالاوامر والنواهي
فلما انكشف الغمام قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فلما اخذتهم الرجفة رجفة الجبل
فخروا اموانا لقوله تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم فان قلت قوله تعالى في سورة النساء فاخذتهم
الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات يدل على ان اتخاذ العجل متأخر عن
رجفة الجبل بهم قلت ثم هناك محمول على التراخي الرتبي لا الزماني وعلى ان اتخاذ العجل كان قبل مجيء
موسى بالتورية ولا تخلف في سورة البقرة قضية العجل قبل اخذ الصاعقة والقران يفسر بعضه
بعضا قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اي لو شئت اهلاكهم واهلاكي من قبل مجيئنا
كنت قادرا ولم تفعله فنحن نرجو رحمتك وقيل عنى هلاكهم وهلاكه خوفا من قومه لئلا يقولوا
له انت اهلكتهم روي هذا عن مقاتل وهو بعيد لما رواه البخاري لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل
به اتهلكنا بما فعل السفهاء منا من طلب الرؤية عنادا فالاستفهام على حقيقته لانه يفعل ما
يشاء في ملكه او بمعنى النفي لا تفعل ذلك لانك لا تأخذ احدا بجريمة الآخر ولعل ذلك السؤال كان
من بعد صمم وقيل المراد بفعل السفهاء عبادة العجل لان موسى اختار السبعين لميقات التوبة
وليس بشيء لان التوبة عن عبادة العجل لم تكن بالميقات بل التوبة عنها كان بقتل انفسهم ولما
تقدم من ان اختيار السبعين كان قبل عبادة العجل ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي
من تشاء انت الذي ابتليتهم وبسطت اسباب تلك الجريمة مثل العفو ايضا بيدك انت ولينا
متولي امورنا والقائم بها فاغفر لنا ما فرطنا وارحمنا وتفضل علينا بعد العفو ايضا نعمك
وانت خير الغافرين يكتب بعد التوبة مكان السيئة الحسنة وفي الحديث من هم بسيئة ولم يعملها
كتبت له حسنة وانما فصل الآية الاولى بارحم الراحمين لان غضبه كان لله وتحزب لاخيه

بخلاف سؤال الرؤية من قوم فانها جريمة عظيمة تناسب الغفران واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة
عيشة طيبة من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة وفي الآخرة بدخول الجنة
والفوز بلقائك انا هدنا اليك اي تبنا من هاد يهود اذا تاب وهو كالعلة للسؤال السابق قال
عذابي اصيب به من اشاء لا علة لصنع ناظرا الى قوله ان هي الا فتنتك ورحمتي وسعت كل شيء
لم يخل عنها ذرة لان اول الكمالات هو الوجود الشامل للكائنات فساكتبها فاكتبها فالسين
للمبالغة والمضارع للتصوير بصورة الحاضر او فساظهرها للذين يتقون الكفر والمعاصي و
يؤتون الزكوة افرده بالذكر لكونه اشرف واشق وهذا الامة موسى ثم اردف بمن يؤمن من اهل
الكتاب بمحمد صلى الله عليه وسلم بقوله والذين هم بآياتنا يؤمنون بكلها لا نفرق بين احد
من رسله الذين يتبعون الرسول النبي خبر مبتدا محذوف او مبتدا خبره يأمرهم او بدل من
الذين هم بآياتنا يؤمنون بدل الكل لا البعض وجعله بدلا من الذين يتقون انما يستقيم اذا جعل
الواو المتوسطة لتغاير الصفات وهو خلاف الظاهر مع انه لم يبق لمتبعي امة موسى ذكر مع تلك
الرحمة المدخرة وانما قدم الرسول مع كون الخص والقياس تأخيره لتقدمه الاشرف الوصفين او
لكونه رسولا من الله نبيا مخبر الامة الامي هو من لا يكتب منسوب الى امه اي هو على جبلته و
العرب كانت تسمى امية لعزة الكتابة فيهم قال تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا وهو وصف
كمال ناف للريب عما اتى به قال تعالى ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون الذي يجدونه مكتوبا
عندهم في التورية والانجيل الكائنين المختصين بهم باسمه وعلاماته يأمرهم بالمعروف وينهاهم
عن المنكر يحتمل ان يكون هذا ايضا في التورية والانجيل وهو وصف مدح له ابتداء منه تعالى و
يحل لهم الطيبات ما كان محرما عليهم في شريعة موسى ويحرم عليهم الخبائث من الدم والميتة ولحم
الخنزير والربوا والرشوة ويضع عنهم اصرهم اصله الحبس والضيق وفي الطلاب من تأخر عن
الجمعة له كفلان من الاجر اي الاثم وعليكم الاغلال التكاليف الشاقة على من قوله والاغلال
التي كانت عليهم جمع غل وهو القيد شبهت بها التكاليف الشاقة في شريعة موسى من تعين العفو
بالقصاص وقطع الاعضاء الخاطئة وقطع موضع النجاسة في الثوب والعضو وعن عطاء انهم كانوا
يغلون ايديهم الى اعناقهم في الصلوة وقرأ ابن عامر اصارهم بصيغة الجمع وهو المختار لكونه نصا
في الانواع وموافقه للاغلال فالذين آمنوا به وعزروه وتقروه مرة بعد اخرى واصله المنع
ونصروه من عطف العام على الخاص او اريد بالتعزير لازمه وهو التعظيم والتوقير واتبعوا النور الذي
انزل معه النور هو القرآن لانه اماط ظلمة الجهل والمراد انزل الله مع نبوته او الظرف متعلق باتبعوا
اي اتبعوا القرآن مع اتباع النبي في اقوال الله وافعاله فيكون وصفا لهم بالايمان بشريعته اولئك
هم المفلحون الفائزون بكل بغية قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا يبين لهم انه ليس مبعوثا
لشان سائر الانبياء فانه مبعوث الى الناس كافة لئلا يظنوا انه مبعوث الى العرب وقد رفع البخاري
اليه صلى الله عليه وسلم انه قال بعثت الى الاحمر والاسود وكان كل نبي يبعث الى قومه الذي له ملك
السموات والارض الذي جر على الوصف وتوسط الجار والمجرور مع ما يتعلق به لا يقدح وفي ذلك

في ذلك او بدل او مدح مرفوع او منصوب او مبتدا خبره لا اله الا هو وقيل على الوجه الاول
بدل اشتمال من الصلة يحيي ويميت يقرر معنى الالوهية لان المتفرد بها له الاحياء والاماتة
فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته وكتبه المنزلة وفي هذا الوصف
ترغيب لهم في الايمان فانه مصدق بالكتب المنزلة على سائر الانبياء وانما التفت الى الغيبة
اشارة الى ان المأمور باتباعه هو هذا الموصوف كائنا من كان اظهارا للنصفة وتفاديا عن
التزكية واتبعوه فيما امركم به لعلكم تهتدون لكي ترشدوا وانما ختم الآية الاولى بالفلاح
وهذه بالاهتداء لان مضمون تلك الآية ان المتصف بتلك الصفات مفلح ومضمون هذا الامر
بالاتباع للاهتداء الى الحق الموصل الى ذلك الفلاح وقدمه في الذكر لكونه مقصودا بالذات ومن
قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون اي من بني اسرائيل طائفة على الحق يدعون اليه وبالحق
يعدلون في الاحكام هم الذين آمنوا برسول الله عبد الله بن سلام واضرابه او هم القائمون بالحق
في زمانه واستمروا على ذلك وقيل قوم وراء الصين مر عليهم رسول الله ليلة المعراج فعلمهم
عشر سور من القرآن ولم يكن نزل فريضة غير الصلوة والزكوة فقيه ان الصلوة انما فرضت
ليلة المعراج اتفاقا ولم يكن للزكوة فرضية يومئذ قط وانما بعد ذلك امر رسول الله امرهم
بالجمع والحج فرض سنة ثمان من الهجرة وقطعناهم صيرناهم فرقا يميز بعضها عن بعض اثنتي
عشرة اسباطا مفعول ثان لان التقطيع ضمن معنى التصيير وانما جاء اسباطا وتمييز ما عدا العشرة
مفرد لانه بمعنى القبيلة لان السبط ولد الولد فلو قيل اثني عشرة سبطا لفهم منه اثني عشر فردا
وليس كذلك فالاسباط والقبيلة كالجمع المفرد فبين امما اي وقطعناهم امما اي قبائل فان كل
قبيلة منهم كانت امة عظيمة واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه في التيه ان اضرب بعصاك
الحجر فانبجست اي فضرب فانبجست والحذف للايماء وفيه اشارة الى ان الموحى اليه لم يتوقف
في الامتثال وان فعله لم يكن له تاثير في ذلك بل كان ذلك بمحض خلق الله منه اثنتا عشرة
عينا قد علم كل اناس مشربهم كل سبط وظللنا عليهم الغمام جعلناه ظلة تقيهم حر الشمس وانزلنا
عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم على ارادة القول وما ظلمونا بطلب البقل والعدس ولكن
كانوا انفسهم يظلمون بتفويت حظها واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية بيت المقدس وكلوا منها
حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا سبق تفسير مثله في البقرة والاختلاف بين الواو
والفاء ولا يبعد تقديم ادخلوا هناك وتأخيره هنا نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين
قرأه نافع وابن عامر تغفر بضم التاء والباقون بالنون وقرأ ابن كثير والكوفيون بالنون
وكسر الفاء وقرأ ابن عامر خطيئتكم بالتوحيد والرفع ونافع خطيئاتكم بالجمع مصححا وابو عمرو
بالجمع مكسرا خطاياكم والباقون مصححا منصوبا والمختار قراءة [illegible] فبدل
الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون الرجز
هو الطاعون واسألهم ويريد سؤال التوبيخ ليذكروا [illegible] عن القرية
سلفا عن حال اهلها شان اهلها التي كانت حاضرة البحر كائنة على شاطئه

وبطرية او مدين اذ يعدون في السبت يجاوزون حدود الله بالصيد ظرف كانت او حاضرة او بدل
اشتمال من المضاف المحذوف اذ تأتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعض من البدل او بدل بعد
بدل والحيتان واحد الحيتان بمعنى السمكة يوم سبتهم يوم تعظيمهم مصدر سبتت اليهود عظمت
ذلك اليوم واصله الراحة والسكون فانهم كانوا لا يشتغلون فيه بشيء شرعا شارعات من
غمرة الماء الى الحد ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم عن
الطاعة روي انهم امروا بتعظيم يوم الجمعة فلم يفعلوا واختاروا السبت فحرم الله عليهم فيه
الصيد ابتلاء فكانت الحيتان تأتيهم بارزة على وجه الماء واصلة الى الساحل لا يرى وجه الماء
من كثرتها ويوم لا يسبتون لا تأتيهم لا يرون منها شيئا فلبثوا على ذلك برهة من الدهر ثم احتالوا
وشرعوا اشارع تدخلها الحيتان يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد واذ قالت امة منهم لم تعظون
قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا لما احتالوا تلك الحيلة قالت صلحاؤهم ارتدعوا عما
تفعلون فان الله لا يخفى عليه الحيل وتابعوا في ذلك فلما ارتفعوا الذلك راسا قال بعض الصلحاء لبعضهم
لم تتبعون انفسكم في الوعظ والنصح مع قوم مصرين اراد الله استيصالهم في الدنيا او عذابا شديدا
يوم القيمة وانما علموا احد الامرين من سنة الله في المجرمين قالوا معذرة جواب احدى الطائفتين
من الصلحاء للاخرى اي نستمر استمرارنا على الوعظ اظهار عذر الى الله لئلا ينسب الينا تفريط في النصح
وقرأ حفص عن عاصم معذرة بالنصب مفعولا مطلقا او له والرفع اقعد واوفق لفظا لقوله اعذر
الى ربكم ولعلهم يتقون اذ ما داموا احياء يرجى منهم ذلك وقيل القائلون لم تعظون طائفة من
الفرقة الهالكة قالوا ذلك للوعاظ تهكما على ان التعذير كان المناسب لعظكم والاعتذار باق
الغيبة باعتبار لفظ الطائفة فلما نسوا ما ذكروا به تركوه ترك الناسي غير مبال به انجينا الذين
ينهون عن السوء عن المنكر واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس شديد فعيل من بئس يبؤس اذا اشتدت
حاجته وقرأ نافع مكسور الباء بياء ساكنة كعيس وابن عامر كذلك بهمزة ساكنة كبئر وابو بكر
بفتح الباء وسكون الياء بعدها همزة مفتوحة كجعفر بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم فلما عتوا
عما نهوا عنه تكبروا ورفعوا انفسهم عن الامتثال واصل العتو التجاوز عن الحد قال وقد بلغت
من الكبر عتيا قلنا لهم كونوا قردة تعلقت ارادتنا بذلك عبر عنه بالقول على سنن الملوك
او جرت عادته بايجاد الاشياء بلفظه كن خاسئين صاغرين مطرودين من خسئ الكلب اذا
صغر روي ان الوعاظ لما ايسوا من قبول نصحهم قسموا القرية بجدار وتركوا بابا للطروق فا
صبحوا يوما ولم يروا احدا من المعتدين فقالوا ان لهم شانا فدخلوا عليهم فراوهم قردة ثم ماتوا
بعد ثلثة ايام وفي الحديث لم يبق من الامم الممسوخة نسل واذ تأذن ربك تفعل من الاذن وهو
الاعلام ومنه الاذان ولما في صيغته من المبالغة اجري مجرى فعل القسم ليبعثن عليهم الى يوم
القيمة يسلط عليهم جواب القسم من يسومهم سوء العذاب يكلفهم من يمتحنهم كلفته سوء العذاب العذاب السوء
من اضافة الصفة الى الموصوف وقد خرب بخت نصر بعد سليمان ديارهم وقتل مقاتلهم وسبى ذراريهم
وضربت عليهم الذلة والمسكنة والجزية لانقارنهم ان ربك لسريع العقاب لذلك عاقبهم

عاقبهم في الدنيا وجعلهم نكالا وقد وصف نفسه بسرعة العقاب في آخر الانعام وهنا ولما كان
هناك سوق الكلام مع المؤمنين لم يدخل اللام المؤكدة وهنا كلام مع من عنا من اليهود بعد
انزال باسه بهم اكد باللام ثم هذا لا ينافي وصفه بالحليم لان سرعة عقابه بالنظر الى عذاب
الآخرة والا فقد امهلهم رويدا وانه لغفور رحيم لمن تاب وآمن وقطعناهم في الارض فرقناهم
في اقطار الارض هذا ايضا من سخط الله عليهم لئلا يجتمعوا على كلمة فيحصل منهم ضرر امما مفعول
ثان وحال منهم الصالحون وهم الذين لم يحرفوا وآمنوا برسول الله ومنهم دون ذلك وبعضهم
منحطون عن ذلك وهم الكفرة وبلوناهم بالحسنات والسيئات عاملناهم معاملة المختبر بالنقل
من الرخاء الى الشدة وبالعكس لعلهم يرجعون عن ضلالتهم فان تقلب الاحوال يورث الانسان
بصيرة وسلامة لخالق فخلف من بعدهم خلف بسكون اللام بدل سوء كما ان بفتح اللام نعم البدل
وكل منهما مفرد لفظا ومعنا قرن من الناس ورثوا الكتاب تعلموه من اسلافهم وفهموا ما فيه يأخذون
عرض هذا الادنى متاع هذا الشيء الذي هو ادنى من الدنو والدناءة والمراد به الدنيا فانها ادنى
شيء وذلك ما كانوا يأخذونه من الرشا على الاحكام وتحريف الكلم والجملة حال من فاعل
ورثوا ويقولون سيغفر لنا قولا بلا دليل كما قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة والجار
والمجرور قائم مقام الفاعل والفعل يسند الى المصدر المدلول عليه بالفعل وان يأتهم عرض
مثله يأخذوه اي هم مستمرون على الكبائر من غير توبة استبعاد لما يدعونه مع ما هم فيه والجملة
حال عن المجرور الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب مما في التورية ان لا يقولوا على الله الا الحق
بيان للميثاق او متعلق به الاستفهام للتقرير والتوبيخ بانه قد اخذ عليهم العهد بذلك فكيف
يقطعون بالمغفرة واهل السنة وان جوزوا المغفرة لم يقطعوا بها فمن قال اهل السنة في هذه المسئلة
كاليهود لم يعلم مقالة اهل السنة ودرسوا ما فيه قطع لمعذرتهم عطف على الم يؤخذ اي
قد اخذ عليهم الميثاق ودرسوا ما في الكتاب او على ورثوا وما بينهما اعتراض والدار الآخرة
خير للذين يتقون مما يأخذ هؤلاء افلا تعقلون يستعملون عقولهم ويسعون فيما هو الخير وقرأ
نافع وابن عامر وحفص عن عاصم بالخطاب وفيه زيادة توبيخ والذين يمسكون بالكتاب واقاموا
الصلوة لان المصلحين هم المتمسكون بالكتاب وفيه اشارة الى ان المانع من الاضاعة هو الامساك
عطف على الذين يتقون او مبتدأ خبره انا لا نضيع اجر المصلحين
وقرأ ابو بكر يمسكون مخففا وقراءة الجمهور ابلغ وانما افرد الصلوة بالذكر مع دخولها في التمسك
بالكتاب لانافتها واذ نتقنا الجبل فوقهم الطور لقوله ورفعنا فوقهم الطور والنتق الرفع
بعد القلع كانه ظلة هي كل ما اظلك وظنوا انه واقع بهم روي ابوا احكام التورية لشدتها عليهم فرفع
الله الطور فوقهم على قدر عسكرهم وكان مقداره فرسخ في فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها وفيها من
الاحكام والا سقط عليكم فخروا ساجدين على حاجبهم الايسر ينظرون بعينهم اليمنى فرقا
من سقوطه فلذلك ترى اليهود يسجدون على الحاجب الايسر ويقولون هي السجدة التي كانت سببا
لرفع العذاب عنا خذوا ما آتيناكم بقوة بجد وعزم حال من الفاعل واذكروا ما فيه بالمواظبة
على العمل به لعلكم تتقون لكي تبلغوا درجة التقوى التي هي اسنى المراتب واذ اخذ ربك

من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ذكر نقض
اليهود العهد الخاص بهم والميثاق المكتوب عليهم في التورية اردفه بالميثاق العام السبق في عالم الذر
وقد اشار اليه صلى الله عليه وسلم حين سئل عن معنى الاية فقال ان الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيده
فاستخرج من هو مولود الى يوم القيمة على صفة الذر وقال يا آدم هؤلاء ذريتك اخذت عليهم العهد
بان يعبدون ولا يشركوا بي شيئا وعلي رزقهم ثم قال لهم الست بربكم قالوا فقولهم بلى اقرار بوحدانيته
وذلك الاقرار هو الفطرة التي يولد عليه كل مولود فان قلت في الحديث انه اخذ الذرية من ظهر
آدم وفي الاية اخذ من ظهور بني آدم قلت لا تنافي لان بنيه مخرجون من ظهره فالمخرج من ظهورهم
مخرج من ظهره وقد يقال المراد في الاية هو اخراجهم على النمط المشاهد نسلا بعد نسل واشهادهم على
انفسهم وقوله الست بربكم قالوا بلى شهدنا من باب التمثيل وتشبيه الحال بالحال وذلك انه لما ركب
فيهم البصائر وافاض عليهم العقول المميزة بين الحسن والقبيح ونصب لهم دلائل التوحيد وبثها في
الآفاق والانفس بحيث لم يبق لهم معذرة فكأنه خاطبهم شفاها واقروا له كفاحا فان قلت على هذا
التقدير كيف يقع الحديث جوابا عما في الاية قلت هو من الاسلوب الحكيم فان هذا كان كالمشاهد
للعقل طريق وصول اليه بالتدبر لم يلتفت اليه صلى الله عليه وسلم واشار الى ذلك الاخذ الذي
لا يمكن الوقوف عليه الا بتوقيف منه قرأ ابن كثير والكوفيون ذريتهم بالافراد وهو المختار لظهور
الاستغراق فيه أن تقولوا يوم القيمة اي كراهة ان تقولوا إنا كنا عن هذا غافلين ولا عتاب مع الغافل
أو تقولوا عطف على الاول قرأ ابو عمرو كليهما بالياء على الغيبة والباقون بالخطاب التفاتا كما في
الست بربكم والمختار الغيبة جريا على السنن السابق إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم
لم يسعنا الا الاقتداء بهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون هم آباؤهم المتسببون للشرك وكذلك نفصل
الآيات ومثل ذلك التفصيل البديع نفصل سائر الآيات ولعلهم يرجعون ولكي يرجعوا الى الحق ينبغي
ما يفعل والضمائر اما لليهود خاصة ويختص بني آدم بهم لان سوق الكلام لهم او لكافة الناس لاندراجهم
فيهم واتل عليهم اي اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا عالم من علماء بني اسرائيل يسمى بلعم بن باعورا
كان في زمن موسى فغزا موسى قومه فاستشفعوا اليه وبذلوا له الاموال فدعى عليه فجاء موسى
في التيه وقيل امية بن ابي الصلت روي ذلك عن ابن عمرو كان من كهان الجاهلية وكان يظن انه
النبي الموعود فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مات حسدا وقيل عامر الراهب فانسلخ منها
كما تنسلخ الحية من جلدها كناية عن الكفر فأتبعه الشيطان فلحقه مبالغة في اللحوق كان بعد
اللحوق جعله تابعا له فكان من الغاوين فصار من جملتهم او كان منهم في علم الله ولو شئنا لرفعناه
بها بتلك المعارف منازل العلماء الذين اوتوا العلم درجات ولكنه اخلد الى الارض ركن اليها
من اخلد الى فلان مال اليه ولازمه شبه العرض الذي مال اليه بالتراب لسفالته واتبع هواه في
ايثار الفاني على الباقي دلت الاية على ان الكفر بمشيته تعالى وانه لو شاء ايمانه كان واقعا فمثله
كمثل الكلب حالة الخسيسة كحاله ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث الشرطية في موضع الحال اي
هو دائم اللهث طرد او لم يطرد واللهث اخراج اللسان وسائر الحيوانات انما يفعل ذلك عند الاعياء

عند الاعياء والكلب لم يزل وكذلك الضال في الشبه لازمه بمقتضى مشيته تعالى وعظ او لم يوعظ
وقيل التشبيه على ظاهره فانه لما دعا على موسى خرج لسانه حتى وقع على صدره ذلك مثل القوم الذين
كذبوا بآياتنا من اليهود فانهم بدلوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرفوا الكلم عن مواضعها
وركنوا الى حطام الدنيا فاقصص القصص اي قصة من انسلخ من آياتنا واخلد الى الارض لليهود فانها
على وصفه لعلهم يتفكرون فيؤديهم الى الحذر من سوء العاقبة ويزدادوا ايقانا بنبوتك
فانه لا يمكن العلم بذلك الا بالوحي اذ لم تمثل من قبله من كتاب ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا
لما شبه حال اليهود في التكذيب بآيات الله لحطام الدنيا بحال الكلب ارد فيه بما وضع لانشاء الذم
مبالغة في التحذير وتقدير ساء مثلا مثل القوم او ساء اصحاب المثل القوم وانفسهم كانوا
يظلمون عطف على كذبوا داخل في الصلة اي جمعوا بين التكذيب وظلم انفسهم او منقطع والمعنى
لم يظلموا بالتكذيب الا انفسهم لا يتخطاها وباله من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك
هم الخاسرون كالبيان لقوله ولو شئنا لرفعناه بها وكالتذييل لقوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا
من الجن وممن خلقنا امة يهدون بالحق وانما افرد الضمير في الاول وجمع في الثاني باعتبار اللفظ
والمعنى وفيه اشارة الى ان المؤمنين كواحد لاتحاد طريقتهم وفي الحديث المؤمنون كالنفس الواحد
اذا اشتكى رأسه اشتكى كله وفي الاقتصار على الاهتداء ايماء الى انه وصف شريف لاحتياج الحكم
آخر ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس هم اهل الطبع والذين لهم قلوب لا يفقهون بها خالية
عن معرفة الحق والنظر في دلائله ولهم اعين لا يبصرون بها لا يجتلي الآيات في الآفاق والانفس
ولهم آذان لا يسمعون بها الآيات والنذر سماع تدبر وتفكر اولئك كالانعام في الخلو عن
المعرفة والاعتبار بل هم اضل منها لانها تدرك ما فيه القرب فتعدل عنها وهؤلاء موقنون
بدخول النار ولا يرتدعون عن ارتكاب ما يسببها اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة كما
التاكيد الاولى ولذلك لم يدخل العاطف وانما قدم البصر هنا والسمع في سائر الآيات لكون
الاية مسبوقة بالتشبيه بالانعام وهي بفقد البصر اشد تضررا من فقد السمع لان مدار تعيشها
وطلب الماء والكلأ على حاسة البصر والاية تذييل لقصة اليهود وفيها تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فانهم من الذين لا ينجع فيهم الآيات والنذر لكونهم مخلوقين للنار ولله
الاسماء الحسنى فادعوه بها لانها تدل على احسن المعاني وقيل المراد الاوصاف القائمة به فانه
يطلق عليها الاسم يقال طار اسمه في الآفاق والمراد وصفه الحسن وذروا الذين يلحدون في اسمائه
واتركوا الاسماء التي يسمونه بها انهم زائغون عن طريق الحق كانت اليهود يطلقون عليه لفظ البخيل و
الفقير لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير والجاهلون من العرب يقولون يا ابا المكارم ويا ابيض
الوجه واهل الجاهلية اشتقوا من اسمائه تعالى اسماء آلهتهم كاللات من الاله والعزى من العزيز
اعرضوا عن هؤلاء سيجزون ما كانوا يعملون قرأ حمزة يلحدون بفتح الياء والحاء هما لغتان والضم اكثر و
اشهر وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون دل على قلتهم وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم
لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي امر الله وهم على ذلك والذين كذبوا

بآياتنا سنستدرجهم استفعال من الدرجة اما استصعاد او اما استنزال والمعنى سنستدنيهم من العذاب
قليلا قليلا من حيث لا يعلمون ما نريد بهم وذلك بتواتر النعم عليهم ليظنوا انهم يستحقونها لمعنى فيهم كا
فازدادوا اثما وبنوه على علم عندهم وأملي لهم وامهلهم ليزدادوا اثما وما يوجب مضاعفة العقاب
ان كيدي متين لا يدفع سماه كيدا لانه في الظاهر بر ولطف واحسان ومتين قوي شديد مأخوذ من المتن وهو
الظاهر أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة حالة من الجنون وعبر عنه بالصاحب لان المصاحبة تطلع
كذا من الاخلاق فلو كان به جنون لم يخف عليهم بعد طول الصحبة ان هو الا نذير مبين منذر بين واضح
الانذار شعر لقد ظهرت فلا تخفى على احد الا على احد لا يعرف القمرا أولم ينظروا في ملكوت السموات
والارض فعلوت من الملك كالرهبوت من الرهبة يطلق على الملك الاعظم وما خلق الله من شيء
اي شيء كان وان كان ذرة فان فيها دلائل التوحيد من جهات شتى والاستفهام في الموضعين للتعجب
من حال المكذبين وتماديهم في الغفلة وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان مخففة
من المثقلة يقدر فيها ضمير الشان لا تصدر بها لان عسى لا تصدر له والمعنى ان الشان والحديث
عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فيسارعوا الى طلب ما ينجيهم قبل مفاجأة الاجل وحلول العذاب فبأي
حديث بعده يؤمنون اذا لم يؤمنوا به مع كونه معجزا وناطق البشرا ويتعلق بعسى ان يكون قد اقترب
اجلهم والمعنى اذا عاجلهم الموت من قبل الايمان بهذا القرآن لا حديث بعد ذلك يؤمنون به فعليهم الايمان
قبل فوت الفرصة من يضلل الله فلا هادي له اي ليس في صاحبهم جنة ولا في ملكوت السموات والارض
من خفاء الدلالة ولا في القرآن نوع اشتباه بل اراد الله اضلالهم ومن اراد اضلاله فلا احد يقدر
على هدايته ويذرهم في طغيانهم قرأ ابو عمرو والكوفيون بياء الغيبة جريا على السنن السابق والباقون
بالنون التفاتا وجزم الراء حمزة والكسائي عطفا على محل الجواب والرفع على الاستئناف او خبر محذوف
يعمهون في موضع النصب على الحال يسئلونك عن الساعة اي اليهود تعنتا وان كانوا عالمين بان علم
الساعة شيء استأثر الله به ولم يطلع احدا من خلقه عليه او مشركو قريش يسألون عن شيء لا
يعنيهم ويتركون ما هو المهم والساعة من الاعلام الغالبة كالنجم والصعق وسميت القيمة بالساعة
لسرعة حسابها او وقوعها بغتة او لطولها كما يقولون ابو الحبشي ابو الابيض وللزنجي كافور ايان
مرسيها متى وقوعها وثبوتها من ارست السفينة اذا اثبتها بالحجر واياه مغاير بل اي اصله
اي اوان وهو الرجوع لان بعض الزمان منتسب الى الكل وقيل مأخوذ من اين وانكره ابن الجني لان
للمكان قل انما علمها عند ربي استأثر به لا يجليها لوقتها الا هو لا طريق اليه لمن سواه ثقلت في
السموات والارض اي شق عدم العلم بها وخفاؤها على الملئكة والثقلين لان المستعد لمعرفة الشيء
اذا استد عليه طريق الوصول اليه تألم وكل على نفسه او توقع وقوعها وهول شدائدها او نقل
وقوعها على تلك الاجرام اذا السماء انشقت ودكت الارض دكا وعلى الوجوه لفظه في سعان الدلالة
على التمكن لا تأتيكم الا بغتة فجأة وفي الحديث انها تقوم والرجل يلوط حوضه فتتركه والرجل يرفع
ما شيئه فيدعها والحكمة في ذلك استدامة الخوف والحذر كما ان الحكمة في ابهام ليلة القدر تكثير
للعبادة يسئلونك كأنك حفي عنها عالم بها من حفى عن الشيء بحث عنه فان الباحث عن الشيء يرصن علمه

يرصن علمه به من اطلاق السبب وارادة المسبب او من حفي الشيء اذا فرح به او يشبهونك عن فرط
السؤال والحال انك تكره ذلك لعلمك بان لا سبيل الى العلم او من الحفاوة وهي المحبة والبر
لان قريشا سألته بالقرابة ان يخبرهم بذلك والمعنى لو حصل لك علم بها لم يكن يخفيهم بها كما
هو دابك في سائر الاحكام وعلى التقديرين عنها صلة يسئلونك وعلى المعاد بر كانك في
موضع الحال قل انما علمها عند الله وليس في الكلام تكرار لان السؤال والاجر مفيد وفيه انما
علمها عند الله زيادة ولكن اكثر الناس لا يعلمون قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا اي اذا لم يكن
لي علم بما يتعاقب على نفسي التي هي اقرب الاشياء الي فكيف العلم بالساعة الا ما شاء الله من ذلك
منقطع او متصل على التاويل ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير من الاشياء النافعة
في الدين والدنيا وما مسني السوء لاني ادفعه قبل حصوله باسباب واقعة وانما قدم استجلاب
الخير على دفع الضر مع ان دفع المفسدة مقدم لان النفوس القدسية مطمح نظرها الامور الدينية ان انا
الا نذير وبشير لا يخالف حالي حال العالم الا في هذين الوصفين لقوم يؤمنون خصهم بذلك لكونهم المنتفعين
بها او هو متعلق ببشيرا ومتعلق الاول محذوف للعلم به هو الذي خلقكم من نفس واحدة خطاب لاهل
مكة بما فيه الانسان والنفس الواحدة آدم وجعل منها زوجها هي حواء خلقت من ضلعه الاعوج ليسكن
اليها ليميل ويطمئن اليها فان الشيء الى جنسه يميل وانما ذكر الضمير العائد الى النفس ذهابا الى المعنى
لانها نفس آدم وليناسب فلما تغشاها لان الغشيان كناية عن الوقاع وهو فعل الزوج حملت حملا خفيفا
لم تتعب في حمله كما في الحبالى وقيل الحمل الخفيف هو النطفة فمرت به استمرت به حاملة لم يصب حملها
انه من ازلاق والخداج فلما اثقلت صارت ذات ثقل بكبر الولد دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا
ولدا ذا صلاح ودين ينتفع به وفي الحديث اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلث ولد صالح يدعو له
بعد موته وعلم علمه الناس وصدقة جارية وقيل صالحا اي سويا لا نقص في خلقه وقيل ذكرا لان الذكورة
صفة صلاح وجودة لنكونن من الشاكرين لتلك النعمة فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما
بان سمى المولود عبد الحرث والحرث من اسماء ابليس روى الامام احمد والترمذي عن سمرة بن جندب
مرفوعا ان حوا كان لا يعيش لها ولد فوسوس اليها الشيطان وقال انه من الله بمنزلة وانه يدعو لها
ببقاء الولد ويكون اسمه عبد الحارث فسمياه بذلك الاسم والاعلام وان لم يعتبر فيها المعاني
الاصلية الا ان فيها ايماء اليها وهذا القدر منهما منكر ولذلك استعظمه وسماه شركاء والاوجه
في تفسير الآية تقدير مضاف اي جعل اولادهما له شركاء وانما اسند الجعل اليهما لعلاقة السببية و
المعنى ويبتهما بموجب الشكر ولكن تسببا في احداث الشركاء وعلى هذا النظم وجد قرأ شركا مصدرا
جمع شريك وهي قراءة ابي عمرو وابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص وبنصح نفي بع فتعالى الله
عما يشركون وعلى الاول يجب حمله على ان الفاء فصيحة وان الضمير في يشركون لاهل مكة والحرث
لم يرد بيانا للآية والقول بان الخطاب لقريش لان قصيا كان له زوجة من جنسه عربية قرشية
وطلبا من الله الولد فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار
فليس بشيء لان المخاطبين بقوله خلقكم ليس كلهم من قريش وزوجته لم يكن ايضا قرشية بل كانت

خزاعية ولم يرد خبر يدل على انهما طلبا الولد على الوجه المذكور ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون
استبعاد لان يكون مثله معبودا واجرائها بضمير العقلاء ولجمعهم الالوهية فيها ولا يستطيعون لهم
نصرا اى الاصنام المشركين ولا انفسهم ينصرون يرفع في الكسر وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم
خطاب للمشركين اى ان تطلبوا منها الهداية الى الحق لا يجيبونكم او ان دعوتم تلك الاصنام الى الهدى
لا يتبعونكم لعدم الادراك فنفى عن الهداية ومقام الالوهية ابعد وهذا الوجه قراءة نافع بالتخفيف
من تبع والمعنى واحد سواء عليكم ادعوتموهم لدفع الحاجات او المخاوف ام انتم صامتون مستمرون
على الصمت وانما عدل الى الاسمية لان الدعاء في اوقات الحوائج بخلاف الصمت ان الذين تدعون
من دون الله عباد امثالكم مسخرون لعبادته وان من شيء الا يسبح بحمده فادعوهم فليستجيبوا لكم
فيما تدعونهم اليه ان كنتم صادقين انها آلهة وفيه اشارة الى الفارق اى وان كانوا امثالكم في
نفس العبودية ولكنها دونكم في الادراك وصدور الافعال ثم صرح بذلك فقال الهم ارجل يمشون
بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها والترتيب على هذا
النمط لان المدعو للنصرة اول ما يحتاج اليه آلة المشي وهي الرجل ثم اليد بعد الحضور للقتال بالحرب
ثم البصر للتوقي عن مكايده ثم السمع بعد فقد الآلات ليسمع المقال لتدبير المؤامرة فيورد ما عنده
من الرأى قل ادعوا شركاءكم استعينوا بهم ثم كيدون فلا تنظرون فلا تمهلون ان وليي الله الذي
نزل الكتاب المعجز فهو قادر على اعجاز من يخاصمني وهو يتولى الصالحين دائما فكيف بالانبياء
والرسل والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون من تمام
التعليل لعدم مبالاته بهم وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون
يشبهون الناظر صورة ولا ابصار خذ العفو السهل من الامور ولا تعنت فانه ادعى لهم الى
اتباعك واصله الفضل من المال وامر بالعرف بما عرف حسنه من الشرع مصدر بمعنى المفعول اكتفى
به عن ذكر النهي واعرض عن الجاهلين ان بدا منهم شيء يسوؤك وهذا اذا لم يكن هتك حرمات الله و
عن عائشة رضي الله عنها لم ينتقم رسول الله لنفسه قط واذا انتهك شيء من حرمات الله لم يقاومه
احد والاية جامعة لمكارم الاخلاق وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه
فقالت كان خلقه القرآن وقرأت الآية قيل لما نزلت قال رسول الله كيف والغضب يعتري الانسان
فنزل قوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ ينخسنك منه وسوسة وتسويل واصله الطعن وفي
الحديث صياح المولود حين يولد نزغ من الشيطان ويطلق على الافساد كقوله من بعد ان نزغ
الشيطان بيني وبين اخوتي فاستعذ بالله من نزغه انه سميع لمقالتك عليم بانفعالك منه فيحملك
الى ما استعذت منه ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان وسوسته وتزيينه
من طاف يطوف وكأنه عبر به لعدم ثباته كالطائف حول الشيء او من طاف يطيف طيفا واصل الطيف
الجنون وفي حديث المبعث قال المشركون بهذا الغلام لمم او طيف وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي طيف
اما على المصدر او مخفف طيف كلين ويحتمل الواو والياء تذكروا ما امر به واحترزوا عن
اغوائه والاية تقرير وتعليل للامر بالاستعاذة فانه عادة قديمة لعباد المتقين فهو اولى به

فهو اولى به لانه سيدهم فاذا هم مبصرون بذلك التذكر مكايد الشيطان وعبر عن العلم الحاصل
بعد التذكر بالابصار مبالغة في تيقنهم به واخوانهم يمدونهم الضمير للشيطان لان المراد
جنسه في الغي في الضلال بالتزيين والتسويل وقرأ نافع يمدونهم بضم الياء من الامداد و
المعنى واحد يقال مد النهر الساقية وامدها زادها ثم لا يقصرون لا يمسكون عن الاغواء
حتى يردونهم مورد الهلاك فعلى هذا الخبر جار على غير ما هو له ويجوز ان يرجع الضمير في
يمدون الى الاخوان فيكون الخبر على اصله واذا لم تأتهم باية قالوا لولا اجتبيتها اخترعتها
واختلقتها زعما منهم ان ما يتلو من الوحي مختلق او لولا اقترحت على ربك ان كنت رسوله
والاجتباء افتعال من الجباية وهي اخراج الشيء من مظنته قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي
ليس من شاني الاختلاق والاختراع هذا بصائر من ربكم ما يوحى الي وهو القرآن حجج قاطعة
تورث البصائر او هو كالبصائر للقلوب اطلاقا للسبب على المسبب وتشبيه بليغ وهدى
ورحمة لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون به واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون
خطاب للمؤمنين لما ذكر انه رحمة لهم دلهم على طريق الوصول اليه وهو الاستماع له والانصات هو السكوت
للاستماع قيل نزلت في الصلوة فانهم كانوا يتكلمون فيها والامر كذلك في الصلوة محمول على الوجوب
وفي غيرها الاستحباب وحرمة الكلام والامام يخطب بالحديث والاستدلال به على عدم جواز قراءة
المأموم ليس بظاهر وان كان مرويا عن ابن عباس رضي الله عنه واذكر ربك في نفسك ذكر القلب
وهو ملاحظة جلال الله وعظمته تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ولذلك خائفا من سطوته
ودون الجهر من القول بالسان وهو السر الذي تسمعه انت ولا يسمع غيرك فانه اقرب الى القبول
وابعد من الرياء وحيث لم يقيد شمل جميع انواع الذكر بالغدو والآصال في اوقات الغدو والعشيات
لانها اشرف الاوقات ومظان الاجابة وقيل في جميع الاوقات وعبر عنها بذكر الطرفين والآصال
من العصر الى المغرب ولا تكن من الغافلين اللاهين عنه ان الذين
عند ربك هم الملائكة لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه ينزهونه عن الاحتياج الى العبادة ثم لا تما
يعبده ونشر تعظيمها بعبادته وله يسجدون لا بغيره فعليكم الاقتداء وفي التقديم وافادة الحصر
تعريض بمن يشرك في عبادته سورة الانفال آياتها سبعون بسم الله الرحمن الرحيم
يسألونك عن الانفال نزلت بعد وقعة بدر وهي اول سورة نزلت بعد الهجرة وابتداء بوقعة
بدر وانها البطشة الكبرى الانفال جمع نفل بفتحتين وهي الغنيمة من النفل وهو الزيادة ولذلك
سمي ما عدا الفرائض نوافل ثم سمية الغنيمة نفلا لانها زيادة شرف هذه الامة فانها لم تحل
في شريعة وسبب نزول السورة ان المهاجرين والانصار اختلفوا في الغنيمة يوم بدر كيف
تقسم وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان له غناء ان ينفله فتسارع شبانهم
وقتلوا سبعين واسروا سبعين وطلبوا النفل المشروط وكان المال قليلا فقالت الشيوخ
نحن كنا رداء لكم وفئة تنحازون الينا فنزلت قل الانفال لله والرسول فقسمها رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالسواء واستدل به الشافعي على ان الامام اذا نفل لا يلزمه الوفاء به وعن سعد بن

ابي وقاص قتل اخي عمير يوم بدر وقتلت سعيد بن العاص واخذت سيفه فاتيت به رسول الله
عليه السلام واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه
الا الله فما جاوزت الا قليلا فناداني رسول الله وقال سألتني السيف ولم يكن لي والآن فقد
صار لي فاذهب وخذه وذكر الله في الاسناد للتعظيم فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم الاحوال
التي بينكم من التخالف والتخاصم في امر الغنيمة وابدلوها بالتحاب والاتفاق والتألف والاضافة
للملابسة كقوله لتغني عني ذا اناءك اجمعا واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين فان الايمان
يقتضي التقوى وطاعة الله ورسوله واصلاح ذات البين او ان كنتم كاملي الايمان وانما اخر بيان
كونهم مؤمنين كاملا معلقا بالانما بدا منهم في امر الغنيمة لم يكن منافيا لكمال الايمان انما المؤمنون
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فزعا من جلاله واستعظاما لسطوته ولا ينافيه قوله الا بذكر
الله تطمئن القلوب لان ذلك باعتبار صفة جماله وسعة الرحمة ولذلك كان العبد واقعا بين
الخشية والرجاء واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا لان تظاهر الادلة يوجب زيادة الاطمئنان
ولذلك بث الله آيات التوحيد في الآفاق والانفس والزيادة عند من جعل الاعمال داخلة في الايمان
ظاهرة ومن لم يذهب الى ذلك يجعل الزيادة في الايمان الكامل والحق ان نفس التصديق ايضا يقبل
الزيادة وان مراتب اليقين متفاوتة ولذلك ترى القوم يقولون علم اليقين وفوقه عين
اليقين ثم حق اليقين الذي لا رتبة فوقه واليه اشار باب العلم كرم الله وجهه بقوله لو
كشف الغطاء ما ازددت يقينا لبلوغه الغاية القصوى وعلى ربهم يتوكلون يفوضون الامر
لعلمهم بان لا مؤثر الا قدرته ولا موجب الا ارادته الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون
خصهما بالذكر لكونهما الدليل على سايرهما اولئك هم المؤمنون الموصوفون بتلك الصفات
حقا صفة مصدر اي ايمانا حقا او مؤكد للجملة كقولك زيد قائم حقا وبهذا استدل من منع الاستثناء
في الايمان والحق انه لا نزاع بين الفريقين لان من جوز الاستثناء انما جوزه نظرا الى الخاتمة
لا انه ليس مؤمنا في الحال ومن منعه فانما منعه بالنظر اليه اذ لا ريب انه لا طريق له الى العلم
بالخاتمة اولئك لهم درجات عند ربهم منازل عالية في جوار ربهم ومغفرة وتجاوز عما
فرط منهم وانما قدم الدرجات على المغفرة لان الكلام في الكمل من المؤمنين فالاهم معرفة الدرجات
لان المغفرة لهم كالمقطوع به ورزق كريم شريف لا آفة فيه ولا انقطاع كما اخرجك ربك من
بيتك بالحق متلبسا بمصاحبة الله خبر مبتدا محذوف اي كراهتهم تسويتك في الغنايم بين الشبان
والشيوخ او التنفيل مثل كراهتهم خروجك للحرب او صفة مصدر محذوف اي الانفال استقرت
لله مثل استقرار اخراج ربك من بيتك والوجه الاول اولى لعدم التقدير وطول الفصل وان
فريقا من المؤمنين لكارهون في موقع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان ابا سفيان اقبل
من الشام في عير فيه تجارة عظيمة لقريش وفي العير اربعون راكبا منهم ابو سفيان بن حرب وعمرو بن
العاص والقول بان عمرو بن هشام كان معهم سهو لان عمرو بن هشام اسم ابي جهل وكان في النفير دون
العير وقيل في بدر فاخبر جبرائيل رسول الله عليه السلام باقبال العير فاخبر المسلمين فخرجوا لذلك

فخرجوا لذلك لعلمهم بكثرة المال وقلة الرجال فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم متوجها لاخذ
الركب وبلغ ذلك اهل مكة فصعد ابو جهل سطح الكعبة ونادى يا اهل مكة عيركم واموالكم ان
اصابها محمد لن تفلحوا ابدا واما ابو سفيان فانه خاف من خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقصد العير فابعد عن الطريق واخذ ساحل البحر وارسل يخبرهم بنجاة العير وامر اهل مكة
بالرجوع فقال ابو جهل كلا والله حتى نرد بدرا فنشرب بها الخمور وننحر الجزور وتزف علينا
المعازف والقينات وتدور بيننا الكاسات وتسمع العرب بانا قد خرجنا وحضرنا بدرا
ومحمد عاد ولم يظفر بما اراده فنزل جبرائيل واخبر رسول الله بامر العير وخروج قريش وان
الله وعد احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فلتختر ايهما شئت فاستشار رسول الله
المهاجرين والانصار فقال ان الله وعدني احدى الطائفتين فايهما احب اليكم العير او
النفير فقالوا العير احب الينا لانا لم نخرج للقاء العدو وليس معنا العدد والعدة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اخذ العير ساحل البحر وابعد وهذا ابو جهل قد اقبل في كفار قريش
فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فلما علم ابو بكر وعمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يريد لقاء العدو قاما وتكلما واحسنا في المقال ثم قام سعد بن عبادة سيد الخزرج من الانصار
وقال يا رسول الله امض لامرك فو الله لو ذهبت الى عدن لم يتخلف عنك رجل من الانصار ثم قال
مقداد بن الاسود امض يا رسول الله لما امرك الله فانا لا نقول كما قال بنو اسرائيل لموسى اذهب انت
وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون بل نقول اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون
ثم قال رسول الله اشيروا علي ايها الناس وكان يريد بذلك الانصار لانهم لما بايعوه ليلة العقبة
قالوا انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فكان رسول الله يتخوف ان لا يرى الانصار نصرته
الا اذا كان مقيما بالمدينة ففطن لذلك سعد بن معاذ سيد الاوس فقام وقال كانك تريدنا
يا رسول الله قال قد اجل قال قد امنا بك وصدقناك وايقنا ان ما جئت به هو الحق امض يا رسول
الله لما اردته فو الله لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه ولم يتخلف منا رجل وما نكره ان يلقى بنا
عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله ان يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا
يا رسول الله على بركة الله فاستنار وجه رسول الله ونشطه قال سعد وقال سيروا على بركة الله
وابشروا والله لكاني ارى مصارع القوم يجادلونك في الحق لقاء العدو بعدما تبين لهم باعلامك
وكان الاولى بهم الانقياد والتسليم كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون اي بلغ كراهتهم لقاء العدو
هذا المبلغ ولم يكن كراهتهم ذلك الجبن بهم بل لانهم لم يخرجوا على اهبة القتال وكان الكلام من
رسول الله على سبيل المؤامرة ولذلك لما علموا منه العزم تكلموا فاحسنوا في القتال وقاتلوا
العدو فعلوا ما يفعله الابطال واذ يعدكم الله احدى الطائفتين العير او النفير نصب على
اضمار اذكر انها لكم بدل اشتمال وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم اي العير لقلة رجاله
والشوكة شدة البأس وحد السلاح مأخوذ من الشوك ويريد الله ان يحق الحق يثبته ويعليه
بكلماته بآياته المنزلة لحاربه ذات الشوكة وامداد المؤمنين بالملائكة وقتل الكفار واسرهم

ويقطع دابر الكافرين يستأصلهم دابر القوم اخرهم اى تريدون انتم المتاع الدنياوى العاجل والله
يريد تعالى الامور من هلاك العدو ونصرة الدين واعلاء الحق والفوز فى الدارين ليحق الحق
ويبطل الباطل فعل ما فعل اى لهذا الغرض الذى هو سببا لاغراض اراد لكم لقاء العدو فلا
تكرار اذ الاول للبيان مراده مرادهم وهذا البيان لتفاوت الغرض ولو كره المجرمون ما فعل.
اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم او يتعلق بقوله ليحق الحق وهذا اولى لان زمان الوعد
غير زمان الاستغاثة والبدل والمبدل متحدان ذاتا او منصوب باذكر لما تحققوا ان لا بد من
القتال مع قلة العدد وكثرة العدو اخذوا فى الاستغاثة وطلب النصر من الله تعالى ولما صف
رسول الله المسلمين رجع الى العريش ورفع يديه مستقبل القبلة وقال اللهم انجز لى ما وعدتنى
اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الارض وبالغ فى رفع اليدين حتى سقط رداؤه فقال
ابو بكر كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فخرج يثب فى درعه وهو يقرأ سيهزم
الجمع ويولون الدبر فاستجاب لكم انى ممدكم اى بالامداد وقرئ انى بالكسر لان الاستجابة نوع
من القول بالف من الملائكة مردفين متبعا بعضهم بعضا من اردفته اذا جئته تابعا وهى
لغة اكثر العرب او تابعا بعضهم بعضا من قولك اردفته اذا اتبعته قاله الزجاج والاخفش وعلى
الوجهين معناه تلاحق الملائكة الى ان بلغ خمسة الاف فيوافق ما فى آل عمران فيكون ذلك تفصيلا
لهذا الاجمال لان تلك السورة متأخرة نزولا وقرأ نافع مردفين بفتح الدال على ان الله اردف
الملائكة بعضها بعضا او اردفها المؤمنين فان قلت من فسر المردفين بالملائكة المتبعين
للمؤمنين او المتبعين اياهم كيف يوافق بين ما فى السورتين والقصة واحدة قلت له ان يقول
الالف كان مقدمة المؤمنين ولا يلزم منه انحصار الملائكة المنزلة للنصر فيهم وقد صحت
الاحاديث بقتال الملائكة يوم بدر وما جعله الله الامداد بالملائكة الا بشرى الا بشارة
شبه الفعل المسار بالخبر فاطلق عليه البشارة استعارة ولتطمئن قلوبكم اذا رأيتم مدد
السماء وكثرة العدد وما النصر الا من عند الله لا اثر للكثرة كم من فئة قليلة غلبت فئة
كثيرة ان الله عزيز لا يغالب حكيم ينصر من يشاء لسبق حكمته اذ يغشيكم النعاس منصوب باذكر
او بما جعله الله وقيل متعلق بالنصر او بما فى عند الله من الفعل وفيه ان النصر يتقيد بذلك
الوقت مع ان المراد عمومه فى سائر الازمان والمواطن قرأه نافع بضم الياء وتخفيف الشين
وابن كثير وابو عمرو بفتح الياء واسكان الغين من باب فعل يفعل والباقون بضم الياء وتشديد
الشين والمختار قراءة ابن كثير وابى عمرو لاسناد الفعل الى النعاس لكونه المباشر القريب ولاتفاق
السبعة عليه فى يغشى طائفة منكم امنة امنا من الله مفعول له فان قلت فعلى قراءة ابن كثير
وابى عمرو كيف يكون مفعولا له وشرط نصبه ان يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا
قلت لما كان معنى يغشيكم النعاس تنعسون انتصب على ان النعاس والامنة لهم والمعنى اذ تنعسون لامنكم
ومنه صفة اى امنة حاصلة لكم من الله ويجوز ان يكون الامنة فعل النعاس مجازا ولاصحابه حقيقة
كما هو الشائع فى نظائره وقد سلك هذا المسلك من قال يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك فهو نفار

فهو نفار سرور وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وسوسته
والرجز لغة القذر فانهم نزلوا على كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام ونزل المشركون على الماء
وباتوا تلك الليلة فاحتلم اكثرهم فوسوس لهم الشيطان فقال انتم اصحاب محمد وتزعمون انكم
على الحق وانكم تصلون مع الجنابة وقد عطشتم وهؤلاء لا ينتظرون الا ان يغلبكم العطش
فيقتلون منكم من شاؤوا ويسوقون بقيتكم اسراء فانزل الله المطر الغزير حتى سال الوادى
فاغتسلوا وسقوا الركاب وتلبد الرمل حتى تثبت عليه الاقدام وليربط على قلوبكم بزوال
الوسوسة والوثوق بلطفه تعالى ويثبت به الاقدام بالمطر او بالربط وازالة الخوف حتى
تثبتوا فى المعركة اذ يوحى ربك الى الملائكة متعلق بيثبت انى معكم بالاعانة والنصر وقرئ
بالكسر لان الوحى فيه معنى القول فثبتوا الذين امنوا بكثرة العدد او بالبشارة بان النصر لهم او
بالمحاربة سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب تفسير لقوله انى معكم فثبتوا ولا اعانة اقوى
من القاء الرعب فى قلوب الكفرة ولا تثبيت اشد من ضرب الاعناق واجتماعهما نهاية النصر و
يحتمل ان يكون قوله سألقى الى قوله كل بنان تلقينا للملائكة وتعليما لهم ما يثبتون به المؤمنين
كانه قال لهم قولوا لهم قولى هذا ومن جعل سألقى فى قلوب الذين كفروا تفسيرا لقوله انى معكم فثبتوا
بعد تفسير التثبيت بالبشارة وتكثير العدد ثم جعل التفسير دليلا على ان الملائكة قاتلوا فقد التزم
ما لا يلزم فاضربوا فوق الاعناق اى المفصل بين الرأس والعنق لكونه امكن للحز وقيل المراد به
الرأس لانه المقتل يحل بادنى ضرب واضربوا منهم كل بنان البنان الاصابع جمع بنانة وقيل الاطراف
وفائدة الضرب عليها ابطال اليد فانها الجزء الاعظم فى الحرب ذلك الضرب والامر به والخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم او عام بانهم شاقوا الله ورسوله خالفوه مأخوذ من الشق وهو الجانب
وانما سميت المخالفة مشاقة لان كلا من المتعاديين يأخذ فى شق غير شق الآخر وكذلك
المعاداة والمخاصمة من العدوة والخصم وهو الجانب ومن يشاقق الله ورسوله فان الله
شديد العقاب الخطاب للكفار التفاتا ومحله الرفع على الابتداء والخبر ذلكم العقاب
او العقاب ذلكم او نصب بما فسره فذوقوه وان للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم
والمعنى ذلكم العقاب لكم وكم عذاب النار فى الآخرة او مفعول معه اى عذاب الدنيا مقرونا بعذاب
الآخرة وانما وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على العلية والعموم واستعمل مع عذاب الدنيا
لا تركا المقابلة لعذاب الآخرة يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا جيشا يزحفون
اليكم والزحف هو المشى وقيل من زحف الصبى اذا مشى على استه اريد به الجيش الكثيف كانه لكثرته
يدب دبيبا قليلا والمعنى على هذا فلا تولوهم الادبار فضلا عن ان تساووهم او
قلتم ونصبه على الحال اما من الفاعل او المفعول او منهما اى متزاحفين او الفاعل فيكون مقدمة نهى
عن الفرار يوم حنين لكونهم كانوا اثنى عشر الفا وقوله ومن يولهم يومئذ دبره اشارة الى
ذلك اليوم الا متحرفا لقتال يريد الكر بعد الفر تغريرا للعدو وكثيرا ما يفعله ابطال الابطال وقد
ذلك فى وقعة من وقائع بنى الاصفر ولله الحمد وقد انتصب على الحال والا لغو لا دخل له فى النصب

او سيئتا من المولين اى الاجلاء متحرفا او متحيزا الى فئة اى جماعة اخرى من المسلمين للاستعانة
بهم وقد روى عن ابن عمر انه كان فى سرية وقد فروا واتى المدينة فقالوا يا رسول الله
نحن الفرارون قال لا بل انتم العكارون وانا فئتكم اى الكرارون العطافون الى الحرب بعد
التولى فقد باء بغضب من الله رجع به والتزمه من البواء وهو الملزوم ومأويه جهنم وبئس
المصير هذا اذا لم يزداد واعلى الضعف كفرار واحد من الاثنين لقوله الآن خفف الله
والقول بان الاية مخصوصة باهل بيته ومن معه فى الحرب لا وجه له مخالف للاجماع الفرار
من الزحف اذا لم يبلغ العدو والرخصة من اكبر الكبائر فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم روى
انهم لما قتلوا من قتلوا واسروا من اسروا طفقوا يفتخرون بما فعلوا فرد الله ذلك والقتل
صورة وان كان صادرا منهم ولكن لما كان بنصر الله وامداد الملئكة وقتالم نوع منهم القتل
وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى ولكن مخففا والذى بعده مع رفع الله وما رميت اذ رميت ولكن
الله رمى قيل ان جبرئيل لما التقى الجمعان قال خذ قبضة من الحصباء وارم بها فى وجوه المشركين
فقال لعلى ناولنى من حصباء الوادى قبضة فناوله فرمى بها وقال شاهت الوجوه فلم يبق واحد
منهم الا دخل عينه منه شىء فشغلوا به وطفق المسلمون يقتلون ويأسرون وسياق الاية ظاهر
فى ان ذلك كان يوم بدر واهل الحديث على ان ذلك كان يوم احد والمعنى ان ذلك الرمى وان
صدر منك مباشرة بصرفا الا له ولكن ايصال التراب الى عيونهم كلهم مع كثرتهم وتفرقهم لم يكن
الا بصنعه تعالى وقيل ما رميت خلقا اذ رميت كسبا وليس بشىء لان افعال العباد كلها كذلك
فان وجه لتخصيص ذلك بالرمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا وليعطى المؤمنين عطاء جميلا
جزاء لو فعل ما فعل ولاعطاء اجر لدين قهر العدو ان الله سميع عليم سمع استغاثتهم وعلم نياتهم
وقصدهم اعلاء كلمته ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين عطف على ذلكم لان الاشية بعد التاخ
تأويل المصدر اى المقصود من ذلك الفعل الخارق امران احدهما بالذات وهو ابلاء المسلمين والآخر
بالعرض وهو توهين كيد الكافرين وقرأ بتشديد الهاء نافع وابن كثير وابو عمرو والباقون باسكانها
والاول ابلغ وقرأ حفص كيد بالخفض على الاضافة ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة
فانهم لما ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واكرم الحزبين و
اقرانا للضيف واوصلنا للرحم ففيه تهكم بهم وقيل الخطاب للمؤمنين والاستفتاح كان حين
الاستغاثة والدعاء بالنصر ويؤيد الاول قوله وان تنتهوا اى اهل مكة عن الكفر فهو خير لكم
لتضمنه سلامة الدارين واشتماله على سعادة المنزلين وان تعودوا الى معاداته والاصرار
على الكفر نعد بالنصر والاغاثة ولن تغنى عنكم فئتكم جمعكم شيئا من الاغناء بعد وقعة
بدر اراد وان يجمعوا الجموع كما فعل ابو سفيان يوم احد ولو كثرت وان كثرت وان الله مع
المؤمنين قرأ نافع وابن عامر وحفص بالفتح اى ولان الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة لن تغنى
عنكم فئتكم والباقون بالكسر وهذه ابلغ لان الجملة تنعم منها مع الاستقلال يا ايها الذين
آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تجادلوه كما جادلتم فى قضية بدر ولا تولوا عنه ولا تعرضوا عنه

ولا تعرضوا عنه فى الحرب تقديمه نهى عما فعلوه يوم احد وانتم تسمعون القرآن الامر بطاعته
وتأييده وذكر الله فى امتثاله للتوطئة ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا هم المنافقون وهم
لا يسمعون سماع تفهم وتدبر ان شر الدواب عند الله الصم عن استماع الحق البكم عن
النطق به الذين لا يعقلون لم يذكر العقل لان الكلام فى امتثال الامر والبصر لا مدخل له فى
ذلك جعلهم شر الدواب لانها تسمع وتعقل ما طاقته النفع ولو علم الله فيهم خيرا بالارعواء
عن الضلالة لاسمعهم سماع فهم وتدبر وقد علم انه لا خير فيهم ولو اسمعهم ذلك الاسماع
لتولوا وهم معرضون واعرضوا لسبق العلم بانهم اهل الطبع وكلمة لو هنا مثلها فى لو لم يخف الله
لم يعصه وهو ان يكون نقيض الشرط اولى بترتب الجزاء فالمعنى ان التولى منهم حاصل على
تقدير الاسماع فعلى تقدير عدمه بطريق الاولى يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول
بالاجابة والاستجابة بمعنى الاطاعة اذا دعاكم وقت دعائه وتوحيد الضمير لان ذكر الله
للتوطئة روى البخارى انه نادى ابا سعيد بن المعلى فابطأ فى الاجابة فلما جاء قال ما اوجب
ابطاءك قال كنت اصلى قال الم تسمع قوله تعالى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم والقول
بان المصلى ابى بسهو والقول بان اجابته لا تبطل الصلوة اذا كان دعاؤه لامر لا يحتمل التأخير
ليس بشىء لان الكلام فى الصلوة والانصراف عنها قصدا مبطل اجماعا وكون الامر مما لا يحتمل
التأخير ليس مخصوصا به لان من رأى اعمى يقع فى بئر يجب عليه قطع صلوته اجماعا والآية مسوقة
لبيان شرفه وان شأنه يباين شأن سائر الناس لما يحييكم به من المعارف والحكم الالهية التى
حيوة القلوب والجهاد الذى هو مظنة الشهادة التى هى سبب الحيوة لقوله تعالى بل احياء عند
ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه فان قلوب بنى آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن
يقلبها كيف يشاء بين الاسعاد والاشقاء فعليكم المسارعة الى الاجابة رسوله بعد ما يلطف بكم
وانه اليه تحشرون لا الى غيره فاستعدوا فيجازيكم الاجر والثواب واتقوا فتنة لا تصيبن الذين
ظلموا منكم خاصة اى ذنبا لا يختص عقابه بطائفة منكم كتقرير المنكر بينكم والمداهنة وسلوك
طريق البدعة وافتراق الكلمة وعلى هذا قوله لا تصيبن جواب الامر اى اتقوا فتنة لا تصيبكم فان
اصابتكم لا تصيبن الذين ظلموا خاصة بل تعمكم فاقيم جواب الشرط مقامه بعد جواب الامر فى
تشبيهه عنه وعلى هذا من التبعيض ودخول النون المؤكد لتضمنه معنى النهى مثله قوله
لا يحطمنكم سليمان وهذا وجه وجيه لما روت عائشة قلت يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون
قال نعم اذا كثر الخبث ويجوز ان يكون لا تصيبن صفة فتنة نهيا على ارادة القول اى مقولا فيها
وان يكون كلاما مستأنفا نهيا واردا بعد الامر لا اتصال له من الاعراب والمعنى وان كان للفتنة
ظاهرا ولكن المراد نهيهم عن التعرض للظلم ما على الابلغ وجه نحو قوله فلا اريتكم فقصد ذل وعلى
الوجهين من للبيانية اذ المعنى لا تتعرضوا للفتنة فيصيبكم عقابها ووبالها الظالمين خاصة الذين
هم انتم بناء على ظلمكم دون سائر الناس واعلموا ان الله شديد العقاب من نظا باليه يا ايها
اتق الله واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون فى الارض اى ارض مكة الوقت او الطارف فيه بالخوف

قدر نعمة الله والمخاطبون هم المهاجرون والارض ارض مكة او جملة الصحابة لان العرب لم يكن فيهم ملك يطاع ويجمع اليه فاعزهم الله برسوله لما آثر رسول الله بعض المؤلفة بالعطاء بعد حنين ولم يعط الانصار شيئا قالوا العجب ان قريشا تقطر سيوفنا من دمائهم وتردّ غنائمنا اليهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجمعهم في قبة وقال ما حديث بلغني عنكم قالوا هو الذي بلغك قال الم تكونوا فقراء فاغناكم الله بي الم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي فكلما قال كلمة قالوا الله ورسوله امن ثم قال والله اني لاعطي رجالا اتألفهم على الاسلام اما ترضون ان يذهب الناس بالدنيا وتذهبون برسول الله فيكم المحيا وفيكم الممات تخافون ان يتخطفكم الناس كفار قريش او من عداهم من العرب فانهم كانوا اعداء مضادين لقريش وفارس والروم والتخطف الاختلاس والاخذ بالسرعة فآواكم جعل لكم مأوى وهي المدينة وايدكم بنصره على الكفار يوم بدر او بمظاهرة الانصار وامداد الملائكة ورزقكم من الطيبات باحلال الغنائم لعلكم تشكرون لكي تشكروا هذه النعم يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول بتعطيل فرائض الله وترك سنن رسول الله واصل الخون النقص ومنه خائنة الاعين وهي مسارقة النظر وفي الحديث كان عبد الله بن عمر يتخوننا بالموعظة مخافة السآمة علينا وقدّام بن كعب بن زهير في قوله لم تخونه الاحاليل نزلت في ابي لبابة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوه الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير ويجليهم كما اجلى اخوانهم الى اذرعات الشام واريحاء فابى فقالوا اجعل بيننا وبينك سعد بن معاذ ونحن نرضى بحكمه وتنزل فرضي رسول الله بذلك وارسل اليهم ابا لبابة وكان مناصحا لهم فلما بلغ الرسالة اشار بيده الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فلم تزل قدماي مكانهما حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فندم على ذلك وربط نفسه بسارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث على ذلك سبعة ايام فخر مغشيا ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحلّ نفسك فقال لا والله حتى يحلني رسول الله فجاء وحله فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت بها الذنب وان انخلع من مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث وتخونوا اماناتكم فيما بينكم مجزوم داخل تحت النهي او منصوب بتقدير ان بعد الواو نحو قوله وتكتموا الحق وانتم تعلمون قبح الخيانة او حال كونكم عالمين عامدين ليس ذلك على سبيل السهو او انتم علماء لا يخفى عليكم حسن الاشياء وقبحها واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة يحجرون بهما فلا يحملنكم حبهما على الخيانة وتقديم الاموال لعمومها في الناس او لكونها شقيق الروح وكان ابو لبابة انما وقع فيما وقع لان عياله وامواله كانت في ايدي بني قريظة وان الله عنده اجر عظيم لا يحاط بمقداره فلا تفوتوه بحب الاموال والاولاد الفانية يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ما يفرق به بين الحق والباطل اي شيء كان كالحلال والعنوان والمراد به الاية اما النصر لانه يفرق به بين المحق والمبطل ولذلك سمي يوم بدر يوم الفرقان او ما يلقي الله في قلوب المتقين لدفع الاشتباه لقوله واتقوا الله ويعلمكم الله ويكفر عنكم سيئاتكم لان الحسنات يذهبن

يذهبن السيئات ويغفر لكم بتجاوز عن ذنوبكم فالاولى حمل احدهما على الصغائر والآخر على الكبائر لان المتقي تائب والتوبة تجب ما قبلها من الكبائر وقيل ما تقدم وما تأخر ويختص باهل بدر لان الله تعالى اطلع عليهم يوم بدر وقال افعلوا بعد اليوم ما شئتم ولا حرج والله ذو الفضل العظيم لا يحاط بفضله ولا يقتصر على المغفرة بل يبدل سيئات التائب حسنات وفيه ايماء الى ان جزيل نواله تفضل لان العبد لا يستحق اجرا في مقابلة عمله واذ يمكر بك الذين كفروا لما ذكر ما من به عليه من قهر العدو بالقتل والاسر ورد امر الغنيمة اليه وامر المؤمنين بطاعته واستجابة دعائه والمسارعة الى امتثال اوامره ذكره سوابق نعمه ليتوفر على القيام بشكرها اي اذكر ذلك الوقت او حادثة ذلك الوقت لما مات ابو طالب وهاجر من اصحاب رسول الله من هاجر الى بعد الانصار واسلموا فشق ذلك عليهم وخافوا من تفاقم امره اجتمعوا في دار الندوة للمؤامرة في شانه فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ فقال لهم انا شيخ ذو رأي من نجد وقد سمعت بامركم فدخلت عليكم ولن تعدموا مني نصحا او صوابا وشرعوا في التشاور فقال ابو البختري الرأي عندي ان تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتلقوا اليه في كوة طعامه وشرابه وتتربصوا به ريب المنون فقال ابليس هذا ليس برأي اذ لا تأمنوا ان يقاتلكم عليه قومه ويخلصوه وقال بعضهم الرأي عندي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم ويستريح جماعته فقال ابليس ليس هذا برأي اذ لا تأمنوا ان يفسد قوما ويقاتلكم بينهم فقال ابو جهل اني ارى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقدر بنو هاشم على قتال قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلنا فقال ابليس الرأي ما رآه هذا الفتى فهو اجودكم رأيا فتفرقوا على ذلك فاخبر جبريل رسول الله بذلك وامره بالخروج وان لا يبيت تلك الليلة في مضجعه فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب بالبيتوتة في مكانه وقال له اتشح ببردي لا يخلص اليك شر وخرج مع الصديق مهاجرا والقوم باتوا مترصدين له فلما اصبحوا لم يروا الا علي بن ابي طالب ورد الله مكرهم ولما اقتفوا اثره فاعمى الله ابصارهم وفي الحديث انهم لما تابعوا بعد الخروج ثلثة ايام في الغار فقال ابو بكر لو نظروا يا رسول الله تحت ارجلهم لرأونا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظنك يا ابا بكر باثنين الله ثالثهما وقد روي انه عليه السلام قال للصديق انظر الى باب الغار فنظر فرأى بحرا وعلى بابه سفينة ليثبتوك بالحبس والوثاق او الاثخان بالجراح او يقتلوك بالسيوف او يخرجوك من بلدك وفاعلها على وجهك ويمكرون ويمكر الله ويخفون ذلك ما كر بك ويمكر الله بعاملهم معاملة الماكر من حيث لا يشعرون كما فعل بهم يوم بدر بان قلل المسلمين في اعينهم حتى اجترؤا على القتال ثم امدهم بالملائكة والله خير الماكرين لا ثوبة لمكرهم عند مكره واطلاق ذلك عليه على سبيل المشاكلة والازدواج واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا هو قول ابي جهل كذا اسنده البخاري وقيل النضر بن الحارث وكان قد جاء بكتاب فيه اكاذيب العجم رستم واسفنديار وكان اهل قريش يجمع عليه عند الركن ويقرأ عليهم تلك الاكاذيب ويزعم

انه احسن قتيصا من رسول الله فامر يوم بدر فامر رسول الله الزبير فضرب عنقه وانما لم يصف
الآيات بالبينات اشارة الى فرط عنادهم وانهم لم يقولوا تلك المقالة عند تدبر فيها ان
هذا الا اساطير الاولين نقلت اليه واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك كما زعم
محمد فامطر علينا حجارة من السماء سعدة للعذاب كما انزلتها على قوم لوط واصحاب الفيل او
ائتنا بعذاب اليم بنوع آخر منا به لله يريد وبيان ما يدعيه محمد بانه منزل من عندك
افتراء عليك ونحن قاطعون بعدم حقيته فان كان الامر كما زعم فانزل علينا الحجارة لانا
مستحقون لذلك بانكارنا الحق وهذا اسلوب بديع في الانكار يستعمل كثيرا وماله الى التعليق
بالمحال وانما عرفوا الحق اشارة الى ان المنكر حقيته على الوجه الذي يدعيه محمد من نزوله اليه
من عند الله لانهم لا ينكرون صدقه مطلقا لقولهم بانه من اساطير الاولين روي ان معاوية قال
لرجل من اهل اليمن ما اقل عقلاء قوما ولوا عليهم امرأة يريد بلقيس فقال اقل عقلاء منهم من قال
اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم يريد
ان موجب العذاب قد تكامل ولكن سنة الله مع الانبياء ان لا يعذب قومهم ما داموا بين
اظهرهم لشرفهم عند الله ومكانتهم الا يرى ان الناس اذا احسوا العذاب من غرق وحرق يتوسلون
الى الله تعالى بالاولياء والصالحين في دفعه والمعنى انهم كانوا يستحقون العذاب لما تشاوروا
في امرك وسبب التأخر الى يوم بدر وجودك بين اظهرهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
بعد خروجك والمستغفرون هم ضعفة المسلمين الذين لم يقدروا على الخروج والهجرة بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهم الذين قال فيهم ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات والقول بان
استغفار المستضعفين كان للمشركين بالتوفيق للايمان بعيد لعدم ملايمة لولا رجال مؤمنون ونساء
مؤمنات او هو امر فرضي اي لو استغفروا بعد خروجك لم يعذبوا وما كان ربك ليهلك القرى
بظلم واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام رسول الله والمؤمنين
وفيه اشارة الى انه من اعظم جناياتهم لانهم كانوا يعرفون بانه لا يحل منع احد من زيارة بيت الله
ومع ذلك ارتكبوه وما كانوا اولياءه اي اولياء المسجد رد لما كانوا يقولون نحن اولاة البيت
نمكن من زيارته من نشاء ونمنع من نشاء وما كانوا اولياء الله لانهم كانوا يقولون نحن نسقي الحجيج و
نفك العاني ونطعم الجائع نحن اولياء الله ان اولياؤه الا المتقون من الشرك فان المشرك نجس
لا يصلح لولاية بيت الله والمتقون هم اولياء الله لما عرفهم ولا اعتبار بتلك المكارم بدون الايمان
ولكن اكثرهم لا يعلمون ولذلك يتمسكون بما لا يصلح دليلا والقيد باكثر اما لان بعضهم يعلم و
لكن يعاند او اطلق الاكثر على الكل كما يطلق القليل على العدم وما كان صلوتهم عند البيت الا
مكاء وتصدية المكاء بفتح الميم وتشديد الكاف ممدودا اسم طاير والمكاء صوته والتصدية
التصفيق من الصدى وهو الصوت الراجع الى المصوت من الجبل يعني عدم استحقاقهم لولاية البيت
لانه انما بني لعبادة الله وذكره وهم كانوا يطوفون مشبكين بين اصابعهم الرجال مع النساء يصفرون
ويصفقون وانما اطلق عليه الصلوة لوضعهم موضعها او الصلوة بمعنى الدعاء او كان لهم صلوة

لهم صلوة يفعلون فيها ذلك فذوقوا العذاب ما اصابهم يوم بدر او عذاب الآخرة بما كنتم تكفرون
بسبب استمراركم على الكفر ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله طريقة الوصل
اليه وهو شريعة رسوله نزلت في المطعمين لما خرجوا لتلقي العير وكانوا اثني عشر رجلا يطعمون كل
يوم عشر جزاير وقيل في ابي سفيان لما جمع الاحابيش في وقعة احد فانه استأجر الفين من العرب
باربعين اوقية كل اوقية وزنها اثنان واربعون مثقالا وقيل في قريش فانهم بعد بدر
تشاوروا في اخذ الثار من رسول الله صلى الله عليه وسلم والتزم كل منهم مقدارا يصرفه
في تجهيز الجيش ونهضة الغدو فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة فالاول انفاقهم على الا
ودعوة بعضهم بعضا الى ذلك وهذا اخبار بانهم سينفقون المال مع عدم ترتب الفائدة
بل مع ما يترتب عليه من الاسف على فواتها وزيادة العذاب يوم القيمة ثم يغلبون لان العاقبة
للمتقين كتب الله لاغلبن انا ورسلي والذين كفروا الى جهنم يحشرون من مات منهم على الكفر
ليميز الله الخبيث من الطيب الكافر من المؤمن متعلق بيحشرون نحو قوله وامتازوا اليوم ايها
المجرمون او ما انفقه المشركون في عداوة رسول الله مما انفقه المؤمنون في نصرته واعادة كلمة
فاللام متعلقة بحسرة قراءة حمزة والكسائي ليميز بضم الياء والتشديد وهو المختار لكثرة استعماله
والزيادة في المعنى ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا منضما بعضه الى بعض من
الركام وهو السحاب المتركب بعضه فوق بعض فيجعله في جهنم كله وفائدته التاكيد
دفع توهم فوت محقر منه كما هو المتعارف من الملوك في الدنيا فانهم يسامحون في ذلك اولئك
هم الخاسرون كل الخسران لان ما جعلوه وسيلة للنفع في الدنيا لم ينفع وصار زيادة في العذاب
يوم القيمة قل للذين كفروا اي في شانهم وحقهم ان ينتهوا عن الكفر يغفر لهم ما قد سلف
اي ذنب كان فان الاسلام يجب ما قبله على عمومه في الحربي لانه لم يلتزم شيئا من الاحكام واما
الذمي فيسقط عنه ما عدا حقوق العباد وان يعودوا استمروا على الكفر او يعودوا الى القتال
ومشاقة الرسول فقد مضت سنة الاولين سنة الله في الكفار الدارجين وهي انهم اهل
النار او سنة الكفار المعاندين للرسل وهي الاستيصال او الاولين منهم وهم قتلى بدر و
قاتلوهم ان لم ينتهوا حتى لا تكون فتنة شرك وضلال ويكون الدين كله لله لا يكون لغيره فيه
نصيب على كونه المستحق دون غيره فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير يجازيهم على ما عملوا
وان تولوا واعرضوا عن هذا النصح والبشارة بمغفرة ما سلف منهم فاعلموا انتم ايها المؤمنون
والمراد الاستمرار ان الله مولاكم ناصركم دائم النصر لكم نعم المولى المالك المنعم ونعم النصير
الناصر الذي لا يغلب واعلموا انما غنمتم من شيء نزلت في غنايم بدر بعدما رد امرها الى رسوله
فقبل ذلك الجمل وقيل قانونا يمشون عليه مدى الدهر والمعنى اعلموا انما امرنا بالعمل ان
كل شيء غنمتموه من الكفار مما يقع عليه اسم الشيء جليلا كان او حقيرا فان لله خمسه فان لله
خمسه خبر للموصول في انما والجملة قامت مقام مفعولي العلم وللرسول ولذي القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل اي تقسم الغنيمة خمسة اخماس ثم يؤخذ الخمس الواحد ويصرف على هذه الفئات

الخمسة فان ذكر الله في امثاله للتوطئة وكانه قيل حق الخمس ان يكون متقربا به اليه تعالى ثم خص الجهة
المصروف اليها بهؤلاء الاخصين به وقيل بل هنالك سهم سادس يصرف الى وجه من وجوه
القرب ولم يذهب اليه احد من ائمة المذاهب فان ابا حنيفة رحمه الله حصره في اليتامى والمساكين
وابن السبيل لان سهم رسول الله وذوي القربى سقطا عنده وانما يعطى ذووا قرابته اذا
اتصفوا باحد الصفات الثلاثة وقال الشافعي رحمه الله بل الاخماس باقية كما كانت في عهده
صلى الله عليه وسلم فسهمه يصرف الى ما كان يصرف اليه من الكراع والسلاح وما كان من نحوها
وسائر مصالح المسلمين وسهم ذوي القربى يصرف اليهم يستوي فيه الغني والفقير للذكر مثل حظ
الانثيين وذووا قرابته هو هاشم وبنو المطلب دون بني نوفل وبني عبد شمس وان كان هاشم
والمطلب ونوفل وعبد الشمس اولاد عبد مناف وذلك لما اسند البخاري ان رسول الله لما اعطى
بني هاشم وبني المطلب قال له عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان عبشميا وجبير بن مطعم وكان
نوفليا يا رسول الله بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك منهم ولكن نحن وبنو المطلب بمنزلة فكيف
اعطيتهم دوننا فشبك رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصابعه وقال نحن وبنو المطلب
هكذا لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام واشار بذلك الى قصة وهي ان سائر بطون قريش
تعاضدوا على معاداة بني هاشم وبني المطلب وحلفوا على ان لا يناكحوهم وكتبوا بذلك صحيفة
وعلقوها على باب البيت فوافقهم على ذلك بنو نوفل وبنو عبد الشمس **ان كنتم آمنتم بالله** حذف
جزائه لدلالة ما تقدم عليه فاعلموا ان الخمس مما غنمتم لكذا **وما انزلنا على عبدنا** من الآيات
والامداد بالملائكة او ما انزلنا عليه **يوم الفرقان** يوم بدر في امر الغنيمة وجعلنا امر الغنيمة
مفوضا اليه وسمي به لانه فرق فيه بين الحق والباطل **يوم التقى الجمعان** بدل منه للتوضيح والبيان
والله على كل شيء قدير ولذلك نصر شرذمة المؤمنين وامدهم بالملائكة **اذ انتم بالعدوة
الدنيا** القربى من المدينة والعدوة بالضم شاطئ الوادي وقرأ ابن كثير وابو عمرو بكسر العين
والضم افصح لانه لغة الحجاز منصوب باذكر او بدل ثان ليوم الفرقان **وهم بالعدوة القصوى**
من المدينة والقياس القصيا كالعليا والدنيا تفرقة بين الاسم والصفة وقد جاء على الاصل
كالقود واستحوذ **والركب اسفل منكم** على الساحل وانما يطلق على اصحاب الابل في السفر اذا
كانوا فوق العشرة **ولو تواعدتم** انتم والمشركون الاجتماع على هذه الهيئة **لاختلفتم في الميعاد**
انتم لقلة عددكم وهم لرعب رسول الله في قلوبهم وانما ذكر الواقعة مع ذكر الزمان والمكان
مفصلا بانهم كانوا في العدوة الدنيا والعدو في العدوة القصوى والركب اسفل منهم وهم
عالمون بذلك تذكيرا لهم وتصويرا للواقعة المفضية الى اعلاء كلمة الله مع ان حالهم كانت منافية
للانتصار وقهر العدو لان العدوة الدنيا كانت ارضا ذات رمل تسوخ الاقدام فيها ولم يكن
بها ماء والقصوى كانت ارضا طيبة بها ماء وكون الركب اسفل منهم فيما مما يثبت جاش المشركين
ويشجعهم على القتال واذا علم ان ذلك النصر لم يكن الا من الله لا باسباب منهم فتجب عليهم المبادرة
الى امتثال اوامره التي من جملتها امره بايصال الخمس الى مصارفه فليكون وصلة الى الانتصار في سائر

في سائر الوقائع ويكون لطفا للسامعين اذا تليت عليهم الى آخر الدهر وليتعلقوا به قوله **و
لكن ليقضي الله امرا كان مفعولا** كان حقيقا بان يفعل من اعلاء كلمة الله واعزاز دينه متعلق
بمحذوف اي دبر ما دبر من خروج الطائفتين **ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة**
بدل من الجار والمجرور او متعلق بمفعولا والمعنى ليكون كفر من كفر صادرا عن حجة واضحة
عليه دالة على مكابرته واسلام من اسلم عن يقين لا يشوبه شائبة وهم اذ لا علم فوق عين
اليقين فيكون الهلاك والحيوة مستعارين او ليموت من يموت بعد مشاهدة البينة
ويعيش من يعيش بعد معاينتها وقرأ نافع وابن كثير في رواية البزي وابو بكر عن عاصم بفك
الادغام على الاصل والباقون بالادغام **وان الله لسميع** اقوالكم **عليم** بنياتكم وانما
اردف الكفر والايمان بهما لان كلا منهما يكون بالقول والاعتقاد **اذ يريكهم الله في منامك
قليلا** اراهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في رؤياه قبل الوقعة شرذمة فاخبر بذلك
اصحابه ليكون ذلك مشجعا لهم ذاهبا بزجر الشيطان وقيل بل اراهم رؤية عين والمنام
هو العين وليس فيه زيادة معنى العدول عن الحقيقة واذ مقدر باذكر وقليلا نصب
على الحال من المفعول **ولو اراكهم كثيرا لفشلتم** جبنتم وخفت قلوبكم **ولتنازعتم في الامر**
في امر القتال بان يقدم عليه بعضكم ويحجم البعض وتفرقت كلمتكم **ولكن الله سلم** من الفشل
والتنازع بارائته اياكم اياهم قليلا **انه عليم بذات الصدور** بمضمراتها كانت او سيكون **واذ
يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا** مطابقا لما اخبر به رسول الله ومصدقا لرؤياه الضمير
مفعولا الاراءة لانها من رؤية البصر فلا يقتضي ثالثا وقليلا نصب على الحال وعن ابن مسعود
قللوا في اعيننا حتى قلت لمن كان على جانبي اتراهم سبعين قال اراهم مائة **ويقللكم في
اعينهم** حتى قال ابو جهل ان محمدا واصحابه اكلة جزور ودابهم ان الجزور طعمة مائة وهذه الاراءة كانت
قبل التلاقي فلما تلاقوا كثرهم الله في اعين المشركين حتى رأوهم مثلي عدد المشركين لقوله
يرونهم مثليهم رأي العين وذلك من آيات الله وامداده كما امدهم بالملائكة ولما كانت
الرؤية وسائر الادراكات يخلق الله من غير شرط فله ان يخلق رؤية القليل في صورة الكثير
وبالعكس **ليقضي الله امرا كان مفعولا** كرره لاختلاف الفعل المعلل **والى الله ترجع الامور**
فيصدرها كيف يشاء **يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة** جماعة كفارا كانوا او بغاة لقوله
فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله او قطاع الطريق لقوله يحاربون الله ورسوله واللقاء
اشتهر في القتال **فاثبتوا واذكروا الله كثيرا** ذكرا كثيرا **لعلكم تفلحون** تظفرون بالنصر روى
البخاري عنه صلى الله عليه وسلم لا تتمنوا لقاء العدو فاذا لقيتم فاصبروا واعلموا ان الجنة
تحت ظلال السيوف وكان يقول عند لقاء العدو اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم
الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم **واطيعوا الله** فيما امركم به من الثبات في مواطن الحرب **ورسوله
ولا تنازعوا** وفيكم رسول الله الذي يأتيه الخبر من السماء ساعة فساعة وقد قال لا ينبغي
عند نبي التنازع **فتفشلوا** من الفشل وهو الجبن مجزوم داخل تحت حكم الامر او منصوب باضمار ان

وَيَذْهَبَ رِيحُكُمْ دولتكم ونصركم مستعار لهما لانهما في التمشي والنفوذ كالريح في الهبوب وهو
حقيقة لان نصرة الله جرت بان يكون الريح من صوبه وجاء العدو قلة النصر ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وَاصْبِرُوا كررها ليعتق بقوله إِنَّ اللَّهَ
مَعَ الصَّابِرِينَ بالحفظ والنصر وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ يريد مشركي مكة بَطَرًا مصدر
في موضع الحال بالتأويل وبتقدير الفعل والبطر مقابلة النعمة بالكفران تكبرا وَرِئَاءَ النَّاسِ
عطف على بطرا وهو اظهار الجميل خلاف ما في الباطن وذلك ان ابا سفيان ارسل الى كفار قريش
يخبرهم بنجاة العير ويأمرهم بالرجوع فقال ابو جهل كلا والله حتى نرد بدرا فنشرب بها الخمور
ونحر الجزور ونعزف علينا القينات ولما وردوا البدر شربوا وبكى كؤس الحمام وغنت لهم
ولكن النوائح فقد امروا بمقابلة النعمة بالشكر والاخلاص في الاعمال لان النهي عن الشيء امر
بضده لاسيما عند القرينة وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ عطف على بطرا و
صريح الفعل لعل لقصد الحدوث بخلاف البطر فانه امر مستمر وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ
التي كانوا يتقربون بها من النحر لآلهتهم واطعام الجائع وسقي الحجيج وفائدة الامر ذكر التحذير عن
الاغترار بوسوسة الشيطان وان اباطيله تضمحل عند تبين منير الحق وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ
مِنَ النَّاسِ لان تلك الاعمال واقعة منكم ولانكم على الحق وملة ابراهيم وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ مجيركم ولنتم
في امان فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ الجزايان نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ رجع القهقرى وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي
أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ عن ابن عباس ان ابليس تصور لهم بصورة سراقة بن مالك الكناني
وذلك لان قريشا وكنانة كان بينهم حرب فلما ارادوا المسير الى حماية العير قالوا كيف وبينكم و
بين كنانة ما تعرفون يخلفونكم في اهليكم فقال اني جار لكم من كنانة وذهب معهم له راية وجند
من الشيطان فلما راى الملائكة نازلين وكانت يده في يد الحرث بن هشام اخي ابي جهل فنزعها
فضرب صدر الحرث ثم ولى هاربا فقال له الحرث ويلك يا سراقة اتخذلنا في هذه الساعة فقال اني ارى
ما لا ترون فالناس على هذا كانه ويحتمل ان يكون ذلك التزيين بالوسوسة وقوله اني جار لكم ايهام
اياهم ان اتباع خطواته وطاعته مما تغني عنهم شيئا ولما لم ينفعهم ذلك الاتباع شبه بالرجوع
القهقرى وهذا مروي عن الحسن وقوله اني اخاف الله على الاول معناه انه يخاف من الملائكة الذين
ان يصيبوه بمكروه او لما راى الملائكة مردفين ظن انه يوم القيمة لما راى من خرق العادة و
على الثاني سببه تزلزل كيده وعدم ثباته وانهزام جنده من المشركين بنزول مدد براس
الخوف والناس محمد صلى الله عليه وسلم وحزبه روى مالك عن طلحة بن عبيد الله ان رسول الله
قال ما روي ابليس اصغر ولا ادحر ولا اغيظ منه يوم عرفة لما يرى من تنزل الرحمة الا ما رئي
يوم بدر وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ من كلامه تعالى اي يحق لابليس ان يفر من خوف عقابه ويجوز
ان يكون من تتمة كلام ابليس اظهارا للمعذرة إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
واذكر وقت قول المنافقين والذين لم يرسخ الايمان في قلوبهم بعد والمشركين او هم المنافقون
والعطف لتغاير الوصفين غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ مفعول قولهم اي اغتروا واتقوا بدينهم ولذلك

ولذلك خرج ثلثمائة رجل الى قتال الف ذكر في معرض الاسناد واجاب عن شبههم بقوله
وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ يثق به ويفوض امره اليه ويقطع النظر عن الاسباب فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ غالب
لا يغالب ما يفعله انما يفعله بحكمه ينصر اوليائه ويقهر اعدائه وان كان ذلك في بادي
الرأي مستبعدا وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ اي لو رأيت ذلك لرأيت امرا عظيما
هم الذين قتلوا يوم بدر وقيل هم الذين يموتون حتف انفسهم والمراد ان موتهم ليس اخف
من موت من قبل قراءة ابن عامر بالتاء لان الملائكة جمع وعلى قراءة الياء يجوز ان يكون الفاعل
هو الله والملائكة مبتدأ خبره يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ والجملة حالية استغني بالضمير عن الواو
وعلى الاول المضارع حال من الملائكة او من المفعول او منهما لاشتماله على الضميرين وَ
أَدْبَارَهُمْ استاههم والمعنى يضربون اشرف اعضائهم واخسها لعدم المبالاة بهم وقيل يعمون
ضربا ما اقبل منهم وما ادبر وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ عطف على يضربون بتقدير القول اي قائلين
لهم هذا القول مبشرين لهم بعذاب الآخرة بعد هذا الضرب وقيل كان بايديهم مقامع من حديد
كلما ضربوا بها التهبت النار منها ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ مبتدأ وخبر يحتمل ان يكون من كلام
الملائكة وان يكون من كلام الله وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ عطف على الخبر اي ذلك العذاب
بسبب امرين بكفركم وبان الله لا يعذب احدا بغير ذنب وانما اتى بصيغة المبالغة للتكثير
المستفاد من الاستغراق فلو وقع الظلم على تلك الافراد لكان ظلما كثيرا او للاشارة الى شدة
العذاب والمعنى ان ذلك العذاب العظيم الذي يحق بهم لو عذب به من لا يستحقه لكان ظلما عظيما
لا لاطلاق الجملة كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ الدأب مصدر دأب اذا داوم على الشيء وتمرون عليه وفي
الحديث ان بعيرا اشتكى الى رسول الله من سائسه فقال له يشكو اليّ انك تدأب اي تديم العمل عليه
وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ من قبل آل فرعون كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ والتشبيه ان شان هؤلاء واولئك سواء
في الكفر فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ اهلك اولئك جزاء ذنوبهم كما احل بقومك يوم بدر إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ
شديد القوى لا يغلب ولا يعجزه شَدِيدُ الْعِقَابِ وفي الحديث ان الله ليمهل الكافر حتى اذا اخذه لم
يفلته والملائكة ملوك الدنيا اذا عاقبوا فنهاية عقابهم القتل وعقاب الله كما العذاب الشديد
ذَلِكَ اشارة الى ما حل بالمشبهة والمشبه به بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ يبدلها
عنهم حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ حتى يتركوا شكرها ويجعلوا مكانه الكفر الم تر الى الذين بدلوا
نعمة الله كفرا والنعمة التي غيرها قريش هو رسول الله صلى الله عليه وسلم انعم الله عليهم به فلم يشكروا نعمة الله
لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا وجعل الله لهم حرما آمنا وجعل لهم رحلتي الشتاء
والصيف فاطعمهم من جوع وآمنهم من خوف فلما آخرجوا رسول الله من الحرم احل الله القتال
في الحرم ولم يحل لاحد قبله حتى قال يوم الفتح للانصار احصدوا اوباش قريش فلم يلقوا احدا الا
اناموه فقال ابو سفيان يا رسول الله ابيحت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من القى السلاح فهو آمن ومن اغلق بابه فهو آمن إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ لاقوالهم عَلِيمٌ
بعقايدهم تعليل لما احل بهم من العذاب كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ

ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون كرر التشبيه للتاكيد وبدل لفظ الجلالة بالرب
ايماء الى ان الكفر بآيات الله كفر بنعمة المنعم وبين ان الاخذ السابق كان باهلاك طائفة و
اغراق اخرى وكل كانوا ظالمين وكل من هؤلاء واولئك كانوا ظالمين بالكفر والتكذيب
ان شر الدواب شر كل ما يدب على الارض عند الله الذين كفروا الصم البكم الذين لا
يعقلون فسرهم في تلك الآية فهم لا يؤمنون لعدم القابلية بانتفاء آلة الادراك والقوة
المدركة الفاء سببية ماقبلها الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة بدل
بعض من الذين كفروا وهم بنو قريظة من اليهود فانهم كانوا معاهدين رسول الله هم وبنو
النضير فنقضوا العهد واعانوا المشركين على رسول الله وارسلوا كعب بن الاشرف الى مكة ليعقد
الحلف معهم فعلم رسول الله بذلك فارسل اليه محمد بن مسلمة ومعه ثلثة نفر فقتلوه ثم جاء
رسول الله الى اليهود وقال يا معشر اليهود اسلموا تسلموا قالوا لقد بلغت يا ابا القاسم قال
ذلك اردت اعلموا يا معشر اليهود ان الارض لله ولرسوله واني اريد ان اجليكم من هذه الارض
فاجلا بني النضير ومن على قريظة حتى كان يوم الخندق غزوة الاحزاب نقضوا العهد و
حاربوا رسول الله واعانوا المشركين عليه فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع السرج
واغتسل جاء جبرائيل وهو ينفض رأسه من الغبار فقال وضعت السلاح فوالله ما وضعنا الحرب
اليهم واشار الى بني قريظة فحاصرهم رسول الله ونزلوا على حكم سعد بن معاذ فحكم بان تقتل
مقاتلتهم وتسبى ذراريهم وهم لا يتقون شناعة الغدر او هم لا يتقون عذاب الله بنصر المؤمنين
عليهم وقتلهم وسبي اولادهم وهتك حريمهم فاما تثقفنهم في الحرب تصادفنهم واصله
الحذق والسرعة يقال غلام ثقف اي عاقل حاذق فشرد بهم من خلفهم نكل بهم فعلا يكون سببا
لتفرق الآخرين الذين لم يحضروا معهم حتى لا يناصبك بعد ذلك احد والتشريد هو التفريق
من شرد الجمل اذا ذهب وعصى لعلهم يذكرون لعل من شردت يتعظ ويرعوي الغافل من
الاتعاظ بغيره وانما تخافن من قوم خيانة ولم يبد منهم ما يوجب نقض العهد فانبذ اليهم عهدهم
واخبرهم بان لا عهد بينك وبينهم على سواء كائنين انت وهم على صفة الاستواء في العلم والعداوة
حال من النابذ والمنبوذ اليه ان الله لا يحب الخائنين تعليل للامر بالنبذ والنهي عن الغدر الذي
دل عليه الامر بالنبذ وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم لكل غادر لواء يوم القيمة ينصب
عند استه وينادى عليه هذه غدرة فلان ولا يحسبن خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
الذين كفروا سبقوا الجملة سدت مسد المفعولين اي لا تحسبن الكافرين الذين فروا يوم
بدر فاتوهن وقرأ حمزة وابن عامر وحفص بالياء على ان سبقوا ثاني المفعولين والاول
محذوف اي انهم سبقوا والضمير للنبي على طريقة الالتفات او لكل حاسب ولا يخل فهذه القراءة
ودعوى تفرد حمزة باطلة لموافقة ابن عامر وحفص في السبعة ولابي جعفر في العشرة وابن
محيصن والحسن وطلحة في الشاذة والخطاب المخاطب لجريه على النسق السابق ولعدم الحذف ولكونه
ابلغ لتسلية لانها نزلت فيمن افلت يوم بدر ومن جعل ضمير الغيبة لمن خلفهم ابعد عن المقام

عن المقام انهم لا يعجزون استيناف مؤكد عدم السبق المفهوم من لا تحسبن وقرأ ابن عامر ان
بالفتح اما لكونه مفعول الحسبان وسبقوا حال والا صلة او بتقدير اللام تعليلا واعدوا لهم
ما استطعتم من قوة ذكر ان الغازين من بدر ليسوا بفائتين وكان مظنة ان يتكاسل المؤمنون
في امر الجهاد متكلين على ذلك فحثهم على اعداد آلة الحرب لقهر اعداء الله واعدائهم والقوة
خلاف الضعف والمراد به الرمي بالسهم لما روى مسلم والبخاري عن عقبة بن عامر انه صلى الله عليه وسلم
قرأ الآية على المنبر وفسر القوة بالرمي وكرره ثلاثا ولعل ذلك لانه اقوى في التأثير لانه
يدفع العدو من بعيد ولا يمكنه الاحتراز منه لعدم الاحساس به ولان حرب العرب اكثر ما
يكون بالحراب والسيوف فحثهم على تعاطي الرمي وفي الحديث من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا و
من رباط الخيل انما خصه بالذكر لشدة الامر في ذلك وصرف المال اليه وقيل القوة كل ما يتقوى
به من آلة الحرب وافراد الرباط لفضيلته نحو عطف جبرائيل على الملائكة ترهبون به عدو
الله وعدوكم استيناف تعليلا للامر او جملة حالية وهم كفار مكة وآخرين من دونهم
فارس والروم وقيل المنافقون او اليهود وكانوا ايضا اعداء لكن لم تكن عداوتهم كعداوة
مشركي مكة لا تعلمونهم باعيانهم صفة آخرين الله يعلمهم تنبيه على ان علمه كاف في ذلك
فلا يهمنا ونوافي عداوتهم واعداد آلة الجهاد وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم جزاؤه
وانتم لا تظلمون لا تنقصون من اجره شيئا وان جنحوا للسلم مالوا الى الصلح ومنه الجناح للطائر
والجناح الاثم والسلم للاستسلام وقرأ ابو بكر بكسر السين وهما لغتان كالكفف والكفف
فاجنح لها واقبل منهم ولان اذ ربما يكون في ذلك زيادة شوكة للاسلام بان يختلط المشركون
ويسمعوا القرآن ويشاهدوا محاسن الاسلام فيكون سببا واعيالهم الى الايمان وتوكل على الله
فوض امرك اليه دفع لما عسى يتوهم ان يكون الصلح منهم خديعة وطلبا لغرة المؤمنين انه هو السميع
لاقوالهم العليم باحوالهم وضمائرهم فان يكن قصدهم المكر فان مكر الله فوق مكرهم والآية محكمة
لانها نزلت في الحديبية لما صد المشركون رسول الله عن البيت وآية السيف لا تدل على الوجوب
بل الاذن في القتال بعد حرمته وليست مخصوصة باهل الكتاب لانها انما يعقبهم كان ظن للفقد
من اتصال قوله لا يحسبن الذين سبقوا نزل فيمن افلت يوم بدر وان يريدوا ان يخدعوك فيعزح
بما اشير اليه بقوله وتوكل على الله فان حسبك الله كافيك لاحتياج معه الى آخر ينسوي فيه
الجمع والمفرد هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم باحاطة الخطاب التواد
وبعد التباغض والتمانع اشارة لما كان بين الانصار قبل الاسلام من الحروب المتكاثرة في
الازمنة المتطاولة وهم الاوس والخزرج ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بدل الله ذلك
بالالف والاخوة بحيث لم يبق لذلك اثر وفي الحديث انهم تذاكروا يوم بعاث وهو يوم مشهود
وكانت الغلبة فيه للاوس حتى تداعى القبيلتان بالحرب فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اتدعون بدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم فعلموا انها كانت نزغة من الشيطان فندموا
وتعانقوا لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم تمكن العداوة فيهم دهرا طويلا

الدعاء الثارات وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ لانه قادر على كل شيء وقلوب العباد بين اصبعين من
اصابعه يقلبها كيف يشاء غالب لا يغلبه على مراده شيء حَكِيمٌ متقن في صنعه جعلهم بعد ذلك التفرق
يدا واحدة على نصرة دين الله واعلاء كلمته يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
حصر اولا كفايته في نفسه لانه المؤثر ابتداء واضاف اليه المؤمنين ثانيا جريا على الظاهر في
اعتبار الوسايط والموصول اما في محل الرفع عطفا على المرفوع او في محل النصب لانه مفعول معه
لحسبك والضحاك سيف مهتدا ومجرور عطفا على المجرور المحل بدون اعادة الجار على مذهب
الكوفيين يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ بعد علمه انه كافية امره الحثهم على القتال
الذي هو سبب اعلاء كلمته والحرض شدة المرض زاد به المبالغة في الحث إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ
صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا اشترط في الغلبة الصبر
وعلل بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ قلوبهم خاوية عن المعرفة لا يرجون من الله ثوابا ليكون باعثا لهم على
المصابرة بخلاف المؤمنين فانهم موقنون بما اعد الله لمن يموت في سبيله من علو الدرجات روي
ان خالد بن الوليد في بعض الحروب مع الروم بارز يوما من الايام بنفسه وكان امير الجيش فقتل
الف بطل من ابطال الروم ثم تقدم عليه بطريق منهم وقال له يا امير هل خبرك نبيكم انك لا تموت
قال لخالد لم ذلك قال لان ما تفعله من الاقدام انما يفعله من اخبره صادق القول بان لا سبيل
للموت اليه فقال خالد اخبرني صادق القول بان كل نفس ذائقة الموت واخبرني ايضا بما
اعد الله لمن يقتل في سبيله من النعيم وكان غذائي اليوم خبز الشعير مبلولا بالماء فانا استعجل
الموت للفوز بذلك النعيم فاسلم بطريق بمكانه قرأ ابو عمرو والكوفيون ان يكن منكم مائة في
هذه الاية والكوفيون في الثانية مائة صابرة بالتذكير والباقون بالتأنيث والتذكير هو المختار
لاعتبار المعنى ومناسبة يغلبوا الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ
صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ كان الامر بمقاومة الواحد
العشرة لقلة المسلمين فلما كثروا وكان ذلك شاقا عليهم خفف عنهم بمقاومة المائة للمائتين والالف
للالفين وانما كرر مقاومة القليل للكثير لمعان مختلفة واعداد متباينة اشارة الى ان الحكم
واحد لا يتغير باختلاف الاعداد اذ ربما لا يقاوم العشرون المائتين ويقاوم المائة الالف وكذلك
ربما يقاوم العشرة العشرين ولا يقاوم الالف الالفين قرأ ضعفا بفتح الضاد حمزة وعاصم
والباقون بالضم وهما لغتان وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ بالنصر والاعانة حث على المصابرة المتروك
بها النصر مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ ما صح وما كان ينبغي له وقرأ ابو عمرو ان تكون بتأنيث
نظرا الى لفظ الاسرى حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ يكثر القتل من الثخانة وهي الغلظ والكثافة المناسب
للكثرة وفائدة في الارض والقتل لا يكون الا فيها الاشارة الى انه لا ينبغي له ان يقصد الى ان
يأتيه العدو بل يمشي في مناكب الارض ويسعى لاعلاء كلمة الله كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
غزا في عشر سنين سبعا وعشرين غزوة وله بنفسه وخمسون سرية وقال لولا ان اشق على امتي ما
تعدت خلف سرية تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا متاع الدنيا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ يريد لكم ما يوصل الى ثواب

الى ثواب الاخرة من الجهاد والقتل لاعزاز دينه وَاللَّهُ عَزِيزٌ لا يحتاج الى معاون وانما يأمركم بالمحاربة
مع اعدائه لطفا بكم لتنالوا ثوابه وجزيل نواله حَكِيمٌ في كل ما يأمر به دفع لما يتوهم من قوله فاما
منا بعد واما فداء فانه جوز الفداء والمن وذلك لما كان بالمؤمنين من الشوكة والكثرة وهذا
كان عند قلة المؤمنين وكان اول قتال وقع فكان الاولى الاثخان في القتل ليقع الرعب في
قلوب المشركين لما اسر سبعين من المشركين شاور ابا بكر فقال ما ترى في هؤلاء فقال يا رسول
الله قومك وعشيرتك وعسى الله ان يرزق الاسلام ويخرج من ظهورهم من يشهد ان لا اله
الا الله خذ الفداء منهم يتقوى به المهاجرون والانصار ثم التفت الى عمر بن الخطاب وقال
ما ترى انت يا ابن الخطاب قال لا ارى ذلك الرأي يا رسول الله هؤلاء روس الكفار وصناديدهم
ثم علينا لنضرب عنق عقيل ومر لي ان اضرب عنق فلان نسيب له وانه نحي اعناق عن قدامهم
فاختار رسول الله ما اشار الصديق واخذ الفداء وقال ان مثل ابي بكر مثل ابراهيم حيث
قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثل عمر مثل نوح اذ قال رب لا تذر على
الارض من الكافرين ديارا فنزلت قال عمر فدخلت على رسول الله وابو بكر عنده وهما يبكيان
فقلت يا رسول الله اخبرني فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال عرض علي عذاب اصحابك
في اخذهم الفداء ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وفي الاية دليل على انه كان يجتهد
في الوقايع لا سيما في امر الحرب ويخطي نادرا ولكن ينبه على خطائه لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ
لولا سبق في علمه او لولا كتب في اللوح ان المجتهد اذا اخطأ لا يؤاخذ او اهل بدر لا يعذبون
او ان الفدية التي اخذوها كانت مباحة لهم في علم الله لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ لعظم
ما جنيتم له وهو الميل الى الدنيا وترك جانب الاخرة قال صلى الله عليه وسلم لو نزل العذاب
لما نجا منه الا عمر ويدل ذلك على ان عمر كان يرى رأي ابي بكر وقيل الا عمر وسعد بن معاذ
فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ ومن جملته الفداء والفاء داخلة على المسبب اي احل لكم الفداء فكلوا حَلَالًا
حال من المجرور او صفة مصدر طَيِّبًا لا عتاب معه كما لا عقاب مع الحلال وَاتَّقُوا اللَّهَ في
مخالفته والاقدام على ما لم يأذن فيه إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ غفر لكم ما فرط منكم في اخذ الفداء رَحِيمٌ
بكم ولذلك احل لكم الغنيمة قال اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي كان النبي يبعث الى قومه و
بعثت الى الاحمر والاسود ونصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا و
احلت لي الغنائم واوتيت الشفاعة يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ قرأ ابو عمرو الاسارى
وكلاهما جمع اسير او الثاني جمع الجمع إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ نزلت في عباس
بن عبد المطلب اسر يوم بدر وادعى الاسلام وانه خرج معهم مكرها فقال رسول الله اما
ذلك منك قال لماذا تأخذ مني وقد علمت ما انا فيه من كثرة العيال فقال واين المال الذي
قلت لام الفضل اني ذاهب في وجهي هذا ولا ادري ما ذا يصيبني فان اصابني شيء فقد وضعت
في موضع كذا ما لا فانفقته على الصبية فقال خبر السماء والله لقد قلت لها ما قلت في سواد
الليل ففادى نفسه وعقيل بن ابي طالب وفي الحديث ان ابا عبيدة الجراح لما جاء بمال البحرين

وكان اكثر مال جيء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرف من صلوة الصبح تعرض له الانصار
فلما رآهم تبسم وقال اظنكم سمعتم بمجيء ابي عبيدة فقالوا اجل يا رسول الله فقال ابشروا
والله لا الفقر اخشى عليكم ولكن اخشى ان تبسط عليكم كما بسطت على من قبلكم فتنافسوا
فيها ثم جاء وجلس فلم يقم وهناك منه درهم وجاء العباس فقال يا رسول الله اعطني فاني
فاديت نفسي وعقيلا وقال خذ منه فحثا في ثوبه وقام ليحمله فلم يقدر فقال يا رسول الله مر
احد الجلة معي فقال لا فقال فاحمله انت قال لا فنثر منه شيئا ثم قال ليحمله فلم يقدر وقال
يا رسول الله مر احد الجلة معي قال لا قال فاحمله انت قال لا فنثر منه ثم ذهب يحمله فاتبعه
رسول الله بصره تعجبا من حرصه وروي انه قال ان الله قد اعطاني خيرا منه اي لي عشرون عبدا
وان ادناهم ليضرب في عشرين الفا ويغفر لكم ما سلف والله غفور رحيم وان يريدوا خيانتك
وليس اسلامهم الا خداعا فقد خانوا الله من قبل بالكفر والخروج الى غنائم الله فامكن منهم
فامكنك منهم حتى قتلت واسرت والله عليم بالضمائر حكيم يجازي كلا على قدر نيته ان الذين
آمنوا وهاجروا عن اوطانهم وجاهدوا باموالهم صرفوها في السلاح والكراع وانفسهم قدم
الاموال على الانفس لان صرفها بعد الهجرة من الوطن غاية السماحة في سبيل الله في الجهاد والذين
آووا ونصروا اي جعلوا ديارهم مأوى المهاجرين ونصروا رسول الله اولئك بعضهم اولياء بعض
يتولى بعضهم بعضا في الميراث لما قدم المدينة آخى بين اصحابه وكان الانصار اصحاب نخل فكانوا
يجعلون شطر اموالهم للمهاجرين حتى قال سعد بن الربيع لعبد الرحمن بن عوف خذ شطر مالي
ولي زوجتان ايهما احببت اليك اطلقها فتزوجها فقال له بارك الله لك في مالك واهلك
وكانوا يتوارثون الى ان نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض والذين آمنوا ولم
يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا اي لا توارث بينكم وقرأ حمزة ولايتهم بكسر
الواو عن الفراء انهما لغتان كالوكالة وعن الزجاج بالفتح النصرة وبالكسر الامارة وانما جاز
الكسر على التشبيه بالصناعة كالخياطة والحياكة لان تولي بعضهم بعضا صناعة ما وان
استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم نصرهم هؤلاء الذين لم يهاجروا وكانوا
مستضعفين غير قادرين على اللحوق برسول الله وعن ابن عباس رضي الله عنه انا نهم وعن
حذيفة بن اليمان خرجت انا وابي والمشركون متوجهون الى بدر فقالوا انتم تريدون محمدا فقلنا
ما نريد الا المدينة فاخذوا علينا ان لا نذهب اليه فلما جئنا رسول الله ذكرنا له فقال لنا
اذهبوا الى المدينة نفي بعهدهم الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق فلا يجوز نصرهم عليهم لانه غدر
وخيانة والله بما تعملون بصير لا يخفى عليه خافية والذين كفروا بعضهم اولياء بعض يتوارثون
ولا توارث بين مسلم وكافر لما حج رسول الله قيل له اين تنزل غدا بمكة قال وهل ترك لنا عقيل
من دار وذلك ان عقيلا كان كافرا لما مات ابو طالب ورثه ولم يرثه جعفر ولا علي الا تفعلوه
ما امرتم تكن فتنة في الارض بذهاب المؤمنين الى الكفار لاخذ ميراثهم وبالعكس ويقع بينهم التقاطع
والتقاتل لان عداوة الدين لا يمكن زوالها وفساد كبير في الدين لان الولاية بينهم توجب مودة

توجب مودة الكفار والحب في الله والبغض في الله من اوثق عرى الايمان لا يتخذ المؤمنون
الكافرين اولياء من دون المؤمنين والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين
آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لما قسم المؤمنين ثلاثة اقسام بين ان الفئتين منهم
بما اختصوا به من الزيادة بالسبق في الهجرة وتبوء الدار وصرف الاموال والانفس في نصرة
الدين واعلاء كلمة الله لهم مغفرة ورزق كريم شريف لا تبعة فيه ولا انقطاع والذين
آمنوا من بعد اي بعد ايمانكم او بعد هجرتكم وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم معدودون
منكم يشملهم اسم المهاجر وان كان لكم مزية تسلية للمتخلف وترغيب للسابق في رعاية
جانبه واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله في التوارث استدل به ابو حنيفة
على توريث ذوي الارحام وهو نص فيه واسند لا لفوتي ان الله بكل شيء عليم كامل
العلم فجعل التوارث عند قلة المسلمين للاجانب لكونه موجبا للتناصر والتظاهر ولما
قوي الاسلام وكثر اهله جعله للقرابة سورة براءة مدنية وقيل الا قوله لقد جاءكم
رسول الى آخر السورة وهي آخر سورة نزلت آيها تسع وعشرون ومائة عند الكوفيين
وثلاثون ومائة عند غيرهم ومن اسمائها الفاضحة لانها فضحت طوائف المنافقين وهو
ظاهر وكذا الكافرون واهل الكتاب بقوله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى
المسيح ابن الله ثم قال قاتلهم الله انى يؤفكون والمؤمنين بقوله يوم يحمى عليها في نار جهنم
فتكوى بها جباههم وجنوبهم وبقوله لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء وانما لم تكتب
البسملة فيها لانها نزلت بالسيف ونبذ العهد فلم يلائم ذكرها قال الله ولا تقولوا
لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا لانه لا يلائم السلام الذي يدل على الامن فكيف يذكر
اسم الجلالة مع الرحمة العامة لكافة الخلق الشاملة للدارين في نبذ العهد والاعلام
بالقتل وسفك الدماء واما قصد بركته صلى الله عليه وسلم بها الى اهل الحرب وكان
لدعائهم الى الاسلام وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبين موضع الآيات والسور
وانفصل بجوار الله ولم يبين موضع هذه السورة وكانت متشابهة بالانفال فلم يعلم هل هي
منها كساير الآيات او هي سورة مستقلة فعمل بالامرين لم توصل كساير الآيات ولم يفصل
بالبسملة براءة من الله ورسوله خبر مبتدأ اي هذه براءة ومن ابتدائية اي واصلة من الله
او مبتدأ خبره الى الذين عاهدتم والجار والمجرور صفة ومعناه الانفصال والانقطاع ومنه
برئ المرض والمعنى انقطاع الموالات ونبذ العهد الى الذين عاهدتم من المشركين وانما
علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين لان المعاهدة كانت باذن الله فاذا
براء الله من المشركين ومعاهدتهم وجب على المسلمين نبذ عهودهم وسبب نزولها ان رسول
الله كان عاهد المشركين وكان في تلك الهدنة شرط ان لا يتعرضوا لخزاعة فانهم كانوا احلاف
رسول الله وفي الجاهلية كانوا احلاف عبد المطلب فعدت بنو بكر على خزاعة وعاونتهم قريش
ثم وفد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانشد لا بيه اني ناشد محمدا

حلفا بيننا وابيك الالدا ان قريشا اخلفوك الموعدا ونقضوا ذمامك المؤكدا هم بيتونا بالحطيم
هجدا وقتلونا ركعا وسجدا فلما سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا نصرت ان لم
انصركم فنزلت واعلم المسلمون بان الله ورسوله قد برئا مما عاهدتم من المشركين وكان ذلك
سنة تسع من الهجرة والفتح سنة ثمان وحج بالناس تلك السنة ابو بكر الصديق رضي الله عنه
واتبعه عليا بسورة براءة ليقرأها في الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي
عني الا رجل مني وكانت عادة العرب في نقض العهود ان لا يباشر الا رجل عاهد او ان يكون
نسيبا له قريبا منه فلحق علي ابا بكر رضي الله عنه وكان على العضباء ناقة رسول الله فلما سمع ابو بكر
رغاءها قال هذا رغاء ناقة رسول الله فلما التقيا قال له امير او مامور قال بل مامور
قال ابو هريرة فجاء على منبرنا ينادي ان لا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان
وقرأ عليهم السورة على جمرة العقبة قدر ثلثين او اربعين آية **فسيحوا في الارض اربعة اشهر**
عن الزهري انها شوال وذو القعدة وذو الحجة ومحرم وقيل عشرون من ذي الحجة ومحرم و
صفر وربيع الاول وعشر من ربيع الاخر وحرم فيها القتال فيها وقتالهم وذا هو الوجه لان عليا
لقي ابا بكر بمنى وانما امهل الناكثين اربعة اشهر ليرجع كل منهم الى مأمنه ويقطع علايقه من
الديون والمعاملة التي كانت بينهم وبين المسلمين **واعلموا انكم غير معجزي الله** لا تفوتونه وان
امهلكم **وان الله مخزي الكافرين** بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب الشديد في الاخرة
واذان من الله ورسوله الى الناس اعلام منهما فعال بمعنى الافعال كالامان والعطاء خبر مبتدا محذوف
او مبتدا موصوف والى الناس خبره **يوم الحج الاكبر** سمي الاكبر لانه في مقابلة العمرة التي تسمى
الحج الاصغر قيل هو يوم العيد لان فيه تمام اكثر افعال الحج ولما روي ان الاعلام فيه وقع وقيل يوم
عرفة لان الركن الاعظم ولذلك يقال الحج عرفة وقيل وصفه بالاكبر مخصوص بتلك السنة
لانه كان فيه المسلمون والمشركون ووافق عيد اهل الكتاب ولم يتفق ذلك بعد **ان الله بريء
من المشركين** من عهودهم **ورسوله** عطف على المستكن في بريء او مبتدأ محذوف الخبر وقرئ بالنصب عطفا على اسم
ان اولانه بمعنى حكم المكسور بعد العلم المقتضي لوقوع التعداد والخبر بعد ولهذا كسرت في حلت
ان زايد القايم وانما جحت لا يتضمنه معنى المفعولية وقرئ بالجر والوجه فيه القسم من الله
وله لعمرك ولا تكرير لان الاول اخبار بثبوت البراءة والثاني اعلام بذلك للناس كافة **فان
تبتم** من الكفر والغدر **فهو خير لكم وان توليتم** عن التوبة او ثبتم على التولي
فاعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه ولا تعجزونه عن اخذكم وانما كرر زيادة في الاتعاظ
والنصح واردفه بقوله **وبشر الذين كفروا بعذاب اليم** على سبيل التهكم مبالغة في التحذير بخلاف
الاول فانه اكتفى فيه بخزي الكافرين **الا الذين عاهدتم من المشركين** عام في الناكثين وعزمهم
والمراد من اجل عهده فوق اربعة اشهر لان الناكث له الامهال اربعة اشهر ويجوز ان يكون ابدا
استثناء من قوله فسيحوا اذ التقدير فقولوا لهم سيحوا اربعة اشهر الا الذين عاهدتم منهم ثم لم
ينقصوكم شيئا فاتموا اليهم عهدهم او منقطع اي لكن الذين عاهدتم منهم ولا يلزم الفصل

بالاجنبي لان الاذان بمعنى الاعلام كانه قيل لهم سيحوا واعلموا **ثم لم ينقصوكم شيئا** من شروط العهد
بالخيانة **ولم يظاهروا عليكم احدا** من اعدائكم **فاتموا اليهم عهدهم** اوفوا لهم بالعهد **الى مدتهم**
الى تمام الزمان الذي وقع عليه العهد والمدة برهة من الزمان **ان الله يحب المتقين** من نكث
العهد والغدر وفيه ايماء الى ان اتمام عهدهم من باب التقوى **فاذا انسلخ الاشهر الحرم**
انقضت الانسلاخ الخروج والانتزاع ومنه سلخ الشاة والاشهر الحرم هي التي ابيح لهم ان يسيحوا
فيها وحملها على الاشهر الحرم التي وردبها الحديث وهي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب
مضر خطاء لان قتل المشركين ليس بمحرم فيها وكونها حرما لزيادة شرفها **فاقتلوا المشركين**
حيث وجدتموهم في الحل والحرم وفي الاشهر الحرم وغيرها **وخذوهم** الاخذ لغة الاسير **و**
احصروهم وقيدوهم وعن ابن عباس رضي الله عنه حصرهم ان يحال بينهم وبين المسجد الحرام **واقعدوا**
لهم كل مرصد كل موضع يرصدون فيه الراصد الراقب والترصد الترقب **فان تابوا** امنوا
واقاموا الصلوة واتوا الزكوة اقروا بوجوبها لان تارك الصلوة وان كان عند الشافعي يقتل
وعند احمد يكفر ولكن تارك الزكاة ليس بكافر ولا يقتل اذا لم ينكر وجوبها **فخلوا سبيلهم**
يتصرفون كيف شاؤا لاستواء المسلمين في الاحكام **ان الله غفور** ستار بالتوبة ما تقدم بها
رحيم بجعله اياهم بعد الايمان كسائر المسلمين وعدلهم الثواب على التوبة **وان احد من المشركين**
الذين لا عهد لهم عندك **استجارك** استامنك مفسر للفعل الرافع لاحد لان ان الشرطية من لوازم
الفعل لفظا او تقديرا **فاجره** فامنه **حتى يسمع كلام الله** ويتامله ليكون باعثا له على الاسلام
وفيه دليل على ان كلامه يطلق على اللفظ كما يطلق على المعنى **ثم ابلغه مأمنه** مكانا يأمن فيه
ان لم يسلم وفاء بالعهد **ذلك** اي الامر بالاجارة **بانهم قوم لا يعلمون** بجهلة لا يعلمون ما حقيقة الا
فاذا تاملوا كلاما مشتملا على تلك المحاسن والمواعظ دعاهم الى الايمان **كيف يكون للمشركين**
عهد عند الله وعند رسوله استبعاد لان يكون لهم عهد مع الغدر الذي صدر منهم بريد انه لا
يبقى ذلك العهد الذي يزعمونه عهدهم فوقع على انه اسم يكون وخبره كيف وانما قدم لمعنى الاستفهام
وفيه وجوه اخر تعتقبه **الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام** هم الذين تقدم استثناؤهم وهم
بنو كنانة وبنو ضمرة وفائدة تقييد العهد لكونه عند المسجد الحرام زيادة الحث على الوفاء بكونه
واقعا في اشرف البقاع ومحله النصب على الاستثناء منقطع اي لكن الذين عاهدتم **فما استقاموا**
لكم على العهد **فاستقيموا لهم** عليه **ان الله يحب المتقين** كرره للتاكيد على حفظ العهد **كيف**
كرر لزيادة الاستبعاد مع التنبيه على العلة بقوله **وان يظهروا عليكم** يظفروا بكم ويكون لهم
الغلبة عليكم **لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة** لا يحفظوا ولا يراعوا قرابة بينكم قال حسان بن ثابت
مخاطبا اباسفيان لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رال النعام وقيل الال الحلف
وقيل الال من اسمائه تعالى بالسريانية يرادف لفظ الجلالة والمعنى لا يراقبون الله فيكم ولا
يخافونه وقيل الال الذمة والعهد وعطف الذمة عليه كعطف النجوى على السر في قوله ان
الله يعلم سرهم ونجويهم **يرضونكم بافواههم** استيناف يبين حالهم المنافية لدعوى الثبات

على العهد وهو النفاق الذي هو شر الخصال ولا يجوز ان يكون حالا من فاعل لا يرقبوا لان ارضاءهم
بافواههم قبل الظهور وتأبى قلوبهم عن موافقة ما يتفوهون به واكثرهم فاسقون خارجون
عن طريق ذوي المروات الخائفين من وصمة الغدر والتقييد بالاكثر لان قليلا منهم يتحاشى عن
شناعة الغدر او اريد بالاكثر الكل اشتروا بآيات الله استبدلوا بالقرآن وسائر الاحكام
ثمنا قليلا نزرا لا اعتداد به فصدوا عن سبيله شريعته الموصلة اليه او بيته الذي جعله
مثابة للناس ومهبط رحمته انهم ساء ما كانوا يعملون ساء شيئا الذي كانوا يعملونه لا يرقبون
في مؤمن الا ولا ذمة واولئك هم المعتدون المجاوزون الحد تفسير لقوله ساء ما كانوا يعملون
فلا تكرير وقيل الاول في المنافقين وهذا في اليهود خاصة او في الاعراب والذين جمعهم ابو
سفيان واطعمهم فان تابوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم في الدين فهم اخوانكم على
حذف المبتدأ والمراد الاخوة في الدين والتساوي في الاحكام ونفصل الآيات لقوم يعلمون
الكلام حث على التأمل فيما فصل من احكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها وكانه
قيل من تأمل تفصيلها فهو الخليق بان يسمى عالما وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم نقضوا عهدهم
او ارتدوا بعد الاسلام لقراءة ابن عامر لا ايمان لهم بكسر الهمزة والوجه هو الاول لان الآية
في ناقضي العهد لا المرتدين واما قراءة ابن عامر بكسر الهمزة فلا دليل فيه لانه مصدر آمنه اذا
اعطاه الامان وطعنوا في دينكم عابوه فانهم كانوا يقولون دين محمد ليس بشيء فقاتلوا
ائمة الكفر رؤساءهم وصناديدهم لان الاراذل اتباع فاذا قتلت يرتدع الاوباش و
الاتباع وكذلك الدخول في الدين ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهرقل عظيم
الروم فان توليت فعليك اثم الاريسيين وان اسلمت يؤتك الله اجرك مرتين وقيل وضع
المظهر موضع المضمر لانهم بالنقض ونكث العهود صاروا متمكنين في الكفر راسخي القدم قرأ الكوفيون
بتحقيق الهمزتين على الاصل والباقون بالتسهيل على اصولهم المعلومة انهم لا ايمان لهم جمع يمين
اي لا ايمان لهم بارة بل حانثة واليه ذهب الشافعي رحمه الله وقال بانعقاد يمين الكافر او
لا ايمان لهم حقيقة وان وجدت صورة اليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله ولم يصح يمين الكافر
ومن تشبث به في عدم قبول توبة المرتد لا يجد به لان الآية في ناقضي العهد ولم يسلم كونها
في المرتدين لا دلالة فيها على ذلك بل ربما يستدل بقوله لعلهم ينتهون على قبوله اذ المعنى
التنبيه على ان غرض المقاتل يجب ان يكون انتهاؤهم عما هم عليه لا مجرد الايذاء والتعذيب
وقرأ ابن عامر ايمان بكسر الهمزة الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم التي حلفوها مع رسول الله و
المؤمنين فعاونوا بني بكر على خزاعة ونقضوا العهد وكان هو المانع من القتال وهذا ابلغ
من الامر بالقتال لانه انكار لعدم القتال مع التحريض عليه وهموا باخراج الرسول حين تشاوروا
على ذلك في دار الندوة فان قلت قد تقدم ان الذي استقر عليه امرهم في التشاور كان قتله
فلم لم يذكر مع انه اعظم من همهم باخراجه قلت اراد التنبيه بالادنى وان ذلك كاف في المسارعة
على قتالهم ليعلم منه انهم اذا كانوا بذلك الهم مستوجبين للقتال فكيف بما هو اعظم وهم

وهم بدؤكم اول مرة من غير ان يسبق منكم ما يوجب العداوة وجزاء سيئة سيئة والبادي اظلم
اتخشونهم تقرير للخشية مع ان الانكار عليها وانها لا ينبغي لمثلهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم
مؤمنين لان عقابه لا يشابهه عقاب وكونهم مؤمنين وان كان مقطوعا به اورده في صورة
المحتمل لان تكاسلهم من القتال بعد تحقق موجبه يوهم ذلك قاتلوهم اعاد الامر بعد
بيان الموجب زيادة في الترغيب وزاد ما يوجب التشجيع بقوله يعذبهم الله بايديكم
قتلا ويخزهم اسرا وينصركم عليهم بالغلبة والقهر فان قلت اليس القتل والاسر يغنيان
عن ذكر النصر وما فائدة ذكره بعدها قلت فائدته الوعد بان العاقبة لهم مع ذلك القتل
والاسر وان لا سبيل للعدو عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين وضع المظهر موضع المضمر
اشارة الى ان وصف الايمان هو الموجب لذلك الشفاء هم خزاعة الذين انقض العهد لاجلهم
وقيل بطون من اليمن قدموا مكة مسلمين فلقوا من المشركين اذى كثيرا فشكوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم الغيظ غضب العاجز
عن الانتقام فان قلت اليس شفاء الصدر مترتبا على زوال الغيظ في الوجه في تقديمه قلت
النص على المقصود وتعجيل المسرة وقرع سماع المكرر من الم الغيظ بلفظ الشفاء المضاف
الى الصدر الذي هو محل الآلام النفسانية ويتوب الله على من يشاء ابتداء كلام واعلام بان
بعض كفار مكة يتوب عن الكفر وكان كذلك وفي الله بما وعد فكان ذلك معجزة وقرئ بالنصب
بتقدير ان على انه جواب الامر معطوفا على الاجوبة السابقة المجزومة على توهم النصب عكس قوله
فاصدق واكن والله عليم بمن يتوب ومن لا يتوب حكيم متقن فيما يفعله ام حسبتم ان تتركوا
الخطاب للمؤمنين وام منقطعة ومعنى الهمزة التوبيخ على الحسبان والانكار ولما يعلم الله
الذين جاهدوا منكم ولم يتميز الخلص منكم من غيرهم نفى العلم واراد لازمه والقول بانه
نفي المعلوم بنفي العلم انما يستقيم على الوجه الذي ذكروا الا في الذوات لا يمكن نفيها ولم يتخذوا
من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة معطوف على الصلة داخل تحت حكمها ووليجة
الشخص بطانته وخاصته من الولوج وهو الدخول كانها لقوة اختصاصها داخلة في قلبه
والله خبير بما تعملون ببواطن اعمالكم مزيح لما يتوهم من كون نفي العلم محمولا على ظاهره ما كان
للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر عن ابن عباس انها نزلت في العباس
لما اسر يوم بدر اقبل عليه المسلمون يلومونه على خروجه الى قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقطيعة الرحم واغلظ له القول علي بن ابي طالب فقال ما لكم تذكرون قبائحنا ولم تذكروا
محاسننا فقال علي وان محاسن لكم قال انا عمار المسجد الحرام وسقاة الحاج وحجبة بيت الله
والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين هذين الامرين المتنافيين وهما عمارة المساجد والاقرار
بالكفر لان عمارة المسجد انما يكون لعبادة الله وهم يعبدون فيها غيره ويدعون لها الالوهية كان
لهم حول البيت ثلثمائة وستون صنما قرأ ابن كثير وابو عمرو مسجد الله بالافراد وهو المختار الموافق
للرسم ولقوله عمارة المسجد الحرام ومن قرأه بالجمع اراد به العموم ويندرج فيه المسجد الحرام لا

اذا لم يصلحوا لعمارة شيء من المساجد فافضل المساجد من باب الاولى اولئك الموصوفون بالكفر
وشهادة الكفر حبطت اعمالهم بطلت ثوابها وفي النار هم خالدون مقيمون ابدا فاين الثواب
الذي يرجونه انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر يوم الجزاء على الاعمال واقام الصلوة
واتى الزكوة نفى صلاح العمارة عن اولئك الموصوفين بما ينافي عمارة المسجد واثبته على وجه
الحصر لمن اتصف بالكمالات العلمية والعملية واقتصر منها على الصلوة والزكوة لان معظم
القصد من بناء المسجد هو الصلوة ومواساة الفقراء المترددين اليها المواظبين على العبادة
بها وعمارة المسجد يشمل بناءه واقامة الصلوة فيه وتلاوة القران وتعلم وتعليم سائر
العلوم الشرعية والاذكار وفرشه وتنويره بالمصابيح والسرج وفي الحديث في المسجد ياكل
الحسنات كما تاكل النار الحطب وعنه صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول من يدل على الجمل الاحمر
فقال لا رد الله عليك انما بنيت المساجد لما بنيت وفي الحديث القدسي قال الله تعالى ان بيوتي
في الارض المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني فحق
على المزور ان يكرم زائره ولم يخش الا الله كمال تقواه ولا يحجم عن مرضات الله شيئا وقيل كان
المشركون يخشون الاصنام فالمنفي هي تلك الخشية واما الخوف الجبلي من سائر الالام فلا بد يحصل
العذرة ولا يتعلق به غرض ديني فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين لفظ التوقع كعسى ولعل وان
كان من الله كالواجب الا ان فيه ذكر تبعيد المشركين عن مقام الاهتداء والانتفاع بتلك الاعمال
التي كانوا يفتخرون بها فان هؤلاء الموصوفين بتلك الكمالات اذا لم يكونوا جازمين فما ظنك
بغيرهم اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله
كايمان من امن او جعلتم اهل السقاية كمن امن والاول اوجه لان المقايسة وقعت في الافعال
لا الاشخاص اشار الى بطلان دعواهم بان هذه الصفات السنية وهو الايمان بالله واليوم
الاخر والجهاد في سبيله تلك الاعمال لو لم تكن محبطة لم تذكر في مقابلتها ولم تعادلها فكيف
وهي مقرونة بالكفر الذي لا اعتبار لعمل معه لا يستوون عند الله اي اهل السقاية والمؤمنون
وان استووا في زعم المشركين وهذا يرجح الوجه الثاني والله لا يهدي القوم الظالمين
الذين ظلموا المسلمين بالتسوية الى الحجة والاستدلال لا الى الاسلام لانهم من اسلم كعباس
بن عبد المطلب رضي الله عنه والحمل على الكفرة الذين يموتون على الشرك بعيد عن المقام
الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله رد
المساواة التي ادعوها واستانف الكلام في شان المؤمنين المجاهدين وما اعد لهم من عظم
الدرجات ابداسا منكرا تنبيها على خطائهم وازاحة لما كان يوهم من لفظ عسى من نفي الاعمال
واولئك هم الفائزون الظافرون بالبغية لا غيرهم يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان استيناف
لبيان الفوز والبشارة بشارة الملئكة عند الموت لقوله الذين تتوفيهم الملئكة طيبين يقولون
سلام عليكم او عند دخول الجنة لقوله سلام عليكم طبتم فادخلوها وجنات لهم فيها نعيم مقيم
خالدين فيها الرضوان على الخلود به في النعيم المقيم لانه المطلب الاعلى لقوله ورضوان من الله اكبر

من الله اكبر وفي الحديث استقر اهل الجنة في منازلهم يقول الله لهم هل تطلبون مني شيئا يقولون
واي شيء نطلب منك وقد بيضت وجوهنا وادخلتنا الجنة يقول الله احل عليكم رضواني
فلا اسخط عليكم ابدا فيفرحون بذلك فرحا لم يفرحوا بشيء قبله ويخرون له سجدا ونكر
المبشر به لتوقعه وراء وصف الواصف واردف الخلود بالابد لانه يستعمل في المكث الطويل
ان الله عنده اجر عظيم لا يحاط به ولم يخطر على قلب بشر يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم
واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان عن ابن عباس نزلت في المهاجرين قبل فتح مكة وكان
تمام الايمان موقوفا على الهجرة ومصارمة الاقارب وفيه ان سورة براءة نزلت بعد الفتح
بابوب في ذلك فالاولى ان الله لما انزل براءة من المشركين عامة وكان بين المؤمنين و
المشركين شجنة القرابة التي هي مظنة الموالاة والود نهاهم عن ذلك ونبه على الموجب
لذلك وهو ايثار الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون لوضعهم الولاية
في غير موضعها وانما نص عليه لان الظلم ظاهر في التحريم قل ان كان اباؤكم وابناؤكم
واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم في القبيلة من العشرة وهي المخالطة ومن ثم تسمى الزوج
عشيرا قيل في ذم النساء يكفرن قيل ايكفرن بالله قال لا يكفرن العشير وقرا ابو بكر عشيراتكم
بالجمع واموال اقترفتموها الاقتراف الاكتساب وتجارة تخشون كسادها عدم
رواجها لفوات الموسم ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله
فتربصوا حتى ياتي الله بامره قيل هو فتح مكة وقيل عقوبة عاجلة واجلة وعلى الوجهين فيه
وعيد شديد والمراد بالحب هو الايثار والاختيار لا الميل الطبيعي لعدم دخوله تحت القدرة
وقد روي ان الحب في الله والبغض في الله من اوثق عرى الايمان وعنه من احب لله وابغض لله فقد
استكمل الايمان والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن طاعته وهم الذين طبع الله
على قلوبهم لقد نصركم الله في مواطن كثيرة في مقامات الحرب ومواقعها بعد النهي عن موالاة
الاباء والابناء والعشائر اشار الى ان الغرض من وجودهم هو التناصر والتقوي بهم على
الاعداء وقد علموا ان النصر من الله وحده شاهدوا ذلك في حروب كثيرة كيوم بدر والاحزاب
وقريظة وخيبر وغيرها من الغزوات والسرايا ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم ونصركم
يوم حنين والتقدير وموطن يوم حنين ليكون من عطف المكان على المكان او الزمان على
الزمان بان يراد بالموطن الزمان كمقتل الحسين ومبعث الرسول فعلى الاول اذ منصوب
باذكر وعلى الثاني بدل فلم تغن عنكم تلك الكثرة شيئا من الغناء مصدرا او من امر العدو
مفعولا به وضاقت عليكم الارض بما رحبت برحبها في موضع الحال ثم وليتم مدبرين الكفار
ظهوركم ثم انزل الله سكينته الوقار وقوة القلب على رسوله وعلى المؤمنين الذين ثبتوا
معه او من تولى منهم فانهم كروا بعد الفرار وفي الحديث سئل براء بن العازب افررتم يوم
حنين قال لكن رسول الله لم يفر وقصة هذه الغزوة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما فتح مكة وكان معه عشرة الاف وانظم اليهم من الطلقاء الفان فتوجه الى هوازن وثقيف

فتلاقوا بحنين وهو وادي بين مكة وطائف وكانوا اربعة الاف مع ما انضم اليهم من سائر العرب
فصاروا ابصار عسكرا كثيفا فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة قيل هو الصديق
وهو بعيد وقيل رسول الله وهذا ابعد فانهزموا بشوم تلك الكلمة وتوقع النصر بالكثرة
فبقي رسول الله ومعه العباس عمه وهو اخذ بلجام بغلته وابو سفيان بن الحرث ابن عمه اخذ
بركابه فالتفت رسول الله الى يمينه فقال يا للانصار فقالوا لبيك ثم التفت الى يساره
وقال يا للانصار فقالوا لبيك ابشر يا رسول الله نحن معك لم يبنا دعيرهم ولم يخلط بين الذين
شيئا فرجعوا اليه وعطفوا كما يعطف بقرة الوحش الى ولدها ثم قال يا عم ناد من صدق الله
السورة بهم وهم الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ثم قال ناد اصحاب الشجرة واراد
بها الشجرة التي بايعوا تحتها يوم الحديبية على ان لا يفروا فناداهم العباس وكان صيتا
فلما سمعوا نداء العباس عطفوا على رسول الله ونزل رسول الله عن بغلته وقال انا النبي
لا كذب انا ابن عبد المطلب وقال هذا حين حمي الوطيس واخذ كفا من الحصباء ورمى به وجوه
الكفار وقال شاهت الوجوه فهزمهم فقتل وسبي خلقا كثيرا حتى بلغ عدد السبي ستة
آلاف ومن الابل والغنم ما لا يحصى وذلك قوله تعالى وعذب الذين كفروا اي بالقتل و
الاسر توقف بضعا وعشرين يوما لم يقسم الغنائم وكان يؤمل دخول هوازن في الاسلام فلما
ابطؤا قسم تلك الغنائم ثم جاؤا تائبين مسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان احب الحديث الي اصدقه وقد كنت استنظرتكم والآن اختاروا احدى الطائفتين
اما السبي واما المال فقالوا لا نعدل بالسبي شيئا فقام رسول الله على المنبر فخطبنا وقال
هؤلاء اخوانكم جاؤا تائبين واني قد خيرتهم بين السبي والمال فاختاروا السبي فمن طابت
نفسه منكم فذاك ومن لم يطب فليكن على حظه حتى نعطيه من اول ما يفيء الله علينا فقالوا
قد رضينا يا رسول الله فقال انا لا نعرف من رضي منكم ممن لم يرض ارجعوا الى رحالكم حتى يرفع
الينا عرفاؤكم امركم فلما رفع عرفاؤهم انهم قد رضوا رد اليهم السبي وانزل جنودا لم تروها
اي الملئكة ولم تفتح كيفيتهم قيل كانوا خمسة الاف وقيل ثمانية الاف وقيل ستة عشر
الفا والله اعلم بذلك قيل كما يوافق بياض بعض وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر وذلك
جزاء الكافرين ما فعل بهم ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء وهم الذين جاؤا تائبين
والله غفور للتائبين ما قد سلف رحيم برد ذراريهم يا ايها الذين امنوا انما المشركون
نجس باطنهم كالشيء النجس يجتنب منهم كما يجتنب منه والنجس بالفتح مصدر نجس فاطلق عليهم
مبالغة وعن ابن عباس ان اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن ان من صافح مشركا
فعليه الوضوء مستدلا بما رواه البخاري عن ابي هريرة قال لي رسول الله اين كنت يا ابا هريرة
قلت كنت جنبا فكرهت ان اجالسك قال سبحان الله لا ينجس المسلم فلو لم يكن المشرك نجسا لم
يكن لتقييد المسلم فائدة ولم يذهب اليه اهل المذاهب لان الصحابة ومن بعدهم كانوا يأكلون معهم
ويشربون من اوانيهم وفي البخاري ان عمر بن الخطاب توضأ من جرة في بيت نصرانية فلا يقربوا

يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فضلا عن الدخول استدل به الشافعي على منع الكافر من دخول
المسجد الحرام وحمل ابو حنيفة على الحج والعمرة لما تقدم ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه نادى
في الموسم ان لا يحج بعد هذا العام مشرك وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام بعد عامهم
هذا وهو سنة تسع من الهجرة وكان الامير الصديق يرد القول بانه حجة الوداع مردود لانه
وان خفتم عيلة فقرا وفاقة يقال عال افتقر قال احيحة وما يدري الفقير متى غناه وما
يدري الغني متى يعيل كانوا يرتفقون بقدومهم بالتجارة وانواع المكاسب فسوف يغنيكم
الله من فضله الواسع بان يسبب لكم اسبابا اخر لم تخطر بخاطركم وكان كذلك فاسلم اهل تبالة
وجرش من اليمن وهما بلدتان مشهورتان بالخصب فاستاروا الميرة من كل نوع ثم تواترت
الفتوح والغنائم وتوجه الى مكة الناس من كل فج عميق قيد به ليدل على ان ذلك
ليس لسابقة وجوب واستحقاق منهم بل متفضل في ذلك ان الله عليم كامل العلم حكيم في الاعطاء
والمنع ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر
لما بين حال المشركين وما يعاملون به من القتال والاحكام اردفه قضية اهل الكتاب وما
يتعلق بهم من الاحكام والمعنى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالمبدأ والمعاد فان النصارى يقولون
ان الله ثالث ثلثة واليهود يقولون عزير ابن الله وايمانهم باليوم الاخر ليس بايمان لانهم
يعتقدونه على خلاف ما هو عليه ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق اي
دين الله الذي شرعه لعباده او دين النبي الثابت الذي لا يرد بعده ناسخ او الدين الذي
هو الحق وهو الاسلام من اضافة الموصوف الى الصفة من الذين اوتوا الكتاب بيان حتى
يعطوا الجزية غاية للقتال المأمور به والجزية اسم للمال المأخوذ منهم في كل عام فعلة من جزى
الدين قضاه عن يد متعلق بيعطوا اي يعطوها منقادين من قولهم فلان اعطى بيده اذا
انقاد واستسلم من غير حرب او حتى يعطوا ابدا بيد اي نقدا لا نسيئة او يعطوا بايديهم ولهذا
لا يجوز التوكيل باداءها او براد يد الآخذ اي يعطوها بسبب يد قاهرة مستولية عليهم او
اليد مجاز عن الانعام اي يعطوها للامن عليهم بابقاء مهجهم بين اظهر المسلمين آمنين وهم
صاغرون اذلاء من الصغار اي يؤدونها على حالة الذل والحقارة بان يأتي بها ماشيا ويأخذ
المسلم بلحيته ويجرها ويقول اد الجزية يا ذمي والاية وان وردت في اهل الكتاب لكن
ابو حنيفة رحمه الله الحق بهم سائر الكفار سوى مشركي العرب لما روى الزهري ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم صالح على الجزية عبدة الاوثان الا من كان من العرب وعند مالك يؤخذ
من كل كافر سوى المرتدة وعند الشافعي من المجوس فقط لقوله صلى الله عليه وسلم سنوا بهم
سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم واقلها دينار في كل سنة سواء فيها
الغني والفقير وعند ابي حنيفة رحمه الله ثمانية واربعون درهما على الغني ونصفها على
المتوسط وربعها على الفقير الكسوب وقالت اليهود عزير ابن الله شروع في بيان عدم
ديانتهم والقائل طائفة منهم عن ابن عباس رضي الله عنه منهم جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

سلام بن مشكم ونعمان بن ابي اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فذكروا ذلك فنزلت
وشبهتهم انه لما احياه الله وكان يحفظ التورية قالوا ما جمع الله التورية في صدره الا لكونه
ابنه قرأ عاصم والكسائي عزير بالتنوين على انه اسم عربي وابن الله خبره والباقون غير منون
لانه عجمي مثل سليمان وهارون او عربي وابن صفة والعلم الموصوف بابن مضافا الى
علم يحذف تنوينه والخبر محذوف اي عزير ابن الله الهنا او نبينا وهذا الوجه ليس بوجيه
لان الانكار يرجع الى الخبر لا الى البنوة والجواب بان الوصف هنا للمدح فانكار الخبر يقتضي
انكاره تمحل لا يليق ببلاغة القرآن او ابن خبر حمل على الصفة او حذف لالتقاء الساكنين حملا
المنون على حرف المد لتجانسهما في مد الصوت كما في رواية هارون عن ابي عمرو في احد الله و
سواء جعل ابن وصفا او خبرا فالالف ثابت في الرسم وقالت النصارى المسيح ابن الله قول
طائفة منهم وشبهتهم انه ولد من غير اب ذلك قولهم بافواههم ليس له معنى في الاعيان مثل
اصوات البهائم تكذيب لهم على اقبح الوجوه يضاهئون قول الذين كفروا من قبل المضاهاة المشابهة
والمعنى يشابهون قدماءهم في هذا الكفر او المشركين القائلين بان الملائكة بنات الله
او اليهود في قولهم عزير ابن الله لان اليهودية اقدم قرأ عاصم بكسر الهاء وهمزة مضمومة
بعدها من ضاهأ وهي لغة والفصحاء قرأ الجمهور قاتلهم الله دعاء عليهم بالهلاك
والمراد التعجب مما صدر منهم حتى استحقوا ان يدعو عليهم ارحم الراحمين بالهلاك انى يؤفكون
كيف يصرفون عن الحق الابلج من افكه صرفه اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله
استيناف لبيان الكفر عن الحق والاحبار جمع حبر بالكسر والفتح ومعناه العالم مشتق من
الحبور وهو الجمال والزينة والاجلال فوق العلم والمراد علماء اليهود والرهبان جمع راهب
من الرهبة وهي الخوف او الترهب وهو التعبد عن عدي بن حاتم انه قال انتهيت الى رسول
الله وفي عنقي صليب من ذهب فقال الق اطرحه وقرأ اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا
من دون الله فقلت يا رسول الله انهم لم يعبدوهم فقال اليس يحرمون ما احل الله ويحلون
ما حرمه قلت بلى قال فتلك عبادتهم وعن فضيل بن عياض ما ابالي اطعت مخلوقا في معصيته
او صليت لغير القبلة والمسيح ابن مريم ادعوا فيه الالوهية كما هو مذهب بعضهم
او حين اثبتوا له البنوة فقد اهلوه للالوهية الا ترى الى قوله قل ان كان للرحمن ولد
فانا اول العابدين وما امروا اي اليهود والنصارى وما تخذوا معبودا من الاحبار
والرهبان والمسيح الا ليعبدوا الها واحدا هو المستحق للعبادة وطاعة الرسل والعلماء
لا تسمى عبادة لانهم وسائط في تبليغ الاحكام لا اله الا هو صفة ثانية مفيدة للتوحيد
لكون المحصور فيه لا يحتمل الشركة سبحانه عما يشركون انزهه عن ان يكون له شريك يريدون
ان يطفئوا نور الله ايته الدالة على تفرده بالالوهية في الآفاق والانفس والمعجزة الباهرة
التي هي في الجلاء والظهور كالنور وقد عبر عن القرآن بالنور في مواضع شتى والمراد بالا
طفاء تحريف لغته وانه ليس بالموعود بافواههم بكاذيبهم من غير ان يكون لها اصل يرجع اليه ويأبى

ويأبى الله الا ان يتم نوره لا يرضى الا باعلاء توحيده واعزاز الاسلام الاستثناء مفرغ
في محل النصب مفعول يأبى لانه منفي في المعنى ولو كره الكافرون حذف جوابه لدلالة ما قبله
عليه هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله سبق لاقناطهم عما هم
بصدده من اطفاء نور الله لان الذي تفرد بالتأثير في الكائنات يريد اظهار دينه على سائر
الاديان او اظهار رسوله على سائر اهل الاديان واذا اراد شيئا كان لا محالة ولو كره
المشركون ذلك يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس
بالباطل تصدير الاية بنداء المؤمنين في اثناء عد قبائح اهل الكتاب للتحذير عن سلوك
طريقهم خص الاكل لانه الغرض الاعظم من المال والاموال المأخوذة بالباطل هي تلك الرشى
التي كانوا يأخذونها على الاحكام ويصدون عن سبيل الله بالتحريف وقولهم ليس الا هو الموعود
والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله عطف على كثيرا والمراد ان
الاحبار والرهبان جامعون لها بين الرذيلتين اخذ الرشى وكنز الاموال والضنة بها
عن الانفاق في سبيل الله او استيناف في محل الرفع والمراد المسلمون الكانزون قرن
بينهم وبين من ارتشى من الاحبار تغليظا وزجرا عن ارتكابه وعن زيد بن وهب مررت
على ابي ذر بالربذة فقلت ما انزلك بهذا الارض قال كنت بالشام فقرأت والذين يكنزون
الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم قال معاوية انما هي في اهل
الكتاب قلت فينا وفيهم وعن عبد الله بن عمر ان هذا كان قبل ان ينزل اية الزكاة فلما
نزل جعلها الله طهرة للاموال وعنه صلى الله عليه وسلم ما ادي زكاته فليس بكنز وما ورد
من الاحاديث الدالة على اثم كنز الاموال انما ورد قبل وجوب الزكوة فبشرهم بعذاب اليم
يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم انما لم يقل يحمى من قولهم
حمي الميسم واحميته لقصد المبالغة لان معناه ان النار يحمي ويوقد ذات حر شديد على تلك
الاموال فاذا كان الاحماء للنار افاد مبالغة وانما قال عليها والمذكور شيئان نظرا
الى الكثرة في المعنى على ما روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال ما اربعة الاف نفقة
وما فوقها كنز او الضمير للكنوز او الاموال فان الحكم عام وتخصيص الحجرين بالذكر لكونهما
اشرف الاموال واكثرها يكنز وخص الاعضاء الثلثة بالذكر لان شأن الشحيح انه اذا رأى
الفقير يقطب وجهه ثم اذا اعلم انه متوجه اليه اعرض عنه واعطاه جانبه فاذا
لم يرجع الفقير عنه ولاه ظهره فاختصت بالعذاب لانها الاعضاء الخاطئة كقوله انما يأكلون
في بطونهم نارا ولان التماسهم لتلك الاموال كان لحب الوجاهة بها والتنعم بالملابس التي تجلل
بها الجنوب والظهور او لانها الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن ومآخيره وجنباه
او لانها اشرف الاعضاء هذا ما كنزتم لانفسكم على ارادة القول اما احميت عليها في النار لم
يعلموا انها هي تلك الاموال فاذا علموا زاد عذابهم لان وجدان الشر بعد ما تحسب الخير اشد
فذوقوا ما كنتم تكنزون وبال كنزكم او ما كنتم تكنزونه والمراد مقاساة ذلك العذاب لانه

عبر عنه بالذوق تهكما ﴿ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات
والأرض﴾ اشارة الى نوع آخر من قبائح المشركين والمعنى ان السنة التي عليها مدار ضبط الربع
عدد شهورها التي مدارها على القمر في قطع منازله اثنى عشر شهرا منفصلة على الفصول
الأربعة ومعنى كونها عند الله انه الذي قدر ذلك في الأزل وعلى ذلك الوجه ابرزها في
اللوح المحفوظ وقت خلق السموات والارض وهو الوقت الذي ابتداء منه سير القمر ﴿منها اربعة
حرم﴾ جمع حرام رجب مضر ويقال له الأصب لانه يصب فيه البركات والأصم لانه تصم الآذان
فيه عن سماع قعقعة السلاح نطق بها الحديث وذو القعدة وذو الحجة ومحرم ﴿ذلك
الدين القيم﴾ الذي لا اعوجاج فيه اشارة الى ان ما كانوا فيه من النسيء الآتي ذكره لم يكن من
الدين في شيء ﴿فلا تظلموا فيهن انفسكم﴾ فان حرمة المعاصي فيها اشد فيها سوى رمضان فانه
سيد الشهور والظلم فيه في نهاية القبح على ان حرمة القتال مع المشركين منسوخة بقوله واقتلوهم
حيث وجدتموهم اي في الحل والحرم واذا جاز قتالهم في الحرم ففي الأشهر من باب الأولى وقيل
نسخه بقوله براءة من الله ورسوله ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾ اي لا تميزوا
بين طائفة وطائفة لان اسم الاشراك شامل لهم وان امتازوا في اليهود والنصارى وعبادة
الأوثان وكافة الشيء جميعه من كف البعير منعه لانه يكف الأفراد عن الخروج ﴿واعلموا
ان الله مع المتقين﴾ وعد لهم بالنصر يفيد تسكين القلب والجراءة على الاقدام ﴿انما النسيء
زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا﴾ النسيء فعيل بمعنى المفعول من نسأت الشيء اخرته و
ذلك ان العرب كانوا اصحاب حروب وغارات وكان رزقهم في رؤس اسنتهم والأشهر
الثلثة المتواليات كان تطول عليهم انقضاؤها فكانوا يؤخرون المحرم الى موضع صفر
ويقدمون صفر مكانه ويقولون اذا براء الدبر وانسلخ صفر حلت العمرة لمن اعتمر وكان
جنادة بن عوف الكناني يأتي في الموسم وهو على جمل فينادي باعلى صوته يا قوم ان الهتكم قد
احلت لكم المحرم فاحلوا وفي القابل يقف على الجمل وينادي باعلى صوته يا قوم ان الهتكم قد
حرم عليكم المحرم فحرموه وعن ابن عباس رضي الله عنه ان النسيء كان في كندة وهي قبيلة باليمن
واتفق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حج فيها حجة الوداع كان المحرم في موضعه
لم يؤخروه فوقف رسول الله على ما فيه في المسجد الحرام وقال ان الزمان قد استدار كيوم
خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ومعنى كونه زيادة
في الكفر انه نوع منه ينضم الى كفرهم السابق قرأ حمزة والكسائي وحفص يضل بضم الياء
وفتح الضاد والباقون بكسره والفتح هو المختار لكونه ابلغ ذما ﴿يحلونه عاما ويحرمونه
عاما﴾ الضمير للنسيء وقد سبق تفسيره ﴿ليواطئوا عدة ما حرم الله﴾ ليوافقوا العدد الذي
قدره الله وهذا رد لما قيل انهم كانوا يزيدون في الأشهر ﴿فيحلوا ما حرم الله﴾ اي لذلك
المواطاة في العدد يحلون ما حرم الله بقبح لذلك الصنيع منهم ﴿زين لهم سوء اعمالهم﴾ اي
اضلهم الله حتى يروا القبيح حسنا ﴿والله لا يهدي القوم الكافرين﴾ وان دعاهم الى الإسلام

الى الاسلام ونصب لهم الادلة هم الذين ختم على قلوبهم ﴿يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل
لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الأرض﴾ لانهم على ما يبدو منهم من نوع تثاقل وتكاسل
وعن ابن عباس رضي الله عنه انها نزلت في غزوة تبوك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما عاد من غزوة حنين تجهز لغزو بني الاصفر وكان رسول الله يوري في غزواته ولا
يظهر امره الا في تلك الغزوة فانه صرح بقصده وجلى للناس امرهم ليتاهبوا فانه توجه
الى عدو كثير مع بعد المشقة وشدة الحر فتخلف عنه المنافقون وبعض المؤمنين على ما يأتي
تفصيله وانما عدي اثاقلتم بالى لانه تضمن معنى الميل واصله تثاقلتم فادغمت التاء في الثاء
واجتلبت الهمزة ﴿ارضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة﴾ انكار لان رضوا بالدنيا بدل الآخرة ثم
بين المانع من ذلك بقوله ﴿فما متاع الحيوة الدنيا في الآخرة الا قليل﴾ نذر لا يعتد به فكيف
يختاره العاقل روى مسلم عن المستورد ان رسول الله قال ما الدنيا في الآخرة الا كما
يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بماذا ترجع ﴿الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما﴾ اي ان لم تنفروا
اذا استنفرتم وآثرتم ذلك المتاع القليل فلا يسلم لكم ذلك ايضا فان الله معذبكم عذابا
اليما يسلط عليكم العدو او نوعا آخر ﴿ويستبدل قوما غيركم﴾ يسارعون الى امره و
في الحديث انهم ابناء فارس وقيل اهل اليمن ﴿ولا تضروه شيئا﴾ من الضرر او من الأشياء
فان الله على كل شيء قدير وقيل الضمير للرسول فان الله وعد النصر ﴿والله على كل شيء قدير﴾
فيقدر على نصره بغيركم وبغير مدده ﴿الا تنصروه فقد نصره الله﴾ فسينصره من نصره اذ
﴿اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين﴾ لم يكن معه من البشر الا رجل واحد واذا لاحقه بلطفه
ونصره في ذلك الوقت فما ظنكم به في سائر الأوقات ﴿اذ هما في الغار﴾ بدل من اذ اخرجه بدل
البعض والغار هو الكهف في اعلى جبل ثور فانه مكث فيه ثلثة ايام لينقطع عنه الطلب
طلبوه في ذلك الجبل وصعدوا فوق الغار فقال الصديق لو نظروا الى قدامهم لرأونا
فقال صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما ﴿اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله
معنا﴾ بدل ثان ﴿فانزل الله سكينته عليه﴾ ما تسكن به القلب من الأمن وقوة الجاش والضمير
لرسول الله كسائر الضمائر ولقوله ﴿وايده بجنود لم تروها﴾ وهم الملئكة يوم بدر والأحزاب
ويوم حنين وجعل الضمير لصاحبه وعطف وايده على فقد نصره الله تكلف وتشويش
للنظم هذا وقد صرح به في قوله فانزل الله سكينته على رسوله ﴿وجعل كلمة الذين كفروا
السفلى﴾ وهي دعوتهم الى الشرك ﴿وكلمة الله هي العليا﴾ وهي الدعوة الى التوحيد او التوحيد او
كلمة التوحيد وهي لا اله الا الله ﴿والله عزيز﴾ لا يغلبه شيء ﴿حكيم﴾ فيما يرد ويشرع ﴿انفروا
خفافا وثقالا﴾ اي خفافا في النفور لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم او خفافا لقلة
عيالكم وثقالا لكثرتها او خفافا من السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة او شبانا وشيوخا
او صحاحا ومراضا وما قيل ان ابن ام مكتوم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلي ان
انفر فقال نعم حتى نزل قوله ليس على الأعمى حرج ليس بشيء لان هذه السورة نزلت بعد

من غزوة تبوك وهي آخر غزواته وتلك الآية نزلت في الحديبية وانما التبعة على ابن ام مكتوم
قوله تعالى غير اولي الضرر وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله اصرفوا ما امكنكم منفردين او مجتمعين
وفي الحديث من جهز غازيا فكانما غزا بنفسه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون توبيخ لهم على التكاسل
والا كونهم عالمين بخيريته لاريب فيه لو كان عرضا قريبا اي متاعا من الدنيا سهل التناول
وسفرا قاصدا متوسطا بين القرب والبعد لاتبعوك فيه ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة
البعيدة سمي به السفر البعيد لكونه شاقا وسيحلفون بالله المنافقون المعتذرون في التخلف
لو استطعنا لخرجنا معكم لكن لم نستطع لعدم العدة او لسقم البدن وقوله لخرجنا ساد مسد جوابي
لو والقسم يهلكون انفسهم بايقاعها في العذاب او بارتكاب ما يوجب الهلاك وهي الايمان الكاذبة
وهو بدل من سيحلفون او حال من فاعله والله يعلم انهم لكاذبون في تلك الايمان لانهم كانوا
مستطيعين عفا الله عنك لم اذنت لهم كلام يقال في مقام التبجيل والتعظيم كما تقول لصاحبك
عفا الله عنك ماذا صنعت في شاني وقيل عتاب له على ترك الاولى وانما قدم العفو وذكر الاذن
الدال على علو رتبته ولو ورد الانكار في صورة الاستفهام اجلالا له صلى الله عليه وسلم وكان
مجتهدا في امر الحروب يشاور اصحابه واذا صدر منه خلاف الاولى ينبه عليه كما في اخذ الفداء
والقول بانه فعل شيئين لم يؤمر بهما الاذن واخذ الفداء فعاتبه الله عليهما يرد عليه قوله
تعالى لم تحرم ما احل الله لك حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين اي يتميز الفريقان
عندك بالصدق والكذب وانما استعمل التبين في الصدق والعلم في الكذب لان الصدق
واضح ابلج لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اي
ليس من دأب المؤمنين الاستيذان في الجهاد بل يبادرون اليه فكيف بالاستيذان في القعود عنه
والله عليم بالمتقين اي بهم وضع المظهر مكان المضمر شهادة لهم بالتقوى انما يستاذنك الذين
لا يؤمنون بالله واليوم الآخر تصريح بما علم ضمنا وذكر الله واليوم الآخر في الموضعين اشارة
الى المبداء والمعاد ولان الباعث على الجهاد هو العلم بان الله يجازي عليه يوم القيمة وارتابت
قلوبهم فهم في ريبهم يترددون يتحيرون مذبذبين بين ذلك ولو ارادوا الخروج لاعدوا له
عدة تكذيب لهم في دعوى عدم الاستطاعة اي لهم مكنة الخروج واسباب الجهاد وليس المانع الا عدم
ارادة الخروج ولكن كره الله انبعاثهم استدراك من مفهوم الكلام تقديره لكن تثبطوا لان الله
كره انبعاثهم فثبطهم ثقلهم وحبسهم اصل التثبط من قولهم ثبطه عن الامر شغله وقيل اقعدوا
مع القاعدين المعذورين من الصبيان والزمنى والنساء تقبيح لحالهم والقائل الرسول عليه السلام او
بعضهم لبعض او تمثيل لالقاء الله تعالى في قلوبهم من كراهة الخروج او وسوسة الشيطان
بقول القائل لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا تسلية لهم وان الله انما كره انبعاثهم لحكمة
وهي الفساد الذي يحصل منهم لو خرجوا والخبال هو الفساد وعن ابن مسعود ان قوما بنوا مسجدا
بظاهر الكوفة فاتاهم وقال انما جئت لكسر مسجد الخبال اي الفساد والاستثناء باعتبار الاعم
اي لا يزيدونكم شيئا الا خبالا فلا يلزم وجود خبال فيهم ولاوضعوا خلالكم اسرعوا بينكم بالنمائم

بينكم بالنمائم وانواع المكر شبهها بالركائب واوقع عليها الايضاع تخييلا يقال وضع البعير
اسرع واوضعته اسرعته يبغونكم الفتنة من بغيته الشيء طلبته له يريدون بذلك الا
وقوعكم في الفتنة والضلال وفيكم سماعون لهم من ضعفاء المسلمين او منهم يحدثونكم اليهم
فيحصل به الفساد والله عليم بالظالمين اي بهم وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على انهم
بذلك الفعل مندرجون في سلك الظالمين لقد ابتغوا الفتنة من قبل اي قبل غزوة تبوك
كما فعلوا يوم احد فان ابن ابي رجع معه ثلثمائة منافق وقالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم او ليلة
العقبة حين ارادوا الفتك برسول الله لقوله وهو الذي كف ايديهم عنكم تنبيه على عدم
غناوتهم ورسوخها وقلبوا لك الامور مكايد وحيلا وبطول شرحها حتى جاء الحق النصر و
التاييد الالهي وظهر امر الله علا دينه وهم كارهون ذلك لما في قلبهم من المرض ومنهم من يقول
ائذن لي ولا تفتني شرع في تفصيل قبائحهم والقائل جد بن قيس قال قد علمت الانصار اني
مستهتر بالنساء ونساء الاصفر حسان فاخاف الفتنة على نفسي فاعينك بالمال وهذا كان
منه استهزاء لعنه الله تربه وقيل كانوا يقولون ائذن لنا فانا ان تخلفنا عنك من غير اذن
وقعنا في الفتنة اي الهلاك وان لم تاذن في التخلف هلكت اموالنا وعيالنا الا في الفتنة
سقطوا فانهم وسموا بسمة النفاق الى آخر الدهر وعذاب الآخرة اشد واشق صدر الجملة
بحرف التنبيه اشارة الى كمال غباوتهم وجعلهم ساقطين في الفتنة كالجماد الساقط باختيار
وان جهنم لمحيطة بالكافرين احاطة جهنم كناية من احاطة اسبابها واسم الفاعل يريد به الاستقبال
مجازا ان تصبك حسنة تسؤهم لفرط عداوتهم وغاية حسدهم ليسوا مكتفين بالتخلف عنك
بل يسوءهم ما يسرك ويسرهم ما يضرك وان تصبك مصيبة شدة كما في يوم احد يقولوا قد اخذنا
امرنا من قبل يحذرون رأيهم في عدم الحضور معك ويتولوا عن مقامهم وهم فرحون
بتخلفهم او بما اصابك قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا في اللوح المحفوظ فلا راد لقضائه
او اوجبه في علمه الازلي هو مولانا متولي امورنا او سيدنا يفعل بعبيده ما شاء او ناصرنا
وان اصابنا بمكروه فلنا العاقبة كتب الله لاغلبن انا ورسلي وعلى الله فليتوكل المؤمنون لا على
غيره لعلمهم بان لا مؤثر سواه قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين اي لا تنتظرون بنا الا
احدى الخصلتين اللتين كل منهما احسن الخصال اما نصرة او الشهادة في سبيله فان قلت لو كانت
كلاهما احسن الخصال لكانت احسن من الاخرى وهذا متناقض قلت جاز ذلك باعتبار الجهات و
نحن نتربص بكم احدى المصيبتين اللتين كل منهما اعظم المصائب ان يصيبكم الله بعذاب من عنده
كما فعل بعاد وثمود او بايدينا اي يظهرنا عليكم ونقتلكم على الكفر فتربصوا انا معكم متربصون
اي انتظروا عاقبة امرنا فانا منتظرون عاقبة امركم وهذا النوع من الكلام يقوله الواثق
بحاله الجازم بامره في معرض التهديد قل انفقوا طوعا او كرها انشاء ومعناه خبر لما كانوا
يزعمون بان لهم اعمالا لا يدفع عنهم العذاب وانه لم تقبل عند الله كالمؤمنين قرأ حمزة والكسائي
كرها بضم الكاف وقيل بالضم الاكراه وقيل بالضم المشقة وبالفتح الاكراه لن يتقبل منكم البتة لانكم

بل لكونهم منكرين غاية الانكار ولذلك علل الحكم بقوله انكم كنتم قوما فاسقين خارجين عن طاعة الله
وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله بيان لذلك الفسق الذي علل
به وانما بينه لان مجرد الفسق لا يوجب ذلك الحرمان وقرأ حمزة والكسائي يقبل بالتذكير ولا
يأتون الصلوة الا وهم كسالى جمع كسلان اي متثاقلين ولا ينفقون الا وهم كارهون والمعنى
لا يأتون بالاعمال البدنية والمالية على سبيل النشاط والاريحية لعدم اعتقادهم بترتب
الثواب عليها وفي الحديث لا يقل احدكم كسلت وليقل لغبت وانما كره لفظ الكسل لوروده
في شان المنافق فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم اي لا تستحسن منهم الاموال والاولاد فانما
هي زينة الحيوة الدنيا وانت بمعزل عنها والاعجاب بالشيء السرور به مع نوع افتخار
وانما اسند الفعل الى الاموال والاولاد مبالغة في نفيه عنها فكانها كلفت كف اعجابه
عنه انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا اي لم يخولهم بها الا ليعذبهم في الدنيا بان
يبذلوا ارواحهم في جمعها ويكابدوا المشاق في حفظها وتنميتها ويكلفهم الانفاق فيها
وهم كارهون وتزهق انفسهم وهم كافرون شغلهم فيها فاعرضوا عن العاقبة حتى ماتوا
على الكفر فكان ذلك استدراجا ويحلفون بالله انهم لمنكم بعض منكم وان الايمان يشملكم
واياهم وما هم منكم في الواقع فهم كاذبون ولكنهم قوم يفرقون بيان الباعث على ذلك
اليمين الحانث والفرق هو الخوف ويتعدى بمن اي يخافون منكم كسائر الكفرة لو يجدون
ملجأ مكانا يلجؤن اليه من قلعة او رأس جبل او مغارات او كهوفا جمع مغارة وهي الكهف
او مدخلا نفقا في الارض يندسون فيه لولوا اليه وهم يجمحون لانقلبوا اليه وهم يسرعون
اسراعا لا يردهم شيء كالفرس الجموح لا يرده اللجام لشدة عداوتهم وغاية خوفهم ومنهم
من يلمزك في الصدقات اي بعض منهم يعيبك في قسم الصدقات وينسبك الى الجور وهو ذو
الخويصرة الذي كان رأس الخوارج وقصته على ما رواها عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتي بشيء من الذهب فقسمه بين اربعة نفر من المؤلفة يتألفهم على الاسلام فجاء
ذو الخويصرة وقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك من يعدل اذا لم اعدل لقد خبت وخسرت
وان لم اعدل فقال عمر بن الخطاب وفي رواية خالد بن الوليد دعني يا رسول الله اضرب عنقه
فانه منافق فقال دعه فان له اصحابا يحقر احدكم صلوته مع صلوتهم وصيامه مع صيامهم وقيل
القائل ابو الجواظ فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون يريد ان ذلك القول
منهم ليس للاهتمام بالدين ولا للشبهة في طريقه بل رضاهم وسخطهم لحظوظ انفسهم وفي اذا
الفجائية اشارة الى غاية شرهم وانهم بمجرد عدم الاعطاء يفاجئهم السخط من غير تأمل في ان
عدم اعطائهم هل يتضمن مصلحة دينية ام لا ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله اي
لو ثبت رضاهم بما قسم الله لهم من الغنيمة واعطاهم رسوله وان كان قليلا وقالوا حسبنا الله
كفانا ما رضينا سيؤتينا الله من فضله رزقه الواسع من سائر الصدقات والغنائم ورسوله
فيعوض لنا ما فاتنا انا الى الله راغبون للرضاء والى ثوابه لا الى الغنائم والاموال وجواب

وجواب لو محذوف اي لكان خيرا لهم انما الصدقات للفقراء والمساكين بيان لمصارف
الصدقات على وجه تزول شبهة المنافقين وان ما فعله رسول الله هو الصواب لان
المؤلفة قلوبهم من تلك المصارف والمعنى جنس الصدقات مقصور على هؤلاء المذكورين
لا يتجاوزهم الى غيرهم فيحتمل ان يصرف الى كلهم والى بعضهم كما اذا قلت انما الخلافة في بني عباس
يراد عدم تجاوزها عنهم لا اتصاف كل واحد منهم بها واليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله وهو
المنقول عن عمر وحذيفة وابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء وذهب الشافعي رحمه الله الى
وجوب استيفاء الاصناف الثمانية ان وجدوا والا فالموجودون منهم يعطى من كل صنف
ثلثة فما فوقها نظرا الى اعتبار الجمع واستدل على ذلك بان اللام للملك لانه كما للاختصاص
وهو معنى اللام كقولك هذا الدرهم لهؤلاء فانهم يشتركون فيه فان قلت فعلى هذا يجب ان
يكون صرفه الى جميع افراد كل صنف ولم يقل به الشافعي قلت لم يذهب الى ذلك لتعذره ولما روى
البخاري انه صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا الى اليمن فقال له مرهم بالصلوة فان قبلوا
ذلك فاعلمهم بان الله قد فرض عليهم زكوة اموالهم بان يؤخذ من اغنيائهم فيرد الى فقرائهم
فخص زكوتهم بفقرائهم ولذلك لم يجوز الشافعي نقل الزكوة من ذلك البلد الى بلد آخر الفقراء
سوى ابن السبيل المسكين وهو من لا مال له ولا يقدر على كسبه فكانه اصيب فقار ظهره فهو
مفعول والمساكين من له مال او كسب لا يكفيه لقوله اما السفينة فكانت لمساكين ويدل
عليه ايضا تقديم الفقر والى هذا ذهب الشافعي والى العكس ذهب ابو حنيفة لقوله او مسكينا
ذا متربة ومنهم من لم يفرق والعاملين عليها وهم السعاة الذين يجمعونها ويسعون في تحصيلها
والمؤلفة قلوبهم قوم اسلموا ولم يرسخ الايمان في قلوبهم يعطون من الصدقات ليألفوا
الاسلام ولذلك يعطون من الغنائم نفلا كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في غنائم
حنين آثر فيها بعض مسلمة الفتح او اشراف يتوقع باعطائهم اسلام نظرائهم كما اعطى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ابا سفيان والاقرع بن حابس وعيينة بن حصن وعباس بن مرداس و
في الرقاب في فكها من الرق هم المكاتبون او يشترى بها الرقاب فتعتق واليه ذهب مالك
واحمد او يفدى بها الاسرى واطلاق الرقاب شامل للكل والغارمين من استدان لغير
معصية وليس لهم وفاء او لاصلاح ذات البين وان كانوا اغنياء وفي سبيل الله بالانفاق
على فقراء الغزاة والحج وقيل بناء القنطرة والمصانع وابتياع آلات الحرب والكراع وابن
السبيل المسافر المنقطع عن ماله فريضة من الله مصدر مؤكد لان معنى قوله انما الصدقات
للمذكورين ان الله فرضها والعدول عن الاربعة الاخيرة اشارة الى انها ارسخ قدما
في الاستحقاق وذلك لما في فك الرقاب من الانقاذ مما هو كالموت ولما في تخليص الغارم
من الكرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه يستعيذ من المغرم فقيل له ما اكثر ما
تستعيذ من المغرم قال ان الرجل اذا غرم حدث فكذب ووعد ولما كان في الغازي الفقر
وابن السبيل المنقطع فضل ترجح لكون الغازي الفقير جامعا بين الفقر والعبادة وابن السبيل

١٧١

بين الفقر والغربة اعاد حرف الجر ايماء اليه والله عليم حكيم يعلم موضع الاستحقاق فلذلك حصر
الصدقات في هؤلاء المذكورين ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن نوع اخر من
قبائحهم عن ابن عباس رضي الله عنه ان جماعة منهم ذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما لا ينبغي
فقال بعضهم لا تفعلوا فانه يبلغه فقال الجلاس بن سويد نقول ما شئنا فاذا بلغه جئنا
فاعتذرنا اليه يقبله منا فان محمدا اذن جعلوه نفس الجارحة كما يقال للربيئة عين قل اذن
خير لكم اي هو كما تقولون اذن سريع الانقياد لكن ليس كما تعتقدونه بل ذلك مدح فيه و
الخير هو الصلاح والجودة مثله فلان رجل صدق لا اسم تفضيل ثم بين وجه كونه خيرا لكم بانه
يؤمن بالله يقر بوحدانيته وما يليق به ويؤمن للمؤمنين يذعن لقولهم ويسلم لهم ما يقولون
لما علم من خلوص طويتهم ورحمة للذين امنوا منكم عطف على اذن خير والمعنى كونه اذنا رحمة
في حق من اظهر الايمان منكم فانه يقبل ولا يشتغل بالكشف عن سره وانما يفعل ذلك تكرما وتخلقا
لا لانه يخفى عليه شانكم في النفاق ان الكريم اذا خادعته انخدعا وقرا حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير
والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم ردع المنافقين عن مثل تلك المقالة يحلفون بالله
لكم ليرضوكم اذ لاقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حلفوا لهم معتذرين ليرضوا عنهم
والله ورسوله احق ان يرضوه تخطئة لهم فيما يأتونه وتكذيب لهم في ايمانهم والمعنى ان الله و
رسوله اولى واجدر بالارضاء بالطاعة والانقياد وانما وحد الضمير اشارة الى ان ارضاء
رسوله ارضاء لله لانه مبلغ اوامره وواسطته الى عباده او المذكور خبر الاول ويقدر له مثله
خبرا وبالعكس وهذا مختار سيبويه لكونه اقرب وسلامته من الفصل بين المبتداء والخبر والوجه
هو الاول لفظا ومعنى ان كانوا مؤمنين حقا الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله ينازعهما
ويعاديهما من الحد لان كلا من المتعاديين في حد دون حد الاخر انكار لعدم علمهم فيفيد الاثبات
والتقرير فان له نار جهنم خالدا فيها اي فحق ان له نار جهنم فحذف الخبر للعلم به من الصلة
وقيل ان تاكيد وتكرير للاول وهو الخبر وانما اعيدت لبعد العهد كقوله ثم ان ربك للذين
عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ويجوز ان يكون
عطفا على جواب من محذوف تقديره الم يعلموا انه من يحادد الله يهلك فان له نار جهنم ذلك
الخزي العظيم واي خزي فوق الخلود في نار جهنم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم
بما في قلوبهم الضمائر للمؤمنين والمنافقين وانما صح ذلك لعدم اللبس ويجوز ان يكون الضمائر
كلها للمنافقين لان النازل فيهم وبيان حالهم كانه نازل عليهم وعن الزجاج ان الخبر في معنى الامر
اي ليحذر المنافقون وعلى التقادير الاسناد الى السورة مجاز قل استهزؤا تهديد لا طلب الفعل
مثل اعملوا ما شئتم ان الله مخرج ما تحذرون مظهره من نزول القرآن فيكم من ظهور نفاقكم
ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب كان ذات يوم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ركب
من المنافقين يسيرون فشرعوا يستهزؤن به ويقولون انظروا الى هذا يريد ان يفتح قصور الشام
وحصونه فاطلع الله رسوله على ذلك فاتاهم فقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا ما كنا في شيء من ذلك

من ذلك بل كنا نخوض في احاديث نقصر بها المسافة كما هو شان الرفقة في المسير قل ابالله واياته
ورسوله كنتم تستهزؤن تكذيب لهم فيما اعتذروا به استهزاؤهم برسول الله لما كان مستلزما الاستهزاء
بالله لانه رسوله واياته لانهم لم يعتدوا بها فكان ذلك استهزاء بهما ايضا لا تعتذروا قد كفرتم
اظهرتم الكفر بالاستهزاء والطعن في الرسول بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان نعف عن
طائفة منكم لانهم تابوا واقلعوا عن النفاق واخلصوا دينهم لله او نعف عن طائفة لم يؤذوا
رسول الله وان كانوا منافقين نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق
او مقدمين على ايذائه وقد جرت سنة الله في خلقه بان من يطعن في رسول الله او في شريعته
وسنته يعجل له العذاب في الدنيا تصديقا لقوله والله يعصمك من الناس وقرا عاصم ان
نعف بنون مفتوحة وضم الفاء ونعذب بنون مضمومة وكسر الذال وطائفة بالنصب والباقون
يعف بياء التذكير وضمها وفتح الفاء وتعذب بتاء التانيث وضمها وفتح الذال والمختار قراءة
عاصم لانها ابلغ في الانذار المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض تكذيب لهم في قولهم
انهم لمنكم لانهم متواصلون متحدون في وصف النفاق وذكورهم واناثهم وقوله وما هم منكم
وان كان ردا لتلك الدعوى الا انه لم يكن مستمدا على ما يضاد دعواهم من قوله يامرون
بالمنكر ما انكره الشرع وينهون عن المعروف ما عرف حسنه من الشرع كالتوحيد وما يتفرع
عليه ويقبضون ايديهم عن الانفاق في سبيل الخير نسوا الله استئناف يجري مجرى العلة
فنسيهم اي اغفلوا ذكره فتركهم وعاملهم معاملة من نسي الشيء ان المنافقين هم الفاسقون
الكاملون في الفسق وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها
لما بين جرائمهم التي هي اسباب العذاب اشار الى ما اعد لهم في مقابلة ما اجترحوه ولئلا
يظن انهم كالشيء المنسي لا ثواب ولا عذاب فانزل ذلك هي حسبهم عقابا ولعنهم الله زاده
على ذلك وكما ان رضي الله للمؤمنين اجل النعم كذلك لعنه للمنافقين اشد النقم ولهم عذاب
مقيم دائم لا ينقطع توكيد للخلود لئلا يظن به المكث الطويل ورد لما زعمه الملاحدة بان
الخلود في النار لا يستلزم العذاب لانه يصير معتادا له كالذين من قبلكم خطاب للمنافقين
على سبيل الالتفات توبيخا لهم بعد علمهم بما حل بهم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا
واولادا بيان لوجه التشبيه من تشبيه الحال بالحال اذ كانوا اكثر قوة واموالا واولادا
ولم يجدهم شيئا فانتم من باب الاولى فاستمتعوا بخلاقهم ذم للاولين بقصر نظرهم على
الفاني وزهوطهم عن الباقي ويلزم منه ذم من يسلك مسلكهم والخلاق ما خلق للانسان
من حظه من الخلق بمعنى التقدير فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وغفلتم
عن امر الاخرة كما غفلوا وخضتم كالذي خاضوا الخوض المشي في الماء استعير للحديث بالباطل
المختلق لانه يهون على الكاذب اختراعه والمعنى كالخوض الذي خاضوا اي كالفوج ولذلك
افرد الموصول اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة اي لم يستحقوا ثوابا اما في الدنيا فلانهم مرضوا
وماتوا وافتقروا وذلوا بعد الغنى واما في الاخرة فالخلود الدائم في النار فالمخاطبون الذين يكونون

مسالكهم او الى بذلك لكونهم اقبح حالا واقل ولادا واموالا واولئك هم الخاسرون الكاملون
في الخسران اذ لا خسران فوق خسارة الدارين الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم لما شبه حالهم
بحال من تقدمهم ذكر طوائف لم يشك احد فيما حل بهم اذ قد تواترت اخبارهم بحيث لم يبق
للريب فيها مجال قوم نوح اهلكوا بالطوفان وعاد اهلكوا بريح صرصر وثمود اهلكوا
بالرجفة وقوم ابراهيم اهلك نمرود بالبعوضة واهلك اتباعه واصحاب مدين قوم شعيب
ارسل عليهم سحابة مثل الظلة احرقتهم والمؤتفكات مداين قوم لوط من الافك بفتح الهمزة
وهو القلب سميت بها لانه تعالى جعل عاليها سافلها اتتهم رسلهم بالبينات المعجزات
الواضحة فما كان الله ليظلمهم بفعل بهم ما يشبه الظلم او ما هو ظلم في زعمهم يقولون
لولا ارسلت الينا رسولا ولكن كانوا انفسهم يظلمون بتكذيب الانبياء بعد وضوح الايات
والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض عطف قصة على قصة جمعا بين الترغيب والترهيب
على ما هو سنته في كتابه ومقابلة بين الاضداد في الجزاء اذ بضدها تتبين الاشياء يأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله في كل
ما امر وابه من ساير الاعمال اولئك الموصوفون سيرحمهم الله لا يمهله لان السين في الاثبات
مثل لن في النفي ان الله عزيز غالب يفعل ما يشاء حكيم لا يفعل شيئا الا وفيه حكمة ولذلك
رتب الثواب على الحسنات والعقاب على السيئات وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة تفصيل لما اجمله في قوله سيرحمهم الله
وقد روى البخاري مرفوعا ان للمؤمن في الجنة قبة من ياقوتة حمراء طوله ستون ميلا وله في كل
زاوية منها اهلون في جنات عدن اي اقامة من قولهم عدن بالمكان اذا اقام به وقد صار علما
بالغلبة لقوله جنات عدن التي وعدتهم وللحديث الذي يرونه ان عدنا دار الله التي
لا يسكنها الا النبيون والصديقون والشهداء يقول الله اهل وبرده هذا النقل لما اثبته كما
المؤمنين والمؤمنات ورضوان من الله اكبر اي شيء قليل منه اكبر من جنات عدن وما فيها
لانه مبدأ كل سعادة وعن بعض العارفين ليت لي عند الله ركعتين متقبلتين لان القبول علامة
الرضاء قل العمل او كثر روى البخاري ومسلم عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله ان الله يقول
لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول
انا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون واي شيء افضل من ذلك فيقول احل عليكم رضواني فلا
اسخط عليكم ابدا ذلك هو الفوز العظيم اي رضوان الله او ما ذكر سابقا يا ايها النبي جاهد
الكفار والمنافقين الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة والبرهان لانهم يظهرون الايمان فلا
مجال للسيف قال صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني
دماءهم واموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله واغلظ عليهم بالسيف والقول المر ولا تجامل
احدا منهم ومأويهم جهنم وبئس المصير قتلوا على الكفر او ماتوا حتف انفهم يحلفون بالله ما قالوا
اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ينزل عليه القرآن في شأن المنافقين فقال الجلاس

الجلاس بن سويد والله لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين تخلفوا وهم ساداتنا لنحن
شر من الحمير فقال عامر بن القيس الانصاري والله ان محمدا الصادق وانت شر من الحمار وبلغ
ذلك رسول الله واستحضر الجلاس فحلف بالله ما قال فرفع عامر يديه وقال اللهم انزل تصديق
الصادق وتكذيب الكاذب فنزلت وانما ذكره بلفظ الجمع لان الفعل واقع بينهم كما يقال بنو
فلان قتلوا زيدا والقاتل هو وصدقه الآخرون ولقد قالوا كلمة الكفر هو قول الجلاس
لئن كان ما يقول محمد حقا وقيل قول عبد الله بن ابي في غزوة تبوك حين تقاتل مهاجري
مع انصاري فنادى المهاجري يا للمهاجرين ونادى الانصاري يا للانصار فقال ابن ابي
فعلوها والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وكفروا بعد اسلامهم
اظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام اذ لم يسلموا طرفة عين وهموا بما لم ينالوا وذلك
ان خمسة منهم توافقوا على الفتك برسول الله بغفلة من تبوك اذا تسنم العقبة بالليل
فاخذ عمار بخطام ناقته يقودها وحذيفة وراءها يسوقها فسمع حذيفة وقع اخفاف
الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم اعداء الله فهربوا وما نقموا ما عابوا وما
كرهوا شيئا من امر محمد الا ان اغنيهم الله ورسوله من فضله الا هذا الامر الجميل الحسن
مثل قول النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب وذلك ان اهل
المدينة كانوا اهل زرع وعمل واكثرهم كانوا المحاويج فلما قدم عليهم رسول الله دعا لهم
بالبركة وقال اللهم بارك لهم في صاعهم ومدهم اللهم اجعل البركة بها ضعفي ما بمكة وصحح
سواءها وانقل حماها الى الجحفة وحصل لهم الفتوح والغنائم وقتل للجلاس عبد فامر رسول
الله بقيمته اثني عشر الفا فاستغنى فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا
اليما في الدنيا بالقتل والاسر والآخرة بالنار وما لهم في الارض من ولي يتولى امرهم ولا
نصير يدفع عنهم العذاب بالقهر وانما قيد بالارض لان لهم فيها اعوانا وانصارا وفي
الآخرة لا انساب ولا اسباب لما سمع الجلاس هذا فقال يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة
والله لقد قلته ولقد صدق عامر فتاب وحسنت توبته ومنهم من عاهد الله لئن آتانا
من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين نزلت في ثعلبة بن حاطب وكان من الفقراء
كان اذا صلى خرج مسرعا فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال لي ولامرأتي
ثوب واحد فاذا صليت فيه نزعته لها فسل الله يا رسول الله ان يرزقني مالا فقال يا
ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن اعطاني
الله مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود فضاقت بها
المدينة فنزل واديا وترك الجماعة والجمعة فافتقده رسول الله فقيل انه اتخذ غنما ونزل
واديا فقال ويح ثعلبة فلما نزل قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم بها فارسل مصدقين
لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم فلما اتيا ثعلبة واقراه كتاب رسول الله في
الصدقات وفرائضها فقال ما هذه الا الجزية ما هذه الا اخت الجزية فارجعا حتى ارى رأيي

فنزلت الاية فسمع بها بعض اقارب ثعلبة فاتاه فقال ويلك قد نزل فيك القران فاتى ثعلبة رسول
الله بصدقته فقال ان الله منعني ان اقبل صدقتك فجعل يحثو التراب على رأسه فان قلت باب التوبة
مفتوح الى ان يطلع الشمس من مغربها فلم لم تقبل توبته وقد جاء تائبا قلت توبته لم تكن عن اخلاص
دل عليه قوله فاعقبهم نفاقا الى يوم يلقونه فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء
بصدقته الى ابي بكر فلم يقبلها فلما قبض ابو بكر رضي الله عنه جاء بها عمر رضي الله عنه في خلافته
فابى ان يقبلها فلما ولي عثمان اتاه بها فابى ان يقبلها وهلك في خلافته فلما آتاهم من فضله
بخلوا به لم يؤدوا زكاته وفيه دليل على ان من ادى زكاة ماله انسلخ عنه اسم البخل وتولوا
وهم معرضون اي دأبهم الاعراض عن امتثال اوامر الله فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي جعل عاقبة
ذلك البخل النفاق في قلوبهم وانما ذكرها لانها مصدر التسامح والبخل وسائر الاخلاق ومن
الحسن وقتادة ان الفعل مسند الى البخل ولا يلايم الضماير السابقة واللاحقة الى يوم
يلقونه اي الله او جزاء نفاقهم بما اخلفوا الله ما وعدوه اي بسبب اخلافهم وعد الله و
بما كانوا يكذبون فيه وفي الحديث آية المنافق ثلث اذا وعد اخلف واذا حدث كذب
واذا خاصم فجر الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم اي قد علموا ذلك تعجيب من جهلهم و
توبيخ على فعلهم بعد علمهم والسر هو الكتمان مطلقا والنجوى ما تسار به اثنان او اكثر وان الله
علام الغيوب كلها الذين يلمزون المطوعين رفع او نصب على الذم من المؤمنين في الصدقات
اي يعيبونهم في شأنها وقد اسند البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال لما امرنا بالصدقة
كنا نتحامل فجاء ابو عقيل بنصف صاع وجاء انسان آخر باكثر منه فقال المنافقون ان الله
لغني عن صاع هذا وما فعل هذا الآخر الا رياء فنزلت وروي ان عبد الرحمن بن عوف اتى
باربعة الاف وقال كان لي ثمانية الاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة فقال
رسول الله بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فاستجاب الله دعاءه حتى انه لما توفي صولحت
احدى زوجاته لاربع عن ربع الثمن على ثمانين الف دينار والذين لا يجدون الا جهدهم الا
طاقتهم فيسخرون منهم يتهزئون بهم سخر الله منهم بان كشف عن نفاقهم وفضحهم ولهم
عذاب اليم في الآخرة استغفر لهم او لا تستغفر لهم لن يغفر الله لهم لانهم اصحاب الذنب الاكبر
ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم اريد به الكثرة لا الحصر فانه يستعمل كثيرا في العرف
لمعنى الكثرة وقد اسند البخاري عن عمر بن الخطاب قال لما مات عبد الله بن ابي دعي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليصلي عليه فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت اليه فقلت يا رسول الله
اتصلي على ابن ابي وقد قال يوم كذا كذا وكذا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اخر عني
فلما اكثرت عليه قال اني خيرت فاخترت ولو اعلم اني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت
عليه قال فصلى عليه ثم انصرف فلم يمكث الا يسيرا حتى نزل ولا تصل على احد منهم مات ابدا الى قوله
وهم فاسقون فان قلت قد جاء في رواية انه قال قيل لي ان تستغفر لهم سبعين مرة وسازيد على
قلت قوله ذلك عن علم ذلك بانه لا يغفر له ولو زاد وان ذلك العدد لم يرد منه الحصر ولا مفهوم له

ولا نفع لهم له وقوله هذا كان تطييبا لقلب ابنه فانه من خيار الصحابة رضي الله عنه ذلك بانهم
كفروا بالله ورسوله ذلك الغضب الشديد لعظم جنايتهم وهو الكفر بالمنعم الحقيقي والمجازي
والله لا يهدي القوم الفاسقين المراد عدم خلق الاهتداء فان الدعوة والارشاد عام وان
وفيه ايماء الى انهم من اهل الطبع لا انهم غير مقبول الشفاعة كيف وقد قبلت شفاعته في
سائر الامم فضلا عن مذنبي امته فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله اي بقعودهم
بعد خروجه يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم وعليه قراءة من قرأ خلف رسول الله وقيل الاولى
او هو مصدر بمعنى المخالفة نصب على العلة او الحال لم يقل المتخلفون اشارة الى انهم جعلوا كا
المغادير الذين خلفوا لعدم الانتفاع بهم وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله
في اعلاء كلمته ايثار للدعة على الطاعة وفيه تعريض بالمؤمنين بان داعي الايمان وباعث
الايقان انساهم كل لذة سوى لذة مرضات الله حتى ان بذل الاموال والمهج عندهم الذي كل
شيء محبوب وقالوا لا تنفروا في الحر قال بعضهم لبعض او قالوا للمؤمنين تثبيطا لهم وهذا شأن
صاحب التسويف قل نار جهنم اشد حرا تجهيل لهم وتخطئة لارائهم لان من ترك مشقة ساعة وكانت
موقتا بانه يقع بذلك في مشقة الابد لم يكن احد اجهل منه قال لمسرة احقاب تلقيت بعدها
مساءة يوم اريها شبه الصاب فكيف بان تلقى مسرة ساعة وراء تقضيها مساءة احقاب
لو كانوا يفقهون لما اختاروه فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون اي فسيضحكون
قليلا وسيبكون كثيرا وانما اخرج في صورة الامر للدلالة على ان ذلك حتم واجب لا محالة لان
الامر لا يجاب ولا يحتمل الصدق والكذب يروى ان اهل النار يبكون مدة بقاء الدنيا لا
يرقا لهم دمع وقيل الضحك والبكاء كنايتان عن السرور والغم وعلى الوجهين اريد بالقلة
العدم اذ لا ضحك لهم راسا فان رجعك الله الى طائفة منهم وانما قيد بطائفة لان المخلفين
كانوا طائفتين منهم المؤمنون المخلصون مثل كعب بن مالك وصاحبيه على ما ياتي في قوله وعلى الثلثة
الذين خلفوا وانما قال رجعك الله دون رجعت ايماء الى انه لا يفعل ما يفعله الا باذن الله
وانه مأخوذ بعناية الله وحركاته وسكناته فاستاذنوك للخروج الى غزوة اخرى فقل
لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا اخبار في معنى النهي للمبالغة وسمهم بسمة النفاق
بين الناس مخرجين عن ديوان الغزاة آيسين من الغنائم والصدقات انكم رضيتم بالقعود
اول مرة اي في غزوة تبوك وكانت لبعد المشقة وشدة الحر وطيب الثمار محك الرجال و
معيار الاخلاص والنفاق والادلة اضافية واريد بمرة العموم كانه قيل اول المرات
مثل قوله هذا اكبر النساء فاقعدوا مع الخالفين امر اهانة اي مع الزمنى والنساء ولا تصل
على احد منهم مات ابدا اسند البخاري عن ابن عمر انه لما مات ابن ابي جاء ابنه عبد الله الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وساله ان يكفنه في قميصه ويصلي عليه فكفنه في قميصه وصلى عليه و
نزل قبره ووضعه على ركبته وتفل في فيه من ريقه كل ذلك رأفة وتطييبا لقلب ابنه واستجلابا
لخواطر الناس ولعل ان يكون ذلك باعثا لبعض المنافقين على الاخلاص مع انه لم يكن نهي عن الصلوة

عليهم وما قيل انه لما اراد الصلوة عليه جذبه جبريل ليس له اصل وانما عبر عن الموت في المستقبل بالماضي
لكونه كائنا لامحالة والقول بانه ابدا فبعد الموت فان الكافر لما كان حيا للتعذيب كانه لم يمت تكلف
لظهور ان المراد نهي رسول الله في المستقبل عن مثل ما ارتكبه من الصلوة على ابن ابي ولا تقم
على قبره كناية عن ترك الدعاء له كان يقوم على القبور ويدعوا للموتى انه قال ان هذه القبور مملوة
ظلمة وان الله ينورها بدعائي انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون علة للنهي
ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون
اعادة لوقوع التراخي بين النزولين ولكونه من الامور المهمة التي يجب ان يكون نصب العين
فان النفوس حريصة على جميع الاشياء المجبولة على حب الاولاد والمال والبنون زينة الحيوة
الدنيا وانما ذكرا ولا بالفاء وهنا بالواو لانه في الاول مرتب على قوله ولا ينفقون الا وهم
كارهون وكونهم كارهين للانفاق انما هو لاعجابهم بها وهنا لم يقصد سوى الاعادة فلذا ترك
الفاء وإذا أنزلت سورة اي كاملة او بعضها مجازا وليس كاطلاق القرآن على الكل والبعض
دل على انهم كانوا يتخلفون في سائر الغزوات وقد صرح به في قوله سيقول لك المخلفون
من الاعراب شغلتنا اموالنا الاية ان آمنوا بالله اي دوموا على ذلك وجاهدوا مع رسوله
استأذنك اولوا الطول منهم اولوا المال والسعة واصله النفع والغناء ومنه حديث ابن
مسعود في قتل ابي جهل ضربته بسيف غير طائل وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين لهم
علة وعذر في القعود رضوا بان يكونوا مع الخوالف مع النساء جمع خالفة والخالفة من لا
نفع فيه وفي الحديث ان اعرابيا جاء ابا بكر وقال انت الخليفة فقال لا انا الخالفة وقد تشتهر
في النساء لقلة نفعهن قال وليس بولوج الخوالف اعقلوا وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون
ما فيه الخير لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم لكن قد فقه من هو
اعلى منا وانا واخلص طوية وانكى بعقد اكقوله وان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا
بها بكافرين واولئك لهم الخيرات في الدارين او الحور لقوله فيهن خيرات حسان واولئك
هم المفلحون الفائزون اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز
العظيم تفسير للفلاح وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم ذكر رؤساء المنافقين
وما كانوا عليه وما آل امرهم اليه من الموت على الكفر ثم اردفه بذكر رسول الله وخلص المؤمنين
وما يؤل اليه امرهم من النعيم المقيم ثم ذكر الاعراب وهم سكان البوادي الذين لا معرفة لهم
في امر الآخرة ولا رشد في امر الدنيا ولهذا سماهم معذرين والمعذر بتشديد الذال هو المقصر
في العذر بان يوهم ان له عذرا ولا عذر له وروي عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما بتخفيف
الذال من الاعذار وهو المبالغة في اظهار العذر وكانهم من جهلهم بالعواقب حتى صارت
تلك المبالغة مظنة للكذب وهم اسد وغطفان وقيل رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا
معك اغارت طي على اهلينا ومواشينا وقيل المعذر اصله المعتذر فادغم كما في المذكر وهو
الصادق في عذره وقعد الذين كذبوا الله ورسوله طائفة من الاعراب منافقون تخلفوا ولم

ولم يعتذروا فظهر بذلك كذبهم مع الله ورسوله وقبلهم الاولون وصرح بانهم كاذبون وذلك
الاعتذار سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم اي بعضهم لان من المذكورين من له عذر
صحيح او تقاعد للكسل لا للكفر والعذاب الاليم الخزي في الدنيا والاشتهار بسمة النفاق
وفي الآخرة عذاب النار وقيل في الدنيا بالقتل وفيه ان رسول الله لم يقتل المنافقين
واعتذر بانه يقال ان محمدا يقتل اصحابه ليس على الضعفاء كالشيخ الهرم ومن خلق نحيفا
ولا على المرضى الذين بهم مرض لا يستطيعون معه الجهاد ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون
قبلهم مزينة وجهينة وبنوا عذرة حرج في التأخر اذا نصحوا لله بان اطاعوا الله ورسوله سرا
وعلانية ما على المحسنين من سبيل طريق للعقاب او العتاب وضع المظهر موضع المضمر
للدلالة على انهم بذلك النصح منخرطون في سلك المحسنين والله غفور للمسيئين فضلا عن المحسنين
رحيم لم يشق على المعذورين ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم اي ولا جناح على هؤلاء
الاصحاب الذين جاؤك سائلين حملانهم لكونهم فقراء غير قادرين قلت لا اجد ما احملكم
عليه من المفعول حال بتقدير قد واستيناف بتقديم العلة على الحكم اهتماما كانه قيل ولا
على الذين اذا ما اتوك لتحملهم لقولك لا اجد ما احملكم عليه يتولون باكين تولوا جواب اذا ما
واعينهم تفيض تسيل بكثرة من الدمع من بيانية كانه قيل اعينهم تسيل دمعا اثرهنا لان
مبالغة في سيلانها كقولك تفيض دمعا والجار والمجرور في محل النصب على التمييز حزنا
مفعول له او حال او مصدر لفعل دل عليه ما قبله الا يجدوا ما ينفقون اي لئلا يجدوا
علة للعلة اسند البخاري عن ابي موسى الاشعري قال جئنا نفرا من الاشعريين نستحمل رسول
الله فحبسه وهو غضبان فحلف ان لا يحملنا ولا عنده شيء يحملنا عليه ثم حضرت اخبرت اصحابي
فما لبثنا اذ اتانا بلال ينادي يا عبد الله بن قيس اجب رسول الله قال خذ هذين فاعط انا ست
ذود غر الذرى فجئت الى اصحابي فقلت انه ما كان من الامر وحلفت ان لا امكنكم من الذود حتى
اتي بهم اهل يسمع قول رسول الله او لا ومنعه ثم اعطاه ثانيا لا تظنوا اني قلت على رسول
الله ما لم يقل فقالوا والله انك عندنا لمصدوق ولنفعلن ما احببت فلما احتجنا رسول الله قلنا
والله لا يبارك لنا قد اغفلنا رسول الله يمينه فقلنا يا رسول الله قد حلفت ان لا تحملنا
وقد حملتنا فقال ما انا حملتكم انما حملكم الله واني والله لا احلف على شيء وارى غيرها خيرا
الا اتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم اغنياء في التخلف
اهبة السفر وعدة الحرب رضوا بان يكونوا مع الخوالف استيناف يجري مجرى التعليل كانه قيل
لما استأذنوا ذلك رضا بالدناءة والانتظام في سلك النساء وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون
قبح ذلك يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم من غزوة تبوك قل لا تعتذروا بالاكاذيب لن
نؤمن لكم لن نصدقكم علة للنهي عن الاعتذار لان غرض المعتذر ان يصدق فيما يعتذر به قد نبأنا الله
من اخباركم بعض اخباركم وهو ما يكون في صدوركم من الشر والفساد علة لانتفاء التصديق فان الله
اذا اخبر بشيء كيف يحتمل الكذب ما اتيتم به وسيرى الله عملكم ورسوله اي اعمالكم اتتوبون ام تثبتون

ورسوله سيعلم الله ذلك موضع المضمر مع ذكر الغيب والشهادة وعيد شديد وردع لهم من مخالفة
الباطن الظاهر فينبئكم بما كنتم تعملون فيجازيكم عليه سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم اخبار
عنهم بما سيفعلونه في المستقبل لتعرضوا عنهم ولا توبخوهم فاعرضوا عنهم اجابة لهم الى تعنتهم انهم
رجس علة للاعراض لان معاولتهم كمخالطة النجس فيتلوث المخالط ولا سبيل الى تطهيرهم و
مأويهم جهنم محلفون لها فاى فائدة في معاتبتهم اذ لا يرجى منهم ارعواء جزاء بما كانوا يكسبون
علة للوتهم من اهل جهنم يحلفون لكم لترضوا عنهم وتدوموا معهم على الود الذي كان بينكم
فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اى عنهم والاتيان بالاسم الظاهر لتعليل
عدم الرضى والمعنى ان رضاكم لا يجديهم نفعا اذا كان الله ساخطا عليهم لان الامر كله بيده
عاجلا واجلا وفيه ايماء الى ان المؤمن لا يليق به ان يرضى عمن كان في سخط من الله لما امروا بالاعراض
عنهم فاعرضوا ولم يعاتبوهم شرع المنافقون في الاستجلاب بالرضاء بالايمان الكاذبة والقول
بان رسول الله لما قدم المدينة جاء عبد الله بن ابي فحلف انه تخلف عنه ابدا سهوا لان عبد الله
كان معه في غزوة تبوك صح ذلك في البخاري وغيره الاعراب اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لبعدهم
عن استماع العلم والحلم وفي الحديث الجفاء في الغدادين اهل الوبر عند اصول اذناب الابل و
السكينة في اهل الغنم واجدر واولى واخلق الا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله احكام
المنزل من الاصول والفروع والله عليم كامل العلم بحال كل شخص حكيم فيما يصنع ولذلك اطلعكم
على مراتب المنافقين واسرارهم لتعاملوا كلا على حسب حاله ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما
حكم على الجنس ولا والحكم عليه لا يستلزم الحكم على جميع الافراد ولذلك وفصل افراده قسمين
فالاول هم المنافقون الذين يعدون ما ينفقونه في سبيل الله خسرانا والغرامة ما ينصرف الرجل
فيما لا يلزمه كرها اما التقية ولا نفقه وفتوة وهم كانوا ينفقونه رياء وتقية ويتربص بكم الدوائر
ويترقب بكم ريب الزمان جمع دائرة وهي ما يحيط بالانسان من كل جهة ويدور عليه واستعماله في
الشر عليهم دائرة السوء اعتراض بالدعاء عليهم وفيه من البلاغة ما لا يخفى على شدة غضب الله عليهم
بما لا يكتنه لانه من امر بين الكاف والنون يطلب من نفسه اصابتهم بالسوء قراء ابن كثير وابو
عمرو بضم السين على انه اسم للعذاب والبلاء والباقون بالفتح على انه مصدر والاول ابلغ لدلالته
على الاستمرار وصراحته والله سميع لما يقولون بافواههم نفاقا عليم بضمائرهم وما يبطنونه
من الكفر ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله هم القسم الثاني وهم المؤمنون الخلص
والمعنى يتخذون ما ينفقونه سبب قربات وحصولها عند الله وصلوات الرسول وسبب صلواته
لانه كان يدعو للمتصدقين لقوله وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم الا انها قربة لهم شهادة
منه تعالى بان ذلك يوقع عند صدر الاستيناف وبحرف التنبيه واتى بصيغة القربة مفردة اشارة
الى ان تلك القربات بمثابة القربة الواحدة التي لا يقبل التجزي ردا وقبولا بل كلها مقبولة
سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم على القبول والرضاء ان الله غفور لما فرط منهم حيث قبلهم
والجزاء في الثواب تفضلا وقراء ورش قربة بضم الراء وهما لغتان والسكون اكثر قيل هم عبد الله

عبد الله ذو البجادين ورهطه والاية الاولى في اسد وغطفان والسابقون مبتدا خبره الاولون
او من المهاجرين او رضي الله عنهم وهو من عطف قصة على اخرى من جزاء الخلص من مؤمني الاعراب
الذين لا سابقة لهم في الاسلام ولا كمال في العرفان اشار الى اكمل الفرق الذين حازوا قصب
السبق في مضمار السعادة وبين منزلتهم عنده وما اعد لهم والسابقون من الطائفتين من
صلى الى القبلتين وشهد بدرا وقيل الذين اسلموا قبل الهجرة وقيل من سبق الى الهجرة والنصرة
مطلقا لاطلاق اللفظ من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان من غير الطائفتين
لقوله في سورة الحشر والذين جاءوا من بعدهم وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قراء والانصار
بالرفع عطفا على السابقين وكان يرجح ان قوله والذين اتبعوهم باحسان بغير واو ليكون
صفة الانصار فيكون وصف السبق مختصا بالمهاجرين والاتباع بالانصار حتى قال له زيد
بن ثابت انه بالواو وسال ابي بن كعب فصدق زيد بن ثابت فقال عمر من اقراك هذه القراءة
قال ابي اقرانيه رسول الله وانت تتبع البقيع قال عمر صدقت وان شئت قلت شهدنا وغبتم و
نصرنا وخذلتم واوينا وطردتم رضي الله عنهم بقبول طاعتهم ورضوا عنه بما نالوا من
الكرامة في الدارين واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قراء ابن كثير بزيادة
من كما في سائر المواضع على انها ابتدائية ومن حذفها جعل تحتها ظرفا وهو المختار لان انهار الجنة
جريانها فظلل بالاشجار والرسم في الحذف والاثبات مختلف ذلك الفوز العظيم الذي لا يحاط
وممن حولكم من الاعراب منافقون هم عصية وعطفان والقول بانهم اسلم وغفار واسهم طاهر
لما روى البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها وعصية
عصت الله ورسوله ومن اهل المدينة مردوا على النفاق تمرنوا عليه وتمهروا فيه
لا تعلمهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك نحن نعلمهم لاطلاعنا على السرائر وذوات
الصدور سنعذبهم مرتين الاولى الملئكة حين الموت يضربون وجوههم وادبارهم او
بالاطلاع على نفاقهم واخراجك اياهم عن زمرة المسلمين على ما روى ابن عباس رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على المنبر يوم الجمعة خطيبا فقال اخرج يا فلان فانك
منافق فاخرج اناسا وفضحهم والاخر عذاب القبر وعن الحسن اخذ الزكاة من اموالهم فان الاموال
شقيقة الروح ثم يردون الى عذاب عظيم عذاب النار نعوذ بالله منه واخرون اعترفوا
بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عطف على منافقون اي ومنهم طائفة عملوا صالحا و
اخر سيئا او عطف على قصة اخرى وهذا اولى لما روى البخاري عن سمرة بن جندب ان رسول
الله قال اتاني الليلة آتيان فابتعثاني فانتهينا الى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فتلقانا
رجال شطر منهم كاحسن ما انت راء وشطر كاقبح ما انت راء قالا لهم اذهبوا فقعوا في ذلك النهر
فوقعوا فيه ثم رجعوا الينا وقد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في احسن صورة فقالا اما هؤلاء
قوم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا تجاوز الله عنهم وقيل كانوا عشرة ابو لبابة مروان بن عبد المنذر
واوس بن ثعلبة وودبعة بن خزام وقيل كانوا عشرة سبعة منهم اوثقوا انفسهم على سواري

المسجد فلما قدم رسول الله دخل المسجد فصلى ركعتين فسأل عنهم فاخبر انهم خلفوا ان لا يحلوا
انفسهم حتى يكون رسول الله هو الذى يحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فنزلت فاطلقهم
عسى الله ان يتوب عليهم يقبل توبتهم ان الله غفور يتجاوز عن الذنب اذا تيب منه رحيم
يتفضل بعد التوبة بجعل سيئاته حسنات خذ من اموالهم صدقة من اموال المعترفين روى
انهم لما اطلقوا خرجوا عن اموالهم وقالوا يا رسول الله هذه اموالنا التى خلفتنا لاجلها فا
جعلها فيما اراك الله فقال لم اومر بذلك فنزلت تطهرهم عن الذنوب وعن حب المال الذى
هو راس كل خطيئة وتزكيهم التزكية مبالغة فى التطهير او بمعنى الانماء والبركة فى المال
بها باخذها تنازع فيها الفعلان وصل عليهم وادع لهم ان صلوتك سكن لهم تسكن
اليها نفوسهم وتطيب بها قلوبهم وقرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم بالتوحيد والباقون
بالجمع وهو المختار لاشتماله على انواع الدعاء واستحبابه بقول اجرك الله فيما اعطيت وجعله
طهورا وبارك لك فيما ابقيت واما قوله لابى اوفى لما جاء بصدقته اللهم صل على آل ابى اوفى
من خواصه لان الصلوة حقه والله سميع عليم سميع اقوالهم عليم بنياتهم الم يعلموا ان الله
هو يقبل التوبة عن عباده اى قد علموا ذلك والضمير للمتوب عليهم والمراد تقرير قبول
توبتهم والاعتداد بصدقاتهم لانه لقطع وان كان معناها من الله التحقق والوجوب لا
انها فى الاصل للرجاء او لغيرهم ترغيبا وحثا عليها ويأخذ الصدقات كما يأخذ احدكم من
صاحبه وفى الحديث ان الصدقة تقع فى يد الرحمن قبل وقوعها فى يد السائل وان الله هو التواب
الرحيم من شانه قبول توبة التائبين فائدة التخصيص على الاخلاص فيها لانه لا يخفى عليه خافية
وقل اعملوا ايها التائبون فسيرى الله عملكم لا يخفى عليه منه شئ ورسوله يعلم بذلك
ايضا والمؤمنون بامارات او باخبار الرسول انكم مخلصون او المصرون على النفاق وستردون
الى عالم الغيب والشهادة بالموت وبالحشر اليه يوم القيمة فينبئكم بما كنتم تعملون فيجازيكم
عليه فان قلت لما ذكر المنافقين اردفه بقوله وسيرى الله عملكم ورسوله وزاد هنا بعد
ذكر المخلصين وقبول صدقتهم المؤمنين ما الحكمة فى ذلك قلت الحكمة ان الاطلاع على احوال المنافقين
وخبث باطنهم مخصوص بالله ويعلم بذلك رسوله بالوحى والمؤمنون لا اطلاع لهم على شئ من ذلك
واما اخوانهم فحالهم معلوم عندهم فلذلك ذكرهم مع الله ورسوله واخرون مرجون لامر الله
اما يعذبهم واما يتوب عليهم قرأ ابن كثير وابو عمرو وشعبة عن عاصم مرجؤن بالهمز وهو لغة تميم
والباقون بحذفه وهى الشائعة اى وطائفة من المتخلفين مؤخر امرهم لا يعلم حالهم هل تقبل توبتهم
ام لا وهم كعب بن مالك الانصارى من بنى سلمة ومرارة بن الربيع الزبيدى وهلال بن امية الواقفى
وهم الثلثة الذين خلفوا وسيأتى قصتهم فان قلت قد تواترت النصوص على قبول الله التوبة
من التائب اذا كان مخلصا فى توبته فما الحكمة فى تأخير قبولها من هؤلاء وارجاء امرهم بهما قلت
الحكمة فى ذلك الاشارة الى عظم جنايتهم وان التخلف عن رسول الله فى مثل ذلك السفر كسلا وركونا
الى الدعة امر عظيم الجبر الى البكاء آدم على تلك الصغيرة اربعين عاما وكذلك داود عليه السلام

عليه السلام وقصة حزنه وشدة بكائه مشهورة والله عليم باحوال الخلق حكيم فيما يمنع من
قبول التوبة تارة وتاخيرها اخرى والذين اتخذوا مسجدا ضرارا اى من المنافقين وهم
بنو غنم بن عوف فانهم لما راوا اخوتهم وهم بنو عمرو بن عوف بنوا مسجد قباء وصلى فيه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان يرده فى كل سبت يأتيه راكبا وماشيا حسدوهم وقالوا نبنى
مسجدا نقباء ويصلى فيه رسول الله وابو عامر الراهب وهو الذى حزب الاحزاب على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهرب يوم حنين الى الشام وارسل يخبر المنافقين بانه يقدم اليهم
بجيش بنى الاصفر ويحارب محمدا ويخرجه فمات بقنسرين وحيدا طريدا لعنه الله قرأ نافع
وابن عامر الذين اتخذوا بحذف الواو على انه استيناف قصة للمنافقين وعليه رسم المدنى
والشامى والقول بانه بحذف الواو بدل من مرجون غلط لانهم مخلصون آخر توبتهم وكفرا
لتقوية الكفر وتفريقا بين المؤمنين فانهم كانوا يصلون فى مسجد قبا مجتمعين وارصادا
لمن حارب الله ورسوله هو ابو عامر من قبل يتعلق بحارب وقيل باتخذوا اى اتخذوا مسجدا
من قبل ان ينافقوا بالتخلف وفيه ان نفاقهم كان موجودا قبل وليحلفن ان اردنا الا الحسنى
اى بعد اطلاعك على حالهم يعتذرون بالايمان وانهم مخلصون والله يشهد انهم لكاذبون
وان ايمانهم غموسة بنوه قبل غزوة تبوك وقالوا بنينا مسجدا للذى علة وليلة مطيرة و
نحب يا رسول الله ان تأتى فتصلى لنا فيه فقال انى على جناح سفر فاذا قدمنا جئنا ان شاء
الله تعالى فلما قدم من غزوته سألوا اتيانه فنزلت فارسل جماعة من الصحابة وقال لهم اذهبوا الى
المسجد الظالم اهله فاهدموه فذهبوا فهدموه واحرقوه واتخذ مكانه كناسة لا تقم فيه
ابدا اى للصلوة ظرف لفضله عن العبادة فيه لمسجد اسس على التقوى مسجد النبى بنيته واسسته
لله وهو مسجد المدينة كذا رواه البخارى عن ... سئل عن المسجد الذى اسس على التقوى فاشار
اليه وقال هو مسجدكم هذا وقيل هو مسجد قباء لان الكلام فيه وفى مسجد الضرار ولا دلالة
فى اللفظ على الوحدة بل كل منهما اسس على التقوى واشارته الى مسجد المدينة حين سئل لا تنافى
مسجد قبا الدلالة من اول يوم تأسيسهم ابتداء بنائه احق ان تقوم فيه فان قلت احقيته
هذا تدل على احقية ذلك فى الجملة ومعلوم انه لا شائبة لحق فى ذلك قلت اريد المبالغة
اى لو كان ذلك حقا لله كان هذا احرى بالقيام فيه فكيف وقد بنى لانواع من الكفر
فيه رجال يحبون ان يتطهروا قيل لما نزلت مشى رسول الله والمهاجرون معه حتى وقف
على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكت القوم فقال عمر مؤمنون
يا رسول الله وانا معهم ثم قال يا معشر الانصار ان الله قد اثنى عليكم فى الطهور فما طهوركم
قالوا نتبع الماء الحجارة فى الاستنجاء والله يحب المطهرين يرضى عنهم ويفعل معهم ما يفعل المحب
مع محبوبه افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير على قاعدة محكمة هى تقوى الله امن
اسس بنيانه على شفا جرف هار شفا الطرف [illegible] طرفه والجرف [illegible] السيل وذهب باصله وهو
مشرف على السقوط ساعة فساعة والهار [illegible] الضعيف وهو ثابت [illegible] السقوط

اسم فاعل وزنه فعل قلبت واوه الفا وقد يقال انه محمول على القلب مكانا فوزنه فاع ويظهر ذلك
في حالة النصب فانهار به في نار جهنم فادى به قلة استمساكه وتجوزه الى السقوط تقوى الله
وابتغاء مرضاته اساس قوي لا يزعزعه شيء والباطل لا ثبات له لقوله تعالى واما الباطل فيذهب
جفاء ولذلك مثله بشفا جرف هار اذ لا اضعف منه ولا اقل بقاء ولما جعله مجازا عن الباطل
رشحه بالانهيار الذي هو للجرف لتصور ان المبطل بصدد السقوط في نار جهنم قرا نافع وابن عامر
اسس على البناء للمفعول والباقون على الفاعل وهو المختار لاسناده الى المباشر ولقوله بنوا
وقرا ابن عامر وشعبة عن عاصم وحمزة جرف بسكون الراء وهما لغتان الضم لغة الحجاز و
السكون لغة تميم والله لا يهدي القوم الظالمين هم خلقوا للنار لا يزال بنيانهم الذي
بنوا ريبة في قلوبهم اي سببا لتزايد الشك والنفاق وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما امر بهدمه ثقل ذلك عليهم وازداد بغضهم لرسول الله واشتد عداوتهم وبقوا متحيرين
في امرهم هل يبعثون بين المسلمين كما كانوا ام يقتلون الا ان تقطع قلوبهم فقطعا لا يبقى فيها ما
يصلح للادراك والاستثناء من اعم الازمنة وقيل تقطيع القلوب كناية عن التوبة ندما
واسفا قرا ابن عامر وحفص وحمزة بفتح التاء مضارع تقطع بحذف احدى التاءين مبنيا للفاعل
والباقون بضم التاء على بناء المفعول من التقطيع والاول اوفق لشيوع تقطع قلبه في الموت
والله عليم ببنيانهم واعراضهم حكيم في افعاله ولذلك خيب مساعيهم واظهر نفاقهم لئلا يقدم
احد على مثل فعلهم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة لما بين حال
فرق المنافقين المتخلفين عن غزوة تبوك اشار الى ان المؤمنين بالمبادرة الى الجهاد بالاموال
والانفس يحوزون اية ربح وتمثل اثابة الله اياهم بالجنة على ذلك البذل بالشراء الذي هو
عقد لازم من الطرفين وقدم الانفس على الاموال اشارة الى انهم ببذل ارواحهم اسمح منهم
ببذل الاموال يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون خبر في معنى الامر اي ليقاتلوا في
سبيل الله تسليما للثمن لتعين فان المبيع قد تعين او لما كان هذا البيع في المعنى سلما يجب تسليم رأس
المال فيه او استيناف لبيان ماله الشراء قرا حمزة والكسائي مبنيا للمفعول في الاول والفاعل
في الثاني على عكس قراءة العامة وفيه مدح لهم بالشجاعة اذ قد قتلوا العدو بعد وقوع القتل على
بعضهم فيدل على قوة ايمانهم وانهم بموت بعضهم لم يحصل لهم فترة ولا وهن وقراءة العامة
اولى لعدم احتياجها الى التاويل ولان الرتبة العليا ان الانسان يقتل اولا ثم يقتل بحكم التعقيب
على ان الواو لا يدل على الترتيب وعدا عليه حقا مصدر مؤكد في التورية والانجيل والقرآن
هذا على متعارف التجار فان المبلغ اذا كان له قدر يكتب له الوثيقة وقد بالغ في ذلك حتى
انزله في الكتب الثلثة التي عليها مدار سائر الشرائع ويحتمل ان يراد بالقرآن زبور داود لما
في الحديث ان داود كان يامر بان يسرج له الدابة فيختم القرآن قبل ان تسرج فيكون الوعد مسطورا
في الكتب الاربعة ومن اوفى بعهده من الله اي لا احد فان خلف الوعد كذب وانه تعالى مقدس
من ذلك منزه عن ارتكابه اعاده بلفظ العهد ايماء الى ان ذلك الوعد محفوظ فاستبشروا ببيعكم

ببيعكم الذي بايعتم به اي افرحوا فرحا شديدا يظهر اثره في بشرتكم والسين للتاكيد وذلك هو الفوز
العظيم الذي لا فوز فوقه ولا رغبا احسن منه فلو تناسا عن الجنا التائبون رفع على المدح اي
هم المذكورون ويدل عليه قراءة عبد الله وابي التائبين ويجوز ان يكون ابتداء كلام خبره
ما بعده اي التائبون الموصوفون بهذه الصفات والقول بجواز كونه مبتدا خبره محذوف
اي التائبون من اهل الجنة لا يناسب المقام ولا فخامة فيه العابدون لله مخلصين في عبادته
الحامدون على نعمائه وعلى كل حال السائحون في الارض للاعتبار برؤية مصنوعاته وعجائب
خلقه وقيل هم الصائمون لما في الحديث من اطلاق السياحة عليه لا يسير في المعارف وفي
الملكوت لان الحواس اذا كفت عن الشهوات تجلى للنفس عالم الغيب الراكعون الساجدون
في صلواتهم لا كاهل الكتاب الآمرون بالمعروف ما عرف من الشرع حسنه والناهون عن المنكر
عما انكره الشرع وانما عطف احدهما على الاخر لكونهما في المعنى صفة واحدة لا استقلال لاحدهما
بدون الاخر والحافظون لحدود الله احكامه من عطف العام على الخاص وبشر المؤمنين اي
هؤلاء الموصوفين وضع المظهر موضع المضمر اشارة الى ان الحامل على تلك الخصال هو الايمان
وحذف المبشر به ايماء الى انه من العظم بحيث لا يحيط به الوصف والعلم به لذكره في سائر الايات
ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين روى البخاري مرفوعا ان ابا طالب لما حضرته
الوفاة دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ابو جهل وعبد الله بن ابي امية فقال
يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج بها لك عند الله فقال ابو جهل وعبد الله بن ابي امية يا ابا طالب
اترغب عن ملة عبد المطلب فكان اخر كلمة قالها انه على ملة عبد المطلب ودينا شاخه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اما اني لاستغفرن لك ما لم انه عنه فنزل ما كان للنبي وما قيل ان
ابا طالب مات بمكة والسورة مدنية نزلت في غزوة تبوك فلا اشكال فيه لان رسول الله كان
يستغفر له الى وقت نزول براءة من الله ورسوله من المشركين ثم ما العجب ممن يفسر كلام الله و
يطلع على هذا الحديث ثم يورد في الكتب ان ابا طالب مات مؤمنا ويجمع لذلك احاديث مختلفة
موضوعة وقيل نزلت في زيارة امه لما في الحديث انه زارها وبكى وقال استاذنت ربي في زيارتها
فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم
انهم اصحاب الجحيم بموتهم على الكفر لانهم ما داموا احياء لم يعلم حالهم وهي مسئلة موافاة الاشعري
وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه دفع لما يقال ان لو كان الاستغفار
للكافر غير جائز فكيف صدر من ابراهيم وهو قدوة الموحدين كان لوعد سبق منه بقوله لاستغفرن
لك وحقيقة الاستغفار للكافر طلب التوفيق له بالتوبة فلما تبين له انه عدو لله بان مات
كافرا او اوحي الى ابراهيم بانه يموت كافرا تبرأ منه وقطع الاستغفار فان قلت كيف جاز لرسول الله
ان يستغفر لابي طالب بعد موته قلت الاستغفار للكافر جائز عقلا ولم يكن ورد فيه فكان يستغفر
رافة بعمه يستغفر له ولذلك قيده بقوله لاستغفرن لك ما لم انه عنه ان ابراهيم لاواه اي
كثير التاوه كناية عن فرط رافته حليم يحمل الاذى يقول له ابوه لارجمنك وهو يقول في جوابه سلام

وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون تسلية لرسول الله الذين كانوا يستغفرون
لآبائهم المشركين والمعنى لم يخلق الله الضلال ولم يحكم به على قوم بعد هدايتهم الى الاسلام حتى يبين
لهم حرمة ما يجب اتقاؤه وذلك مثل حرمة الخمر ان الصحابة كانوا يشربونها ولم يكن ذلك من الضلال
في شيء ان الله بكل شيء عليم يعلم حالي الحرمة والاباحة ان الله له ملك السموات والارض
يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير المالك المتصرف وما امر به يجب المبادرة اليه وما
نهى عنه يلزم الكف عنه واشار الى ان فائدة القرابة هي الولاية والنصر ولا ولاية ولا نصر الا منه
فعلى العاقل ان يتوجه اليه بكليته ويقبل الى جناب قدسه بشراشره ويعرض عما سواه لقد تاب
الله على النبي والمهاجرين والانصار عن ابن عباس هو اذنه للمنافقين في التخلف لقوله عفا الله عنك
وقيل ذكر النبي لافتتاح الكلام والمراد التوبة على من معه من المهاجرين والانصار لما فرط منهم
في احد وحنين او بعث للمومنين على التوبة وما من مومن الا وهو يحتاج الى التوبة نبيا كان او وليا
لقوله تعالى توبوا الى الله جميعا والتوبة لها مراتب واولاها التوبة من الشرك واقصاها ربط السر
على التوحيد ومطابقة جلال الله فالذهول عن ذلك ولو لحظة طرفة موجب التوبة على الكمل كما يوجب
ارتكاب الكبيرة على عامة المومنين وعليه يحمل قوله انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم سبعين
مرة الذين اتبعوه في ساعة العسرة كانوا في ضيق من الظهر والنفقة وكان السفر طويلا والوقت حارا
ولذلك سمي جيش العسرة حتى ان جماعة كانوا يعتقبون على راحلة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق
منهم عن الثبات على الايمان واتباع الرسول كناية عن الشدة وفي كاد ضمير الشان اي الامر والشان
وقرئ زاغت قلوب فريق وشبهه سيبويه بقولهم ليس خلق الله مثله وقيل فيه ضمير القوم
قرأ حفص عن عاصم وحمزة يزيغ بالتاء لاسناده الى المونث غير حقيقي والباقون بالياء
وهو المختار لعدم الفاصل ثم تاب عليهم اي على الفريق وعفا عنهم ذلك وثبت قلوبهم وقيل
توكيد للاول وفيه تنبيه على انه انما تاب عليهم لما كابدوه من العسرة انه بهم رؤوف كثير الرافة
رحيم بهم وعلى الثلاثة الذين خلفوا خلف امرهم اي اخر ولم يبت وهم المرجون حتى اذا
ضاقت عليهم الارض بما رحبت برحبها اي مع سعتها كناية عن شدة حزنهم كانهم لا يجدون
مكانا يقرون فيه لغاية قلقهم وضاقت عليهم انفسهم من غاية فرط الغم وتراكم الوحشة
وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه علموا ان لا ملاذ من سخطه الا الاستكانة اليه عبر عن ايقانهم
بالظن مدحا لهم بان الظن منهم يوجب قصر الملجا والتوجه اليه فكيف وهم موقنون ثم تاب
عليهم وفقهم للتوبة او انزل توبتهم ليتوبوا عن ارتكاب مثله او ليتوبوا اذا صدر منهم ذنب
لما علموا من هذه الواقعة ان الله هو التواب ولو عاد المذنب في اليوم مائة مرة الرحيم بعد التوبة
يجعل السيئات حسنات يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله في مخالفته وارتكاب ما لا يرضاه
وكونوا مع الصادقين رسول الله واصحابه زجر لمن تخلف عنه وهو صادق في ايمانه كالثلاثة فانهم
كانوا صادقين من خلص المومنين روى البخاري عن كعب بن مالك وهو احد الثلاثة ما اعلم احدا
ابلاه الله في صدق الحديث احسن مما ابلاني ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله الى يومي

الى يومي هذا كذبا ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله نهي اخرج
في صورة النفي مبالغة والمعنى ما استقام للطائفتين ان يتخلفوا عنه ولا يرغبوا بانفسهم عن
نفسه لان نفسه اعز نفس عند الله بل يجب على من آمن به ان يجعل نفسه وقاية لنفسه ويؤثر حفظه
على حياته كما فعل ابو طلحة يوم احد فانه كان مجبيا عليه بجحفته ويقول لا تنظر الى القوم يصيبك
سهم نحري دون نحرك يا رسول الله وكان يده شلاء وقى بها رسول الله يوم احد فضربت
بسيف روى البخاري ان ابا خيثمة كان من المتخلفين وكانت له امراة حسناء فدخل بستانه وهي
معه ففرشت له وقربت اليه الماء البارد والرطب فلما نظر ذلك قال امراة حسناء ورطب
يانع وماء بارد ورسول الله في حر الشمس والريح ما هذا مقام خير فوثب ورحل ناقته
واخذ السيف وتوجه نحوه كالريح الهبوب فلحق برسول الله وهو بتبوك فلما رآه رسول الله
من بعيد يزهاه السراب قال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله واستغفر له ولا يرغبوا يحتمل
الجزم والنصب ذلك اشارة الى الوجوب المبالغة اي ذلك الوجوب بانهم لا يصيبهم ظمأ
عطش ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة في سبيل الله ولا يطئون موطئا لا يدوسون مكانا من
اماكنهم بحوافر خيولهم واخفاف ابلهم ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى الوطء وهو الايقاع
والايقاع كما في قوله صلى الله عليه وسلم لغزوة حنين آخر وطاة وطئها الله بوج والوج واد
بالطائف يغيظ الكفار وطؤه ولا ينالون من عدو نيلا قتلا كان او اسرا او جرحا او نهبا الا
كتب لهم به عمل صالح وذلك كله مما يوجب المتابعة واقتحام الشدائد ان الله لا يضيع اجر المحسنين
اي اجرهم وضع المظهر موضع المضمر اشارة الى ان الجهاد مع الكفار احسان وان كان فيه هلاك
النفوس وتخريب الدور لانه سبب اعلاء كلمة الله ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولو
تمرة فما فوقها ولا يقطعون واديا الوادي منفرج ما بين الجبال والآكام يكون منفذا للسيل من ودى الماء سال ومنه الودي
شاع استعماله في مطلق الارض وهو المراد في الآية الا كتب لهم ذلك ليجزيهم الله احسن ما كانوا
يعملون اي كتب واثبت ذلك في صحائف اعمالهم ليجزيهم الله بذلك احسن جزاء احسن عمل كانوا يعملون
بان يجزي عملهم الادنى بالاعلى في الجزاء مكافاة لسعيهم وتوفيرا لاجرهم وما كان المومنون
لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله لما عاتب
المنافقين والمتخلفين من غزوة تبوك فكان بعد ذلك اذا بعث رسول الله سرية استبق
المومنون الى النفير ولم يبق بينهم من يسمع الوحي ويتفقه في الدين فامر ان ينفر من كل
فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى طائفة منهم للتفقه في الدين الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال
بالحجة اعظم اثرا من الجلاد بالسيف وقيل هذا حكم مبتدا ليس له تعلق بالجهاد وانما ذكر
بعد الجهاد لان طلب العلم والجهاد عبادتان يتعلقان بالسفر لاسيما في زمن لو يمكن فيه العلم
كان محصورا فامر ان ينفر لطلب العلم من كل فرقة طائفة لئلا يبطل امر المعاش ليتفقهوا
في الدين ليتكلفوا الفقاهة ويتعاطوا المشاق في تحصيلها ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم
وليجعلوا مرمى همتهم ومحل غرضهم انذار قومهم وارشادهم والضمائر المرفوعة على الاول للطائفة

المقيمة وعلى الثاني للنافرة وفيه دليل على ان طلب التفقه وتعلم الجاهل وارشاده من فروض الكفاية
وايماء الى ان طلب العلم للترفع على الاقران والتبسط في العراق والبلدان محرم روى مسلم
اول من يسحب الى النار ثلثة عالم لم يتعلم لوجه الله بل ليقال انه عالم وتاجر تصدق وعاله
ليقال انه جواد وغاز اهريق دمه ليقال انه شجاع وفيه ايضا ان خبر الواحد حجة لان
الطائفة تطلق على الواحد فما فوقه كذا فسره ابن عباس لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا
بعد التعلم كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم
من الكفار الاقرب فالاقرب فان ضرره اشد والحذر منه اكثر لانه بصدد الافتراص
متمكن من الاطلاع على عورات المسلمين روي انه لما رجع من غزوة تبوك قال رجعنا من الجهاد
الاصغر الى الجهاد الاكبر يريد به النفس لا تتخاذلوا وقرب بين الجنبين يعسر الاحتراز عنها
وليجدوا فيكم غلظة شدة وعنفا في القتل والاسر فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم
كل بنان واعلموا ان الله مع المتقين الذين يتقون مخالفته فلا يزالون بعدوهم واذا
ما انزلت سورة من القران فمنهم اي من المنافقين من يقول ايكم زادته هذه ايمانا اي هذه
السورة النازلة الاسناد مجاز يقولون ذلك انكارا واستهزاء بالمومنين لكونهم يعتقدون
زيادة الايمان بزيادة المومن به من الايات والاحكام فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا
لاطلاعهم على ما فيهما من الاحكام والاسرار وهم يستبشرون بنيل الكمال وزيادة العرفان
لانهما اجل المطالب واما الذين في قلوبهم مرض نفاق فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا
الى كفرهم فكما ان الايمان يزداد بزيادة المومن به كذلك الكفر يزداد بما كفر به وسماه رجسا عبر
عن الكفر بالرجس تنفيرا عنه وماتوا وهم كافرون لاستحكام الكفر فيهم اولا يرون انهم
يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون تعجب من عنادهم وقسوة قلوبهم وذلك انهم
لا يتخلون عن محنة متتابعة واصناف بليات ولا يتعظون بسبب ذلك فيرجعون عن
ارتكابه وقيل الفتنة الابتلاء بالجهاد مع رسول الله وما يعاينون من نزول النصر و
التاييد الالهي ولا هم يذكرون يعتبرون ان ذلك بسوء افعالهم ولا يزال الذين كفروا
تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم قرا حمزة اولا ترون خطابا للمومنين
تعجيبا لهم عن غفلة المنافقين واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض يتغامزون
بالحواجب انكارا وسخرية هل يريكم من احد حال بتقدير القول اي قائلين هل يريكم من
المسلمين لننصرف فانا لا نقدر على استماعه اما غيظا لما فيه من ذكر معايبهم والا انهم
او لانه يغلب عليهم الضحك فلا يقدرون على سنه ثم انصرفوا بعد ذلك التغامز وما
تناولوا به صرف الله قلوبهم دعاء عليهم بالخذلان او اخبار اي لما اختاروا الانصراف
جازاهم الله بصرف قلوبهم عن الايمان فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون
لا يفهمون تنبيه على علة الصرف وعدم القابلية لقد جاءكم رسول من انفسكم عربي
منكم تعرفونه نسبه ولسانه وشانه من الامانة والصدق عزيز عليه ما عنتم شاق عليه

شاق عليه وقوعكم في المكروه شفيق بكم لا كبعض ابناء الجنس والاقارب لا تكترث بما اصابكم
حريص عليكم على اصلاح شانكم روى البخاري عنه انما انا لكم كالوالد للولد فاذا جيتم
الغائط فلا يستقبلوا القبلة ولكن شرقوا او غربوا بالمومنين رؤوف رحيم بكافة المومنين
زيادة في مدحه اذ لم تنحصر رافته في اقاربه كما هو شان الجمهور وتقديم الرؤوف وهو ابلغ
على طريقة التتميم وقيل رعاية للفاصلة فان تولوا بعد هذا الابلاغ والانذار فقل
حسبي الله كافي ومعيني اما مواجها لهم او في نفسك متسليا لا اله الا هو دليل على
كفايته والاستغناء من غيره عليه توكلت فوضت امري لا ارجو سواه وهو رب العرش
العظيم الملك الذي لا يحاط به او الجسم العظيم فوق السموات وعلى الوجهين ذكره لتقوية
داعية التوكل والدلالة على ان من هذا شانه جدير بان لا يرجى سواه آخر ما نزل من القران
هاتان الايتان وقيل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله سورة يونس مكية وهي مائة
وتسع ايات او عشر بسم الله الرحمن الرحيم الر اماله الف را من الر حيث وقع اماله
تامة ابو عمرو وابن عامر وابو بكر عن عاصم وحمزة والكسائي وورش بين بين لان الف ذا انقلب
ياء في التثنية كذا قاله الفراء حروف على نمط التعديد اي هذا المعجز مركب من مسمياتها هذه
الاسماء تعريفا لمن ينكر كونه من عند الله او اسم سورة كما تقدم تلك آيات الكتاب الحكيم
آثر لفظ تلك وان كان السورة في حكم الحاضر قصدا الى التعظيم او لكونها في حكم الغائب لعلو
درجاتها والكتاب السورة او القران لا باس لقوله كتاب احكمت اياته ومعنى كونه حكيما على اشتماله
الحكمة او وصف له بوصف مولفه لاسلوب الحكيم اكان للناس عجبا تعجيب للسامعين من تعجب
الكفار ان اوحينا الجار ونا اسم كان وعجبا خبره واللام في للناس للبيان مثلها في هيت لك
والمعنى ان هذا العجب محقق عجب ومحصله انهم جعلوه اعجوبة لهم يتعجبون منه وصار علما عندهم
في ذلك الى رجل منهم ناشئ منهم ذو نسب شريف وحسب منيف وان فاته شي من متاع
الدنيا الذي هو شين كانوا يقولون بالتعجب لم يكن في الناس الا يتيم ابي طالب لولا نزل
هذا القران على رجل من القريتين عظيم ان انذر الناس كان ان مفسرة لان الايحاء في معنى
القول او مخففة حذف منها ضمير الشان تقديره انه انذر الناس على معنى ان الشان قولنا
انذر الناس وبشر الذين امنوا خص التبشير بالمومنين بخلاف الانذار فانه يعمها دل على
ان مجرد الايمان كاف للتبشير ان لهم قدم صدق عند ربهم بان لهم سابقة صدق وعن الاخفش
التقديم فانهم قدموا خيرا قبل لقاء الله ويحتمل ان يراد به ما سبق في علم الله من سعادتهم
تسلية لهم وتطييبا لقلوبهم من سوء الخاتمة او يكون تجريدا اي هم قدم صدق لما في الحديث حتى
يضع الجبار قدمه في النار اي طائفة قدمهم لها قال الكافرون ان هذا لساحر مبين اي القران
وقرا ابن كثير والكوفيون لساحر فالمشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه الرسم والمعنى
انه الصدق لان مناط الانكار كونه رسولا وهو رجل منهم اعترفوا برسالته وان انكروا لان السحر يحتاج
الى تعلم مع شرارة في الجبلة ونفس خبيثة وهو منزه عندهم عن ذلك ان ربكم الله الذي خلق السموات

والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر اي امر الكائنات على وفق ما اقتضته حكمته
ومن هذا شانه لا يخفى عليه من يكون اهلا للاصطفاء بالرسالة فتعجبهم محل للتعجب ما من شفيع الا
من بعد اذنه تقرير لعظمته وعز جلاله وعلو شانه وكبريائه وفيه دليل على جواز الشفاعة
باذنه ذلكم الله ربكم اي الجامع لهذه الصفات المستلزمة للالوهية معبودكم لا غير فاعبدوه
وحدوه بالعبادة افلا تذكرون ليؤديكم على ما هو الحق فانه لا يحتاج الى تفكر وترتيب مقدمات
بل مجرد التذكر كاف فيه اليه مرجعكم جميعا حث على التذكر والتوحيد لان رجوع الكل اليه
يوجب الاستعداد للقائه وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم في معنى الوعد
حقا مصدر اخر مؤكد لغيره هو ما تضمنه وعد الله انه يبدؤ الخلق ثم يعيده دليل على
رجوع الكل اليه لا الى غيره لانه المتفرد بالابداء والاعادة ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات
بالقسط علة للاعادة واشارة الى ثمرتها والقسط هو العدل من اقسط اذا عدل لا من قسط
فانه بمعنى ظلم قال الله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وهذا من غرائب اللغات
والمعنى ليجزيهم بعدله ولا ينقص لهم شيئا من عملهم او يعدلهم في امورهم وما تحت ايديهم لما
روى البخاري كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته او بايمانهم لانه منشأ كل عدل وهذا اوجه
لقوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون اي بسبب كفرهم وانما اسند
الى نفسه جزاء المؤمنين دون الكافرين تشريفا لهم بخلاف الكفار فانه اشار الى ما اصابهم
من العذاب ناشئ عن سوء صنيعهم هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا دليل نير على
استحقاقه الانفراد بالعبودية ومع كونه دليلا نعمة جليلة بها انتظام المعاش والضياء
مصدر ضاء بمعنى اضاء او جمع ضوء مثل حياض وحوض وهو اقوى من النور ولذلك نسب الى
الشمس والقول بان الضوء يكون للشيء بالذات والنور بالعرض فيكون نور القمر مستفادا
من الشمس ليس له اصل لغة وشرعا وقرأ ابن كثير في رواية قنبل ضئاء بهمزتين على قلب الياء او
الواو مكان الهمزة بعد تقديمها ثم قلب الياء او الواو همزة لتطرفهما كما في رداء وكساء و
قدره منازل اي سير القمر ذا منازل لقوله والقمر قدرناه منازل وافراد الضمير لذلك لان مناط
الاحكام الشرعية السنة القمرية والاشهر الهلالية ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين
والحساب حساب الاوقات من الشهور والايام والليالي ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الايات
لقوم يعلمون لانهم المنتفعون به وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحفص يفصل بالياء مسندا الى ضمير الجلالة
والباقون بالنون التفاتا وهو ابلغ اي ذلك المذكور الا ملتبسا بالحق ليكون مناط المعاش ودليل
توحيد الصانع ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض من اجزائها
واوضاعها وما فيهما من سائر الكائنات لايات دلائل على وجود الصانع وكمال علمه وقدرته
وتفرده بذلك لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا لقوم يتقون خص المتقين بالذكر لانه الباعث
على التفكر في بنائها والاعتراف بوحدانية مبدعها ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه
ولا يخطرونه ببالهم فالرجاء بمعنى التوقع او لا يأملون حسن لقائنا لخبثهم او سوء لقائنا لتمهلهم

فهو بمعزل عن الخوف ورضوا بالحيوة الدنيا بدلا عن الاخرة واطمأنوا بها وسكنوا اليها سكون من
ايقن بالخلود فبنوا القصور وبنوا القبور والذين هم عن اياتنا غافلون كالبهائم منهمكون
في المعاصي واللذات العاجلة وانما وسط العاطف باعتبار تغاير الوصفين وانهما نوعان
متمايزان الثاني منهما علة للاول وهما فريقان الاول من انكر البعث ولذلك اطمأنت
والثاني من اقر به ولكن شغله حب العاجل عن النظر والاعداد للباقي اولئك ماويهم
النار بما كانوا يكسبون باستمرارهم على كسب الكفر والمعاصي ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
جمعوا بينهما يهديهم ربهم اي سلوك طريق الجنة بايمانهم بسبب ايمانهم الذي هو اساس كل خير
جمع بين الايمان والعمل الصالح اولا لانه في مقام الترغيب وافرده ثانيا اشارة الى انه
المنجي والسبب وما عداه مكمل لا جزء ولا شرطا فان قلت المضاف الى المعرفة يراد به المعهود
ولذلك يصير معرفة فيكون الايمان المضاف ذلك المعهود السابق وهو المقرون
بالعمل قلت ذلك من قبيل الخطابيات وقد دل دليل قطعي على ان مجرد الايمان كاف
وهو قوله اول السورة وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق والاحاديث الدالة على
ذلك متواترة المعنى وتسمية العاصي غير مهتد ان صح فبالنظر الى عدم سلوك طريق الا
الاستقامة تجري من تحتهم الانهار استئناف او خبر ثان في جنات النعيم خبر اخر او متعلق
بتجري او حال من الانهار دعويهم فيها اي دعاؤهم لقولهم سبحانك اللهم وقيل من الادعاء
اي يدعون له من التوحيد والتنزيه ما كانوا يدعون في الدنيا ويجوز ان يكون الدعاء بمعنى
العبادة واعتزلكم وما تدعون من دون الله وليس العبادة منهم على وجه التكليف بل التلذذ
قال استاذي لم تزده معرفة وانما اللذة ذكرناها وتحيتهم فيها سلام اي ما يحييهم به الملئكة
او الله سبحانه مصدر مضاف الى المفعول او تحية بعضهم بعضا فالى الفاعل واخر دعويهم
ان الحمد لله رب العالمين يقولون ذلك شكرا على ما اولاهم الاعين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر ولو يعجل الله للناس الشر اذا استعجلوه عن مجاهد هو قول الانسان
لماله وولده اذا غضب اللهم العنه وقيل نزل في كفار مكة حين قالوا اللهم ان كان هذا
هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء استعجالهم بالخير اي تعجيله الخير اذا سألوه
فوضع الاستعجال موضعه اشعارا بانه يجيبهم اسرع اجابة كان استعجالهم نفس تعجيله لقضي
اليهم اجلهم وقت الدعاء وقرأ ابن عامر قضى على بناء الفاعل ونصب اجلهم وهو المختار لمناسبة
ما تقدم وما تأخر وعدم الاحتياج الى الحذف فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون
عطف على النفي الدال عليه كلمة لو كانه قيل لا نعجل لهم الشر ولا نقضي اليهم اجلهم فنذرهم الا انه
وضع المظهر موضع المضمر دلالة على ان ذلك المستعجل لم يؤمن بلقاء الله فلذلك اجترء
على تلك المقالة وقيل الاية متصلة بقوله ان الذين لا يرجون لقاءنا وذكر المؤمنين للمقابلة
وانما عبر عنهم اولا بالناس تعظيما للامر ثم صرح باسمهم ثانيا واذا مس الانسان الضر دعانا
لجنبه او قاعدا او قائما في حالاته كلها لان المضرور اما ان يمكنه المرض فهو مضطجع او يمكنه بعض

حقه فيقعد او يزول عنه وفيه نعنا يا يقوم من غير حراك وانما استعمل اللام مع ان الظاهر على انه
الى انه لشدة المرض مستقر على تلك الهيئة لا يمكنه غيرها لما في اللام من معنى الاختصاص ففيه
زيادة مبالغة فلما كشفنا عنه ضره الذي الم به مر كان لم يدعنا الى ضر مسه استمر
على ما كان عليه من الاعراض عن شكر نعم الله كان الفتى لم يعر يوما اذا اكتسى ولم يك صعلوكا اذا
ما تمولا كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون من الاشراك وصرف الاموال في غير مرضات الله
وتكذيب الانبياء ونسبة السحر الى المعجزات والايات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم يا اهل
مكة قرونا كثيرة كانوا يعاملون الله ورسوله ما تعاملون انتم لما ظلموا بالاشراك وعبادة
غير الله وجاءتهم رسلهم بالبينات لم يكن لهم معذرة فيما فعلوا لكون معجزات الرسل واضحة
الدلالة على صدق دعويهم وما كانوا ليؤمنوا جحدا واستكبارا كذلك مثل ذلك الجزاء
نجزي القوم المجرمين نجزيكم وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان اهلاككم مسبب عن
اجرامهم وزاد لفظ القوم ليدل على انهم اعلام في ذلك او كل مجرم فيتناولهم لا محالة
ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم استخلفناكم في الارض بعد القرون التي اهلكناهم
لننظر كيف تعملون جهة اعمالكم وكيفيتها من الحسن والقبح فان المعتبر جهة الفعل لا نفسه وهو معمول
تعملون لان النظر معلق بالاستفهام واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون
لقاءنا اشار الى انهم خلف سوء وان عملهم لم يقع على جهة مرضية بل سلكوا مسالك المهلكين
من القرون الاولى ولم يكن لهم باعث على هذا الا عدم اعتقاد الحشر فانهم دهريون التفت الى
الغيبة تبعيدا لهم عن رتبة الخطاب ائت بقران غير هذا لا يكون فيه تسفيه ابائنا اصلا
ولا استهانة لالهتنا او بدله بان تجعل مكان اية العذاب اية الرحمة وموضع سب الالهة مدحها
فالاول تغيير في الذات وهذا تغيير في الوضع قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي لجاب
عن الثاني لانه الممكن له فان الاول ليس من مقدوره وان كان زعم الكفار انه من مخترعاته وهو قادر
على الاتيان بمثله او لانه يستلزم له وتلقاء الشي محاذاته وجهته ولما توجه تلقاء مدين
ان اتبع الا ما يوحى الي ما شاني الا اتباع الوحي من غير زيادة ولا نقصان ليس الي التغيير و
التبديل اني اخاف ان عصيت ربي دليل على انهم لم يطلبوا منه التبديل من جهة الله بل من عند
نفسه عذاب يوم عظيم وفيه اشارة الى انهم مستوجبون ذلك العذاب لانهم يسعون في تبديل
كلام الله تعالى قل لو شاء الله ما تلوته عليكم فيه زيادة تبرء عما يحسبون اليه من انه كلامه لا
نفس تلاوته بمشية الله تعالى فضلا عن ذلك المتلو ولا ادراكم به ولا انزله رأسا وقرأ ابن كثير
في رواية قنبل ولادراكم بلام التاكيد اي لو شاء لاعلمكم به على لسان غيري فانه كلامه ليس على
البشر الا تبليغه فانا وغيري سيان فقد لبثت فيكم عمرا من قبله اي عمرا مقداره وهو اربعون
سنة ايام الشباب والكهولة التي هي مظنة حب الجاه والرياسة ومحل صدور الهفوات و
ارتكاب ما لا يليق من الحركات ولقد احسن هرقل لما سأل عن نبوته صلى الله عليه وسلم ابا سفيان
هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال قال لا وقد كان سأله عن عمره والخبر انه ادعى النبوة

ادعى النبوة بعد اربعين سنة فقال هو نبي حقا لانه اذ لم يكذب على الناس في شبابه فكيف
يكذب على الله في اخر عمره واليه اشار بقوله افلا تعقلون اي تستعملون عقولكم فان مجرد
استعمالها كاف في ذلك بلا تكلف فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي لا احد اظلم منه قطع
لاطماعهم والمعنى لو فعلت ذلك التغيير والتبديل كنت مفتريا على الله تفاديا مما نسبوا اليه
من زعمهم انه كلامه او تظليم للمشركين في اثبات الشركاء له لقوله ويعبدون من دون الله
او كذب باياته الدالة على صدق مدعي النبوة انه لا يفلح المجرمون اثره على المضمر للدلالة
على العلية ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم وهي الاصنام فانها جماد
ومن المعلوم انها لا تضر ولا تنفع وشأن من يعبد ان يكون مثيبا معاقبا وهذا ناظر الى
قبح فعلهم كما ان الاول ناظر الى بطلان قولهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله
اي يعتقدون ذلك او يقولون اذا سئلوا وكان اهل الطائف يعبدون اللات واهل مكة
العزى وهبل قال ابو سفيان يوم احد بعدما ظهر في المسلمين انكسار اعل هبل فقال رسول
الله لاصحابه الا تجيبونه قالوا ما ذا نقول قال قولوا الله اعلى واجل ثم قال لنا عزى ولا
عزى لكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تجيبونه قالوا ماذا نقول قال قولوا الله
مولانا ولا مولى لكم والقول بان اسافا ونائلة كانا صنمين لاهل مكة ليس كذلك بل كانا
رجلا وامرأة زنيا في جوف الكعبة فمسخهما الله تعالى حجرين فجعل اسافا على الصفا ونائلة
على المروة ليكونا عبرة لمن يراهما كذا رواه البخاري قل اتنبئون الله بما لا يعلم وهو الشريك
او شفاعتهم لكم لان ما لا يعلمه الله لا وجود له لشمول علمه فلو وجد لعلمه طريق برهاني
بانتفاء اللازم على انتفاء الملزوم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون
عن اشراكهم او مما يشركون به تاكيدا للنفي اشياء على العرف فيقولون لذي الانكار لشي ليس هذا
في السماء ولا في الارض او الزامي لاعتقاد المشركين ذلك او اريد بهما جهتا العلو والسفل
وما كان الناس الا امة واحدة في عهد ادم قبل قتل هابيل او زمن نوح بعد السفينة اذ
لم يذر الله على الارض من الكافرين ديارا او زمن ابراهيم كانوا كلهم كفارا فاختلفوا
بعد ذلك الاتفاق على الحق او الباطل وصاروا فرقتين ولولا كلمة سبقت من ربك
قضية قضاها في الازل بان يكون الدار الاخرة دار القضاء ومحل الجزاء لقضي بينهم
في هذه الدار فيما فيه يختلفون بان يثاب المحق ويعاقب المبطل ويقولون لولا انزل عليه
اية من ربه اي من الايات المقترحة قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او يكون
لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا الى غير ذلك عنادا وتماديا في العناد
والا ففي القران النازل بلسانهم ايات لا تعد ولا تحصى وعبر بالمضارع وان كان القول
منهم ماضيا واقعا لانهم مستمرون على ذلك فقل انما الغيب لله مختص به لا سبيل لاحد
اليه فلو اقتضت حكمته انزال ما سألوه لانزل فانتظروا العذاب والهلاك اني معكم
من المنتظرين للعذاب النازل عليكم واذا اذقنا الناس رحمة المشركين الناكبين عن الشكر

من بعد ضراء مستهم مرض وقحط وفي اسناد الاذاقة الى الرحمة دون الضر هنا تأدب اذا لهم مكر في اياتنا احتال في دفعها والتكذيب بها دعى عليهم وقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا حتى اكلوا الميتة والجيف وكان الرجل ينظر الى السماء فيرى دخانا من شدة الجوع فجاء ابو سفيان وقال يا محمد انك تأمر بصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله ان يسقيهم فدعى فسقوا فعادوا الى التكذيب وان ذلك باسحابنا لا بدعائه وقالوا سقينا بنوء كذا اذا الاولى شرطية والثانية فجائية جوابها لقيامها مقام الفاء قل الله اسرع مكرا دبر جزاء مكركم قبل وقوعه ولما دلت المفاجاة على السرعة ظهر وجه التفضيل والمكر منه تعالى استدراجهم واطلاقه عليه للمشاكلة ان رسلنا يكتبون ما تمكرون مكركم او ما مكرتموه لا يخفى عليهم شيء منه فضلا عن خفائه علينا وفيه مع الوعيد ايماء الى الجهلهم بعلام الغيوب ومبنو عليه هو الذي يسيركم في البر والبحر يخلق فيكم وداعي السير فيهما وقرأ ابن عامر ينشركم اي يبثكم فيهما وقراءة العامة اعم حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم اي بكم وانما التفت الى الغيبة ليذكر سوء فعالهم لمن يسمع ويعلم ضلالتهم ليس ما بعد حتى وحده وهو الكون في الفلك غاية للتسيير ليتوهم اتحاد الغاية بل الغاية الشرطية وما في حيزها من الجمل المتعاطفة نظير ما سيأتي في قوله انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه بريح طيبة لا تزيح الراكب الباء للسببية والاولى للملابسة وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها ريح عاصف شديد هبوبها ولذلك لم تؤنث واصل العصف الكمال في كل شيء يقال ناقة عصوف اذا كانت سريعة المشي وجاءهم الموج من كل مكان من سائر الجهات وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين بدل من ظنوا بدل الاشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم ويحتمل الاستيناف كانه قيل ماذا صنعوا بعد تلك الحالة واما جعل جاءت حالا ودعوا جوابا للشرط فلا يستقيم لان فرحهم بالريح الطيبة لم يكن في حال مجيء العاصفة اي اذا شاهدوا اسباب الهلاك لم يذكروا آلهتهم ووحدوا الله ولم يخطر ببالهم غيره ورجعوا الى الفطرة التي فطر الناس عليها والاحاطة كناية عن الموت مأخوذة من احاطة العدو لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على تقدير القول اي قائلين هذا الكلام او هو مفعول دعوا لانه في معناه فلما انجاهم اجاب دعاءهم اذا هم يبغون في الارض فاجلوا الافساد في جهات الارض واطرافها كانه لم يشاهدوا ذلك الامر ويوما بغير الحق قيد به لان الافساد واخراج الشيء عن صلاحه وقد يكون بحق كما فعله رسول الله من احراق زروع بني النضير وتخريب بيوتهم وكذلك الحكم في اموال الكفار اذا لم يرج حصولها للمسلم يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم وباله لا حجة لها او على امثالكم لان من بغيتم عليه من ابناء جنسكم كلكم اولاد آدم متاع الحيوة الدنيا رفع على انه خبر بغيكم والجار والمجرور صلة والمعنى تعدي بعضكم على بعض متاع قليل فيضمحل ويبقى عقابه وقرأ حفص متاع بالنصب على انه مصدر فعل مقدر اي تتمتعون متاع الحيوة الدنيا او مفعول به للفعل المذكور او مفعول له والخبر محذوف والمعنى بغيكم على امثالكم

على امثالكم لانتفاع قليل البقاء قبيح والرفع هو المختار لسلامته عن الحذف ثم الينا مرجعكم بالموت او يوم القيمة فننبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه انما مثل الحيوة الدنيا بين ان ما يتعلل لاجله الناس بغي بعضهم على بعض هو المتاع القليل الذاهب السريع الزوال وكشف القناع عن ذلك واوضحه بما لا مزيد عليه كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض اي حالها العجيبة في سرعة تقضيها وزوال نعيمها بعد اقبالها مثل حال ماء نزل من السماء فاشتبك بسببه نبات الارض واختلط بعضه مع بعض مما يأكل الناس والانعام من سائر انواعه حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت مثل الارض بالعروس لابسة انواع الملابس الفاخرة متزينة باصناف الزينة من انواع الحلي واصل ازينت تزينت ادغمت التاء في الزاء فاجتلبت الهمزة للابتداء بها وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من الانتفاع بها رعيا وحصدا اتاها امرنا ليلا او نهارا اي بما امرنا بالاهلاك كما من برد او صاعقة او خسف كما فعل لصاحب الجنتين احيط بثمره فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها فجعلناها حصيدا جعلنا زرعها كانه محصود في قطعه واستيصاله كان لم تغن بالامس كان لم يلبث زرعها من غني بالمكان اذا اقام قال الاعشى طويل الثواء طويل التغني والامس مثل في الوقت القريب والمشبه به مضمون الجمل المذكورة ووجه الشبه منتزع منها كلها وهي عشر جمل كذلك نفصل الآيات مثل هذا التفصيل الواضح نفصل سائر الآيات لقوم يتفكرون في معاني الآيات وفوائدها فانهم المنتفعون بها والله يدعوا الى دار السلام اي لكل احد ممن كان او كافرا ودار السلام هي الجنة لعدم الامراض والآفات فيها او لانها دار الله والسلام من اسمائه تعالى وتخصيصه بالذكر هنا لا يخفى موقعه من الحسن او لان الملئكة تحي المؤمنين به حين الدخول والله تعالى ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم بخلق الهداية والتوفيق لمن سبقت عنايته به والصراط المستقيم هو الاسلام والدعاء الدالة الى ذلك الطريق لا غير وفيه دليل على ان الامر غير الارادة وان الضال لم يرد الله هدايته للذين احسنوا لخلصوا في ايمانهم الحسنى الجنة او المثوبة الحسنى وزيادة لقاء الله وقيل الحسنى جزاء العمل وزيادة عشر امثاله الى سبعمائة ضعف الى ما شاء الله وقيل الزيادة رضوان الله لقوله ورضوان من الله اكبر ولا يرهق وجوههم قتر لا يصيبها غبار ولا ذلة بل يبقون محفوظون مما يشين ظاهرهم وباطنهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون الموصوفون بتلك الصفات اصحاب الجنة حال كونهم خالدين لا موت ولا خروج والذين كسبوا السيئات كلها وهم الكفار عطف على قوله للذين احسنوا جزاء سيئة بمثلها عطف على الحسنى بالعاطف الاول عطفا على معمولي عاملين مختلفين مثل في الدار زيد والحجرة عمرو او التقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات على انه مبتداء وجزاء سيئة بمثلها خبره والمعنى ان السيئة لا يزاد على جزاء فعله روى البخاري ومسلم من هم بسيئة ولم يعملها كتبت له حسنة ومن عملها كتبت له سيئة وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم من يعصمهم

من سخط الله وعذابه على ان من صلة عاصم قدمت عليه او ما لهم من عاصم من جهة الله او من عنده
على ان الجار والمجرور حال قدمت ومن الثانية زايدة على الوجهين كأنما أغشيت وجوههم
قطعا من الليل مظلما اى جعل غشاء وجوههم قطعا من الليل لفرط سوادها وظلمتها
وقرا ابن كثير والكسائى قطعا باسكان الطاء على انه مفرد بمعنى القطعة لان كل وجه له قطعة
ومن الليل على الوجهين صفة قطعا وكذا مظلما على الاسكان او حال لان النكرة موصوفة
او حال من المستتر فى الجار والمجرور والمختار فتح الطاء لعدم التاويل والتناسب أولئك
أصحاب النار هم فيها خالدون اذ لا حسنة لهم يجازون عليها وبه خرج صاحب الكبيرة و
يوم نحشرهم جميعا اى الفريقين ثم نقول للذين أشركوا مكانكم اى الزموا مكانكم اسم فعل
أنتم مؤكد للضمير المستتر فى مكانكم لانه سادّ مسدّ الزموا وشركاؤكم عطف عليه والمعنى
لا تبرحوا مكانكم حتى تنظروا ما ذا يفعل بكم وتشاهدوا عجز من عبدتموه عن تدبير نفسه فضلا
عن غيره فزيلنا بينهم فرقنا بين المشركين وشركائهم من الزيل لغة فى الازالة والمعنى قطعنا
الوصل التى كانت بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون القائل المسيح والملائكة او الاصنام
ينطقها الله زيادة فى الكلام بمكان الشفاعة التى كانوا يرجونها كقوله تعالى اذ تبرأ الذين
اتبعوا من الذين اتبعوا فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم تفريع على قولهم المعبود اى فيقول
المشركون بل عبدناكم وينكرون مقالة المعبودين فيقولون كفى بالله شهيدا انه وقع ذلك
فانه عالم بكنه الاشياء إن كنا عن عبادتكم لغافلين ما كنا الا غافلين لم نامر بذلك ولم نرض
به هنالك فى ذلك المقام او الزمان مستعار له كقوله هنالك تجزى الذى كنت اصنع
تبلو كل نفس ما أسلفت من البلاء بمعنى الاختبار اى تعرف كل نفس حقيقة ما عملت من حسن وقبح
وقبول ورد وقرا حمزة والكسائى بالتاء من فوق من التلو وهو التبعية اى تتبع عمله ما الى
الجنة او الى النار او ما كان يعبد لما روى البخارى اذا كان يوم القيمة تتبع كل امة ما كانت
تعبده وتبقى هذه الامة وفيها منافقوها فيأتيهم الله فى صورة لم يعرفوها فيقول انا ربكم
فيقولون كلا لا نبرح حتى ياتينا ربنا فيكشف لهم عن الساق فيخرون له سجدا الا من كان منافقا
فانه لم يقدر على السجود ويصير ظهره طبقا او من التلاوة لقوله ويخرج له يوم القيمة كتابا
يلقاه منشورا اقرا كتابك وردوا الى الله مولاهم الحق الثابت ولايته وربوبيته او
الذى يتولى ثوابهم وعقابهم من غير ظلم بل يجازى كلا بعمله على قدره وضل عنهم ما كانوا يفترون
ضاع او بطل ما كانوا يدعونه من الشركاء او من شفاعتهم قل من يرزقكم من السماء والارض
بانزال المطر من السماء والانبات من الارض اردفه بانواع اخر من دلايل التوحيد على وجه
لا يقدرون على انكار شىء منها أمن يملك السمع والابصار يقدر على خلقهما ابتداء تعالى لان
عقول الخلق عاجزة عن ادراك ما اودع فيهما او حفظهما لانهما جوهران لطيفان يتأثران بادنى
شىء ومن يخرج الحى من الميت الحيوان من النطفة او النبات من الحبة والنوى ويخرج الميت
من الحى النطفة والحبة من الحيوان والنبات ومن يدبر الامر امر العالم العلوى والسفلى تعميم

تعميم بعد التخصيص فسيقولون الله لا يجدون جوابا غيره فقل أفلا تتقون بطشه وسطوته
باشراككم فذلكم الله ربكم اى اذا اعترفتم انه المنفرد بالايجاد والكلاءة فذلك الموصوف
هو المنفرد بالالوهية والربوبية الحق الثابت الربوبية فى الواقع لا من تسمونه فماذا
بعد الحق الا الضلال لا شىء بعد الحق الا الضلال لعدم الواسطة فانى تصرفون
عن الحق الابلج تعجيب لهم عن حالهم كذلك حقت كلمت ربك اى كما حقت الربوبية له تعالى
او كما ان بعد الحق الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة الله وحكمه على الذين
فسقوا تمردوا فى الكفر وبلغوا الحد الاقصى أنهم لا يؤمنون بدل من الكلمة اى حق عليهم
عدم الايمان وانتفاؤه عنهم او وعدهم بالعذاب لقوله حقت كلمة العذاب على الكافرين
وانهم لا يؤمنون تعليل له وفيه دلالة على ان حقيقة العذاب ولزومه للكافر انما كان
لاجل انتفاء الايمان فيدل على نجاة المؤمن وان كان فاسقا قل هل من شركائكم من يبدأ
الخلق ثم يعيده اى ليس فيهم من هذا شانه وهم وان لم يقولوا بان الاعادة من خواص
الالوهية لعدم اعترافهم بالاعادة راسا لكن ظهور امرها ووضوح برهانها جعل
منكرها منكر الامر مسلم لا يعبأ بانكاره قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده امره بالجواب لانهم
بكم لا ينطقون بالحق فانى تؤفكون فكيف تصرفون عن قصد السبيل قل هل من شركائكم
من يهدى الى الحق تنزل معهم كانه قيل هم عن ابداء الخلق واعادته بمعزل لكن اقل شؤون
الاله وصفاته ان يكون مرشدا الى الصواب وقد سبق ان هدى ياتى لازما ومتعديا
الى مفعولين بنفسه يقال هديته الطريق والى الثانى بالى او باللام ولا فرق فى المعنى
ويجىء بمعنى النقل كما فى الهدية وهدى الحاج والقول بان ما يسند الى الله مستعمل بالى يرده
قوله قل الله يهدى للحق وقوله اهدنا الصراط المستقيم ويهدى من يشاء أفمن يهدى الى
الحق احق ان يتبع أمن لا يهدى الا ان يهدى اى لا يهتدى بنفسه على انه لازم او لا يهدى
غيره الا ان يهدى ويعرف هذا على قراءة حمزة والكسائى على انه مضارع هدى وقرا ابو بكر
عن عاصم بكسر الياء والهاء وتشديد الدال على ان الهاء كسرت لالتقاء الساكنين والياء
للاتباع وحفص بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال لما ذكر الا انه لم يتبع الياء وقرا قالون
عن نافع وابو عمرو بفتح الياء واختلاس فتح الهاء والتشديد اشارة الى عدم اصالة الكسرة
وورش وابن كثير وابن عامر بفتح الياء والهاء وتشديد الدال على ان الهاء حركت بالفتح
فرارا من نقل الكسرة مع الياء كما فتح الميم فى الم الله وفى هذه الوجوه مضارع اهتدى
ادغمت التاء فى الدال للتشارك فى المخرج والقول بان ابا عمرو قرا بالادغام المجرد ولم يبال
بالتقاء الساكنين سهو لان ابا عمرو يختلس ونقل عن قالون السكون فما لكم كيف تحكمون
تعجيب من حالهم كيف يخفى عليهم هذا الامر الجلى وهم يدعون انهم عقلاء مراجيح وما يتبع أكثرهم
إلا ظنا اى فى اقرارهم بالله والوهيته لانهم مقلدون اباءهم فى ذلك من غير سند الا او فى
انما يعبدونه التقييد بالاكثر لان بعضهم شاك متحير وبعضهم مستيقن معاند وجحد

واستحسنتهم انفسهم والمراد بالاكثر الجميع إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا من الاغناء اوشيئا ما مفعول به والحق هو الثابت الذي لا يتبدل بتبدل الشرايع كالتوحيد وساير الاصول والعقايد فان الظن لا يفيد فيها بل لا بد فيها من دليل قاطع إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ من التقليد والظنون التي لا تغني من الحق شيئا وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ رجع الى ما كان بصدده من بيان حقية القران فان السورة مصدرة بذلك ساق دلايل توحيده وربوبيته على ارشق اسلوب واحسن انتظام ثم كر الى نفي الريب عن كونه كلامه والمعنى ما صح وما استقام وكان محالا عند العقل ان يكون مثله في علو الشان والاعجاز مفترى ومختلقا اذ ليس في وسع احد الاتيان بمقدار ثلث ايات تدانيه قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القران لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ من ساير الكتب السماوية شاهد على صدقها لانه معجز دونها فكيف يكون مفترى جعله نفس التصديق مبالغة على طريقة رجل عدل وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ وتفصيل الاحكام المكتوبة على المكلفين او اللوح المحفوظ فانه فصل فيه ما هو مكتوب هنالك لقوله بل هو قران مجيد في لوح محفوظ لَا رَيْبَ فِيهِ خبر اخر لكان او حال عن اسمه مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ حال من ضمير فيه او من الكتاب او متعلق بتصديق او تفصيل ولا ريب فيه اعتراض على الوجوه الثلثة أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بل ايقولون اختلقه محمد واستبعاد لصدور هذا القول منهم والحال انهم عاجزون عن الاتيان بمقدار اقصر سورة منه قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ في البلاغة وحسن النظم اية سورة كانت لا تتفاوت بالطول والقصر واقلها ثلث ايات وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ من شئتم وقدرتم عليه في الاتيان بمثله كانه من كان من خلقه فانه عاجز عن ذلك إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ انه مفترى لانكم باشرتم القريض والخطب والاتي به لم يكن يباشر شيئا من ذلك بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ اضراب عن دعاهم الى التحدي وانهم لا يستاهلون ذلك الى الحالة اخرى لهم اشنع من العناد وهي الجهل اذ لا شيء اقبح منه فان العاند ربما يستحيي ومن امثالهم عاند من تطيق له عنادا والمعنى انهم قبل التدبر في نظمه والاحاطة بخواص تراكيبه سارعوا الى تكذيبه فاذا ما ندوا ونسبوه الى الافتراء بعد العجز عن الاتيان بمثله لا يستبعد ذلك منهم وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ما يؤول اليه من صدق اخباره بالمغيبات وانما انزل الان التاويل كان متوقعا منتظرا فكان المسارعة الى التكذيب نوعا من الجهل وقيل قوله ام يقولون افتراه فيمن علم اعجازه وانكر عنادا وقوله بل كذبوا فيمن كان شاكا والوجه هو الاول وعليه ينطبق النظم كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ انبياءهم فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ الخطاب لرسول الله او لمن يتاتى منه النظر وفيه اشارة الى ان سيحل بهم ما حل باولئك وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بانه كلامه تعالى وان انكر بلسانه اراد بالايمان مجرد التصديق دون الاذعان والا كان مؤمنا حقا او سيؤمن به حقيقة كمن اسلم منهم وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ في الحال او في الاستقبال وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ المعاندين او المصرين والوجه هو الاول لان المصر

لان المصر ليس له باطن يخالف ظاهره وَإِنْ كَذَّبُوكَ اي وان كانوا كذبوك ولم يرعووا عنه بعد الزام الحجة فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ اي لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم منسوخ باية السيف لدلالته على اباحة المتاركة أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ لا يؤاخذ احد منا بجريمة الاخر كما لا ينتفع بصالح عمله وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ من الكفار من يستمع اليك اذا قرأت القران او علمت الشرايع استماعا لا تدبر معه ليوصلهم الى درك دقايق معانيه بل يسمعون الفاظا مجردة تشتبه عندهم الصدى والدوي ناظر الى قوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ انكار لوقوع الاسماع مع اجتماع هاتين الصفتين لان الاصم اذا كان عاقلا ربما تفرس من دوي الصوت او ادرك المقصود من الاشارة واذا انضم الى فقد السمع سلب العقل فقد تم الامر وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ افرده نظرا الى لفظ من وجمع الاول باعتبار المعنى تفننا اي ومنهم من يشاهد دلايل نبوتك اذا نظر اليك ولم يصدق بشيء منها عنادا الا ما راى عبد الله بن سلام رسول الله وهو جالس بقباء مقدمه من مكة فقال وجهه ليس وجه كاذب ثم ساله عن مسايل فاجابه عنها فامن في ساعته أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ اي لست قادرا على ذلك لان العمى اذا انضم اليه فقد البصيرة لا يمكن هداية صاحبه شاهدنا رجلا اعمى سوبها من بيت المقدس الى فلسطين وحده وبين الموضعين مسيرة يوم ويجوز ان يكون الابصار رؤية البصر والمعنى لست قادرا على هداية فاقد البصر ويكون تاكيد للعمى لانه ربما يكون معه نوع رؤية إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا لا ينقص منهم ما يحتاجون اليه في المعاش وما يتوسلون به الى التحصيل المعاد من الحواس والعقل والقوى وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ بتفويت منافع الحواس وصرفها الى غير ما خلقت له والاعراض عن سماع الحق ولحاظ الايات في الافاق والانفس وفي الاية دليل على ان الانسان مختار في افعاله له كسب هو مناط الثواب والعقاب وقرا حمزة والكسائي ولكن مخففا وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا لان ايام السرور قصار او في القبور لما يشاهدون من اهوال القيمة والجملة في موضع الحال اي مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة وقرا غير حفص نحشر بالنون التفاتا وهي ابلغ من الثناء تهديد بدليل وحشرناهم ونحشرهم يوم القيمة يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ يعرف بعضهم بعضا لقرب الزمان وهذا عند خروجهم من القبور واما اذا اشتد الهول فلا يسأل حميم حميما والجملة بيان للتشبيه لان التعارف لا يبقى مع طول العهد او متعلق الظرف اي يتعارفون يوم نحشرهم قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ استيناف فيه معنى التعجب كانه قيل ما اخسر من كذب بلقاء الله او حال بتقدير القول اي يتعارفون بينهم قايلين ذلك وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ عارفين بطريق التجارة او لم يدخلوا في زمرة المهتدين وهذا تاكيد لكونهم صما عميا وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ من العذاب في الدنيا كما اراه يوم بدر أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ قبل اراءته فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ جواب نتوفينك وجواب الاول محذوف اي فذاك والمعنى انك

ظافر بعد ذلك اما في الدنيا او في الآخرة لا محالة فلا تحزن من تكذيبهم ثم الله شهيد على ما يفعلون
بعد رجوعهم اليه بان ينطق جلودهم والسنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يكسبون او ذكرت
الشهادة واريد مقتضيها اي يعاقبهم على افعالهم ويحتمل ان يراد التراخي الرتبي لان شهادة
الله عليهم بالكفر اشق من الرجوع اليه والعذاب او هو على التقديم والتأخير اي ان نتوفينك
فالله شهيد بعدلك على افعالهم فالينا مرجعهم واخيرا ثم على الفاء على هذا التقدير للتفاوت
بين الشهادتين وقد روى البخاري انه صلى الله عليه وسلم قال يؤتى باناس من امتي وانا اقف
على الحوض فيؤخذ بهم ذات الشمال فاقول اصحابي اصحابي فيقال انك لم تعلم ما احدثوا بعدك
فاقول كما قال عيسى بن مريم وكنت شهيدا عليهم ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب
عليهم ولكل امة رسول يدعوهم الى الله ويهديهم فاذا جاء رسولهم فكذبوه قضي بينهم بانجاء
الرسول واهلاك قومه سنة لرسول الله ووعيد لقومه او يوم القيمة يقضي بعضهم بينهم بقول لهم
وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالقسط بالعدل وهم لا يظلمون تأكيد وتصريح
بما علم ضمنا ويقولون متى هذا الوعد هذا الموعود انكار لصدقه بقوله ان كنتم صادقين
خطاب للنبي والمؤمنين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا دفع سوء ولا جلب نفع لنفسي التي هي
اقرب الاشياء الي واهم فكيف املك لكم وانما قدم الضر هنا واخره في الاعراف لان الكلام هنا
في الساعة وعدم الاطلاع على وقتها فكان الاهم النفع واعداد العمل الصالح لها ولذلك
اردفه بقوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير والكلام هنا في وقوع العذاب ولا
شك ان المهم دفعه الا ما شاء الله استثناء منقطع اي لكن ما شاء الله من ذلك كائن او متصل
اي الا ما شاء الله ان املكه فانه يقدرني عليه لكل امة اجل بيان لتأخر العذاب وجواب عن
استبطائهم اذا جاء اجلهم المضروب لاهلاكهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون
فلا وجه للاستعجال لعدم امكان التبديل وسيجيء ما وعد قل ارأيتم ان اتاكم عذابه
تنبيه لاعلامهم بان ما يستعجلونه لا وجه لاستعجاله بياتا اي وقت بيات وهو النوم نصب
على الظرف او نهارا اي وقت اشتغالكم باسباب المعاش لم يذكر الليل في مقابلة النهار
لانه اراد الاشارة الى انه وقت نوم وغفلة ليدل على انه الوقت الذي يعرض فيه عن العدو
بخلاف النهار فانه نشاط المعاش ماذا يستعجل منه المجرمون اي فرد من افراده يستعجلون مع
انه لا فائدة في شيء منها لان العذاب كله مر المذاق يجب الفرار منه وعلى هذا من تبعيضية
او معنى الاستفهام التعجب اي اي شيء هائل من العذاب يستعجلون تمني للبيان لان ذلك
الشيء هو العذاب نفسه وتحقيق المقام مبني على الوجوه ثلثة الاول ان ماذا متعلق
بارأيتم لانه بمعنى اخبروني ويقدر للشرط جواب ولما كان هذا الاستفهام توبيخ وتجهيل
لهم فيقدر في الجواب ما يدل على الخطاء والندامة ويكون الشرط والجزاء معترضا المضمون للاخبار
ولذلك وسط بينه وبين متعلقه والثاني ان يكون ماذا يستعجل جواب الشرط والمعنى اخبروني
ان اتيكم عذابه فاي شيء تستعجلون منه ولا موضع للاستعجال ثم قيل على الوجهين اثم اذا

اثم اذا ما وقع آمنتم به على معنى ان العذاب اذا وقع آمنتم به ودع تكذيبكم تصديقا واذعانا
وفيه زيادة تنديم وتجهيل لهم وان هذا الايمان والاذعان ادخل في الانكار من استعجال
العذاب ولذلك تجيء ثم ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على موجب ترك الاستعجال
وهو الاجرام لان من حق المجرم ان يخاف العذاب وينبغي في استدفاعه فضلا عن استعجاله
الثالث ان يكون اثم اذا ما وقع جواب الشرط وماذا يستعجل اعتراض واصل الكلام ان اتيكم
عذابه بياتا او نهارا وتحقق آمنتم ثم جيء بحرف التراخي بدل الواو استبعادا لما فعلوه ثم
زيد اذا الشرطية دلالة على استقلاله بالاستبعاد وان الاول تمهيد له واكد بما تحقيقا
لمعنى الوقوع وزيادة تجهيل لهم بانهم لم يؤمنوا الا بعد ان لا ينفعهم البتة وانما ادخل الهمزة
على ثم لانه منصب الانكار وهذا الوجه ابلغ معنى الآن على ارادة القول اي قيل لهم اذا امنوا
بعد وقوع العذاب الآن يؤمنون توبيخا لهم والآن هو الوقت الذي انت فيه ظرف غير متمكن
وقع معرفة وليست اللام فيه للتعريف وقرأ نافع بالقاء حركة الهمزة الى اللام وحذفها
وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر قبل الآن
ذوقوا عذاب الخلد الدوام هل تجزون الا بما كنتم تكسبون يقال لهم ذلك دفعا لتظلمهم و
يستنبئونك احق هو اي ما تدعيه من وقوع العذاب يقولونه انكارا وتكذيبا ولا دليل في
قوله يستنبئونك على ان الاستفهام على اصله لكونهم جازمين بكونه كذبا كيف وهم الذين
يقولون ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء وهو مبتدأ والضمير
مرتفع به ساد مسد الخبر او خبر مقدم قل اي وربي انه لحق اكده بانواع من التاكيد لقوة
انكار المخاطب واصراره واي بكسر الهمزة كلمة تصديق بمعنى بلى يتقدم القسم لا يستعمل بمفرده
وقيل الضمير للقرآن او لادعاء النبوة ولا يلائم المقام ويرده قوله وما انتم بمعجزين
اي فائتين العذاب ولو ان لكل نفس ظلمت اشركت ما في الارض من الاموال والدفائن
لافتدت به جعلته فدية لها والفدية والفداء ما يفتدى به الشيء واسروا الندامة لما رأوا
العذاب لانهم من شدة الامر وتفاقمه لم يقدروا على بكاء ولا عويل كما يفعله المصاب بل
يرون الندامة والحسرة وكثيرا ما يرى من له ولد عزيز عليه اذا مات بقي كالجماد ولا
يسيل له دمع ولا يقدر على صراخ وقيل اسروها اي اظهروها لان الكلمة من الاضداد وقيل
اسروها من سفلتهم الذين اضلوهم حياء منهم وخوفا من التوبيخ وقيل اسروها اخلصوها من
سر الشيء لخالصه لانه يخفى ويضن به وقضي بينهم بالقسط بين المؤمنين والكافرين او بين
الرؤساء والاتباع او بين المشركين بجعل ذنوب المظلوم على من ظلم وليس فيه تكرار لان الاول
بين الانبياء ومكذبيهم وهم لا يظلمون بل يجزون على قدر ذنوبهم فان الكفار مختلفا ويتفاوت
في العذاب الا ان لله ما في السموات والارض يختص به هو المثيب والمعاقب الا ان وعد الله
حق ثابت لا محالة دليل على ان القضاء بين الظالم والمظلوم كائن وصدر الجملتين بحرف التنبيه
ايقاظا عن سنة الغفلة ولكن اكثرهم لا يعلمون لانهماكهم في الشهوات وعدم تفكرهم في آثار صنع

هو يحيي ويميت متفرد بذلك لا كما يقولون ما يهلكنا الا الدهر واليه ترجعون بعد الموت لا الى
غيره يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى جمع لابيان
فضائل القران الموعظة النصح مصدر بمعنى الوعظ والقران لاشتماله على الدلائل القطعية الدالة
على التوحيد وسائر العقائد موعظة وباعتبار رفقهما والتذكير فيهما شفاء للداء الجهل فان مرض
القلب ان لم يداو بذلك قوي وتبعه الهلاك ورحمة للمؤمنين لمن آمن به منكم خصها بهم لانهم
المنتفعون به هذا كمن وضع ترياقا بين طائفة تناولوا سما فتداووا وقال لهم فيه شفاء
لدائكم واني انا الطبيب الماهر فصدقه بعضهم فكان فيه شفاؤه ولم يلتفت فيه الاخرون فكان
في ذلك حتفهم قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا تقدير الكلام بفضل الله وبرحمته
فليفرحوا فبذلك فليفرحوا فالتقديم للاختصاص اي بهما فليفرحوا لا بغيرهما من متاع الدنيا
والتكرير للتاكيد لان اسم الاشارة بمنزلة الضمير واتيانه لاشتماله على زيادة كمال التمييز
فيفيد زيادة تقرير وتثبيت وحذف احد الفعلين لدلالة المذكور عليه الفاء جواب شرط
كانه قيل ان فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح والفضل هو الاسلام والرحمة القران او هما واحد
وتوسيط العاطف باعتبار الصفات وهذا اوجه واليق بالمقام هو خير مما يجمعون قرأ
ابن عامر بالخطاب التفاتا الى الكفار وهو المختار لانه ابلغ في النصح قل ارايتم ما انزل الله لكم من
رزق بيان ما وهو مفعول انزل ان كانت استفهامية وان كانت موصولة يتعلق بارايتم اي
اخبروني وفائدة لكم الامتنان عليهم كما في قوله خلق لكم ما في الارض لا الدلالة على ان
الرزق اريد به ما حل منه لان الكلام مع المشركين الذين يجعلون بحيرة وسائبة وحاما ووصيلة
فجعلتم منه حراما وحلالا ولذلك وبخهم بقوله قل آلله اذن لكم في ذلك التحريم والتحليل
ام على الله تفترون والمعنى اخبروني اي الامرين كائن الاذن من الله ام الافتراء منكم عليه
اذ لا حاكم غيره وعلى هذا ام متصلة لانها مع الهمزة متعاقبان ويجوز ان يكون منقطعة اضرابا
عن ان يكون الاذن من الله وتقريرا للافتراء وهذا ابلغ في الوعيد والزجر ويدل عليه قوله
وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة اي اي شيء ظن المفتري على الله في ذلك
اليوم ابهمه تعظيما لشان الوعيد ان الله لذو فضل عظيم بالعقل المميز والرسل الهادين
وانزال الرزق ولكن اكثرهم لا يشكرون تلك النعم وما تكون في شان لما اطال المحاجة مع
الكفار واقام البراهين القاطعة على فساد ما يدعونه من الشريك وقبح اعمالهم من التحريم و
التحليل افتراء على الله شرع بتسليه بان ما يقاسيه معهم من المشاق ليس يخفى منه الا
وعلمه محيط به يجازيه عليه يوم الجزاء والشان لغة مصدر شانت شانه اذا قصدت
قصده وما تتلوا منه من قران من ذلك الشان لان تلاوة القران اعظم شؤون رسول
الله او من التنزيل لان كل جزء منه لاطلاقه على الكل والجزء والاضمار قبل الذكر للتفخيم او
الضمير لله ومن ابتدائية ولا تعملون من عمل اي عمل كان عمم الخطاب بعد ان خصص سيد القوم
بما كان فيه فخامة اجلالا لمنصبه ورفعا لجنابه الا كنا عليكم شهودا مطلعين على احوالكم

على احوالكم رقباء اذ تفيضون فيه وقت شروعكم فيه لما يفوتنا منه شيء من افاض في الامر
اذا اندفع فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة ما يبعد ويغيب عن علمه ما هو اقل قليل فكيف
بما فوقه قراء الكسائي بكسر الزاء والباقون بالضم وهما لغتان والكسر افصح لانه اخف في الارض
ولا في السماء في الجهات السفلية والعلوية وتقديم الارض لان الكلام مع اهلها ولان العلة
يقلبون بعدها ولا اصغر من ذلك ولا اكبر قراء حمزة برفع الاسمين عطفا على محل من مثقال
لانه فاعل في المعنى والباقون بالفتح على اللفظ او على ذرة وذلك الفتح جر لانهما غير منصرفين
الا في كتاب مبين استثناء منقطع والمعنى لا يعزب عنه شيء من الاشياء لكن كله في كتاب
مبين على ان الكتاب علمه او اللوح او متصل من قبيل قوله لا يذوقون فيها الموت الا الموتة
الاولى وقيل كلام برأسه لا عطف هناك على المحل واللفظ بل الفتح على ان لا نافية للجنس
والرفع على الابتداء وعلى التقديرين الا في كتاب خبره والجملة مقررة لما قبلها الا ان
اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون كانه لما ذكر احاطة علمه بالاشياء كلها كان
مظنة ان يسرع الخوف الى قلوب المخلصين اذ ما من احد الا وله نوع تقصير يقتضيه البشرية
ازال ذلك بان اولياءه لا خوف عليهم من وصول مكروه ولا حزن من فوات محبوب الذين
امنوا وكانوا يتقون تعريف لهم وتمييز عما عداهم وقيل نصب او رفع على المدح او مبتداء
والخبر قوله لهم البشرى والوجه هو الاول لهم البشرى في الحيوة الدنيا بما انزل الله في
كتابه من الثناء عليهم في مواضع شتى وقيل من الرؤيا الصالحة فانها جزء من النبوة كما
نطق به الحديث او بشرى الملئكة لهم عند حلول الاجل وفي الاخرة بتلقاهم الملئكة بالسلام
والبشارة او سلام الله لقوله سلام قولا من رب رحيم لا تبديل لكلمات الله لاحكامه
مؤكد لقوله لا خوف عليهم او لقوله لهم البشرى كانه قيل لا خلاف في وعده ذلك هو الفوز
العظيم اي المبشر به وهذه الجملة والتي قبلها معترضتان للتاكيد او الاولى معترضة وهذه
تذييل ولا يحزنك قولهم بانهم يقتلونك او يسلطون عليك من يباشر قتلك وفي الحديث كان
ابي بن خلف يقول له لي فرس اطعمه كل ليلة فرقا من الشعير هنا اقتلك عليه فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تقتلني ولكن اقتلك وكان كذلك فقتله يوم احد بيده صلى الله عليه وسلم
ان العزة لله جميعا مستانف للتعليل اي الغلبة والقهر لله جميعا لا مؤثر للكائنات غيره
وقد وعدك النصر والغلبة هو السميع لاقوالهم العليم بضمائرهم او بمن له النصر والغلبة
او بمن هو اهل لذلك الا ان لله من في السموات ومن في الارض من الملئكة والثقلين اقتصر
على ذوي العقول لكونهم اشرفهم داخلا بالطريق الاولى او فيه تغليب والى بحرف التنبيه واكد
الكلام بان اشارة الى شدة غفلة السامعين وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء لان
من في السموات والارض مملوك له تعالى لا يصلح شريكا في الالوهية فمن سموه شريكا اسم بلا
مسمى ويجوز ان يكون ما استفهامية مفعول يتبعون وشركاء مفعول يدعون والمعنى اي شيء
يتبعون هؤلاء الذين يدعون شركاء من دون الله اذا كان من في السموات ومن في الارض

مملوكا له تعالى تقرير لجهلهم إن يتبعون إلا الظن الذي لا يجدي في الأصول والعقائد وإن
هم إلا يخرصون يكذبون في دعواهم أو يقدرون ويحزرون في أنفسهم ما لا وجود له هو
الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا جعل الليل مظلما بواسطته
يتكفون من الأعمال الشاقة إذ لولاه لحملهم الحرص على إتعاب أنفسهم على الدوام وجعل النهار
مضيئا يبصرون فيه ويسعون في طلب المعاش ولما في الدليل المذكور من الجلاء ختم الآية بقوله
إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع تدبر فإنه لا يحتاج إلا إلى إلقاء السمع دون
إعمال روية وتكثير مقدمات قالوا اتخذ الله ولدا نوع آخر من قبائحهم وهو نسبة الولد
إليه وذلك أن المشركين كانوا يقولون الملائكة بنات الله وحمل الاتخاذ على التبني سهو لأنهم
كانوا يقولون بالولد حقيقة ولذلك رد عليهم بقوله أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة
سبحانه تنزيه له عن ذلك هو الغني دليل على بطلان ما قالوا لأن الولد إنما يطلب ليكون
ظهيرا في حياة والده وقائما مقامه بعد وفاته ومن استغنى عنه الاحتياج من كل وجه ما ذا يفعل
بالولد له ما في السموات وما في الأرض تقرير لغناه وأن ما فيهما ملك له وهو ينافي الولد
وفيه إشارة إلى أنهم جاهلون متناقضون إن عندكم من سلطان بهذا التفت إليهم توبيخا
وتكذيبا لهم على سبيل المخاطبة والمعنى ما عندكم من سلطان دليل قاطع على ما تدعونه والاعتقادات
لا بد لها من برهان وبهذا متعلق بالظرف أو على أن من سلطان فاعل الظرف لاعتماده على النفي
أو متعلق بسلطان لأن فيه معنى الفعل أو نعت له أتقولون على الله ما لا تعلمون تقريع
وتوبيخ على نسبتهم إلى الله ما لا علم لهم به قل إن الذين يفترون على الله الكذب خاطبهم
أولا ثم لما تجاهلهم أعرض عنهم وأمر الرسول أن يخاطبهم بأن الذين ينسبون الولد إليه
أو الشريك أو ما لا يليق به لا يفلحون في الآخرة بالنجاة من النار والفوز بالجنة متاع في الدنيا
لهم تمتع فيها أو افتراؤهم تمتع قليل فإنهم بذلك يقيمون رياستهم بين قومهم ثم إلينا مرجعهم
بالموت ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون لأجل كفرهم وكلمة ثم للتراخي الرتبي
لأن الكافر بالموت ساقط في العذاب إلا أن عذاب جهنم أشق ولذلك قالوا من بعثنا من مرقدنا
واتل عليهم نبأ نوح لما استوفى دلائل القرآن وبين بذلك صدق من أرسل به وأردف
ذلك بدلائل وحدانيته أمر رسوله بأن يتلو عليهم بعض أقاصيصهم المكذبة الذين أهلكهم الله
واستأصلهم ليكون ذلك زاجرا وبدأ بنوح لأنه أول نبي عذب قومه ولأنهم كانوا عبدة الأوثان
مثل قريش إذ قال لقومه متعلق بنبأ يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي سوء عظم عليكم وشق إقامتي
بين أظهركم داعيا إلى الله مكث ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى الله ولذلك قالوا يا نوح
قد جادلتنا فأكثرت جدالنا أو بمعنى كوني بمكان فعلت هذا لمكان فلان أي لأجله و
تذكيري بآيات الله بالدلائل الدالة على وحدانيته أو الدالة على صدق نبوتي فعلى
الله توكلت لا على غيره من الأسباب فأجمعوا أمركم اقصدوه واعزموا عليه من الجمع بمعنى
العزم وأمرهم كيدهم الذي كانوا يجعلونه كقوله فاجمعوا كيدكم وشركاءكم مفعول معه الواو

الواو بمعنى مع وروي عن نافع اجمعوا بالوصل من الجمع ويجوز نصب شركائكم بالعطف على المفعول
ثم لا يكن أمركم عليكم غمة أي بعد اجتماعكم على إهلاكي لا يكن ذلك مستورا بينكم كستر من
يريد إهلاك عدوه فإنه يضمر في نفسه وينتهز الفرصة من غير إعلام إذ ابتدر والمعنى إذا أهلكتموني
لم يبق عليكم ضيق وغم واتسع عيشكم وفعلتم ما تريدون ولم تجدوا أحدا ينكر عليكم
شيئا مما تأتون وتذرون ثم اقضوا إلي ما هو حق عليكم في اعتقادكم من إهلاكي
ولا تنظرون ولا تمهلوني تحكما وعدم مبالاة ثقة بمن توكل عليه فإن توليتم أعرضتم فما
سألتكم من أجر هذا الشرط مرتبط بالشرط الأول والمعنى إن أعرضتم لبقائي بينكم رسولا
ذلك أمر ليس لي فاسعوا في إزالته بكل ممكن وإن توليتم لأني أطلب منكم شيئا فلا وجه
لتوليكم لأني ناصح لوجه الله لا أطلب على ذلك أجرا إن أجري إلا على الله الذي أرسلني
وأمرت أن أكون من المسلمين المنقادين لأمره أو المخلصين لا ألتفت إلى خلاف فيما أقوله
وفيه أن من أخذ الأجرة على تعليم العلم وهداية الناس ليس من ورثة الأنبياء فكذبوه
استمروا على تكذيبه بعد إلزام الحجة فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف يخلفون
عن الهالكين وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين
المهلكين أو من نجيناه ومن أهلكنا لاشتراكهم في الإنذار والنظر هو التأمل والاعتبار
ثم بعثنا من بعده رسلا إلى قومهم كل رسول إلى قومه وفي الحديث كان النبي يبعث إلى قومه
وبعثت إلى الناس كافة فجاءوهم بالبينات المعجزات الواضحة الدالة على صدق دعواهم
فما كانوا ليؤمنوا فما آمنوا بعد تلك المعجزات وإنما زاد لفظ كان بلام الجحود إشارة إلى
أن عدم إيمانهم لم يكن لاجتهاد واستكبار بما كذبوا به من قبل أي قبل مجيء الرسل لفرط
عنادهم استوى الحالتان عندهم وحمل الباء على السببية أي إنما لم يؤمنوا بسبب اعتيادهم
تكذيب الحق وتمرنهم عليه فيه أن من آمن من الكفار كان قبل البعثة مكذبا مستمرا عليه
كذلك نطبع على قلوب المعتدين مثل ذلك الطبع الذي طبع على قلوب هؤلاء نطبع على قلب
كل معتد كقوله كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ثم بعثنا من بعدهم بعد هؤلاء
الرسل وهم المبعوثون من بعد نوح موسى وهارون إلى فرعون وملئه بآياتنا الآيات
التسع وقد سبق تفصيلها في الأعراف فاستكبروا ترفعوا عن اتباعها وكانوا قوما
مجرمين دأبهم الإجرام ولذلك اتقوا وحملهم ذلك الإجرام على الاستكبار اعتراض على
سبيل التذييل كقوله وأنتم ظالمون بعد قوله اتخذتم العجل فلما جاءهم الحق من عندنا
معجزات لأنها من عند الله قالوا إن هذا لسحر مبين واضح لا يشتبه على أحد قال موسى
أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا تعيبونه وتطعنون في الحق لما جاءكم من قولهم قال زيد
في عمرو لو عابه بقبح قوله سمعنا فتى يذكرهم وعلى هذا قوله أسحر هذا ابتداء كلام من موسى
توبيخا لهم أو المفعول محذوف لدلالة السابق عليه والاستفهام كما مر وهذا حكاية كلامهم
كأنهم لما بتوا القول بأنه سحر بنوا على ذلك عدم فلاح من أتى به فالهمزة للتقرير فحكى موسى كلامهم

بحسب المعنى دون اللفظ رادا عليهم مثبتا كل الفلاح لصاحبه بقوله ولا يفلح الساحرون فلو كان
سحرا لاضمحل ولم يبطل بسحر السحرة قالوا أجئتنا لتلفتنا لتصرفنا اللفت والفتل من واد
واحد ومنه الالتفات عما وجدنا عليه آباءنا من عبادة فرعون والهة وتكون لكما الكبرياء
في الارض العظمة والملك كما هو شان الملوك وما نحن لكما بمؤمنين اى نقول ذلك وما نحن
بمصدقين لما جئتما به وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم كامل العلم في سحره وقرأ حمزة و
الكسائي سحار وهي ابلغ لدلالته على انه لم يطلب الا الحذاق منهم يؤيده الوصف بالعلم فلما
جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون جواب لقولهم اما ان تلقي واما ان نكون نحن
الملقين كما تقدم في الاعراف ولا يلزم الرضى بالسحر لان الغرض ابطاله فلما القوا قال موسى
ما جئتم به السحر اى الذى جئتم به هو السحر لا الحق الذى كنتم تزعمون انه سحر وقرأ ابو عمرو بهمزة
القطع على ان ما استفهامية مبتداء وجئتم به خبره والسحر خبر مبتدأ محذوف اى اى شيء
جئتم به هو السحر او السحر بدل منه والمعنى على الانكار والتقرير وقراءة الجمهور ابلغ لئلا يتوهموا
ان الاستفهام على اصله فيعتقدوا انه لم يعلم انه سحر ان الله سيبطله سيظهر بطلانه باظهار
المعجزة ان الله لا يصلح عمل المفسدين كل مفسد والسحر من الافساد ولاغواء الناس بل من اكبر
الكبائر ويحق الله الحق بكلماته يثبته ويعلي شانه باياته الدالة على حقيته ولو كره المجرمون
اذ لا تأثير في الكائنات الا لقدرته وقد طوى بقية قصة السحرة لانه حكاها في طه وفي
الشعراء وذكرها آخر شان فرعون فما آمن لموسى الا ذرية من قومه اى لم يؤمن من بني اسرائيل
بعد غلبة موسى الا شبان من قومه وقيل الضمير في قومه عائد الى فرعون وقد آمن من قومه مؤمن
آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وامرأته الماشطة وهذا القول ليس بسديد لان السحرة من
قوم فرعون وقد آمنوا اجمعون من غير لبث وكانوا الوفا على خوف من فرعون وملائهم
اى آمنوا به حال كونهم مشتملين على الخوف استعار على للدلالة على فرط خوفهم والملاء ملاؤ
بني اسرائيل فانهم كانوا يمنعون اعقابهم واتباعهم عن الايمان يدل عليه قوله ان يفتنهم يعذبهم
وقيل الملاء من قوم فرعون وانما جمع الضمير لاعتبار التعدد في نفس فرعون لتعاظمه كقول الملوك
امرنا وفعلنا او باعتبار من يوامره من وزرائه والضمير للقوم وان فرعون لعال في الارض
بالقهر والغلبة وكثرة الجند والاسباب وانه لمن المسرفين لم يرض باقصى مراتب البشر حتى ادعى
الالوهية وفيه ايماء الى ان خوفهم منه لم يقدح في كمال ايمانهم نظيره فاوجس في نفسه خيفة
موسى وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا فان الايمان بالله يوجب التوكل ان
من شرايطه الايمان بالقدر وان من شاء كان وما لم يشاء لم يكن ان كنتم مسلمين مخلصين
في ايمانكم علق وجوب التوكل بالايمان وحصوله ثانيا بالاسلام اى الاخلاص كقولك ان
سألك فقير فلا ترده ان وجدت مالا فقالوا على الله توكلنا فعلوا ما امرهم من غير توقف
ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين موضع فتنة لهم بان يعذبونا ويصرفونا عن ديننا او
يفتنون بسببنا ويقولون لو كان هؤلاء على الحق لما اجيبوا فيزدادون بذلك طغيانا ونجنا

ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم وسوء مجالستهم فان الاخلاق السيئة تسري الى الطبع
ولذلك مثل صلى الله عليه وسلم جليس السوء بالحداد اما يحرق ثيابك بناره او تجد ريحه الخبيث
الحديد واوحينا الى موسى واخيه ان تبوّءا لقومكما بمصر بيوتا تفعل بمعنى فعل يقال بوأت
منزلا اى نزلته وبوأته الرجل اى هيأته له والمباءة المنزل امروا بسكنى مصر الى وقت ارادة
واجعلوا بيوتكم قبلة مساجد متوجهة نحو القبلة قيل هي الكعبة وقيل بيت المقدس و
اقيموا الصلوة في بيوتكم خوفا من الكفار كما كان يفعله المؤمنون في ابتداء الاسلام وبشر
المؤمنين بالنجاة في الدنيا والآخرة افرد الخطاب لموسى لانه صاحب الشريعة وهرون كان
ردء له وانما ثنى اولا لان امر المنزل متعارف للرأي فيه مدخل وجمع ثانيا لان اقامة الصلوة
واجبة على كل مكلف وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة ما يتزين به من
الملابس والمراكب والغلمان والفرش واموالا في الحيوة الدنيا انواعا من المال ربنا ليضلوا
عن سبيلك علة لآتيتنا اى انك فعلت ذلك معهم استدراجا او اللام للعاقبة فقوله ربنا
تكرير للتاكيد وقيل دعا بلفظ الامر وذلك لما علم ان ايمانهم كالمحال بما لا يكون الا ذلك فهو
تصريح بمقتضى ما جرى به قضاء الله كقول نوح لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وكما
تقول لعن الله ابليس وليس من الرضاء بالكفر في شيء اولم يرد به الدعاء وسؤال الانجاز
بل هو كناية عن فرط عتوهم وابداء عذره وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويضلوا بفتح الياء
ربنا اطمس على اموالهم امحها وازلها واشدد على قلوبهم اجعلها قاسية مختوما عليها
حتى لا يكون للايمان اليها سبيل فلا يؤمنوا عطف على ليضلوا اى ليضلوا عن سبيلك فلا
يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم وما بينهما اعتراض او جواب للامر والمعنى اطبع على قلوبهم
واجعلها قاسية حتى لا يؤمنوا فانهم لا يستحقونه قال قد اجيبت دعوتكما كانه دعا كل
منهما وقيل كان موسى يدعوا وهرون يؤمن على دعائه فاستقيما على الدعوة الى الله ولا تعجلا
فان نوحا صبر على اذى قومه الف سنة يدعوهم الى الله قال بعض العارفين شرط الدعاء
صدق الافتقار في الابتداء وحسن الانتظار وسقوط التقاضي والاستعجال والثقة بالله
مع جميل الظن قيل مكث موسى بعد ذلك اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون
الذين يستعجلون وفي الحديث يقبل دعاء العبد ما لم يقل دعوت فلم يستجب لي وقرأ ابن عامر
في رواية ابن ذكوان بتخفيف النون على انه خبر والمعنى ولستما تتبعان او الواو للحال او هو
على مذهب يونس والفراء في ادخال المؤكدة الساكنة بعد الالف وانما حركت لالتقاء
الساكنين وعنه وجه آخر بالنون المشددة من الثلاثي والمختار قراءة الجمهور للاجماع على
ولئن اتبعت ولا تتبع وجاوزنا ببني اسرائيل البحر الى البر جاوزت المكان وجاوزته اذا
خلفته فاتبعهم فرعون وجنوده ادركهم يقال تبعت القوم اذا سبقت خلفهم واتبعتهم اذا
سبقوك فادركتهم بغيا وعدوا باغين وعادين او للبغي والعدو حتى اذا ادركه الغرق لحقه
قاربه وبدت اسبابه وعلاماته وقيل بفتح الراء عمره الماء وقيل الحلول وبالسكون هو الهلاك

فيه قال آمنت انه بانه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين وقرأ حمزة و
الكسائي انه بالكسر على الاستيناف او البدل من آمنت او لتضمنه معنى القول آلآن وقد
عصيت قبل اي أتؤمن الآن وقد عصيت قبل مدة عمرك وكنت من المفسدين حيث لم ترض
بعصيانك بل كنت تصرف الخلق عن عبادة الله لقوله وصد عن السبيل او بذبح ابناء بني
اسرائيل اجتهد في خلاص نفسه عبر عن التصديق بعبارات الثاني ابلغ من الاول والثالث
ابلغ من الثاني ولكن لم يصادق الوقت وهذا كمن آمن بعد طلوع الشمس من مغربها فلما رأوا
بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا
سنة الله اتاه جبرائيل يوما برقعة فيها ما قول الامير في عبد لرجل نشأ في ماله ونعمته
ثم لم يطلب من ذلك منه شيئا سوى انه يقر بانه عبده فابى وادعى السيادة دونه فكتب
على الرقعة يغرق في البحر كتبه ابو العباس الوليد بن مصعب فلما ادركه الغرق ناوله
جبرائيل فعرفه وروى الامام احمد والترمذي عن ابن عباس انه لما قال آمنت اخذ جبرائيل
من حمأة البحر فدسه في فيه وذلك لعلمه بانه لا ينفعه ذلك كمن رأى شخصا يصلي بلا وضوء
فقطع عليه صلوته فاليوم ننجيك ببدنك ننقلك على نجوة من الارض خاليا من الروح
ليراك بنو اسرائيل على تلك الهيئة زيادة في سرورهم ولئلا يظن الجهلة انك نجوت
من الغرق لكونك الها وقرئ بالحاء اي نلقيك الى ناحية وقيل ببدنك عريانا من غير
لباس او كاملا سويا او بدرعك فانه كان لابسا درعا من الذهب لتكون لمن خلفك آية
لمن يأتي بعدك الى يوم القيمة اذا سمع ما كنت فيه من الدعوى وما آل اليه امرك ولمثل
هذا حكى الله في كتابه احوال الامم الهالكة قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة
المكذبين اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وان كثيرا
من الناس عن آياتنا لغافلون حيث يسمعون مثل هذه الوقايع ولا يتفكرون في عظمة الله
وكبريائه ولا يقلعون عن مخالفة اوامره ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق منزلا مرضيا
وهو الشام لكونه موطن الانبياء او لكونه المحشر يوم القيمة وقيل هو مصر فانهم سكنوا بعد غرق فرعون
ووجه كونه منزل صدق انهم هنالك وعدوا بالنجاة وبها غرق فرعون بموضع يسمى سويس
على ثلث مراحل منها ورزقناهم من الطيبات من اللذائذ فما اختلفوا حتى جاءهم العلم
اي ما تشعبوا وتحزبوا في امر دينهم الا بعد علمهم بما في التورية وهذا غاية ذم لهم حيث
جعلوا ما كان سببا للاتفاق وسيلة الاختلاف فان قلت قد ورد في الحديث انه قال
صلى الله عليه وسلم اختلاف امتي رحمة وقد اختلفت الائمة في الآيات والاحاديث من الصحابة
ومن بعدهم قلت اختلاف الامة في الفروع وما للاجتهاد فيه مدخل لا في الاصول والعقائد
ستفترق امتي ثلثا وسبعين فرقة كلهم في النار الا التي تكون على ما انا عليه واصحابي
وقيل هو اختلافهم في امر محمد بعد علمهم بنبوته ودلايل معجزاته ان ربك يقضي بينهم يوم
القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز بين المحق والمبطل ويجازي كلا على وفق عقيدته وما

يقتضيه عمله فان كنت في شك مما انزلنا اليك كلام على سبيل الفرض مثل قوله لئن
اشركت وللالهاب وتهيجه على التثبت ودفع الوساوس التي ربما تعرض له من تكذيب الكفرة
وفيه اشارة الى ان اهل الكتاب لهم رسوخ في العلم بصحة ما انزل الله اليه حتى ان يقع
لمثله ان يسالهم اذا اعتراه شبهة على الفرض ثم اغناه عن السؤال بقوله لقد جاءك
الحق من ربك شهادة بحقيته يعني عن شهادة مبرح دل على ان ذلك انما كان امرا على سبيل
الفرض وقد روي لما قراه عليه جبرائيل قال لا اشك ولا اسال فلا تكونن من الممترين
الشاكين او الخطاب له والمراد امته او لكل من سمع ويؤيده قوله ولا تكونن من الذين
كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين اذ هو منزه عن التكذيب ويحتمل ان يكون من
قبيل الالهاب والتهيج او لقطع الاطماع كقوله ولا تكونن ظهيرا للكافرين ان الذين
حقت عليهم كلمت ربك احكامه الازلية او علمه وارادته وقدرته تعلقت بكفرهم والموت
عليه لا يؤمنون لاستحالة وقوع خلاف معلومه ومراده وتبدل حكمه الازلي وقرأ نافع
وابن عامر بجمع الكلمات والرسم على التوحيد والجمع اظهر لدلالته على الافراد صريحا
ولو جاءتهم كل آية لوجود الحتم وسبق المشية حتى يروا العذاب الاليم ولا نفع للايمان حينئذ
فلولا كانت قرية آمنت قوم على ترك الايمان في وقته والاشتغال به في وقت لا غناء له
كما فعله فرعون فنفعها ايمانها لوقوعه في وقته الا قوم يونس لكن قوم يونس استثناء منقطع
من القرى لان المراد اهلها لما آمنوا قبل مشاهدة العذاب وحصول البأس كشفنا عنهم عذاب
الخزي في الحيوة الدنيا ولم يصبهم مثل ما اصاب سائر الامم ومتعناهم الى حين الى حين آجالهم
ويجوز ان يكون الاستثناء متصلا لاشتماله على معنى النفي او لجعله له عن ابن عباس رضي الله عنه
ان لولا في موضعين من القرآن بمعنى النفي فلولا كانت قرية آمنت وفلولا كان من القرون
من قبلكم كانه قيل ما آمنت قرية من القرى العاصية الا قوم يونس بن متى بعث الى اهل
نينوى من ارض الموصل فدعاهم الى الله فكذبوه فوعدهم نزول العذاب بعد اربعين يوما
وخرج من بينهم فلما مضى خمس وثلثون ليلة غامت السموات غيما اسود هائلا ثم هبط
على مدينتهم فغشيتها فلما رأوا ذلك لبسوا المسوح وبرزوا الى الصحراء بدوابهم ومواشيهم
ونسائهم وصبيانهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها الى بعض فارتفعت
الاصوات وعلا التضجج والعجيج واخلصوا الايمان والتوبة فكشف الله عنهم وكان يوم
عاشوراء يوم الجمعة ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا اشار الى ان قوم يونس
آمنوا لان مشيته الازلية تعلقت بايمانهم ولو شاء ايمان الخلق باسرهم لآمنوا كلهم
ثم انكر على رسوله تهالكه على ايمان قوم لم يرد الله ذلك منهم بقوله افانت تكره الناس
حتى يكونوا مؤمنين وانما رتب الكلام بالفاء وادخل عليها همزة الانكار مع تقديم الضمير
دلالة على ان المنكر كونه مكرها لا ان الله قادر على اكراههم وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن
الله وما صح ولا امكن الا بارادة الله ومشيته وانما ذكره لان انتفاء مشيته ايمان

كل من في الارض لا يدل على ان من آمن منهم لا يؤمن الا بمشيئته ويجعل الرجس العذاب او اسبابه
من المعاصي والآثام قرأ ابو بكر بجعل بالنون على الذين لا يعقلون ناظر الى قوله ان الذين
حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ومعنى لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الكائنات
ليؤديهم الى العلم بوحدة موجدها ولذلك قال قل انظروا ماذا في السموات والارض من عجائب
الصنع وبدائع الآيات والعبر وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون اي الانذارات
او الرسل المنذرون لسبق القضاء بعدم ايمانهم فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا
من قبلهم تفريع على ما تقدم فلا بقاء لهم الا لامر ارادة الله ووقت ضربه لنزول العذاب
بهم مثل ما نزل باولئك الامم والايام الوقائع يقال ايام العرب لوقائعها قل فانتظروا
اني معكم من المنتظرين لذلك او فانتظروا هلاكي فاني منتظر هلاككم ثم ننجي رسلنا و
الذين آمنوا عطف على مقدر كانه قيل اهلكنا الامم ثم نجينا الرسل وانما اتى به على حكاية
الحال الماضية استحضار الصورة الواقعة كذلك حقا علينا ننج المؤمنين مثل ذلك الانجاء و
حقا مصدر بفعله المقدر اعتراض اي حق ذلك علينا حقا وقرأ حفص والكسائي ننجي باسكان
النون وتخفيف الجيم والتشديد ابلغ قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني خطاب لاهل مكة
فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم اي ان حصل لكم ريب
في صحة ديني فلا مجال للشك فيه لاني اعبد ربا موصوفا بهذه الصفات التي كلها صفات
الالوهية فاعرضوا هذا على عقولكم ليعلموا انه الدين وامرت ان اكون من المؤمنين
اي امرني الله بان اكون من جملة المؤمنين بما انزل الي من الوحي وما دل العقل على صحته و
وافق قانون الشرع وحذف الجار من ان كما هو المطرد وفي ان او هو من الحذف بعد فعل الامر
خاصة كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به وان اقم وجهك للدين عطف على ان اكون
غير ان صلة ان هنا انشاء والانشاء والخبر في ذلك سيان والمعنى امرت بالايمان والاستقامة
والاخلاص فيه او الاول اشارة الى الاصول والعقائد وهذا الى الفروع كاداء الفرائض
واستقبال القبلة والوجه اريد به الذات حنيفا حال من الدين او الوجه ومن الوجه
اوجه لقوله ملة ابراهيم حنيفا ولقوله وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا
ولا تكونن من المشركين تذييل له ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك اذ لا
مؤثر سواه فان فعلت فان دعوت ما لا ينفعك ولا يضرك كنى عنه بالفعل ايجازا فانك
اذا من الظالمين اذا حرف مكافات وجواب عن سؤال محقق او مقدر يقول الرجل ازورك
الليلة فتقول اذا اكرمك وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك
بخير فلا راد لفضله رجح جانب الترغيب اذ المقصود الاعتصام به وحده ولا شك ان النفوس
الزكية باللطف اشد فآثر في الضر لفظ المس الدال على القلة والوصول الى الظاهر فقط
ولم يصرح بالارادة وان لم يكن الا معها حتى كانه واقع بالعرض واشار بالاستثناء
الى انه لا بقاء له ان لجأ اليه المصاب وفي الخير الارادة المطلقة الشاملة للظاهر والباطن

للظاهر والباطن وجعل الخير مرادا والخير تابعا وصرح بانه لا راد لذلك المراد لا هو ولا غيره
لان مراده واقع قطعا وسماه فضلا وما كان فضلا منه يشعر بالرأفة والعناية وهذه
نكتة تعتبر في الكلام البليغ باعتبار المقام ولا يجب اعتبارها في كل مقام ولذلك ذكر المس
في الموضعين في الانعام بقوله وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك
بخير فهو على كل شيء قدير والاية ابلغ من قوله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره لاختصاصه
بالاصنام وعموم الاية يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم فليتوجه الراجون
جناب قدسه وليستعدوا بذلك لنيل عميم لطفه قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم القرآن
وسائر الاحكام وما آتاكم الرسول فخذوه فمن اهتدى منكم فانما يهتدي لنفسه لا يتجاوز نفعه
الى غيره ومن ضل فانما يضل عليها لا يتجاوزها وباله وما انا عليكم بوكيل بحفيظ يحفظ عليكم
اعمالكم واتبع ما يوحى اليك بتبع اثره ولا تدع منه شيئا لا تبلغه كانوا يقولون له اترك
ذم آلهتنا ونؤمن بك واصبر على اذاهم حتى يحكم الله لك بالنصر والغلبة اي يظهر حكمه
وهو خير الحاكمين لعدم احتمال الخطاء روى البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال للانصار في آخر موعظة وعظها انكم سترون اثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض
قال انس فلم نصبر نحن روي ان معاوية لما قدم المدينة حاجا تلقته الانصار وتخلف
ابو طلحة فلما دخل عليه قال له معاوية لم لم تتلقنا قال لم يكن عندنا دواب قال بل النواضح
يعرض به انه من الاكرة قال ابو طلحة قطعناها في طلبك وطلب ابيك سورة هود مكية
وهي مائة وثلث وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم الر تقدم الكلام في وجوه اعرابه
كتاب خبر الر او خبر مبتدا محذوف احكمت آياته نظمت نظما محكما بان رصفت كالبنيان
المرصف لا يتطرق اليه خلل او منقول من حكم بالضم اذا صار حكيما قال نمر بن تولب وابغض بغيضك
بغضا رويدا اذا حاولت ان تحكما او منعت من الفساد مأخوذ من حكمة الدابة ومنه قول جرير ابني
حنيفة احكموا سفهاءكم اني اخاف عليكم ان اغضبا وقيل المراد آيات السورة والاحكام عدم
تطرق النسخ اليها اذ ليس في السورة آية منسوخة او احكمت بالدلائل والحجج القطعية ثم
فصلت كما تفصل القلائد بالفرائد كانه شبه الفاظه العذبة ومعانيه الشريفة من التوحيد
والصفات والنبوة والدلائل الدالة عليها وما فيه من الحكم والعبر والقصص بالدراري
ثم اراد كلا في موضعه اللائق به تفصيلا فعلى هذا التراخي رتبي ويجوز ان يراد بالتفصيل
جعله مفصلا سورة سورة وآية آية او تفريقه في التنزيل منجما فثم على اصله لان الاحكام
بالنظر الى ذات السورة والاية ونفسها والتفصيل بالنظر الى ملاحظة الصواحب من لدن
حكيم خبير صفة اخرى لكتاب او خبر آخر او صلة لاحكمت او فصلت نشرا لما تقدم نحو وهو اللطيف
الخبير بعد لا تدركه الابصار ان لا تعبدوا الا الله مفعول له او ان مفسرة لان في التفصيل
معنى القول وكلام مبتدا ومنه صلى الله عليه وسلم على سبيل الاغراء كانه قال ترك العبادة الا لله
اي الزموا كقوله فضرب الرقاب يؤيده قوله انني لكم منه اي من الله نذير وبشير بالعقاب

على الكفر والثواب على الايمان والتوحيد وان استغفروا ربكم عطف على ان لا تعبدوا ثم توبوا اليه
اي استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة او استقيموا على التوبة واخلصوها فالتراخي رتبي
لان الاستقامة والاخلاص اعلى شانا ناسبها يمتعكم متاعا حسنا يعيشكم عيشة راضية وتعطيكم
نعما واسعة متتابعة الى اجل مسمى الى اخر العمر ويؤت كل ذي فضل فضله اي كل ذي فضل في عمل
جزاء فضله لان الدرجات على قدر الطاعات او فضله الذي هو الثواب وحاصله الوعد بالخير
في الدارين كقوله فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وان تولوا فاني
اخاف عليكم عذاب يوم كبير يوم القيمة وصف بالكبر لطوله كما وصف بالعظم لعظم امره
الى الله مرجعكم رجوعكم وعيد ولذلك اردفه بقوله وهو على كل شيء قدير فهو قادر على ان يعذبكم
اشد العذاب الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه روى البخاري عن ابن عباس انه سئل عن معنى
الاية فقال كان اناس يستحيون ان يتخلوا فيفضوا الى السماء وان يجامعوا فيفضوا الى السماء فنزلت
فيهم وقيل نزلت في اخنس بن شريق وكان حلو المنطق يظهر لرسول الله المحبة ويحبه بمجالسته
ومحادثته ويضمر بغضه وقيل نزلت في المنافقين وهذا انما يستقيم على الاخبار بما هو كائن
في علم الله محقق الوقوع لان السورة مكية والنفاق انما نجم بالمدينة والمعنى يزورون عن الحق و
ينحرفون عن سماع الوحي والايات يريدون بذلك الاستخفاء من الله الا حين يستغشون
ثيابهم كراهة الاستماع يريدون الاستخفاء من الله وما جعلوه وسيلته دال على خلاف مرادهم
لان الاعراض عن الحق والاستغشاء دليلان ظاهران على النفاق الثاني منهما ادل ينعى عليهم
بالجهل المفرط لانه لا يخفى على احد من الناس يريدون اخفاء على من لا يخفى عليه خافية ولذلك
كرر حرف التنبيه يعلم ما يسرون وما يعلنون من القول انه عليم بذات الصدور بضماير القلوب
التي ليست من جنس القول فكيف به وما من دابة في الارض الا على الله رزقها اي ما من شيء يدب
على الارض الا على الله رزقه وما يكون سببا لبقائه وانما اتى بعلى الدال على اللزوم لكونه متكفلا
به تفضلا وحثا على التوكل وفي الحديث لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا
وتروح بطانا ويعلم مستقرها ومستودعها اماكن استقرارها من الارض والاماكن التي كانت
مستودعة فيها قبل الاستقرار من اصلاب وارحام كل في كتاب مبين كل ذلك ثابت في اللوح
المحفوظ وفيه مبالغة من وجوه طريقة الحصر وكلمة على الدالة على الدوام واثباته في اللوح
ثم وصفه اللوح بالابانة والظهور كمن يقر بشيء لاحد ثم يكتب على نفسه لذلك صكا وقد
دلت الاية على كونه تعالى عالما بالمعلومات كلها فهو عالم باحوال المنافقين قادر على مجازاتهم
وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام دليل على كونه قادرا على كل شيء كما ان الاولى
دلت على علمه بالاشياء كلها وكان عرشه على الماء اي لم يكن حايل بينهما قبل خلق السموات والارض
لانه كان فوقه ثم رفع بل العرش الان كما كان وفيه دليل على الحادث وفي الاخبار ان الماء كان على
متن الريح ليبلوكم ايكم احسن عملا متعلق بخلق والمعنى ليعاملكم معاملة المختبر فانه جعل الارض
فراشا والسماء بناء ورتب الاسباب ليتولد منها ما يحتاجون اليه من امور المعاش وارسل الرسل

وارسل الرسل وشرع الشرايع ليثيب الطايع ويعاقب العاصي ولما كان البلوى طريق العلم علق
عن الاستفهام كما تعلق فعل القلب وهذا كما تقول وانظر ايهم احسن وجها واسمع ايهم اطيب صوتا
لكونهما طريق العلم وانما ذكر اسم التفضيل والخطاب عام حثا على تحري الاحسن من الاعمال فانه غاية
الكمال كانه قيل ليظهر افضليتكم لا فضلكم والعمل يشمل العلم لانه عمل القلب ولئن قلت انكم
مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين سيق لبيان جهل الكفار
يجعلون القول بالاعادة مشبها بالسحر في بطلانه اذ لا باطل اجلى منه وقيل الضمير للقرآن فانه
اذا كان باطلا فقد انطوى تحته بطلان القول بالبعث وقرا حمزة والكسائي الا ساحر شان
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراءة الجمهور ابلغ واوفق للمقام قال ابو عمرو ما تبعه مبين
فهو سحر وما تبعه عليم فهو ساحر ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة الى حين قريب
ولذلك وصفه بالعد والتانيث باعتبار اللفظ والعذاب عذاب الاخرة وقيل عذاب يوم
بدر ليقولن ما يحبسه يستعجلونه به تكذيبا واستهزاء الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم مدفوعا
عنهم ويوم منصوب بخبر ليس واستدل به على جواز تقديم خبره لانه اذا جاز تقديم معموله عليه
فهو اولى بالجواز وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون احاط بهم ذكر الماضي لكونه واقعا
لا محالة ولئن اذقنا الانسان منا رحمة نعمة وسعة عيش ثم نزعناها منه سلبناها
انه ليؤس كفور كثير الياس مما طلع رجاؤه عن عود مثلها كفور كثير الكفران لم يتذكر النعمة
الوافرة الواصلة اليه في المدة المتطاولة ولا ينتظر الا تلك الحالة التي هو فيها ولئن
اذقناه نعماء بعد ضراء مسته صحة بعد سقم ليقولن ذهب السيئات عني زالت
المصايب ونسي ما كان فيه من البلاء وكانه انسد طريقه اليه ونجا نجاة الابد انه
لفرح بطر فخور كثير الفخر بما فيه من الغنى والصحة وقد شغله عن القيام بالشكر وفي
اذاقة النعمة ولفظ المس تنبيه على ان ما يجده الانسان في الدنيا من النعم والمحن كالانموذج
زهيد بالنسبة الى ما يجده في الاخرة وفيه انه يقع في الكفران والبطر بادنى شيء ودل
عليه لفظ الاذاقة والمس وفي اسناد الاذاقة اليه تعالى دون المس اشارة
الى ان رحمته سابقة غضبه الا الذين صبروا على ما اصابهم ولم يظهروا الجزع استسلاما
لقضاء الله وعملوا الصالحات وصرفوا الجنان والاركان واللسان الى ما امر الله به
من الطاعات شكرا لنعم الله السابقة استثناء متصل لكون اللام في الانسان للاستغراق
كقوله ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وقيل منقطع لان السابق في الذكر هم الكفار
اولئك الموصوفون لهم مغفرة لما فرط منهم واجر كبير بحسب تلك الاعمال الصالحة
فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك كانوا يقترحون عليه اشياء تعنتا تارة يقولون
ان كنت نبيا اجعل لنا جبال مكة ذهبا واخرى لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا
وكان يحصل من ذلك مشقة شديدة فنزل منزلة من يتوانى في اداء ما امر به ويتوقع منه
تركه تحرجا له وتحريكا من عطفه وهذا وامثاله وان كان في الظاهر تاديبا له ففيه

اشارة الى انه حريص على ايمانهم حتى لو امكنه تنزل ما امر الله به في تحصيله لفعل ولذلك اردفه
بقوله انما انت نذير وضائق به صدرك بان تتلوه عليهم وتبلغه ان يقولوا لولا انزل عليه
كنز او جاء معه ملك يستعين بالمال على الاستتباع باتفاقه وبالملك على صدقه فيما يدعيه
مخافة هذا القول وانما آثر ضائق على ضيق لانه كان افسح صدرا انما يعتريه ذلك احيانا
انما انت نذير ما عليك الا الانذار تسلية له وان الله تعالى كان يعتريه والله على كل شيء
وكيل حافظ ورقيب مجاز كلا منك ومنهم بحسب عمله ام يقولون افتريه ام منقطعة
والضمير لما يوحى اليك قل فأتوا بعشر سور مثله في حسن النظم والبلاغة مفتريات
على زعمكم انه مفترى مختلق من عندي لانكم مارستم العربيض والاشعار والخطب
فانتم اولى بالاتيان بمثله تحداهم اولا بعشر سور ثم اقتصر على اقصر سورة وهذا
دأب المناظر الواثق بحاله لان ذلك اقوى في الزامه كما تقول الشاعر لمن يقدح في شعره
عليك بعشرة ابيات مثلها لا بل رضيت منك ببيت واحد الآية سابقة نزولا
على ما في البقرة ويونس وادعوا من استطعتم من دون الله الى المعاونة والاستظهار
ان كنتم صادقين انه مفترى فان لم يستجيبوا لكم الخطاب لرسول الله فانه الداعي
الى التحدي والجمع للتعظيم يؤيده قوله فان لم يستجيبوا لك في سورة القصص او له و
للمؤمنين لان الكفار بالايمان يدخلون في زمرتهم وقيل الخطاب للكفار والمراد
استجابة من دعوه الى الاعانة اي ان لم يقدروا على ذلك فاعلموا انما انزل بعلم الله ملتبسا
بعلمه خاصة لا سبيل لاحد اليه فانه نظم معجز وان لا اله الا هو واعلموا عند ذلك انه متفرد
بالالوهية وعلى الاول المراد الثبات وازدياد اليقين بانه منزل من عند الله والدلالة
على التوحيد فهل انتم مسلمون ثابتون مخلصون والاستفهام بمعنى الطلب يدل على وجوب
ايقاع المطلوب لقيام الموجب وزوال العذر او داخلون في الاسلام اي لم يبق لكم
عذر فاسلموا من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها اشارة الى ان الذين يصرون على
التكذيب بعد ظهور عجزهم انما يحملهم على ذلك حب الدنيا وزينتها ثم بين حال
من يكون كذلك وعلى تلك الصفة بقوله نوف اليهم اعمالهم جزاء اعمالهم فيها في
الدنيا وافيا كاملا وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون حال من الجزاء او لدفع وهم التسامح
في التوفية اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار لانهم استوفوا ما كانوا يستوجبونه
في الدنيا فلم يبق لهم ما يكون وسيلة الى شيء من الثواب وحبط ما صنعوا من افعال
البر فيها في الآخرة لانهم لم يريدوا بها وجه الله او لم يكن على اساس وهو الايمان و
باطل ما كانوا يعملون علة لحبوطها اي عما حبطت ولم يترتب عليها ثواب لانها كانت
باطلة في نفسها وهكذا شان الباطل سواء صدر من مؤمن او غيره افمن كان على بينة
من ربه برهان من جهة ربه دال على حقية ما يأتيه وهو دن الاستفهام للانكار
والمراد نفي التقارب بين من هذا شانه وبين من يريد الحيوة الدنيا وزينتها وقصر همته

على تحصيلها ولم يلتفت الى اللذات الآخرة ولم يعمل عملا لوجه الله والتقدير افمن كان
يريد الحيوة فمن كان على بينة من ربه والخبر محذوف لدلالة الفاء عليه ومن موصوله
عطف على مثلها والمعنى لا تقارب بينهم فضلا عن التماثل وهذا ابلغ من قوله افمن كان
مؤمنا كمن كان فاسقا لان المنكر فيه التماثل وهذا حكم يعم كل مؤمن وقيل المراد رسول الله
وقيل مؤمنو اهل الكتاب ويتلوه يتبع ذلك البرهان ذكره باعتبار المعنى شاهد منه
اي من الله او من القرآن لتقدم ذكره وعلى هذا من بيانية او تبعيضية وقيل البينة القرآن
ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل او لسان رسول الله ومن قبله من قبل هذا الشاهد
الذي هو القرآن كتاب موسى فانه يتبع ذلك البرهان ايضا في التصديق او جبرائيل او لسان
رسول الله اماما مؤتما به في الدين ورحمة وصله الى الفوز بالسعادة مدح لكتاب
موسى وتزكية له لانه شاهد ولم يترك القرآن لانه معجز لا يحتاج الى ذلك اولئك
اي الموصوفون يؤمنون اي بالقرآن يؤيد الوجه الاول ومن يكفر به من الاحزاب
من اهل مكة ومن انضم اليهم تحزبا على رسول الله فالنار موعده فلا تك في مرية منه
من الموعد فانه لا محالة كائن والمرية الشك انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس
لا يؤمنون لقلة نظرهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان نسب اليه ما لم ينزل
او سلب عنه ما انزله تقرير وتوكيد لان ما اتى به كلام الله بعد ان اثبته اولا بالاعجاز
وبشهادة التورية الذي لم تخالف فيه احد ممن يعتد به اولئك يعرضون على ربهم
اي اعمالهم في الموقف ويقول الاشهاد الملئكة او اعضاؤهم جمع شاهد او شهيد
هؤلاء الذين كذبوا على ربهم روى البخاري عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال يدنى المؤمن من ربه يوم القيمة فيضع عليه كنفه ويقول اهل تعرف ذنب
كذا اهل تعرف ذنب كذا فيقول نعم اي رب وهو لا يذكر فيها شيئا فيقول له سترتها
عليك في الدنيا واغفرها لك اليوم ثم تطوى صحيفة حسناته واما الكفار فينادى
على رؤس الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين مقول قول
الاشهاد اي يقال لهم في ذلك الموقف هذا الكلام اشارة الى انهم لا يرحمون ولا يرق
لهم احد لعظم جنايتهم الذين يصدون عن سبيل الله دينه الموصل اليه ويبغونها
عوجا يصفونها بالاعوجاج والانحراف او اهلها واصل البغي الطلب وهم بالآخرة
هم كافرون الضمير الثاني للتاكيد والاختصاص بالكفر بمنزلة ضمير الفصل وتقديم بالآخرة
لافادة الاختصاص كان كفر غيرهم ليس بكفر بجنب كفرهم اوعاد اولئك لم يكونوا
معجزين في الارض اي ما كانوا فائتين الله في الدنيا ان يعاقبهم وما كان لهم من
دون الله من اولياء يمنعونهم من العقاب ويضمهم من تمام كلام الاشهاد اذ تم اولئك الذي
يشار بهم الى البعيد ايعادا لهم بعد وصفهم بتلك الاوصاف القبيحة يضاعف لهم العذاب
بقرب من الله تقول الاشهاد كانه قيل الاركها فلم هم مستوجبون للعذاب المضاعف

المضاعف او من تتمة كلام الاشهاد كانهم لما اداوهم بتلك الاوصاف دعوا عليهم بمضاعفة العذاب وقرأ ابن كثير وابن عامر مشددا من التفعيل وعن ابي عمرو ان المفاعلة ابلغ لان العرب يقول ضعفت الدرهم اذا جعلته درهمين وضاعفته اذا جعلته اكثر ما كانوا يستطيعون السمع لتصامهم عن سماع الحق وما كانوا يبصرون بعين الاعتبار لتعاميهم علة لمضاعفة العذاب وقيل بيان لما نفاه من ولاية آلهتهم لانها لا تسمع ولا تبصر فكيف يقدر على النصرة أولئك الذين خسروا أنفسهم اوردوها مورد الهلاك بالافتراء على الله وضل عنهم ما كانوا يفترون وضاع عنهم ما كانوا يدعون من شفاعة الآلهة لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون حق وثبت ان لا اخسر منهم او كسب ما ارتكبوه كونهم الاخسرين اعمالا او لا بد او لا محالة انهم في الآخرة هم الأخسرون إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم اردف ذكر الكفار وما كانوا عليه وما آلهم في الآخرة من الخسران بذكر المتقين وما يؤول حالهم اليه من الخلود في الجنان كما هو سنة الله في نظم القرآن والاخبات هو الخشوع من الخبت وهو المطمئن من الارض يقال اخبت اذا دخل في الخبت كما يقال انجد اذا دخل في النجد وكانه ضمن معنى التوسل فعدي بالى أولئك أصحاب الجنة اي الموصوفون هم فيها خالدون دائمون مؤبدا مثل الفريقين المؤمن والكافر كالأعمى والأصم والبصير والسميع تشبيه مفرد بآخر كل فريق مشبه بشيئين كقول امرئ القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي او تشبيه حال الكفار الذين وصفوا بالتصام والتعامي عن آيات الله بحال من خلق اعمى واصم لا ينفعه اشارة ولا عبارة وحال الذين آمنوا وعملوا الصالحات وحرضوا الابصار والاسماع الى ما خلقت لها بحال من يبصر ويسمع فيستضيء بالانوار ويستلذ بلطائف الكلام وهذا هو الوجه لمناسبة ويدل عليه لفظ المثل فالواو متوسطة بين الصفات والقول بان الكفار بعضهم مشبه بالاول وبعضهم مشبه بالثاني وكذلك المؤمنون بعضهم مشبه بالبصير وبعضهم بالسميع مما لا يلتفت اليه هل يستويان مثلا اي لا يستويان وهذا انكر على من لم يجزم به بقوله أفلا تذكرون لانه معلوم بديهة لا يتوقف على فكر ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه بدء بقصته لانه اول نبي عذب قومه ولان قومه معروفون بالجهل المفرط والتعامي والتصام إني لكم نذير مبين باني لكم وهو على ارادة القول وهو ثاني مفعولي ارسلنا على الالتفات وقرأ نافع وابن عامر وحمزة وعاصم بالكسر اي ملتبسا بالانذار ابلغ واقل حدثا أن لا تعبدوا إلا الله بدل من اني لكم نذير إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم مؤلم كالتسميع بمعنى المسمع وصف اليوم والعذاب به من الاسناد المجازي لان المؤلم هو المعذب فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا كانوا يعتقدون ان البشر لا يصلح للرسالة كما كان المشركون يقولون لولا انزل علينا الملئكة وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا جمع ارذل افعل التفضيل مضافا كاكابر مجرميها وقيل جمع رذل وهو الرجل الدون الخسيس بادي الرأي قرأه

ابو عمرو بالهمزة البداء اي اتبعوك في ابتداء الرأي دون تامل وفكر فانك تصطام لا والباقون بالياء معتل اللام من البدو وهو الظهور والمعنى اتبعوك في ظاهر رأيهم دون باطنهم وعن الفراء انه يحتمل الهمز لكثرته وعلى الوجهين نصبه على الظرف اي في وقت حدوث اول رأيهم ولما كان نظرهم مقصورا على حطام الدنيا وهم عن الآخرة غافلون كان الزهاد والعارفون بالله في نظرهم اراذل لا عقول لهم وما نرى لكم علينا من فضل لاستوائنا في البشرية بل نظنكم كاذبين اضراب على الاول اشارة الى كونهم اولى منه بالنبوة ضموا اليه الاتباع وغلبوه لاصالته قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي رد تكذيبهم على احسن وجه بان المدعي اذا اقام برهانا على صدق دعواه خرج بذلك عن ربقة الكذب واضافهم الى نفسه بلفظ القوم اشارة الى انه ناصح لهم في ذلك لا نصبا له بهم رحما وآتاني رحمة من عنده هي النبوة فانه فضل من الله يؤتيه من يشاء ولخفاء عن البينة وان تقدمت في الوجود لان العلم بها يستلزم العلم بالنبوة وبه يفحم الخصم ولذلك وحد الضمير لها في قوله فعميت عليكم لان خفاءها يستلزم خفاء النبوة وقيل التقدير فعميت النبوة عليكم بعد البينة وقيل الضمير لكل واحدة وقرأ حمزة والكسائي وحفص بضم العين وتشديد الميم اي اخفيت وانما جعلت البينة عمياء على الاستعارة التمثيلية كما جعلت مبصرة والمعنى ان البينة دليل النبوة فاذا عميت فلم تهتد اليكم فكيف تهديكم اليها كما ان دليل الركب في المفازة اذا اعرض له عمى بقي القوم حابطين خباري أنلزمكموها انكرهكم على قبولها ونقسركم على الاهتداء بها وأنتم لها كارهون لا تختارونها ولا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ويا قوم لا أسألكم عليه مالا اجعلا لتتهموني بالذي ادعيه حتى تقع إن أجري إلا على الله الذي ارسلني اليكم وما أنا بطارد الذين آمنوا سؤال لما طردهم استنكافا من مرافقتهم حيث قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون كما قالت قريش لرسول الله شيت اتباعنا ابالك نطرد هؤلاء العبيد والصعاليك حولك وفيهم نزلت ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي إنهم ملاقو ربهم فلا بد وان تسال عما جرى عليهم من الطرد وهم اهل الاكرام لانهم الكمل الذين يلاقون ربهم ويفوزون بلقائه فكيف يطرد من هذا شانه ولكني أراكم قوما تجهلون تستمرون على الجهل لا تعقلون ولذلك سالتم طرد من هو جدير بالاكرام ويا قوم من ينصرني من الله يمنعني من انتقام الله إن طردتهم اجابة لسؤالكم واسعافا لطلبكم أفلا تذكرون انما تطلبونه لا يسوغ عقلا فتذكروا ولا أقول لكم عندي خزائن الله ارزاقه حتى تقولوا ما نرى لكم علينا من فضل وامثالهم من اتبعني من الفقراء لذلك ولا أعلم الغيب ولا ادعي علم الغيب حتى تكذبوني وتقولوا افترى على الله اطلع على باطن من اتبعني ولا أقول إني ملك حتى تقولوا انما انت بشر مثلنا او دعوى الملكية ولا أقول للذين تزدري أعينكم اي في شانهم لقوله لن يؤتيهم الله خيرا بالغيبة في ولا اقول لمن استرذلتموهم من المؤمنين انهم كذلك عند الله ليس لهم عنده مقدار ولا حظ ونصيب

الله اعلم بما في انفسهم من الايمان الذي هو مناط الشرف وموجب الكرامة اني اذا لمن الظالمين
لو فعلت شيئا من الامور المذكورة الازدراء افتعال من زريته اذا عبته واسناده الى العين
لان سببه رثة الحال والبذاذة وهي تدرك بالعين او لانهم احتقروهم في بادي الراي من غير تامل
واستعمال روية قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا اتيت بانواعه طول عمرك
فاتنا بما تعدنا به من العذاب ان كنت من الصادقين في دعوى مجيء العذاب ان لم يؤمن بك
قال انما ياتيكم به الله ان شاء اذ لا مؤثر سواه وما انتم بمعجزين بفائتين من العذاب ودفعا
ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم شرط تقدم عليه ما يدل على الجواب وهو بعينه في حكم
الجزاء لقوله ان كان الله يريد ان يغويكم واعتراض الشرط على الشرط اذا كان الشرط الثاني
لا ينفك عن الشرط الاول تفيد تاكيدا اللزوم كما في الاية وقول القائل ان دخلت الدار
فانت طالق ان كنت زوجتي فالشرط الاول ودليل جوابه المتقدم عليه دليل جواب الشرط
الثاني وفيه دليل على ان الاضلال بارادته تعالى وان خلاف مراده محال هو ربكم سيد كم
المتصرف فيكم واليه ترجعون فيجازيكم اشار الى المبداء والمعاد باوجز كلام مع تضمنه الوعيد
ام يقولون افتراه بل يقولون افتراه من عند نفسه وينسبه اليه تعالى قل ان افتريته
فعلي اجرامي اثم لا يبعد الى يقال الجرم واجرم واجترم بمعنى وانا بريء مما تجرمون
من افترائكم بنسبتكم اياي الى الافتراء وايراد اثر ما في النظم اشارة الى كونهم مجرمين في
ذلك القول وعن مقاتل ان هذا في شان محمد صلى الله عليه وسلم تكرير لقوله ام يقولون افتراه
وانما اورده في اثناء قصة نوح عليه السلام على وجه الاعتراض اشارة الى ان نسبته
الى الافتراء بعد اتيانه بقصة نوح على هذا الاسلوب المعجز مع طول الزمان وعدم مطالعة
الكتب والدراسة غاية العناد والمكابرة واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك بعد ما
بلغ الرسالة وبالغ في النصح واحتمال الاذى اقنطه من اجابة قومه الا من قد امن قد كنت
على من كان يتوقع منه الايمان وجدته وقد اصابت الجديد لانها على الرجاء المقابل للاقناط
المفاد بلن ولتقابل مدلوليهما استقبالا ومضيا وهذا في الايمان وذلك في عدمه
فلا تبتئس بما كانوا يفعلون فلا تحزن افتعال من بئس بالكسر بؤسا وباسا قال
احجه ما يقسم الله اقبل غير مبتئس منه واقعد كريما ناعم البال واصنع الفلك باعيننا
بحفظنا وكلاءتنا وانما جمع التي هي الة الحفظ مبالغة من الملاحظة وان عنايته معه
وافرة لقوته لجاسته والكلام على التمثيل لا التجريد كما توهم ووحينا اليك بذلك الصنع
او بصفته وفي الخبر انه لم يكن يعلم كيفيته فاوحى الله اليه ان اصنعه مثل جؤجؤ الطير
ولا تخاطبني في الذين ظلموا في شانهم بالشفاعة لاستدفاع العذاب عنهم انهم مغرقون
لا محالة لسبق بذلك القدر او لا تخاطبني في شانهم شاكيا من سوء صنيعهم كما كنت تخاطبني
رب اني دعوت قومي رب انهم عصوني رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وهذا
اوجه لان الوجه الاول فيه منافرة مع قوله لا تذر وقوله اني مغلوب فانتصر ويصنع

ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملاء من قومه سخروا منه يقولون صرت
نجارا بعد ما كنت نبيا وكان يصنعها في برية لا ماء بها كلما دلت على ان ذلك كان منهم
على التكرار والتوالي قال ان تسخروا منا على الاستمرار فانا نسخر منكم كما تسخرون
نسخر منكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الاخرة وقيل التسخر منهم مجاز عن
الاستجهال لان السخرية في مثل هذا المقام تعرض لسخط الله وعذابه ولا يجهل فوقه فسوف
تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه من منصوب بتعلمون اي سوف يظهر لكم من الذي ياتيه
عذاب يخزيه اتى به على وجه الابهام لئلا تواجهوا به مكروها كانوا يضربونه ويرمونه
بالاحجار حتى يغشى عليه فاذا افاق قال اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون روي انه عملها
في سنتين وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وارتفاعها ثلثون ذراعا
وكانت من خشب الساج لها ثلثة بطون فحمل في البطن الاول الوحوش والسباع والهوام
وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وهو ومن معه من الناس في اعلاها وحمل الزاد
وما يحتاج اليه وحمل جسد ادم وجعله فاصلة بين الرجال والنساء وعن الحسن ان طولها
كان الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع روي ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام
لو احييت لنا رجلا شهد سفينة نوح فانطلق بهم الى كثيب فاخذ من ذلك التراب
كفا وقال هل تدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب بن حام بن نوح فضرب
الكثيب بعصا وقال قم باذن الله فقام ينفض التراب من راسه فقال له عيسى كيف شبت
ولم يكن يشيب قبل ابراهيم قال شبت من هول القيامة لما قلت قم ظننت ان القيامة قد قامت
قال له حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الفا ومائتي ذراع وكانت ثلث طبقات
طبقة للانس وطبقة للدواب والوحوش وطبقة للطير ثم قال عد كما كنت باذن الله
فعاد ترابا ويحل عليه عذاب مقيم حلول الدين على المدين استعارة تبعية هو عذاب
الاخرة لعدم انفكاكه حتى اذا جاء امرنا غاية ليصنع وما بينهما حال من فاعله كانه قيل
يصنعها والحال انه كلما مر عليه ملاء من قومه سخروا منه وجواب كلما اما سخروا وقال استيناف
على تقدير سؤال او هو الجواب وسخروا اما بدل من مر او صفة لملاء وفار التنور نبع فار
القدر اذا جاشت والتنور هو المعروف فكان خرقا للعادة وقيل التنور وجه الارض وقيل
اشرف موضع فيها وكان ذلك بكوفة في موضع مسجدها وقيل بهند قلنا احمل فيها في
السفينة من كل زوجين اثنين باضافة كل على قراءة الجمهور فاثنين مفعول احمل والجار
والمجرور اما متعلق به او حال عن المفعول فذهب لكون ذي الحال نكرة وقرا حفص بالتنوين
اي من كل جنس احمل زوجين ذكرا وانثى واثنين صفة مؤكدة لان الزوج احد القرينين لا
مصطلح الحساب والمختار قراءة العموم لعدم الاحتياج الى التقدير واهلك عطف على زوجين
او على اثنين باعتبار القراءتين الا من سبق عليه القول ابنه وامراته لكونهما كافرين ومن
امن عطف على ما عطف عليه اهلك وما امن معه الا قليل قيل كانوا ثمانية نوح واهله

غير الهالكة وبنوه الثلثة سام وحام ويافث ونساؤهم وقيل كانوا عشرة خمسة رجال
وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة واولاد نوح الثلاثة ونساؤهم
ونوح واهله فالكل ثمانون والقرية التي نزلوا من السفينة فيها بذيل الجودي تسمى
ثمانين وقال نوح او الله اركبوا فيها ادخلوا فيها شبه الدخول بالركوب بجريان السفينة
بسم الله حال من الواو في اركبوا اي اركبوا مستمين الله او قائلين بسم الله مجريها و
مرسيها اجراؤها وارساؤها رفع على الابتداء او على فاعلية الظرف او نصب بتقدير الوقت
كقولهم اتيك خفوق النجم ويجوز ان يكون كلاما منقطعا عن الاول كانه لما امرهم بالركوب
ذكر لهم ان اجراءها وارساءها انما هو بذكر اسم الله او بارادته وقدرته فانه قد روي
انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست
ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقول لبيد ثم اسم السلام عليكما وقرأ حمزة والكسائي وحفص بفتح الميم
مصدر جرى لقوله وهي تجري بهم والمختار قراءة القوم لازدواج مرسيها ان ربي لغفور
رحيم متصل باركبوا كانه قيل اركبوا فيها فلولا مغفرته لفرطاتكم وشمول رحمته لما نجاكم وهي
تجري بهم اي فركبوا فيها قائلين بسم الله وهي تجري بهم في موج كالجبال الموج ما يعلو
فوق الماء عند اضطرابه كل موجة منه شبهت بجبل في الارتفاع والعظم وكون السفينة
في الموج ان الامواج تصدمها من كل جانب لا انها داخلة في جوف الماء وقوله فالتقى الماء
لا يقتضي تطبيق ما بين السماء والارض وبقاء السفينة كالسمكة اذ المشهور ان الماء اشمخ
جبل اربعين ذراعا ونادى نوح ابنه ظاهر في كونه من صلبه وقيل كان ربيبه وكان في
معزل في مكان بعيد عزل نفسه عن ابيه او عن دينه يا بني اركب معنا في السفينة قرأ
عاصم بفتح الياء في بني هنا ونافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي بالكسر
وجه الفتح اصل ابن بنو فردت الواو في التصغير ثم قلبت ياء وادغم فيها ياء التصغير
والحقت بها ياء المتكلم في النداء ثم ابدلت الفا كما في يا غلاما ثم اكتفي بالفتحة الدالة عليها
ووجه الكسر حذف الياء لدلالة الكسر عليها والمختار هو الكسر لانها افصحها واقل تغيرا
وادغم الياء في الميم قنبل وابو عمرو وعاصم والكسائي باتفاق البزي وقالون وخلاد
في احد الوجهين لاتحاد المخرج والتجانس في بعض الصفات ولا تكن مع الكافرين خارج
السفينة او في الدين قال ساوي الى جبل يعصمني من الماء من غرقه قال لا عاصم اليوم
من امر الله من عذابه الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى وضع الظاهر موضع الضمير اشارة
الى رحمته هي المعتصم بها لا الجبل وفي الموصول زيادة تفخيم ايضا او لا ذا عصمة الا المرحوم كعيشة
راضية على ان فاعل بمعنى النسبة كلابن وتامر او المكان مقدر بدليل ذكره في مقابلة الجبل
اي لا عاصم الا مكان رحمة الله وهو السفينة او الاستثناء منقطع اي لا عاصم اصلا ولكن من رحمه
فهو المعصوم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين من جملتهم وقيل يا ارض ابلعي ماءك
ويا سماء اقلعي وغيض الماء واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين حكي عن سلطانه

حكي عن سلطانه لما تعلق به ارادته وقوع على وفقه من غير ريث من عود ما انفجر من الارض
الى بطنها وانقطاع الطوفان السماء ونقصان الماء الطاغي وقضاء امر نوح وهو انجاز
ما وعد من اهلاك الكفار وتسوية السفينة على الجودي وابقاء الظلمة في اللعن
والبواري تادى الارض والسماء كما ينادي العقلاء المختارون المنقادون لاوامره
العارفون وجوب طاعته الخائفون سطوات فهو تشبيها للمراد بالمأمور واستعار
لنشف الماء البلع الذي هو اعمال الجاذبة في المطعوم والشبه بينهما هو الذهاب
الى مقر خفي واضافة الماء الى الارض على سبيل المجاز الحكمي تشبيها لاتصال الصوري
باتصال الملك بالمالك واستعار الاقلاع الذي هو ترك الفاعل الفعل لاحتباس المطر
والشبه بينهما عدم ما كان ولم يصرح بالفاعل في غيض وقضي وقيل كما لم يصرح بالمنادي
في يا ارض ويا سماء لعدم ذهاب الوهم الى ان غيره جلت عظمته يتصور منه تلك الاشياء
ثم ختم الكلام بالتعريض لمن سلك مسالكهم في تكذيب الرسل وان ذلك العذاب الطائل
انما كان منشأه الظلم لا غير والجودي جبل بجزيرة الموصل والقول بانه بالشام او بآمل
ليس له اصل وروي انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك
اليوم شكرا فصار سنة ونادى نوح ربه اراد نداءه لقوله فقال رب والنداء
على اصله والفاء لتفصيل المجمل ان ابني من اهلي بعض اهلي كان من صلبه او كان ربيبا له فهو
ايضا من اهله وان وعدك الحق اي كل وعد وعدته كائن لا محالة وقد وعدتني الانجاء لاهلي
والظاهر انه لم يكن نوح عالما بكفره وقوله لا تكن مع الكافرين لا يدل على كفره ولم يحمل مقاولة
الابن على العناد لان عليه الحب يغطي على البصيرة فعوتب على ان مثله كيف يشتبه عليه حال
المعاند وكيف يجعل مناط النجاة كونه من اهله مع عدم علمه بايمانه واولو العزم يعاتبون
على النقير والقطمير وقيل كان النداء بعد الغرق وفيه ان قوله الا من سبق عليه القول
استثناء من الاهل فالسؤال عن موجب عدم النجاة مما لا وجه له بل فيه شبه اعتراض
وقيل كان عالما بكفره ولم يعلم ان طلب النجاة لولد الكافر محظور عليه وفيه انه كان عالما
بان في اهله من حق عليه العذاب وليس ذلك الا الكفر وانت احكم الحاكمين لا حكم فوق
حكمك او اعلمهم فلا يتطرق ذلك الى حكمك او اعدلهم اذ لا يتصور علة لقضائك وقيل اكثر حكما
مشتق من الحكمة قال يا نوح انه ليس من اهلك اذ لا ولاية بين المؤمن والكافر انه عمل غير صالح
تعليل للنفي وانما جعل نفس العمل مبالغة في ذمه كقول الخنساء وانما هي اقبال وادبار وقيل الضمير
للسؤال وفيه انه يفوت كون الصلاح هو مناط النجاة ويلزم منه ايضا تخطئة نوح
بتلك العبارة الموحشة مع ان سنة الله مع انبيائه في ترك الاولى العتاب بالطف وجه
وقرأ الكسائي عمل فعلا ماضيا فلا تسألن ما ليس لك به علم بنى نوح الامر على ظاهر الحال الذي
يكتفي به في العمليات فرد عليه بان ذلك ليس راجعا ونصب غير على العمل فلا بد فيه من
الايقان وانما سمي نداءه سؤالا لسبق الوعد بانجاء اهله قرأ نافع وابن عامر بفتح اللام

وتشديد النون وكسرها وحذف الياء الا ورشا في الوصل وكذا ابن كثير الا انه فتح النون
وابو عمرو والكوفيون باسكان اللام وتخفيف النون مكسورة ثم وجه تشديد النون
مفتوحة انها المؤكدة المثقلة ووجه كسرها انها المخففة ادغمت في نون الوقاية او
المثقلة حذفت نون الوقاية اكتفاء بها فحركت بحركتها والمختار ان التشديد توفير المعنى
الطلب والكسر على انها الخفيفة ادغمت لئلا يلزم الحذف وتغيير الحركة إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ
مِنَ الْجَاهِلِينَ معدودا منهم قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ بعد هذا السؤال مَا لَيْسَ
لِي بِهِ عِلْمٌ قد اتعظت وتأدبت وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي ما فرط مني وَتَرْحَمْنِي بالتوبة او بالتوفيق في
المستقبل أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ داخلا في زمرتهم قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا مسلما من جهتنا
امنا محفوظا او مسلما عليك اكراما لك وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ مصحوبا بالخيرات نامية ثابتة
مأخوذ من البركة وهي الصدر قال مستقدم البركة كالراكب ومنه بركة الماء ولما فيه
من معنى الثبوت اشتق منه البركة لثبوت الخير الالهي وجمع اشارة الى وفوره الآية وَعَلَى أُمَمٍ
مِمَّنْ مَعَكَ الذين معك على ان من بيانية وسمي كل واحد امة لتحزبهم او باعتبار المآل وامم
ناشئة ممن معك وهم المؤمنون الى آخر الدهر وهذا اوجه لان الابتدائية بعد المنكر اكثر
ويحسن التقابل بين قوله وامم سنمتعهم وبين قوله وامم ممن معك لان الناشئ منهم فرقتان
فرقة مؤمنة واخرى كافرة على ان اطلاق الآية على القليل لا يلائم فكيف بالامم والتفخيم
كما في قوله ان ابراهيم كان امة مخل بتعظيم نوح وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ في الدنيا ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا
عَذَابٌ أَلِيمٌ في الآخرة هم الكفار من ذريته لقوله وجعلنا ذريته هم الباقين وقيل هم قوم
هود وصالح ولوط وشعيب والعذاب ما نزل بهم عن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك
السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيمة وفي المتاع والعذاب كل كافر تِلْكَ اشارة الى
قصة نوح ومحلها الرفع بالابتداء مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ بعض اخبار الغيب نُوحِيهَا إِلَيْكَ
خبر ثان مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ خبر ثالث ولمجيء الاخبار هكذا شأن في رفع الايهام ويجوز ان يكون
نوحيها حالا من انباء وما كنت تعلمها من ضمير المؤنث او من كاف الخطاب في اليك وَلَا قَوْمُكَ
ترقي في الكلام لانهم مع كثرتهم وكثرة اسفارهم واختلاطهم اذا لم يعلموها فانت اولى مِنْ قَبْلِ
هَذَا هذا الايحاء او علمك المكتسب به او من قبل هذا الوقت فَاصْبِرْ على اذى التبليغ كما صبر نوح
إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ في الدنيا بالنصر والغلبة وفي الآخرة بالفوز برضوان الله وَإِلَى
عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا عطف على ارسلنا نوحا وهودا عطف بيان او بدل واخاهم القوم واحد
منهم كقولهم يا اخا العرب قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ اعبدوه مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ يستحق العبادة
إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ في القول بان له شريكا يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ
إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ما من نبي الا وصرح لقومه بعدم الاجر على التبليغ لان النصح اذا شابه وهم
الطمع لا يجدي ولا ينجع أَفَلَا تَعْقِلُونَ تستعملون عقولكم ليظهر لكم الحق فانه لا يتوقف الا
على توجه العقل لجلائه وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ بالتوبة عن الاشراك ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ دوموا

دوموا على تلك التوبة او امنوا به لان الاستغفار من روادف الايمان فهو كناية عنه والنزع عن
عبادة الغير لا يكون الا بعد الايمان به تعالى ولكن ثم ترجح الاول يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا
يفيض عليكم نعمه لان المطر سبب حصول جميع النعم لا سيما اذا كان وافيا وافراد المدرار الكثير
الدرور والتتابع صيغة مبالغة وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ لتقدروا على الانتفاع بتلك النعم
على التمام والكمال وقيل كانوا اصحاب زروع وبساتين فخربت فاستمالهم بانهم ان امنوا و
انتهوا عن الشرك يزيدهم الله في هذين المطلوبين درجات وقيل قوة الايمان الى قوة الابدان
وقيل حبس عنهم المطر ثلث سنين وعقمت ارحام نسائهم روي ان الحسن بن علي وفد على
معاوية فلما خرج من عنده تبعه بعض حجابه وقال اني رجل ذو مال ولا يولد لي فعلمني
عليك بالاستغفار فلما بلغ معاوية فقال اهل سألته مم ابن يقول هذا وفد وفد اخرى
يسأله الرجل فقال الم تسمع قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويمددكم باموال
وبنين بعد الامر بالاستغفار فاكثر الرجل من الاستغفار فولد له عشرة بنين وَلَا
تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ مصرين على الاجرام قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ تكذيبا باياته الدالة
على نبوته وعنادا كما فعلت قريش مع رسول الله وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ لاجل قولك
وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ في شيء من الاوقات اقناط له بعد تكذيبه إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ
بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ اعتراك اصابك من عراه اصابه قال الشاعر واني لتعروني لذكراك
هزة تريدون انه اصابه جنون من جهة آلهتنا مكافاة له على سبه اياها ولذلك يهذي
ويتكلم بكلام المجانين وكذلك الحال اكثر الجهال مع العلماء في كل عصر وهذه الاجوبة دلت
على فظاظتهم وتناهي جهلهم حيث اعتقدوا ان الجمادات تضر وتنفع قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ
وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ اشهد الله على برائته توكيدا لقوله لانه جار مجرى القسم ولم يتقدم
بل امرهم بالشهادة لان الغرض عدم المبالاة بهم ثقة بالله فلذلك اختلف الغرضين خالف
بين اللفظين مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ من اشراككم او مما تشركونه من آلهة فَكِيدُونِي جَمِيعًا
انتم والهتكم ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ بعد اجتماعكم على ذلك افعلوا واعجلوا ما تقصدونه فاني اثق
بربه الخالق والامر وهذا من اعظم الآيات انه الله على قوة يقينه وكمال ثقته حيث
واجه اولئك الغلاظ الشداد الذين يضرب بهم الامثال بمثل هذا الكلام الدال
على الاهانة بهم والاحتقار بالهتهم إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ الذي بيده الضر
والنفع اشار الى الحامل له على الجرأة عليهم وعدم المبالاة لانهم من يحولهم
مثله ثم اشار الى الوصف المناسب لذلك بقوله مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا
غالب عليها باستيلاء قدرته القاهرة وهذا على طريقة العرب فانهم كانوا اذا اسروا
عدوا ومنوا عليه بالاطلاق جزوا ناصيته إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ احكامه جارية
على نهج الحق المبين فَإِنْ تَوَلَّوْا تتولوا فمنه التاء فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ
الجواب محذوف وقعا علا اعاب وانتم محجوجون به ولا عذر لكم يوم القيمة لانه لا يجديكم وَيَسْتَخْلِفُ

ربي قوما غيركم استئناف بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ان تولوا ويأتي بآخرين يورثهم ارضهم و
ديارهم واموالهم او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم ولا تضرونه شيئا
من التضرر ان ربي على كل شيء حفيظ ومن كان هذا شأنه لا يمكن ان يلحقه ضرر ولا
يخفى عليه شيء من اعمالكم فيكون وعيدا ولما جاء امرنا بالعذاب الموعود نجينا هودا
والذين آمنوا معه برحمة منا قيل كانوا اربعة آلاف ونجيناهم من عذاب غليظ ليس
فيه تكرار لان الاول اخبار بان الايمان صار سببا لنجاتهم والثاني بان النجاة كان من
عذاب او الاول النجاة من عذاب الدنيا والثاني من عذاب الآخرة وتلك عاد جحدوا
بآيات ربهم انث الاشارة باعتبار القبيلة او اشارة الى قبورهم وآثارهم وآثر البعيد
لبعد العهد بهم او لتنزيل تشبيههم في كفرهم وعصوا رسله لان من كذب رسولا فهو كافر
بالكل لاتحاد الدعوى واتبعوا امر كل جبار عنيد رؤساؤهم الذين يصدون عن ايمانهم
الجبار من بطش على الغضب والعنيد الجائر المائل عن الحق من عند البعير عنودا اذا عدل
عن الطريق واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة اي جعلت اللعنة تابعة لهم في
الدارين لاتباعهم الكفار واعراضهم عن الرسل جزاء من جنس اعمالهم الا ان عادا كفروا ربهم
بربهم او نعمة ربهم الا بعدا لعاد قوم هود سمي عادا باسم جدهم وهو عاد بن عوص بن
ارم بن سام بن نوح كرر حرف التنبيه واعاد الاسم ودعا عليهم بعد الهلاك اشارة الى
انهم كانوا احقاء بما نزل بهم وافرع قوم هود بيانا لما في الاجمال والتفصيل من الايضاح و
التكرير فيوسموا بتلك الدعوة وهما محققا لا شبهة فيه ومما يقال انما تجيء به لتمييزهم عن
عاد ارم فانها عاد ثانية ولذلك وصف قوم هود بعاد الاولى ففيه ان لا احتمال لذلك
لتقدم هود وقومه في صدر القصة والى ثمود اخاهم صالحا عطف على قوله الى قوم في قصة
نوح قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشأكم من الارض بخلق ابيكم آدم منها
واستعمركم فيها امركم بالعمارة فيها او جعلكم عمارها اي سكانها او استبقاكم فيها من
العمر او من العمرى ومحاله بقول الرجل اعمرتك هذه الدار اي اتك الانتفاع بها مدة عمرك وعلى
هذا فالمعنى انه اعمركم فيها دياركم وهو يرثها منكم ويرجع اليه بعد موتكم او جعلكم معمرين
لغيركم لان من ورث غيره فكأنه اعمره اياها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب
رحمته مجيب لمن دعاه قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا لما نرى فيك من مخايل الرشد
وكنا نتوقع ان تكون مسترشدا في الامور نصدر عن رأيك فقد تبين لنا ان لا خير فيك وقيل
كنا نرجوا ان تدخل في ديننا أتنهانا استفهام انكار ان نعبد ما يعبد آباؤنا حكاية
حال ماضية وانا لفي شك مما تدعونا اليه مريب اي اوقعه في الريبة وهي قلق النفس
واضطرابها او من اراب الرجل اذا كان ذا ريبة على الاسناد المجازي يا قوم ارأيتم ان كنت
على بينة من ربي حجة وبصيرة داله على نبوتي وارد حرف الشك لانكار المخاطبين وآتاني
منه رحمة نبوة في الرسالة فانها فضل من الله فمن ينصرني من الله من عقابه ان عصيته خالفت

خالفت امره فما تزيدونني باستتباعكم غير تخسير غير ان تخسروني بابطال اعمالي وتعريضي لعقاب
الله او ما تزيدونني بقولكم هذا غير ان انسبكم الى الخسران او تخسرون انفسكم وتحملونها زيادة
عذاب لكونكم تدعون مثلي الى الكفر ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية نصب على الحال المؤكدة
نحو هذا خالد شجاعا وزيد حاتم جوادا لدلالة اضافة الناقة الى الله على كونها آية والجار
والمجرور بيان والعامل فيه مثل العامل في هيت لك فذروها تأكل في ارض الله لا تريد
منكم مالا ولا علفا حتى تصطلوا الى ايقاع السوء بها ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب
قريب عاجل فعقروها فقال تمتعوا في داركم في ارضكم سميت دارا لانها تدار فيها كما
سميت بيتا لانه يبات به ثلاثة ايام قيل هي الاربعاء والخميس والجمعة وقد هلكوا يوم السبت
ذلك وعد غير مكذوب اي فيه فحذف الجار اتساعا كما حذف من يوم مشهود وقوله ويوم
شهدناه او على المجاز كأنه قيل للوعد لا بد وان نوفي بك فاذا لم يوف به فهو مكذوب
فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ من عذابه وهلاكهم
بالصيحة او عذاب يوم القيامة وقرأ نافع والكسائي بفتح الميم من يوم لاضافته الى المبني واصله
السكون وانما حرك لالتقاء الساكنين وبالفتح لانه اخف ان ربك هو القوي العزيز القادر
على كل شيء والغالب عليه واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين
لاصقين بالارض كأن لم يغنوا فيها لم يسكنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم قرأ حفص
وحمزة بلا تنوين لانه علم قبيلة والباقون بصرفه لانه اسم اب القبيلة او باعتبار الحي الا
بعدا لثمود قرأ الكسائي بالتنوين والكسر لما ذكر آنفا ولقد جاءت رسلنا ابراهيم
بالبشرى ادخل قد لان السامع لقصص السابقة يتوقع سماع خبرها والرسل جبرائيل وميكائيل
واسرافيل كانوا تسعة وقيل اثنى عشر على صورة الغلمان الحسان ابتلاء لقوم لوط والبشرى
بشارة الولد لقوله وبشروه بغلام عليم ويحتمل التعدد له ولاهلاك قوم لوط قالوا سلاما
نصب على المصدر او القول بمعنى الذكر فالنصب به قال سلام اي عليكم سلام حياهم باحسن من
تحيتهم لدلالته على الاستمرار بقرينة المقام وقرأ حمزة والكسائي قال سلم بكسر السين وسكون اللام
وهو لغة فيه كحرم وحرام وحل وحلال وقيل الصلح لانه خافهم والمختار الفتح والمد لانه المشهور
فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فما ابطأ مجيئه به والحنيذ المشوي بالحجارة المحماة وقيل حنيذ سمين
يقطر منه الدسم من حنذت الفرس اذا القيت عليه الجلال لتعرق وعليه بعجل سمين فلما رأى ايديهم
لا تصل اليه لم يكن ينظر الى وجوههم عند تقديم المأكل لئلا يحصل للضيف نوع خجل فيحصل له
فتور في الاكل وهذا شأن ارباب الفتوة مع الضيفان قال الشاعر وما ولده من رسل كوماء
جلدة واعضيت عنه الطرف حتى تضلعا وقيل كان قد تدرأ ان لا يأكل الا مع الضيف وكان له
مدة لم يرد عليه الضيف فلم يتنبه الا لعدم اختلاف ايديهم الى الطعام نكرهم يقال نكره وانكره
واستنكره شك في معرفته واوجس منهم خيفة لانهم حين امتنعوا من اكل الطعام عرف انهم ملئكة
وخاف ان يكونوا مرسلين لامر انكره الله ولم يخف على نفسه لان سلامهم كان دالا على انه لا مكروه

منهم قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط اى بالعذاب جواب من علم انهم مرسلون لامر ولكن لم يعلم
ذلك الامر بعينه وامرأته قائمة وراء الستر تسمع قولهم وقيل قائمة دونهم كانت تسعى في الخدمة
فضحكت حاضت يقال ضحكت السمرة اذا سال صمغها وقيل بل ضحكت سرورا بزوال العذاب
او بنجاة لوط عن المفسدين او باصابة ظنها فانها كانت تقول لابراهيم ضم اليك لوطا فاني اعلم
ان العذاب نازل بقومه فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قرأ ابن عامر وحفص وحمزة
بالنصب بمفعول وهبنا الدال عليه البشارة كذا قاله سيبويه ويجوز ان يكون معطوفا على محل
اسحق او لفظه وفيهما ضعف الفصل بين العاطف والمعطوف ويجوز ان يكون منصوبا ببشرناها
على طريقة الابدال كقوله ذلك الذي يبشر الله عباده والرفع على الابتداء او فاعلية الظرف
وقيل الوراء ولد الولد وعن الشعبي انه قيل له هذا ولدك فقال نعم من الوراء وكان ولد ولده
وجه البشارة اليها تارة والى ابراهيم اخرى بقوله وبشروه بغلام عليم لان السرور بهما للذين
لانها كانت عقيمة حريصة على الولد وكانهما بشرا بالولد بشرا ايضا بطول العمر حتى يريا الولد
المبشر به ولدا قالت يا ويلتا لم ترد به معناه بل التعجب والاستبعاد دل عليه قولها أألد وانا
عجوز قيل كان سنها ثمانية وتسعين سنة وسن ابراهيم مائة وعشرين سنة وهذا بعلي شيخا
زوجي الزوجة ايضا بعل من المبالغة وهي ملاعبة الزوجين وفي الحديث ايام منى ايام اكل وشرب
وبعال شيخا نصب على الحال والعامل معنى الاشارة او التنبيه ان هذا لشيء عجيب لم يعهد
مثله من هرمين قالوا أتعجبين من امر الله ارادته اذا تعلقت بشيء انكروا عليها التعجب من حصول
الولد من شيخ وشيخة وان كان في ذلك خرق العادة لانها قد شاهدت امثال ذلك من المعجزات
والامور الخارقة وعللوا الانكار بقولهم رحمة الله وبركاته على وجه الاستئناف كانه قيل ايات الله
والتعجب فان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة عليكم قيل الرحمة النبوة والبركة الاسباط لان
الانبياء منهم والكل من نسل ابراهيم اهل البيت نصب على الاختصاص لانهم اهل بيت خليل
الرحمن وذلك مدح لهم والمدح انه حميد مجيد فاعل ما يحمد عليه ومجيد فعيل بمعنى المفعول
وقعا تذييلا لما تقدم اي ليس ما يفعله محلا للتعجب بل للتحميد والتمجيد فانه مولى متفضل فلما ذهب
عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى ما اوجس من الخيفة بما الحقوه به من البشرى يجادلنا في قوم لوط
يجادل رسلنا مجادلته قوله ان فيها لوطا وانما جاء به مضارعا حكاية للحال الماضية او التقدير
اخذ يجادلنا او اقبل او نحوه ان ابراهيم لحليم كثير الحلم اواه كثير التأوه على ما يقع منه من
تفريط وعلى الناس ترحما وهذا اليق وابلغ في مدحه منيب تائب الى الله آت بما يحبه ويرضاه
اردف مجادلته بهذه الصفات دفعا لما يتبادر من المجادلة من ايراد مقدمات غير حقة يا ابراهيم
على ارادة القول اي قالت الملئكة المجادلون اعرض عن هذا الجدال وان كان ذا ابلغ الرافة
انه قد جاء امر ربك فضاق الصبر الذي لا مرد له وانهم آتيهم عذاب غير مردود لتعلق ارادة
الله به ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم اي سيء لوط بسبب مجيئهم لانهم جاؤا على صورة غلمان
حسان ولم يدر انهم ملئكة فقال انهم ان يطلبكم خبث اهل هذه القرية وضاق بهم ذرعا كناية

كناية عن شدة حزنه وعدم اهتدائه الى ما يدفع به كيدهم عن اضيافه وقال هذا يوم عصيب قاله
مشافهة او في نفسه تحزنا والعصيب الشديد من عصبه اذا شده ومنه العصابة والعصب
وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون من قولهم دم هرع اي سائل بين السيلان كان بعضه
يدفع بعضا بالحمل على الجري ومن قبل كانوا يعملون السيئات يأتون الفواحش كلها
لا يتحاشون فتمرنوا على فعل المنكرات فلذلك اهرعوا من غير مبالاة قال يا قوم هؤلاء
بناتي وكانوا يطلبونه قبل ذلك للتزوج بهن وابى لوط فلما اشتد الامر عليه سمح بذلك
وقاية لاضيافه وعدم جواز تزويج المسلمات الكافر شرع طارئ والاستدلال بتزويج
رسول الله ابنته لابي العاص بن الربيع مبني على كونه متعبد الشرع من قبله هن اطهر
لكم بمعنى الطاهر اذ لا طهر فيما يريدونه والقول بان ذلك اقل خبثا مبني على تجويزه
في السفاح ولا يقول به متدين فاتقوا الله بترك الفواحش ولا تخزون ولا تفضحوني
من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية بمعنى الحياء في ضيفي في شأنهم أليس منكم رجل رشيد
يرعوي عن الجهل الاستفهام على اصله او اريد به التحريك والتأسف قالوا لقد علمت ما لنا
في بناتك من حق لان نكاح الاناث ليس بمهم عندنا بل هو كالباطل وانك لتعلم ما نريد
لا يخفى عليك قال لو ان لي بكم قوة لو ثبت لي قوة لدفعتكم او آوي الى ركن شديد قوي
امتنع به عنكم لفعلت شبه القوي العزيز بالركن من الجبل لشدته ويحتمل ان يكون لو للتمني
فلا يحتاج الى الجواب وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله لوطا كان يأوي الى ركن شديد
استغرب منه هذا القول لان عناية الله كانت اشد ركن له ولذلك قالت الملئكة حين
وجدت عليه ان ركنك لشديد هذه المقاولة معهم كانت من وراء الباب فانه كان قد
اغلق الباب خوفا منهم فلما طال الجدال تسوروا الجدار ولما رأت الملئكة ما اصاب لوطا
من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك باضرارنا فافتح الباب فلما دخلوا
نشر جبرائيل جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب
بجناحه وجوههم فطمس اعينهم كما حكاه تعالى عز وجل فطمسنا اعينهم فخرجوا وهم يقولون النجاء
فان في بيت لوط قوما سحرة فاسر باهلك بقطع من الليل بطائفة منه قرأه نافع وابن كثير بالوصل
والباقون بالقطع وهما لغتان والقطع اولى لاتفاقهم في اسرى بعبده ولا يلتفت منكم
احد الى ورائه لئلا يصيبه ما اصابهم ولذلك لما التفتت امرأته حين سمعت هدة العذاب
لحقها حجر فقتلها الا امرأتك استثناء من اهلك بناء على انه نهي عن الاسراء بها في جملة اهله
او من احد على اللغة القليلة في غير الموجب لان القراءة تكون لصحتها وجه صحيح ولا يحتاج
الى تأويل الالتفات بالتخلف على تقدير الاستثناء من احد حذرا من مناقضته الاستثناء
من اهلك لان الاستثناء من الاهل يقتضي ان لا يكون لوط مأمورا بالاسراء بها والامتناع
في ان يكون سرت بنفسها كيف ولم ينه عن الاسراء بها بل امر بالاسراء بغيرها وقرأ ابو عمرو
وابن كثير بالرفع على البدل والمختار النصب على الاستثناء من الاهل لسلامته عن التكلف و

وتأيد بقراءة ابن مسعود رضي الله فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك بالتقديم انه مصيبها ما
اصابهم اي ما يصيبهم علة لعدم الاسراء بها او لعدم نهيها عن الالتفات ان موعدهم الصبح
علة للاسراء اليس الصبح بقريب كلام الملئكة جواب لاستعجال لوط كانه استبعد مجيء الصبح
لغاية ضجره وشدة شوقه الى الاشتفاء ومن هنا يظهر لك مقام سيد المرسلين لما جاء ملك
الجبال وقال ان الله قد سمع جواب قومك وقد ارسلني اليك بان تأمرني فيهم بما شئت فان
شئت طبقت الاخشبين عليهم فقال لا ولكن ارجوا ان يخرج من اصلابهم من يقول لا اله
الا الله فلما جاء امرنا بالعذاب جعلنا عاليها سافلها جواب لما وانما اسنده الى ذاته
وان كان المباشر الملئكة لتعظيم الامر وان مثل ذلك الفعل انما هو باقداره روي ان جبرئيل رفع
مدائنهم بجناحه الى حيث سمع الملئكة في السماء نباح الكلب وصياح الديك ثم قلبها وامطرنا
عليها حجارة من سجيل من طين متحجر معرب سنك كل اي الحجر والطين وقيل من اسجله اذا ارسله
لانها مرسلة للعذاب لقوله لنرسل عليهم حجارة وقيل من سجل اذا كتب لان الله كتب عليها ان يعذب
بها منضود نضد في السماء نضدا معدا للعذاب وقيل متتابعة بعضها اثر بعض مسومة
معلمة بكل حجر عليه اسم من يرمى به وقيل كانت معلمة ببياض وحمرة وقيل كان عليها سيما يعلم بها انها
ليست من حجارة الارض عند ربك في خزائنه وما هي من الظالمين ببعيد الضمير للقرى اي تلك
القرى قريبة من ظالمي مكة يمرون عليها في مسايرهم او الحجارة فان كل ظالم كل الحجارة بصدد ان
يقع عليه حجر وقد روي انه صلى الله عليه وسلم سأل جبرئيل فقال اهم ظالموا امتك والى مدين
اخاهم شعيبا مدين اسم قبيلة سميت باسم جدهم وهو مدين بن ابراهيم او اسم مدينة بناها
مدين سميت باسم بانيها قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره دعاهم اولا الى التوحيد لانه
ملاك الامر ولا تنقصوا المكيال والميزان كان فيهم التطفيف شايعا فنهاهم عنه بعد الامر بالتوحيد
لكونه خيانة في حق العباد اني اريكم بخير في ثروة وسعة فانتم في غنية عن التطفيف او في
النعم التي انتم فيه يقتضي الايفاء شكرا لله فلا تغيروا بالوعد بالضد او فلا تزيلوه فان المعاصي تزيل
النعم واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط مهلك احاط به العدو واضافة العذاب الى اليوم للاشارة
واريد باحاطة اليوم احاطة العذاب على سبيل الكناية لكون اليوم مشتملا على الحوادث فاحاطته
يستلزم احاطة تلك الحوادث ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط الا انها المطلوب
لا يتحقق بدون الايفاء فنصه اولا على النهي عن القبيح ثم الامر بالضد ليس مبنيا على عدم استلزام
النهي عن الشيء الامر بضده بل هو من باب التأكيد كقولك لي لا تنس الرحم صل رحمك ولا تقطعها
تريد بذلك تأكيد وجوبه وقيد الايفاء بالقسط دلالة على ان العدل هو المطلوب والزيادة
فضل وقد يكون حراما كما في الربو ولا تبخسوا الناس اشياءهم اي شيء كان باي نوع كان تطفيفا
او غيره كانوا يمكسون الناس وقيل كانوا ينقصون من ثمن ما يشترونه ولا تعثوا في الارض مفسدين
العثي الافساد وفائدة تقييده بالحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما تلاف اموال اهل الحرب وهذا
اعم لتناوله البخس وغيره كما انه ذلك اعم من الاول لتناوله المقدار وغيره وقيل العثي السرقة وقطع الطريق

وقطع الطريق والغارة بقية الله خير لكم ما ابقاه لكم من الحلال خير لكم واول في الدنيا لان
الحرام ممحوق البركة وفي الاخرة ينجيكم من تبعته وعذابه ان كنتم مؤمنين لان الكافر وان نجا
من العقاب المترتب على البخس والتطفيف لكن لم تظهر تلك الفائدة ظهورها مع الايمان لكونه
مخلدا في النار وفيه اشارة الى عظم شأن الايمان لان الشيء ابين نفعه لم بعدنا تعاندونه
وتفسير البقية بالطاعة لا يناسب المقام وما انا عليكم بحفيظ احفظ عليكم وانما بعثت مبلغا
ولست بحفيظ عليكم نعم الله ان لم تتركوا البخس والتطفيف قالوا يا شعيب اصلوتك تأمرك
ان نترك ما يعبد اباؤنا الصلوة وان صح ان تكون امرة بالخير مجازا كما صح ان تكون ناهية عن
المنكر لكن انما ساقوا الكلام مساق الطنز والسخرية وان صلوته والمداومة عليها نوع من
الاباطيل ووقف من الجنون والاتيان بالمضارع للدلالة على الاستمرار كان كثير الصلوة و
لذلك اتوا بصيغة الجمع وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالافراد ومعنى تأمرك ان نترك تأمرك
بتكليف ان نترك فحذف المضاف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره او ان نفعل في اموالنا ما نشاء
لا يؤمر بفعل غيره او ان نفعل في اموالنا ما نشاء عطف على ما اي وان نترك فعل ما نشاء في اموالنا
انك لانت الحليم حيث تأمر ما بترك ما كان يعبد اباؤنا الرشيد الخبير عطف على ما اي وان
نترك فعل ما نشاء في اموالنا حيث تأمرك بترك البخس والتطفيف بشرط لما تقدم قالوا تهكما به
قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي حجة واضحة ورزقني منه رزقا حسنا النبوة
لان المعارف الالهية اشرف الارزاق وانفسها وقيل المال الحلال من غير بخس وتطفيف والمعنى
اخبروني ان كنت نبيا حقا ايجوز لي ان لا امرك بترك عبادة غير الله وما فائدة ارسال الله الرسل
الا ذلك وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه عاد الى النصح بعد ما ازاح ما قرنوه به على وجه
اوضح فيه ان من لا يأمر الا بما يفعله ولا ينهى عن شيء الا وهو منته عنه لم يكن مظنة للجنون
والحيل والمخالفة المعاكسة في الامر يقال خالفت زيدا عمرو الى الماء اذا كان احدهما واردا والاخر
صادرا ان اريد الا الاصلاح الا اصلاح ما افسدتم من امر دينكم ودنياكم ما استطعت مدة
قادرا ما مصدرية في موقع الظرف او موصولة بدل البعض اي المقدار الذي استطيع منه او الكل
على تقدير المضاف اي اصلاح ما استطعت والاول هو الوجه اذ فيهما تكلف الاضمار وفوات
المبالغة وما توفيقي الا بالله التوفيق خلق قدرة الطاعة مصدر بمعنى المفعول وما كوني موفقا
في امضاء او امره الا بتأييد منه عليه توكلت فوضت امري لا الى غيره واليه انيب لا الى غيره وفيه
تهديد بانه لا يبالي بهم لانه مفوض امره الى من بيده الخلق والامر وقطع لاطماعهم فانهم ما تحكموا
به الا استضعافا وهذا كقول نوح فاجمعوا امركم وشركاءكم ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي لا
يكسبنكم معاداتي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح مفعول ثان يقال جرمه ذنبا كسبه وجرمته
ذنبا كسبته اياه جرم واجرم لغتان ككسب واكسب والمزيد اقل دورا على السنة العرب وروي
عن ابن كثير بضم الياء او قوم هود او قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا او مكانا فان
مدين قريبة من قرى لوط بينهما مسافة يومين والقرب في المكان والزمان مفيد زيادة معرفة

وكان الوقوف على الحال ذكر لفظا بعيد باعتبار لفظ القوم لانه يذكر ويؤنث وكذا كل اسماء الجموع
مثل رهط ونفر او هو مسند الى ضمير الاهلاك او الزمان او المكان واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه
استوابه ثم دوموا عليه ان ربي رحيم جزيل العطاء يتفضل عليكم بدل ما كان يحصل لكم من التخويف
والتقليف ودود كثير اللطف لمن تاب وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار قالوا يا شعيب
ما نفقه نفهم من فقه بالكسر فهم كثيرا مما تقول من التوحيد وسائر الاحكام قالوه استهانة
لانهم لم يفهموا مقاله كقول المشركين لرسول الله قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وانا لنراك فينا
ضعيفا لا قوة ولا عزة لك فينا وقيل اعمى ويرده التقييد بالظرف ولولا رهطك لرجمناك لقتلناك
شر قتلة فان القتل به شنيع جدا ولذلك شرع حدا للزاني والرهط من الثلثة الى العشرة وقيل
الى التسعة وما انت علينا بعزيز بل قومك هذا دأب السفيه المحجوج اذا افحم تشرع في الهذيانات
عسى يدفع به العار عن نفسه وفي ايلاء الضمير حرف النفي دليل على ان النزاع في الفاعل لا في الفعل
ولذلك كان مفيدا للتقوي والتخصيص وقولهم ولولا رهطك لرجمناك دليل على ذلك ومنطوق
يؤكد ذلك المفهوم وشبه كلمة هو قائلها في افادة التقوي والتخصيص قال يا قوم ارهطي اعز عليكم
من الله يريد ان رعايتي لكوني رسولا من الله احرى بكم واجدر من القوم وانما كانوا اعز من رهطه
لكونهم على دينهم لم يقل ارهطي اعز عليكم مني لان تهاونهم به وهو نبي الله ومبلغ احكامه تهاون بالله
انزله بقوله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله يد الله فوق ايديهم واتخذتموه وراءكم ظهريا غير
معتد به كناية عن عدم الاعتبار نسبة الى الظهر والكسر من تغيير النسب ان ربي بما تعملون محيط
يجازيكم عليه ويا قوم اعملوا على مكانتكم المكانة بمعنى المكان كالمقامة بمعنى المقام كناية او تمثيل او
مصدر مكن بالضم مكانة فهو مكين اذا تمكن والمعنى على جهاتكم او متمكنين وقرأ ابو بكر بالجمع وهو
ابلغ اني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه يجوز ان يكون من استفهامية معلقة للعلم كانه
قيل سوف تعلمون اينا يأتيه عذاب يخزيه وان يكون موصولة منصوبة المحل به والتقدير سوف تعلمون
الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه ادخل الفاء في سوف في الانعام والزمر وتركها هنا لكونه بتقدير سؤال
لانه في مقام المحاجة معهم وفي تبكيت السورتين بان يقولوا لم ذلك الكلام الذي يعقبه ذلك الجزاء
ومن هو كاذب يريد نفسه على زعمهم لانهم كانوا يدعونه كاذبا وارتقبوا انتظروا ما يحل بكم اني
معكم رقيب راقب كالصريم بمعنى الصارم او المراقب كالعشير بمعنى المعاشر او المرتقب كالفقير
بمعنى المفتقر ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا ذكر سابق قصة هود وشعيب
بالواو لعدم سبق ما يدل على السببية بخلاف صالح ولوط فانه تقدم فيهما الوعد بالاهلاك بقوله
ان موعدهم الصبح في قصة لوط وقوله ذلك وعد غير مكذوب في قصة صالح فلذلك جيء فيهما بالفاء
الدالة على سببية ما قبلها واخذت الذين ظلموا الصيحة صاح بهم جبرائيل فاصبحوا في ديارهم
جاثمين لازمين لمكانهم موتى كأن لم يغنوا فيها كان لم يسكنوها ولم يكن لهم فيها تصرف وتردد ألا
بعدا لمدين كما بعدت ثمود ثمود وجه التشبيه ان كلا منهما كان هلاكه بالصيحة الا ان صيحة
ثمود كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وعن ابن عباس رضي الله عنه لم يهلك الله امتين بعذاب

بعذاب واحد الا ثمود ومدين والبعد ضد القرب واستعمل هنا بمعنى البعد بفتحتين كالرشد من بعد
بالكسر اذا هلك ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين ما اتى به من المعجزة سمي ايات باعتبار
الدلالة على صدقه وسلطانا واضحا باعتبار تسلطه به على الخصم او الايات الاحكام والسلطان ما يتبين
منها وقيل السلطان استيلاؤه ومحبته على قلب من يراه لقوله والقيت عليك محبة مني لم يره احد الا
احبه وقيل لم يأخذه قتل ولا خوف من اول نشأته ولذلك اخذ بلحية فرعون وهو طفل وقتل
القبطي بين اظهر قومه الى فرعون وملئه اشرافه فان العامة اتباع فاتبعوا امر فرعون بعد
ظهور تلك المعجزات ووضوح ذلك السلطان وما امر فرعون برشيد اي ليس في امره رشد
بل ضلال مكشوف لان البشر من مقام الالوهية لاسيما بشر ظلوم به يضرب الامثال في الغشم و
اسناد الرشد الى امره مجاز حكمي يقدم قومه يوم القيمة لانه كان اماما في الكفر فاوردهم النار
يوردهم عبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه وبئس الورد المورود الورد الماء الذي يرده المتعطش
لتبريد الاكباد استعارة تهكمية واتبعوا في هذه لعنة يلعنون الى يوم القيمة لان فرعون وقومه
لم يخف قبح صنيعهم على احد ويوم القيمة يلعنهم اهل المحشر او يطردون الى النار فذلك هو لعن
يوم القيمة بئس الرفد المرفود هو العطاء والاعانة والمعنى بئس العطاء والمعطى لعن الدنيا مقفى
الى لعن الاخرة او بئس العون المعان والمخصوص بالذم محذوف اي رفدهم ذلك المذكور من انباء
القرى بعض اخبار القرى المهلكة مبتدأ وخبر نقصه عليك قصصنا عليك خبر بعد خبر
منها قائم باق يشاهد وحصيد ومنها عافي الاثر كالزرع المحصود استعارة تبعية والجملة
لا محل لها وقيل حال عن ضمير نقصه ولا ضمير فيه ولا واو وما ظلمناهم بما فعلناهم ولكن
ظلموا انفسهم اوردوها مورد الهلاك فما اغنت عنهم الهتهم التي يدعون من دون الله
من شيء فما قدرت ان تدفع عنهم من بأس الله ادنى شيء لما جاء امر ربك عذابه ظرف اغنت
وما زادوهم غير تتبيب اهلاك من تب اذا هلك وكذلك اخذ ربك ومثل ذلك الاخذ اخذ
ربك اذا اخذ القرى اي اهلها وهي ظالمة ايقاع الاخذ ونسبة الظلم الى القرى مبالغة
في استحقاق اهلها ذلك واشارة الى ان كل ظالم يصدر ذلك لوجود العلة ان اخذه اليم شديد
شديدا لا يمكن الخلاص عنه صفة بعد صفة زيادة تحذير ان في ذلك فيما اخبرنا عن حال
القرى لاية عبرة لمن خاف عذاب الاخرة يستدل بما نزل بهم في الدنيا على عذاب الاخرة او لمن
يقول بالحشر فان من انكر ذلك من الفلاسفة والدهرية لم ينجع فيه ذلك لاحالته تلك الوقائع
على اسباب فلكية ذلك اشارة الى اليوم المدلول عليه بالاخرة يوم مجموع له الناس للحساب
فيه والثواب والعقاب آثر الاسم على الفعل دلالة على ان ذلك الوصف لازم له لا محالة وخص
الناس بالذكر وان الجن ايضا يحاسبون فيه لقوله سنفرغ لكم ايها الثقلان لان الناس هم المقصودون
اصالة وذلك يوم مشهود مشهور معروف عظمه كقولهم لفلان مجلس مشهود اي يشهده كل احد
جعل المشهود كناية عن الشهرة فلا يحتاج الى تقدير فيه الابقاء الاصل ولا يجوز ان يجعل اليوم
مشهودا كما في قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه لان ذلك المشهود قد علم من قوله مجموع له الناس

وانما المراد التهويل بانه يوم يشهد فيه الخلائق قاطبة لا تغيب عنه ذو حياة كما فصل في سورة كورت
وما نؤخره الا لاجل معدود الا لانتهاء زمان معلوم اجزاؤه في علمنا التأمل يوم يأت
اي الحساب او ذلك اليوم اي شدائده واهواله فلا يلزم كون الشيء ظرفا لنفسه او الله ونحوه
قوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام لا تكلم نفس الا باذنه هذا في الموقف وقوله
ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف وهذا نظير كقوله فوربك لنسألنهم اجمعين وقوله
فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان وما يقال المأذون فيه هي الجوابات الحقة والممنوع عنه
الاعتذارات الباطلة تكلف بما لا دليل عليه فمنهم شقي وسعيد الضمير للناس المجموعين
او للنفس فانه عام فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق الزفير اول صوت
الحمار والشهيق اخره لان الزفير ادخال النفس والشهيق اخراجه شبه صوتهم في الحالين بصوت
الحمار استقباحا لكونه انكر الاصوات والزفير ايضا اغتراق النفس من الشدة فالمراد بيان شدة
حالهم وتراكم كربهم وهذا شاهد فيمن اصابه شدة وهم تراهم له زفرات متوالية تتبعها
شهقات خالدين فيها ما دامت السموات والارض تأكيد للخلود بما يتعارفه الناس وجرت
عادتهم به في التأبيد لا يفهمون منه غيره لا كقولهم ما لاح كوكب وما اقام ثبير فالمرء العيش وحي
مقيم ما اقام عسيب والمراد سموات الاخرة وارضها اذ لا بد لهم من مظلة ومقلة وما يقال انه تشبيه
بما لا يعرفه اكثر الخلق ساقط لان هذا القدر ضروري عند من يقول بالحشر الا ما شاء ربك استثناء
من الخلود لان عصاة الموحدين الذين يخلدون خارجون منها فعلى هذا ما بمعنى من او اريد بها الصفة
كقوله والسماء وما بناها تقديره خالدين فيها الا الذين تداركتهم رحمة الرحمن لا لاستحقاق
منهم وعن الزجاج هو من قبيل لا بد وقوله فيها الموت الا الموتة الاولى وقوله حتى يلج الجمل في سم
الخياط وقيل هو مدة لبثهم في البرزخ والموقف فان حال الكفار يقتضي ان يكون في النار بمجرد
زوال روحه ولا يمتنع ان يكون الوصفان قائمين بشخص واحد باعتبارين هذا والاحسن ان يقال
من كان اخره الى الجنة من الموحدين وان دخل النار لا يطلق عليه اسم الشقي لقوله الشقي من شقي
في بطن امه يريد بذلك شقاء الابد لانه يدخل النار ثم يخرج ولقوله خلقت هؤلاء للنار ولا
ابالي وخلقت هؤلاء للجنة ولا ابالي والاستثناء باعتبار ايام البرزخ والموقف فيه خفاء لان
الاستثناء من الخلود ظاهر في الاخراج بعد الدخول يدرك بالذوق السليم وقيل الاستثناء
من زفير وشهيق وقيل الا بمعنى سوى والمعنى سوى ما شاء الله من الزيادة على بقاء السموات
والارض ان ربك فعال لما يريد لا اعتراض عليه ولا منة لفعله واما الذين سعدوا ففي الجنة
خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ غير مقطوع بل ممتد
الى غير النهاية تأكيد لمعنى الخلود ودفع لما يتوهم من الانقطاع بزوال السموات والارض جاء الكلام
على الظاهر وقرأ حمزة والكسائي وحفص سعدوا على بناء المفعول من سعد متعديا بمعنى اسعد والفتح
اولى لانه اكثر ولانه اوفق بما تقدم من المقابل فلا تك في مرية بعد ما قص عليك من احوال الانبياء
واحوال اممهم وما نزل بهم بسبب تكذيب الرسل وعبادة غير الله تعالى مما يعبد هؤلاء من عبادتهم

من عبادتهم وبطلانها ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل استئناف لتعليل النهي عن المرية يريد
ان حال هؤلاء في الشرك مثل حال ابائهم فسينزل بهم مثل ما نزل باولئك لان التماثل في الاسباب
يستلزم تماثل المسببات وما مصدرية اي كعبادتهم او موصولة كالشيء الذي كانوا يعبدونه
حذف لفظ كان لدلالة قبل على معناه وانا لموفوهم نصيبهم لمعطوهم حظهم من العذاب وافيا
او رزقهم المقدر فيكون اشارة الى سبب تأخير العذاب مع قيام موجبه بما لا وفي دينه ووفا
او لم يبق عليه منه شيء غير منقوص حال مؤكدة لقطع وهم التجوز ولقد اتينا موسى الكتاب
فاختلف فيه امن به طائفة وكفر به اخرى كما اختلف في القران ولولا كلمة سبقت من ربك
في كلمة الانظار الى يوم القيمة لقضي بينهم بين قوم موسى او قومك وهذا من جملة التسلي ايضا
وانهم لفي شك منه من القران مريب موقع في القلق والاضطراب وان كلا التنوين عوض
المضاف اليه اي وان كل المختلفين وقرأ نافع وابن كثير وابو بكر ان مخففا على الاعمال قال
سيبويه سمعت من اثق به من العرب ان عمرا لمنطلق وانشد نظر الله كأن ثدييه حقان وقيس
ذلك على لم بل شيئا لان الفعل اصل في العمل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام موطئة للقسم
وما مزيدة للفصل بين الموطئة ولام القسم في ليوفينهم وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد واصله
لمن ما فادغمت النون في الميم ومن قرأ ان مخففا ولما مشددا جعل ان نافية ولما بمعنى الا ونصب
كلا بفعل يفسره ليوفينهم ويجوز ان يكون اللام هي الفارقة في قراءة التخفيف ولام الابتداء في
قراءة التشديد وما زائدة للفصل بين اللامين انه بما يعملون خبير لا يخفى عليه شيء منها اطنب
في الوعد والوعيد واحوال الامم وان الرسل بعد التبليغ لم يزغ احد منهم عن سنن الصواب ومن
امن معهم ثم قال فاستقم كما امرت امره بالاستقامة كما استقاموا ولشدة الوفاء بحق الاستقامة
قال شيبتني هود واضطرابها يريد الامر بالاستقامة وروى الترمذي عن ابن عباس ان ابا بكر سأل
رسول الله عن سرعة شيبه فقال شيبتني هود والواقعة وعم يتساءلون واذا الشمس كورت
فالظاهر انه اراد اهوال القيمة لاشتمال هذه السور عليها ومن تاب معك عطف على المستكن
بلا تأكيد لوجود الفاصل ولا تطغوا لا تتجاوزوا عن حد الاستقامة تفريع بما علم ضمنا انه بما
تعملون بصير اشارة الى كمال علمه بخطرات القلوب وهو بحسب الضمائر كالمحسوس المشاهد عنده
جلاء وظهورا ولا تركنوا الى الذين ظلموا لا تميلوا ادنى ميل الى من وجد منه ادنى ظلم غاية تحذير
فان قرب السوء ابتداء اغواء من الشيطان واذا كان الركون الذي هو ميل يسير الى من وجد منه ادنى
ظلم مخلا بالاستقامة فكيف بالميل التام ثم الظلم الكامل ثم الانهماك فيه فتمسكم النار بما
يترتب على الركون اذ اقل ما يخلو عن نوع مداهنة ومتابعة معهم في هواهم وفي الحديث مثل صاحب
السوء كنافخ الكير اما ان يحرق ثيابك واما ان تجد منه ريحا خبيثة وما لكم من دون الله
من اولياء اي ولي يتولى امركم وينصركم بمنع العذاب والواو للحال ثم لا تنصرون اي لا ينصركم الله
لانه لا ناصر بعدا ولي لكم غيره وثم لاستبعاد النصر بعد الايقاظ والتحذير من ارتكاب اسباب العذاب
واقم الصلوة عطف على فاستقم كما امرت طرفي النهار نصب على الظرف وهما الغداة والعشي والم

صلوة الصبح والظهر والعصر لان بعد طلوع الفجر الى الزوال غداة ومنه الى الغروب عشية وزلفا
من الليل جمع زلفة كظلم وظلمة والزلفة القربة والمراد بها صلوة المغرب والعشا بقربها
من اخر النهار وروى مسلم عن ابى هريرة ان رسول الله قال الصلوات الخمس كفارات لما بينهن
ما اجتنبت الكبائر ولذلك اتبعه بقوله ان الحسنات يذهبن السيئات يكفرنها وروى
البخارى عن ابن مسعود ان رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى اصبت من امرأة
قبلة فسكت رسول الله فلما اقيمت الصلوة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصلوة
فلما انصرف من الصلوة تعرض له فقال له رسول الله الم تصل معنا قال بلى قال ان هذه الصلوة
كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر ذلك اى المذكور من الاستقامة وما بعده وقيل القرءان
ذكرى تذكير وموعظة للذاكرين للمتذكرين فانهم المنتفعون به واصبر على مشاق ما
امرت به من الاستقامة والانتهاء عما نهيت به فان الله لا يضيع اجر المحسنين وضع الظاهر
موضع المضمر اشارة الى علة الحكم والى ان الصلوة والصبر احسان وايماء الى انه لا يعتد بشىء
من الاعمال بدون الاخلاص على ما فسر به الاحسان فى الحديث فلولا كان من القرون من
قبلكم اولوا بقية لولا بمعنى هلا حرف تحضيض معناهما اللوم على ترك اللوم فى الماضى
اشارة الى ان ما حل بتلك الامم كان لامرين الاخلال بما هو من اعظم اركان الدين وهو
الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واتباع الشهوات والبقية من تبقية الشىء لانها تحفظ
وتصان اى فهلا كان اولوا بقاء وصيانة لانفسهم من سخط الله وعقابه او البقية بمعنى
الفضل والجودة فان المنفق يسمح باخراج الردى يقال زيد من بقايا الناس اى من خيارهم
ومنه قولهم فى الزوايا خبايا وفى الرجال بقايا او من بقيته بمعنى رقبته وانتظرته
ومنه حديث ابن عباس فى نومه فى بيت ميمونة كرهت ان يرى انى كنت ابقيه والمعنى هلا كان
منهم اولو خشية ومراقبة من سخط الله ينهون عن الفساد فى الارض الا قليلا الاستثناء
منقطع وينهون خبر بعد خبر ومن القرون حال قدمت او ينهون صفة والاستثناء متصل
والمعنى لولا كان من القرون اولوا فضل صفتهم وشانهم النهى عن الفساد الا قليلا ممن
انجينا منهم واذا جعل ينهون خبرا فلا يستقيم الاتصال الا على تاويل ان الاثم كالمتهدد
للجزوان الاستثناء من كل منهما استثناء من الاخر فكانه قيل ما كان من القرون اولوا بقية
الا قليلا ولو اجرى الكلام على ظاهره فى الاتصال وقيل لم يكن فى القرون اولوا بقية
ينهون الا قليلا يلزم ان يكون فيهم اولوا بقية عزنا عن الفساد ولا يجىء فساده فان
قلت فما فائدة الاصابة وهلا قيل فلولا كان من القرون اولوا بقية الا قليلا قلت فائدة
المبالغة بان اهل الفضل منهم اذا اندموا على ترك النهى فغيرهم اولى واتبع الذين ظلموا ما
اترفوا فيه هم المقابلون للقليل الناهين عن الفساد والاتراف الاطغاء من ترفه النعمة
اطغت والمعنى اتبعوا الشهوات واغفلوا الطاعات عطف على ما دل عليه الكلام اى الا قليلا
نهوا عن الفساد او الواو للحال والمعنى انجينا القليل وقد تبع الذين ظلموا جزاء اترافهم وهو عذاب

وهو عذاب الاستيصال وكانوا مجرمين عطف على اترفوا اى اتبعوا الشهوات وكونهم مجرمين
لان تابع الشهوات غريق فى الاثام او اعتراض يؤكد ظلمهم ولفظ القوم اشارة الى انما كلهم
ونمونهم فى الاجرام وما قيل من ان المراد بالاجرام اغفالهم للشكر عائد الى الوجهين وما كان
ربك ليهلك القرى بظلم بغير ذنب لا لانه لو اهلكهم لكان ظلما بل على زعمهم كقوله لئلا
يكون للناس على الله حجة وقوله وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون وقيل بظلم بشرك
واهلها مصلحون اى فيما بينهم من معاملة الناس وحقوق العباد فان حق الله مبنا على المسامحة
ولم يهلك الله قوما على الشرك فقط وفيه ان عذاب الاستيصال قد رتب على مجرد التكذيب
كما فى قصة هود وصالح وقوله وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا وكانوا مجرمين ولو
شاء ربك لجعل الناس امة واحدة اى متفقة على الاسلام لقوله ولو شاء لهديكم اجمعين
ولا يزالون مختلفين فى امر الدين الا من رحم ربك بان خلق فيه التوفيق والهداية و
لذلك خلقهم للهداية والتوفيق فالضمير لمن او الاختلاف وفى الاية دليل على ان الامر
لا يستلزم الارادة وان الله لم يرد ايمان الكافر وتمت كلمة ربك اى قضائه وارادته
قراه بالافراد ابو عمرو وابن كثير والكوفيون لاملئن جهنم من الجنة والناس اجمعين
اى من عصاة الطائفتين لاستوائهما فى التكذيب بريد الاملاء بعد الانزواء فلا ينافيه
ما رواه البخارى لا تزال تقول هل من مزيد حتى يضع الجبار فيها قدمه فتنزوى وتقول
وعزتك قط قط وكلا نقص عليك من انباء الرسل اى كل نبأ ما نثبت به فؤادك
بدل من كلا او كلا اقتصاص نقص عليك على انه مصدر وما نثبت به مفعوله ويجوز ان يكون
كلا نصبا على الحال من ما او من الهاء ان جوز تقديم الحال على ذى الحال المجرور والمعنى ان
تلك الوقائع ايرادها مكررة باساليب مختلفة يثبت كله على اداء الرسالة واحتمال
الاذى بناسيا بمن قبلك من الرسل وجاءك فى هذه الحق اى فى هذه السورة او فى الانباء
المقتصة عليها ما هو الحق لا كما يقوله اهل الكتاب من خلطه بالباطل وايراد الاخبار لا على
وجهها وموعظة وذكرى للمؤمنين الى اخر الدهر اشارة الى الفائدة العامة وقل للذين
لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم وقراه ابو بكر بالجمع على حالكم او تمكنكم انا عاملون كذلك
وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم ما نزل بالمكذبين امثالكم ولله
غيب السموات والارض هو يعلم وقت ذلكم الا والحكمة فى تاخيره واليه يرجع الامر كله لا
شريك له فى ذلك فاعبده استمر على عبادته او امر لكل احد وتوكل عليه فى جميع الامور
بعد علمك بتفرده بالامر وما ربك بغافل عما تعملون انت وهم فيه تغليب الخطاب
وقراه ابن كثير وابو عمرو وابو بكر عن عاصم وحمزة والكسائى بالغيبة والضمير للذين لا يؤمنون
والخطاب ابلغ سورة يوسف مكية وانها مائة واحدى عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم
الر تلك ايات الكتاب المبين تقدم الكلام على الحروف فى اوائل السور وان القول
المنصور هو القول بكونها اسماء السور فقوله تلك اشارة الى المدلول الر وهى السورة واثبات

تلك لقصد التعظيم كذلك الكتاب والمعنى هذه السورة المشار اليها بعض الكتاب المعجز الواضح اعجازه
قالت اليهود للمشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف عليه
فنزلت وانا انزلناه اى الكتاب قرانا عربيا الاول حال موطئة والثاني هو الحال او كل منهما
حال لان الاول مصدر بمعنى المفعول وجعله حالا من الضمير في المصدر ضعيف لعلكم تعقلون
ارادة ان تفهموا معانيه ولا يلتبس عليكم ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت
اياته او يستعملون عقولكم لتعلموا انه ليس من جنس كلام البشر لانه اتى باحسن القصص من لم يتعلم
ولم يدارس نحن نقص عليك احسن القصص احسن الاقتصاص مصدر كالطلب من قص الاثر
اذا اتبعه لان راوي الحديث يتبع ما سمعه ولا يخفا كما ان القاري يتبع تاليا لانه
يتلوا ويتبع اية بعد اية فالمقصوص محذوف وهو الوحي لدلالة اوحينا عليه ويجوز ان
يكون بمعنى المقصوص كالنبا بمعنى المنبئ به وان يكون من تسمية المصدر بالمفعول كالخلق
وكونه احسن القصص لكونه مقصوصا على ابدع طريقة واعجب اسلوب ومن تتبع التواريخ
والقصص عرف انه لم يقاربه احد في سلاسة الالفاظ وعذوبة المعاني او لاشتماله على
العبر والنكت وسير الملوك والعلماء والصبر على الاذى والعفو بعد الاقتدار بما
اوحينا اليك بايحائنا هذا القران اى السورة لانه يطلق على البعض كما يطلق على الكل
فيل يجوز ان يجعل مفعول نقص ان جعل احسن القصص مصدرا او يجعل مفعولا واوحينا محذوفا
وليس بقوي لان اعمال الثاني في التنازع اولى كما في قوله اتوني افرغ عليه قطرا ولان
ايقاع الايحاء على القران فيه من الفخامة ما ليس في ايقاع الاقتصاص وان كنت من قبله
لمن الغافلين عنه لم يخطر ببالك ولم يقرع سمعك ولا خطر ببالك لانه يقال ارض غفل لا اثار بها ذكره تعليل
استنان عليه واشارة الى فضيلة العلم وان هي المخففة من المثقلة واللام هي الفارقة
اذ قال يوسف منصوب باذكر او بدل الاشتمال اذا كان القصص بمعنى المقصوص لا مصدرا
لان الاقتصاص على رسول الله لا يشتمل على زمان قول يوسف لابيه هو يعقوب بن اسحق
بن ابراهيم خليل الله روى البخاري عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم سئل عن اكرم الناس
فقال يوسف نبي الله بن نبي الله بن نبي الله بن خليل الله الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف
بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وليس في الانبياء من له ثلثة اباء يوحى اليهم كل منهم رسول
من عند الله عز وجل وهو اسم عبراني ولذلك منع الصرف واشتقاقه من الاسف بعيد لان الكلمة
بضم السين فلا يصح ان يكون مضارعا يا ابت بكسر التاء لانها عوض عن ياء الاضافة التي
الاصل فيها الكسر وفتحها ابن عامر لان التاء لما حذفت عوض منها الالف ثم ابدل الالف
تاء مفتوحة لتدل الفتحة على الالف وعن المازني ان اصله ابتا على حد قوله يا ابتا علك
او عساكا فيكون الحرفان عوضا عن حرف ويمنع ذلك احد وخص التاء بالعوض عن الياء لا
شتراكهما في علامة التانيث كما في غذي وهادي واتفقت المصاحف على كتابتها بالتاء وخشيت
وقعت واختلف السبعة في الوقف عليها فابن كثير وابن عامر وقفا بالهاء مخالفا الصورة الرسم

لصورة الرسم وهي لغة قريش والباقون بالتاء رعاية للرسم وجريا في الوقف على طريقة الوصل
اني رايت من الرؤيا لا من رؤية العين بدليل قوله لا تقصص رؤياك وقوله هذا تاويل
رؤياي من قبل احد عشر كوكبا والشمس والقمر الشمس كانت مثال امه والقمر مثال ابيه
والكواكب اخوته فانهم كانوا احد عشر رجلا ولذلك لما سجد له ابواه واخوته قال هذا
تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا رايتهم لي ساجدين جواب سؤال مقدر كانه
قيل كيف رايتهم والجمع بالواو والنون لاجرائهما مجرى العقلاء لكون السجود من افعالهم
قال يا بني تصغير ابن صغره اما تحببا او لانه كان صغير السن قيل كان عمره ثنتي عشرة سنة وقراه
حفص بفتح الياء لان المصغر اضيف الى ياء المتكلم حالة النداء فقلبت الياء الفا كما في يا غلاما
ثم حذفت وبقيت الفتحة للدلالة عليها والباقون بكسر الياء لتدل على حذف ياء المتكلم
لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا كان ان يعقوب علم بالتجارب لا يجاعل حالة الغابق ونور
النبوة وبهجة الملك رايعا على وجهه البارق وكان يعقوب عالما بما وقع لهابيل مع قابيل
من شوم الحسد فخاف عليه من حسد اخوته والرؤيا كالرؤية الا انها تختص بالمنام وليس ذلك
سبب سوى تعلق مشيئة الله بخلق ذلك في قلب النائم كما يخلق الرؤية في حالة اليقظة
والقول بانطباع الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها
انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى
فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة
تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة قول لما لم يدل عليه دليل شرعي
ولا عقلي فلا ينبغي ان يفسر به كلام الله تعالى وانما لم يقل فيكيدوك كما قال فكيدوني لتضمنه
معنى الاحتيال ليكون اكد وابلغ في التخويف ولذلك اكده بالمصدر ان الشيطان للانسان
عدو مبين ظاهر العداوة وقع لتوهم استبعاد كيدهم وهم اخوته واولاد الانبياء
وكذلك يجتبيك ربك اى كما اكرمك بهذه الرؤيا في الصغر يكرمك بالرسالة في الكبر
علم ذلك باعلام الله والاخذ من الرؤيا لما روى البخاري انها جزء من النبوة وكان رسول الله
يفسر الرؤيا وتقع على وفق تاويله الاجتباء افتعال من جبيت الشئ اذا جعلته لنفسك
ويعلمك من تاويل الاحاديث من تمام التشبيه كانه قال كما خصك بالرؤيا في الصغر يعلمك
تاويلها في الكبر وكلام مستانف كانه قيل وهو يعلمك والتاويل من الاول وهو الرجوع والمراد
به رد الشئ الى الغاية المرادة منه علما كقوله وما يعلم تاويله الا الله وفعلا كقوله هل ينظرون الا تاويله يوم
ياتي تاويله ومنه الايالة وهي السياسة والنظر في عواقب الامور والاحاديث اسم جمع للحديث
والمراد احاديث النفس في المنام وتاويلها تعبيرها وكان يوسف صلوات الله عليه اعبر
الناس للرؤيا واصدقهم لهجة واشدهم فراسة ولذلك قال لصاحبي السجن لا ياتيكما طعام
ترزقانه الا نباتكما بتاويله قبل ان ياتيكما وقيل اراد معاني كتب الله تعالى وسنن الانبياء
وما اشتبه على الناس من امر الدين وسميت احاديث لانه يحدث بها عن الله ورسله الاولين

الى قوله فبأي حديث بعده يؤمنون الله نزل احسن الحديث ﴿ويتم نعمته عليك﴾ بالنبوة او
بان يصل نعم الدنيا بالآخرة ﴿وعلى آل يعقوب﴾ بنيه فلعله استدل على ذلك بضوء الكواكب ﴿كما
اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحق﴾ باصطفائهما بالرسالة وقيل بانجاء الخليل من النار
واسحق من الذبح لم يذكر بنفسه وان كان من هلاء مكرما هضما لنفسه ﴿ان ربك عليم﴾ كامل العلم
بالاشياء ﴿حكيم﴾ يختار من يشاء بحكمته ﴿لقد كان في يوسف واخوته﴾ اي في شأنهم وقصتهم
﴿آيات للسائلين﴾ ودلائل على كمال قدرة الله تعالى او دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم
لانه اخبر باحسن القصص من غير تعلم ولا مخالطة اهل الكتاب وقرأ ابن كثير آية بالتوحيد على
ارادة الجنس ﴿اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا﴾ ارادوا باخيه بنيامين كان هو
ويوسف من راحيل تزوجها بعد موت ليا بنت خالة يعقوب وكانت ام سبعة من بنيه
وثلاثة منهم كانوا من سريتين تسمى احديهما زلفة والاخرى بلهة وانما افرد احب وان
اريد به المثنى لان افعل التفضيل اذا استعمل بمن لا يثنى ولا يجمع بخلاف المحلى باللام والمضاف
فان المطابقة واجبة في الاول وجائزة في الثاني ﴿ونحن عصبة﴾ والحال انا جماعة اقوياء
وهما صغيران لا كفاية لهما في امر والعصبة من الرجال ما فوق العشرة الى الاربعين من
العصب وهو الشد والاحاطة ﴿ان ابانا لفي ضلال مبين﴾ واضح لايثاره ما لا نفع فيه
ولا كفاية على من هو ظاهر الكفاية والنفع ﴿اقتلوا يوسف﴾ قول بعضهم عند التشاور
﴿او اطرحوه ارضا﴾ من الاراضي البعيدة عن العمران ولنكارتها وابهامها نصبت نصب الظروف
المبهمة ﴿يخل لكم وجه ابيكم﴾ محبته لعدم بقاء من يشغل به قلبه وذكر الوجه لتصوير اقباله
اليهم فان الشخص اذا اقبل على الشيء يقبل بوجهه وقيل الوجه كناية عن الذات ادغم ابو عمرو
في رواية واظهر في اخرى اما لضعف الكلمة والخفة بالحذف واما لان المحذوف كالموجود
﴿وتكونوا من بعده﴾ من بعد يوسف او قبله لتقدم اقتلوا كقوله اعدلوا هو اقرب للتقوى
﴿قوما صالحين﴾ بالتوبة او لعدم بقاء من يصلح له سواكم او يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه
له كقولهم اكله الذئب ويصلح وينتظم امر دنياكم بالظفر بعد وتكونوا مجزوم عطفا
على يخل لكم او نصب باضمار ان والواو بمعنى مع ﴿قال قائل منهم﴾ هو يهودا وقيل روبيل
﴿لا تقتلوا يوسف﴾ فان القتل عظيم يعسر النجاة من تبعته ﴿والقوه في غيابت الجب﴾ غيابة الجب
ما يستر منظره في قعره من جانبه وهو البئر قيل انه لم يطو من الجب وهو القطع وقرأ
نافع غيابات هنا وفي الذي بعده بصيغة الجمع بحمل الجب على الجنس كأنه قال في بعض غيابات
الجب والمبالغة كقول امرئ القيس يزل الغلام الخف عن صهواته ﴿يلتقطه بعض السيارة﴾
يأخذه بعض السابلة كما يلتقط الصبي المنبوذ ﴿ان كنتم فاعلين﴾ ما عزمتم عليه من التفرقة
بينه وبين ابيه او ان كنتم فاعلين ما اشرت به ﴿قالوا يا ابانا ما لك لا تأمنا على يوسف﴾
قالوا ذلك عند التصميم على الكيدية وكان كان يحسبهم او علامات البغض لائحة قد بدت
البغضاء من افواههم قرأ السبعة لا تأمنا باظهار النون الاولى والخلاف في حركتها وبعض

النقلة كابن مجاهد نقل عن السبعة ادغام النون الاولى في الثانية والاشمام وجه الاختلاس
نقل الكلمة فخففت به وتوافق الرسم تقديرا والاختلاس هو الاتيان باكثر الحركة بخلاف
الروم فانه الاتيان باقلها والحكمة في ذلك ان حالة الوقف يستدعي زيادة الخفة و
لهذا كان الاصل فيه السكون ووجه الادغام والاشمام تخفيف ثقل المثلين والاشارة
الى حركة المدغم وهو المختار لحصول كمال الخفة مع موافقة صريح الرسم ﴿وانا له لناصحون﴾
والحال ان حالتنا تقتضي الاعتماد والوثوق اكدوا الكلام ليظهر تحايل الانكار ﴿ارسله
معنا غدا﴾ بعد ان علمت منا النصح ﴿يرتع ويلعب﴾ نتمتع بالفواكه ونلهو بالاستباق و
الانتضال وسائر انواع اللعب واصل الرتع اكل الحيوان ما شاء من غير مانع ومزاحم قرأ نافع
والكوفيون بالياء في الفعلين والكوفيون وابو عمرو وابن عامر بسكون العين في يرتع
وجه الياء اسناد الفعل الى ضمير يوسف والنون اسناده الى ضمير الاخوة وانما جاز منهم
اللعب بسبقه كتبقه او كان لعبهم التسابق والنضال وهما من ادوات الجهاد التي يثاب على
مزاولتهما ووجه اسكان العين وقوعه جواب الامر وكسرها كونها مضارع ارتعى والمختار ب
الياء لكونه ادعى الى الارسال والكسر ليتم سروره باللعب ونفع ماشيته لان ارتعى معناه رعى
الماشية ﴿وانا له لحافظون﴾ اي ان يناله مكروه ﴿قال اني ليحزنني ان تذهبوا به﴾ كان شديد الحب
له ولم يكن معتادا بفراقه ﴿واخاف ان يأكله الذئب﴾ كان ارض كنعان مذأبة وقيل كان
قد راى في المنام ان ذئبا قد شد عليه وكان ذلك تعليما لهم ليعتذروا به في المثل البلاء موكل
بالمنطق قرأ السوسي وورش والكسائي بابدال الهمزة ياء تخفيفا عند القراء ان كل حرف متحركة
اثقل من ساكنه الا الهمزة فان الامر فيها بالعكس ﴿وانتم عنه غافلون﴾ لاشتغالكم بالاستباق
﴿قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة﴾ استبعدوا ذلك لوجود المنافي ﴿انا اذا لخاسرون﴾
جواب القسم واللام في لئن موطئة والمعنى اذا لم نقدر على حفظ واحد منا فنحن خاسرون
مواشينا لكثرتها وتفرقها او نحن احقاء بان يدعى علينا بالخسار ﴿فلما ذهبوا به واجمعوا ان
يجعلوه في غيابت الجب﴾ والبئر على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب وهي بئر معروف وقد تحجب يوسف
لا يخالف فيها احد وما قيل انها بئر بيت المقدس او بئر مصر او بارض الاردن لا اصل له
كيف وقد جاؤوا عشاء يبكون وجواب لما محذوف لا بجالسة السامع او لطوله اي فعلوا به
ما فعلوا روي انهم لما برزوا به الى الصحراء شرعوا في ضربه واهانته وقالوا ادع الشمس
والقمر والاحد عشر كوكبا يسجد والك كلما استغاث بواحد منهم لم يغثه الا بالاهانة
والضرب حتى كادوا ان يقتلوه فقال يهوذا اما عاهدتموني ان لا تقتلوه فلما ارادوا
القاءه في البئر نزعوا عنه قميصه فقال يا اخوتي قميصي اتوارى به فلم يردوه وكان غرضهم
ان يلطخوه بالدم يحتالوا به على ابيهم فلما دلوه الى نصف البئر القوه ليموت وكان في البئر
ماء فسقط في الماء فاوى الى الصخرة فقام عليها وكان جده ابراهيم حين القي في النار جرد
عن ثيابه فاتاه جبرئيل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب

فجعله يعقوب في تميمة وعلقها في عنق يوسف فجاء جبرئيل فاخرجها والبسه
اياه **وأوحينا إليه** اوحي اليه هذا القول **لتنبئنهم بأمرهم هذا** وهذا كما اوحي الى
موسى مع الاجماع على ان النبوة من خواص الرجال وقيل اوحي اليه بالنبوة في الصغر كيحيى وعيسى
والحق في الحديث لا نبوة قبل اربعين سنة وآتيناه الحكم صبيا معناه فهم التورية وعلم الشرائع
وهم لا يشعرون انك ذلك الصبي الملقى في الجب لعلو شانك وعلو سلطانك ولان طول
العهد يغير الحلية ويبدل الشكل وكان في ذلك الايحاء البشارة بنجاته ليتسلى بذلك ويدفع
بذلك الامل وحشة الانفراد قيل لما وردوا عليه ممتازين دعا بالصواع ووضعه
بين يديه وضربه حتى طن ثم قال اخبرني انه كان لكم اخ اسمه يوسف وكنتم احب اليكم
فالقيتموه في الجب وقلتم اكله الذئب ثم بعتموه بثمن بخس ويحتمل ان يتعلق بقوله واوحينا
على معنى آنسناه بالوحي الذي لا مفروح به اعظم منه وهم لا يشعرون بذلك ويحسبون انه في وحشة
وشدة **وجاءوا أباهم عشاء يبكون** متباكين قال لهم ما لكم واين يوسف **قالوا يا أبانا إنا
ذهبنا نستبق** نتسابق افتعل وتفاعل بمعنى وقيل الاستباق التناضل **وتركنا يوسف
عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين** ولو كنا من اهل الصدق
والامانة لشدة حبك اياه وضعوا لو مكان ان اشارة الى ان تصديقهم كالمستحيل عنده
وجاءوا على قميصه بدم كذب ذي كذب او وصف بالمصدر كرجل عدل وهذا هو الوجه لما
روي انه اخذ قميصه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بالدم وقال ما رأيت كاليوم
ذئبا اكل ابني ولم يمزق قميصه وعلى قميصه نصب على الظرف اي فوق قميصه وهو في الاصل
صفة دم قدم للاهتمام **قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا** زينته لكم واصل التسول الاسترخاء
يقال سحاب اسول اي مسترخ وانما علم ذلك بالوحي او بامارة وهي سلامة القميص او بما كان يعرف
من امارات الحسد منهم **فصبر جميل** اي امري صبر جميل وفي الحديث ان الصبر الجميل هو الذي لا شكوى
فيه الى الخلق ولذلك قال انما اشكو بثي وحزني الى الله قيل سقط حاجباه على عينيه وكان يرفعهما
بعصابة فقيل له ما هذا فقال الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب تشكوني
قال يا رب خطيئة فاغفرها لي **والله المستعان على ما تصفون** اي على الوصول الى احتمال ما تصفون اعظم
الامر كقوله فغشيهم من اليم ما غشيهم **وجاءت سيارة** قافلة سميت سيارة لسيرها في
السير قيل جاؤا بعد ثلثة ايام من قبل مدين يسيرون الى مصر فاخطأوا الطريق فنزلوا
قريبا من الجب **فأرسلوا واردهم** رجلا يقال له مالك بن دعر الخزاعي ليطلب لهم الماء والوارد
الذي يرد الماء ويستقي للقوم **فأدلى دلوه** القاه في الجب فتدلى يوسف فلما رآه **قال
يا بشرى هذا غلام** نادى كانه قال تعالي هذا اوانك قرأ الكوفيون بدون الاضافة
والباقون بها الى ياء المتكلم وامال الفه حمزة والكسائي وكذا ابو عمرو وفي اخرى فتح في قصيه
في آخر قال **وأسروه** الضمير لاخوة يوسف كانوا ثمة يرصدون فلما اخرج قالوا كان غلاما لنا
قد ابق فاشتروه منا فسكت يوسف خوفا من القتل او لامر ارادة الله او الوارد واصحابه

واصحابه اخفوه عن الرفقة وقالوا دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر **بضاعة** حال من
المفعول اي اخفوه حال كونه متاعا للتجارة من البضع وهو القطع لانه المال المقطوع
للتجارة **والله عليم بما يعملون** بما عملوا اشارة الى عظم ما ارتكبوه **وشروه** باعوا
من الاضداد يستعمل في البيع والشرى **بثمن بخس** ناقص **دراهم** لا دنانير **معدودة**
تعد عدا ولا توزن قيل كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية **وكانوا فيه من الزاهدين**
من الراغبين عنه والزهد خلاف الرغبة زهد فيه وعنه وبمعنى الضمير في كانوا ان كان لاخوة
يوسف فظاهر وان كان للرفقة الواجدين انما كانوا زاهدين فيه لانهم التقطوه و
الملتقط للشيء غير مبال به لانه لم يتعب في تحصيله ولانه بعرضة ان يظهر له مستحق ينتزعه
فان قلت كيف استقام من اخوة يوسف ارتكاب هذه العظائم وهم اولاد يعقوب نبي الله
وذرية ابراهيم خليل الله قلت لم يثبت نبوتهم ان كان ذلك قبل النبوة وقد نطق آخر السورة
بتوبتهم **وقال الذي اشتراه من مصر** بعد ان باعه اخوته او الرفقة وذهب المشتري
الى مصر رفعه الى السوق فوقع فيه الرغبات حتى اشتريه قطفير وهو العزيز الذي كان
على خزاين مصر بوزنه مرات دراهم ودنانير ان كنت عبدك يا مولاي بمطرحا فعندي فرح
محمولا على الحذق وكان فرعون مصر اذ ذاك ريان بن الوليد وكان يوسف يومئذ من العمر
سبع عشرة سنة فدعى الملك الى الاسلام فابى واستوزره ريان بن الوليد وله من العمر
ثلثون سنة واستخلفه قابوس بن مصعب فمات في حياة يوسف فملك بعده
واستعمل الجوار الله صلوات الله عليه وله من العمر مائة وعشرون سنة و
نقل تابوته الى الحرم الخليل حين خرج فارا من فرعون وبعرسوا اسرائيل وقصد اخراج تابوته
من النيل منصورة **لامرأته** المشهور راعيل او زليخا وقيل راعيل **أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا** بان
يقوم على اموالنا والمتوى المقام **أو نتخذه ولدا** نتبناه وانه كان عقيما وتفرس فيه اثار الرشد
والكفاية **وكذلك مكنا ليوسف في الأرض** كما مكناه الود والمحبة في قلوب الناس
مكناه في الارض واتيناه الملك **ولنعلمه من تأويل الأحاديث** كان ذلك الانجاء والتمكين
والله غالب على أمره ولذلك بلغ شان يوسف ما بلغ وبطل عنه كيد اخوته **ولكن أكثر الناس
لا يعلمون** ذلك ولذلك لا يعقلون امورهم اليه ولا يتأملون في دقايق صنعه وخفايا لطفه
ولما بلغ أشده هو ثماني عشرة سنة وقيل عشرون سنة وقيل اربعون سنة وقيل انقضاء
ثلثين وستون سنة لفظ مفرد كآنك لا ثالث لهما وقيل جمع لا مفرد له كابابيل وعن سيبويه
ان مفرده شدة يقال بلغ الغلام شدته **آتيناه حكما** بين الناس ومكنا لقوله انبئني بن
الملك او نبوة فانها تناسب الحكم **وعلما** مخصوصا به وهو علم تاويل الاحاديث **وكذلك
نجزي المحسنين** وكما جزينا يوسف نجزي المحسنين تنبيه على ان ما ناله من الكرامة كان جزاء
حسن عمله واتقائه في عنفوان شبابه **وراودته التي هو في بيتها عن نفسه** المراودة مفاعلة
من راد يرود وجاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد والمعنى خادعته عن نفسه اي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد ان يخرجه من يده يحتال ان يغلبه عليه ويأخذه منه وهي عبارة عن التمحل لمواقعته اياها
الى الوصول شيء عليها لانه ذكر حاضر مستهجن ولان الموصول ادعى لما كان تقوى يوسف

مصعب فدعاه يوسف الى الايمان

وطهارة ذيله لانه اذا كان في بيتها معدودا من الخدم فهي متمكنة منه غاية التمكن فاذا لم
تنل منه ما رامته كان ذلك لكونه ثابت القدم في باب التقوى وغلقت الابواب كانت سبعة
ولذلك اتى بصيغة التفعيل الدال على التكثير وقالت هيت لك اسم فعل من هيت اذا صاح
ومعناه تعال قراء ابو عمرو والكوفيون بفتح الها والتاء وياء ساكنة وقراء نافع وابن كثير
عامر في رواية ابن ذكوان بكسر الهاء وفي رواية هشام بهمزة مكان الياء وله في التاء وجهان
الفتح والضم ووافقه ابن كثير في الضم الا انه فتح الهاء ولم يهمز ومن ضم التاء جعله ماضيا
من هاء يهيء والتاء ضمير المتكلم واللام صلة له وفي الاول للتبيين كانه قيل الخطاب لك
قال معاذ الله منصوب على المصدر اي اعوذ بالله معاذا انه الشان ربي سيدي احسن
مثواي كيف اخونه في اهله واجازي احسانه بالاساءة وقيل الضمير لله اي كيف اعصي مولاي
الحق المتفضل انه الشان لا يفلح الظالمون ومن يجازي الحسنة بالسيئة ظالم ولقد همت به
وهم بها قصدت مخالطته بعد ان غلقت الابواب وهيئت الاسباب وحصل الميل
المركوز في طبع الرجال فاستمرت على ذلك الهم وصممت العزم وكيف هو النفس الزكية عن
مقتضى ذلك الميل على الفور كما هو شان ارباب التقوى ومن هم بسيئة ولم يفعلها كتبت له
حسنة فهمه صلوات الله عليه من هذا القبيل ومن قال الهم هو القصد والعزم ثم قال المراد
ميل الطبع وذلك لا يدخل تحت التكليف فقد ناقض قوله في التحقيق في هذا المقام ان حديث
النفس منه ما ليس خطوره اختياريا ولا يصدق عليه اسم العزم فذلك غير مواخذ به في ملة من
الملل ومنه ما يكون معزوما عليه وليس معه فعل ولا تصميم فذلك ان كان هما بالحسنة تكتب
حسنة وان كان هما بسيئة فلا تكتب سيئة ما لم يصمم وهذا من خواص هذه الامة تجاوز
الله عن امتي ما حدثت به انفسها ما لم تتكلم او تعمل فان قلت الحديث دل على ان التصميم ايضا غير
مواخذ به لانه جعل الغاية التكلم او الفعل قلت من قبيل المفهوم وقوله في شان المقتول انه كان
حريصا على قتل صاحبه منطوق فلا يعارضه لولا ان راى برهان ربه الدليل القاطع على حرمة
الزنى في جميع الملل وحرمة مجازاة الاحسان بالاساءة وكان عالما باحكام الشرع لقوله في
واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق وقيل تمثل له يعقوب عاضا على اصبعه وقيل ناداه جبر
وليس يستحق نقله وعقله وطمس سوى هذه اهانات وخرافات لا يحل ذكرها وجواب لولا محذوف
اي لخالطها ولا يجوز ان يكون المذكور قبل جوابا لان لولا في حكم الشرط كذلك الكاف منصوب
المحل اي مثل ذلك التثبيت ثبتنا او مرفوعة اي الامر كذلك لنصرف عنه السوء وهو
الخيانة والفحشاء الزنا انه من عبادنا المخلصين المصطفين للرسالة قراء نافع والكوفيون
بفتح اللام والمختار الفتح لتوقف معنى الكسر عليه اذ لا يكون مخلصا الا بعد كونه مخلصا واستبقا
الباب يوسف فارا وهي طالبة له فحذف الجار او الفعل ضمن معنى الابتدار وقدت قميصه
من دبر شقته من ورائه من شدت الجذب والفيا سيدها لدى الباب فصادفها زوجها
على الباب جالسا على عادة الاكابر وسمي الزوج سيدا لانه مالك لبضعها قالت ما جزاء

قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ارادت التبرؤ وايهام انها
الفارة منه وما اما نافية او استفهامية وانما لم يذكر اسمه قصدا الى المبالغة بان من كان
بهذه الصفة يستحق ذلك العقاب يوسف او اكبر منه قال هي راودتني عن نفسي دفع بذلك
وصمة الخيانة لا انه خاف من السجن او العذاب ولهذا لما اراد الملك اخراجه من السجن لم يخرج
حتى امر الملك باستكشاف حاله روى البخاري ان رسول الله قال لو كنت مكان يوسف لاجبت
الداعي اراد الثناء عليه بكمال صبره وانه ثبت في ضيق السجن حتى ظهرت براءة ساحته
وشهد شاهد من اهلها صبي كان هناك وفي الحديث تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون
وصاحب جريج وشاهد يوسف وعيسى بن مريم وليس فيه ما يدل على الحصر فان ابن صاحبة
الاخدود تكلم ايضا وغيره وكان هذا الكلام من الطفل ارهاصا لنبوة يوسف ان كان قميصه
قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين لانها تدل على انها رفعته عن نفسها حين اقبل عليها
او انه جرى خلفها فتعثر في قميصه وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين
لانه هرب منها فجذبته من ورائه فقدم ما يدل على صدقها لانها كانت مدعية فقدم حجتها
فلما راى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن الخطاب لها ولنوابعها او لسائر النساء تغليبا
ان كيدكن عظيم لدقة مسلكه واليه اشار رسول الله بقوله ما رايت اذهب للرجل الحازم
من احديكن وعن مالك بن دينار اني اخاف من شيطان الانس اكثر مما اخاف من شيطان الجن
وذلك لان شيطان الجن يوسوس وشيطان الانس يواجه لاسيما النساء فان جبلة الرجال على
الميل اليهن عن علي ابن ابي طالب لو كانت الدنيا ذهبا وعشت فيها دهرا لم اخف على نفسي منها
ولا آمن على نفسي ان ابيت في بيت ليلة مع عجوز يوسف اعرض عن هذا الحديث ولا تجعله نسيا
منسيا واستغفري لذنبك لم يناداها كما نادى يوسف لشدة موجدته عليها انك كنت من
الخاطئين المتعمدين للذنب من خطئ بالكسر خطا وخطاء وفيه تغليب الذكور كانه اراد المبالغة
لان صفة الرجال اكمل وقال نسوة قيل كن خمسا امراة الساقي والسجان والخباز وصاحب
الدواب وامراة الحاجب اسم جمع ليس له مفرد من لفظه وتانيث الجموع واسمائها غير حقيقي و
لذلك لم يلحق الهاء في المدينة ظرف لقال او صفة نسوة يريد مصر فالعهد خارجي امرات
العزيز تراود فتاها عن نفسه تريد مواقعة عبدها اياها قلن ذلك غيرة وتقبيحا لشانها و
لذلك اضافوها الى بعلها ليشتد الامر ويتضح الانكار والعزيز في مصر هو الوزير والفتى لغة
هو الشاب وفي العرف هو العبد وفي الحديث لا يقل احدكم عبدي وامتي كلكم عباد الله واماء
وليقل فتاي وفتاتي قد شغفها حبا شق شغاف قلبها والشغاف غلاف القلب اصل التركيب
قد شغفها حبه فاوقع الفاعل تمييزا مبالغة انا لنراها في ضلال مبين واضح لاستنزاله
لانها زوجة الملك فكيف رضيت ان يكون عاشقة الغلام فلما سمعت بمكرهن سمعت
مقالتهن سماها مكرا على التشبيه لان الاغتياب يكون خفية كما يكون المكر والخديعة كذلك وقيل
كانت استكتمتهن سرها وافشينه عليها وقيل لم يكن قولهن الا كونهن مفتونات بحبه

فاردن بذلك انقطاعها لتحولهن وجه يوسف ويرده الساق أرسلت إليهن تدعوهن إلى
الاجتماع عندها وأعتدت لهن متكأ ما يتكأ عليه من النمارق والطنافس وآتت كل واحدة
منهن سكينا قصدت بذلك افتضاحهن لانها كانت تعلم ان جمال يوسف اذا ظهر سلب
عقولهن وادهشت فيه انه اذا رأى الخناجر يبهت ويظن انهن قاصدات له فتدعن لها
وقيل متكأ مجلس طعام وشراب لانهم كانوا يتكئون اذا جلسوا للتناول ترفها وعن مجاهد
متكأ طعاما ما يحز حزا كان المعنى معتمدا بالسكين لان القاطع يتكأ على المقطوع وقيل هو
الزماورد وهو الرقاق الملفوف المحشو باللحم وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه
استعظمنه لقائه بوجه الله قيل كان يرى تلألؤ وجهه على الحيطان وقيل اكبرن حضن من شدة
الشبق من قوله اكبرت المرأة اذا حاضت والهاء للمصدر او ليوسف على حذف اللام روي
البخاري ان رسول الله قال رأيته فاذا هو قد اعطي شطر الجمال خف الله واستر ذا الجمال ببرقع
فان لحت حاضت في الخدور العواتق وقطعن أيديهن من فرط الدهشة وقلن حاش لله
معاذ الله كلمة البراءة والتنزيه قيل حرف جر استعمل مصدرا واستدل عليه بما روي به
منونا واليه ذهب سيبويه واستدل ايضا على حرفيتها بعدم وقوعها صلة لموصول وعن
المبرد انها فعل واستدل عليه بقول النابغة وما احاشي من الاقوام من احد ولانه يقال حاشا
لزيد وحرف الجر لا يدخل على مثله واصل الكلمة حاشا بالالف وبه قرأ ابو عمرو في الوصل
والباقون بحذفه وهو لغة الحجاز وعليه رسم المصاحف ما هذا بشرا لان هذا الجمال غير معهود
من البشر ونصب الخبر على لغة الحجاز الحاقا لها بليس بكونها لنفي الحال مثله إن هذا إلا ملك
كريم لانه لم يعهد مثله في الجمال بشر وقد تقرر في النفوس جمال الملائكة ولذلك يشبه بها الصور
الحسان كما يشبه بالشيطان الصورة القبيحة ولا دلالة في هذا على افضلية الملك عند الله
قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ما احسن ما قالت المساعد دع عنك تعنيفي وذق طعم الهوى
فاذا طعمت فعند ذلك عنف واشارت بما وضع للبعيد لعلو شأنه وبعد مقامه عن التصور
ولقد راودته عن نفسه فاستعصم اقرت بما وقع لها مع علمها بان لا لوم ولا عذل لهن
والاستعصام المبالغة في التحفظ ولئن لم يفعل ما آمره الموصول يجوز ان يكون كما في قوله امرتك
الخير لا ليوسف لان الكلام في المأمور به لا المأمور لتعينه وجعله ما مصدرية اي موجب
امري مع تكلفه عائدا الى الاول ليسجنن وليكونا من الصاغرين الاذلاء من صغر بالكسر
يصغر صغارا والنون المؤكدة في ليكونا رسمت الفا اما اجراء للوصل مجرى الوقف او حملا على
التنوين بجامع ان كلا منهما نون ساكنة وقعت طرفا بعد فتحة قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني
إليه اسند الدعوة اليهن كانهن قلن اطع مولاتك واياك والصغار والسجن فالتجأ الى
مولاه وآثر السجن لملاحظة رضاه فان المشاق تتحمل في جنبها ولذلك ترى اهل الصلاح
يلتذون بالعبادات وقيام الليل اكثر مما يلتذون بالماكل والمعازف والنوم على الحرير وإلا
تصرف عني كيدهن حيلهن وخداعهن أصب إليهن امل اليهن من الصبوة وفي المثل لكل

جواد كبوة ولكل حكيم صبوة ولكل صارم نبوة وأكن من الجاهلين بعصيانهم معدودا من
الجهال الذين لا يعلمون عظمة الله ولذلك قيل من عرف الله لم يعصه فاستجاب له ربه اجابه
لسؤاله وهو الدخول في السجن والنجاة من كيدهن قيل انما ابتلي بالسجن حيث اختاره ولو
سأل الله العافية لنجا من كيدهن مع عدم دخوله السجن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجلا يقول اللهم ارزقني الصبر فقال سألت البلاء فاسأل الله العافية فصرف عنه كيدهن
بان عصمه عن ارتكاب المعصية إنه هو السميع لدعاء العليم بمن يصلح للاجابة وعنه صلى الله
عليه وسلم رب اشعث اغبر طويل السفر يرفع يديه يقول اللهم ومأكله ومطعمه حرام وغذي
بالحرام انى يستجاب له ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ظهر لهم للعزيز ومن في داره من الخدم
وامرأته ليسجننه حتى حين الى زمان ثم ينظر في امره وكان العزيز نسي شهادة كالطفل و
القوافي وقطعن ايديهن كأنه لم ينس لكن كان مطاوعا لها على عادة ملوك مصر وقد نقل الجمهور
انه كان عينا هذا وقصد امرأة العزيز انه اذا لبث في السجن برهة من الزمان يختار رضاها
بترك اللجاج ويتزوج فانه صبي لا يقدر على تحمل ضيق السجن وهي تظهر انه حبس لجرمه وهذا
نوع من المكر بعيد الغور ودخل معه السجن فتيان اتفق ان دخل ساعة دخوله من خدم الملك
شخصان آخران الشرابي والخباز قال أحدهما هو الشرابي إني أراني حكاية الماضي بالمستقبل أعصر خمرا
عنبا سماه خمرا باعتبار ما يؤول وقيل الخمر هو العنب بلغة عمان وقال الآخر للخباز إني أراني
أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين تأويل الرؤيا
كان اهل السجن يعرضون الرؤيا عليه فيحسن تأويلها والاولى عدم تقييده بالرؤيا
اي انا نراك من المحسنين فيما تأتي وتذر كان اذا مرض احد من اهل السجن قام عليه وسعى
في امره مجتهدا واذا احتاج احد جمع له وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم
وطال حزنهم فشرع يقول لهم ابشروا واصبروا فان لهذا آخرا وفيه الثواب والاجر فقالوا
بارك الله فيك من يكون يا فتى ما احسن وجهك وما الطف خلقك لقد بورك لنا في جوارك
قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم فقال عامل السجن لو
استطعت خليت سبيلك ثم روي ان الفتيين قالا له انا نحبك فقال اباكما وحبي فوالله ما احبني
احد الا وقد دخل علي من حبه البلاء احبتني عمتي فدخل علي من حبها بلاء واحبني ابي فدخل علي
من حبه بلاء واحبتني زوجة صاحبي فدخل علي من حبها بلاء وعن الشعبي انهما امتحناه فقال
الشرابي اني في بستان فاذا انا بثلاثة عناقيد من العنب فقطعتها وعصرتها في كأس الملك
وسقيته وقال الخباز اني اراني فوق رأسي ثلاث سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير
تأكلن منه والضمير في تأويله راجع الى ما قصصنا عليه قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما
بتأويله قبل أن يأتيكما لما وصفاه بما يعرفان من الاحسان على اهل السجن وصف نفسه بما هو
فوق ذلك وهو الاخبار بالغيب بان يعلم ما يحمل اليهما من الطعام كل وقت ويصف لهما ذلك
ويقع الامر على وفق وصفه وانما ذكر هنا القدر من الثناء على نفسه ليتوصل به الى الدعوة الى

الى التوحيد مع انه ليس كلاما اجنبيا من السؤال لان الاخبار بالغيب يناسب تأويل الرؤيا وهذه مرتبة
الاخبار من الانبياء والعلماء يقدمون الارشاد والهداية بين يدي جواب الفتيا ينبهون بذلك
السائل على ان الاولى والاحق به ما ذكره لا ما سأل عنه ثم وفي حكاية الله ذلك اشارة الى
ان العالم اذا لم يعلم منزلته في العلم فاذا وصف نفسه بما هو عليه في نفس الامر وغرضه
ان لا ينتفع علمه لم يكن ذلك من تزكية النفس المنهي عنها ذلكما مما علمني ربي وحيا والهاما ليس
من الكهانة والتنجيم في شيء اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون دليل
على ان اخباره بالغيب بتعليم من الله بالوحي فان الكهانة والتنجيم فعل اهل الضلال والنفوس الخبيثة
واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب وصف نسبه الظاهر بعد ذكر حسبه تقوية لما هو بصدد
من الدعوة الى التوحيد فان السامع اذا عرف ان طريقة المرشد مسلك الافاضل الاخيار يزداد وثوقه
ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء ما استقام لنا معشر الانبياء الاشراك بالله اي شيء كان
ذلك التوحيد من فضل الله علينا معشر الانبياء وعلى الناس المرسل اليهم باتباعنا ولكن اكثر الناس
لا يشكرون نعمة الله بل يقابلونها بالكفر يا صاحبي السجن يريد صاحبي او يا ساكنيه
فيه كالاضافة في كوكب الخرقاء وسارق الليلة او الصاحب بمعنى الساكن نحو اصحاب الجنة واصحاب
النار ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار كل شيء تحت حكمه وسلطانه ثم بين ما به
لهم في عبادة الله وعبادة الاصنام لانهم كانوا يعبدون الاصنام ما تعبدون من دونه الا اسماء
سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان اي الا ما اوهم الكلام الكاذب من كون الارباب
لها معنى الربوبية في الجملة كما تقدم ان الحجر اذا سمي بالذهب لا حاصل له الا ذلك الاسم والضمير في
تعبدون لهما ولمن على دينهما على التغليب ان الحكم في امر العبادة الا لله لا يشركه فيه احد
امر الا تعبدوا الا اياه بيان لما حكم به ذلك الدين القيم المستقيم الذي لا عوج به او الذي لا
يزول ولا يختلف باختلاف الشرائع ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك فيتعبون في الضلالة
يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا يريد الشرابي لانه الذي رأى عصر الخمر في كاس الملك
واما الآخر يريد الخباز فيصلب فتأكل الطير من رأسه فلما قص الرؤيا على الوجه المذكور
قال الخباز ما رأيت شيئا وانما قلته امتحانا فقال قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي ما
قلته كائن لا محالة سواء كنت كاذبا او صادقا وانما وحد الامر وان كان الرؤيا امرين لانهما
اراد استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال للذي ظن انه ناج منهما وانما عبر عن معتقده بالظن
لان التأويل كان بالاجتهاد وقيل الظان الشرابي والاولى ان يكون الظن بمعنى اليقين من يوسف
ليلايم جزمه بالاخبار بالغيب اذكرني عند ربك باني محبوس ظلما فانساه الشيطان ذكر ربه
اسناد الى السبب لان النسيان حصل بوسوسة فلبث في السجن بضع سنين البضع ما بين الثلث
الى التسع من البضع وهو القطع قيل الحكمة في ذلك الانساء عتاب يوسف كيف لم يتكل على لطف الله و
يستغن به عن الاستعانة بالمخلوق هلا سلك سبيل جده خليل الله لما جاءه جبرائيل وهو في المنجنيق
وقال له هل من حاجة يا خليل الله قال اما اليك فلا فقال اسئل ربك قال علمه بحالي يغنيني عن سؤالي

يغنيني عن سؤالي وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان لما دنى فرجه قدر مسبب الاسباب ان رأى
ملك مصر رؤيا هائلة عجيبة رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت
العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات قد ادركت بلغت
اوان الحصاد فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حال السنابل
بما قص من حال البقرات وانما جعل السمان صفة المميز هو المقصود والوصف مخل يأكلهن
سبع عجاف حذف المميز للعلم به وجعل الوصف للعدد دلالة على ان العجاف سبع ليس الا
وان السمان لا ينحصر في السبع هذا طبق الواقع لقلة الشدة وكثرة الرخاء والقول بان التمييز
موضوع لبيان الجنس والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده ولذلك لم يضف فيه ان
ذلك اذا لم يكن قرينة ذكر البقرات جمع العجاف على عجاف وان لم يجمع فعلاء على فعال
حملا له على سمان لانه نقيضه وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر يابسات و
سبعا اخر يابسات وانما علم كونها سبعا لانصباب الكلام الى هذا العدد وانما حذفه لتكون
كما حذف البقرات من العجاف ولا يجوز عطف اخر على سنبلات خضر ليكون مجرورا مميزا
للسبع المذكور لان لفظ اخر يقتضي المغايرة فيؤدي الى التدافع يا ايها الملأ افتوني
في رؤياي عبروها نادى الاشراف لزيادة معرفتهم وللوثوق بهم وكانه آثر لفظ
الافتاء للاشكال ان كنتم للرؤيا تعبرون اللام للتقوية لان الفعل يضعف بتقدم المعمول
عليه كقولك لزيد ضربت ويجوز ان يكون الجار والمجرور خبر كان وتعبرون خبرا آخر او حالا
او ضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا وحقيقة
عبرت الرؤيا عبرت الى المقصود منها وجاوزتها كما تقول عبرت النهر اذا جاوزته وعبرت
لغتان قالوا اضغاث احلام جمع ضغث وهو قبض حشيش مختلط رطبه باليابس استعير
للرؤيا التي لا يعرف وجهها ولا يوجد لها اصل تؤول اليه والاحلام جمع حلم وهو ما
يراه النائم وما رآه الملك وان كان رؤيا واحدة الا انهم جمعوا للمبالغة في وصف الحلم
بالبطلان او يكون قد قص عليهم في تلك الايام منامات اخر وما نحن بتأويل الاحلام
بعالمين اي الاحلام المذكورة لانها نكرة اعيدت معرفة حملها على اعتراف بانهم ليسوا
في علم التعبير نحارير فيه ان قولهم اضغاث احلام ينافيه لاقتضائه ان لهم علما رصينا بما ليس
من هذا القبيل وقال الذي نجا منهما الشرابي الذي نجا مما قاله يوسف من ذكره للملك وادكر بعد
امة مدة من الزمان طويلة والجملة معترضة انا انبئكم بتأويله فارسلون الى يوسف فارسلوه فلما
جاء وقال له يوسف ايها الصديق ايها البليغ في الصدق الراسخ فيه شاهد ذلك منه في السجن
لاستماع رؤياه ورؤيا رفيقه فانه كان برهانا جليا افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع
عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات فهم رؤيا الملك لعلي ارجع الى الناس بما تؤول به
وانما لم يجزم بالرجوع لانه بصدد الاخترام لعلهم يعلمون فدركه ويكون سببا لنجاتك
لم يجزم بعلمهم فضله لانه كان مسجونا بعد ما رأوا وامثاله الآيات الدالة على طهارة ذيله وبناه

شأنه ثم لم يؤمن بذلك فلا يبعد منه ان يجهل قدره بعد تأويل الرؤيا قال تزرعون سبع
سنين دأبا خبر في معنى الأمر وهو ابلغ من صريحه ودأبا بسكون الهمزة وحركتها مصدر دأب
في العمل اذا لازمه واعتاده بالفتح وانخفض فما حصدتم فذروه في سنبله لئلا يسوس اعتراض
منه قبل تمام تأويل الرؤيا نصحا لهم كأنه قد وقع ما اخبرهم به فهو يأمرهم بما فيه صلاحهم
الا قليلا مما تأكلون فانه يداس ويصفى ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم
لهن في تلك السنين باسناد الأكل الى السنين مجاز الا قليلا مما تحصنون تحفظونه للبذر
ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس من الغوث او الغيث يقال استغثته طلبت منه
الغوث او الغيث فأغاثني من الغوث وغاثني من الغيث قال ذو الرمة قاتل الله امة بني
فلان ما افصحها قلت كيف كان المطر عندكم قالت غثنا ما شئنا وفيه يعصرون العنب
والزيتون وسائر ما يعصر من الفواكه والحبوب لكثرتها وعموم الخصب قرأ حمزة والكسائي تعصرون
بالخطاب تغليبا على نمط تزرعون وتأكلون بشارة بشرهم بها بعد تأويل الرؤيا علم ذلك
بالوحي لان انتهاء الجدب بالخصب وان كان معلوما لكن لا على الوجه الذي اخبر به من عمومه
وبلوغه الغاية حتى يتجر وامن تلك الاصناف وفي تكريره وتقديم ما يتبدأ اعتناء وكونه مسندا
الى الوحي وقال الملك ائتوني به بعدما بلغه الرسول تأويل الرؤيا وتعجبه ذلك طلب
مشاهدته ومشافهته فلما جاءه الرسول واخبره ان الملك طلبه قال ارجع الى ربك
لم يقل فعال ايماء الى انه قاله من غير تأمل ولا توقف حتى كأنه لم يتعاقب كلامه كلام الرسول
وفي ذلك زيادة ثناء عليه بأن تلك المشقة العظيمة في تلك المدة المستطيلة لم يؤثر فيه بل كان
رأيه ونكص على الاستقامة ولذلك اثنى عليه سيد الرسل وقال لو لبثت ما لبث لأجبت الداعي
يشير الى علو همته وانه من الصبر والاستقامة بمكان فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن
ايديهن كان غرضه تصديقه في ذلك عرضا صحيحا اخاف كيد الحاسدين فرم لحزمه وفي الحديث
لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين فاراد ان يبرئ ساحته ويسد طريق المكر والتهمة على الحاسدين
ويظهره لذلك للناس ولم يذكر امرأته وان كانت هي السبب الكلي تحاشيا عن ذكر سيدته بما فيه شين
اطلاق النسوة وان كن توابع ان ربي بكيدهن عليم كامل العلم وان كان كيدهن عظيما بعيد الغور
قال ما خطبكن لما رجع الرسول واخبر الملك بمقالة يوسف جمع النسوة وخاطبهن والخطاب للكل
والشأن المشتهر في الامر العظيم لانه الذي يسأل عن سببه ويقع التخاطب فيه اذ راودتن يوسف
عن نفسه جعل المراودة منهن اذ لا انكار فيه قلن حاش لله اعترفن بالمراودة وبراءة ساحة يوسف
عن الميل الى قولهن ما علمنا عليه من سوء قط لا منا دعونا اليه ولا تحرزه زاد في الجواب
ثناء عليه قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق ظهر وبان لانه كان قبل مستورا انا راودته
عن نفسه وانه لمن الصادقين اعترافا للخصم بان غريمه على الحق وهو على الباطل لا يكون ابلغ منه
في الثناء وانبع للشعب فلم يكتف بتصديقه في القصة المذكورة بل ادرجته في زمرة المتصفين
بالصدق على الدوام الملازمين له ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب كلام يوسف مع الرسول لما عاد

لما عاد اليه اي ذلك التثبت كان ليعلم الملك انه لما جعلني امينا في اهله لم يقع مني خيانة فيه
ان تشبثوا بها الجار والمجرور حال من الفاعل والمفعول على معنى انا غائب عنه خفي عن عينه
او غائب عني عيني ويجوز ان يكون القائل امرأة العزيز اي ليعلم يوسف اني لم اخنه بالغيب
بل ذكرت ما هو الواقع او القائل يوسف والضمير لله اي ليعلم الله اني لم اخنه لان المعصية
خيانة في الدين لكن قوله بالغيب على هذا الوجه ليس له ذلك الانطباق وان الله لا يهدي
كيد الخائنين لا ينفذ كيدهم ولا ما توسلوا به اليه والهداية لو كانت كانت لهم وانما اوقعت
على الكيد ثم نفيت مبالغة وفيه تعريض بامرأة العزيز ان كان هذا قول يوسف بان كيدها
لم ينتج شيئا وما ابرئ نفسي لما ظهرت براءته وكان قصده في ذلك دفع وصمة الخيانة تواضع
لله لئلا يكون مزكيا نفسه معجبا بذلك وجعله من قول امرأة العزيز بعيد كيف وقد صح انها كان
منبع الفساد ان النفس لأمارة بالسوء اما في هذه الحادثة فلما وقع منه من الهم ولا شك انه فعل
النفس واما في احوالها كلها فان جبلتها على ذلك او لم يرد نفسه بل اراد الجنس وان هذا شأنها
سواء كانت نبيا او غيره ولهذا استثنى بقوله الا ما رحم ربي الا وقت رحمة ربي او الا نفسا
رحمها ربي فعصمها وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لكن رحمة ربي هي التي تصرف السوء اشارة الى
قوله كذلك لنصرف عنه السوء واعترافا به ان ربي غفور للذنوب بعد وقوعها رحيم يرحم
من يشاء بالعصمة وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي لا يشاركني فيه احد لعظم امانته
وكمال ديانته فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة رفيعة امين مؤتمن
اطلقه ليتناول كل شيء يحتاج اليه من الاموال وعن وهب روي انه لما خرج من السجن دعا لاهله و
قال اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار وكتب على باب السجن هذه منازل
البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل ولبس ثيابا جددا وتوجه
فلما اراد الدخول على الملك قال اللهم اني اسألك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك من شره
فلما دخل سلم عليه ودعا له بالعبرانية فسأله عنها فقال لسان ابائي وقيل توفي العزيز في تلك
الليالي فتزوج يوسف امرأته فوجدها عذراء وكان عاقبة المغوي ان ورثه الله ارضهم و
ديارهم قال اجعلني على خزائن الارض يريد ارض مصر وكان غرضه في ذلك الاحسان على الناس
ورعاية المحاويج والفقراء في ايام الشدة والغلاء اني حفيظ عليم شديد الحفظ من الضياع
كامل العلم بمصالحه وفيه وجوه المكاسب وهذا اشارة الى ان الطرق والفضل لنفع الخلق لا للترفع
وتزكية النفس وعن مجاهد ان الملك اسلم على يديه وان كان كافرا فانما تولى منه يوسف لصلاح
الكافة كما تولى القضاء العادلة من الامراء الظلمة والملوك الفسقة وكذلك مكنا ليوسف
في الارض اي كما مكنا له عند الملك مكنا له في ارض مصر يتبوأ
منها حيث يشاء اي مكان اراد ان يتخذه منزلا اتخذه من غير مانع والمزاحم روي ان الملك
توجه وختمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا باللؤلؤ والياقوت فقال
يوسف اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي

وثياب ابلى فقال قد وضعته لجلال الله واقرارا بفضله فجلس على السرير وشاع امره وحسنت
سيرته واحبته الخلق وباع الطعام اول سنة من سني القحط بالدراهم والدنانير وفي
السنة الثانية بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم فانه كان
مشروعا في شرعه ثم قال للملك كيف رايت وماذا ترى قال الامر اليك والرأي ما رايت
قال فاني اشهد الله واشهدك اني اعتقت اهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم اموالهم نصيب
برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين اما في الدنيا او في الاخرة او فيهما على حسب ما اقتضته
الحكمة وجرت به المشيئة ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون المعاصي والمعنى
ان المؤمن المتقي يؤجر على حسناته في الدنيا والاخرة ولكن بين الاجرين بون بعيد اشارة
الى ان ماناله من ملك الدنيا نزر يسير بالنسبة الى ما اعده الله له من المنازل ولذلك لم يرض
الابد له وقال توفني مسلما والحقني بالصالحين وجاء اخوة يوسف اصاب ارض الشام ما اصاب
ارض مصر من السنة فارسل يعقوب بنيه للميرة واحتبس بنيامين شقيق يوسف يتسلى به فدخلوا
عليه فعرفهم وهم له منكرون لم يعرفوه لانه فارقهم في سن الحداثة ولانهم راوه في هيئة الملك
على سرير مرصع وعلى راسه تاج مكلل وراوه من بعيد بين يديه الحجاب ولم ينظروا اليه نظرا
بملء كعين وانما عرفهم لعدم تغير زيهم ولانه فارقهم وهم رجال وعن ما عرفهم الا بعد ان
تعرفوا له فانه كان يتوسم في وجوه الواردين وكانت همته مصروفة الى ان يقف على حالهم وعلى
حال ابيه المحزون ولما جهزهم بجهازهم هيأهم للسفر وجهاز السفر بالفتح والكسر ما يحتاج اليه في السفر
من الزاد والراحلة قال ائتوني باخ لكم من ابيكم لما دخلوا عليه كلموه بالعبرانية فقال لهم اخبروني
من انتم وما شأنكم فاني انكركم قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة من اصابنا الجهد جئنا نمتار
قال لعلكم عيون تنظرون عورة هذه البلاد قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صديق
نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد فقال وكم انتم قالوا
عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به عن اخيه الهالك قال من يشهد لكم قالوا
انا ببلاد لا يعرفنا فيها احد قال فدعوا بعضكم رهينا وائتوني باخيكم من ابيكم يحمل رسالة ابيكم
نا فاقترعوا بينهم فوقعت القرعة على شمعون فخلفوه عنده وكان قد احسن اليهم واكرم نزلهم وقيل
كان لم يرد كل شخص على حمل فسالوا حملا زائدا لذلك الاخ الذي يأتون به فاعطاهم الا ترون
اني اوفي الكيل ولا ابخس احدا وانا خير المنزلين وكانوا غابوا منه ذلك فان لم تأتوني به
فلا كيل لكم عندي ولا تقربون لا تعودوا الى هذه البلاد فانكم كذبة خونة ولا تقربوا اما
نهي معطوف على محل الجزاء الى ان لم يأتوا به يجمعوا بين حرمان الكيل وعدم القرب او نفي
قالوا سنراود عنه اباه سنخادعه ونجتهد في تحصيله وانا لفاعلون ذلك لا محالة لكمال
قدرتنا على ذلك بحيث لا مجال للشبهة كلام محقق بالوفاء وانجاز الوعد وقال لفتيانه اجعلوا
بضاعتهم في رحالهم امر غلمانه الكائلين ان يجعلوا بضاعة اخوته في رحالهم بحيث لا يعلمون ذلك
وقرأ حمزة والكسائي وحفص لفتيانه والباقون فتيته فالاول جمع الكثرة لفتى والثاني جمع القلة

جمع القلة لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم وفتحوا الاعمال لعلهم يرجعون لانهم لا يستحلون
اخذ البدلين او لعلهم يعرفون حق التكرم بردها مع البدل لعلهم يرجعون لذلك الاحسان
وشكره فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل ان لم ترسل معنا اخانا بنيامين فارسل
معنا اخانا نكتل صريح في ان منع الكيل مشروط بعدم مجيئه الى الملك معهم وقرأ حمزة والكسائي
بالياء باسناد الفعل الى الاخ والباقون بالنون للمتكلم وانا له لحافظون البتة لا نالوه
مكروها قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل حين قلتم يا ابانا لا تامنا على يوسف
وانا له لحافظون قد قلتم في يوسف ما تقولونه الآن في اخيه فالله خير حافظا منكم فاتوكل
عليه قرأ حمزة والكسائي وحفص على وزن فاعل وهو تمييز كقولك طاب زيد فارسا وقيل
حال ومنعه ابو علي وقرأ الباقون حفظا وهو ابلغ وعليه الرسم وهو ارحم الراحمين فارجو
ان لا يجمع علي مصيبتين فيرده الي الاتيان عن الحد ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم
قالوا يا ابانا ما نبغي ما نافية والبغي تجاوز الحد والمعنى ما نزيد في وصف الملك الاحسان
علينا والاكرام وكانوا قبل فتح المتاع اخبروه بان اكرمهم غاية الاكرام حتى لو كان رجلا من آل
يعقوب لما فعل معهم ما فعل او البغي هو الطلب والمعنى ما نطلب وراء ما فعل بنا من الاحسان
شيئا او نطلب بضاعة اخرى منه هذه بضاعتنا ردت الينا كافية لنا وعلى الوجهين الاولين
جملة مستأنفة جارية مجرى الدليل ونمير اهلنا عطف على مقدر اي ردت بضاعتنا الينا
فنستظهر بها ونمير بالرجوع الى الملك ونحفظ اخانا عما نخاف عليه في الذهاب والاياب ونزداد
كيل بعير ما يحمله بعير باستصحاب اخينا لان يوسف كان في زمن الغلاء يقسط فلا يزيد كل شخص على
حمل ويجوز على الاول عطف الجمل على قوله ما نبغي على معنى لا نزيد فيما نقول ونمير اهلنا ونفعل
كيت وكيت ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ كانه قيل وينبغي ان نمير اهلنا كما تقول سعيت في
حاجة زيد وينبغي لي ان اسعى ويجب علي ان لا اقصر ذلك كيل يسير مكيل قليل ان لم يكن اخوهم
معهم حثا لابيهم على ارسال اخيه او ذلك اشارة الى كيل بعير كانه قال ابوهم من اين لكم العلم بان
الملك يسمح لكم بحمل بعير فقال ذلك كيل يسير لا يضايقنا فيه لجوده وشدة عطفه على الغرباء
الواردين من شقة بعيدة وقيل ذلك من كلام يعقوب يريد ان حمل بعير شيء نزر لا غناء
له فلا يقدر على فراق ابنه لذلك القدر ويرده قال لن ارسله معكم اذ لو كان ذلك من كلامه
لم يكن لقال وجه فانه ابتداء حكاية كلامه بعد تمام كلام بنيه حتى تؤتون موثقا من الله
الموثق والميثاق هو العهد المؤكد بالايمان اراد تحليفهم وتوكيد عهدهم لتأتنني به جواب
القسم الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا بالموت عن آخركم من قولهم احيط بفلان اذا اهلك
ومنه قوله تعالى واحيط بثمره او الا ان تغلبوا وتمنعوا من الحياطة وهي الحفظ والمنع ومنه
الحائط والاستثناء من اعم الاحوال اي لتأتنني به على كل حالة الا حالة الاحاطة او من اعم
العلل كانه قال لا تمتنعوا من الاتيان به لامر الا لاحاطة بكم فلما آتوه موثقهم عهدهم
المؤكد باليمين قال الله على ما نقول وكيل حفيظ ورقيب هو للخطاب بوفا

العهد والميثاق وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة كانوا ذوي جمال
وابهة خاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة ان يعانوا ولم يقيد في المرة الاولى لانهم ما كانوا
قد اشتهروا وقيل انما احتاط على بنيامين وتاثير العين بقوة اودعها الله في بعض العيون و
سيأتي في سبب نزول قوله تعالى وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم وما اغني عنكم
من الله من شيء فائدة دفع ما تكيده الشيطان وساوسه بان لو فعلت كذا لتم لم ينفع ان الحكم الا لله
متفرد به يفعل ما يشاء لو شاء اصابتكم بشيء لا ينفع الحيل ولا الحذر عليه توكلت لا على غيري من
بالاخوة والعهد والميثاق فان تلك الوسائل لا تنافي التوكل وذلك كلبس رسول الله لامتين يوم
احد وعليه فليتوكل المتوكلون الكاملون في الاتكال حتى على ما اتخذه لنفسه ليقتدي به وتقديم الجار
في الفعلين للاختصاص وجمع بين الواو العاطفة والفاء لقصد الجمع والسببية ولما دخلوا
من حيث امرهم ابوهم من ابواب متفرقة ما كان يغني عنهم راي يعقوب وتفرقهم من الله من شيء
قط اخذوا بالسرقة وحصل لهم الشتات والتفرق ورجعوا الى ابيهم بخبر احزن من خبر يوسف الا
حاجة في نفس يعقوب استثناء منقطع اي لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها على شفقته عليهم و
اظهارها لهم وانه لذو علم ولذلك قال لهم وما اغني عنكم من الله من شيء اعترافا بان الحذر لا
يرد شيئا من القدر لما علمناه لتعليمنا اياه بالوحي اسناد عليه كقوله وعلمك ما لم تكن تعلم و
لكن اكثر الناس لا يعلمون ما علمه يعقوب ويحسبون ان الحذر يدفع القدر كمن يفر من الطاعون
اذا رفع بارض ولا توكل من به جرب ونحوه ولما دخلوا على يوسف اوى اليه روى انهم دخلوا به
على يوسف وقالوا هذا اخونا قد جئناك به فقال احسنتم ستجدون ذلك عندي فانزلهم واكرمهم
فلما اصبح اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة بقي اخوه منفردا ليس له اخ يواكله فجعل يبكي
وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم وحيدا فاجلسه على مائدته
ثم انزل كل اثنين بيتا وقال هذا لا ثاني له فلينزل عندنا فبات يوسف يشم رائحته الى الصباح
فلما اصبح سأله عن اخيه الهالك وقال أتحب ان اكون لك اخا بدله فقال من يجد مثلك اخا ولكن
لم يلدك يعقوب فبكى يوسف وقال بل ولدني يعقوب وراحيل قال اني انا اخوك يوسف فقام
اليه وعانقه فلا تبتئس بما كانوا يعملون فلا تحزن افتعال من البؤس فلما جهزهم بجهازهم
فان قلت لماذا ذكر تجهيزهم اولا بالواو وثانيا بالفاء قلت لم يتقدم هناك منه وعد فعطف
القصة على القصة وهنا كان قد تقدم منهم اذا جاؤوا باخيهم يجهزهم ويكرمهم جعل السقاية
في رحل اخيه هي المشربة التي كان يشرب بها مرصعة بالجواهر كانت صاعا يكال به ولعله لما جعل
صاعا في ايام القحط لئلا يقع التبديل بل يعزها ويجل الناس ثم اذن مؤذن نادى منادي من
الاذان وهو الاعلام يقال اذن اي اعلم واذن اكثر الاعلام ولذلك سمي المنادي الى
الصلوة مؤذنا لكثرة وقوعه منه وتكرره ايتها العير انكم لسارقون العير القافلة لانها تعير
اي تجيء وتذهب وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير وكانه جمع عير واصله عير بضم
العين كحمر فعل به ما فعل ببيض وعين انكم لسارقون مقول المؤذن او قاله يوسف واراد به

واراد نفسه لما سرقوه من ابيه وباعوه والحق ان يوسف حر لم يقع عليه اسم المال ولا يصدق على غلام
اسم المسروق بل اطلاق السرقة على وجدان الصاع في رحلهم مجاز بحسب الصورة قالوا واقبلوا
عليهم ماذا تفقدون فقدتموه الفقد غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه قالوا نفقد صواع
الملك هي السقاية المذكورة ولمن جاء به حمل بعير جعلا له وفيه دليل على مشروعية الجعالة ان كان
شرع من قبلنا شرع لنا وانا به زعيم هنا من التزم القيام به وفيه دليل على جواز ضمان الجعل قبل
تمام العمل قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض استشهدوا بعلمهم
على براءتهم لما ثبت عندهم من دلائل ديانتهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك ولانهم دخلوا وافواه
رواحلهم مكعومة لئلا يتناول زرعا في سيرها ولانهم ردوا البضاعة التي دسها الفتيان
وما كنا سارقين يوما من الدهر قالوا فما جزاؤه اي الصاع المسروق او السارق منكم ان كنتم كاذبين
في نفي السرقة قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كان في شرع يعقوب استرقاق السارق
سنة وقولهم فهو جزاؤه تقرير للحكم باعادة ثم لافادة حقيته والاحتياط به كقول المجيب بعد
تحقيق للمسألة هذا الامر فيه والشرطية خبر المبتدا تقديره جزاؤه من وجد في رحله فهو
الجزاء ووضع المظهر موضع المضمر مبالغة في عدم اللبس وجزاؤه خبر مبتدا محذوف كانه قيل
المسؤول عنه جزاؤه وتحقيقا للمراد بقولهم فما جزاؤه ان كنتم كاذبين ثم اجابوا عن السؤال بقولهم
من وجد في رحله فهو جزاؤه وهذا كما اذا سئل عن جزاء صيد الحرم تقول جزاء صيد الحرم من
قتله متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم كذلك نجزي الظالمين اي السارقين او كل ظالم نجزيه
على قدر جنايته كجزائنا السارق فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه لانهم لو فتشوا وعاءه
قبل الكل ربما اوهم انه احتيال وتكلف ولذلك روي انهم لما فتشوا الاحمال ولم يبق الا رحل
بنيامين قال يوسف لا حاجة الى تفتيش حمله فقال اخوة يوسف لا بد منه لتطيب نفس يوسف
ولا يبقى له ريبة ثم استخرجها من وعاء اخيه وفيه دلالة على انهم لبثوا زمانا بعد تفتيش الاحمال
ولم يبادروا الى الحملة لابعاد الظنون عن ارتكاب الحيلة في شانه كذلك كدنا ليوسف كان
صورة الكيد ولذلك بينه بقوله ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك اي ملك مصر فان كان الحكم
في دينه ضرب السارق واخذ ضعف ما اخذ دون الاسترقاق ومثله جائز للتوصل الى الحق
كقول ابراهيم عليه السلام لسارة انها اختي الا ان يشاء الله اي الا ان يشاء الله ان يجعل
ذلك الحكم دين الملك او الاستثناء منقطع اي لكن اقتضت مشيته ذلك وان لم يكن في دين الملك
نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجات يوسف عليه السلام وقرأ الكوفيون بالتنوين
الاضافة ابلغ مدحا وفوق كل ذي علم عليم اي فوق كل فرد من العلماء عالم كامل العلم وهو الله
تعالى اشارة الى ان يوسف مع كونه راسخ القدم في العلم وقد بلغ من علمه ان قال لصاحبي السجن
لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتاويله قبل ان ياتيكما لم يتوصل الى تحصيل اخيه الا باعلام
الله تعالى اياه بالوحي وسقط بهذا قول من استدل به على انه تعالى عالم بالذات لا بالعلم والا كان فوقه
تعالى ذو علم وقيل الكلام في الخلق فيسقط الاستدلال من اصله والمعنى على هذا ان يوسف فاق

اخوته وان كانوا علماء والوجه هو الاول لقوله كذلك كدنا ليوسف قالوا ان يسرق بنيامين
فقد سرق اخ له من قبل يريدون يوسف روي انهم لما اخرجوا السقاية من رحله نكس اخوته
رؤسهم حياء وقالوا ما ذا فعلت بنا قد سودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء
فقال بنيامين بل بنو راحيل لم يزل لهم منكم بلاء وضع في رحلي السقاية من وضع في رحلكم
البضاعة واما سرقة يوسف عليه السلام فقيل كان قد اخذ صنما من اصنام جده فكسره
والقاه في الجيف وقيل كان في البيت دجاجة او عناق فاعطاها السائل وقيل كانت
لابراهيم منطقة يتوارثها اكابر اولاده فورثها اسحق ثم بعد اسحق وقعت الى ابنته
وهي كانت اكبر من يعقوب وكانت حاضنة يوسف فاراد يعقوب انتزاعه منها وكانت
شديدة الحب له فاحتالت عليه بان شدت المنطقة على وسط يوسف تحت ثيابه ثم شرعت
تفتش عنها واظهرت انها سرقت ثم فتشت يوسف فاستخرجت من تحت ثيابه فصارت
احق به لان جزاء السرقة هو السارق في شرع يعقوب كما تقدم فاسرها يوسف في نفسه
ولم يبدها لهم اي تلك المقالة او نسبة السرقة قال انتم شر مكانا اي منزلة لانكم سرقتم
يوسف من ابيه قاله في نفسه لان قوله تعالى قال انتم شر مكانا بدل من قوله اسرها يوسف
والهاء مفسرة بقوله انتم شر مكانا على تأويل الكلمة او الجملة كما في قوله ووصى بها ابراهيم
وليس من التفسير بالجملة والله اعلم بما تصفون اي ان الامر ليس كما تقولون لا سرقت انا ولا اخي
قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا في السن او في القدر استعطفوه عليه فخذ
احدنا مكانه ان اخاه قد هلك وهو عليه ثكلان يستأنس به انا نراك من المحسنين
الينا وتمام الانعام الانعام او قد عم الورى احسانك فنحن احق بذلك وقد شرحنا لك
حال ابينا قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده من ان ناخذ غيره فاضيف
المصدر الى المفعول به وحذف من انا اذا لظالمون في زعمكم فكيف يجوز لكم خلافه
وكيف يسعكم مخالفة ما افتيتم به وقد اوحي فيه ان الله امرني باخذه فكيف يسعني مخالفته
لو فعلت ما تقولونه لكنت من الظالمين المجاوزين ما امر الله به فلما استيأسوا منه
حصل لهم اليأس الكلي من جوابه القاطع وقرأ ابن كثير في رواية البزي بابدال الهمزة الفا
بعد القلب مكانا كما في تاء فاعطي كل من الهمزة والياء صفة الآخر من الحركة والسكون لحلوله
محله خلصوا نجيا انفردوا عن الخلق متناجين مصدر بمعنى التناجي وهو الكلام الذي
يسار به ولذلك لم يجمع وعن الاخفش يقال للجماعة نجي كما يقال الصديق لانه على وزن المصدر
والجمع الجند قال اذا ما القوم كانوا الجند قال كبيرهم في السن وهو روبيل او في الرأي
وهو شمعون او يهودا الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا عهدا مؤكدا من الله
من جهته ومن قبل ما فرطتم في يوسف ما زائدة اي من قبل هذا قصرتم في شان يوسف
ولم تحفظوا عهد ابيكم او مصدرية محل بدخولها الرفع على الابتداء وخبره الظرف والمعنى
وقع من قبل تفريطكم في يوسف او النصب عطف على مفعول الم تعلموا وهو ان اباكم كانه

كانه قيل الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم وتفريطكم من قبل في يوسف او موصولة والمعنى ومن قبل
ما فرطتموه في يوسف اي قدمتموه في حقه من الخيانة ومحله الرفع او النصب على الوجهين فلن ابرح
الارض ارض مصر حتى ياذن لي ابي اي في الرجوع اليه ويحكم الله لي بالخروج
منها اذ لا راد لحكمه ولا دافع لقضائه او يحكم بخلاص اخي وقيل او بالمقاتلة مع اهل مصر وفيه
بعد وهو خير الحاكمين اذ من سواه يحتمل السهو والنسيان والغرض في احكامه ارجعوا الى
ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق سرقة لا ريب فيها وقرئ سرق اي نسب الى السرقة روي
ان ابن سيرين راى يوسف في منامه فقال له يوسف لم تقرأ يا ابن سيرين قوله تعالى ان ابنك
سرق على بناء المفعول فقال لانه لم يكن سارقا سارقا فقال له يوسف افتح فاك ففتحه فبرق
من ريقه في فم ابن سيرين فالهمه الله تاويل الرؤيا ببركته ذلك الريق وما شهدنا الا بما علمنا
بتيقننا باخراج الصواع من وعائه ولا نشهد ابين من هذا وما كنا للغيب حافظين ما غاب
عنا اهل يسرق ام دس الصواع في رحله او ما كنا عالمين بعواقب الامور حين اعطيناك الموثق
انك تصاب به كما اصبت بيوسف وانه سيسرق واسئل القرية التي كنا فيها يريدون
مصر فان القرية تجمع الناس للتوطن كبيرة كانت او صغيرة والعير التي اقبلنا فيها ليشهد كل من
اهل مصر والعير بذلك وانا لصادقون تذييل بما فيه معنى القسم قال بل سولت لكم انفسكم
امرا اي ليس الامر كما تقولون بل زينت لكم انفسكم امرا ودبرتم ما دبرتم والا من اين علموا ان
السارق يؤخذ جزاء لسرقته لولا تقولونه فان قلت لم يكن لهم في ذلك تسويل ولا مكيدة
فكيف نسبهم الى ذلك وهم عنه براء قلت بنى على ظنه لما راى من الامارة كقوله صلى الله عليه وسلم
لما سئل عن الصلوة اقصرت ام نسيت كل ذلك لم يكن وكان قد نسي لكن لما كان ظنه انه
لم يقع شيء من النسيان والقصر كان يخبر صادقا فصبر جميل اي امري صبر جميل او صبر جميل
اجمل والاول اوجه عسى الله ان ياتيني بهم جميعا بيوسف واخيه والمتخلف انه هو العليم
الحكيم الذي وقت حكمته في كل شيء وتولى عنهم واعرض عنهم من شدة غمهم وقال يا اسفى
على يوسف اي يا اسفى هذا اوانك اقبل والاسف شدة الحزن وبين الاسف ويوسف شبه الاشتقاق
وان كان العلم عبريا وانما اسف على يوسف وان كان الرزء الاحدث اشد لان رزء يوسف كان
قاعدة المصائب وفاتحة الاتراح واشار الى انه مع تقادم عهده غض طري ولانه كان واثقا
بحياتهما دون حياته وفي الحديث لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون الا هذه
الامة الا ترى يعقوب لم يسترجع بل قال يا اسفا وابيضت عيناه من الحزن لكثرة بكائه
محقت العبرة سواد عينه قيل كان قد عمي وقيل ضعف بصره وفيه دليل على ان البكاء لدى
المصائب لا يؤاخذ به وقد صح بكاؤه صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وجعفر بن ابي طالب
وسئل عنه فقال هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وانما يرحم الله من عباده الرحماء فهو
كظيم مكظوم مملو من الغيظ لا يظهره لاحد من كظم فاه اذا اسنه فعيل بمعنى مفعول والكظم
بفتح الظاء مخرج النفس او بمعنى الفاعل لقوله والكاظمين الغيظ من كظم الشيء اجترعه

قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف لا تزال تذكره حذف حرف النفي لعدم اللبس اذ لو كان على ظاهره فسد
المعنى ولوجب الاثبات باللام والنون ونحوه فقلت يمين الله ابرح قاعدا ولو قطعوا رأسي لديك
واوصالي حتى تكون حرضا مصدر حرض بالكسر اشتد مرضه حتى اشفى على الهلاك واحرضه الحب
افسده قال العرجي اني امرؤ لج بي حب فاحرضني وفي الحديث يمرض المؤمن حتى يحرضه المرض او
تكون من الهالكين مرة واحدة قال انما اشكو بثي مرضي الشديد من البث وهو النشر والتفريق فان
المرض اذا قوي لا يقدر صاحبه على اخفائه وحزني الى الله لا الى غيره فلا يخرج بذلك عن زمرة
الصابرين واعلم من الله ما لا تعلمون من فرط رحمته واجابة المضطر اذا دعاه قيل كان
رأى ملك الموت في منامه فسأله عن يوسف هل قبض روحه فقال لا هو حي فاطلبه وقيل كان
علم من رؤيا يوسف انه لا بد وان يخر له اخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه
تعرفوا لحالهما وتطلبوا من الحس يقال احس الشيء اذا علمه باحدى الحواس ولا تيأسوا من روح الله
من فرجه في الاصل نسيم الريح انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون لان اليأس من رحمته
منشاؤه اعتقاد عدم قدرته على كل شيء او عدم علمه بالاشياء او عدم كرمه وجوده بالعباد
وقيل كبيرة وليس بكفر لان اليأس ربما كان لاستبعاد الشيء لبعد اسبابه الظاهرة وان كان
الآيس معتقدا في الله كل كمال قرأ ابن كثير في رواية البزي بالف ثابتة بعدها الياء مع
في الكلمتين فلما دخلوا عليه اي لما قال لهم ابوهم ما قال رجعوا رجعة اخرى الى مصر فلما
دخلوا على العزيز قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر سوء الحال من مجاعة كثيرة وجئنا
ببضاعة مزجاة ردية من ازجيت الدابة اذا سقتها قال تعالى الم تر ان الله يزجي سحابا
وقال الشاعر يزجي اخي كان ابن روقة فلم اصاب من الدواة مدادها كانها من الرداوة
تدفع من مكان الى آخر ومن يد الى اخرى قيل كانت دراهم زيوفا وقيل حب الصنوبر و
الحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط فاوف لنا الكيل اتمه وان كان الثمن رديا
وتصدق علينا ارادوا بالصدقة المسامحة والمحاباة سموها صدقة تزيينا للعبيد
فان الصدقة محرمة على الانبياء والظاهر انهم ارادوا بالصدقة اطلاق اخيهم الا انهم لم
يجترؤا على التصريح به مخافة ان يقول لم ناخذه الا بفتواكم ان الله يجزي المتصدقين
المحسنين الصدقة مأخوذة من الصدق فكل ما تقرب به الانسان صدقة ومنه قوله
صلى الله عليه وسلم الكلمة الطيبة صدقة وتخصيصها بالعطية لثواب الآخرة عرف طار
قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه لما توسلوا الى المطلوب باظهار الديانة وما فيه حث
على طلب الآخرة اتاهم ايضا في طريق الديانة واستفهامهم لم يكن عن نفس ما فعلوه لان الفعل الا
رادي مسبوق بالعلم لا محالة بل انما كان عن قبحه بدليل قوله اذ انتم جاهلون قبح ما فعلتم
حثا على التوبة بعد ما فرطتم فان التوبة اولى مقامات السالك شان النفوس الزكية بل الى التوبة
والتعرض لما هم الاشياء وادمج فيه ان هذا الضر اولى بالكشف من الضر الذي تشكوه وقيل اذ
انتم صبيان لا تعرفون كم ونرده قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة مباهين بالقوة

الكاملة والحول التام وفعلهم باخيه التفرقة بينه وبين اخيه يوسف وكانوا يستضعفونه
ويجفونه قيل كان قد كتب اليه يعقوب كتابا من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله بن
ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت وكل بنا البلاء اما جدي فشدت يداه
ورجلاه ورمي به الى النار فنجاه الله منها وجعلها عليه بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين
على قفاه ليقتل ففداه واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية
فاتوا بقميصه ملطخا بدم وقالوا اكله الذئب وكان له اخ من امه كنت اتسلى به فذهبوا به
ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا
فاذا وصل اليك كتابي فرد علي ابني والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما
قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك ان خاطبهم بذلك الخطاب قالوا أإنك لأنت يوسف
سؤال تحقيق وفيه تعجب وتخييل كانهم من شدة التعجب لبعد حاله عما عاهدوه عليه لم
يصدقوا انه هو مع كونهم موقنين بذلك ومثله يقع كثيرا ولذلك قال انا يوسف و
هذا اخي صرح باسمه واضاف اليه اخاه ولم يكتف ببلى ليكون تعريفا بلا ريب ولا
شبهة وقراءة ابن كثير بحذف الاستفهام صريحة في معرفتهم ومؤيدة كون الاستفهام
مبنيا على اصله قد من الله علينا بالسلامة والاجتماع انه من يتق الله ويصبر على المعاصي
وعلى الطاعات فان الله لا يضيع اجر المحسنين وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان
من جمع بين التقوى والصبر داخل في زمرة المحسنين لا ليدل على ان المحسن من جمع بين
التقوى والاحسان اذ لا يلزم من انتفاء علة معينة انتفاء الحكم قالوا تالله لقد آثرك
الله علينا اختارك بحسن السيرة والصورة ومحاسن الاخلاق وجعلك ملكا واحوجنا
اليك وان كنا لخاطئين وان الشان انا كنا آثمين من خطئ بالكسر اذا تعمد الذنب قال
لا تثريب عليكم لا توبيخ من الثرب وهو الشحم الذي يغشي الكرش ومعناه ازالة الثرب
فاستعير للتقريع الذي يذهب ماء الوجه ثم نفى اليوم متعلق بالتثريب او بمتعلق الجار
والمعنى لا اثربكم اليوم الذي هو مظنة التثريب فكيف سائر الايام او بقوله يغفر الله لكم
والمعنى انكم بعدما عرفتم قبح ذنبكم واعترفتم بانكم كنتم خاطئين فقد غفر الله لكم لقوله
واني لغفار لمن تاب ولا ينافيه قولهم يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا لان العلم بوقوعه
بخبر الصديق الصادق لا يمنع الطلب على انه لو استلزم كان من قبيل استغفار الانبياء
هضما للنفس فالفرق بين الدعاء والاخبار وهم وهو ارحم الراحمين يغفر الذنوب جميعا
ويتفضل بما لا عين رأت يوم فتح مكة اخذ رسول الله بعضادتي الباب وقال لقريش ما ترون
فاعل بكم قالوا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب
عليكم اليوم ومن كرم يوسف وتواضعه انه لما عرف نفسه اخوته وكان يدعوهم الى الطعام
بكرة وعشيا ارسلوا اليه وقالوا نحن نستحيي منك لما فرط منا فقال ان اهل مصر كانوا يستكرهون
على ما اتانيه ويقولون عبد ثمنه عشرون دينارا فلما عرفوا اني اخوكم واني من نسل ابراهيم

عظمت في اعينهم اذهبوا بقميصي هذا هو القميص الذي كان لابراهيم الذي اخرجه جبرئيل من
تعويذه حين القي في الجب عريانا وكان من حرير الجنة لم يشم مبتلى ريحه الا عوفي وهذا قيل لم
يا يوسف فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا يصير بصيرا الاتيان مجاز عن الصيرورة
فاين ذكر اتيان الاب وهو المقصود الاعظم قلت علم اتيانه وتوقفا بجيه مع ان امر الاخوة
بالاتيان به يشعر بنوع اجبار عليه فيحمل عنه ولما فصلت العير خرجت من مصر من فصل فصولا
لازم لا من الفصل المتعدى قال ابوهم اني لاجد ريح يوسف قال الزمخشري من لجاده و
سائر اهله انه لم يشم رايحته وهو في الجب على مقدار فراسخ وشمها من مسيرة ثمانين فرسخا حين
تعلقت الارادة من الارسال عما يفعل لولا ان تفندون تنسبون الى الفند وهو الخرف ونقصان
الرأي لشدة الكبر والهرم ولا يقال عجوز مفندة لان نقصان الرأي في النساء ذاتي واصل الفند
الكذب وكانه سمى الخرف به لانه لا يخلو عنه وقد جاء في حديث ام معبد في وصفه صلى الله عليه وسلم
لا عابس ولا مفند على اصله قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم تتمكن فيه لم تخرج عنه
ولم يفارقك وهذا هو الفند الذي خافه فلما ان جاء البشير يهودا فانه الذي ذهب بالقميص
ملطخا فقال كما احزنته انا ابشره القاه على وجهه لان يوسف امره بذلك فقال الفواعلى
وجه ابي وقيل القاه يعقوب فارتد بصيرا رجع بصيرا يقال ردته فارتد قال الم اقل لكم
اني اعلم من الله ما لا تعلمون يريد قوله واعلم من الله ما لا تعلمون وقيل قوله الم اقل لكم اخر الكلام
والمفعول محذوف وقوله اني لاجد ريح يوسف وقوله واعلم من الله ابتداء كلام قالوا يا ابانا
استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين وحق على الانبياء اذا جاءهم تائب ان يطلبوا له المغفرة
قال تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله
توابا رحيما قال سوف استغفر لكم ربي قيل اخر الاستغفار الى السحر فانه وقت الاجابة
وقيل الى ليلة الجمعة رواه الترمذي ويؤيد لفظ سوف فانه للتراخي في الاستقبال
اذ لو كان الى السحر كان استعمال السين وجيه وقيل بل اخر الى ان يطلب من يوسف التجاوز
عنهم فان حقوق العباد لا يسقط الا به وفيه بعد كيف وقد قال لا تثريب انه هو الغفور
الكثير الغفران الرحيم البالغ الرحمة فلما دخلوا على يوسف لا خوة يوسف يقال دخلت
على السلطان اذا اتيته ولو لم يكن في بيت روي انه وجه اليه رواحل واموالا واستقبلهم
هو والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا مصر معه اثنين وسبعين رجلا وامرأة وكانوا
حين خرجوا مع موسى ستمائة الف وخمسمائة وبضعا وسبعين رجلا سوى الذرارى والهرمى
اوى اليه ابويه ضمهما اليه واعتنقهما وعن ابن اسحق ان امه كانت تحيى وقيل خالته كانت تحته
لو فكانت ام التربية ولان الخالة بمثابة الام كما ان العم صنو الاب قيل لما التقيا كان البادئ
بالسلام يعقوب فقال السلام عليك يا مذهب الاحزان فقال له يوسف بكيت وجزعت
علي حتى ذهب بصرك وقد علمت ان القيمة تجمعنا فقال بلى ولكن لم اكن اعلم على احدث
ان تكن لخاف ان يحال بيني وبينك وقال ادخلوا مصر ان شاء الله امنين من المكاره باسرها

او يأت الي بصيرا معافا سالما واتوني باهلكم اجمعين النساء والاولاد وتولي الفاء قلت اذا كان الاتيان مجازا عن الصيرورة

باسرها ولذلك اطلق والمشية قيد للدخول المكيف بالامن الذي هو الغرض الاصلي كقوله تعالى
ادخلوا الباب سجدا وللذلك قيل معناه اسلموا وامنوا والشرط المتوسط حذف جزاؤه بل
لا يكاد يوجد له ذكر في مثله ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا الخرور مقدم على الرفع
وانما قدم اهتماما وجاز لهم السجود لكونه بمثابة التحية عندنا وقيل سجدوا لله شكرا الله
وقال يا ابت هذا تأويل رؤياي من قبل تقدمت في صدر السورة قد جعلها ربي حقا طبق
الواقع ولم يجعلها من الاحلام الباطلة وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن لم يذكر الجب
لانه لم يصل الى التهمة الا بعد السجن وقيل السجن كان من الارقاء وان كان عند الله
من صفوة الانبياء وقيل لم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا يقال احسن اليه وبه وجاء بكم
من البدو اي البادية كانوا اصحاب المواشي ينتجعون المراعي ويردون المياه من بعد ان
نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي بالقاء العداوة من نزغ الدابة اذا نخسها شبه به
اضلال الشيطان ان ربي لطيف لما يشاء يوجد ما لا يتوقعه ويدبر على الاحكام انه
هو العليم الكامل العلم باحوال الاشياء ومصالح العباد الحكيم الذي يوجد الاشياء على
وفق ما اقتضته الحكمة في كل عصر دليل على كونه لطيفا روي ان يوسف طاف بابيه في الخزائن
فلما دخل خزانة القرطاس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي بثمان
الشيخ قال كذا امرني جبرئيل قال او ما تسأله قال انت ابسط اليه مني
فقال له اني جبرئيل الله امرني بذلك لقولك واخاف ان يأكله الذئب قال فهلا خفتني
رب قد اتيتني من الملك بعضه وهو ملك مصر وعلمتني من تأويل الاحاديث بعض تأويل
اذ لم يؤت الا بعض من الكل وهو تأويل الرؤيا فاطر السموات والارض نصب على النداء
كقوله بالاختراع يحسن الوجه او هو نداء ثان والفطر لغة الشق وعن ابن عباس ما كنت اعلم
معناه حتى تحاكم الي اعرابيان يتنازعان في بئر فقال احدهما انا فطرتها انت وليي
في الدنيا والآخرة تتولى امري فيهما لا شريك له في شيء وهذا عين التوحيد توفني مسلما
والحقني بالصالحين في الرتبة والدرجة وليس فيه ما يدل على انه تمنى الموت لان الامر
لا يدل على الفور بل تمنيا ان يكون موته على الاسلام ملحقا بابائه الصالحين وسائر الرسل
الكرام كان انه واصلا ما اذا قال اللهم توفني مسلما يريد ذلك ولا يخطر التمني بالبال روي
ان يعقوب اقام مع يوسف اربعا وعشرين سنة ثم توفاه الله واوصى ان يدفن في الارض
المقدسة عند ابيه ابراهيم واسحق فذهب يوسف بجنازته اليها ودفنه ثم عاد الى مصر
وعاش ثلاثا وعشرين سنة ثم توفاه الله طيبا طاهرا فاختصم اهل مصر في مدفنه كل احد
يريد ان يكون بقربهم تيمنا لبركته ثم اتفقوا على ان يجعلوه في تابوت من مرمر ويجعلوه في
النيل ليمر عليه الماء ويكون توفي ذلك سواء لا مزية لاحد على اخر وكان هناك الى ان اخرجه
بنو اسرائيل فاخرجه الى الارض المقدسة ودفنه عند ابائه الرسل الكرام عليهم من الله افضل
الصلوات والسلام ذلك حديث يوسف كما قص عليك مبتدأ من انباء الغيب نوحيه اليك

خبر ان له وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون غاية التهكم بمكذبه لان طريق العلم
بما يتعلق بالنقل اما السماع او المشاهدة والسماع لا يقولون به لانهم لا يؤمنون بكتاب
فلم يبق الا العيان ولا يظن به الا عاقل وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين لما قصصت عليهم
ما سألوه على احسن وجه وابدع نظام ولم يؤمنوا به اشار تعالى الى ان اظهار الآيات
والحرص على الايمان منك لا ينفع اكثر الناس وما تسألهم عليه من اجر على التبليغ حتى يكونوا
بذلك محتجين ان هو الا ذكر للعالمين موعظة لكافة الخلق من غير تخصيص بطائفة فلا
يتصور اخذ الاجر عليه وكأين من آية اي كثير منها في السموات والارض يمرون عليها على
الآيات الدالة على وحدانية الله وكمال صفاته وهم عنها معرضون لا يتدبرون في شيء
منها فاذا لم يتفكروا فيما قصصت عليهم من انباء الغيب فلم يؤمنوا ولا تحزن وما يؤمن
اكثرهم بالله الا وهم مشركون ابلغ في الذم من الاعراض لان المعرض جهله بسيط وهؤلاء
اداهم النظر الفاسد الى الاشراك بعد التأمل في الآيات الدالة على التوحيد والقول بان
الآية في المنافقين يرده كون السورة مكية افأمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله ابوه
اكثرهم بالله مع الاشراك فيأمنون مع ذلك ان يحيط بهم نوع من العذاب او تأتيهم الساعة
بغتة فجأة وهم لا يشعرون بذلك الاتيان فما حالهم بعد ذلك وما اعذارهم قل هذه
سبيلي اي الانباء عن الغيب بالوحي والتوحيد ادعو الى الله استئناف لبيان السبيل او حال
من الياء على بصيرة حال من فاعل ادعو اي مستيقنا او متعلق به اي مع برهان واضح انا تأكيد
للمستتر في الجار والمجرور ان جعلتها لا او الاتي المستتر في ادعوا ومن اتبعني عطف على المستتر
على الوجهين وسبحان الله عما لا يليق به وما انا من المشركين به تعريض بالخصم وما ارسلنا
من قبلك الا رجالا نوحي اليهم كما اوحي اليك رد لقولهم لولا انزل علينا الملائكة وقيل نفي
لاستنباء النساء روي عن ابن عباس رضي الله عنه والله اعلم بصحته وقرأ حفص بالنون هنا وفي
النحل وفي الانبياء والياء على الالتفات والنون ابلغ نصا على الوحي بقصد تعالى الله من اهل القرى
سكان المدن لانهم الين عريكة واحسن اخلاقا وفي الحديث الغلظ والقسوة في الفدادين
اهل الوبر افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استفهام تقرير
قد ساروا وشاهدوا ما حل بالامم المكذبة فكان ذلك عبرة لهم لو اعتبروا ولدار الآخرة
خير للذين اتقوا اي دار الحياة الآخرة او النشأة الآخرة خير من الحطام الفاني افلا تعقلون
افلا يستعملون عقولهم ليتعظوا وقرأ نافع وابن عامر وعاصم خطابا بتقدير القول حتى
اذا استيأس الرسل والمغيا محذوف دل عليه الكلام اي وما ارسلنا من قبلك الا رجالا جاهدوا
في سبيلي وتراخى عليهم النصر وقرأ البزي بالف رابعة بعدها ياء مفتوحة وظنوا انهم
قد كذبوا بتخفيف الذال قراءة الكوفيين والمعنى ظن الرسل ان انفسهم كذبتهم في تقدير
النصر ولم يكن لهم وعد بالنصر في تلك الواقعة من الله تعالى او ظن اي من اطاعهم علانية كذبوهم
سرا والظن مجاز عن الهواجس التي يذهب بها نور الايمان وهذا تأويل قول ابن عباس على ما روي

على ما رواه عنه البخاري وانكار عائشة رضي الله عنها عليه بناء على ان الظن على ظاهره و
عن ابن جبير ان الظانين هم المرسل اليهم لدلالة ذكر الرسل عليهم والمعنى ان المرسل اليهم ظنوا
ان الرسل قد اخلفوا الوعد او هم قد اخلفوا الوعد من جهة الرسل جاءهم نصرنا فنجي من
نشاء اي النبي والمؤمنين قرأ ابن عامر وعاصم باسقاط النون الثانية وفتح الياء ماضيا على
بناء المفعول من نجاه والباقون باثبات النون وسكون الياء صيغة المتكلم مضارع انجى وهو
المختار للسياق والسباق ولكونه ابلغ ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين عبر الاسلوب ليدل
وصف الاجرام على استحقاق حلول العذاب لقد كان في قصصهم اي الامم المكذبة او يوسف
واخوته عبرة لاولي الالباب العقول السالمة عن شوب الوهم والف الحس والركون الى
العادات ما كان حديثا يفترى اي القرآن ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب و
الشرائع وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين لانه القانون الذي يرجع اليه سائر الادلة
الشرعية فلا يستند الاحكام الا اليه اما ابتداء او توسط وهدى اي من الضلال ورحمة
لكونه سببا للنجاة في الدارين واطلاق المصادر مبالغة لقوم يؤمنون به لانهم المنتفعون
باحكامه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى سائر الرسل

سورة الرعد عن قتادة مدنية وعن عطا مكية وآيها خمس واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم المر اسم السورة او طائفة
من الحروف للايقاظ تلك آيات الكتاب اشارة الى آيات السورة وهي المراد بالكتاب في المعنى
اي هذه السورة آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها فتلك مبتدأ ويجوز ان يكون خبر
المر وآيات الكتاب بدلا منه او بيانا والذي انزل اليك من ربك مبتدأ الحق خبره
اي القرآن كله هو الحق الذي لا مزيد عليه لا السورة وحدها اجمال بعد التفصيل اثبات الكمال
الكل بما لا يحيط به الوصف لما لا يتوهم خصوص السورة او الموصول في محل الجر عطفا على الكتاب
ان عطف العام على الخاص وان اريد بالكتاب القرآن كله فمن عطف الصفة كالحارث والاب
والسنة والقياس متنزل بتوسط فلا يرد الحصر المستفاد من تعريف الخبر ولكن اكثر الناس لا
يؤمنون بكونه كلام الله المنزل لاخلالهم بالنظر وجحودهم استكبارا الله الذي رفع السموات
مبتدأ وخبر بدليل قوله وهو الذي مد الارض لانه سبق ليقابل السفليات العلويات فيتوافقا
اسلوبا والجملة مقررة لقوله والذي انزل اليك من ربك الحق كانه قيل كيف لا يكون كلام من هذه
افعاله هو الحق وانما عدل عن لفظ الرب الى الاسم الجامع تقوية لذلك التقرير ويجوز ان يكون
صفة والخبر يدبر الامر بغير عمد في محل النصب على الحال جمع عماد كاهاب واهب او جمع عمود
ترونها صفة عمد او استئناف استشهاد برؤيتهم كذلك وهو المرئي وان كان سماء الدنيا
الا انه يعلم منه سائرها بالطريق الاولى ثم استوى على العرش كناية عن اجراء الاحكام في
الملك والملكوت فان الملك يجلس على سرير ثم يظهر اوامره وسخر الشمس والقمر لما اراد منهما
من الحركة المستمرة وفي ذكرهما اشارة الى معنى الاستواء كل يجري لاجل مسمى لوقت معين وهو
ما انتم فيه دورة كل منهما او الامد الذي ضرب لكل منهما اذا السماء انفطرت واذا الكواكب

انتشرت يدبر الأمر يفصل الآيات حالان من الضمير في قوله ثم استوى على العرش على الوجه
الأول لأن قوله وسخر الشمس والقمر من تتمته وخبران على الثاني والأول اوجه لأن قوله
رفع السموات هو الحكم الذي جعل دليلا على ما قبله وعلى الثاني يصير ذريعة لتحقيق الخبر
وانما لم يعطف احدهما على الآخر لاستقلال كل منهما ايثار الأول عبارة عن افعاله كالاماتة
والاحياء والايجاد والاعدام والثاني عن اقواله كالايحاء وانزال الكتب لعلكم بلقاء
ربكم توقنون لكي توقنوا بالاحياء بعد الممات لان هذه الاشياء ادلة قاطعة على ان من حكمها
له كمال القدرة على كل شيء وهو الذي مد الأرض دحاها وبسطها طولا وعرضا لتكامل
فيها المنافع قدم العلويات لان الكلام في الدلالة على كمال القدرة وهي ادل وجعل فيها
رواسي جبالا ثوابت من رسا القدم اذا ثبت وانهارا سبلا جارية ومن كل الثمرات
متعلق بجعل وقوله جعل فيها زوجين اثنين مستأنف للبيان او متعلق بالثاني اي جعل
فيها زوجين اثنين من كل الثمرات اسود وابيض حلوا وحامضا او في بداء الفطرة خلقت
زوجين ثم تكاثرت وفائدة الوصف بالاثنين لئلا يتوهم متعارف الحساب يغشي الليل
النهار يجعل الليل مكان النهار بعد ذهابه وانما عبر عنه بالغشيان مبالغة في الاستتار
وعدم بقائه وآثاره كالشيء الملفوف في لباس ساتر وقرأ ابو بكر وحمزة والكسائي يغشّي بالتشديد
وهو ابلغ ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون اي في المذكور من قوله مد الأرض الى آخر الآية
او في كل واحد من المذكورات آيات دالة على كمال القدرة والحكمة باعتبار الكم والكيفيات
لمن تدبرها بعين الاعتبار وفي الأرض قطع متجاورات متلاصقة بعضها طيبة تخرج نباتا
وبعضها خبيثة لا تخرج نباتا ولا تمسك ماء مع الاشتراك في الماهية واتحاد النوع فذلك
الاختلاف مستند الى ارادة الصانع الحكيم وجنات من اعناب وزرع ونخيل اي وفي تلك
القطع المتجاورة بساتين وزرع ونخيل وقرأ نافع وابن عامر وشعبة وحمزة والكسائي بجرهما
عطفا على اعناب وهو المختار لقرب المعطوف عليه ولدلالته على اشتمال الجنات على هذه
الانواع كما في قوله جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وفي الجعفي عن شعبة
واللؤلؤي عن ابي عمرو وجنات بالجر عطفا على زوجين والمعنى جعل فيها زوجين اثنين من كل
الثمرات وجنات من اعناب وعلى هذا يجوز عطف زرع ونخيل عليها صنوان نخلات يجمعها
من اصل واحد وفي الحديث عم المرء صنو ابيه والمثنى والجمع مشتركان صيغة والفرق بالتنوين
وعدمه وغير صنوان متفرقات والخلاف فيهما قراءة واعرابا كزرع ونخيل يسقى بماء واحد
دفع لما يتوهم من ان اختلاف الاوصاف مستند الى الماء الذي هو منشأ حيوة كل حي وقرأ
بالتذكير ابن عامر وعاصم اي المذكور والباقون بالتأنيث وهو المختار اذ لا نكتة في العدول
عن الظاهر ولقوله ونفضل بعضها على بعض وقرأه بالغيبة حمزة والكسائي مسندا الى الضمير
اسم الله النون وهو المختار لكونه ابلغ في الأكل بسكون الكاف وضمه الكوفيون وابو عمرو وابن
عامر هو المأكول وفي حديث عائشة رضي الله عنها تصف عمر بن الخطاب بعج الارض فقاءت اكلها

اكلها وتخصيص النخل بالثمر لا يستقيم في الزرع الا تغليبا وانما خص الأكل بالذكر دون الشكل و
اللون والرائحة لانه العمدة في المنافع ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون جعل الفاصلة
يعقلون وفي السابقة يتفكرون لان بداء خلق الارض وارساء الجبال فيها واجراء الانهار
منها وتكوير الليل على النهار مما يحتاج الى تأمل وان بخلاف رؤية البساتين وادراك
اختلاف انواعها اشكالا وطعما وان تعجب يا محمد من انكارهم الاعادة فعجب قولهم محل
تعجب وحقيق ان يتعجب منه لان من قدر على انشاء هذه الاصول والفروع ولم يعي بخلقهن
فبالحري ان يقدر على الاعادة بل هو اهون وايسر بادي العقول او المعنى يا من ينظر في
هذه الآيات وتعجب من قدرة موجدها فازداد عجبا من منكر الاعادة مع اعترافه
بايجادها من العدم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد مقول قولهم او بدل منه والعامل
في اذا محذوف دل عليه أئنا لفي خلق جديد وقرأ ابن عامر الاول بالاخبار ونافع والكسائي
الثاني والباقون بالاستفهام فيهما وهو الاصل السالم عن المعارض اولئك الذين كفروا
بربهم الكاملون في الكفر الموصول لتعريف الجنس او العهد كما في اولئك هم المفلحون واولئك
الاغلال في اعناقهم كناية عن اصرارهم فان من كان مقيدا بالاغلال لا يبرح عن مكانه
وقد تم به من قال الطم عن الرشد اغلال وانقياد او هو من جملة الوعيد وهذا اظهر لانه
جار على الحقيقة وكونه تأسيسا واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون الحصر لاخراج
اهل الكبائر ويستعجلونك بالسيئة بالنقمة والعذاب في الدنيا قبل الحسنة الامان
متعلق بيستعجلونك وحال عن السيئة هو قولهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
حجارة وقد خلت من قبلهم المثلات العقوبات النازلة بمكذبي الرسل وكان الواجب
عليهم الاسراع الى الايمان برسولهم مخافة ان يصيبهم مثل ما اصاب اولئك والمثلة
العقوبات لانها مثل المعاقب عليه ومنه سمي القصاص مثالا وان ربك لذو مغفرة للناس
على ظلمهم دعاهم الى الايمان بعد ما بين تكاملهم ورسوخ قدمهم في الكفر وانه يغفر ذنوبهم
لو استمعوا ظلمهم وان ربك لشديد العقاب لمن اصر على الكفر ولمن شاء وفي الحديث
لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد و
يقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه لم يعتدوا بما اوتي به من الآيات واقترحوا
عليه ما حكاه الله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او يكون لك جنة
من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا انما انت منذر مبلغ فلا عليك بعد الانذار
ولكل قوم هاد يقدر على هدايتهم ان شاء وهو الله تعالى لا غير او ولكل قوم نبي داع الى الله
مثلك ولا عليه بعد الدعوة عتاب او انما انت نذير وهاد لكل قوم لا كسائر الانبياء وفي
قولهم لولا انزل عليه آية على ابلغ وجه واثباتا لرسالته على الكافة لانه بعث الى الاحمر و
الاسود ووقف ابن كثير على هادي بالياء والباقون بحذفها وعليه الرسم الله يعلم ما تحمل
كل انثى حملها او ما تحمله واحدا كان او متعددا ذكرا او انثى وما تغيض ما تنقصه

الأرحام من المدة وما تزداد منها اقصى مدة الحمل عند ابي حنيفة رحمه الله سنتان واربع
عند الشافعي وخمس عند مالك وقد روي ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان لاربع
او من عدد الحمل قيل نهاية ما عرف اربعة واليه ذهب ابو حنيفة وعن الشافعي ان شيخا
باليمن اخبره ان امرأته ولدت بطونا خمسة خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده
وغاض جاء متعديا ولازما وكذلك ازداد اردف عدم اجابتهم الى ما اقترحوه كمال
علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره للدلالة على ان ذلك لعلمه بانهم معاندون
وانما يجاب المسترشد الطالب للحق وكل شيء عنده بمقدار بقدر وحد لا يجاوزه
كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر عالم الغيب والشهادة الغائب عن الحس والحاضر
تعميم بعد التخصيص الكبير البالغ كبرياؤه وشانه المتعال عن كل ما لا يليق بجلاله و
جبروته سواء منكم من اسر القول في نفسه ومن جهر به اسمعه غيره ومن هو مستخف بالليل
مختف غاية الاختفاء وسارب بالنهار ظاهر غاية الظهور من السرب وهو الطريق وفي حديث
ابن عمر اذا مات المؤمن يخلى له سربه حيث يشاء فان قلت الاستواء يقتضي التعدد فكان
حق العبارة ومن هو سارب بالنهار كما في قوله ومن جهر به قلت هو معطوف على من هو مستخف
كانه قيل سواء منكم انسان مستخف وآخر سارب والا لم يأت بمن الموصوفة كما في المعطوف
عليه اشارة الى كمال علمه بالخفايا والسرائر وذلك هو النكتة في زيادة هو ولذلك ايضا
قدم اسر واعمله في صريح القول والتي في الجهر بالضمير مؤخرا او معطوف على مستخف لكن
من الموصوف وان كانت مفردا لفظا متعدد معنى كانه قيل سواء منكم اثنان هما مستخف وسارب
كقول الفرزدق يكن مثل من يا ذئب يصطحبان له معقبات جمع معقب والتاء للمبالغة
او معقبة بمعنى جماعة واصل عقب فلان جاء على اثره ومن اسمائه صلى الله عليه وسلم العاقب
لانه جاء بعد الانبياء وفي التشديد للمبالغة وقيل من الاعتقاب ادغمت التاء في القاف نحو
وجاء المعذرون والاعتقاب التناوب وقد حدث ابو هريرة كان هو وامرأته وخادمه يعتقبون
الليل اثلاثا من بين يديه ومن خلفه اى من جوانبه كلها وانما خص الجهتين بالذكر لان
العدو اكثر ما يقصد منها يحفظونه من امر الله صفة معقبات او المعنى يحفظونه من اجل
امر الله او يراقبون احواله وقيل يحفظونه من بأس الله ونقمته بالاستغفار لقوله ويستغفرون
لمن في الأرض ومنا ابعد قول من فسر المعقبات بالجلاوزة والحرس حول السلطان يحفظونه من امر الله
ان الله لا يغير ما بقوم من النعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من شكرها بالكفران واذا اراد
الله بقوم سوء فلا مرد له فلا امكان لرده واذا انتفى مكان الرد ينتفي قطعا وما لهم من
دونه من وال من ناصر او من يلي امرهم وقد وقف ابن كثير على وال بالياء وقد ذكر وجهه
فهذا اشار الى ان الحافظ عنايته والمعقبات انما سلطنته على دأب ما يتعارفه الناس
والا فعلمه شامل وحفظه اقوى والحمل هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا ارادة خوف
وطمع مفعول له بتقدير المضاف والمعنى ان عند لمعان البرق يخاف من الصاعقة ويطمع

في الرحمة وقيل الخوف والطمع بمعنى الاخافة والاطماع او نصبا على الحال من البرق
او المخاطبين بتقدير ذوا او اطلاق المصدر بمعنى المفعول او الفاعل وينشئ السحاب
الثقال جمع ثقيلة وصف السحاب بالجمع لانه اسم الجمع والواحد سحابة ويسبح الرعد بحمده سامعوه
لان الرعد صوت اصطكاك اجرام السحاب على ما هو في الحديث ان الرعد ملك موكل بالسحاب
والبرق من لمعان مخاريق من نار بيده يسوق بها السحاب فاعتبار صوته الهائل من الآيات
الباهرة الدالة على كمال قدرته وعظيم مخلوقاته وعن الحسن هو خلق من خلق الله ليس بملك
والملائكة من خيفته كمال علمهم بعظيم سلطانه وعلو شأنه وكل من كان اعلم بالله كان اتقى
واخشى وقيل الجر وعائد الى الرعد وليس بشيء ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه
او يوقع فيه نقصا يحرق شيء منه وهم يجادلون في الله في شأنه من كمال العلم والقدرة على
الاعادة يعني اربد واذلك معرض التعجب ممن يحيي العظام وهي رميم والجدال اشد الخصومة
من الجدل وهو الفتل والجملة معطوفة على قوله ويقول الذين كفروا لولا انزل المعطوف على
ويستعجلونك والعدول من الفعلية الى الاسمية للدلالة على انهم ما ازدادوا بعد تلك
الآيات التي تبهر الالباب الا عنادا ويجوز ان يكون عطفا على قوله هو الذي يريكم البرق
على معنى هو الذي يريكم هذه الآيات الدالة على كمال العلم والقدرة وانتم تجادلون والتفت
الى الغيبة ليتعدد الحكم عن شرف الخطاب وانهم من الانسانية بمعزل والوجه الاول املاه
فانه وقيل الواو للحال وذلك ان اربد اخا لبيد وفد مع عامر بن الطفيل على رسول الله
قاصدين قتله فاخذ اربد بمجادلته ويقول اخبرني عن ربنا امن نحاس ام من حديد ودار
اربد خلفه وقبض على سيفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنيهما بما شئت
فاصابته الصاعقة فاحرقته مكانه وخرج عامر فنزل في بيت سلولية فاصابه طاعون
فذهب خلف صاحبه الى جهنم وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية لان سلول
اذل قبائل العرب وهو شديد المحال قوي المكايدة والمكر لا يدافع وفي الحديث ان ابراهيم
قال كذبت ثلاث كذبات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كذب كذبة الا وهو يماحل
بها عن الاسلام يمدحه بذلك واصل المحل خط المطر ويجوز ان يكون من حال بين الشيئين
اذا دفع احدهما عن الاخر او من حال يحول اذا قدر وقوي على الخصم كما في الحديث اللهم بك
اصول وبك احول والحيلة على عز القياس ويجوز ان يكون بمعنى الفقار مستعارا للقوة كقوله
صلى الله عليه وسلم ساعد الله اشد وموساه احد ردا على المشركين في قطع اذن البحيرة له
دعوة الحق جملة مستأنفة والحق ان كان ضد الباطل فالمعنى ان الله هو الحقيق بان يدعى
ويعبد لانه الذي يسمع ويجيب فدعاؤه حق ودعاء الباطل وان كان من اسمائه تعالى فاصل الكلام
له دعوته فبدل اي اعطي اختصاص الدعاء به وانما وضع الحق موضع الضمير للدلالة على انه الثابت
وما عداه انما يستفيد ثبوتا بالعرض ثم ان كانت الآية في اربد وعامر فالجملتان دلتا على ان
هلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله واجابة لدعوة رسوله وان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة

على مجادلة رسول الله بمحاولة المحال بهم والذين يدعون من دونه اي الاصنام الذين يدعوهم الكفار
ويعبدونهم فالمفعول محذوف لا يستجيبون لهم بشيء من دفع ضر او جلب نفع لانها جمادات الا
كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه شبه الداعون للاصنام بمن بسط كفيه ناشرا
اصابعه يريد اغتراف الماء فانها لا تحصله على طائل لان الماء يوصل اليه بالقبض لا بالبسط
فالاستثناء من اعم الاحوال و وجه التشبيه عقلي اعتباري او شبه حال الهتهم حين احتياجهم
اليها في دفع ما اوهمهم في عدم الشعور فضلا عن الاستطاعة للاستجابة بماء يرجى من عطشان
احوج ما هو اليه يناديه عبارة واشارة والمنادى لا ادراك له ولا احراك وعلى الوجهين
فيه ثنائية تحكم وما دعاء الكافرين الا في ضلال في ضياع لا يجلب نفعا سواء دعوا الاصنام
او الله او الملئكة تعميم وتأسيس لهم من جميع الجهات ولله يسجد من في السموات والارض
طوعا وكرها ينقاد لما اراده طائعا او كارها اصل السجود الانحناء والانخفاض قال وقيل
له اسجد لليلى فاسجدا اي طاطي بامرئ البعير وفي الحديث كان كسرى يسجد للطالع قال الازهري
معناه كان يخفض راسه ويخصصه بوضع الجبهة عرف طار وقيل المراد وضع الجبهة والحال
يسجد حال المزورة وظلالهم ايضا يسجد له وينفرق على مشيته امتدادا او تقلصا وفيئا
وزوالا بالغدو ظرف للرواح من اول النهار الى وقت الزوال والاصال جمع الاصيل من العصر
الى الغروب والمراد بهما الدوام وانما خص الوقتين لظهور الامتداد والتقلص فيهما قل
من رب السموات والارض بعد اقامة الدلائل القاطعة على تفرده بامر الملك والملكوت
امر بان يسئلهم عن ذلك ليلزمهم باعترافهم بذلك وانهم لا يجدون سبيلا الى العدول
عنه فيتركب عليهم الحجة قل الله حكاية لقوله كانه قيل قل ما اجابوك به من قولهم الله اذ
قلت لهم من رب السموات او تلقين لهم كانه قيل لتعينهم الجواب فانهم يذعنون له ثم الزمهم بعد
ذلك قل افاتخذتم من دونه اولياء شروع في الالزام والهمزة داخلة على الفاء العاطفة
اي ابعد ان علمتم رب السموات والارض جعلتم مكانه اربابا تعبدونها وكان يقتضي ذلك
العلم التوحيد فكيف عميت بصائركم لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا فضلا عن لحدان ذلك
في الغير قل هل يستوي الاعمى والبصير المشرك والموحد والجاهل والعالم ام هل تستوي الظلمات
والنور الكفر والايمان وانما جمع الظلمات لاستعمال الكفر على الشبهات والشكوك والحق واضح
ابلج الاستفهام للانكار اي لا استواء وفائدته الحث على التأمل وان لا يرضى السامع بدخوله في
زمرة العمي المستغرقين في الظلمات ام جعلوا لله شركاء اي بل اجعلوا لله شركاء خلقوا
كخلقه صفة لشركاء فتشابه الخلق عليهم خلق الله وخلق الشركاء فيكون لهم في ذلك شبهة يحتاج
الى ازالتها ولما لم يكن لهم في ذلك شبهة فضلا عن حجة كانت الحكاية عنهم ادخل في الذم و
فيه تهكم فانهم جعلوا ما لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا كمن يملك الامر كله فبنه الاشتباه نافيا
تابعا عليهم قل الله خالق كل شيء موجده وهو الواحد في الالوهية القهار كامل القهر
والغلبة على الخلائق كلها فهو المستحق للعبادة لا غير انزل من السماء ماء من السحاب

من السحاب لان ما علاك سماء او من جهة الفلك لان المبدا الاول فسالت اودية جمع
واد وهو مسيل الماء بقدرها بمقدارها من الصغر والكبر او بالمقدار الذي علم الله انه نافع
لكل ناحية وتنكير الاودية لان المطر يقع بحسب العادة ببعض بقاع الارض دون بعض فاحتمل
السيل زبدا غثاء رابيا عاليا على وجه الماء ومما يوقدون عليه في النار من المعادن
ابتغاء حلية يبغون به صوغ الحلي او متاع من انواع الاواني والات الحرب والحرث زبد
مثله مثل الذي على وجه الماء وقرا حمزة والكسائي وحفص يوقدون بالياء وهو المختار
لان الغرض ارشادهم لا المؤمنين كذلك يضرب الله الحق والباطل بمثلهما ويبرزهما
في صورة المحسوس ازاحة للشبهة فمثل الحق واهله بالماء المنزل من السماء السائل في اودية
وانتفع الناس به انواعا من الانتفاع من صوغ الحلي واتخاذ الالات والاواني التي تبقى مدة
متطاولة والباطل في سرعة زواله وانسلاخه عن المنفعة بالزبد الذي يرمي به الماء
او الفلز فينعدم في الحال ويضمحل فاما الزبد فيذهب جفاء مجفوا مصدر جفاء اي رمى
يرمي به السيل والفلز بنصب على الحال واصله الجفوة وفي حديث البراء يوم حنين انطلق جفاء
من الناس الى هذا الحي من هوازن يريد سرعانهم واوائلهم واما ما ينفع الناس من الماء في
المنابع والابار والحبوب وما ينشأ منها من الثمار واصناف الحبوب المدخرة والمعادن
فيمكث في الارض ازمنة متطاولة وقيل شبه القران المنزل بالماء والقلوب بالاودية
ووسواس الشيطان وهواجس النفس بالزبد الذي يعلو الماء والحق الذي استفيد من
القران واستنبط منه بالجواهر والذهب الخالص من الخبث والباطل الذي يتولد من تلك
الوساوس بالجفاء وكما ان الاودية تتفاوت في الصغر والكبر كذلك القلوب في
اخذ المعارف وادراك لطائف التنزيل بحسب الفطرة والاستعداد وقد الم بذلك
المتنبي في قوله ولكن تاخذ الاذهان منها على قدر القرائح والفهوم وكان الماء اذا
كان كثيرا قوي الجري يقذف بالزبد الى الجوانب ويصفو كذلك القران اذا استنار القلب
بحفظه وتامله قابلية دفع الوسواس وهواجس النفس وكذلك نسبة القلوب الى الجواهر
والمعادن والفلزات بعضها كالذهب وبعضها كالنحاس وبعضها كالحديد كذلك
يضرب الله الامثال للذين استجابوا للمؤمنين الذين استجابوا لربهم الحسنى الاستجابة
الحسنى والذين لم يستجيبوا له عطف على المجرور اي الكفرة الذين لم يستجيبوا له والمعنى
انما ضرب المثل لهؤلاء الطائفتين وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهو المثوبة والجنة
والذين لم يستجيبوا له مبتدا خبره لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به
فيتم الكلام عند قوله كذلك وهذا الوجه احسن لانه يقع اولئك لهم سوء الحساب في مقابلة
الحسنى وفيه زيادة تحسير لهم او ترك الاجمال في جزاء المستجيبين ايماء الى انه لا يدخل تحت الوصف
بل يحصر العبارة عن الاحاطة به وسوء الحساب هو المناقشة فيه وفي الحديث من نوقش في
الحساب هلك ومأواهم جهنم مرجعهم من اوى اليه كذا رجع وبئس المهاد المقام والمستقر و

والخصوص محذوف أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى اى ابعد ما ضرب المثل المذكور
في أن حال من علم ما أنزل إليك هو الحق واستجاب بمعزل عن حال الجاهل الذي لم يستبصر كما أن
حال الزبد وخبث الذهب بمعزل عن مشابهة الماء والإبريز يمكن حيلولة الشبهة إنما يتذكر
أولوا الألباب المراجيح الذين لهم عقول خالصة ينظرون بها نظر الاستبصار الذين يوفون
بعهد الله الذي عاهدهم عليه حين قال لهم ألست بربكم قالوا بلى أو في كتبه المنزلة من الأحكام
والحدود ولا ينقضون الميثاق سواء كان مع الله أو مع أحد من خلقه والذين يصلون ما
أمر الله به أن يوصل من الأرحام وسائر الحقوق ومنها الإحسان لكافة المؤمنين للأخوة
الثابتة بالإيمان إنما المؤمنون إخوة وفي الحديث لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب
لنفسه وفيه أن من الصدقة أن تلقى أخاك المؤمن بوجه طلق ويخشون ربهم ويخافون سوء
الحساب خصه بالذكر لأنه لا مقام للعبد مع الله أشد منه وإن شئت تأمل في مثل بين يدي
ذلك السلطان العظيم الشأن وقد أخرج من عنقك كتابا تلقاه منشورا وقال لك اقرأ كتابك
كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وفيه من القبائح ما لو اطلع عليه أدنى الخلق عندك لاستغرقت
في الخجل والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم حبسوا أنفسهم على المكاره في المواطن كلها طلبا
لمرضات الله لا ليقال ما أصبره وأحمله للنوازل ولا لأنه لا يعاب بالجزع أو يشمت به الأعداء
العطف فيه وفي الذي قبله من عطف الصفات وأقاموا الصلوة أدوها على وجه الكمال
وأنفقوا مما رزقناهم بعضه سرا في التطوع وعلانية في الواجب إيثارا للأفضل وقيل
سرا لمن لم يعرف بالمال وعلانية لمن عرف به ليقتدى به ولئلا يتهم بالبخل ويدرؤن بالحسنة
السيئة يدفعونها بها قيل إن العداوة تستحيل مودة بتدارك الفوات بالحسنات وفي
الحديث أتبع الحسنة السيئة تمحها وعن الحسن إذا حرموا أعطوا وإذا ظلموا عفوا وإذا قطعوا
وصلوا وعن ابن كيسان إذا أذنبوا تابوا والأوجه الإطلاق أولئك لهم عقبى الدار خبر الذين
يوفون أو صفة أولي الألباب والأول أوجه والمعنى عاقبة الدار وما ينبغي أن يكون مآل
والدار هي الدنيا جنات عدن بدل من عقبى الدار أو مبتدأ خبره يدخلونها والعدن مصدر
عدن إذا أقام وسميت جنات عدن لأنها دار الإقامة لا ارتحال عنها ومن صلح من آبائهم
وأزواجهم وذرياتهم عطف على فاعل يدخلونها وساغ للفصل بالمفعول أو نصب لأن الواو
بمعنى مع والأسباب إذا تجردت عن العمل الصالح لا يفيد وإذا قارنها أدنى عمل صالح نفعت
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي طالب لما حضرته الوفاة قل لي كلمة طيبة أحاج
لك بها عند الله وبه يحصل التوفيق بين قوله من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه وبين قوله
والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم والملئكة يدخلون عليهم
من كل باب من أبواب منازلهم بالبشارة فوجا فوجا لزيادة الإكرام وتكميل السرور أو من كل
باب من أبواب التحف التي لا عين رأت ولا أذن سمعت سلام عليكم قائلين هذا القول مبشرة
بالسلامة الدائمة بما صبرتم أي هذا بما صبرتم واحتملتم من المشاق ومتعلق بعليكم لأنه ظرف

لأنه ظرف مستقر فيتعلق بسلام معنى أو بسلام والفصل بالجار والمجرور مغتفر كما في قوله
عار عليك إذا فعلت عظيم فنعم عقبى الدار من كلام الملئكة ويحتمل أن يكون ابتداء كلام
منه تعالى للترغيب والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه هؤلاء مقابلوا أولئك المتقدم
بأضداد ما وصفوا به ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل من صلة الأرحام وسائر الحقوق
ويفسدون في الأرض بإلقاء الفتن والهرج أولئك لهم اللعنة الطرد والحرمان واستعمال
باللام لتضمين معنى الصدق ولهم سوء الدار سوء عاقبة الدار لأنه في مقابلة عقبى الدار
وعذاب جهنم الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر لامر بيان لموجب شرهم كانوا في ضيق من عيش
يسر لهم رحلة الشتاء وآمنهم من خوف فكان الأولى بحالهم استدامة ذلك بالشكر وفرحوا
بالحيوة الدنيا فرح بطر لا فرح سرور بفضل الله ورحمته وما الحيوة الدنيا في الآخرة في جنبه
وبالقياس إلى نعيمها إلا متاع شيء نزر يتمتع به سريع الزوال كالجة الورد والرياحين و
يقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه بعد ما شاهدوا خوارق كانشقاق القمر و
القرآن المعجز الباهر قل إن الله يضل من يشاء أي قل لهم لا قصور في الآيات التي جئت بها و
لكن الإضلال من الله فإذا شاء إضلال أحد لا سبيل إلى هدايته وأنتم من ذلك القبيل ويهدي
إليه من أناب رجع عن العناد وعلم أن مدعي النبوة لا بد له من أمر معجز للبشر عن الإتيان بمثله
أي نوع كان لتشارك الآيات كلها في معنى الإعجاز الذين آمنوا بدل من من أو خبر مبتدأ
محذوف والكلام قد تم عند قوله من أناب ثم ابتداء بقوله الذين آمنوا في مقابلة ويقول
الذين كفروا وتطمئن قلوبهم بذكر الله بالقرآن أو بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق و
الاضطراب من خشيته كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله وهذا الوجه يناسب الإنابة
كما أن الوجه الأول يناسب الملائمة بقوله لولا أنزل عليه آية من ربه ويحتمل أن يكون الذكر
بمعنى الدليل أي تطمئن قلوبهم بدلائله الدالة على وحدانيته لأن الكلام مع الكفار الذين
لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض بعين الاستبصار ألا بذكر الله تطمئن القلوب أتى
بحرف التنبيه إيقاظا لكثرة المستغرقين في قلق الشبهة الذين آمنوا وعملوا الصالحات
بدل من القلوب بتقدير المضاف إما لأن القلوب المذكورة قلوب المؤمنين أو لادعاء أن
قلوب هؤلاء لأجلاء كل القلوب لأن الكفار أفئدتهم هواء وعلى هذا قوله ألا بذكر الله
تطمئن القلوب جملة اعتراضية كأنه قيل كيف لا ولا اطمئنان للقلوب إلا بذكره أو مبتدأ
طوبى لهم خبره طوبى مصدر على وزن فعلى كزلفى وبشرى من طاب والواو أبدلت من الياء
لضمة ما قبلها وروى الإمام أحمد أن رجلا قال يا رسول الله طوبى لمن رآك قال بلى وطوبى
ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني قال رجل وما طوبى قال شجرة في الجنة وعن ابن عباس وأبي هريرة في
كل دار منها غصن وحسن مآب مرجع وطيب عيش كذلك أرسلناك مثل ذلك الإرسال أرسلناك
أي ليس إرسالك شأنا مخترعا بل من كذبك إنما يكذبك عنادا وحسدا فإنهم لا يكذبونك ولكن
الظالمين بآيات الله يجحدون في أمة قد خلت من قبلها أمم كثيرة لتتلوا عليهم الذي

اوحينا اليك من الكتاب والحكمة فانت آخر الرسل وامتك آخر الامم ولا بدع في الذي ينبه
لانه لا نبي بعدك وهم يكفرون بالرحمن البالغ الرحمة الذي ارسلك رحمة للعالمين وهذا
المعنى التفت من التكلم الى الغيبة مع رعاية خصوص هذه الامم وكما تفرد المرسل من بين الرسل
كذلك كتابه لا يضاهيه كتاب قل هو ربي ذلك الموصوف بتلك الرحمة سيدي والمتصرف
في لا اله الا هو لا يستحق احد الالوهية سواه عليه توكلت واليه متاب عليه اعتمدت
في اموري واليه مرجع الخلق وهو المجازي ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به
الموتى اي لو كان شيء من الكتب التي تقرأ سيرت به الجبال عن مقارها او قطعت به الارض
قطعا وتمزقت تمزيقا او كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان ذلك هذا القرآن العربي المبين لكونه
في الطبقة العليا في باب التذكير وهذا تصريح بما اشير اليه في قوله لتتلوا عليهم الذي اوحينا
البالغ تعظيم القرآن وتشييد اركانه بقوله وكذلك انزلناه حكما عربيا وقيل معناه و
لو ان قرانا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى لما آمنوا به لشدة عنتهم متعلق
بقوله وهم يكفرون بالرحمن بيانا لتصميمهم على الكفر بعد ظهور الآيات وقيل ان ابا جهل
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم سير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها البساتين
والقطائع كما سخرت لداود ان كنت نبيا كما تزعم فلست اهون على الله منه او سخر لنا الريح لنركبها
الى الشام ونتجر ثم نرجع في يومنا فقد شق علينا قطع المفاوز كما سخرت لسليمان او ابعث لنا
رجلين او ثلاثة من ابائنا منهم قصي بن كلاب فنزلت ومعنى تقطيع الارض على هذا قطعها بالسير
وعن الفراء انه متعلق بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرانا سيرت به الجبال
يعني هذا هي جملة حالية وجواب الشرط محذوف لدلالة السابق عليه وما بينهما اعتراض بل لله
الامر جميعا التاثير لا يشاركه احد وله القدرة على كل شيء وانما لم تقع الآيات المقترحة
لعلمه بانهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية افلم ييئس الذين آمنوا الم يعلم لغة نخع قال سحيم
اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني الم تياسوا اني ابن فارس زهدم ولان الآيس عن الشيء عالم بانه لا يكون
الاستفهام للتقرير نحو اليس الله بكاف عبده ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا اي علموا ذلك
ويجوز ان يتعلق بامنوا والمعنى اولم يقنط المؤمنون بان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا عن ايمان هؤلاء
المعاندين ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من سوء الاعمال قارعة داهية و
في الحديث من لم يغز ولم يجهز غازيا اصابه الله بقارعة واصلها الضرب الشديد ومنه ما قاله
عبد الملك بن مروان في وصف سيف الزبير بهن فلول من قراع الكتائب او تحل قريبا من دارهم
فيقلقون منها وذلك ان رسول الله كان يرسل السرايا فتصيب حوال اهل مكة او يختطف من
حولها وقيل او تحل انت يا محمد بجيشك قريبا من دارهم وذلك عام الحديبية حتى يأتي وعد الله
وهو فتح مكة او لا يزال هؤلاء المشركون تصيبهم باقتراحهم داهية مهلكة كما اصابت
اربد وصاحبه عامر بن الطفيل وكما اصابت المستهزئين وعلى هذا او تحل قريبا من دارهم انت
يا محمد بنزولك بالمدينة واقامتك بها حتى يأتي وعد الله ظهور امرك او موتهم والقيمة او فتح

مكة وهذا اوجه لان السورة مكية ان الله لا يخلف الميعاد تذييل لتحقيق الموعود
ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا تسلية لرسول الله تنفيسا له عما كان
يقاسيه من عناد الكفرة والاملاء الامهال والمعنى تركتهم ملاوة من الزمان في
خوض العيش كاملاء البهيمة في المرعى ثم اخذتهم فكيف كان عقاب عقابي اياهم اي كان
شديدا فظيعا افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت افمن هذه افعاله كشركائهم حتى
يكفروا به وبآياته ويعرضوا عن عبادته وعن الخضوع لكبريائه كانه قيل لا عجب في انكارهم آياتك
بعد ظهورها انما العجب كل العجب جعلهم القادر على انزال تلك الآيات المجازي لهم على
اعراضهم عن التدبر فيها كمن لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا فضلا عن ان يرجى منه جلب
نفع او دفع ضر فالخبر محذوف وجعلوا لله شركاء استيناف ويجوز ان يقدر ما يقع
خبر المبتدأ ويعطف عليه وجعلوا كانه قيل افمن هو بهذه الصفات لم يوحدوه ولم يمجدوه
وجعلوا له شركاء قل سموهم امر تعجيز اذ لا اسماء لها والقصد تحقيرها بانها من الدناءة
بحيث لا يستحق ان يسمى ويذكر باسم ام تنبئونه بما لا يعلم بل اتنبئونه بشركاء لا يعلمهم
في الارض وهو العالم بما في السموات والارض ام بظاهر من القول بل اتسمونهم شركاء
بظاهر من القول من غير ان يكون تحته طائل بل هو مجرد صوت فارغ كقوله ذلك قولهم
بافواههم وهذا استدلال بديع في اسلوب غريب فانه هدم قاعدة الاشراك بقوله افمن
هو قائم على كل نفس فانه احتجاج من طرف الحق ثم فرع عليه بالابطال من طرف النقيض
بان من لا يجوز له شريك وعبدا شركوا به شركاء لا اسماء لها فضلا عن المسمى ثم بالغ في نفيها بان
نفى العلم بوجودها فيلزم منه نفي المعلوم على طريقة الكناية وسلك في ذلك مسلك الانكار
ثم تجاهلهم بانهم يريدون ان ينبئوا عالم السر والخفيات بما لا يعلمه وذلك محال آخر ثم قال
ليس ما يقولونه كلاما يلتفت اليه ويتأمل بل مجرد صوت ثم اضرب عن ذلك كله واشار الى
ما هو الملاك في ذلك الضلال بقوله بل زين للذين كفروا مكرهم كيدهم للاسلام بشركهم
وصدوا عن السبيل سبيل الحق قراءة الكوفيين بضم الصاد والباقون بالفتح والضم اوجه
لمناسبة زين ولان الكلام في ضلالهم لا اضلالهم ومن يضلل الله فما له من هاد يوفقه
لسلوك سبيل الرشاد ووقف عليه ابن كثير بالياء لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالاسر والقتل
وسائر الدواهي ثمرة ذلك الضلال ولعذاب الآخرة اشق لشدته ودوامه وما لهم من الله
من واق حافظ من عذابه او ما لهم من جهته واق من رحمته من ابتدائية وقد وقف ابن كثير عليه
بالياء ايضا مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار مبتدأ وخبر على طريقة
قولك صفة زيد اسمر طويل وعن سيبويه فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وتجري من تحتها الانهار
حال من المحذوف من وعد المتقون وعن الزجاج مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار
اكلها دائم لا ينقطع وظلها كذلك ليس كظل الدنيا ينسخها الشمس تلك عقبى الذين اتقوا
اي الموصوفة عاقبة حال المتقين ومآل امرهم وعقبى الكافرين النار لم يصف النار لانها

ذكرت بالعرض بعد ذكر الجنة قصدا والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك لانه مصدق
لكتابهم فيوفقون بان الكتاب الموصوف في كتابهم اراد موفقي اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه
ومن امن من النصارى قيل هم ثمانون رجلا اربعون من نجران وثمانية من اليمن واثنان وثلاثون
من الحبشة ومن الأحزاب وهم الذين تحزبوا على عداوة رسول الله اخبار اليهود من ينكر بعضه
ما يخالف شريعتهم او ما حرفوه من نعت رسول الله والاسلام ويقرون بما فيه من القصص و
الوقائع قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به جواب للمنكرين لذلك كأنه قال انما امرت بعبادة
الله وتوحيده فانظروا اما ذا تنكرون إليه أدعو الى العبادة ادعوا لا الى غيره سواه وإليه
مآب مرجعي لا الى غيره وانتم قائلون بذلك فلا وجه لانكاركم وكذلك أنزلناه ومثل ذلك
الانزال انزلناه اصل الكلام مثل هذا الانزال الذي يشاهدونه مشتملا على التوحيد وانما يحتج
بالمثل زيادة في تفخيمه حكما عربيا سماه عربيا لكونه مستفادا منه تسمية للحال باسم المحل لان الالفاظ
قوالب المعاني واوعيتها او الحكم بمعنى الحكمة المتقن كالذكر الحكيم ولئن اتبعت أهواءهم كانوا
يقولون له نعبد ربك مدة عبدت الهتنا سماها اهواء لان الباعث على عبادتها ليس سوى الاهواء
وخطرات النفوس بعدما جاءك من العلم بانها اباطيل ما لك من الله من ولي ناصر يمنعك عنه
ولا واق يحفظك من شر اعدائك وهذا ونظائره من باب الالهاب والتهييج له وحث للسامعين
على الثبات والتصلب في الدين والا فرسول الله قبل النبوة كان بمعزل عن ذلك فكيف به بعد تلك
البراهين والحجج القاطعة ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية كانوا
يستبعدون ان يكون الرسول بشرا او يكون له ازواج وذرية فرده الله بان الرسول انما ارسل
للتبليغ وليس من لوازم ذلك مخالفة بني نوعه بل كونه مثلهم في ذلك ادعى الى المتابعة وما
كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله بارادته اذ لا كائن بدون مشيته لكل أجل كتاب
لكل امد حكم يكتب فيه على العباد على وفق ما اقتضته الحكمة يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يشاء
ويثبت ما اقتضت حكمته اثباته وقيل يمحو من ديوان الحفظة ما ليس من الطاعات والمعاصي
لانهم مأمورون بكتابة كل حركة وسكون ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقيل يمحوا
سيئات التائبين ويثبت مكانها الحسنات لقوله اولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقرأه
بالتشديد نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وهو المختار لكونه ابلغ وللتوافق في قوله يثبت الله الذين
آمنوا وعنده أم الكتاب اصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ او علمه الشامل فان اللوح من الكتب ايضا
وإما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب في الدنيا كالقتل والاسر ايان دلالة على عدم لزوم
ذلك واكده بما اشارة الى انه كائن لا محالة أو نتوفينك قبل وقوعه فإنما عليك البلاغ لا غير
وعلينا الحساب للمجازاة فلا عليك من اعراضهم ولا يهمنك شأنهم أولم يروا أنا نأتي الأرض
ننقصها من أطرافها اي قدرنا ذلك وهو من آيات النصر وعلو الاسلام مما لهم لا يعتبرون
وهذا يدل على ان السورة مدنية اذ لم يكن قبل ذلك فتح بلاد والله يحكم لا معقب لحكمه لا
مغير ولا مبطل في محل النصب على الحال واصل التعقيب ان يعمل عملا ثم يعود فيه وفي الحديث سئل

انس عن التعقيب في رمضان فنهى عنه وهو ان يصلي النافلة بعد التراويح وهو
سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم ويجازيهم بعذاب السرمد وقد مكر الذين من قبلهم
كما يمكر هؤلاء فلله المكر جميعا اذ كل مكر مضمحل دون مكره لنفرده بالقادرية ومكر غيره
يحيل باطل يعلم ما تكسب كل نفس من الخير والشر وقد اعد لكل جزاءه وسيعلم الكفار لمن
عقبى الدار اي العاقبة المحمودة وهذا كالتفسير لمكره فانه اخفى امر العاقبة عنهم فوقعوا
في الضلال المؤدي الى النار وقرأ الكوفيون وابن عامر الكفار وهو ابلغ لكونه نصا في الاول
وللموافقة قراءة ابن مسعود الكافرون ويقول الذين كفروا لست مرسلا كانهم وقيل
رؤساء اليهود فالموصول معهود قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فانه ايدني بمعجزات دالة
على رسالتي وهي شهادة لا تحتمل الريب ومن عنده علم الكتاب علم القرآن وما الف عليه
من النظم المعجز وهم الكفار الذين علموا اعجاز القرآن ولم يشهدوا تعريض بان الخصم لو انصف
كان شاهدا او قيل هم علماء اهل الكتاب الذين امنوا فانهم يشهدون بانه المنعوت في
كتبهم وعن الحسن هو الله الذي عنده العلم بما في اللوح المحفوظ والعطف للاشارة الى الاستقلال
بالشهادة نظرا الى كل وصف فكانه قال من له الالوهية يشهد لي ومن له العلم بما في اللوح
قد تشهد بان تضمن الكتاب المنزل الحق من المعارف ما بهر العقول فتوافق الخاتمة فاتحة السورة

سورة ابراهيم عليه السلام مكية وهي احدى وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم الر
اي هذه السورة اسم لها او المؤلف من الحروف مبتدأ خبره كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس
بدعائك الى ما فيه من المعارف والاحكام من الظلمات إلى النور استعارتان للضلال والهدى
بإذن ربهم بتوفيقهم وتيسيره من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب إلى صراط العزيز الحميد
بدل من قوله الى النور استعار النور للهدى او للظهور ثم جعله جادة لا زيغ فيها موصلة
يحتمل الاستئناف كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط الله الذي لا شيء اظهر منه الله الذي
له ما في السماوات وما في الأرض قرأ بالرفع نافع وابن عامر على انه مبتدأ خبره الموصول
او خبر مبتدأ محذوف والموصول صفة فالوقف على الحميد تام والباقون بالجر على انه بدل
او عطف بيان وويل للكافرين من عذاب شديد الويل نقيض الوأل وهو النجاة بنصب نصب
المصادر الا انه لا يشتق منه فعل والمعنى حزن وهلاك لهم من عذاب يقعون فيه او لهم
هذه الكلمة عند ذلك فان الواقع في الهلاك ينادي بها الذين يستحبون الحياة الدنيا على
الآخرة يختارونها ويؤثرونها عليها فان المؤثر للشيء يطلب من نفسه ان يحبه ويصدون عن سبيل الله
الناس عن سلوكها ويبغونها عوجا يطلبون لها زيغا واعوجاجا ليتوسلوا به الى الصد والموصول
يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب والرفع على المدح او على انه مبتدأ خبره أولئك في ضلال
بعيد وصف الضلال بالبعد على الاسناد المجازي لان البعد حال الضال كقولهم جد جده ويحتمل
ان يكون صفة الضلال اي ذي بعد كأنه قيل له بعد لا غاية لغوره وما أرسلنا من رسول
إلا بلسان قومه الذين هو منهم ونشأ بينهم ليبين لهم ليفهمهم الاحكام ويفقهوا عنه ولو جعلنا

قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي ولا يرد بعثته رسول الله على الناس كافة
لأن الإنزال بلسان قومه أولى لأنهم أقرب الناس إليه ولو أنزل إليه بألسنة مختلفة كان
في ذلك إعجاز ظاهر ولكن كان يؤدي إلى إضاعة فضل الاجتهاد وقيل نزلت الكتب كلها
بالعربية وأداها كل نبي إلى قومه بلغتهم وقد روي ذلك عن الضحاك وليس بشيء لأنه يلزم
أن يكون التورية نازلة على موسى ليفسرها بالعربية لقوم محمد ودفع ذلك برجوع إلى كل قوم
بدليل السياق لا يعتد به فيضل الله من يشاء بعد بيان الرسل والإرشاد إلى الطريق
ويهدي من يشاء هدايته وهو العزيز الذي لا يغلب على مشيته الحكيم الذي لا يفعل إلا لحكمة
ولقد أرسلنا موسى بآياتنا لما بين أنه قد أرسل قبل رسول الله رسلا بالكتب السماوية
ذكر قصة موسى مع قومه لكثرة عنادهم وتعنتهم تسلية لرسوله وبآية العصا وفلق
البحر واليد البيضاء وسائر معجزاته أن أخرج قومك من الظلمات من شبه الضلال إلى النور
إلى الهدى أن مفسرة لأن في الإرسال معنى القول أو مصدرية لأن الأفعال سواء في الدلالة
على المصدر فالتقدير بأن أخرج قومك وذكرهم بأيام الله ووقائعه مع مكذبي الأنبياء كقوم
نوح وعاد وثمود ومنه أيام العرب لوقائعها وحروبها وعن ابن عباس أيام الله نعماؤه و
بلاؤه. ولعل التخصيص فهم من الإضافة فإنه لا يضاف إليه تعالى إلا ما له شأن إن في ذلك
لآيات لكل صبار شكور كثير الصبر على بلواه دائم الشكر على نعمائه وقيل لكل مؤمن كناية عن
الإيمان نظرا حتى يستوي القائمة في الكناية عن الإنسان وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة
الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون ظرف للنعمة لأنها بمعنى الإنعام أي إنعامه عليكم ذلك
الوقت ويجوز أن ينتصب بعليكم إن لم يكن صلة للنعمة وذلك إذا أريد بها العطية دون
الإنعام ويجوز أن يكون بدل اشتمال يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون
نساءكم طرح الواو في سورة البقرة لأنه جعل التذبيح بيان سوم سوء العذاب واشتبها وههنا
كأنه زاد على ذلك العذاب وصار جنسا آخر مستقلا لغاية فظاعته وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم
نعمة عظيمة فذلكم إشارة إلى الإنجاء أو نقمة فظيعة إشارة إلى التذبيح وإذ تأذن ربكم من
مقالة موسى عطف على نعمة الله كأنه قيل وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا
حين تأذن ربكم ومعنى تأذن آذن أي أعلم مع ما في صيغة التفعل من المبالغة فكأنه قال
آذن إيذانا لا يبقى معه شائبة ريب لئن شكرتم يا بني إسرائيل ما أنعمت من الإنجاء وغيره من
النعم بالإيمان الخالص والعمل الصالح لأزيدنكم لأضاعفن لكم ما أنعمت ولئن كفرتم إن
عذابي لشديد لم يسند العذاب إلى ذاته كما أسند زيادة النعم إشارة إلى أغلبية رحمته
والمعطوف عليه مفعول قول مقدرا أو مفعول تأذن لأن فيه معنى القول وقال موسى إن تكفروا
أنتم ومن في الأرض جميعا من الثقلين فإن الله عن شكركم لغني حميد مستحق للحمد حمد أو لم
يحمد أو يحمده الملائكة وفي الحديث حمد الله نفسه قبل حمد الحامدين ألم يأتكم نبأ الذين من
قبلكم قوم نوح وعاد وثمود من كلام موسى أو ابتداء كلام من الله مع هذه الأمة والذين

من بعدهم لا يعلمهم إلا الله اعتراض يفيد الترقي كأنه قيل ألم يأتكم نبأ هؤلاء ومن لا يحصي
عددهم إلا الله فدع التفصيل فإنه لا مطمع فيه أو الذين من بعدهم عطف على قوم نوح ولا يعلمهم
إلا الله اعتراض كأنه قيل ألم يأتكم نبأ الجم الغفير وعن ابن عباس بين عدنان وإسمعيل ثلثون
أبا لا يعرفون وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية يقول كذب النسابون وقد نفى الله علمها عن
العباد جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم عضوها غيظا وضجرا مما جاءت
به الرسل كقوله عضوا عليكم الأنامل من الغيظ أو أشاروا بأيديهم إلى ما نطقت به ألسنتهم
من قولهم إنا كفرنا بما أرسلتم به كأنهم قالوا هذا جوابنا لكم ليس لكم عندنا غيره أو ردوا
أيديهم في أفواه الرسل كأنهم قالوا اسكتوا نحن مصرون فلا نفع في الإكثار كقوله إنا
لا أصغي وأنت تطيل أو الضحك والاستهزاء مجازا وحمل الأيدي على نعم الأنبياء من الحكم
والشرائع التي هي أجل النعم لا يخفى بعده وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به على زعمكم وإنا
لفي شك مما تدعوننا إليه مريب موقع في القلق أو ذي ريبة من أرابه أو من أراب
الرجل قالت رسلهم أفي الله شك لم ينكروا الشك لوقوعه بل نفوا أن يكون محل الشك
لسطوع البراهين ولذلك وصفوه بأظهر الأدلة فاطر السموات والأرض صفة أو بدل
يدعوكم لم يسندوا الدعوة إلى أنفسهم كما أسند إليهم الكفرة إشارة إلى أن الداعي
في الحقيقة هو الله والله يدعو إلى دار السلام ليغفر لكم أي يدعوكم إلى الإيمان ليغفر
أو يدعوكم إلى المغفرة لأن اللام بمعنى إلى بل ليدل على أن الغاية غرض مقصودة فيفيد
معنى الانتهاء مع الاختصاص من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهي التي في أيام الكفر لا التي
بينهم وبين الله لقوله قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ومن بدلية لقوله
أولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات أو تبعيضية وإبقاء البعض على الاحتمال لئلا يتكل
على الإيمان لأنه يدل على عدم مغفرة الجميع إذ لا تنافي بين مغفرة البعض ومغفرة الجميع
ويؤخركم إلى أجل مسمى إلى مدة وهو آخر أعماركم قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا لا فضل
لكم علينا فكيف تكونون رسلا دوننا تريدون أن تصدونا بدعواكم الباطلة عما كان
يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين برهان قاطع يدل على صدق دعواكم وهذا ديدن
المعاند لا يرضى بالمعجزة وشرع في الاقتراح تعنتا قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم
نحن وأنتم سواء في البشرية ولكن الله يمن على من يشاء من عباده بالنبوة والرسالة تفضلا
فكوننا مثلكم بشرا لا ينافي رسالتنا وما كان لنا ما صح لنا وما استقام أن نأتيكم بسلطان
إلا بإذن الله بإرادته وعلى الله فليتوكل المؤمنون أمروا المؤمنين بالتوكل
فدخلوا أنفسهم دخولا أوليا وهذا أبلغ من قوله على الله توكلنا وما لنا أن لا نتوكل على الله
أي عذر لنا وما يحصل لنا في عدم التوكل وقد هدانا سبلنا طريقة الذي يوصل إليه فإن
قلت الطريق إليه تعالى واحدة وهي سبيل الأنبياء قل هذه سبيلي فكيف أتى بصيغة الجمع قلت
أصل الدين واحد والفروع مختلفة لكل جعلنا منكم شرعة أو جمعه للتعظيم ولنصبرن

على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون فليثبت المتوكلون في توكلهم وليزدادوا واني توكل
لان من استوى يوماه فهو مغبون وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن
في ملتنا سعوا الحلف من احد الامرين اما الاخراج او العود الى ملتهم والرسل لم يكونوا على
ملتهم يوما فالعود اريد به الصيرورة في اطلاق المقيد على المطلق او غلب الامة على الرسل
كما في قصة شعيب واثروا الظرف على الى لدلالته على الاستقرار فاوحى اليهم ربهم الى
الرسل لنهلكن الظالمين مقول القول لان الايحاء نوع ولنسكننكم الارض من بعدهم بعد
اهلاكهم وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم من آذى جاره ورثه الله داره ذلك اشارة
الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين لمن خاف مقامي المخصوص به وهو موقف الحساب وقيل
المقام مقحم وخاف وعيد وعيدي واستفتحوا اي الرسل من الفتاحة وهي الحكم كقوله ربنا
افتح بيننا وبين قومنا بالحق وقيل الكفرة وقيل الضمير للفريقين كل فريق سأل النصر على
عدوه وخاب كل جبار عنيد اي فتح للرسل وخاب كل متكبر عات يؤيد ان المستفتحين هم الكفار
او الفريقان من ورائه جهنم من بين يديه قال عيسى اللهم التي اسيئت فيه يكون وراءه
وهو قريب والوراء وان كان مشتركا الآن الكافر واقف على حرف جهنم لانه مخلوق لها
او ذاك حاله يوم القيمة اذا بعث ويسقى من ماء صديد عطف على مقدر تقديره يلقى فيها
ويسقى من ماء صديد بدا باشد العذاب عليه ولذلك ابهمه اولا ثم بينه بقوله صديد والصديد
ما يسيل من جلود اهل النار نعوذ بالله من ذلك يتجرعه يتكلف جرعه لشدة عطشه والجرع الشرب
على العجلة ولا يكاد يسيغه لا يقرب ان يسيغه لغاية بشاعته فكيف بالاساغة يقال شراب
سائغ اذا كان سلس الجريان سهل النزول في الحلق ويأتيه الموت من كل مكان كناية عن شدة
عذابه وكثرة الامة وقيل يأتيه من تحت كل شعرة المستقل وما هو بميت فيستريح
ومن ورائه عذاب غليظ فيما يستقبله لم يزل يرقى في ذلك وهذا دليل على كذب بعض
المتصوفة الجهلة الذين يقولون اذا اعتادوا بالعذاب لا يحس بالالم وعن فضيل بن عياض هو
قطع الانفاس وحبسها في الاجساد وقيل هذه الاية منقطعة عن قصة الرسل وانما هي في اهل
مكة حين دعا عليهم رسول الله بالقحط فابتلوا بذلك حتى اكلوا الجيف فاستفتحوا اي طلبوا
المطر والفتح من اسمائه فخيب الله رجاءهم وذكر انه يسقيهم من صديد جهنم هذا وقد صح
انهم لما اخذوا بالقحط جاء ابو سفيان وهو مشرك الى رسول الله وقال يا محمد انك تأمر
بصلة الارحام وقد ترى ما اصاب قومك فادع الله ان يسقيهم فدعا رسول الله فسقوا وفيه
قال ابو طالب وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل مثل الذين كفروا
بربهم صفتهم الغريبة العجيبة مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه اي فيما يتلى عليكم وقوله
اعمالهم كرماد جملة مستأنفة لبيان مثالهم الغريبة او هذه الجملة هي الخبر اي صفة الذين
كفروا اعمالهم كرماد او اعمالهم بدل كل من مثلهم وهذا ابلغ معنى والرماد معروف واصله
من الرمد وهو الهلاك اشتدت به الريح وقرأ نافع الرياح على ارادة الجنس للجنس من الجهات

من الجهات في يوم عاصف العصف شدة الهبوب ريح وصف به اليوم مبالغة كما في نهاره صائم
وليله قائم بالغ في وصف الريح بالشدة حيث اسند فعل الاشتداد اليه ثم وصفه بالعصف
الذي هو شدة الهبوب ثم وصف به زمانه لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال
البعيد اشارة الى ما لهم فيه من الحسبان الباطل كانوا يطعمون الجائع ويكسبون العاري ويغيثون
الملهوف ولا يدعون مفخرة الا سابقوا اليها ولكن حيث لم تكن مسبوقة بما هو الاساس
وهو الايمان والتوحيد كانت كالصلوة بلا وضوء وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه
هباء منثورا الم تر ان الله خلق السموات والارض خطاب لسيد القوم والمراد امته
او لكل من يتأتى منه الرؤية بالحق بالحكمة التي اقتضته مشيته ليكون اظهر الدلائل
على قدرته على الاعادة وعلى كل ممكن وقرأ حمزة والكسائي خالق اسم فاعل والمختار صيغة
الماضي لان المعنى عليه ووفاقا لسائر الايات ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد
يعدمكم ويخلق مكانكم قوما آخرين لان من قدر على خلق السموات والارض كان اقدر
منه والاتيان بامثالكم اهون شيء عنده وما ذلك على الله بعزيز بعسير اصل العزة
القوة والشدة وبرزوا لله جميعا يبرزون يوم القيمة للحساب والمجازات عبر عنه
بالماضي لتحقق وقوعه او يبرزون لله في اعتقادهم فانهم في الدنيا كانوا يستخفون اذا ارتكبوا
من الفواحش ويظنون ان ذلك يخفى على الله خافيا الا فاسدا فقال الضعفاء للذين استكبروا
اي الاتباع للرؤساء فان قلت لم رسمت الهمزة واوا في الضعفؤا والشفعؤا ونظائرهما
قلت لا اتفاق على تخفيفها بالتسهيل في الوصل والوقف بالروم كالواو وقد رسمت عليه قال
ابو عمرو الداني في المقنع رسمت على مراد الايصال والتسهيل والقول بانها رسمت على لفظ
من نحو بالالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو ليس بشيء اذ لم يقرأ به احد من القراء فان
قلت فما وجه الالف بعدها قلت وجه الالف بعدها ما قال ابو عمرو لما تطرفت الواو
اشبهت واو الجمع وقالوا فالحقت بها انا كنا لكم تبعا مقلدين لكم معرضين عن الرسل
ونصائحهم جمع تابع كخائب وغيب او مصدر نعت به فهل انتم مغنون عنا دافعون
من اغنى عنه اي كفاه من عذاب الله من شيء من الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كانه
قيل هل انتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله وانما قدم البيان على المبين للاهتمام
ويجوز ان يكونا للتبعيض والاولى حالا كانه قيل هل انتم مغنون عنا بعض شيء حال كونه
بعض عذاب الله ويحتمل ان يكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اي فهل انتم مغنون
عنا بعض العذاب بعض اغناء قالوا اي الرؤساء لو هدانا الله للايمان لهديناكم ولكن
ضللنا فاضللناكم ما اخترناكم الا ما اخترنا لانفسنا فلا عيب سواء علينا اجزعنا ام
صبرنا لا انتفاء وتحال الفوات وقت الاعتذار ما لنا من محيص من منجى من حاص اذا تأخر وفي
معنا جاص بالجيم ويجوز ان يكون كلام الفريقين الضعفاء والمستكبرين جميعا والمحيص اما
مكان او مصدر وقال الشيطان لما قضي الامر فرغ منه فريق في الجنة وفريق في السعير

يقوم بعد استقرار الفريقين خطيبا للأشقياء من الثقلين إن الله وعدكم وعد الحق الذي
لا خلف فيه من إضافة الموصوف إلى الصفة ووعدتكم فأخلفتكم جعل بطلانه وصل وكذبه
فيما وعد به كالإخلاف منه لكونه سببا وما كان لي عليكم من سلطان تسلط وإجبار
إلا أن دعوتكم لكن دعوتكم والاستثناء منقطع لأن تسويله ليس من جنس السلطان أو هو على طريقة
قوله تحية بينهم ضرب وجيع فاستجبتم لي أسرعتم في إجابتي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم
كيف اغتررتم بقول العدو بعد تيقن العداوة وليس في الآية إلا أن الإنسان له اختيار في فعله
ليس مجبرا كل الإجبار كما دل عليه قوله وما كان لي عليكم وأما أنها تدل على أن الإنسان مستقل
بخلق أفعاله فكلا ما أنا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب أصله من الصراخ وهو الصوت وفي الحديث
كان يقوم بالليل إذا سمع الصارخ يريد صوت الديك وما أنتم بمصرخي قرأ حمزة بكسر الياء
على أن الإضافة إلى الياء ساكنة كياء غلامي فلما سقط النون بالإضافة اجتمع الساكنان حركت
الثانية لعدم إمكانه في الأولى بسبب الإعراب ويمكن الإدغام وعند التقاء الساكنين إذا حرك
الساكن تحرك بالكسر قاعدة مطردة وقد نقله من أهل العربية قطرب والفراء وأبو عمرو بن
العلاء فمن قال إنها ضعيفة فلضعف بصيرته ولو لم يوافق العربية حيث تواتر عن صاحب
الوحي أفصح خلق الله كان واجب القبول والشعر الذي قال إنه مجهول هو للأغلب العجلي أنشده في
ديوانه إني كفرت بما أشركتمون من قبل بإشراككم إياي من قبل هذا اليوم في الدنيا ومعنى كفره
بإشراكهم إياه تبرؤه منه في ذلك اليوم فعلى هذا ما مصدرية ومن يتعلق بكفرت أو موصولة
بمعنى من وهو الله تعالى أي كفرت بالذي أشركتمونيه معه في طاعتكم إياي حين دعوتكم على عبادة
الأوثان وترك التوحيد من قبل إشراككم إذ أبيت السجود لآدم يقال أشركت زيدا وأشركته غيره
فيتعدى إلى المفعول الثاني بالهمزة إن الظالمين لهم عذاب أليم من كلام سيقوله في ذلك اليوم
تحسرا حكاه الله ليكون إيقاظا للناظرين في أمر الآخرة أو هو ابتداء كلام منه تعالى لذلك وأدخل
الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم
بتوفيقه وإرادته والمدخل الملك الذي بيده مفتاح الجنة والإسناد إليه تعالى للتشريف تحيتهم
فيها سلام تحية الملائكة عند ملاقاة المؤمنين سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين
ألم تر كيف ضرب الله مثلا لما بين أحوال الأشقياء وأحوال السعداء أردفها بضرب المثل
كشفا عن حقيقتها وإبرازا للمعقول في صورة المحسوس كلمة طيبة أي جعل كلمة طيبة تفسير لقوله
ضرب الله مثلا كما تقول شرف الأمير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز أن ينتصب مثلا وكلمة
بضرب على تضمين معنى التصيير أو صير كلمة طيبة مثلا ثم قال كشجرة طيبة على أنه خبر مبتدأ
محذوف أصلها ثابت في الأرض ضارب بعروقها فيها وفرعها في السماء وأعلاها في
السماء ويجوز أن يريد وفروعها وهي الأغصان واكتفى بالجنس فيتناول الكل وفرع على البدل لا الاستغراق
لأن مثل غلام زيد لا يستغرق تؤتي أكلها ثمرها كل حين كل وقت جرت عادة الله بكون
الثمر فيه بإذن ربها بإرادة خالقها ومكونها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون

يتذكرون فإن في ضربها تصوير المعقول في صورة المحسوس تقريبا للمعاني إلى الأفهام ومثل كلمة
خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض استؤصلت وأخذت جثتها وأصل الجث
القطع ما لها من قرار ثبات لكون عروقها على وجه الأرض تجتف بأدنى ريح والكلمة الطيبة
كلمة التوحيد وقيل كل كلمة حسنة تورث ثوابا كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار و
التوبة وعن ابن عباس هي شهادة أن لا إله إلا الله وهذا هو الوجه لأنها أصل الأعمال فينطبق
عليه قوله وفرعها في السماء فالتنكير للتعظيم والشجرة الطيبة كل شجر لها ثمر طيب كالنخل
والتين وعلى قول ابن عباس ينبغي أن يكون النخلة لأنها أفضل الأشجار على ما قال رسول الله
إنها مثل المؤمن والكلمة الخبيثة ما يكون معصية أو تؤدي إليها والشجرة الخبيثة الحنظلة
وقيل الشريانة وإنما أردف المثل الأول بقوله ويضرب الله الأمثال ولم يؤخر عنهما إشارة
إلى شرفه وأنه المقصود بالذات والثاني مذكور بالعرض يثبت الله الذين آمنوا بالقول
الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وهو كلمة الشهادة فإن المؤمن يفتن في الدنيا نعوذ
بالله كما فتن أصحاب الأخدود وأنبياء بني إسرائيل نشر بعضهم بمناشير الحديد ولم يصرفهم
ذلك عن دينهم وكذلك في الآخرة إذا جاءه فتانا القبر وسألوهم عن دينهم ثبتوا على ما كانوا
عليه في الدنيا كما أخبر بذلك صلى الله عليه وسلم يموتون كما تعيشون وروى البخاري عن البراء
أن رسول الله قال إن المؤمن إذا سئل عن ربه وعن دينه وعن نبيه وأجاب نادى مناد من السماء
أن صدق عبدي فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة
ويضل الله الظالمين الذين لم يستدلوا بآيات الآفاق والأنفس على وحدانيته وبنبيه
ألا يكون ذلك قول الكافر في القبر إذا سئل عن ربه وعن دينه فيقول لا أدري فيقال لا دريت
ولا تليت ويضرب بمطرقة فيصيح صيحة يسمعها كل ذي روح سوى الثقلين ولو سمعوها لصعقوا
من هيبتها ويفعل الله ما يشاء من الإسعاد والإشقاء وفيه إيماء إلى أن المؤمن لا يتكل على
ما هو فيه ولا يأمن من مكر الله ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا أي شكر نعمة الله الذي
كان واجبا عليهم أو بدلوا بنفسها فإنهم بدلوها ولو بدلوا لنعمة كفرا فإن الآية نزلت
في مشركي مكة حين من الله عليهم بمحمد عليه السلام ولم يقبلوا نعمته وآثروا الكفر عليها وأحلوا
قومهم دار البوار الذين شايعوهم على الكفر دار الهلاك وفي الحديث نعوذ بالله من بوار
الأيم وهي المرأة التي لا زوج لها ولا يرغب فيها أحد جهنم يصلونها عطف بيان لدار البوار
والمضاف على حالها أو من الفاعل أي داخلين فيها مقاسين حرها وبئس القرار بئس المقر
جهنم جعلها نفس القرار مبالغة وعن عمر وعلي هم الأفجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية
أما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين وقيل هم متنصرة العرب
جبلة بن الأيهم وأصحابه وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله التوحيد الموصل إليه
وجمع ند بالكسر وهو مثل الشيء المضاد وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون بضم الياء والإضلال
والفتح هو المختار لا يتجرد الضلال كالإضلال كان الاستحقاق والضلال والإضلال جعلا غرضا مجازا

كما في قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا قل تمتعوا بالشهوات امر تهديد وفي الامر
به ايذان بانهم منهمكون في تلك الشهوات كانهم مامورون من آمر لازم طاعته فان مصيركم
الى النار فاستوفوا العاجل قبل فواته قل لعبادي الذين آمنوا اضافهم الى نفسه تشريفا لهم
يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم كما ان الكفرة يتلذذون بالشهوات هؤلاء يستلذون
بعبادتهم ومفعول القول محذوف لان جوابه يدل عليه تقديره قل لهم اقيموا وانفقوا يقيموا
وينفقوا ويجوز ان يكون اللام محذوفة لدلالة قل عليه وما حكي عن المبرد من ان التقدير
قل لهم اقيموا يقيموا فلا يستقيم لان الشرط والجزاء متحدان في الفعل والفاعل ولان الامر
المقدر للمواجهة ويقيموا على لفظ الغيبة سرا وعلانية منتصبين معلنين او في وقتي سر و
علانية او انفاق سر وعلانية السر في الاصل جوف الشيء ثم اطلق على كل خفي فلما كان اغور
والمراد الحث على الانفاق لانه يخلو عنهما والاولى في التطوع الاخفاء لانه ابعد عن الرياء
وفي الفرض الاعلان ليقتدى به من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلال اي من قبل ان لا تقدروا
على تدارك ما فاتكم لانه اما ان يكون بصرف الاموال او بمساعدة الاخلاء وكلاهما انتفى في ذلك
اليوم او معناه الحث على الانفاق بتصور يوم ينفع فيه هذا الانفاق ولا ينفع فيه هذان الامران
المستمران بين الناس او عدم الانتفاع بهما كناية عن الانتفاع بمقابلهما وهو ما انفق لوجه الله
قرأ ابن كثير وابو عمرو فيهما بالفتح وهو ابلغ لكونه نصا في الاستغراق الله الذي خلق السموات
والارض مبتداء وخبر بين بذلك احوال السعداء والاشقياء ورغب ورهب ثم عاد الى
دلائل التوحيد وبداء باظهرها وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم مفعول
اخرج يشمل كل ما انتفع به الانسان والجار والمجرور بيان له تقدم عليه او حال منه او من للتبعيض
مفعول ورزقا حال او مصدر لاخرج لانه في معنى رزق وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره
بارادته حيث قصدتم وسخر لكم الانهار تتصرفون فيها وقيل تسخيرها تعليم كيفية الاتخاذ
بها وسخر لكم الشمس والقمر دائبين مستمرين على السير من دأب في العمل اذا جد وفي ذلك منافع عظيمة
لا تحصى من الانارة واصلاح الابدان والنبات ولولا ذلك لم يتصور تعيش الحيوان وسخر لكم الليل
والنهار للكسب والاستراحة وآتاكم من كل ما سألتموه بعض الذي سألتموه اذ لا يحصل الانسان جميع
ما يطلبه ويجوز ان يكون السؤال بلسان الحال اي آتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه ولم يكن يعطيكم
الا به فما موصولة او موصوفة او مصدرية بمعنى المفعول ويجوز ان يكون نافية اي آتاكم من كل
شيء غير سائليه وهو وجه حسن وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها الاحصاء العد والحفظ
وفي الحديث كل القرآن احصيت او حفظت واذا كان الاحصاء غير مقدور فلا سبيل الى شكرها
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في مقام الحمد لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وقال
ثم اذا كان شكري نعمة الله نعمة علي بها كيف السبيل الى الشكر ان الانسان لظلوم كفار يظلم
بوضع الكفران موضع الشكر كفار شديد الكفر يقابل تلك النعم باغفال الشكر وقيل ظلوم يشكوا
في الشدة ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع والمراد الجنس لقوله وقليل من عبادي الشكور واذ قال

وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا ذا امن زاده الله امنا وشرفا اشار الى ما في الذهن قبل
الوجود بالفعل ونكر في البقرة مشيرا الى الكائن اي اجعل هذه البلدة بلدا آمنا او بالعكس
لان الاول اظهر لان ما في هذه السورة سابق نزولا فلا اشارة باللام الا الى ما في الذهن
فان قلت يلزم ان يكون دعوة الاولى غير مستجابة قلت سال اولا ان يجعله صالحا للسكنى
ذا امن على وجه الاستمرار كما هو شان اكثر البلاد وثانيا ازالة خوف يعرض سائر البلاد
الامنة احيانا او قيل سال اولا امن الدنيا وثانيا امن الآخرة او ورد قصة ابراهيم بعد
ذكر الانسان بانه ظلوم تذكيرا لهؤلاء الناكرين دعوة التوحيد الذي دعا ابراهيم اباهم
اليه وزجرا لهم عما هم فيه فانهم يدعون انهم على ملته واجنبني وبني بعدني واياهم
يقال جنب واجنب وجنب بالتشديد فالاول لغة نجد والثالثة لغة الحجاز ان نعبد
الاصنام عن عبادتها اراد بنيه من صلبه او سطه اذ عبادة وثن الاصنام لم يخالف فيه احد لقوله
لا ينال عهدي الظالمين وقوله ومن كفر فامتعه قليلا وما حكي عن سفيان بن عيينة ان احدا من
اولاد اسمعيل لم يعبد الاصنام محمول على اولاد صلبه رب انهن اضللن كثيرا من الناس اسند
الاضلال اليهن باعتبار السببية فمن تبعني على التوحيد فانه مني متصل بي وهو حقيقة مثل كما في الحديث
من غشنا فليس منا لان فعله ليس من جنس فعالهم ومن عصاني فانك غفور رحيم بالتوبة والتوفيق
الانابة وفيه دليل على ان الله يغفر ما دون الشرك لمن يشاء ربنا اني اسكنت من ذريتي
بعض ذريتي هو اسمعيل حين تركه مع امه بالحرم وقيل اسمعيل وذريته فان اسكانه متضمن
لاسكانهم بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم اراد وادي مكة اذ لم يكن هناك زرع ولا ماء
واراد بالبيت مكانه اذ لم يكن هناك بناء وانما بناه بعدما نشأ اسمعيل وانما وصفه بالمحرم
لانه حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه لا يحل خلاه ولا يعضد شجره او
لانه حرم على الطوفان فلم يستول عليه او لانه لم يزل ممتنعا يهابه كل جبار كالشيء المحرم الذي
حقه ان يجتنب عنه وسبب اسكانه ذريته ان هاجر كانت جارية لسارة وكانت سارة
عقيما لا تلد فوهبت هاجر لابراهيم عسى ان يرزقه الله منها ولدا فلما ولدت اسمعيل غلبت
عليها الغيرة فلم تقدر على رؤيتهما فناشدت ابراهيم ان يخرجهما من عندها فامره الله ان يسكنهما
بذلك الحرم الشريف فركب ابراهيم البراق وحملهما حتى وضعهما في موضع زمزم ثم تولى
فقالت له هاجر تذهب وتدعنا في هذا الوادي الذي لا ماء به ولا زاد قال بلى قلت فالله
امرك بهذا قال بلى قالت فاذهب اذن لا يضيعنا ربنا ليقيموا الصلوة الجار متعلق بمحذوف
مؤخر اي ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا ابنا التشرف بالجوار واشتغال
الى ذلك بقوله عند بيتك المحرم ثم صرح بان الغرض الاصلي هو تعمير ذلك المكان بانواع
العبادة من اقامة الصلوة والطواف والعكوف ثم بعد تقديم الوسيلة دعا بقوله فاجعل
افئدة من الناس من تبعيضية ويجوز ان يكون ابتدائية كما في قوله رب اني وهن العظم
مني كانه قيل افئدة ناس وقرأ ابن عامر في رواية هشام افئدة بياء مكسورة بعد الهمزة

فضلا بين الشديد بين تهوي اليهم يسرع نحوهم من هوى يهوي هويا وفي حديث البراق انطلق يهوي
اي يسرع واذا ضم الهاء في مصدره مع تشديد الياء معناه الهبوط واذا فتح مع تشديد الياء
الصعود وقيل بالعكس فيهما وارزقهم من الثمرات بان تجلب اليهم من سائر البلاد لكونه
واديا غير ذي زرع فاجاب الله دعاءه فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء الى آخر
الدهر بل يجتمع فيه من انواع الثمار الصيفية والخريفية ما لا يوجد في ريف من الارياف
لعلهم يشكرون تلك النعمة لان النعمة اذا جاءت من حيث لا يحتسب كانت ادعى الى الشكر
ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن علما لا تفاوت فيه ولا احتجاب له ان باطنه موافق
لظاهره وسره مطابق لعلنه وان فائدة السؤال اظهار العبودية والتلذذ بالتذلل
والا فشهادة الحال بالافتقار اليه كافية ولذلك سلك في مقام التوكل خلاف ما
يسئل هناك روحانيته لما وضعه نمرود في المنجنيق والقاه في النار فكان في الهواء متوجها
الى النار لحقه جبرئيل فقال هل من حاجة خليل الله فقال اما اليك فلا فقال سل ربك
قال علمه بحالي يغنيني عن سؤالي وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء لانه عليم
بالاشياء عالم بالنسبة في الكل على السؤال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل و
اسحق مع الكبر في موضع الحال اي وانا كبير السن على خلاف المتعارف قيل ولد له اسمعيل
وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة وقيل ولد اسمعيل
وهو ابن اربع وستين سنة واسحق لتسعين سنة وانما ذكر حال الكبر اعترافا بكمال النعمة
لان المنة بهبة الولد في سن اليأس اعظم فان قلت قوله اني اسكنت ذريتي بواد غير ذي
زرع هو اسكانه اسمعيل قبل بناء البيت بلا خلاف وقوله الحمد لله الذي وهب لي على الكبر
اسمعيل واسحق دل على ان هذا الكلام بعد ولادة اسحق قلت ان الله تعالى حكى عنه جملا
من كلامه في احايين كثيرة متفرقة لاشتراكها فيما سيق له الكلام من كونه على الايمان والعمل
الصالح مريدا ذلك لذريته ومن تبعه ان ربي لسميع الدعاء من اضافة اسم الفاعل الى المفعول
وقد ذكر سيبويه فعيلا من ابنية المبالغة العاملة عمل فعلها مثل ضراب اخاه ورحيم اباه
ومعنى سماع الدعاء الاجابة لها والاعتداد بها كما في قول المصلي سمع الله لمن حمده رب اجعلني
مقيم الصلوة معدلا لها مواظبا عليها ومن ذريتي وبعض ذريتي لانه قد علم من قوله ومن كفر
فامتعه قليلا ان من ذريته من هو كافر ربنا وتقبل دعاء اي عبادتي لقوله واعتزلكم وما
تدعون من دون الله ثم قال ولما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله او هو كلمة التوحيد لقوله
صلى الله عليه وسلم دعائي ودعاء الانبياء قبلي بعرفات لا اله الا الله او هو بعينه تحميد لما في
الحديث قال ساخبركم انا دعوة ابي ابراهيم وبشارة اخي عيسى ربنا اغفر لي ما فرطنا و
لوالدي كان ذلك قبل النهي وقدم مغفرة نفسه ليكون دعاؤه لهما بعد المغفرة اقرب الى الاجابة
وللمؤمنين يوم يقوم الحساب كانه يثبت شبه ثبوته بقيام الشخص على رجله كما في قولهم قامت
الحرب على ساق وترجلت الشمس اذا اشرقت وثبت ضوؤها كانها قامت على الرجل واهله واسند

الفعل اليه مجازا ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون اراد به تثبيته على ما هو عليه كما
في نظائره ولا تدع مع الله الها آخر ولا تكونن من المشركين او كناية عن الايذان بانه عالم بما يفعله
الظالمون لا تخفى عليه خافية او الخطاب لمن لم يعرف صفات الله وشمول علمه وعن سفيان بن عيينة
فيه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقيل له من قال له قال انما قال من علمه يريد نفسه انما يؤخرهم
ليوم تشخص فيه الابصار تشخص البصر ارتفاع الاجفان الى فوق وتحديد النظر وانزعاجه
ومنه الشخص لكل جسم مرتفع مهطعين مسرعين الى الداعي او من هطع اذا اقبل على الشيء ببصره
لا يقلعه عنه او من اهطع البعير اذا مد عنقه وصوب رأسه مقنعي رؤوسهم لا يرتد اليهم
طرفهم رافعي رؤوسهم ومن صفة ركوعه صلى الله عليه وسلم كان اذا ركع لا يقنع رأسه اي
لا يرفعه وحديث تعليمه الدعاء لا تقنع يديك واصل الكلمة من القنوع وهو السؤال
لان السائل يرفع رأسه او يديه لدى السؤال وعدم ارتداد الطرف كناية عن غاية الخوف فان
من به شدة الخوف يجمد عينه وافئدتهم هواء خالية عن الفهم والادراك لتوجه القوى
المدركة الى دفع الخطر والطلب وقيل خالية عن الخير وليس بوجه والهواء بالمد كل شيء خال
قال حسان يهجو ابا سفيان فانت مجوف نخب هواء وانذر الناس يا محمد يوم يأتيهم العذاب
مفعول ثان لانذر وهو يوم القيمة فيقول الذين ظلموا بالشرك ربنا اخرنا الى اجل قريب
اخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا وامهلنا زمانا قليلا نجب دعوتك ونتبع الرسل في
اوامرهم ونواهيهم جزم على الجواب وقيل هذا قولهم عند الموت اذا حضرتهم الملائكة بدون
البشرى وهذا كقول المؤمن المقصر لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين
اولم تكونوا اقسمتم من قبل على ارادة القول والمعنى انكم اقسمتم جهد ايمانكم لا يبعث الله
من يموت ما لكم من زوال ابتداء كلام منه تعالى ما لكم زوال والانتقال من الحال التي انتم
كقوله اخسئوا فيها ولا تكلمون بعد قولهم ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون وقيل
هو من كلامهم ايضا ولعلهم اقسموا اعجابا الى غرور وبطرا او شبهت حالهم بحال من يقول
بالخلود مؤكدا بالقسم حيث شيدوا البنيان وطال بهم الزمان وسكنتم في مساكن الذين
ظلموا انفسهم كعاد وثمود واصل في السكنى تعديه بفي كقولك قر في الدار واقام فيها و
لما نقل الى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوأها واوطنها وتبين لكم
كيف فعلنا بهم كيفية اهلاكنا لهم بالعذاب وانتقامنا منهم بما شاهدتم في منازلهم وبلغكم
تواتر الاخبار حجة لم يسبكم الاشتباه فاعل تبين مضمون كيف فعلنا بجعله عن الاستفهام وضربنا
لكم الامثال بينا قصصنا من احوالهم الغريبة وقبائحها وما تركنا عليهم من العذاب
الفظيع في مواضع شتى وقد مكروا مكرهم اي مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم كما نقول
لحصول قد فعلت وفعلك فقد جاءت لحال افعل فعلي وعند الله مكرهم جزاؤه وما يستحقون
عليه من العذاب وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وما كان مكرهم وان عظم لتزول منه
الجبال يريد بها ثبات امر محمد مثل بالجبال الراسية فلا تزعزعه مكر هؤلاء واللام الجحود

مثل وما كان الله ليعذبهم وقرأ الكسائي بفتح اللام فان هي المخففة واللام الفارقة والمعنى
ان مكرهم من عظمة بوهم ان يزيل ما هو كالجبال وهي شريعته ومعجزاته وقيل ان نمرود لما
ركب التنور وصعد الى السماء فلما توسط الجو خاف على نفسه الخيبة فاستنزلها فظنت
الجبال انه قهر الحق فزالت عن مواضعها خوفا ورعبا فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله
اخبر في الماكي شتى انه لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف من مواعده مع سائر خلقه فكيف يخلفه
مع اشرف عباده المرسلين قدم المفعول الثاني اهتماما ان الله عزيز لا يغالبه ذو انتقام
من اعدائه يوم تبدل الارض غير الارض والسموات انتصاب يوم على البدل من يوم او ظرف
لانتقام التبديل يكون في الذات وفي الصفات وما في الاية يحتمل الامرين عن ابن عباس
رضي الله عنه ان الارض هي تلك الارض وانما تبدل وصفا فيها فتسير جبالها وتفجر بحارها
فتسوى لا ترى فيها عوجا ولا امتا وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف
قمرها وعن ابن مسعود وانس رضي الله عنهما يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطأ عليها خطأة
وروى البخاري عن سهل بن سعد عن رسول الله يحشر الناس على ارض بيضاء كقرصة النقي
لا يعلم فيها لاحد وروى مسلم عن عائشة انها سالت رسول الله اين يكون الناس يومئذ قال
على الصراط وعن علي رضي الله عنه تبدل الارض ارضا من فضة والسماء سماء من ذهب
والظاهر ان التبدل في الصفات كما قاله ابن عباس لما روى ابو هريرة ان رسول الله قرأ
هذه الاية يومئذ تحدث اخبارها قال اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله
اعلم قال اخبارها ان يشهد على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها ويؤيد ما قاله تغلب
والمبرد من ان التبديل تغير الصفة مع بقاء الجوهر والابدال تنحية الجوهر واحداث الآخر
وبرزوا لله من الاجداث الواحد القهار ذكر هذين الوصفين من اشائه الجزء مكانه كما
في قوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار كانه قيل الامر كله لله وهو غالب لا يغالب
وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد يجمعين من القران وهو الجمع ومنه قرن بالحج
اي جمع بينه وبين العمرة والقرن بفتح الراء الحبل الذي يجمع به بين الشيئين والاصفاد
جمع الصفد وهو القيد وفي الحديث نهى عن الصلوة الصافد وهو ان يقرن بين رجليه كانهما
في قيد وذلك لاشتراكهم في العقائد بل الاصفاد هي تلك الاعمال والمعاصي كما ان المؤمنين
يحشرون غرا محجلين من اثار الوضوء سرابيلهم من قطران قميصانهم جمع سربال والقطران
صمغ الابهل يطبخ ويلطخ بجلد الابل الجرب فيحرق الجرب وهو اسود اللون منتن الرائحة و
الغرض منه تغليظ العذاب لاشتماله على قبح اللون ونتن الرائحة وسرعة اشتعال
النار فيه وقرأ يعقوب قطران على انهما كلمتان القطر النحاس والآني هو المتناهي في الحرارة
وتغشى وجوههم النار اشرف الاعضاء كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم وقوله
تطلع على الافئدة فان القلب اشرف الاعضاء الباطنة قيل ان قوله مقرنين في الاصفاد
سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم احوال من مفعول ترى وجعل فيها الزمخشري بان جعلت

بان جعلت الثانية جملة اسمية والثالثة مضارعية لاستحضار المقصود والظاهر ان سرابيلهم
استيناف وتغشى وجوههم عطف عليه افادة لاستمرارين لا ان جعل المضارع المثبت حالا
من الواو لا يرضاه البلغاء ليجزي الله كل نفس ما كسبت اي كل نفس مؤمنة وكافرة لانه اذا
جازى على الاجرام والعصيان فعلى الطاعة والايمان اولى ان الله سريع الحساب لا يشغله
شان عن شان هذا بلاغ للناس اشارة الى قوله ولا تحسبن الله غافلا او الى القران او
الى جميع ما في السورة من التذكير والعظة ليكون كالفذلكة ويكون خاتمة السورة على
منوال الفاتحة ولينذروا به عطف على محذوف اي لينصحوا به ولينذروا بهذا البلاغ
وليعلموا انما هو اله واحد لانهم اذا انذروا وخافوا ما انذروا به دعاهم ذلك الى النظر
الموصل الى التوحيد لان الخشية ام الخير كله وليذكر اولوا الالباب ذوو العقول الخالصة
العالمون بالله وبصفاته اذ ربما يعرض لهم نوع ذهول فيتذكرون بهذا البلاغ ذكر البلاغ
ثلث فوائد هي الحكمة في انزال الكتب تكميل الرسل المرسل اليهم واستكمال القوة النظرية التي
عليها التوحيد واصلاح القوة العملية بالتدرع بلباس التقوى حشرنا الله في زمرة
المتقين بحق محمد واله الطيبين ٥ سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون اية بسم الله الرحمن
الرحيم الر تلك ايات الكتاب وقران مبين تلك اشارة الى ما تضمنته السورة او هذا
المؤلف من الحروف ايات الكتاب والكتاب والقران السورة او القران كله والعطف لتغاير
الصفات او الكتاب اللوح المحفوظ والقران السورة او المجموع او الكتاب السورة والقران
المجموع وهو الوجه لقوله في اول الرعد والذي انزل اليك من ربك الحق بعد ذكر الكتاب
ولما كان في التعريف نوع من الفخامة وفي التنكير اخر جمع بينهما ونكر القران هنا وعرفه
في النمل وقدمه لان كونه قرانا اول على خصوص المنزل على محمد والحديث هنا عن المنزل
المخصوص لقوله هدى وبشرى للمؤمنين ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين رب
للتقليل والمعنى انهم لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة لوجب عليهم الاسراع اليه قبل
فوته فكيف وهم يودونه كل لحظة وقيل تدهشهم الاهوال فان حانت منهم افاقة في بعض
الاوقات تمنوا ذلك وقد روى الترمذي عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في تفسير الاية اذا خرج الموحدون من النار ود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وانما دخلت
على المضارع واصل دخولها على الماضي لان المترقب في كلامه تعالى كالمحقق وانما حكى ودادتهم
بلفظ الغيبة لانه بصدد الاخبار عنهم كما تقول حلف زيد ليفعلن كذا ولو قيل لافعلن
لكان عربيا فصيحا والاول اولى واكثر لامن اللبس قرأ نافع وعاصم ربما بالتخفيف وهي افصح
لانها لغة الحجاز وقيس ذرهم ياكلوا ويتمتعوا بعدما بلغت وانذرت ويلههم الامل يشغلهم
طول الامل واستقامة الاحوال عن الاستعداد لما بعد الموت فسوف يعلمون سوء صنيعهم جعل
اكلهم وتمتعهم غاية الامر ليصير مطلوبا فيكون الامر وسيلة اليها وهذا ابلغ من الامر وفيه
الزام الحجة لان الامر بالضد لا يكون الا عند تكرار الانذار وثبوت الجحود وظهور مخايل الياس

وفيه ايماء الى وجه التنعم وان الكفار انما اختاروا على الانتفاع بابلغ نافع هو القران لطول الامل
والانهماك في الهواء وتسلية له صلى الله عليه وسلم وتنبيه على ان ايثار التلذذ كما هو ديدن
اكثر الناس ليس من اخلاق المؤمنين وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم اجل مكتوب
في اللوح متصل بقوله فسوف يعلمون اي ان العذاب نازل بهم لا محالة ولكن له وقت معلوم
كذلك يجري للامم المكذبة والواو في ولها كتاب هي الداخلة على الجملة الداخلة صفة كما في
وثامنهم كلبهم لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف لذلك لانها على الجمع والمعية لان اصل الواو
هو العطف ومعنى اللصوق يناسبه فاستعير له كما في الحال والقول بان الصفة لما شابهت
الحال صورة ادخلت الواو عليها قول بجريان القياس في اللغة فان قلت فما الفرق بين هذا
وبين قوله في الشعراء وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون حيث جيء بالواو هنا وترك
هناك والاسلوب واحد قلت الفرق هو ان هذا الوصف الصق بالموصوف لانه لازم عقلي و
ذاك عادي جرت به سنة الله ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون حذف العلم به وذكر
الضمير لاعتبار المعنى وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر اي القران قالوه تهكما لقولهم
انك لمجنون وهذا مثل قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون كانهم قالوا انا نظنه ملكا
ملكا جنيا لو ما تاتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين فيشهدون لك بانك نبي او للعقاب
كما جاءت الامم المكذبة اصل لو للشرط فاذا ركبت مع ما او لا تاتي لامتناع الشيء لوجود غيره
اذا دخلت الاسماء وللتحضيض اذا دخلت الفعل ما ننزل الملائكة جواب لهم منه تعالى اعتناء
لرسوله الذي نسبوه الى الجنون ما تنزل الملائكة بفتح التاء والزاء ورفع الملائكة وقرا ابو بكر
بضم التاء على بناء المفعول وحمزة والكسائي وحفص بالنون مسندا الى الله وهو المختار لتمام
المعنى ومناسبة السياق والسباق الا بالحق تنزيلا ملتبسا بالحق او ملتبسين به والمعنى
تنزيل الملائكة لا يكون الا على وفق حكمة اقتضتها المشيئة ولا حكمة في ارسال الملائكة
لان الملك اذا جاء يكون على صورة الانسان ليمكن الاستفادة منه واذا تصور بصورة الانسان
فالشبهة بحالها ومناط ذا انما هو المعجزة واليه اشار بقوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه
رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ولا حكمة في معاجلتكم العذاب لان منكم من سبقت المشية
بايمانه او ايمان من يولد منه وقيل الحق الوحي او العذاب وما كانوا اذا منظرين اذا
جواب لهم وجزاء شرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ولو يؤمنوا لوقع عليهم الاستيصال
وقطع دابرهم بذلك اذ جرت سنة الله فيمن كذب بالاية المقترحة انا نحن نزلنا الذكر رد
لاستهزائهم بالذكر وادعاء جنون من نزل عليه ولذلك اكد الكلام بوجوه من التاكيد وانا له
لحافظون بان كسوناه لباس الاعجاز فلا يقبل الزيادة والنقصان بخلاف سائر الكتب السماوية
حيث لم يلتزم حفظها بل استحفظنا الاحبار فحرفوها وبدلوها فالقران محفوظ في حين
نزل الى ان يرث الله الارض ومن عليها وقيل الضمير لرسول الله والاول هو الوجه ولقد
ارسلنا من قبلك في شيع الاولين فرق الاولين السابقين على هؤلاء جمع شيعة تقع على

الواحد والجمع مذكرا كان او مؤنثا من المشايعة وهي المتابعة او من شاع الامر اذا انتشر
وفي حديث خالد بن الوليد انه كان مشيعا اي من غاية اقدامه في الحرب كان له اتباعا وحماة
وما ياتيهم من رسول اي ما اتاهم والمضارع لحكاية الحال ولذلك دخل عليه ما النافية للحال
الا كانوا به يستهزءون كما يفعل هؤلاء بك فلا تبال بهم كذلك نسلكه في قلوب المجرمين
اي مثل ذلك السلك الذي سلكناه في قلوب تلك الامم نسلك الذكر في قلوب المجرمين يقال
سلكت الخيط في الابرة اذا ادخلته فيه لا يؤمنون به بيان وتفسير للسلك بعد ابهامه
ويجوز ان يكون حالا من الضمير المنصوب او المجرمين وجعل الضمير للاستهزاء اي نسلك
الاستهزاء في قلوب هؤلاء كما سلكناه في قلوب اولئك وان صح معنى لكن يوجب
تنافر النظم لان ضمير يؤمنون به للذكر بلا احتمال وقد بين في الشعراء ذلك بقوله كذلك
سلكناه في قلوب المجرمين بعد ذكر القران بدون سبق الاستهزاء وقد خلت سنة الاولين
اي طريقتهم التي سنها الله تعالى في اهلاكهم حيث لم يؤمنوا بعد ظهور الايات وهؤلاء [illegible] بهم
ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون الى السماء نهارا
لا لبس فيه لقالوا انما سكرت ابصارنا سدت وحجبت من سكرت النهر سددته والتشديد
للمبالغة وقرا ابن كثير مخففا على الاصل ويحتمل ان يكون من السكر اريد به لازمه وهو
الاختلال والتحير بل نحن قوم مسحورون سحرنا محمد وما نراه لا حقيقة له والمعنى انهم
من شدة غلوهم في الكفر والانهماك في العناد لو عرجوا بانفسهم الى السماء ودخلوا فيها
على نحو دخولهم في بيوتهم من باب مهيا للدخول وقضوا ايامهم في مشاهدة عجائبه لم يؤمنوا او
نسبوا ذلك الى التخييل والاخذ بالسحر ولقد جعلنا في السماء بروجا اشار الى الادلة الجلية
والايات المبثوثة في الافاق والانفس توكيدا لذلك الرد واشارة الى ان في هذه الايات
غنية عن طلب غيرها اذ مع كونها ايات باهرة مشتملة على نعم جسيمة والبروج هي منازل
الشمس والقمر من التبرج وهو الظهور وقيل هي الكواكب وزيناها للناظرين اي زينا
السماء بزينة الكواكب تنزهة لمن يتاتى منه النظر وقيل النظر بمعنى التامل والاعتبار و
حفظناها من كل شيطان رجيم مرجوم مطرود وصفة ذم لا مفهوم له الا من استرق السمع
بدل من كل شيطان او نصب على الاستثناء المنقطع اي لكن من استرق السمع والاستراق
الاختلاس من السرقة وذلك ان الشياطين لم يكونوا محجوبين عن السماء فلما بعث رسول
الله حجبوا وذلك قوله انا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا
وانما يسترقون للاغواء اذا سمعوا الكلمة من الملائكة من احكام الله يلقونها الى الكهنة
واهل النجوم وذلك قوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم فاتبعه شهاب كوكب
يشبه الشهاب وهو شعلة من النار مبين ظاهر يراه كل ذي بصر والارض مددناها
دحوناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها من كل شيء موزون وزن
بميزان الحكمة وقدر بمقدار لا يقبل الزيادة والنقصان او من كل شيء له وزن وقدر في باب

النعمة من قولهم فلان له وزن اى قدر واعتبار وقيل الموزون المعادن من الذهب والفضة
ولفظ الانبات لا يلائمه وجعلنا لكم معايش اسباب العيش من سائر الانواع جمع معيشة
والياء في الاصل متحركة فلا تنقلب في الجمع همزة بخلاف الخبائث والشمائل ومن لستم له
برازقين من الخدم والحشم عطف على معايش او على محل المجرور في لكم والمعنى من تزعمون
انكم ترزقونه وانتم مخطئون في ذلك فان الله هو الرزاق وان من شيء الا عندنا خزائنه
اى الا ونحن قادرون عليه شبه اقتداره على الايجاد والتكوين بحال من يكون عنده
خزائن لا مانع له عن اخراج ما فيها او المقدورات بالمخزونات وما ننزله الا بقدر معلوم
اقتضته الحكمة وتعلقت به الارادة بحسب الاوقات والاشخاص وارسلنا الرياح لواقح
يلقح الاشجار من القح الفحل فهو جمع على خلاف القياس او الرياح لواقح نفسها لانها ذات حمل
بالخير لانها تنشئ سحابا ماطرا كما سميت الاخرى عقيما وهذا الصق بقوله فانزلنا من السماء
ماء ولا اول على الاسناد المجازى او على طريقة النسب كطامث وطالق فاسقيناكموه فجعلناه
لكم سقيا بالضم اسم من السقى وما انتم له بخازنين من قبيل وما انت علينا بعزيز اثبت لنفسه
الاقتدار على كل ممكن بطريق التمثيل بالخزائن المملوءة مما يحتاج اليه الناس ونفى عنهم الاقتدار
على ممكن خاص هو الماء على وجه يتضمن اثباته لغيره وليس الخبر لان ذلك القادر تعالى شانه
ويجوز ان يكون ما موصولة اى وما انتم بخازنين في الغدران والآبار والاودية فان الماء
يقتضي بطبعه الغور فوقوفه لا بد له من مدبر حكيم وانا لنحن نحيي كرر الضمير واكده بان
واللام لكون الكلام مع من يقول ما هي الا حياتنا الدنيا وما يهلكنا الا الدهر وبالاطلاق شمل
حيوة الحيوان وكل نام ونميت نزيل الحيوة عنها ونحن الوارثون الباقون بعد فناء الخلق
ومنه الوارث لبقائه بعد موت مورثه ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا
المستأخرين استقدم واستأخر بمعنى تقدم وتأخر والمعنى علمنا المتقدمين ولادة و
موتا والمتأخرين من الاولين والآخرين او من خرج من اصلاب الآباء ومن لم يخرج بعد
كاللازم لقوله انا لنحن نحيي ونميت وقيل من تقدم في الاسلام والجهاد ومن تأخر وقيل رغب
رسول الله في الصف الاول فازدحموا فنزلت وفيه بيان لكمال علمه كما ان في الاول بيانا
لكمال قدرته وان ربك هو يحشرهم للجزاء لا محالة انه حكيم متقن في افعاله فلولا الحشر
لاستوى المحسن والمسيء وضاع اجر العاملين عليم كامل لا يضيع عنده مثقال ذرة ويجوز ان
يكون الوصفان نشرا لقوله انا لنحن نحيي وقوله ولقد علمنا المستقدمين ولقد خلقنا الانسان
من صلصال لما ذكر جملا من الآيات المبثوثة في الآفاق اشار الى الآيات الانفسية حثا على شكر النعم
والتدبر في عظيم قدرته كيف انشأ اشرف المخلوقات في احسن تقويم من اكثف المواد وابعدها
عما عليه الانسان من النضرة والرواء الصلصال الطين اليابس الممزوج بالرمل وقيل الطين فاذا
طبخ كان فخارا من الصليل او الصلصلة وهو الصوت وفي الحديث سمعنا يوم حنين صلصلة بين
السماء والارض من حمإ طين اسود متغير صفة صلصال او بدل باعادة الجار مسنون مصبوب

مصبوب من سنه اذا صبه او من السنة وهي الصورة وفي الحديث حث رسول الله صلى الله
عليه وسلم على التصدق فقام رجل قبيح السنة وسنة الخد صفحته والمعنى من حما مصور مصبوب
مفرغه كما تفرغ صور الجواهر المذابة في قالب مقدرها او من سن الماء اذا تغير وانتن والجان
خلقناه من قبل او قبل الانسان الجان ابو الجن كادم للبشر وقيل يريد به الجنس كما اريد بالانسان
ذلك من نار السموم الشديدة الحر اصل السموم حر النهار كان الحرور حر الليل واضافة النار
اليه مبالغة كما في رجل سوء وكانها سميت سموما لانها يدخل في المسام والكلام في الموضعين
على ظاهره فان الله قادر على ايجاد الحيوة في البسائط كما في المركبات او باعتبار الجزء الغالب
وفيه اشارة الى الاعادة فان غاية الاجساد ان تعود ترابا كما كانت حال البدء واذ قال
ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون فان قلت خلق الانسان كان بعد
هذه المقالة فلم لم يكن النظم على وفق الوجود وما الحكمة في تقديمه قلت كان الكلام مسوقا
للآيات والدلائل الدالة على الوحدانية وكمال القدرة والعلم وخلق الانسان على النمط
المذكور من ابهر الآيات ولما استوفي ذلك ذكر الانسان اجل نعم عليه وهو اسجاد ملائكته
المقربين له ليكون داعيا له الى الشكر وادرج في ذلك بيان عداوة الشيطان قديما ليأخذ
حذره فاذا سويته صورته واكملت خلقه ونفخت فيه من روحي لما كان الروح لطيفا
نورانيا جعل ايجاده في الجسم الكثيف كالنفخ فيه والاضافة للتشريف كما في قوله فارسلنا
اليها روحنا والقول بان الروح يتعلق اولا بالبخار المنبعث من القلب ويفيض عليه القوة
الحيوانية رجم بالغيب وشيء يصان عنه تفسير كلام علام الغيوب ومن فيه بيانية فقعوا له
ساجدين امر من الجاب واكد بلفظ الوقوع وهو سقوط الشيء من علو حثا على المبادرة
الى المامور به بعد وجود الشرط فسجد الملائكة كلهم اجمعون عطف على مقدر اى ثم
بعد تلك المقالة خلقه ونفخ فيه الروح فسجد الملائكة واكد بتاكيدين لئلا يتوهم خروج
بعض المقربين كجبرائيل واسرافيل واضرابه وقيل التاكيد باجمعين للدلالة على انهم سجدوا كلهم دفعة
واحدة وفيه انه لا يجمع من اعلام التاكيد الشمول والاحاطة والزمان ليس بدلالة مفهومه
الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين اى لكن ابليس ابى وان جعل الاستثناء متصلا لانه
كان جنيا مغمورا بينهم فابى استئناف كانه قيل له هلا سجد وما الباعث له على ذلك فقيل ابى
فان قلت القصة واحدة وقد اختلفت العبارات في التعبير عنها فقد ذكر في البقرة
ابى واستكبر وفي الاعراف لم يكن من الساجدين واقتصر هنا على الاباء وفي سورة ص على الاستكبار
قلت هذا الاختلاف لا ينافي اتحاد القصة فان تلك الافعال كلها صادرة عنه ودالة
على كفره وتمرده قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين اى مانع عرض لك في ان لا تكون
مع المطيعين لامري قال لم اكن لاسجد زاد لفظ الكون للمبالغة وابعاد الادم المستحق
لامر الحق اذا وقع بعد نفي الكون لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون صفات ذم لا يليق
بحال اكون مكرما له وغفل عن قوله من روحي وقد بسطنا الكلام في سورة الاعراف قال فاخرج

منها من الجنة او من زمرة الملائكة فانك رجيم مطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة ويلزمه البعد
فاستعمل فيه وهذا الوعيد دل على ان شبهته واهية لا يستحق الجواب وان عليك اللعنة الى يوم
الدين يوم الجزاء على الاعمال فانه يبعد ذلك اليوم من العذاب ما ينسى اللعن معه او لان يوم
الدين ابعد غاية يضربه الناس في كلامهم كقولهم ما دامت السموات والارض قال رب فانظرني
الى يوم يبعثون الفاء جواب شرط دل عليه الكلام اي اذا كنت مطرودا فامهلني مدة فسيحة
اقدر فيها على الاغواء ويوم البعث نهاية دار التكليف وانقطاع تأثير الاغواء قال فانك
من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وذلك هو يوم البعث بعينه الذي ساله فانه وقت ممتد
من حين انقراض الخلق الى دخول كل فريق مستقره وقيل انما سأل يوم البعث لانه علم ان لا موت
بعد البعث فقد سأل ان لا يموت والتمكن من الاغواء فاجيب الى الثاني دون الاول وفيه انه
يعلم ان لا سبيل الى عدم الموت فكيف سأل المستحيل ويؤيد الوجه الاول اطلاق الجواب في
الاعراف بقوله انك من المنظرين قال رب بما اغويتني الباء للقسم واسم الحلف يقع على كل محلوف به
ولذلك ورد النهي عن اليمين بالآباء وفي عرف الفقهاء الحلف بالذات والصفات دون
الافعال والباء للسببية والمقابلة كما تقول لخصمك بعد الانتقام هذا بذاك لازينن لهم
في الارض في الدنيا غيرها لانها محل متاعها ومظهر آثارها او اراد بالارض جهة
السفل كانه قال اغويت آدم وهو في السماء فانا على اغواء ذريته اقدر وهذا يدل على ان
هذه المقاولة جرت بعد هبوط آدم او لازينن لهم الدنيا حتى يحبوها على الآخرة ويطمئنوا
اليها وانما عدى الفعل بفي دلالة على انها مستقر التزيين يمكن فيها تمكن المظروف من الظرف
ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين علم ان الله عبادا لا يؤثر فيهم وسوسته وقرأ
الكوفيون ونافع بفتح اللام من اخلصه اخترته وهو ابلغ لان معنى الكسر مبني عليه ولقوله انا
اخلصناهم بخالصة قال هذا صراط علي مستقيم اشارة الى مضمون الاستثناء وهو تخلص طائفة
استعار لفظ الاستعلاء وانه على لفظ الانتهاء لكونه ادل على التمكن ان عبادي ليس لك
عليهم سلطان اي المخلصين او الجنس الا من اتبعك من الغاوين استثناء منقطع على الاول متصل
على الثاني والحج انقطاعه على الوجهين اذ لا سلطان له على الغاوي لقوله وما كان لي عليكم من
سلطان وان جهنم لموعدهم الضمير للغاوين اجمعين تاكيد للضمير لا حال لانه علم التاكيد
والموعد مكان او مصدر بتقدير مضاف اي مكان وعدهم لها سبعة ابواب لكثرة الداخلين
او الابواب دركاتها لقوله ان المنافقين في الدرك الاسفل وعن علي بن ابي طالب ان الله وضع
الجنان على العرض ووضع دركات النار بعضها فوق بعض فاسفلها جهنم وفوقها لظى وفوقها
الحطمة وفوقها سقر وفوقها الجحيم وفوقها الهاوية وعن ابن عباس جهنم لمن ادعى الربوبية و
لظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين
للموحدين لكل باب منهم من الغاوين حال من المستكن في الظرف جزء مقسوم افرز له وعين
قرأ ابو بكر باسكان الزاي ان المتقين وهم الكاملون المخلصون من عباده والحمل على الاتقاء

على الاتقاء من الشرك غير سديد لشمول الغاوين بعض اهل التوحيد في جنات وعيون لكل واحد
جنات وعيون متعددة او لكل واحد جنة ولكل واحدة وعين والاول هو الوجه لقوله ولمن خاف
مقام ربه جنتان وقوله تجري من تحتها الانهار وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وابو بكر و
ابن ذكوان بكسر العين لاستثقال توالي الضمتين ادخلوها على ارادة القول بسلام سالمين
من الآفات او مسلما عليكم قولا من رب رحيم آمنين من الآفات والزوال ونزعنا ما في
صدورهم من غل ما كان بينهم في الدنيا من الحقد والشحناء اصل الغل الخيانة في كل شيء
وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم او من التحاسد في
درجات الجنات فان كلا يرضى بما فيه اخوانا نصب على الحال من الضمير المجرور في صدورهم
والعامل معنى الاضافة كما في ملة ابراهيم وكذا على سرر متقابلين ويجوز ان يكونا صفة
اخوانا وجعل اخوانا وما بعده حالا من ضمير آمنين او جنات او فاعل ادخلوها وان صح معنى
ففيه بعد لفظا لا يمسهم فيها نصب استئنافا وحال اخرى او حال من ضمير متقابلين وما هم
منها بمخرجين اشارة الى الخلود الذي لا يتم النعمة الا به نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم
وان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة ما سبق من الوعد والوعيد ترغيبا للغاوين وترهيبا
للمتقين سند الغفران والرحمة الى ذاته صريحا دون العذاب ايماء الى وفور رحمته وفيه
تسكين روع الخائفين ونبئهم عن ضيف ابراهيم اخبرهم بحديث الضيف فان فيه تذكرة
للفريقين عطف القصة المشتملة على ذكر اهل الرحمة والعذاب وما فعل بالفريقين ليكون
كالبرهان على الوصفين وبدأ بذكر الضيف لانهم المنشأ وادرج في القصة ذكر القنوط على
طريق السؤال والجواب تحذيرا منه فان نسمة من رحمته تزيل حبالا من الذنوب ولذلك
كان القنوط كفرا لانه تكذيب لقوله وسلب للقدرة منه اذ دخلوا عليه اي وقت دخولهم
فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما قال انا منكم وجلون دخلوا وهم جماعة غير معروفين وقيل
انما خافهم لانه لما قدم لهم الاكل لم يتناولوا منه وهذه المقالة انما جرت بينهم بعد ذلك
لقوله فما لبث ان جاء بعجل حنيذ قالوا لا توجل سكنوا خوفه واتبعوه بالبشارة بالولد انا نبشرك
بغلام عليم استئناف جار مجرى التعليل والغلام هو اسحق عليه السلام وحيث ذكره في القرآن
مع البشارة وصفه بالعليم وحيث ذكر اسمعيل وصفه بالحليم ولعل ذلك لتفاوت الاخلاق
وكان الغالب على كل منهما تلك الصفة قال ابشرتموني على ان مسني الكبر امر منكر بمقتضى العادة
ان يولد للشيخ فبم تبشرون استفهام تعجب اي فباي اعجوبة تبشرون بهذه او بغيرها كالاعجاب
وفي الحقيقة نفي للبشارة لعدم القابلية عادة وقرأ ابن كثير ونافع بكسر النون وشدده ابن كثير
بادغام نون الجمع في نون الوقاية وحذف الياء والباقون بالفتح على حذف المفعول والا
من نون الوقاية وهو الوجه لقلة التغيير ووجود التخفيف قالوا بشرناك بالحق الثابت
ونفس الامر بلا ريبة فلا تكن من القانطين الشبيهين بهم فان هذا الكلام يشبه مقالهم
او لا تدخل في زمرة القانطين والنهي عن الشيء لا يستلزم صدوره كقوله ولا تكونن من المشركين

قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون المخطئون طريق الصواب والاستبعاد انما كان على مجرى
العادة كما قال زكريا انى يكون لى غلام وقالت مريم انى يكون لى ولد وقرأ ابو عمرو والكسائي بكسر
النون حيث وقع فى القرآن يقنط فردا وجمعا وهى لغة الحجاز قال فما خطبكم ايها المرسلون اى
ما شأنكم والامر الذى ارسلتم لاجله الخطب كلام يعتد به وتقع المخاطبة فى شأنه وانما علم كونهم
مرسلين لامر غير البشارة لانهم جمع من الملئكة والبشارة يقوم بها واحد كما فى بشارة زكريا ومريم
وانما قدموا البشارة اما لانهم كانوا مأمورين بذلك من عند الله او لانهم لما رأوه وجلا سكنوا
جأشه قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين اى قوم لوط الا آل لوط استثناء منقطع لان المخرج من
الحكم على الموصوف يجب ان يكون الوصف ثابتا له كما اذا قلت جاءنى الرجال العلماء الا زيدا يجب
ان يكون زيدا موصوفا بالعلم وصفة الاجرام منتفية عن الآل او متصل من الضمير فى مجرمين
كأنه قيل ارسلنا الى قوم مجرمين كلهم الا آل لوط لاهلاك اولئك وانجاء هؤلاء فان قلت
الاستثناء من القوم لا يجوز ان يكون متصلا لكونه نكرة غير محصورة ولا مستغرقة فلا حاجة
الى التعليل المذكور قلت النكرة اذا وصفت كانت محصورة فلولا مانع الا ما ذكر انا لمنجوهم اجمعين
لكن خبر مجرى خبر لكن على الانقطاع اى لكن آل لوط منجون واستيناف على الاتصال كأنه لما قيل انا
ارسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط فقال ما بال آل لوط فقالوا انا لمنجوهم الا امرأته استثناء
من الضمير المجرور لا من الاستثناء الاول لان شرط الاستثناء من الاستثناء اتحاد الحكم كما فى قولك
لفلان على عشرة الا ثمانية الا خمسة وما فى الآية ليس كذلك لان آل لوط متعلق بارسلنا او
بمجرمين والا امرأته تعلق بانا لمنجوهم فان قلت هل يصح ان يجعل الاستثناء راجعا الى المجموع عند
من يجعل الاستثناء بعد الجمل راجعا الى الكل لا الى الاخيرة وحدها قلت لا لان ذلك فى الجمل المتعاطفة
لا المنقطع بعضها عن بعض وقرأ حمزة والكسائي لمنجوهم بالتخفيف من الانجاء والتشديد ابلغ قدرنا
انها لمن الغابرين الباقين مع غيرها اذ بقى وهو من الاضداد وانما علق التقدير لتضمنه معنى العلم او
فيه معنى القول فتقع المكسورة بعده والتقدير فعله تعالى واسناد الملئكة الى انفسهم لقربهم
منه تعالى كما يقول خواص الملك من اسناد فعله الى انفسهم يشيرون بذلك الى فرط اختصاصهم
وقرأ ابو بكر قدرنا بالتخفيف وهما لغتان والتشديد ابلغ واكثر فلما جاء آل لوط المرسلون قال
انكم قوم منكرون غير معروفين تنفر منكم قلوبنا قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون يشكون
من نزول العذاب الذى كنت توعدهم به وانما كنوا عن العذاب بالموصول لما فيه من الاشعار بكونهم
محقوقا لعذاب وتحقق صدقه ولما فى لفظ الامتراء من التذكير بما كان يكابد منهم من التكذيب
والجحود واتيناك بالحق بالامر الذى هو كائن لا محالة وانا لصادقون فيما اخبرناك به وهذا
كله تأكيد ظاهر والقصد منه التسلى وتنفيس الكرب عنه والا فلوط لم يشك فى قولهم بعد
علمه بانهم مرسلون فاسر باهلك بقطع من الليل بطائفة من الليل والقطع بسكون الطاء ظلمة
آخر الليل سحر فتى الباب فانظر فى النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم وقرأ نافع وابن كثير
بهمز الوصل من السرى والباقون بالقطع من الاسراء وهو المختار لاتفاقهم فى اسرى بعبده واتبع

واتبع ادبارهم ولا يلتفت منكم احد ارشاد الى ما هو ادخل فى الحزم وهو ان يتقدم اهله امامه ليكون
مطلعا على احوالهم ذاهبا على آثارهم فارغ القلب وانما نهوا عن الالتفات لئلا يروا ما اصاب
قومهم فيرقوا لهم او لئلا يروا ما وراءهم فيقلقوا فيكونوا كالمتحير او جعل عدم الالتفات
كناية عن السرعة عن مكان حل به غضب الله لان الملتفت لا بد له من ادنى وقفة وفيه تنبيه
الى ان من اراد السفر الحقيقى فهو اولى بقطع العلائق وهدم العوائق والاقبال بالكلية
على الله وامضوا حيث تؤمرون هو الشام او مصر وانما عدى امضوا الى حيث تعديته
الى الظرف المبهم لابهامه فى الامكنة وكذلك الضمير فى تؤمرون وقضينا اليه اوحينا
اليه مقضيا ولذلك عدى بالى وفائدته الدلالة على انه لا محالة كائن ذلك الامر تفسير
لان دابر هؤلاء مقطوع ابهمه ثم فسره تعظيما للامر وتفخيما له والمعنى انهم مستأصلون
لان دابرهم اذا اهلك لم يبق منهم احد مصبحين داخلين فى الصباح نصبه على الحال من
هؤلاء او من الضمير حملا على المعنى وجاء اهل المدينة يستبشرون باضياف لوط لما رأوهم
اجمل الخلق قال ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون فان الاساءة الى الضيف اساءة الى المضيف
وازالة عار به واتقوا الله باجتناب الفاحشة ولا تخزون لا تذلونى من الخزى وهو الذل
او من الخزاية وهى الحياء لا تخجلونى قالوا اولم ننهك عن العالمين فانه كان ينهاهم عن
التعرض للغرباء والواردين وقيل كانوا نهوه عن انزال الضيف وقبوله قال هؤلاء
بناتى ان كنتم فاعلين اراد بالبنات نساء امته ومعنى ان كنتم فاعلين الشك فى قبول
نصحه كانه قال ان كنتم فاعلين ما اقوله ولا اظنكم تفعلونه وقيل كانت له بنات حسان
يطلبون نكاحهن فلما اضطر رضى بذلك فان قلت النظم يدل على ان مقاولة لوط مع قومه
كانت بعد علمه بانهم ملئكة ارسلوا لاهلاكهم فلا وجه للاعتذار بعد علمه قلت الواو
لا يدل على الترتيب الا يرى ان قوله تعالى فى سورة هود انا رسل ربك لن يصلوا اليك انما ذكر
بعد تلك المقاولة ويأسه عن قبول نصحه واظهار الاسف بقوله لو ان لى بكم قوة او آوى
الى ركن شديد فان قلت لم غير الاسلوب ولم يرد النظم على وفق الوجود فلا بد لذلك
من داع قلت لما كانت هذه السورة مصدرة بما فيه تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم
بل بعظم السورة بما سيق لذلك كان مقتضى الحال تقديم ما هو ادل على تفريج الهم عن الصابر
وتنفيس الكرب عنهم لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون جملة معترضة والمخاطب رسول الله والضمير
فى سكرتهم لاهل مكة او الخطاب له والضمير لقوم لوط والعمر بفتح العين لغة فى العمر
بضمها ولا يستعمل الا بالفتح فى القسم وقيل القائل هو الملئكة للوط يريدون كفه عن نصحهم
لعدم القابلية والوجه هو الاول واراد بسكرتهم شدة غوايتهم لانهم من فرط جهلهم سكارى
لا يفرقون بين الخطأ والصواب فاخذتهم الصيحة صيحة جبريل صاح بهم فهلكوا فى مكانهم
والتعبير عن الاهلاك بالاخذ اشارة الى كمال التمكن ولذلك سمى الاسير اخيذا مشرقين داخلين فى
وقت شروق الصبح او شروق الشمس وقوله مصبحين باعتبار الابتداء فجعلنا عاليها سافلها

وفي قوم لوط وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب من السجل إن
في ذلك لآيات للمتوسمين الناظرين بالتأمل في سمة الاشياء بحال وسمت في فلان خيرا اذا
عرفت وسم فيه اصله العلامة وإنها اي سدوم وهي مدينة التي كان يسكنها او المحو
سائر القرى حولها لبسبيل مقيم طريق واضح ثابت يرونها اثناء المارة من اهل مكة فكان
عليكم ان يعتبروا اذ لا دليل اقوى من العيان إن في ذلك لآية للمؤمنين الذين يصدقون بالله
ويفرقون بين الانبياء وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين هم قوم شعيب فانه كان مبعوثا
اليهم والى اهل مدين والايكة الشجر المتكاثف ولم يبين ظلمهم وهو الشرك والتطفيف لعدم
ايراد قصة مستوفاة او لذلك عز الاسلوب فانتقمنا منهم بعذاب يوم الظلة وإنهما يعني
اي مدين والايكة دل عليه ذكر الايكة وقيل سدوم والايكة لبإمام مبين لبمقيدان
بطريق واضح والامام مصدر معناه ما يؤتم به بطلق على الطريق لان المارة يأتم به ولقد
كذب أصحاب الحجر المرسلين هم ثمود والحجر واد بين الشام ومدينة رسول الله وتكذيبهم
الرسل انما هو تكذيب صالح لان من كذب نبيا فقد كذب سائر الرسل لان المعجزة عامة
في دليل النبوة وفي هذا تعظيم ولذلك كثرت هذه العبارة في قصص سائر الانبياء وعن
جابر قال مررنا مع رسول الله على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا الا ان تكونوا
باكين لئلا يصيبكم مثل ما اصاب هؤلاء ثم زجر راحلته حتى خلفها وآتيناهم آياتنا فكانوا
عنها معرضين هي معجزات نبيهم منها ما اقترحوه وهي الناقة الموصوفة وقيل ادلة التوحيد
وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين طالت اعمارهم ينحتوا بيوتا من الجبال بلا تخرب ولانهم
ظنوا من جهلهم انها تنجي من عذاب الله فأخذتهم الصيحة مصبحين فما أغنى عنهم ما كانوا
يكسبون من نحت الجبال وسائر ما ادخروه وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق
الا ملتبسا به كالدليل على استحقاق المهلكين لان خلقها ملتبسا بالحق يقتضي زوال الباطل
وثبات الحق وإن الساعة لآتية قطعا دفع لما يتوهم من ان ما لحقهم من العذاب في الدنيا
كاف لجزائهم فاصفح الصفح الجميل لا تعجل خطاب له صلى الله عليه وسلم لانه الذي يلي عليه
القصص إن ربك هو الخلاق كامل القدرة على الخلق فهو قادر على استئصالهم ولكن الحكمة
اقتضت الامهال العليم بالاشياء وحقا بعها لو لم يعلم ان في الصفح حكمة لما امرك به
نسخت باية السيف وقيل محمول على المخالفة فلا نسخ ولقد آتيناك سبعا من المثاني هي
الفاتحة او السبع الطوال واختلف في السابعة فقيل الانفال والبراءة لانهما في حكم سورة
ولذلك لم يفصل بينهما بالبسملة وقيل الحواميم وقيل سبع صحائف وهي الاسباع والمثاني
من التثنية وهي التكرير لان الفاتحة تكرر في الصلوة وغيرها او من الثناء لما فيها من
الثناء على الله واحدها مثناة او مثنية صفة للاية واما السور والاسباع فلما وقع فيها
من تكرير القصص ولما فيها من الثناء فكانها تثني على الله تعالى بما هو اهله ومن اما للبيان
او للتبعيض ان اريد بالسبع الفاتحة او الطوال وللبيان ان اريد الاسباع والحق انها الفا

انها الفاتحة لما في الحديث انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته ولان القرآن كله
او الطوال والحواميم لم تكن نازلة او انتا وبالخلاف الاصل مع مخالفة الحديث والقرآن العظيم
من عطف احد الوصفين على الآخر ان اريد الاسباع والا فمن عطف العام على الخاص لا تمدن
عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم اصنافا من الكفار كلام جار مجرى التعليل كانه يقول له اذا
اوتيت القرآن العظيم الذي يستحقر دونه كل نعمة فعليك به واستغن عن غيره عن ابي بكر من
من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وقيل
وافت من بصرى واذرعات قوافل سبع ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والجواهر
وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في
سبيل الله فقال لهم رسول الله لقد اعطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع واما
حديث من لم يتغن بالقرآن فليس منا الظاهر ان المراد به تحسين الصوت في قراءته ولا تحزن
عليهم على فقراء امتك فيؤدي ذلك الى النفور ومنى الدنيا لهم او لا تحزن على عدم ايمان
الكفار او هلاكهم بالعذاب واخفض جناحك للمؤمنين مجاز عن التواضع لان الطير
اذا رق على فرخه يخفض جناحه وقل إني أنا النذير المبين الموضح للانذار ببرهان قاطع
كما أنزلنا على المقتسمين متعلق بقوله ولقد آتيناك اي انزلنا عليك كما انزلنا على
اهل الكتاب وقوله ولا تمدن عينيك الى اخر الآية اعتراض لان قوله تعالى ولقد آتيناك
سبعا من المثاني كلام مسوق للتسلية عما كانوا ينسبونه اليه من الجنون ومن كونه شاعرا
او ساحرا فالنهي عن الالتفات الى دنياهم والامر بالاقبال اليه تعالى ممد لتلك التسلية
او بقوله انا النذير المبين اي انذر قريشا مثل ما انزلنا على المقتسمين الذين جعلوا
القرآن عضين من العضو فانهم لما قالوا بعضه حق وبعضه باطل فكانهم عضوا اعضاء
وهم اليهود والنصارى حيث قالوا لما يوافق كتابهم انه حق ولما يخالفه انه باطل او القرآن
ما يقرؤونه من كتبهم فانهم حرفوها وبدلوها وفيه تسلية لرسول الله من صنع قومه بالقرآن
من قولهم سحر وشعر واساطير الاولين كانوا يقتسمون مداخل مكة ايام الموسم فيقعدون
على الطرقات ينفرون الواردين عن الايمان وقيل هم الذين قصدوا اهلاك صالح واقسموا
على ذلك على ما حكى عنهم قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله وقيل عضين من العضة
يقال عضهته اذا بهته وفي الحديث لا يعضه بعضنا بعضا وهو البهتة وعن عكرمة العضة
السحر بلسان قريش وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه فوربك لنسألنهم أجمعين
عما كانوا يعملون عن اعمالهم سؤال تقريع ومناقشة وعن ابي العالية يسألهم عما كانوا
يعبدون وما ذا اجابوا به المرسلين وكلا ولي النعيم فاصدع بما تؤمر فاجهر به وابنه ابانة
لا تمحى اثرها الى آخر الدهر كصدع الزجاجة لا يقبل الالتئام والصدع الزجاجة الاجسام
التفريق ومنه الصديع للفجر كانه يشق جيب الليل والصداع للرأس كانه يشقه والمعنى
بما تؤمر به من الشرائع فحذف الجار كما في قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به ويجوز ان يكون

ما مصدرية على بناء المفعول اي بما تؤمر به **واعرض عن المشركين** نسخ بآية السيف **انا كفيناك**
المستهزئين عن عروة بن الزبير هم خمسة نفر ذوو انساب وشرف في قريش الوليد بن المغيرة
والعاص بن وائل والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب والحارث بن الطلاطلة
عن ابن عباس رضي الله عنه ماتوا كلهم قبل بدر فجاء جبرائيل عليه السلام الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال امرت ان اكفيكهم فاومأ الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه
سهم فلم ينعطف لاخذه تعظيما فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات منه واشار الى
اخمص قدم العاص بن الوائل فدخلت شوكة فيها فقال لدغت فانتفخت رجله حتى صارت
كالرحا ومات واومأ الى عين الاسود بن عبد المطلب فعمي واشار الى انف حارث بن قيس
فامتخط قيحا فمات واشار الى الاسود بن عبد يغوث وكان قاعدا في اصل شجرة فجعل ينطح برأسه
بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات **الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون**
ما اعد لهم من العذاب **ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون** من الطعن فيك وفيما انزل
اليك اشار الى قولهم انه لمجنون فانتظمت الخاتمة مع الفاتحة وفيه تنفيس عن حسيبه والزاحة
لما ناله من الكرب من تلك المقالة **فسبح بحمد ربك** نزه ربك عن كل نقيصة ملتبسا بحمده ولا
تشتغل بمكافاة اعدائك فانه يكفي لك ربا يكافح عنك **وكن من الساجدين** دعاه الى مقام القرب
ومناجاته ومظهر الفناء عن نفسه **واعبد ربك** ودم على عبادته فان السير في الله ليس له امد
اذا تغيبت بدا وان بدا غيبتي **حتى يأتيك اليقين** اي نزول العذاب بهؤلاء او الموت
وفي الحديث لما مات عثمان بن مظعون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هذا فقد
جاءه اليقين وفي الآية دليل على ان التسبيح والعبادة من اسباب النجاة عن ضيق الصدور
والكرب وفي الحديث كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة اللهم انا نسبحك ونحمدك بمحامدك
ونسألك ان تكشف عنا كل كرب وهم وغم بحق من انزلت عليه هذه الآيات **سورة النحل**
مكية الا ثلث آيات في آخرها وهي مائة وثمانية وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم
اتى امر الله فلا تستعجلوه قالوا ابو جهل او نضر بن الحارث اللهم ان كان هذا هو الحق من
عندك فامطر علينا حجارة من السماء فقيل لهم اتى امر الله عبر عنه بالماضي لكونه واجب
الوقوع لا محالة وفيه ايقاظ بكون ما بعده متمكنا في نفس حاضرة وتمهيد لما يرد من
دلائل التوحيد **سبحانه وتعالى عما يشركون** عن اشراكهم او عن الذي جعلوه شريكا له كانوا
يقولون لو صح ما يقول محمد تشفع لنا الاصنام فكانه قيل جل سرادق كبريائه عن ان يحوم
حوله الشريك فضلا عن الهتهم الجمادات وقرأ حمزة والكسائي بتاء الخطاب على وفق تستعجلوا
والمختار الغيبة اهانة لهم وابعادا عن ساحة الحضور **ينزل الملئكة بالروح من امره**
اي القرآن او الوحي الذي به حيوة القلوب الميتة بالجهل اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا
له نورا او بما هو في الدين كالروح في الجسد استعارة مكنية وليس وزان من امره وزان
من الفجر بعد ذكر الخيطين في البقرة وقرأ ابن كثير وابو عمرو ينزل بالتخفيف من الانزال وهو

وهو اكثر دورا والتشديد بمعنى **على من يشاء من عباده** من اختاره للرسالة **ان انذروا** بدل من
الروح على انها مصدرية او مفسرة لان تنزيل الملئكة بالروح فيه معنى القول ومخففة
بتقدير ضمير الشان اي بان الشان انذروا فان قلت اذا كان الضمير مقدرا فلا يستقيم
الكلام الا بتقدير القول بعده قلت في وقوع الانشاء خبرا من غير تقدير القول خلاف في
ان ذلك لا يجري في ضمير الشان لان عين الواقع خبر كما اذا قلت كلامي اضرب زيدا و
الانذار الاعلام مع التخويف وفي الحديث كان اذا خطب علا صوته واحمرت عيناه كانه منذر
جيش **انه لا اله الا انا فاتقون** ان الشان انحصار الالوهية فيّ فخافوني التفت الى التكلم
لان ضمير المتكلم اعرف وابعد عن اللبس ومقام التوحيد يلايمه **خلق السموات والارض بالحق**
دليل على توحده بما يقطع الشبهة اذ لا يقدر احد على انكاره ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله **تعالى عما يشركون** عن اشراكهما وما يشركونه وقرأ حمزة والكسائي بالخطاب
كالاول والتوجيه كما تقدم وفي الآية دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام **خلق الانسان**
من نطفة مثل يخرج من بين الصلب والترائب **فاذا هو خصيم** منطيق **مبين** موضح لحجته
بعدما كان جمادا لا حس به ولا حراك فوجوده دليل على قدرته تعالى ايضا الى معنى قوله
سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم او بعدما كان جمادا ثم صار في احسن تقويم خصيم
لربه ينكر قدرته فابداه من يحيي العظام وهي رميم وهو ابي بن خلف جاء الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعظم وبال وقال يا محمد يقول ان الله يحيي هذا بعدما قد رم **والانعام** هي الابل
والبقر والغنم منصوب بفعل يفسره **خلقها لكم** او معطوف على الانسان ثم قال خلقها لكم
اي ما خلقها الا لمصلحتكم ايها الناس ثم فصل تلك المنافع بقوله **فيها دفء** ما يدفأ به
لدفع البرد **ومنافع** لحوم نسلها ودرها واثمانها **ومنها تأكلون** على الاستمرار فلا يتبع
الاكل من الطيور وانواع الصيد في تقديم الظرف المفيد للحصر وقيل انما قدم محافظة
على رؤس الآي ولحم الخيل عند من اباح اكله خرج بقيد الاستمرار **ولكم فيها جمال حين تريحون**
تردونها من المرعى الى مراحها **وحين تسرحون** تخرجونها من المراح الى المراعي وانما قدمت
الاراحة على السرح لان الجمال حين الاراحة اظهر لانها تعود ملأى البطون حافلة الضروع
واقعة بمرأى من اصحابها في الحضاير **وتحمل اثقالكم** جمع ثقل بفتح القاف متاع المسافر
الى بلد لم تكونوا بالغيه مجردين عن الاثقال فضلا عن حملها على ظهوركم **الا بشق الانفس**
الا بكلفة ومشقة على انه مصدر او بالنصف كانه ذهب نصف قوته بالتعب وفي الحديث
اتقوا النار ولو بشق تمرة **ان ربكم لرؤف رحيم** كثير الرأفة والرحمة ولذا لم يخولكم هذه
النعم الجسام **والخيل والبغال والحمير** عطف على الانعام **لتركبوها وزينة** عطف على محل
لتركبوها او مصدر بتقدير فعله اي ولتتزينوا بها زينة وانما غير الاسلوب لان الركوب
مقصود والزينة تحصيل بالعرض وقيل لان الاول فعل الخالق والثاني فعل المخلوق ولا دليل
في الآية على حرمة لحم الخيل لان ربط الخيل غرضه منها الركوب والزينة لا الاكل اللحم بخلاف

الأنعام والذي يقطع مادة الشبهة ان الصحابة اوقدوا النار على لحم الحمر الأهلية والايكفئه
فلو دلت على الحرمة لم يلتبس عليهم ويخلق ما لا تعلمون من الأشياء النافعة او من المخلوقات
وما يعلم جنود ربك الا هو والغرض بيان كمال اقتداره او ما في الجنة مما لم يخطر على قلب
بشر ولا يلائمه لفظ المضارع وعلى الله قصد السبيل هداية الطريق الموصل اليه والتعبير
بعلى لكونه واقعا لا محالة والقصد في الأصل الاعتدال بين الافراط والتفريط والسبيل
اريد به الجنس لقوله ومنها جائر اي ومن جنس السبيل سبيل جائر لم يوصل الى المطلوب
غير الأسلوب وان كان الضلال بمشيئته لانه ذكر بالعرض بيانا عن سبيل الحق ولو شاء
لهداكم اجمعين لو تعلقت مشيئته بهدايتكم بخلق فيكم الاهتداء وانتفاؤها الانتفاء
سببها هو الذي انزل من السماء ماء استدل اولا على وحدانيته بخلق السموات والأرض
لانها الأصول ثم بخلق الانسان وسائر الحيوانات ثم باحوال النبات وعجائبه ازاحة للشبهة
عن طريق ما شرفنا المطالب لكم منه شراب الشراب ما يشرب ومن تبعيضية اي بعضه للانس
لكم او اللام تتعلق بانزل ولا حصر في التركيب حتى يعتقد بان سائر المياه منه لقوله فسلكه
ينابيع في الأرض ومنه شجر يكون من ذلك الماء فيه تسيمون ترعون مواشيكم من اسامت الماشية
اذا رعيتها من السومة وهي العلامة لانها تؤثر في الأرض بالرعي ينبت لكم به الزرع وقرأ ابو بكر
بالنون على التعظيم التفاتا من الغيبة والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات
بعض جميع الثمرات لان ما في الامكان لم يقع كله بالفعل لا في الدنيا ولا في الجنة وتقديم
ما تسيمون فيه لكونه اهم لاستمتاعهم عند العرب لاجل ما كلهم البان الانعام وملبسهم اصوافها
واوبارها واشعارها وفي ترتيب الزرع والزيتون والنخيل والاعناب روعي ذلك ان
في ذلك لآية لقوم يتفكرون ينظرون نظر تامل واعتبار اذ نسبة العلويات والسفليات
الى الكل سواء فالتخصيص بالاشكال والصور والطعوم المختلفة انما هو بارادة المختار وسخر لكم
الليل والنهار الليل للسكون والراحة والنهار للكسب والسعي في اسباب المعاش والشمس
والنجوم مسخرات بامره بارادته قرأ ابن عامر برفع الاربعة على الابتداء والخبر ووافقه
حفص في الاخيرين والباقون بنصب الكل على العطف في الثلثة وعلى الحال في الرابع ان في
ذلك لآية لقوم يعقلون يستعملون عقولهم وما ذرأ لكم في الأرض خلقه لكم من سائر
الاجناس مختلفا الوانه بعضه ابيض وبعضه احمر الى غير ذلك ان في ذلك لآية لقوم يذكرون
افرد الآية في الفاصلة الأولى وذكر التفكر لان الانبات نوع واحد يحتاج الى تامل وتدبر
لان اخراج النبات الخضر النضر من الحبة اليابسة امر بديع وجمع في الفاصلة الثانية لان
الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم تشتمل على انواع من الدلالات ولما كانت امور محسوسة
لا يتوقف الا على توجه العقل جعله الفاصلة ولما كان الملون وان اختلف اصنافه مسلكا
واحدا وهو في غاية الظهور ختم الآية بالتذكر الذي هو التفات النفس الى الحاصل عنده من غير
تجشم كسب وهو الذي سخر البحر جعله بحيث تتمكنون من سلوكه كالبر بتيسير الى عجائب البحر بعد

بعد ما بين بدائع صنعه في العالم العلوي والسفلي لتأكلوا منه لحما طريا لحم السمك وصفه
بالطراوة لانه ارطب اللحوم يسرع اليه الفساد وتمسك به مالك والثوري على ان من حلف
لا ياكل اللحم يحنث باكل السمك والجمهور على خلافه لان مبنى الايمان على العرف ومن قال لعبده
اشتر اللحم ثم جاءه بالسمك لم يعد ممتثلا بل نسب الى البلاهة وهذا كما ان الله تعالى سمى
الكافر دابة ومن حلف لا يركب دابة ثم ركب كافرا لا يحنث اجماعا وتستخرجوا منه حلية
تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان جعل اللبس لهم وان كان لابس نساءهم لان غرض التزين
عائد اليهم وفي المثل كل ما يعجبك والبس ما يعجب الناس وترى الفلك مواخر فيه جمع ماخرة
من مخر ذا شقة لانها تشق الماء بصدرها وعن الفراء المخر صوت الفلك عند جريها وانما
غير الاسلوب وزاد لفظة الرؤية اشارة الى ان الفلك المواخر مع كونها نعما آيات باهرة
على قدرته ولتبتغوا من فضله بالسفر فيها للتجارة عطف على قوله لتأكلوا وهو مع
قوله ولعلكم تشكرون متعلق بمقدر كانه قيل لتستدلوا بها على الصانع الحكيم و
لتبتغوا من فضله ولكي تشكروا نعمه حيث جعل مظنة الهلاك سببا للانتفاع وتحصيل
المعاش على اهون الوجوه فانها تقطع المسافة العظيمة في لمحة الطرف والقى في الأرض
رواسي جبالا ثابتة ان تميد بكم كراهة ان تميد بكم فانها خلقت على وجه الماء فلم يستقر فارسى
الجبال فيها فاستقرت فذلك قوله والجبال اوتادا والمائد المضطرب ومنه مائدة الطعام
لاستدارة شكلها والقول بانها خلقت كرة حقيقية بسيطة وكان من حقها ان تتحرك
على الاستدارة كالافلاك فارسيت بالجبال شيء لا اصل له بل هو اصول فلسفية يضاد
كلامه تعالى بل يخالف لقوله كل في فلك يسبحون اذ لو كانت الحركة للافلاك دون الكواكب
فاي معنى للسباحة وانهارا عطف على رواسي بحسب المعنى اي جعل فيها انهارا لان القى
بمعنى الجعل وسبلا لعلكم تهتدون لمقاصدكم والسعي في اغراضكم او تهتدون بالتامل
فيها الى معرفته تعالى وعلامات الامارات التي يستدل بها السابلة من جبل وشجر واحجار
وغير ذلك وبالنجم هم يهتدون بجنس النجم وعن السدي انه الثريا والفرقدان وبنات
نعش والجدي وانما اخرج الكلام عن سنن الخطاب لان المراد بهم قريش الذين كان لهم رحلة
الشتاء والصيف وغيرهما من الاسفار فكان الشكر عليهم اوجب ولذلك آثر طريق الحصر
كانه قيل بالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون افمن يخلق كمن لا يخلق انكار بعد اقامة
البرهان على تفرده بايجاد المبدعات من السموات والارض وما فيهما كيف تسوي بينه
وبين ما لا يقدر على خلق ذرة وكان الظاهر افمن لا يخلق كمن يخلق الا انه عدل عنه تنبيها
على انهم بالاشراك بالله جعلوه متشابها للمخلوق العاجز واريد بمن لا يخلق تلك الاصنام لما
عبدت اجريت مجرى اولي العلم او للمشاكلة او المعنى ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي
العلم فكيف بما لا علم له ولا ادراك وهذا هو الوجه وفي معناه الهم ارجل يمشون بها ام لهم
ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها يريد انها منحطة عن درجة هؤلاء فاذا لم يصح للالوهية

عنها بمراحل **أفلا تذكرون** فتحكموا بفساد ذلك **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** عدوا النعم العظام
من أنواع شتى ثم لسان اجمالها الى سايرها وانها في الكثرة بحيث لا يقدر احد على عدها فكيف
القيام بشكرها **إن الله لغفور** حيث يتجاوز عن تقصيركم **رحيم** لا يقطع النعم بتقصير الشكر عليها
ولا يعاجلكم بالعقوبة ولما ختم الآية في سورة ابراهيم بقوله إن الإنسان لظلوم كفار ختم
هنا بقوله إن الله لغفور رحيم ليكون كل من وصفي العبد من الظلم والكفران مقابلا بوصف
من الغفران والرحمة ايماء الى ان رحمته سبقت غضبه **والله يعلم ما تسرون وما تعلنون**
من الاعمال والعقائد وفيه وعيد وحث على الإخلاص **والذين يدعون من دون الله** والخطاب
بعض من خوطب اولا لعمومه المؤمن والكافر وقرأ عاصم بالياء **لا يخلقون شيئا** من الأشياء
وهم يخلقون مخلوقون عجزة تحت قدرة خالقهم ترقى في البرهان **أموات غير أحياء** لم تعتريها
الحيوة قط او ليس لها حيوة بالذات بل بالاستفادة ان كان لها حيوة فيشمل الاصنام وكل ما
عبد من دون الله ويؤيد هذا الوجه قوله **وما يشعرون أيان يبعثون** لأن من لم تمسه الحيوة
لا يحتاج الى سلب الشعور عنه وفيه تهكم بالمشركين بان معبوداتهم لا شعور لها بوقت البعث فكيف
تقدر على الشفاعة وايصال الثواب والعقاب واشارة الى ان البعث من لوازم التكليف
لئلا يضيع اجر المحسنين **إلهكم إله واحد** اعاد المدعى بعد اقامة البرهان تقريرا **فالذين
لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون** اي بعد ثبوت الوحدانية ووضوحها
لم يبق من المشركين الا عكس مقتضى العقل وهو الانكار بالقلب والاستكبار وطلب الترفع
عن حرف الجوارح الى ما خلوها **لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون** حقا ان الله يعلم
سرهم وعلانيتهم فاعد لهم جزاءهم **إنه لا يحب المستكبرين** جنس المستكبر فضلا عن الذين
يستكبرون عن التوحيد **وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم** ماذا منصوب بأنزل بمعنى اي شيء
انزل او مرفوع بالابتداء اي اي شيء انزله **قالوا أساطير الأولين** اي ما تدعون نزوله
اساطير الاولين اباطيلهم واذا رفعته فالمعنى المنزل اساطير الاولين نظيره يسئلونك ماذا
ينفقون قل العفو بالرفع والنصب والسائل اما بعض المشركين او الوافدون او المسلمون والمجيب
الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون الوفود الى رسول الله اذا سألوهم عما انزل اليه سموه منزلا
تهكما **ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة** اي انما قالوا ذلك القول اضلالا للناس عن طريق
الرشاد فاللام للعاقبة **ومن أوزار الذين يضلونهم** بعض اوزارهم لانهم تسببوا لضلالهم
بغير علم حال من المفعول اي اضلوهم غير عالمين بان القائلين يريدون اضلالهم وفيه دلالة
على ان الجهل ليس بعذر بل كان عليهم البحث حتى يظهر لهم الحق من الباطل وفيه ان كيدهم لا يروج
على ذوي الالباب بل انما يقلدهم الاغتام وفيه ذم لهم اذ لم يقدروا الا على اغواء الضعفة
المسترشدين **ألا ساء ما يزرون** اي بئس شيئا يزرونه فعلهم **قد مكر الذين من قبلهم** من قبل
قريش برسلهم **فأتى الله بنيانهم من القواعد** جمع قاعدة وهي الاساطين التي تعتمد البناء
او الاساس **فخر عليهم السقف من فوقهم** اذ لا بقاء للسقف بعد ذهاب القواعد **وأتاهم**

وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون مثل حالهم في توكيد حيلهم ليمكروا
بها رسل الله ببنيان على قواعد محكمة ليكون سببا لنجاتهم وكانوا آمنين اذ هدم الله عليهم
بناءه فكان ما اعدوه للنجاة سببا للبوار وفي المثل من حفر لاخيه قليبا وقع فيه وقيل هو
نمرود بن كنعان بنى الصرح طوله خمسة آلاف ذراع فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه
فهلكوا **ثم يوم القيامة يخزيهم** بعذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته **ويقول
أين شركائي** اضافهم الى ذاته تهكما وتوبيخا لهم **الذين كنتم تشاقون فيهم** تعادون المؤمنين
في شأنهم وقرأ نافع بكسر النون على انها نون الوقاية حذف ههنا الياء اكتفاء بالكسرة تشاقونني
بتشاق المؤمنين بجعل مشاقتهم مشاقته **قال الذين أوتوا العلم** هم الانبياء او الملائكة او
اولوا العلم جميعا **إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين** يقولون ذلك شماتة وتشفيا حكاه
الله تعالى لطفا بالسامعين **الذين تتوفاهم الملائكة** قرأ حمزة بالياء لأن التأنيث غير حقيقي
والموصول يحتمل الأوجه الثلثة **ظالمي أنفسهم** بان عرضوها للعذاب المخلد **فألقوا السلم**
عطف على قوله قال الذين اوتوا العلم اي اذعنوا واستسلموا وجاؤا بخلاف ما كانوا عليه
والسلم بفتح اللام والسين مصدر بمعنى الاستسلام والانقياد **ما كنا نعمل من سوء** كفر وعدوان
جحدوا ان يكون صدر منهم ما كانوا تصادروا ولذلك قال انظر كيف كذبوا **بلى** جواب لهم
إن الله عليم بما كنتم تعملون وهذا اوان جزائه والقول بان هذا الكلام الملئكة خير من قوله
انكار يرده قوله **فادخلوا أبواب جهنم** مع ان انكارهم وقولهم ما كنا نعمل من سوء لا معنى له
مع الملئكة المتوفين لأرواحهم **خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين** مثواهم **وقيل للذين
اتقوا** اي المؤمنين **ماذا أنزل ربكم** هم الوافدون لاستكشاف خبر رسول الله من العرب
ايام الموسم **قالوا خيرا** المجيب اصحاب رسول الله فان الوافد كان يقول اذا كفه المقتسمون
عن الاتيان الى رسول الله انا بشر وافد ان رجعت ولم القه ولم استطلع امر محمد التعقب
عنا والرفع فيما تقدم للفصل بين جواب المقر وجواب الجاحد فان هؤلاء لما سألوا لم
يتلعثموا واطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا مفعولا للانزال ولذلك عدلوا بالجواب
عن السؤال وقالوا هو اساطير الاولين وليس من الانزال في شيء ويجوز ان يكون خيرا
مفعول قالوا وقوله **للذين أحسنوا** وما بعده بدل من خيرا كأنهم اجملوا في الجواب ثم
فصلوا ايضاحا للمسترشدين ويجوز ان يكون للذين احسنوا كلاما مبتدأ وثناء على
القائلين في جوابهم وانه من حسناتهم معدود من جملتها وهذا الوجه احسن طباقا
لان هذا الوعد في مقابلة الوعيد بقوله ليحملوا اوزارهم **في هذه الدنيا حسنة** مكافاة
على فعلهم **ولدار الآخرة خير** ولهم في الآخرة خير منها كقوله فأتاهم الله ثواب الدنيا
وحسن ثواب الآخرة **ولنعم دار المتقين** دار الآخرة حذف المخصوص لتقدم ذكره **جنات
عدن** خبر مبتدأ محذوف اي لهم ويجوز ان يكون المخصوص وان يكون مبتدأ **يدخلونها**
خبرا **تجري من تحتها الأنهار** خبر آخر وعلى الوجهين الاولين حالان اما من فاعل الفعل

او من فاعل نعم لهم فيها ما يشاؤن من المستلذ وتقديم الظرف للدلالة على ان الانسان لا يجد جميع الاماني الا في الجنة كذلك يجزي الله المتقين الكاف في محل النصب على المصدر اي مثل ذلك الجزاء وهذا ايضا يؤيد الوجه الاخير الذين تتوفيهم الملئكة طيبين طاهرين من الكفر و المعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم او فرحين ببشارة الملئكة فان المؤمن يبشر اذا احتضر من طابت نفسه او بالتوجه الى حضرة القدس يقولون سلام عليكم من كل ما يخاف منه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون اذا بعثتم او الان فان قبر المؤمن روضة من رياض الجنة على ما نطق به من لا ينطق عن الهوى وقيل هذا وفاة الحشر وليس بشيء اذ لا موت بعد البعث هل ينظرون الا ان تأتيهم الملئكة اي الكفار لقبض ارواحهم ذكر المتقين كان الغرض زيادة تبكيت المشركين وتحسيرهم فيه واشارة الى ان الرسول قد ادى ما عليه من التبليغ او يأتي امر ربك عذاب المستأصل او يوم الجزاء كذلك فعل الذين من قبلهم من الشرك والمشاقة وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم المؤدي اليه فاصابهم سيئات ما عملوا جزاؤها كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن جزاء الاستهزاء افرده بالذكر لغاية قبحه لبعد مقام الرسل عن الاستهزاء بهم وفيه تسلية رسول الله بان من يتربص به الدائرة عليه دائرة السوء وقال الذين اشركوا اتى بالموصول موضع الضمير اشارة الى ان قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء ناشئ وصادر عن الكفر يستلزم رفع التكليف لكونه جبرا صرفا يلزم منه سلب القدرة والارادة من العبد وجعله كالجماد و يدل على ان المعاصي ليست بمشيته تعالى كيف وقد قال ولو شاء الله ما فعلوه كذلك فعل الذين من قبلهم من الكفار فهل على الرسل الا البلاغ المبين الواضح وقد بينوا ان الخير و الشر بارادته ومشيته وان ذلك لا يوجب الجبر بل هو متوسط بين طرفي الافراط والتفريط واليه اشار لما قالت الصحابة ففيم العمل يا رسول الله اعملوا فكل ميسر لما خلق له ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت برهان قاطع على فساد ما ادعى المشركون من الجبر وذلك ان كل رسول بعث في امة كان مأمورا بان يدعوهم الى التوحيد والاجتناب من اتباع الشيطان فلو كانت مشيته تعالى دافعة للوم على الشرك والمعاصي لما كان لارسال الرسل فائدة فمنهم من هدى الله الى طريق الجنة فاتبعوا الرسل ومنهم من حقت عليهم الضلالة لتكذيبهم وفي بناء حقت عليهم اشارة الى ان الفيض وان كان عاما الا ان سبق العلم والارادة مانعان فسيروا في الارض يا معشر قريش فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين للرسل فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا وقيل الخطاب للمؤمنين تسلية لهم بانما اصاب اولئك سيصيب هؤلاء مثله ان تحرص على هديهم يا محمد فان الله لا يهدي من يضل يريد اضلاله وقراء غير الكوفيين بضم الياء وفتح الدال على بناء المفعول والمعنى من يضلله الله لا هادي له والباقون بفتح الياء وكسر الدال والاول هو المختار لان الضلال فرع اضلاله تعالى وما لهم من ناصرين يدفع عنهم العذاب

عنهم العذاب واقسموا بالله جهد ايمانهم مبالغة فيها اي اغلظ الايمان لا يبعث الله من يموت جواب القسم والقسم مع جوابه عطف على قوله قال الذين اشركوا ايذانا بانهم كانوا بالتوحيد والمعاد جاحدين بين القرينتين بلى رد عليهم وعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لان البعث وعد من الله لقوله كما بدأنا اول خلق نعيده حقا صفة اخرى للوعد ولكن اكثر الناس لا يعلمون لاختلالهم بالنظر ولعدم تصديق الرسل ونسبة المعجزة الى السحر ليبين لهم الذي يختلفون فيه من الدين والعقائد وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين في قولهم لا بعث وذلك ايضا من الدواعي الى البعث وقيل الجار في الموضعين متعلق بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا اي بعثنا ليبين لهم الذي اختلفوا فيه وليعلم المشركون انهم كانوا كاذبين على الله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون تمثيل لسرعة تكون مراده بعد تعلق الارادة كوجود المأمور به من المأمور المطيع لاوامر الامر المطاع ولا قول هناك وقيل بل جرت سنة الله في ايجاد الاشياء باحداث كلمة كن اولا وقرأ ابن عامر والكسائي فيكون بالنصب عطفا على ان نقول او على انه جواب الامر صورة وان لم يكن هناك حقيقة الامر لاقتضائه مخاطبا ولا موجودا اذ ذاك فضلا عن المخاطب والباقون بالرفع على الاستئناف اي فهو يكون وهذا برهان على جواز البعث لدخوله في العموم والذين هاجروا في الله في شأنه واعلاء دينه وهم رسول الله واصحابه هاجروا من مكة الى الحبشة والى المدينة ثم عام فتح خيبر هاجر من كان بالحبشة الى رسول الله وهو قد فتح خيبر فاسهم لهم منهم جعفر الطيار وابو موسى الاشعري وقيل هم المستضعفون الذين تخلفوا عن رسول الله منهم صهيب هاجر بعد رسول الله فاخذه المشركون واذوه فقال انا رجل غريب وشيخ كبير لا اضر ولا انفع فافتدى نفسه بماله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه ربح صهيب فدى نفسه بماله فلما جاء ورسول الله بقباء استقبله عمر بن الخطاب وكان قد اخذ رسول الله بيده وبين عمر فداؤه وقال ربح البيع ابا يا صهيب فقال صهيب والله هذا اخبر السماء يا عمر من بعد ما ظلموا بعد الايذاء و الاخراج لنبوئنهم في الدنيا حسنة لننزلنهم منزلة حسنة وهي المدينة او تبوئة حسنة ولاجر الاخرة اكبر مما تعجل في الدنيا وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء يقول خذ هذا بارك الله لك فيه وما ادخره الله لك في الاخرة خير من هذا وافضل لو كانوا يعلمون اي لو علم الكفار بما ادخر الله لهؤلاء المهاجرين لرغبوا في دينهم او لو علم المستضعفون ذلك لازدادوا في الاجتهاد في الدين وصبرا على الاذى ويؤيده الذين صبروا اي على الشدائد رفع او نصب على المدح وعلى ربهم يتوكلون وهؤلاء كصهيب فانه صبر على الاذى وخرج من ماله متوكلا وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم جواب عن شبهتهم بان الله لو بعث رسولا كان ملكا ولو كان رجلا كان معه ملك يصدقه وقرأ حفص نوحي بالنون وكسر الحاء فاسئلوا اهل الذكر

اهل الكتاب ليخبروكم ان الله لم يبعث في سائر الامم الا رجالا يوحى اليهم ان كنتم لا تعلمون والحكمة
في ذلك سهولة الاخذ منهم ولذلك قال ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وقيل لا الملائكة
متمثلين بصورة الرجال وليس بشيء لقوله في سورة يوسف الا رجالا من اهل القرى ولان
رسول الله رأى جبرائيل في صورته لان تلك الرؤية لم تكن في حال الارسال بالوحي بل اراه الله
اياه على تلك الصورة كما اراه سائر عجائب الملكوت بالبينات والزبر متعلق بارسلنا او
بيوحى اي يوحى اليهم بالبينات وقوله فاسئلوا اهل الذكر اعتراض او بلا تعلمون على ان الشرط
للالزام والتبكيت كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني اجري مع انه لا يشك في عمله او قيل
متعلق بارسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء والتقدير ما ارسلنا احدا من الجماعات بشيء
من الاشياء الا رجالا بالبينات والحق عدم جوازه لانه مبني على جواز تعدد المفرغ والحق عدم
جوازه للزوم الالتباس او وجوب ان كل ما وقع بعد الا محصور فيه وان لا يكون فرق بين ما
ضرب الا زيد عمرا وما ضرب الا عمرا زيد والفرق واضح ايضا وانزلنا اليك الذكر اي القرآن
لتسميته بالذكر لاشتماله على المواعظ او لكونه شرفا له بقوله لقد انزلنا اليكم كتابا فيه
ذكركم لتبين للناس ما نزل اليهم من الاوامر والنواهي والوعد والوعيد ولعلهم يتفكرون
ولكي يتفكروا فيه ويدركوا اعجازه فيؤمنوا به ويتبعوا من انزل اليه افامن الذين مكروا
السيئات اي المكرات وهم اهل مكة واذ يمكر بك الذين كفروا او الذين يحتالون لهلاك
الانبياء والاستفهام للتقرير اذ لو لم يأمنوا لما مكروا ان يخسف الله بهم الارض كما خسف
بقارون او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون كما فعل بعاد وقوم لوط او يأخذهم في
تقلبهم في اسفارهم ومتاجرهم كما فعل بالحبشة حين قصدوا هدم الكعبة فما هم بمعجزين
سابقين القدر او يأخذهم على تخوف واستشعار بالعذاب كما فعل بقوم صالح مقابل قوله
من حيث لا يشعرون والغرض منه التعميم وقيل التخوف التنقص شيئا فشيئا والمعنى ينتقصهم
شيئا بعد شيء في اموالهم وانفسهم وقد روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال على المنبر
ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل
تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو كبير يصف ناقة تخوف الرحل منها
تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن قال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما
ديواننا قال شعر الجاهلية فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم فان ربكم لرؤوف رحيم حيث
لم يعاجلكم بالعقوبة اولم يروا الى ما خلق الله من شيء ما موصولة ومن بيانية والاستفهام
للتقرير بما دخله النفي وهو الاثبات او قد يقال انه للانكار والمعنى واحد وقرأ حمزة والكسائي
اولم تروا بالخطاب وهو المختار لقوله ان ربكم لرؤوف رحيم يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل
الفيء وهو الظل الراجع بعد الزوال من استعمال المقيد في المطلق وافراد اليمين وجمع الشمائل
نظرا الى اللفظ والمعنى لم يعكس لان فوق اليمين جارحة نقصان الجمع لفظا وقرأ ابو عمرو
تتفيؤ مؤنثا والتذكير احسن لعدم العامل سجدا لله حال من الظلال وهم داخرون حال

حال من المجرور لانه في معنى الجمع وفيه ترتيب حسن فانه لما اوقع السجود حالا عن الظلال جعل
الدخور الذي هو انقياد قهري وصفا لاصحابها وفي جعلهما حالين من الظلال فوات ذلك الحسن
والحالان لتأكيد يتفيؤا ايضا كما تقرر في بل ملة ابراهيم حنيفا ولله يسجد ما في السموات وما
في الارض من دابة بيان لما في السموات والارض جميعا على ان في السموات لله خلقا يدبون
كما يدب الاناسي وسائر الحيوانات في الارض وهو بيان لما في الارض وحده والملئكة
عطف على المبين عطف الخاص على العام او هي ملئكة الارض وما في السموات خلق آخر
وهو الروح الذي اخبر الله عنه بقوله يوم يقوم الروح والملئكة وما قيل من انه من عطف
المجردات على الجسمانيات واستدل به على ان الملئكة ارواح مجردة ومعنى السجود والانقياد
والتذلل للطاعة والتسخير ولفظ ما للتغليب وهم لا يستكبرون حال من الملئكة يخافون
ربهم من فوقهم حال من ضمير يستكبرون او استئناف بيان لنفي الاستكبار وهذا اولى
لان تقييده الاستكبار وليدل على ثبوت هذه الصفة على الاطلاق ومن فوقهم متعلق
بيخافون والمعنى يخافونه ان نزول العذاب من تلك الجهة كقوله عذابا من فوقكم او بربهم
حال منه اي يخافون ربهم غالبا عليهم كقوله وهو القاهر فوق عباده وهو فيه دليل على ان الملئكة
مكلفون وانهم خائفون من عذابه ويفعلون ما يؤمرون فيه دليل على عصمتهم لا يعصون
الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين وصف الالهين بالاثنين
مع ان المثنى نص في مدلوله كقولك رجلان وثوبان اشارة الى ان مصب النهي هو الاثنينية
فانها تنافي الالوهية ولما احتمل الكلام ان يكون لخصوصية الاثنين مدخل في ذلك
النهي ازاله بقوله انما هو اله واحد لا شريك له في الالوهية راسا ولا خصوصية لعدد
بل الوحدانية من لوازم الالهية فاياي فارهبون التفت الى التكلم لانه ابلغ في الترهيب
وفيه ايماء الى انه ذلك الواحد وله ما في السموات والارض من الكائنات الخارجية و
الداخلة فيها وله الدين لا لغيره واصبا لازما لتفرده بالالوهية او من الوصب وهو
المشقة اي ذا كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفا او الدين الجزاء اي له الجزاء الدائم وهو
الثواب والعقاب افغير الله تتقون بعدما تبين لكم انه الموحد في الالوهية والحقيق
بالتقوى وما بكم من نعمة فمن الله وما اتصل بكم من نعمة فهو من الله ولما كان اتصال
النعم بهم سببا للعلم لكونها من الله ادخل الفاء في خبر الموصول وما قيل هؤلاء قوم اعطوا
نعما فشكوا في موليها فكان ذلك سببا للاعلام بانها من الله ففيه ان قوله ثم اذا
مسكم الضر فاليه تجأرون صريح في انهم عالمون بذلك المولى كيف والخطاب شامل للمؤمن
والكافر والجؤار رفع الصوت بالدعاء وفي الحديث كان موسى ينحدر في الوادي وله جؤار
بالتلبية ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون وهم الكفار فان قوله وما
بكم من نعمة خطاب عام لشمول النعم المؤمن والكافر وان خص الخطاب بالمشركين فلذلك منهم
من اعتبر بقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ويجوز ان يكون من بابا كانه قيل فاذا فريق

كافرون وهم انتم ليكفروا بما آتيناهم من تلك النعمة وكان الواجب عليهم شكر تلك النعم فبدلوه
كفرانا ولذا الحق جعلوه كالغرض فتمتعوا امر تهديد فسوف تعلمون وخامة ما انتم فيه ولئن
كفرتم ان عذابي لشديد ويجعلون لما لا يعلمون ما لا يعلمون آلهتهم لاعتقادهم بنفعها وشفعها فهم
جاهلون بها فالعائد محذوف والضمير في لا يعلمون للآلهة اي للاشياء لا علم لها بل هي جماد
وضمير العقلاء لادعائهم ذلك فيها نصيبا مما رزقناهم من الزروع والانعام تقربا اليها
تالله لتسألن عما كنتم تفترون من انها تستحق الالوهية والتقرب ويجعلون لله البنات
كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه او تعجيب ولهم ما يشتهون
من الذكور وفيه غاية الوعيد حيث لم يرضوا لانفسهم البنات وارتضوها لخالق السموات
ويجوز فيما يشتهون الرفع على الابتداء والنصب عطفا على البنات فان قلت قد نقل عن الزجاج
ان العرب لا تقول جعل زيد له ما يشتهي وذلك يدل على عدم جواز النصب قلت قول الزجاج
محمول على جعل الظرف لغوا فيلزم الجمع بين ضميري الفاعل والمفعول لغير فعل القلب واما
اذا جعل مستقرا فلا محذور ولا حاجة الى الاعتذار بانه يجوز في المعطوف ما لا يجوز في المعطوف
عليه واذا بشر احدهم بالانثى اخبر عنه بالبشارة اشارة الى انها بشارة لانه كريم
لان الولد نعم من الله ذكرا كان او انثى الا ترى الى قوله يهب لمن يشاء اناثا او هو من استعمال
احد الضدين في الآخر ظل وجهه مسودا صار اسود غاية السواد لاعتراء الغم وتراكم
الهم كما يستنير وجه المستبشر عند عروض السرور او ظل من الظلول فانه وقت اجتماع
الناس وحينئذ يقع الخجل وهو كظيم مملو غضبا او كاظم غيظه ساترا اياه يتوارى تواريه
يتوارى من القوم يستتر منهم حياء من سوء ما بشر به لاجل قبح المبشر به وكونه عارا عليه
أيمسكه على هون ام يدسه في التراب في موقع الحال من فاعل يتوارى والمعنى يستتر من الناس
مترددا بين ان يحفظ المبشر به ويرضى بالذل والهوان وبين ان يدفنه في التراب وهو الوأد
الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون الولد الذي محله عندهم هذا لمن له ملك السموات والارض
للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء الصفة التي تورث النقص وهي الاحتياج الى الولد و
الى كل قليل وكثير ووضع الموصول موضع الضمير اشارة الى ان صدور ذلك القول منهم منشأه
عدم الايمان بالآخرة ولله المثل الاعلى الشأن الاعلى من كل ما ينسب اليه وله الغنى المطلق
وهو العزيز الغالب على كل شيء فلا احتياج له الى الولد يستظهر به الحكيم في صنعه ولو يؤاخذ
الله الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها اي على الارض دل عليها ذكر الناس وهذا
اعم من قوله ما ترك على ظهرها من دابة فطا بشؤم معاصيهم وفي الحديث ان الكافر اذا مات
استراح منه الناس والدواب وعن ابن عباس رضي الله عنه من دابة من مشرك وعلى هذا ذكر
الدابة للتحقير ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى لحكمة اقتضت ذلك اما التوبة بعضهم او يولد له
من يؤمن او ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين فاذا جاء اجلهم المحتوم لا يستأخرون ساعة
عنه ولا يستقدمون عطف على الشرطية واضافة الظلم الى الناس باعتبار وقوعه بينهم فلا يلزم

فلا يلزم العموم ويجعلون لله ما يكرهون من البنات والشركة في الرياسة وبذلهم اراذل
الاموال في الصدقات وابواب البر وتصف ألسنتهم الكذب تظهره ان لهم الحسنى بدل من الكذب
اي بان لهم الحسنى عند الله في مقابلة ذلك القبيح كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى
لا جرم ان لهم النار بكسب ذلك لهم النار وانهم مفرطون معجلون او زون الحد اسم فاعل من افرط
في الشيء بالغ فيه وقراءة نافع مفرطون بكسر الراء من افرط في المعصية بالغ فيها وغيره بفتح
الراء اسم مفعول من افرطه قدمه لطلب الماء والمنزل اي مقدمون الى النار ومن افرطه
تركه وراء ظهره اي منسيون من رحمته وهذا ابلغ والبق بالمقام لان كونهم معجلا وزيرا فلم
من قوله ويجعلون لله البنات تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان
اعمالهم فاصروا على ذلك الى ان ماتوا على الكفر فهو وليهم اليوم حكاية حال ماضية
لازمن نتمة حال الامم المرسل اليها او اليوم عبارة عن زمان الدنيا فيتناول الماضي و
المعنى ان الامم السالفة اعداكما تولعند ولين في الدنيا لكون الشيطان كان وليا لهم و
ناصرا وفيه تسلية لرسول الله ووعيد للمشركين او اليوم حكاية حال آتية اي يوم يعذبون
بالنار لا ناصر لهم الا الشيطان وفيه تهكم بهم ونفي للناصر على ابلغ وجه او اليوم هو
الزمان الحاضر والمعنى زين للامم قبلك وفرغ من امرهم فهو الآن ولي هؤلاء الذين يكذبونك
وفيه مزيد الشكوى والشجو ولهم عذاب اليم يوم القيامة وما انزلنا عليك الكتاب الا
لتبين لهم الذي اختلفوا فيه من احوال المبدأ والمعاد اصولا وفروعا وهدى ورحمة
لقوم يؤمنون معطوفان على محل لتبين ولم يظهر اللام لانهما فعلا المنزل بخلاف التول
فان قلت اذا اختص كونه هدى بالمؤمنين فما معنى التبيين للناس قلت البيان هو الكشف
عن موضع اللبس بحيث لا يخفى على احد سواء قبله واذعن له او لا وكونه هدى للمؤمنين بمعنى
انهم قبلوه والتزموا العمل بموجبه والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد
موتها بعد اقامة البراهين على وجود الصانع ووحدانيته حكى منهم انواعا من الكفر والفساد
ثم عاد الى ابداء الدلائل القاطعة ازاحة للعذر وايضاحا للسبيل لان مقام اثبات الصانع
والتوحيد اجل المقامات واسنى المقاصد فهو خليق بذلك ان في ذلك لآية لقوم يسمعون
سماع تدبر لان من لم يتدبر بعد السماع فكانه اصم وان لكم في الانعام لعبرة دليلا
يعبر به الى العلم بوجود صانع حكيم نسقيكم مما في بطونه بيان لكونه دليلا وعبرة وتذكير
الضمير الراجع الى الانعام لكونه مفردا كما نص عليه سيبويه واما تأنيث الضمير في سورة
المؤمنين فباعتبار المعنى لانه اسم جمع وقيل الضمير لبعض الانعام لان اللبن مختص به وقرأ
نافع وابن عامر وابو بكر بفتح النون وهو اكثر دورا من بين فرث ودم لبنا متوسطا بينهما
اسفل البطن محل الفرث واعلاه مكان الدم لان القلب والكبد ذات اليمين وذات الشمال
مستعليان ينبوع الدم والقروح ايضا محلها اعلى البطن فعلى هذا من في من بين فرث
ودم متعلق بنسقيكم على انها ابتدائية لان بين الفرث والدم محل الاسقاء به ومنه النكون

والظهور كقولك سقيت من الحوض والاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما في البطون خالصا صافيا
لا يشوبه شيء من الفرث والدم يدل على كمال القدرة كقوله بينهما برزخ لا يبغيان سائغا سهل
المرور في الحلق من السوغ وهو الدخول للشاربين ذكره امتنانا ومن ثمرات النخيل والاعناب
ثم عطف على قوله وان لكم في الانعام او من عصيرها عطف على مجموع السابق لا على ما في بطونه
لفساد المعنى او يتعلق بنسقيكم مقدرا وقوله تتخذون منه سكرا بيان لكيفية الاسقاء
ويجوز ان يكون متعلقا بتتخذون ومنه تكرارا للتاكيد وتذكير الضمير لعوده الى العصير المحذوف
والسكر بفتح الكاف مصدر سكر مثل رشد رشدا الخمر تسمية بالمصدر وفي الحديث حرم السكر
من كل شراب والاية منسوخة وقيل السكر الطعام قال الازهري ابى اهل اللغة والعرب
لا تعرفه ورزقا حسنا التمر والزبيب وغيرهما ما عدا الخمر وفيه اشارة الى ان الخمر مع كونه
مباح الشرب ليس من الرزق الحسن ولذلك لم يشربها الانبياء قط وان فسر السكر بالطعام
جاز ان يكون رزقا حسنا هو السكر والعطف للتغاير ومن للتبعيض لان بعضها يؤكل طريا
ان في ذلك لاية لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في التامل والتدبر في المصنوعات
واوحى ربك الى النحل شروع في نوع آخر من الدلائل على وجود الصانع الحكيم والوحي لغة
السرعة وفي الحديث الوحا الوحا ويطلق على الكتابة والرسالة والاشارة والكلام الخفي
والالهام وهو المراد هنا ان اتخذي ان مفسرة او بان اتخذي والتانيث لان النحل اسم الجمع
كالناس من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون بعض الجبال والشجر وما يعرشون من الكروم
والسقوف لانها لا تبني في الكل ولا في كل مكان منها والبيت ما يبيت فيه الحيوان ويأوي
اليه انسانا كان او غيره ومنه بيت العنكبوت فلا احتياج الى التشبيه ببيت الانسان ثم
كلي من كل الثمرات ارشاد لها الى العمل بعد اتخاذ المنزل والمراد بعض كل الثمرات وفيه طباق
بين من ولفظ كل فاسلكي سبل ربك اي الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي ما اكلت
في سبل ربك اي في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك او منافذ ما اكلت
واذا اكلت الثمار من المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي اليها سبل ربك راجعة لا تزلين فيها ولا
تضل او اسلكي سبل ربك في طلب النجعة واكل الثمرات ذللا جمع ذلول من الذل بالكسر وهي اللين
ضد الصعوبة حال من السبل اي مذللة لك او من الفاعل اي وانت مذللة منقادة لما اريد
والوجه هو الاول يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه عدل من الخطاب الى الغيبة لفراغ
التعليم المقتضي له والشروع في المقصود الذي كان ذلك الالهام والتعليم لاجله وهو الامتنان
على الانسان بايصال ذلك النفع البالغ اليه والشفاء النافع للمرض الذي هو غاية الامتنان
مع كون الدواء من الذ الاشياء واشهى المشتهيات من ذلك الحيوان الضعيف الذي لا يهتدي
العقل الى تصور المناسبة بينهما فيه شفاء للناس نوع منه فالتنوين للتعظيم وقيل فيه شفاء
من كل داء وقد روي فيه حديث فعلى هذا يكون فيه شفاء لكل داء اما بسيطا او مركبا ولا يقتضي
وجود الشفاء في كل وقت بل يعتبر في ذلك مصادفة الدواء الوقت اللائق ونضج المادة وتا

وسائر ما يعتبر طبا وبذلك يؤول الحديث الذي رواه قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه عسلا فقال سقيت وما نفع فقال اسقه عسلا صدق
الله وكذب بطن اخيك كذب البطن عبارة عن عدم قابلية المحل عبر عنه بالكذب لوقوعه في
مقابلة الصدق طباقا ونوعا من المشاكلة وقيل الضمير للقرآن وهو بعيد جدا ان في ذلك
لاية لقوم يتفكرون في بدائع صنع الله من النحل من تلك الصنعة البديعة في تلك البيوت على حسن
الوضع والشكل المسدس الذي هو افضل الاشكال ونحوها الذي لا يطلع عليه الا الحاذق في علم الهندسة
ولغموض المعنى والاحتياج الى مزيد التامل ختم الفاصلة بالتفكر الذي يقتضي اعمال
الروية وترتيب المبادي والله خلقكم ثم يتوفاكم عند حلول الآجال ومنكم من يرد الى
ارذل العمر اخسه وهو الزمان الذي ينقص فيه القوى والعقل وفي دعائه صلى الله عليه وسلم
واعوذ بك ان اردّ الى ارذل العمر روي عن علي رضي الله عنه انه خمس وسبعون سنة وعن
قتادة تسعون والحاصل انه يختلف باختلاف الاشخاص وتفاوت القوى والعقول
لكي لا يعلم بعد علم شيئا كناية عن غاية النسيان وتنكس الاحوال ونقصان القوة الحافظة
كالطفل فانه اذا اعلم شيئا لم يلبث ان ينساه او لا يقدر على كسب علم زائد لوقوف الفهم
ونقصان الذكاء ان الله عليم بالاشياء قدير على ما يشاء والله فضل بعضكم على بعض
في الرزق منكم الغني ومنكم الفقير ومنكم المكثر ومنكم المقل فما الذين فضلوا برادي رزقهم
على ما ملكت ايمانهم لم يساووهم فيه ليكون ذلك شكرا لتلك النعمة روى البخاري عن معرور
انه لقي ابا ذر وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسأله عن ذلك فقال قال رسول الله اخوانكم خولكم
جعلهم الله تحت ايديكم اطعموهم مما تطعمون والبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل الا
ما يطيقون فهم فيه سواء الموالي والمماليك في ذلك الرزق سواء لان الله هو الرزاق وحقيقة
افبنعمة الله يجحدون حيث لا ينفقون على امثالهم مع انهم عباد مربوبون مثلهم او المعنى انكم
لا ترضون بالمساواة مع عبيدكم واماكم مع كونكم تشاركونهم في النوع فكيف تجعلون لله
اندادا من مخلوقاته او ان الموالي والعبيد كلهم عبادي وانا رازقهم فلا يحسبن الموالي انهم
رادون على مماليكهم من الرزق شيئا وفيه اشارة الى ان المن والاعجاب مفسدان للكفران
وقرأ ابو بكر تجحدون بالخطاب والله جعل لكم من انفسكم ازواجا نوع آخر من الدلائل
مع كونها نعما جزيلة اذ بالازواج يحصل الانس والتناسل وقيل المراد خلق حواء من ضلع آدم
وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة اولاد الاولاد وقيل بنات لانهن يسرعن في الخدمة
واصل الحفد السرعة ومنها دعاء القنوت واليك نسعى ونحفد وقيل الخدم مطلقا وعلى الحفد
من ازواجكم حال من بنين مقدما ورزقكم من الطيبات بعضها لان كل الطيبات انما يكون
في الجنة وما في الدنيا انموذج منها افبالباطل يؤمنون وهو ما يعتقدونه من منفعة الاصنام
وبركتها وشفاعتها وبنعمة الله هم يكفرون حيث يحرمون ما احل الله وتقديم الصلة للحصر
لان من جعل الموهوم متيقنا وانكر المتيقن وجحد مع قيام البرهان لا اكفر منه وقيل للمحافظة

على الفواصل ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا نعى عليهم بعد اقامة البراهين على وحدانيته بانهم اشركوا به جمادات لا حس ولا حراك بها والرزق اسم المصدر يعمل عمله فشيئا منصوب به او هو بمعنى المرزوق فيكون بدلا منه ومن السموات والارض صلة الرزق ان كان مصدرا بمعنى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا او صفته ان كان اسما للمرزوق ولا يستطيعون نفى للامكان بعد نفى الفعل ترقيا وجمع الضمير وافراده باعتبار لفظ ما ومعناه وقيل ضمير الجمع راجع الى الكفار اى هؤلاء مع كونهم احياء متصرفين فى الامور لا يقدرون على ذلك فكيف بالجمادات ولا حاجة الى تقدير الراجع الى الرزق لان المعنى على نفى الاستطاعة راسا فلا تضربوا لله الامثال فلا تشركوا به عدلا لان من اشرك به شيئا فقد شبهه به ففى النهى عن ضرب المثل لله تعالى نهى عن التشبيه به ذاتا ووصفا وفى لفظ الامثال التى للامثل نعى عظيم على القائل وتسجيل على غباوته وليس فيه ان اسماءه تعالى توقيفية ان الله يعلم فيما يقولونه ويعتقدونه وانتم لا تعلمون تعليل للنهى عن ضرب الامثال او نهى عن ضرب المثل جهلة فانه يستدعى العلم بحال المشبه والمشبه به وكيفية وجه الشبه وانتم عراة عن العلم منهمكون فى التقليد لا تعرفون حقائق الاشياء بل انما تعبدون الاسماء من غير نظر الى المسمى ثم اعلمهم ضرب المثل فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون مثل حاله تعالى فى كمال قدرته فيما شاء وكيف شاء، وحال الاصنام التى جعلوها لله شركاء مع انها لا تقدر على شيء راسا بالمملوك الذى ليس له قابلية الملك والتصرف اصلا والحر الذى اعطى مالا وافرا وهو مطلق العنان لا حجر عليه ولا حاجز دونه ودون مرام وقيد المملوك لاخراج الحر فان العبد يطلق عليهما ولا يقدر على شيء لاخراج المكاتب والماذون والاية دلت على ان المملوك ليس محل التمليك كما ذهب اليه مالك ومن فى من رزقناه الاولى ان يكون موصوفة لوقوعها فى مقابلة عبدا وقيد الرزق بالحسن لاخراج الحرام اذ لا مدخل فى انفاقه ويحتمل ان يراد به الكثرة ليتسع مجال الانفاق منه وجمع الضمير فى لا يستوون لارادة الجمع كانه قيل لا يستوى الاحرار والعبيد لئلا يتوهم ان ذلك التفاوت ناش من الخصوص الحمد لله كل الحمد لانه المنفرد بالايجاد والقدرة المؤثرة فلا استحقاق لغيره بل اكثرهم لا يعلمون قيد الاكثر لاخراج الاقل فانهم يقولون جحودا وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه ابلغ واوضح فيما سيق له الكلام من بيان عجز ما يعبدونه من المثل الاول والابكم من ولد اخرس وقيد بكونه لا يقدر على شيء ومع ذلك ثقل وعيال على من يلى امره وحاصله انه عديم النفع مع الضرر الظاهر اينما يوجهه لا يات بخير لان مناط الخير القول والفعل وهو عار عنهما هل يستوى هو ومن يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم قابل تلك الصفات بنقائضها لان الامر بالعدل من لوازمه النطق والعلم والقدرة والاستقامة فى الاعتقاد والعمل وانما قدم الامر بالعدل وان تاخر عن الاستقامة لتقدمه شرفا ولله غيب السموات والارض علم ما غاب فيهما او علم ما غاب عنهما اى عن اهلهما بيان لكمال علمه بعد ابطال الشبهة وما امر الساعة

وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب اذا استمهلوا فعل شيء واستغربوا يضربون له بذلك مثله بيان لكمال قدرته ولتساوى الممكنات بالنسبة اليها واو بمعنى بل مثل الى مائة الف او يزيدون ان الله على كل شيء قدير برهان على ذلك لاندراجه فى الكلية والله اخرجكم من بطون امهاتكم دليل على كمال قدرته بما لا ينكرونه وقرا حمزة والكسائى بكسر الهمزة اذا وصل بما قبله للاتباع وقرا حمزة بكسر الميم اتباعا للاتباع وهو المختار للخفة لا تعلمون شيئا من الاشياء وجعل لكم السمع والابصار والافئدة آلات الادراك قيل من فقد حسا فقد علما وتقديم السمع لانه يتعلق به اوامر الشارع لعلكم تشكرون سوى تلك المعارف التى فى الجبل النعم بعد ذلك الجهل الذى لا دواء له او واوله منه الم يروا الى الطير مزيد للابل الافاق وبعد ذكر دليل الانفس مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاسباب المواتية له فى جو السماء جو الشيء داخله وجو السماء ما بينه وبين الارض من الهواء وفيه ضرب على فوق الاجواء وشق الاجواء ونظرية سكان الهواء جمع سكاكة قيل هى البعد من الجو ما يمسكهن الا الله او لا دعامة هنا ولا علاقة والجسد بثقله يقتضى السقوط ان فى ذلك لآيات دالة على علم الصانع وقدرته من وجوه شتى خلق الطير على الحالة التى يمكن له الطيران وخلق الجو على الوجه الذى يمكن للطير قطعه باجنحته كالماء للسابح وامساك الطير على خلاف مقتضى الطبع لقوم يؤمنون المنتفعون بها اسند الايات الى وحدة الصانع وقدرته والله جعل لكم من بيوتكم سكنا موضع السكنى فعل بمعنى مفعول البيوت المعارفة وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا المتخذة من الادم وكانت العرب تتخذ القباب منها وفى الحديث نزل عليه الوحى وهو فى قبة من ادم تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم تجدونها خفيفة الحمل فى الضرب والنقض وقت الترحل فى السفر الترحال او وقت السفر والحضر فاليوم لمطلق الزمان وقرا ابن عامر والكوفيون بسكون العين وهو لغة ومن اصوافها واوبارها واشعارها الصوف للضان والوبر للابل والشعر للمعز اثاثا ومتاعا عطف على سكنا والاثاث متاع البيت لا واحد له والعطف باعتبار الصفة وعن ابى زيد الاثاث المال والغنم والعبيد والمتاع الواحد اثاثة وعلى هذا من عطف الخاص على العام الى حين مدة لصلاحيتها او الى حين انقضاء اعماركم او الى ان تبلى وتفنى والله جعل لكم مما خلق من الشجر وسائر المستظلات ظلالا تتقون بها حر الشمس وجعل لكم من الجبال اكنانا مثل الكهوف والغيران جمع كن وهو ما يستتر به من كنفت الشيء سترته والعرب تسمى العروس كنة لانها تستتر عن الاعين وجعل لكم سرابيل جمع سربال وهو القميص تقيكم الحر خصه بالذكر لانه اكثر عندهم او اكتفاء باحد الضدين لان ما وقى احدهما وقى الآخر وسرابيل تقيكم باسكم فى الحروب كالدروع والجواشن قال كعب بن زهير شعر من نسج داود فى الهيجا سرابيل كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون تنظرون فى نعمه فتؤمنون به وتنقادون لامره اذ النزاع فيها كيف والكل منقاد لم اطلعه كسرة يابسة فان تولوا اعرضوا ولم يقبلوا ما ارسلت به فانما عليك البلاغ المبين فقد تمهد عذرك بابلاغ ما وجب عليك ابلاغه ذكر السبب ليدل على المسبب يعرفون نعمة الله

التي عددت ثم ينكرونها باضافتها الى الاصنام وقولهم انما رزقنا ببركتها وشفاعتها او لما لم
تعتدوا بشكر المنعم فكان ذلك بمنزلة الانكار وقيل النعمة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها
بالمعجزات ثم انكروها ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة واكثرهم الكافرون الجاحدون وانما
قيد بالاكثر اما اقامة له مقام الكل كما في قوله بل اكثرهم لا يعلمون او لان كفر الاقل ليس عنادا
بل تفريطا في النظر وقيل او لانه لم يبلغ حد التكليف وفيه ان ذلك ليس داخلا في الخطاب
فلا يحتاج الى قيد مخرج ويوم نبعث من كل امة شهيدا يشهد عليهم ولهم بالايمان والكفر ثم
لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار اذ لا حجة لهم وقيل في الرجوع الى الدنيا لقوله اخرجنا منها
فان عدنا فانا ظالمون ومعنى ثم انهم بعد شهادة الانبياء يبتلون بما هو اطم منها وهو عدم
الاذن في الكلام لان الواقع في البلية قد يتنفس بعض تنفس اذا اذن له في ابداء المعذرة ولا
الحجة وان كان موقنا بانه لا يجدي نفعا ولا هم يستعتبون ولا يطلب منهم العتبى وهو الرضا يقال
استعتبت فلانا اي طلبت منه ان يرضيني فاعتبني اي ارضاني وفي الحديث لا مستعتب بعد الموت
يريد انه لا تكليف حتى يتدارك المعاصي بالطاعات وانتصاب يوم بمحذوف نحو اذكر واذا
راى الذين ظلموا العذاب عذاب النار وفنهم جواب الشرط فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون
الفاء في مثله فصيحة واذا راى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا
من دونك انما يقولون هذا الكلام ليدفعوا عن انفسهم العذاب ويوجهوه الى الشركاء لانهم ضلوا
بسببها فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اجابهم الشركاء بهذا القول فان كانت من الملائكة وعيسى
وعزير فالمعنى انهم عبدوا الشياطين دوننا كقول الملائكة بل كانوا يعبدون الجن او التكذيب راجع
الى تسميتهم شركاء دون العبادة وان كان قول الاصنام والشياطين فلا امتناع في كذبها مع
احتمال رجوع التكذيب الى التسمية والقوا الى الله يومئذ السلم استسلموا الانقياد لله بعد
تلك المقالة وضل عنهم ما كانوا يفترون من ان الهتهم ينصرونهم وتشفع لهم الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله ظلموا الى كفرهم اضلال الغير وصده عن الاسلام زدناهم عذابا نوعا منه
او خصه فوق العذاب فوق ما كانوا يستحقونه بما كانوا يفسدون من الصد عن سبيل الله المؤدي
اليه واضلوا المسترشدين ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم فان الانبياء
كانت تبعث في قومهم اعاده تحذيرا وزيادة ايقاظ ولذلك اتى به مطنبا وجئنا بك
شهيدا على هؤلاء المشار اليه من بعثت اليهم مؤمنا كان او كافرا ونزلنا عليك الكتاب تبيانا
لكل شيء مبينا لكل ما يحتاج اليه في الدين من المصادر الشاذة فان المصادر من باب التفعيل
كالتكرار والتذكار انما يكون بفتح التاء فان قلت كيف يكون الكتاب تبيانا لكل شيء وبعض
الاحكام انما يوخذ من القياس والاجماع والسنة قلت مرجع الكل اليه فبذلك الاعتبار استقام
اما الحديث فلقوله وما ينطق عن الهوى واما الاجماع فلقوله ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى
والقياس فلقوله فاعتبروا يا اولي الابصار ومن قال بحجية قول الصحابي وفعله فلقوله اصحابي
كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وهدى للضالين الى الصواب ورحمة لم توصلهم الى النعيم الدائم

الى النعيم الدائم وبشرى للمسلمين المنقادين لاحكامه العاملين بما فيه ان الله يامر بالعدل استيناف
وغاية الجزالة فانه لما ذكر ان الكتاب تبيان لكل شيء كان سائلا سال عن كيفيته فبين ذلك على الاجمال
العدل لغة التوسط وعدم الميل والمراد به هنا التوسط بين الافراط والتفريط اما في العقائد
والاصول كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والكسب المتوسط بين الجبر المحض واما
في الفروع والاعمال كالتعبد بالطاعات المتوسط بين البطالة والترهب واما في السجايا و
الاخلاق كالشجاعة المتوسطة بين الجبن والتهور والاحسان اي الاخلاص في تلك الامور اصولا
وفروعا على ما اشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله الاحسان ان تعبد الله كانك تراه او الشفقة
على خلق الله كما هو المتعارف لقوله ما على المحسنين من سبيل وايتاء ذي القربى وعطاء ذوي القرابة
حقهم من الصلة وينهى عن الفحشاء الكبيرة التي تفاحش قبحها من الفحش هو الزنا وعن الحد وفي
الحديث سئل عن دم البراغيث فقال لا باس به ما لم يكن فاحشا والمنكر وكل ما ينكره الشرع
صغيرا كان او كبيرا والبغي والظلم على الناس وعلى كافة الخلق افرده بالذكر وان كان داخلا في
المنكر لعظم جرمه وشدة امره فان ما بين العبد وبين الله اهون واسهل يعظكم لعلكم تذكرون
فان قبح الافراط والتفريط يدرك باوائل العقول قيل لو لم ينزل من الكتب السماوية الا
هذه الاية لكفت ماخذا للاصول والفروع لاحتوائها على التعظيم لامر الله والشفقة
على خلقه واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم مع رسوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وكل
من دخل الاسلام فقد بايع رسول الله والحمل على بيعة الرضوان غير مستقيم لان الاية مكية و
قيل هو النذر وقيل الايمان ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها بعد احكامها وعقد القلب
عليها اخرج لغو اليمين وقد جعلتم الله عليكم كفيلا مراقبا ومهيمنا فان من حلف باسم الله تعالى
او بصفة من صفاته الزم البر على نفسه فكما ان الكفيل يطالب باداء الدين فكذلك الحالف
يطالب بالبر لئلا يكون مستخفا باسمه ان الله يعلم ما تفعلون وعيد على نقض العهد ولا
تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا هي امراة حمقاء من قريش ريطة بنت سعد
كعب بن زيد مناة كانت لها جوار يامرهن بالغزل من الغدوة الى نصف النهار فاذا انتصف
النهار امرتهن بنقض ما غزلن فكان هذا دابها والانكاث جمع نكث بالكسر كالاوزار
جمع وزر نصب على الحال من الغزل او المصدر او مفعول النقض لانه ضمن معنى الجعل والاتيان به
مجموعا مبالغة وفي تشبيه حال الناقض بحالها تحذير واشارة الى ان ذلك ليس من فعل
العقلاء وان فاعله داخل في عداد النساء الحمقى تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من ضمير تكونوا
او من المستكن في الجار اي لا تكونوا متشبهين بامراة هذا شانها ودخلا ثاني مفعولي تتخذون
والدخل الفساد اصله الشيء الذي يكون من جنس ما يدخل فيه وانما كانت الايمان المنقوضة
دخلا لوقوع الفتنة بينهم بنقضها ان تكون امة هي اربى من امة علة لاتخاذهم دخلا اي لاجل
ان يكون طائفة اكثر مالا او اوفر عددا وذلك ان قريشا كانوا يعقدون الحلف مع طائفة
فاذا راوا اعداء تلك الطائفة اكثر وشوكتهم اوفر نقضوا العهد وحالفوا اولئك فهي المؤمنون

عن نقل ذلك وكان اما تامة وهي ارتى في محل الرفع صفة او ناقصة والجملة خبرها ولا يجوز
ان يكون الضمير فصلا لأن الاسم الاول نكرة انما يبلوكم الله به اى انما يختبركم الله بكونهم
اربى فينظر هل تمسكون بحبل الوفاء ام تغترون بالكثرة فتخفرون عهد الله فالمجرور
عائد الى ان يكون وقيل الى الامر بالوفاء وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون
عطف على مقدر اى انما يبلوكم به لينظر وليبين ويميز يوم القيمة المحق من المبطل وفيه
وعد لمن حفظ العهد ووعيد لمن غدر ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة
على الاسلام ولكن يضل من يشاء اضلاله ويهدي من يشاء هدايته ولتسئلن عما كنتم
تعملون باختياركم وان كان واقعا بمشيته تعالى وفيه اشارة الى ما هو الحق من التوسط
بين الجبر والقدر ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم كرر النهي صريحا وضمنا اظهارا
لعظم فساده ومبالغة في التحذير عن ارتكابه فتزل قدم بعد ثبوتها مجاز عن تبدل
الرشد بالغي والصيرورة من الصواب الى الخطاء افرد القدم ونكر اشارة الى ان زلل
قدم واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء في الدنيا من القتل والاسر اشارة
الى ان المؤمنين وان قلوا فلهم الغلبة والعاقبة بما صددتم عن سبيل الله اعرضتم
من الصدود او منعتم غيركم من الصد ولكم عذاب عظيم في الاخرة لا يقادر قدره اثر
الذوق في عذاب الدنيا لانه انموذج عذاب الاخرة ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا
ولا تستبدلوا بعهد الله عرضا يسيرا وهو ما كان يعد قريش من ارتد من المال والنساء
انما عند الله من الثواب والنعيم الدائم هو خير لكم من المتاع الفاني ان كنتم تعلمون
ان كنتم من اهل العلم والتميز ما عندكم ينفد يفنى ويزول وما عند الله من الثواب وخزائن
رحمته باق دائم لا يزول برهان على ان ما عند الله خير اذ لا نسبة للفاني مع الباقي
ولنجزين الذين صبروا اجرهم على حفظ العهد ومشاق الفاقة قرء ابن كثير وعاصم
وابن عامر في رواية ابن ذكوان بالنون التفاتا وهو ابلغ لنون العظمة باحسن ما كانوا
يعملون بارجح اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بجزاء احسن من اعمالهم من عمل صالحا
من ذكر او انثى من مبتدأ وله لا فراد العلم مطلقا الاتى الاناث لما لم يدخل في بعض
الاحكام نص على النوعين ترغيبا للفريقين وهو مؤمن اذ لا اعتداد بعمل دون الايمان
فلنحيينه حيوة طيبة اما الغني فظاهر واما الفقير فلانه يرجوا ثواب الاخرة وقد يجلي
مشاقة الطاعة ولا يحس بالم الفاقة وقد جربنا ذلك في طريق الحجاز من العطش والجوع
المفرط فان تصور زيارة بيت الله وحرم رسوله يخفف ذلك ويسهل الامر ولنجزينهم اجرهم
باحسن ما كانوا يعملون من الطاعات فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان
الرجيم اردت قرائته من اطلاق المسبب على السبب لما روى جبير بن مطعم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يقول قبل القراءة اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وايضا الشروع في
العمل هو الذي يقتضي الاستعاذة من العدو كالمحارب قبل اللقاء يعد آلة الحرب لا بعد

لا بعد فراغه بل لو فعل ذلك عد عبثا فان قلت قد نقل عن بعض الائمة حمل الاية على ظاهرها
فما وجه ذلك قلت وجهه ان القارئ اذا فرغ من قرائته ربما عرض له اعجاب في نفسه
لا سيما اذا كان عالما بان كل حرف يثاب عليه عشر حسنات فكانت الاستعاذة لدفع
ذلك الوسواس فان قلت كيف يتلفظ القارئ بها قلت يقول اعوذ بالله ولو زاد صفات
التنزيه كالسميع العليم لا بأس به وحديث ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم نهى عن الزيادة لم يصح وتعقيبه بذكر العمل الصالح ايذان بان القراءة منه ويجوز
ان يكون متصلا بقوله ونزلنا عليك الكتاب تبيانا وما بينهما اعتراض يبين ذلك انه
ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون اى ليس له تسلط على المصدقين
بالله المفوضين امورهم اليه بل غايته الوسوسة التي تندفع بالاستعاذة وفيه اشارة
الى ان الاستعاذة انما تنفع اذا قارنت الايمان والتوكل انما سلطانه على الذين يتولونه
يتخذونه وليا ويطيعون اوامره فان قلت قد نفى عنه السلطان في قوله وما كان لي
عليكم من سلطان واثبته هنا بطريقة الحصر فما وجه ذلك قلت اراد بسلطانه عمل
وسوسته ونفاذ دعوته عبر عنه بالسلطان للمشاكلة والازدواج والذين هم به
بالله او بالشيطان اى باغوائه مشركون والظاهر ان العطف باعتبار تغاير الصفة
او من يقول لاه اعم من المشرك واذا بدلنا آية مكان آية بالنسخ ذكر عقيب الامر بالاستعاذة
عند قراءة القرآن لانه باب عظيم من ابواب وسوسته يوهم الناقصين انه من البداء
والتناقض والله منزه عنهما والله اعلم بما ينزل من مصالح العباد فلعل ما يكون مصلحة
بالامس يكون مفسدة اليوم وقرأ ابو عمرو وابن كثير بتخفيف الزاء والتشديد ابلغ و
الجملة اعتراض بين الشرط وجزائه وهو قالوا انما انت مفتر للتوبيخ وبيان خطاء الكفار
والتفت من التكلم الى الظاهر لاشعار لفظ الجلالة الدالة على الالوهية بكمال العلم
بل اكثرهم لا يعلمون ليس من اهل العلم فهم بمعزل عن معرفة حكمة الله في تشريع الاحكام
قل نزله روح القدس جواب لقولهم انما انت مفتر وروح القدس جبرئيل كقولهم
حاتم الجود وزيد الخير والمراد كمال تلك الصفة فيه واشارة للدلالة على التقدير
المنافى للافتراء من ربك بالحق بالامر الثابت ملتبسا بالحكمة وفيه دلالة على ان النسخ
حق ليثبت الذين آمنوا بتمييز الثابتين على الايمان فانهم اذا تدبروا الناسخ و
علموا ما فيه من الحكمة ازداد واطمانينة وترسخت عقائدهم وهدى وبشرى للمسلمين
معطوفان على محل ليثبت على ان الافعال الثلثة لجبرئيل ويجوز العطف على ما بعد الا
على ان الثلثة فعله تعالى وفي جعل التثبيت له تعالى وهدى وبشرى فعل جبرائيل نصبا
على العلية وان جاز لفظا يفوت حسن النظم وفي اثبات هذه الصفات لهم وانما تم الجواب
بقوله قل نزله روح القدس تعريض لحصول اضدادها لغيرهم ولقد نعلم انهم يقولون
انما يعلمه بشر ارادوا به غلاما حويطب بن عبد العزى اسمه عايش وكان قد اسلم وحسن اسلامه

وكان صاحب كتب وقيل هو خبير غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان جبر ويسار
كانا قينين بمكة يقرآن التورية والانجيل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع قولهما
وقيل سلمان الفارسي وهو خطاء لان الاية مكية وسلمان لقي رسول الله بالمدينة لسان
الذي يلحدون اليه لغة الذين يميلون اليه من لحد بالكسر مال ومنه اللحد للقبر الذي
يمال الى جانب القبلة وقرء حمزة والكسائي بفتح الياء وهما لغتان والضم اشهر اعجمي وهذا
لسان عربي مبين كيف يستقيم ان يكون متعلما منه فدل على ان قولهم تاشئ عن كمال الجهل و
غاية العناد ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يصدقون بها بعد ظهورها عنادا لا يهديهم
الله لا يهديهم الى الحق والطريق الموصل اليه ولهم عذاب اليم تهديد لهم بعد اماطة الشبهة
وقلع دابرها باقوى البراهين انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله رد لقولهم
انما انت مفتر وقلب عليهم بعد الجواب عنه بقوله قل نزله روح القدس وابلغ من ان يقال
انما انتم مفترون لدلالته على ان منشاء الافتراء عدم الايمان ومن شيوا الافتراء اليه
ساحته برئ عن لوثه وفيه تخاشٍ من نسبة المخاطب الى ما يكره واولئك هم الكاذبون
الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات الله من اعظم الاكاذيب او اولئك الذين عادتهم
الكذب لا يحجبهم عنه مروة ولا دين او الكاذبون في قولهم انما انت مفتر واشارة الى قريش
على معنى ان قريشا هم المقصورون على الكذب لنو الافتراء عند بطلان البرهان ومن كفر بالله
من بعد ايمانه بدل من الذين لا يؤمنون والمعنى انما يفتري الكذب من كفر بالله وبينهما
اعتراض او بدل من اولئك على معنى ومن كفر بالله من بعد ايمانه هم الكاذبون او من الخبر والمعنى
واولئك هم من كفر بالله بعد ايمانه وعلى الوجوه المراد بالايمان التمكن منه كقوله اولئك
الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقوله الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان استثناء
منقطع او مبتدا وخبر محذوف دل عليه قوله فعليهم اي من كفر بالله من بعد ايمانه فعليهم
غضب الا من اكره والوجه ان يكون نصبا على الذم متصلا بقوله ولا تشتروا بعهد الله
وايمانهم ثمنا قليلا فليتسق النظم ويكون تنفيرا عن الاستبدال المنهي عنه بابلغ وجه بعد
اقامة البرهان وازاحة الشبهة ولكن من شرح بالكفر صدرا طاب به نفسه وانبسطت
له واصل الشرح الكشف وازالة الابهام فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم لعظم
جرمهم نزلت في المستضعفين كانت كفار قريش يعذبونهم ويامرونهم بالكفر والارتداد منهم
عمار بن ياسر وابواه اما ابواه فصبرا وقتلوا على الاسلام واما عمار فانه تكلم بكلمة الكفر
فخلوا عنه فاتى رسول الله وهو يبكي وقال هلكت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا ان عمارا
ومسح عن عينيه وقال ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدميه وان الايمان قد اختلط بلحمه
ودمه والاية دلت على جواز التكلم في الجملة رخصة والصبر لاعزاز الدين والموت على ذلك
هو الرتبة والعزيمة لما صح ان مسيلمة الكذاب اخذ رجلين من المسلمين فقال لاحدهما ما تقول في
محمد قال رسول الله قال فانا قال انت ايضا فخلي عنه وقال الآخر ما تقول في محمد فقال رسول الله

رسول الله فقال ما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه فاعاد مقالته فقتله فبلغ ذلك
رسول الله فقال اما الاول فقد اخذ برخصته واما الآخر فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك
اشارة الى الكفر بعد الايمان او الى شرح الصدر بالكفر او الوعيد عليه بانهم استحبوا الحيوة
الدنيا على الآخرة آثروها عليها وان الله لا يهدي القوم الكافرين الذين ذرأهم للنار اولئك
الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم ليس لهم قلوب يعقلون بها ولا آذان
يسمعون بها ولا اعين يبصرون بها واولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة حيث
آثروا الفاني على الباقي ولو كانت الدنيا من الذهب والآخرة من الخزف لما آثرها العاقل
فكيف والامر بالعكس لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون الكاملون في الخسران لان
من اغتر بالفاني لا اخسر منه هل انبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة
الدنيا ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا بالتعذيب والاكراه على الكفر وقرء
ابن عامر فتنوا على بناء الفاعل اي فتنوا انفسهم بالتلفظ بالكفر او فتنوا اعزهم كما فعل
سهيل بن عمرو بابنه ابي جندل ثم اسلم والضم اولى لان المقبول في الاسلام احرى بالرحمة
والغفران ممن عذب المسلم ثم اسلم ثم جاهدوا وصبروا على مشاق الجهاد وبذل المال
والنفس ان ربك ان مع اسمها توكيد للاولى وقيل الجار والمجرور خبر ان الاولى كانه
قيل ان ربك لهم لا عليهم والثانية مع خبرها بيان لكونه لهم وقيل الخبر للاولى
لان خبر الثانية اغنى عنه فلا يحتاج الى التقدير من بعدها من بعد الهجرة والجهاد والصبر
لغفور لما فعلوا من قبل رحيم بقبول توبتهم وتبديل سيئاتهم حسنات يوم تأتي كل نفس
كل شخص بقرينة الاتيان تجادل عن نفسها عن ذاتها والنفس جارية مجرى التاكيد و
تجادلتها السعي في خلاصها والاعتذار بمعاذير كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين
ربنا هؤلاء اضلونا حتى يقول العبد عند الحاجة لا اقبل شهادة الملائكة ولا اقبل
الا شاهدا مني فتشهد عليه جوارحه بما كسبت فيقول سحقا لكن عنكن كنت اناضل
وتوفى كل نفس ما عملت جزاؤه وهم لا يظلمون لا ينقصون من اجورهم وضرب الله مثلا
قرية اشارة الى عذاب الدنيا اللاحق بسبب الكفر فان النفوس تنزجر به اكثر مما تنزجر
بعذاب الآخرة ولذلك شرعت الحدود والقرية اما مفروضة او قرية من القرى جرى
عليها ما جرى في الازمنة القديمة وهذا هو الحق لقوله ولقد جاءهم رسول منهم لان
ضرب المثل انما يكون بامر بديع في الشناعة زجرا للسامع عن ارتكاب توجيه كانت آمنة
مطمئنة اي اهلها الى الاسناد مجاز يأتيها رزقها رغدا واسعا من كل مكان من كل جانب
فكفرت بانعم الله ابطرتهم تلك النعم فلم يشكروا موليها جمع النعمة استعمل في الكثرة
بمعونة المقام فاذاقها الله لباس الجوع والخوف وهما اقتران باطنتان لانه اشد
على النفس من احدهما فكيف اذا اجتمعا شبه اولا ما يدركه الانسان من الم الجوع والضر
بما يدركه من طعم المر البشع ثم شبه ذلك الالم والضر باللباس من حيث الاشتمال وعدى

المشبه وذكر المشبه به وهو اللباس فالاولى استعارة مكنية والثانية تصريحية واوقع
الاذاقة على اللباس دون الكسوة لانه يفيد زيادة التأثير والتأثر ومن هنا علم ان قولهم
ان الترشيح ابلغ من التجريد لم يجر على اطلاقه فان قلت المشبه في الاستعارة الاولى
والثانية هو ما يدرك من الم الجوع وما يغشى الانسان ويحيط به منه وذلك امر معقول
والمدرك بالذوق لا بد وان يكون محسوسا فكيف يكون الاذاقة تجريدا بل يكون ترشيحا
لانه من توابع الطعم المرّ الشبع قلت الاذاقة لكثرة استعمالها في البلايا والشدائد بمعنى
الاصابة قد جرت مجرى الحقيقة فبذلك الاعتبار كانت تجريدا وجعل المشبه المستعار
له لفظ اللباس انتقاع اللون ورثاثة الهيئة اللازمين للجوع والخوف يذهب جلاوة
الاذاقة **بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ** من الكفر والاخلال بالشكر **وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ** اي
من اهل تلك القرية **فَكَذَّبُوهُ** نسبوه الى الكذب ولم يؤمنوا به **فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ** عذاب
الاستئصال فقطع شأفتهم **وَهُمْ ظَالِمُونَ** في كفران النعمة وتكذيب رسولهم وقيل الضمير
المنصوب في جاءهم لاهل مكة وفيه ان هذا المثل انما ضرب لهم قبل اخذ العذاب ليأخذوا
حذرهم ولذلك امرهم بقوله **فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ** او وقع
اسنادا لكم ما حل بمن كفر بانعم الله فاجمعوا الكل نعمته مع الشكر لئلا يحل بكم ما حل بهم **إِنْ كُنْتُمْ
إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** ان صح انكم لا تريدون بعبادة الآلهة الا عبادته وانما تعبدونها لتقربكم
اليه زلفى ثم عدد المحرمات بقوله **إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ
لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ليعلم ان ما عداها احل لهم فان
قلت تصدير الجملة بانما يدل على حصر المحرمات وقد حرمت السباع والحمر الاهلية قلت الحصر انما
هو بالنسبة الى ما كانوا يحرمونه من السائبة والوصيلة والحام والمعنى انما حرم عليكم
هذه المذكورات لا ما تحرمونه انتم باهوائكم وقد اكده بقوله **وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ
الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ** اي لا تقولوا للشيء الذي تصفه السنتكم بالحل والحرمة
من غير سند هذا حلال وهذا حرام فالكذب مفعول تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل
منه او الكذب مفعول القول الاول ويقدر بعد الوصف قول آخر اي فيقولوا هذا حلال
وهذا حرام واللام في الوجهين صلة القول وما مصدرية واللام للتعليل اي لا تقولوا
لاجل وصف السنتكم الكذب وكونها ينبوع الاكاذيب هذا حلال وهذا حرام وهذا مثل
قولهم في الاطراء في المدحة ريق فلان يصف السلافة وعينه تصف السحر وحاصله ان
محل تلك الصفة من باب الاستعارة بالكناية **لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ** تعليل مآل عن العوض
إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ وان حصل لهم ما حصل فان عاقبته وخيمة **مَتَاعٌ
قَلِيلٌ** ما يتوصلون اليه بالافتراء **وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** في الآخرة **وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا** اي على اليهود
خاصة **حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ** ما سبق في سورة الانعام وهو قوله وعلى الذين
هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما **وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ** بالتحريم و

بالتحريم والتضييق عليهم **وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** بالكفر الموجب لزوال النعمة كقوله فبظلم
من الذين هادوا حرمنا **ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ** غير عارفين بالله و
بعقابه او كانوا عارفين ولكن اتبعوا الشهوات فكانت المعرفة جهالة لعدم الجري على
موجبها **ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا** ما افسدوه بالتوبة **إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ
رَحِيمٌ** اي بعد التوبة يغفر ما سبق منهم ويثيب على التوبة **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً** فعلة بمعنى
المفعول كالرحلة لمن يرحل اليه لان الناس كانوا يأتونه اي يقصدونه ليعلم الدين ومحاسن
الاخلاق او كان متفردا في زمانه بالدين لم يشاركه احد والرجل المنفرد بمعنى يسمى
امة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في زيد بن نفيل موحد الجاهلية يبعث يوم
القيامة امة واحدة او لاستجماعه صفات لا توجد الا في جمع كثير ولهذا اشار ابو نواس
في مدح الفضل بن يحيى البرمكي ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد **قَانِتًا لِلَّهِ** مطيعا
له خاشعا **حَنِيفًا** مائلا عن الباطل **وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** صرح به وان لزم من قوله حنيفا تكذيبا
لقريش فانهم كانوا يزعمون انهم على ملته **شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ** اتى بجمع القلة ايماء الى انه لم يخل
بالشكر لو قلت فكيف وهي من الكثرة بحيث لا تحصى **اجْتَبَاهُ** اختاره على الخلق بالنبوة **وَ
هَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** دين الاسلام اجابة لقوله واجعلنا مسلمين لك **وَآتَيْنَاهُ فِي
الدُّنْيَا حَسَنَةً** ذكرا حسنا اجابة لقوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين لان اهل ملة
الا ويثنون عليه ويزعمون انهم على دينه او امرأته سارة فانها كانت اجمل النساء وافضلها
كما روي عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى آتنا في الدنيا حسنة انها المرأة الصالحة **وَإِنَّهُ
فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ** لقربه في حضرة قدسه في مقعد صدق واجابة لدعائه والحقني بالصالحين
وكونه من رؤساء المرسلين لا يباعيه لانهم في اعلى درجات الصالحين **ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ** في لفظ ثم اشارة الى ان اجل ما اوتيه خليل الله هو اتباع حبيب الله
ملته ولا يخفى ما في ذلك من التنويه بشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم في لفظ اوحينا
والخاتم الملة اشارة الى استقلاله بالاخذ عمن اخذ عنه ابراهيم **حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**
بل كان قدوة الموحدين **إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا** وبال السبت وهو المسخ
وايراده مثل ايراد ضرب المثل بالقرية آنفا لاشتراكهما في الدلالة على ان نعمة الله انقلبت
عليهم نقمة بالكفر والعصيان وكن لطفا بالسامعين وفرض السبت تعظيمه على اليهود
خاصة فان موسى امرهم بتعظيم يوم الجمعة فلم يفعلوه واثروا السبت عليه وقالوا المختار
اليوم الذي فرغ الله من خلق الاشياء فيه الا شرذمة منهم رضوا بالجمعة فاوجب الله
عليهم تعظيم السبت فوفى بتعظيمه الشرذمة واخل به الآخرون فاصطادوا فيه فعاقبهم
الله بالمسخ **وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ** يجازي كل فريق
بما يستحقه **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**
متصل باتباع ملة ابراهيم كانه قال كيف اتبع فاشار الى الكيفية ذلك بان بين له مراتب الدعوة

بحسب المدعوين لان المخاطب اما كامل القابلية بحسب الفطرة فيخاطب بالمقالة الحكمية اما عيانا
او برهانا واما متوسط فيخاطب بالاقناعيات واما غاوي صرف او معاند فالمجادلة معه
بالرفق واللين كما فعل ابراهيم حين راى كوكبا ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو
اعلم بالمهتدين فلا عليك بعد البلاغ على الوجه الذي وقف عليه وتقديم الضال لان
الكلام فيه وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به نزلت الايات الثلثة الى آخر السورة
بعد احد وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد انقضاء الحرب شرع في دفن الشهداء
والفحص عن القتلى فوقف على عمه حمزة اسد الله فوجده قد بقر بطنه ومثل به انواع المثلة
فشق ذلك عليه فحلف ان اظفره الله بالمشركين يمثلن بسبعين منهم قبل الله ان احكام الدنيا
على المقاصة والمماثلة فاذا جازيتهم بمثل فعلهم فقد اخذت بثارك ولئن صبرتم
لهو خير للصابرين فقال بل اصبر وكفر عن يمينه ونهى عن المثلة فهي محرمة اجماعا في سائر الحيوانات
باسرها في الافعال كلها والضمير في لهو عائد للصبر المخاطبين والقرينة صبرتم والتعبير عنهم
بالصابرين للدلالة على انهم اذا علموا ان الصبر خير لهم فهم كالصابرين بالفعل لعدم خلافهم
بالافضل اولى الجنس الصبر والمراد بالصابرين جنسهم ايضا واصبر في المواطن كلها وليس
نفرضها بما علم وما صبرك الا بالله الا بارشاده وتوفيقه وربط القلب على لقاء المكروه
رجاء ثوابه ولا تحزن عليهم على الكافرين فان الله وعدك النصر والعافية وقيل على
المؤمنين وما حل بهم يوم احد وفيه فوات حسن التقلم مع قوله ولا تك في ضيق مما
يمكرون من مكرهم وقرا ابن كثير في ضيق بكسر الضاد وهما لغتان ان الله مع الذين
اتقوا المعاصي بالعون والنصر علة للنهي عن الحزن وضيق الصدر والذين هم محسنون مخلصون
في نفوسهم او محسنون بالترحم والشفقة على خلق الله وفيه اشارة الى انه بالصبر والتجاوز عن
المعاقبة محسن متفضل وفيه ربط آخر السورة باولها لان قوله اتى امر الله فلا تستعجلوه في معنى
امر بالصبر الى مجيء الفرج سورة بني اسرائيل مائة وعشر آيات مكية وعن ابن عباس رضي الله عنه الا قوله
وان كادوا ليستفزونك الى قوله سلطانا نصيرا فانها نزلت بالمدينة لما جاء وفد ثقيف
بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى بعبده ليلا سبحان علم التسبيح بمعنى التنزيه والتقديس
البليغ من التسبيح وهو الابعاد في الارض والاتيان به علما دالا على الحقيقة الحاضرة في الذهن
للدلالة على ان ما يرد بعده من الامور البديعة فالله منزه عن العجز عن ايجادها وقيل
علم فيجيء حال الاضافة ولا حاجة اليه لان الاضافة لا تنافي العلمية ونصبه بفعل يجب
التزامه ونصب ليلا على الظرفية وتنكيره للدلالة على وقوع الاسراء في جزء منه لان
الليل وان كان اسما للمجموع الان منكر يقع على البعض فاريد بقرينة السرى الذي لا
يكون غالبا الا في بعض الليل وما في البناء من معنى الانفصال واضافة العبد الى ضمير الله تدل
على انه العبد الحقيقي لشانه الى استحقاقه تلك الرتبة السنية التي لم ينلها احد من المرسلين
وان العناية به في اقصى الدرجات ولذلك قال في آخر السورة وكان فضل الله عليك كبير

عليك كبيرا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى قد اشتهر وكاد ان يتواتر انه عرج به واختلف
في كيفية ذلك فذهب جمع من الصحابة والتابعين ومن بعدهم الى ان ذلك كان مناما ورؤيا
نوم والذي عليه المحققون انه اسرى بجسده ولذلك وقع الارتياب والانكار واختلف
في وقت الاسراء قيل كان قبل نبوته والاصح قول الزهري انه اسرى به في ليلة السابع
والعشرين من ربيع الاول بعد بعثته بخمس سنين وسياق الحديث انه اتاه جبرائيل وهو
في الحجر وقيل في الحطيم وقيل في بيت ام هاني والكل محتمل لاختلاف الاوقات فشق بطنه
وقلبه وغسل بماء زمزم واتي باناء ملئ حكمة وايمانا فحشي به صدره ثم اتي بالبراق
وهي دابة دون الفرس وفوق الحمار يقع خطوه حيث يقع بصره فركبه والى المسجد الاقصى
وهو البيت المقدس سمي بالاقصى لغاية بعده من المسجد الحرام اذ لم يكن مسجد بعده
في ذلك الزمان قال فربطت البراق في الحلقة التي يربط الانبياء بها ثم صلى بالانبياء
فصليت بهم اماما ثم عرج بي الى السموات حتى بلغت السدرة المنتهى وهي النبوة ورايت
ثمرها كقلال هجر واوراقها كاذان الفيل ولم يقدر احد على نعتها لما غشيها من الانوار
ثم تخلف جبرائيل فارتقيت الى مستوى اسمع فيه صريف الاقلام ففرض الله علي وعلى امتي
خمسين صلوة فرجعت حتى مررت على موسى بن عمران فسالني فاخبرته فقال ارجع الى
ربك واساله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك فاني قد جربت بني اسرائيل قال فرجعت
فوضع عني شطرا فرجعت الى موسى فسالني فاخبرته فقال ارجع فاساله التخفيف فلم ازل
اتردد بين موسى وربي حتى بلغت خمس صلوة فقال ارجع فقلت قد استحييت من ربي ولكن
افوض واتوكل فنوديت يا محمد لا يبدل القول الذي هي خمس وهي خمسون الحسنة عندي
بعشر امثالها وذكر انه دخل الجنة واتاه مالك خازن النار فسلم عليه وراى في السماء
السابعة البيت المعمور وابراهيم مسند ظهره اليه يدخله كل يوم سبعون الف ملك
لا ياتيهم النوبة الى آخر الدهر قال فاصبحت بمكة واخبرت قريشا فكذبوني واسالوني
اشياء ببيت المقدس ما كنت اثبتها فكربت كربا شديدا فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت
اذكر لهم ما يسالوني وسالوه عن عير لهم كان بالشام فقال يقدم عيركم يوم كذا مع شروق
الشمس يقدمه جمل اورق فخرجوا في ذلك اليوم الى الثنية فقال واحد منهم هذه الشمس
والله قد اشرقت فقال الاخر وهذا العير والله يقدمه الجمل الاورق فان قلت قد ذكر
انه راى الانبياء ووصف خلقهم وشمائلهم حتى قال في يوسف رايته قد اعطي شطر الحسن
وقال في ابراهيم صاحبكم اشبه الناس به يريد نفسه وهم اموات بلا ريب فكيف ذلك
قلت قد صح عنه ان لحوم الانبياء محرمة على الارض وقد اخبر الله عن الشهداء انهم احياء
يرزقون والانبياء فوق الشهداء اتفاقا فان قلت قال رايت موسى في قبره عند الكثيب
الاحمر يصلي وفي رواية رايته يحدر في الوادي ملبيا وقد ذكر انه راه في السماء السادسة
وتردد بينه وبين ربه في تخفيف الصلوة وقد راه في جملة الانبياء في المسجد الاقصى راه

في تلك المواضع كلها في اوقات مختلفة فان قلت قد رآه ربه رؤية عين قلت قد اختلف فيه
انكرته عايشة غاية الانكار وقرأت لا تدركه الابصار وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
او من وراء حجاب واثبتها ابن عباس وعليه المحققون من الصحابة ومن بعدهم لان هذا القول
لم يكن الا بالسماع والمثبت يقدم على النافي وعايشة لم تقل ذلك نقلا وما استدلت به
من القرآن فالجواب عنه ظاهر الذي باركنا حوله بركات الدنيا والدين لانه موطن الانبياء
ومتعبدهم وفيه الانهار والاشجار وغالب انواع الثمار لنريه من آياتنا كما رآه تلك
الليلة التفت الى التكلم لغداء تلك انه هو السميع لاقوال عبده البصير باحواله وما سنحه
من سوابغ نواله وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا من دوني
وكيلا استطراد تمهيدا لذكر القرآن ولان موسى معراجه الى الطور ومعراجه الى السدرة
المنتهى ووصف كتاب موسى بانه هدى لبني اسرائيل والقرآن بانه يهدي للتي هي اقوم فوازن
بين سبحان الذي اسرى بعبده وبين وآتينا موسى الكتاب وبين وصفي الكتابين يظهر لك
تفاوت الرتب وقرأ ابو عمرو الا يتخذوا بالياء لاحتياج الخطاب الى التقدير ذرية
من حملنا مع نوح نصب على البدل او الاختصاص او النداء في قراءة الخطاب او مفعول
اول لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا وفي ذكره تذكير بما انعم على آبائهم من الانجاء
في سفينة نوح انه كان عبدا شكورا تعليل للنهي كانه قيل انتم اولاد ذلك العبد
الشكور فاقتدوا به واولاد المحمولين معه اولاده لقوله وجعلنا ذريته هم الباقين
وقيل ثناء عليهم بانهم اولاد المحمولين معه فهم متصلون به وليس بذاك لان المساق يأباه
وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض عبر عن الوحي بالقضاء للدلالة على
كونه امرا لازما والكتاب هو التورية واللام في لتفسدن جواب القسم لان القضاء المبرم جار
مجراه فاغنى عن تقديره مرتين اولاهما قتل زكريا عليه السلام او تغيير احكام التورية
فاستولى عليهم بخت نصر وقتل فيهم قتلا ذريعا وكان قد وعظهم ارميا فلم يرفعوا
له رأسا ولما اكثر عليهم حبسوه والثانية قتل يحيى بن زكريا واسناده هردوس وقتله لبني
اسرائيل وكان من ملوك الطوائف وعزمهم على قتل عيسى عليه السلام ولتعلن علوا كبيرا تكبرن انعم
وذلك سبب الدمار فان الملك يدوم مع الكفر ولا يدوم مع الظلم فاذا جاء وعد اولهما
وعد عقاب اولاهما عبر عنه بالوعد دلالة على لزوم وقوعه بعثنا عليكم عبادا لنا بخت نصر
وقيل سنحاريب وقيل جالوت اولي بأس شديد ذوي قوة وشوكة فجاسوا خلال الديار ترددوا
بين الدور كناية عن التمكن التام الدال على انواع العذاب قيل قتلوا علماءهم واحرقوا
التورية وخربوا المسجد الاقصى وسبوا منهم سبعين الفا اصل الجوس التردد وخلال
الشيء باطنه ومنه الخلة وكان وعدا مفعولا لا بد وان يفعل ثم رددنا لكم الكرة عليهم
الغلبة يقال الحرب كر وفر وذلك لما تابوا واخلصوا القى الله الرأفة في قلب بهمن بن
اسفنديار فرد اسراءهم الى الشام وملك عليهم دانيال فاستولوا على ابناء بخت نصر او بان

سلط داود على جالوت فقتله وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم
نفرا وهو من ينفر مع الرجل من قومه لقضاء حاجته او جمع نفر كالعبيد وتافر كالحجيج ان
احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها لا يتجاوزها وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
ما احسنت الى احد ولا اسأت وتلاها وهذا انذارهم لئلا يعودوا وان كان في التورية
والا فانذار لهذه الامة عن الاتيان بمثله وانما ذكر اللام مع الاساءة ازدواجا فاذا جاء
وعد الآخرة العقوبة الآخرة اثر الآخرة على الاخرى في مقابلة اولاهما او لانها اشأن الى ان لا
عقوبة بعدها الى الاستقامة فان قلت لم عطف بالفاء وكان الظاهر الواو ولانه تفصيل
المجمل قلت الدلالة على ان مجيء وعد عقاب الآخرة لم يتراخ عن كثرتهم وانهم بطروا واسرفوا
ونسوا ما كان يحل بهم فجاءهم عذاب الله ليسوءوا وجوهكم اي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم حذف
لدلالة الاول عليه وذكر الوجوه لان اثر المساءة يظهر فيها ولانها اشرف الاعضاء او عبر
بها عن الذوات قرأ الكسائي بالنون على اسناد بعثنا وامددنا وابن عامر وحمزة وابو بكر
بالياء وفتح الهمزة مسندا الى الله او البعث او الوعد والباقون بضم الهمزة بعدها واو
مسندا الى ضمير العباد وهو المختار لقوله وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة متعلق
ببعثنا وليتبروا ليهلكوا من التبار ما علوا ما استولوا عليه تتبيرا قيل دخل امير الجيش مذبح
قرابينهم فوجد دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم تقبل فقال ما صدقوني فقتل
عليه الوفا وقال ان لم يصدقوني لم اترك منكم احدا فقالوا دم يحيى فقال لما يحيى قد علم
ربك بما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله فسكن الدم عسى ربكم ان
يرحمكم بعد المرة الثانية وان عدتم عدنا هذا ايضا من المقضي في التورية وقد عادوا
فسلط الله عليهم الاكاسرة وعن قتادة ثم عادوا فسلط عليهم محمدا وامته فهم في ذل
الى يوم القيمة يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا
حاصرا عن الخروج فعيل بمعنى الفاعل ولذلك لم يؤنث ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم
للطريقة التي هي اقوم الطرق واسهلها اذ ليس فيها الآصار والاغلال ولذلك قال
لو كان موسى بن عمران حيا لما وسعه الا اتباعي ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات
ان لهم اجرا كبيرا قرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وتخفيف الشين ثلاثيا والباقون بالضم و
التشديد وهذا افصح وابلغ وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما عطف
على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم او على يبشر بتقدير
اي ويخبر بان الذين لا يؤمنون معذبون ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير نزلت حين
قال النضر بن الحارث اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء
فضرب عنقه يوم بدر وقيل نزلت حين دفع رسول الله اسيرا الى سودة فسمعت
بالليل انينه فسألته فشكا اليها الم الاسار فحلت اساره فهرب فلما اصبح رسول الله
طلب الاسير فاخبرته فقال اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها جازمة بقطع يديها

اجابة لدعائه فاخبر بذلك رسول الله فقال انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر واني سألت الله ان يجعل
دعائي ولعني على من لا يستحقه رحمة وقيل هو وصف لكل احد على ماله واهله عند الغضب فيتصل
على الوجهين بقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم اشارة الى انه ليس من ذلك الاقوم
في شيء وحمله على آدم لا يلائم المقام واللفظ يأباه وكان الانسان عجولا في اموره ولذلك
يدعو بالشر دعاءه بالخير وجعلنا الليل والنهار آيتين بيان لما يهدي اليه القرآن من دلائل
التوحيد والمراد نيرا الليل والنهار فمحونا آية الليل القمر والليل والنهار آيتين والاضافة
للتبيين كاضافة العدد المعدود وجعلنا آية النهار مبصرة مضيئة يجعل الخلق يبصرون
بالاضاءة عن عمر بن الخطاب ان رجلا قال له يا امير المؤمنين رايت في المنام ان الشمس والقمر
يتحاربان فقال كنت مع من قال كنت مع القمر فقال انك مع آية ممحوة فوجد لحرب علي مع
معاوية لتبتغوا فضلا من ربكم رزقا في بياض النهار ولتعلموا عدد السنين والحساب
بدور القمر في المنازل التي عليه مدار السنة الشرعية والشهور العربية وكل شيء فصلناه
تفصيلا كل شيء يحتاجون اليه من امر الدنيا والدين بيناه بيانا شافيا وكل انسان
الزمناه طائره في عنقه جعلنا عمله لازما له لزوم القلادة والغل فكانه طار اليه
من ذكر القدر او خيار على عرفهم في السانح والبارح من التيمن والتشأم وخص العنق لانه
محل الزين بالقلائد والاطواق ومناط الشين بالاغلال والاوهاق ولانه سيد الاعضاء
والبارز للناظرين ونخرج له يوم القيامة كتابا صحيفة اعماله نصب على الحال
بتقدير المبتدأ من المحذوف العائد الى الطائر وحمله على النفس المنتقشة بالملكات
يقتضي اتحاد المخرج والمخرج مع كونه مخالفا للاحاديث له يلقاه منشورا بعدما كان
مطويا خفيا وقرأ ابن عامر يلقاه بالتشديد وعلى الوجهين المنشور اما للانسان او للكتاب
اقرأ كتابك على ارادة القول يقرأ في ذلك اليوم من لم يكن قارئا كفى بنفسك اليوم عليك
حسيبا فعيل بمعنى الحاسب كالضريب ولذلك لم يؤنث نصبه على التمييز ذرع فارسا
او بمعنى الكافي استعمل بمعنى الشاهد تجوزا لان الشاهد يكفي المدعي ما اهمه وعن الحسن
لقد انصفك من جعل نفسك عليك حسيبا من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما
يضل عليها على منوال ان احسنتم احسنتم لانفسكم وفيه دلالة على ان الاطفال لا يعذبون
ولا تزر وازرة وزر اخرى لا تحمل نفس اثم اخرى واصل الوزر الثقل ومنه حتى تضع
الحرب اوزارها فان قلت فقد قال وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم قلت ذاك للتسبب
والاضلال فلا تنافي وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا مبينا للاحكام فيه دليل
على ان لا حكم قبل البعثة لانتفاء لازمه وحمل الرسول على العقل لم يوجد كلام
الشارع قط واذا اردنا ان نهلك قرية واذا دنى وقت اهلاك قوم لانه حين تعلق
الارادة الفعل واجب الوقوع امرنا مترفيها ففسقوا فيها متنعميها من الفسق بان اوسعنا
عليهم اسباب الملاذ والوصول الى الشهوات ولما افاض عليهم النعم ليكون وسائل الطاعات

الطاعات فجعلوها ذرائع المعاصي كأنهم مأمورون بفعل المعصية وفيه امتنان الى انهم
اعكسوا القضية الواجبة وقيل امرناهم بالطاعة ففسقوا والفسق وفيه انه حذف بلا دليل لان
قولك امرته فقرأ لا يفهم منه الا الامر بالقراءة فان قلت قوله ان الله لا يأمر بالفحشاء قرينة
وذكر الفسق بعد الامر ايضا قلت التقييد بالاتراف وزمان ارادة الاهلاك يأباه فحق
عليها القول كلمة العذاب فدمرناها فاهلكناها تدميرا اهلاكا اي اهلاك استيصال
وكم اهلكنا من القرون كم منصوب المحل مفعول اهلكنا والجار والمجرور تمييز من بعد نوح
اذ لم يهلك قبله امة استيصال وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا فاحاط بواطنهم
وظواهرهم بالعلم الاتم فلو لم يكونوا مستحقين لذلك العذاب لما وقع ذكر البصير بعد الخبير
تتميما كما في الرحمن الرحيم من كان يريد العاجلة اي يريد بعمله الدنيا عجلنا له فيها ما نشاء
لا ما اراده يعطي ما كل ما يتمنى المرء يدركه لمن نريد بدل من له بدل البعض لان كثيرا انهم لا
شيئا لهم اخسر الدنيا والآخرة ثم جعلنا له جهنم مأوى ومقرا يصليها يدخلها و
يحترق بها من صليت الشاة شويتها مذموما يلعنه الملائكة والناس مدحورا مهانا
من دحرته اذا دفعته بالاهانة وفي الحديث لم ير ابليس ادحر من يوم عرفة لما يرى من
كثرة عفو الله الا يوم بدر ومن اراد الآخرة اي بعمله وسعى لها سعيها حق السعي من امتثال
الاوامر واجتناب المناهي وهو مؤمن والحال ان ذلك السعي مقرون بالايمان الذي لا يعتد
بعمل دونه وعن بعض الحكماء من لم يكن معه نية صادقة وايمان راسخ وعلم مصيب لا ينفعه
عمل فاولئك كان سعيهم مشكورا مقبولا عند الله يثاب عليه كلا كل واحد من العاصي و
الطائع والتنوين عوض المضاف اليه نمد بالعطاء مرة بعد اخرى ويجعل له الانف مددا
للسابق هؤلاء وهؤلاء بدل من كلا من عطاء ربك اسم للمعطي وما كان عطاء ربك محظورا
ممنوعا من احد في الدنيا بل الحظار وهو الحجاب وفي الحديث قالت امرأة دخلت تحته موالاة
فقالت الطائفة احتظرت بحظار من النار انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض التقرا البصير
والخطاب لكل من يتأتى منه وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا اجتمع اشراف قريش يوما
بباب عمر فخرج الاذن لبلال وصهيب ولم يؤذن لهم فشق ذلك عليهم فقال سهيل بن عمرو
يا قوم انما اتينا من قبل انفسنا دعي هؤلاء الى الاسلام ودعينا فاسرعوا وابطأنا واذا كان
هذا حالنا في باب عمر فكيف حالنا في الآخرة فان حسدتموهم على باب عمر فانتم الى ما اعد الله لهم
من المراتب بالحسد اولى لا تجعل مع الله الها آخر لا تعتقد له شريكا في الالوهية وخوصها
الخطاب له والمراد امته او هو من باب الالهاب لما قدم ان من سعى انما يعتد بسعيه اذا كان
مؤمنا شرع يبين حقيقة الاسلام ثم فصل فروع ذلك وطرائق السعي فتقعد مذموما
بذمك ربك على اتخاذك له شريكا مخذولا لا ناصر لك من الشريك لعجزه عن نفع نفسه فضلا
عن غيره والمنصوب خبر تقعد لكونه بمعنى صار وفي لفظ القعود اشارة الى سقوط الرتبة والى
لا يليق له الرياسة بل الخمول والتسخر لحاله وقضى ربك حكم حكما مبتوتا لا يقبل المحو والتبديل ه

ان لا تعبدوا الا اياه ان مفسرة والكلام انشاء او مصدرية بتقدير الباء والكلام نفي وبا
لوالدين احسانا ولحسنوا او بان تحسنوا ابنا على الوجهين في ان لا تعبدوا والاولى جعله متعلقا
باحسانا وعدم جواز عمل المصدر في الصلة المتقدمة ممنوع اما يبلغن عندك الكبر احدهما
او كلاهما اصله ان زيدت ما المؤكدة ولذلك صح دخول النون المؤكدة وقرا حمزة والكسائي
يبلغان مسندا الى ضمير الوالدين واحدهما بدل البعض وكلاهما بدل الكل لا توكيد لان احدهما
طارئ عنه اذ لو اريد توكيد التثنية لقيل كلاهما فحسب فلا تقل لهما اف لا تضجر ولا تتعذب
منهما ما يستقذر من غيرهما صوت او اسم فعل ماخوذ من الاف وعلى وزن الغرض وهو الشيء
القليل قرا نافع وحفص بالكسر والتنوين وابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر بالكسر بلا تنوين
وابن كثير وابن عامر بالفتح بلا تنوين والمختار الكسر بلا تنوين لانها جارية على الاصل في تحريك
الساكن ولا تنهرهما ولا تزجرهما اذا تعاطيا ما لا يعجبك وقل لهما قولا كريما مراعاة للادب
قيل ان يقول لهما يا ابتا ويا اماه كما قال ابراهيم ولا تناديهما باسمائهما مواجهة ولهما
اذا كانا غائبين فلا باس به قالت عائشة يا رسول الله ان ابا بكر رجل اسيف لا يقدر ان يقوم
مقامك واخفض لهما جناح الذل وتواضع لهما غاية التواضع مستعيضا الانسان عند
تذلله لوالديه بهيئة الطائر اذا خفض جناحه على افراخه مشفقا عليها او جناح الذل
استعارة بالكناية وتخييل كما في قوله لبيد اذ اصبحت بيد الشمال زمامها واذكر الخفض ترشح
من الرحمة لاجل رحمتك اياهما وقل رب ارحمهما ادع لهما ربك بان يرحمهما رحمة الباقية
ولا تقتصر على الرحمة الفانية كما ربياني صغيرا كما رحماني بالتربية حين كنت احوج خلق الله
اليهما وفي الحديث ان رجلا قال لرسول الله ان ابوي بلغا من الكبر الى اني الي منهما ما وليا مني في
الصغر فهل قضيت حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان معك وهما يريدان بقاءك وانت تفعل
وتريد موتهما ربكم اعلم بما في نفوسكم حث على الاخلاص وان ما تفعله معهما يكون خالصا
لوجهه تعالى لا خوفا من لائمة الاسنان والايات والاخبار في بر الوالدين مستفيضة وقد اسند
البخاري ان رجلا راهبا في بني اسرائيل يسمى جريجا كان يصلي فنادته امه يا جريج فقال يا رب
امي وصلوتي فنادته يا جريج فقال يا رب امي وصلوتي فنادته يا جريج فقال يا رب امي وصلوتي
فقالت رب لا تمته حتى ينظر في وجوه المومسات وكانت بغية من بغايا بني اسرائيل زنت
مع راع ياوي الى صومعة جريج فاتت بغلام فقالوا لها ممن هذا الغلام قالت من جريج
فجاؤا وهدموا صومعته وارادوا قتله فقام وتوضا وصلى ركعتين ثم قال يا غلام
من ابوك قال ابي الراعي فخضعوا له وقالوا نبني صومعتك بالذهب قال لا اعيدوها كما كانت
فاعادوها ربكم اعلم بما في نفوسكم منكم لان علم البشر يعتريه السهو والنسيان وعد لمن اضمر البر
ووعيد لمن خالف ان تكونوا صالحين كانه قيل كيف نقدر على الوفاء بحقهما والبشرية
لا تنفك عن نوع تقصير فقيل ان قصدتم الصلاح ثم وقعتم اساءة فانه كان للاوابين غفورا
ستارا لذلك لانهم لطفه حاجز دون عقابه والاواب كثير التوبة من الاوب وهو الجانب فكانه

تكاد بان التوبة من كل الجهات وضعه موضع الضمير ليشمل كل جان تائب وآت ذا القربى
حقه والمسكين وابن السبيل ذا القرابة مطلقا تعميم بعد التخصيص والحق يشمل المالي وغيره فان
قلت كيف يشمل المالي والزكاة فرضت بالمدينة قلت اراد ما كان فرضا في المال للمواساة
كقوله وآتوا حقه يوم حصاده وما فرض في المدينة مقادير الزكوة الا يرى الى قوله فويل
للذين لا يؤتون الزكوة والاية مكية بلا خلاف وقيل اراد بذي القربى اقارب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبالمسكين المحتاج فيشمل الفقير وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا التبذير
التفريق ومنه بذر البذر والمنهي عنه صرف المال في غير حاجة ولا طاعة الله وفي المثل
لا سرف في الخير كما لا خير في السرف وقصة ابي بكر الصديق مشهورة ان المبذرين كانوا
اخوان الشياطين كاخوانهم في الشرارة او قرنائهم او اصدقائهم تشبيها لقرناء الصحبة
بقرابة القرابة كانوا في الجاهلية يصرفون الاموال في غير طاعة الله رياء وفخرا فامرهم
بالانفاق في طاعته وبين لهم المصارف ثم نهاهم عما كانوا يفعلونه وكان الشيطان لربه
كفورا فلا تدعوا الى الخير علة للنهي عن التبذير واشارة الى انه بوسوسته واغرائه واما تعرضن
عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها وان اعرضت عن هؤلاء لفقد ما ترحمهم به من رزق ربك
حال كونك راجيا ان يفتح الله عليك فتسد به خلتهم فوضع الابتغاء موضع الفقد اقامة للسبب
مقام المسبب وفيه لطف وهو ان يكون ذلك الاعراض لهم ما لا وحقيقة وان كان نعم حالا
وصورة او الاعراض كناية عن عدم النفع والابتغاء مجاز عن عدم الاستطاعة والمعنى ان لم تقدر
على نفعهم لعدم الاستطاعة فقل لهم قولا ميسورا ذا يسر ولين مثل يفتح الله ورزقنا الله
وفي الحديث الكلمة الطيبة صدقة وقيل ابتغاء رحمة من ربك متعلق بجواب الشرط مقدما
عليه اي فقل لهم قولا ميسورا رحمة عليهم مبتغيا بذلك رحمة الله عليك واما يستقيم على مذهب
الكوفية لان ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها فيما اعتقد عنهم ولا تجعل يدك مغلولة
الى عنقك ولا تبسطها كل البسط نهي عن الافراط والتفريط وهما الشح والاسراف ليلزم منه
الاقتصاد المحمود وهو الجود فالغل والبسط كنايتان عنهما روي انه كان عليه قميص لم يكن له
غيره الا فاستكسته امراة فكساها اياه وقعد عريانا فاذن بلال فلم يقدر على الخروج
وانتظر الناس فنزلت فان قلت قد ذكرت انه لا اسراف في الخير وقد صح عنه انه قال لو كان لي
عندي مثل احد ذهبا ما ادخرت منه شيئا الا ما ارصد لدين قلت ذلك حيث لا يترتب
عليه مفسدة ولا شك ان قعوده في البيت لعدم القدرة على الخروج فيه فوات مصالح لا
تحصى فتقعد ملوما بلومك الناس لاخلالك بمصالحهم فينسبونك الى سوء التدبير وتلوم
نفسك نادما على ما فعلت محسورا منقطعا عن الناس من حسر بصره اذا كل وانقطع واصله
من حسرت الناقة اذا كلت واعيت عن السير ومن الحسرة وهي شدة التلهف على الفائت
ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر تسلية له بعد العتاب بان ما فيه من ضيق ذات
اليد ليس لهوان منه عليه تعالى وفيه ايماء الى ان الله تعالى مع سعة رزقه يبسط ويقدر

فاستنوا به انتم ايضا انه كان بعباده خبيرا بصيرا عالما بسرائرهم وعلنهم بسط لمن اقتضت
الحكمة له البسط ويقضى كذلك ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق من خوف الفاقة نحن نرزقهم
واياكم ايضا فلا وجه للقتل اذا ان قتلهم كان خطأ كبيرا لان قتل النفس من اكبر الكبائر و
فيه قطع التناسل وعدم الاعتماد على ضمان الله الرزاق ونسبة العجز اليه والخطا كالاثم
لفظا ومعنى مصدر خطئ كاثم وقراء ابن ذكوان بفتح الخاء والطاء مصدر خطاء ايضا كوزم
ورما ذكره الزجاج وقيل اسم مصدر اخطاء الصواب وقرء ابن كثير بكسر الخاء ممدود مصدر
خاطأ بمعنى خطئ كما قرا وبمصدر التكوين فيها ما مصدر قام والمختار الكسر مع القصر لوضوح
المعنى وعدم التأويل ولا تقربوا الزنا فضلا عن المباشرة والوقوع فيه انه كان فاحشة
زائدة القبح لاشتماله على انواع من المعاصى وساء سبيلا بئس طريقا طريقه لان غصب البضع ليس
مشروعا فى ملة ولا فى حالة ولا تقتلوا النفس التى حرم الله قتلها الا بالحق الذى شرع
وقد بينه بقوله عليه السلام لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنا بعد
احصان وقتل مؤمن معصوم وهذا حال الاختيار فلا يشكل بقتل المسلم فى تترس الكفار ولا بقتل
الصائل دفعا ومن قتل مظلوما لم يستوجب القتل فقد جعلنا لوليه من يلى امره سلطانا فلا
يسرف فى القتل القاتل ابتداء بان يقتل عمدا فيقتص منه او الولى جماعة بواحد او غير القاتل
كما كان دابهم فى الجاهلية او بعد اخذ الدية او العفو او لا يراعى المماثلة المعتبرة فى القصاص
وقرا حمزة والكسائى بالخطاب على تقدير يا قاتل ابتداء او يا ولى القتيل والياء هو المختار
لقرب الولى ولان نهى القاتل ابتداء قد علم من قوله ولا تقتلوا انه كان منصورا علة النهى
والضمير لولى المقتول اى لكونه منصورا فى الدنيا بتشفيه بالقصاص وللمقتول ظلما بنصره
بالقصاص بان لم يهدر دمه وفى الاخرة بالثواب والقاتل ابتداء خطأ لا يقتل بل وقيل
كان اسرافا فيقتل قاتله ولا تقربوا مال اليتيم فضلا عن اكله الا بالتى هى احسن الا بالطريقة
التى هى احسن الطرق من حسن النظر فيه حتى يبلغ اشده كمال القوة والعقل فيستقل بالولاية
واوفوا بالعهد بينكم وبين الله وبين سائر الخلق ان العهد كان مسئولا مطلوبا من
المعاهد الوفاء به كسائر الحقوق من سألته الشئ طلبته او العهد مسئول عن حاله كيف
روعى تخييلا على طريقه واذا الموءدة سئلت او الناكث يسأل عن حال العهد ويعاتب
عليه واوفوا الكيل اذا كلتم للناس وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان المستقيم رومى
اعرب فلا يقدح فى كون القران عربيا لاجراء احكام العربى عليه قراء حمزة والكسائى وحفص
بكسر القاف كالقرطاس وهما لغتان ذلك خير واحسن تأويلا مآلا وعاقبة تفعيل
من آل الامر الى كذا ولا تقف ما ليس لك به علم لا تتبع شيئا لا تعلمه قولا كان او فعلا من قفوت
الشئ وقفيته اتبعته وفى الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله فى ردغة الخبال
حتى يأتى بالمخرج استدل به من نفى الاجتهاد ورد بان الشرع قد اقام غالب الظن مقام
العلم فى الفروع وقيل هذا فى العقائد والاصول وحيث لا مساغ للاجتهاد ان السمع

ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك اى كل هذه الاعضاء واولاء يشار به الى العقلاء وغيرهم
سواء قال جرير والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسئولا ضمير كان عائد الى كل وكذا المجرور فى
عنه والجار والمجرور قائم مقام فاعل مسئولا ومنع تقديم الفاعل وما يقوم مقامه لحوق اللبس
بالمبتداء ولا لبس هنا او فى مسئولا ضمير المصدر المدلول عليه بلا تقف والمعنى ان هذه الآلات
تسأل فيما استعملها صاحبها ولا تمش فى الارض مرحا ذا مرح هو الفرح الشديد وفى الحديث كان
رجل فيمن كان قبلكم يمشى فنظر فى عطفه فاعجبته نفسه فخسف الله الارض به فهو يتجلجل فيها
الى يوم القيمة انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا بما تفعله فى تلك المشية تهكم به وتنبيه
الى الشفقة نادل رسول الله يوم احد ابا دجانة سيفا كان بيده فاخرج عصابة حمراء وشدها
فى رأسه وكان تسمى عصابة الموت ويمشى مرحا بين الاخوة العدو فقال رسول الله هذه مشية
لا يحبها الله الا فى هذه الموطن كل ذلك كان سيئه اشارة الى ما ذكر من المأمور والمنهى ولفظ كل
للشمول والسيئ المنهى فعله والمأمور تركه او هو المنهى والاشياء بالاضافة وقراء نافع وابن
كثير وابو عمرو على لفظ التأنيث منصوبا خبر كان وكل المنهى وحده وقوله عند ربك مكروها
خبر آخر او بدل او حال من المستكن فى كان والتذكير هو المختار لظهور المعنى مع الشمول وكون
الفعل مكروها لا ينافى الارادة كتناول المريض الدواء ذلك اشارة الى ما تقدم من الاحكام
مما اوحى اليك ربك بعض ما اوحى اليك من الحكمة بدل مما او حال من العائد المحذوف
سميت حكمة لعدم تطرق النسخ اليها فكانت فى غاية الاحكام او لان الاحكام الشرعية كلها حكم
وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان هذه الايات مكتوبة فى توراة موسى عشر ايات ولا تجعل مع الله
الها آخر كرره للتنبيه على عظم شان التوحيد ورتب عليه اولا ما يترتب على تركه من الذم و
الخذلان وثانيا ما يثمره فى الآخرة بقوله فتلقى فى جهنم كما تلقى الحطب والحجر ملوما يلومك كل
احد او تلوم نفسك نادما مدحورا مدفوعا مبعدا من رحمته افأصفيكم ربكم بالبنين ان ذكر
من الصفوة المرة للانكار على الشرك ثم اردفه بما هو رديفه وقرينه وهو نسبة الولد
اليه تعالى واتخذ من الملائكة اناثا مفعول اول والثانى محذوف اى اولادا ويجوز ان يكون
متعديا الى مفعول واحد نحو قالوا اتخذ الله انكم لتقولون قولا عظيما حيث تنسبون
الى الذى ليس كمثله شئ الولد لا سيما وقد جعلتم له ما تكرهونه لانفسكم ولقد صرفنا
فى هذا القران كررنا القول بعبارات مختلفة الاشارة الى البعض وهو الايات المشتملة
على ابطال الولد لان مما كررا او الكل اى ولقد صرفنا القول فى مواضع فى هذا القران
ليذكروا ليتذكروا ويتعظوا فان التكرار تاثيرا بليغا وما يزيدهم التكرار والتصريف
الا نفورا تجافيا عن الحق وعدم طمانينة به وعن الثورى انه كان اذا قراء هذه الاية
يقول لئن زاد او لئلا نفورا ما زادنى لك الا خضوعا وقراء حمزة والكسائى ليذكروا من
الذكر بضم الذال وهو ذكر القلب ضد النسيان والذهول والمعنيان متقاربان الا ان
فى التذكر زيادة تعمل قل لو كان معه آلهة كما يقولون قراء ابن كثير وحفص بياء الغيبة

اي قل للمشركين مسند لا عليهم في بطلان الشرك لو كان آلهة كما تزعمون اذا لابتغوا الى ذي العرش
سبيلا لطلبوا اليه طريقا طلبا للملك وسعيا في المغالبة كما هو ديدن الملوك ولذلك آثر لفظ
ذي العرش او لو كان معه آلهة لتقربوا اليه متوسلين الجود مستكملين من فضله ونقيصه
فادعاء الالوهية في المستكمل اعتراف بالتناقض سبحانه وتعالى تنزيه له عما يقولون عن مثل
هذا القول فكيف عن ثبوته وتحقق مدلوله علوا كبيرا زايدا بعلو وصف العلو بالكبير الذي
هو من اوصاف الاجسام ليدل على فرط قرأ ابن كثير وحفص بالتاء والذي بعده قرأ نافع وابن
كثير وابو عمرو وعاصم تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن يدل على وجوده
بحدوثها وامكانها وعلى وحدانيته باوصافها ونظامها اشبه الدلالة بالنطق وعبر عنه
بالتسبيح استعارة بالكناية والاسناد اليها لا ينفرد منه النطق قرينة تخييل ومن جوز استعمال
المشترك في المعنيين حمل التسبيح في المنطوق على الحقيقة لان من اريد به الملئكة والثقلين
وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم الخطاب للمشركين لانه قدم ذكر قبائحهم
نزيه ذاته وبالغ في تلك النزاهة ثم اقام البرهان عليها بان الاكوان تشاهد بها ولكن
انتم ايها المشركون ليس لكم فهم تدركون به تلك الشهادة لتوقفها على التدبر والنظر الصحيح
وقيل الخطاب للمؤمنين وعدم الفقه عدم العمل بمقتضى تلك المعرفة لاستيلاء الغفلة على
الاكثر والوجه هو الاول انه كان حليما لا يعاجل بالعقوبة بعد ظهور اسبابها غفورا يغفر
لمن تاب بعدها واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا
ذا ستر مثل سيل مفعم او هو حجاب لا يرى فهو مستور عن الابصار او حجاب دونه حجاب وجعلنا
على قلوبهم اكنة حكاية لما كانوا يقولون في آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب او ابتداء كلام
تعليل للاعراض والاول الصق بالمقام لان الكلام في عدم فقههم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه
وفي آذانهم وقرا صمما يمنعهم عن السماع والقرآن معجز بلفظه ومعناه ولذا قدم المانع عن
ادراك المعنى وان كان الثاني مقدما في الوجود لكونه اهم واذا ذكرت ربك في القرآن وحده
منفردا عن آلهتهم يقال وحد يحد وحدة كوعد يعد عدة نصب على المصدر قائم مقام الحال
يقال جلس وحده اي منفردا وفي حديث عايشة نصف عمر بن الخطاب لله در ام درت عليه كان
نسيج وحده ولوا على ادبارهم هربوا كانهم على صفة القهقرى من شدة الانكار نفورا جمع نافر
كقعود في قاعد او مصدر بمعنى التولية نحن اعلم بما يستمعون به بالشيء الذي يستمعون لاجله
من الهزء بك وبالقرآن والجار والمجرور في محل الحال او بما يستهزؤن به مستمعين اليك على التضمين
قيل كان اذا قرأ وقف عن يمينه رجلان من عبد الدار واخران منهم عن شماله يصفقون ويخلطون
عليه بالاشعار اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وفيه مبالغة في الوعيد باذا احاط بما فعلوه وبوقته
لم يفته شيء واذ هم نجوى اي ونحن اعلم بما يتناجون به اذ هم ذوو نجوى او جمع نجي اذ يقول
الظالمون بدل من اذ هم نجوى ان تتبعون الا رجلا مسحورا بيان لما يتناجون به ووضع الظالمين
موضع المضمر للدلالة على ان تناجيهم من باب الظلم ولا يجوز ان يكون بدلا من اذ الاول لان هذا يقول

لان هذا القول ليس من الاستهزاء بل مما يتسار به بعضهم الى بعض ولما يلزم ان يكون حينئذ نجوى فانهم لو
جنبيا والمسحور من سحر به فاختل عقله وقيل اذا سحر وهو الرئة اي بشرا مثلكم انظر كيف ضربوا
لك الامثال مثلوك بالساحر تارة وبالمسحور اخرى وتارة يقولون انما يعلمه بشر اولا وجه
ان يقال ضربا لامثال له هو قولهم ائذا كنا عظاما الى اخر المقالات الثلث على انه بيان و
تفسير لذلك الجهل فضلوا عن طريق الصواب فلا يستطيعون سبيلا طريقا اليه لانخباطهم
في الطريق الذي انت عليه وهم عنه ناكبون وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا عطف على قوله
فضلوا بابا اخر من ابواب الضلال او على مقدر دل عليه الكلام اي قالوا انك مسحور
وقالوا ائذا كنا لما ذكر استهزاؤهم به وبما جاء به اتبعه بالاستهزاء بالذي دل عليه ما جاء
به وهو البعث بعد تفتت الاجزاء والرفات كل ما دق وكسر ائنا لمبعوثون خلقا جديدا
انكار منهم ودعوى استحالة والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لتصدر الاستفهام
وخلقا اما حال بمعنى مخلوقا او مصدر قل كونوا حجارة او حديدا كانت شبهتهم في دعوى
الاستحالة عدم التناسب بين العظام الرفات وبين الحيوة لانها تقتضي كون المحل غضا طريا
وقد استولى اليبس على تلك العظام ورتبت ازاحة الشبهة بانه قادر على ايجاد الحيوة فيما هو
ابعد مناسبة من العظام الرفات وهو الحجارة والحديد لان نسبة قدرته الى كل الممكنات
سواء ومعنى الامر الاهانة وقلة المبالاة او خلقا مما يكبر في صدوركم ابعد من الحيوة
في قبول الحيوة قيل هو الموت فان الله قادر على احياء الموت وقد صح انه يؤتى به في صورة
كبش فيذبحه يحيى بن زكريا بين الجنة والنار فسيقولون من يعيدنا ابدوا بعد شبهة
اخرى تتعلق بالفاعل بعد ازاحة الشبهة عن القابل قل الذي فطركم اول مرة من القدم
وانتم معترفون بذلك فسينغضون اليك رؤسهم يحركونها نحوك تعجبا واستهزاء يقال
نغض رأسه اذا حركه وفي حديث ابن الزبير ان الكعبة لما احترقت نغضت اي تحركت و
اشرفت على الانهدام ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا فما ذا عذركم بعد الوقوع
وكل آت قريب ولم يبين لهم الوقت لانه منفرد بعلمه من الخمس التي لا يعلمها غيره يوم يدعوكم
فتستجيبون هو نداء اسرافيل للبعث وهو المنادي من مكان قريب اسند الى نفسه اجلالا
وقيل الدعاء والاستجابة استعارتان للبعث والانبعاث تنبيها على سرعة وقوعهما و
امرهما مع الدلالة على انهم مطلوبون للحساب والجزاء بحمده قائلين سبحانك اللهم وبحمدك
او منقادين معترفين بوحدانيته حيث لا ينفع وقيل ابتداء كلام مع المؤمنين وتظنون
ان لبثتم الا قليلا اي في الدنيا او في القبور وذلك لما يرون من الهول وقل لعبادي
اضافهم الى نفسه تشريفا لهم يقولوا التي هي احسن الكلمة والحجة التي هي احسن نحوها عن
الجدال والخشونة ان الشيطان ينزغ بينهم بالحمل على المخاشنة فعلى الخادم ان لا يغريهم
ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا قديم العداوة واضحها ربكم اعلم بكم ان يشأ
يرحمكم او ان يشأ يعذبكم تفسير للتي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا هذا الكلام لهم

ونطايبكم ولا تقولوا انتم اهل النار واشباهه لتؤدي الى الفتنة مع عدم العلم بالعاقبة وما ارسلناك
عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم ان عليك الا البلاغ والجدال بالتي هي احسن دون الحاذر
المشافة وربك اعلم بمن في السموات والارض رد لانكارهم ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون
اختاره للنبوة علمه محيط بمن في السموات والارض فلو لم يكن اهلا لها لما اختاره ولقد فضلنا
بعض النبيين على بعض اي فضلناك على سائر الانبياء لعلمنا ان ليس فيهم من يوازيك وآتينا داود
زبورا ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون دل على كونه خاتم
الرسل وامته آخر الامم ويجوز ان يراد ما بين الرسل من تفاوت الرتب بحسب ما سبق في علمه تعالى
وذكر داود منفردا مقرونا بذكر الزبور للدلالة على ان فضله وشرفه انما هو بالكتاب المعلوم
لا بالملك والامامة ونكر لانه اراد بعضه وهو المشتمل على تفضيل الرسول وامته او لانه من
الاعلام المشتقة كالحسن فياتي باللام وبدونه وقرا حمزة زبورا بضم الزاي قل ادعوا
الذين زعمتم من دونه كالملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون كشف الضر عنكم رفعه وازالته
ولا تحويلا عنكم الى اعدائكم فهم عن ايصال النفع ابعد اولئك الذين يدعون يسمونها آلهة
يبتغون الى ربهم الوسيلة خبر اولئك والذين يدعون صفته ايهم اقرب بدل من واو يبتغون
واي موصولة حذف صدر صلتها والمعنى اولئك المعبودون يطلب من هو اقرب منهم الوسيلة بالطاعة
والخضوع اليه وقيل يبتغون فيه تضمين معنى الحرص اي اولئك المعبودون يطلبون الى ربهم
الوسيلة بالطاعة يحرصون على الاقربية ويتنافسون فيها فالابتغاء واقع على الوسيلة والحرص
على الاقربية ويرجون رحمته ويخافون عذابه كما هو شان العبيد مع المولى فكيف يصح دعوى
الالوهية فيها ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد حتى الرسل والملائكة اعاذنا الله منه
اعاذنا الله منه وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة بهلاك اهلها بالموت
والاستيصال او معذبوها عذابا شديدا بالقتل والسبي وعن مقاتل الصالحة بالموت
والطالحة بالعذاب وقيل المراد قرى الكفار كان ذلك في الكتاب مسطورا في اللوح المحفوظ
لا يبدل ولا يقدم وما منعنا ان نرسل بالآيات مجاز عن ترك الارسال وان مع مدخولها فاعل
المنع جواب لقولهم لولا تاتينا باية كما ارسل الاولون الا ان كذب بها الاولون بالآيات المقترحة
وقد جرت سنتنا باستيصال من كذب بها وقد سبقت الشبه بايمان بعضهم او ان لا نستاصل
هذه الامة وآتينا ثمود الناقة مبصرة مضيئة واضحة في كونها آية من ابصر اذا اضاء كقوله
والنهار مبصرا او جاعله ابصر بصراء من ابصرته جعلته ذا بصيرة افردها لكونها قرينة من رايهم
تشاهدها صادرهم وواردهم فظلموا بها كفروا بها او ظلموا انفسهم بعقرها الموجب لاهلاكهم
وما نرسل بالآيات الآيات المقترحة فانها طلائع الاستيصال ان كذب بها او الآيات التالية
من القرآن بعضها اثر بعض الا تخويفا من الاستيصال او من عذاب الآخرة الباقي بره او في
موقع الحال واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس فهو له سيهزم الجمع وقوله قل للذين كفروا
ستغلبون بشارة بنصره وشفاء صدره والتعبير بالماضي كما في نظائره لتحقق وقوعه وما جعلنا

وما جعلنا الرؤيا التي اريناك راي في منامه نصره وهلاك عدوه روى مسلم وابو داود عن انس
انه لما ورد ماء بدر فقال هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان ويضع يده على الارض
ههنا وههنا قال فما ماط احد موضع يديه فلما سمعت قريش ضحكوا منه سخرية فذلك
قوله الا فتنة للناس وقيل هو رؤيته عالم الملكوت ليلة الاسراء وبه تعلق من قال انها
كانت في المنام ولعل له فيه دليل لعدم اختصاص الرؤيا بالمنام كيف وابن عباس رضي
الله عنه من اعرف الناس باللسان وقد حملها على رؤية العين وقيل انما عبر عنها بالرؤيا
لوقوعها بالليل وقيل هي رؤياه انه دخل مكة التي اخبر الله عنها بقوله لقد صدق
الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام وكون السورة مكية لا يمنع وقوعها
بها وحكايتها لهم بالمدينة وكونها فتنة انه لما صالح ورجع ولم يدخل مكة ورجع افتتن
الناس لذلك حتى قال له عمر الست اخبرتنا انا ندخلها ونطوف بالبيت فقال هل قلت
لك هذا العام فقال لا فقال انك ستدخلها وتطوف به وقيل راى ان اغلمة من بني امية
يتردون منبره تردد القردة والفتنة ما حدث في ايامهم اعطيها لعنهم على بن ابي طالب على
المنابر والشجرة الملعونة في القرآن عطف على الرؤيا هي شجرة الزقوم لما سمعوا انها شجرة
تخرج في اصل الجحيم فقالوا واعجب من محمد يقول ان جهنم تحرق الحجارة ثم يقول ان فيها
شجرة وهذا الاستبعاد انما كان لجهلهم بالله وبصفاته اذ ليس نبات الشجرة في النار
بابعد من وجود النار من اجزاء الشجر الاخضر الغض وهم يعترفون بذلك يتعاطونه
فيما بينهم او انهم النار التي تورون ولعنها في القرآن الاخبار بانها طعام الاثيم
او اسند اللعن اليها وهو لاصحابها او لانها في اصل الجحيم وهو ابعد مكان من رحمة الله
وقيل هي الشيطان وقيل ابو جهل وقيل الحكم بن العاص ونخوفهم بانزال الآيات الوعيد
شيئا بعد شيء فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا الا تجاوزا عن الحد مفرطا واذ قلنا للملائكة
اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال ءاسجد لمن خلقت طينا انكر ان يكون ساجدا لمن هذه صفته بخيرا له
وطينا نصب على الحال اما من الموصول والعامل فيه اسجد وهو وان لم يكن حالة السجود طينا
الا انه جعله نفس ما كان مبالغة في الاحتقار زاعما ان تلك الذلة لم تزل او من الراجع
المحذوف اليه والعامل خلقته اي خلقته وهو طين او منصوب بنزع الخافض قال ارايتك
هذا الذي كرمت علي الكاف للخطاب لا محل له من الاعراب والمعنى اخبرني عن شان هذا الذي
فضلته علي لم فضلته ذلك والحال يقتضي عكس ذلك اذ انا خير منه حذف لدلالة السابق
عليه ثم ابتداء الكلام مستفهما منه بقوله لئن اخرتن الى يوم القيمة لاحتنكن ذريته الا قليلا
منهم لم يفقد فيهم مكري الاحتناك قلع الشيء من اصله والمراد حملهم على الكفر الموجب لخلود
العذاب الذي هو بمنزلة الاستيصال وقيل من حنكت الدابة اذا جعلت حبلا في حنكها الا
بتخير لها وعلمه بذلك اما من قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد ولما علم وسوسته في آدم
او تفرس في خلقه وما ركب فيه من القوى الشهوية والغضبية قال اذهب اجابة الى ما طلب

من الاغواء والتخلية لما هو بصدده . فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا بين له
ماجر اليه سوء اختياره وغلب المخاطب على الغايب لانه الاصل في ذلك وقيل الخطاب للذين
تبعه ونصب جزاء على الحال الموطئة او المؤكدة او المصدر لما دل عليه ان جهنم جزاؤكم
والموفور الكامل دفع توهم خفة العذاب لاشتراك الجم الغفير فيه واستفزز من استطعت
منهم بصوتك استخف من الفز وهو الخفة والمراد خفة العقل ونقصان الراى واجلب
عليهم بخيلك ورجلك من الجلبة وهي الصياح والخيل الخيالة اسم جمع وكذا الرجل كركب
وصحب وقرا حفص بكسر الجيم على انه وصف كراجل يقال رجل راجل ورجل ورجلان اى ماش
لا صوت ولا خيل ولا رجل وانما الكلام على التمثيل من تمكينه من الاغواء وازاحة موانعه
وتوفير اسباب ما هو بصدده . ويحتمل ان يكون له خيل ورجل من الشياطين وجنده
وفي الحديث ان ابليس ينصب عرشه على الماء ثم يفرق سراياه للفساد فاقربهم عنده
من فرقا بين المرء وزوجه وشاركهم في الاموال كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام
وكل تصرف لا يساغ له شرعا والاولاد بتسميتهم الاولاد بعبد العزى وعبد يغوث و
عبد الحارث وتحصيل الولد بالسفاح وعدهم بان الاصنام تشفع لهم وبتسويف التوبة
والاتكال على كرامة الاباء وما يعدهم الشيطان الا غرورا شيئا يغتر به لا حقيقة له
من الغرة وهي الغفلة اعتراض لبيان مواعيده ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وهو
المخلصين الذين قال ابليس الا عبادك منهم المخلصين دل على التخصيص اضافة التشريف وكفى بربك
وكيلا يتكلون عليه من وساوسه ودفع اغوائه ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر عاد الى
دلايل التوحيد وافاضة النعم على غير الشاكرين والازجاء السوق والمراد تسييرها بال
الريح لتبتغوا من فضله بالتجارة والربح وتحصيل ما يحتاجون اليه انه كان بكم رحيما حيث
هيأ لكم اسباب المعاش في البحر الذي هو مظنة الهلاك واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق
عند تلاطم الامواج ضل من تدعون لم يهتدوا الى انقاذكم من الضلال ضد الرشاد او ذهب
عن خاطركم من تعبدونه من ضل عنى اذا ضاع او من ضلني فلان اذا ذهب وفارق قال
شعر والسائل المبتغي كرايمها يعلم انى يضلني على الا اياه فانه لا يزول في ذلك الوقت
عن خاطركم لعلمكم بانه القادر على الانجاء وقيل الاستثناء منقطع وذلك لانهم ما كانوا
يدعون الله الا في الشدايد واما في حالة السراء فكان دعاؤهم مختصا بالهتهم وحدها فكان
خارج عن المدعوين لذلك الاختصاص فلما نجاكم الى البر اعرضتم عن التوحيد لاختصاصه
بالدعاء او اعرضتم في الكفران واتسعتم فيه من اعرض في كذا اتسع فيه وفي حديث الاعرابي
لئن اقصرت الخطبة فقد اعرضت في المسئلة وقال ذو الرمة عطاء فتى تمكن في المعالي
فاعرض في المكارم واستطالا وكان الانسان كفورا كثير الكفران افامنتم تقرير وفيه
معنى الانكار والفاء عاطفة على مقدر اى انجوتم من الغرق فامنتم ان يخسف بكم جانب البر
فيجعلكم تحت الارض مقلوبة عليكم وهو عذاب من جنس الغرق فلا وجه لامنكم مع استواء القدرة

القدرة على النوعين من العذاب وانما ذكر الجانب للدلالة على ان الجوانب والجهات كلها
سواء بالنسبة الى قدرته ولو ذكر البر في مقابلة البحر كما في قوله فلما نجاكم الى البر فاتت
تلك الدلالة قراء ابن كثير وابو عمرو نخسف بالنون وكذلك الافعال المذكورة بعده
التفاتا من الغيبة وهو ابلغ في التهديد او يرسل عليكم حاصبا ريحا تحصب اى ترمى با
لحصباء وهي الحصى الصغار فان القتل بها اشد عذابا كما ارسل بها ابابيل على اصحاب الفيل
ثم لا تجدوا لكم وكيلا يقوم بنصركم ومنه الوكيل في اسمائه تعالى ام امنتم ان يعيدكم
فيه تارة اخرى بان يخلق فيكم دواعي الركوب وتشجعكم على ذلك بنجاتكم في المرة الاولى
فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا تمر بشيء الا قصفته وكسرته فيغرقكم بما كفرتم او عد
بغرق البحر بعد ابعاده وبنوعين من عذاب البر لكونهما قليل الوقوع فليس للانذار بهما ما
للغرق من الهول لا سيما وقد نقضوا العهد الذي عهدوه ان كشف عنهم حين الاشراف
عليه ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا يطالبنا بما فعلنا ولقد كرمنا بني ادم حث
للانسان على الشكر بعد ما قدم حفظه وكلاءته له وحملناهم في البر والبحر على الدواب
والسفن ورزقناهم من الطيبات من المستلذات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا
بان سخرنا لهم ما في السموات والارض اسبابا لمعاشهم وخصصناهم ببديع الشكل والصورة
والحواس والقوى المدركة بحيث صار نسخة العالم فان الاصمعي دخلت يوما على الرشيد وبين
يديه جام وخبيص وبيده ملعقة فقال لهم يا اصمعي فتناولته قلت يا امير المؤمنين حدثنا
سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن طاوس عن عبد الله بن عباس جدك في قوله تعالى
ولقد كرمنا بني ادم بالاكل بالاصابع فرمى بالملعقة والضمير لبني ادم الشامل للصالح والطالح
وليس في الاية دليل على الافضلية بمعنى الاقربية عند الله على ما هو المتنازع فيه لا للبشر
ولا للملائكة والذي عليه الجمهور تفضيل رسل البشر على رسل الملائكة وتفضيل رسل الملائكة
على عامة المؤمنين وتفضيل عامة المؤمنين على عامة الملائكة وقيل بل تفضيل عامة الملائكة
على عامة المؤمنين ومنهم من فضل مطلقا نبيا كان او وليا ومنهم من فضل الكروبين
مطلقا والحق ما عليه الجمهور يوم ندعوا كل اناس بامامهم منصوب باذكروا وبدل من
يوم يدعوكم او ظرف لما دل عليه قوله متى لما بين كرامة النوع على الاطلاق في الدنيا اشار
الى التفاوت في الدرجات في الاخرة والامام هو الرسول المبعوث الى الامة ينادون
بالاضافة اليه يا امة موسى يا امة محمد وقيل الامام الكتاب ينادى يا اهل القران
يا اهل التورية وقيل هو المقتدى به نبيا كان او غير نبي وقيل الامام الام ينادى يا بنت
فلانة اجلالا لعيسى ابن مريم والحسن والحسين وسترا على اولاد الزنا فمن اوتي كتابه
بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم فرحا وسرورا بما فيه من الايمان والاعمال الصالحة ولا
يظلمون فتيلا هو ما يكون في شق نواة التمرة يضرب به المثل في القلة ومن كان في هذه
اعمى عن طريق الرشاد والاستدلال بالاكوان على المكون فهو في الاخرة اعمى لا يهتدي

الحجة واضل سبيلا منه في الدنيا لزوال الاستعداد وفوات الحل وان كادوا ليفتنونك
عن الذي اوحينا اليك قيل نزلت في ثقيف قالوا يا محمد نحن اصهارك وجوارك اعطنا خصالا
نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في الصلوة وكل ربوا لنا فهو لنا وكل ربوا
علينا يكون موضوعا عنا وان تتركنا اللات لنا سنة وان يمنع وادينا وج الطائف كما
حرمت مكة وقيل سألته قريش الكف عن سب آلهتهم وقيل سألوه ان يمسح وجوهها ليمكنوه من
استلام الحجر وان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى ان الشأن قاربوا ايقاعك في الفتنة
والاشراك بصارفك عن احكام ما انزل اليك لتفتري علينا غيره غير الذي اوحي اليك واذا
لاتخذوك خليلا صديقا داخلا في خلال قلوبهم ولولا ان ثبتناك بالعصمة
لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا تقاربت ان تميل الى طلبتهم ادنى ميل لشدة كيدهم وغاية
اهتمامك بايمانهم اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي العذاب المضاعف
في الحيوة الدنيا وفي الآخرة حذف الموصوف لتبادر الفهم اليه والاضافة بمعنى في وقيل ضعف
الحيوة حيوة الآخرة وضعف الممات عذاب القبر والاول هو الوجه لتبادر الفهم الى هذه
الحيوة عند الاطلاق ولان الممات يشمل القبر وما بعده وفي الكلام دلالة على جلالة قدره
صلى الله عليه وسلم فان الركون هو الميل اليسير وقد قيد بادنى ركنه مقرونا بلفظ
كاد الدال على القرب دون الوقوع فهو منزه عن الهم بما دعوه اليه فمن قال انه طلب الكتاب
وامر ان يكتب بسم الله الرحمن الرحيم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول
الله لثقيف لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت رسول الله فقالوا للكاتب
اكتب فنظر الكاتب الى رسول الله فقام عمر فسل سيفه فقال اسعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف
اسعر الله قلوبكم فقد اخطأ في اللغة واسند الى افضل الرسل ما لا يجوز اسناده على مسلم
وهو التصميم على الشروع في تغيير احكام الله بل الرضا بالشرك هدانا الله سواء السبيل و
اعاذنا من زخرف الاقاويل ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع عنك وان كادوا ليستفزونك
هم اهل مكة ارادوا اخراجه واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك او يريد
ان الضمير في يفتنونك لهم دون ثقيف من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك
الا قليلا الا زمانا يسيرا وقد كان كذلك فان صناديدهم بعد سنتين من خروجه قتلوا
ببدر وقيل الوعيد كان لاخراج ولم يخرجوه بل خرج بامر ربه وما قيل من ان الارض ارض
المدينة فان اليهود زينوا له سكنى الشام فانها موطن الانبياء ومهاجر ابرهيم عليه السلام
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسبال فنزلت الآية فرجع الى المدينة فليس له اصل
ولا نقله احد يوثق به وكيف يغتر بقول اليهود وهو بين اظهر المهاجرين والانصار وقرأ
حمزة والكسائي وابن عامر خلافك وهما لغتان قال عفت الديار خلافهم فكأنما بسط الشواطب
بينهن حصيرا سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدر اي سن الله ان كل قوم اخرجوا
رسولهم ان يهلكهم بعذاب عاجل ولا تجد لسنتنا تحويلا تغيرا دل على ان اضافة السنة الى

الرسل مجاز لوقوعها لهم اقم الصلوة لدلوك الشمس قرر التوحيد والالهيات ثم اتبعها بذكر
الفروع وبدأ بالصلوة التي هي اعظم الاركان بعد التصديق والدلوك الميل والمراد
زوال الشمس عن كبد السماء وهو وقت الظهر واللام فيه للتوقيت كما في قولك لثلث
خلون من شهر كذا وهي اول صلوة صلاها رسول الله خلف جبرئيل حين اقام
له اوقات الخمس الى غسق الليل الى وقت ظلامه يقال غسق واغسق اظلم وقرآن الفجر صلوة
الفجر سميت قرآنا لكون القراءة ركنا فيها كما سميت بالسجود والسجدة والاختصاص لكون
القراءة فيها اطول ان قرآن الفجر كان مشهودا تشهدها الملئكة وتجتمع عندها
ملئكة الليل والنهار او تشهدها كثير من الناس لعدم الاشتغال وكلما كثر الجمع ازدادت
الفضيلة والآية جامعة للصلوات الخمس وحمل الدلوك على الغروب بعيد لوجوب
القضاء ذكر الظهر والعصر ومن الليل فتهجد به وعليك بعض الليل اغراء او هو من قبيل فعل
فاياي فارهبون والتهجد ترك الهجود وهو النوم ويقال تهجد اذا نام فهو من الاضداد
وضمير به عائد الى القرآن نافلة لك فريضة زائدة على الصلوات الخمس الخاصة
دون امتك وقيل كان واجبا عليه وعلى امته ثم نسخ بآخر المزمل عسى ان يبعثك
ربك مقاما محمودا هو مقام الشفاعة العظمى لازاحة الموقف وتمييز الفريقين يرغب
اليه الاولون والآخرون ويحمدونه على ذلك نطقت به الاحاديث وعن جابر بن عبد الله
انه قال صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع الاذان اللهم رب هذه الدعوة التامة
والصلوة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا حلت له شفاعتي
وانتصاب مقاما على الظرفية بتقدير اي فيبعثك في مقام او على تضمين البعث الاقامة
لاسنادها فعله يكون فيه معنى الاستقرار فلا يصح ان يكون الفعل المذكور عاملا فيه
وقل رب ادخلني مدخل صدق اي في القبر ادخالا مرضيا من قبيل رجل صدق واخرجني
مخرج صدق منه ملتقى بالاكرام وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا
وقيل ادخاله الغار آمنا واخراجه منها سالما والحق التعميم في كل ما يلابسه من امر الدنيا
والآخرة والصدق يستعمل في الافعال كما يستعمل في الاقوال ويراد به الاجادة يقال
فعل ذلك الامر بنية صادقة ومنه قوله ان لهم قدم صدق واجعل لي من لدنك سلطانا
نصيرا حجة مؤيدة بعنايتك تنصرني بها على من عاداني وقيل ملكا وعزا قويا ناصرا
للاسلام على الكفر فاجابه الله بقوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي و
قل جاء الحق وزهق الباطل جاء دين الاسلام وزال ما سواه من الاباطيل وعن ابن مسعود
رضي الله عنه دخل رسول الله مكة يوم الفتح وحول البيت ثلثمائة وستون نصبا فجعل
يطعنها بعود ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا كلام مستقل دال
على حكم كلي جار مجرى المثل فان كل باطل وان كانت له جولة وصولة يضمحل سريعا وننزل
من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين من للبيان قدمت على المبين للاهتمام او للتبعيض لان

ان بعضه شفاء دون بعض بل المعنى ننزل ابعاضه الشافية على حسب تجدد الداء شيئا فشيئا
وانما كان شفاء لانه يزيل عمى الجهل عن القلب وينجيه عن حيرة الشك ويستشفى ببركاته
الامراض ولا يزيد الظالمين الا خسارا لازدياد الكفر بزيادة المكفور به كقوله فزادتهم
رجسا الى رجسهم واذا انعمنا على الانسان بالامن والعافية وسعة الرزق وتوفير
الاسباب اعرض عن ذكر الله والقيام بالشكر ونأى بجانبه وتزحزح بنفسه ولفظ الجانب
مقحم للدلالة على بعده عن الشكر وقرأ ابن عامر في رواية ابن ذكوان ناء بتقديم الالف
على الهمزة ومعناه نهض كما في بيت امرئ القيس واردف اعجازا وناء بكلكل والمختار قراءة
الجمهور لكونها نصا في المراد وهو البعد واذا مسه الشر كان يؤوسا شديد اليأس قل
كل يعمل على شاكلته على طريقته التي جبل عليها من شاكلت الدابة اذا قيدتها واليه اشار
بقوله كل ميسر لما خلق له فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا لانه الذي خلقكم على تلك الشاكلة
وجبلكم عليها واهدى من هدى لازما بمعنى اهتدى ويجوز ان يكون من المتعدي ويسألونك
عن الروح قل الروح من امر ربي سألوه عن الروح الذي به حيوة الحيوان فان العقل
لا يهتدي الى حقيقته روى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنهما انه قال بينا انا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يمشي في خرب المدينة وهو متكئ على عسيب فمر على اليهود فقال
بعضهم سلوه عن الروح وقال بعضهم دعوه لا يستقبلكم بشيء تكرهونه فقالوا اسألوه
فسألوه فامسك رسول الله فلم يرد عليهم قلت يوحى اليه فقمت مقامي فلما نزل الوحي
قال ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي والمعنى انه مما استأثر بعلمه لا طريق لاحد
الى معرفته ولذلك اردفه بقوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا والروح من الكثير الذي
ما اوتيتم علمه وقيل معناه انه محدث بامر الله وتكوينه وفيه انه هذا معلوم لكل من السائل
والمسئول عنه وقيل اشار الى ان الروح لا يمكن ادراكه الا بعوارض تميزه ولذلك اقتصر
عليه كما اقتصر موسى في جواب وما رب العالمين على ذكر صفاته وهو قياس للممكن على
المستحيل وما الدليل على عدم امكان معرفة حقيقته وقيل الروح هو جبرئيل او القرآن
او ملك آخر فان قلت ما وجه اتصال هذا الكلام بما تقدم قلت ان اريد بالروح القرآن
او جبرائيل فظاهر لقوله وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة وان اريد به ما به الحيوة
وهو المختار فهو كلام معترض لبيان خسارهم فان القرآن انما كان شفاء لاشتماله على
الاحكام الدينية اصولا وفروعا وهم لا يتدبرون فيه لاقتناصها والتوسل الى ازالة
ما فيهما من الاشياء ويشتغلون بما لا ضرورة تدعوهم اليه لما نزل قوله تعالى ومن يؤت الحكمة
فقد اوتي خيرا كثيرا اعترضت اليهود وقالوا ما اعجب شأن محمد تارة يقول وما اوتيتم
من العلم الا قليلا وتارة يقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وهذا من قلة علمهم
لان ما اوتي البشر من الحكمة قليل بالنسبة الى علم الله وان كان في نفسه كثيرا على ان الموصوف
بالقلة والكثرة في الآيتين ليس شيئا واحدا لان القليل هو العلم والكثير هو الخير المترتب

المترتب على ذلك العلم القليل نظيره ليلة القدر خير من الف شهر ولما قيل ما قالت اليهود
تلك المقالة نزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام فليس بسديد لان سورة لقمان
مكية وسورة البقرة مدنية من اواخر القرآن نزولا ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا
اليك ساقه امتنانا وحثا له على استدامة الشكر بعدما بين انه شفاء ورحمة ومعنى
اذهابه محوه عن الصدور والمصاحف وعن ابن مسعود رضي الله عنه يسرى على القرآن فيصبح
الناس منه فقراء برفع المصاحف وينتزع ما في الصدور واللام موطئة للقسم المحذوف
لنذهبن جوابه نائب مناب جواب الشرط ثم لا تجد لك به علينا وكيلا كفيلا يضمن
رده علينا ويتوكل علينا بالمطالبة الا رحمة من ربك استثناء متصل اي الا رحمة فانها
تقدر على الرد بعد الاذهاب والتوكل بالمطالبة او منقطع والمعنى لكن رحمة ربك تركته
غير مذهوب به ان فضله كان عليك كبيرا حيث انزل عليك القرآن الذي فيه
تبيان كل شيء بعد ما لم تكن تدري ما الكتاب ولا الايمان وقد وصف فضله عليه
تارة بالكبر واخرى بالعظم ملاحظة للكم والكيف دلالة على كمال عنايته به من كل وجه
قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن في الفصاحة والبلاغة وحسن
النظم استئناف لبيان ذلك الفضل الكبير لا يأتون بمثله لكونه خارجا عن طوقهم
جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز ان يكون جواب الشرط لكونه ماضيا
كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم ولو كان بعضهم لبعض
ظهيرا معاونا لم يذكر الملئكة لكونه مبعوثا الى الانس والجن فهم المخاطبون بالتحدي
لا لان اتيان الملئكة بمثله لا يخرجه عن كونه معجزا لان المعجزة فعل من افعال الله تعالى
دال على صدق مدعي الرسالة فلو احتمل اتيان غيره بمثله لم تبق تلك الدلالة قطعية
ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل كررنا باساليب كل نوع من انواع الحكم
التي هي في الحسن والغرابة كالامثال من مباحث المبدأ والمعاد ووقائع الانبياء
مع الامم فابى اكثر الناس الا كفورا بهذه الحكم التي هي اجل النعم صح الاستثناء وان
لم يصح ضربت الا زيدا لانه في معنى النفي وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض
ينبوعا لعدم الاعتداد بما في القرآن من الاعجاز الظاهر والمعنى الباهر وفرض التعنت
على المحاجج القائل من الماء والاراضي والثمار كسائر البهائم فانه نضر بن الحارث
او ابو جهل والينبوع يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر والبناء للمبالغة
اي عينا كثيرة الماء وقرأ الكوفيون تفجر مخففا واصل الفجر الشق والتخفيف هو المختار
لاواد ينبوعا ولهذا اتفقوا على تشديد الثاني لوقوعه على الانهار ولان المعجزة
تقتضي وجود الفعل لا كثرته او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها
تفجيرا اي بستانا يشتمل على هذه الاشياء او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا قطعا
من كسفت الثوب قطعته يريدون قوله ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا

من السماء وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بتحريك السين والباقون بالإسكان فعلى الأول
جمع وعلى الثاني اسم جمع أو تأتي بالله والملائكة قبيلا كفيلا بما تدعيه أو
مقابلا أو حال من الله تعالى وحال الملائكة حذف للعلم به كما حذف الخبر في قوله فإني وقيار بها
لغريب أو حال من الملائكة والقبيل بمعنى الجماعة من الثلاثة وما فوقها أو يكون لك
بيت من زخرف من ذهب وهذا أصله ويطلق على الزينة والمموه أو ترقى في السماء ولن
نؤمن لرقيك وحده لاحتمال أن يكون سحرا حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه فيه تصديقك
قل سبحان ربي تعجبا من عنادهم وتعنتهم أو تنزيها لله تعالى عن أن يشاركه أحد في القدرة
هل كنت إلا بشرا رسولا كسائر الرسل وشأن الرسل الإتيان بالمعجزة الدالة على صدق
دعواهم مناسبة بحال المرسل إليهم وليس أنسب بحالكم من القرآن معجزة وقد أجاب
مقترحاتهم في سائر السور ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا
إن هذا إلا سحر مبين ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت
أبصارنا وما منع الناس أن يؤمنوا يريد الكفار إذ جاءهم الهدى أي الوحي أو الرسول
إلا أن قالوا فاعل منع أبعث الله بشرا رسولا إنكارهم أن يكون الرسول من الله بشرا
قل جوابا عن شبهتهم لو كان في الأرض ملائكة يمشون كما يمشي الناس لا أنهم يطيرون
إلى السماء ويأخذون العلم هناك مطمئنين مستوطنين احتراز من الملائكة المرسلين
لأمر الله والسباحين لسماع الذكر لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا من جنسهم
ليسهل الأخذ منه ولذلك كان جبرائيل يتمثل بحلية في أكثر الأحيان وبشرا وملكا يحتمل
أن يكونا موصوفين برسولا والأحسن جعلهما حالين لأن مصب الغرض إنكار كون الرسول
بشرا واعتقاد كونه ملكا والتقديم أوفق وأعون قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم
على أني بلغت ما أرسلت به وبذلت الجهد إنه كان بعباده خبيرا بصيرا عالما
بسرائرهم وظواهرهم ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء
من دونه يقدرون على هدايتهم ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم لأنها أشرف
الأعضاء إهانة لهم ولأنهم لم يعفروها بالسجدة لربهم تواضعا قيل يا رسول الله كيف
يمشي الإنسان على وجهه فقال أليس الذي أمشاه على رجليه قادرا على أن يمشيه على وجهه
عميا وبكما وصما الكلام على التشبيه أي لا يرون شيئا تقر به أعينهم ولا يسمعون
ما يستلذ أسماعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم أو على الحقيقة بأن يحشروا كذلك بعد الحساب
إلى النار لأنهم يتكلمون ويرون ويسمعون قال تعالى يتخافتون بينهم إذا رأتهم من مكان
بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا فسوف يعلمون حين يرون العذاب مأواهم جهنم كلما
خبت سكنت زدناهم سعيرا توقدا يقال سعرت النار إذا هيجتها وزدتها لهبا
الظاهر زدناها سعيرا وإنما أوقع الفعل عليهم ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا
وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا تشير إلى الحكمة في إفنائهم

في إفنائهم بالنار وإعادتهم على الدوام لإنكارهم الإعادة بعد الفناء فجزاهم الله بأن الذي
كانوا يكذبون به أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق
مثلهم الاستفهام للإنكار داخل على النفي فيفيد الإثبات أي قد علموا يقينا أن من قدر
على خلق السموات والأرض قادر على إعادتهم لفظ المثل إشارة إلى أن الإعادة مثل
البداء كما بدأكم تعودون وجعل لهم أجلا لا ريب فيه عطف على أولم يروا لأن العطف
على الصلة يمنعه الفصل بالخبر وعلى ما بعد أن المصدرية لا يحسن معنى والأجل يوم
القيمة بدليل قولهم أئذا كنا عظاما وقيل هو الموت والمعنى أنهم فانون بالموت لا
محالة ولم يخلقوا عبثا فلا بد من الجزاء وذا لا يمكن إلا بالإعادة ففيم الإنكار فأبى
الظالمون إلا كفورا جحودا أتى بالمظهر دلالة على أنهم ظالمون في الإنكار بعد وضوح
الحق قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق أنتم فاعل
فعل محذوف يفسره تملكون لأن لو الشرطية لا تدخل إلا على الفعل والمعنى أن هؤلاء
الذين طلبوا منك أن تفجر لهم من الأرض ينبوعا أراد وابه توسعة الرزق عليهم فهم من
الشح بحيث لو ملكوا خزائن رزق الله التي لا نهاية لها بعد الفناء لبخلوا بها من خوف الفقر
عليهم بعدم نفادها شعر ولو أن دارا أنبتت لك أرضها إبرا يضيق بها فناء المنزل
وأتاك يوسف يستعيرك إبرة ليخيط قد قميصه لم تفعل قيل لما برز الكلام في صورة
المبتدأ والخبر أفاد الاختصاص وأن الناس هم المختصون بالشح المتبالغ قلت وهذا
إذا اقتضاه المقام إذ لا يعني للاختصاص في قوله وإن أحد من المشركين استجارك
وكان الإنسان قتورا شديد البخل من قتر على عياله إذا ضيق عليهم الوقاية فالح
الحاصر واصله سرح فاتر ولحاله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات متصل بقولهم لن نؤمن لك
حتى تفجر لنا إشارة إلى أن موسى قد أتى بأعظم مما سألتم ولم يؤمن به فرعون وقومه
كما قال وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون والآيات التسع هي العصا
واليد البيضاء والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق
البحر ونتق الجبل فإن قلت نتق الجبل وانفجار الماء من الحجر ليسا من الآيات المذهوب
بها إلى فرعون قلت المراد بها ما أوتي موسى من المعجزات لا ما تحدى به فرعون وإلا
يرد أن فلق البحر لم يكن في معرض التحدي بل بعدما حق عليه القول وبدل على
ذلك قوله بعد هذا إنما أنزل هؤلاء لكون الإشارة إلى بعضها بالضرورة لأن الكل
لم يكن موجودة إلا على التدريج والمتعاقب وقد روي عن صفوان بن عسال أن بعض
اليهود سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الآيات التسع التي أوتي موسى فقال هي أن لا تشركوا بالله
شيئا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تزنوا ولا تسحروا ولا تسرقوا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا
ببريء إلى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا المحصنات ولا تفروا من الزحف وعليكم اليهود خاصة أن لا تعتدوا في السبت
فلا يناسب تفسير الآيات بها لنبو المقام عنها فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم أي فقلنا له سل

اسأل بني اسرائيل من فرعون وقت مجيئه لقوله انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل وقيل الخطاب
لرسول الله وقوله فقال له فرعون اعتراض من باب زيد فاعلم فقيه والمعنى اسأل يا محمد عما
جرى بينه وبين فرعون اهل الكتاب اما لان تظاهر الادلة تقوي اليقين واما للدلالة
على انه امر محقق عندهم وليس القصد منه السؤال حقيقة بل كونهم من اهل علمه بحيث
يؤمر مثلك بالسؤال منهم ومتعلق باذكر على الاستيناف او بيخبروك على جواب الامر
ولا يجوز تعلقه باسأل لانه لم يؤت النبي وقت مجيئه وضميرهم لاباءهم فقال له فرعون
اني لاظنك يا موسى مسحورا مخبط عقله حيث تكلم بما لا يعقل والظن اما بمعنى العلم بقرينة
انه قصد تكذيبه او على طريقة كلام الملوك فان ظنهم لا يكذب كما ان لعل وعسى
عندهم لازم الوقوع قال لقد علمت ما انزل هؤلاء اى الايات التي اراها اياه وقرأ
الكسائي وابو بكر بضم التاء على الاخبار عن نفسه تكذيبا لظن فرعون والاحسن الخطاب
لان علم الخصم بصحة الدعوى ابلغ في الالزام منه وقد نقلوا الى رسول الله البكم الا
رب السموات والارض بصائر تبصرك الحق وصدقي ونصب على الحال واني لاظنك يا فرعون
مثبورا ذا ثبور اى هالكا او مصروفا عن الحق من ثبره حبسه وفي حديث ابي موسى انه تدري
ما ثبر الناس عن طاعة الله وشتان بين الظنين فان ظن موسى مستند الى امارة كادت
تجلي باليقين وظن فرعون كذب محض وتسميته للترجي بكافوري فاراد ان يستفزهم من
الارض اراد ازعاج موسى وبني اسرائيل من ارض مصر فاغرقناه ومن معه جميعا اراد
شيئا واردنا غيره فكان ما اردنا فاغرقناه في الماء الذي كان يفتخر به او لما كان عاليا
بقصد الصعود الى السماء جعلناه سافلا تحت الماء وقلنا من بعده بعد غرقه لبني اسرائيل
اسكنوا الارض التي كان فرعون يريد اخراجكم منها فاذا جاء وعد الاخرة وعد الاخرة
او الحيوة الاخرة جئنا بكم لفيفا من ههنا وههنا اللفيف الجماعات من قبائل شتى والميل
اللف الخلط ومنه حديث ام زرع واذا اكل لف اى خلط من انواع الماكل وبالحق
انزلناه وبالحق نزل اى ما انزلنا القرآن الا بالحكمة المقتضية لانزاله وبالحق نزل
وملتبسا بالحق والحكمة نزل وانزاله بالحق وان كان مستلزما لنزوله به الا انه ذكره
دفعا لتوهم تطرق التبديل اليه بعد الانزال وقبل الوصول اليه وما ارسلناك
الا مبشرا ونذيرا الا متصفا بهما بين الصفتين فلا عليك بعدهما وقرآنا آتيناك
دل عليه ولقد آتينا موسى تسع آيات فرقناه بيناه وشرحناه في محل النصب على الوصف
ويجوز ان يكون نفس الناصب وقرأنا اى فرقنا وقرأنا فرقناه لتقرأه على الناس
على مكث مهل وتؤدة وتثبت ونزلناه تنزيلا بحسب الحوادث شيئا فشيئا
قل آمنوا به او لا تؤمنوا ليس معناه الامر والنهي بل مقابلة الاعراض عنهم والازدراء
بهم وعدم المبالات ان الذين اوتوا العلم من قبله من قبل القرآن وهم علماء اهل
الكتاب تعليل لآمنوا او لا تؤمنوا كأنه قال لهم ان لم تؤمنوا فان من هو خير منكم آمن به

آمن به وهم علماء اهل الكتاب فان قلت السورة مكية ولم يكن بمكة من آمن بالقرآن من
اهل الكتاب وانما آمن به عبد الله بن سلام واضرابه بالمدينة بعد الهجرة قلت هو اخبار
بما سيقع بدل عليه قوله اذا يتلى عليهم او اراد من تنصر من مشركي العرب كورقة
بن نوفل يخرون للاذقان سجدا يسقطون على وجوههم ساجدين شكرا لله
على بعثه الموعود المنعوت في كتبهم ويقولون فالياء للواو من الحكاية لا للمحكي
سبحان ربنا عن خلف الوعد ان كان وعد ربنا لمفعولا الشان كل وعد منه واقع
لا محالة ويخرون للاذقان يبكون باكين اعاده لاختلاف الحال والسبب فان الاول
للشكر وقت الانجاز والثاني لما اثر فيهم مواعظ القرآن حال البكاء فان قلت
السجود انما يكون بالجبهة والانف فما وجه ذكر الذقن دونهما قلت اراد وصفهم
بتمكين الجبهة والتحامل عليها خشوعا حتى لزم التصوق الذقن بالارض ايضا او اراد انهم
يسقطون على الذقن مغشيا عليهم سرورا او خشية ويعفر الذقن كناية عن غاية
الخشوع ومنا قيل لو تاقل ما يلي الارض من الساجد ذقنه خلاف للواقع واشار
اللوم والظاهر حرف الاستعلاء للدلالة على شدة الاتصال والالصاق ويزيدهم
سماع القرآن خشوعا لله تعالى لزيادة ايمانهم المقتضي لذلك قل ادعوا الله او ادعوا
الرحمن نزلت لما قرأ على المشركين اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن لا نعرف الا رحمن
اليمامة وقيل لما سمع ابو جهل رسول الله يقول يا الله ويا رحمن وقال ان محمدا ينهانا ان
لا نعبد الهين وهو يدعو الها آخر والدعاء بمعنى التسمية اذ لو كان بمعنى النداء
يلزم الاشراك اى تعدد مدلولا الاسمين وعطف الشئ على نفسه ان اتحدا و
المفعول الاول محذوف اى سموه بهذا او بهذا وقيل لما قالت اليهود لرسول الله
انك لتقل ذكر الرحمن وقد كثر في التورية ذكر الرحمن وما بالك تكثر منه والغرض التسوية بين الاسمين
في الحسن والافضاء الى المقصود ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى اى اى الاسمين
ذكرتم فهو من احسن الاسماء عدل عنه الى المنزل سلوكا لطريق البرهان لان اسماءه
تعالى اذا حسنت كلها اندرج فيها هذان الاسمان ضرورة واو للتخيير والتنوين
عوض عن المضاف اليه وما مؤكدة لابهام اى وضميره للمسمى وحسن اسمائه تعالى لدلالتها
على الجلال والاكرام ولا تجهر بصلاتك بقراءتك في الصلوة لان الجهر لا يوصف به
سائر اركانها عن ابن عباس كان رسول الله وهو مختف بمكة اذا قرأ في الصلوة رفع
صوته فسمع المشركون سبوا القرآن ومن انزله ومن جاء به فقال الله لا تجهر بقراءتك
بحيث يسمع المشركون ولا تخافت بها بحيث لا يسمع من خلفك واصل الخفت الضعف وفي
الحديث نوم المؤمن سبات وصوته خفات وابتغ بين ذلك سبيلا قراءة بين القراءتين
دون الجهر وفوق المخافتة وروى البخاري عن عائشة انها نزلت في الدعاء وروى ابن جرير
عن ابن سيرين مر رسول الله على ابي بكر وهو يقرأ خفيا وعمر عاليا وهو يقرأ على الجهر وكا

جهر الصوت فقال لأبي بكر لم تقرأ هكذا فقال لقد اسمعت من اناجي وقال لعمر لم تقرأ جهارا
قال اوقظ الوسنان واطرد الشيطان فامر ابا بكر ان يرفع وعمر ان يخفض قليلا وقيل وابتغ
بين ذلك سبيلا بالاخفات نهارا والجهار بالليل وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن
له شريك في الملك في الالوهية ولم يكن له ولي من الذل ناصر يمنعه من الذل او لم
يوال احدا ليدفع به المذلة عن نفسه وانما محبته لمن احب محض لطف وعناية فانه
الغني المطلق وانما بني الحمد على نفي الاوصاف الثلثة لكونه كناية عن الوصف بكمال الجود
لان الولد مبخلة والشريك مانع من التصرف والاحتياج الى من يعزبه ويذب عنه مع
كونه منافيا للالوهية باعث على الامساك والادخار كما هو شان الملوك مع الجنود
والاعوان ولان المانع من العطاء اما من دونه وهو الولد او مثله وهو الشريك او
فوقه وهو الولي فنفى الكل على طريقة الترقي فاخص الحمد فيه لكمال كبريائه وعظمت
نعمائه فلذلك قال وكبره تكبيرا عن كل نقيصة فوافق الخاتمة الفاتحة تقدسا
وتنزيها وصلى الله على مبلغ كلامه ومبين احكامه سورة الكهف مكية وهي مائة
واحدى عشر آية بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب
لما كان القرآن مشتملا على الارشاد الى اقامة الدين بمعنى التوجه الكلي الى الجناب قدسه
او الاذعان القلبي والاعتراف باللسان وكلا القسمين من اجل نعمائه رتب استحقاق
الحمد على انزاله ولم يجعل له عوجا شيئا من العوج واصله الميل قال ابن السكيت
ما كان ينتصب كالحائط والعود قيل فيه عوج بالفتح وما كان في الارض او في دين
او معاش يقال فيه عوج بكسر العين والمراد نفي الاختلاف عنه من جهة اللفظ والمعنى
قيما مستقيما لا زيغ فيه من الحق الى الباطل او قائما بامور الدين كافلا به من قام
بالامر ومنه قيم اليتيم وهو الوجه لقوله تبيانا لكل شيء ولان الاستقامة علمت
سابقا منصوب بفعل مضمر اي جعله قيما او حال على ان ولم يجعل ايضا حال آخر كانه
قال منتفيا عنه العوج مستقيما ويجوز ان يكون ولم يجعل له عوجا عطفا تفسيريا من
تمام الصلة كقوله وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام على الاوجه هناك
لان المراد منه الكتاب الكامل فيكون حالا من الكتاب لعدم الفاصل بالاجنبي ومن
حمله على التقديم والتاخير فقد عدل عن الظاهر من غير نكتة لينذر باسا شديدا
اي الذين كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول الاول لان الغرض هو انذار الناس لبريه
المؤمن والكافر بدليل اعادة الانذار بعد التبشير مذكورا معه المنذر من لدنه
من عنده في محل النصب حالا او صفة تهويل العذاب وقراء ابو بكر بسكون الدال
مع الاشمام وكسر النون لدن لدن كعضد يجوز في مثله اسكان الوسط تخفيفا و
اشير بالاشمام الى ان اصله الضم وكسر النون لالتقاء الساكنين والمختار هو الفتح
لانه الاصل والتابع ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا هي

في الجنة مر عنها بالاجر اعتدادا بالاعمال كرامة ماكثين فيه ابدا بلا انقطاع و
ينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا خصهم بالذكر واعاد الانذار اشارة الى عظم كفرهم و
انما لم يذكر المنذر به اكتفاء بما تقدم ما لهم به من علم بالولد او باتخاذه ولا لآبائهم
الذين قالوه تقليدا لان المراد نفي العلم بنفي المعلوم لكونه مستحيلا لا يصح تعلق العلم به
لانه ممكن وللجهل بالطريق كبرت كلمة عظمت تلك المقالة نصب على التمييز تخرج
من افواههم صفة لها معنى التعجب كانه قيل ما اكبرها كلمة لان ما يكون فيه شيء يتعاظم
الانسان ان يتفوه به اذا وسوس اليه الشيطان فكيف بتشبيه من ليس كمثله شيء با
الحيوانات في التوالد المحتاج الى الازدواج وفي تخرج من افواههم اشارة الى انها مجرد صوت
وحروف ان يقولون الا كذبا تصريح بما علم ضمنا واشارة الى ان عدم العلم لا يخرج
الكلام والمتكلم عن الكذب اذا كان غير مطابق للواقع فلعلك باخع نفسك قاتلها
من البخاع وهو عرق في صلب الحيوان متصل بعنقه فاذا وصل الذبح اليه كان غاية
على آثارهم تشبيه توليهم عن الايمان بارتحال احبة الانسان عن منازلهم فيفوتهم تلهف
عليهم وتقتل نفسه وجدا ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اي القرآن اسفا مصدر في موضع
الحال من فاعل باخع او مفعول له وهو اشد الحزن انا جعلنا ما على الارض زينة لها ما
عليها من زخارفها زاد الله لما كان يتعاظمه من بسط الدنيا عليهم مع ذلك الكفر المبالغ كما
تعالم موسى في قوله ربنا انك اتيت فرعون وملأه زينة واموالا لنبلوهم ايهم احسن عملا
نعاملهم معاملة المختبر لتميز الزاهد فيها من المغتر بها لا ابتلائهم ثم زهد فيها بقوله
وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا نجعله كالارض البيضاء مسحا بعد ما كان نباته الحيوان
وتخفيف النبات فيبدل الزين شينا او نجعله حطاما مساويا للارض والجرز الارض
التي لا نبات بها وقيل ما كان فيها نبات ثم قطع فلا يقال للسباخ جرز ام حسبت ان
اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ذكر ما يشتمل على امهات العجائب في صدر
السورة من تزيين الارض بما خلق فيها من الانواع والاجناس الغير المحصورة ثم اعدامها
كان لم تغن بالامس تمهيد الذكر قصة اصحاب الكهف التي كانت من اعاجيب الدهر عندهم
وام للاضراب الدال على ان ذلك اعظم من ابقاء انفس احياء مدة متطاولة فان
قلت الاضراب انما يحسن اذا كان الثاني اغرب واعجب وما ذكرته على عكس ذلك قلت
تعجبهم من هذا دون ذلك هو المنكر الاغرب فالاضراب مبني على ذلك الاسن الخطاب
له والمقصود السائل المتعجب اذ هو صلى الله عليه وسلم يعلم من قدرته ما لا يتعاظمه و
الرقيم قيل لوح على باب الكهف مكتوب عليه اسماؤهم وقيل الوادي الذي فيه الكهف
وقيل اسم قريتهم وقيل اسم مكانهم وهو مكان بقرب فلسطين وقيل اسم كلبهم قال
امية بن ابي الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد وقيل اصحاب
الرقيم غير اصحاب الكهف وعجبا وصف بالمصدر اي كانوا آية عجبا من آياتنا او ذات عجب

وسبب النزول ان قريشا ارسلوا النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط الى يهود المدينة
يسألونهم عن نعت رسول الله هل هو ذاك المنعوت في التورية ام لا فقالت اليهود سلوه
عن ثلثة اشياء عن رجل ملك مشارق الارض ومغاربها وسلوه عن الروح وسلوه عن
طائفة فارقوا قومهم وفروا بدينهم ووصفوا لهم اصحاب الكهف وقالوا ان اخبركم
عن الاثنين وسكت عن الروح فهو نبي اذ اوى الفتية الى الكهف شبانا من اشراف
الروم وكان ملكهم دقيانوس ارادهم على الكفر فهربوا منه فقالوا ربنا آتنا من لدنك
رحمة من خزائن رحمتك بلا واسطة شاملة للامن والرزق والمغفرة وهيئ لنا من امرنا
شاننا الذي نحن بصدده رشدا اصابة الطريق المؤدي اليه او اجعل امرنا كله رشدا
كقولك رأيت اسدا واصل التهيئة احداث هيئة الشيء فضربنا على آذانهم انمناهم
انامة ثقيلة لا تنبههم الاصوات كما ترى من الى عليه نومة ثقيلة يصاح به فلا يسمع فضرب
الحجاب كناية عن سد طريق الصوت واستحكامه فالمفعول الاول محذوف كما في بنى على امرأته
اي القبة في الكهف سنين عددا معدودة اي كثيرة فان القليل يعرف بدون العد او
قليلة فان الكثير عند الله قليل ان يوما عند ربك كالف سنة او بالنظر الى مدة ابقائهم احياء
الى آخر الدهر ثم بعثناهم ايقظناهم لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا اي ليتعلق علمنا
تعلقا حاليا كما كان متعلقا به تعلقا استقباليا او مجاز عن لازمه وهو التمييز واي
لتضمنه معنى الاستفهام علق عنه العلم فهو مبتدأ واحصى فعل ماض خبره وما في لما لبثوا
مصدرية وامدا مفعول احصى والمعنى ايهم ضبط امدا لاوقات لبثهم فانهم لما استيقظوا
اختلفوا في ذلك وقيل اختلاف الحزبين من غيرهم وقيل احصى افعل التفضيل وفيه ان
افعل التفضيل وان كان قياسا من المزيد عند سيبويه لا ان لا يعمل النصب وتقدير فعله
ناصبا تطويل بلا طائل ونصب امدا بلبثوا لا يساعد عليه المعنى لان الاحصى والضبط
انما هو لمدة اللبث لا للبث في الامد ولا لسائلهم في وقت الانتباه انما كان عن العارف
لا عن الاعرف لقولهم ربكم اعلم بما لبثتم نحن نقص عليك نبأهم بالحق حديثهم ملتبسا بما هو
ثابت في الواقع ايماء الى ان ما ينقله اهل الكتاب عن قصتهم لم يسلم عن اختلاق زيادة او نقصان
انهم فتية آمنوا بربهم قيل كانوا شبانا متقاربي الاسنان من قبيلة واحدة وزدناهم
هدى على الفطرة التي يولد عليها كل مولود وربطنا على قلوبهم اذ قاموا بين يدي ملكهم
والربط تمثيل لافراغ الصبر في قلوبهم وتثبيت جنانهم فقالوا ربنا رب السموات والارض
لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا بعيدا عن الحق غاية في الظلم من شط الدار
اذا بعد وفي الحديث اعوذ بك من الفتنة في التسفر والشطط هؤلاء قومنا اتخذوا
من دونه آلهة قالوه منكرين لولا يأتون عليهم بسلطان بين ببرهان واضح دال
على استحقاقهم الالوهية فان العقائد لا يجوز التقليد فيها وما لا دليل عليه مردود
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا لا اظلم ممن قال ان لله شريكا واذ اعتزلتموهم وما يعبدون

الا الله ما موصولة اي ومعبودهم او مصدرية اي وعبادتهم او نافية
اخبار من الله تعالى كلام معترض ثناء على الفتية بانهم صادقون في الاعتزال فأووا الى الكهف
ينشر لكم ربكم من رحمته جزموا بذلك الهاما من الله تعالى او علما ذلك من مشاهدة تواتي
الرزق على سائر الحالات او كان فيهم نبيا واخبرهم نبي موجود في زمانهم ويهيئ
لكم من امركم مرفقا ما ترتفقون به اي تنتفعون من الرفق وهو لين الجانب ضد
العنف اسم آلة كالمفتح والمبرد وقرأ نافع وابن عامر بفتح الميم وكسر الفاء وهما
لغتان وفتح الميم افصح لونها لغة الحجاز وترى الشمس اي حضرت مكانهم الخطاب
له او لكل احد اذا طلعت تزاور عن كهفهم تميل من الزور وهو الميل ومنه الزور للكذب
لانه ميل عن الصدق واصله تتزاور فادغمت التاء في الزاء وقرأ الكوفيون بتخفيف
الزاء مضارع تزاور على وزن تباعد حذفت احدى التائين وابن عامر تزور كتحمر و
الاول ابلغ ذات اليمين الجهة المسماة باليمين ولفظ الذات مقحم واذا غربت تقرضهم
تركهم ذات الشمال قيل كان باب الغار مستقبل بنات النعش فتميل عنهم الشمس عند
طلوعها وتتركهم عند غروبها فلا يصل اليهم حرها وهم في فجوة منه في مكان يصل
اليهم روح الهواء او هم في فجوة من الغار اي مكان متسع معترض للشمس لولا ان الله
يحجبها عنهم بتيه قوله ذلك من آيات الله اي كونهم معترض الشمس ولا تصيبهم وتصيب
كل ما كان في ذلك السمت آية من آيات الله على اختصاصهم بتلك الكرامة وعلى الاول
شانهم وحديثهم من آيات الله من يهد الله بالتوفيق والرشاد فهو المهتدي الذي
سلك طريق الصواب واصاب الفلاح ثناء عليهم بانهم جاهدوا في الله وصدعوا
بالحق وثناء على الله تعالى بانه الهادي والولي المرشد لقوله وزدناهم هدى والاول
اوجه لان الكلام لبيان حالهم وانهم اهل الولاية ومن يضلل فلن تجد له وليا
مرشدا يدله على طريق الصواب وتحسبهم ايقاظا خطاب لكل احد جمع يقظ وهم
رقود والحال انهم نيام ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال لئلا تاكل الارض اجسادهم
قيل لهم في كل سنة تقلبتان وقيل تقلبة واحدة ليلة عاشوراء وكلبهم باسط ذراعيه
بالوصيد بفناء الغار وقيل العتبة وقيل الباب وانما نصب باسط ذراعيه لانه حكاية
حال ماضية قيل مروا بكلب فتبعهم فطردوه فقال لهم لا تطردوني انا احب احباء الله
ناموا انتم وانا احرسكم وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم ويؤيده قراءة جعفر الصادق
وكالبهم لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ادبرت منهم فرارا مصدر
في موضع الحال اذ التولية فيها معنى الفرار او مفعول ولملئت منهم رعبا وذلك لما البسهم الله
من الهيبة وقيل لطول شعورهم واظفارهم وعظم اجسامهم والرعب خوف يملأ الصدر من
رعبت الحوض ملأته قال الشاعر بذي هيدب ايمانه الربى تحته وودق واما ما كل وادي ترعب
وقرأ نافع وابن كثير ملّئت بتشديد اللام وهو ابلغ معنى والتخفيف اشهر ورعبا مثقلا

غزا الروم فمر على الكهف فقال لو علمنا خبر هؤلاء فقال ابن عباس قد منع الله عز وجل من هو
خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال لا انتهي حتى اعلم حالهم فبعث ناسا
فلما دخلوا الغار هبت عليهم ريح فاحرقتهم وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ اي وكما انمناهم تلك النومة
التي تشبه الموت كذلك بعثناهم تلك البعثة التي تشبه احياء الموتى او وكما انمناهم صحاحا
كذلك بعثناهم من غير نقص في تلك المدة المتطاولة لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ليسأل بعضهم بعضا
فيتعرفوا حالهم حتى اذا وقفوا ازدادوا يقينا وشكرا على تلك الكرامة التي خصوا بها قَالَ
قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ مذ نمتم قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ كما هو المتعارف لان اقصى
ما ينام الانسان يوما كاملا وعن الحسن دخلوا الكهف غدوة واستيقظوا وقت الظهيرة
فظنوا انه ذلك اليوم او اليوم الذي بعده ومبنى الكلام على الظن فلا كذب فلما نظروا
طول اظفارهم وشعورهم قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ لما راوا الامر ملتبسا اخذوا فيما يهمهم
وقالوا فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ الورق الفضة مضروبة كانت او غير
مضروبة وقرأ ابو عمرو وابو بكر وحمزة باسكان الراء وهما لغتان ككبد وفخذ والكسر
اصل والاسكان اخف والمدينة قيل هي طرسوس وفي حملهم الورق دلالة على ان حمل الزاد
لا ينافي التوكل قيل ان بعض اهل العلم كان شديد الحنين الى زيارة بيت الله وكان يعد
لا استطاعة له فلو علم منه ذلك وكان ممكنا فقصد فوج من اغنياء بلده الحج اتوه وبذلوا له
المؤنة للحج من الزاد والراحلة فتعذر بعذر فاذا تولوا عنه قال لم يحضره ما لهذا السفر
الا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا اي اهلها كقوله واسأل القرية
أَزْكَىٰ طَعَامًا احل وارخص فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وليتكلف اللطف فيما يباشره
من الشراء لئلا يغبن فان طلبت الربح كما عرض رسول الله قدحا على البيع فقال رجل عندي
فيه درهم فابى فقال الآخر عندي فيه درهمان فقال بعتك او ليتكلف اللطف في التخفي
لا يعرف وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا لا يفعلن ما يكون مؤديا الى الاشعار سماه اشعارا لكونه
سببا له إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يطلعوا عليكم من ظهرت على فلان علبته يَرْجُمُوكُمْ يقتلوكم
شر قتلة قيل كان ذلك رأيهم ذلك أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ يصيروكم اليها والاعادة بمعنى التصيير
شايعة وقيل كانوا على دينهم اولا وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا لان الارتداد شر انواع الكفر وَ
كَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ اي وكما انمناهم وبعثناهم اطلعنا عليهم غيرهم من العثور وهو الاطلاع
لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ اي العاثرون وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا فوقوعها من عطف الخاص
على العام توكيدا لوقوعها لان حال الفتية في نومهم وبعثهم دليل ظاهر على جواز الموت و
البعث لما دخل المبعوث للطعام المدينة واخرج الدراهم فوجد البياع عليها اسم دقيانوس
اتهمه بانه قد وجد كنزا فرفعه الى الملك وكان مؤمنا بعيسى عليه السلام فسأله الملك فقال
من اين لك هذه الدراهم قال خرجت بها امس من هذه المدينة فقال الملك اظن بك جنونا
فقال بعض الشيوخ الحاضرين انا قد سمعنا ان فتية في زمن دقيانوس هربوا بدينهم منه لعلهم

يعلم هؤلاء فركب الملك اليهم فوجدهم في الكهف فسألهم عن حالهم فقصوا عليه القصة ثم قالوا
للملك يعيذك من شر الجن والانس فعادوا الى مضاجعهم فاماتهم الله تعالى فاتخذ الملك
لكل واحد تابوتا من ذهب ثم رآهم في المنام انهم يكرهون التابوت من الذهب فابدلهم
تابوتا من خشب وقيل لما قربوا الذين هم فيه فقال المبعوث للملك مكانك حتى اخبرهم
بمجيئك فلما دخل عليهم القى الله النوم عليهم وعمي الكهف على الملك واصحابه وهذا هو الصواب
لقوله وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ولقوله ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال إِذْ
يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ امر دينهم متعلق باعثرنا او بيعلموا وكان بعضهم يقول انما تبعث
الارواح وبعضهم يقول يبعثان معا او امر الفتية فقال بعضهم ناموا نومهم اول مرة
وقال آخرون بل ماتوا وقال طائفة نبني عليهم بنيانا لئلا يتطرق اليهم الناس كما بني
على قبر رسول الله الحجرة الشريفة فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا وقوله رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ
من كلام المتنازعين فانهم لما تذاكروا واحدتهم ولم يهتدوا الى حقيقة الحال احالوا العلم
الى الله تعالى او هو كلام الله تعالى ردا لكلام المتنازعين قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ كانوا
اولى بهم وهم الملك وحاشيته لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا يصلي الناس فيه تبركا بمكانهم
سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ اخبار بما سيقع بين اهل الكتاب والمؤمنين في عدتهم
روي ان السيد والعاقب كانا عند رسول الله وهما من نصارى نجران فتذاكروا اصحاب
الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلثة رابعهم وقال العاقب وكان نسطوريا
كانوا وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ استعارة جعل الكلام الغائب
عن القائل عنه بمنزلة الرجام المرمي به لا يجامع تلك الاصابة فان الرجام قلما يصيب المرمى
على السداد واما ايثار الرجم في قوله والذين يرمون المحصنات لاعتبار التأثير في العرض
التهم في الرمية او الرجم بمعنى الظن لشيوع استعماله فيه قال زهير وما هو عنها
بالحديث المرجم ولم يذكر السين اكتفاء بذكره في الاول لان المعطوف في حكمه وَيَقُولُونَ
سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ سبعة خبر مبتدا محذوف اي هم سبعة وثامنهم كلبهم صفته
والواو لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما في قولهم جاءني رجل ومعه آخر ومررت
بزيد وفي يده سيف وذلك لان الصفة والحال متقاربان الا ترى ان صفة النكرة اذا
تقدمت صارت حالا وجدوى هذه المبالغة والتاكيد ان هذه العدة هي الصواب و
لذلك اتبعه بقوله قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ قال ابن عباس رضي الله
عنه هذه الواو لما جاءت لم يبق بعدها عدة عادة وانا من ذلك القليل وقال علي
هم سبعة نفر اسماؤهم تمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك و
كان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشيرهم هؤلاء الستة و
السابع الراعي الذي تبعهم فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ في الفتية اهل الكتاب إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا الا
مجادلة بالتي هي احسن بان تقص عليهم ما اوحي اليك وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا

لأن السؤال اما للاسترشاد وقد كفيت عنه واما للتعنت وليس ذلك من دأبك فانك بعثت
لمحاسن الأخلاق مبشراً ومبشراً ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا لم يرد الغد المتعارف
بل الزمان المستقبل كقوله سيعلمون غدا من الكذاب الاشر الا ان يشاء الله متعلق بالنهي
اي لا تقل اذا عزمت على فعل في الزمان المستقبل اني فاعله الا مقرونا بقولك ان شاء الله
او لا تقل لشيء افعله غدا الا ان يأذن الله لك فاذا لم يأذن لك لا تقل اذا عزمت على
هذا المراد بالشيء ما يكون من امر الدين لا ما يتعلق بافعال الجبلة وكذا قوله ان شاء
الله كلمة تأبيد كانه قيل لا تقولنه ابدا ولا يجوز تعلقه باني فاعل لان استثناء اقتران
المشيئة بالفعل فاسد واستثناء اعتراض المشيئة دون الفعل وان صح الا انه لا يتوجه
اليه النهي وهذا تأديب له من الله تعالى لانه لما سأله المشركون عن الروح وعن اصحاب الكهف
وعن ذي القرنين فقال اخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فعاتبه الله على ذلك بان احتبس عنه
الوحي اياماً وكذبته قريش واذكر ربك اذا نسيت تدارك ما فرط منك بان تقول ان شاء
الله اذا تذكرت انك نسيت ولا دلالة فيه على ما نقل عن ابن عباس من جواز الاستثناء بعد
سنة لان الكلام في التدارك فيما يرجع الى التفويض لا لاخراج الحكم عن الجزم وحكي ان المنصور
لما بلغه ان ابا حنيفة خالف ابن عباس رض في ذلك دعاه وسأله عن ذلك فقال يا امير المؤمنين
ضرر ذلك عائد اليك فانك تأخذ البيعة بالايمان افترضى ان يخرجوا من عندك ويقولوا
استثناء فاستحسن منه ذلك او اذكر ربك بالاستغفار كانه جريمة يوجب الاستغفار
لها او اذكر ربك اذا نسيت شيئا فان ذكره يتسبب لتذكره وقد حمل على اداء الصلوة
المنسية لقوله اقم الصلوة لذكري وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا اي
قل عند نسيان شيء لعل ربي ان يهديني لما هو خير من هذا المنسي لقوله ما ننسخ من آية او ننسها
نأت بخير منها او هذا اشارة الى خبر اصحاب الكهف اي عسى ان يهديني لما هو اعظم دلالة
على صدقي في دعوى الرسالة وقد وقع ذلك حيث آتاه الله من القصص والاخبار بالمغيبات
الى آخر الدهر ما يضمحل نبأ اصحاب الكهف عنده ولبثوا في كهفهم ثلث مائة سنين وازدادوا
تسعا بيان لما اجمل في قوله فضربنا على آذانهم وفيه اشارة الى ان اهل الكتاب كما اختلفوا في
عدة الاشخاص اختلفوا في مدة لبثهم الى وقت الانتباه ايضا وانما اخر البيان ليكون معجزة
استقلالا وقرأ حمزة والكسائي باضافة مائة اشارة الى الاصل والاصل في تمييز مائة الجمع كثلاثة
واربعة او ترك المفرد للتخفيف ومن لم يضف جعل سنين بدلا قل الله اعلم بما لبثوا وقد اخبر
به وهذا التذييل كالتذييل بقوله قل ربي اعلم بعدتهم له غيب السموات والارض علم
ما غاب عنكم فيهما وامر اصحاب الكهف من ذلك ابصر به واسمع فلو تعجب اريد تعجب المخاطبين
اي ما ابصره واسمعه فانه لا يخفى عليه شيء مما يدرك بهما والهاء يعود الى الله تعالى ومحله
الرفع على الفاعلية عند سيبويه والباء مزيدة اصله ابصر نقل الى صيغة الامر بمعنى الانشاء
فبرز الضمير لعدم قابلية الصيغة له والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المامور

ضمير المامور وهو كل احد والباء مزيدة ان كان الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ما لهم
الضمير لاهل السموات والارض من دونه من ولي من يتولى امورهم انجادا وكلاءة ولا يشرك
في حكمه احدا من خلقه وقرأ ابن عامر ولا تشرك بالخطاب التفاتا على صيغة النهي والنهي ابلغ
واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك فان تلاوته اقرب الوسائل اليه واشرف العبادات
لديه وفيه بيان كل مشكل وهو اشرف معجزاتك فالواجب عليك القيام بحقه لا مبدل لكلماته
لا احد يقدر على تبديله لكونه معجزا بخلاف سائر الكتب ولذلك وقع فيها التحريف ولن
تجد من دونه من دون الله ملتحدا ملجأ تميل اليه ان هممت بالتبديل فانهم كانوا يلحون
اليه وقال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا او بدله واصبر نفسك مع الذين
يدعون ربهم بالغدوة والعشي وهذا ايضا مما كانوا يدعونه اليه فانهم قالوا ان اردت
مجالستنا فاخرج هؤلاء العبيد والصعاليك من عندك يريدون بلالا وعمارا وصهيبا
واضرابهم والغداة والعشي كناية عن جميع الاوقات وقيل صلوة الفجر والعصر او اريد الدعاء
في هذين الوقتين فانهما اشرف الاوقات وقرأ ابن عامر بالغدوة والوجه انه علم لما قبل
الضحى فدخل فيه اللام كما في قوله والزيد زيد المعارك وعليه الرسم والمختار قراءة الجمهور
لعدم التأويل لكونه اسم جنس دخل عليه اللام والرسم لبيان الاصل كالزكوة والصلوة
يريدون وجهه مخلصين له العبادة ولا تعد عيناك عنهم متعد بنفسه عدي بعن
لتضمينه معنى النبو ومعنى لا تقتحم عيناك مجاوزة الى غيرهم وفي اقحام العين واسناد الفعل
اليه متضمنا معنى فعل آخر ليكون مؤديا مجموع معنى الفعلين مبالغة لا تخفى تريد زينة
الحيوة الدنيا حال من الكاف كما في قوله واتبع ملة ابراهيم حنيفا ولا تطع من اغفلنا قلبه
عن ذكرنا جعلنا قلبه غافلا عنه من اغفلته اذا صيرته غافلا وجعله من اغفلت الرجل و
جدته غافلا لا اصل له ومن اغفلت الدابة اذا تركتها من غير سمة ترك كلمة من واتبع هواه
ما سولته نفسه وكان امره فرطا متجاوزا الحد اسم من افرط اذا جاوز الحد في حديث علي
الجاهل اما مفرط او مفرط وقل الحق خبر مبتدأ محذوف اي ما تلوته عليكم من ربكم حال
موكدة او خبر بعد خبر والحق مبتدأ ومن ربكم خبره والاول اوجه لقوله فمن شاء فليؤمن
ومن شاء فليكفر لانه لما امره بذلك وبكتابه والتصريح الذين يتلون تلاوته مريدين
وجهه ونهاه عن الالتفات الى زخارف الدنيا فكانه قال هذا الذي اوحي الي هو الحق من ربكم
فمن شاء فليدخل في زمرة الفائزين بهذه السعادة ومن شاء فليكن في فرقة الهالكين منهمكا
في الضلالة واما ابرز الكلام في صورة التخيير ازاحة للعلل انا اعتدنا للظالمين الكاملين
في الظلم نارا احاط بهم سرادقها ما يحيط بالخيم والبيوت معرب سراپرده وقيل هو دخان
يحيط بهم قبل دخول النار وقيل حائط من النار يطيف بهم لا يمكنهم من الخروج وان يستغيثوا
من العطش يغاثوا بماء كالمهل هو النحاس المذاب وعن ابي عمرو هو دردي الزيت وعنه ايضا
القيح والصديد يشوي الوجوه اذا قدم للشرب من فرط حرارته اعاذنا الله منه بئس الشراب

انشأ ذم بعد الأخبار عن الأوصاف مبالغة في الانذار والوعيد وساءت مرتفقا النار والمرتفق
ما يتكأ عليه شبه الوسادة يسمى مرفقة ولا ارتفاق لاهل النار فهو على المشاكلة لقوله
حسنت مرتفقا وقيل الارتفاق الاتكاء على المرفق وهو هيأة المتحزن المتحسر إن الذين آمنوا
وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا ان الثانية بما في حيزها خبر ان الأولى واستغنت
الجملة عن العائد لان من احسن عملا يعم الذين آمنوا وعملوا الصالحات او الخبر أولئك لهم جنات
عدن تجري من تحتهم الأنهار وما بينهما اعتراض وعلى الأول اما استيناف لبيان الاجر او خبر
آخر يحلون فيها من أساور من ذهب من الاول للابتداء او مزيدة لقوله وحلوا اساور والثانية
بيان والأساور جمع أسورة جمع سوار وتنكيرها لتعظيم حسنها ويلبسون ثيابا خضرا لان الخضرة
احسن الألوان ولذلك استعارها للدنيا في قوله ان هذه الدنيا حلوة خضرة من سندس
وإستبرق الأشرف والأدنى فان الاستبرق ما غلظ من الحرير معرب استبره او السندس
الظهارة والاستبرق البطانة لقوله بطائنها من استبرق وهذا اليق متكئين فيها على الأرائك
جمع اريكة وهي السرير الذي عليه الحجلة وقيل كل ما يتكأ عليه من الوسادة او منصة وفي الحديث
عسى رجل متكئ على اريكته يأتيه الحديث عني يقول بيني وبينكم كتاب الله الا اني اوتيت مثل القرآن
او اكثر نعم الثواب المذكور وحسنت الأرائك مرتفقا واضرب لهم مثلا مثل للمفتخرين بزخارف
الدنيا القائلين لك لا نجالسك حتى تطرد الصعاليك والعبيد حالهم وحال هؤلاء الفقراء بحال
رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب قيل كانا اخوين من بني اسرائيل احدهما كافر واسمه
قرطوس والآخر مؤمن اسمه يهوذا قيل هما المذكوران في قوله قال قائل منهم اني كان لي قرين
ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطراها فكان كلما انفق الكافر في الدور والبساتين
والنساء وسائر ما يتمتع به انفق المؤمن في سبيل الله وابواب البر تقربا ورجاء من الله ثوابه
وحففناهما بنخل جعلنا الجنتين محفوفتين بالنخل من حففت الشيء بالشيء اذا احفته به فيعدى
الى المفعول والى الثاني بالباء ويجيء لازما وترى الملائكة حافين من حول العرش وجعلنا بينهما
زرعا لتكونا جامعتين بين الأقوات والفواكه مع حسن النظر والترتيب الأنيق كلتا الجنتين
آتت أكلها ما يؤكل منها وهو الثمر ولم تظلم منه شيئا ولم تنقص وافرد الضمير حملا على لفظ كلتا
لكونه مفردا وفجرنا خلالهما نهرا فانه مادة الأرومادة الحسن في الكروم والبساتين وكان
له ثمر سائر انواع الأموال من الذهب والفضة قاله مجاهد وسائر الأثاث قرأ عاصم بفتح
الثاء والميم وابو عمرو بضم الثاء وسكون الميم تخفيف ثمر والباقون بضمتين والمختار قراءة
عاصم للخفة ولتناول الجنس الأنواع فقال لصاحبه وهو يحاوره يراجعه في الكلام كما يفعله
الأصحاب والرفقة قيل اخذ بيده يريه شيئا فشيئا مفتخرا أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا
هم رهط الانسان وعشيرته يطلق على الرجال خاصة من الثلاثة الى العشرة وقيل اولادا ذكورا
لانهم ينفرون مع الاب دون الاناث فان قلت قد ذكرت انهما كانا اخوين فلم آثر لفظ الصاحب
على الأخ قلت لان المؤمن ليس اخا للكافر وان اتحد به نسبا ودخل جنته افردها اشارة الى انه

اي انه لا نصيب له في الجنة التي وعد المتقون لان الاضافة تفيد الاختصاص وقيل اراد دخوله
كل واحدة او لاتصالهما كانهما جنة واحدة والأول هو الوجه وهو ظالم لنفسه لان غرها
بالفاني وعرضها للعذاب الدائم قال ما أظن أن تبيد هذه تفنى أبدا لكمال غفلته وعدم
تأمله في القرون الخالية والعصور الخاوية وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت
إلى ربي على سبيل الفرض والتقدير لأجدن خيرا منها منقلبا مرجعا وقرأ نافع وابن كثير وابن
عامر بضمير المثنى عائدا الى الجنتين قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب
يريد مادته او اصله السابق ثم من نطفة ثم سواك رجلا معتدلا كامل القوى انما كفره
لكونه شك في قيام الساعة والشاك في قيام الساعة كافر من وجوه لكنا هو الله ربي
ولا أشرك بربي أحدا اصله لكن أنا فنقلت حركة الهمزة الى النون ثم حذفت وادغم النون
في مثلها واثبت ابن عامر الالف في الوصل وحذفها الباقون قال الزجاج اثبات الألف
جيد جبرا للكلمة واشارة الى الأصل قلت المختار حذفه جريا على الأصل في الضمير المنفصل
نحو انا يوسف والوقف بيتن الرسم وهو ضمير الشأن والجملة بعده خبره وهو مع خبره
خبر انا والاستدراك من أكفرت كأنه قال انت كافر لكني مؤمن ولولا إذ دخلت جنتك
وقت دخولك قلت ما شاء الله لامه على ترك هذه الكلمة اي ما شاء الله كائن على ان
ما موصولة او اي شيء شاء الله كان على انها شرطية لا قوة إلا بالله اعترافا بالعجز
وان ما تيسر لك بارادة الله ومعونته من غير حول ولا قوة منك وفي الحديث من رأى شيئا
فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره شيء إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا
انا ضمير الفصل ويجوز ان يكون تأكيدا للمفعول فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك
في الدنيا او في الآخرة جواب الشرط ويرسل عليها حسبانا من السماء آفة سماوية مثل
الصاعقة والبرد والريح وعن يحيى بن يعمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم
لا تجعلها حسبانا او مصدر بمعنى الحساب والمراد التقدير بخرابها او جمع حسبانة وهي
السهام او الوسائد الصغار والمراد ارسال اشياء يشبهها فتصبح صعيدا زلقا ارضا
ملساء لا نبات بها او يصبح ماؤها غورا غائرا في الارض مصدر بأن وصف به مبالغة
ويصبح اما فعل ناقص والمنصوب بعده خبر واما بمعنى الدخول في الصباح فإن طروق
العذاب بالليل اشد فلن تستطيع له طلبا للماء الغائر جعل طلبه غير مقدور لأن طلب
المحال كالمحال لا يصدر عن عاقل وأحيط بثمره كناية عن الهلاك وأصله من احاط به العدو
والخلاف في القراءة ذكر آنفا فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها كناية عن غاية الأسف و
الندم فان النادم يفعل ذلك ولتضمنه معنى الندم عداه بعلى وهي خاوية على عروشها
ساقطة كرومها على ما كانت معروشة عليه من الاخشاب لزيادة الحزن والكمد اذ ازالها
كذلك واختصاص الكروم لانها اصل الجنة والنخيل الحافة بها كالتوابع لها ويقول يا
ليتني لم أشرك بربي أحدا اما في نفسه او جهارا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بعين الصدور ...
وكفى عبده ١١٧٩

احد ينصره حالة العذاب وانما اثر لفظ الفئة لان اكثر الانتصار بالفئات الاقوياء في
الشدائد وما كان منتصرا دفع لما يتوهم انه بذلك التندم صار تائبا فيدركه رأفة
ربه القادر على نصره فان قلت قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا ظاهر في التوبة والايمان
وقد قال وكان حقا علينا نصر المؤمنين قلت ندمه انما كان اسفا على الدنيا وانه لو لم يشرك
لم يصب جنته ما اصابها ولئن كان مخلصا في توبته فانما لم تقبل لانها كانت بعد ظهور
الآية فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس وقرأ حمزة والكسائي بتذكير
الفعل وهو المختار لوجود الفاصل هنالك الولاية لله الحق اي في تلك الحالة التي حل فيها
غضب الله لا نصرة ولا قدرة لاحد غيره وقرأ حمزة والكسائي بكسر الواو وعن الفراء انهما
لغتان والمشهور ان الكسر معناه السلطنة والفتح النصرة وهو المختار لقوله وما كان منتصرا
وقرأ ابو عمرو والكسائي برفع الحق صفة لله كقوله مولاهم الحق وهو المختار لسلامته عن الفصل
بين الصفة والموصوف وقيل هنالك اشارة الى الآخرة ولا يخفى بعده هو خير ثوابا وخير
عقبا قرأ عاصم وحمزة بسكون القاف وهما العقبان بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحيوة
الدنيا اتبع المثل الاول لمن اغتر بالدنيا وزخارفها بما هو اظهر فان ذلك كان على طريقة
الحكاية دون المشاهدة وهذه امور مشاهدة على التوالي كماء انزلناه من السماء
فاختلط به نبات الارض خالط بعضه بعضا بسببه وتكاثف وقيل نفع في النبات
حتى روي ورف لدخول الماء في اجزائه وكان الظاهر على هذا فاختلط بنبات الارض
وانما عكس مبالغة وصفا للشيء بوصف مجاوره فاصبح هشيما مهشوما مكسورا والحطم
والهشم الكسر ومنه قيل لجد رسول الله هاشم واسمه عمرو قال شاعر عمرو العلى هشم الثريد
لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف تذروه الرياح تفرقه شبه حال الدنيا في نضرتها
وما يتعقبها من الهلاك والفناء سريعا بحال النبات يكون اخضر وارفا ثم يصير عن قرب
حطاما يطيره الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا كامل القدرة وذلك من آثار تلك
القدرة المال والبنون زينة الحيوة الدنيا خصهما بالذكر لانهما مناط الغرور وجعلت
له مالا ممدودا وبنين شهودا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا الاعمال
الصالحة وصف للشيء بوصف اثره وما يترتب عليه لان الباقي ثوابها قيل هي الصلوات
الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله وعن قتادة كل ما اريد به وجه الله وهو الوجه وخير املا
لعدم خيبة الامل بخلاف امل الدنيا فانه تارات ويوم نسير الجبال تهويل ليوم القيمة
بعد التنفير عن الاغترار بالدنيا وزخارفها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بالتاء على
بناء المفعول ورفع الجبال والباقون بالنون وهو المختار لكونه اشد تهويلا وتسيير الجبال
اما قلعها وطيرانها في الجو لقوله وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب واما اذهابها
وجعلها ترابا كقوله وكانت الجبال كثيبا مهيلا وكلا المعنيين بحسب الاوقات وترى
الارض بارزة ليس عليها جبل ولا نبات وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف اتى

وجمعناهم الى الموقف

بالماضي اشارة الى تحقق وقوعه كما في قوله ونادى اصحاب الجنة وقيل الواو للحال على ان الحشر
قبل تسيير الجبال وليس بسديد لقوله تعالى يومئذ يتبعون الداعي بعد قوله لا ترى
فيها عوجا ولا امتا ولما روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يحشر الناس على ارض بيضاء عفراء ليس فيها علم فلم نغادر منهم احدا لم نترك ومنه سمي
نقض العهد غدرا لكونه تركا للوفاء وعرضوا على ربك صفا كما تعرض الجنود على الملوك
صفا مصطفا لقد جئتمونا فرادى على اضمار القول وهو العامل في يوم ويجوز تقدير
اذكر كما خلقناكم اول مرة حفاة عراة لا مال ولا ولد بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا
اضراب الى ما هو اعظم من التعزز بالاموال وهو انكار البعث ووضع الكتاب اي كتاب
كل احد وهو صحيفة عمله فترى المجرمين مشفقين مما فيه من الذنوب لا اشفاق الخوف
من الشفق وهو الشيء الردي ويقولون يا ويلتنا يا هلكتنا المختصة بنا هذا اوانك
مال هذا الكتاب استيناف للتعجب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصيها ضبطها
لا يشذ منها شيء فان قلت كان الظاهر تقديم الكبيرة كما يقال فلان لا يملك دينارا ولا
درهما قلت ليس وزانهما واحدا لان محل المسامحة الصغيرة فكان مظنة عدم احصائها
ووجدوا ما عملوا حاضرا مكتوبا في الصحف ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم
يفعله واذ قلنا للملئكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس حال الدنيا وزخارفها كحال
الشيطان قد اقسم في ابداء العداوة لازينن لهم في الارض اشار الى ان الاغترار بها من
تزيين ذلك العدو كان من الجن استيناف يجري مجرى العلة كانه قيل لم لم يسجد فقيل
كان جنيا مطبوعا على الفساد ففسق عن امر ربه الفاء دالة على سببية ما قبله اي كان
فسقه لكونه من الجن افتتخذونه ابعد ما وجد ذلك منه تتخذونه انكار وتعجيب
وذريته اولاده ان صح ان له اولادا او اتباعه مجازا اولياء من دوني بدلا مني وهم
لكم عدو حال تؤكد التوبيخ فان موالاته بدلا من موالاة الله تعالى منكر يتعجب منه كيف وقد
انضم اليه كونه عدوا لكم قديم العداوة بئس للظالمين بدلا ابليس وذريته ما
اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم لم يحضروا خلق شيء من المخلوقات
فضلا عن الاعانة في التأثير فكيف يستحقون العبادة واشهاد خلق انفسهم اشهاد بعضهم
خلق بعض كقوله ولا تلمزوا انفسكم وما كنت متخذ المضلين عضدا ابليس وذريته
وضع المضلين موضع الضمير ذما لهم والعضد مظهر القوة استعمل في المعوان والنصير
كاستعمال الظهر فان قلت الوصف بالاضلال مشعر بعلية الانتفاء فيوهم جواز الاعتضاد
بغير المضلين قلت الاعتضاد في الايجاد والخلق محال دلت القواطع عليه واما في اظهار
الدين والشرايع فلا مانع منه يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله وينصرون الله و
رسوله ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم ابليس وذريته او من عبد من دون
الله فدعوهم فلم يستجيبوا لهم بل تبرؤوا منهم وقالوا ما كانوا ايانا يعبدون وجعلنا بينهم

موبقا مكان هلاك يشتركون فيه كقال المال بين زيد وعمرو وانهم مكان من وبق هلك
الموبقات كبائر الذنوب وعن الحسن عداوة في الشدة كالهلاك وعن الفراء البين الوصل
اي جعلنا تواصلهم هلاكا وان اريد بالشركاء الملائكة وعيسى وعزير فالموبق البرزخ
البعيد الذي يهلك فيه الاشواط لفرط بعده وفي المثل بلد يهلك فيه اشواط الرياح
ورأى المجرمون النار رأوها من مكان بعيد لها تغيظا وزفيرا فظنوا انهم مواقعوها
ايقنوا ولا يقين اجلى منه وظنوا مع بعدها انها تاخذهم في الحال لشدة خوفهم ولم
يجدوا عنها مصرفا مكانا يعدلون اليه ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل
مثل كررنا كل معنى في الحسن مثل يضرب به وتقديم القرآن على الناس في هذه السورة
خاصة دون سائرها للاهتمام لان السورة مصدرة به وكان الانسان اكثر شيء
جدلا مراء بالباطل وعن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة وهما في
الفراش فقال الا تصليان قلت انما نفوسنا بيد الله متى شاء ردها الينا فضرب بيده
على فخذه ثم قرأ وهو مول وكان الانسان اكثر شيء جدلا وما منع الناس ان يؤمنوا
اذ جاءهم الهدى هو القرآن او من الحق به ويستغفروا ربهم لذنوبهم السالفة الا
ان تاتيهم سنة الاولين وهو هلاك الاستيصال اذ لم يبق لهم عذر او ياتيهم
العذاب قبلا معاينة اي عذاب الاخرة وقرأ الكوفيون بضمتين وهو لغة فيه او جمع
قبيل بمعنى انواع والمختار الكسر لخفته وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين
للمؤمنين والكافرين ويجادل الذين كفروا بالباطل عنادا باقتراح الآيات بعد
ظهور المعجزات ليدحضوا به الحق ليزيلوه من دحض القدم ازلقها والدحض المكان
الزلق وفي الحديث دون جسر جهنم طريق ذا دحض واتخذوا آياتي معجزاتي التي
صدقت بها رسلي وما انذروا والذي انذروا به هزوا استهزاء وقرأ حمزة باسكان
الزاء والباقون بالضم وهما لغتان وابدل حفص الهمزة واوا ومن اظلم ممن ذكر
بآيات ربه فاعرض عنها لا اظلم منه لانه كفر بعد ظهور الحق مع كونه له لا عليه
ونسي ما قدمت يداه من المعاصي وكان عليه ان يبادر الى محوها لانه يذهب بالذنوب
قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف انا جعلنا على قلوبهم اكنة علة
للاعراض اذ لا يفهمون في تلك الآيات ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وفي آذانهم
وقرا يمنعهم عن استماع الحق وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا لسد طرق
الادراك عليهم اذا جواب للرسول على تقدير سؤاله كانه قيل ما لي لا ادعوهم وجزاء
لكونهم مطبوعا على قلوبهم فدعوتهم لا تنجع وربك الغفور ذو الرحمة الواسعة لو
يؤاخذهم بما كسبوا من الكفر والمعاصي لعجل لهم العذاب اي عذاب الاستيصال لتعليل
لامهالهم بعد ما تحقق انهم من اهل النار بل لهم موعد لا بد من مجيئه فالتاخير لذلك
الوعد لا للاهمال لن يجدوا من دونه موئلا ملجأ يوم بدر او يوم القيمة وتلك القرى

وتلك القرى قرى عاد وثمود واصحاب الايكة اشار اليها لانهم شاهدوها اهلكناهم
خبر تلك لما ظلموا اكذبوا الرسل كقريش وجعلنا لمهلكهم موعدا لاهلاكهم مصدرا ضيف الى
المفعول او لوقت اهلاكهم اسم زمان وقرأ عاصم في رواية ابي بكر بفتح اللام والميم
مصدر هلك او اسم زمان وفي رواية حفص بكسر اللام مصدرا او اسم زمان على غير قياس
كالمرجع والمختار قراءة الجمهور لقوله اهلكناهم واذ قال موسى لفتاه اذكر وقت
قول موسى لفتاه يوشع بن نون اورد قصة موسى مع الخضر وان لم يسأل عنها استظهارا
لصدق دعواه النبوة ودلالة على جهل اليهود الذين امتحنوه فان موسى نبيهم وقصة هذه
من اعظم وقائعه وهم لا يعرفونها وقصته على ما رواه البخاري عن سعيد بن جبير قال
كنا ابن عباس في بيته اذ قال سلوني قلت اي ابا عباس جعلني الله فداك بالكوفة رجل قاص
يقال له نوف يزعم ان موسى ليس موسى بني اسرائيل انما هو موسى آخر فقال ابن عباس كذب
عدو الله حدثني ابي بن كعب انه سمع رسول الله يقول ذكر موسى يوما وفي رواية قام خطيبا
في بني اسرائيل حتى فاضت العيون ورقت القلوب فقال رجل اي رسول الله هل في الارض
رجل اعلم منك قال لا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فقال الله بلى عبد بمجمع
البحرين هو اعلم منك قال فسل السبيل الى لقيه فقال اجعل حوتا في مكتل فحيث تفقدت الحوت
فهو ثمه فقال موسى لفتاه لا اكلفك الا ان تخبرني بحيث يفارقك الحوت فقال ما كلفت
كبيرا فانطلقا حتى اتيا الى الصخرة فوضع موسى رأسه فنام وكان في اصل الصخرة عين
الحيوة فاصاب الحوت منها شيء فاضطرب وانسل من المكتل فسقط في البحر فامسك الله
الجرية عن الحوت فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ موسى نسي فتاه ان يخبره بالحوت
فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد
لقينا من سفرنا هذا نصبا فقال فتاه ارأيت اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما
انسانيه الا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال موسى ذلك ما كنا نبغ
ولم يجد موسى نصبا في سفره حتى جاوز الصخرة فارتدا على آثارهما قصصا يقصان اثرهما
حتى انتهيا الى الصخرة فاذا رجل مسجى ببرده وفي رواية كان على طنفسة خضراء على كبد
البحر فسلم عليه موسى فقال له الخضر واني بارضك السلام قال انا موسى قال موسى بني اسرائيل
قال نعم اتيتك لتعلمني مما علمت رشدا قال يا موسى انك على علم علمكه الله لا اعلمه وانا
على علم علمنيه الله لا تعلمه انك لن تستطيع معي صبرا قال موسى ستجدني ان شاء الله صابرا
ولا اعصي لك امرا قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فانطلقا
يمشيان على ساحل البحر فمرت بهما سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم ووقع
عصفور على البحر فاخذ من الماء بمنقاره فقال الخضر لموسى ما علمي وعلمك وعلم الخلائق
الا بمقدار ما غمس هذا العصفور منقاره فلم يفجأ موسى الا والخضر قد قلع لوحا من الواح
السفينة بالقدوم فقال موسى قوم حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق

اهلها لقد جئت شيئا امرا قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت
ولا ترهقني من امري عسرا وكانت هذه من موسى نسيانا ثم خرجا من السفينة فبينما يمشيان على الساحل
اذ ابصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فاخذه فاقتلع رأسه فقال له موسى اقتلت نفسا
زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال وهذه
اشد من الاولى قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا
فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا
يريد ان ينقض فاقامه الخضر وقال بيده هكذا فقام وكان ثما بلا فقال موسى قوم ابوا ان يضيفو
ما لو شئت لاتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك فقال رسول الله وددنا لو صبر
موسى حتى يقص الله علينا من امرهما لا ابرح لا ازال وقد حذف الخبر لدلالة حاله السفر عليه وقوله
حتى ابلغ مجمع البحرين لان الغاية تستدعي ما هي غاية له اي لا ابرح اسير او لا يبرح سيري
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الفعل من الغيبة الى التكلم فالخبر حتى ابلغ
وليس الاسناد مجازيا كما توهم ويجوز ان يكون تاما اي لا ازول عما انا عليه من السير فلا
يستدعي خبرا او امضي حقبا ثمانين سنة فان ما بعدها اذ دل عليه العمر او دهرا طويلا
فلما بلغا موسى وفتاه مجمع بينهما المكان الذي وعد الله وهو ملتقى بحر الروم وفارس
مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية من بلاد المغرب وتفسير البحرين بموسى والخضر باطل
نسيا حوتهما اي فقده الناسي فتاه واسناده الى موسى لادنى ملابسة فاتخذ سبيله
في البحر سربا طاقا مفعول ثان لاتخذ وفي البحر حال من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ فلما
جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا اشارة الى سفرهم بعد فقد
الحوت لان قبله لم ينصب ولعل الحكمة ان ذلك كان في طلب العلم وهذا كان خاليا عن الفائدة
قال فتاه ارأيت اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت اي فقده وما انسانيه الا
الشيطان بوسواسه وقرأ حفص بضم الهاء مراعاة للاصل المرفوض ان اذكره بدل من الضمير
واتخذ سبيله في البحر من كلام فتاه عجبا مفعول اي فعجب موسى وفتاه عجبا لما روي البخاري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان البحر للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا وقيل مفعول
ثان لاتخذ اي اتخذ سبيله في البحر عجبا اي اتخذ اعجبا وقيل هو قول موسى اي قال اعجبا كيف
نسيت بعد تلك المشاهد واسال الداء قال ذلك ما كنا نبغ يريد حيوة الحوت فانه دليل
المطلوب فارتدا رجعا في الطريق الذي جاءا منه على آثارهما قصصا يتبعان آثارهما
قصصت الاثر اتبعته فوجدا عبدا من عبادنا هو الخضر كما صرح به في الحديث آتيناه رحمة
من عندنا بنبوة ان كان نبيا وكرامة ان لم يكن وعلمناه من لدنا علما مما يختص بنا لا
يمكن الوصول اليه بالاكتساب قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن على هذا الشرط وانما
القول مراعاة للادب مع المعلم لئلا يكون متحكما عليه مما علمت رشدا علما ذا رشد وقرأ
ابو عمرو بفتح الراء والشين وهو كالبخل والبخل قال انك لن تستطيع معي صبرا لاني ارتكب

لاني ارتكب ما لا يوافق شرعك وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا الخبر علم الباطن شرعا فلما
التفتا صدق الخبر الخبر نصب على التمييز او على المصدر لان الاحاطة بمعنى الخبر قال
ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا الا انه في تأويل المفرد اي غير
عاص او على ستجدني ولا محل له وانما علق بالمشية لان افعال العباد بمشيئته تعالى بمعنى لثباته
الى ان الصبر كما لا يخالف الحق بظاهره وان كان في نفسه حسنا جميلا في غاية الصعوبة
قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء تنكره ويخفى عليك سببه حتى احدث لك منه ذكرا
حتى اكون انا البادي فان المعلم ادرى بحال المتعلم من نفسه كالطبيب مع المريض ولذلك
قال رسول الله دعوني ما تركتكم فاذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم فانطلقا على
هذا الشرط حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق اهلها استفهام انكار
وقرأ حمزة والكسائي بالياء الغيبة وفتح الراء ورفع اهلها والخطاب بضم التاء ابلغ انكارا
لقد جئت شيئا امرا عظيما من امر الامر اذا عظم وكبر وفي حديث هرقل قال ابو سفيان لقد
امر امر ابن ابي كبشة يريد رسول الله قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا ذكر بما اعنده الله
قال لا تؤاخذني بما نسيت بالذي نسيته فان النسيان لا تعاتب عليه نسيت او بالنسيان
معتذرا فانه اول ناس الناس ولا ترهقني من امري عسرا شاني عسرا بالمضايقة وتكليف ما لا
يطاق مفعول ثان يقال رهقه بالكسر اذا غشيه وارهقه اذا اغشاه فانطلقا بعد
الخروج من السفينة حتى اذا لقيا غلاما فقتله بان قلع رأسه كما سبق وقيل ذبحه وقيل
ضرب رأسه بالحائط قيل كان اسمه جيسور قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس وقرأ
نافع وابن كثير وابو عمرو زاكية وهما لغتان والتشديد ابلغ وعن الزيدي الزاكية
التي لم تذنب البتة والزكية التي اذنبت ثم تابت فيختلفان والرسم يحتملهما لقد جئت شيئا
نكرا ذا انكرنا فعله في الانكار وهذا اشد من الاول ولذلك قال الم اقل لك انك لن
تستطيع معي صبرا زيادة لك لمكافحة العتاب على قلة الثبات بعدم تقدم
الوصية ووقوع المخالفة عن قريب وقرأ نافع وابن عامر في رواية ابن ذكوان وعاصم
في رواية ابي بكر بضم الكاف نكرا والباقون بالاسكان وهما لغتان قال ان سألتك
عن شيء بعدها بعد هذه المرة فلا تصاحبني وان سألت صحبتك قد بلغت من لدني
عذرا تمهدت بذلك المفارقة وقرأ نافع وابو بكر بنون مخففة لان اصله لدن تحرك
نونه الساكنة بالكسر واشم ابو بكر الدال الساكنة ضمة اشارة الى الاصل فانطلقا حتى
اذا اتيا اهل قرية انطاكية وقيل ابلة البصرة وقيل هي ابعد ارض من السماء وقيل برقة
وقيل ارض بروم وقيل بروان وقيل انطروان استطعما اهلها طلبا طعاما وفي الحديث
اهل قرية لئاما فابوا ان يضيفوهما يقال ضافه اذا نزل به ضيفا واضافه وضيفه
اذا امال وضيفه انزله ضيفا فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض يشارف السقوط من
النقض وهو الكسر استعارة تبعية كقوله ان دهرا يلف شملي بسعدى لزمان يهم بالاحسان

فأقامه بأن أشار إليه بيده من غير مباشرة وعلاج قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا
وعدم استضافتهم الكرام بالتبرع وقرأ ابن كثير وأبو عمرو لتخذت عليه من تخذ بمعنى أخذ
وهي لغة هذيل قال شاعرهم وقد تخذت رجلي لدى جنب غرزها وقرأ الجمهور لاتخذت وهو أفصح و
أبلغ قال هذا فراق بيني وبينك إشارة إلى الفراق الموعود أو إلى وقته أو الاعتراض و
البين الوصل أي هذا وقت فراق المواصلة إذ ظرف بمعنى الوسط أضيف إليه المصدر
اتساعا سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا تلك الوقائع الثلث أما السفينة
فكانت لمساكين يعملون في البحر قيل كانوا عشرة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر أسند
به على أن المساكين يطلق على من يملك شيئا وقيل سماهم مساكين لزمانتهم وعدم القدرة
على دفع الملك فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك أمامهم أو خلفهم وكان طريقهم
في الرجوع عليه يأخذ كل سفينة غصبا كل سفينة سالمة لدلالة الكلام عليه وكان
الظاهر تقديمه على إرادة العيب لأنه مسبب عنه وعن كون الملاك مساكين لكن لما كان
سكنة الملاك هو أقوى الجزئين رتب عليه المسبب المعنى بشأنه تنبيها على أنه في التأمل
ما يدل على الآخر ثم أردفه به على سبيل التتميم أو على أنه لا يهتدي إليه الخاطر وأما
الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا يغشيهما لأنه كان
كافرا فيوجب حب الأبوين والرقة على الدخول فيما هو فيه كذا عن سعيد بن جبير وابن
جريج وعن مقاتل والكلبي كان غلاما طاغيا يقتل ويسرق وكان أبواه في عز وشرف
فإذا طولب بجنايته يحلف أبواه أنه لم يفعل وقيل فخشينا حكاية قوله تعالى والخشية مجاز في
الكراهة وكان سؤال موسى ومخاطبته مع الله والخضر واسطة ولا يبعد ولذا ما قيل
فخشينا أن يجمع مؤمنان وكافر في بيت واحد فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة
طهارة وبقاء من الذنوب وقرأ نافع وأبو عمرو يبدلهما بالتشديد وهو أبلغ وأكثر في
القرآن وأقرب رحما الرحم الرحمة والعطف وقرأ غير ابن عامر بسكون الحاء وهما لغتان
روي أنه ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا فهدى الله على يديه أمة من الأمم
وقيل سبعين نبيا وقيل ولد لهما ابن مؤمن وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة
قيل اسمهما أصرم وصريم وكان تحته كنز لهما هو مال مدفون من ذهب وفضة وقيل
لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف
يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن
يعرف الدنيا وتقلبها كيف يطمئن لا إله إلا الله محمد رسول الله وكان أبوهما صالحا
إشارة إلى علة الحفظ وعن جعفر الصادق رضي الله عنه كان بين الغلامين وبين الأب الصالح
سبعة آباء قيل جرى بين حسين بن علي وبين بعض الخوارج كلام فقال الخارجي بم حفظ الكنز
للغلامين قال بصلاح أبيهما فقال أبي وجدي خير منه فأراد ربك أن يبلغا أشدهما
غاية القوة وهو ما بين ثمانية عشر إلى ثلاثين مفرد وعن سيبويه جمع شدة ويستخرجا

كنزهما رحمة من ربك مفعول له أو مصدر منصوب بأراد لأنه في معنى رحمهما
وقد راعى في المقالات الثلث ما يليق فإن خرق السفينة لما كان عيبا واقعا بمباشرته
أسند إلى نفسه وإبدال الغلام بما هو خير منه كان بقتله وبإيجاد الله أسند الإرادة
إلى نفسه وإلى الله وبلوغ الغلامين وحفظ الكنز لهما لم يكن له في ذلك مدخل أسنده إليه
تعالى وقيل هو باعتبار حال العارف في الترقي إلى الوسائط وارتفاعها وما فعلته ما
شاهدته عن أمري صادرا عن شأني بل بأمر الله ذلك المذكور من الحكم الخفية تأويل
ما لم تسطع عليه صبرا أصله تستطع حذف منه التاء تخفيفا واختص به دون الأول
لأنه آخر القصة فيدل الاختصار على الاقتصار وهذا من غامض أسرار كلامه تعالى وسيأتي
في آخر الشعراء نظيره وقد اشتملت القصة على جملة من الآداب وهي أن العالم وإن كان فريدا
في زمانه لا يعجب بعلمه إذ ربما يكون أعلم منه وفي المثل في الزوايا خبايا وأن لا يبادر
إلى إنكار ما لا يستحسنه إذ ربما كان فيه سر لم يطلع عليه ويراعي الأدب مع المعلم ولا
يبادئه بالسؤال وإذا رأى خلاف الشرع ينكره وإن كان من صدر عنه أجل منه و
يعفو عن صاحب الجريمة إذا ألح واعتذر فإن قلت موسى كان أعظم رتبة أم الخضر قلت
بل موسى فإنه من أولي العزم والخضر مختلف في نبوته ولا يقدح في ذلك اتباعه إياه في
جزئيات لم تتوقف عليها شريعته وكم من مسألة استفادها أبو بكر وعمر من أصاغر
الصحابة فإن قلت ما تقول في الخضر هل هو حي أم لا قلت العلم عند الله في ذلك إذ لم يرد
نص يدل على حيوته ولا موته وأرباب القلوب وأصحاب الكشوف متفقون على حيوته
أكثرهم يخبر عن الاجتماع به رزقنا الله الوصول إلى ذلك ويسألونك عن ذي القرنين
ثالث القصص التي امتحنته اليهود بها وذو القرنين هذا كان نبيا أو وليا وليس ابن
دارا فإنه كان وثنيا تلميذ لأرسطاطاليس وقيل كان في زمن إبراهيم وإنما سمي بذي القرنين
لأنه ملك المشرق والمغرب وقيل لأنه رأى في نومه كأنه أخذ بقرني الشمس وقيل كان
في رأسه شبه القرنين وقيل كان له ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان وسأل ابن
الكوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال كان عبدا صالحا أحب الله فأحبه ضرب
على قرنه الأيمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله ثم ضرب على قرنه الأيسر فسمي ذا القرنين
وفيكم مثله يريد نفسه فإنه ضرب على قرن رأسه يوم الخندق وضرب على قرنه الآخر
ابن ملجم لعنه الله أو أراد أنه يحب الله ويحبه وهو الظاهر لقوله صلى الله عليه وسلم
يوم خيبر لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبانه قل سأتلو عليكم منه
من شأنه وحاله ذكرا قرآنا أو نبأ يذكر على وجه الزمان إلى آخر الدهر لعدم اختلاله
إنا مكنا له في الأرض جعلناه متمكنا متصرفا فيها بلا مانع ملك بسيط الأرض
سليمان وذو القرنين وكافران نمرود والضحاك وآتيناه من كل شيء سببا ما يتوصل
به إلى مقصوده من علم وقدرة وسائر الآلات فأتبع سببا أراد سفر المغرب فأتبع طريقا

يوصل اليه وقرأ الكوفيون وابن عامر اتبع من الافعال معدى الى مفعول كقوله فاتبعه شهاب
او لحد المفعولين محذوف اي امره او سببا سببا والافتعال ابلغ مع عدم الحذف حتى اذا
بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ذات حمأة وهي الطين الاسود قال الزندي
قرأ معاوية في عين حامية فقال له ابن عباس رضي الله عنه حمئة فقال لابن عمر كيف تقرأ
فقال حمئة فارسل الى كعب الاحبار كيف تجدها في التورية قال تغرب في ثاط وهو الحمأة
وقد الم به تبع في شعره يصف ذا القرنين فرأى مغار الشمس عند غروبها في عين ذي خلب
وثاط حرمد وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر حامية من حمي كرضي اي في عين حارة
وعن ابي ذر كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم عند غروب الشمس فقال اهل تدري
اين تغرب هذه الشمس قلت الله ورسوله اعلم قال انها تغرب في عين حامية وعن ابن عمر ان رسول
الله نظر الى الشمس حين غابت فقال في نار الله الحامية لولا ما يزعها من امر الله لاحرقت
ما على الارض ولا تنافي لامكان الوصفين ووجد عندها قوما كفرة لباسهم جلود
الوحش وطعامهم ما لفظه البحر قلنا يا ذا القرنين نداؤه ان كان بلا واسطة وهو
الظاهر فهو نبي والا فالهام او على لسان نبي اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا
خيره من القتل والدعوة الى الاسلام قال اما من ظلم بالاستمرار على الكفر فسوف نعذبه
بالقتل ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا عذاب النار الذي لم يعهد مثله واما من
آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى حسنات اعماله او الكلمة الحسنى وهي كلمة الايمان و
قرأ حمزة والكسائي وحفص جزاء منصوبا منونا على المصدر او الحال من الفاعل او المفعول او تمييز
وسنقول له من امرنا يسرا واليسر وسهولة لا يستشقه فيه ويجوز ان يكون خلو التخيير
بين القتل والاسر واتخاذ الحسنى ابقاء او دلهم وعلى هذا جوابه من الاسلوب الحكيم لانه
تعرض لا بيان الذي خلا عنه التخيير وعلى الوجهين راعى تقديم ما من الله على ما منه ثم
اتبع سببا طريقا موصلا الى المشرق وفي لفظ ثم اشارة الى انه انما توجه بعد تمهيد جانب
الغرب وضبط احواله حتى اذا بلغ مطلع الشمس الموضع الذي تطلع عليه الشمس اولا من معمورة
الارض وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا قيل ارضهم لا تمسك الابنية
لهم اسراب يدخلونها عند طلوع الشمس فانهم لا يقدرون على حرها فاذا ارتفعت خرجوا
وتزودوا انحار المعاش روى ان رجلين وصلا اليهم وهم وراء الصين فاذا احدهم يفرش
احدى الاذنين ويتغطى بالاخرى وقيل السترة اللباس وقد شاهدنا نحن بلادا مصر ما يجلب
من السودان لا يلبسون لباسا بل وفي طريق الحجاز خلق كثير كذلك امر ذي القرنين كما ذكر في
الفوق ورفعة الشأن او بلغ مطلع الشمس كما بلغ مغربها او مثل ذلك القوم الذين تغرب
عليهم الشمس في الكفر والضلال وقد احطنا بما لديه خبرا زيادة تعظيم لامره على الاول
والله فوق ما وصف له اسباب لا يحيط بها الا علم اللطيف الخبير وعلى الثاني تعظيم للاسباب
الموصلة له الى ذلك المكان الشاسع الذي لم يصل اليه احد قبله وعلى الثالث تتميم يؤكد اية

يؤكد انه سن بهم ما سن باولئك الذين عند مغرب الشمس ثم اتبع سببا طريقا الى صوب الشمال
حتى اذا بلغ بين السدين وهما الجبلان اللذان بني السد بينهما قيل هما جبلا ارمينية و
اذربيجان وقيل بمنقطع ارض الترك من ورائهما يأجوج ومأجوج وقرأ ابن كثير وابو عمرو
وحفص بضم السين وهما لغتان وعن ابي عبيدة الضم لفعل الخالق والفتح لفعل المخلوق
ويتعاونان وبه استعانا وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا لفرط جهلهم
وقرأ حمزة والكسائي بضم الياء وكسر القاف اي لا يكادون افهام العجز لغرابة لغتهم قالوا
يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض اي في ارضنا بما لا نعتاده
وراء السد روي انه لا يموت احدهم حتى يولد له الف نفس وهما من ولد يافث بن نوح
وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم وقيل يأجوج الذكران ومأجوج الاناث
وهما اسمان عجميان كهاروت وماروت وعن الاخفش انهما عربيان من أج وهو غانم
جعل الالف اصلية فيأجوج يفعول ومأجوج مفعول مأخوذ من اجيج النار ومن لم يهمز جعل
الالف زائدة فياجوج من يجج ومأجوج من مجج وعدم الانصراف للعلمية والتأنيث
فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا يحجز بيننا وقرأ حمزة والكسائي خراجا
خراجا والخرج والخراج واحد كالنول والنوال والحصد والحصاد وقيل الخرج الجعل والخراج
ما يضرب على الارض وقيل الخرج مصدر والخراج اسم وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج
ما لزمك وقيل الخراج اعم بناء على ان زيادة البناء لزيادة المعنى هذا وكل منهما يستعمل
في موضع آخر قال ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون
لي وقرأ ابن كثير مكنني بالاظهار اعتبارا للاصل لان نون الوقاية كلمة مستقلة وعليه رسم
المصحف المكي وغيرهم بالادغام سائر الرسوم فأعينوني بقوة من الصناع والآلات اجعل
بينكم وبينهم ردما حاجزا حصينا موثقا من قولهم ثوب مردم اي رقاع فوق رقاع
الحجب وانت آتوني زبر الحديد قطع الحديد واحدها زبرة وهي القطعة الكبيرة من الزبر
وهي القوي الشديد وهذا لا ينافي رد الخراج لان الايتاء بمعنى المناولة له او بمعنى الاتيان كقوله
ائتيا عدلنا ونيا عدل عليه قراءة ابي بكر ايتوني بهمزة الوصل حتى اذا ساوى بين الصدفين
بين جانبي الجبلين بتنضيدها اعلاه واعلاهما والصدفين قرأه ابن كثير و
ابو عمرو وابن عامر بضم الصاد والدال وابو بكر بضم الصاد واسكان الدال والفتح لغة
الحجاز الافصح قال انفخوا في الاكوار والحديد حتى اذا جعله نارا كالنار قال آتوني افرغ
عليه قطرا نحاسا مذابا سمي به لانه يقطر وقد حذف مفعوله الاول لدلالة الثاني عليه
ولم يكن والاظهر في الثاني على ما هو المختار وقرأ حمزة بهمزة الوصل ولابي بكر وجهان
قيل حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر
الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافخ حتى اذا صارت
كالنار صب النحاس المذاب على الحديد فاختلط والتصق بعضه ببعض فصار جبلا صلدا

لا يقدرون عليه قيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ فما اسطاعوا ان يظهروه لغاية علوه
وما استطاعوا له نقبا لغاية صلابته وثخانته وقرأ حمزة فما اسطاعوا بالادغام اصله
استطاعوا مع التقاء الساكنين اجراء للوصل مجرى الوقف ورويا للخفة قال هذا الردم رحمة
من ربي عليكم ليس لي عليكم منة فاذا جاء وعد ربي وقت خروج يأجوج ومأجوج جعله دكا
مدكوكا من دككت الشيء كسرته وساويته بالارض وقرأ الكوفيون دكاء فعلاء اي ارضا
مستوية وعن الفراء هما مصدران كالبأس والبأساء وكان وعد ربي حقا ثابتا لا محالة و
تركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض اي وقت مجيء الوعد جعلنا يأجوج ومأجوج يموجون مختلطين
من ماج البحر اضطرب وعن ابن عباس ماج الانس والجن يومئذ ونفخ في الصور فجمعناهم
جمعا للحساب والجزاء وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا يشاهدونها وبرزت الجحيم
لمن يرى الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري اي عن النظر في الآيات المثبوتة في الآفاق
والانفس يؤديهم الى ذكري بكل جميل او الذكر هو القرآن والاعين البصائر والغطاء التغافل
والاعراض عن التأمل فيه وكانوا لا يستطيعون سمعا كناية عن غاية الاعراض ابلغ من قوله
صم لان الاصم اذا صيح به يسمع وهؤلاء سلب عنهم الاقتدار افحسب الذين كفروا ان يتخذوا
عبادي من دوني اولياء عطف على كانت والمعنى ابعد ذلك التعامي والتصام يعتقدون ان
ولايتهم الملائكة وعيسى نافعة لهم وضع المظهر موضع المضمر دلالة على ان منشأ ذلك الحسبان
هو الكفر وقد نسب الى ابي بكر وهي قراءة علي رضي عنه افحسب الذين كفروا بسكون السين والمعنى
اكافيهم ذلك عن لم ينفع دون سائر العقائد وعلى هذا ان مع ما في حيزه فاعل النعت
انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا طعام يهيأ للنزيل اذا نزل بحكم واشارة الى ان بعده عذاب
يستحقر هذا دونه وعن الزجاج هو المنزل والمأوى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا تمييز
جمع للدلالة على الانواع وان كل نوع كاف لزيادة خسرانهم وقد روى البخاري عن مصعب
بن الزبير قال سألت ابي عنهم اهم الحرورية قال لا هم اليهود والنصارى الذين ضل سعيهم في
الحيوة الدنيا ضاع وبطل خبر مبتدأ محذوف لانه جواب سؤال او نعت للاخسرين او بدل
اولئك وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا باتعاب انفسهم في انواع العبادات مع فوات شرائطها
اولئك الذين كفروا بآيات ربهم بالقرآن وما فيه من دلائل التوحيد والنبوة مستأنف
جار مجرى التعليل ولقائه لعدم اعتقادهم بالبعث فحبطت اعمالهم سقطت ولم يعتد بها
فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا جزاء العمل اذ ليس لسيئاتهم ما يقابل بخلاف الموحد وعن ابن
عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يؤتى برجل من امتي فينشر له تسعة
وتسعون سجلا كل سجل مثل مد بصره ثم يقول الله هل ظلمك الحفظة فيقول لا يا رب فيقول
هل لك عذر فيقول لا يا رب فيقول ان لك عندنا امانة فتخرج له بطاقة فيها اشهد ان لا
اله الا الله فيقول احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فتوضع السجلات
في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات فلا تثقل مع اسم الله شيء او هو كناية عن الازدراء

من الازدراء بهم يقال ليس لفلان عند الملك وزن اي مقدار وعن ابي هريرة رضي الله عنه
انه ليأتي الرجل العظيم يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة فاقرؤوا ان شئتم فلا نقيم
لهم يوم القيمة وزنا ذلك اي الامر ذلك جزاؤهم جهنم مبتدأ وخبر او ذلك مبتدأ
وجزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان او ذلك مبتدأ والجملة خبر والعائد محذوف اي به او له
بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا مهزوا بهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت
لهم جنات الفردوس نزلا هو اوسط الجنة روى مسلم والبخاري عن رسول الله قال اذا
سألتم الله الجنة فسلوه الفردوس فانه اوسط الجنة ومنه تنفجر انهار الجنة وهو حكمة
وربية خالدين فيها حال مقدرة لا يبغون عنها حولا لانقطاع الاماني فلا مطلب بعد
قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي المداد اسم لكل ما يمد به والمراد هنا ما يمد به الدواة
لنفد البحر جنس البحر بحيث لم يبق منه شيء قبل ان تنفد كلمات ربي لا تنفد ابدا الا ان
مثال تعالى محققا او مقدرا على ما يتوهم من معنى القبلية وانما عدل اليه في المنزل
المزاوجة ولان نفاد الكلمات عند العقول العامية يتقدم دون نفادها وقرأ حمزة والكسائي
ينفد بالتذكير والتأنيث هو المختار لعدم الفصل ولو جئنا بمثله مددا عونا اذ لا
نسبة للمتناهي لغير متناهي قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لا ادعي الا
بدلا دفع للغيم لما اطال جواب السؤال الذي هو سبب نزول السورة فمن كان يرجو
لقاء ربه رؤيته او ثواب الطاعة عند العرض فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه
احدا لا يرائي به روى البخاري وابن ماجه واحمد بن حنبل ان رسول الله قال اذا جمع الله الناس
يوم القيمة نادى مناد من كان اشرك في عمله لله فليطلب ثوابه من عند غير الله فان الله اغنى
الشركاء عن الشرك واما اذا اعجبه اطلاع الناس من غير رياء فلا عليه لما روى مسلم عن ابي ذر انه قيل يا رسول الله
ارأيت الرجل يعمل الخير ويحمده الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المؤمن تمت والحمد لله كما
امتنا الله والصلوة على محمد وصحبه والدعاء بالفلاح سره والده سورة مريم مكية الا آية
السجدة وهي ثمان او تسع وتسعون آية بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص اسم السورة او حروف
التهجي ابتداء وتقريعا وامال ابن عامر وابو بكر وحمزة والكسائي الياء من هذه الحروف والسوسي
في وجه وامال ابو عمرو وابو بكر والكسائي الهاء وامال نافع الفهما بين بين امالة لان
هذه الحروف اسماء واصل الفها الياء بدليل الانقلاب في التثنية ذكر رحمة ربك خبر
مبتدأ محذوف اي فيما يتلى عليك او خبر ما قبله ان جعل اسم السورة عبده مفعول الرحمة
او الذكر على ان الرحمة فاعله على الاتساع مثل ذكرني جود زيد زكريا بدل او عطف بيان
قرأ حمزة والكسائي وحفص بحذف الهمزة مقصورا وهو لغة اذ نادى ربه نداء خفيا لان
الخفاء والجهر عند الله سيان ولانه يشعر بالضعف المناسب للاجابة ولانه ادخل في الاخلاص
او لئلا يلام على طلب الولد في ابان الكبر او لانه خاف من مواليه الذين خافهم من ورائه
فان قلت النداء رفع الصوت فكيف يستقيم فيه الخفاء قلت النداء ممدود مطلق

الصوت والذي هو مقيد برفعه مخصوص وقيل نادى وسنه خمس وستون وقيل خمس وسبعون
وقيل خمس وثمانون قال رب اني وهن العظم مني خصه بالذكر لانه عمود البدن واشد
ما يركب منه الجسد فاذا وهن كان ما سواه اوهن وافرده لان الغرض ان هذا الجنس
وشدته تطرق اليه الوهن ولو جمعه لكان المعنى ان الوهن قد اصاب كل فرد منه لا بعضها
وليس هو بصدد بيان ذلك لانه قصد الاستغراق وهو في المفرد اشمل فانه مع كونه ليس
بعرض غير مسلم في العرف واشتعل الرأس شيبا شبه انتشار الشيب في الرأس بالاشتعال
النار في الحطب والجامع التشوف والظهور ثم اخرجه في صورة الاستعارة مبالغة والقرينة
اسناد الاشتعال الى الرأس او شبه الشيب بالنار والوجه الانبساط فالاستعارة
مكنية والاشتعال تخييل وانما اطنب لان مقام اظهار العجز يقتضيه ولولا ذلك لكفى
ان يقول رب شخت ولم اكن بدعائك رب شقيا فطمع فيما اسلف وطلب الولد من مثلي
وان لم يكن معتادا ومتعارفا ولكن جودك واجابتك دعوتي متعارف مستمر وقف
سائل على كريم فقال له من انت قال انا الذي احسنت اليه وقت كذا قال مرحبا بمن توسل
بنا الينا وإني خفت الموالي من ورائي بنو عمه كانوا اشرار بني اسرائيل ان لا يحسنوا
بعده والجار يتعلق بمعنى الولاية في الموالي لا بخفت لفساد المعنى وكانت امرأتي عاقرا
فيما مضى لا تلد فهب لي من لدنك من كمال قدرتك التي تخترع بها الاشياء وان لم يكن
حصول الولد من العاقر والشيخ متعارفا وليا ولدا من صلبي لقوله من لدنك ذرية
طيبة يرثني ويرث من آل يعقوب وقرأ حمزة ابو عمرو والكسائي بالجزم على الجواب
الامر الرفع على الوصف لموت زكريا قبل يحيى على الاكثر او على التقييد بطلبه كما في قوله صلى الله
عليه وسلم كل ذلك لم يكن في جواب ذي اليدين اقصرت ام نسيت مع انه كان ناسيا والحمل
على الاستئناف علة للسؤال لعدم دخله في المسؤول بعيد والوراثة النبوة والعلم لا المال
لقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء لا نورث ويعقوب هو اسرائيل بن اسحق اراد
بالارث من الله الملك او العلم والنبوة ويكون من للتبعيض لان اليه ينتموا كلهم انبياء و
لا علما، وقيل يعقوب بن ماثان اخو زكريا وقيل يعقوب وعمران ابو مريم اخوان
من نسل سليمان واجعله رب رضيا مرضيا عندك او راضيا بقضائك وقدرك يا زكريا
انا نبشرك بغلام اسمه يحيى سماه الله باسم غريب من عنده تشريفا له والبشارة على لسان الملائكة
لقوله فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك لم نجعل له من قبل سميا
لم يسم قبله احد بهذا الاسم وكذلك رسول الله لم يسم احد قبله بمحمد وقيل لم نجعل له من قبل
شبيها كقوله هل تعلم له سميا قال رب انى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت
من الكبر عتيا استبعد عادة وان كان موقنا بان الله قادر على ذلك او الاستبعاد ليس راجعا
اليه بل الى عجزه فاذا اجيب بما اجيب ازداد المؤمنون ايمانا والمبطلون ارتداعا وعن الحسن
ليس هناك استبعاد بل انما سأل كيفية الحصول اهو على تلك الحالة او بعد عود الشباب ثم بين قوله

يؤيده قوله واصلحنا له زوجه والعتي نهاية السن من عتا الشيخ اذا كبر وولى واصله عتوو
كقعود فاستثقلوا توالي الضمتين فكسروا التاء فقلبت الواو الاولى ياء لكسرة ما قبلها
فاجتمعت الواو والياء وسبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء
وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر العين على الاتباع وهو اخف والمختار لانها في عصيهم
قال كذلك اي الامر على ما ذكرت قال ربك هو علي هين وان كان مستبعدا عادة ويجوز
ان يكون الكاف في محل النصب مفعول قال الثاني وهو مع قوله مفعول الاول وقوله هو
علي هين مفسر لما اشير اليه بذلك والخطاب لزكريا لقوله وقد خلقتك من قبل ولم تك
شيئا قط او شيئا يعتد به كقول ابي الطيب شعر اذا راى غير شيء ظنه رجلا وهذا مجاز
شائع فلا يدل على كون المعدوم ليس بشيء وقرأ حمزة والكسائي خلقناك قال رب اجعل
لي آية علامة تدل على وقوع المبشر به ليستمر على القيام بشكره قال آيتك الا تكلم الناس
ثلاث ليال سويا مع ايامها لقوله في آل عمران ثلاث ايام سويا ليس بك آفة من خرس سأل الآية
ليقوم بالشكر فسلبت قدرة الكلام مع الناس لا ذكر يعني بذكر الله فخرج على قومه
من المحراب من مصلاه حين اعتقل لسانه فاوحى اليهم اشار اليهم لقوله الا رمزا وعن ابن
عباس كتب على الارض ان سبحوا بكرة وعشيا صلوا او نزهوا في الوقتين كانهم امروا
ان يوافقوه في العبادة ان مفسرة لان الوحي فيه معنى القول يا يحيى خذ الكتاب بقوة
قلنا له بعد ولادته وبلوغه حد الفهم والكتاب هو التورية وآتيناه الحكم صبيا
العلم والعقل وفي الحديث الفهم حكم قيل دعاه الصبيان الى اللعب فقال ما للعب خلقنا
او النبوة احكم الله عقله وارسله الى الناس وحنانا من لدنا رحمة وبركة على الناس
يتمسكون بما رأى ورقة بن نوفل قال لا تعذب قال والله لئن قتلتموه لاتخذنه حنانا
اراد اتخاذه متبركا مزارا وزكوة صدقة على ابويه او زكوة ابيه الناس ويطهرون من
الذنوب او جعلناه زكيا طاهرا من قبيل رجل عدل روى ابن جرير واحمد بن حنبل عن ابن
عباس ما من احد الا وعمل سيئة او هم بها الا يحيى بن زكريا وكان تقيا شديد التقى
وبرا بوالديه شديد البر بهما ولم يكن جبارا عصيا عاليا يجبر الناس على مراده في
ضربهم قاتلا ما ضمنا مبالغة في وصفه واشار عصيا على عاصيا مع كونه اوفق مراعاة
لرؤس الآي وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا ثناء عليه واخبار
بان خاتمته على اوفق فطرته التي يولد عليها كل مولود وعن ابن عيينة خصها بالذكر لانها
اوحش المواطن واذكر في الكتاب مريم ابنة عمران اذ انتبذت اعتزلت
بنفسها من النبذ وهو الطرح وانما اتبع قصة زكريا بقصتها لانها اغرب من اهلها
مكانا شرقيا شرقي بيت المقدس او شرقي دارها وعن ابن عباس لذلك اتخذت النصارى المشرق
قبلة فاتخذت من دونهم حجابا حائطا او نحوه كان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت
الى بيت خالتها فاذا طهرت عادت الى المسجد فارسلنا اليها روحنا جبريل لانه الروح

الذي هو سبب الحيوة الأبدية فتمثل لها بشرا سويا تام الخلق قيل جاءها في صورة امرد وضيء
الوجه جعد الشعر اذ لو بدا لها في صورته لم تقدر على سماع كلامه وقيل لتتحرك شهوتها
فتنحدر الى الرحم قالت اني اعوذ بالرحمن منك آثرت اسم الرحمن وله موقع لا يخفى ان كنت
تقيا فان التقوى هي الملاك وفي مثل ذلك المقام واشارات لبعد الرجاء مع الغرض والدخول
عليها في خلوة بعيدة عن الناس من غير اذن قال انما انا رسول ربك الذي استعذت به
لاهب لك غلاما جئت لاكون سببا في هبة الغلام بالنفخ في الدرع وقرأ ابو عمرو وورش
ليهب لك بالياء مسندا الى المضاف وعليه رسم المصاحف فان قلت قد ذكر في آل عمران ان
الملئكة بشروها بغلام اسمه المسيح وهنا ذكر ان المباشر لذلك هو جبريل وحده قلت كلام
الملئكة والبشارة به مع ذكره باسمه ولقبه انما كان بعد قصة جبرائيل ولذلك اقتصرت
على الاستبعاد ولم تستوعب الكلام بذكر البعث وما جرى بينها وبين القوم عن المحاورة زكيا
طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير والصلاح قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر بل
النكاح فان السفاح لا يكنى عنه ولذلك اردفته بقولها ولم اك بغيا فعول اذ لو كان
فعيلا لقيل بغية وحمله على المبالغة تشبيها بفعول او على النسب كطالق وحائض تكلف
قال كذلك قال ربك هو علي هين قد سبق تفسيره ولنجعله آية للناس معلل لمحذوف اي
فعلنا ذلك وهو مع العلة معطوف على قوله وهو علي هين وفي ايثار الاولى اسمية دلالة
على لزوم الهون ازالة للاستبعاد وقيل او عطف على مضمر اي لنبين به قدرتنا ولنجعله
آية وفيه تطويل بلا طائل ورحمة منا على العباد بارساله وكان امرا مقضيا لا محالة
لسبق العلم به او حقيقا بان يكون لكونه آية من آيات الله فهو من تتمة العلة فحملته بان
نفخ في الدرع لقوله فنفخنا فيه من روحنا فانتبذت به حاملة به كقوله تدوس بنا الجماجم
والتربا مكانا قصيا بعيدا من اهلها قيل كان لها ابن عم يسمى يوسف وقد سمت له
فلما ظهر الحمل عليها هرب بها فلما كان ببعض الطريق حدثته نفسه بقتلها فاتاه جبرئيل
فقال انه من روح القدس اياك ان تفعل فانثنى عزمه فاجاءها المخاض الى جذع النخلة
فالجاءها وضع الولادة قال الفراء اصله المجيء وقد جعلته العرب الجاء قال زهير شعر وجار
سار معتمدا اليكم اجاءه المخافة والرجاء والجذع ما بين العرق والغصن واللام للجنس
او العهد اذ لم يكن هناك غيرها قيل كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة فاخضرت
واثمرت رطبا وهو خرسة النفساء وشان النخل ان لا يثمر بدون التلقيح وكان الوقت شتاء
حتى اذا ارادوا ذلك ارتدعوا عن اتهامها وايقنوا بان شانها في الولادة من غير زوج شان
النخلة من غير تلقيح في غير اوان الثمر قالت يا ليتني مت قبل هذا حياء من الناس او كراهة
لحكم الله قرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر مت بضم الميم من مات يموت وهو المختار
الاكثر وكنت نسيا منسيا شيئا حقيرا شانه ان ينسى وقيل معتد ونسي به وقرأ حمزة وحفص
بفتح النون قال الفراء هما لغتان وتعلم العرب على الكسر منسيا لحقارته لا يخطر بالبال

بالبال فناديها من تحتها من تحت ثياب مريم عيسى او جبرائيل فانه كان بمثابة القابلة
لها او من مكان اسفل منها وعن قتادة الضمير للنخلة وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص
بكسر الميم وحفض تحتها وفي ناديها ضمير عيسى او جبرائيل والفتح هو المختار لخفته واطنابه
عن الاضمار الا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا نفيسا شريفا هو عيسى من سرو الرجل
ساد وفي حديث ام زرع تزوجت سريا او سيحا او جدول ماء يؤيده قوله وهزي
اليك بجذع النخلة امثله الباء والباء اصلية للتوكيد او على معنى افعلي الهز كقوله يخرج في
عراقيبها نصل تساقط عليك تتساقط ادغمت التاء في السين وقرأ حمزة بحذف التاء
رطبا تمييز على الوجهين وقرأ حفص تساقط مضارع ساقط ويعقوب ونصب رطبا مفعولا
والتشديد بالغ جنيا طريا مجنيا من الشجر قيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض خير من
العسل وقيل اذا عسر الولاد لم يكن لذات الطلق خير من الرطب فكلي من الرطب واشربي
من السري او من عصير الرطب وقري عينا طيبي نفسا بما يسر الله من الاكل والشرب اشتقاقه من القر
وهو البرد فان العين تدمع باردا عند غاية السرور ومنه قرة عين فاما ترين من
البشر احدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما صمتا او نذرت صوما فلن اكلم اليوم انسيا
وكان الكلام حراما على الصائم اخبرتهم بالاشارة لقوله فاشارت اليه وفيه البشر لا يخص
الملائكة فاتت به قومها بعد ما طهرت من النفاس تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا
بديعا منكرا اصل الفري القطع كانها اخترعته من عندها يا اخت هرون اراد واخاها
موسى لانها كانت من اعقاب من كان في طبقته وكان بينهما الف سنة وعن السدي انها
كانت من اعقاب هارون وقولهم يا اخت كقولهم يا اخا العرب اي واحدا منهم وقيل كان في
زمانها رجل صالح يسمى هارون شبهوها به اما حقيقة او تهكما وقيل كان رجلا فاجرا ما كان
ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا من اين سرى اليك هذا الفعل اشارة الى ان ارتكاب
المعاصي من اولاد الصالحين افحش فاشارت اليه اي اطلبوا الجواب منه فقالوا لسخريتها بنا
اشد علينا من زناها قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا كان صلة من اي كيف نكلم الذي
كان بالامس صبيا ولم يزل عنه الصبا او صفة ما كلمنا موصوفا بالصباحين تكلم هذا او
العدول الى المضارع لتصوير الاستمرار او زائدة او بمعنى صار وعلى الوجوه كيف للتعجب قال
اني عبد الله آتاني الكتاب استنطقه زكريا وقيل كان يرتضع فلما سمع مقالتهم اتكى على
يساره ورفع اصبعه وكان اول ما تكلم به الاقرار بالعبودية تكذيبا لمن يدعي فيه الالوهية
والكتاب هو الانجيل قيل استنباه الله في الصبا مثل يحيى وقيل هو باعتبار المآل وجعلني نبيا
وجعلني مباركا واي بركة اعظم من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى اعاد الفعل الدال
على كمال الصفتين حيث استقل كل واحد بجعل اينما كنت حيث ما كنت واكون وايثار الماضي
دلالة على تحقق الوقوع واوصاني بالصلوة والزكوة زكوة المال او طهارة النفس عن
الرذائل وايثار الايصاء على الامر للدلالة على اللزوم حتما ما دمت حيا دوام حيوتي وبرا

بوالدتي عطف على مباركا وتوسيط الامر بالصلوة والزكاة للاهتمام ولم يجعلني جبارا
متكبرا شقيا عنده والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا الاوم في يحيى
تعريضا باللعن على اعدائه كقوله والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض بان العذاب على من كذب
وتولى وجعله للعهد لتقدم سلام يحيى غير سديد لان ذلك السلام لا يكون لعيسى روي
ان ابي هريرة عن قتادة عن الحسن ان عيسى ويحيى التقيا فقال عيسى ليحيى استغفر لي فقال انت خير
مني استغفر لي كيف اكون خيرا منك وسلم الله عليك وسلمت على نفسي وجعله من قبيل هذا
الذي رزقنا من قبل يرده انقطاع هذا الكلام عن ذلك واستقلال القصة ذلك عيسى ابن
مريم مبتداء وخبر المعنى بالعبودية الموصوف بصفات المخلوقين من الحمل والولادة لا ما
يصفه النصارى بصفات الالوهية ولا ما يصفه اليهود ولد من غير رشدة قول الحق
كلمة الله خبر بعد خبر او بدل او خبر مبتدا محذوف وقراء ابن عامر وعاصم بالنصب
على انه مصدر مؤكد اي قلت لكم في شانه قول الصدق او على المدح والحق هو الله والرفع
ابلغ مع سلامته من الحذف الذي فيه يمترون يشكون او يجادلون اي اليهود والنصارى
ما كان لله ان يتخذ من ولد استيناف لتكذيب النصارى سبحانه نصب بفعل لازم الحذف
اذا قضى امرا تعلقت ارادته به فانما يقول له كن فيكون ومن هذا شانه منزه عن الولد
وامثاله الحكون عيسى بكلمة كن بالحقيقة لان سنة الله جرت بان ايجاد الاشياء
يكون مسبوقا بها او لما كان يكون الاشياء لازما لتعلق ارادته بها شبه ذلك بامر
الامر المطاع اذا ورد على المامور الممتثل وان الله ربي وربكم قراء الكوفيون وابن عامر
بكسر ان على الاستيناف وعطفا على اني عبد الله والباقون بالفتح عطفا على الصلوة او لان
الله ربي وربكم فاعبدوه والكسر ابلغ هذا صراط مستقيم لا زيغ فيه فاختلف الاحزاب
من بينهم الذين عادتهم التحزب على الانبياء وهم اليهود الذين لم يعبدوه وارادوا
قتله او الذين تحزبوا بعد رفع عيسى وهم الفرق الثلث من النصارى نسطورية قالوا هو ابن الله
ويعقوبية قالوا هو الله وملكانية قالوا هو عبد الله ورسوله وهؤلاء انما كفروا بانكار
نبوة محمد فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم من الشهود مصدرا او زمان او مكان
والمعنى من شهود الحساب وهوله فالاضافة بمعنى في على الاتساع او مكان الشهود فيه او
هو الموقف فالاضافة للملابسة او وقت الشهود فالاضافة بمعنى في او من الشهادة
مصدرا او زمان او مكان والمعنى من شهادة الانبياء والسنتهم وايديهم وارجلهم عليهم
بالمعاصي او من وقت الشهادة او من مكانها والاضافة على التفصيل اسمع بهم وابصر ما
اسمعهم في ذلك اليوم وابصرهم بعد ما كانوا في الدنيا صما عميا او المعنى شانهم حقيق
بان يتعجب منه المتعجبون تعجبوا او لا وقيل لا تعجب بل خطاب له بان يسمعهم مواعيد ذلك
اليوم ويبصرهم والجار والمجرور محذوف من الثاني لدلالة الاول عليه وعن ابن مالك انه
مستتر فيه وانما يستقيم عند من يجعل المجرور فاعلا وهو مذهب سيبويه واما اذا جعل

اذا جعل مفعولا او جعل الخطاب امرا فله وجه له يوم ياتوننا يوم القيمة لكن الظالمون
اليوم في ضلال مبين الكاملون في الظلم مستغرقون في الضلال المبين باغفال النظر و
انذرهم يوم الحسرة لعلهم يتفكرون فيه عن ابي سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوتى بالموت في صورة كبش املح فينادي مناد يا اهل الجنة فيشرابون فينظرون فيقول
لهم هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا هو الموت وكلهم قد عرفه ثم ينادي يا اهل النار
فيشرابون فينظرون فيقول لهم هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا هو الموت وكلهم
قد راوه فيذبح بين الجنة والنار ثم يقول يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل
النار خلود فلا موت ثم قرء رسول الله وانذرهم اذ قضي الامر بدل من يوم او ظرف
الحسرة وهم في غفلة عطف على الظالمون في ضلال او حال من الضمير في الظرف
وانذرهم اعتراض يؤكد ما هم فيه من الضلال او متعلق بانذرهم اي انذرهم
غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنا معنى التعليل ولا يرد انما تنذر من يخشاها
لان ذلك بالنظر الى النفع كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وهذا بالنظر الى التنبيه بقوله
لتنذر قوما ما انذر اباؤهم وهم لا يؤمنون انا نحن نرث الارض ومن عليها في
ذلك اليوم لا املاك ولا املاك لاحد لمن الملك اليوم والينا يرجعون للجزاء واذكر
في الكتاب ابرهيم فلبوة الموحدين تبكيتا لمن يدعي الانتساب اليه من اليهود والنصارى
والمشركين والذاكر وان كان هو الله الا انه اسند اليه لانه المبلغ عنه والناطق
باوامره ونواهيه او الذكر بمعنى التلاوة انه كان صديقا بليغ الصدق ولانه صدق
بكتب الله ورسله ومن كان كثير التصديق كان كثير الصدق في تصديقه فيفيد المبالغة
كما وكيفا نبيا مخبرا عن الله من باب الترقي لان النبوة اعلى فذكر الصديق تمهيد لها اذ قال
بدل من ابراهيم وما بينهما اعتراض او متعلق بكان اي كان جامعا بين الوصفين وقت
دعوة ابيه او بصديقا وهو وجه حسن لذلالته على كمال صدقه في نصحه لابيه يا ابت
هذه تاء التانيث لحق المنادى عوضا عن المضاف اليه ووقف عليها ابن كثير وابن عامر
بالهاء على ما هو الاصل في تاء التانيث والباقون بالتاء مراعاة للرسم لم تعبد ما لا
يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا لم يصرح بخطاء مع كونه موفقا به سلوكا للطريقة
الادب وامتثالا لقوله وصاحبهما في الدنيا معروفا وابلسالة سوال المتنبه على تماديه
في الغي وافراطه فيه وتناهيه مشيرا الى ان المعبود لو كان سميعا بصيرا نافعا ضارا
الا انه يكون مخلوقا كسائر المخلوقات لا يستحق العبادة لانها غاية الخضوع فلا يستاهل
لها الا من له غاية الكبرياء ونهاية العلو والسناء فكيف بجماد لا شعور له بعبادة من يعبد
فضلا عن الثواب او دفع العقاب ثم دعاه الى الحق مترفقا به متلطفا يا ابت اني قد جاءني
من العلم ما لم ياتك فاتبعني اهدك صراطا سويا لم يسم جاهلا ولا وصف نفسه بالعلم
الفائق بل ان عنده شيئا من العلم وذلك علم الدلالة على الطريق السوي وكانه قال هب انى

وا بانه في مسير له مقصد ولي علم طريقه فلا يستنكف عن اتباع الدليل فانه امر متعارف لتعارف
ذلك دأب الملوك في قطع العقبات والمفاوز يقيدون بالادلاء ولا يرون ان ذلك يعود
عليهم بنقص يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا ومن كان عصيا لله
حقيق بالمعادات فلا تتخذ من كان عدوا لله صديقا واقتصر على كونه عدوا لله دون
آدم لاستلزامه اباه وقيل لترقيه في الديانة يا أبت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن
فتكون للشيطان وليا لم يجزم بلحوق العذاب بل ذكر خوفه والمس الدال على القلة مع تنكير
العذاب المؤذن بيسير منه مع استحقاقه اشد العذاب لو استمر على الكفر جريا على سنن
الادب على السنن السابق وآثر ذكر الرحمن لتقدمه اولان ذلك ايضا مشعر بقلته لدلالته
على فرط الرحمة وسبقها الغضب وما قيل ان تنكير العذاب للتعظيم وايثار لفظ الرحمن
للمبالغة في ذلك على ما يقولون نعوذ بالله من غضب الحليم فمما يأباه المقام وانما ذكر و
لاية الشيطان بعد العذاب لانها اشد كما ان رضوان الله من الجنة اكبر قال أراغب
أنت عن آلهتي يا ابرهيم ناداه باسمه ولم يقابل قوله يا أبت بيا بني والاستفهام للتعجب
قيل قدم الخبر لكونه اهم عنده والاولى جعله مبتدأ وانت فاعل ساد مسد الخبر لئلا يقع
الفصل بين راغب ومعموله بالاجنبي لئن لم تنته لأرجمنك بالشتم والقعي ومنه الرجيم
للشيطان اولاقتلنك ترجمه بالحجارة واهجرني عطف على مقدر دل عليه لأرجمنك
مليا دهرا طويلا من الملاوة او سالما من تمليت عمرا اي استمتعت به قال سلام عليك
متاركة للجاهل بالحسنى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما سأستغفر لك ربي بالتوفيق
للتوبة اولم يكن له علم بان الله لا يغفر لمن اشرك به ومنه قول عيسى عليه السلام وان تغفر
لهم فانك انت العزيز الحكيم وهو الوجه لان نهي عن الاقتداء به وبين ان ذلك كان لموعدة
وعدها اياه والا فالاستغفار بالتوفيق للايمان لا انكار فيه انه كان بي حفيا بالغا في البر
من الحفاوة وهي المبالغة والاستقصاء في الشيء ومنه في الحديث امران يحي الشارب واعتزلكم
وما تدعون من دون الله بالمهاجرة الى الارض المقدسة كان بارض بابل وادعوا ربي
خاصة ولا اشرك به عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا اي بعبادته فان الدعاء مخ العبا
وفي ايثار عسى اشارة الى ان العبادة امارة النجاة لا جزم بها وفيه هضم النفس فلما
اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب عاش حتى رآه ولم يكن مظنة
الولد لكونه شيخا وزوجة عجوزا ولذلك لم يذكر اسمعيل وقيل ذكر اسمعيل منفردا ايضا
الى فضله وكلا جعلنا نبيا كلا من الولد والحافد لما هاجر في الله ابدله من الكفار الاعداء
اولاد الانبياء ووهبنا لهم من رحمتنا بعضها وهي النبوة وقيل الاولاد والاموال و
جعلنا لهم لسان صدق ثناء حسنا فان اللسان مظهره كاطلاق اليد على النعمة لذلك
عليا دائما الى آخر الدهر في الصلوات على ما ورد في التشهد وعاما في جميع الملل فانهم بين
من محق ومبطل الا وهو يدعي انه من حزبه واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا موحدا في

عبادته وقرأ الكوفيون بفتح اللام اي مختارا وهو المختار لكون الاول موقوفا عليه وكان رسولا
نبيا بشر ارسل بالنبوة وناديناه من جانب الطور الايمن من اليمن والبركة او كان
عن يمين وقربناه نجيا رتبة وشرفا كما يقال فلان مقرب الملك وقيل رفع فوق السموات
ولا تتعب لان السبعين سمعوا كلام الله معه في الطور ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون
نبيا شددنا به ازره وجعلناه مؤيدا بالمعجزة ردءا يصدقه واذكر في الكتاب اسمعيل
انه كان صادق الوعد عن ابن عباس رضي الله عنه واعد صاحبا له في مكان فاخلف
صاحبه الوعد فانتظره سنة ولانه صبر على الذبح بعد الوعد به ووصف بما غلب عليه
والا فالانبياء كلهم مشتركون في صدق الوعد وكان رسولا نبيا وفيه دلالة على
ان الرسول لا يلزم ان يكون صاحب كتاب او شريعة مستقلة وانما قدم الرسول لان
الانباء عن الله موقوف على الرسالة منه او ليوافق رؤس الآي وكان يأمر اهله بالصلوة
والزكوة امته لانهم اهل دينه وقيل اهل بيته خاصة كقوله وانذر عشيرتك الاقربين
فانهم اولى بالبر والاحسان ولانهم اذا اصلحوا اقتدى بهم غيرهم وكان عند ربه مرضيا
لاتيانه من الافعال بما يرضيه واذكر في الكتاب ادريس اسمه اخنوخ قيل لقب له لكثرة
درسه ويرده انه عجمي ولذلك منع من الصرف الا ان يكون من توافق اللغتين انه كان
صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا رآه رسول الله في السماء الرابعة او في السماء الس
او رفعناه بالنبوة ومما يلفقه الوعاظ من انه اخا ملك الموت ومات ودخل الجنة
كذب مختلق لان اول من يدخل الجنة رسول الله وامته قيل انه اول من خط بالقلم وخاط
الثياب وكان قبله يلبس الجلود وانزل الله عليه ثلثين صحيفة اولئك الموصوفون
الذين انعم الله عليهم بانواع النعم الدينية والدنيوية من النبيين بيان للموصول من ذرية
آدم بدل باعادة الجار او من تبعيضية لان ذريته اعم من الانبياء والكل داخلون في
المنعم عليهم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية من حملنا مع نوح ومن ذرية ابرهيم و
اسرائيل يعقوب وقد دخل عيسى في الذرية لان مريم من ذرية اسرائيل ولزم منه ان يكون
اولاد فاطمة ذرية رسول الله وانما ذكر انسابهم دلالة على انهم حازوا فضيلة الحسب
والنسب لان من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه وممن هدينا واجتبينا زيادة مدح
لهم كما تقول زيد من اولاد الامراء وهو من الصالحين اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خبر
اولئك ان جعل الذين وصفا وان جعل خبرا فاستيناف لبيان اخباتهم وخضوعهم
لله تعالى مع علو طبقاتهم بحيازتهم شرف الحسب الفاخر والنسب الزاهر خروا سجدا حال
مقدرة لان الخرور قبل السجود وبكيا في الحديث اذا تلوتم القرآن فابكوا فان لم تجدوا
البكاء فتباكوا فخلف من بعدهم خلف خلفه اي عقبه والخلف والخلف صفة منه الا
انه بالتحريك يستعمل في الخير وبالتسكين في الشر والمراد بنو اسرائيل من اليهود والنصارى
او اعم فيشمل المشركين من بني اسماعيل اضاعوا الصلوة اما بالترك او بالتأخير عن الوقت

او ينقص شيئا من ابعاضها واتبعوا الشهوات عن ابن عباس هم اليهود والنصارى تركوا الصلوة
المفروضة وشربوا الخمور واستحلوا نكاح الاخت من الاب وعن علي رضي الله عنه بنوا المشيد و
ركبوا المنظور ولبسوا المشهور فسوف يلقون غيا كل شر عند العرب غي قال المرقش فمن يلق
خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما او عن الزجاج جزاء غي كقوله يلق اثاما
وقيل هو واد في جهنم يستعيذ منه اوديتها وعن قتادة هو في هذه الامة الا من تاب
وامن وعمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة قرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر بضم الياء
وفتح الخاء من الادخال وهو ادخل في الاكرام واوفق لقوله وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات
ولا يظلمون شيئا اونحوه لان الايمان والتوبة يجبان ما قبلهما جنات عدن بدل
بعض من الجنة لانها يشتمل على جنات ثمانية على ما روى ابن عباس وعدن علم لمعنى الاقامة
كامس وسحر للوقتين ولولا ذلك لم يقع جنات بدلا لان النكرة لا تبدل عن المعرفة ولم
يوصف بالموصول التي وعد الرحمن عباده بالغيب غايبة عنهم او هم غايبون عنها او الباء
للملابسة والحال عن الضمير المحذوف من الصلة او عن عباده او بايمانهم بالغيب فالباء
للسببية والغيب بمعنى الغايب انه اي الله او الشان كان وعده مأتيا اتيا فان كل شيء
اتيته فقد اتاك او الوعد بمعنى الموعود وهو الجنة فالماتي على ظاهره لا يسمعون فيها لغوا
فضولا من الكلام وما حقه ان يلغى ويطرح الا سلاما استثناء منقطع اي لكن يعد السلام
لغوا كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول او لكن يسمعون قولا يسلمون فيه من العيب
والنقيصة فمنقطع وعن المبرد السلام دعاء بالسلامة اريد به الاكرام لفشوه فيه لان الدار
في دار السلام بالسلامة لا معنى له ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا طرفي النهار على ما هو
داب الافاضل توسطا بين الزهادة والرغابة او اريد دوامه ودروره تقول انا عند فلان
صباحا ومساء تريد اتصال الصحبة تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا نبقيها
من الشرك لقوله ويغفر ما دون ذلك ومن قال لا اله الا الله دخل الجنة عبر عن الادخال بالايراث
لان الارث ملك لازم لا يمكن رده وقيل لان الجنة جزاء الاعمال الفانية فكانها ارث
وقيل لانهم يرثون من الكفار منازلهم المعدة لهم لو امنوا وما نتنزل الا بامر ربك
له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا تاركا لك كما زعمت
الكفرة روى البخاري عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبرائيل لولا تزورنا
اكثر مما تزورنا فنزلت وقيل نزلت لما تاخر ذكر المشية حين سألوا عن الروح وذي
القرنين واصحاب الكهف وابطاء عليه الجواب وقال المشركون ودعه ربه وقلاه
رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته تسلية له عما نسب
اليه وان نجي جبرائيل ليس بارادته بل عبد مامور منقاد لامر ربك فعليك بعبادته ثم
اصطبر على اذا استعمله وفي ايثار الرب على سائر الاسماء الحسنى اشارة الى ان ذلك الا
تربية له وتكميل وتحته فوايد هل تعلم له سميا شبيها يعدل الى عبادته او متوجه

ومتوجه اليه وقيل لا شريك له في الاسم فان لفظة الجلالة لم يطلق الا على ذاته المقدسة
وكانه انعكس اليه اشعة التوحيد فكلت اعين المشركين عن الحوم حوله ويقول الانسان
اللام للعهد وهو العاص بن وائل او الجنس لوقوع الفعل بينهم كقولهم بنوا فلان قتلوا زيدا
قال الفرزدق فسيف بني عبس وقد ضربوا به نبا بيدي ورقاء عن راس خالد ائذا ما مت
لسوف اخرج حيا من الارض او من الفناء او هو من قولهم خرج فلان في العلم وخرجه
فلان اذا صار فيه ماهرا وهذا انما هو على وجه التهكم والاستهزاء وتقديم الظرف و
ايلاؤه حرف الانكار لان انكار الوقت يستلزم لانكار الحيوة فيه على وجه البرهان و
تعلق الظرف بفعل يدل عليه المذكور لان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبله وهي مجردة
عن معنى الحال للتوكيد ولذلك صح دخولها على حرف الاستقبال كما جردت في يا الله
عن معنى التعريف وقرأ ابن ذكوان في احد الوجهين اذا بالاخبار اولا يذكر الانسان
عطف على يقول توسطت الهمزة بين العاطف والمعطوف عليه الاصل فيهما التقدم عليهما
لان الواو للجمع والمقصود انكاره وان ذلك القول لا يجامع التذكر لان الاعادة اهون
من البدء عرفا وقرأ نافع وابن عامر وعاصم يذكر من الذكر ضد النسيان والتشديد
ابلغ انا خلقناه مفعول على الاول ويقدر الباء على الثاني من قبل ولم يك شيئا بل
كان عدما صرفا فوربك لنحشرنهم اقسم بنفسه على تحقيق البعث بعد اقامة البرهان
توكيد الوقوعه واضافة الى نبيه تشريفا له واثر لفظ الرب اشارة الى ان الحشر
ايضا لايصاله الى كماله المتوقع وهو المقام المحمود والشياطين عطف على الضمير المنصوب
وحمله مفعولا معه ابلغ لما في الحديث انهم يحشرون مقرنين في الاصفاد مع الشياطين
مشاة على وجوههم والضميران كان للكفرة خاصة فالمعنى ظاهر وان كان للانسي عموما
فالمعنى انهم يحشرون والكفرة بينهم مقرنين مع الشياطين يتشفى المؤمنون برؤيتهم
ثم لنحضرنهم حول جهنم الكفار او الناس جميعا ليرى السعداء ما نجاهم الله منه ويشمتوا
باعدائهم فيزدادوا مساءة وحسرة جثيا حال مقدرة من المفعول والمعنى انهم يجاثون
عند موافاة شاطئ جهنم المؤمن والكافر لما يدهمهم من هول المطلع وان كان الضمير للكفرة
خاصة فربما يحشرون جثاة على ركبهم كما كانوا في الموقف لقوله وترى كل امة جاثية و
حمزة والكسائي وحفص جثيا بكسر الجيم على الاتباع اصله جثوو جمع جاث كقعود جمع
قاعد ثم لننزعن من كل شيعة فرقة من المشايعة فان كل واحد منهم يشايع الاخر
ايهم اشد على الرحمن عتيا اي اعصاهم فاعصاهم واعتاهم فاعتاهم الى ان يحاط بهم من
كل شيعة شيعة لان المعنى على استمرار النزع او رؤساء الكفرة وائمتهم فاولى الحاط ولا
استمرار وارتفاع ايهم على الحكاية عند الخليل اي الذين يقال فيهم ايهم اشد وعن سيبويه
معنى الاحتياج الى الصدر صلته المحذوف وعن يونس معلق لكون النزع سببا للتمييز و
التمييز مسبب عن العلم فاجري مجراه والظاهر ما ذهب اليه سيبويه ويجوز جعل من للتبعيض

مفعولا كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا اي بعض كل شيعة وكان قائله قال منهم فيبتل ايهم اشد
عتيا ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا اي بعد نزعهم واجتماعهم نحن اعلم بمراتبهم
ودركاتهم فيقدم الاولى فالاولى ويخلهم من العذاب بقدر اعمالهم وقرا حمزة والكسائي
وحفص بكسر الصاد على الاتباع وهو مصدر صلي النار لازمها وان منكم التفات من
الغيبة الى الخطاب فان المكافحة بالوعيد اشد زجرا وهو ابتداء كلام من غير التفات الى
المذكور سابقا الا واردها حاضرها الورود لغة الحضور قال الله ولما ورد ماء مدين
اذ لا يشك عاقل في ان موسى لم يدخل الماء وقال الله في حق فرعون يقدم قومه يوم القيمة
فاوردهم النار اي احضرهم من غير دخول ولذلك قال للملائكة ادخلوا آل فرعون اشد
العذاب وما روي عن ابن عباس الورود هو الدخول ان صح عنه فالمراد المرور على الصراط
فوق جهنم هذا الذي يجب اعتقاده والا يلزم دخول الانبياء في النار ولا يجري عليه
من في قلبه مثقال ذرة من ايمان فان قلت اذا كان معنى الورود الحضور فاي فائدة في
ذكره وقد قال ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا قلت ان كان الضمير في لنحضرنهم للكفار
خاصة فظاهر وان كان عاما فالمبالغة في الانذار ولذلك غير الاسلوب من الغيبة الى
الخطاب وبالغ في التوكيد بقوله كان على ربك حتما واجبا اوجبه على نفسه مقضيا حكم
في الازل لا يمكن تبديله ثم ننجي الذين اتقوا الشرك ونذر الظالمين الكافرين فيها
جثيا كما كانوا حولها فانها تنهار بهم في النار ويفارقهم المؤمنون الى الجنة واذا تتلى
عليهم آياتنا بينات واضحات المعاني ظاهرات الواجب فيه وفي نظائره الحمل على
الحال المؤكدة لان آيات الله لا تكون الا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا اي
في حقهم او سمعهم مواجهة اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا اي اذا تحجوا ولم
يقدروا بعد التحدي على المعارضة اخذوا في الخرافات التي لا يسالها بالمقام يفتخرون
بما لهم من الزينة والحظوظ الناقصة والندي والنادي موضع الاجتماع ويطلق على
الجماعة المجتمعين ايضا وفي الحديث ما كانوا ليقتلوا عامرا وبني سليم وهم الندي وعن
ابي سعيد الخدري كنا انداء فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم الانداء مجمع الناس
وكم اهلكنا قبلهم من قرن كم مفعول اهلكنا ومن بيان لابهامها وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم
لانهم يتقدمونهم من قرن الشيء وهو اعلاه هم احسن اثاثا ورئيا الاثاث متاع
البيت لا واحد له وقال ابو زيد الاثاث المال والغنم والعبيد والمتاع الواحد اثاثة
وقيل هو ما جد من الفرش والخرثي ما لبس منها وانشد تقادم العهد من ام الوليد بنا
دهرا وصار اثاث البيت خرثيا والرئي حسن المنظر فعل من الرؤية بمعنى المفعول كالطحن
والذبح وقرا قالون وابن ذكوان بالتشديد بابدال الهمزة ياء ساكنة على قياسه
في جميع المشتق فادغم الاول في الثاني او هو من رويت من الماء استعير لحسن المنظر
والتنعم والاول هو المختار لكونه نصا في المطلوب قل من كان في الضلالة فليمدد

له الرحمن مدا لما قصر وانظرهم على الفاني واعتز وابه يمد الله لهم في العمر لئلا يبقى
لهم عذر يوم القيمة حين يقال لهم اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ولحج
الخبر في صورة الامر الدال على الوجوب مبالغة وقطعا للمعذرة ويحتمل ان يكون
دعاء كقوله ربنا ليضلوا او المضي امتثالا بان حتى اذا راوا ما يوعدون من نظر
المؤمنين او العذاب غاية المد وقيل غاية لقول الذين كفروا اي يستمر بهم ذلك
القول والافتخار الى ان يروا ما يوعدون والآيتان اعتراض في البين للايقاظ او
تاكيد الوعيد وحتى هي التي يحكى الجمل بعدها ولذلك وقعت الشرطية بعدها اما
العذاب في الدنيا بالقتل واما الساعة بدل من ما يوعدون فسيعلمون من هو
شر مكانا واضعف جندا اذا عاينوا غلبة المسلمين وقتلوهم شر قتلة او انكشف
الغطاء عند قيام الساعة ايقنوا ان الامر على عكس ما كانوا يقدرونه انهم شر مكانا
واضعف ناصرا لا خير مقاما واحسن نديا وذكر الجند دل على ان المراد بالندي
الجماعة ويحتمل ان يراد به المحل ويقابل به الجند لان حسن النادي باجتماع وجوه
القوم فيه واعيانهم وفي المثل السير في السكان الاول اظهر ويزيد الله الذين
اهتدوا هدى عطف على قوله فليمدد لانه خبر في المعنى كانه قيل من كان في الضلالة
يزيد الله ضلالة ومن يهتدي يزيد الله هداية والاولى عطفه على الشرطية بعد القول ليكون
ذكر المقابل محكيا ايضا اصالة والباقيات الصالحات الايمان وسائر الاعمال الصالحة
خير عند ربك ثوابا مما متع به الكفرة من الحظوظ المخدجة او سمى عقابهم ثوابا
تهكما على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع وخير مردا نفعا مصدر رد نفع
يقال هذا الامر رد له اي انفع او من المرد بمعنى المرجع اي عاقبة واسم التفضيل اما ان
يراد به مطلق الزيادة او هو من قبيل قولهم الصيف احر من الشتاء والمعنى ثواب الاعمال
اكثر من عقاب اولئك ولا يحتاج للتهديد لان الكلام ليس مسوقا له بل لبيان حال اهل
الجنة في مقابلة اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا افرأيت الذي كفر بآياتنا وقال
لاوتين مالا وولدا كانه قال لهم بعد ما قص حال الكفار وعقابهم اخبر بقصة
هذا الكافر فانها العجب وانما العجب كونها على وجه الاستهزاء ولما كانت مشاهدة الاشياء
من اقوى طرق الاحاطة بها علما والاخبار عن الشيء مسوقا بالعلم به استعملوا الرؤية
في الاخبار نزلت في العاص بن وائل قال خباب بن الارت كنت قينا في الجاهلية
وكان لي على العاص بن وائل دين فاتيته اتقاضاه فقال لا اعطيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا اكفر
به حتى يميتك الله ثم تبعث فقال اني لميت ثم مبعوث قلت نعم حتى اموت ثم احيى
فسأوتى ثم مالا وولدا فاقضيك فنزلت وقرأ حمزة والكسائي ولدا بضم الواو وسكون
اللام وهو لغة كالحزن والحزن او جمع كاسد وأسد اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا لا يمكن الوصول
اليه الا بأحد هذين الامرين الاطلاع هو الاشراف على الشيء فكانه زاعم انه

شرف على الشيء مستعمل على علم الغيب المخصوص بعلام الغيوب لفرط وقاحته وقيل العهد
لكلمة الشهادة فانها عهد بين الله وبين عباده كلا ردع له وتنبيه على انه مخطئ فيما
يعتقد سنكتب ما يقول السين لمجرد التاكيد اي فنكتبنا او سنظهر له مقالته يوم
القيمة كقوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة ونمد له من العذاب مدا نطوله ما لا نهاية
له او نزيده عذابا فوق العذاب من المدد ونرثه ما يقول بسبب قوله بان نزوي عنه
ما هو فيه من الاموال والاولاد فضلا عن الزيادة ويأتينا فردا منفردا او نحول بينه
وبين هذا القول فيأتينا رافضا له او نبسط قوله هذا في ديوان الكتبة لنضرب به
وجهه في الموقف زيادة في خزيه واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا يتعززوا
بهم وصلة بينهم وبين الله فان قلت كانوا كافرين بالبعث فما معنى اتخاذ الآلهة وصلة
وشفعاء قلت كانوا يقولون ان صح ذلك على سبيل الفرض تشفع لنا او هذا مقول لطائفة
وتلك مقالة اخرى وهم الدهرية القائلون ما يهلكنا الا الدهر كلا ردع وتكذيب
لمقالتهم سيكفرون بعبادتهم بقولهم ما كانوا ايانا يعبدون او المشركون ينكرون
عبادتهم كقوله والله ربنا ما كنا مشركين ويكونون عليهم ضدا اي ذلا تعكيسا لرجائهم
او عونا في العذاب يوقدون بهم النار عليهم والعون يسمى ضدا لانه نظير المعاند والتوحيد
لوحدة المعنى الذي به مضادتهم كقوله صلى الله عليه وسلم فالمؤمنون وهم يد على من سواهم
وان رجع الضمير في سيكفرون الى المشركين فمعنى كونهم ضدا كفرهم بعبادتهم والتبرؤ
عنها الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين سلطناهم عليهم تؤزهم ازا تهيجهم
وتحثهم على المعاصي قال الحرفي الاز ان تحمل انسانا على امر بحيلة ورفق والازيز صوت المرجل
عند غليانه والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفرة واغترارهم بتسويلات
الشياطين بعد وضوح الآيات وتماديهم في الغي وعدم ارعوائهم فلا تعجل عليهم بان
يهلكوا فتستريح انما نعد لهم عدا اي ليس بينك وبين هلاكهم الا ايام معدودة وساعات وانفاس
محصورة فعن قريب تنقضي وعن ابن عباس انه كان اذا قرأ الآية بكى ويقول الآخر العدد
خروج نفسك آخر العدد فراق اهلك آخر العدد دخول قبرك يوم نحشر المتقين الى الرحمن
الى من غمرهم بالبر والاحسان نصب بذكر او بمقدر اي نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف
ويجوز تعلقه بلا يملكون وفدا جمع وافد وهو الوارد على الملوك بالرسالة المنتظر
لعطاياهم ونسوق المجرمين الى جهنم كما تساق البهائم وردا عطاشا لان الوارد على
الماء لا يرده الا لعطش لا يملكون الشفاعة الطائفتان الا من اتخذ عند الرحمن
عهدا اماما بالايمان والعمل الصالح او الا من عهد اليه بكتب الاذن له فيه وامر وقالوا
اتخذ الرحمن ولدا قول المشركين الملائكة بنات الله لقد جئتم شيئا ادا منكرا عظيما
وعن علي رأيت رسول الله في المنام فقلت ماذا لقيت بعدك من الادد والاود اي الشدة و
الاعوجاج والتفت الى الخطاب للتبجيح بمقالتهم الشنيعة تكاد السموات قرا نافع والكسائي

بالياء والباقون بتاء التأنيث وهو المختار لعدم الفاصلة يتفطرن منه وقرا ابو عمرو
وحمزة وابو بكر بالنون من الانفطار والتفطر ابلغ معنى كالتهدم وتنشق الارض و
تخر الجبال هدا مكسورة مضعضعة من هده كسره ان دعوا للرحمن ولدا مجرور بدل
من الهاء في منه او منصوب بحذف الجار وافضاء الفعل علة لتكاد او لتخر او لهدا او
مرفوع بهدا اي هدها دعاء الولد للرحمن والدعاء بمعنى التسمية او النسبة من الدعوة وما
ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ما يليق به ولا يدخل تحت الصحة لاقتضائه الازدواج و
المجانسة وهو مستحيل في حقه هذا ان اريد تولد وان اريد التبني فكذلك لعدم احتياجه
وفي ايثار لفظ الرحمن اشارة الى ان بقاءهم مع تلك المقالة بمقتضى تلك الرحمة ثم قرر
ذلك وبين بقوله ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا الا اسم فاعل من
المواتاة وهي المطاوعة او من اتى اليه رجع والمعنى كل من الملائكة والثقلين منقاد مطيع
لاوامره مقر بعبوديته انى يكون له ولد لقد احصيهم ضبطهم وحفظهم وعدهم عدا
عد اشخاصهم وافعالهم وانفاسهم لم يخرج عن علمه وملكوته او علمه شيء وكلهم آتيه يوم
القيمة فردا وحيدا لا اتباع ولا اموال معه يقال جاء القوم فرادى اي واحدا واحدا ان
الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا محبة في قلوب العباد من غير اكتساب
ولا مباشرة اسباب روى البخاري عن ابي هريرة ان الله اذا احب عبدا ينادي جبرائيل
اني احب فلانا فاحبه فيحبه جبرائيل ثم ينادي جبرائيل اهل السماء ان الله يحب فلانا
فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض والسين في لان السورة مكية
والمؤمنون كانوا بها ممقوتين بين الكفرة وقيل ذلك يوم القيمة عند عرض حسناتهم ورد
الحديث وعن ابن عباس يحبهم ويحببهم فالسين للتاكيد فانما يسرناه بلسانك بلغتك
وهي العربي المبين كلام مستانف اشارة الى اعظم موقع هذه السورة لما فيها من براهين
التوحيد والرد على فرق الضالين المبطلين ودلائل النبوة وان القرآن كلامه تعالى وانما
يتلو بتيسير منه فانتظم آخر السورة باولها المشير الى اعجاز القرآن على طريق الايقاظ
والباء اما بمعنى على او ضمن التيسير معنى الانزال لتبشر به المتقين يوم نحشر المتقين الى
الرحمن وفدا ولا حاجة الى تاويل المتقين بالصائرين الى التقوى وتنذر به قوما لدا
وتسوق المجرمين الى جهنم وردا واللد جمع الالد وهو الشديد الخصومة وفي الحديث ابغض
الناس الى الله الالد الخصم وكم اهلكنا قبلهم من قرن ترهيب للكفرة وتشجيع له على التبليغ
هل تحس منهم من احد هل ترى منهم احدا او تسمع لهم ركزا صوتا خفيا فضلا عن القوي
على الرؤية باحدهم والسماع بهم مبالغة لان انتفاء الرؤية عن احد يستلزم انتفاءها
عن الكل والسماع بالعكس والركز الخفاء ومنه الركاز المال المدفون تمت ولله الحمد والمنة
والصلوة على شمس فلك السنة واصحابه نجوم للجنة سورة طه مكية وهي مائة واربع
آيات بسم الله الرحمن الرحيم طه امال حمزة وابو بكر والكسائي الفطا من طه واما ورش

وابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر بها لان اصلها ياء بدليل الانقلاب في التثنية والجمع
اسم السورة او من حروف التهجي للايقاظ والتنبيه على الاعجاز وعن ابن عباس معناه يا رجل
بالنبطية وقيل في لغة عك بن عدنان وقيل كلمة سريانية وقيل اصله طا بها الامر
من وطى والهاء كناية عن الارض فانه صلى الله عليه وسلم كان يقف على رجل في تهجده حتى
ورمت قدماه فابدلت الهمزة الفا وعلى هذا كتبتهما على صورة الحروف لموافقة اوائل السور
مع ان خط المصحف لا يقاس وقيل الحرفان على سائر حساب الجمل اربعة عشر فكانه قال يا بدر
ما انزلنا عليك القرآن لتشقى جواب القسم ان جعل طه مقسما به واستيناف ان كانا من حروف
التهجي او جملة فعلية وسنادى له ان كانا نداء وخبر مبتدأ ان جعلوا اسم السورة غير مقسم بهما
سواء اريد بالقرآن السورة او الجنس لقيامه مقام العائد للاتحاد او الاندراج والشقاء التعب
ومن امثالهم اشقى من رائض مهر ولا تعدم نحوتهرانا الانه كان يتعب نفسه بالقيام فقيل له
ما انزلنا عليك القرآن لتشقى وتتعب هذا التعب المفرط الخارج عن حد الاعتدال او لما قال
له ابو جهل والنضر بن الحارث انك تشقى بترك ديننا فرد ذلك بان القرآن سلم الى كل
فوز وسعادة فالمراد به الحرمان في الدين الا تذكرة استثناء منقطع علة للفعل المذكور
بدون اللام لاستجماع شرائط الحذف وتصدره في موقع الحال من الكاف او القرآن ولا
يجوز ان يكون الابدال او المعنى ما انفسناك بمتاعب التبليغ ومقاساة المردة بانزال
القرآن عليك الا للتذكرة او الا حال كونك مذكرا فاذا يكون الشقاء منفيا كقولك ما ضربتك
للتاديب الا اشفاقا لمن يخشى لمن في قلبه خشية فانه المنتفع به وقيل لمن علم الله منه الخشية
وتؤول امره اليه على منوال هدى للمتقين تنزيلا بدل من تذكرة اذا جعل حالا لا اذا جعل
مفعولا له لفساد المعنى او نصب باضمار فعله او على المدح او بيخشى ممن خلق الارض والسموات
العلى الى قوله له الاسماء الحسنى صفات سيقت لتفخيم شان المنزل لانه كلام من هذه صفاته
والعلى جمع العليا تانيث الاعلى وصف السموات دال على عظم قدرة موجدها ولما قدم
الارض لكونها اقرب الى الحس وصف السموات خبرا لما فاتها من شرف السبق والتفت من التكلم
الى الغيبة لان هذه الصفات انما تسرد لها مع لفظ الغيبة ولانه فخم شان المنزل باسناده
الى المتكلم الواحد على وجه التعظيم ثم ثنى بالاسناد الى الموصوف بتلك الصفات فافاد التفخيم
من وجهين الرحمن على العرش استوى رفع على المدح والجملة بعده خبر بعد خبر مبتدا محذوف
والاستواء على العرش كناية عن نفاذ التصرف واجراء تدبير الكائنات على وفق ما اقتضيه
الحكمة كما ان بسط اليد كناية عن الجود له ما في السموات وما في الارض وما بينهما من الاجزاء
الداخلة فيهما والموجودات الخارجة عنها وما تحت الثرى وما تحت الارض من الموجودات
التي لا تحيط بها الا علمه الشامل والثرى التراب الندى لانما فوق الارض يعتريه اليبس احيانا
ولما كان ايجاد الكائنات وتدبير امرها لا يتم الا بالعلم اشار الى ثبوته بالجمل طريق وان
تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى منه ما خطر بالبال من هواجس النفس والمعنى فان تجهر بقول

فان تجهر بالقول فان الله غني عن جهرك لاستواء الحالين عنده وفيه اشارة الى ان ذكر الله
جهرا انما هو لاستعمال العضو فيما خلق له واسماع الغير ليقتدي به ويشهد له يوم القيمة
وايماء الى ان الاخفاء افضل الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى فبأي اسم ذكرته فهو ذكر
جميل يليق به الكلام دلالة على استواء نائبة الذكر من اسمائه الحسنى كالسوى عند كنعيات الذكر
وهل اتيك حديث موسى الاستفهام بمعنى النفي ان كان اول ما اتى عليه من قصته وان سبق
ذكرها للتقرير والمراد تذكيره ليوطن نفسه على تحمل اعباء النبوة تبليغ الرسالة ومقاسات
الشدائد لما قضى موسى الاجل استاذن شعيبا في زيارة امه وكانت بمصر ولم يكن اوحى
اليه بعد فاذن له فتوجه باهله وكان لديها ابنان فلما وصل الى الوادي الايمن وكانت
ليلة شاتية ذات مطر وثلج مظلمة اخذت زوجته في الولاد فضل الطريق وتفرقت
ماشيته ولا ماء عنده فطفق يقدح الزند فصلد زنده اذ رأى نارا ظرف للحديث لانه
حدث يصلح ان يكون متعلقا او منصوب باذكر او بمضمر حين رأى نارا كان من الامر كيت
وكيت فقال لاهله امكثوا اي اقيموا مكانكم وقرأ حمزة بضم الهاء اشارة الى الاصل
والكسر لموافقة ما قبله وهو الافصح اني آنست نارا ابصرته ابصارا لا شبهة فيه وقيل يستعمل
في مظان الوحشة لعلي اتيكم منها بقبس بشعلة لما كان اتيانه مستيقنا بنى الاخبار
على البت والتحقيق والاتيان بالقبس كان متوقعا اذ ربما يحول دونه مانع لم يجزم به
او اجد على النار هدى هاديا يدلني على الطريق او مرشدا يدلني الى الجناب القدس فان
افكار الابرار مصروفة اليه مغمورة به في جميع الاحوال ومعنى الاستعلاء الاشراف عليها
من مكان قريب قال الاعشى وبات على النار الندى والمحلق فلما اتاها قيل كانت نارا بيضاء
تتقد في شجرة خضراء نودي يا موسى اني انا ربك روي انه لما دنى منها بعدت منه فلما
راى ذلك خاف ورجع فلما رجع دنت منه فازداد رعبا فالقيت عليه السكينة ثم كلم و
تكرير الضمير لتحقيق المعرفة واماطة الشبهة وقرأ ابن كثير وابو عمرو اني بفتح الهمزة اي باني
والباقون بالكسر لان النداء ضرب من القول استدل على انه كلام منه تعالى بانه سمعه من
الجهات وبجميع اعضائه وعن الاشعري انه سمع الكلام القديم ولعل فيه تجوزا والا
كيف يعقل سماع ما قام بذاته تعالى فاخلع نعليك انك بالواد المقدس احتراما للبقعة كما
يحترم الحرم والمساجد وسائر الاماكن الشريفة وقيل كانتا من جلد حمار غير مدبوغ والتعليل
ناب عنه وقيل نعليك المال والولد وقيل الدارين وذلك نهاية مقامات العارفين طوى
بدل من الوادي علم لذلك المكان نونه ابن عامر والكوفيون ومن لم ينونه لم يصرفه باعتبار
البقعة وقيل معدول عن طاو وانا اخترتك للنبوة والرسالة وقرأ حمزة انا مشددا
بادخال ان على الضمير واخترناك بالنون المختار التخفيف لمناسبة ما تقدم وما تاخر
فاستمع لما يوحى لك من الاحكام هذا كان اول بعثته صلى الله عليه وسلم انني انا الله لا اله
الا انا فاعبدني بدل مما يوحى اكد الكلام وجمع فيه بين العقائد والفروع اهتماما بكماله

للقوة النظرية والعملية وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ افردها بالذكر لانها افضل الاعمال بعد التوحيد لِذِكْرِيٓ
تعليل لذلك الشرف لكونها مشتملة على ذكري الذي هو المقصود من شرع العبادة والذكر
هو اللساني المقرون بذكر القلب روى البخاري من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه غفر له
ما تقدم من ذنبه وقيل لذكري اي لاذكرك بالثناء عليك كقوله يقيمون الصلوة او لموا
الصلوة في معرض المدح او لاني ذكرتها في الكتب المنزلة او لاوقات ذكري وهي مواقيت
الصلوة وهذا انما يستقيم اذا كان في شرع صلوات موقتة او لذكر صلواتي اذا فاتتك نوما
او نسيانا بتقدير المضاف لما روى انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نسي صلوة فليصلها وقال لا تفريط في
النسيان من نام على صلوة او نسيها فليصلها اذا ذكرها ثم قرأ الاية إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ جار مجرى
التعليل للامر فانه وقت المجازات أَكَادُ أُخْفِيهَا عنكم والمعنى ابالغ في اخفائها فلو اخبر بالا
اجمال الا كما لم اخبر بذلك معتقدا وقيل اكاد اخفيها عن نفسي مبالغة في اخفائها حتى يتخيل على
امر مستحيل وايد بان الاخفاء عن الغير حاصل فتعين ذلك والحق انه بعيد والاخفاء الواقع انما
هو عن التفصيل لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ يتعلق باتية على الاول وبه او باخفيها على الثاني بِمَا تَسْعَىٰ بما
تعمل وفي اشارة اشارة الى الجد والمسارعة في العمل فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا عن الايمان بالساعة او
اقامة الصلوة مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا بالساعة او بالصلوة المقصود نهي موسى عن الانصداد اطلاقا
للسبب على المسبب او بالعكس لان عدم تصلبه يورث صد الكافر وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ لان عدم ايمانه
لم يستند الى برهان بل مجرد هوى فَتَرْدَىٰ من ردي بالكسر هلك من الردى مقصورا وَمَا
تِلْكَ مبتدا وخبر بِيَمِينِكَ حال والعامل فيه معنى الاشارة وقيل تلك موصول والجار والمجرور
صلته يَٰمُوسَىٰ نادى للاستئناس قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى اخبط
بها الشجر فيتناثر منه الورق ويكون علفا واصل الهش الخفة واللين وعن عمر بن الخطاب هششت
يوما فقبلت امرأتي وانا صايم وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ قيل كان ظاهر الجواب لما سأل ان يقول
عصاي او هي عصا وانما اطنب لان الكلام بطال مع الاحبة فكيف به والمخاطب رب العزة والحق
انه لم يقع منه اطناب فانه لم يسال عن ماهية العصا وحقيقتها بل عما فيها من الاوصاف فاذا
ذكرها سوفا ثم اوجد الله فيها من الصفات ما يضمحل تلك الصفات بالنظر اليها ازداد طمأنينة
بانتقاله عن عين اليقين الى علم اليقين فهو لم يستوف الصفات تفصيلا بل اجمل بقوله ولي فيها
مآرب اخرى سالكا طريقة الادب في تلك الحضرة التي تحق الخضوع لها والمآرب التي اجملها
قيل كانت ذات محجن وشعبتين فاذا طال الغصن حناه بالمحجن واذا طلب كسره لواه با
الشعبتين واذا سار القاها على عاتقه فعلق عليها ادواته وان كان في البرية ركزها وعرض
الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل واذا قصر الرشا وصله بها وكان يقاتل بها
السباع وقد ذكروا اشياء اخر والله اعلم قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ تمشي
المشي بسرعة وخفة قيل لما القاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت وغلظت
ولذلك سماها تارة ثعبانا وهي العظيمة وتارة جانا وهو الرقيق من الحيات وتارة باسم الجنس الشامل

للجنس الشامل لهما وهي الحية قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ لما راوها حية خاف منها بمقتضى البشرية قيل
لما انقلبت حية تسعى بما كانت تمر بشجر ولا بحجر الا ابتلعته سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ
السيرة فعلة من السير ثم اتسع فيها فنقلت الى المذهب والقصة يقال من طابت سريرته
حمدت سيرته وانتصابه على الظرفية او بدل الاشتمال او على المصدر اي ستنشأها
عصا كما كانت تسير سيرتها الاولى اي تنتفع بها ما كنت تنتفع سابقا وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ
جَنَاحِكَ مستعار من جناح الطائر شبه يدي الانسان بجناحي الطائر لانه يهما قوام نعشته
والمعنى اضمم احدى يديك وهي اليمنى تحت الاخرى وهي اليسرى وقيل جناحا الانسان جنباه
والمعنى اضمم يدك الى جنبك تحت العضد تَخْرُجْ بَيْضَآءَ قيل كان عليه مدرعة وكان رجلا
ادم شديد السمرة كانه من رجال شنوءة فاخرج يده من تحت المدرعة لها شعاع كشعاع
الشمس تغشى البصر مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ صفة بيضاء او حال من ضميرها او متعلق بتخرج كنى به عن البرص
فانه ابغض شيء عند العرب ءَايَةً أُخْرَىٰ بدل من الاولى او حال من الضمير في بيضاء او في
الجار والمجرور ويجوز ان يكون منصوبا بنحو خذ او دونك لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى متعلق
بهذا المقدر او بما دل عليه الاية او القصة والكبرى صفة اياتنا او مفعول نريك ومن
اياتنا حال منها ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بهاتين الايتين إِنَّهُۥ طَغَىٰ تجاوز عن حده قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى
صَدْرِى اجعله واسعا بسيطا يحتمل الاذى ولا يعتريه الملل والضيق مما نالني من متاعب
التبليغ اصله الكشف والبسط ومنه شرح الكتاب وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى شاني كله بتسهيل الاسباب
الموصلة الى ذلك المطلوب ابهم في الموضعين ثم فصل لاراءة المعنى الواحد في صورتي
الاجمال والتفصيل المشتمل على التكرير المفيد للتوكيد وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى كان بلسانه
رتة وذلك انه حمله فرعون فضبا فاخذ بلحيته ونتفها وعزم فرعون على اخراجها من بين فنتفها
فامر بقتله فقالت امراته انه طفل صغير لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضر الجمر والياقوت
بين يدي موسى فمد يده الى الياقوت فضرب جبرائيل على يده فوقعت على الجمر فلاقت
بها جمرة فوضعها على فمه كانه من يحترق يده يضع يده على فمه فاحترق لسانه ويحتمل
رتة قيل كان لحسنه لحسبه ربه فقال رسول الله وثم عقده موسى واختلف في زوال
العقدة بعد هذا السؤال فقيل زالت بالكلية اسند لا لا بقوله قد اوتيت سؤلك و
ليس بناهض لانه لم يسال الفصاحة الكاملة بل قدر ما يحتاج اليه في التبليغ يشير اليه
قوله يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى بقول فرعون ولا يكاد يبين من لساني صفة عقدة والتقدير من عقد
لساني لان العقدة في اللسان لا انها والظاهر ان اللسان بمعنى العضو المنطقية والجار والمجرور
متعلق باحلل وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى الوزير من الوزر وهو الثقل فانه يقوم باعباء
الملك او من الوزر وهو الملجا لان الملك يلتجئ اليه في الاراء والتدابير او ماخوذ من
الازر وهو القوة فقلبت واوه همزة كونه بمعنى الموازرة فيقبض عليه هَٰرُونَ مفعول
اول قدم عليه الثاني عناية بشانه الوزارة فانها المطلوب واولى وزيرا مفعولان

وهرون عطف بيان او بدل من وزيرا اخي على الوجهين بدل من هرون او عطف بيان آخر
من وزيرا اشدد به ازري واشركه في امري في النبوة قرا ابن عامر بفتح الهمزة في الاول و
ضمها في الثاني على انهما مضارعا المتكلم والجزم لكونهما جواب الامر والاولى قراءة الجمهور
بالامر فيهما على انهما من جملة دعائه لكونه احرى بحاله وادعى للاجابة كي نسبحك كثيرا و
نذكرك كثيرا فان التعاون في العبادة يهيج الرغبة ويجلب النشاط ولذلك شرعت الجمع و
الجماعات انك كنت بنا بصيرا باحوالنا وضمائرنا وان هرون نعم المعين فانه اكبر سنا مني
وافصح لسانا واصلح جنانا قال قد اوتيت سؤلك يا موسى مسؤولك فعل بمعنى المفعول كالاكل
بمعنى المأكول ولقد مننا عليك مرة اخرى اذ اوحينا الى امك ما يوحى ما لا يمكن علمه الا
بالوحي او ما ينبغي ان يوحى ولا يخل به لعظم شانه والوحي هو الالهام كقوله واوحى ربك الى
النحل او ارسل اليها ملكا لا على وجه النبوة كما ارسل جبرائيل الى مريم واما اخبار نبي في زمانها
فبعيد غاية البعد اذ لم يكن بمصر زمان فرعون من يدعي النبوة ان اقذفيه في التابوت فاقذ
فيه في اليم القذف الرمي ويستعمل بمعنى الوضع كقوله وقذف في قلوبهم الرعب والمراد
الوضع في الاول والرمي في الثاني لقوله فالقيه في اليم فليلقه اليم بالساحل الضمائر
كلها لموسى لما كانت مستتبعة لغا متعلقة بحصوله بالساحل وما تعلقت به ارادته وجب
الوقوع جعل اليم كانه ذو ارادة وتمييز مأمور بذلك واذا اراد الله شيئا هيأ اسبابه
بعدما اصلحت التابوت ووضعته فيه وقيرته والقته في نيل مصر وكان يدخل منه
نهر الى بستان فرعون وكان فرعون جالسا على شاطئ ذلك النهر اذ دخل التابوت فاخرجه
فاذا فيه صبي من املح الناس فالقى الله محبته في قلبه فابقاه وكان قد امر بقتل الولدان
لما اخبرته المنجمون انه يولد مولود يكون زوال ملكه على يديه فاخذ لعنه الله بجهله
برتبه لزوال ملكه وكان اجهل الناس لان المنجمين ان كانوا صادقين فلا يجدي قتل الاطفال
او كاذبون فاولى اولى والساحل شاطئ البحر من السحل وهو القشر والكشط وفي الحديث سحلت
ام حكيم له كتفا فاكله ثم صلى ولم يتوضأ يأخذه عدو لي وعدو له جواب الامر ولا
تكرار لاختلاف النسبة والقيت عليك محبة مني كائنة تبعث المحبة اي خلقت محبتك
في قلوب الناس او متعلق بالقيت اي بان احببتك ومن احبه الله احبه الخلق فان قلت كيف اثبت
محبة فرعون له مع اخبار الله بانه عدو قلت لم يكن حين احبه عدوا وايضا الحب بميل الطبع
واستحسانه ورب محبوب طبعا منكر شرعا كما قال في وصف الخليل فلما تبين له انه عدو
لله تبرأ منه ولتصنع على عيني ولتربى بمرأى مني استعارة تمثيلية فان الامر بالحاذي
له بدا او فرط عناية بامر الصانع بان يتخذ بحضرته ومرآه وفي ابقائه على البنيان لكمال
العناية كانه فوق عينه لا يمكن يجاوز النظر ولا يزيغ البصر عنه اذ تمشي اختك كان اسمها
مريم ارسلتها امه بكشف اخباره فصادفتهم وهم يفتشون على مرضعة له فانه ما كان يلتقم
ثدي المراضع واذ ظرف لتصنع او بدل من اذ اوحينا وهو اوفق لما فيه من تعداد النعم في مقام

في مقام الامتنان ولا يقدح في ذلك اختلاف لاتساع الوقت ولا يستقيم تعلقه بالقيت
لكونه محبوبا بالقبلة ومحفوظا فتقول هل ادلكم على من يكفله قالت فدلتهم على امه فرجعناك
الى امك وفاء بقولنا انا رادوه اليك كي تقر عينها بلقائك ولا تحزن بفراقك وقتلت
نفسا هو القبطي الذي استغاثه عليه الاسرائيلي فنجيناك من الغم الذي اعتراك بقتله خوفا من
الله وفرعون بان غفرنا لك وانجيناك بالهجرة الى مدين وفتناك فتونا مصدر ككفور او
جمع فتن او فتنة لترك الاعتداد بالتاء كبدرة وبدور وسأل ابن جبير ابن عباس عن معناه
فقال خلصناك من فتنة بعد فتنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان وهذه فتنة
يا ابن جبير والقته امه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل القبطي واجر نفسه عشر سنين
وضل الطريق وتفرقت ماشيته وكان يقول عند كل واحدة يا ابن جبير فلبثت سنين في
اهل مدين لما اجر نفسه او قضى الاجلين ثم جئت على قدر يا موسى على زمان يستنبأ
فيه الانبياء وهو اربعون سنة واصطنعتك لنفسي اخترتك مثل حاله بحال من يراه بعض
الملوك اهلا للتقريب فيقربه ويكل اليه اموره اذهب انت واخوك باياتي بمعجزاتي
التي ايدتكما بها او بالحكم التي ارسلتما بها ولا تنيا في ذكري اي لا تفترا عن ذكري من الونى
وهو الفتور فان متى الامور لبس لا يذكر الله يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا
واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون اذهبا الى فرعون خصه بالذكر بعدما قدم ارسالهما
مطلقا فانه الفذلكة والآيات تبع له ولذلك كتب رسول الله الى هرقل فان توليت فعليك
اثم الاريسيين انه طغى تجاوز عن حده فقولا له قولا لينا فانه دعوة الى الانقياد كان
ان يقولا له هل لك الى ان تزكى فانه نصح في صورة المشورة كان ابو منصور الدوانيقي يطوف
بالبيت فلقيه رجل في المطاف وقال يا امير المؤمنين اني مخاطبك بكلام فيه شدة لا تؤاخذ
به فقال لو قلت شيئا من ذلك لضربت عنقك قد ارسل من هو اعلى منك الى من هو اشقى منك
وقيل قولا له قولا لينا وقيل انما امروا بذلك لانه كان له حق التربية والابوة لموسى وقيل
كنياه ولا تصرحا باسمه فانه اكثر احتراما وكان له ثلث كنى ابو العباس وابو الوليد وابو مرة
وكنية ابليس والوجه هو الاول ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك لعله يتذكر
بانه مخلوق عاجز عن احداث ذرة الى له دعوى الالوهية او يخشى ان يفضي به الانكار الى
الهلاك والاول مقام الراسخين ولذلك قدمه والجملة في محل النصب على الحال اما من الفاعل
اي راجين منه احد الامرين او المفعول اي مرجوا منه ذلك قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط
علينا يعجل علينا ويحول بيننا وبين الدعوة واداء الرسالة من فرط القوم سبقهم واتما عد
يعني لتفتنه الجهل والتعدي لم يكن خوفهما من القتل والخوف من تجري به ان ينسب الى التقصير
وان لا يجدي سعيهما بطائل او ان يطغى يزداد طغيانا ويقول فيك ما لا يليق بجلالك لكبر
فان الخبيث يزداد بالتحريك قبحا قال لا تخافا انني معكما بالحفظ والكلاءة اسمع ما يجري
بينكم من القول وارى ما يبدو منه من الفعل والاولى ان لا يقدر للفعلين مفعول والمعنى انني

حافظا لكم سامع بصير واذا كان الحافظ سامعا بصيرا استقل بالحفظ على اكمل وجه تتميم للكلام الاول وليس من قبيل ان يرى مبصر ويسمع واع فأتياه فقولا انا رسولا ربك افرده في الشعر لاتحاد المرسل فارسل معنا بني اسرائيل الى الشام موطن ابائهم ومستقر اسلافهم كانوا تحت يد القبط رعايا يكلفونهم الاعمال الشاقة فان قلت ارسالهما كان لدعوة فرعون لقوله اذهبا الى فرعون انه طغى وقوله ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون والاية دلت على انهما ارسلا لطلب بني اسرائيل قلت كان ارسالهما اصالة الى فرعون وابتداؤهما بقضية بني اسرائيل من قبيل القول اللين والتدريج من الاهون الى الاشد ولا تعذبهم بالتكاليف الشاقة وقتل الولدان قد جئناك باية من ربك جار مجرى التعليل للارسال والتفسير لانا رسولا ربك فان دعوة الرسالة انما تثبت بالحجة وانما وحد الاية وكان معه العصا واليد البيضاء لان القصد اظهار الحجة لا بيان كمية البراهين والسلام على من اتبع الهدى سلام الملائكة الذين لمن اتبع الهدى او سلام خزان الجنة حين يتلقون المؤمنين انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى سلكا معه مسلكا لطيفا بديعا في الدعوة حيث عمما الامر في الطرفين الهداية والضلالة لئلا يقع مواجهة منهما له بما يكره وكذلك كان شأن رسول الله في المواعظ لم يواجه احدا بمكروه بل يقول ما بال قوم يقولون كذا او يفعلون كذا وانما ذكر العذاب مسندا الى الوحي دون السلام لانه المقصود اصالة اكدا وبانه لا دخل لهما في ذلك وانهما انما علماه بالوحي وان لهما تابا واخافه اليهما ولذلك قال فمن ربكما يا موسى خاطبه وحده لانه الاصل وهرون ردء يصدقه او لتعرضه اراد اهانته لعلمه انه ارت يدل عليه قوله ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين قال ربنا الذي اعطى كل شيء كل موجود خلقه صورته وشكله اللائق به بمعنى التقدير او خليقته كل شيء يحتاجون اليه قدم المفعول الثاني لانه ذو عناية او لاعطى كل شيء زوجه وقرينه من نوعه فهو الفرد الذي لا نظير له ثم هدى بين طريق الارشاد قال فما بال القرون الاولى كذبوا وتولوا ولم يعذبوا وكان دهريا لم يقل بالرجوع الى الله ليس عنده العذاب الا عذاب الدنيا قال علمها عند ربي سيجازيهم بذلك او ما حالهم في السعادة والشقاوة بعد الموت بناء على زعمك في كتاب هو اللوح المحفوظ ويجوز ان يكون تمثيلا حال علمه بحال ما كتب واثبت في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الضلال ان تخطئ طريق الشيء فلا تهتدي اليه والنسيان ذهابه بحيث لا يخطر بخاطرك وفي الحديث قال رجل لبنيه اذا مت ذروني في الريح لعلي اضل الله اي افوته فلم يدر مكاني وقيل يجوز ان يكون قول فرعون استبعادا لاحاطة علم الله باحوال الامم الدارجة وتفاصيل الجزئيات المتعلقة بها قياسا على نفسه الخبيثة ويكون معنى الجواب ان علمه محيط بها لا يفوته شيء الذي جعل لكم الارض مهدا مرفوع صفة لربي او خبر مبتدأ محذوف والاحسن نصبه على المدح قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر مهادا بالالف كالبساط والفراش لفظا ومعنى او جمع كنعل ونعال والكوفيون بالقصر اسما لما يمهد كمهد الصبي وعليه صريح الرسم والمختار المد لاتفاقهم في الذي جعل الارض مهادا وسلك لكم فيها سبلا جعل لكم فيها

بينها طرقا نافذة من ارض الى ارض بكثير المنافع من سلكت الشيء في الشيء ادخلته فيه وانزل من السماء ماء مطرا فاخرجنا به التفت الى التكلم لان موسى حاك كلام ربه بدليل قوله جعل لكم دون لنا وفيه وراء الافتنان الاشارة بنون العظمة الى انه السلطان المطاع الذي لا يأبى على ارادته شيء ولا يخرج عن قدرته ولذلك اخرج بماء واحد ازواجا من نبات شتى اصنافا متفرقة جمع شتيت كمرضى ومريض مختلفة الالوان والطعوم والاشكال والروائح بعضها لكم وبعضها لدوابكم ومن نعم الله ان ارزاق العباد يحصل بعمل الدواب وما لا يصلح لهم يصلح لها علفا كلوا وارعوا انعامكم على ارادة القول حال من فاعل اخرجنا ان في ذلك لايات لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن اتباع الباطل والركون الى ما لا دليل عليه جمع نهية وفي حديث ليلة الهدى ان النقي ذو نهية منها خلقناكم ابتداء كلام منه تعالى والمراد خلق ادم او خلق كل احد لما في الخبر من انه تعالى اذا اراد خلق انسان من نطفة امر الملك بان يأخذ في كفه ويعجنها بتربة قبره وفيها نعيدكم بعد الموت ومنها نخرجكم تارة اخرى يوم القيامة عدد الله عليهم ما علق بالارض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا يتقلبون عليها وسلك لهم فيها سبلا يترددون فيها لنظم مصالحهم واخرج لهم منها اصناف النبات اقواتا لهم وعلوفات دوابهم وهي امهم التي منها تولدوا وهي كفاتهم احياء وامواتا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمسحوا بالارض فانها بكم برة مشيرا الى معنى الاية وكان يدخل على المريض فيأخذ من ريقه ويخلطه بالتراب ويمسح به المريض ويقول تربة ارضنا بريقة بعضنا يشفى بها سقيمنا ولقد اريناه اياتنا كلها المعجزات التي اوتيها موسى اليد والعصا وفلق البحر والدم والضفادع والحجر والجراد والقمل ونتق الجبل وقد اراه موسى الجميع في ابتداء الدعوة الى اوان الغرق وقيل المراد بالايات الدلائل التي اقامها موسى عليه من قوله اعطى كل شيء خلقه الى اخر ما ذكره وقيل اراد ما اراه وما عدد عليه من معجزات سائر الانبياء لانه صادق لا فرق بين خبره وفعله وفيه انه مع بعده يأباه لفظ الاراءة فكذب بالايات كلها وابى ان يقبل شيئا منها او كذب موسى وابى قبول الحق قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى كلام مبلغ الامر حسنه ان فرائصه ارتعدت خوفا منه لايقانه انه الرسول المؤيد الذي لو اشار الى الجبال سارت عن مقرها والا فما قدر ساحر واحد حتى يخرج ملكا مثله من ارضه بعد ذلك التمكن والعدة والعدد وكذا شأن كل مبطل لا تراه عند الافحام يتشبث الا بما يكون هادما لدليله مبطلا لدعواه فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا مكان وعد للاجتماع فيه لا نخلفه نحن ولا انت الضمير للوعد المدلول عليه كما في اعدلوا هو اقرب والجملة صفة موعدا مكانا ثاني مفعولي اجعل سوى صفة مكانا عن ابن عباس معروفا وعن مجاهد منصفا يستوي بعده الينا واليك وقرأ ابن عامر وعاصم سوى بضم السين والكسر اخف واشهر قال موعدكم يوم الزينة من الاسلوب الحكيم لان يوم الزينة لهم فيه مكان معروف يجتمعون فيه كما هو شأن الناس اليوم في اعيادهم ومواسمهم وقد دل عليه

تفسير ابن عباس رضي الله عنه وقيل الموعد مصدر ومكانا نصب على البدل من المكان المحذوف
مضنا فا الى المصدر الذي اقيم مقامه او نصب بالمصدر الموصوف والطباق في الجواب بتقدير
مضاف في الظرف الواقع جوابا اى وعدكم وعد يوم الزينة وفيه تطويل عنه غنية بما
انزناه وكذا جعل الموعد مكانا واسناد الاخلاف اليه توسعا وطباق الجواب معنى ويوم
الزينة يوم عاشورا او يوم النيروز او يوم كسر النيل وانما عينه ليظهر الحق على رؤس الاشهاد
ويشيع في الركبان في الافاق وان يحشر الناس ضحى عطف على يوم الزينة على تقدير مضاف
اى وقت جمع الناس فيه فتولى فرعون فجمع كيده ما يكيد به موسى جمع السحرة من اطراف
بلاده ثم اتى الموعد بعد ذلك الجمع ومعه السحرة قال لهم موسى السحرة ويلكم لا تفتروا على
الله كذبا بنسبة ايات الله الى السحر فيسحتكم بعذاب فيستأصلكم به وقرا حمزة والكسائي
وحفص بضم الياء وبكسر الحاء والباقون بفتحتين وهي لغة الحجاز والاولى لغة نجد والسحت
الاهلاك والاستيصال ومنه سحت الحرام سحتا لانه يسحت البركة وقد خاب من افترى وهو
فرعون فتنازعوا امرهم بينهم تشاوروا او اخذ بعضهم القول من بعض كقوله يتنازعون
فيها كاسا من التنزع لا من التنازع واسروا النجوى فيما بينهم ولم يظهروه لموسى وفرعون لم
كلوم بين المتشاورين عن ابن عباس كان نجواهم ان كان غالبا نتبعه وعن قتادة ان كان ساحرا
فسنغلبه وان كان من السماء فله شان وعن وهب لما قال ويلكم قالوا ما هذا بقول ساحر وقيل
تشاوروا فيما يعارضون به موسى فجالوا الرأى كما ترى اليوم اذا اهم الملوك امر قالوا ان
هذان لساحران اظهروا بعد التجوى هذا الكلام تشجيعا لانفسهم كما يقول العرب لمن يقاتله
قد عرفت كنه امرك وقرا ابو عمرو وهذين بالياء كما هو المعروف من نصب المثنى وقرا ابن كثير وحفص
بتخفيف ان وهذان بالالف على ان المخففة غير عاملة نحو ان كل نفس لما عليها حافظ وشدد نونه
ابن كثير كما تقدم في سورة النساء والباقون شددوا ان مع الف هذان وهي لغة بلحارث بن كعب
وكنانة وخثعم والعنبر وزبيد يجعلون المثنى في الاحوال الثلث بالالف فالاعراب عندهم مقدر
على الالف قال الاسدي شعر فاطرق اطراق الشجاع ولو يرى مساغا لناباه الشجاع لصمما او
سيبويه ان بمعنى نعم وعن علي كرم سمعت رسول الله يقول ان الحمد لله وانما اخرت اللام لصورة
انا وعلى لغة من يجوز دخولها الخبر كقوله ام الحليس لعجوز شهربه يريدان ان يخرجاكم من ارضكم
بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى الاشل لقوله اني اخاف ان يبدل دينكم طريقة الرجل دينه
ومذهبه او اشراف قومكم ارادوا بني اسرائيل فانهم كانوا اغنم وانى السحر وطريقة القوم
اماثلهم حكاها ابن السكيت عن الفراء ومنه قوله تعالى كنا طرائق قددا والوصف بالمثلى من قبل
امس الدابر فاجمعوا كيدكم ما حكموا بالاتفاق عليه وقرا ابو عمرو بالوصل على انه من جمع
كبين والقطع ابلغ ثم ائتوا صفا مصطفين لانه اهيب وقيل صفا مصلى علم لمكان معروف
منذهم وقد افلح اليوم من استعلى علا وغلب والسين للتاكيد قالوا يا موسى اما ان تلقى واما
ان نكون اول من القى خيروه كما هو شان الاقران عند المبارزة والاعلام المهرة لدى المناظرة

المناظرة اما لعدم المبالاة او لاظهار الحسن الادب وان مع ما بعده نصب بفعول مضمر او رفع خبر
محذوف اى الامر الالقاء ما او الالقاء قال بل القوا قابلهم بمثل ما بدأوه به فاذا حبالهم وعصيهم
يخيل اليه من سحرهم انها تسعى اى القوا بعدما اذن لهم اذا فجأنه طرف زمان والمعنى فاجأ
موسى تخيله وقت تخييل سعيها وان مع ما في حيزها قائم مقام فاعل يخيل وقرا ابن
ذكوان بالتانيث مسند الى ضمير الحبال والعصى وانها تسعى بدل اشتمال والتذكير اختيار
اشهر واسلم من التقدير فاوجس في نفسه خيفة موسى اضمر على طريقة الجبلة وعدم الا
فيه كانوا سبعين الفا وبيد كل واحد حبل وعصى لطخوها بالزهق والقوها في واد
فلما اشرقت الشمس عليها اضطربت وقيل انما خاف على الناس ان يداخلهم شبهة قبل
ظهوره قلنا لا تخف انك انت الاعلى تعليل للنهي مؤكد بالاستيناف وحرف التحقيق
وتعريف الخبر وتكرير الضمير ولفظ العلو وصيغة التفضيل والق ما في يمينك ابهمه لما
تحقيرا اى الق هذا الجرم الصغير الذي في يمينك وتعظيما اى لا تبال بكثرة و
الق هذا العظيم الشان الذي بيدك تلقف ما صنعوا من الحبال والعصى اصله تتلقف
حذف منه التاء وقرا ابن عامر في رواية ابن ذكوان بالرفع على الاستيناف او على الحال
المقدرة وحفص بالتخفيف مضارع لقف واصل اللقف الحذف واخذ الشيء بالسرعة
يقال غلام تقف لقف اوحاد وخفيف والتشديد مع الجزم ابلغ واسلم من التقدير انما
صنعوا زوروه كيد ساحر وقرا حمزة والكسائي كيد سحر اى ذي سحر او جعلوا النوعلهم في
السحر عينه او اضافة الكيد للبيان كعلم فقه والتنكير لتنكير المضاف لانه في نفسه معروف
كقول العجاج في سعي دنيا طالما قد مدت وانما وحد لان المراد به الجنس ولذلك قال ولا
يفلح الساحر اى هذا الجنس حيث اتى اى حيث سلك فالقي السحرة اى بعد تلقف العصا ما
صنعوا سجدا شكرا لله على ان هداهم وعن عكرمة لما سجدوا اراهم الله في سجودهم منازلهم
في الجنة والقاؤه وذلك على انهم لم يترددوا في الايمان بعد تلقف العصا قالوا امنا برب
هرون وموسى قدموا هرون لانه ردء يصدق موسى فالايمان به يستلزم الايمان بموسى
من غير عكس وقيل لانه كان اكبر سنا او لان موسى مربى فرعون فلو قدم اوهم انه ربه
قال امنتم له لموسى انكارا منه واللام لتضمين الفعل معنى الاذعان قبل ان اذن لكم في الايمان
انه لكبيركم الذي علمكم السحر استاذكم واهل مكة يسمعون المعلم بالكبير قيل كان شبهته ان
السحرة كانوا اثنين وسبعين الفا الاثنان من القبط وسائرهم من بني اسرائيل قوم موسى
فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اليمنى مع اليسرى ومن ابتدائية لان القطع الواقع على موضع
الخلاف مبدوء به كانه ابتدا منه ولاصلبنكم في جذوع النخل على جذوعها شبه استعلاء
المصلوب باستقرار المظروف في الظرف بجامع التمكن واللزوم فاستعار له في وهو اول
من صلب واختار النخل لكونه اطول الاشجار فالمصلوب عليه اظهر وامره اشهر ولتعلمن اينا
اشد عذابا منى ومن موسى لقوله امنتم له واللام في كلامه مع الايمان لم يقع استعماله لله

وابقى ادوم قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات المعجزات الواضحات والجمع اما باعتبار
احوال العصا فانهم راوها بحرسه وهو نائم وابتلعت تلك الاجرام ولم تزدد واما لانهم
لما سجدوا وانكشف لهم عالم الملكوت راوا امورا خارقة والذي فطرنا عطف على ما جاءنا
قدم عليه اهتماما واغتنا ءبشان المعجزات او قسم على عدم ايثارهم اياه وهو معنى حسن فاقض
ما انت قاض الذي انت قاضيه او متوع قضائك وامام حكمك انما تقضي هذه الحيوة الدنيا
في هذه الحيوة الدنيا تعليل لما قبله وتمهيد لما بعده انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا من
الكفر والمعاصي لم يقولوا امنا برب هرون وموسى كما قالوه اولا بل وصفوه بانه ربهم
الذي وصلهم الى ذلك الكمال واكرمهم باجزل النوال وما اكرهتنا عليه من السحر فانهم
لما راوا العصا تحرسه وهو نائم قالوا له ان هذا ليس بساحر فان الساحر اذا نام بطل
سحره والله خير وابقى اي خير ثوابا وادوم عذابا من عذابك الذي توعدتنا به انه
الشان من يات ربه مجرما بان يموت كافرا فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى لا يموت
فيستريح ولا حيوة نافعة ومن ياته مؤمنا قد عمل الصالحات في الدنيا فاولئك لهم
الدرجات العلى المنازل الرفيعة جنات عدن بدل من الدرجات لدلالته على الاقامة
التي هي للدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها حال والعامل فيها معنى الاشارة و
ذلك جزاء من تزكى تطهر من الشرك عن ابن عباس من قال لا اله الا الله قوله انه من يات
الى هنا ابتداء كلام منه تعالى بعد تمام مقالة السحرة ترهيبا وترغيبا او من كلام السحرة وعلمهم
بذلك امانى موسى لما دعى فرعون الى الله واما تنا قلوه من اسلافهم من كلام الانبياء ولقد
اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي لما غلا فرعون واراه الايات ولم يزد الا طغيانا امران
يسري بني اسرائيل وقرا نافع وابن كثير بالوصل وهما لغتان سرى واسرى فذهب بالليل القطع
اولى وفاقا للجمع عليه فاضرب لهم طريقا في البحر اجعل لهم من ضرب له بسهمه في ماله وضرب
اللبن اتخذها من الطين يبسا يابسا مصدر وصف به مبالغة لا تخاف دركا حال او من
فرعون وجنوده ولا تخشى الغرق حالان من الفاعل وقرا حمزة لا تخف بالجزم خطابا على
انه نهي او جواب امر وعطف لا تخشى اما على لغة من لم يحذف حرف العلة بالجازم كقوله الم
ياتيك والانباء تنمي او الالف للاطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا وحسنه توافق رؤس
الاي والجملة في محل الحال اي خاشيا الغرق فاتبعهم فرعون بجنوده ادركهم متلبسا بجنوده
الباء للمصاحبة كقوله اتبعهم فرعون وجنوده يقال اتبع القوم اذا ادركهم بعد سبقهم
فغشيهم من اليم ما غشيهم ما لا يكون الاحاطة بكنهه تقول اذ لحقت شيئا وكان من الاولى كانت
الضمير للجنود لان فرعون اولى التناجل واضل فرعون قومه عن طريق الرشاد وما هدى
تهكم به لقوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد او ما هداهم الى البحر فانه لما راه منفلقا قال ادخلوه
فانه قد انفلق لخشيته مني يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم خطاب لهم بعد غرق فرعون و
قيل لاعقابهم في زمن رسول الله والاول هو الوجه لانه في اثناء قصة موسى وتعدادا النعم عليهم

انعم عليهم بعد الانجاء وواعدناكم جانب الطور الايمن لانزال التورية ووصف بالايمن لكونه
موضع المناجات مع الحق ومنزل التورية ونزلنا عليكم المن والسلوى في التيه كلوا من طيبات
ما رزقناكم على ارادة القول وقرا حمزة والكسائي انجيتكم وواعدتكم ورزقتكم بناء التكلم
والنون الحجم معنى واقرب مناسبة لقوله ونزلنا ولا تطغوا فيه فيما رزقناكم بالاخلال
بالشكر والتجاوز الى السرف والاشر فيحل عليكم غضبي يجب ويلزم ومن يحلل عليه غضبي
فقد هوى هلك من الهوى وهو السقوط من مكان عال وقيل هوى وقع في الهاوية وقرا الكسائي
بضم الحاء في الاول واللام في الثاني من حل بالمكان نزل والكسر اخف ولذلك في انفقوا الم
اردتم ان يحل عليكم ويحل عليه غضب مقيم واني لغفار لمن تاب من الشرك وامن بما يجب
الايمان به ارشدهم الى التوبة بعدما بين لهم حلول عقابه بمن عصى وطغى وعمل صالحا ثم اهتدى
استقام على التوبة وما اعجلك عن قومك يا موسى واعد الله تعالى بعد غرق فرعون ان يكلمه
على الطور ويؤتيه كتابا فيه تبيان كل شيء وامره باختيار سبعين من نقباء بني اسرائيل ليسمعوا
كلام الله تعالى فاختار النقباء وخلف هرون على بقية بني اسرائيل وكانوا سمانية الف فلما فارق
موسى بني اسرائيل تعجل شوقا الى الموعد فسبق القوم سئله تعالى عن سبب العجلة والتقدم على النقباء
قال هم اولاء على اثري وعجلت اليك رب لترضى لما كان السؤال الا ولا انكار على العجلة التي هي
نقيصته يتضمن الانكار على السبب الباعث اجاب اولا بان ليس هنالك ما يسمى عجلة وانما تقدم
بخطا يسيرة كما هو شان الوفود يكون رئيسهم امامهم واما السبب فمرضاتك فان المسارعة
اليها من اهم الامور وتفسير القوم بمن تخلف مع هرون يرده لفظ الاثر وان الموعد كان مشروطا
بحضور من اختاره قال فانا قد فتنا قومك من بعدك مرتب على تقصيرك ابتلينا قومك
المخلفين كانوا عدهم اربعين يوما فلما مضى عشرون عدوها لعيا وقالوا اربعين بلياليها
وكان هذا الاخبار لموسى عند مقدمه قبل مضي ذلك العدد بناء على ان ذلك من المترقب المنزل
منزلة المحقق او انه ما غاب موسى اخذ السامري في اسباب ذلك فكان بدا الفتنة موجود
واضلهم السامري منسوب الى سامرة قوم من اليهود يخالفونهم في بعض الامور قيل كان
من اهل باجرما وهي قرية بقرب الموصل وقيل كان علجا من كرمان منافقا اظهر الاسلام واسمه
موسى بن ظفر من قوم يعبدون البقر فرجع موسى بعدما مضى الاربعون واوتي التورية
الى قومه غضبان الذين كانوا مع هرون غضبان اسفا مستلئا غضبا او حزينا قال يا قوم
الم يعدكم ربكم وعدا حسنا لا خلف فيه او ان يؤتيكم التورية فيه تبيان كل شيء افطال
عليكم العهد يريد زمان مفارقته منكم اذ ذاك او طال عليكم زمان العافية وتوالي النعم
بعد ان كنتم في اسر فرعون ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدي وعدكم
اياي بالثبات على الايمان واسناد الوعد الى موسى بمعنى وجدتم الخلف في وعدكم ايدة وقولكم
قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا قرا حمزة والكسائي بالضم ونافع بالفتح مصدر ملك فهو
بالكسر والضم مجاز لعدم تحقق معناه ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم قوم فرعون

كانوا استعاروا الحلي منهم لعيد لهم وخافوا ان ردوها يعلموا الخبر وجهتهم ولذلك سموها اوزارا
لان ذلك المستأمن حرام ولان الغنائم لم تحل الا لهذه الامة قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحفص
بضم الحاء وكسر الميم مشددة فقذفناها تلك الاوزار في النار فكذلك القى السامري كما القينا
وهو انه كان اخذ من موطئ قدم فرس جبرئيل قبضة من التراب فامرهم بان يحفروا حفرة ويقذفوا
فيها الحلي فالقى هو تلك التربة واوهمهم انه انما القى الحلي فاخرج لهم عجلا على صورة العجل جسدا
له خوار كخوار البقر فقالوا السامري ومن افتتن به اول ما راه هذا الهكم واله موسى
فنسي فنسي موسى ان يطلبه هنا وذهب يطلبه في الطور او نسي السامري ما كان عليه من الاسلام
وتركه والفاء فصيحة على الوجهين افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا فضلا عن انشائه ابتداء
ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا بوجه ابتداء كلام منه تعالى لبيان غباوة بني اسرائيل ومخالفتهم
العقل وقول هرون وكفرهم بالله الذي خلقهم واعتقادهم الحلول في جسم حيوان يضرب به
المثل ولقد قال لهم هرون من قبل من قبل ان يقول السامري هذا الهكم علم من غباوتهم اول
ما وقع عليه بصره انهم يفتنون فيما وقعوا فبادر الى تحذيرهم او قبل رجوع موسى يؤيده قوله
يا قوم انما فتنتم به وقولهم لن نبرح عليه عاكفين وان ربكم الرحمن الذي افاض عليكم
جلائل النعم فاتبعوني واطيعوا امري بالثبات على الدين قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى
يرجع الينا موسى قال يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا عن طريق الرشاد الا تتبعن في
نصرة الدين والمحاماة له لا مزيدة افعصيت امري اذ قلت لك اصلح ولا تتبع سبيل المفسدين
قال يا ابن ام تنسيبه اليها استعطافا بانهما كانا في بطن واحد وارتضعا بلبن ام وقيل
بل كان اخاه من امه وقرأ بكسر ميم ام ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر لا تأخذ بلحيتي ولا
برأسي كان موسى كما اشتهر عنه شديد الغضب في الله متصلبا لما رأى بني اسرائيل قد عبدوا العجل
بعدما رأوا الايات لم يتمالك ان القى الالواح ومناقه شقيقه بما يكره واخذ بلحيته التي
اشرف محاسنه كما ياخذ العدو من علقه روى ان هرون يدخل الجنة بلحية يضرب الى سرته
اكراما لها لما لقيت في الله ما لقيت اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ان لو قاتلتهم
بمن معي كان معه ممن لم يعبد العجل اثنا عشر الفا ولم ترقب قولي في الاصلاح فصبرت حتى ترجع
اليهم ورأيت ذلك اضم للنشر واحفظ للدهماء مع اني بالغت في النصح حتى بلغ السيل الزبى كما
اخبر الله عنه ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني قال فما خطبك يا سامري بعد ان
ظهر له عذر اخيه توجه اليه لانه جرثومة الفساد اي ما كان غرضك فيما فعلت والخطب الامر
الخطير الذي يقع لاجل التخاطب قال بصرت بما لم يبصروا به بصرت بالشيء علمته وقرأ حمزة
والكسائي على الخطاب يريد موسى ومن كان معه والوجه الغيبة لان الغرض عدم رؤية الحاضرين
بعد ذهاب موسى فقبضت قبضة من اثر الرسول يريد جبرئيل وقرئ بالصاد فالاول للاخذ
بجميع الكف والثاني باطراف الاصابع وانما لم يسمه لانه لم يعرف انه جبرئيل او اراد تنبيه على
الوقت وهو وقت ارساله ليذهب به الى الطور او حين ارسل لاغراق فرعون فانه كان ركبا فرس

ركبا فرس الحيوة وهي الرمكة التي يسمى حيزوم وكان ركبها يوم بدر مع رسول الله قال قائل بوجهل
حين ضربته سمعت ركبا يقول اقدم حيزوم فضربه بمقرعة على رأسه قال رسول الله ذاك
جبرئيل فنبذتها في العجل وكذلك سولت لي نفسي زينته قال فاذهب فان لك في الحيوة
ان تقول لا مساس ابتلاه الله ببلية عظيمة وهي انه كان اذا مس رجلا او امرأة حصل الحمى
للماس والممسوس وكان لم يزل يقول لا مساس خوفا من حصول الحمى فبقي وحيدا طريدا كالوحش
وان لك موعدا لن تخلفه وهو عذاب يوم القيمة وقرأ ابن كثير وابو عمرو لن تخلفه
بكسر اللام اي لن تجد الله مخلف وعده من اخلفت زيدا وجدته مخلف الوعد كاحمدته
وجدته حامدا والفتح احسن واشهر ومال الكسر اليه معنى وانظر الى الهك الذي ظلت
عليه عاكفا ما دمت على عبادته من الظلول خصه بالذكر لانه مشاهد ولانه اذا عكف
عليه بالنهار ففي الليل اولى لانه محل العبادة لنحرقنه بالنار ثم لننسفنه في اليم نسفا
لنذرينه ذري الرماد وهذه كانت عقوبة اخرى له ليشاهد معبوده رمادا اذل من
التراب انما الهكم المستحق للعبادة الله وحده الذي لا اله الا هو المنفرد بالالوهية وسع
كل شيء علما احاط علمه بكل شيء كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق اي كقصة موسى
نقص عليك على ابلغ النظام ساير القصص من احوال الامم الماضية تكثيرا لمعجزاتك وتاكيدا
للحجة على من عاندك وزيادة استبصار لمن امن بك وتابعك وقد اتيناك من لدنا ذكرا
كتابا فيه ذكر الوقايع الماضية والامم الدارجة او كتابا فيه ذكرك وشرفك كقوله كتابا
فيه ذكركم وفيه اشارة الى ان التفكر فيه يورث السعادة وتفسيره بالصيت والذكر
الجميل لا يلائم قوله من اعرض عنه اي عن القران والاعتبار والاتعاظ بما فيه فانه يحمل يوم
القيمة وزرا عقوبة ثقيلة سميت وزرا لانها جزاؤه خالدين فيه في ذلك الوزر وساء
لهم يوم القيمة حملا في ساء ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص محذوف لدلالة السياق عليه
اي ساء حملا وزرهم وجعلنا بمعنى احزن واللام في لهم للبيان كما في هيت لك لان
خلودهم في النار حزن واي حزن يفوت المبالغة مع ان اللام تابعه يوم ينفخ في الصور
بدل من يوم القيمة لانه اشد هولا وقرأ ابو عمرو بالنون على بناء الفاعل وهو ابلغ تحذيرا
لاسناده الى ذاته ما يباشره الملئكة بامره ونحشر المجرمين يومئذ زرقا زرق العيون
لان الزرقة اسوء الالوان عند العرب ولذلك يقولون في ذم العدو ازرق العين
اصهب السبال اسود الكبد او عميا لان حدقة من ذهب نور عينيه تزرق يتخافتون
بينهم يخفضون اصواتهم لما يملأ صدورهم من الرعب ان لبثتم الا عشرا استقصرون
مدة لبثهم في الدنيا لما يعاينون من الاهوال فيتذكرون ما كانوا فيه من الدعة والنعم
فيتأسفون عليها وايام السرور قصار او لانهم يوقنون بالخلود وما نسبة الفاني
وان طال الى ما لا نهاية له وقيل ارادوا اللبث في القبور لقوله لقد لبثتم في كتاب الله
الى يوم البعث نحن اعلم بما يقولون من مدة مكثهم اذ يقول امثلهم طريقة رأيا ان لبثتم

إِلَّا يَوْمًا فضلا عليهم لكونه اعلم بانقطاع الامر وشدة العذاب وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ
قيل السائل رجل من ثقيف فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا عن ابن زيد يقلعها قلعا وكذا عن
الخليل وابي عبيد وقيل يجعلها كالرمل تذروه الرياح فَيَذَرُهَا قَاعًا يترك مقارها
مكانا واسعا يعلوه الماء صَفْصَفًا مستويا لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا اعوجاجا
ولا نتوا الوصفان الاولان باعتبار الحس وهذا اعتبار القياس او لو قاس ماهر في الهندسة
لم يجد عوجا في اجزائها ولا ادنى ارتفاع ولذلك ذكر العوج بكسر العين الذي يكون
في المعاني كانه قيل لا يعقل فضلا عن الاحساس به وقيل لا ترى استيناف لبيان الحالين
يَوْمَئِذٍ اي نسفت او بدل من يوم يحشر بدلا ثانيا ويسألونك استطراد وله موقع حسن
عند ذكر الحشر يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ الى المحشر وهو اسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس وينادي
ايها الناس هلموا الى المحشر يقبلون الى صوته من كل اوب لَا عِوَجَ لَهُ اي لا يعوج عنه
مدعو واستعماله باللام لان الفعل كما يختص بالفاعل يقول لا ضرب لزيد كذلك
بالمفعول وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ ذووا الاصوات او مستعار للخفض فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا
هَمْسًا صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل او صوت اقدامهم كانهم بكم من
شدة الخوف يَوْمَئِذٍ بدل ثالث من يوم القيمة وفيه ترتيب حسن لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ
إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ رفع بتقدير المضاف على البدل اي الا شفاعة من اذن له الرحمن
او نصب على المفعول اي لا تنفع الشفاعة احدا الا من اذن الرحمن ان يشفع له وَرَضِيَ لَهُ
قَوْلًا قول الشافع له اي في حقه يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ما تقدمهم من الاحوال وَمَا
خَلْفَهُمْ وما يستقبلونهم وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا بمعلوماته او بذاته او بمجموع ما ذكر
فانهم وان علموا منه شيئا لا يحيطون بتفصيله ولا بخفايا بواطن ما علموه تفصيلا
وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ذلت وخضعت ومنه العاني للاسير وفي الحديث اتقوا الله
في النساء فانها عوان في ايديكم والاسناد الى الوجوه لانها اشرف الاعضاء او اريد
الذوات كقوله ويبقى وجه ربك والظاهر العموم وقيل الوجوه عظماء الكفرة وَقَدْ
خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا كفرا الجملة حالية لكونها في مقابلة قوله وهو مؤمن والاولى جعلها
معترضة والتقابل المعنوي كاف وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ بعضها وَهُوَ مُؤْمِنٌ
اذ بدون الايمان لا يعتد بعمل فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا نقصا من ثوابه الموعود وقرأ ابن
كثير فلا يخف بالجزم نهيا وقراءة الجمهور اوكد لكونها اخبارا من اصدق القائلين
وَلَا هَضْمًا هضم النفس وضعها عن مرتبتها والمعنى لا يخاف نقصان الثواب ولا حط
قدره الموعظة المنزلة اصله الكسر وقيل الظلم منع الثواب والهضم نقصانه وَكَذَٰلِكَ
أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا عطف على كذلك نقص عليك اي ومثل هذه الآيات في الوعد والوعيد
انزلنا القرآن كله عود الى ابتداء السورة من وصف القرآن بالصفات الكمالية فان
حديث موسى كان متصلا بقوله ما انزلنا عليك القرآن لتشقى فانتظم الكلام احسن

انتظام وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ والحال قد كررنا فيه آيات الوعيد مبينة لَعَلَّهُمْ
يَتَّقُونَ يبلغون به التقوى التي هي نهاية مقامات العارفين أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا عظة
وازدجارا في الجملة او للتنويع والامر دائر على التخلية والتحلية فَتَعَالَى اللَّهُ في ذاته
وصفاته استعظام ان لا يكون انزال القرآن وما صرف فيه من الوعد والوعيد بالغا
حد الكمال وفيه استدعاء لمن كان له قلب ان يقبل الى تعظيم كلامه ويتوجه اليه بشراشره
الْمَلِكُ الحقيقي النافذ امره ونهيه وفيه دلالة على ان ما في القرآن من قوارع الوعيد
سياسات الهية من نحا ماها فاز وسلم ومن تخطاها باد وندم الْحَقُّ الدائم الازلي
الديمومية في ذاته وصفاته وفيه اشارة الى ان ما في القرآن من الوعد والوعيد
حق لا يحوم حوله الباطل وان المحق من كان ممتثلا لاوامره والمبطل من لم يتعظ بزواجره
وتمهيد للنهي عن العجلة بقوله وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ فان
ذلك يخل بتعظيمه روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يعالج من الوحي شدة وكان يحرك شفتيه عند تلاوة جبرائيل عليه السلام
مبادرا لئلا ياخذه حذرا من فوت شيء منه فنهى عن ذلك وآمنه الله من ذلك الخوف
بقوله فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه لا انه نهي عن تبليغ المجمل قبل
البيان ناهيك بيان الخيط الابيض بالفجر بعد برهة من الزمان والبقرة من اواخر
القرآن نزولا وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا بدل العجلة فان ما اوحي اليك محفوظ لا يفوتك
منه شيء لم نامر بطلب الزيادة قط الا في هذه الآية اظهارا لشرف العلم وَلَقَدْ
عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ امرناه معمما في لفظ العهد من المبالغة لدلالته على الحفظ
عطف على قوله وصرفنا فيه من الوعيد دلالة على ان عصيان هؤلاء وليس لنقص شك
في التبليغ او النقصان فيما لا يفتقر من القرآن بل لان طبيعتهم منسوبة مثاهم فان اباهم
آدم نجا طلبنا كما قال تاثبينا لله عدا في ابليس حراما مِن قَبْلُ من قبل هؤلاء فَنَسِيَ
العهد عن تريب ولم يثبت واغتر بقول العدو حتى تورط فيما تورط وَلَمْ نَجِدْ لَهُ
عَزْمًا علما على المرية وتصميما وتصلبا على ما عهد اليه حيث لم يثبت الشيطان عن
اقترانه والوسوسة اليه او لم نجد له عزما فيما اتى به لكان ذلك خطاء منه والوجه
هو الاول ولم نجد ان كان من وجد الذي علمه فله عزما مفعولاه وان كان من الوجود
نقيض العدم فله حال من عزما كانه قال عدمنا عزمه وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ
والمعنى اذكر ذلك الوقت ليظهر لك نسيانه وعدم كونه ذا عزم مفصلا وفيه اشارة
الى ان ما اكرمه به من اسجاد الملئكة كان من البواعث التامة على التحفظ بالعهد
فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قد سبق الكلام فيه أَبَىٰ استكبارا استيناف وكانه قيل لم لم يسجد
فَقُلْنَا بعد الاباء يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فلا يكون
سببا لخروجكما النهي لهما في المعنى عن اتباعه توكيدا للامر بالثبات والعهد السابق

فتشقى افرده بالذكر لان شقاءه مستلزم لشقائها ولان المراد بالشقاء التعب فى طلب
المعيشة وذلك الى الرجال فانهم قوامون على النساء قيل لما اهبطا جاء جبرئيل بثور
احمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى
لوجود المأكل والملابس من غير سعى ومباشرة اسباب وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى
لوجود الانهار والقصور يقال ضحيت الشمس اذا برزت من الضحى والضواحى النواحى
البارزة عطف على ان لا تجوع مع عدم جواز دخول ان على ان لان الواو نائب عنه
والمستكره دخوله صورة ذكر تقابض مطالبه سقيته ولم يات بتلك المطالب
صريحا للتذكر باسباب الشقاء الذى حذره منه فان قلت لم لم يذكر الظماء مع الجوع
الذى هو قرينه قلت الشبع والكسوة اصلان والاخيران متممان مع ان الشبع كسا
معنى الارى الى قوله شعر فاكسب عظام امرئ ما كان يشبع طائر وقرأ نافع وابو بكر
وانك بالكسر عطفا على ان لك فوسوس اليه الشيطان انهى اليه الوسوسة ويقال
وسوس له باللام لفعل الوسوسة لاجله قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك
لا يبلى بيان لوسوسته ولذلك لم يعطف عليه وشجرة الخلد من اكل من ثمرها لم يمت
على زعمه وروى ابو داود عن ابى هريرة ان فى الجنة شجرة تسمى شجرة الخلد والبلى الضعف
والزوال من بلى الثوب بكسر اللام قال العجاج والمرء يبليه بلاء السربال كر الليالى واختلاف
الاحوال فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة طفق
يفعل كذا شرع من افعال المقاربة والخصف الزاق الشئ فوق آخر من خصف النعل خرز عليه
الخصاف والورق ورق التين قيل كان مدورا فصار من تحت اصابعهما على هذا الشكل
وعصى آدم ربه بارتكاب ما نهاه عنه فغوى فما خطأ طريق الرشاد حيث اغتر بقول
العدو وترك نصح السيد الرؤف ثم اجتباه قربه من الجباية وهى الجمع ربه فتاب عليه
قبل توبته بعد ما تاب اليه او وفقه للتوبة وهدى ارشده الى الاستغاثة وعلم من
الوقوع فى زلة بعدها وما صدر من آدم وان كان على سبيل النسيان عبر عنه بالعصيان
والغواية اما لان حسنات الابرار سيئات المقربين واما ليكون لطفا بالسامعين
وايقاظا لهم فان صفيه الذى اسجد الملئكة له اذ بدا منه صغيرة على وجه النسيان
جرى عليه هذا فانظروا انتم ايها المصرون على الذنوب واعتبروا قال اهبطا منها جميعا
الخطاب لآدم وحوا بعضكم لبعض عدو يريد اولادهما لانهما اصل البشر فخوطبا
مخاطبتهم فاما يأتينكم منى هدى كتاب ورسول فمن اتبع هداى فلا يضل
فى الدنيا ولا يشقى فى الاخرة وعن ابن عباس رضى الله عنه ضمن الله لمن اتبع القران
ان لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الاخرة ثم تلا الاية ومن اعرض عن ذكرى الهدى
الذى هو سبب ذكرى فان له معيشة ضنكا وذلك ان المؤمن وان قل ماله متوكل
على الله شاغل وقته بعبادته فهو غنيا او فى شاكر فرح وصدره منشرح والمعرض عن ذكره

عن ذكر الله وان اوتى ما الامر لم يزل مكدودا ساعيا فى الجمع والازدياد لا يهنأ بعيش محروم
لا ينال ما يريد خسر الدنيا والآخرة ونحشره يوم القيمة اعمى لا يبصر شيئا او لا حجة
له قال رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا امال حمزة والكسائى الف اعمى اولا
وثانيا وامال ابو عمرو الاول دون الثانى ليوافق الاول رؤس الآى قال كذلك
اى كما تقول فعلت ثم بين ذلك وعلله بقوله اتتك آياتنا فنسيتها تركتها وتعاميت
عنها وكذلك اليوم تنسى تترك على عماك جزاء لك من جنس عملك وكذلك نجزى من
اسرف اى مثل جزاء هذا القائل نجزى كل مسرف منهمك فى اتباع الشهوات معرض
عن تدبر الايات ولم يؤمن بآيات ربه بعد مجيئها ولعذاب الآخرة اشد فظاعة
والمآ وابقى وادوم من حشره اعمى بعد ضيق العيش فى الدنيا او الحشر اعمى لو يزول اشد
من ضنك العيش المنقضى او تركنا اياه فى العذاب اشد من تركه لآياتنا وابقى وليس توجه
ولا القول بانه اذا دخل النار زال عماه ليرى موضعه افلم يهد لهم الله ورسوله
كم اهلكنا قبلهم من القرون مفعول الهداية معنى كانه قيل ولم يبين الله لهم مضمون
هذا الكلام وقد علق عنه لكونه فى معنى الاعلام او الجملة فاعل لم يهد او مفسر لفاعله
دال عليه وهى الكثرة يمشون فى مساكنهم يريد قريشا يمرون على آثارها لكنين
من عاد وثمود فى اسفارهم ان فى ذلك لآيات لاولى النهى العقول الناهية عن
التغافل والتعامى ولولا كلمة سبقت من ربك بتاخير العذاب لكان العذاب
لزاما ملازما لهم لم يفارقهم طرفة عين لتكامل اسبابه قال ابو ذويب فلم تر غير
عادة لزاما اى ملازما واجل مسمى لاعمارهم عطف على كلمة او على ضمير كان
المستكن لوجود الفاصل والمعنى لولا كلمة سبقت بتاخير العذاب لكان العذاب
واجل مسمى لازمين معا ولم ينفرد الاجل عن العذاب العاجل فاصبر على ما يقولون
فى الله فيما اجيب به من القران وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فان
الذكر فيهما اشرف لكونهما اشرف الاوقات وصلوة الفجر وصلوة العصر كقوله
ان قران الفجر كان مشهودا وقوله صلى الله عليه وسلم من فاته صلوة العصر فكانما
وتر ماله واهله ومن آناء الليل ساعاته جمع انى بالقصر والكسر وآناء بالمد والفتح
فسبح نزه الله وقدسه اوصل فيها فان الوقت رائق والقلب فيه اجمع لعدم الشواغل
والنفس مائلة الى الاستراحة فالعبادة فيها احمز ان ناشئة الليل هى اشد وطأ و
اقوم قيلا واطراف النهار وقبل الطلوع وبعد الغروب فيكرر تاكيدا كصلوة الصبح
والمغرب واما جمع الطرف والنهار طرفان لامن الالباس فهو ما فى قوله زاد
البيان اولان اراد جنس النهار والتطوع فى اجزاء الطرفين من نصفى النهار لعلك
ترضى بما يعطيك ربك وقرأ الكسائى وابو بكر ترضى على بناء المفعول اى لعل الله يعطيك
ما يرضيك او تكون مرضيا عنده والمختار بناء الفاعل ولعل للتحقيق من الصادق والمتفضل

لاسيما والخطاب مع المقرب المفضل وتمام رضاه بقبول شفاعته في امته ولا تمدن عينيك
الى ما متعنا به نظر عينيك لمديه عن النظر اطول مدة وتطويله فان من باده النظر الى الشئ
يحيط به علما ثم يكف النظر عنه غير ملوم وانما المنهي استغراق النظر فيه اعجابا به وتمنيا ان
يكون له مثله كما قالت نظار قارون يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون وقال الذين
اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير وقد شدد العلماء واهل التقوى في النظر الى ابنية
الظلمة ومراكبهم وشارتهم فانه اغراء لهم على طلب الزيادة والتعمق فيها ازواجا
منهم اصنافا من الكفرة مفعول متعنا ويجوز ان يكون حالا من الضمير المجرور في به
اي لا تمدن عينيك الى الممتع به وهو اصنافا منهم بعضهم او ناسا منهم على ان من تبعيضية
زهرة الحيوة الدنيا مفعول ثان لمتعنا لتضمينه معنى الاعطاء والباء للسببية اي
لا تمدن عينيك الى المال الذي اعطينا بسببه اصنافا من الكفرة زهرة الحيوة الدنيا اي
بهجتها وزينتها او بدل من ازواجا بتقدير مضاف او من المجرور في به والابدال من
العايد الى الموصول مختلف فيه والاحسن نصبه على الذم لاضافتها الى الحيوة الدنيا
المذمومة فمن اكتحل بنور الهدى يرى تحقيرها والازدراء بها من اقرب القرب لنفتنهم
فيه لنبلوهم فيه او لنعذبهم في الآخرة بسببه ورزق ربك خير وما رزقك من
الهدى والنبوة خير من ذلك الحطام فان الالتذاذ به روحاني مع قطع النفع فايدته
في الآخرة وقيل ما ادخرلك من الثواب وابقى وادوم فانما بايديهم بصيبه الآفات
ويفني بالانفاق وما لك يزداد وأمر اهلك بالصلوة اهل بيتك او امتك فانك راع
وكل راع مسئول عن رعيته وفي امرهم بها اعانة له ايضا فان الجماعة تشد بعضهم
بعضا ويزداد الانسان نشاطا بخلاف الانفراد فانه يورث الفتور ولمشاركهم في
الثواب فان الدال على الخير كفاعله واصطبر عليها تحمل المشاق في المداومة عليها
لا نسئلك رزقا ان ترزق نفسك واهلك فان ذلك علينا ففرغ بالك لامر الآخرة
نحن نرزقك ومن وجب عليك القيام بامره عن عروة ابن الزبير انه [illegible] ذا راى
ما عند الملوك قرأ ولا تمدن عينيك ثم ينادي الصلوة رحمكم [illegible] والعاقبة
للتقوى لذوي التقوى اشارة الى ان ما هم فيه سريع الزوال وقالوا لولا يأتينا باية
من ربه على عادتهم في التعنت والعناد وعدم الاعتداد بما جاءهم به اولم تأتهم بينة
ما في الصحف الاولى يريد القرآن فانه مع كونه معجزة له دالة على صدق دعواه برهان
على صدق سائر الكتب المنزلة وهم يقرون بصدق تلك الكتب فاقرارهم بهذا كان
اولى واوجب والمراد ببينة الصحف الاولى نعته ونعت امته فيها كقوله اولم
يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل وقرأ غير نافع وابي عمرو وحفص بالياء بالتذكير
وهو لحسن لوجود الفاصل ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله من قبل مجيء البينة او محمد
لقالوا ربنا يوم القيمة لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل في الدنيا

في الدنيا ونخزى في الآخرة يريد ان هؤلاء لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية لانهم معاندون
والآيات انما ينتفع بها المسترشد والارسال اليهم انما هو لئلا يكون لهم عذر يعتذرون
به يوم القيمة قل كل متربص منا ومنكم فتربصوا انتم فستعلمون عن قريب
من اصحاب الصراط السوي المستقيم ومن اهتدى سلك ذلك الصراط ومن في الموضعين
استفهامية علق عنها العلم ختم السورة بما بداه كانه يقول له ما انزلنا عليك
القرآن لتشقى مع هؤلاء المعاندين فبعد التبليغ لا تنهك نفسك ودعهم في اودية
الضلال يعمهون فستعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون تمت السورة ولله الحمد على
نعمه الموفورة والصلوة على من نعته في الصحف مزبوره سورة الانبياء مكية وهي
مائة واثنتا عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم اللام صلة
لاقترب اي اقترب منهم فان الاختصاص وابتداء الغاية متقاربان او تاكيد للاضافة
والاصل اقترب حساب الناس اي اليهم ثم قيل اقترب للناس الحساب للاجمال والتفصيل
ثم قيل اقترب للناس حسابهم باقامة الضمير مقام اللام والاقتراب امر نسبي والباقي
من الدنيا قليل لقوله بعثت انا والساعة كهاتين واشار بالسبابة والوسطى و
لقوله بعثت في نسم الساعة او هو باعتبار المتكلم وان يوما عند ربك كالف سنة او
لان كل آت قريب وكل ماض بعيد والوجه هو الاول لوجود الاشتراط وهم في غفلة
مستغرقون فيها معرضون عن التدبر والتفكر في العواقب خبر بعد خبر وجعل الظرف
حالا من المستكن في معرضون ضعيف ما يأتيهم من ذكر قرآن يوقظهم عن سنة الغفلة
من ربهم المرقيهم تنزل ذلك الذكر وصفة ذكر محدث انزل اليه آية بعد آية وسورة
اثر سورة الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم حالان مترادفان او متداخلان
والمعنى ما يأتيهم الذكر المحدث المشتمل على فنون المواعظ وانواع [illegible] في حال من
الاحوال الا حال استماعهم له لاعبين مستهزئين به [illegible] هذا
قلوبهم متشاغلة [illegible] فيه والتفكر [illegible] لطائفه واسروا
النجوى اسم من التناجي ولا يكون الا خفيا [illegible] مبالغة في اخفائها
او اريد به نفس الفعل وهو التناجي بحيث لا يفطن له ولا يعلم انهم متناجون وهذا
الذين ظلموا بدل من واو اسروا [illegible] على كونهم موسومين بالظلم فيما جيئوا به
وقيل هو على لغة اكلوني البراغيث وهي لغة ازد شنوءة اول من تكلم بها ابو عمرو
الهذلي [illegible]
على ذمهم به وقيل منصوب على الذم وقيل مبتدأ قدم عليه خبره هل هذا الا بشر مثلكم
افتأتون السحر وانتم تبصرون عطف بيانه للنجوى او بدل منه وكان ذلك الكلام [illegible]
هل هذا الا [illegible] ثم رتب عليه الانكار [illegible]
ساحرا وكون ما يجيء به سحرا [illegible] ووضع المترادف موضع الضمير ليكون ابلغ قال

يعلم القول في السماء والارض القول العام الشامل للجهر والسر والاخفى فيتناول الكلام الذي
اسروه تناولا اوليا وآثر في الفرقان قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض
لانه رد لما ينسبونه اليه من الافتراء على الله فاشار الى ان ما سموه افتراء انزله من يعلم
باطن امره ومقالتهم الحمقاء وقرأ حمزة والكسائي وحفص قال اي ذلك البشر في جوابهم
وهو المختار لكونه مدحا له في الاهتداء الى هذا الجواب الذي طبق المفصل وهو السميع العليم
برهان على علمه بذلك القول بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر اما حكاية
مقالتهم من غير تدرج وترق في اباطيلهم والمراد انهم خابطون متحيرون فتارة
يقولون كذا وتارة كذا واما ابتداء اخبار منه تعالى عنهم ملاحظا فيه التدرج فان
قولهم القرآن سحر اقرب من كونه تخاليط الاحلام لانه النظم الانيق الذي يبكم كل
منطيق وهو اقرب من كونه مفترى مختلقا لدلالة القواطع على صدقه وهو اقرب
من كونه شعرا لكونه كلاما مختلا لا حقيقة له اين هو من كلام جاء بالحقائق النظرية
والدقائق الحكمية العملية التي نيط بها امر المبداء والمعاد وعلق بها اصلاح العالم عن الفساد
فان قلت التدريج من الكذب ههنا الى الشعر عكس التدريج من الشعر الى الكذب في سورة الطور
فما وجه ذلك قلت الكلام هنا في الذكر المجدد النزول فكانه قيل فانه كذاب بل انه
شاعر الاتيان بالاكاذيب وما لا حقيقة له بخلافه هناك فان الكلام في رسالته
وكونه شاعرا اقرب من كونه مفتريا لاشتهاره عندهم بالامانة والصدق فليأتنا
باية كما ارسل الاولون كابراء الاكمه والابرص واليد والعصا وصحة التشبيه
لان الارسال يستلزم الاتيان بالمعجزة ما آمنت قبلهم من قرية اهل قرية
اهلكناها صفة قرية افهم يؤمنون استفهام انكار واستبعاد دلالة على انهم
اعتى من السابقين وان عدم الاجابة الى ما اقترحوه انما هو للابقاء عليهم وما ارسلنا
قبلك الا رجالا نوحي اليهم وقرأ حفص بالنون وهو المختار لكونه ادل على التصديق
والنسب بما ارسلنا فاسئلوا اهل الذكر اهل الكتاب ان كنتم لا تعلمون او لو كان
كونه بشرا منافيا للرسالة كان اهل الكتاب اول مكذب له لذلك وما جعلناهم
جسدا لا يأكلون الطعام رد لقولهم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون
وافرد جسدا لكونه مصدرا في الاصل او بتقدير المضاف او ارادة الجنس او تأويل
الضمير بكل واحد وهو اخص من الجسم لاختصاصه بما له لون وما كانوا خالدين كانهم
كانوا يعتقدون ان الملائكة لا يموتون او جواب لقولهم يعيش كما نعيش ويموت كما نموت
فلا يصلح للرسالة ثم صدقناهم الوعد اي في الوعد كقوله واختار موسى قومه فانجيناهم
ومن نشاء من المؤمنين بهم او من سبق في العلم ايمانه او ايمان من يتولد منه واهلكنا
المسرفين المجاوزين المفرطين ولقد انزلنا اليكم كتابا خطاب لقريش فيه ذكركم
صيتكم وشرفكم لانه بلسانكم منزل على نبي منكم فانهم تم حملته والحكم المرجع في حل معاقده

سعادتكم او تذكير وموعظة لكم او فيه ما يحصل به الذكر الحسن والثناء الجميل من مكارم
الاخلاق التي كنتم تسابقون اليها افلا تعقلون ترجعون الى عقولكم فيؤمنون به
وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وصفت بوصف اهلها مبالغة والقصم الكسر
مع الابانة كناية عن الاستيصال لعدم بقاء الالتيام بعده وكم للتكثير وما روي
عن ابن عباس انها قرية بلاد يمن اسمها حضور ارسل الله اليهم نبيا فقتلوه فبعث
عليهم بخت نصر فقتلهم عن آخرهم معناه انها من جملة تلك القرى وانشأنا بعدها
اي بعد اهلها المهلكين قوما آخرين وسطه في اثناء القصة اظهار العظمة
وكمال اقتداره كقوله ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله
بعزيز فلما احسوا بأسنا شاهدوه اذا هم منها يركضون الركض ضرب المركوب
بالرجل وكانهم حين راوا مقدمة العذاب هربوا عن ديارهم او عدوهم على
ارجلهم مشبهة بالركض بجامع السرعة لا تركضوا على ارادة القول والقائل اما
الملائكة او المؤمنون منهم او لا قول بل هم احقاء بان يقال فيهم ذلك وارجعوا
الى ما اترفتم فيه من العيش الرافه والاتراف ابطار النعمة والمترف المكثر من
الملاذ الموسع فيها ومساكنكم لعلكم تسألون عما جرى فتخبرون عن علم مشاهدة
او ارجعوا الى مساكنكم وتربعوا في المجالس مباهين بها حتى يسألكم خدمكم وحفدتكم
ماذا تأمرون به من المهمات او يسألكم من يستعين بكم في الامور المهمة و
يستضيء بآرائكم او المحاويج المستمطرون سحائب اكفكم المرون اخلاف معروفكم
كل ذلك على سبيل التهكم قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين بتكذيب الانبياء فما زالت
تلك دعواهم اي قولهم يا ويلنا تسميه دعاء لان المولول ينادي الويل وتلك مرفوع
على تسميته زال ودعواهم نصب على الخبر لانه [illegible] سوى بين العكس
لم يلتفت الى قاعدة النحاة ميلا منه الى المعنى حتى جعلناهم حصيدا مثل النبات المحصود
خامدين ميتين من خمدت النار وهو مع حصيدا مفعول ثان لجعل لان الاثنين في حكم الواحد
لجامعين لمماثلة الحصيد والخمود والمتعدد في مثله كالواحد فهو سواء كان واحدا
حقيقة كقولك جعلته حلوا حامضا اي مزا او لا كعلماً منجاعاً وما خلقنا السماء
والارض وما بينهما لاعبين كما يفعله الجبابرة من رفع السقوف وبناء القصور و
فرش الحرير وسائر الزخارف والامار فعنا هذا السقف المرفوع وفرشنا هذا المهاد الموضوع
وبثثنا بينهما من الخلائق مشحونة بضروب البدايع ليكون تبصرة للمستبصرين و
تذكرة للناظرين مع ما يتعلق لهم بها من المنافع التي لا تعد والمرافق التي لا تحصى
لو اردنا ان نتخذ لهوا ما يتلهى به لاتخذناه من لدنا ما يليق بنا من الحكم الالهية
التي اتخذتموها انتم لهوا والمعنى ان صدور اللهو منا مستحيل سوق الكلام لدفع المطاعن
السابقة فيه صلى الله عليه وسلم بعد ما هدد بقوله وكم قصمنا من قرية فان منكر

الرسالة خاصل خلق السموات والأرض من باب العبث لان خلق السماء والأرض وما بينهما
انما هو لمعرفته تعالى وجزاء من قام بها ومن لم يقم ولن يتم ذلك الا بارسال الرسل وانزال
الكتب وحمل اللهو على الولد والمرأة ليس بذاك لان نفي الولد سيجيء صريحا وقوله ان
كنا فاعلين تكرير مبالغة في الاستحالة اي ان كنا نفعل ما يوصف باللهو فيكذا يكون
فعلنا والحمل على النفي ليكون كالنتيجة للسابق ايضا معنى حسن بل نقذف بالحق على
الباطل اضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته تعالى عنه فيدمغه فيزيله ويقلع اثره
استعار القذف وهو الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمي والدمغ الذي هو الوصول
الى الدماغ الموجب للهلاك تصويرا لابطاله ومحقه كانه جرم صلب قذف به على جرم
رخو اجوف فاذا هو زاهق هالك ذكره ترشيحا للمجاز ولكم الويل مما تصفون مما
تصفونه به مما لا يجوز عليه من اللهو واللعب وله من في السموات والأرض خلقا
وملكا ومن عنده من الملئكة الكروبيين افردهم بالذكر اظهارا لشرفهم ولفظ
عند تصوير لقربهم وتمثيل بمن يكون عند الملوك ذا منزلة قربة لا يستكبرون عن
عبادته ولا يستحسرون لا يملون من الحسور وهو الذي ان الاستحسار على الحسور واظهار
لكمال قيامهم باعباء العبادة التي حقيق ان يستحسر منها يسبحون الليل والنهار لا
يفترون مستمرون على التقديس لا يعتريهم فتور تقرير وتوكيد لما سبق من نفي
اللهو لان من هذا شانه منزه عن مثل ذلك وتمهيد لما بعده ام اتخذوا الهة
منقطعة للاضراب والنفي فان اتخاذ الشريك ادخل في الانكار من انكار النبوة
والقادح فيها وانما قدم عليه كونه مالك السموات والأرض ومن فيهما يستحق العبادة
منهم وان المقربين عنده قائمون بها حق القيام لتشييد وجه الانكار من الأرض
صفة الهة ومن ابتداء منه لان الاصنام منحوتة من جنس الارض كانحت من الحجر او يعمل
من بعض الجواهر هم ينشرون الموتى من قبورهم والمشركون وان لم يقولوا باقتدار
الهتهم على ذلك ولكن لازم لادعاء الالهية لها لاقتضائها الاقتدار على كل الممكنات
وفيه تهكم بهم وللمبالغة في ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص الانشار بهم لو كان
فيهما الهة الا الله الا وصف لالهة حمل على غير كما حمل عليه غير في الاستثناء ولا
يستقيم فيه الاستثناء ولا البدل لفظا ومعنى اما لفظا فلان الاستثناء لا يكون
بعد جمع منكر لعدم الشمول واما البدل فليفرعه على المفرغ النفي واما معنى فلان
ما سيق له الكلام انتفاء التعدد المفضي الى الفساد والاستثناء والبدل مفضيان الى
ان دخول الاله الحق في عداد الالهة يدفع الفساد لفسدتا لم تكونا وخرجا من
النظام للتمانع والتغالب وتحقيق الحق في هذا المطلب الاجل ان موجد الكائنات كائن
منها واجب دونها فلو فرض اثنان اما ان يتحدا ماهية او يختلفا وكل باطل قطعا
اما الاول فلاحتياج الى المقوم ولا الى المميز وبطلانه ظاهر للزوم غناه عنه

الفرق واما الثاني فلان الاثر الواحد بالشخص اما بهما او بكل منهما او بواحد منهما والكل
باطل وبطلان اللازم يوجب بطلان الملزوم ووجه اللزوم والبطلان ظاهر
هذا ان اريد بالفساد عدم التكون وان اريد الخروج عن النظام فكذلك لان
حفظهما اما بهما او بكل منهما او باحدهما والكل باطل كما تقدم واما بالتوزيع
واختصاص كل بالبعض فلان المخصص من الخارج لاستواء القدرة والامكان وذلك
عين البعض والاحتياج فالاية برهان نير ولا اختصاص له بالفاعل المختار كما ظن
فسبحان الله رب العرش عما يصفون اي اذا دلت السموات والارض على عدم جواز
وجود الشريك فانزه مالك العرش عما يصفونه به من الشريك لا يسئل عما يفعل لانه
عالم بالخفيات ووجوه الحكم والملوك الذين يتطرق على ارائهم الخطاء والزلل
لا يسألون عن تدبير الملك فكيف بمن علم ما كان وما يكون وهم يسئلون لانهم عبيد
مأمورون خطاؤن ام اتخذوا من دونه الهة انكرا ولا الالهة الارضية لظهور
فسادها ثم الالهة مطلقا وبنى عليه نفي الحجة بقوله قل هاتوا برهانكم فانه لا
دليل عليه لا ثبوت له هذا ذكر من معي وهو القران ومن معه امته واضاف الذكر
اليهم لانهم متعبدون باحكامه وذكر من قبلي وهو التورية والانجيل وفيهما
دليل على عكس مدعاهم واكتفى بالسمعي لتقدم العقلي فذمه لكونه الاصل في العقايد
بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون اضرب عن اقامة البرهان لكونهم فاقدي
التمييز بين الحق والباطل فاني ينفع فيهم ذلك وما ارسلنا من قبلك من رسول الا
نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون كشف عما كان في ذكر من قبله ازاحة لما عسى
ان يختلج المشركين شبهة على الوجه الاعم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون وقد
سبق انه ابلغ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا قدم نفي الشريك على نفي اتخاذ الولد ليكون
تمهيدا له لانه اشد استحالة لاقتضائه الازدواج وانفصال الجزء منه تعالى عما يقول
الظالمون علوا كبيرا والاية نزلت في خزاعة حيث قالوا الملئكة بنات الله سبحانه
تنزيه له بل عباد بل هم كسائر العبيد مكرمون مقربون تنبيه على محل الخطاء لا يسبقونه
بالقول لا يسبق قولهم قوله وانما نفي المسبوق عنهم ولا وجعل القول اداة ليكون اول
ما يقرع السمع عدم السبق منهم مطلقا فيكون اشد وابلغ في مدحهم نظيره شعر
قد طلبنا فلم نجد لك مثلا وهم بامره يعملون لا غير فلا قول ولا فعل الا بامره كما هو شان
المقربين مع الملوك يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم لا يخفى عليه منهم شيء الجملة تقرير
وتوكيد لما قبلها ولا يشفعون مع قرب مكانهم الا لمن ارتضى ان يشفع له و
اذن لهم في ذلك وهم من خشيته مشفقون من خوفه خائفون غاية الخوف من الشفق
وهو الستر الرقيق روي انه تعالى لما طرد ابليس بكى جبرائيل وميكائيل فقال تعالى ما هذا البكاء
قالا يا ربنا انا على خشية منك واشفاق من مكرك فقال هكذا كونا والقول بان

الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص به العلماء بردة وقوله فى حق فرعون لعله يتذكر
او يخشى ولا دليل فى قوله انما يخشى الله من عباده العلماء لارادة الكمال كقوله انما
المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ومن يقل منهم انى اله من دونه فرضا
كقوله لئن اشركت فذلك نجزيه جهنم فكيف يكون ولدا وهل احد يلقى ولده فى نار جهنم
كذلك نجزى الظالمين المشركين اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض
كانتا رتقا مرتوقين ملصوقا احدهما بالاخرى فكشط السموات عن وجه الارض
واوقع بينهما الفضاء او السموات والارض متلاصقة وكذا الارضون لا فرج بينها
ففتقناهما فجعلنا بينها فرجا والرؤية فعل القلب فان قلت اثبات ذلك العلم على اوكد
وجه ومتى كان لابى جهل واقرانه علم بان السموات والارض كانتا رتقا قلت علمهم
باعجاز القرآن المخبر عنه مستلزم عنه وانما اثر هذا الاسلوب وان كان الاستدلال
بالاتحاد كاف بيانا لكيفية الاتحاد الدال على كمال الاقتدار وقيل الرتق العدم لعدم
تمايز الاشياء فيه وقيل فتقنا السماء بالمطر والارض بالنبات والقول بان السموات
فتقت بالتحريكات الفلكية مع سماحة معناه مبنى على ثبوت حركت الفلك وانما قال
كانتا لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض وجعلنا من الماء كل شىء حى
اى خلقنا كل حى من نطفة ابيه كقوله والله خلق كل دابة من ماء او لفرط احتياجه
الى الماء كانه مخلوق منه او جعل بمعنى صير اى صيرنا كل شىء حى من الماء متصلا به
لا يحيد عنه كقوله صلى الله عليه وسلم ما انا من دد ولا الدد منى اى لا اتصال بيننا
افلا يؤمنون بعد ظهور هذه الايات وجعلنا فى الارض رواسى جبالا ثوابت تزل
معهم باتباع الاظهر الاحرى فان هذا الخصوص وذلك معقول ان تميد بهم كراهة ان
تضطرب بهم من نادية مال وجعلنا فيها فى الجبال فجاجا طرقا واسعة سبلا يسلكها
المسابلة بدل من فجاجا يدل ضمنا على انه خلقها كذلك للسابلة او حال تقدمت
وان كانت فى الاصل وصفا لقوله سبلا فجاجا للدلالة على انه حين خلقها على تلك
الصفة فيكون بيانا لما ابهم هناك لعلهم يهتدون الى مصالحهم وجعلنا السماء
سقفا محفوظا من الوقوع والاضطراب والخروج عن الاوضاع والاشكال مع عظم
الجرم وطول الزمان وقيل بالشهب من استراق الشياطين الى استماع سكانه وهم عن
آياتها المودعة فيها من عظم الجرم بلا عمد وتزيينه بالكواكب وطلوعها وغروبها
على الحساب القويم والترتيب العجيب معرضون لا يتفكرون فى شىء منها ليؤديهم الى
الايمان بوحدة الصانع وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر تفصيل
لبعض تلك الايات كل كل واحد من الشمس والقمر فى فلك يسبحون يسرعون على سطح الفلك
سراع السابح على الماء خبر كل والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بالحال دون
المعطوف لامن اللبس والجمع باعتبار كثرة المطالع وبالواو لان السباحة فعل العقلاء

الدد اللهو واللعب

العقلاء وهو صريح فى ان الحركة للكوكب دون الفلك كما يزعمه اهل الهيئة وما جعلنا
لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون كانوا يتربصون به ريب المنون كما هو دأب
الخصم المحجوج اذا لم يبق ما يتشبث به يتمنى هلاك خصمه فقيل ان مت انت كما يتمنونه فانت
وهم فى ذلك سواء فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا كل نفس ذائقة
الموت مرارته برجعانه على ذلك ونبلوكم بالشر والخير نعاملكم معاملة المختبر بهما ليرى
صبركم على البلاء وشكركم على النعم فتنة مصدر من غير لفظ الفعل والينا ترجعون فنجازيكم
على حسب الصبر والشكر واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا مهزوا به
اطلق المصدر مبالغة اهذا الذى يذكر آلهتكم فانكر هذا الكلام والذكر بالخير
ويجاوزه اراد واعيب الهتهم لان العدو لا يذكر العدو بخير واسم الاشارة للتحقير
كما فى قول عايشة عجبا لابن عمرو هذا حين افتى بان على النساء نقض الظفائر للغسل وهم
بذكر الرحمن هم كافرون اى يجحدون ان يذكر به من الوحدانية او بذكر الرحمن من اسمائه
حيث قالوا وما الرحمن او بالقرآن الذى انزله الرحمن اليك والمعنى وهم بهذه الصفة
فهم احقاء بان يتخذوا هزوا وانما انت فمعزل من ذلك واعادة الضمير لافادة التخصيص
خلق الانسان من عجل عن ابن عباس اراد بالانسان آدم حين بلغ الروح صدره اراد
ان يقوم وقيل لما بلغ الروح عينيه رأى ثمار الجنة فلما دخل جوفه اشتهى الطعام و
التحقيق ان المعنى ان العجل من لوازم الانسان جبلة لقوله وكان الانسان عجولا فانه
عام دل عليه حديث طروق رسول الله فاطمة وعليا والآية نزلت فى النضر بن الحارث
وليس فيه ما يدل على جواز تكليف المحال ساريكم آياتى التى تستعجلون بها فلا تستعجلون
ويقولون متى هذا الوعد استبطاء ان كنتم صادقين فى وقوع العذاب اما فى الدنيا
او يوم القيمة لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم
ولا هم ينصرون جواب لو محذوف اى لو عرفوا القيمة حق المعرفة وما يحيط بهم فيها
لما جسروا على ما جسروا فى التعبير عنها بحين منكرا وهم العلم المعروف وتصورها
بالوصف الكاشف عن هول لا يجى ويجوز ان لا يكون للعلم مفعول اى لو كانوا من اهل العلم
لما استعجلوا وعلى هذا حين منصوب بفعل مضمر على تقدير السؤال كانه قيل متى يعلمون
فاجيب يعلمونه حين لا يكفون بل تأتيهم بغتة فجاءة مصدر او حال فتبهتهم تجعلهم
حيارى مغلوبين فلا يستطيعون ردها النار او العذاب او القيمة لان الحين بمعنى الساعة
ولا هم ينظرون يمهلون وفيه تذكير بامهالهم فى الدنيا وتفح الوقت عليهم وانه لا انظار
بعد ذلك الامهال الطويل ولقد استهزئ برسل من قبلك لما ذكر الاجوبة الدامغة لمطاعنهم
فى النبوة وادمج فى ذلك من المعانى التى هى لباب المقاصد سلاه بان لله فيما ناله من الاذى
اسوة بالجلة الرسل فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن وعده بالنصر فى
العاقبة قل من يكلؤكم يحفظكم ويحرسكم بالليل والنهار من الرحمن من بأسه وفى ابراد

الرحمن اشارة الى ان لا كالئ لهم الا رحمته الغالبة وايماء الى انه وان عظمت نعماؤه ما اعظم غمائه على ما يقال نعوذ بالله من غضب الحليم والسؤال سؤال تقريع ولذلك اضرب عنه بل هم عن ذكر ربهم معرضون لا يخطرونه ببالهم فضلا عن ان يخافوا من بأسه تسجيلا عليهم بانهم ليسوا اهلا للسماع ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا اضرب عن اعراضهم الى ما هو اشد وادخل في الانكار كانه يقول دع اعراضهم وانظر الى من اعرضوا من ذكر الرحمن والتجأوا اليه فان هذا الطمع لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون استئناف لبيان سخافة عقولهم بان من تركوا ذكر الرحمن له جماد لا يقدر على نصر نفسه ولا هو مصحوب من الله بنصر كيف ينصر غيره بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر اضراب الى بيان الداعي الى كلاءتهم وهو التمتيع استدراجا بما قدر لهم من الاعمار فحسبوا ان لا يزالوا كذلك افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها بيان وتصوير لما هم فيه من الاستدراج وانهم سيخرجون عماهم فيه والرؤية بمعنى العلم لتعلقها بمضمون الجملة واللام للعهد يريد ارض الكفرة وهذا اخبار بما سيقع من تسليط المسلمين على الكفرة لان السورة مكية وقد وقع ذلك كما اخبر فالاية معجزة مستقلة افهم الغالبون لا يكون ذلك قل انما انذركم بالوحي بعدما استوفى الكلام في الاحتجاج على النبوة والتوحيد ثم ارصد واردفه بالوعيد ثم امر ان يقول ان هذا الذي تلوته عليكم وحي من الله ليكون قد لكم كما يقول احد خواص الملك لمن نصحه بعد ان لم يبق له عذرا ما قلته لك كلام الملك ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون الظاهر لا يسمعون ما ينذرون عدل الى المنزل للدلالة على ان عدم السماع انما هو للتصامم لا للقصور في الانذار لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي قرأ ابن عامر بالخطاب من الاسماع والغيبة من السماع ابلغ لدلالته على عدم القابلية اذ نصب ليسمع او بالدعاء والتقييد بالانذار لان الكلام فيه ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ادنى شيء منه من نفح الطيب اذا فاح وفي الحديث ان لربكم في الدهر نفحات فتعرضوا لها وفيها مبالغات ذكر المس الذي هو اتصال ما والنفح وبناء المرة والتنكير الدال على القلة يا ويلنا انا كنا ظالمين ندموا حيث لا ينفع ونضع الموازين القسط توزن بها صحائف الاعمال وهو تمثيل للحساب السوي والقسط هو العدل من اقسط عدل لا من قسط وافراده لانه مصدر او ذوات القسط روى مسلم ان الله لا ينام ولا ينبغي له بيده القسط يرفع ويخفض ليوم القيامة اللام للتوقيت كقوله لدلوك الشمس او لاجل اهله فلا تظلم نفس شيئا من اعمالها وان كان مثقال حبة من خردل اي وان كان العمل في الحقارة مثل تلك الحبة نصور لكمال عدله وان القليل عنده كثير اتينا بها احضرناها وقرأ نافع مثقال بالرفع على كان تامة وقرأه القوم اظهر لان المراد حمل بوازن الحبة وكفى بنا حاسبين لكمال علمنا وشمولنا وانما وضع الميزان اظهارا للمعدلة ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين شروع بتفصيل الرسل الذين استهزئ بهم اجمالا للتسلية بعد الاحاطة باحوالهم وبدأ بذكر موسى عليه السلام لكونه اشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم في كثرة الايات وتكاشف الامة ولو بيسوف قصته لتقدمها في السورة السابقة مسوقة ثم ذكر قصة ابراهيم لكونه على ملته وكون قصة اعرب القصص لبلوغه اقصى مراتب المتوكلين والعطف باعتبار الصفات فان التورية لكونه فارقا بين الحق والباطل فرقان ولاشتماله على الاحكام الدينية ضياء وكونه موعظة ذكرا وقيل الفرقان النصر لقوله تعالى يوم الفرقان يوم بدر وقيل فلق البحر بين موسى وعلى الذين يخشون ربهم صفة المتقين والاوجه الرفع او النصب على المدح بالغيب حال من الفاعل او المفعول وهم من الساعة مشفقون خائفون غاية الخوف وفي تقديم الضمير تعريض بغيرهم وهذا ذكر القرآن مبارك اودع فيه النماء وزيادة الخير كلمة جامعة تشمل اوصاف التورية وغيرها انزلناه افانتم له منكرون توبيخ وتقريع بعد بيان التضاد وفق الانكار ولقد آتينا ابراهيم رشده الاهتداء الى وجوه الصلاح او النبوة والحجة على قومه واضافة الرشد للدلالة على انه رشد له شان كقوله ازله بعلمه من قبل اي قبل البلوغ حين خرج من السرب ورأى الكوكب او من قبل موسى وهرون او محمد عليه السلام وكنا به عالمين بانه اهل لما آتيناه او بانه من الزكاة ويبلغ الاسرار وقوة اليقين وكمال التسليم اذ قال لابيه وقومه يتعلق باتينا او برشده والاحسن تعلقه باذكر مقدرا اي اذكر من اوقات هذا الوقت فانه يسليك عما تلقاه من قومك ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون تحقيرها بالتماثيل التي هي الصور اشارة الى انها خالية عن المعنى واللام للاختصاص لان اصله العكوف على والاحسن تضمين العكوف معنى العبادة لقوله قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ولان المنكر عبادتها قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين واضح عن البيان لان من به حسكه لا يلتفت قصدا الى الجماد فضلا عن تعفير الوجه له قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين استبعدوا ان يكون ما هم فيه ضلالا اي بما تقوله اجد وحق ام لعب وانما آثروا الاسمية في معادلة الهمزة ميلا الى ترجيحه وانه الذي يليق بحاله وعندهم ان ام منقطعة اضرابا عن كون ما جاء به فيه شائبة حق ولذلك قابلهم بمثل ما بدأوه حيث قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن اضراب عن ان يكون فيما جاء به شائبة هزل والضمير في فطرهن للتماثيل او للسموات والارض والاول ادخل في تضليلهم وان كان الثاني اقرب وانا على ذلكم المذكور من التوحيد من الشاهدين الموقنين فان علم الشهود اجل اليقينيات وتالله لاكيدن اصنامكم في ايثار التاء التي هي للتعجب بين حروف القسم ولفظ الكيد الدال على الاحتيال اشعار منه بان التعرض لها امر خطير وكان كذلك وكونا ذا الله سعي عقد نجح تيسرا بعد ان تولوا مدبرين الى مكان عيدكم روي ان آزر وقومه خرجوا الى العيد لم فدخلوا بيت الاصنام وسجدوا لها ووضعوا طعاما بين ايدي الاصنام وقالوا الى ان

ان يرجع بحصل لطعام البركة فدخل ابراهيم كما وعد بيت الاصنام وكانوا سبعين صنما فاخذ
الفاس وكسر الكل الا الاكبر لهم وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان فعلق الفاس في عنقه
فجعلهم جذاذا قطعا فعال بمعنى مفعول وقرأ الكسائي بالكسر وهما لغتان وقيل بالكسر
جمع جذيذ كخفاف وخفيف والضم اكثر كحطام ورفات الا كبيرا لهم للاصنام لعلهم اليه
يرجعون الى ابراهيم فانه المتفرد بعداوتها فيبكتهم بها او الى الكبير فانه كبير المعبودين
ورأسهم فيبكتهم ايضا وجعل الضمير لله بعيدا اذ لا فائدة في ابقاء الكبير حينئذ قالوا
حين رجعوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين بجرأته وهتك ما كان يجب توقيره
او بتوريطه نفسه قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم الفعل الاول مع فاعله
مفعول ثان لسمعنا والثاني صفة فتى ورفع ابراهيم على انه نائب عن فاعل يقال لان
المراد به الاسم لا المسمى وقيل خبر مبتدأ محذوف وقيل منادى قالوا فأتوا به على اعين
الناس بمرأى منهم وايثار على للمبالغة في تحقق الرؤية بتثبيتها وتمكنها في اعينهم
تمكن الراكب من المركوب لعلهم يشهدون ان انكر او يشهدون عقوبته ان ثبت انه
الفاعل قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم الاستفهام للتقرير او هو على اصله
والاضراب في قوله قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون معناه ان السؤال
لا وجه له اذ لا يصلح لهذا الفعل غيري وهذا النوع من الكلام من الطف المعاريض اثبت لنفسه
الفعل على الوجه الابلغ متضمنا فيه الاستهزاء والتضليل او هو من الاسناد الى السبب فانه
لما كان غيظ كبيرها اشتد عليه واكثر بسبب ذلك الحطم البواقي او هو حكاية لما يلزم من مذهبهم
كانه قال من يكون الها يجب ان يقدر على هذا او اعظم روى انه لما سئل قال فعله كبيرهم
غيظا من ان تعبدوا الصغار لعدم رضاه بالاشراك معه اشار الى ان الصنم الكبير اذا لم يرض با
الاشراك فكيف يرضى خالق الكائنات فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون باتخاذ
هذه الجمادات معبودا لا من ظلمتموه ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون
النكس جعل اسفل الشيء اعلاه والمعنى انحرفوا عن تلك الفكرة الصالحة الى ما كانوا عليه من القول
بانا علمنا انها لا قدرة لها ومع ذلك اتخذناها اربابا او رجعوا عن الجدال الباطل الى الجدال
بالحق لان قولهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون اقرار بعدم الالهية وانما عبر عنه بالنكس وان
كان حقا لانه خلاف معتقدهم او النكس عبارة عن غاية اطراقهم رؤوسهم خجلا وقولهم لقد علمت
ما هؤلاء ينطقون كلمة تحيرة اتوا بها وان كانت حجة عليهم او عن الرجوع عن الجدال العند في قوله
انكم انتم الظالمون الى الجدال معه بالباطل في قولهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون وجوابه
وهو قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم معلوما بما ينافي الالوهية
يؤيد الوجه الاول اف لكم ولما تعبدون من دون الله اف صوت اذا صوت به علم ان المصوت
متضجر واللام للسببية اي تضجرت بكفركم قرأ ابن كثير وابن عامر بفتح الفاء ونافع وحفص بالكسر
منونا للتنكير المفيد للتعظيم والباقون بالكسر غير منون لان اصل بنائه السكون والكسر اصله

في تحريك الساكن افلا تعقلون قبح صنعكم قالوا حرقوه بالنار اذ لا يبقون عذاب فوقه قال
صلى الله عليه وسلم لا يعذب بالنار غير الله لعظمه اختص بمن لا اعظم منه وانصروا آلهتكم
عطف تفسيري ان كنتم فاعلين ان ينصروا آلهتكم كنى عنه بالفعل مبالغة هذا دأب المحجوج
اذا انحزت حجته وافتضح ياخذ في المناصبة تاركا عن المعارضة والمشير بالاحراق نمرود
وقيل رجل من اعراب فارس قيل حبسوه شهرا حتى جمعوا حطبا كثيرا واججوا نارا يكاد
يحترق الطير في الجو من وهجها قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم اما كلمها على
ما هو الظاهر او مجاز عن تعلق ارادته وعن ابن عباس رضي الله عنه لو لم يقل سلاما
لاهلكته بالبرد ولكان تداخله من نوب العظمة ويحمل المصدر والخراج النار عن طبعها
خلاف المعتاد فاما ان يكون على الاطلاق او يختص بمن خصصت به وهو ابراهيم وتبقى
حرها على اصلها وعلى الوجهين معجزة له او ارهاص للنبوة اذ قيل انه كان عمره ست عشرة
سنة وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين لانقلاب الحجة في المعارضة عليهم وطول
سعيهم في اتقاد النار واستحقاقهم عذاب الآخرة ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا
فيها هي الارض المقدسة للعالمين كافة لانها موطن الانبياء منها انتشرت شرائعهم
التي هي مبادي الكمالات الدينية التي بها تنتظم بقاء الخيرات الدنيوية وهي محشرهم
يوم المعاد وقيل ما من ماء عذب الا واصله من تحت الصخرة ووهبنا له اسحق لما دعا
وطلب الولد بقوله هب لي من الصالحين ويعقوب نافلة ولد الولد فانه عاش حتى رآه
او زيادة على سؤاله من النفل وهو الزيادة ومنه نوافل الطاعات لزيادتها على
الفرايض وكلا جعلنا صالحين للنبوة او صالحين في الدين كاملين وجعلناهم ائمة
يهدون بامرنا صيرناهم مكملين بعد الكمال واوحينا اليهم فعل الخيرات بان يحثوا الناس
عليها بتكميل القوة النظرية والعملية واقام الصلوة وايتاء الزكوة من عطف الخاص على
العام وحذف التاء من الاقامة لقيام المضاف مقامها وكانوا لنا عابدين لاعز ذكره
تنبيها على شرف العبادة كوصفهم بالصلاح ولوطا نصب على شريطة التفسير آتيناه
حكما وعلما حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث
من الكفر واتيان الذكور وعدم التناهي عن المنكر والتضارط في النادي وحذف المارة بالحصى
ووصفها بوصف اهلها لقوله انهم كانوا قوم سوء فاسقين وفي اضافة القوم الى السوء
مبالغة كما في رجل صدق وادخلناه في رحمتنا في اهل رحمتنا او في الجنة لانها محل
الرحمة روى ابو هريرة ان رسول الله قال تحاجت النار والجنة فقال الله للجنة انت رحمتي ارحم
بك من اشاء انه من الصالحين الذين صلحوا للكرامة ونوحا اذ نادى من قبل من قبل المذكورين
لاهلاك قومه رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فاستجبنا له دعاءه فنجيناه واهله
من الكرب العظيم من الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه ونصرناه جعلناه منتصرا من القوم
الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين لم ينج الا هو وذريته لقوله

وجعلنا ذريته هم الباقين وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث في الزرع اذ نفشت فيه غنم القوم رعت فيه ليلا بلا راع واصل النفش التفرق ومنه نفش القطن وكنا لحكمهم لحكم الحاكمين والحاكمين والمتحاكمين وانما نسبة الفعل الى الفاعل بالقيام والى المفعول بالوقوع ارادة المطلق والاختصاص شاهدين حاضرين علما ففهمناها سليمان الضمير للحكومة حكم داود بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان غير هذا ارفق بهما وكان عمره اذ ذاك احدى عشرة سنة فقال داود كيف يا بني قال ارى يا نبي الله ان تدفع الغنم الى اهل الحرث ينتفعون بالبانها واولادها واصوافها والحرث الى ارباب الغنم يقومون عليه حتى يعود كما كان ثم يترادان فامضى داود حكمه لان حكم داود كان ايضا بالاجتهاد والحمل على انهما حكما بالوحي بعيد لكون سليمان صغيرا دون البلوغ وفي لفظ فهمناها اشارة الى ان ذلك كان بالاجتهاد فان قلت كيف نقض حكم سليمان اجتهاد داود وقد ذكر الفقهاء ان نقض الاجتهاد بالاجتهاد غير جائز قلت لم يكن هناك نقض بل ذلك من توافق الاجتهادين ورجوع داود كما رجع ابو حنيفة عن كثير من اقواله الى قول صاحبيه بعد ظهور الدليل والقول بان كلا الحكمين كان صوابا وحكم سليمان اصوب غير سديد ونظير قول داود ما قال ابو حنيفة في العبد الجاني يدفعه المولى بذلك او يفديه ونظير قول سليمان ما قال الشافعي في العبد المغصوب اذا ابق من يد الغاصب يغرم القيمة للحيلولة فاذا ظهر العبد يترادان واما عين المسئلة في شرعنا فابو حنيفة لا يوجب الضمان الا اذا كان صاحب الدابة معها لقوله صلى الله عليه وسلم جرح العجماء جبار والشافعي يفرق بين الليل والنهار يوجب الضمان بالليل لان المعتاد ضبط الدواب بالليل ولذلك قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالضمان لما دخلت ناقة البراء حائطا وافسدته وقال على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها بالليل وكلا آتينا حكما وعلما مدح لهما بعد ان قدم ان الحق ما قاله سليمان دلالة على ان المجتهد وان اخطأ ممدوح بعد بذل الوسع اجتهد واصاب فله اجران ومن اخطأ فله اجر واحد وسخرنا مع داود الجبال يسبحن اذ سبح كما سبحت الحصى في يد رسول الله وكما حن اليه الجذع وقيل يسبح بمعنى يسير من السباحة اي سخرن معه حيث سار وفيه بعد وعلى الوجهين اما حال او استئناف والطير عطف على الجبال او مفعول معه وكنا فاعلين مثل ذلك وان كان بديعا عندكم او كنا نفعل مثل هذه الكرامات مع الانبياء وعلمناه صنعة لبوس لكم صنعة الدرع عن قتادة كانت قبله صفائح الحديد فاول من سردها وضم الحلق بعضها على بعض داود فجمعت الخفة والتحصين لتحصنكم من بأسكم بدل الاشتمال من لكم قرأ ابو بكر بالنون مسندا اليه تعالى وابن عامر وحفص بالتاء مسندا الى ضمير الصنعة او اللبوس بتأويل الدروع والباقون بالياء مسندا الى ضمير اللبوس وهو الظاهر لكونه حقيقة من غير تأويل فهل انتم شاكرون هل انتم تشكرون لان اصل دخول هل على الفعل فالعدول عنه للابراز ما يتجدد في صورة الثابت فكان ادل على طلب الشكر ولسليمان الريح اي وسخرنا له الريح وزيادة اللام

هنا دون الاول لان نفعه عائد الى سليمان بخلاف تسبيح الجبال والطير عاصفة شديدة الهبوب ولا ينافي وصفها بالرخاء وهي اللينة لانها كانت عاصفة في العمل غدوها شهر ورواحها شهر وفي نفسها رخاء لا تزعزع بل تسير على وفق مراده وكان ذلك آية الى آية ومعجزة مع معجزة تجري بامره كيف يشاء حال ثانية الى الارض التي باركنا فيها هي الشام فانه كان يقيم بها وكنا بكل شيء عالمين فعلمنا انه اهل لذلك الاكرام ولذلك وصفه بكونه عبدا شكورا ومن الشياطين من يغوصون له في البحار ويستخرجون له الجواهر النفيسة من موصوفه عطف على الريح او مبتدأ خبره ما قبله ويعملون عملا دون ذلك ويتجاوزون الى اعمال اخر كبناء القصور واختراع الصنائع البديعة وكنا لهم حافظين ان يوجد منهم فساد او زيغ عن امره وخروج عن طاعته وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر قيل كان روميا من ولد عيص بن اسحق استنبأه الله تعالى وكثر ماله وولده ثم هدم البيت على اولاده وذهبت امواله وابتلي بمرض في بدنه حتى اكلت الدود لحمه وبلغت عظامه واستمر به المرض ثماني عشرة سنة او ثلث عشرة سنة او سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات روي ان امرأته قالت له لو دعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال استحي ان اسأله وما بلغت مدة بلائي مدة الرخاء فان قلت فكيف سأله قلت روي ان الدود اكلت لحمه حتى دخلت الى قلبه فخاف ان تبلغه فلا يقدر على ذكره تعالى والضر بالضم ما يلحق الجسم من سوء الحال والضر بالفتح يستعمل في كل ضرر وانت ارحم الراحمين الطف في السؤال حيث ذكر مس الضر نفسه ووصف ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب روي ان عجوزا تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت يا امير المؤمنين مشت جرذان بيتي على العصي فقال الطفت في السؤال لاجعلنها تثب وثب الفهود وملا بيتها حبا فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه اهله ومثلهم معهم احيى الله اولاده ورزقه ضعفهم كذا عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما وقيل ولد له ضعفهم رحمة من عندنا على ايوب وذكرى للعابدين وموعظة للعابدين بعده ليصبروا كما صبر فيثابوا كالاجر وحسن العاقبة واسمعيل وادريس وذا الكفل هو الياس او يوشع بن نون سمي بذلك لكونه ذا حظ من الله تعالى وقيل لكون عمله كان ضعف عمل الانبياء في زمانه وقيل هو زكريا لانه كفل مريم او الكفل يحيى لانه رزق في عمر اوانه قيل خمسة من الانبياء لهم اسمان اسرائيل ويعقوب والياس وذو الكفل وعيسى والمسيح ويونس وذو النون ومحمد واحمد كل من الصابرين على التكاليف ومشاق النوائب وادخلناهم في رحمتنا في النبوة انهم من الصالحين لما لم … كاملين في الصلاح لعصمتهم او للثناء عليهم لقيامهم بها او رثهم ذلك وذا النون هو يونس بن متى اذ ذهب مغاضبا قومه لما سئم من طول دعوتهم وشدة شكيمتهم قبل ان يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب ان لم يؤمنوا فابوا فخرج من بينهم فتابوا الى الله وامنوا فكشف الله عنهم العذاب فجاء بعد ذلك فطفر

راهم على حالهم ولم يعلم بتوبتهم فاستمر ذاهبا جاء فظن ان لن نقدر عليه من القدر وهو التضييق
ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله او مثل حاله بحال من ظن ان لن نقدر عليه بجامع
استقلاله وعدم انتظاره لامرنا او القول يجوز ان يكون ذلك الخطرة شيطانية سبقت
الى وهمه خطأ لا يجوز اعتقاده وقياسه على قوله وتظنون بالله الظنونا باطل واطلاق
الظن على الخطرة وان صح الا ان المحل آب عنه ولو سلم كيف يعاقب على الخطرة التي لا اختيار فيها
فنادى في الظلمات في الظلمة الشديدة كقوله شعر دليل يقول الناس في ظلماته سواء صحيحات
العيون وعورها او ظلمة بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع ذلك الحوت حوت آخر ان
لا اله الا انت انه لا اله الا انت سبحانك ان يعجزك شيء اني كنت من الظالمين داخلا
في عدادهم بالمهاجرة من غير امرك فاستجبنا له عقيب الاعتراف ونجيناه من الغم الذي كان
فيه وكذلك ننجي المؤمنين من الشدايد والغموم اذا اعترفوا واخلصوا وعنه صلى الله عليه
وسلم ما دعى بها مكروب الا اتاه الفرج قيل لبث في بطنه اربع ساعات وقيل ثلثة ايام
وقراء ابن عامر وابو بكر نجي بنون مضمومة وجيم مشددة على ان اصله ننجي مضارع نجى
ادغمت النون في الجيم لتجانسهما في الانفتاح والاستفال والجهر كما في اجاص واجانة و
عن ابي عبيد هو مضارع نجى حذفت النون الثانية لاجتماع المثلين مع تأبي الادغام و
عليه الرسم وقد صح النقل تواترا واتضح الوجه فالقادح مباهت وزكريا اذ نادى
ربه رب لا تذرني فردا وحيدا بلا ولد يرثني وانت خير الوارثين فلا ابالي ان لم يرثني
ولد فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه بعد ان كانت عاقرا او اصلحنا خلقها
لانها كانت سيئة الخلق وتقديم يحيى وان كان متأخرا عن اصلاحها لانه المقصود انهم
الانبياء المذكورين كانوا يسارعون في الخيرات يبادرون اليها ويدعوننا رغبا ورهبا
راغبين راهبين قدم الرغبة ترجيحا لجانب الرجاء وكانوا لنا خاشعين دائم الوجل الخشوع
فعل القلب والخضوع فعل الجوارح وعن الاعمش سألت عنه ابراهيم فقال هو بين المرء وبين الله
اذا ارخى ستره واغلق بابه والمعنى انهم ما نالوه من رفعة المحل والكرامة انما نالوه بهذه
الخصال ويجوز ان يكون هذه الاوصاف لزكريا ويحيى ووالدته لتقدم سائر الانبياء مع
اوصافها والتي احصنت فرجها ذكرها بين هؤلاء الكمل وايثار لفظ الاحصان الدال
على كمال التحفظ ينادي على عظم شانها وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لما سأل فاطمة
رضي الله عنها عن طعام اصبح عندها من اين لك هذا قالت هو من عند الله الحمد لله الذي جعلك
شبيهة سيدة نساء العالمين فنفخنا فيها من روحنا فنفخنا في عيسى في بطنها من الروح الذي
من امرنا او من جهة روح القدس وهو جبرائيل اضافة اليه تعالى تشريفا له وجعلناها وابنها
آية للعالمين جنس الآية لان فيهما آيات كثيرة او آية قائمة بهما والبواقي تختص بهذا او بتلك
ان هذه امتكم فعلة بمعنى المفعول لانها تطلب قال وهل يستوي ذو امة وكفور اشارة الى ملة
الاسلام وان لم يتقدم ذكرها لكونها مصورة في الاذهان ولكمال تميزها لم يوصف اسم الاشارة

اسم الاشارة امة واحدة غير مختلفة بين الانبياء يريد العقايد دون الفروع التي تتطرق
اليها النسخ والتبديل وانا ربكم فاعبدون كان الظاهر انا الحكم لانه رتب عليه العبادة
الا انه آثر لفظ الرب اشارة الى ان دعاءهم الى العبادة تربية لهم ودعاء بلسان اللطف
والبسط وتقطعوا امرهم بينهم امر دينهم كما يتقسم المشركاء كل يأخذ نصيبا غير نصيب الآخر
صرف الكلام من الخطاب الى الغيبة ابعادا لهم كانه نعى عليهم صنعهم الى مخاطب آخر
وقال انظر الى هؤلاء اي دين افسدوه واي ضلال ارتكبوه بعد ذلك الارشاد وهذا ابلغ
من قوله فتقطعوا بالفاء في سورة المؤمنين لمجيء الواو للمقارنة ولذلك امر هنا بالعبادة
وهناك بالتقوى اشارة الى بعد هؤلاء عن تلك الرتبة كل الينا راجعون فنجازيهم
على حسب اعمالهم فمن يعمل من الصالحات بعضها بعد ذلك التفرق وهو مؤمن اذ بدونه
لا يعتد بعمل فلا كفران لسعيه مثل في حرمان الثواب فان قلت لم ذكر فمن يعمل هنا بالفاء
وقد ذكر في السورة السابقة بالواو قلت لانه ذكر ان بعد ذلك التفرق من عمل صالحا
لا يضيع اجره وهناك ابتداء كلام ترغيبا بعد اهوال القيمة وانا له كاتبون بكتبه حفظنا
وحرام على قرية اهلكناها عزمنا على اهلاكها وقراء حمزة والكسائي وابو بكر حرم بكسر الحاء
وسكون الراء وهما لغتان انهم لا يرجعون الى التوبة لان مراده واقع لا محالة او اهلكناها
بالفعل والمراد رجوعهم الى الدنيا كذا عن ابن عباس وقيل للجزاء ولا صلة على الوجوه و
الوجه هو الاول لقوله حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج فانهم في ذلك اليوم يرجعون
الى التوبة وحتى هي التي يحكى بعدها الجملة لا يكون الا ابتدائية وقراء ابن عامر فتحت بالتشديد
وعاصم الاسمين بالهمز انما لانهما الاصل ان كانا عربيين او جارية مجراها ان كانا عجميين
وهم من كل حدب مرتفع من الارض ينسلون يسرعون من النسلان يقال نسل وعسل اذا
اسرع قيد الحدب لان الاسراع فيه اظهر قيل هم تسعة اعشار بني آدم واقترب الوعد
الحق قيام الساعة فان خروجهم بعد عيسى عليه السلام فاذا هي شاخصة ابصار الذين
كفروا تشخص البصار ترتفع اجفانه من شدة الخوف والضمير في القصة يفسر الجملة او مبهم
يفسره الابصار والجملة جزاء الشرطية واذا الفجائية وان قامت مقام الفاء لانهما اذا
تظاهرتا على ربط الجزاء يكون الاتصال اكد ويتوهم اجتماع البدل والمبدل ساقط لان
اذا يراد بها معناها فلم يتمحض بدلا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا مقدر بالقول بل كنا
ظالمين اضراب الى ما هو فيح وهو الاخلال بالنظر انكم وما تعبدون من دون الله يعني الاصنام
وابليس واعوانه لما روي ان رسول الله لما تلاه على كفار قريش قال له ابن الزبعرى خصمتك ورب
الكعبة عبد عزير والمسيح وعبد بنو مليح الملئكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم
عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى وقيل
لما قال له ابن الزبعرى ما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجهلك بلغة قومك ما لما
هي لغير ذوي العقول حصب جهنم عن ابي عبيدة كل ما يلقى في النار حصب من حصبت الشيء اذا

بالحصباء انتم لها واردون لا لغيرها بخلاف المؤمن فانه وان وردها فهو بالعرض لو كان هؤلاء
آلهة كما زعموا ما وردوها اذ لا يعقل ورود الاله على النار وكل من العابد والمعبود فيها
خالدون كما لا يرجون منها الشفاعة فاذا وجدوا الامر بالعكس لم يكن عليهم عذاب
اشد من مقارنهم لهم فيها زفير استغراق نفس من تراكم العذاب كالحريق او هو صوت نهرو
عويلهم شبه بصوت الحمير فان الزفير اوله وهم فيها لا يسمعون لانهم يجعلون في توابيت
لئلا يرى بعضهم بعضا ولا يسمع صوته وهذا بعد الياس لقوله ونادوا يا مالك وقولهم
ربنا اخرجنا منها ان الذين سبقت لهم منا الحسنى السعادة او البشرى بانبات الاحسن
لم يعطف القصة لئلا يشعر بالتبعية اولئك عنها مبعدون من النار لا يسمعون حسيسها
حال او استيناف لبيان البعد والحسيس الصوت الخفي وفيه دلالة على غاية البعد فان
صوتها يسمع من مسيرة سبعين عاما وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون مستغرقون في
النعم مع الخلود الذي هو رأس النعم لا يحزنهم الفزع الاكبر هو عند النفخة الاخيرة لقوله
ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض وعن الحسن عند الانصراف الى
النار وعن الضحاك عند اطباق النار وقيل ذبح الموت وتتلقاهم الملائكة بالبشرى و
الاكرام هذا يومكم الذي كنتم توعدون على لسان الرسل يوم نطوي السماء مقدر
باذكر او ظرف لا يحزنهم او تتلقاهم او حال مقدرة من العائد المحذوف من توعدون
والطي ضد النشر كطي السجل للكتب هو الكتاب الكبير وفي الحديث توضع السجلات في كفة
ولا اله الا الله في كفة والمراد به الطومار والمناسب للكتابة النشر الا ان الطي جعل
كناية عن تسويته له حتى اذا احتيج اليه لا يحتاج الى تسويته وقيل السجل اسم ملك يطوي بجل
الاعمال والقول بان السجل اسم كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم باطل وقرأ حمزة والكسائي
وحفص بضم الكاف والباء والافراد اخف ويحصل به الغرض كما بدأنا اول خلق نعيده
جملة منقطعة عن الاولى اي نعيد اول كل مخلوق ونوجده بعد العدم كما اوجدناه سابقا
كذلك والمعنى ان تحقق الاعادة مثل تحقق البداءة فالمعاد هو الاول وما كافة او مصدرية
والكاف في محل النصب ببدأنا تشبيها للاعادة بالبدء وان جعلت موصولة اي نعيد
مثل الذي بدأناه فالمعاد هو المثل والمطلوب هو العين وعدا علينا نصب بنعيده لانه
عدة بالاعادة انا كنا فاعلين لا محالة او قادرين ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر
في الكتاب الذي انزل على داود بعد ان كتبنا في التورية او اللوح المحفوظ او في القرآن
فان تأخر نزوله لا يقتضي تأخر الكتبة بشير الى ان الزبور مع كونه غير مشتمل على الاحكام
بل هو تحميد وتمجيد لم يخل عن هذا الحكم وقرأ حمزة الزبور بضم الزاء وهما لغتان او جمع
زبر ان الارض يرثها عبادي الصالحون امة محمد لقوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا
الصالحات ليستخلفنهم في الارض او عامة المؤمنين ان في هذا لبلاغا لموعظة وذكرى
اسم بمعنى التبليغ او بمعنى الكفاية قال شعر زجر من وسائل بالبلوغ لقوم عابدين همهم العبادة

همهم العبادة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين سبب لاسعادهم ومن خالفك لا يلوم الا نفسه
كمن منع نفسه عن شرب الماء حتى مات لا يقدح ذلك في كون الماء به الحيوة وقيل كونه رحمة
للكفار لانهم بجوابه عن عذاب الاستيصال روي انه صلى الله عليه وسلم قال لجبرائيل قد
سماني الله رحمة للعالمين فهل اصابك منها شيء قال والله اني اخاف وفي نصيبا لما انزل كتب جل
حتى اثنى علي في سورة التكوير وقد ختم سورة الانبياء بخاتمهم ليكون الختام مسكا قل انما
يوحى الي انما الهكم اله واحد اي ما يوحى الي الا انه لا اله لكم الا الله الموصوف بالوحدانية
لعنى ان المقصود الاصلي والمقصود الاقصى هو ذلك فالاول انما لقصر الصفة على الموصوف والثاني
انما بالعكس والثاني ليس كليا بل من المقام لقوله وظن داود انما فتناه فهل انتم مسلمون
بعد هذا الوحي المصدق بالحجة وفيه ان التوحيد يصح اثباته بالسمع فان تولوا عن
التوحيد فقل آذنتكم على سواء اعلمتكم من آذن بمعنى علم وقد شاع استعماله في معنى
الانذار والمعنى بعد توليكم فقد اعلمتكم اعلاما انا فيه وانتم مستوون فيه ان
الغلبة والعاقبة للمسلمين لا محالة وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون وما
ادري متى يكون ذلك لان الله لم يطلعني عليه وقيل اعلمتكم الحق على سواء اي عدل وتوحيد
انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون فيجازيكم على ذلك وان ادري لعله فتنة
لكم لعل التأخير ابتلاء لكم وامتحان لينظر كيف تعملون ومتاع الى حين الى وقت اقتضته
مشيئته قال رب احكم بالحق اسأله الجازما وعدك من الوعد الثابت الذي لا
خلف فيه وقد فعله يوم بدر رافعا يديه فانالوا اشدك وعدك حتى سقطت رداءه
وقرأ حفص قال اخبارا عن فعله وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون من ان الغلبة
لكم وان راية الاسلام تخفق اياما ثم تسكن وتتول بذلك انفسكم الاماني معرضين
عن الذكر لاهية قلوبكم اتصلت الخاتمة بالفاتحة والحمد لله حق حمده والصلوة على سيد اصحاب
بعون سورة الحج مكية الا ست آيات من هذان خصمان الى قوله صراط الحميد وهي ثمان
وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء
عظيم الزلزلة مضاعف الزل وهو ازالة الشيء من مكان الى آخر والمراد بها هنا
تحريك الارض وانتقال الاشياء عن مقارها ومراكزها واضافتها الى الساعة على تقدير
المجاز الحكمي لانها تقع فيها او للاتساع في المفعول فيه واجرائه مجرى المفعول به كقوله بل مكر الليل و
النهار واختلف في وقتها فعن الحسن انها يوم القيمة وعن علقمة والشعبي انها قبل عند
طلوع الشمس من مغربها والاضافة الى الساعة لانها من اشراطها علل الامر بالتقوى
بها لما فيها من الهول حثا على التدرع بلباس التقوى الذي هو الملجأ والمنجا في الشدائد
ومن يتق الله يجعل له مخرجا يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت يوم منصوب
بتذهل والذهول الذهاب عن الشيء بدهشة آثر مرضعة على مرضع لاراد الحدوث لانها
اذا ادهشت حال الارضاع ملقمة ثديها للرضيع كان الامر في غاية الشدة وما موصولة او

او مصدرية وتضع كل ذات حمل حملها في غير اوان الولادة وترى الناس سكارى ظاهرا وما
هم بسكارى حقيقة ولكن عذاب الله شديد فلذلك ذهب عقلهم وطار تمييزهم وقرا حمزة
والكسائي سكرى على وزن فعلى وهو مطرد في عاهات البدن كمرضى وحمقى وعن الفراء جمع
سكر كزمن وزمنى والمختار قراءة القوم لان فعلى انما جمع فعلان ككسالى والاجماع
في لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى ومن الناس من يجادل في الله بغير علم نزلت في
النضر بن الحارث كان جدلا يسافر الى العجم ويتعلم من اقاصيصهم ويتبع في مجادلته
كل شيطان مريد متجرد عن الخير اصل المرودة الملاسة يقال غصن امرد لا ورق عليه
كتب عليه انه من تولاه فانه يضله مثل وتصوير كان من تولاه مكتوب عليه اضلاله
ويهديه الى عذاب السعير بوصله اليه استعارة تهكمية يا ايها الناس ان كنتم في
ريب من البعث في امكانه فانا خلقناكم من تراب هو خلق آدم لقوله خلقه من تراب
ثم من نطفة من مني من النطف وهو الصب ثم من علقة قطعة دم جامد ثم من
مضغة قطعة لحم قدر ما يمضغ فعلة بمعنى المفعول مخلقة وغير مخلقة خالية من
العيب والنقص وغير خالية يقال خلق السواك اذا سواه وجعله املس وعلى ذلك الاصل
التفاوت بين افراد الناس طولا وقصرا تماما ونقصانا والمعنى ان ارتبتم في ثبات
البعث فانظروا الى هذه المقدمات لتوريكم العلم الجلي بحيث لا يبقى بكم شائبة ريبة
عن انس بن مالك ان الله وكل بالرحم ملكا يقول يا رب نطفة يا رب علقة يا رب
مضغة يا رب فاذا اراد ان يقضي خلقه قال اذكر ام انثى شقي ام سعيد فما الرزق والاجل
فيكتب في بطن امه لنبين لكم بهذا التدريج كمال قدرتنا وفي كل انقلاب آيات شاهدة
بذلك وايراد الفعل غير معتدى الى المفعول اشارة الى ان فعله هذا يتبين به من كمال
علمه وقدرته ما لا يمكن الاحاطة به ونقر في الارحام ما نشاء ان نقره عطف على
انا خلقناكم والعدول الى المضارع لتصوير الحال والدلالة على زيادة الاختصاص الى
اجل مسمى الى وقت ولادة اقله ستة اشهر والاغلب تسعة اشهر ونهايته سنتان عند
ابي حنيفة واربع عند الشافعي ثم نخرجكم طفلا حال من المفعول يستوي فيه الذكر و
الانثى والمفرد والجمع قال او الطفل الذين لم يظهروا وثم للترقي رتبة كانه قيل ثم
نخرجكم بعد تلك الاطوار الخسيسة انشاء بديعا انسانا في احسن تقويم ثم لتبلغوا
اشدكم معلله محذوف اي ذلك الاقرار والاخراج لتبلغوا الاشد فانه اوان الاكمال
علما وعملا فهو حقيق بان يكون المقصود من الاقرار والانشاء اللذين هما له كالمقدمة
للنتيجة ولذلك اسندهما الى ذاته المقدسة دون الاشد تقدم معناه في يوسف
ومنكم من يتوفى من لا يصل الى بلوغ الاشد ومنكم من يرد الى ارذل العمر الى ان يكبر و
يخرف استوفى الاقسام بعد الاخراج كما استوفى الاقسام قبله وقدمها اما نظرا الى الوجود
او لانها ادل على البعث فان قلت لم طوى ذكر النفخة هنا وقد ذكرها في سورة المؤمن

المؤمنين حين عد اطوار الانسان بعد الاخراج قلت الرد الى ارذل العمر لا يمكن بدون التجاوز
عنها ولم يكن مقصودا كليا فلما ذكرها هنالك لم يعد ذكرها كما ان الاخراج طفلا لما
لم يكن الا بعد المضغة وقد ذكرها هنا طوى ذكرها هنالك كما هو شأن الكلام المعجز
في اشاراته ورموزه لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ليعود الى ما كان عليه حال الطفولية
ضعيف البنية سخيف العقل يشير الى انه قادر على الاشياء واضدادها على السواء فتارة
يرقي الانسان في مدارج الارتقاء الى اوج الكمال وتارة ينزله الى حضيض النقصان
ودرك الوهاء ولما استوفى ادلة الانفس التي هي اقرب اخذ في ادلة الآفاق وترى
الارض هامدة لا نبات بها من همدت النار اذا خمدت فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت
تحركت بالنبات وربت وانتفخت وانبتت من كل زوج من كل صنف الاسناد الى
الارض اسناد الى المحل بهيج ذي حسن ورواء من بهج بالضم ذلك المذكور من
خلق بني آدم وما بعده من النمط المذكور بان الله هو الحق الثابت الوجود وانه
يحيي الموتى وانه قادر على احياء الموتى وانه على كل شيء قدير لاشتراك الامكان
واستواء نسبة القدرة وان الساعة آتية لا ريب فيها لان الصادق قد اخبر
بوقوعها وقيل لان التغير دليل الانصرام وفيه ان الجنة والنار حادثان متغيران
ولا انصرام لهما وان الله يبعث من في القبور بمقتضى وعده وزبدة الكلام انما كان
ذلك لانه تعالى حق قادر حكيم لا يخل بمقتضى الحكمة بل يميز بين الطائع والعاصي والمحق و
المبطل فاتيان الساعة وبعث من في القبور من روادف الحكمة ومن الناس من يجادل
في الله بغير علم هو النضر بن حارث والتكرير للتاكيد كما هو عادة الاقاصيص مع ما زيد
من قوله ولا هدى ولا كتاب منير وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو ابو جهل وقيل الاولى
في المقلدين وهذا في المتقلدين يؤيده ذكر الاتباع هناك والمراد بالعلم العلم الضروري
وبالهدى النظر والاستدلال الموصل الى العلم والكتاب المنير الوحي ثاني عطفه كناية
عن التكبر والاعراض عن الحق ليضل عن سبيل الله قراءة ابن كثير وابو عمرو بالفتح وانما
جعل جداله خروجا من الهدى وان لم يكن قط في شيء منه لتمكنه منه والمختار الضم
لقوله وصدوا عن سبيل الله ولان المختار انه في المقلدين وهم الرؤساء المضلون
له في الدنيا خزي قتل واسر ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق الاحتراق او النار
العظيمة ذلك بما قدمت يداك من الكفر والمعاصي يقال له ذلك او التفت اليه لكون
التوبيخ كفاحا وان الله ليس بظلام للعبيد بان يعذب من لا جرم له بناء على ما جرت
به سنته ومن الناس من يعبد الله على حرف شبه حال من لم يطمئن قلبه بالايمان
بحال من يكون على طرف العسكر في المحاربة فان رأى نصرة وظفرا قر والا انثنى بقوله
فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه عن ابن عباس رضي
الله عنه كان الرجل يقدم المدينة فان ولدت امرأته غلاما ونتجت خيله قال هذا دين

دين ضالع وان لم تلد امراته اولم تنتج خيله قال هذا دين سوء خسر الدنيا والاخرة لانه ارتد
لفقد الدنيا ذلك هو الخسران المبين الجلي اذ لا خسران اظهر من خسران فاقد الدارين يدعوا
من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه اعاد الموصول مبالغة للدلالة على كل من الانتفاء
استقلالا والعطف من قبيل الصفات ذلك هو الضلال البعيد البعد وصف الضلال
وصف به فعله مبالغة يدعو لمن ضره اقرب من نفعه نفي الضر والنفع عن النفع الذي
كان بمن قبلها ويدعوا اما بمعنى الزعم والاعتقاد واللام معلقة له اولمعنى القول
والجملة بعده محكية والمعنى يقول الكافر اذا راى حرمانه من نفعها وقرن معها ولحق
في النار لمن ضره اقرب من نفعه او يدعوا تكرير كانه قال يدعوا من دون الله ما لا يضره
ولا ينفعه ثم استانف بخبر لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير فان
قلت لا نفع في الاصنام بوجه فما معنى الاقربية قلت هذا ونظائره من باب المجارات
بناء على زعم الخصم ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها
الانهار ان الله يفعل ما يريد لا مانع لقضائه ولا يسئل عما يفعل من كان يظن ان لن
ينصره الله لما ذكر المجادل بالباطل بانه لا ادلى نظرية ولا وحي سماوي ويتبع ماله في
الاخرة اتبعه بذكر من يجادل عن دين الله بادلة قاطعة وبراهين صادقة وهو الرسول
المؤيد اختصر الكلام واشار اليه بالضمير دلالة على انه العلم المرفوع الذي لا يشتبه
وان الكلام معه وله وفيه وان عبر وان ذكر فالنبع والعرض في الدنيا والاخرة
فليمدد بسبب الى السماء الى سقف بيته ثم ليقطع ليختنق من قطع اذا اختنق فان المختنق
يقطع مجاري نفسه وفي الحديث اصاب ابن عمر قطاع اي ضيق نفس او فليمدد بحبل الى السماء
المظلة فليقطع الوحي النازل عليه وزيادة ان من يغيظه نصره واعلاء شانه فليستقص
وسعه وليستفرغ جهده فلينظر فليتامل هل يذهبن كيده احتياله ما يغيظ وقيل
الاية نزلت في طائفة من المسلمين استبطؤا نصر رسول الله واظهروا القلق فالاية تحث
لهم على الصبر على الكد وجد وقيل النصر الرزق من نصر الغيث الارض قال اذا دخل الشهر الحرام
فجاوزي بلاد تميم وانصري ارض عامر وعلى هذا الغرض حث المؤمنين على الرضا بما قسم الله
لا كمن يعبد الله على حرف وكذلك انزلناه اي مثل ذلك الانزال في اثبات البعث قاطعا
دابر الشبهة انزلنا سائر القران لاثبات الاحكام والمقاصد ايات بينات واضحات
وان الله يهدي من يريد ولارادة هدايته من يريد هدايته او زيادة هدايته انزل
القران كله كذلك ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس
والذين اشركوا افراد الصابئين بالذكر دل على انهم نحلة لقوة المفارقة في عقائدهم
ان الله يفصل بينهم يوم القيمة بان لا يجمعهم في مكان واحد ولا يجازيهم جزاء واحدا
بل يفاوتهم بحسب تفاوت اعمالهم او يقضي بينهم فيما كانوا فيه يختلفون ان الله على
كل شيء شهيد حاضر بعلمه لا يفوته الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن

في الارض شتبة تأتي من فيها وقابلية لاحداث ما اراد واقتضته حكمته فيه بادخل
افعال المكلف في الطاعة واقواها على الانقياد اذ لا خضوع فوق السجود وتعفير اشرف
الاعضاء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد من الله وهو ساجد وفي
السجود يقبل شفاعته في حق العصاة والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب
خصها بالذكر لانها اشرف الاجرام العلوية والسفلية بعدا ولي العلم فاذا انقادت
فما سواها اولى وكثير من الناس من جوز استعمال المشترك في المعنيين نظمه في سلك
المذكورات المتناسقة واراد بالسجود هنا وضع الجبهة ومن لم يذهب الى ذلك اما ان
يجعله مبتداء خبره محذوف وهو مثاب اوساق معناه للدلالة مقابله عليه او مرفوعا
بمضمر دل عليه الحال او يسجد المذكور دلالة مقاربه او مبتداء ومن الناس خبره اي وكثير
من الناس الذين هم ناس حقيقة وهم المتقون اي كاينون منهم او كثير كثير منهم مبالغة في
تكثير من حق عليه العذاب كانه قيل وكثير من حق عليه العذاب والسياق يابا هما لان الكلام
لبيان كبريائه وانقياد الكائنات له احوالا وافعالا وكثير حق عليه العذاب بابائه
عن وضع الجبهة له كما طاعة والقول بانه يجوز عطفه على الساجدين بالمعنى العام على
معنى ان كثيرا من المسخرين له لارادته حق عليه العذاب مع ركاكته يوجب تفكيك الضمير
ومن يهن الله بالشقاء فما له من مكرم اشارة الى الطاعة والاباء من الفريقين ان
الله يفعل ما يشاء لا الهية لصنعه وان اشتمل على حكم هذان خصمان الخصم مصدر
وصف به الفوج او الفريق ولذلك قال اختصموا نظرا الى المعنى عن ابن عباس راجع الى
الاديان الستة روى البخاري عن ابي ذر رضي الله عنه انه كان يقسم انها نزلت في
الذين بارزوا يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث وشيبة بن ربيعة وعتبة
بن ربيعة والوليد بن عتبة وروى ايضا عن علي بن ابي طالب انا اول من يجثو بين
يدي الرحمن للخصومة يوم القيمة وقيل ان اهل الكتاب قالوا للصحابة نحن احق بالله
منكم نبيا قبل نبيكم وقال المؤمنون بل نحن لانا امنا بمحمد وبنبيكم فنزلت في ربهم
في شانه من صفاته واحواله او في قربهم منه فالذين كفروا مطلقا وان كان التسبب
خاصا قطعت لهم ثياب من نار اشارة الى وجه فصل الخصومة الذين اجمله في قوله ان
يفصل بينهم وتقطيع الثياب من النار بان يجعل الله النار محيطة بهم طبقات كما كانوا
يلبسون في الدنيا ثياب الخيلاء وتنكير النار للتهويل يصب من فوق رؤسهم الحميم
الماء الحار لانه الصق واشد نفوذا في الاعماق يصهر به يذاب الحميم اي يذاب
ما في بطونهم من الاحشاء والجلود ولو تقديم ما في بطونهم على الجلود ايماء الى انها من فرط
حرارتها تؤثر في الباطن قبل تاثيرها في الظاهر لان ذلك ارفق واشد تاثيرا وهذه
ابلغ من قوله وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم لان الصب على الرؤس الحشو من الحي والاذابة
ابلغ من التقطيع وما في البطون اعم من الامعاء ولهم مقامع من حديد سياط مختصة بهم

من الغم وهو الكف كلما أرادوا أن يخرجوا منها من النار من غم لغم عظيم يغمهم أعيدوا
فيها في النار أي أماكنهم ودركاتهم بعد قصدهم لأن الإعادة ترتبت على الإرادة للخروج
ومعنى الخروج هو الظهور لأنهم يرتفعون مع اللهب إلى ضحضاح النار فيضربون بالمقامع
فيهوون فيها وقيل لهم وذوقوا عذاب الحريق اسما لما يكرهونه زيادة في العذاب
من كل جهة أعاذنا الله منه بفضل رحمته إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الأنهار قسيم لقوله فأما الذين كفروا وغير الأسلوب وصدر
الجملة باسمه المقدس تنويها بشأن المؤمنين وإشارة للحكم بأن المباشر لذلك هو بذاته
تعالى من غير واسطة ملائكة يحلون فيها حال مقدرة من أساور جمع أسورة جمع سوار من
ذهب بيان ولؤلؤا عطف على ذهب أي أساور مركبة منهما وهو الترصيع وقرأ نافع وعاصم
بالنصب عطفا على محل من أساور أي يحلون أساور ويحلون لؤلؤا وأبدل أبو بكر الهمزة الأولى
والمختار الجر لفظا لرجحان اللفظ على المحل ومعنى لأن المرصع أجمل ولباسهم فيها حرير
غير الأسلوب لأنه المتعارف وهدوا إلى الطيب من القول هو الكلمة الشهادة وعن
السدي هو القرآن وهدوا إلى صراط الحميد إلى دين الله والحميد من أسمائه تعالى
أو المحمود في نفسه والمحمود عاقبته وقيل هدوا إلى الطيب من القول في الجنة
مثل قولهم الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وقولهم الحمد لله الذي هدانا لهذا
والوجه الأول لفظا ومعنى إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله دين الإسلام
أتى في المعطوف المضارع للدلالة على الاستمرار والخبر محذوف لدلالة الكلام عليه
أي معذبون وجعله خبرا لا خلاف المشهور في المضارع المثبت بالواو والمسجد الحرام
الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ذهب إسحق بن راهويه وأبو حنيفة
في إحدى الروايتين استدلالا بالآية على عدم جواز بيع دور مكة وذهب الشافعي
إلى الجواز لأن المذكور الموصوف بالسواء المسجد ولما رواه البخاري عن أسامة قلت
يا رسول الله أين تنزل غدا بدارك فقال وهل ترك لنا عقيل من دار ولما ثبت أن عمر
اشترى دارا من صفوان بن أمية بأربعة آلاف وجعلها سجنا ولا دلالة للآية
على عدم الجواز لأن المذكور هو المسجد وسواء مصدر بمعنى مستو مفعول ثان لجعلناه
ورفعه حفص على أنه خبر العاكف والجملة في محل النصب مفعولا ثانيا والعاكف
مرتفع به وإن جعل للناس مفعولا ثانيا فالنصب على الحال والعاكف المقيم والباد
الآفاقي ومن يرد فيه حذف مفعوله لإرادة العموم أي كل مراد كائنا بإلحاد
ملتبسا به وهو العدول عن الحق من اللحد وهو الميل وفي الحديث هو احتكار الطعام
فيه والظاهر أن سبب النزول العموم المراد لما روي أن ابن عمر كان له فسطاطان
أحدهما في الحل والآخر في الحرم فإذا أراد أن يعاتب أهله خرج إلى الحل فقيل له في
ذلك فقال كنا نتحدث أن قول الرجل بلى والله ولا والله في الحرم من الإلحاد وقيل

قيل لم يعلق الوعيد في نص على إرادة ما نهي عنه إلا فيه بظلم حال ثان أو بدل عن الأول
بإعادة الجار وأصله له أي بسبب ظلم كالشرك واقتراف الآثام نذقه من عذاب
أليم جواب من وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أي واذكر لقومك ذلك الوقت وما
أمرنا به إبراهيم الذي يزعمون أنهم على ملته ليبصرهم أنهم ليسوا على شيء من
دينه يقال بوأه اتخذ له مباءة والمباءة المنزل من باء رجع لأنه يرجع إليه وقيل
اللام زائدة أي نزلناه وجعلنا مكان البيت مباءة له عن علي بن أبي طالب كان
في موضع البيت البيت المعمور وهو ياقوتة حمراء فرفع في الطوفان فلما أمر الله
إبراهيم ببناء البيت ضاق به ذرعا ولم يدر موضع البناء فأرسل الله إليه السكينة
وهي ريح خجوج فتطوقت موضع البيت كالجحفة فظهر له الأس فبناه عليه أن لا تشرك
بي شيئا تفسير للتبوئة لأن الغرض منها العبادة أي قلنا لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي
للطائفين والقائمين والركع السجود هؤلاء العابدين وأذن في الناس بالحج
نادهم عن ابن عباس رضي الله عنه لما فرغ من بناء البيت أمره الله أن ينادي الناس
بالحج فصعد أبا قبيس وقال يا أيها الناس حجوا بيت الله فأسمع الله نداءه الأرواح
في الأصلاب والأرحام فكل من سمع ذلك النداء وأجاب يحج لا محالة وعن الحسن
ومقاتل بن حيان أن هذا أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بأن
يدعو الناس إلى الحج والحق أن الآية مكية والسياق إنما هو لقصة إبراهيم يأتوك
رجالا جمع راجل وعلى كل ضامر أي ركبانا على كل بعير مهزول لبعد السفر يأتين من كل
فج طريق عميق بعيد ليشهدوا منافع لهم نكر المنافع دينية ودنياوية مخصوصة
بالحج لا توجد في غيره وعن أبي حنيفة رحمه الله أنه كان يفاضل بين العبادات فلما
حج فضله على سائرها لما رأى تلك الخصائص ويذكروا اسم الله في أيام معلومات
في عشر ذي الحجة فإنها أيام العبادة والطواف والاعتكاف وقيل أيام النحر لقوله
على ما رزقهم من بهيمة الأنعام المراد ذكر اسم الله عند النحر والذبح وإنما عدل عنه
إلى المنزل دلالة إلى أن المقصود من شرع النحر وسائر الأعمال هو ذكره تعالى وإسناده
بالرزق تنبيها أنه محض فضل منه تعالى وفيه حث على الإنفاق وتشويق بالتقرب بها
إلى الرازق مع اشتماله على الإجمال والتفصيل فكلوا منها أمر إباحة لأن أهل الجاهلية
كانوا يتحرجون من أكلها أو ندب مواساة للفقراء وأطعموا البائس هو الذي اشتدت
حاجته الفقير وصف كاشف له كأن الإعسار كسر فقاره والأمر فيه للوجوب ثم
ليقضوا تفثهم يزيلوا ما عليهم من الدرن وما يتبعه من قص الشارب وقلم الأظفار
فإن الحاج أشعث أغبر وليوفوا نذورهم ما نذروا من التقرب إلى الله فإنه كثير
الوقوع في طريق الحج وتلك الأماكن الشريفة وليطوفوا هو طواف الزيارة لأنه
ركن لا يتم الحج بدونه أو الوداع لأنه واجب أو مطلقه لأنه أفضل الأعمال بالبيت العتيق

القديم لكونه اول بيت وضع للناس او العتيق من تسلط الجبابرة عليه ما قصده جبار
الا قصمه الله والحجاج لم يقصد اهانته ولذلك بناه بعد الانهدام وهو اليوم على ما بناه
او الشريف والعرب تسمى كل حسن عتيقا كانه عتيق على الشين والعيوب ذلك
الامر ذلك كانه قيل احتفظ به ومثله للفصل بين المقاصد انتقالا لامن نوع الى آخر
واكثر ما يقع للحساب وارباب السياقة ومن يعظم حرمات الله كل ما لا يحل انتهاكه
جمع حرمة كظلمات وظلمة وقيل ما يتعلق بالمناسك فهو خير له عند ربه اريد به
زيادة مطلقة من غير مفضل عليه واحلت لكم الانعام كلها رفع لقاعدة اهل الاوثان
من تحريم البحائر والسوائب الا ما يتلى لكن ما يتلى عليكم من الميتة والدم والموقوذة و
المتردية والنطيحة وما اكل السبع حرام فاجتنبوا الرجس من الاوثان اى اذا
اجتنبتم الانجاس التى بينت فاجتنبوا الاوثان فانها نجس ايضا من بيانية بالغ في
التنفير عن عبادتها واجتنبوا قول الزور الكذب قرنه بعبادة الاوثان لقرب قبحه
روى الامام احمد ان رسول الله قال شهادة الزور عدلت بالاشراك ثم تلا الاية حنفاء
لله مائلين عن الباطل مخلصين له غير مشركين به تصريح بما علم منهما ومن يشرك
بالله شيئا فكانما خر من السماء فتخطفه الطير شبه حال المشرك وصورته بحال من سقط
من السماء الى الارض فاختطفته الطير من كل جانب فتفرق مزعا في حواصلها او شبه
الايمان في علوه باوج السماء وتاركه بالساقط من ذلك الاوج الى الكفر الذي لا
حضيض بعده وقرا نافع فتخطفه بفتح الياء والخاء وتشديد الطاء مضارع تخطف
وهو ابلغ او تهوي به الريح في مكان سحيق من باب او كصيب وبحال من عصفت به
الريح فهوت به في بعض المطارح البعيدة او شبه الشيطان الذي يطرحه في مهمه البوار
بالريح التي تهوي بما عصفت به الى مكان بعيد القرار ذلك الامر والشان ومن يعظم
شعائر الله علائم دينه من الفرائض والسنن والآداب جمع شعيرة واكثر استعماله في
مناسك الحج لانها امور محسوسة او المراد الهدايا فانها من اعظم شعائر الحج او فق بما بعده
وتعظيمها بان يختارها غالية الاثمان عظائم الاجرام وفي الحديث سمنوا ضحاياكم
فانها على الصراط مطاياكم وقد اهدى صلى الله عليه وسلم في حجته مائة بدنة فيها
جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب واهدى عمر جملا اعطي فيه ثلثمائة دينار فانها
من تقوى القلوب اسناد التقوى الى القلوب اسناد الى المحل لكم فيها منافع الى اجل
مسمى ثم محلها الى البيت العتيق اي لكم في تلك الشعائر منافع دينية الى وقت معلوم
هو آخر ايام التشريق ثم محلها اى انتهاؤها بالطواف للوداع من حل الاجل انتهى وحمل
الاجل المسمى على الموت والبيت على البيت المعمور او الجنة بعيد لا يخفى وان خصت الشعائر
بالهدايا فالمعنى لكم الانتفاع بها درا ونسلا وركوبا الى وقت وجوب النحر من حل الدين
وجب البيت العتيق هو الحرم كله لعدم الانتساب ولقوله صلى الله عليه وسلم كله منحر ولكل

ولكل امة جعلنا منسكا مكان نسك او نسكا على انه مصدر واصله الغسل قال شعر ولو
نسك بالماء سنة الشهي ثم اطلق على العبادة لشبهها على النظافة ثم غلبت على اعمال
الحج وقرا حمزة والكسائي بكسر السين وهي لغة اسد والفتح الفصيح لغة الحجاز ليذكروا اسم
الله علة للجعل دال على ان المقصود من شرع المناسك ذكر الله باوصاف الكمال على ما
رزقهم من بهيمة الانعام فيه دلالة على اختصاص الهدي بالنعم فالهكم اله واحد اى
بعد عليكم بوحدانيته فله اسلموا اخلصوا في العبادة وذبح النسائك لاكما كان يفعله
اهل الاوثان من الذبح باسماء آلهتهم وبشر المخبتين المتقادين لاوامره من الخبت
وهو المكان المطمئن ومن دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلني لك مخبتا الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم هيبة منه لاشراق اشعة الجلال عليها والصابرين على
ما اصابهم من النوائب والمقيمي الصلوة في اوقاتها ومما رزقناهم ينفقون في وجوه
البر العطف باعتبار الصفات والبدن جعلناها لكم البدن جمع بدنة وهي من
الابل ما يتقرب به ذكرا كان او انثى سميت بذلك لبدانتها فانهم كانوا يسمنون للضحايا
النصب على شريطة التفسير والبقرة انما قامت مقامها الحاقا من حيث المعنى لا انا و
لا بحسب الاسم من شعائر الله من معالم دينه لكم فيها خير منافع دينية ودنياوية
فاذكروا اسم الله عليها عند النحر اى باسم كان من اسمائه الحسنى والمندوب ان يقول
الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف واقفات على ارجلهن
هو الافضل في ذبح البدنة بخلاف البقر والغنم فاذا وجبت جنوبها سقطت على الارض
بعد النحر فكلوا منها واطعموا القانع السائل من قنع اذا سأل والمعتر المعترض للعطا
من غير سؤال من العترة وهي العذرة كذلك سخرناها لكم اى مثل ما وصفنا من نحرها
صواف سخرناها لكم مع عظم اجرامها وكثرة قوتها ترى الجمل اذا نداوها لا يقدر
عليه الجم الغفير لعلكم تشكرون نعمتنا لن ينال الله لحومها ولا دماؤها لن يبلغ
موقع الرضاء والقبول ولكن يناله التقوى منكم بان يقصد وابذلك التقرب
اليه من حيث الامتثال لاوامره كذلك سخرها لكم اعاده تذكيرا للنعمة وعلله
بقوله لتكبروا الله اى لتذكروه بالتكبير والتهليل خاصة فان ذكر اللسان يتبع
واداه ولذلك جعل الحمد راس الشكر على ما هديكم من المناسك وعلى هدايته اياكم الى
مصالح الدين والدنيا وبشر المحسنين المخلصين في الاعمال ختم به الكلام اشارة
الى انه ملاك الامر ان الله يدافع عن الذين آمنوا متصل بقوله ان الذين كفروا و
يصدون عن سبيل الله وما وقع في البين من بناء البيت وذكر المناسك وتعظيم الشعائر
مستطرد لزيادة تهجين فعلهم لازدياد قبح الصد بازدياد عظم ما صدوا عنه وبه ظهر
ان التسوية بين العاكف والباد انما هي في المسجد الحرام لان الكلام في المناسك وقرا ابن
كثير وابو عمرو يدفع مضارع دفع وعليه الرسم وقراءة الغير ابلغ لان المفاعلة مبالغة

في المبالغة ان الله لا يحب كل خوان كثير الخيانة كفور شديد الكفران ستار للنعم علة
للدفع عن المؤمنين وايثار بناء المبالغة في الوصفين لان خون الامانة والشكر غير اذن
للذين يقاتلون اى في القتال حذف لدلالة يقاتلون عليه وقرأ نافع وابو عمرو وعاصم
اذن بضم الهمزة مسند الى الجار والمجرور وقرأ نافع وابن عامر وحفص يقاتلون على بناء المفعول
وهو ابلغ لشموله الاذن لمن لا يقدر على القتال بانهم ظلموا اى بسبب ظلمهم كان المشركون
يؤذون اصحاب رسول الله وكانوا بين مضروب ومشجوج فيأمرهم بالصبر وتفرق
اكرههم الى الحبشة والى المدينة وان الله على نصرهم لقدير وعد لهم بالنصر على سنن
كلام الملوك لما ذكر الاذن في القتال وعلله بان المأذون له مظلوم ثم ذكر النصر على الوجه
الآكد ليسوغ للمظلوم رتبة فانه منصور لا محالة الذين اخرجوا من ديارهم من مكة بغير
حق يوجب الاخراج الا ان يقولوا ربنا الله الا هذا القول الذي هو اجل المناقب
على طريقة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ولولا دفع الله
الناس بعضهم ببعض بان يسلط المؤمنين على الكافرين فالتنوين في بعض للتعظيم و
قرأ نافع دفاع بالالف وكلاهما مصدر رفع لهدمت صوامع وقرأ نافع بالتخفيف و
التشديد ابلغ وبيع معابد النصارى وصلوات كنائس اليهود واصله صلوتا اسم للمصلى
بالعبرانية ومساجد المسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا صفة المساجد تفضيلا لها ويجوز
ان يكون عاما في الاربع وكذا يجوز ان يكون المراد تسليط اهل الملل على الكفار في
ازمنتهم وان يكون للمسلمين على المشركين وابقاء متعبدات اهل الكتاب الذين
لهم ذمة ولينصرن الله من ينصره بنصر دينه اى وقت كان وكائنا من كان ان الله
لقوي عزيز غالب لا يعجزه شيء الذين ان مكناهم في الارض بدل ممن الذين اخرجوا
اشعار بان تمكينهم في الارض بعد الاخراج انما هو ليتمكنوا من القيام بما اخرجوا لاجله
ولذلك جعل جزاء الشرط اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن
المنكر وكذا ان جعل بدلا عن قوله من ينصره فانه بيان للمخرجين ثانيا ولا اوليا وايثار
الشرطية لكونه جاريا على سنن كلام الملوك مع الاشارة الى لزوم الوقوع بايقاعها
صلة الموصول التي يستدعي التحقق وفي الآية دليل على حقية الخلافة للراشدين
لان المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم والممكنون في الارض هم الخلفاء منهم ولله
عاقبة الامور اليه مرجعها فيه تاكيد لما وعد من نصر اوليائه وان يكذبوك
فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب
مدين لما مضى النصر لمن اخرج من امته عقبه بذكر الامم المكذبة للرسل تسلية
له واشارة الى انه اولى بالصبر منهم لانه امثلهم وافضلهم وكذب موسى غير الاسلوب
لكون آياته اوفر واشهر وقيل لان قومه لم يكذبه بل غيرهم وهم القبط قوم فرعون
وفيه انه قد كذبه من قومه قارون ومن تابعه الآن يقال تكذيب البشير

ليس بدعا تكذيب كان ان تصديق البشير من هؤلاء الاقوام كان تصديق فأمليت للكافرين
امهلتهم ثم اخذتهم استأصلتهم فكيف كان نكير بنكيري من النكر بالضم وهو الدهاء
او الانكار من نكر الامر اذا غيره فكأين من قرية اهلكناها اى اهلها وقرأ ابن كثير كاء
على وزن فاع وابو عمرو اهلكت بالتاء واهلكنا بالنون ابلغ في مقام السخط والمعنى بعد اهلاك
الاقوام اهلكنا كثيرا من القرى او بدل من كيف كان نكير لان التنوين فاسوق فيه
على وجه البسط على نحو ما ذكرتم بما تعملون بالنعام وبنين وهي ظالمة نصب على الحال
فهي خاوية على عروشها ساقطة عليها بان وقعت السقوف اولا ثم الجدران فوقها
من خوى النجم سقط او خالية من خوى البطن خلا قال شاعر لقد كنت اختار الخوى طاوي
الحشا فالجار متعلق بخاوية اى خالية مع بقاء العروش وخبر بعد خبر اى هي
خالية وهي على عروشها اى كائنة على ما كانت عليه دلالة على احكام العهد بالهلاك
تؤيد ما بعد من وصف البئر بالتعطيل دون الخراب والجملة عطف على اهلكناها لا
لان الخلو والسقوط مالم يكن وقت الاهلاك ولا محل لها ان نصبت كأي على شريطة
التفسير وان رفعت بالابتداء فكذلك ان عطفته على الاسمية وان عطفت على الفعلية
الواقعة خبرا ففي محل الرفع وبئر معطلة اى وكم من بئر عامرة في البوادي عطلت
بالهلاك اهلها وقصر مشيد عال باق على علوه من شاد البناء رفعه او مجصص من
الشيد بالكسر وقيل المراد ببئر بئر بسفح جبل بحضرموت وبقصر مشيد قصر هناك
كانا لقوم حنظلة بن صفوان وكان نبيا ارسل الى قوم صالح بعد ان كفروا وعبدوا
الاصنام فقتلوه فاهلكهم الله افلم يسيروا في الارض حث لهم على السفر للاعتبار
برؤية مصارع المهلكين فتكون لهم قلوب يعقلون بها اى قلوب بهذه الصفة
تستبصر وتعتبر بعد المشاهدة لان عين اليقين لا يبقى معه ريبة او آذان يسمعون بها
الاخبار المتواترة للتوحيد لزوال الريبة والمعنى انهم اذا شاهدوا ذلك بعين الاعتبار
يعقلون ما يجب تعقله من التوحيد ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي فانها لا تعمى
الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور اى الشأن والقصة لا اعتداد بعمى البصر
بل العمى الذي لا عمى غيره وهو عمى القلب والمعنى عيونهم سالمة وانما آفت قلوبهم
السير في الارض والنظر بعين الاعتبار فانه دواء لذلك المرض وذكر الصدر لان عمى القلب
غير متعارف فاكد وقرر ويستعجلونك بالعذاب الموعود ولن يخلف الله وعده لامتناع
سنه ونزاهته عنه وان يوما عند ربك كألف سنة فلذلك يستقصرون وهم يستطيلونه
او يوم من ايام عذابه كألف سنة مما تعدون او يوم واحد من ايام عذابه كألف
سنة من سني العذاب لشدته وفظاعته فما لهم يستعجلون وقرأ ابن كثير وحمزة
والكسائي يعدون بالغيبة وكأين من قرية وكم اهل قرية عطفه بالواو دون ما تقدم
لان هناك انما تعقيب او بدل من فكيف كان نكير وهنا مع ما عطف عليه كالاعتراض فلذا

لانكار الاستعجال أمليت لها وهي ظالمة مثل هؤلاء ثم أخذتها بعذاب الاستيصال والي
المصير فأجازيهم بعذاب بحسب ذلك الأخذ ونه قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين
اقتصر على الانذار لان قوله فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق
كريم وما بعده تفصيل لمن نجع فيه الانذار فآمن ومن بقي على الكفر غير ناجع فيه وقيل لان
قوله يا أيها الناس نداء للمشركين خاصة وانما ذكر المؤمنين وثوابهم ليغيظ بهم الكفار
والذين سعوا في آياتنا بالرد والابطال معاجزين مسابقين ايا من المفاعلة بمعنى فعل
او بمعنى المغالبة وقرأ ابن كثير وابو عمرو بلا الف مشددا على انه حال مقدرة وعليه لزم
أولئك أصحاب الجحيم الذين لم يفارقوها وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي عطف
النبي على الرسول ظاهر في المغايرة قيل الرسول من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبي
ان ذكر في الكتاب بلفظ الرسول من لا كتاب له كاسمعيل ويونس والامثل بان قيل ان
الرسول من جاءه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى اليه في المنام الا اذا تمنى قرأ
من الامنية وهي القراءة ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني ألقى الشيطان في
أمنيته في قراءته شيئا يلتبس به على السامعين فينسخ الله ما يلقي الشيطان يزيله
ويبطله ثم يحكم الله آياته الدالة على صدق مدعي الرسالة والله عليم كامل العلم
يميز الحق من الباطل حكيم فيما يفعله ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم
مرض فيقدحون بذلك في رسالته او يزعمون انه كلامه والقاسية قلوبهم التي
لا تؤثر فيها الآيات ولا تلين لذكر الله وإن الظالمين لفي شقاق بعيد عن الحق حيث
ينسبون اليه كلام الشيطان ويعتقدون صدوره منه وليعلم الذين أوتوا العلم
أنه الحق من ربك اي النسخ او القرآن فكيف يكون فيه مدح الاصنام بل الملقي ذلك الامر
الشيطان وقد روى ابن اسحق في سبب نزوله ان رسول الله كان يقرأ سورة النجم حتى
بلغ ذكر اللات والعزى خلط الشيطان بقراءته تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن
لترتجى فظن المشركون انه هو القارئ وفرحوا بانه مدح آلهتهم فبين الله ان ذلك
من القاء الشيطان وان ذلك ليس مخصوصا به بل ما من نبي ولا رسول قبله الا وقد
ألقى الشيطان في قراءته لحكمة اقتضت ذلك وهذا هو الحق الذي يجب اعتقاده وما عداه
مما ذكر المفسرون من انه تلاه بنفسه سهوا ثم جاءه جبرائيل واخبره به الى غير ذلك
من الخرافات فكذب بحت لا يحل لمسلم ان يتلفظ به على انه لو صحت الرواية انه صلى الله
عليه وسلم هو التالي لكانت الاشارة والمدح للملائكة على ما يقتضيه السياق لقوله ان
الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى فيؤمنوا به بالنسخ او بالقرآن
فتخبت له قلوبهم بالانقياد وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم بتأويل
ما تشابه وتخليص الحق عما القاه الشيطان ولا يزال الذين كفروا في مرية منه من الحق
المنفي القرآن او من القاء الشيطان حتى تأتيهم الساعة بغتة فجأة أو يأتيهم عذاب

يوم عقيم يوم بلا ليل او لاد النساء فيه فتصيره عقيما في الاسناد مجاز او يوم
لا خير فيه يقال ريح عقيم اذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا على انه استعارة لمعنى شبه
ما في اليوم من منع الخير بالعقم وهو يوم القيمة اذ لا يوم بعده وكأنه قال حتى تأتيهم
الساعة او عذابها وهذا اوجه لقوله الملك يومئذ لله اي يوم قيام الساعة فيوم يزول
عنهم الشك يحكم بينهم بين الفريقين لتقدم ذكرهما وقوله فالذين آمنوا وعملوا الصالحات
في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين ايثار الفا
في الخبر هنا دون الاول اشارة الى ان دخول الجنة بفضل منه تعالى وان دخول النار
فانه مسبب عن اعمالهم واما الاتيان باولئك واللام ثانيا فتنبيه على غلبة رحمته
لدلالته على الاستقرار والتمكن والذين هاجروا في سبيل الله في طلب دين الاسلام
ثم قتلوا أو ماتوا حتف انفهم ليرزقنهم الله رزقا حسنا في الجنة وإن الله لهو
خير الرازقين لانه بلا خيفة وبغير سبب ظاهر او لدوام رزقه ليدخلنهم مدخلا
يرضونه وهو الجنة بدل من ليرزقنهم الله وقرأ نافع مدخلا بفتح الميم والباقون
بالضم وهو ابلغ روي ان ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله
اصحابنا الذين قتلوا في سبيل الله وقد علمنا ما اكرمهم الله به ونحن ان متنا معك
فما يكون حالنا فانزل الله تعالى هاتين الآيتين وإن الله لعليم كامل العلم بالاحوال
حكيم لا يعاجل بالعقوبة ذلك الامر ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ولم يزد في عقوبته
وتسمية الفعل البادئ بالعقاب للازدواج والمشاكلة او لانه سببه ثم بغي
عليه ثانيا لينصرنه الله ثانيا لا محالة إن الله لعفو غفور كثير العفو والغفران
للمنتصر فانه مندوب الى العفو بقوله ولمن صبر وغفر فان ذلك لمن عزم الامور وبقوله
ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وبقوله فمن عفا واصلح فاجره على الله والمعنى مع انه
لم يمتثل ما دعي اليه من الاولى في الاخذ لم يؤاخذ بذلك بل منصور ان بغي عليه ثانيا
ولذلك قدم لينصرنه الله على قوله ان الله لعفو غفور مع ان الظاهر تأخيره
اذ كان مظنة ان يخذل لعدم مسارعته الى المندوب اليه وفي الكلام اشارة
الى ان العفو عن الجاني بمكان عند الله فانه من اخلاقه وان خلافه مظنة العقاب
ودلالة على ان المحق منصور من الله في كلتا الحالتين عفا او عاقب وان المبطل مخذول
دائما مسلول في قرنه من كان ثم به حتى تأتيه الساعة او عذاب يوم عقيم ذلك اي
ذلك النصر بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل اي بانه قادر ومن آيات
قدرته على الاشياء ايجاده الليل موضع النهار وايجاده النهار موضع الليل او زيادة
في كل واحد ونقصه من الآخر [illegible] احدهما غالبا والآخر مغلوبا وأن الله سميع بصير
وبسبب انه يسمع اقوال العباد و[illegible] افعالهم فهو عالم بمن يستحق النصر ومن يستحق
الخذلان من تتمة الدليل لان القادر لا بد له من الوصفين ذلك الوصف بكمال القدرة

والاحاطة نعم بان الله هو الحق بسبب انه الاله الحق الثابت الالهية وان ما يدعون
من دونه هو الباطل فان قلت كونه الاله الحق يستلزم لذلك الكمال قدرة وعلما استلزاما
ظاهرا فمن اين يلزم ان يكون ما يدعون من دونه هو الباطل قلت لان غيره ليس بملك
الصفة اتفاقا فلم يصح للالوهية قرا الكوفيون الا ابا بكر وابو عمرو يدعون بالياء
الغيبة وهو المختار لشموله الغائب والحاضر وان الله هو العلي عن صفات النقص
الكبير من ان يكون له شريك ولما دل على كمال قدرته بايلاج الليل في النهار وعكسه
وبين احاطة علمه اتبعه بانواع من الدلائل الدالة على ذلك مع كونها نعما احسانا
مقررا الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة اثر الفاء وان كان
الظاهر ثم لتراخي الاخضرار عن نزول المطر لانه يبتدي عقيب نزول المطر وان كان تمامه
في مدة ولذلك اثر المضارع على الماضي ورفعه عطفا على انزل لكونه مسببا عنه
ان الله لطيف عليم بدقائق الصنع او بار بعباده خبير ببواطن الامور وعلة لانزال
الماء مع ما يترتب عليه ويجوز ان يكون اللطيف راجعا الى الانزال والخبير الى اصباح
الارض مخضرة له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وان الله لهو الغني مطلقا
الحميد في ذاته موصوف بكل كمال احمدا ولم يحمد الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض
من الدواب مذللة للركوب والحمل وسائر الاشياء من المعادن والنباتات والفلك
عطف على ما او اسم ان تجري في البحر بامره حال او استئناف لبيان وجه التسخير و
يمسك السماء بلا عمد بحوله وقدرته ان تقع على الارض كراهة ان تقع الا باذنه
بارادته عند فناء التشام ان الله بالناس لرؤوف رحيم حيث بث اوله وجوده و
توحيده في الافاق ولم يخل شيئا منها عن ضروب من النعم وهو الذي احياكم بعد ان
كنتم جمادا ترابا ونطفة وعلقة ومضغة ثم يميتكم عند حلول الاجل ثم يحييكم يوم
القيامة للجزاء ان الانسان لكفور كثير الكفران ولما كانت ايات الانفس اقرب واظهر
في كونها نعما والنعم وان ختم الاية بالكفران لكل امة جعلنا منسكا شرعا ودينا هم
ناسكوه يتخذونه نسكا يستمرون عليه فلا ينازعنك في الامر الذي انت عليه والذي نزع
الذي شرع لك لان شانه اظهر من ان يمكن فيه التنازع ويجوز ان يكون نهيا له صلى
الله عليه وسلم عن تمكينهم من التنازع على وجه الكناية كقولك لا يرينك ههنا وعن الزجاج
نهي له عن منازعتهم لان من نازعك فقد نازعته والاول ابلغ نزلت في كفار خزاعة
قالوا للمؤمنين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله يريدون الميتة و
انما لم تعطف كما عطفت نظيرتها في قوله ولكل امة جعلنا منسكا لان تلك في ذبايح
الشعائر وان النسايك لم تزل تتقرب بها الى الله كسائر العبادات واما هذه فسوق
الكلام فيها لتعداد الايات الدالة على التوحيد وادع الى ربك الى توحيده انك
لعلى هدى مستقيم طريق يوصل الى الحق لا زيغ فيه وان جادلوك بعد ظهور الحق

ظهور الحق عنادا فقل الله اعلم بما تعملون وعيد فيه رفق وتهذيب من قوله واعرض
عن الجاهلين الله يحكم بينكم اعاد كلمة الجلالة لانها ادل على الالوهية المناسبة
للحكم والقضاء يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين الم تعلم ان الله يعلم
ما في السماء والارض من تتمة حديث الحكم استشهد بعلمه على ذلك كانه قيل الم
تعلم ان الامر كذلك فلا تحزن ان جهلوا ان ذلك في كتاب هو اللوح كتب فيه مقادير الاشيا
قبل حدوثها ان ذلك على الله ان حفظه والاطلاع عليه يسير لان علمه المتعلق بجميع
المعلومات مقتضى ذاته فلا يعزب عنه مثقال ذرة ويعبدون من دون الله
ما لم ينزل به سلطانا برهانا تابعا يدل على جواز عبادتها وما ليس لهم به علم علم ضرورة
او استدلالا بل تقليدا واتباع هوى وما للظالمين من نصير اذا انزل بهم
العذاب او يؤيد مذهبهم والغرض اظهار جهالتهم حيث لم يلتفتوا الى ايات الافاق
والانفس وانهمكوا في عبادة ما لا دليل عليه واذا تتلى عليهم اياتنا من القران بينات
واضحات الدلالة على العقائد الحقة تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر الانكار لفرط
اثاره على صفحاتهم ان الظاهر على المضمر للدلالة على ان ذلك الانكار ناش من كفرهم يكادون
يسطون بالذين يتلون عليهم اياتنا من شدة الغيظ السطو الوثوب والبطش و
الجملة حال او استئناف قل افانبئكم بشر من ذلكم الغيظ والسطو النار جواب
سؤال كانه قيل ما هو ويجوز ان يكون مبتدا خبره وعدها الله الذين كفروا و
بئس المصير النار يا ايها الناس ضرب مثل سمى القصة الرائعة المتلقات بالقبول
عند ذوي العقول مثلا تشبيها لها ببعض الامثال السائرة في الغرابة والحسن فاستمعوا
له للمثل استماع تامل وتدبر ان الذين تدعون من دون الله اي الاصنام لن يخلقوا
ذبابا لن يقدروا على خلقه ولو اجتمعوا له ولو تعاونوا وتعاضدوا على خلقه
جوابه والحال وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه اي ولو اختطف
هذا الحيوان الاذل واجتمعوا على استخلاصه منه لم يقدروا وهذا ادل على العجز و
انتفاء القدرة ضعف الطالب والمطلوب وان كان الطالب اضعف لكونه جمادا
والمطلوب حيوانا ذا حس وارادة ولما اجراها مجرى العقلاء اثبت لها الطلب والخيبة
تهكما عن ابن عباس رضي الله عنه كان المشركون يطلون الاصنام بالزعفران ورؤوسها
بالعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فياكله ما قدروا الله
حق قدره ما عظموه حق تعظيمه حيث جعلوا اذل الاشيا شريكا له في العبادة من
قدر الشيء بعظمته اذا نظر فيه وتدبر ومنه حديث عائشة رضي الله عنها فاقدروا
قدر الجارية الحديثة السن ان الله لقوي عزيز ذو قوة وغلبة لا يغالبه شيء و
ما يدعونه من دونه شيء اذل من اذل الحيوانات الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن
الناس شرع في الاثبات الرسالة بعد هدم قواعد الشرك واحكام دعائم التوحيد

دلالة على ان له عبادا مصطفين يمكن التوسل بهم الى معرفته تعالى ان الله سميع عالم باقوال
المكلفين بصير باحوالهم يعلم ما بين ايديهم ما مضى منها وما خلفهم وما يترقبون انه
لا يخفى عليه خافية والى الله ترجع الامور كلها والذى هذا شانه لا يسئل عما يفعل
لاحاطة علمه بكنه الاشياء فقولهم ءانزل عليه الذكر من بيننا وقولهم لولا انزل هذا
القران على رجل من القريتين عظيم ناش عن جهالتهم ودليل على انهم ما قدروا الله حق
قدره وقرا حمزة والكسائى وابن عامر ترجع على بناء الفاعل يا ايها الذين امنوا اركعوا
واسجدوا وحث على التشريع بعد اثبات الرسالة فانها كالنتايج لها وبدا بالصلوة
لانها عماد الدين وعبر عنها بالركوع والسجود لانهما اعظم اركانها لاحتوائهما على
غاية الخضوع والخشوع اللذين عليهما مدار العبادة وقيل لما اسلموا كانوا يركعون
بلا سجود ويسجدون بلا ركوع فامروا ان يكون صلوتهم بركوع وسجود واعبدوا ربكم
اخلصوا له الطاعة واقصدوا بها وجهه وقيل حجوا وصوموا وقيل ان الاية مكية
وتلك العبادات مدنية وافعلوا الخير كله من اعانة الملهوف وصلة الارحام والامر
بالمعروف لعلكم تفلحون حال كونكم راجين الفلاح فان الاعمال امارات والاية
اية السجدة عند الشافعى رحمه الله لما روى عقبة بن عامر قلت يا رسول الله فى سورة الحج
سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما فلا تقراهما وعن عمرو بن العاص رضى الله عنه اقرانى
رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة سجدة منها سجدتان فى سورة الحج وروى
مالك عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان سورة الحج فضلت بسجدتين وعن ابى حنيفة
رحمه الله قرانها بالركوع دليل على انها سجدة الصلوة لا سجدة التلاوة والحق انه لا تنافى
بين كون السجدة صلوتية وشرع السجود عند تلاوتها كما دلت عليه الروايات وجاهدوا
فى الله فى احياء دينه حق جهاده اصله جهادا حقا اضيفت الصفة الى الموصوف مبالغة
كقولك زيد عالم حق عالم واضيف الجهاد الى الضمير تعالى لان الجهاد لوجهه فلذلك الاضافة
كافية ويجوز ان يتسع فى الظرف كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا هو اجتبيكم اختاركم
وجعلكم خير امة وما جعل عليكم فى الدين من حرج حيث شرع لكم الرخص والكفارات
واحل لكم الغنايم ووضع عنكم الاصار والاغلال التى كانت على الامم فكما لطف بكم فانتم
اللطف جاهدوا وافيه حق الجهاد ملة ابيكم ابراهيم نصب على الاغراء والاختصاص و
لما كان ابا الرسول الله وهو اب لامته لكونه سببا لحيوتهم الابدية جعله اباهم ويجوز ان يكون
تغليبا لان قريشا كانوا من ذريته هو سميكم المسلمين اى الله سماكم بهذا الاسم الشريف
من قبل فى ساير الكتب المنزلة قبل القران وفى هذا اى فى القران وقيل الضمير لابراهيم و
معنى من قبل قبل نزول القران وارسال محمد حيث قال ومن ذريتنا امة مسلمة لك ويويد
الاول قوله ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فانه يدل على الاجتباء
والتسمية كانا لهذا الغرض لانهما بمثابة التزكية فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة شكرا لتلك

النعمة التى لم يشاركم فيها امة واعتصموا بالله استمسكوا به فى كل ما تاتون وتذرون
وهذا اقصى مراتب الكمال ونهاية التقوى فانتظمت الخاتمة مع الفاتحة هو موليكم متولى
اموركم فنعم المولى ونعم النصير لان من تولاه لا يضيع ومن نصره لا يخذل ولان من [illegible]
لا ينصر الا اذا اراد فلا ناصر سواه تمت السورة ولمولانا الحمد والثناء والصلوة على
سيد الانبياء وعلى اله وصحبه البررة الاتقياء سورة المؤمنين مكية وهى مائة
وثمانى عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المؤمنون قد تثبت المتوقع كما ان لما تنفيه
وكان المؤمنون يتوقعون نوع بشارة منه تعالى فصدر السورة بما دل على ثبوت متوقعهم
على ابلغ وجه بان ادخل قد على المضارع البارز فى صورة الماضى الدال على التحقق كانه
قيل قد تحقق ان المؤمنين من اهل الفلاح والفوز بالامانى ويجوز ان يكون جواب
قسم محذوف فيزداد تاكيدا على تاكيد الذين هم فى صلوتهم خاشعون الخشوع فعل
القلب ويسرى اثره فى الجوارح ولذلك لما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم مصليا
يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه ومن الخشوع فى الصلوة ان لا يحدث
بنفسه بامر لا يتعلق بالصلوة وسوى كف الثوب والالتفات وقلب الحصا والسدل والاختصار
وتشبيك الاصابع ويلبد النظر بموضع السجود والذين هم عن اللغو معرضون كل ما لا يعنيك
من قول وفعل اللغو من لغا الرجل اى بالباطل ومنه لغو اليمين والغى ابن عباس طلاق المكره
اى ابطله ولما وصفهم بالخشوع فى الصلوة اتبعه الوصف بالاعراض عن اللغو جمعا لهم بين
فعل ما ينبغى وترك ما لا يعنى اللذين عليهما مدار الكمال فهو من تتمة الصلوة فلذلك فصل
به بينها وبين الزكوة والذين هم للزكوة فاعلون اى التزكية فانه اسم مشترك بين
العين والمعنى القايم بالفاعل وعبر عن المزكى بالفاعل تحاشيا عن التكرار مع ان كل فعل
يعبر عن مصدره بلفظ الفعل ضرورة صدق العام على الخاص ومن فسره بالذين
يفعلون ما يفعلون لتزكيتهم الله او ليزكوا انفسهم فالصلوة [illegible] على بطلانه تخرجه
وكذا نظيره فى سورة المعارج والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت
ايمانهم اى حافظون فروجهم فى الحالات كلها الا فى حال تزوجهم او تسريهم والاحسن
تعلق الجار بحافظون من حفظت المال على اليتيم اى حافظون فروجهم على الازواج لا
يتعداهن ثم قيل غير حافظين الا على الازواج تاكيدا على تاكيد فانهم غير ملومين فيه
اشارة الى انه مباح لا ثواب فيه ولا حرج وهذا اذا لم يقصد به عدم الوقوع فى الزنى
لما روى البخارى انهم قالوا يا رسول الله اياتى احدنا شهوته ويكون له اجر قال نعم ارايتم
لو وضعه فى الحرام اكان له وزر ونكاح المتعة باطل اجماعا فلا وجه لعد المنكوحة
متعة من الازواج فمن ابتغى وراء ذلك المستثنى فاولئك هم العادون الكاملون فى
العدوان والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون لا يخونون فيما يؤتمنون فيه من
حقوق الله او حقوق العباد ويرعون العهود والمواثيق لا يغدرون ولم يجمعه لانه [illegible]

للحاصل بالمصدر بخلاف الامانة فان المراد منه الشيء المؤتمن فيه وقرأ ابن كثير بالافراد و
الجمع اولى لتناوله الافراد صريحا والذين هم على صلواتهم يحافظون اى المفروضة او المشروعة
يؤدونها في اوقاتها مع تمام ما فيه من الاركان والابعاض والهيئات مواظبون على ذلك على
الاستمرار وقرأ حمزة والكسائي بالافراد على ارادة الجنس وعليه الرسم والجمع اظهر لظهور
تناول الافراد مفروضة كانت او لا ولا تكرار لان الاول في بيان خشوعهم والثاني
في مسارعتهم اليها وقدم بيان الخشوع لانه الاصل في العبادات اولئك هم الوارثون
الموصوفون بالصفات المذكورة احقاء باسم الوراثة وبان لا يسمى غيرهم ورثا لحقانه
ما ورثوه وانما سمي جزاء اعمالهم ميراثا لانه دال على كمال الاعتداد بها وان الثواب في
مقابلتها امر لازم كالميراث فانه ملك قهري لا يقبل الرد وقيل لانهم ورثوا منازل
الكفار في الجنة لو كانوا مسلمين لما في الحديث ما من احد الا وكتب له مقعد في الجنة ومقعد
في النار الذين يرثون الفردوس ابهم اولا ثم فسر اظهارا للفخامة والفردوس البستان
الواسع الجامع لاصناف الثمار روي ان الله تعالى بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب
ولبنة من فضة وجعل ملاطها المسك الاذفر وغرس فيها من جيد الفاكهة والرياحين
روى مسلم والبخاري ان رسول الله قال اذا سألتم الله الجنة فاسئلوه الفردوس فانه
اوسط الجنة منه يتفجر الانهار هم فيها خالدون لا موت ولا انتقال اللهم اجعلنا من اهل
الفردوس ولما بين ان الفائزين لديه هم المتصفون بتلك الاوصاف المرضية المحلون
بها بتلك الاخلاق الزكية اشار الى ادلة وحدانيته واستحقاقه ذلك من عباده بقوله
ولقد خلقنا الانسان ادم من سلالة خلاصة فعالة بمعنى المفعول وبناء فعالة ينبئ
عن القلة كالقلامة والقمامة من طين من بيانية والاولى ابتدائية ويجوز ان يكون
ابتدائية ايضا على ما روي عن الحسن انه خلق من ماء بين ظهراني الطين او تبعيضية لان
السلول خلاصة الطين وانما نكر الطين لكونه طينا مجهول الاجزاء من وجه جميع الارض
وهي القبضة التي قبضها ملك الموت ثم جعلناه نطفة اى نسله نطفة فحذف المضاف
في قرار مكين القرار المستقر من الارض استعير لمحل النطفة ووصف بالمكانة مبالغة
في وصف الرحم بالحصانة ثم خلقنا النطفة علقة فصارت النطفة البيضاء دما جامدا
علق بعض اجزائه بعضا فخلقنا العلقة مضغة فقطعة لحم بمقدار ما يمضغ فخلقنا
المضغة عظاما صلبة فكسونا العظام لحما ساترا لها كالكسوة وقرأ ابن عامر وابو بكر
العظم مفردا في الموضعين على ارادة الجنس لعدم اللبس والجمع اظهر ثم انشأناه خلقا آخر مباينا
للخلق الاول بان كان جمادا فصار حيوانا وناطقا بعد ان كان ابكم وسميعا بعد ان كان
اصم وبصيرا بعد ان كان اكمه واودع فيه من القوى الظاهرة والباطنة وانواع الادراكات
التي لا يقدر على درك شيء منها الا جلة التامل واحتج ابو حنيفة رحمه الله بالاية على
ان من غصب بيضة فافرخت عنده يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق آخر فان قلت

فان قلت لم ذكر العطف ثم اولا وآخرا دون المتوسطات مع تساوي المدة كما نطق به الحديث
فيكون اربعين يوما نطفة ثم اربعين علقة ثم اربعين مضغة ثم ينفخ فيه الروح قلت
ثم في الموضعين للتراخي رتبة فان انقلاب النطفة دما جامدا مدا بعد حالا من انقلاب
العلقة مضغة وانقلابها عظاما واما نفخ الروح فظاهر ويجوز ان يكون نفسنا في الكلام
فان ابتداء كل انقلاب يتعقب ما تقدمه وان كان انتهاؤه متراخيا فاستعمال الحرفين
بالنظر الى الحالتين فتبارك الله احسن الخالقين تعالى شانه وكثر خيره على المخلوقين حيث
اوجد من طين متدرجا في الاطوار انسانا في احسن تقويم وعن ابن عباس ان عبد الله
بن سعد بن ابي سرح كان يكتب الوحي فلما املى عليه رسول الله هذه الايات وكان بليغا
وسمع ما بهر عقله فلم يتمالك ان قال فتبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اكتب هكذا نزل فارتاب من ذلك وقال انزل الي مثل ما انزل اليه فارتد
مدة ثم عاد الى الاسلام احسن عود ثم انكم بعد ذلك لميتون لا محالة والفرق بين الميت
والمائت ان الاول يدل على الثبوت والثاني على الحدوث تقول زيد مائت الان او غدا
ولا تقول ميت ثم انكم يوم القيمة تبعثون للجزاء ولا دلالة للكلام على عدم حيوة اخرى
في القبر وانما لم يتعرض لها لخفائها فلا يحسن ذكرها في معرض الاستدلال على كمال
الاقتدار ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق سبع سموات سميت طرائق لانه طورق بعضها
فوق بعض وكل شيئين جعلت احدهما فوق الآخر فقد طارقت بينهما واصله من
الطرقة وهي الطبقة او لانها طرق الملئكة او الكواكب في سيرها وما كنا عن الخلق غافلين
عن خلق السموات بل كما اوجدناها نحفظها عن تطرق الخلل كقوله ولا يؤده حفظهما او
عن المخلوقات تحتها فانه جعلها معدن الارزاق بانزال الرحمة يؤيده وانزلنا
من السماء ماء بقدر بمقدار معلوم اقتضته الحكمة فاسكناه في الارض في اعماقها ثم
تجري العيون كقوله فسلكه ينابيع في الارض وتخصيصه بالانهار الخمسة لا وجه له وانا
على ذهاب به لقادرون لانه اهون في العرف من الانزال وانما نكر الذهاب للدلالة
على كثرة طرقه وتعدد اسبابه مبالغة في الايعاد به وهذا ابلغ في الوعيد من قوله
قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا قيل ابلغ منه بثمانية عشر وجها تعرف بالتامل فانشانا
لكم به بالماء جنات من نخيل واعناب لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة تفكهون بها ومنها
تأكلون تغذيا كالتمر والزبيب فانهما من الاوقات او تحصلون منها ارزاقكم و
اسباب معايشكم يقال فلان يأكل من حرفته اي منها وجه معاشه ويجوز ان يعود
الضمير الى النخيل والاعناب لاستعمال ثمرهما على هذه المعاني كلها فان قلت قد جاء
في الزخرف لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون وهنا جمع الفاكهة واتى بالواو وافرد
ما الحكمة في ذلك قلت ذلك في وصف الجنة والنوع الواحد من ثمره يوجد فيه طعم سائر
الانواع كما يتبين في قوله هذا الذي رزقنا من قبل فاشار بالافراد الى ان نوعا منه فيه

غنية عن سائر الانواع واما عدم العاطف فلان ما يؤكل هناك بعض التمر لدوامه وعدم
انقطاعه ويؤكل تفكها فلا يوجد معنى آخر يعطف عليه وشجرة عطف على جنات وشجرة
الزيتون افردها بالذكر لشرفها قيل هي اول شجرة نبتت بعد الطوفان وهي الشجرة
المباركة تخرج من طور سيناء جبل نودي منه موسى بفلسطين او بين مصر وايلة
والطور لغة الجبل الشاهق اضيف الى سيناء اسم بقعة او هو مركب كبعلبك وحضر
موت وهو الطور سينين وسيناء لفظ عجمي ومنع من الصرف للعلمية والعجمة او عرف
ومنع المفتوحة على قراءة الكوفيين وابن عامر لالف التأنيث والمكسورة للعلمية والتأنيث
المعنوي وليست الفه للتأنيث لعدم النظير واما علباء فالفه للالحاق تنبت بالدهن
اي الشجرة ملتبسة بالدهن الجار والمجرور في محل الحال وجعل التاء صلة يفسد المعنى وقرأ
ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بضم التاء من الانبات اما لان انبت لازم كالمجرد وعليه قول زهير
رأيت ذوي الحاجات عند بيوتهم قطينا بها حتى اذا انبت البقل او تعدية بالهمزة و
المفعول محذوف اي تنبت زيتونها وعن ثعلب ان الباء زائدة كقوله ولا تلقوا بايديكم الى
التهلكة وعليه قول شربن بماء البحر ثم ترفعت وقراءة الفتح اقل تكلفا وصبغ للآكلين
عطف على الدهن عطف احد وصفي الشيء على الآخر كانه قيل تنبت بالشيء الجامع بين كونه
دهنا وادامًا واصل الصبغ الغمس ومنه في الحديث يؤتى بالكافر المترف فيصبغ في النار
صبغة فيقال له هل رأيت من نعم قط فيقول لا وان لكم في الانعام لعبرة ما تعتبرون به
وتستدلون على كمال علم الصانع وقدرته نسقيكم مما في بطونها استئناف لبيان العبرة
من ابتدائية اي كائنا من العلف الذي في بطونها او تبعيضية لان اللبن جزء من العلف
متكون منه وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر بفتح النون وهما لغتان والفتح لخفة و
قد جمعهما لبيد في بيت سقى قومي بني مجد واسقى نميرا والقبائل من هلال ولكم فيها منافع
كثيرة من الركوب والحمل والاصواف والاوبار ومنها تأكلون من اعيانها او تحصلون بها
نسبا لمعاشكم بالبيع والاجارة وعليها وعلى الفلك تحملون فان الابل والبقر يحمل
عليهما وقيل المراد بالانعام الابل لانها كانت غالب ما لك العرب وهي سفائن البر ولذلك
قرنها بالفلك قال ذو الرمة يمدح ناقته المسماة بصيدحه سفينة بر تحت خدي
زمامها وقال آخر يمدح ناقته دعائم الزور نعمت زورق البلد ولقد ارسلنا نوحا
الى قومه بعد ما تشيد اركان التوحيد بآيات الآفاق والانفس شرح احوال الامم المكذبة
وابتداء بنوح فانه اول رسول جذب قومه فقال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم
من اله غيره استئنافا لبيان علة الاختصاص افلا تتقون بأسه وسطوته الاستفهام
للحث والطلب مثل فهل انتم شاكرون فقال الملأ الذين كفروا من قومه اي اشرافهم
لعوامهم ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم فلذلك يدعي الرسالة ولو شاء الله
ارسال الرسول لانزل ملائكة لاعتقادهم ان البشرية تنافي الرسالة ما سمعنا بهذا في

في آبائنا الاولين قالوه اما عنادا واما لتمادي الفترة وبعد العهد ان هو الا رجل به
جنة جنون ولذا يقول ما يقول فتربصوا به حتى حين الى ان يموت او يرجع عن غوايه قال رب
انصرني بما كذبون اهلكهم بسبب تكذيبهم اياي فان في اهلاكهم نصرتي او انصرني
بدله والمعنى ابدلني من غم تكذيبهم سلوة النصرة او ما موصولة والباء للالة اي بالذي
كذبوني فيه وهو العذاب الموعود بقوله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم اي انجز لي ذلك
الوعد فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا بحفظنا وكلاءتنا ووحينا وامرنا بذلك
وقدم الحفظ على الوحي وان تأخر وجودا لكونه الاصل الذي لا ينبغي بدونه فاذا جاء
امرنا باهلاك القوم وفار التنور بالماء قيل لنوح اذا فار التنور اركب السفينة
واختلف في موضعه قيل مسجد الكوفة عن يمين الداخل من باب كندة وقيل بعين وردة
بالشام وقيل بالهند وعن ابن عباس التنور وجه الارض وعن علي رضي الله عنه فار
التنور طلع الفجر ولعل ذلك لان اهلاكهم كان بعد طلوع الفجر فاسلك فيها فادخل فيها
يقال سلك فيها وسلك غيره قال عبد مناف الهذلي حتى اذا اسلكوهم في قتائدة من كل
زوجين من كل صنفين الذكر والانثى اثنين ذكرا وانثى مفعول اسلك وقرأ حفص
من كل بالتنوين اي من كل جنس او من كل ذكر وانثى وزوجين مفعول واثنين صفة
للتاكيد كامس الدابر واهلك واهل بيتك او لمن تبعه معهم لقوله وجعلنا ذريته
هم الباقين الا من سبق عليه القول منهم وهو ابنه الذي كان من المغرقين ولا
تخاطبني في الذين ظلموا في استدفاع العذاب عنهم اذ الدعاء لكنك رقة الجنسية او
لا تدعني لاهلاكهم من اخرى بعد لاعطائي النصر ولا تذرني من الكافرين ديارا انهم مغرقون
لا محالة لسبق ذلك القول فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي
نجانا من القوم الظالمين فان النجاة من العدو وكل ما ينقذ دونه وفيه اشعار الى علة
النهي عن الخطاب بشأنهم لان من هلاكهم نعمة يحمد عليها كيف يليق السعي في خلاصهم
وقل رب انزلني منزلا مباركا فيه مزيد خير الدارين وقرأ ابو بكر منزلا بفتح الميم
من النزول بمصدر او اسم مكان وقرأ القوم اوفق بقوله انزلني وانت خير المنزلين
ثناء اخذ من لفظ الدعاء وامره ان يشفع به الدعاء توسلا به الى الاجابة وافراده
بالامر لانه سيد القوم لما ربه فهم مأمورون به ولان كبرياء الربوبية اجل من
مخاطبة اي ان كان بل لا يصلح لذلك الا نبي مرسل وملك مقرب ان في ذلك فيما فعل
بنوح وقومه لآيات يستدل بها ويعتبر وان كنا لمبتلين وان الشأن كنا مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم
وعقاب شديد او مختبرين عبادنا لننظر من يتذكر كقوله ولقد تركناها آية فهل
من مدكر ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين هم عاد قوم هود لقوله واذكروا اذ جعلكم
خلفاء من بعد قوم نوح فارسلنا فيهم رسولا منهم هو هود وانما جعل القرن موضع الارسال
تاكيدا لالزام الحجة لانه منهم ليس اجنبيا حتى يأنفوا عن اتباعه وينفروا عنه

يعرفون ديانته وامانته ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان مفسرة لارسلنا
افلا تتقون سخط الله وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة
بلقاء ما فيها من الثواب والعقاب وانما عطف مقالتهم على مقالة الرسول هنا
ولم يعطف في الاعراف وهود لان الكلام هنالك في حكاية المقالة بين المرسل و
المرسل اليه الا ترى الى قولهم انا لنراك في سفاهة وقولهم ما نريك الا بشرا مثلنا
واستدعاء ذلك الاستيناف بين كانه قيل ما قالوا في جوابه فقيل كيت وكيت
واما ههنا لم يخاطبوه بل قال بعضهم لبعض كلاما فاشير الى الجمع بين قوله الحق وقولهم
الباطل ولو ساغ للاستيناف واترفناهم في الحيوة الدنيا بكثرة المال والاولاد
ما هذا الا بشر مثلكم لا مزية له يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون بيان
لوجه المماثلة والعائد الى الموصول الثاني منصوب محذوف وتقدير الجر وحذفه
مع الجار ضعيف ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون حيث تضيعون انفسكم
لمن لا يستحق واذا جزاء للشرط وجواب لمن قال من قومه نتبعه ايعدكم انكم اذا متم
وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون من الاجداث او من العدم حسن تكرار انكم لطول
الفصل ومخرجون خبر عن الاول والظرف لغو يتعلق به او انكم مخرجون مبتداء
والظرف خبره والجملة خبر عن انكم على معنى ايعدكم انكم اخراجكم كائن اذا متم او
انكم مخرجون مرفوع بفعل هو الجزاء للشرط والشرطية خبر انكم كانه قيل ايعدكم انكم
اذا متم وقع اخراجكم هيهات هيهات من الاصوات المبنية لكونها بمعنى الماضي
لما توعدون اللام زائدة وما توعدون فاعله اي بعد ذلك الموعود اي بعد ولذلك
اكده او هيهات معناها البعد كما نقل عن الزجاج والجار والمجرور خبره وفي وجه
بنائه على هذا تكلف واللام لبيان المستبعد كانه لما صوت به قيل لاي شيء هذا
الاستبعاد فقيل لما توعدون وفاعل هيهات على هذا ضمير البعد كانه قيل وقع البعد
لما توعدون نظير لقد تقطع بينكم بنصب بين اي وقع التقطع وعن ابن جني ان الفاعل
بينهم وفيه ذهول عن اللام لانه يمتنع ان يكون ما توعدون مفسرا ان هي الا حياتنا
الدنيا الضمير لمعهود ذهني عدل عنه حذرا عن التكرار اي ما الحيوة الا حياتنا الدنيا
نموت ونحيا يموت بعضنا ويولد بعض او يحيى ويموت لا حالة بعقل سواهما قدم الموت
لانه مظنة الريب وما نحن بمبعوثين كما تزعم محمد ان هو الا رجل افترى على الله
كذبا اخترعه قصدا ارادة ان يغويكم وما نحن له بمؤمنين يوما قال رب انصرني
بما كذبون بسبب تكذيبهم او بدله قال عما قليل ما يؤكد معنى القلة او موصوفة
ليصبحن نادمين حيث لا ينفع الندم فاخذتهم الصيحة بالحق صاح بهم جبرائيل
فهلكوا مكانهم ولا دلالة للصيحة على ان القوم قوم صالح لجواز ان يكون مع الريح
صيحة جبرائيل تغليظا للعذاب كامطار الحجارة على قوم لوط بعد ان جعل عاليها سافلها

سافلها بوبيد قوله ونجيناهم من عذاب غليظ اي هود ومن آمن فجعلناهم غثاء شبه
الغثاء وهو حميل السيل شبههم به في البلى وتفرق الاوصال والخروج عن علم الانتفاع
فبعدا للقوم الظالمين اي بعد ذلك العذاب النازل بهم هلاكا لهم دعاء عليهم
باهانة والاستحقار وكانه مما نزل بهم ثم نظر الى ما اعد لهم من عذاب الآخرة وهو
من المصادر التي يجب حذف ناصبها يقال بعد بعدا وبعدا كرشد رشدا ورشدا
ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين اي قرونا وامما في ازمنة شتى ما تسبق من امة اجلها
على كثرة القرون وما يستأخرون عن الوقت المقدر ثم ارسلنا رسلنا تترى واحدا
بعد واحد من المواترة وهي المتابعة بين الاشياء مع فترة وبدونها مداركة والتاء
بدل عن الواو كتجاه وتراث ونونه ابن كثير وابو عمرو على ان الالف للالحاق كلما
جاء امة رسولها كذبوه اضاف الرسول اليهم لوجود الملابسة فاتبعنا بعضهم بعضا
وجعلناهم احاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون هلاكا لهم ثم ارسلنا موسى واخاه هرون
باياتنا وسلطان مبين بحجة واضحة قيل هي العصا افردها لكونها اشرف المعجزات
باعتبار اشتمالها على معجزات شتى وهو الآيات والعطف باعتبار الصفات الى فرعون
وملائه اشراف قومه خصهم بالذكر لان الرعايا والسوقة اتباع ولذلك قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لهرقل فان توليت فعليك اثم الاريسيين فاستكبروا
عن الايمان وكانوا قوما عالين ذوي شرف وعز من علا بالكسر يعلى علاء فهو علي اي
شريفا ومن علوت الرجل غلبته وعلى الوجهين جار مجرى علة الاستكبار او من
علا في الارض تكبر وكانوا قوما دابهم التكبر فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا يطلق على
الواحد والتثنية والجمع وكذلك المثل وانما افرده كراهة توالي التثنيتين وقومهما
لنا عابدون زعموا ان خدمتهم له عبادة لادعائه الالوهية او ارادوا بها الانقياد و
الخضوع فكذبوهما فكانوا من المهلكين بالغرق ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون
اي بني اسرائيل لان التورية نزلت بعد غرق فرعون وقومه وجعلنا ابن مريم وامه آية
دالة على كمال القدرة والعلم افراد الاية لان اريد بها ما تعلق بهما من امر الولادة او حذفت
الثانية لدلالة الاولى عليها واويناهما الى ربوة الى ارض مرتفعة هي بيت المقدس
لانها ارفع بقاع الارض واقربها الى السماء بثمانية عشر ميلا وقيل رملة فلسطين
وقيل دمشق وقيل مصر والوجه هو الاول ذات قرار مستقر من الارض يسكنها الناس
لكثرة الثمار ومعين وماء جار من معن الماء اذا سال فعيل لقوته ومنه المعن في
السير واسم مفعول من عانه ادركه بعينه وجعله فعيلا من الماعون لا يناسب المقام
يا ايها الرسل كلوا من الطيبات المعنى ان كل رسول خوطب في زمانه وارادة على هذا
الوجه ليعتقد السامع ان امرا نودي به جميع الرسل حقيق بان يؤخذ به ويجوز ان يكون
هذا حكاية ما قيل لعيسى وامه عند الايواء اي اعلمناهم ان الرسل كلهم مخاطبون بذلك

وفيه ابطال للرهبانية التي ابتدعها النصارى وبعض جهلة المتصوفة في زماننا والطيبات
ما تستلذه النفس من المآكل والفواكه وقيل ما حل من الرزق وهو ثلثة اقسام حلال وصاف
وقوام فالحلال الذي لا يعصى الله فيه والصافي الذي لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك
النفس ويحفظ العقل وعنه صلى الله عليه وسلم كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك
خصلتان السرف والمخيلة . واعملوا صالحا فانه المقصود منكم انى بما تعملون
عليم فاجازيكم على حسبه وان هذه ولان هذه متعلق بفاتقون وقرأ الكوفيون
ان بالكسر على الاستيناف او عطفا على انى وابن عامر وان بالفتح مخففة والكسر
هو المختار لعدم الحذف والتقدير امتكم دينكم وملتكم امة واحدة في الاصول وامة
نصب على الحال على الوجوه الثلثة وانا ربكم فاتقون في مخالفة امري وقد بينت لكم
ان الدين واحد فتقطعوا امرهم بينهم بعد تلك الوصية خالفوا وتوزعوا الدين
وتقسموه زبرا جمع زبرة او جمع زبور وهو الكتاب اي كل اخذ بكتاب وكفر بالآخر
فهو حال من امرهم او من الواو او مفعول ثان لتقطعوا لتضمينه معنى الجعل كل حزب
بما لديهم فرحون معجبون بدينهم معتقدون انهم على الحق فذرهم في غمرتهم حتى
حين الى ان يموتوا او يقتلوا مثل حالهم في استغراقهم في الجهالة بمن غمره الماء وعلاه
كانه قال دعهم في هذا الجهل الذي لا جهل فوقه دلالة على اليأس وعدم نجع القول
فيهم وادمج فيه التسلية ببيان الغاية وهو قتلهم او موتهم ايحسبون انما نمدهم به
اي نجعله مددا لهم بعد شيء تقرير مع الانكار من مال وبنين بيان لما نسارع لهم
في الخيرات اي انما لهم ولنبانا فيما لهم فيه خير ويجوز ان يراد جزاء للخيرات كما للمؤمنين
في الآخرة والعائد محذوف اي نسارع به لهم بل لا يشعرون لا شعور لهم لينظروا اهل هم
مستوجبون للاكرام ام ذلك استدراج ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون خائفون
غاية الخوف هم اضداد السابقين والذين هم بآيات ربهم المنزلة والمنصوبة في الآفاق
والانفس يؤمنون يصدقون والذين هم بربهم لا يشركون شركا جليا ولا خفيا فان
كلا منهما يحبط العمل والذين يؤتون ما آتوا يعطون من الصدقات والبر ما اعطوا
وقدروا عليه قليلا كان او كثيرا وقلوبهم وجلة خائفة هل تقبل منهم ام لا استقلالا
لها واعظاما لجناب القدس تعالى انهم الى ربهم راجعون وهو قد احاط بما في ضمائرهم اولئك
يسارعون في الخيرات الباقية سرمدا فيه تعريض لمن تقدم ذكرهم بان همتهم في المسارعة
في الفاني او يسارعون في نيل الخيرات الدنيوية قبل ثواب الآخرة بسبب الاعمال لقوله
فآتاهم الله ثواب الدنيا وهذا وان كان احسن طباقا للآية المتقدمة فانه اثبت لهؤلاء
ما نفى عن اولئك الا انه قاصر لان ثواب الدنيا بالعرض لقوله من عمل صالحا من ذكر او
انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة وهم لها سابقون اي لنيل الخيرات سابقون الناس
او فاعلون السبق او سابقونها اي ينالونها قبل الآخرة واللام لتقوية الاسم لتقدم معموله

سعوا له ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض للترغيب لانه امر سهل لا حرج فيه من تقاعد
وهو المقصر والمعنى ان التكليف على قدر الوسع فمن بذل جهده ولم يبلغ تلك الرتبة فلا عليه
ولدينا كتاب ينطق بالحق هو اللوح او كتاب الحفظة لا يضيع فيه مثقال ذرة فمن لم يتم
منه الى الاول ولا ينبغي ان تقعد به عن الثاني وهم لا يظلمون بنقص ثواب او زيادة
عقاب الضمير للفريقين بل قلوبهم في غمرة في غطاء وستر اضراب عن الاضراب الاول
ترقيا في وصفهم بالغفلة فان عدم الشعور قد يكون لعدم التوجه واما المستور بالغطاء
فلا يمكن الوصول اليه ولو توجه وبذل الوسع من هذا اي مما وصف به المؤمنون
ولهم اعمال من دون ذلك الذي وصف به المؤمنون او متخطية عما وصفوا به من
الشرك هم لها عاملون معتادون بها متمسكون فيها لا يرعوون حتى اذا اخذنا مترفيهم
بالعذاب حتى هذه هي التي يبتدأ الكلام بعدها والعذاب قتل المترفين يوم بدر وقيل
القحط لما دعى عليهم رسول الله فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين
كسني يوسف فقحطوا حتى اكلوا الجيف وبره قوله اذا هم يجأرون يصرخون بالاستغاثة
لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون لا يمنعون القحط قد ارتفع عنهم بدعائه صلى الله
عليه وسلم لما جاءه ابو سفيان وقال يا محمد انك تأمر بصلة الارحام وقد ترى ما اصابنا
فوبخ قد عجز فقال الله تعالى انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون قد كانت آياتي
تتلى عليكم هي القرآن الدال باعجازه على انه كلامه تعالى فكنتم على اعقابكم تنكصون
ترجعون القهقرى كالخائف من الشيء اشارة غاية الى التنفر اعراضهم مستكبرين به
بالبيت الحرام زعما منهم انهم اهله وانهم ولاة البيت لا يؤاخذون
شهرته الحسنة من سبق الذكر او بالتكذيب او بالآيات وتذكير الضمير لتأويلها بمعنى
الكتاب والقرآن والجار متعلق بقوله سامرا والضمير للقرآن والسمر حديث الليل
اصله ضوء القمر فانهم كانوا يجتمعون حول البيت ويأخذون في شأن القرآن وسب
الرسول تارة يقولون شاعر وتارة ساحر وتارة يقولون القرآن اساطير الاولين انما
يعلمه بشر والسامر اسم الجمع كالحاج يقال لهم سمار وسامر تهجرون من الهجر بضم الهاء وهو الفحش
من القول او من الهجر بالفتح وهو الهذيان والتخليط في الكلام وقرأ نافع بضم التاء من
الاهجار اي بالهجر الفحش او الهذيان فلا يكيد في قراءة نافع لاحد المعنيين
افلم يدبروا القول اي القرآن ليعلموا انه كلام الله المعجز بل تدبروا وامتنعوا منه ولما
ام جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين بل اجاءهم الكتاب والرسول ولم يأت اباءهم
الاولين وليس ذلك موضع الانكار اذ قد تواتر عندهم مجيء الرسول وانزال الكتب
الى سائر الامم او جاءهم من الامن من عذاب الله ما لم يأت اباءهم الاولين كاسمعيل واعقابه
روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مسلمين ولا
تسبوا قسا ولا الحرث بن كعب ولا اسد بن خزيمة ولا تميم بن مر فانهم كانوا مسلمين وما

وما شككتم في شيء فلا تشكوا في اسلام تبع فانه كان مسلما على شريعة سليمان بن داود
أم لم يعرفوا رسولهم دينه وامانته وصدق لهجته وشرف نسبه حين اقتعد حلك
المسجد وحل في وسطة هاشم فهم له منكرون لفقد شيء من تلك الكمالات أم يقولون
به جنة فلا يبالى بكلامه وقد كانوا يعلمون انه ارجح الناس عقلا واثبتهم رايا ومن
وقف على خطبة ابي طالب عند نكاح خديجة على ما كان فيه من صفات الكمال من اول نشأته
بل جاءهم بالحق بالتوحيد الذي لم يألفوه وقد اندرج على الشرك اباؤهم وأكثرهم
للحق كارهون قيد بالاكثر لان قليلا منهم ما كان يكره الايمان ولكن يمنعه الاستكبار
وخوف لائمة الناس كابي طالب كان يمدحه ويمدح دينه ومات على الكفر خوفا من لوم الناس
ان يقولوا في كبر سنه تبع نبيه وانما عاد المظهر لئلا يتوهم عود الضمير اليه ولو اتبع الحق
أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن لفسد النظام لان الاهواء مختلفة
والدواعي متباينة او لو اتبع الحق اهواءهم انقلب باطلا ولا بقاء للعالم مع الباطل بل
أتيناهم بذكرهم بالكتاب الذي فيه شرفهم او تذكيرهم وعظهم او الذكر الذي كانوا
يتمنونه بقولهم لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين فهم عن ذكرهم
معرضون جهلا منهم وعنادا أم تسألهم خرجا ضميم لقوله ام يقولون به جنة وما بينهما
اعتراض برهانا على انه منزه من الجنون بل ما جاء به هو الحق الابلج فخراج ربك خير
فالاجر الذي وعدك ربك خير من العاجل الذي يعدهم وقد رضيت بذلك فلا وجه
لتهمهم وقرأ ابن عامر بقصرهما وحمزة والكسائي بمدهما والباقون بقصر الاول ومد
الثاني وهما لغتان وقيل الخرج للجعل والخراج الضريبة وقيل الاول المصدر والثاني اسم
والاوجه القصر لانه اخف والمعنى عليه اظهر وزيادة المباني لزيادة المعاني انما هو
لاتحاد المعنى وعدم المعارض وهو خير الرازقين لدوام رزقه وسعته وعدم تنغيصه
بمنه تقرير لكون خراجه خيرا وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم لا عوج فيه وإن الذين
لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون عادلون عنه لان اتباع الحق وسلوك طريقه
انما هو من خوف العقاب ومن لا يؤمن بالآخرة امن من ذلك ولو رحمناهم وكشفنا
ما بهم من ضر هو الجوع والقحط للجوا في طغيانهم لتمادوا فيه يعمهون يتحيرون عن الحق
ولقد أخذناهم بالعذاب بالقحط والجوع فما استكانوا لربهم ما انتقلوا من كونهم
الاول الى الآخر استفعال من الكون او افتعال من السكون وما يتضرعون بل استمروا على
عتوهم الذي كانوا عليه حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد وهو القتل يوم بدر
او عذاب جهنم إذا هم فيه مبلسون آيسون من ابلس اذا يئس هذا وتفسير العذاب الثاني
بالجوع وقول ابي سفيان قتلت بعضهم بالسيف يوم بدر وبعضهم بالجوع لما منع ثمامة
الميرة عن اهل مكة كله سهو لان القحط وقع ورسول الله بمكة ووقعة بدر بعد بالمدينة
وكذا اسلام ثمامة رواه البخاري وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة خص

خص السمع والأبصار والافئدة بالذكر لانه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنياوية
ما لا يتعلق بغيرها وقدم السمع والأبصار لانها آلات الادراك وبهما يدرك المعجزات
قليلا ما تشكرون بصرفها الى ما خلقت له وهو الذي ذرأكم في الأرض بثكم فيها بالتناسل
وإليه تحشرون تجمعون بعد ذلك التفرق للجزاء وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف
الليل والنهار مختص به لا يقدر عليه احد سواه أفلا تعقلون تستعملون عقولكم في التفكر
والتدبر فيما خلقتم له قبل فوات الوقت بل قالوا مثل ما قال الأولون اعرض عن خطابهم
ناعيا عليهم جهلهم وجهل اسلافهم الذين اقتدوا بهم قالوا أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما
أإنا لمبعوثون اي انه منكر محال لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل قبل وجودنا
ومجيء محمد يريدون انما يقوله قول قيل قبله بدهر وقد ظهر لمن تقدمنا بطلانه
إن هذا إلا أساطير الأولين اكاذيبهم المختلقة جمع اسطورة كالاعجوبة و
الاضحوكة وهذا البناء لما يتلهى به وقيل جمع اسطار جمع سطر كافراس وفرس
والسطر صف من الكتابة والاول احسن واوفق قل لمن الأرض ومن فيها من
المخلوقات من تغليب العقلاء إن كنتم تعلمون ذلك اهانة لهم حيث لا يعلمون هذا
الواضح الجلي فهم عن علم التوحيد ودقائقه بمعزل وان كنتم من اهل العلم حين زعمتم
ان ما يقوله من اساطير الاولين سيقولون لله بلا ريب لانه لا يتوقف على فكر
قل أفلا تذكرون بعد هذا الاقرار فان توجه النظر الذي هو ابين الاشياء كاف
في حل عقدتكم قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قراه
ابو عمرو والذي بعده بالالف وجر الهاء وهو طبق السؤال معنى اذ معنى من رب الدار
لمن الدار وعليه رسم الامام والبصري قل أفلا تتقون عقابه من هذا صنعه قل
من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير يغيث ويحرس من يشاء ولا يجار عليه ولا يغاث
منه احد ولا يمنع منه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة إن كنتم تعلمون اعاده زيادة في التوبيخ
سيقولون لله قل فأنى تسحرون تخدعون عن الرشد مع ظهوره وساق الآيات
الثلث على اسلوب الترقي فذكر الارض اولا لانها اقرب اليهم ومنها نشأتهم ثم
رقى الى السموات والعرش العظيم المحيط بالارض بالنسبة اليها كلا شيء ثم ترقى الى من
بيده ملكوت كل شيء فاتى بالعام وكلمة الاحاطة ولفظ الملكوت الدال على معنى
الملك وغاية الاختصاص وذكر اليد تصوير العظمة وان الكائنات تحت ملكه
كلعبة في يد قادر يقلبها كيف يشاء وراعى في الفواصل ايضا ذلك حيث ذكر بعد
ذكر الارض التذكر الذي هو ايسر لنظر ثم الاتقاء الدال على الوعيد ثم التعجب
من خدع عقولهم وتخيل الباطل حقا والحق باطلا بعد الاقرار والاعتراف بتلك
المقدمات القواطع وكانها تقرير للسابق من ابطال شبهة منكري البعث كذلك
تمهيد للاحق من ازاحة اوهام اهل الشرك ونفي التوحيد بل أتيناهم بالحق بالوعد

الدال على البعث والتوحيد وانهم لكاذبون في انكارهما ما اتخذ الله من ولد
لتقدسه عن المماثلة والمجانسة وما كان معه من اله يشاركه في الالوهية اذا
لذهب كل اله بما خلق جواب لمن حاجه من المشركين وجزاء لشرط محذوف دل عليه
قوله وما كان معه من اله اي لو كان معه آلهة لذهب كل اله بما خلق ولعلا
بعضهم على بعض كما ترون من ملوك الدنيا وقد تقدم الكلام عليه وافيا في قوله
لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا سبحان الله عما يصفون من اتخاذ الولد والشريك
عالم الغيب والشهادة برهان آخر على بطلان شرك لان من يدعون له الالوهية
جماد ليس من شانه الادراك فتعالى عما يشركون وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر
وحفص عالم بالجر على الوصف وهو المختار لسلامته عن الحذف قل رب اما تريني
ما يوعدون بقولك واما تريني بعض الذي نعدهم رب فلا تجعلني في القوم الظالمين
داخلا في زمرة المعذبين وهكذا انكسارا وعبثة هضما لنفسه واظهارا للتواضع
والعبودية مع علمه بانه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكرر لفظ الرب
اشارة الى ان التضرع والجوار عنده بمكان وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون
كانوا يقولون متى هذا الوعد فقيل ان الله قادر على ان ينجز ذلك الوعد ولكن لكل
امر وقت مقدر اقتضته الحكمة وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ولانه في اصلابهم
من سبق في العلم انه سيؤمن ادفع بالتي هي احسن السيئة اي ادفع السيئة بالحسنة
التي هي احسن من غيرها من الحسنات فانها متفاوتة والاولى بك ايثار اكمل الاخلاق وهي
الصفح والاحسان بعد وبذل الوسع فيه ومن عود نفسه بهذا هان عليه الصفح عن
السيئات واتباعها الحسنات نحن اعلم بما يصفون اي يصفونك به على خلاف
ما انت عليه وفيه وعيد شديد لهم وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين
وساوسها واغراءها على المعاصي الهمز النخس ومنه مهماز الرائض تشبيه للمعقول
بالمحسوس والجمع اما لتنوع الوساوس او لتعدد المضاف اليه واعوذ بك
رب ان يحضرون اي يحوموا حولي فضلا عن الوسوسة حتى اذا جاء احدهم الموت
غاية لقوله ادفع دالة على كون الآية غير منسوخة وان المداراة مرغب فيها ما لم
يؤد الى ثلم دين او ازراء بمروءة او ليصفون على معنى ان طعنهم فيك وسوء القالة
مستمر الى حين الموت وعلى الوجهين ما بينهما اعتراض يؤكد شأن الاغضاء والصفح
مستعينا بالله من الشيطان اي يستنزله عن الحلم او لقوله وانهم لكاذبون وقوله
ما اتخذ الله من ولد الخ فهنا كالاعتراض يؤكد كذبهم ويحقق استحقاقهم البراءة
منهم قال رب ارجعون اي اذا عاين الموت ادركته الحسرة على ما فرط فيه من الايمان
وعنه صلى الله عليه وسلم اذا عاين المؤمن الملائكة يقولون نرجعك الى الدنيا فيقول
الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله تعالى واما الكافر فيقول رب ارجعون وخطاب

الله بلفظ الجمع على قصد التعظيم كقوله الا فارحموني يا اله محمد ويجوز ان يكون الخطاب
للملائكة ورب جر على اضمار حرف القسم لعلي اعمل صالحا فيما تركت اي في الايمان
الذي تركته او في المال الذي خلفته كلا ردع له عن تلك المقالة واستبعاد انها كلمة
هو قائلها لا محالة لاستيلاء الندم عليه كما نشاهد الواقع في بلية يتكلم بما هو موقن
بعدم قبوله منه والكلمة طائفة من الكلام ومن ورائهم برزخ امامهم حائل
عن الرجوع البرزخ ما بين كل شيئين الى يوم يبعثون اي فلا رجوع اذ بعد البعث لا رجوع
فاذا نفخ في الصور نفخة البعث فلا انساب بينهم يومئذ لا نفع لها وانما التنافع
في الاعمال الصالحة روى احمد بن حنبل عن المسور ان رسول الله قال ان الانساب
تنقطع يوم القيمة الا نسبي وسببي وصهري او لفرط الحيرة لا يتذكر احد نسبه
ولا يتساءلون اي لا يسأل بعضهم احوال بعض لشدة الامر كيف ويفر المرء من اخيه
وامه وابيه وهذا في اول الامر لقوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وفي الحديث
يشفع المؤمن في سبعين من اقاربه وخلانه فمن ثقلت موازينه موزونات
اعماله الصالحة فاولئك هم المفلحون الفائزون بكل بغية ومن خفت موازينه
ومن لم يكن له عمل يوزن لقوله فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا عرفه بالخفة
لوقوعه في مقابلة الثقل الذي هو ضده فيحسن الطباق فاولئك الذين خسروا
انفسهم حيث اوردها مورد هلاك الابد وفوتوا حظوظها في جهنم خالدون
بدل من الصلة لا محل له من الاعراب او خبر آخر لاولئك تلفح وجوههم النار تنفحها
على الدوام اللفح والنفح حر النار ووهجها والاول اشد وهم فيها كالحون
عابسون تتقلص شفاههم وتبدو اسنانهم روى الترمذي تتقلص شفته
العليا حتى تبلغ وسط رأسه والسفلى حتى تبلغ سرته الم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم
بها تكذبون تذكير لهم بما لاجله استحقوا هذا العذاب وجمع بين عذاب النار وعذاب
الندامة قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا حتى بلغت بنا هذا الحال وقرأ حمزة والكسائي
شقاوتنا بفتح الشين والمد وهما لغتان كالسعادة والكتابة والنقص اخف وانسب
وهي لغة الحجاز وكنا قوما ضالين عن طريق الرشاد ربنا اخرجنا منها من النار
فان عدنا الى ما كنا فيه فانا ظالمون لانفسنا قال اخسؤوا فيها انزجروا كما
ينزجر الكلاب يقال خسأت الكلب زجرته فخسأ انزجر لازم ومتعد ولا تكلمون
في رفع العذاب ومطلقا وعن ابن عباس رضي الله عنه لهم ست دعوات اذا دخلوا
النار ينادون الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا فيجابون حق القول مني
فينادون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم
فينادون الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فينادون الفا ربنا
اخرنا فيجابون اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال فينادون الفا اخرجنا نعمل

فيلحا فيجابون اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر فينادون القارب اجعون فيجابون
اخسئوا فيها فلا كلام لهم بعد الا الزفير والشهيق وعواء الكلاب وعن ابن عمر ينادون
ربنا غلبت علينا شقوتنا ربنا اخرجنا منها نعذر مدة الدنيا مرتين ثم يجيبهم بقوله
اخسئوا فيها ولا تكلمون انه كان فريق من عبادي هم المؤمنون كافة او الصحابة
او اصحاب الصفة يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فا
تخذتموهم سخريا هزوا وقرأ نافع وحمزة والكسائي بضم السين وهو مصدر سخر استهزأ
وياء النسبة للمبالغة وعن يونس والفراء ان المضموم من العبودية والكسر من الاستهزاء
وهو المختار لكونه نصا في المراد واخف حتى انسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون اي
استمر بكم التشاغل باستهزائكم الى ان جركم الى ترك ذكري في اوليائي فلم تخافوني
وفيه دلالة على كمال اختصاص المسخور منهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا على اذاكم
وفي هذا الاكرام زيادة غيظ لاولئك الاضداد انهم هم الفائزون ثاني مفعولي
جزيتهم وقرأ حمزة والكسائي بالكسر على الاستيناف والمفعول محذوف او الخبر او الجنة
قال كم لبثتم في الارض عدد سنين اي قال الله تعالى او الملك الموكل بعذابهم وقرأ
حمزة وابن كثير والكسائي قل على صيغة الامر قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصروا
مدة لبثهم لان ايام السرور قصار او لان الممتحن يستطيل ايام المحنة ويستقصر ايام الدعة
او لان المنقضي في حكم ما لم يكن فاسأل العادين الملئكة الذين كانوا يعدون اعمار
العباد او فاسأل من يقدر على العد فانا في شغل شاغل من ذلك الا انا على التخمين فظنناه
يوما او بعض يوم قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون تصديق لهم في تقال
المدة وتوبيخ على غفلتهم التي كانوا فيها وقرأ حمزة والكسائي قل على صيغة الامر والمأمور
من في النار والافراد لارادة الجنس و وافقهما ابن كثير في الاول وعليه رسم الكوفي
والمدني لقوله قال ان لبثتم افحسبتم انما خلقناكم عبثا تقرير فيه توبيخ على ظنهم
الفاسد وعبثا حال اي عابثين او مفعول له اي للعبث وانكم الينا لا ترجعون عطف
على انما خلقناكم ويجوز عطفه على عبثا ان جعل مفعولا له اي للعبث ولتركم غير مرجوعين
وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء من الرجوع فتعالى الله الملك الحق الثابت الملك الذي
لا يزول ملكه من العبث وكيف يليق به لا اله الا هو رب العرش الكريم وصفه بالكرم
لانه مظهر الاحكام ومعدن البركات ولانه عرش اكرم الاكرمين وصف بوصفه مجازا
حكميا كما يقال بيت كريم اذا ساكنوه كراما ومن يدع مع الله الها آخر شريكا له في
الالوهية لا برهان له به صفة ثانية للتاكيد لان في الالهة ما يجوز قيام البرهان
عليه او اعتراض بين الشرط والجزاء فانما حسابه عند ربه فيجازيه على قدر استحقاقه
انه لا يفلح الكافرون اي الشأن لا يفلح الكافرون ومفهومه ان المؤمنين مفلحون كما نطق
به صدر السورة فانتظمت الفاتحة مع الخاتمة وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين

الامر له والمراد امته ليتوسلوا بهذا الدعاء الى ذلك الفلاح وعن عمر بن الخطاب قال سمعنا
دويا كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلة ورفع
يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا
تؤثر علينا وارض عنا وارضنا ثم قال لقد انزلت علي عشر آيات من اقامهن دخل الجنة
ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم السورة ولله الحمد سورة النور مدنية وهي ثنتان
واربع وستون آية بسم الله الرحمن الرحيم سورة خبر مبتدأ محذوف اي هذه
سورة انزلناها صفتها او مبتدأ موصوف والخبر محذوف اي فيما اوحينا اليك سورة
انزلناها وفرضناها اي فرضنا ما فيها من الاحكام واصل الفرض القطع والتقدير وشدد
ابن كثير وابو عمرو اما للمبالغة والتوكيد او لان فيها فرائض شتى ففيه براعة
الاستهلال كما في اوفوا بالعقود او بمعنى فصلنا وقيل لكثرة المفروض عليهم وفيه
انه جاء في سائر الفرائض وانزلنا فيها آيات بينات واضحات لو يتوقف على فكر
وتأمل لعلكم تذكرون فتتقون المحارم الزانية والزاني مرفوعان على الابتداء والخبر
محذوف عند الخليل وسيبويه اي فيما يتلى عليكم اي جلدهما ويجوز ان يكون فاجلدوا
كل واحد منهما مائة جلدة ودخول الفاء لتضمن الموصول معنى الشرط قدم الزانية على
الزاني عكس آية السرقة لان بواعث الزنى فيهن اوفر ولانها المحل فلو امتنعت
لم يمكن وقوعه والجلد هو الضرب على الجلد وفيه اشارة الى التخفيف هكذا حكم
الحر والعبد يجلد نصفه واما المحصن فالرجم لقوله الشيخ والشيخة اذا زنتا
فارجموهما وكان قرآنا فنسخ لفظه وزاد الشافعي على الجلد تغريب عام على الحر لما روى
مسلم والبخاري مرفوعا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام ولم يقل به ابو حنيفة
لان خبر الواحد لو زاد به على الكتاب وشرط ابو حنيفة الاسلام في الاحصان لقوله
صلى الله عليه وسلم من اشرك بالله فليس بمحصن وللشافعي ما في البخاري ومسلم ان رسول
الله رجم يهوديين قيل ان المحصن في ذلك الحديث من يقتص له من المسلم ولا تأخذكم
بهما رأفة هي شدة الرحمة وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة وهما لغتان في دين الله في نصره ورفع
شأنه ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فان الايمان بهما يقتضي ذلك وابتداء دين
وايمانهم مقطوع به لان الجنسية وميل الطبع على المسامحة والمساهلة وليشهد عذابهما
طائفة من المؤمنين فان الحكمة في شرع الحد الزجر عن المعاودة والنفوس لاسيما تنزجر
بالتشهير اكثر من الضرب والعذاب لاسيما بين قومه واهل حرفته ولذلك قيد بالمؤمنين
والطائفة الجماعة التي يمكن ان يكون حافة حول الشيء من الطواف وعن ابن عباس من
الاربعة الى الاربعين ولا ينافي هذا ما روي عنه من واحد فصاعدا لان الغرض
هو التشهير ولا يحصل الا بالجم وذلك بحسب اللغة وهو الطوف والدوران الزاني
لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك عن عائشة رضي الله عنها

ان حكمها باق وان من تزوج بالزانية فهو زان على الدوام وبه قال الامام احمد وعن
سعيد بن المسيب ان الامر كان على ذلك فنسخ بقوله وانكحوا الايامى منكم وقيل نزلت
الاية في اصحاب الصفة كانوا فقراء وكان بالمدينة بغايا موسرات فارادوا نكاحهن
فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والاصح انه تنفير عن نكاح البغايا
وتزهيد واشارة الى ان اهل الايمان والصلاح لا يليق بهم الرغبة الا في العفايف
فان الاخلاء ونسري والمصاحبة تنزع عن المرء الامثال وسل عن قرينه وتقديم الزاني
عكس ما في صدر السورة لان النكاح صفة الرجال وهم الاصل في ذلك وحرم ذلك
على المؤمنين كراهة تحريم او تنزيه على القولين والذين يرمون المحصنات يقذفون
العفايف من النساء بالزنى دل عليه ذكر الاحصان وتقييد الشهود بالاربعة وقرئ
المحصنات بكسر الصاد ثم لم ياتوا باربعة شهداء يشهدون بزنى المقذوفة بانهم
رأوا ذكر الزاني في فرجها كالميل في المكحلة فاجلدوهم ثمانين جلدة اذا كان
المقذوف محصنا والاحصان بالبلوغ والحرية والعقل والاسلام والعفة من الزنى
ولا فرق بين الذكر والانثى وتخصيص المحصنات لنزول الايات فيهن او لان قذف النساء
اغلب ولا يشترط اجتماع الشهود وكذا لا يقبل شهادة الزوج عند الشافعي خلافا
لابي حنيفة فيهما واشد الضرب التعزير ثم حد الزنى ثم شرب الخمر ثم القذف لتفاوت
اسبابها فان قلت قوله الحدود تدرأ بالشبهات يقتضي ان لا يجد القاذف لكون خبره
يحتمل الصدق قلت تلك الشبهة مضمحلة حفظا لاعراض المسلمين التي هي كدماءهم و
لذلك اكد بقوله ولا تقبلوا لهم شهادة اي شهادة ما كانت زيادة في عقوبته حيث
لم يستر على المؤمن عورته المأمور بسترها قال صلى الله عليه وسلم من ستر على المؤمن ستر الله
عليه يوم القيامة ولا يتوقف رد الشهادة على استيفاء الحد عند الشافعي لان العطف
بالواو لا يقتضي الترتيب ولانه قبل الحد اسوء حالا لكون الحدود كفارات ابدا
مدة حياتهم عند ابي حنيفة او ما داموا قاذفين عند الشافعي رحمه الله واولئك
الموصوفون هم الفاسقون الكاملون فيه الا الذين تابوا من بعد ذلك راجع الى
الاخيرة عند ابي حنيفة لانها منقطعة عن الاولين فيتعلق الاستثناء بها لا محالة و
الابد مدة حيوة القاذف وعند الشافعي الاستثناء من الضمير المجرور واولئك
هم الفاسقون اعتراض يجري مجرى التعليل غير منقطع عن الاولى ولذلك توسط بين
المستثنى والمستثنى منه ويجوز ان يكون الاستثناء عنده ايضا راجعا الى الاخيرة
دون الحكم يزول بزوال علته وان يرجع الى الجمل الثلث كما هو الاصل عنده من ان الاستثناء
بعد الجمل المتعاطفة عائد الى الكل كقولك وقفت على اولادي واولاد اولادي الا
الاغنياء منهم فان قلت كيف يستقيم رجوع الاستثناء الى الجمل الثلث مع ان الجلد لا يسقط
بالتوبة اتفاقا قلت الجلد وما يقوم مقامه من الاستحلال من تمام التوبة او توقف ذلك

او لان في ذلك الاصل ظاهر نزك بالاجماع على وجوب الجلد وخص منه لانه حق العباد
ويؤيده ما ذهب اليه ما رواه البخاري ان عمر حد ابا بكرة وشبل بن معبد ونافعا
حين شهدوا على مغيرة بن شعبة بالزنى ولم يوجد الرابع ثم قال ومن تاب منكم
قبلت توبته واليه ذهب عمر بن عبد العزيز وطاوس والزهري والشعبي وشريح
وسعيد بن جبير واصلحوا اعمالهم فان الله غفور لما فرط منهم رحيم بقبول التوبة
والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم روى البخاري عن ابن
عباس ان هلال بن امية قذف امرأته بشريك بن سحماء فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم البينة او حد في ظهرك فقال هلال والذي بعثك بالحق اني لصادق ولينزل
الله في ما يبرئ ظهري عن الحد فارسل رسول الله الى هلال وامرأته فاتيا فتلاعنا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تائب فلما
بلغت المرأة الى الخامسة فقالوا لها انها الموجبة فتلكأت حتى ظننا انها ترجع ثم قالت
لا افضح قومي سائر اليوم فمضت في الخامسة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابصروها فان جاءت به اكحل العينين سابغ الاليتين خدلج الساقين فهو لشريك
بن سحماء فجاءت به على النعت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ما مضى من
كتاب الله لكان لي ولها شأن وروى مسلم والبخاري عن سهل بن سعد ان عويمرا
جاء الى رسول الله وذكر انه رأى رجلا مع امرأته فوجد قد نزلت عليه فدعى لهما
فتلاعنا فقال عويمر كذبت عليها ان امسكتها ففارقها فكانت سنة المتلاعنين فقال
رسول الله ابصروها فان جاءت به اسحم ادعج العينين عظيم الاليتين فلا اراه الا قد
صدق وان جاءت به احيمر كانه وحرة فلا اراه الا كاذبا فجاءت به على النعت المكروه
فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنى
وقرأ حمزة والكسائي وحفص اربع بالرفع على انه خبر شهادة وبالنصب على المصدر والخامسة
ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فيما رماها به هذا لعان الرجل وحكمه سقوط
الحد عنه وحصول الفرقة بينهما على سبيل الابد لقوله صلى الله عليه وسلم المتلاعنان
لا يجتمعان ابدا وعند ابي حنيفة رحمه الله لا بد من تفريق القاضي حتى انه طلاق ويدرؤا
عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما رماها به من
الزنا والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين وقرأ نافع ان مخففة في
الموضعين وكسر الضاد وفتح الباء ورفع الله ولولا فضل الله عليكم ورحمته و
ان الله تواب حكيم حذف الجواب لتعظيمه اي لعاجلكم بالعقوبة ولفضحكم ان الذين جاءوا بالافك
هن ثمانية عشر آية نزلت في عائشة رضي الله عنها حين قال فيها اهل الافك ما قالوا
روى البخاري عن عروة بن الزبير ان عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا سافر غازيا اقرع بين نسائه من خرجت قرعته سافرت معه فغزا غزوة فخرجت

سهم وافتنا قربها فلما قفل ودنا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فخرجت وجاوزت الجيش
لحاجة الانسان فلما قضت شانها وعادت انقطع عقدها فانحبست لالتماسه فحمل
الرهط الذي كان يرحلون هودجها وحملوه على البعير وهم يحسبونه انها فيه وسار الجيش
فلما عادت الى مكان الجيش وليس به داع ولا مجيب اقامت بمنزلها الذي كانت به ظنا منها انهم
يستفقدونها وكان صفوان بن المعطل السلمي من وراء الجيش متخلفا فرأى سواد انسان
فلما دنى منه عرفها وكان قد رآها قبل الحجاب عظم عليه ذلك وقال انا لله وانا اليه
راجعون حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل من راحلته واناخها ثم ولى ظهره حتى
ركبته ام المؤمنين فجاء بها وهم قد نزلوا في منزل فرأوها معه وكان في الجيش رأس
المنافقين عبد الله بن ابي بن سلول فخاض في حديث الافك واذاعه وابلغ ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر فصعد رسول الله المنبر وقال ايها الناس مما بال
اناس يخوضون في عرض اهلي والله ما علمت على اهلي الا خيرا ويذكرون رجلا ما علمت منه
الا خيرا فوقع اللغط وهمّ الانصار بالقتال واستمر الامر على ذلك حتى نزلت الآيات
عصبة منكم هو ابن سلول وحسان ومسطح وآخرون والعصبة الرجال من العشرة الى
الاربعين لا تحسبوه شرا لكم اي الافك بل هو خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم وكونه
سببا لنزول الآيات مشتملة على الحكم ومحاسن الاخلاق لطفا بالسامعين والتالين
الى يوم القيمة الخطاب لمن ساءه ذلك من المؤمنين وخاصة رسول الله وابي بكر وعائشة
وصفوان لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم جزاء له بقدر ما خاض فيه وافاض والذي
تولى كبره معظمه منهم من اولئك الخائضين له عذاب عظيم مكافأة على جرمه العظيم
لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا باخوانهم واخواتهم جعل
المؤمنين كنفس واحدة كقوله ولا تلمزوا انفسكم روي ان ابا ايوب الانصاري قال
لزوجته يا ام ايوب الا ترين ما يقال فقالت لو كنت انت بدل صفوان اكنت تظن بحرم
رسول الله سوءا قال لا قالت ولو كنت انا بدل عائشة ما خنت رسول الله فعائشة خير
مني وصفوان خير منك وانما التفت الى الغيبة ليوبخ بالاعراض وليصرح بالايمان الذي
يوجب ان لا يشترك فيه الاتحاد والحاماة وقالوا هذا افك مبين صريح جازمين
بذلك جاء على التصادق كما تقول المستيقن لولا جاءوا عليه باربعة شهداء كما هو الحكم
في مثله فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله اي في حكمه هم الكاذبون ولذلك
رتب عليهم الحد ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لولا هذه لامتناع
الشيء لوجود غيره والاولى للتحضيض والمعنى ولولا اني قضيت ان اتفضل عليكم في
الدنيا بضروب النعم وفي الآخرة بالعفو والمغفرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم
لعاجلكم على ما خضتم فيه من الافك بعذاب يستحقر دونه الحد واللوم اذ تلقونه
بألسنتكم اذ ظرف لمسكم او افضتم وتلقي القول وتلقفه اخذه من الغير ومنه قوله تعالى

قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات وتقولون بافواهكم من غير ان يستند الى ما في القلب
ما ليس لكم به علم بل يختص بافواهكم يجري على السنتكم ليس الا وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة له وهو
عند الله عظيم لم يمسكم حسنه حيث به بما هي عند ربه وقصدكم بذلك القدح في عرضه وجعل
رفيع جنابه رتب مس العذاب على آثام ثلاثة تلقي الافك بالالسنة والتحدث به من غير تحقق
واستحقار ذلك وعده هينا لا تقولوا لذنب انه حقير فلعله يكون عند الله وهو عندك
نقير ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا اي لولا قلتم وقت سماعكم المخبر
كان الواجب عليكم اول ما سمعتموه ان تعرضوا عنه وتقولوا انما ينبغي لنا ان نتكلم به
ولا يصح كقوله ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق سبحانك هذا بهتان عظيم تعجبا
من شناعته او تنزيها لله من ان يكون حرم حبيبه موسوما بشين فضلا عما ذكروه
فانه هادم لعرضه منفر عن اتباعه بخلاف الكفر فانه ليس مما ينفر ولا يعودون عنه
عليه يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ما دمتم ان كنتم مؤمنين فان الايمان يمنع عنه
الاتصاف بما ذكر من الصفات الجميلة والآداب الحسنة وفيه توبيخ وتقريع على
ما وقع منهم ويبين الله لكم الآيات الدالة على الحكم والآداب ومحاسن الاخلاق
والله عليم كامل العلم بالاشياء حكيم في كل ما تعلقت به ارادته ان الذين يحبون
ان تشيع الفاحشة اي تشيعوها عن قصد ومحبة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم
في الدنيا بالحد والآخرة بعذاب النار ان لم يتوبوا والله يعلم وانتم لا تعلمون
فان المحبة فعل القلب ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤوف رحيم كرره
مع حذف الجواب لكونه معلوما وذكر بنا الرؤوف الرحيم ما يدل على ان هذا الذنب لا يتوسل
الى دفعه الا بمحض رافته وانه اعظم من ان يرتفع بالمؤثر ادمشانه بين ما يتلقونه
بافواههم وما يحبونه بقلوبهم يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان
آثاره وما يدعوكم اليه من المعاصي وقرئ بضم الطاء ابن عامر والكسائي وحفص والفضيل
وهي لغة الحجاز والباقون بسكون الطاء وهي لغة تميم والضم افصح واشهر ومن يتبع
خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشاء والمنكر علة للنهي عن اتباعه والفحشاء ما فرط قبحه
والمنكر ما انكره الشرع من عطف العام على الخاص ولولا فضل الله عليكم ورحمته
بتوفيق التوبة وشرع الحد ما زكى منكم من احد ابدا آخر الدهر اي ما طهر من دنس الفاحشة
التي ارتكبتموها لعظمها ويجوز ان يكون الخطاب عاما لهم ولغيرهم اشارة الى ان من لم
يحصن قربها وطهر من دنسها انما كان بتوفيق الله ولكن الله يزكي من يشاء بتوفيق التوبة
او بالعصمة والله سميع لاقوالهم عليم بالضمائر ولا يأتل ولا يحلف اولوا الفضل منكم في
الدين كان من اهل الافك مسطح بن اثاثة وكان ابن خالة ابي بكر فلما نزلت الآيات في براءة
عائشة حلف ابو بكر ان لا ينفق على مسطح وكان ينفق عليه فنزلت والايتلاء افتعال من
الالية وهي الحلف او من الالو وهو التقصير والمعنى لا يحلفوا على عدم الاحسان او لا يقصروا

في ان يحسنوا والسعة في المال ان يؤتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله صفات
لموصوف واحد وهو مسطح فانه كان جامعا لها ويجوز ان يراد هو ومن يتصف بها كأنا ناس كان
وليعفوا وليتجاوزوا عما فرط منهم وليصفحوا وليعرضوا عنه ولا يذكروه فانه يورث
الوحشة بين المؤمنين الا تحبون ان يغفر الله لكم كما غفرتم سبب الحكم المؤمن ولما قرأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصديق فقال بلى احب ان يغفر الله لي واعاد النفقة
على مسطح والله غفور ذنوب عباده رحيم يجزل الثواب فتخلقوا باخلاقه ان الذين يرمون
المحصنات العفائف الغافلات عن الفاحشة او سليمات الصدور النقيات كقوله اكثر
اهل الجنة البله المؤمنات بما يجب الايمان به قدم عليه الغافلات لاقتضاء المقام ذلك
لعنوا في الدنيا بين المؤمنين والآخرة عند الله ولهم عذاب عظيم لا يقادر قدره
يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يوم ظرف لعظيم
او المعنى لاستقرار في لهم وقرأ حمزة والكسائي بياء الغيبة وهو اولى للفصل يومئذ
يوفيهم الله دينهم الحق جزاءهم اللائق بهم الثابت ويعلمون ان الله هو الحق الثابت
ذاته المبين الظاهر الواضح دلت عليه ذرات الوجود ومن هذا شأنه ينتقم من الظالم
للمظلوم ولقد بالغ في العاد قذفة عائشة بما لم يوعد به اهل الشرك وعبدة الاوثان
حيث اجمل وفصل وجمع بين انواع العذاب لعن الدارين والعذاب الذي لا يحاط به في
الآخرة والتفضيح الذي كل عذاب دونه في مشهد يوم عظيم وعن ابن عباس انه كان يفسر القرآن
بالبصرة فسئل عن هذه الآيات فقال كل من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا قذفة
عائشة ولعله اراد التغليظ كقوله في قاتل المسلم عمدا انه مخلد في النار الخبيثات
للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات اي
الكلمات الخبيثات مثل القذف وسائر الاقوال الفحش مختصة بالرجال الخبيثين وكذا الرجال
الخبيثون مختصون بها وكذلك الطيبات والطيبون هذا كلام جار مجرى المثل كقوله ان
الباطل كان زهوقا فيتناول العائشة والقائلة فيها سنا والاولى ان الخبيثات من النساء
للخبيثين من الرجال وكذلك الطيبات منهن للطيبين منهم وعائشة زوجة سيد الطيبين
فاولى ان يكون طيبة اولئك اي اهل البيت او عائشة ورسول الله وصفوان ٥
مبرؤن مما يقولون اي اهل الافك من قالة السوء لهم مغفرة من الله لذنوبهم ورزق
كريم في الجنة فقيل برأ الله اربعة باربعة برأ يوسف بشاهد من اهلها وموسى
من قول بني اسرائيل انه آدر بالحجر الذي ذهب بثوبه حتى رأوه عريانا ما به بأس ومريم بانطاق
ولدها وعائشة بانزال هذه الآيات قلت هنالك خامس وهو جريج الراهب حين جاءت
بغية من بغايا بني اسرائيل بولد فقالوا لها ممن هذا قالت من جريج فاتوه وهدموا صومعته
وارادوا قتله فسألهم عن سببه فاخبروه فتوضأ وصلى لله ركعتين ثم قال للطفل
يابانوس من ابوك قال الراعي فقالوا له نبني صومعتك بالذهب قال لا اعيدوها كما كانت

كما كان يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا كان منشأ حديث
الافك وجود الخلوة في موضع التهمة اردف الحديث بما يليه والاستيناس اما من الاستيناس ضد
الوحشة فالمعنى حتى يؤذن لكم وضع الاستيناس موضعه لانه يرادف الاذن او استفعال
من آنس اذا ابصر والمعنى لا تدخلوا حتى تستيقنوا بل يراد دخولكم ام لا ومنه بيت النابغة
على مستأنس واحد ويجوز ان يكون من الانس كأنه يتعرف هل ثم انسان ام لا وتسلموا على
اهلها وذلك الاستيذان بان يقول ثلث مرات السلام عليكم فان اذن له والا رجع لما روي
ابو داود ان رجلا استأذن على رسول الله فقال لخادمه اخرج الى هذا وعلمه الاستيذان
فقل له قل السلام عليكم أأدخل وروى البخاري ان ابا موسى الاشعري استأذن على عمر
فخادفه ثلثا فلم يؤذن له فانصرف فقال عمر الم اسمع صوت عبد الله بن قيس فقالوا
انصرف يا امير المؤمنين فاستدعاه فلما حضر سأله عن الانصراف فقال كذا امر رسول الله
فقال عمر اقم على ذلك بينة والا رجعتك ضربا فجاء ابو موسى الى جمع من الانصار و
استشهدهم فقالوا لا يستشهد لك الا اصغرنا فقام معه ابو سعيد الخدري فصدق
مقالة ابو موسى وهذا عام في المحارم والاجانب لما روي ان رجلا قال يا رسول الله اني
ليس لها خادم استأذن كلما دخلت قال اتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستأذنه
ذلكم خير لكم الاستيذان والتسليم خير لكم من الدخول بغتة وتحية الجاهلية فانهم كانوا
يدخلون بلا اذن ويقولون حييتم صباحا وحييتم مساء كما يفعله الجهلة اليوم فربما اصاب
الرجل مع امرأته في اللحاف لعلكم تذكرون اي قيل لكم ذلك او انزل عليكم لكي تتعظوا
وتعملوا به فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم لان المنع
عن الدخول ليس [illegible] نوع البصر على الا [illegible] ولا الاطلاع على
اموره لا يريد صاحب البيت اطلاع احد عليها ولانه سبب الغضب والتغلب وان قيل
لكم ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا فانه يؤذي صاحب البيت ويجلب الوحشة والجفاء هو ازكى
لكم اطهر من الدخول بغير اذن والوقوف على الباب لانه يخل بالمروءة والله بما تعملون عليم
وعيد ووعد ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة من الخانات والربط الموقوفة
والخرب التي يدخلها الانسان لحاجته فيها متاع لكم منع ومنفعة والله يعلم ما
تبدون وما تكتمون تحذير لمن ابتلى في الدخول ان يدخل لغرض غير صالح قل للمؤمنين
يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم عن ان يقع عليها بصر من لا يحل نظره وانما زاد
من في الاول واطلق الثاني لان وجوه الحاجة الى الاول اكثر والامر بالحفظ عن الابداء
امر بالحفظ عن الافضاء الا على الازواج او من في حكمها من الاماء لانه لا يوجد بدون
الابداء او لان الابداء انما حرم لكونه وسيلة الى الافضاء وعليه ينطبق ما روي
عن ابي زيد وابي العالية ان كل ما في القرآن من حفظ الفروج اريد به الزنا الا هذا
فانه اريد به الستر وقيل جعل الغض عن بعض المبصر غض بعض البصر كانه لطيفة

ذلك أزكى لهم لبعده عن الريبة ووساوس الشيطان إن الله خبير بما يصنعون فيعلم الانفاس
في كل حركة وسكون ولما في خائنة الأعين من الخفا فصل الاية بالخبير الدال على العلم ببواطن
الاشياء والصنع الذي فيه مزيد اعمال وفيه اشارة الى ان النظرة الاولى من غير تعمد لا يواخذ
بها كما روى ابو داود عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لعلي رضي الله عنه الاولى لك والثانية
عليك وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن خصهن بالذكر وان كان
الحكم معلوما لان ما يحرم من الرجال يحرم منهن بالطريق الاولى ليرتب عليه ما بعده من الاحكام
المختصة بهن ولا يبدين زينتهن كالحلي والثياب فضلا عن مواضعها إلا ما ظهر منها
عند مزاولة الاشياء كالثياب والخاتم وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف
وما ظهر منها الوجه والكفان عند عامة العلماء ومنع ذلك الشافعي الا عند الضرورة و
الأصح ان هذا في الصلوة لا في النظر كما سنذكره مفصلا وما ظهر منها في الصلوة هو الوجه
والكفان وليضربن بخمرهن على جيوبهن سترا للاعناق عن عروة بن زبير عن عائشة رضي
الله عنها قالت رحم الله نساء المهاجرات الاول لما نزل وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن
مروطهن فاختمرن بها ولا يبدين زينتهن مواضعها إلا لبعولتهن ازواجهن فانهم
المقصودون بكل زينة أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو
إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن لعدم خوف الفتنة لان الطباع تنفر عن مقاربة
الاقارب ولذلك يستحب ان لا يتزوج بقرابة قريبة وما يحل نظر هؤلاء عليه ما يبدو
في العادة عند الخدمة كالساعدين والساقين وما فوق السرة وتحت الركبة وانما لم
يذكر الاعمام والاخوال اكتفاء بالاخوان لانهم في معناهم او لان الافضل التستر منهم لئلا
يصفوهن لابنائهم فتورث الفتنة أو نسائهن اي المؤمنات دل عليه الاضافة وعن
ابي حنيفة الاطلاق لان المنع للفتنة ولا فتنة في نظر المرأة الى المرأة واللفظ لا يساعده
اذ لا فائدة في الاضافة حينئذ أو ما ملكت أيمانهن يشمل الاماء والعبيد وبه قال مالك
والشافعي لما روى ابو داود ان رسول الله وهب لفاطمة عبدا وكان عليها ثوب اذا قنعت
به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها فقال ليس عليك بأس انما هو
ابوك وغلامك وعند ابي حنيفة هو كالاجنبي أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال
كالشيوخ الهم ومن لا حاجة له في النكاح كالمعتوه والبله الذين لا يعرفون شيئا من امور
النساء والإربة الحاجة او العقل والدهاء من ارب الرجل بالضم اذا صار ذا دهي
أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء لم يطلعوا عليها ولم يعرفوا ما العورة لعدم
التمييز من ظهر على كذا اطلع او من ظهر على كذا قوي عليه بمعنى انهم لم يقدروا على الوطي
لعدم توقف الحرمة على ذلك بل اذا صار مميزا حرم اتفاقا والطفل يقع على الذكر والانثى
مفردا كان او جمعا ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن كانت النساء ذوات
خلاخل فلما نهين عن اظهار الحلي نهين عن اظهار صوته ايضا لان الغرض دفع الفتنة وصوت

الحلي يثير الميل اليهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون اذ لا يخلو احد من نوع
تقصير لان الاستقامة متعسرة او متعذرة او عما كنتم تفعلونه في الجاهلية فان الاثم
وان جبه فالاستمرار على الندم لازم الى ان يلقى عبد ربه لعلكم تفلحون بفوز
في الدارين وانكحوا الأيامى منكم خطاب للاولياء والامر للوجوب عند الطلب و
ظهور الحاجة والا فالنكاح مستحب ابقاء للنوع وفي الحديث تناكحوا تكثروا فاني اباهي
بكم الامم يوم القيمة ولو بالسقط ولانه سنته صلى الله عليه وسلم وقد رغب
فيه فقال النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني والايامى جمع ايم على القلب
اصله ايايم لان فيعلا لا يجمع على فعال والايم من لا زوج له ذكرا كان او انثى بكرا
كان او ثيبا من آم الرجل اذا فرطت شهوته وفي الحديث نعوذ بالله من الايم والعيمة
والصالحين من عبادكم وإمائكم ذكر الصلاح للترغيب في تحصين من همته التحصن
وليس بشرط كقوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا او في الاية دليل على ان المرأة لا تلي
النكاح والعبد بغير اذن مولاه إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله اي لا يكن فقر
الخاطب والمخطوبة مانعا من الانكاح فان في فضل الله تعالى ما يغني عن المال فانه غاد ورائح وليس
الوعد به على اللزوم لا محالة وان كل من تزوج يحصل له الغنى بل مشروط بمشيئته
تعالى لقوله يغنيهم الله من فضله ان شاء وعن عمر رضي الله عنه ابتغوا الغنى في النكاح
والله واسع ففضله بين الخير كله عليم بمن يصلح له الغنى ولو بسط الله الرزق
لعباده لبغوا في الارض وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا اي يجتهد في العفة
وقمع الشهوة من لا يجد اسباب النكاح روى مسلم والبخاري عن عبد الله بن عمر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج
فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء حتى
يغنيهم الله من فضله تقدمة وعد لهم من فضله والتوسعة ان صبروا واستعفوا ومن
يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب امرا ولا يغض البصر ابعادا عن موقع
الفتنة ثمرا بالنكاح الذي هو سبب التناسل وتحصين الدين ان امكن ثمرا بالصبر
وانتظار فضل الله الواسع والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم من العبيد والاما
فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا ترغيب فيه في كتابة من يرى فيه آثار الخير والصلاح و
ليس بشرط وقيل المراد بالخير القدرة على اداء بدل الكتابة ويسمى هذا العقد كتابة
لانه يكون منجما مؤجلا وجوبا كما قاله الشافعي او حالا كما قاله ابو حنيفة والموجل
يكتب غالبا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم مال الصدقة وبيت المال لقوله تعالى وفي
الرقاب وهم المكاتبون وعند الشافعي يجب حط شيء من بدل الكتابة ولا يمنعه قران
امر الندب لان القران في الذكر ليس قرانا في الحكم والبتة ذهب عمر بن الخطاب واحمل
امر الكتابة على الندب لان عقود المعاوضة على الاختيار ولفظ آتوهم يساعد لابي حنيفة

لان وضع الدين لا يبقي ابدا فان قلت من ابن المنافي وجوب التنجيم وعدم جواز الحلول
قلت من ان المكاتب في الحال لا يملك شيئا ولا يقدر على البدل الا بالسعي والتكسب فلو كان
حالا او عز منجم لعسر عليه وللشارع اعتناء بفك الرقاب ولذلك من اعتق شقصا سرى
الى المجموع وعليه حصة شريكه ان كان قادرا والا سعى العبد في خلاصه بخلاف
ما لو باع جزءا منه او وهب والآية نزلت في حويطب بن عبد العزى كان له مملوك
سأله الكتابة ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء كانوا في الجاهلية يستردون الاماء بسآء
على مواليهن وكان لعبد الله بن سلول ست جوار معاذة ومسيكة واميمة وعمرة واروى
وقتيلة يكرههن على الزنى والفتيات جمع فتاة وهي الامة روى البخاري عن رسول
الله قال لا يقل احدكم عبدي وامتي كلكم عباد الله واماؤه وليقل فتاي وفتاتي
ان اردن تحصنا ليس للكلام مفهوم اما لان الاكراه انما يتصور عند ارادة التحصن
ولانه معارض بالاجماع وايثار ان على اذا لان ارادة التحصن من الاماء كالنادر
وفيه نعي على من اكرههن بان امة خير منه ولينبئوا ولم يرد التحصن الكني ولم يرض
لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا علة للمنهي لا للنهي ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن
غفور رحيم للمكرهات او له ان تاب فان قلت المكره لا يؤاخذ بالاثم فما معنى المغفرة
في حقهن اسقاط العقوبة والاثم بعذر الاكراه وفيه اشارة الى ان المكرهة اذا كان
مع قيام العذر بصدد العقاب فما ظنك بالمكره والقول بان المراد بالاكراه ما لم يبلغ
حد الاكراه الشرعي شيء لا يدل عليه الكلام وكذا القول بان الاكراه لا ينافي المؤاخذة
بالذات اسند لالا بوجوب القصاص على المكره لانه حق العباد ولذلك سقط عنه
حد الزنى والذي يقول عليه ان حق الله يسقط بالاكراه والخطاء والنسيان لقوله
عليه السلام رفع عن امتي الخطاء والنسيان وما استكرهوا عليه دون حقوق العباد
ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات موضحات في الله لانه على الاحكام وقرى حمزة والكسائي
وابن عامر وحفص بكسر الياء اي بين الاحكام والحدود ومثلا من الذين خلوا من قبلكم
وهي قصة ام المومنين فانها في الغرابة تشبه غريب قصصهم وهي كقصة يوسف
ومريم وموعظة للمتقين يريد ما وعظ به في تلك الآيات من قوله ولا تاخذكم
بهما رافة في دين الله وقوله لولا اذ سمعتموه وقوله يعظكم الله ان تعودوا لمثله
ابدا وقيل الآيات القرآن والصفات المذكورة صفاته الله نور السموات والارض
اي منورهما هو الهادي اهل السموات والارض بنوره يهتدي ذوا العماية ويرشد
ذوا الغواية كقولك زيد كرم وعدل عمر اي ذو كرم وعدل دل عليه مثل نوره
بالاضافة اليه كمشكوة فيها مصباح المشكاة الكوة في الجدار غير النافذة والمصباح
سراج ضخم ثاقب المصباح في زجاجة قنديلة من الزجاج الزجاجة كانها كوكب
دري تشبيه كوكبا ازهر اللون منسوب الى الدر لصفائه وتلألؤه كزهرة وسهيل

وسهيل والمريخ يوقد من شجرة مباركة اي ابتدا ثقوبه من الشجرة المباركة بان رويت
ذبالته بزيتها ومعنى كونها مباركة انها تنبت في الارض المباركة وهي الارض المقدسة
التي بارك الله فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعين نبيا زيتونة لا شرقية
ولا غربية فان الشام بين المشرق والمغرب وقيل لا في مشرق الشمس على الدوام
ولا في مغربها بل يتعاقبان عليها وقيل لا نبت مما يطلع عليها الشمس في وقت شروقها
او غروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشي فهي شرقية وغربية يكاد زيتها يضيء
ولو لم تمسسه نار لفرط صفائه نور على نور اي نور متضاعف من وجوه قد تناصر
فيه المشكاة والزجاجة والزيت والمصباح ولم يبق مما يزيد النور ويمده بالاضاءة
بقية وذلك ان المصباح اذا كان في مكان ضيق غير نافذ كالمشكاة كان اجمع لنوره
والقنديل اعون شيء على الاضاءة وكذلك الزيت الموصوف مثل التوحيد وشرائع
الاسلام مما دل عليه السمع والعقل بالنور في الاضاءة ثم بالغ في المشبه به
بما لا مزيد عليه دلالة على المبالغة في المشبه فكما ان هذا غاية في المحسوس مما
وراءه شيء فكذلك ذاك ايضا غاية في المعقول ليس خلفه معقول واليه اشار
علي كرم الله وجهه نور السموات والارض نشر فيها الحق وبثه فاضاءت بنوره
قلوب اهلها وقيل الشجرة المباركة رسول الله ومعنى كونها لا شرقية ولا غربية
عدم اختصاص دينه بقوم دون قوم او مكان دون آخر والمشكاة صدره والزجاجة
قلبه والمصباح معرفته وكان نور الزيت لا دخان له فكذلك عرفانه والحق الذي
في قلبه لا يشوبه باطل وقيل الشجرة المباركة ابراهيم لا شرقية ولا غربية ما كان
يهوديا ولا نصرانيا والمصباح الموقد من تلك الشجرة رسول الله وقيل فيه تاويلات
اخر وهي تجديدات فاعرض عنها يهدي الله لنوره من يشاء اي يوفق من يشاء لاصابة
الحق بالنظر والتدبر ويضرب الله الامثال للناس بابراز المعقولات في صور المحسوسات
توضيحا وتبيينا والله بكل شيء عليم سيان عنده المحسوس والمعقول وانما تصوير
المعقولات في صور المحسوسات ليسهل فهمها على الناس قرى ابو عمرو والكسائي دري بكسر
الدال والهمز على فعيل من درء الكواكب دروا اذا طلع بغتة مع توقد وانتشار ضوء
وقرى حمزة وابو بكر بضم الدال والهمز على وزن فعول كسبوح والباقون بضم الدال
والياء المشددة منسوبا الى الدر لصفائه وبياضه وزنه فعلي والكسر مع الهمز افصح
وقرى نافع وابن عامر وحفص يوقد بياء التذكير وحمزة والكسائي وابو بكر بتاء
التانيث وابن كثير وابو عمرو توقد ماض تفعل في بيوت متعلق بما قبله اي
كمشكوة في بعض بيوت الله وهي المساجد كانه قيل مثل نوره كما ترى في المساجد
نور المشكوة التي من صفتها كيت وكيت او بما بعده وهو يسبح اي يسبح له رجال في بيوت
والتكرير للمبالغة والتوكيد كقولك زيد في الدار جالس فيها او بمحذوف نحو سبحوا

أو بتق قد تقييد للممثل به بما يزيد مبالغة لأن قناديل المساجد أعظم ومصابيحها أنور
لا سيما إذا أريد المساجد الثلاثة وحمل التنكير على التعظيم كما قيل **أذن الله أن ترفع**
أي تبنى كقوله وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت أو تعظم وترفع قدرًا أو ذكرًا بما
ذكر عن الحسن **ويذكر فيها اسمه** يشمل كل ذكر حتى المناظرة في العلم إذا أريد بها
إظهار الصواب **يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال** صفة مدح ثانية لبيوت
أي ينزهونه ويقدسونه في هذه الأوقات الشريفة أو الصلوات الخمس في الغدوات
والعشايا لم يجمع الغدو لكونه مصدرًا في الأصل والآصال جمع أصيل كأشراف و
شريف وقرأ ابن عامر وأبو بكر يسبح بفتح الباء على بناء المفعول مسندًا إلى أحد
الظروف الثلاثة وإسناده إلى الأول أولى ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح كقوله
ليبك يزيد ضارع لخصومة **لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله** التجارة تشمل البيع
والشرى للربح وإنما أفرد البيع لأنه أدخل في الإلهاء إذ الربح فيه ناجز متيقن وفي
الشراء مظنون مترقب وأطلق التجارة على الشرى إطلاقًا للجنس على النوع بقرينة
ذكر البيع وقيل التجارة الجلب يقال تجر إذا جلب المتاع نزلت في المهاجرين فإنهم
كانوا تجارًا فلم يشغلهم الصفق بالأسواق وفي الحديث التاجر فاجر إلا من اتقى الله
وإقام الصلاة حذفت التاء التي كانت عوضًا عن العين لقيام المضاف إليه مقامها
وإيتاء الزكاة المفروضة **يخافون** حال كونهم خائفين **يومًا تتقلب فيه القلوب**
والأبصار تضطرب من الهول كقوله يوم تشخص فيه القلوب والأبصار أو تتقلب
من حال إلى حال فتفقه القلوب التي كانت في أكنة وتبصر الأبصار التي كانت عليها
غشاوة **ليجزيهم الله** متعلق بيسبح أو لا تلهيهم أو يخافون **أحسن ما عملوا** جزاء
أحسن أعمالهم بأن يجزي على الأدنى كما يجزي على الأعلى **ويزيدهم من فضله** فوق
جزاء الأعمال ما لم يخطر ببالهم تفضلًا **والله يرزق من يشاء بغير حساب** تقرير
لسعة فضله وإشارة إلى كمال قدرته ونفاذ مشيئته **والذين كفروا أعمالهم**
كسراب بقيعة لما بين حال المؤمن ونجح سعيه في الدنيا وفي الآخرة من النعيم المقيم
أردفه بذكر الكافر والذي يكدح في العمل من غير أن يكون على الشرط من الإيمان و
الإخلاص فشبه تلك الأعمال بالسراب وهو ما يلمع وقت الظهيرة في المفاوز
عند شدة الحر من سرب إذا جرى كأنه ماء يجري والقيعة جمع قاع وهو المستوي المنبسط
من الأرض **يحسبه الظمآن ماء** فيسارع إليه ويتحمل الجهد والمشقة **حتى إذا**
جاءه لم يجده شيئًا من الأشياء لاضمحلاله ولا شبهه أو لم يجد ما كان يظنه من
الماء **ووجد الله عنده** أي عقابه عند ذلك الموضع الذي كان يظنه ماء فإن
قلت الضمير في قوله جاءه ولم يجده ووجد الله للظمآن فكيف رتب عليه قوله
فوفاه حسابه وذلك إنما هو للكافر يوم القيامة قلت المراد بالظمآن هو الكا

الكافر الذي غلبه العطش بالساهرة وقد غشيها السراب من شدة الحر فيحسبه ماء فإذا
جاءه لم يجد ما رجاه بل يرى الزبانية فيأخذونه إلى جهنم ويسقونه ماء حميمًا **والله**
سريع الحساب إذ لا يشغله شأن عن شأن وفي الحديث يسأل الخلائق في مقدار حلب
شاة وقيل كناية عن قرب الساعة كقوله اقترب للناس حسابهم **أو كظلمات** عطف
على كسراب وأو للتخيير كما في قوله أو كصيب شبه أولًا تلك الأعمال بالسراب المرئي
من مكان بعيد في عدم النفع مع الجهد البالغ والكد في الطلب وخيبته كان كفافًا بل
وجد خلاف ما كان يرجو من الحميم والغساق وثانيًا بالظلمات المتراكمة بعضها
فوق بعض لخلوها عن نور الإيمان وضياء الحق عكس أعمال المؤمنين المؤسسة على الإيمان
والإخلاص التي هي نور على نور **في بحر لجي** عميق شديد العمق منسوب إلى اللج وهو معظم
البحر **يغشاه** أي البحر **موج** ما يرتفع عند اضطراب البحر **من فوقه موج** أعظم منه
وأعلى **من فوقه سحاب** غمام قد ركب الموج وحجب أنوار النجوم **ظلمات بعضها فوق**
بعض قرأ ابن كثير بإضافة سحاب وجر ظلمات في رواية البزي وبالتنوين وجر ظلمات
على أنه بدل من الأولى في رواية قنبل **إذا أخرج يده لم يكد يراها** لم يقرب رؤيتها
فضلًا عنها كقول ذي الرمة إذا غير الهجر المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح
والضمائر للواقع في البحر وإن لم يجر ذكره لدلالة الكلام عليه **ومن لم يجعل الله له نورًا**
لم يوفقه ولم يهده **فما له من نور** شيء منه وكما وصف نور الحق بست صفات دالة
على كماله وصف ظلام الباطل بست صفات والدالة على شدة ظلمه وغاية سحته **ألم تر أن**
الله يسبح له من في السموات والأرض استطراد بعد ذكر تسبيح الرجال بتسبيح أهل السموات
والأرض تعميمًا وإظهارًا للعظمة والكبرياء والاستفهام للتقرير وعلمه بذلك من قوله وإن
من شيء إلا يسبح بحمده وفي ذكر من تغليب لذوي العقول وقيل المراد الملائكة والإنس والجن
ورده قوله **والطير صافات** أي حال كونها في الهواء باسطة أجنحتها فإذا كانت تسبح
في تلك الحالة وهي مظنة الاشتغال فما ظنك بغيرها وفيه الدلالة السفلية في الجو
ظاهر على ذلك **كل قد علم صلاته وتسبيحه** كل من المذكورات قد علم الله دعاءه وتقديسه
ولكن لا يفقهون تسبيحهم أو كل واحد قد علم صلاة نفسه لله تعالى وتقديسه **والله**
عليم بما يفعلون لا يعزب عنه شيء يدل على الأول ويؤكد علمه بحالهم ويحمل على الثاني
لأنه دل على العلم البالغ بعد ما قدم ما يدل على القدرة الكاملة **ولله ملك السموات**
والأرض يختص به لا شريك له فيه **وإلى الله المصير** للجزاء **ألم تر أن الله يزجي سحابًا**
يسوقه ومنه البضاعة المزجاة لأنها غير مرضية يزجيها كل أحد إلى الآخر [illegible] كما
ضعفها **ثم يؤلف بينه** بين أجزائه المتفرقة **ثم يجعله ركامًا** متراكمًا بعضه
فوق بعض **فترى الودق يخرج من خلاله** من فتوقه جمع خلل كجبال جمع جبل والودق
المطر من ودق إذا قطر [illegible] **وينزل من السماء من جبال فيها**

في السماء من برد من الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض والثالثة للبيان او
الاوليان للابتداء والثالثة للتبعيض والمفعول محذوف اي ينزل منها بردا فيصيب
بالبرد من يشاء عقوبة له ويصرفه عمن يشاء سلامته وقيل الضمير للودق او يسقي
من يشاء سقيه ويصرفه عمن يشاء حرمانه والاول هو الوجه يكاد سنا برقه
ضوء برق السحاب يذهب بالابصار لقوته يقلب الله الليل والنهار بذهاب احدهما
واتيان الاخر او يخالف بينهما بالطول والقصر او النور والظلمة او بتغير احوال من فيهما
ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار لدلالة يعبر بها الى العلم بوجود الصانع القادر
لذوي البصائر والله خلق كل دابة من ماء مثل قوله ويسقى بماء ولما استدل
اولا باحوال السماء والارض على وحدانيته وكمال قدرته وعلمه وثانيا باحوال
الاثار العلوية وثالثا باحوال الحيوانات المختلفة الانواع والاشكال والاحوال
مع اتحاد الاصل والمنشاء فان قلت كثير من الحيوانات خلق من غير ماء آدم من تراب
وعيسى من نفخ جبريل والجن من النار قلت اصل الكل من الماء على ما روي ان الله تعالى
اول ما خلق جوهر فنظر اليها بالهيبة فذابت ماء فمن ذلك الماء يكون النار والنور
والهواء والتراب وقيل من ماء صفة دابة وليس صلة خلق والمعنى كل دابة متولدة
من ماء فهي مخلوقة الله تعالى وهذا اوجه حسن واوفق بسكر الماء والمراد به نطفة
ابيه او الماء المختص بتلك الدابة فان قلت فعلى هذا المعنى كل دابة متولدة من ماء
مخلوقة لله تعالى ومفهومه ان ما ليس كذلك ليس مخلوقا له قلت ذلك المفهوم ملغي في
مقابلة القاطع ولان الماء الذي به الحيوة اذا كان المتولد منه يحتاج الى الصانع فا
الغير من باب الاولى فمنهم من يمشي على بطنه كالحيات ومنهم من يمشي على رجلين
كالانسان ومنهم من يمشي على اربع كسائر الحيوانات قدم الابدع فالابدع واطلاق
المشي على الزحف للمشاكلة او استعمال المقيد في المطلق استعارة او مجازا مرسلا
يخلق الله ما يشاء مما تعلقت به ارادته كيف يشاء ان الله على كل شيء قدير
كامل القدرة سواء كان الشيء حقيرا او خطيرا لقد انزلنا آيات مبينات هي المذكورات
من قوله الله نور السموات الى هنا قرا ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بكسر الياء والله
يهدي من يشاء هدايته الى صراط مستقيم موصل اليه وان كانت الايات الدالة
عامة للكل فان ملاك الامر توفيقه ويقولون آمنا بالله وبالرسول اشارة الى ابتداء
قصة المنافقين الحاصلة من دلايل التوحيد الدالة على النعم الجسام والوعيد الشديد
لتوكيد التوبيخ ثم عاد الى عد طائفة اخرى من امثالهم والاية نزلت في بشر المنافق خاصم
يهوديا فدعاه اليهودي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعى المنافق الى كعب بن
الاشرف وقيل نزلت في المغيرة بن وايل كان بينه وبين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
حكومة في ماء وارض فقال المغيرة لا اتحاكم الى محمد فانه يبغضني فاخاف ان يحيف علي

علي وكان يظهر انه مؤمن به واطعنا اي الله والرسول ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك
ثم للاستبعاد بعد ذلك القول وما اولئك بالمؤمنين اي القائلون كلهم لا المتولي
وحده وان كان المتولي اوغل واعرق في الكفر او من تولى وفائدة الاخبار عنهم بانهم
ليسوا مؤمنين مع العلم بانهم بعد التولي الى الايمان لئم البغي عليهم بانهم يقولون شيئا
ثم ياتون بما يضاده واذا دعوا الى الله ورسوله ذكر الله للتعظيم والحاكم رسوله
لقوله ليحكم بينهم كقولك اعجبني زيد وكرمه اذا فريق منهم معرضون اذا كان الحق
عليهم اذ الفجائية دالة على فرط كفرهم حيث لم يتوقفوا بعد ظهور الحق عليهم لمحة
طرف وان يكن لهم الحق ياتوا اليه الى رسول الله او هو متعلق بقوله مذعنين
اي بان ان الحق لهم لم يرضوا الا بحكمك اليك يسرعون لا الى غيرك وهذا اوجه لدلالة
على شدة نفاقهم افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله
قسم الامر في صدودهم ثلاثة اقسام لان الخلل فيهم او في الحاكم والثاني اما موجودا او
متوقع في منصب النبوة ينافي الاخيرين فتعين الاول لكنا الاضراب عن الاخيرين بل
اولئك هم الظالمون اشارة الى القسم الاول واثبات لمرض القلب وهو النفاق على ابلغ
وجه او اضراب عن الاخر وحده بدليل انهم يسارعون اليه اذا كان الحق لهم وذلك ينافي
توهم الحيف منه بل اعراضهم لكونهم منافقين مرتابين او اضراب عن نفس التقسيم والمعنى دع
التقسيم واحكم بانهم الجامعون لتلك الاوصاف الكاملون في الظلم انما كان قول المؤمنين
اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا سواء كان الحق عليهم او لهم
واولئك هم المفلحون لاغير ومن يطع الله ورسوله فيما يامران به كائنا من كان اي
كان وقع لتوهم اختصاص الفلاح بمن كان في عصره ويخش الله اي عقابه ويتقه بامتثال
اوامره والاجتناب عن المعاصي وعن ابن عباس رضي الله عنه من يطع الله في فرايضه و
رسوله في سننه ويخشى الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما بقي من عمره قرا ابو عمرو
وابو بكر وخلاد وعن حمزة في وجه بسكون الهاء اما لان العرب تسكن هاء الضمير اذا
تحرك ما قبلها نحو ضربته على ما نقل الفراء او حملا على ياء الضمير على ما قاله الفارسي
او اجراء للوصل مجرى الوقف والباقون بالكسر مع الاشباع الا حفصا وهشاما وقالون
رووا للتخفيف والاشباع هو القياس وانفرد حفص باسكان القاف قياسا على كتف فاولئك
هم الفائزون بكل نعمته واقسموا بالله جهد ايمانهم الضمير للمنافقين فان ذكر المؤمنين
كان استطرادا للتقابل وتباين الاحوال والمعنى استمر عواهدهم في الايمان الكاذب بعد
ذلك التولي والاعراض كما هو دابهم في النفاق وجهد منصوب بفعل مضمر كضرب الرقاب
لئن امرتهم ليخرجن جواب القسم والمعنى انهم كاملون في الايمان بحيث لو امرتهم بالخروج عن
الديار والاموال لفعلوا قل لا تقسموا كاذبين فان ذلك المحل اثم فوق اخر طاعة معروفة
المطلوب منكم طاعة معروفة كطاعة الخلص وطاعتكم معروفة بانها بالقول دون الفعل

فلا حاجة الى الايمان او طاعة معروفة امثل بكم من هذه الايمان الكاذبة ان الله خبير بما
تعملون مطلع على ضمائركم فيجازيكم عليها قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول واتركوا النفاق
لم يقل واطيعوني اشارة الى كونه رسولا هو المقتضي للاطاعة فان تولوا فانما عليه ما حمل
وعليكم ما حملتم ابتداء كلام منه تعالى لقوله فانما عليه دون عليك والمعنى ان توليتم لا ضر
عليه لانه ادى ما عليه وعليكم غضب الله وسخطه باعراضكم وان تطيعوه تهتدوا الى
الحق وتحرزوا نفوسكم وما على الرسول الا البلاغ المبين الموضح لما كلفتم به وعد
الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات الخطاب لرسول الله ومن بيانية وقيل تتميم
لقوله وان تطيعوه تهتدوا وبيانا لما لهم في العاجل والاجل رغبا عن التبعيض وفيه انه
امنوا باباه وحمله على المترقب لا يلايم مع ان الخلفاء لم يكونوا من اولئك المقسمين
فان قلت لم وسط الجار والمجرور بين الايمان والعمل الصالح هنا واخر في سورة الفتح
قلت اشارة الى ان الاصل في الاستخلاف هو الايمان ولذلك لا ينعزل الامام بالفسق ويصح
ولاية ذي الشوكة الفاسق بخلاف المغفرة والاجر الموصوف بالعظيم فان الايمان والعمل
الصالح اصلان فيهما ليستخلفنهم في الارض ليجعلنهم خلفاء فيها جواب قسم مقدر كما
استخلف الذين من قبلهم بني اسرائيل اورثهم ملك فرعون بمصر والعمالقة بالشام وملك
ملك داود وسليمان وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم دين الاسلام لقوله ورضيت لكم
الاسلام دينا وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا فان رسول الله واصحابه لما كانوا بمكة حالهم
في الخوف ومقاساة الاعداء معروفة ولما كانوا بالمدينة كانوا خائفين من ملك غسان
وكان اهل النفاق يرجفون الاراجيف حتى نزل الله فيهم لئن لم ينته المنافقون والذين في
قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة فانجز الله وعده ونصر عبده فاورثهم ارضهم وديارهم
واموالهم وارضا لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديرا يعبدونني لا يشركون بي شيئا
حال من الذين لتقييد الوعد بثباتهم على التوحيد او استيناف لبيان مقتضي الاستخلاف
والامن ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون الكاملون في الفسق حيث كفروا تلك
النعم العظام واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون عطف على
اطيعوا الله والفاصل ليس باجنبي بل هو وعد على المأمور به مع ان الاصل في العطف مغايرة
المعطوف عليه والفاصل يؤكدها اذ في المجاورة مظنة الاتصال وكرر طاعة الرسول
مبالغة في ايجابها ويترتب عليه الرحمة ثانيا كما رتب عليها الهدى اولا لا تحسبن
الذين كفروا معجزين في الارض خطاب لرسول الله تأكيد لذلك الوعد وقرئ ابن عامر وحمزة
بياء الغيبة اما باسناد الفعل الى الذين كفروا وعلى ان معجزين في الارض مفعولاه كانه قيل
لا تحسبن الذين كفروا احدا يعجز الله في الارض او على حذف المفعول الاول اي لا يحسبن
الذين كفروا اياهم معجزين او في الفعل ضمير الرسول لتقدم ذكره والخطاب وجه لعدم الحذف
ولكونه ابلغ تسلية ومن جوز ان يكون الفاعل في قراءة التاء الذين كفروا لم يصب لا ت

لان قراءة الخطاب لا احتمال فيها لغير رسول الله ولا يمكن تأنيث الفعل المسند الى الذين
ومأويهم النار عطف على مقدر كأنه قيل فهم مقهورون في الدنيا بالاستيصال مجزيون
في الاخرة بعذاب النار او في محل النصب على الحال كأنه قيل اين ذلك او الكافرون هذا الحسبان
والحال ان النار معدة لهم ولبئس المصير المأوى يا ايها الذين امنوا ليستأذنكم
الذين ملكت ايمانكم متصل بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول والافراد بالذكر لانه
من الاداب فربما يتساهل فيه وقيل رجوع الى الاحكام السالفة التي صدرت السورة
بها بعد الفراغ من الالهيات والوعد والوعيد والخطاب للرجال وتدخل النساء بالطريق
الاولى لان التستر بهن اولى نزلت في عمر بن الخطاب كان نائما وقت الظهيرة متجردا
عن الثياب فارسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلج ابن عمرو غلاما من الانصار
فدخل على عمر بغير اذن فقال عمر وددت ان الله نهى ولاتنا وخدمنا من الدخول في
هذه الساعات الا باذن فلما جاء رسول الله وجده قد نزلت عليه وقيل نزلت في اسماء
بنت مرثد دخل عليها غلام كبير لها فكرهت دخوله في ذلك الوقت فشكت ذلك الى رسول
الله فنزلت والذين لم يبلغوا الحلم منكم اي الصبيان من الاحرار الذين لم يبلغوا حد
الرجولية فعبر عنه بالحلم لانه اقوى دلائله ثلث مرات في اليوم والليلة ثلث اوقات من قبل صلوة
الفجر لانه وقت القيام من المضاجع والغالب فيه التجرد عن ثياب اليقظة وحين تضعون
ثيابكم للقيلولة من الظهيرة بيان للحين ومن بعد صلوة العشاء لانه وقت التجرد من
الثياب والالتحاف باللحاف ثلث عورات لكم اي هذه ثلث عورات او ثلث عورات
مبتداء خبره لكم وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر ثلث عورات بالنصب بدلا من ثلث مرات
وتسميتها بالعورات لكونها مظنة لها وكل عيب وخلل عورة ومنه في الحديث لا يوجد
في الزكاة هرمة ولا ذات عوار اي عيب وخلل واعور الفارس اذا وجد منه خلل في لبسه
وسلاحه ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن بعد الاوقات الثلث صفة ثلث عورات
ان قرئ بالرفع ابتداء تعليم اي هن عورات مخصوصة بالاستيذان ليس وراءهن جناح
واستيناف يؤكد الامر بالاستيذان في تلك الاوقات ان قرئ بالنصب فان قلت هلا
جعل وصفا في قراءة النصب كما في قراءة الرفع قلنا اذا امر بالاستيذان في الاوقات الثلثة
فقد حصل الغرض سواء وصفت بان لا حرج وراءها او لم توصف فيضيع الوصف بخلاف
الرفع فان الوصف للحج المقصود والاستيذان على اطلاقه كما في النصب والاية في الصبيان
والمماليك واية الاستيذان السابقة في الاحرار البالغين فلا تنافي ولا نسخ طوافون
عليكم تعليل لرفع الحرج اذ كثرة المداخلة مع الاستيذان في الاوقات كلها توجب
الحرج بعضكم على بعض مبتداء وخبر اي بعضكم يطوف على بعض كذلك يبين الله لكم الايات
ساير الايات في الوضوح والجلاء والله عليم كامل العلم حكيم فيما شرع لكم من الا
واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم اي الذين بلغوا

من قبلهم السن الذي يبلغ فيه الغلام عند أبي حنيفة ثماني عشرة سنة والجارية سبع عشرة والشافعي وعامة العلماء خمس عشرة سنة في الغلام والجارية وروي عن علي رضي الله عنه أنه كان يقدر القامة خمسة أشبار وإليه أشار الفرزدق في قوله فما ودرك خمسة الأشبار واستدل به من أوجب الاستئذان على العبد البالغ إذا دخل على سيدته ولا دليل له فيه لأن المراد بهم ما عدا المماليك من الأحرار لتقدم المماليك في الذين ملكت أيمانكم **كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم** كرره مبالغة في إثبات الاستئذان وأضاف الآيات إليه تعالى زيادة توكيد لأن الاستئذان مما يتساهل فيه وعن ابن عباس رضي الله عنه ثلاث آيات جحدهن الناس الإذن كله وإن أكرمكم عند الله أتقاكم وإذا حضر القسمة أولوا القربى وعن ابن مسعود رضي الله عنه عليكم أن تستأذنوا على آبائكم وأمهاتكم وأخواتكم **والقواعد من النساء** جمع قاعد أي ذات قعود كطالق وحائض وهي المسنة من النساء تقعد في البيت لعدم استطاعة الدخول والخروج **اللاتي لا يرجون نكاحا** لعدم رغبتهن فيه أو لعدم رغبة الرجال فيهن **فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن** الثياب الظاهرة كالجلباب والملحفة ودخول الفاء في الخبر لأن اللام في القواعد موصولة **غير متبرجات بزينة** الزينة الخفية لسبق العلم باختصاص الحكم بها والتنكير لإفادة الشيوع وأي زينة ما وإن قلت داخلة في الحكم والتبرج التكلف في إظهار الزينة من البرج بفتح الراء وهو سعة العين إذا ظهر لحاق بياضها بسوادها وفي الحديث في وصف عمر بن الخطاب كان طوالا أبرج **وأن يستعففن خير لهن** من وضع الثياب رغبة في الأفضل وتقوى بعد بيان الإباحة على نمط الفتوى **والله سميع** لقولهن **عليم** بأحوالهن تحذير لهن عن التجاوز في الأقوال والأفعال وقدم ما يتعلق بالقول اهتماما كما في الحديث أن معاذ بن جبل قال يا رسول الله هل نؤاخذ بما نقول بألسنتنا قال ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم لا سيما النساء فإن الغالب عليهن كثرة اللغو في الكلام والخوض فيما لا يعني **ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج** كان المؤمنون لا يتحاشون في إدخال ذوي العاهات على أقربائهم وأصدقائهم وإطعامهم مما يطعمون ثم كره الطاعم والمطعم ذلك فإنه أكل مال الغير بالباطل فتحرجوا فقيل لهم ليس ذلك من الأكل بالباطل وقيل كان ذوو العاهات يتحرجون من مواكلة الأصحاء استقذارا لأنفسهم لأن الأعمى لا يحسن تناول الطعام عن نوع شين وكذلك الأعرج في جلوسه والمريض عن كراهة رائحة ونحوها أو لأن الأعمى لا يرى الطعام والمريض لا يستوفي الأكل والأعرج لا يتمكن من الجلوس فربما تحرجوا أن يظلموهم وقيل كانوا إذا غزوا خلفوا على أموالهم وتعلقاتهم القاعدين عن الغزو وكانوا يأذنون لهم في الأكل منها فيتحرجون حكي أن الحرث بن عمرو خرج غازيا وخلف على أمواله مالك بن زيد فلما رجع رآه مجهودا فسأله عن ذلك فقال لم يكن عندي شيء ولم آكل من مالك

من مالك شيئا وقيل الآية في القاعدين عن الغزو للأعذار وعلى هذا وجه العطف في قوله **ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم** الجامع بين المعطوف والمعطوف عليه كون كل منهما منفيا عنه الحرج كما إذا استفتاك مسافر عن جواز الإفطار وحاج عن تقديم الرمي على الحلق قلت ليس على المسافر حرج في الإفطار ولا عليك أيها الحاج في تقديمه فإن القضيتين وإن تباينتا كل التباين إذا تقاربتا في الاحتياج إلى البيان قرب الجامع والذي دعى إلى ذكر بيوتكم أمران يعطف عليه غيره والاكتفاء بذكرها عن ذكر بيوت الأبناء للحديث المشهور أنت ومالك لأبيك **أو ما ملكتم مفاتحه** كناية عما يخزنه الوكيل والقيم والأمين **أو صديقكم** يطلق على الواحد والجمع كالخليط والقطين وهذا إذا دل الحال على الرضى كما كان دأب السلف حكي عن الحسن أنه دخل داره يوما فرأى جمعا من أصحابه قد أخرجوا من تحت سريره سلة فيها أطايب الأطعمة وهم مكبون عليها يأكلون فاستنار وجهه وقال هكذا وجدناهم هكذا وجدناهم يريد كبراء الصحابة من البدريين وقد روي أن الشافعي كان يذهب إلى بيت الزعفراني يغيب عنه في بيت الكتب أياما وكان دأب الزعفراني أن يكتب صبيحة كل يوم ما يطبخ في بيته على ورقة ويناولها جارية ليسلمها إلى الطباخ فوجد يوما في السماط طعاما لم يكن كتبه فسأل عن ذلك فأخبرت الجارية أن الضيف أخذ منها الورقة وزاد فيها ذلك الطعام فقال إن كنت صادقة فأنت حرة لوجه الله على ما بالورقة فأتوا بها فوجد الأمر كما أخبرته عليها ملحق بخط الشافعي وعن ابن عباس رضي الله عنه الصديق أكبر من الوالدين الأبريان أهل النار لم يذكروا الآباء والأمهات بل قالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم **ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا** نزلت في بني عمرو بن ليث من كنانة كانوا يتحرجون أن يأكل الرجل وحده وقيل من الأنصار كانوا لا يأكلون إلا مع الضيف وقيل كانوا يتحرجون من الاجتماع على الأكل لتفاوت نهمة الناس **فإذا دخلتم بيوتا** من هؤلاء البيوت أو غيرها ولذلك نكر **فسلموا على أنفسكم** على من فيها فإن المؤمنين كنفس واحدة **تحية من عند الله** مشروعة بإذنه أو تتعلق بتحية لأن السلام دعاء بالسلامة والحياة للمسلم عليه من الله وانتصابها على المصدر كقعدت جلوسا **مباركة** بوجود كثرتها **طيبة** توجب الأنس وتطيب بها قلب السامع وتسكن روي البخاري أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن أفضل خصال الإسلام فقال إطعام الطعام وإفشاء السلام وهذا السلام مشروع سواء كان في البيت أحد أو لا قيل إذا لم يكن فيه أحد فليقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وعن ابن عباس إذا دخلت المسجد وليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين **كذلك يبين الله لكم الآيات** كرره تأكيدا للأحكام المذكورة وجعل الفاصلة في الأولين العليم الحكيم لتناسبهما لتبيين الأحكام وهنا ما هو المقصود من ذلك البيان وهو قوله **لعلكم تعقلون** أي تفهمون

في الدين في البخاري من يرد الله به يفقهه في الدين إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله
يريد الكاملين في الايمان وإذا كانوا معه على أمر جامع وصف الأمر بالجامع مجاز والمراد ما يكون
الاجتماع لأجله كالجمعة والعيد والمشاورة فيهم لم يذهبوا حتى يستأذنوه لعونهم
لا يأتون ولا يذرون الا باذنه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله
صدر الكلام أولا بإنما المفيد للحصر وأوقع الموصول خبرا عنه محيطا بالايمانين ثم أعاد
الكلام على وجه دل على أن مصداق الايمان هو الاستئذان وفيه تعريض بان المنافق
المتسلل ليس من الايمان في شيء فإذا استأذنوك لبعض شأنهم لهم بعرضهم فأذن
لمن شئت منهم واستصوبت له الاذن فوض الأمر اليه في الاذن والمنع اجلالا له واستغفر
لهم الله مكافأة لهم على بذل الطاعة لك وفي الحديث من أسدى اليكم معروفا فجازوه بمثله
فان لم يقدروا فكافئوه بالدعاء وقيل الاستغفار لهم على الاذن فانه ترك الأفضل
لان الاشتغال بأمر الدنيا إن الله غفور لفرطات العباد رحيم بهم حيث بنى أمرهم
على اليسر وأرسل اليهم من يستغفر لهم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
تنصرفون بغير إذنه تأكيد لأمر الاستئذان أو لا تجعلوا دعاءكم إياه كما هو المتعارف بالنداء
يا فلان تدعونه باسمه يا محمد بل قولوا يا رسول الله ويا نبي الله بألفاظ تدل على التعظيم كما
خاطبه الله بها يا أيها الرسول يا أيها النبي يا أيها المزمل يا أيها المدثر ولم يخاطب الله
نبيا من الأنبياء الا باسمه العلم يا نوح يا ابراهيم يا موسى الا هذا المختار فانه لم يخاطبه
الا بتلك الألقاب الشريفة أو لا تجعلوا دعاء الرسول واستغفاره لكم مثل دعاء بعضكم بعض
والاستغفار له فانه مستجاب منها قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا قليلا وتسلل
تدرج وتلخل مصدر لاوذ الرجل اذا استتر بغيره أدخل قد على العلم تحقيقا وتوكيدا
لثبوته ليكون ذريعة الى تحقق الوعيد فليحذر الذين يخالفون عن أمره يعرضون عن
طاعته فيشمل الأمر الجامع وغيره وعن الأخفش ان عن صلة وقيل معنى بعد كقوله طبقا عن
طبق وقيل يخالفون عن أمره أي يصدون عنه المؤمنين بحذف المفعول لعدم تعلق الغرض
المقصود به أن تصيبهم فتنة في الدنيا بالقتل والأسر أو يصيبهم عذاب أليم في الآخرة
ظاهر الآية ان الأمر للوجوب عند عدم الصارف ألا إن لله ما في السموات والأرض
خلقا وملكا قد يعلم ما أنتم عليه الخطاب للمنافقين أو عام لهم ولغيرهم ويوم يرجعون
اليه أي المنافقون للجزاء التفات على الأول فينبئهم بما عملوا بالتوبيخ والمجازات
والله بكل شيء عليم افتتح السورة بقوله أنزلنا فيها آيات بينات وختمها بقوله
إنما المؤمنون إشارة الى أن المنتفع بتلك الآيات المؤمن الذي سلم كله الى صاحب الشريعة
لا يقدم دون إشارته ولا يحجم وقد أورد بعض كبار المشايخ هذه وجعلها داب المريد مع
الشيخ تمت السورة والحمد لله على ما أنعم سورة الفرقان مكية وهي سبعون وسبع آيات
بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي نزل الفرقان على عبده تعالى وتزايد خيره من هذا

الفعل أصله من برك البعير إذا ألقى بركه وهو الصدر ففيه معنى اللزوم ومنه البركان
لمكان الحرب والبركة لحبس الماء ولما كان القرآن الكريم خيره ومنافعه لا تخفى وهو
أصل الدين والشريعة الدائمة الى انقراض الزمان وصف به من نزله تعالى ولا يوصف به
غيره ولا يتصرف فيه والفرقان علم للقرآن لأنه يفرق بين الحق والباطل أو لأنه مفصول
بعضه عن بعض بحسب الأحكام أو في النزول منجما ليكون للعالمين نذيرا أي العبد
أو الفرقان والثاني أوجه لقولهم بعد أساطير الأولين الذي له ملك السموات
والأرض بدل من الموصول الأول لأن قوله ليكون تعليل للصلة من تتمتها أو مدح مرفوع
أو منصوب ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك كما توهمه أهل الضلال و
خلق كل شيء أوجده مراعى فيه التسوية فقدره تقديرا هيأه لما يطلب منه من الأفعال
والملكات وإذ نشأ فتأمل في الانسان لما كان مكلفا بمعرفة الصانع والقيام بعبادته
كيف أقام عليه القوى المدركة والنطق للتفهم وقيل فقدره للبقاء الى أجل مسمى
واتخذوا من دونه آلهة اليهود والنصارى والمشركون والمجوس لما بين أنه تفرد با
الألوهية أخذ في مثالب من ضل عن السبيل واتخذ له شريكا لا يخلقون شيئا قط وهم
يخلقون مخلوقون وإيثار المضارع لاستحضار تلك الحالة ولا يملكون لأنفسهم ضرا
دفع ضر ولا نفعا ولا جلب نفع قدم دفع الضر لأنه أهم عند العاقل وعكس في قوله ويعبدون
من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم لأن غرض العبد من عبادته هو النفع ولا يملكون موتا
ولا حياة ولا نشورا وإذا لم يقدروا على دفع الضر عن أنفسهم وجلب النفع طاف بهم عن
هذه الأمور بمعزل ولا يصلح للألوهية الا من هذا شأنه وأفعاله وقدم في الأولى
فالأولى في الترتيب وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك كذب مصروف عن وجهه
افتراه المظهر إشارة الى أن الباعث على هذا القول هو الكفر افتراه اختلقه قصدا وأعانه
عليه قوم آخرون أرادوا العداس مولى حويطب بن عبد العزى ويسارا مولى العلاء بن
الحضرمي وأبا فكيهة الرومي أو قوما آخرين من الذين قرؤوا قصص الأمم الدارجة فقد
جاؤوا ظلما عظيما حيث جعلوا الكلام المعجز مفترى وزورا حيث نسبوا الأولية الى
الزور وقالوا أساطير الأولين أي ما أتى به جمع أسطورة كأحاديث جمع أحدوثة كانوا
حيارى في أمره تارة يقولون شعر وتارة سحر وأخرى مفترى وأساطير الأولين وهكذا
شأن المبطل لا يستقر على حال اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا أراد كتبها لنفسه فهي
تلقى عليه طرفي النهار وهو يكتبها وقد كتبها فهي في كتاب عنده يلقى اليه طرفي النهار
ليحفظ قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض مشتملا على الغيبيات التي لا يعلمها
غيره مما خلا عنه كتب الأنبياء فكيف يكون أساطير الأولين أو مختلقا إنه كان غفورا رحيما
ولذلك أنزله اليك وأرسلك به نذيرا أو يكونه غفورا رحيما لم يعاجلهم بالعذاب مع
استحقاقهم له وقالوا ما لهذا الرسول اتفقت المصاحف على فصل اللام والوحدة وفيه

ان اللزوم الجاري كلمة مستقلة فنبهوا على ذلك في مواضع يأكل الطعام ويمشي في الأسواق كسائر
الناس وهذه شبهة واهية ذكروها في مواضع بعبارات مختلفة ردها الله تعالى بانواع
الأجوبة القاطعة منها ما سيأتي عن قريب بقوله وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم
ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا يتعاونان
على الأنذار ويكون مصدقا له أو يلقى إليه كنز يستغني به عن السعي في الأسواق والتردد
في طلب المعاش أو تكون له جنة يأكل منها اقل الاحوال ان تكون له قوت يكون قواما
لبدنه فضلا عن الكنز وقال الظالمون وضع الظالمين موضع الضمير تسجيلا عليهم بانهم
ظالمون في مقالتهم إن تتبعون إلا رجلا مسحورا اصيب بالسحر ولا يدري ما يقول انظر
كيف ضربوا لك الأمثال الاقوال الغريبة التي يضرب بها المثل لفرط بعدها عن حالك
ورفعة محلك عن الاتصاف بها فضلوا في تلك المقالات فلا يستطيعون سبيلا الى الحج
يستقرون عليه او فضلوا عن طريق الحق فهم يخبطون خبط عشواء تبارك الذي إن شاء
جعل لك خيرا من ذلك الذي ذكروه من الكنز والجنة في الدنيا جنات تجري من تحتها الأنهار
كما وعدك في الآخرة ويجعل لك قصورا وايثار ان للدلالة على عدم وقوع ذلك في الدنيا
وانها ليست محلا له لسرعة الانتقال منها قراءة ابن كثير وابن عامر وابو بكر ويجعل بالرفع
عطفا على جعل لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله وان اتاه
خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم او استينافا على معنى وهو يجعل لك في الآخرة
قصورا والاول اوجه بل كذبوا بالساعة عطف على ما حكي عنهم من قولهم مال هذا الرسول
يأكل الطعام اضراب الى ما هو اطم فان ذلك تكذيب الرسول وهذا تكذيبه تعالى ومتصل
بقوله تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك انكارهم لذلك على ابلغ وجه فان من
كذب بها كيف يصدق بهذا الخبر واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا النار الشديدة
الاستعار وعن الحسن انه من اسماء جهنم فصرفه اما لاعتبار المكان او ليوافق الفواصل
كما في سلاسلا واغلالا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا روي ان النار
تراهم من مسيرة مائة عام ولها تغيظ وزفير قيل شبه صوت غليانها بصوت المتغيظ
وزفيره والحمل على الحقيقة وقد روى البخاري انه صلى الله عليه وسلم قال ان النار اشتكت
الى ربها فقالت يا رب اكلت بعضي بعضا فاذن لها بنفسين نفس في الصيف ونفس في
الشتاء فهو اشد ما تجدونه من الحر واشد ما تجدونه من البرد ولما كان الحق ان البنية
ليست بشرط في الحيوة فلله ان يخلق في اي شيء كان وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا كما يلحق
الحجر عن ابن عباس رضي الله عنه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح ليشتد عليهم الكرب
مقرنين حال كونهم مقرنين في السلاسل قرنت ايديهم الى اعناقهم وقيل يقرن كل انسان مع
شيطانه في سلسلة وفي ارجلهم الاصفاد دعوا هنالك ثبورا هلاكا يقولون واثبوراه
تعال هذا اوانك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا يقال لهم وهم احقاء بذلك القول وادعوا

ثبورا كثيرا لعدم انقطاع العذاب ولتكثر انواعه قل أذلك خير أم جنة الخلد
التي وعد المتقون الذين اتقوا الشرك لانهم قوبلوا بالمشركين المكذبين والاستفهام
للتقريع والتفصيل على وجه التهكم كما يقول من يضرب عبده لمخالفته امره هذا الضرب ام ذلك
كانت لهم جزاء ومصيرا اي يكون والتعبير بالماضي لجعل المترقب كالواقع وانما ذكر المصير
مع الجزاء كما في قوله نعم الثواب وحسنت مرتفقا وقوله بئس الشراب وساءت مرتفقا لان نيل
النعيم لا يكمل الا اذا انضم اليه طيب المنزل لهم فيها ما يشاؤن كل ما يتمنونه فان قلت
الجزاء على قدر الاعمال فكيف يكون ادنى المؤمنين مثل اعلاهم وقد روى ابن عباس رضي الله
عنه ان في الجنة مائة درجة بين كل درجتين مسيرة خمسمائة عام قلت ادنى المؤمنين
اذا كان له مثل ملك الدنيا عشر مرات رضي بذلك ولا يشتهي زيادة على ما هو فيه خالدين
حال من فاعل ما يشاؤن كان على ربك وعدا مسئولا موعودا حقيقا ان يسأل ويطلب او يسأله
الناس في دعائهم ربنا آتنا ما وعدتنا على رسلك او الملائكة ربنا وادخلهم جنات
عدن التي وعدتهم ويوم يحشرهم اي الكفرة لان ذكر المتقين استطراد ولاظهار مقام
الفريقين على وجه التقابل وقراءة ابن كثير وحفص بالياء وعلى ان الفاعل ضمير ربك والباقون
بالنون التفاتا وما يعبدون من دون الله يعم كل معبود سواه واستعمال ما في العقلاء
اما لكون وضعه على العموم او لارادة الوصف كقوله والسماء وما بناها او تغليبا او
تنزيلا للعقلاء في مقام الالوهية منزلة غيرهم فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم
ضلوا السبيل سؤال تقريع وتوبيخ للعبدة حتى اذا اجاب المعبودون بما اجابوا ازداد
بذلك حسرتهم ويفتضحون على رؤس الاشهاد وتقديم المسند اليه لكون الفعل واقعا بلا
ريب وانما الكلام في الفاعل قراءة ابن عامر فنقول بالياء قالوا سبحانك اعادة لدعوى
الانذار او تعجب من نسبة الاضلال اليهم لانهم اما ملائكة او انبياء معصومون او جمادات
لا حلول لها ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ما يليق بنا ان نتولى احدا دونك
فكيف نأمر احدا بان يتولانا دونك ولكن متعتهم وآباءهم بانواع النعم حتى نسوا
الذكر حتى نسبت ذلك التفضل الذي كان حقه الشكر باللسان ذكرك بالتوحيد والتدبر
في الآيات والآيات وكان نحو الكلام بداءة اضلالهم باقامة النعم ولكن عبروا
عن الملزوم باللازم تأدبا وكانوا قوما بورا هالكين في قضائك السابق جمع باير
كهود وهايد او مصدر وصف به فقد كذبوكم ايها العبدة التفت اليهم كفاحا بالتوبيخ
والتقريع بما تقولون اي في قولكم انهم آلهة او هؤلاء اضلونا ويجوز ان يكون الجار
والمجرور بدل الاشتمال من كذبته وكذبت به واحد معنى فما تستطيعون صرفا دفعا
للعذاب عنكم بعدما كذبوكم او حيلة من صرفا ذا الحال قراءة حفص بالتاء خطابا للعبدة
والغيبة ابلغ تبكيتا لاستلزامه تعجيزهم من ادعوا الاستطاعة فيه ولا نصرا ولا اعانة
لما انتم فيه ومن يظلم منكم ايها المشركون نذقه عذابا كبيرا اصل الكلام نذيقهم

او ندبتكم وضع من يظلم موضع الضمير وقيل للخطاب لفرقنا المكلفين وما ارسلنا قبلك
من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق جواب عن شبهتهم ما ل
هذا الرسول ياكل الطعام والجملة بعد الا صفة لمحذوف اي احد كقوله وما منا الا له
مقام معلوم اي احد وجعلنا بعضكم لبعض فتنة محنة وابتلاء اتصبرون حث على
الصبر بعد بيان موجبه كقوله فهل انتم منتهون بعد تحريم الخمر وقيل علة للجعل اي لنعلم
ايكم يصبر كقوله ليبلوكم ايكم احسن عملا وكان ربك بصيرا بمن يصبر وبمن لا يصبر او بمن
يصلح للرسالة والاصطفاء وقال الذين لا يرجون لقاءنا جزاءنا على الاعمال الصالحة
او رؤيتنا او عقابنا بلغة تهامة على ان الرجاء بمعنى الخوف لولا انزل علينا الملائكة
بالرسالة لعدم اعتقادهم جواز ارسال البشر او يصدقون محمدا والاول هو الوجه لقولهم
لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او نرى ربنا فيامرنا وينهانا بلا واسطة ولا حجاب
لقد استكبروا في انفسهم اضمروا الكفر في قلوبهم وعقائدهم وعتوا وتجاوزوا الحد
عتوا كبيرا تجاوزا مفرطا اللام جواب قسم محذوف وكانه قيل ما اشد استكبارهم وما
اكبر عتوهم يوم يرون الملائكة منصوب باذكر او بعذبون دل عليه ما بعده او بتنزل
دل عليه قولهم لولا انزل علينا الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين لكل مجرم او ظهر فوضع
موضع الضمير ليدل على علية عدم البشرى ويقولون حجرا محجورا من المصادر التي يجب
حذف ناصبها والوصف للمبالغة كليل اليل هذه كلمة كانوا يقولونها عند النوايب
وشدايد النوازل في مقام الاستعاذة والمعنى انهم يطلبون نزول الملائكة واذا نزلت
استعاذوا من نزولها فانهم يلاقونهم بما يكرهون وقيل هو من كلام الملائكة اي حراما
عليكم محرما الغفران والجنة او البشرى واصل الحجر المنع ومنه قيل للعقل حجر لانه يمنع ارتكاب
الرذايل وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا كانوا يعملون الى المكارم
من قري الضيف وفك العاني وسائر انواع البر ويحسبون انها ذخر لهم عند الله ولما لم يكن
بناؤهم اساس اذ الاعمال بدون الايمان كبناء بلا اساس ردها الله عليهم في ذلك الحسبان ابلغ
رد بان مثل حالهم بحال قوم خالفوا امر سلطانهم واعصوه غاية الاغضاب فقدم الى
ما ديهم واتاح ما تحت ايديهم وجعلها كان لم تغن بالامس والهباء ما يرى من الذرات
عند دخول الشمس في الكوة شبهه الغبار والمنثور المفرق صفة هباء او مفعول ثالث
لجعلناه على انه في الاصل خبر ثان اي جعلناه جامعا للحقارة والتفرق بحيث لا يحصل
منه على طائل اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا مكانا يستقرون فيه للمجاورة والمقاولة
مع الاصحاب كقوله على سرر متقابلين واحسن مقيلا مكانا للاستراحة والتمتع بالحور
الازواج وتسميته مقيلا على التشبيه اذ لا قيلولة في الجنة كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة و
عشيا معان في الجنة لا ليل ولا نهار او المقيل عبارة عن الزمان اشارة الى ان مكانهم و
زمانهم احسن ما يتصور والتفضيل اما ان يراد به الزيادة المطلقة او بالاضافة الى ما للمترفين

ما للمترفين في الدنيا وفي ايثار الاحسن مع المقيل اشارة الى المحاسن الزيادة فيهما من الزخارف و
الوجوه الحسان كما يكون للملوك في الدنيا في اماكن انسهم ويوم تشقق السماء بالغمام
انما تشقق بسبب طلوع الغمام منه قيل هو غمام فوق السموات سمكه مثل سمك السموات
وثقله مثل ثقلها فاذا كان يوم القيمة القاه الله على السموات فتنشقق منه وقرا الكوفيون
وابو عمرو بتخفيف الشين بحذف احدى التائين ونزل الملائكة تنزيلا في ذلك الغمام
بايديهم صحائف الاعمال وقرا ابن كثير ننزل بزيادة النون مضارع انزل ونصب الملائكة
وعليه رسم المكي على حذفه في سائر الرسوم الملك يومئذ الحق للرحمن اي الثابت له دون
غيره من الملوك لمن الملك اليوم والملك مبتدا ويومئذ ظرفه والحق نعت وللرحمن خبر
وكان يوما على الكافرين عسيرا اي يكون شاقا عليهم لسقوط حجتهم ويوم يعض الظالم على
يديه كلاهما كناية عن شدة الندامة فان النادم المتحسر يعض على الانامل ويجمع اليدين
اشارة الى فرطه عن ابن عباس نزلت في عقبة بن ابي معيط كان اذا قدم من سفر اتخذ طعاما
ودعا اليه الناس فدعى من جملتهم رسول الله فلما قدم الطعام ابى ان يتناول له الا ان يشهد
له بالرسالة فشهد له بذلك وهو مضمر الكفر وكان صديقا لابي بن خلف فعاتبه ابي
وقال له صبات فقال له ما صبات ولكن كره ان يرجع ولم يطعم من طعام دعوته اليه
فقال وجهي من وجهك حرام ان وجدت محمدا اذ لم تبزق في وجهه ففعل ذلك فنزل هذا واللام
في الظالم للعهد والحي انه للجنس وان كان هو سبب النزول اذ لا ظالم الا هو عاض يديه
في ذلك اليوم يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا طريقا الى النجاة او طريقا واحدا
وهو طريق الحق فالتنكير لو اريد شخصا او طريقا من الطرق اشارة الى ان ما كان
يسلكه لم يستحق ان يسمى طريقا والقصد الى صفة السبيل وماهيته يا ويلتى اصله الياء
قلبت الفا كما في يا غلاما واما لن الفه حيث وقع الدوري عن ابي عمرو وكذا حمزة والكسائي
على ما عرف في اصولهم ليتني لم اتخذ فلانا خليلا فلان كناية عن علم المذكر يريد ابيا
ان اريد العهد وان اريد الجنس فكل من اتخذ خليلا لابد وان يكون له علم فجعله كناية
عنه لقد اضلني عن الذكر ذكر الله او القران انا نحن نزلنا الذكر او كلمة الشهادة او
الذكر بمعنى العهد لانه عهد بين الله وبين عبده بعد اذ جاءني ولم يسوغ عذرا وكان
الشيطان للانسان خذولا الى العقبة سماه شيطانا لكونه مضلا مثله او ابليس لانه
الذي حمله على ذلك او من اضل عن طريق الحق من الجن والانس شيطانا حكاية كلام الظالم
او هو ابتداء كلام من الله تحذير للسامع عن الاغترار والخذلان ضد النصرة وقال الرسول
يريد محمدا صلى الله عليه وسلم يا رب ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا متروكا غير ملتفت
اليه او مهجورا فيه من الهجر بمعنى جعلوه هذيانا وسموه سحرا واساطير الاولين او خلطوا
هجرهم به اذا قرئ لئلا يفهمه السامعون وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين كما جعلنا لك اقبل عليه بعد سماع شكواه مسليا له

بان هذا شان الرسل مع الكفار لينالوا بذلك المثوبة العظمى وكفى بربك هاديا الى طريق قهر
هم ونصيرا معاونا لك عليهم فلا تبال واصبر وقال الذين كفروا لولا نزل عليه
القرآن نزل بمعنى انزل لقوله جملة واحدة والا لكان متدافعا كذلك جواب لهم اي
كذلك انزل مفرقا لان قولهم لولا نزل عليه القرآن جملة يقتضي انكار انزاله مفرقا لنثبت
فؤادك مفرقا منجما تحدث بكل نجم من نجومه قوى قلبك وازداد ثباتا جنانك و
لو انزل جملة واحدة مرة ولقحمتهم لم يكن له ذلك الواقع ولا لك الظهور التام و
اطمئنان القلب وايضا اذا تردد اليه جبرائيل في الوقائع ازداد بذلك قوة وتوالت
عليه الافراح كما يفعله الملوك مع الخواص المقربين يواصلوهم بالرسائل والكتب وما
قيل انه كان اميا بان حاله حال موسى وعيسى وداود عليهم السلام فانهم كانوا قراؤا
وكتبوا فلو القي اليه جملة لعجز من حفظه ففيه ان انزاله قادر على ان يجعل له القوة على
حفظه في مجلس واحد بل كان ذلك معجزة اخرى له ورتلناه ترتيلا فصلنا بعضه
عن بعض في الانزال تفصيلا متناسبا بين البعد والقرب من رتل الاسنان وهو تباعد
ما بين الثنايا والرباعيات وقيل رتلناه امرنا بترتيله في القراءة لقوله ورتل القرآن
ترتيلا ولا ياتونك بمثل بكلام هو مثل في البطلان يجادلونك به الا جئناك في
مقابلته بالحق جوابا عنه واحسن تفسيرا كشفا عن المقصود من الفسر وهو الكشف و
صيغة التفعيل للمبالغة وذلك انهم قاسوه بموسى وعيسى في انزال الكتاب جملة واحدة
وقد جهلوا ما في تنزيله مفرقا من الحكم الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم رفع
او نصب على الذم روى البخاري عن انس ان رجلا قال يا رسول الله كيف يحشر الكافر
على وجهه يوم القيمة فقال اليس الذي امشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على ان
يمشيه على وجهه يوم القيمة اولئك شر مكانا منزلا واضل سبيلا تمييز وقد رجح
في ضلالة اي لو علموا حالهم ليعلموا انهم اشر مكانا وقيل متصل بقوله اصحاب الجنة
يومئذ خير مستقرا ووصف السبيل بالضلال على طريقة المجاز الحكمي مبالغة في
ضلال سالكه ولقد آتينا موسى الكتاب تسلية بقوله وكذلك جعلنا لكل نبي
عدوا فصل بعض احوال مشاهيرهم وقدم موسى لان امته اكثر وعنادا مع الجهال و
قرب اسنهم وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا موازرا له معاونا اياه في تبليغ
الرسالة ولا تنافي بين النبوة والوزارة فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا
باياتنا فذهبا فكذبوهما فدمرناهم تدميرا استاصلناهم وقلعناهم شافتهم
ولما كان الغرض التسلية وانه سينزل بالمشركين مثل ما نزل باولئك اختصر الكلام بذكر
طرفي القصة وكذلك مسالك القصص بعدها وقوم نوح لما كذبوا الرسل كذبوا
نوحا ومن قبله من الرسل او نوحا وحده ومن كذب رسولا فقد كذب سائر الرسل لاتحاد
دعوتهم واستمرار دليلهم في الاعجاز اغرقناهم بالطوفان وجعلناهم

للناس آية عبرة الى يوم القيمة واعتدنا للظالمين عذابا اليما يحتمل الظالم لهم وانما ذكر
المظهر للدلالة على علية الحكم وعادا وثمود عطف على هم او الظالمين بحسب
المعنى اذ وعدنا الظالمين وهؤلاء الاعلام في الظلم وقرأ حمزة وحفص ثمود غير
منون على تأويل القبيلة واصحاب الرس قوم شعيب والرس اسم بئرهم كذبوا شعيبا
فبينا هم حول البئر جلوسا خسف الله بهم الارض وقيل قريب طائفة عظيمة بفلج اليمامة
قتلوا انبياءهم فهلكوا وهم بقية ثمود وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان وكانوا يبتلون
بالعنقاء وهي طير عظيم سمي بذلك لطول عنقه وكانت تخطف اولادهم فدعا عليها
حنظلة النبي فاصابتها صاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة فاهلكهم الله وقيل هم اصحاب
الاخدود والرس الاخدود وقيل الرس بارض انطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل
اسم بئر وانما سمي رسا لانهم قتلوا نبيهم ورسوه فيه اي دسوه وقرونا بين ذلك المذكور
كثيرا لا يعلمها الا الله روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلا هذه الآية قال
كذب النسابون بقول الله وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الامثال اي كل قوم
بينا له القصص الغريبة مما جرى على الامم المكذبة للرسل انذارا وتحذيرا وكلا تبرنا
تتبيرا حين لم يعتبروا ولم ينجع فيهم ذلك الانذار التبار الكسر من التبر وهو فتات
الذهب قبل الضرب وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا اي انذرنا والثاني بتبرنا
لفراغ الفعل له ولقد اتوا على القرية التي امطرت مطر السوء يريد قريشا في مرارهم
في تجاراتهم الى بلاد الشام والقرية اسمها سدوم اعظم قرى قوم لوط سميت باسم قاضيها
وكان آية في الظلم والجور حتى صار مثلا هذا قضاء سدوم ومطر السوء الحجارة افلم
يكونوا يرونها الاستفهام للانكار الداخل على النفي فيفيد الاثبات اي يرونها
بل كانوا لا يرجون نشورا فلذلك لم يتاملوا ولم يتعظوا فان الانسان انما يتكلف النظر
والتدبر اذا كان راجيا ثواب الآخرة خائفا عقابها او لا يخافون على اللغة التهامية
واذا رأوك اي المشركون ان يتخذونك الا هزوا اي لم يرضوا بتركك الايمان حتى
جعلوك مكان هزو ومستهزءا به اهذا الذي بعث الله رسولا اسم الاشارة للتحقير كما
في حديث عائشة يا عجبا لابن عمر وهذا حيث افتى بنقض الظفائر انما اخرجوا بعثه في
معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية الانكار تهكما به ان كاد ليضلنا عن آلهتنا
يكثر الدعاء الى التوحيد وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم قد بلغ الغاية القصوى
في الدعوة الى الله حتى شارفوا بزعمهم ان يتركوا دين آبائهم مع فرط عنادهم وشدة
لجاجهم ان مخففة من المثقلة وضمير الشان محذوف واللام هي الفارقة لولا ان صبرنا
عليها وثبتنا لولا هذه للدلالة على انتفاء شيء لوجود غيره كما في لولا علي لهلك عمر و
فسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا انا وهم جواب عن قولهم ان كاد
ليضلنا لان من يضل غيره لا بد وان يكون ضالا في نفسه ارأيت من اتخذ الهه هواه

تعجب ممن هذا شأنه في الجهل وقدم المفعول الثاني للعناية به والقرينة معنوية كما في قوله بنونا
بنو ابنائنا **أفأنت تكون عليه وكيلا** بتسلط الجبر على الاسلام انكار اي لست كذلك
بل انت مبلغ ولا اكراه في الدين **أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون** حتى يسمعوا
كلامك او يفهموا خطابك وهذا اشد مذمة ولذلك اضرب عن الاول وقيد بالاكثر لان منهم
من كان يأبى عنادا واستكبارا **إن هم إلا كالأنعام** في عدم الادراك وفهم الآيات **بل هم
أضل سبيلا** من الانعام لانها تفرق بين المحسن اليها والمسيء وتتعلم بالتعلم ألا ترى انجال بن
الحمار وقد رأينا قد تعلم انواعا من الحيل وهؤلاء قد اتبعوا الشيطان وهو اعدى عدوهم
الذي يجلب لهم شقاء الابد **ألم تر إلى ربك كيف مد الظل** اشار الى صنعه البديع الدال
على كمال العلم والقدرة بل على الكمال المطلق من كل وجه على اكمل وجه بالمحسوسات لان الخصم
بعيد عن ادراك المعقولات والتدبر في علم الملكوت ولم يخاطبهم بل وجه الكلام
الى النبي توكيدا لما قدمه من انهم اضل من الانعام فليس من شأنهم الخطاب والاستفهام للانكار
دخل النفي فافاد التقرير اي الم تر الى عجائب صنع ربك كيف بسط الظل لمنافع العباد **ولو شاء
لجعله ساكنا** لاحقا باصل ذي الظل كالشجر والبناء والجبال وقيل الظل الذي يمتد
ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس فانه اطيب الاوقات اذ الظلمة الخالصة ينفر الطبع و
تسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر اصل الكلام الم تر الى الظل كيف مده
ربك وانما عدل الى المنزل اشارة الى ان المعقول من هذا الكلام كالمرئي لوضوح برهانه
ثم جعلنا الشمس عليه دليلا متبوعا يتبعه الظل يزيد به وينقص ويمتد ويتقلص **ثم
قبضناه إلينا** رفعناه بايقاع شعاع الشمس موقعه **قبضا يسيرا** على التدريج لما في
ذلك للعباد من المصالح وثم في الموضعين للترقي من الادنى الى الاعلى وعلى اصله وذلك
ان الله خلق السماء كالقبة المضروبة ثم خلق بعد ذلك الشمس وسلطها على ذلك الظل
وجعله تابعا اياها ويجوز ان يراد قبضه يوم القيمة يوم نطوي السماء ولفظ الينا
ترشيح له وكذلك يسيرا كما في قوله حشر علينا يسير **وهو الذي جعل لكم الليل لباسا** ساترا
كاللباس **والنوم سباتا** راحة من السبت وهو القطع واستعماله في نوم المريض عند العرب
والشيخ المسن قال عمرو بن مسعود رضي الله عنه لمعاوية لا تسأل عن شيخ نومه سبات
وليله هبات او موتا لقوله **وجعل النهار نشورا** اي بعثا شبه بعثهم من النوم بالبعث
بعد الموت قال لقمان لابنه يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وعلى الاول النشور
بمعنى الانتشار لاسباب المعاش **وهو الذي أرسل الرياح نشرا** بسكون الشين في قراءة الكوفيين
وابن عامر جمع ناشر او جمع نشور كصبور وخفف باسكان العين وابن كثير ونافع وابو عمرو بضمتين
على الاصل وحمزة والكسائي بفتح النون على المصدر لملاقي الارسال من معنى النشر وعلى الحال وقرأ عاصم
بالباء جمع بشور بمعنى مبشر كصبر وصبور او بشير كقليب وقلب وقرأ ابن كثير الريح بالافراد
على ارادة الجنس الجمع هو المختار لكون المبشرات ثلاث صبا وشمالا وجنوبا وعليه حمل قوله صلى

صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وهي الدبور وقال نصرت بالصبا واهلكت
عاد بالدبور **بين يدي رحمته** امامه جعل الريح مبشر القطر وهو نعمة عظيمة لانه سبب بقاء
العالم **وأنزلنا من السماء ماء طهورا** مطهرا للاحداث والاخباث فعول من طهر اسم الة
كالوضوء والسحور لان المأخوذ من اللازم لا يكون متعديا وقول الفقهاء بمعنى المطهر تسامح
وسالب الطهورية عند ابي حنيفة ان كان الماء راكدا وقوع النجاسة قليلا كان او كثيرا
وعند مالك اذا غير طعمه او ريحه او لونه وعند الشافعي كابي حنيفة فيما دون القلتين
وكمالك اذا بلغ قلتين والجاري عنده كالراكد وعند ابي حنيفة الجاري لا ينجس اذا لم ير للنجاسة
فيه اثر وفي الآية اشارة الى ان الله تعالى لما اكرمهم بانزال الماء الطهور المزيل للخبث
والحدث عن ظواهرهم فعليهم ان يطهروا بواطنهم التي هي محل الاسرار عن قاذورات القلب
وسائر الرذائل **لنحيي به بلدة ميتا** بالانبات وتذكير ميتا لكون البلدة في معنى البلد
لقوله فسقناه الى بلد ميت او لانه غير جار على الفعل فالحق بالجامد **ونسقيه مما خلقنا
أنعاما وأناسي كثيرا** وصف الانعام والاناسي بالكثرة لان اكثر الناس يسكنون بقرب
الانهار والاودية فهم في اكثر الاوقات في غنية من المطر وكثير منهم سكان البوادي لا
يعيشهم وانعامهم الا المطر وماء الغدران وقدم الاهم فالاهم وصف الماء اولا بالطهور
لان المقصود الاصلي ازالة تطهيرهم ليكونوا في حال المناجاة مع ربهم على اكمل الاحوال
ثم احياء الارض بالنبات لانه ابدع ولانه سبب معاشهم ومعاش انعامهم ثم قدم
الانعام على الاناسي لذلك ولان الماء اذا وجد للاراضي والانعام فلم من نابه الاولى
فذكر الاناسي للاستيعاب والاناسي جمع انسي او جمع انسان اصله اناسين قلبت النون
ياء **ولقد صرفناه بينهم** اي هذا القول بين الناس في القرآن وسائر الكتب والصحف
المنزلة اشارة الى ما ذكر من الادلة القاطعة على وحدة الصانع ومن الطهور بخلاف لا
نخص هذه الامة التي فاقت سائر الامم في الفهم والذكاء او التصريف المطر والمعنى
قسمناه بينهم على ما نور وعن ابن عباس رضي الله عنه ان المطر لا يختلف كل عام قلة و
كثرة ولكن يقع تارة هنا وتارة هنالك على وفق ما اقتضته الحكمة ومنه نشأ حديث
اخرج من تكرير البلاد والانعام والاناسي ليحيي به بعض البلاد وبعض الانعام وبعض
الاناسي **ليذكروا** بصرف المطر اليهم وعنهم ليعلموا كمال القدرة وغاية الرأفة
بهم ليصبروا اذا فقدوا ويشكروا اذا وجدوا ولما كان من المحسوس الذي يحتاج
الى تأمل جعل الفاصلة التذكر الذي هو ملاحظة الحاصل المغفول عنه وقرأ حمزة
والكسائي ليذكروا بالتخفيف من الذكر **فأبى أكثر الناس إلا كفورا** بتلك النعم الجسيمة برؤيتها
من العزو لا يرضى رأسا برأس فانه مطرنا بنوء كذا واما من يرى الكل مسندا لله ويجعل
النوء من جملة الاسباب والعلامات فذلك لا يقدح في الايمان **ولو شئنا لبعثنا في
كل قرية نذيرا** يخفف عنك بعض اعباء التبليغ سلاه تعالى غاية التسلية بان جعلهم اصل

من الانعام وانه لبس عليهم بوكيل وحجية من حال من اتخذ الهه هواه فاما وان عموم رسالته
وتكليفه التبليغ الى كافة الناس اجلال له لما وبشاركه في منصبه احد فامره بالمصابرة
على المجاهدة وجعلها ذكر على ايمانهم كالطاعة لهم فقال فلا تطع الكافرين و
جاهدهم به بالقرآن جهادا كبيرا فان الجهاد بالحجة اعظم من الجهاد بالسيف لا سيما
مع السفهاء الذين شانهم المراء والمكابرة قيل راى الشافعي يوما مسرورا فساله
بعض اصحابه فقال الزمت عاميا قيل له انت اجل من ذلك فقال لاني اشد واشكل
من الحام الجاهل وقيل كبيرا موقعه عند الله وهو الذي مرج البحرين نوع آخر من
دلائل التوحيد والمرج الارسال اي ارسلهما وخلاهما متجاورين متلاقيين
هذا عذب فرات قامع للعطش كاسر وهذا ملح اجاج شديد الملوحة وجعل
بينهما برزخا حاجزا من قدرته غير محسوس وحجرا محجورا حدا محدودا او هي
الكلمة التي يقولها المتعوذ كان كلا من البحرين يستعيذ من الآخر بهذه الكلمة كقوله
بينهما برزخ لا يبغيان لا يظلم احدهما الآخر بالممازجة قيل ان دجلة تنصب في بحر فارس
ويذهب فراسخ لا يتغير طعمه وهو الذي خلق من الماء بشرا شرع آيات الانفس بعد آيات
الآفاق والبشر آدم خلقه من تراب خلق من الماء فهو اصله ومادته الاولى او من طين
خمر بالماء او اولاده والماء النطفة فجعله نسبا ذا نسب ينسب اليه فلان بن
فلان اي ذكرا وصهرا ذات صهر اي انثى قال قطرب ما كان من قبل زوج البنت
اصهار وما كان من قبل المرأة احماء وكان ربك قديرا كامل القدرة يخلق من ماء
تارة ذكرا وتارة انثى وتارة يجمع بين النوعين بان يخلق من نطفة واحدة توأمين
ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم بعد ظهور دلائل وحدة الصانع
وكان الكافر على ربه ظهيرا معاونا للشيطان فعيل بمعنى الفاعل كالظهير بمعنى
المكالم وهو ابو جهل فانها نزلت فيه او جنس الكافر لان الظهير كالصديق يطلق
على الجمع كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير او هينا لا عزة كانه ملقى وراء الظهر
قال الاخطل وجدنا بني البرصاء من ولد الظهر وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا
قدم المبشر رعاية للفاصلة قل ما اسألكم عليه من اجر من التبليغ الا من شاء ان
يتخذ الى ربه سبيلا الا فعل من اراد ان يتقرب اليه ويطلب الزلفى لديه بجعل الاجر
المجزي للمؤمن اجراله على اداء الرسالة قلعا للشبهة الطمع واظهار الغاية الشفقة
حيث جعل تعرضهم للثواب وتخلصهم عن العقاب نفعا عائدا اليه وفيه اشعار بان
له في ايمانهم ثوابا جزيلا لانه الدال المرشد قال لعلي بن ابي طالب يوم خيبر حين
اعطاه الراية ادعهم الى الايمان اولا لان يهدي الله رجلا على يديك خير لك من الدنيا
وما فيها وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل وتوكل
على الحي الذي لا يموت فهو كافيك عن اجورهم او ينصل بقوله وجاهدهم به جهادا كبيرا

كبيرا اي فهو ناصرك وحافظك من شرورهم وسبح بحمده ونزهه عما لا يليق بحضرة
قدسه مما يصفه به هؤلاء الجهلة من الشريك والولد مثنيا عليه باوصاف
الكمال شكرا لسوابق نعمه وطلبا للمزيد وكفى به بذنوب عباده خبيرا بواطنها
وظواهرها فلا عليك بعد التبليغ آمنوا ام كفروا الذي خلق السموات والارض وما
بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش نصب على الاختصاص وخبر مبتدأ محذوف
اي هو الذي او مبتدأ خبره الرحمن ذكر هذه الاوصاف بعد الامر بالتوكل دلالة
على ان من هذا شانه يحقيق بالتوكل عليه والمراد بالايام مقدارها لعدم الليل والنهار
حينئذ او ايام الآخرة والتقدير بالستة دون غيرها مما اسنا ربطا علمه كعدد الركعات
ونصب الزكوة وعن سعيد بن جبير انما خلقها في ستة ايام وكان قادرا على خلقها في
لمحة طرف تعليما للعباد ان يرفقوا في امورهم ويتخلقوا باخلاقه فاسأل به خبيرا الباء
صلة السؤال والمعنى سل عنه رجلا عارفا به يخبرك عن سعة رحمته قال الاخفش يقال
خرجنا نسال عن فلان وبفلان او صلة خبيرا اي اسأل خبيرا به يخبرك او بخبر يديه
اي اسأل بسؤاله خبيرا على معنى انك ان سألته وجدته خبيرا اي خبيرا او الضمير
لما تقدم من خلق السموات والارض وما بينهما امر بالسؤال عنها خبيرا كامل العلم بما فيها
من الاجزاء والصفات والاسرار المودعة فيها حتى يظهر له كمال قدرته ودقة حكمته
ونهاية رأفته بعباده حيث خلق لهم الكائنات باسرها مشتملة على حكم لا يحصى ونعم
لا يستقصى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن سؤال عن مسمى فانهم
ما كانوا يطلقونه عليه او عن معنى لانه كان مذكورا في الكتب السالفة وعلى هذا
معنى فسأل به خبيرا اسأل بهذا الاسم من اهل الكتاب فانهم عارفون به وفي الآية اشارة
الى ان الرحمن الذي شملتهم رحمته اذا ذكر لا يعرفونه انسجد لما تأمرنا من غير ان نعلم
ما هو وكيف شانه وقرأ حمزة والكسائي يأمرنا بالياء الغيبة كانه لما قال لهم اسجدوا للرحمن
قال بعضهم لبعض تهكما واستهزاء انسجد لما يأمرنا محمد اي لا يكون ذلك والخطاب حسن
تجاها والغيبة افعد لما هم بصدده من الانكار وزادهم نفورا فرارا فاعل زاد ضمير
اسجدوا تبارك الذي جعل في السماء بروجا استانف لاثبات رحمانيته جملة تدل صدرها
على كثرة نعمائه ووفورها لانه ود وامها وعلو شانه لما تقدم من اتصافه والبروج
منازل الكواكب السيارة الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة و
الميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت سميت بروجا لظهورها و
اشتهارها بكونها منازل الكواكب من برج اذا ظهر فان قلت اي فائدة للناس في البروج
حتى ذكرها في مقام الامتنان وتقرير صفة الرحمانية قلت كل الفوائد عليها مدار الفصول
التي نيط بها اسباب المعاش وجعل فيها سراجا الشمس لكمال ضوئها استعار لها اسم السراج
وقرأ حمزة والكسائي سرجا على ارادة السيارة والافراد اوفق بقوله وقمرا منيرا ذا نور

وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لم يعطف جعل على الصلة بل استأنف دلالة على عظم
صنعه في ارداف كل من الليل والنهار بالآخر كانه قال وهو المتفرد بهذا الصنع البديع
والخلفة اسم بمعنى الاختلاف اي ذوي اختلاف يخلف احدهما الآخر لمن اراد ان يذكر
يتذكر قدرة الصانع الحكيم او اراد شكورا لبعض الآية فانه مدار امر الدين على
اختلافهما فلو نعمة اشمل واكمل منه وقرئ حمزة يذكر مضارع ذكر ثلاثيا والباقون بادغام
التاء في الذال مضارع تذكر وهو ابلغ واظهر وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض
هونا ذكرهم في مقابلة الذين اذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن والمعنى
عباده المختصون به الذين عرفوه بصفة الرحمانية وتخلقوا بها فاورثتهم حسن الصفات
المتناسبة والهون الرفق والتؤدة وفي صفته صلى الله عليه وسلم انه يمشي هونا وفي كلام
علي بن ابي طالب كرم الله وجهه احبب حبيبك هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا
سلاما اي قولا سديدا يدل على المتاركة من غير اثم ولا لغو سواء كان لفظ السلام
او غيره ولا يخالفه قوله سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين لانه من القول السديد ولا نسخ
بآية القتال لان متاركة السفهاء والاغضاء عنهم من الآداب المستحسنة والذين
يبيتون لربهم سجدا وقياما يقضون ليلهم في عبادته ساجدين قائمين يقال بات
يفعل كذا اذا فعله ليلا وتأخير القيام للفاصلة جمع قائم او مصدر وصف به
والتقييد بالليل لانه اخلى عن شوب الرياء واجلى للقلب واشق للنفس والمراد اكثر الليل
لقوله قليلا ما يهجعون والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان
غراما شرا لازما ومنه الغريم لملازمته الانسان وصفهم بالجد البالغ في العبادة ثم وصفهم
بالوجل والابتهال اليه مع تلك العبادة اشارة الى انهم غير متكلين عليها بل لا يرونها
شيئا نظرا الى الكبرياء انه تعالى انها ساءت مستقرا ومقاما انشاء ذم فاعله ضمير مبهم يفسره
مستقرا وانما ذكره مع ان المفسر مؤنث لانه في معنى الدار والمنزل والمخصوص محذوف
اي هي وهذا الضمير هو الذي ربط خبرات باسمها ويجوز ان يكون ساءت بمعنى احزنت و
مستقرا ومقاما منصوبان على الحال او التمييز ثم هذا وقوله ان عذابها كان غراما تعليلان
يصح ان يكونا متداخلين ومترادفين وان يكونا ابتداء كلام منه تعالى وحكاية لقولهم
والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا القتر والاقتار والتقتير التضييق والتقليل
في الرزق والانفاق والاسراف الانفاق في المعصية وان قل وقيل التجاوز عن الاعتدال
وان قل وهذا اذا لم يكن في القربات وابواب البر بدليل قصة الصديق وعثمان
رضي الله عنهما ولذلك قيل لا اسراف في الخير كما لا خير في الاسراف قرأ نافع وابن عامر
يقتروا بضم الياء وكسر التاء من الاقتار والكوفيون بفتح الاول وضم التاء وابن كثير
وابو عمرو بكسرها وهما لغتان كما في يعكف وكان بين ذلك قواما بين الاسراف والاقتار
والقوام الاعتدال كالسواء لفظا ومعنى وذلك الذي امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وهكذا كان حال الصحابة
لا يأكلون الا سد جوعتهم ولا يلبسون الا ستر العورة ثم وقيل ان علي بن ابي طالب دخل السوق
واشترى قميصا بخمسة دراهم فرأى في كمه طولا فقال للبايع اقطع من كمه فقال اتشتري
قميصا بخمسة دراهم ثم تقطع من كمه ايضا انك لمجنون فقال علي بارك الله فيك سمعت
رسول الله يقول لا يكمل ايمان المرء حتى يقال فيه انه مجنون والمنصوبان اعني بين ذلك
وقواما خبران معا ويجوز ان يكون بين لغوا وقواما هو الخبر وان يكون الظرف خبرا و
قواما حالا مؤكدة وما اجازه الفراء من ان يكون بين اسم كان وانما بني لاضافته الى
غير المتمكن مع عدم الحاجة اليه ففيه انه من قبيل كان الراكب جاريته صاحبها فليس في
الخبر الذي هو محط الفائدة فائدة والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون
النفس التي حرم الله حرم قتلها الا بالحق صفة المصدر المحذوف او متعلق بيقتلون
ولا يزنون نفي عن الموصوفين بتلك الخلال العظام عظائم الذنوب الموبقات تعريضا
باعدائهم المشركين روى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال سألت او سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الذنب عند الله اكبر فقال ان تجعل لله ندا وهو خلقك
قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان يطعم معك قلت ثم اي قال ان تزاني حليلة
جارك فانزلت هذه الآية تصديقا له ومن يفعل ذلك يلق اثاما الاثام بالفتح جزاء
الاثم وقيل بمعنى الاثم فالمضاف محذوف يضاعف له العذاب يوم القيامة للشرك
وللذنوب التي ارتكبها معه لان الكفار متفاوتون في الدركات كما ان المؤمنين متفاضلون
في الدرجات قرأ نافع وابو عمرو وحفص وحمزة والكسائي بجزم الفعلين ويخفف يضاعف
وابن كثير بتشديده وجزمهما وابن عامر وابو بكر برفع الفعلين الا ان ابن عامر يشدد
الاول دون ابي بكر ووجه الرفع الحال والاستئناف ولجزم الابدال من يلق كقوله
متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا ويخلد فيه مهانا
لاستكباره عن اتباع الحق الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله
سيئاتهم حسنات يمحو الله معاصيهم ويثبت مكانها لواحق الطاعات او يجعل اعدادها
في صحيفة الحسنات بعد محوها من ديوان السيئات وهذا اصح روي نحوه عن ابي
هريرة وسلمان فان قلت لم نؤكد الفعل بالمصدر اعني من عمل صالحا الا في هذه الآية
مع كثرة وقوعه قلت لم يقع في القرآن ارجى من هذه الآية فكما بالغ في رأفته اشار الى
ان العمل الذي يترتب عليه هذا الجزاء ينبغي ان يكون عملا معتدا به في باب الصلاح
على ما قيل كما تدين تدان وكان الله غفورا رحيما ولذلك بدل السيئات بالحسنات
ومن تاب عن المعاصي وعمل صالحا ولزم الطاعات فانه يتوب الى الله متابا اي
يرجع اليه والى ثوابه اما على تقدير المضاف او على جعل الرجوع اليه كناية عن نيل ثوابه
او فانه يرجع الى الله المتصف بالاسماء الحسنى وصدق الوعد ان الله يحب التوابين وهو

الذي يقبل التوبة عن عباده او متابا مرضيا على ان التنكير للتعظيم فان قلت ما فائدة هذا
التكرير وهل يكون الترغيب باكثر من جعل السيئات حسنات قلت لا تكرير فان المراد من
الاول جعل اعمال التائب حسنات ومن الثانية بيان جزاء تلك الاعمال والثواب عليهما
وقيل الاول في حق المشرك التائب وهذا في المومن العاصي اذا تاب والذين لا يشهدون
الزور اي لا يحضرون مجالس الكذب تنزها عن مخالطة اهل الاثم وصيانة عن الانسلاك
في سلكهم ولان في ذلك تكثير سوادهم وفيه اغراؤهم على ما هم فيه وقيل لا يشهدون
شهادة الزور فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واذا مروا باللغو ما يجب
ان يلغى ويطرح مروا كراما جمع كريم وهو الجامع لانواع الفضائل وشتات المحاسن
واسباب الشرف اي معرضين عنه غير ملتفتين اليه كقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا
عنه وقيل اذا سمعوا الشتم من السفهاء صفحوا وتجاوزوا كقوله ولقد امر على اللئيم
يسبني والذين اذا ذكروا بايات ربهم بمواعظه وحكمه لم يخروا عليها صما
وعميانا بل اكبوا عليها والعواشر سرهم على حفظها والاتعاظ بها باذان داعية
وابصار راعية وقلوب خائفة لما كان الذين لهم آذان لا يسمعون بها واعين لا يبصرون
بها والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين سرورا بان
نراهم مقبلين على طاعتك مسارعين في ابتغاء مرضاتك اصل القرة البرودة والمراد بها
نهاية السرور والفرح وذلك ان العين تدمع من غاية السرور دمعا باردا وعن
محمد بن كعب ليس شيء اقر لعين المومن من ان يرى اهله واولاده مطيعين لله لان الله
سائله عنهم كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته قرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر و
ذريتنا على التوحيد وهو المختار لدلالته على الكثرة بمادته مع حسه ومن اما بيانية
او ابتدائية اي اجعل لنا قرة اعين من جهتهم وانما نكر قرة مبالغة كانه قيل هب لنا
منهم سرورا وفرحا تاما وانما جمع القلة لقلة المومنين الموصوفين بتلك الصفات
واجعلنا للمتقين اماما يقتدون بنا بيان لذلك زيادة الاجر فان الدال على الخير له
مثل اجر فاعله والافراد لعدم اللبس كقوله ثم نخرجكم طفلا ولانه مصدر في الاصل او
التقدير كل واحد منا ولان المومنين كنفس واحدة كما نطق به من لا ينطق عن الهوى اولئك
يجزون الغرفة العلية جمعها غرفات وغرف وحيث لا رادة الجنس وعدم اللبس ولقوله
وهم في الغرفات آمنون وهي على قدر الاعمال والتوحيد انما رتب على هذه الاوصاف لكونها
وهي مظبوطة فالمتصفون بها متحدون في الجزاء لاتحاد ما عملوا به بما صبروا
به بصبرهم ويلقون فيها تحية وسلاما تحييهم الملائكة ويسلمون عليهم او بعضهم
بعضا وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر يلقون من اللقاء اي يصادفون والتشديد ابلغ في
الاكرام خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما في مقابلة ساءت مستقرا ومقاما ومثله
اعرابا قل ما يعبؤ بكم ربي عبأت بالشيء باليت واعتددت ما استفهامية في موضع

في موضع المصدر والمعنى اي اعتداد يعتد بكم واي وزن مقدار لكم عنده لولا دعاؤكم ايمانكم
وعبادتكم اي الكمال في التحلي بالملكات النظرية والتخلي عن الشواغل وقطع العلاقات
بالتوجه الى جناب قدسه فقد كذبتم خطاب لمشركي قريش خاصة بعد ان خاطب
الجنس المتناول لهم ولغيرهم فانتظم الخاتمة مع الفاتحة لان السورة كانت مصدرة بتكذيبهم
فسوف يكون لزاما عذابا ملازما يوم القيمة وعن مجاهد هو القتل يوم بدر لوزم
بين القتلى لزاما وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه خمس قد مضين الدخان والقمر
واللزام والبطشة والروم تمت السورة والحمد لله حق حمده والصلوة على نبيه وعبده
سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء يتبعهم الغاوون وهي مائتان وست وسبع
وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم طسم حروف مبسوطة
للايقاظ او اسم للسورة فخم حمزة والكسائي وابو بكر بامالة الطاء وورش بين بين
واظهر النون حمزة اشارة الى ان اصل حروف التهجي عدم التركيب والوقوف عليها
تلك ايات الكتاب المبين الواضح اعجازه والمراد السورة او القرآن باسره والمشار
اليه ما دل عليه الحروف لعلك باخع نفسك قاتل نفسك البخاع بالباء عرق في
الصلب متصل بالعنق وهو نهاية الذبح وبالنون دونه وهو الخيط الابيض ومعنى لعل
الاشفاق اي اشفق على نفسك ان تقتلها عليها فاتك من ايمان قومك وفيه نهاية مدح
له بما قام به من الاجتهاد في التبليغ الا يكونوا مؤمنين صفة الا يؤمنون ان نشأ
ننزل عليهم من السماء آية ملجئة لهم على الايمان فظلت اعناقهم لها خاضعين
منقادين لحكم الاعناق لبيان موضع الخضوع ولما وصفت باوصاف العقلاء اجريت
مجراها في الجمع بالواو والنون او الاعناق جمع عنق بمعنى جماعة اي جماعاتهم وفي الحديث
لا تزال الناس مختلفة اعناقهم في طلب الدنيا وفيه ايضا يخرج من النار عنق اي طائفة
او رؤساؤهم والعرب تسمي سادات الناس اعناقا وما ياتيهم من ذكر وحي يذكرهم
من الرحمن محدث انزاله لتجدد التذكير الا كانوا عنه معرضين الا استمروا
على الاعراض فقد كذبوا حين اعرضوا فسياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون ما
اصابهم يوم بدر او يصيبهم يوم القيمة والختام الانباء للدلالة على عظم ما تنزل
بهم فان الواقعة اذا عظمت شاعت في الاقطار والبلدان وسارت باخبارها الركبان
فان قلت ذكر مثله في الانعام مصدرا بسوف وهنا بالسين فما وجه ذلك قلت الوجه
والله اعلم ان كلتا السورتين مكيتان فالظاهر ان ايذا الانعام سابقة نزولا لان
التراخي في سوف اكثر من السين اولم يروا الى الارض ولم ينظروا الى بدائع ما فيها كم
انبتنا فيها من كل زوج من كل صنف والجمع بين كم وكل لافادة الكثرة اجمالا والاستيعاب
تفصيلا فكانه قيل انبتنا فيها افرادا كثيرة من كل صنف صنف كريم شريف مرضي الصفات
اما بسيطا او مركبا ان في ذلك لآية افراد الآية مع كثرة الازواج الدال عليها كم وكل

لانه اريد الايات المتعلق بها او باعتبار واحد وما كان اكثرهم مؤمنين مع وضوح الاية لكونهم
مخلوقين للنار وان ربك لهو العزيز الغالب على كل شيء فينتقم منهم الرحيم حيث ارسل
اليهم رسولا بالايات ولم يعاجلهم بالانتقام بعد التكذيب والانكار واذ نادى ربك
موسى بعد ما بين اعراض قومه وتكذيبهم واستهزائهم به وبما جاء به اتبعه بقصص
الانبياء مع اقوامهم وبما جرى لهم معهم من التكذيب والاستهزاء وكيف صبروا على
اذاهم ثم كان لهم العاقبة وشفاء الصدور وقدم قصة موسى لانه اقرب احواله
من رسول الله وامته اوفر الامم بعد هذه الامة ان ائت القوم الظالمين فرعون
وقومه كانوا مع شركهم قد استعبدوا بني اسرائيل يقتلون ابناءهم قوم فرعون
بدل من القوم او عطف بيان وفيه دلالة على ان كون فرعون علما في الظلم والطغيان لان
البدل مقصود بالنسبة ودلالته على المعنى المراد من الكلام اوفى الا يتقون
استيناف تعجب به عن تمادي القوم في الظلم غير ناظرين في عواقب الامور وجعله حالا
من ضمير الظالمين ليكون انكار عدم التقوى توبيخا فيفيد انكار الظلم من باب الاولى
وان علم التقوى هو الذي حرصهم على الظلم حسن الا ان دخول الهمزة على الحال لا يجوز
الا توسعا قال رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فارسل
الى هرون يكذبون بعد اداء الرسالة ويضيق صدري لما يعتريني من عدم الغرض
ولا ينطلق بعد ذلك لساني على المحاجة والمناظرة معهم مع انهما من ضروريات
مدعي الرسالة وكان هذا من كمال عقله اظهر عجزه واحتياجه الى الموازر والمعين
ليكون ذهابه الى الخصم على نقيضه وتوفر عدته واسبابه فاني يتصور منه التعلل
بل كان هذا منه عين الطاعة ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون به قصاصا وليس
لي دفعة قدرة وانما اخر خوف القتل ووسطه بينه وبين تلك العلل فارسل
الى هرون لئلا يتوهم من ظاهر كلامه التعلل فان موسى لم يكن في بسطة المقال وسلاطة
اللسان مثل هرون فاستعان به مع انه اخوه الشقيق الشفيق عسى ان يحصل له شرف
النبوة اذ معنى فارسل اليه اي بالنبوة والرسالة قال كلا فاذهبا باياتنا اجابه الى
ما سال من ضم اخيه وازال خوفه بقوله كلا اي ارتدع عن ذلك الوهم وعليه عطف فا
ذهبا بعد تغليب المخاطب على الغايب انا معكم مستمعون مقاولة الطرفين والمعية
معية الحفظ والكلاءة والنصر وعبر عن السماع بالاستماع الذي هو الاصغاء والاعتناء
بشان المسموع اشارة الى كمال العناية بهم وهو خبر ثان او هو الخبر ومعكم ظرف مستقر
فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين خصه بالذكر بعد قوله ائت القوم
الظالمين دلالة على انه قدوتهم والقوم تبع وانما افرد الرسول مع كون المخبر عنه
اثنين لاتحاد المرسل به او لكونهما اخوين متحدين في الاخوة او على تقدير كل منا او لانه
مصدر وصف به كقوله شعر الا ابلغ ابا عمرو رسولا باني عن فتاحتكم غني انا رسل

ان ارسل معنا بني اسرائيل الى بلاد الشام ان مفسرة لتضمن الارسال معنى القول فان قلت
كان مرسلا الى القوم الظالمين ليدعوهم الى الله وهذا ظاهر في انه انما ارسل لطلب
بني اسرائيل قلت الغرض الاصلي هو دعوتهم وانما بدأ بالاسهل والقول اللين لئلا
يشمئز ويطغى ولذلك ذكر رب العالمين ليدخل فيهم فرعون فتخلله الاستكبار
عن المسؤول عنه يتجاهل فيقع المناظرة على وجه الرفق كما سياتي قال الم نربك فينا
وليدا طفلا وسمي به لقرب ولادته ولبثت فينا في منزلنا من عمرك سنين قيل
لبث فيهم ثلثين سنة ثم خرج بعد قتل القبطي ولبث في مدين عند شعيب عشر سنين
ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلثين سنة ثم لبث رسولا بعد غرق فرعون خمسين
سنة وفعلت فعلتك التي فعلت يريد قتل القبطي عظم قتله لانه كان من خواصه
قيل كان خباز فرعون واسمه فاتون وانت من الكافرين بنعمتي لان من كان في نعمة
شخص يجب عليه توقيره ورعاية حقوقه او من الكافرين الذين تدعوهم الى الايمان الان
او من الكافرين برب العالمين وذلك افتراء منه اذ الانبياء قبل البعثة معصومون
من الكباير كان غرضه من هذه المقدمات تبعيده عما هو بصدده بان من يكون متلبسا
بهذه الرذائل كيف يرشح للمراتب العلية فضلا عن منصب الرسالة قال فعلتها اذا
وانا من الضالين عن طريق الصواب لا لكونه من خواصك بل بالاقدام قبل الاذن
او المخطئين فانه لم يتعمد قتله بل تأديبه فالت الوكزة الى القتل او فاعلين فعل
اولى الجهل اعترافا منه ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما فان الانبياء حكام على
الناس وحكمة وهو علم الشريعة وجعلني من المرسلين فبطل ما تشبثت به وتلك
نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل تلك مبتدا ونعمة خبر وتمنها وصف وان
عبدت عطف بيان والمعنى تلك الخصلة القبيحة وهي تعبيد بني اسرائيل تعدها نعمة
علي بانك قد ربيتك وتجعلني مسيئا في مقابلة احسانك واين الاحسان بل انت المسيء
اذ لو لم تفعل ما تفعل من قتل الابناء كنت مربى في اهلي وانما افرد الخطاب في تمنها وجمع
في الاولين لان المنة كانت منه وحده والفرار والخوف منه ومن قومه وعن الفراء
ان هذا الكلام اقرار واعتراف من موسى حيث عبد بني اسرائيل ولم يعبده واراد مكافاة
احسانه بارشاده الى طريق الصواب يقال عبد وتعبد اي اتخذ الناس عبيدا قال
فرعون وما رب العالمين لما لم يجد تلك المقدمات اخذ في التسؤل عن حقيقة من ادعيه
تعنتا لا استرشادا قال رب السموات والارض وما بينهما اشارة انه مباين للممكنات
لان موجدها يجب ان يكون واجبا خارجا عنها فلا يمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية
لامتناع تعريفه بنفسه واستحالة الاجزاء لاستلزام التركيب الامكان ان كنتم
موقنين ذوي ايقان محققين الاشياء مطلعين على احوالها بالادلة قال لمن حوله
الا تستمعون تعجب الملأ حوله من قوله لانه ساله عما عن حقيقته واجاب باللوازم قال

قال ربكم ورب آبائكم الأولين اذ ربما يتوهم قدم السموات والارضين كما هو مذهب
الدهرية وكان فرعون دهريا لقوله تعالى وظنوا انهم الينا لا يرجعون واما خلقهم وخلق
اباءهم فلا مجال للوهم فيه قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اضافه اليهم لان
نسبته رسولا على وجه التهكم قال رب المشرق والمغرب وما بينهما من الكائنات
موجدها وحافظها ان كنتم تعقلون ان كان لكم عقل فقد اجبتكم جوابا فيا لقد
اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك
من المسجونين الداخلين في زمرتهم وقد عرفت حالهم قيل كان اذا سجن انسانا القاه في هوة
ذاهبة في الارض بعيدة العمق لا يرى شيئا ولا يسمع صوتا وهذا دليل على انه علم انه محق
وخاف ان لو امر بسجنه يصيبه آفة والا فما وجه التوقف اذ لم يكن على فرعون مصيبة
اشد من ان يدعى الى عبادة الغير وهو يقول انا ربكم الاعلى قال اولو جئتك بشيء مبين
واضح الدلالة على صدقي الواو للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل اي تفعل ذلك ولو جئتك
على هذه الحالة قال فأت به ان كنت من الصادقين في دعواك فالقى عصاه فاذا هي ثعبان
مبين واضح لا يشتبه على احد انه ثعبان وهي الحية العظيمة ونزع يده اخرجها من كمه فاذا
هي بيضاء للناظرين قيل لما القى عصاه وصارت ثعبانا قدر ميل فاقبلت الى فرعون
فاستغاث بموسى فاخذها فعادت عصا فقال هل من آية غيرها فاخرج له يده فرآها
على هيأتها ثم ادخلها في جيبه فاخرجها بيضاء لها شعاع يسد الآفاق ويكاد يغشي
الابصار وفي ذكر الناظرين دلالة على ان بياضها كان شيئا يجمع النظارة على النظر اليه
قال للملأ حوله مستقرين حوله نصب على الحال والعامل ولفظه نصب بنزع الجار فقط
ان هذا لساحر عليم ماهر في السحر يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون
طار عقله من الرعب فنزل عن دعوى الالوهية الى الاسترشاد والاستضاءة بآراء
ملئه لعلهم يرشدونه الى الخلاص مما دهاه قالوا ارجه واخاه اخرهما ولا تناظرهما وما
فيه من القراءات والوجوه تقدم في الاعراف وابعث في المدائن في مدائن ملكك حاشرين
للسحرة يأتوك بكل سحار عليم كامل العلم في فنه فجمع السحرة لميقات يوم معلوم
لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة لقوله موعدكم يوم
الزينة وان يحشر الناس ضحى فان قلت المأمور به كل سحار عليم والسحرة جمع ساحر فقد
حشروا ما لم يؤمروا به قلت الامر كذلك لكن لا يقول لهم لم يأتوني بكل سحار وقيل للناس
هل انتم مجتمعون القائل فرعون او من هو من قبله وهو للاستبطاء والمراد حثهم
على الاجتماع لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين كناية عن عدم اتباع موسى لان من لوازم
اتباعهم لان من يقول انا ربكم الاعلى كيف يتبع الساحر فلما جاء السحرة الموعد للمناظرة
قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين لموسى في سحره قال نعم جزاء للشرط لان
تو لم ان لنا لاجرا دال عليه وانكم اذا لمن المقربين عطف على جزاء الشرط فاذا جواب و

جواب وجزاء على اصله زادهم على طلبهم ترغيبا قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون آذن لهما
بتقديم ما هم يلقون وليس الغرض امرهم بالسحر بل التوسل الى الحق فالقوا حبالهم وعصيهم
وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون اقسموا بعزته على انهم غالبون لفرط اعتقادهم
لانهم فرغوا جهدهم في الاتيان باقصى ما يمكن من السحر واليمين بغير الله وصفاته
الغاء لله ورد النهي عنه لانه من شعار الجاهلية فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف
تبلع قرأ حفص بالتخفيف ما يأفكون ما يزورونه ويخيلون به الناس واصل الافك
صرف الشيء عن وجهه وصفته التي هو عليها ويجوز ان يكون ما مصدرية تسمية
للمأفوك به افكا مبالغة فالقي السحرة ساجدين تيقنوا انه من عند الله لانها ابتلعت
تلك العصي والحبال ولم تزد حجمها وانما اوثر القوا على خروا للذكر بعد الالقاء
مشاكلة مع دلالة الالقاء على انهم من فرط يقينهم لم يتمالكوا فكانهم طرحوا كرها
وفاعل الالقاء هو الله او هم اي القوا انفسهم قالوا آمنا برب العالمين حال بتقدير
قد رب موسى وهارون بدل من رب العالمين دفعا لوهم فرعون ان المراد برب
العالمين قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر وهذا نهاية
جهله او من شدة خجله اراد التلبيس على الحاضرين والا فالسحرة المتفرقون في النواحي
متى تمكنوا من رؤية موسى والمجالسة فضلا عن التعلم الهمزة الثالثة مقلوبة الفا كالكل
القراء والثانية مخففة لحفص وكلكا وابو بكر مسهلة للباقين على اصولهم فلسوف
تعلمون وخامة فعالك ووعيد لهم لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف على التعاكس
اليمين مع الشمال والعكس من اليد والرجل ولاصلبنكم اجمعين لتكونوا عبرة للناس
قالوا لا ضير لا ضرر علينا في القطع والقتل والصلب انا الى ربنا منقلبون بالموت
لا محالة فالقتل اهون اسبابه والاستشهاد اشرف احواله فما هددتنا به مرغوب لا
مرهوب ولانهم يتمكنوا من الموت بالانقلاب الى ربهم الكريم ولا نرى احسن منها
كناية انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين من زمرة فرعون او
من اهل المشهد فان المسارعة الى الايمان بالرسول بعد دلالة المعجزة من اقوى وسائل
العبد الى الله والتقدير بان كنا وقرئ بالكسر اما ههنا لانفسهم او بالنظر الى
العاقبة وعدم الثقة او على طريقة المدل بحاله والمتحكك الذي لا يظن به خلافه
كقوله تعالى ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي وذلك انه
طالت مدة دعوته واراهم الآيات ولم يؤثر فيهم امره الله تعالى بالخروج ببني اسرائيل
وقرأ نافع وابن كثير باسر بهمز الوصل من السرى وهما لغتان انكم متبعون يتبعكم فرعون
وجنوده علة للامر بالاسراء فارسل فرعون في المدائن حاشرين العساكر حين اخبر و
ان هؤلاء لشرذمة قليلون قال ذلك هذا الكلام واجمله الخ في تقليلهم بلفظ الشرذمة
وهي الطائفة القليلة ثم وصف الشرذمة بالقلة وجمع القلة الدال على القلة ايضا

وكان ستمائة وسبعين الفا لقلتهم الى ما له من الجنود والكثرة على ما روي عن ابن عباس انه خرج بالف
الف حصان سوى الاناث من الخيل وانهم لنا لغائظون يفعلون افعالا توجب غيظنا من
خروجهم بغير الاذن وتركهم طاعته واخذهم حلي القبط فانهم استعاروها لعيد لهم ثم ذهبوا
ولم يردوها وانا لجميع حاذرون شانهم مستعدون وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو
وابن عامر في رواية هشام حذرون على الصفة المشبهة او خائفون يحذرون والمعنيان
يلوحان المقام فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم منازلهم العالية ومحل
صار مثلا دور الفراعنة كذلك نصب على المصدر اي اخرجناهم مثل ذلك الاخراج او جر على
انه وصف مقام او رفع خبر مبتدا محذوف واورثناها بني اسرائيل ملكناهم مكانهم
لازما لا برد فاتبعوهم مشرقين ادركوهم داخلين في وقت شروق الشمس يقال اتبعت
فلانا اذا ادركته بعد ما سبق فلما تراءى الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون اي
تقارب كل منهما الاخر قالوا هذا الكلام لموسى خوفا قال كلا اي ارتدعوا عن هذا الكلام
ان معي ربي سيهدين طريق النجاة واذا قابلت قوله هذا بقوله صلى الله عليه وسلم لا تحزن
ان الله معنا ظهر لك الفرق بين مقاميهما فان قلت قد قرب اتبعوهم بادركوهم فما معنى
روع موسى عن القول بالادراك بعد وقوعه قلت المراد بالادراك رؤية بعضهم بعضا
وما نفاه موسى ان يلحقوهم بحيث يصل شرهم اليهم قيل ان مؤمنا من ال فرعون كان بين يدي
موسى عليه السلام فقال له الى اين امامك وقد غشيك فرعون بجنوده فماذا امرت قال بالبحر
امرت ولعلي اومر بما اصنع فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر بحر القلزم وقيل
المكان يسمى سويسا معروف عند اهل مصر لا يختلفون فيه وتفسيره بنيل مصر فاسد وكيف
يتاتى في نهر نيل ما اخبر الله تعالى عنه بقوله فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم
اي كالجبل العالي من طاد الشيء اذا ذهب في جانب السماء صعودا وفي حديث عائشة رضي
الله عنها تصف ابا بكر ذاك طود منيف والفاء في فانفلق فصيحة والانفلاق الانشقاق
والفرق الجزء من الشيء كالفلق لفظا ومعنى وازلفنا وقربنا ثم الاخرين فرعون
وجنوده حتى سلكوا مسالك بني اسرائيل في البحر او قربنا بعض ال فرعون بعضا حتى
لا ينجو منهم احد روي ان جبرائيل صلوات الله عليه كان بين بني اسرائيل وبين
ال فرعون يقول لبني اسرائيل ليلحق اخركم باولكم ويستقبل القبط يقول رويدكم حتى
يلحق اخركم واذا اراد الله امرا هيا اسبابه وانجينا موسى ومن معه اجمعين لا
يشذ منهم واحد ثم اغرقنا الاخرين فرعون وجنوده ان في ذلك لاية واية اية
وما كان اكثرهم مؤمنين فان القبط الذين كانوا بمصر بعد ما سمعوا ان فرعون
لم تزعجهم ذلك ولم يؤمنوا بموسى واما بنو اسرائيل فكما اخبر الله عنهم وجاوزنا
ببني اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها
كما لهم الهة وقولهم ارنا الله جهرة واتخاذهم العجل الها وان ربك لهو العزيز

العزيز الغالب على كل شيء المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه واتل عليهم نبا ابراهيم
قصته وحديثه مع قومه اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون سالهم ليعلمهم ان ما يعبدونه
لا يصلح للعبادة كما تقول للتاجر ما مالك فيقول الرقيق جمال الامثال قالوا نعبد اصناما
فنظل لها عاكفين كان حق الجواب اصناما وانما اطنبوا افتخارا وابتهاجا لم يرضوا
بتعفير الجباه للجماد حتى افتخروا به وانما اثر نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل
لعبادتهم كما يفعله الجهال لمرات او من اطلاق المقيد على المطلق قال هل يسمعونكم
اي دعاكم حذف لدلالة اذ تدعون عليه او ينفعونكم جزاء لعبادتكم او يضرون
من اعرض عن عبادتها قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون اعرضوا عن ظاهر الجواب
تحاشيا عن الاعتراف بعدم شيء من صفات الالوهية فيها قال افرايتم ما كنتم تعبدون
انتم واباؤكم الاقدمون اخبروني عن شان ما استمر على عبادته من تقدم من ابائكم
فان تقادم العهد لا يجعل الباطل حقا فانهم عدو لي اي عدو لكم اضاف عداوتها
الى نفسه تصوير المسالة في نفسه مبالغة في اظهار النصح ولانه لا يرضى لهم الا ما رضي
لنفسه ولانه من باب التعريض والتعريض اكثر جدوى من التصريح وادعى الى القبول
حتى ان رجلا واجه الشافعي رحمه الله بمكروه فقال لو كنت بمكانك لاحتجت الى التاديب
ورئي علي بن سيد وكان من المجاورين بمكة ناسا يتحدثون في الحجر فقال هذا ليس بيتي و
لا بيتكم ومعنى العداوة ما اشار اليه بقوله سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم
ضدا او لاطلاقه على الجمع كالصديق والظهير الا رب العالمين استثناء متصل
لانهم كانوا يشركون ويزعمون انها شفعاء اذ لا يقول احد بانه الجماد صانع العالم الذي
خلقني فهو يهدين الذي عقيب خلق هدايته المتصلة ابدا وهاديه اذ كان جنينا
الى امتصاص دم الحيض وانتهاؤها سلوك طريق الجنة والفوز برضوان الله ولذلك
اثر الاسمية مع كون الخبر مضارعا والذي هو يطعمني ويسقين اي يمكنني من الطعام و
الشراب بان خلق في الشهوة والقوى والارادة والعقل الهادي الى اشار النافع واذا
مرضت فهو يشفين من مرضي وقد اثار اذا على كلما اشارة الى ان مرض الموت محتوم ولا اشفا
منه وغير الاسلوب حيث لم يقل واذا امرضني لانه بصدد عد النعم فلم يلائم اسناد
الامراض اليه وقيل لان كثيرا من الامراض انما تحدث من تخليط الانسان في المطاعم و
المشارب قال شعر فان الداء اكثر ما تراه يكون من الطعام او الشراب فهو من رواد انهم
والوجه هو الاول والذي يميتني عد في النعم لانه وسيلة لقاء الله تعالى ثم يحيين
يوم القيمة والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين قال تواضعا وهضما للنفس وكقوله
اني الى ثلث كذبات ولم يكذب قط بل كانت معاريض او هي ترك الاولى والافضل فان
حسنات الابرار سيئات المقربين فان قلت لم اتى بضمير الفصل في الافعال الثلثة الاول
ولم يات به في الاخرين حيث لم يقل يميتني ثم هو يحيين واطمع ان يغفر لي خطيئتي قلت

لان الاسباب الظاهرية لها دخل في تلك الافعال فدفع بضمير الفصل كون تلك الاسباب
اسبابا مؤثرة بخلاف الاحياء بعد الموت ومغفرة الخطيئة يوم الدين اذ لا يتصور هناك
سوى قدرته وارادته تعالى رب هب لي حكما علما احكم به بين الناس او مواعظ وامثالا لا انفع
بها الناس وفي الحديث الصمت حكم وقليل فاعله ومنه الخلافة في قريش والحكم في الانصار
يريد العلم والفقه فان اكثر فقهاء الصحابة منهم والحقني بالصالحين اي وفقني لعمل
انتظم به معهم او احشرني في زمرتهم ولقد اجابه الله تعالى فقال فانه في الآخرة لمن
الصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين اي ذكرا حسنا وثناء جميلا وقد اجيب
الى ذلك لا ترى احدا من اهل الملل الا وهو ينتسب اليه فان قلت ما نفعه في هذا ولم يطلب
وهل هذا الا طلب الشهرة والاتقياء متنزهون عن ذلك فضلا عن جلة الانبياء قلت
انما سأل ذلك ليقتدي بسيرته الشاسعون الى آخر الدهر فانه اذا اثني عليه بمحاسن
اخلاقه وكريم صفاته كان ذلك باعثا للسامعين على طلب اكتساب امثالها وقيل اراد
من يدعو الى دينه صادقا في اقواله وهو رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم واجعلني
من ورثة جنة النعيم داخلا في زمرتهم واغفر لابي انه كان من الضالين طريق الحق
دعاء له لانه كان وعده ان يستغفر له بقوله لاستغفرن لك قال تعالى وما كان استغفار
ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه والقول بان هذا الدعاء ان كان بعد موته
فلعل ابراهيم كان يظن ان اباه مؤمن وانما يخفي ايمانه تقية من نمرود بعيد عن
الصواب دل عليه مناظرته كما تقدم في سورة مريم ولو كان كذلك لحكي كما حكي سائر
احوال الله ولا تخزني يوم يبعثون من الخزي وهو الهوان والذل او من الخزاية وهو الخجل
والحياء وقد روى البخاري ان ابراهيم يرى اباه في النار فيقول يا رب انك وعدتني
ان لا تخزني واي خزي اعظم من ان يكون ابي في النار فيقول الله يا ابراهيم اني حرمت
الجنة على الكافرين ثم ينظر اليه فيراه في صورة ضبع قد تلطخ فيعرض عنه يوم لا ينفع
مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم خالص عن الشرك وسائر الرذائل والمعنى
لا ينفعان الا من قلبه بهذه الصفة او لا ينفعان الا من هذا شأنه حيث انفق ماله
في مرضات الله وارشد بنيه الى طريق الحق وقيل الاستثناء من الكلام بحسب المعنى
كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من قلبه بهذه الصفة كما ورد في الحديث انما الغنى غنى
القلب او الاستثناء منقطع اي لكن من اتى الله بقلب سليم تنفعه سلامة قلبه ولا حاجة
الى تقدير المضاف فقيل من لازم وصف القلب بالسلامة يغني عنه وعن الجنيد شيخ الطائفة
ان السليم هو اللديغ بالحب فلا قرار له وعن القشيري هو السالم عن ذكر غير الله تعالى وازلفت
الجنة للمتقين في ذلك اليوم وهم بعد في عرصة القيامة فيجاوا السرور اليهم وبرزت
الجحيم للغاوين جعلت مكشوفة لهم يرونها والتخصيص بالغاوين لان المؤمنين لا يرونها
لان نفس رؤيتها مما يكدر ويسوء ولم يصفها بالقرب كما وصف الجنة لان فيها ما يؤذي

يؤذي اهل المحشر من المؤمنين لما في الحديث من ان ريحها ونتنها ليسري مسيرة مائة عام وقيل اشارة
الى غلبة رحمته وسبقها غضبه وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله فان هذا
وقت نفع العبادة سؤال توبيخ هل ينصرونكم بدفع العذاب عنكم او ينتصرون
بدفعه عن انفسهم استفهام انكار تقريع لهم فكبكبوا فيها هم والغاوون اي الآلهة
ومن عبدها والكب القاء الشيء على وجهه معكوسا والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير
في اللفظ دليلا على تكرير المعنى وتكثيره فاذا القي فيها الكبة بعد اخرى هكذا الى
ان يصل الى قعرها فان طبقتها السفلى للمشركين وجنود ابليس اجمعون من اتبعه من الانس
والجن لقوله لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم قالوا وهم فيها يختصمون تالله
ان كنا لفي ضلال مبين واضح بعبادة غير الله والضمير في يختصمون للعبدة اي يخاصم الاتباع
الرؤساء لقوله واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا
او لهم ولمن عبدوه من الاصنام لقوله اذ نسويكم برب العالمين فان الخطاب لها وما
اضلنا الا المجرمون الكاملون في الاجرام وهم الرؤساء الذين دعوهم فما لنا من
شافعين كما للمؤمنين يشفع لهم الانبياء والملائكة والعلماء والاتقياء والاصدقاء
ولا صديق حميم رؤوف مشفق من الاحتمام وهو الاهتمام لفظا ومعنى او لانه
ابلغ منه او من الحامة وهي خاصة الانسان وفي الحديث انه قال صلى الله عليه وسلم اللهم
هؤلاء اهل بيتي وحامتي اذهب عنهم الرجس وانما جمع الشفيع دون الصديق لكثرة
الشفعاء وقلة الصديق قال الشاعر صاد الصديق وكاف الكيمياء معا لا يوجدان فدع
عن نفسك الطمعا او لانه يطلق على الجمع كالواحد مثل العدو والظهير فلو ان
لنا كرة رجعة الى الدنيا لو في مثله للتمني لان في كل واحد منهما تقدير غير الواقع وفرضا
فلذلك يصح التجوز فنكون من المؤمنين جواب التمني ان في ذلك لآية اي فيما ذكر
من مقالة ابراهيم فان العاقل يتعظ بها ويستبصر وما كان اكثرهم مؤمنين لعدم
التدبر وان ربك لهو العزيز الغالب الرحيم بارسال الرسل كذبت قوم نوح المرسلين
القوم من اسماء الجموع يطلق على الرجال خاصة ففيه تغليب وتأنيث الفعل باعتبار
معنى الجماعة ويقال في تصغيره قويم بالتذكير والمراد بالرسل نوح كقولهم فلان
يركب الخيل او هو وسائر من معه من المؤمنين او لان من كذب رسولا فقد كذب الجميع
لاتحاد دعوتهم واشتراك برهانهم اذ قال لهم اخوهم سماه اخا لاتصال نسبه بهم
كقول العرب يا اخا بني فلان لواحد منهم الا تتقون الشرك وعبادة الاوثان اني
لكم رسول امين كان مشهورا بينهم بالامانة فاتقوا الله واطيعون في التوحيد
وما اسألكم عليه على اداء الرسالة من اجر جعل اتم ان اجري الا على رب العالمين
فاتقوا الله واطيعون كرره للتوكيد والتقرير في نفوسهم كما هو شأن الناصح الشفوق
وفي الحديث كان رسول الله اذا تكلم بكلام اعاده ثلثا ولانه علق الاول بكونه امينا

والثاني بحسب طبعه قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون اي الفقراء الذين لا مال لهم
ولا جاه وهذا كما قال المشركون لرسول الله يا محمد ما نرى معك الا الاعبد والرعاة
قال وما علمي بما كانوا يعملون واي علم لي بما كانوا يعملون لأجله فهم من كلامهم انهم
يطعنون في ايمانهم بانهم اسوا الغرض دهنوي فاجاب بانه انما يطلب الايمان بناء على
الظاهر ان حسابهم الا على ربي فهو المطلع على الظاهر ويجوز ان يكون حمل الرذالة
في قولهم على الرذالة في الدين وان لم يقصدوها اشارة الى ان الرذالة المعتد بها
رذالة الدين لو تشعرون لعلمتم ذلك وما انا بطارد المؤمنين دفع لما اوهم كلامهم
وايثار المظهر موضع المضمر ايماء الى ان وصف الايمان ينافي الطرد ان انا الا نذير
مبين ما علي الا انذركم ولم تؤمنوا او ما علي ان كان ايمانهم لغرض قالوا لئن لم تنته
يا نوح لتكونن من المرجومين بالحجارة او الشتم وهذا دأب الجاهل المحجوج قال رب
ان قومي كذبون فيما ارسلتني به لم يدع الله لما اصابه من اذاهم بل لتكذيبهم فافتح
بيني وبينهم فتحا احكم بيننا باظهار الحق واذهاب الباطل من الفتاحة وهي الحكومة
لان الحاكم يفتح المشكل في الدين وما استغلق على الناس ونجني ومن معي من المؤمنين
من اذاهم او من العذاب الذي يرسله عليهم فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون
المملو من الناس وسائر الحيوانات التي حملها نوح معه ثم اغرقنا بعد بعد انجائه
الباقين وهم الكفار ان في ذلك لآية اي آية شاعت وتواترت ولا قصة اشهر
من طوفان نوح وما كان اكثرهم مؤمنين بل اغلبهم وهم مما نون نفسا وان ربك
لهو العزيز الغالب الذي لا يغالب الرحيم بعباده حيث لا يعاجل بالعقوبة كذبت عاد
المرسلين انثه باعتبار القبيلة وهو في الاصل اسم رجل اذ قال لهم اخوهم هود الا
تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان
اجري الا على رب العالمين أتبنون بكل ريع آية علامة والريع المكان المرتفع و
من عمارة هو الجبل اسم جنس واحده ريعة والجمع رياع وهو الطريق ايضا ومنه قول المسيب
بن علس ريع يلوح كانه سحل تعبثون عابثين بالمارة لا غرض لكم سواء وقيل تسمون
ابراج الحمام وقيل كانوا عارفين بعلم النجوم يهتدون بها في اسفارهم وكانوا يبنون تلك
الاعلام الطوال عبثا وتتخذون مصانع المباني والقصور العالية وقيل مواضع الماء
الحاصل من المطر جمع مصنعة لعلكم تخلدون ترجون الخلود في الدنيا او حالكم يشبه حال
من يخلد واذا بطشتم اخذتم بالعنف بطشتم جبارين قاسين على الغضب والجبار من
يقتل اذا غضب فاتقوا الله واطيعون فيما ادعوكم اليه من الايمان وترك القبائح و
اتقوا الذي امدكم بما تعلمون امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون بالغ في التبليغ
انكر عليهم عدم تقويهم بحسب الفطرة ومقتضى العقل ثم ذكر انه رسول الله صادق امين
فامرهم بالتقوى صريحا وبين ان فعله ليس لغرض يتعلق بالدنيا ثم ذكر لهم ما هم فيه من القبائح

من القبائح وامرهم ثانيا بتقوى الله وطاعته ثم امرهم بالتقوى ثالثا وعلقه بالموصول
الدال صلته على من يطلب منهم تقواه ممدا لهم بنعما سوالفه علمهم محيط بها لا يجهلون شيئا
منها ثم فصل ذلك المجمل مبالغة في الوعظ والنصح ثم اشار بقوله اني اخاف عليكم
عذاب يوم عظيم الى انهم ان لم يمتثلوا ما امرهم به يلحقهم عذاب لا يوصف ولما كانوا
من طبع على قلوبهم قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين فان وعظك
وعدمه عندنا سيان غير الاسلوب في النفي لانه ابلغ في قلة اعتدادهم بوعظه ان
هذا الا خلق الاولين اي ما هذا الذي جئتنا به من الاكاذيب الا عادة امثالك
من الماضين او ما هذا الذي نحن عليه من الدين والموت الا عادة السالفين وآبائنا
الاولين وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي بفتح الخاء وسكون اللام اي ما هذا الذي
جئتنا به الا كذب اختلقه الاولون من اطرابك وما خلقنا الا كخلق الاولين
اخر الموت ولا بعث وما نحن بمعذبين في الدنيا او في الآخرة فكذبوه فاهلكناهم
بسبب تكذيبهم ان في ذلك لآية واية آية بين كيفية هلاكهم في موضع آخر وما كان
اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم
صالح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه
على اداء الرسالة من اجر ان اجري الا على رب العالمين أتتركون فيما هاهنا آمنين
انكار لبقائهم على ذلك الحال وتذكير للنعمة قبل فوت اوان الشكر عليها في جنات وعيون
وزروع تفصيل بعد الاجمال كما في قصة هود ونخل طلعها هضيم افرد النخل لمزيد
فضله او اراد وصف طلعه وهو ما يطلع منه على مثال نصل السيف ثم يشق فيخرج منه
ثمرته وهو الجمار الذي جاء به في الحديث ان رسول الله اتي بجمار والهضيم من الهضم هو
الكسر كأنه منكسر من تراكمه وهو من احسن الفواكه عند العرب وعن ابن عباس هضيم
نافع كأنه قيل ونخل قد ارطب ثمره وطاب وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين حاذقين
من الفراهة وهي الحذق او اشرين بطرين وقرئ ابن كثير ونافع وابو عمرو فرهين على
الصفة المشبهة والمد ابلغ لدلالته على تجدد الاشر والبطر ساعة فساعة فاتقوا الله
واطيعون كرره للتاكيد ولا تطيعوا امر المسرفين اوقع الاطاعة على الامر وهي لله مرسلا
بينهما من التلبس او استعيرت الاطاعة للامتثال لما بينهما من الشبه الذين يفسدون
في الارض مستمرون على الافساد ولا يصلحون ولا يوجد منهم اصلاح قط كسائر المفسدين
يخلطون بالافساد اصلاحا قالوا انما انت من المسحرين الذين سحروا كثيرا حتى غلب
عقلهم ما انت الا بشر مثلنا اي نزلنا عن كونك مسحورا الست بشرا مثلنا الى الك رتبة
الرسالة فأت بآية ان كنت من الصادقين في دعواك قال هذه ناقة اختصر القصص
لان الغرض تسلية رسول الله وهو قد احاط بها علما في مواضع آخر فاكتفى بطرفها لها شرب
نصيب من الماء كالقيت من القوت والسقي من السقي ولكم شرب يوم معلوم فلا تتجاوزوه

ولا تمسوها بسوء فضلا عن القتل والضرب فيأخذكم عذاب يوم عظيم عظم اليوم لعظم
العذاب الواقع فيه على طريق المجاز الحكمي حتى كان شدة العذاب سرت الى الوقت فعقروها
اسند العقر اليهم والعاقر واحد وهو قدار لرضى الكل به روي انه لم يعقرها حتى دار
على المعصرات المخدرات فرضيت كلهن بذلك فاصبحوا نادمين على فعلهم خوفا من العذاب لا تقيدا
لقول صالح والا لنجوا كما نجا قوم يونس او ندموا بعد فوات الوقت وهو ايمان البأس
فأخذهم العذاب صيحة جبرائيل ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم قيل انما لم يصب قريشا ما اصاب تلك الامم ببركة من آمن منهم استدلالا
بقوله وما كان اكثرهم مؤمنين وفيه ان رسول حين خرج من بينهم لم يجئ آمن قريش الاقليل
بل انما لم يصبهم ما اصاب اولئك لعدم اتيانه بآياتهم المقترحة كذبت قوم لوط المرسلين
اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما
اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين الجار
والمجرور حال من الذكران والمراد بالعالمين الناس لان المأتي الذكر منهم خاصة فالجمع بالواو
والنون على اصله وخروج الملك والجن بقرينة العقل او متعلق بتأتون فالمراد كل من يتأتى
منه الاتيان من سائر الحيوانات والجمع بالواو والنون للتغليب وخروج غير الانسان بتلك
القرينة وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم من اما بيان ما واريد به جنس الاناث
او تبعيض ويراد بما خلق المحل المباح منهم وفيه اشارة الى انهم كانوا يأتون من نسائهم في
غير موضع الحرث بل انتم قوم عادون متجاوزون الحد في انواع المعاصي وهذه الجريمة
من ذلك او انتم احقاء بان توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه العظيمة وهذا الوجه لدلالته
على ان هذه الجريمة كل العظائم ولذلك لم يلاحظ متعلق العدوان قالوا لئن لم تنته يا لوط
عن مقالتك لتكونن من المخرجين من بيننا هددوه بالاخراج لان مفارقة الوطن من اشد
العذاب قال اني لعملكم من القالين من المبغضين اشد البغض فلا ابالي بالخروج
من بينكم وهذا ابلغ من ان يقول اني لعملكم قال لدلالته على انه داخل في زمرتهم معدود
من جملتهم رب نجني واهلي مما يعملون من شؤم عملهم فنجيناه واهله اجمعين حكما
بنجاتهم الا عجوزا في الغابرين الباقين في العذاب وهي امرأته مستثناة من الاهل
لشموله اياها ثم دمرنا الآخرين اهلكناهم وامطرنا عليهم مطرا هو الحجارة لقوله
وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فان قلت اهلاكهم كان بقلب القرية عليهم كما تقدم من قوله
فجعلنا عاليها سافلها فما فائدة الامطار عليهم قلت اظهار القهر وشدة الغضب كما اهلك
عاد بالريح مع الصيحة وعن قتادة امطر الله الحجارة على شذاذ القوم والاباق في الامطار
على الحاضرين لقوله وامطرنا عليها حجارة فان الضمير للقرية فساء مطر المنذرين مطرهم
فالمخصوص محذوف واللام في المنذرين للجنس ليصح وقوع ما اضيف اليه فاعل ساء ان
في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين بل اقلهم وهم الذين مع لوط وان ربك لهو العزيز

الرحيم كذب اصحاب الأيكة المرسلين الايكة الغيضة التي فيها ناعم الشجر الملتف وقرأ
نافع وابن كثير وابن عامر ليكة على وزن ليلة وهما لغتان كمكة وبكة كذا عن ابن عباس
والخليل ومن قال ان ليكة اسم لا يعرف انما تشهد على النحو قال ابو عبيدة رسمت هنا وفي
سورة ص ليكة في الامام وفي الحجر وق الايكة وهم طائفة من اهل مدين ضاقت
بهم البلد فخرج بها ارباب الاموال والمكنة الى ايكة هناك وسوابين تلك الاشجار
وما قيل ان شعيبا ارسل الى اهل مدين وهم قومه والى اهل الايكة ولم يكونوا
قومه ولذلك قال اذ قال لهم شعيب الا تتقون ولم يقل اخوهم فقد وهم كيف
وفي الحديث انما كان يبعث النبي الى قومه وبعثت الى الاحمر والاسود فان قلت
فلم لم يذكره باسم الاخ كما في سائر قصص الانبياء قلت كثر في هذه السورة ذكر الاخ
وكانت قصة شعيب آخر القصص فحذف لذلك وليكون فيه اشارة الى ان القصص
قد تمت وقد رمز الى ذلك بحذف الثناء في كذبا ايضا وهذا من غوامض اسرار القرآن
واختصارا لانه اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من
اجر ان اجري الا على رب العالمين اوفوا الكيل اذا كلتم للناس اتموه ولا تكونوا
من المخسرين حقوقهم بالتطفيف تصريح بما علم ضمنا ولم يذكر الزيادة لانها غير واجبة
ولا محرمة بل من الجميل فان فعلها فيها والا فلا عيب وزنوا بالقسطاس المستقيم الميزان
السوي عن الحسن هو القبان والقسطاس ان كان روميا كما قيل فالوزن فعلال
والا فمن القسط وهو العدل فالسين وهو زائدة والوزن فعلاس وليس من
التضعيف والا لكان وزنه فعلاع وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف
ولا تبخسوا الناس اشياءهم لا تنقصوها من بخست الشيء نقصته وهو عام في كل
حق يهضم غصبا وسرقة وغيرهما ولا تعثوا في الارض لا تفسدوا فيها بالقتل
والغارة وقطع الطريق مفسدين حال مؤكدة واتقوا الله الذي خلقكم والجبلة
الاولين الخليقة الاولين مصدر بمعنى المفعول من جبله الله خلقه ذكره توكيدا
لاستحقاقه للتقوى لانه خالق الاولين الذين هم اصولهم واباؤهم وستموت هؤلاء
كما مات اولئك قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا ادخل الواو
بين الوصفين للدلالة على منافاة كل منهما الرسالة استقلالا لا بحالة وقصة ثمود
مع صالح فتكذيب قوم شعيب ابلغ واقوى منه ولذلك وان نظنك لمن الكاذبين
في دعواك فاسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين هذا غاية انكار
منهم كما قالت كفار قريش ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء
وقرأ حفص كسفا بالتحريك والباقون بالاسكان وكلاهما جمع كسفة وهي القطعة
قال ربي اعلم بما تعملون فيجازيكم عليه ووقوع ذلك باسقاط الكسف او غيره فكذبوه
فأخذهم عذاب يوم الظلة قيل اخذهم بالحر الشديد ومنع منهم الهواء البارد حتى

قلقوا وخرجوا الى الفضا فاظلتهم سحابة فوجدوا البرد والروح منها فامطرت عليهم
نارا او كان ذلك اشد لمجئ العذاب من مظنة الرحمة كما فعل في قوم هود فلما رأوه عارضا
مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم
انه كان عذاب يوم عظيم وصف اليوم بالعظم لعظم الواقع فيه على طريقة المجاز ان
في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كرر في اوائل
القصص واواخرها ما كرر لانها تنبئ على الصم البكم الذين لا يعقلون فالاجدر التكثير
والتكرير بالوعظ والتذكير ازاحة للاعذار واشاعة للابلاغ والانذار وانه
لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك خص القلب لانه دعا العلوم
ومدرك المعقولات نزل الروح الامين جبرائيل لانه واسطة بين الله وبين الرسول في
تبليغ الاحكام وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وحفص نزل مخففا والباقون ونزل
مشددا اسند الى ضمير الله والروح الامين منصوبا لتكون من المنذرين داخلا
في زمرتهم بلسان عربي مبين واضح المعنى لئلا يقولوا لولا فصلت اياته أاعجمي وعربي
متعلق بنزل وقيل يجوز تعلقه بالمنذرين بناء على ما قيل ان هودا او صالحا وشعيبا
واسمعيل من العرب وهذا الوفرض صحته معنى بكيلا وانه اي القرآن لفي زبر
الاولين اي ذكره او معناه وقد يستدل به لابي حنيفة ان القرآن هو المعنى دون النظم
ولذلك جوز القراءة بالفارسية والتحقيق ان المنزل هو النظم المنزل للاعجاز ولذلك
صح رجوع الامام الى القول الجمهور اولم يكن لهم آية ان يعلمه اي القرآن علمؤا بني اسرائل
بنعته في كتبهم وكانت كفار قريش يسألون اهل الكتاب عن احوال رسول الله والمراد
عبد الله بن سلام واضرابه ممن آمن لا ممن حرف الكلم من بعد مواضعه وقرأ ابن عامر تكن
مؤنثا ورفع آية على ان كان تامة وآية فاعلها وان يعلمه بدل من الفاعل او خبر
مقدر او التقدير بان يعلمه اولان او ناقصة واسمها ضمير القصة وآية ان يعلمه
اسمية مقدمة الخبر خبرها والخبر لها آية وان يعلمه على الوجوه الثلثة او هو من قبيل
قرائها عسل وماء وفيه ضعف والاولى التذكير والنصب لعدم الاضمار والتقدير
ولو نزلناه على بعض الاعجمين اي القرآن كما هو او بلغة العجم والعجمي لغة الالكنه ولما
كان من يتكلم بغير لسان العرب لا يفقهون كلامه سموه اعجم والاعجمين جمع اعجمي بتخفيف
الياء لا اعجم لان افعل فعلاء لا يجمع بالواو والنون كذا نقل عن الزجاج والحق ان اللفظ
مفعول فلا مانع فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين لعدم فهمهم او لفرط عنادهم واستنكافهم
كذلك سلكناه في قلوب المجرمين ادخلناه اي الكفر والتكذيب دل عليه ما كانوا به مؤمنين
او القرآن عرفوه باعجازه وانكروه بوتين قوله لا يؤمنون به اي بالقرآن حتى يروا العذاب
الاليم حين لا ينفع الايمان فان قلت لم آثر في سورة الحجر نسلكه بلفظ المضارع قلت لانه
فرعه على قوله ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون الدال على استمرار الامم المكذبة

المكذبة على الاستهزاء والكلام هنا في كفار قريش المختوم على قلوبهم فيأتيهم بغتة في الدنيا او
في الآخرة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون تأسفا على مقدار طرفة عين لم
فيه اليوم والفاء للترتيب الرتبي فان مفاجاة العذاب اشد من رؤيته افبعذابنا
يستعجلون رد لقولهم امطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم الهمزة للانكار
والفاء لترتبه على الكلام السابق والمعنى استعجل بمثل هذا العذاب عاقل ويقال لهم
يوم القيمة توبيخا لهم حكى لنا اللطف والمضارع على هذا بمعنى الماضي او للاستحضار
تلك الصورة او يعتذر كانوا ثم قال افرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون
ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون مرتبا على الاستهزاء والاستعجال تعجيبا من حالهم و
هذا كما يقول لمن اغتر بكثرة العشائر والاموال هب انك بلغت فوق ما تامل اليس بعده
الموت والخطاب عام اشارة الى ان هذه القصة من حقها ان يخبر بها كل احد ليتعجب
منها كل سامع وعلى الاول متعلق بقوله هل نحن منظرون وقوله افبعذابنا يستعجلون
معترض للتبكيت وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون من الانبياء والرسل ذكرى
نصب على المصدر بمعنى تذكرة لان ذكر وانذر متقاربان او مفعول له اي لاجل الموعظة
او حال من ضمير منذرون اي ذوي تذكرة او رفع خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذه
ذكرى والجملة اعتراضية او صفة لمنذرون او بتقدير مضاف اي ذوا ذكرى
او جعلوا نفس الذكرى لامعانهم في التذكير وامعانهم فيه او متعلق بمقدر والمعنى
ما اهلكنا من قرية الا بعد الزام الحجة ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لمن يفعل مثل فعلهم
وهذا اليق بالمقام لدلالته على وعيد المستهزئين وانهم احقاء بان يجعلوا عبرة لمن بعدهم
وما كنا ظالمين بان نهلك قبل الانذار وعلى هذا المتعارف اذ لا يتصور الظلم من
المالك الموجد تعالى وما تنزلت به الشياطين كما زعم الكفار انه من القاء الشياطين
الى الكهان وما ينبغي لهم لسفاهتهم وما يستطيعون وما يقدرون على ذلك
انهم عن السمع لمعزولون كانوا يسترقون السمع الى الملئكة ويأخذون منهم الاخبار
ويلقونها الى الكهنة فلما بعث رسول الله حجبوا ورجموا وهذا ما قالوا وانا كنا نقعد
منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا فلا تدع مع الله الها آخر فتكون
من المعذبين الخطاب له والمراد غيره فان شان الملوك خطاب الخواص بما لا يتصور
وقوعه منهم مبالغة في زجر العامة او هو من باب الالهاب لازدياد الاخلاص وانذر
عشيرتك الاقربين الاقرب فالاقرب ليكون بتبليغه بعد ذلك في الابعد انجع
ولان عشيرته ربما اصمد واعلى قرابته فقطع دابر شبهتهم روى البخاري عن ابن عباس
انها لما نزلت صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني
عبد مناف لبطون من قريش وكان الرجل اذا لم يستطع ان يخرج ارسل رسولا لينظر ما هو
فجاء ابو لهب وقريش فقال رسول الله ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد ان تغير

عليكم اكنتم مصدقي قالوا نعم ماجربنا عليك الا صدقا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب
شديد فقال ابو لهب تبا لك سائر اليوم الهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا ابي لهب
ما اغنى عنه ماله وما كسب واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين خفض الجناح مثل
في التواضع ولين الجانب فان الطائر عند الانحطاط يكسر جناحه من بيانية لان من اتبع
اعم من المؤمنين ومن اتبع لغرض آخر او تبعيضية والمراد بالمؤمنين المشارفون والمصدقون
باللسان دون القلب فان عصوك عشيرتك والمؤمنون فقل اني بريء مما تعملون من عملكم
لم يقل منكم اشارة الى ان المجانبة عارضة بخلاف قول ابليس اني بريء منكم لان المباينة
ذاتية والعداوة صلبية وتوكل على العزيز الرحيم فوض امرك الى من هو غالب لا يغالب
يقهر اعدائك وينصرك واولياءك وقرأ نافع وابن عامر بالفاء عطفا على جزاء الشرط
او على قوله فلا تدع او بدل من جواب الشرط والواو اظهر وعليه الرسم العراقي والمكي
وعلى الفاء المدني والشامي الذي يراك حين تقوم للتهجد وتقلبك في الساجدين
لما نسخ قيام الليل طاف تلك الليلة على بيوت اصحابه لينظر ما ذا يصنعون حرصا على طاعتهم
فوجدها كبيوت الزنابير لما بين نائم ومصل وذاكر وقيل اراد قيامه وقعوده ويجوز
اذا امهم في الصلوة روي ان قتادة سال ابا حنيفة رحمه الله هل تجد في القرآن ذكر الصلوة
جماعة فقال لم يحضرني فقرأ عليه قتادة هذه الآية وقيل اراد انتقال نوره في اصلاب
الانبياء وبطون الامهات الطاهرة وعلى الوجوه علة لاستحقاقه قهر اعدائه ونصر اوليائه
انه هو السميع لاقوالك العليم بنيتك واخلاصك هل انبئكم على من تنزل الشياطين
تنزل على كل افاك اثيم كثير الكذب والعصيان كالكهنة والمتنبئة مثل شق وسطيح و
طليحة ومسيلمة ومحمد نبي معصوم لا مناسبة بينه وبين الشياطين يلقون السمع و
اكثرهم كاذبون اي يستمع الشياطين الى الملائكة كما ورد ويخطفون كلمة فيقرها في اذان وليه
كما يقر الدجاجة فيخلط وليه فيها اكثر من مائة كذبة او يلقون السمع المسموع الى اوليائهم
او الطمار لكل افاك اي يستمعون الى الشياطين فيتلقون وحيهم او يلقون ما يسمعون
منهم الى الناس والضمير في اكثرهم ان كان للشياطين فقيد الاكثرية لاخراج من يصدق
في الكلمة المخطوفة وان كان للافاكين فلانه لا يلزم ان يكون كاذبا في كل ما يتكلم به
فالاكثر به باعتبار اقوالهم وقيل اريد بالاكثر الكل ومحل يلقون اما نصب على الحال
او جر صفة افاك او استيناف كانه قيل لم تنزل الشياطين على كل افاك فقيل يفعلون
كيت وكيت والشعراء يتبعهم الغاوون ما يتبعهم الا الضالون واتباع محمد [illegible]
فكيف يكون شاعرا كما تزعمون الم تر انهم في كل واد يهيمون في كل نوع من الكلام مدحا
او ذما او نسبيا او غزلا يقولون مخترعات باطلة واكاذيب صريحة فذكر الوادي و
الهيام تمثيل وانهم يقولون ما لا يفعلون سمع سليمان بن عبد الملك قول الفرزدق وبتن
بجانبي مصرعات وبت افض اغلاق الختام قال يا فرزدق وجب عليك الحد فقال

يا امير المؤمنين قد درأ الله عني بقوله انهم يقولون ما لا يفعلون الا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا استثناء للشعراء المؤمنين كحسان وعبد الله
بن رواحة وكعب بن مالك الانصاري وكعب بن زهير المهاجري وفي وصفهم بذكر
الله كثيرا اشارة الى انهم وان وقع منهم في اشعارهم شيء من العلق على ما هو دأب الشعراء
غير مواخذ به لكونه مغمورا بذكر الله وانتصروا من بعد ما ظلموا كما فعل شعراء الصحابة
حين هجا كفار قريش رسول الله فقابلوهم بالهجاء ومدح رسول الله بما هو اهله روى
البخاري ومسلم والترمذي عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله تعالى يؤيد حسان بروح القدس ما نافح عن رسوله وسيعلم الذين ظلموا اي
منقلب ينقلبون وعيد شديد لما في سيعلم وهو تهديد واطلاق الظلم ليتناول كل
ظالم ويدخل فيه من كذب بالقرآن واعرض عنه وهو الذي صدر به السورة فانتظم
الفاتحة مع الخاتمة وتخايبهام اي منقلب من التهويل لا يخفى ولما ايس الصديق من الحياة
استكتب عثمان بن عفان كتاب العهد هذا ما عهد ابن ابي قحافة الى المؤمنين في الحال
التي يؤمن فيها الكافر ان استخلف عليكم عمر بن الخطاب فان عدل فذلك ظني به وان
لم يعدل فسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون تمت السورة والحمد لله على الاتمام سورة
النمل مكية وهي ثلث واربع وتسعون آية بسم الله الرحمن الرحيم طس اسم السورة او حروف
مقطعة عددت بقاطا وامال الطاء حمزة والكسائي وابو بكر تلك آيات القرآن وكتاب
مبين تلك اشارة الى السورة والكتاب المبين اما اللوح وابانته كونه مبينا للناس
ما خط فيه واما السورة او القرآن وابانتهما اظهار ما اودع فيهما من الحكم والاحكام
او كون اعجازهما بينا مكشوفا وفيه احتمال لان آخر ذكرت في اول الحجر والعطف لان يريد
به القرآن باعتبار الصفات والتنكير للتفخيم وتقديم القرآن هنا وتأخيره في سورة
الحجر فيما يشير الى وجهه هناك هدى وبشرى للمؤمنين حالان من الآيات اي هادية و
مبشرة والعامل معنى الاشارة او رفعا على خبر محذوف او البدلية او الخبرية بعد
الخبر الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة اي الذين يعملون الصالحات كلها اكتفاء بما
الاعمال البدنية والمالية وهم بالآخرة هم يوقنون اعتراض وتاكيد او وصفوا
به الايقان بالآخرة يستلزم الخوف المستلزم لتحمل مشاق التكليف ولذلك كرر فيها
الضمير كانه قيل بالآخرة يوقنون لا بغيرها وهم الموقنون لا غيرهم او هو من تتمة الصلة
وتغير النظم للدلالة على كمال تقينهم والواو عاطفة لا حالية ان الذين لا يؤمنون
بالآخرة زينا لهم اعمالهم اتبع ما للمؤمنين من البشرى ما للكفار من سوء العذاب
وتزيينها بجعلها مشتهاة لهم وقوله زين لهم الشيطان اعمالهم مجاز باعتبار الوسوسة
فهم يعمهون حائرون بعد ذلك لا يدركون ما فيها من الضرر والنفع اولئك الذين لهم
سوء العذاب في الدنيا بالقتل والاسر وضرب الجزية وهم في الآخرة هم الاخسرون

لانهم خسروا جوار الله في دار النعيم وفوزهم مع الشياطين في النار وانك لتلقى القرآن
من لدن حكيم عليم لتعطاه من تلقيت الشيء اخذته وذكر العليم بعد الحكيم وتخصيص
اشارة الى اشتمال القرآن على البراهين والخطابيات والتنكير للتعظيم كأنه قيل اي حكيم
واي عليم اذ قال موسى لاهله اني آنست نصب باذكر او متعلق بعليم كانه قال ما اعلمه
اذ فعل موسى ما فعل وما يتوهم من تقييد العلم بالوقت مندفع لانه مفهوم اللقب وانما
جمع الضمير في امكثوا باعتبار لفظ الاهل اذ لم يكن مع موسى سوى امرأته اني آنست نارا
ابصرتها سآتيكم منها بخبر من حال الطريق وايثار السين لان النار بالليل وان ترى
قريبة ربما كانت بعيدة او آتيكم بشهاب قبس شعلة من النار قبس مقبوس يقال
اقتبست العلم وقبست النار وقرأ الكوفيون بالتنوين بدلا او وصفة لعلكم تصطلون
تستدفئون بها فانها كانت ليلة شاتية من صليت اللحم شويته ولا تدافع بين قوله سآتيكم
هنا ولعلي آتيكم في طه لان الراجي اذا قوي رجاؤه يقول سأفعل كذا باعتبار الترجي
واختار او على الواو بناء على انه ان لم يظفر بكلا البغيتين فلن يعدم احدهما ولم
يخطر بقلبه انه فائز بهما وذلك الامران من رتبة الرسالة فلما جاءها اي المكان
الغريب بينها نودي ان بورك من في النار اي في البقعة التي فيها النار وهم موسى و
الملئكة الحاضرون ومن حولها ومن يكون حولها في الارض المقدسة يتناول كل
من يكون بالشام وفي الحديث الشام كنز الله في ارضه وبها كنزه من عباده وقيل
من في النار الملئكة فانها كانت في نفس النار ومن حولها موسى والاول هو الوجه لان
يصدر الكلام به عند مجيء موسى بشارة بانه قد قضي امر عظيم ينتشر بركته وسبحان
الله رب العالمين من تمام النداء تنزيها لله تعالى عن التشبيه المتوهم من ايجاد الصوت
والحروف وتعجيبا لموسى من ذلك وايذانا بان المقضي له من جلائل الامور وعظائمها انه
اثر تكوين رب العالمين وجعله من كلام موسى تعجبا منه بعيد لان قوله والق عصاك
من كلام الله تعالى معطوفا على بورك وايضا لو كان من كلامه لكان الظاهر ترك
الواو وقد اظهر حرف التفسير في القصص في قوله وان الق عصاك وحذفه هنا وكل
منهما شايع تقول كتبت اليك ان حج وان اعتمر وان شئت قلت ان حج واعتمر يا موسى
انه الشأن انا الله العزيز الغالب الحكيم الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة تمهيد لما اراد به
من قلب العصى واليد البيضاء فلما رآها تهتز اي القاها فصارت حية فلما رآها تتحرك
يقال هز حركه فاهتز كانها جان حية سريعة ولى مدبرا اعرض هاربا ولم
يعقب ولم يرجع بعد الهرب كناية من غاية الخوف يقال عقب المقاتل اذا كر بعد
الفر وانما خاف لظنه ان قلب العصا حية لامر اريد به اذ كان ذلك اول الامر
ولم يدر انه نبي ولذلك قال يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون لانهم
مكرمون مقربون ولا تبعتهم الا من ظلم نفسه منهم بترك الافضل او بارتكاب خلاف

الاولى او بترك المأمور سهوا فانه خائف ثم بدل حسنا بعد سوء تدارك ما فرط
منه بالانابة كما قال يونس سبحانك اني كنت من الظالمين وكما قال موسى رب اني ظلمت نفسي
فاغفر لي وفيه تعريض لطيف بموسى حيث قال للقبطي من غير اذن من الله تعالى وان كان
كافرا حربيا فاني غفور بمحو وعفوا فرط منه رحيم افضل عليه بعد التوبة وادخل
يدك في جيبك قيل كان عليه مدرعة صوف لا كم لها واريد بالجيب القميص لانه
من لوازمه تخرج بيضاء من غير سوء آفة برص في تسع آيات كلام مستأنف اي اذهب
الى فرعون وقومه في تسع آيات كقوله شعر فقلت الى الطعام فقال منهم فريق يحسد
الانس الطعاما وهي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب
واليد والعصى او متعلق بالمذكور اي الق عصاك وادخل يدك في تسع آيات اي في
عدادها وجملتها واما نتق الجبل وفلق البحر فليسا من الآيات التي بعث بها الى فرعون
وقومه انهم كانوا قوما فاسقين تعليل للارسال فلما جاءتهم آياتنا مبصرة اي
بجعلهم بصراء او وصفت بوصفهم لانهم بسببها ينظرهم وتأملهم على طريقة
المجاز الحكمي وجعلت كانها تبصر فتهدي لان الاعمى لا اهتداء له فضلا عن الهداية على طريقة
الاستعارة المكنية قالوا هذا سحر مبين لاشتباه ظاهر فيه وجحدوا بها الجحد هو
الانكار مع العلم ضمن معنى التكذيب فعدي بالباء واستيقنتها انفسهم الواو للحال
وقد مضمرة اي جحدوا باللسان موقنين بالقلب والاستيقان ابلغ من الايقان ظلما
وعلوا حالان من فاعل جحدوا او منصوبان على العلية والعلو الترفع وقرئ علوا
بالضمة وهو التجاوز فانظر كيف كان عاقبة المفسدين تأمل يا محمد عاقبتهم وهي
الاغراق في الدنيا ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب والاتيان بالظاهر لبيان
العلية ولقد آتينا داود وسليمان علما طائفة من العلم وهو علم الشرايع والاحكام
او علما عزيزا وانما اورد قصة داود وسليمان عقيب قصة موسى لان موسى ابتلي
بقهر وهما اعطيا فشكرا اشارة الى حسن الاقتداء بهما في الشرايع والضراء وقالا الحمد لله
الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين لم يعطف بالفاء كما تقول اعطيته فشكر لا
عطف على مقدر كانه قيل فعملا به ولاغ العلم قلبا وجوارحا وقالا الحمد لله اشارة
الى ان شكر اللسان انما يحسن اذا كان مسبوقا بعمل القلب وسائر الجوارح ففيه استيعاب
لانواع الشكر على احسن وجه وهذا احسن مما قيل نوض الترتيب الى العقل لان المقام يستدعي
مزيد الشكر وانما قيد بالكثير لان قليلا فضل عليهم وهم خواص الانبياء من اولي العزم
وفي الآية دلالة على فضل العلم واهله وان ملك الدنيا باسره على اكمل وجه كما كان
لداود وسليمان دونه وان من اوتي علما ينبغي ان يتواضع ويعلم انه وان فضل على بعض فقد
فضل عليه البعض وورث سليمان داود ورث العلم والنبوة والملك ومعنى الوراثة
فيهما قيامه مقام داود في تلك التصرفات وعن الحسن ورث المال لان النبوة عطية مبتدأة

ان صح عنه ذلك فلعله لم يبلغه الحديث نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة
وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير نادى الناس اظهارا لنعمة الله وردعا لهم على التصديق
بالمعجزة التي هي فهم كلام الطير والمنطق هو الكلام المركب من الاصوات مفردا كان او مركبا
قال الشاعر فلما التقينا ما نطقت ولا حرفا ويفهمه كلام الطيور مثل فهمنا كلام الناس
الا انا نفهم ذلك بالفاظ موضوعة والانبياء يفهمونه من غير سبق وضع وتعلم بل
باعلام الله تعالى كما وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كلام الضب والظبي والبعير
وتسليم الحجر روي ان سليمان مر ببلبل وهو يصيح فقال هل تدرون ما يقول قالوا لا قال
يقول كما تدين تدان وسمع صياح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبون واوتينا
من كل شيء كناية عن الكثرة وايتاء واوتينا باعتبار ملكه وملك داود وهو على طريقة
الملوك ان هذا لهو الفضل المبين الواضح اذ كل من العلم والنبوة والملك فضل ظاهر
فكيف بالجمع وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير الحشر الجمع من كل اوب
وتقديم الجن لانهم اقوى وابعد من التسخير فهم يوزعون يحبسون اي يحبس سباق الجيش
حتى يلحق التوالي وفيه دلالة على انهم مع كثرتهم كانوا مسوسين مضبوطا احوالهم بتلو
بنادى لحشمتهم او بهم روي ان معسكره كان مائة فرسخ في مائة موزعا على الانواع خمسة
وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون
للوحش وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة مهرة وسبعمائة سرية وكان
له بساط من الذهب والحرير نسجته الجن فرسخا في فرسخ وكان له منبر من الذهب يوضع
في وسط البساط يقعد عليه وحوله ستمائة الف كرسي من الذهب والفضة يقعد
على كراسي الذهب الانبياء وعلى كراسي الفضة العلماء وكان يامر بحمل سريره الريح العاصف
ويسيره الرخاء وكان لا يتكلم احد بشيء الا القت الريح ذلك الى سمعه حتى اذا اتوا
على واد النمل اي ساروا الى ان وصلوا ذلك الوادي وهو واد بالشام كثير النمل وتعدية
الاتيان بعلى اما لان دخولهم كان من جانبه الاعلى واما لانهم قطعوا الوادي من قولهم
اتى على الشيء اذا بلغ نهايته قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم قيل كانت
نملة عرجاء اسمها طاخية فسمع سليمان كلامها من ثلثة اميال ومما نقل عن قتادة انه دخل
الكوفة فقال سلوني عما شئتم وكان ابو حنيفة اذ ذاك شابا فقال سلوه عن نملة سليمان
اكانت ذكرا ام انثى فسألوه فافحم فقال ابو حنيفة رحمه الله كانت انثى فقيل له من اين
لك قال من التاء في قالت ولو كانت ذكرا لقال قال نملة ففيه ان التاء قد تلحق تانيث
المسمى بل هي تاء الوحدة يقع على الشيئين يقال حمامة ذكر وحمامة انثى ولو استدل
بالتصريح من قولها كان اسلم لا يحطمنكم سليمان وجنوده لا يكسرنكم واصل الحطم الازدحام
ومنه حطيم الكعبة وهو ما بين الباب والركن لازدحام الناس فيه ولا يحطمنكم اما
جواب الامر فتدخل النون لكونه نهيا في المعنى واما بدل منه لان الامر والنهي في المعنى نهي لان قوله

ادخلوا مساكنكم في معنى لا تكونوا حيث انتم وهم لا يشعرون علمت ان نبي الله
واتباعه لا يفعلون ظلما وقيل فهم سليمان قولها وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا
من قولها تعجبا من اهتدائها الى الحذر والتحذير مع صغر جثتها وسرورا بما آتاه الله
من الملك الجسيم والعدل العظيم من حيث ان الحيوان العجم تعلم ذلك وضاحكا نصب
على الحال اي شارعا في الضحك وهذا ضحك الانبياء وما روي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه كناية عن التبسم الكامل للدلالة سائر الاحاديث
وقال رب اوزعني الهمني من الوزع وهو التقدم ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى
والدي ادرج ذكر والديه اما لان النعمة على الولد نعمة على الوالدين لاسيما الدينية
فانه اذا كان برا تقيا نفعهما بدعائه وشفاعته ودعاء المؤمنين لهما اذا رأوا منه
خيرا بل الاجداد والاسلاف يقولون رحم الله اجدادك واسلافك واما لان النعمة
على الوالدين نعمة على الولد كما تقدم في قصة بني اسرائيل في اوائل البقرة وان اعمل صالحا
ترضيه بقية عمري وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين ادخلني الجنة في عدادهم
ذكر رحمته اشارة الى ان دخول الجنة بفضل رحمة الله كما ورد في الحديث وتفقد الطير
التفقد طلب الشيء بعد غيبته فقال ما لي لا ارى الهدهد نزل الى مكانه فلم يره فتعجب
ام كان من الغائبين ام منقطعة اضرب عن تعجبه واخذ يقول اهو غائب كانه يريد تحقيق ما
لاح له لاعذبنه عذابا شديدا بعدما تبين له انه غائب والعذاب الشديد الجمع مع غير
جنسه في قفص وقيل نتفه والقاؤه في الشمس وقيل نتفه والقاؤه بين النمل لتاكله وقيل
التفريق بينه وبين الفه وقيل امره بخدمة اقرانه او لاذبحنه سياسة لئلا يجترئ
على فعل مثله آخر من جنسه او ليأتيني بسلطان مبين بحجة واضحة دالة على عذره و
المحلوف عليه هو احد الاولين والثالث في معنى الاستثناء وقرأ ابن كثير بنونين
بنون التاكيد والوقاية والاول احسن استغناء بالمؤكدة وعليه رسم المصاحف سوى
المكي فمكث غير بعيد زمانا قليلا يدل على سرعة عوده وقرأ عاصم بفتح الكاف
والضم اشهر وقصة الهدهد ان سليمان عليه السلام لما زار البيت الحرام سار على طريقة
الملوك غدوة الى جنوب اليمن وكانت الريح تحمل سريره وكانت كما اخبر الله تعالى غدوها
شهر ورواحها شهر فرأى سليمان ارضا حسنا اخضرت الجهات فنزل وطلب الماء وكان
الهدهد يعرف منابط الماء بخاصية خصه الله بها يرى الماء تحت الارض كما يرى احدنا
في الزجاجة فتفقد الهدهد فلم يوجد وكان حين نزل سليمان راى الهدهد واحدا من
ابناء جنسه وذكر له ملك بلقيس وما اوتيت من الاسباب فقيل كان تحت يدها اثنا عشر الف
قائد وتحت كل قائد مائة الف فذهب معه لينظر صدق مقالته ولما تفقد سليمان الطير
ولم ير الهدهد فسأل عريف الطير عنه وهو النسر فلم يعلم خبره فقال لملك الطيور وهو
العقاب علي به بحيث كان فارتفع العقاب الى الجو فرآه مقبلا فانقض عليه فقال الهدهد

ناشدتك الله الذي قد بك علي واعطاك هذه القوة الا رحمتني فقال لها ويلك يا هدهد
ان نبي الله عليك غضبان وقد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قال بلى فلما قرب من سليمان
ارخى جناحه تواضعا فلما دنى منه اخذ برأسه ومده فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي
الله تعالى فارتعد سليمان فقال احطت بما لم تحط به الاحاطة ادراك الشيء من الجهات
كلها بحيث لا يبقى منه خافية الهم الله الهدهد هذا الكلام فكافح به سليمان تنبيها
له لئلا يظن انه ليس احد اعلم منه وجئتك من سبإ قرأ ابو عمرو وابن كثير في رواية البزي
بفتح الهمزة غير منون على انه اسم القبيلة وفي رواية قنبل باسكان الهمزة حملا للوصل على الوقف
كما في بسته وعوجا وقرأ الباقون بكسر الهمزة منونا على انه اسم الحي وهو لقب لعبد
شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان قيل سمي بذلك لانه اول من سبا وفي الحديث سأل
رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبإ اهو رجل ام جبل ام واد فقال بل رجل
ولد عشرة الاسد وحمير وكندة وانمار والاشعريون وتشام ولخم وجذام وغسان
وعاملة وما في الآية اريد به الناحية التي كانت مساكنهم او القبيلة بنبإ يقين
اي بخبر يشتمل على العلم الذي لا يتلك فيه كرجل صدق بالاضافة وسبإ مع نبإ من
الجناس اللحي اني وجدت امرأة تملكهم اي سبإ او اهلها وهي بلقيس بنت شراحيل
بن مالك بن ريان وكان الملك في ابائها اربعين جدا ولم يكن لابيها ولد ذكر فولوها
الملك وفي الحديث لن يفلح قوم تولى عليهم امرأة واوتيت من كل شيء من اسباب الملك
ولها عرش عظيم العرش سرير الملك قيل كان ثمانين ذراعا في ثمانين وسمكه ثمانين
وكان من الذهب والفضة مكللا بالجواهر وكانت قوائمه من ياقوت احمر واخضر ودر
وعليه سبعة ابيات وعلى كل بيت باب مغلق وجدتها وقومها يسجدون للشمس
من دون الله كانوا عبدة الشمس وزين لهم الشيطان اعمالهم من السجود لغير الله و
غيره من القبائح فصدهم عن السبيل عن طريق الحق فهم لا يهتدون الى الصواب
بعد ذلك الصد الا يسجدوا لله بدل من اعمالهم اي زين لهم عدم السجود او صد عن
السبيل ولا صلة اي فصدهم عن ان يسجدوا او مفعول يهتدون ولا صلة او مفعول
له اي فصدهم لئلا يسجدوا او رفع خبر مبتدإ مقدر اي الاعمال ان لا يسجدوا او
السبيل ان يسجدوا وقرأ الكسائي الا يسجدوا بالتخفيف حرف التنبيه والمنادى
محذوف اي الا يا قوم وعلى هذا يتم الوقف على يهتدون قيل على هذا هو ابتداء كلام من الله
او من سليمان وقيل هو من تمام كلام الهدهد والتشديد اوجه لسلامته من الحذف
وعليه صنيع الرسم ويفهم وجوب السجود على الوجهين اما من الامر او الذم على الترك
الذي يخرج الخبء في السموات والارض الخبء مصدر بمعنى المفعول وهو النبات من الارض
والمطر من السماء وغيرهما من الاشياء المستورة في غامض علمه ويعلم ما تخفون وما
تعلنون قرئ حفص والكسائي بالخطاب فيهما اما الكسائي فقد جرى على النسق الاول

الاول لان المنادى مخاطب واما حفص فعلى الالتفات بتهديد الله لا اله الا هو رب
العرش العظيم الذي يستحق دونه عرش بلقيس كلام مستأنف دال على استحقاق العبادة
دون غيره لتفرده بالالوهية قال سننظر سنعلم لان النظر من اسباب العلم وتتأمل
ونفتش أصدقت أم كنت من الكاذبين اي ام كذبت والعدول الى المنزل للمبالغة لانه
اذا كان منخرطا في سلك الكاذبين يكون كاذبا لا محالة اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم
اي اليها من يحت حكمها قرأ عاصم وابو عمرو وحمزة باسكان الهاء ثم تول عنهم الى مكان
قريب تكونوا بمسمع منك فانظر ماذا يرجعون يرجع بعضهم الى بعض القول اي بعد
عند التشاور او هو من الرجعان اي بما يستقر عليه آراؤهم قالت يا ايها الملأ اي بعد
ما ذهب والقى اليهم الكتاب اني القي الي كتاب كريم وصفوا بالكرم لانه كان من ملك
واتت له الانس والجن والوحش او لشرف معناه وحسنه او لانه مصدر باسم الله او لانه
مع وجازته كان وافيا بالمقصود او لكونه مختوما وفي الحديث كرم الكتاب ختمه وعن ابن
المقفع من كتب الى اخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به انه من سليمان مستأنف جوابا كأنه
قيل ممن هذا الكتاب الكريم ثم بين مضمونه بقولها وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا
علي وأتوني مسلمين واذا كان قولها انه من سليمان بيان عنوان الكتاب سقط سؤال تقديم
اسمه على اسم الله قيل الكتاب اليها من الكوة وهي نائمة مغلقة عليها الابواب وقيل القي اليها
وهي على العرش جالسة وحولها الملوك والقادة والجنود فان قلت الدعاء الى الله من الانبياء
انما يكون بعد اظهار المعجزة فكيف استقام هذا من سليمان قلت الدعاء الى الاسلام لا يتوقف
على اظهار المعجزة وانما يجب الاظهار اذا طولب به مع ان مجيء الطير بالكتاب على الوجه المذكور
من ابهر المعجزات قالت يا ايها الملأ افتوني في امري في شأني وما يليق بي من جواب الكتاب
الفتوى والفتيا الجواب الواقعة من الفتاء وهو حداثة السن او من الفتوة وهو الارتفاع
لان الناس يترافعون له الى الفقيه ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون كما هو دأب الملوك
لا يعزمون على شيء الا بعد المشاورة ومع ذوي الآراء قيل كان اهل مشورتها ثلثمائة ملك
وكل ملك تحت عشرة الاف جند قالوا نحن اولو قوة بالاجساد والالات والعدد و
اولوا بأس شديد نجدة وشجاعة والامر اليك بعد هذا فانظري تأملي ماذا تأمرين
فانا منقادون لك قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها بالقتل والاسر وجعلوا
اعزة اهلها اذلة بنهب اموالهم وقتل اولادهم وتخريب ديارهم وكذلك يفعلون
اي ذلك رأيهم المستمر كانت تعلم ذلك من المشاهدة والسماع لانها كانت ملكة بنت الملوك
وابتداء كلام من الله تعالى بين كلامها تصديقا لها واني مرسلة اليهم بهدية تلين
بالملوك فناظرة بم يرجع المرسلون من اجابة واحوال فابني على ذلك من الحرب والصلح
ما كان اوفق فلما جاء سليمان قيل ارسلت برسم الهدية خمسمائة غلام في زي الجواري
وخمسمائة جارية في زي الغلمان وحقة فيها درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت

من اشراف قومها المنذر بن عمرو واخر ذا رأي وقالت ان كان نبيا يفرق بين الجواري و
الغلمان ويثقب الدرة ثقبا مستويا ويسلك الخيط في الجزعة فاخبر سليمان جبرائيل
بذلك فامر الجن فضربوا اللبن من الذهب والفضة وفرش بها ميدانا طوله سبعة
فراسخ وامر السياس فربطوا الدواب حول الميدان على فرش الذهب والفضة وامر باولاد
الجن فاقيم في اليمين واليسار منهم خلق كثير واصطفت الانس والشياطين فراسخ وجلس
على الكرسي ثم استعرض الرسل فوقفوا بين يديه بالهدية فامر باحضار الماء وامر الغلمان
والجواري بان يغسلوا وجوههم فكانت الجارية تاخذ الماء في احدى يديها وتصبه في
الاخرى ثم تضرب بها وجهها والغلام كما ياخذ الماء يضرب به وجهه ثم طلب الحقة و
قال ان فيه كذا وكذا ثم استخرج الدرة وامر الارضة فاخذت شعرة ونفذت فيها فجعل
رزقها في الشجر وامر دودة بيضاء فاخذت الخيط بفيها ونفذت في الجزعة ثم نظر في وجه
الرسل بوجه طليق قال أتمدونن بمال تنكر عليهم ذلك وقرأ حمزة بنون واحدة مدغمة وهو
احق والرسم على الاصل فما آتاني الله من الدين الذي هو الحظ الاوفر والنبوة والملك الذي
لا مزيد عليه خير مما آتاكم من بعض الحطام بل انتم بهديتكم تفرحون اي بما اهدي اليكم
من اضافة المصدر الى المفعول او الى الفاعل والمعنى انتم تفرحون بهذه الهدية مفتخرين بها
على الملوك وتفرحون بها اذا ردت اليكم لانكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا ارجع
اليهم خطاب المنذر بن عمرو رئيس الرسل وقيل الهدهد محملا كتابا آخر فلنأتينهم بجنود
لا قبل لهم بها لا طاقة لهم فعل بمعنى المقابلة وفي الحديث ان الله تعالى خلق آدم وكلمه قبلا
اي مقابلة ولنخرجنهم منها اذلة كما قالت وجعلوا اعزة اهلها اذلة وهم صاغرون
والحال انهم مستمرون على الذل في الاسر بحيث ان يكونوا اسرى بعد ان كانوا ملوكا
قال يا ايها الملؤا ايكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين اراد ان يريهم ما خصه الله
تعالى به من المعجزات الظاهرة والعجائب الباهرة وما قيل انه اراد ان ياخذ العرش قبل اسلامها
فانها اذا اسلمت لا يحل اخذها ففيه ان الغنائم مخصوصة برسول الله والتمد قال عفريت
من الجن خبيث مارد من العفر وهو التراب لانه يعفر اقرانه والتاء فيه للالحاق بقنديل
انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك اي مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار و
اني عليه لقوي على حمله امين لا اخون في شيء منه فانه كان مكللا بالجواهر قال
الذي عنده علم من الكتاب هو سليمان نفسه وايراده في التعبير عن سليمان اشارة الى ان بلوغه
تلك الرتبة انما هو بشرف العلم انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك الطرف تحريك
الجفن وهو ههنا مقدمة النظر كما انه مقدمة الرؤية والخطاب للعفريت كانه استبطأه فقال له ذلك
وقيل القائل جبرائيل او آصف بن برخيا وزير سليمان او كاتبه او رجل كان عنده الاسم الاعظم
او هو الخضر فلما رآه مستقرا عنده فاذا هو حاضر بين يديه قال هذا من فضل ربي تلقيا
للنعمة بالشكر ليبلوني ليعاملني معاملة المختبر أأشكر أم أكفر بدل من الياء وقد انسلخ

والمح عنه الاستفهام ومن شكر فانما يشكر لنفسه اذ بالشكر يرتبط العتيد ويستجلب المزيد
ولذلك قيل الشكر قيد للنعم الموجودة وصيد للمفقودة ومن كفر فان ربي غني عن شكره كريم
لا يعاجله بالعقوبة ولا يقطع عنه بره وافضاله قال نكروا لها عرشها غيروه بوجه ما بانه
بان يجعل اسفله اعلاه ومقدمه مؤخره ننظر جواب الامر أتهتدي أم تكون من الذين
لا يهتدون الى معرفته او الى الجواب الصواب وانما غير الاسلوب بعدم المعادلة لان معرفة
الشيء بعد تغيير هيئاته غير عسير على ذي الفطانة وكانت قد ذكرت لسليمان بسخافة
العقل والى الايمان اذا رأت العرش قد تقدمها وكانت قد غلقت عليه الابواب ووكلت
بالحرس فلما جاءت قيل أهكذا عرشك القائل سليمان او احد الحاضرين ولم يقل أهذا
عرشك بل اتى بكاف التشبيه اختبارا لعقلها قالت كأنه هو لم تجزم به لاحتمال ان
يوجد الله مثله فدل ذلك على كمال عقلها وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين عطف
على مقدر كانه لما اصابت في الجواب اثنوا عليها وقالوا معترفين بما افاض الله تعالى عليهم
من العلم والايمان قبل ايمانها وبما فضلوا به على مثلها ومن كلامها كأنها قالت قبل
هذه الواقعة قد صح عندنا نبوة سليمان وقدرة الله تعالى على كل شيء وصدها ما كانت
تعبد من دون الله عن التقدم الى الاسلام ابتداء كلام منه تعالى او صدها الله او سليمان
عما كانت تعبد من دون الله على نزع الخافض انها كانت من قوم كافرين استئناف
جار مجرى التعليل على الوجهين قيل لها ادخلي الصرح الصرح القصر المرتفع من الصراحة
وهو الظهور وانما عرصة الدار فالصرحة بالتاء فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن
ساقيها روي ان سليمان امر الجن فبنوا له بيتا فصرحا من الزجاج واجرى تحته الماء و
القى فيها دواب البحر واما ما قيل انها شعراء الساقين وفي عقلها شيء فاختبر عقلها
بتنكير العرش وساقيها باتخاذ الصرح على الوجه المذكور واراد ان يريها عظم ملكه وامرا
غريبا لم تر مثله ليكون لها ويخبرها بان تسرع عليها كما تسرع عليه في الجواري والغلمان فقد هدى
هواها لم تهتد وظهر له الفضل من كل وجه وقرأ ابن كثير في رواية قنبل ساقيها بالهمز على
انها لغة كالواو وحملا للمفرد على الجمع وهو سؤوق او على نفرة وهو الكاس قال انه
صرح ممرد من قوارير كان جالسا على الكرسي في صدر القصر فلما نظر الى ساقيها ولم تكن
بهما باس اخبرها بالواقع والممرد المجرد الاملس قالت رب اني ظلمت نفسي بعبادة غيرك او بظني
سليمان فانها ما ظنت ان الزجاج لجة فتجلت لتدارك قتلها بالغرق وقيل انها كانت
من جنية تكون الجن ان يتزوجها لئلا يطلع سليمان على اسرار الجن واسلمت مع سليمان
لله رب العالمين آثرت لفظ الجلالة الدالة على الالوهية الموجبة لعبادته ولقد
ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله بان اعبدوه فاذا هم فريقان يختصمون
ففاجئوا الاختصام والتفرق فمنهم من آمن به ومنهم من كفر كما هو شأن الرسل في اول التبليغ
او المؤمن صالح والكافر قومه والواو لاو العوام اظهر تابع ومن جعل الخصام النشأ

قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة اى بالعذاب قبل الايمان حيث قالوا يا صالح
ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين وقيل كانوا يقولون ان وقع ما يعدنا تبنا
حينئذ فخاطبهم على وفق اعتقادهم ثم قال لولا تستغفرون الله قبل نزول العذاب
لعلكم ترحمون اذ حين وقوع العذاب لا ينفع الايمان والتوبة قالوا اطيرنا بك وبمن
معك تشاءمنا بكم لوقوع الشدائد مذ اخترعتم هذا الدين مأخوذ من زجر الطير
وهو البارح الذي يمر من اليمين الى الشمال قال طائركم عند الله اى مقدر من عنده
ليس لاحد فيه تأثير بل انتم قوم تفتنون باعقاب السراء والضراء او بوسوسة
الشيطان اليكم الطير وكان في المدينة تسعة رهط الرهط من الثلاثة الى العشرة والنفر
من الثلاثة الى التسعة وافراده وان كان تمييز تسعة جمعا لاشتماله على معنا يفسدون
في الارض ولا يصلحون اى كانوا مقصورين على الافساد البحت لا يخلطون به شيئا من الاصلاح
قالوا تقاسموا بالله اى ليقسم بعضكم لبعض على انه امر ويحتمل الحال بتقدير قد على انه ماض
لنبيتنه اى لنهلكنه واهله بالليل مباغتة اخذا بالفرصة وعن الاسكندر انه قيل في
مباغتة العدو فقال ليس من آيين الملوك استراق الظفر ثم لنقولن لوليه وقرئ حمزة والكسائي
بتاء الخطاب في الفعلين على ارادة قول بعضهم لبعض والنون او في بقوله ما شهدنا
مهلك اهله اى نقسم على عدم حضورنا ذلك فضلا عن المباشرة قراء السبعة الا عاصما بضم
الميم على انه مصدر اهلك او اسم مكان عنه وفتح الميم مع اللام عاصم في رواية شعبة
على انه مصدر هلك او اسم مكان منه وكسر اللام في رواية حفص على المصدر او اسم مكان
على غير القياس كالمرجع وانا لصادقون والحال انا لصادقون في الحلف لانا لم نشاهد هلاك
اهله وحدهم او ناهيك بنفي الكذب ان الكفار مع كفرهم احتالوا في الاحتراز عنه ويجوز ان يكون
داخلا في القسم عليه فلا يحتاج الى التكلف ومكروا مكرا هو ما دبروه ومكرنا مكرا من
باب المشاكلة وهم لا يشعرون ان ما دبروه وبالا عائد اليهم وذلك انهم دخلوا دار صالح
بالليل وكانت داره مملوءة بالملائكة فقتلوهم عن آخرهم وقيل خرجوا بالنهار يظهرون
السفر وعادوا بالليل فتسوروا جدار داره فرمتهم الملائكة بالحجارة فقتلتهم وقيل كان
لصالح مسجد في الشعب يصلي فيه بالليل فلما دخلوا الشعب قاصدين قتله ليعودوا
بعد قتله الى اهله فارسل الله عليهم صخرة فطبقت عليهم فلم يدر احد اين ذهبوا ولم
يدروا ما فعل بقومهم فعذب الله تعالى كلا في مكانه فانظر كيف كان عاقبة مكرهم يا
محمد او يا من يتأتى منه النظر انا دمرناهم وقومهم اجمعين استئناف لبيان عاقبتهم
وكان اما تامة او ناقصة كيف خبرها وقرئ الكوفيون انا بفتح الهمزة على ان كان تامة
وعاقبة فاعلها وكيف حال وناقصة وكيف خبرها وحال والخبر انا او بدل من الفاعل
او كان تدميرنا او خبر مبتدأ محذوف فتلك بيوتهم خاوية نصب على الحال والعامل فيها
معنى الاشارة او خالية من خوى البطن او ساقطة من خوى النجم اذا سقط ولم يمطر

ولم يمطر في نوئها بما ظلموا بسبب ظلمهم ان في ذلك لآية لقوم يعلمون حقائق الاشياء فانهم
المتعظون وانجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون احدثوا الايمان واستمروا على ذلك ولوطا
اذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا اذ قال لقومه بدل على الاول
ظرف على الثاني اتأتون الفاحشة وانتم تبصرون اى يبصر بعضكم بعضا كقوله وتأتون
في ناديكم المنكر ولا شك ان الجهر بالمعصية اشد وروى ان بعض اكابر الاشراف كان له ابن
يجاهر بالخمر فقال يا بني الم تسمع قول الحكيم اذا ابليت فاستتر فقال في جوابه يا ابا
حتى يكون في الخلوات وقد الم به ابو نواس حيث قال فبح باسم من تهوى ودعني من الكنى
فلا خير في اللذات من دونها ستر او وانتم تعلمون من بصر القلب فان قبح الذنب من العالم
اشد ائنكم لتأتون الرجال شهوة بيان لاتيانهم الفاحشة وتعليله بالشهوة للدلالة
على انه من فعل البهائم لان الحكمة في المواقعة طلب النسل وقضاء الوطر داع اليه ومقصود
بالعرض من دون النساء بل انتم قوم تجهلون مستمرون على فعل القبيح كمن يجهل قبحه
او تجهلون العاقبة واتيان الخطاب والموصوف هو القوم لتكافئهم بالجهل فانه اشد توبيخا
فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون عن
افعالنا ويستقذرونها وعن ابن عباس انما قالوا ذلك هزوا كما قال قوم شعيب انك لانت
الحليم الرشيد فانجيناه واهله الا امرأته قدرناها من الغابرين الباقين في العذاب
وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين مطرهم قل الحمد لله وسلام على عباده الذين
اصطفى لما قص عليه مما نعم على اخوته من الرسل من الاصطفاء بالرسالة وابادة اعدائهم
امره بان يحمده على تلك النعم شكرا لله تعالى اشارة الى انه ما وصل اليهم وصل اليه فان المؤمنين
كنفس واحدة تكميلا بالانبياء وبان يسلم عليهم لحسن اصطبارهم على ما عانوا ابدا في احتمالهم
باعباء التبليغ وجعل ذلك تمهيدا للتخلص الى قصته مع المشركين ايماء الى ان العاقبة للمتقين
الخاتمة في اقامة البراهين على وحدانيته تعالى بقوله آلله خير اما يشركون سياق الكلام هذا
للشيان تبكيتا لهم والزاما وتنبيها على الخطاء المفرط والجهل المورط والا كيف يلتبس يكون
الكائنات بالجمادات امن خلق السموات والارض تفصيل لذلك الخبر وام منقطعة وذكر
السموات والارض تمهيد لقوله وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة
الحدائق جمع حديقة وهي البستان الذي له حائط من الاحداق وهو الاحاطة وافراد
الذات على ارادة الجماعة كقولك النساء ذهبت والبهجة الحسن من بهج بالفتح ويجوز ان يكون
من بهج بالكسر بمعنى السرور لان صاحبها يسر بالنظر اليها وانما التفت الى التكلم لانبائه
اشارة الى ان فعله الخاص الذي لا يمكن اسناده الا اليه ولذلك اكد بقوله ما كان لكم
ان تنبتوا شجرها فضلا عن ثمرها وفيها من المنافع واصناف الفواكه المختلفة لونا وطعما
ورائحة وفيه دليل الاختصاص به على الوجه الابلغ قال أإله مع الله بل هم قوم يعدلون
منكر ان يكون له شريك وجعل القائل بالشرك عادلا عن نهج الصواب وعادلا به مثلا

من لا يستحق. أمن جعل الأرض قرارا مكانا يستقر فيه الحيوان بدل من أمن خلق السموات
ترق إلى ما هو أعظم من إنبات الحدائق بل لولاه لا يتم الإنبات وجعل خلالها أنهارا جارية
وجعل لها رواسي جبالا ثابتة كالأوتاد تسكنها من الاضطراب ويتم ما فيها من منابع المنافع
وجعل بين البحرين حاجزا بين العذب والملح أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون فلذلك
يشركون به أمن يجيب المضطر إذا دعاه خص به إجابتهم عند الاضطرار ويكشف السوء
والمضار ترق عما تقدم لكونه لصيقا بهم دون واسطة ويجعلكم خلفاء الأرض تنتفعون
بها على التوجه يتبينهم مباشرة وأمرا ونهيا وهذا أتم وأجل موقعا ولذلك قال أإله مع
الله قليلا ما تذكرون بجعل الفاصلة التذكر الذي لا يحتاج إلا إلى التفات النفس أمن
يهديكم في ظلمات البر والبحر إذا سافرتم فيها بالنجوم في السماء وعلامات في الأرض
ومن يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته وهذا من متممات أمر الخلافة لاشتماله على إجابة
المضطر وكشف السوء وجلب المنافع الكثيرة وقرأ حمزة والكسائي وابن كثير الريح بالتوحيد و
الكوفيون وابن عامر نشرا بسكون الشين وفتح نونه حمزة والكسائي وعاصم بالباء مكان
النون ونافع وابن كثير بضم النون والشين أإله مع الله يقدر على شيء من ذلك وما في
ذلك من آثار القدرة القاهرة مع الجلوة تعالى الله عما يشركون أمن يبدأ الخلق ثم يعيده
اضرب عن ذلك الأسلوب إلى ذكر نعمتي الإيجاد والإعادة اللتين كل نعمة دونهما وهما مبدأ
كل نعمة في الدارين والكفرة وإن كان بعضهم منكر الإعادة إلا أنه لظهور الأدلة بحيث
لا يعتد بإنكاره فهو محجوج ومن يرزقكم من السماء والأرض إجمال لما تقدم كفذلكة
القصة أإله مع الله يفعل ذلك قل هاتوا برهانكم على شيء يخالف ما ذكرنا إن كنتم
صادقين في إشراككم تسجيل عليهم بالكذب وإن ما يقولون تخلق وهو التعنت قل لا يعلم
من في السموات والأرض الغيب إلا الله أشار إلى أنه كما تفرد بالقدرة التامة كذلك متفرد
بالعلم الشامل والاستثناء منقطع ورفعه على اللغة التميمية لظهور أنه تعالى منزه عن
المكان والحيز وإيثار الرفع للدلالة على أنه تعالى إن كان ممن في السموات والأرض ففيهم من يعلم
الغيب مبالغة في نفي علم الغيب عنهم ويجوز الاتصال بضرب من التأويل أي من تعلق علمه بها و
اطلع عليها فإنه عام فيه تعالى وما يشعرون أيان يبعثون أي وقت بعثهم الذي هو أهم الأمور
عندهم تأكيد لنفي علم الغيب عنهم وأيان بمعنى أي فعال من آن بني والضمير لمن بل ادارك
علمهم في الآخرة افتعال من الدرك وهو الوصول واللحوق وهي قراءة نافع وابن عامر و
الكوفيين والمعنى أن ما تتابع علمهم به واستحكم بمعنى استحكام أسبابه وظهور دلائله
أن القيامة كائنة لا محالة وهم عن ذلك معرضون لا علم لهم فأين هم من علم الغيب وقرأ ابن كثير
وأبو عمرو أدرك على وزن أكرم أي انتهى وتكامل والفعلان متقاربان ويجوز أن يكون الكلام
على سبيل التهكم لأنهم إذا لم يعلموا ما دلت عليه الحجج فهم من علم الغيب بمعزل وبما روي عن الحسن
أن معنى ادرك علمهم اضمحل يناسب التهكم لأن ماله السوء عليهم بل هم في شك منها يحيرون لا يجزمون

لا يجزمون بشيء بل هم منها عمون لا يدركون شيئا من دلائلها والإضرابات الثلث لبيان
أحوالهم وصفهم أولا بعدم الشعور بوقت البعث ثم ترقى إلى أنهم لا يقرون بالآخرة أيضا
ثم إلى أنهم خابطون في شأنها خبط عشواء ثم إلى ما هو أسوأ حالا وهو عمى البصيرة وقيل باعتبار
الفرق وهذا مختص بالمشركين وإسناده إلى من في السموات والأرض لوقوعه بينهم كما يقال
بنو فلان فعلوا كذا وقال الذين كفروا أإذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون أثر الظاهر موضع
المضمر لبيان أن منشأ ذلك العمى الكفر ولذلك كانت هذه الآية كالبيان الأولى والعامل في
إذا معنى الإخراج الذي دل عليه مخرجون لا هو لأن الاستفهام وإن واللام كل منها مانع من العمل
فكيف بها مجتمعة لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل أي قبل محمد المشار إليه البعث قدم
هذا على نحن هنا وأخر في سورة المؤمنين لأن ما قبله هنالك أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما
فيه دلالة على بقاء بعض الأجزاء على صورتها وأما هنا فلا دلالة على ذلك وقد ضموا إلى التقسيم
آباءهم ولا شك أن هنا بعد عندهم فاستلزم زيادة الاعتناء فصار أهم بالتقديم إن هذا
إلا أساطير الأولين أكاذيبهم التي لا حقيقة لها كالأسمار قل سيروا في الأرض فانظروا
كيف كان عاقبة المجرمين أي المكذبين والتعبير بالإجرام ليكون لطفا بالمسلمين في ترك
الجرائم ولا تحزن عليهم لعدم اتباعهم إياك ولا تكن في ضيق في حرج صدر وقرأ ابن كثير
بكسر الضاد وهما لغتان مما يمكرون من مكرهم فإن الله عاصمك ويقولون متى هذا الوعد
أي العذاب الموعود استعجالا لأنهم إن كنتم صادقين في قولكم إن لم تؤمنوا تعذبوا قل عسى
أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون أي تبعكم كل شيء تبع آخر فهو ردفه ومن ثم
سمي الليل والنهار ردفين وأردف فلعله منه قال إذا الجوزاء أردفت الثريا وعسى ولعل
وسوف في كلام الملوك يدل على الوقوع قطعا والمراد ما وقع عليهم يوم بدر من القتل والأسر
وإن ربك لذو فضل على الناس بتأخير العذاب ولكن أكثرهم لا يشكرون نعمة الإمهال
ويستعجلون العذاب وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون من المكايد وأنواع
المكر تسلية لرسوله وتهوينا لحاله بعد ما قدم قوله ولا تكن في ضيق مما يمكرون وما
من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين برهان على إحاطة علمه بما تكن صدورهم
لأنه من جزئيات ذلك الغائب والتاء للمبالغة كالراوية أو النقل من الوصفية إلى
الاسمية كما في الذبيحة والنطيحة والمراد الأول والكتاب المبين اللوح أو علمه الشامل
إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون لما كان القرآن أعظم معجزاته
وكان الإعجاز فيه من وجوه أشار إلى الوجه الذي هو أعرق في الإعجاز وهو الإخبار عن أحوال
الكتب السماوية فإن المنزل عليه أمي لم يزاول دراسة الكتب ومما اختلفوا فيه أحوال
الجنة والنار وأمر عيسى وعزير قيد بالأكثر لأن بعضه باطل بالمرة فلا حاجة إلى
إبطاله وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين لأنهم المنتفعون به إن ربك يقضي بينهم بين من
آمن ومن كفر بحكمه أي بعدله أو بحكمته وهو العزيز الغالب فلا يرد قضاؤه العليم بالأمور

كالمحي فتوكل على الله بعد ما تبين انك رسول بالكتاب الذي هو ابهر معجزاتك انك على الحق
المبين علة للتوكل فان صاحب الحق مؤيد انك لا تسمع الموتى كلام مستأنف تسلية
لرسول الله وانه قد بلغ الرسالة فلا عليه بعد ذلك فانهم مختوم على قلوبهم شبهة بحال
الميت حيث لا يسمعون سماع تدبر وقيل تعليل ثان للامر بالتوكل كانه قيل اتباعهم اياك
امر قد ايس منه فلم يبق الا الاستنصار عليهم والاستكفاء شرورهم فان قلت روى البخاري ان
رسول الله وقف على قليب بدر ونادى القتلى باسمائهم وقال هل وجدتم ما وعد ربكم
حقا فاني قد وجدت ما وعدني ربي حقا فقال له عمر تنادي بجساد لا ارواح لها فقال
لستم باسمع منهم ولكن لا يقدرون على الجواب فكيف التوفيق بينه وبين الآية قلت بناء الكلام
هنا على المتعارف تسلية لرسول الله الا يرى انه قد شرع السلام على المقابر واذا كان له
احساس بالعذاب فما المانع من السماع ولا تسمع الصم الدعاء قرأ ابن كثير يسمع بياء
الغيبة مضارع سمع ورفع الصم والباقون بالخطاب من اسمع مسندا الى النبي وهو اوفق
بالمقام واقوى معنى اذا ولوا مدبرين فان اسماعهم في تلك الحالة ابعد وفيه اشارة الى غاية
بعدهم عن الايمان وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم لان لهداية الاعمى يستحيل قرأ حمزة
يهدي العمي بالفعل المضارع ونصب العمي ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فانه يسمع سماع
تدبر بنظر نظر اعتبار فهم مسلمون مخلصون ظاهرا وباطنا واذا وقع القول عليهم
استوفي لابل التوحيد والمبدا والمعاد وثبوت الخبر الصادق افاض في بيان احوال
القيمة وايات الساعة والقول هو الوعد بقيام الساعة ومعنى وقوعه ثبوت معناه وحي
اخرجنا لهم دابة من الارض اي دابة عظيمة المنظر والشان وقد ذكر في وصفها اشياء و
الذي صح في الحديث انها دابة طولها ستون ذراعا ذات قوائم اربع فيها الوان الحيوانات
ينصدع جبل الصفا فيخرج منه والناس سائرون الى منى وفي رواية تخرج من ارض الطائف
معها عصى موسى وخاتم سليمان لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب تضرب بالعصا في
وجه المؤمن يكتب فيه مؤمن وتطبع وجه الكافر بخاتم سليمان يكتب فيه كافر تكلمهم
يا فلان ويا فلان بلسان عربي وقيل ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون كلامها عند خروجها
يحكي كلام الله الدال على وقوع ايات الساعة التي هي منها او هو كلامها حكاه الله تعالى بتقدير
حذف المضاف اي بايات ربنا او لكونها من خواص خلقه اضافت الايات الى نفسها كما يفعله
خواص الملوك من اضافة ما للملوك الى انفسهم وقرأ الكوفيون بالكسر استئنافا فاجاريا مجرى
العلة ويوم نحشر من كل امة فوجا جماعة ممن يكذب باياتنا بيان الفوج ومن الاولى
للتبعيض فهم يوزعون يحبسون ليلحق اولهم باخرهم والمعنى ان الله يحشر من كل امة رؤساءها
بين يديهم الى النار جهنم حتى اذا اجتمعوا كبكبوا كلهم فيها وعن ابن عباس رضي الله عنه ابو جهل
والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي مشركي مكة حتى اذا جاءوا الى المحشر
قال اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما الواو للحال اي كذبتم باياتي مفاجاة من غير تدبر فيها

تدبر فيها بالنظر لكم انها جاحدين با التكذيب ام التصديق بها وعاطفة اي جمعتم بين التكذيب
وعدم النظر والتأمل فيها فان من ورد عليه كتاب من صاحبه وان لم يصدق بانه كتابه
لا يعرض عن الاحاطة بما فيه فالمنكر في الوجه الاول التكذيب بادي الرأي وفي الثاني التكذيب
وعدم القاء الذهن اما ذا كنتم تعملون الظاهر ام متصلة فتم عدل الى المنزل لانه على
انتفاء الشق الثاني وانه انما جيء به للتبكيت كانه قيل اهو ما عهد من التكذيب ام حدث
امر اخر ولذلك ادخل ام على ما الاستفهامية الدالة على الشك والتردد وضعا ووقع
القول عليهم بما ظلموا اي العذاب بسبب ظلمهم فهم لا ينطقون لشغلهم بالعذاب و
هذا حين وقوع العذاب فلا ينافي محاجتهم قبله لقوله انظر كيف كذبوا على انفسهم بعد
قولهم والله ربنا ما كنا مشركين الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه بالنوم والاستراحة
والنهار مبصرا مجاز حكمي لان الابصار لمن في النهار ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون
فهم الايمان والاستدلال باثار الصانع الدالة على وجوده ووجوبه وتوحده وذلك
ان من قدر على ترتيب الليل والنهار وابدال النور من الظلمة وبالعكس على هذا النظام والنمط
قادر على ابدال الموت بالحيوة مع ان النوم نوع من الموت والشمس روح العالم فاي
دلالة اوضح من هذه الدلالات ويوم ينفخ في الصور هو القرن الذي يسد اسرافيل و
تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ في البوق ففزع من في السموات ومن في الارض
عبر بالماضي لتحقق وقوعه لكونه كلام من لا خلف في قوله الا من شاء الله بان يثبت قلبه
قيل هم جبرائيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل الحور والخزنة وحملة العرش وقيل
الشهداء فانهم احياء عند ربهم وقيل موسى ولا يستقيم الا اذا كانت نفخة الفزع نفخة الصعق
على ان النفخات ثلث دل عليه حديث لطم اليهودي وهي نفخة الفزع فانهم يموتون من شدة
الفزع ونفخة البعث هذا ما ذكروه والظاهر من لفظ يصعقون ويوم القيمة ولفظ
نعبر انه ليس بموت وكل اتوه اي الموقف بعد النفخة الثانية او الله بالانقياد والرجوع
اليه وقرأ حمزة وحفص اتوه على صيغة الفعل واسم الفاعل هو المختار لكون الاصل في الخبر الاسم
مع قوة المعنى داخرين صاغرين اذلاء وفي الحديث لم ير الشيطان ادحر من يوم عرفة لما يرى
من كثرة عفو الله عن عباده الا ما كان من يوم بدر وترى الجبال تحسبها جامدة ثابتة في
مكانها وهي تمر مر السحاب اي تسير سيرا حثيثا فان الاجرام الثقال اذا تحركت في سمت
لا تكاد يظهر حركتها والى هذا اشار النابغة في وصف جيش كثيف وبار عن مثل الطود تحسب
انهم وقوف لحاج والركاب تهملج صنع الله مصدر مؤكد لقوله تمر مر السحاب وقيل مصدر
مؤكد لناصب يوم ينفخ في الصور تقديره ويوم ينفخ في الصور اثاب الله المحسنين وعاقب
المجرمين ثم قال صنع الله اي الاثابة والعقاب وهذا انما يستقيم باعتبار امتداد ذلك
اليوم الذي اتقن كل شيء احكمه انه خبير بما تفعلون مستأنف كانه قيل ما ذا يكون بعد
تلك الاهوال فقيل انه خبير بمواطن افعالكم فيجازيكم على قدرها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام

عن ابن عامر يفعلون بياء الغيبة جريا على سنن اتوه والخطاب احسن لقرب وترى الجبال ثم فسر
ذلك المجمل بقوله من جاء بالحسنة فله خير منها اذ اقل ما يقابلها عشر امثالها الى سبعمائة الى
ما شاء الله وهم من فزع يومئذ آمنون اى من الخلود فى النار على ما روى عن ابن عباس رضى الله
ان الحسنة هى كلمة الشهادة او الهول العظيم لقوله لا يحزنهم الفزع الاكبر وقرأ الكوفيون
فزع منونا وهو احسن للتهويل بالابهام وقرأ نافع والكسائى بفتح الميم فى يومئذ لكونه مبنيا
لاضافته الى المبنى ومن جاء بالسيئة اى بالشرك فكبت وجوههم فى النار القوا فيها
منكوسين ليكون اول ما يصل الى النار اشرف اعضائهم التى استكبروا ان يعفروها بالسجود
لله وفى الكب معنى اللزوم والازدحام ولذلك سميت الجماعة كبة هل تجزون الا ما كنتم
تعملون على الالتفات او بتقدير القول وفائدته الاعلام بان الله ليس بظلام انما امرت
ان اعبد رب هذه البلدة التى حرمها امر بهذا الكلام اشارة الى انه قد ادى ما عليه فلم
يبق له شان الا الاستغراق فى العبودية التى هى اشرف صفات العبد وفى وصف البلد بالتحريم
اشعار بانهم اولى بتعظيم قدره فانهم سكانه وبه يفتخرون على سائر الناس واسم اشارة للتقريب
للتعظيم وانما وصف ذاته تعالى دون البلدة لان اجراء الوصف عليه تعالى يدل على عظم الوصف
وعظم ما يتعلق به الوصف ولا كذلك لو وصفت البلدة وله كل شئ خلقا وملكا لا البلدة
وحدها وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لاوامره المخلصين له الدين وان اتلوا
القرآن وان اداوم على تلاوته لتظهر لى اسرار كنوزه او هو من التلو اى اتبعه لقوله واتبع
ما يوحى اليك فمن اهتدى بعد البيان الشافى فانما يهتدى لنفسه فان نفعه لا يجاوزه
ومن ضل فقل انما انا من المنذرين لا غرم على من وبال ضلاله شئ وقل الحمد لله على ما
خصنى به من رتبة الرسالة وتوفيق لادائها سيريكم آياته القاهرة من القتل والاسر يوم بدر
فتعرفونها انها آياته لكونها من الخوارق التى لا يقدر عليها غيره وقيل هو كقوله سنريهم
آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم وعلى هذا لا تهديد وما ربك بغافل عما تعملون وعد لمن آمن و
شكر ووعيد لمن تولى وكفر وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالخطاب جريا على الخطاب فى سيريكم

سورة القصص مكية وهى ثمان وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم طسم

اسم السورة او حروف مقطعة للايقاظ تلك آيات الكتاب المبين اى آيات السورة آيات الكتاب
الواضح اعجازه نتلوا عليك بلسان جبرائيل من نبأ موسى وفرعون بعض نبأهما بالحق
او ملتبسا به محقين لقوم يؤمنون لتقوى بذلك ايمانهم ويعلموا ان العاقبة لهم ان
فرعون علا فى الارض استئناف كانه قيل كيف نبأهما والارض ارض مصر لم يتجاوز حكمه
منها وجعل اهلها شيعا فرقا يشيعونه فيما يريد ويطيعونه او يجعلهم اصنافا فى خدمته
يعين لكل طائفة نوعا وجعلهم احزابا بان اغرى بعضهم على بعض والقى بينهم العداوة لئلا
يتفقوا عليه يستضعف طائفة منهم هم بنو اسرائيل حال من فاعل جعل او صفة شيعا او كلام
مستانف يذبح ابناءهم ويستحيى نساءهم بدل من يستضعف انه كان من المفسدين ولذلك

ولذلك كان يقتل بلا فائدة لان الكاهن الذى اخبره انه يولد منهم مولود ويكون ذهاب ملكه
على يديه ان كان صادقا فاى فائدة فى قتل الاطفال وان كان كاذبا فبالاولى
ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ارض مصر عطف على قوله ان فرعون علا
فى الارض داخل تحت النبأ منه ولا يجوز عطفه على نتلوا لاستلزامه خروجه عنه
وهو منه بل اعظمه واهمه وكذا عطفه على يستضعف سواء جعل حالا او ضمير جعل او صفة
لشيعا او كلاما مستانفا وقيل حال من ضمير يستضعف بناء على ان ارادة الله يجوز
تعلقها بكون شئ مترقب الوجود وفيه ان المضارع المثبت لا يقع حالا الا مع الواو وتقدير
المبتدأ تكلف ونجعلهم ائمة اى يقتدى بهم فى الدين وعن قتادة ولاة لقوله وجعلكم
ملوكا ونجعلهم الوارثين ملك فرعون وقومه ونمكن لهم فى الارض ارض مصر والشام
مكن له جعل له مكانا ثم استعير فى التسليط والاطلاق وفى التصرف ونرى فرعون
وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون من زوال ملكهم على يد مولود من بنى اسرائيل
وقرأ حمزة والكسائى يرى بفتح الياء والالف بامالة مضارع رأى ورفع الاسماء الثلثة
على الفاعلية والنون اشد تهويلا واوفق بالافعال السابقة واللاحقة واوحينا الى
ام موسى بالهام او رؤيا وعن الامام الماتريدى يجوز ان يكون بارسال ملك كما ارسل
جبرائيل الى مريم وكلمها شفاها ان ارضعيه ما امكنك فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم
فى نيل مصر ولا تخافى عليه ضيعة والخوف المنفى اولا خوف القتل ولا تحزنى لفراقه
الخوف غم يلحق الانسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع او فائت انا رادوه اليك تسلية
لها وجاعلوه من المرسلين بشارة بما يملأها غبطة وسرورا روى انها لما ضربها الطلق
دعت قابلة من الموكلات بحبالى بنى اسرائيل وكانت مصافية لها فلما وضعته رأت القابلة
نورا ساطعا بين عينيه واحبته حبا شديدا وقد تقدم فى قوله تعالى والقيت عليك
محبة منى انه لم يره احد الا احبه فقالت لام موسى كنت ما جئت الا لاخبر فرعون
بولادته ولكن دخل فى قلبى حبه فاحتفظى به لئلا يراه عيون فرعون وسعاته فاخفت
شانه وارضعته ثلاثة اشهر فلما الح فرعون فى طلب المواليد اوحى الله تعالى اليها فجعلته
فى تابوت والقته فى اليم فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا لم يلتقطوه
الا ليكون لهم قرة عين لكن لما لم يترتب على الالتقاط الا ذلك شبه بما يكون مقصودا
وغرضا من الفعل فاستعير له اللام كما يستعار الاسد لمن يشبه الحيوان المعروف فى الجراءة
وقرأ حمزة والكسائى حزنا بضم الحاء واسكان الزاى وهما لغتان والفتح لغة الحجاز الشائعة
ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين مستمرين على خلاف الصواب فليس ببدع
منهم ان ربوا من يكون زوال ملكهم على يده بعد ان قتلوا الوفا من خوفه او كانوا
مجرمين من الخطأ وهو الاثم ولذلك عاقبهم الله بان ربى على ايديهم من يكون سبب هلاكهم
فالكلام مستانف للتعليل واللام على هذا جارية على اصلها كانه قال قدر من دبر يكون

لهم موسى عدوا وحزنا لانهم كانوا مجرمين احقاء بذلك وقالت امرأت فرعون قرت عين لي
ولك اراد قتله فالتاه ذلك وجعته لانها رات منه مخايل النجابة وقيل كانت لفرعون
بنت برصا فعجزت الاطباء عن علاجها وقالوا استشفاؤها من ريق حيوان في البحر يشبه
الانسان فلما اخرجوه من البحر لطخوها بريقه فزالت عن الفور لا تقتلوه الخطاب لفرعون
والجمع للتعظيم او للموكلين بقتل الولدان عسى ان ينفعنا لما راوا فيه من دلائل اليمن
اثر النجابة ساطع البرهان او نتخذه ولدا نتبناه فانه يصلح لان يكون من اولاد الملوك
وهم لا يشعرون حال من آل فرعون اي التقطوه وهم لا يشعرون انهم على خطاء عظيم في
ذلك وقوله ان فرعون اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه يؤكد خطاهم واصبح فؤاد
ام موسى فارغا خاليا من العقل لما سمعت بوقوعه في يد فرعون وفيه دليل على ان القلب
مراكز العقول ان كادت لتبدي به اي بامر موسى من فرط الوله والضجر لولا ان ربطنا
على قلبها بالهام الصبر القلب وسط الفؤاد وانما ذكر الفؤاد اولا لان فراغه يستلزم
فراغ القلب ولم يكتف به في الربط مبالغة في سلب القلق والاضطراب عنها او الاصح بفراغ
فؤاد امه فارغا من الحزن حين سمعت بان فرعون عطف عليه وابقاه وكادت تظهر شيئا
فرحا وسرورا لولا ان الله سكن جاشها واذهب قلقها لتكون من المؤمنين المصدقين
بوعد الله حين قال لها انا رادوه اليك ولتكون واثقة بحفظ الله وكلاءته لا بتبني
فرعون وقالت لاخته مريم قصيه تتبعي اثره لتعلمي ما يفعل به فبصرت به عن جنب
فقصت اثره فرأته من بعيد وهم لا يشعرون انها جاءت بقص اثره وانها اخته وحرمنا
عليه المراضع من قبل قبل مجيئها مجاز عن المنع فان من حرم عليه شيء فقد منع عنه
والمراضع جمع مرضع وهي التي ترضع او مرضع اسم مكان او مصدر فقالت هل ادلكم على
اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون لا يقصرون في تربيته روي ان هامان قال
هذه تعرفه فقالت انما اردت انهم للملك ناصحون وما يقال ان مرجع الضمير مختص بلغة
العرب باطل لعدم الاختصاص ولان فرعون كان من العمالقة وهم كانوا يتكلمون
بالعربية فرددناه الى امه روي انها لما جاءت وجدت موسى على يد فرعون يعلله
فتناولته منه والقمته الثدي فقال فرعون من انت منه فانه ابى كل ثدي الا ثديك
فقالت اني امرأة طيبة الرائحة طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى
عليها والكلام في انها كيف اخذت الاجر مبني على اختلاف الشرائع بل المذاهب في ذلك
مختلفة او انه كان مال حربي كي تقر عينها ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله حق
علم زوال بعد الشبهة ولكن اكثرهم لا يعلمون ان وعد الله حق فيرتابون او استدراك
مما وقع بعد العلم وفيه تعريض بام موسى حيث اصبح فؤادها فارغا بعد سبق وعد الله
لها او من العلم اي ولتعلم ان الرد انما كان لهذا الغرض وهو علمها بصدق وعد الله وما عداه
من قرة العين وذهاب الحزن تبع ولما بلغ اشده المبلغ الذي لا يزيد عليه نماؤه وذلك

وذلك اربعون سنة مفرد على وزن الجمع وعن سيبويه جمع شدة واستوى اعتدل
جسمه وعقله آتيناه حكما نبوة وعلما علم الشرائع واحوال الامم هذا اجمال لقصة
ذكرنا في كون نبوته بعد مراجعته من عند شعيب وكذلك نجزي المحسنين وكما
جازينا موسى وامه على احسانهم نجزي سائر المحسنين ودخل المدينة مدينة
فرعون وهي مصر فان قلت اين كان حتى قال دخل المدينة قلت كان هاجرهم لعبد الله
خاليا كما كان يفعله رسول الله بغار حراء ولا يدخل الا الضرورة مستخفيا ولذلك
قال على حين غفلة من اهلها اي بين العشائين او وقت القيلولة وقيل بل كان ايسا
من قصر فرعون وقيل من الاسكندرية فوجد فيها رجلين يقتتلان يختصمان في
الدين هذا من شيعته وهذا من عدوه احدهما من قبطي والاخر سبطي واسم الاشارة
لتصوير الكائن في صورة الحاضر فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه
موسى عليه السلام بعدما دعاه الى الحق فلم يرعوا والوكز الضرب بجمع الكف وفي حديث
المعراج فجاء جبرائيل فوكز بين كتفي فقضى عليه قتله اصل القضاء اتمام الشيء قولا او
فعلا قال هذا من عمل الشيطان اي قتل القبطي بسما عمل الشيطان لانه لم يكن مأمورا
بقتله او لكونه مأمونا بينهم وذلك لا يقدح في عصمته لانه كان خطاء لم يقصد
يؤكد القتل واستغفاره وعده ظلما وعمل الشيطان وتسمية نفسه ظالما على داب
المقربين في عد المحقرات عظائم انه عدو مضل مبين لا اشتباه فيه قال رب اني ظلمت
نفسي فاغفر لي فغفر له بعد الاستغفار انه هو الغفور كثير الغفران الرحيم وافر
الرحمة قال رب بما انعمت علي من المغفرة وغيرها لاتوبن فثم محذوف الجواب او
استعطاف اي بحق ما انعمت علي اعصمني فلن اكون ظهيرا للمجرمين لن اعاونه تؤدي
الى الاجرام كمظاهرة الاسرائيلي وقيل اراد مظاهرة فرعون فانه كان يركب معه
ويكثر سواده فاصبح في المدينة خائفا يترقب المكروه من الاستقادة وغيرها
مما يقال فيه فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه يستغيث به على قبطي آخر ثانيا
قال له موسى انك لغوي مبين شديد الغواية ظاهرها لانك بالامس تسببت في هلاك
رجل والآن تسعى في هلاك آخر فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما لموسى وللاسرائيلي
قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس اي قال الاسرائيلي لما سماه غويا وهم
بالبطش بعد وهما ظن انه يقصده فنم عليه او القبطي لما سمع قول موسى للاسرائيلي انك
لغوي مبين وكان قتل القبطي قد اشتهر ولم يعلم قاتله ففهم انه القاتل ان تريد
الا ان تكون جبارا في الارض تقتل الناس على الغضب وتتكبر لا تتواضع لامر الله وما
تريد ان تكون من المصلحين بين المتخاصمين فان شأن المصلح الدفع بالاحسن لا قتل احد
الخصمين وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى بعد وصفه رجل او حال من الرجل لانه نكرة
موصوفة فان قلت في سورة يس وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى بتقديم الجار والمجرور

على عكس ما وقع هنا فما وجه اختصاص كل بموضعه قلت الكلام هنا جاء على اصله وانما
غير هناك لان مساق الحديث لبيان سوء معاملة اهل القرية الرسل فكان مظنة ان
يتردد السامع هل هناك من فيه خير ام الكل على الباطل فلذلك قدم ذكر الرجل الداعي
الى اتباع الرسل قال يا موسى ان الملأ اي اشراف قوم فرعون يأتمرون بك اي يتشاورون
لاجلك الائتمار التشاور لان كلا من المتشاورين يأمر صاحبه بما يظهر له من الرأي ليقتلوك
قصاصا عن القبطي الذي قتلت فاخرج اني لك من الناصحين اللام للبيان كما في هيت لك
وليست صلة للناصحين لان معمول الصلة لا يتقدم على الموصول فخرج منها من مصر خائفا
يترقب اللحوق به قال رب نجني من القوم الظالمين خلصني منهم ولما توجه تلقاء
مدين صوبه وما يحاذيه مأخوذ من اللقاء ومدين قرية شعيب سميت باسم بانيها
مدين بن ابراهيم وبينها وبين مصر ثمان او سبع مراحل قال عسى ربي ان يهديني سواء
السبيل اي الطريق المستوي والسواء العدل الذي لا انحراف فيه كان قاصدا مدين
ولم يعرف الطريق وقيل لم يكن قاصدا لمكان معين بل اخذ طريقا يوصله الى اي بلد
كان فسنح له ثلث طرق فاخذ في اوسطها فجاء الطلب في اثره فاخذوا في الاخريين
ولما ورد ماء مدين بئرا لهم معروفا يقال وردت الماء اذا جئته للشرب والورد
بكسر الواو ذلك الماء وجد عليه اي على مكان قريب منه امة من الناس جماعة من ناس
مختلفين يسقون اي مواشيهم ووجد من دونهم اي في ادنى مكان منهم امرأتين تذودان
تمنعان اغنامهما عن الورود وحذف المفعول لمجرد الاختصار وقيل لان الفعل هو المقصود
وذلك لان الترحم انما كان لكونهما على الذود واما ان مذودهما غنم او غيره فلا دخل
له في ذلك وهذا اذا لم يلاحظ اضافة المفعول واما اذا لوحظ فلا شك ان ترحمه انما كان
لكونهما على ذود غنمهما والقوم على سقي مواشيهم حتى لو كان القوم على سقي غنمهما وهم
على ذود مواشيهم لم يكن للترحم وجه قال ما خطبكما اي ما الموجب لفعلكما والخطب الامر
المهم الذي يقع الخطاب في شأنه قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء الصدر بفتح الدال الرجوع
بعد الورود قرأ نافع وابن كثير والكوفيون بضم الياء وكسر الدال من الاصدار وهو رد
المواشي بعد الايراد والفتح اوفق لان الغاية رجوع القوم لا رد المواشي ولسلامته عن الحذف
وابونا شيخ كبير لا يستطيع الخروج للسقي فيه استعطاف ودفع لما يتوهم من العار في استرعاء
العواتق فانه مخل بالمروءة فسقى لهما ثم تولى الى الظل ظل الشجرة فقال رب اني لما انزلت
الي من خير فقير اي لاي شيء انزلته من قليل وكثير محتاج وانما عدي الفقر باللام
لتضمنه معنى السؤال قيل انما قال هذا الكلام الا وكان يرى خضرة البقل في بطنه
من الهزال والمعنى اني لاجل ما انزلت الي من المعرفة بك وبصفاتك صرت فقيرا من خير
الدنيا فعلى هذا يكون تبجحا منه وسرورا بالحالة كما هو دأب النفوس القدسية فجاءته
احداهما تمشي على استحياء على وجه الحياء والخفر مغطية رأسها كما هو دأب العواتق

العواتق لا سيما بنات الانبياء قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا لم يكن اجرا
حقيقة بل ارادت المكافأة على الاحسان ولو كان اجرا لم يقدح في كمال موسى لانه
كان محتاجا وقيل بل لم يتناول طعاما لما قدمه اليه وقال انا اهل بيت لا نأخذ على
المعروف ثمنا فقال شعيب كذلك عادتنا مع كل وارد علينا فلما جاءه وقص عليه
القصص مصدر كالعلل بمعنى المقصوص اي ما جرى من امره قال لا تخف نجوت من القوم
الظالمين فرعون وقومه فانه لا حكم لفرعون ولم يتجاوز بلدة قبطيا قالت احداهما وهي التي
دعته الى ابيها وهي الكبرى واسمها صفرا واسم الصغرى صفيرا يا ابت استأجره لرعي
الغنم ان خير من استأجرت القوي الامين قال ابوها من اين علمت قوته وامانته قالت
اما قوته فرفع الحجر من رأس البئر وحده وكان لا يقله الا جماعة واما الامانة فانه
كان يمشي امامه فقال امشي خلفي وانعتي لي الطريق وانما جعل خبر اسم مع كون القوي الامين
اعرف عنايةً بخيرية الاجير واتى بالماضي دلالة على انه امر مجرب معروف وعن ابن مسعود
رضي الله عنه افرس الناس ثلثة صاحب يوسف حيث قال عسى ان ينفعنا وبنت شعيب
وابو بكر حين استخلف عمر قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني ثماني
حجج اي نفسك ثماني سنين جمع حجة سميت السنة بها لاشتمالها عليها وهذا كان تواعدا
بينهما لا انكاحا واما اجارة الحر في المهر قال به الشافعي ومنعه ابو حنيفة رحمهما الله ولعل
الشرايع في ذلك مختلفة او كان المهر شيئا اخر وانما اراد ان يكون راعي غنمه لامانته و
قوته فان اتممت عشرا فمن عندك تفضلا وهذا يدل على ان المهر كان اجارة نفسه وما
اريد ان اشق عليك بان اكلفك ما يوقعك في التعب بعجزك وهذا شأن الانبياء في امورهم
ومعاملاتهم وعن السائب بن يزيد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شريكي فكان خير
شريك لا يداري ولا يماري ولا يشاري ستجدني ان شاء الله من الصالحين الوافين
بالعهد مع حسن المعاشرة ولين الجانب قال ذلك بيني وبينك اي الذي شارطتني عليه
قائم بيننا لا اخرج عنه انا ولا تخرج انت ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي بطلب
الزيادة اي كما اني ان قضيت اطول الاجلين لا اطالب بالزيادة وكذا ان قضيت اقصرهما
لا اطالب بالزيادة والله على ما نقول وكيل شاهد حفيظ فلما قضى موسى الاجل
اطول الاجلين رواه البخاري روي ان شعيبا كان عنده عصي الانبياء فامر موسى ان
يدخل البيت ويأخذ احداها فدخل فخرج بواحدة وكان شعيب قد كف بصره فمسها فوجد
العصا التي هبط بها آدم من آس الجنة فقال ردها وخذ غيرها فردها سبع مرات فلم يقع
في يده غيرها وعن الكلبي انها كانت من الشجرة التي نودي منها شجرة العوسج وعن الحسن ما كانت
الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا ولما اصبح قال له شعيب اذا وصلت الى مفرق الطريق
فلا تأخذ ذات اليمين لان هناك تنينا اخاف عليك منه فلما وصل اخذ الغنم ذات اليمين
فلم يقدر على كفها فتبعها فاذا بريف وارف لم ير مثله فنام موسى فاقبل التنين فحاربته

العصى فقتلته فاستيقظ موسى فابصر العصى دامية فرجع الى شعيب واخبره الخبر ففرح بذلك وعلم
ان لموسى وللعصا شانا وقال لى وهبت لك نتاج غنمى هذا العام كل ادرع ودرعاء
فجاء النتاج كله على الصفة المذكورة فوفى له بالشرط وسار باهله قاصدا مصر وكان
بها هارون واخته مريم وامه وسائر اقربائه آنس من جانب الطور نارا اى بين
الجهة التى فى صوب الطور الايناس لا ابصار فى الموضع الذى لا يعهد قال لاهله
امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر الطريق او جذوة من النار هى العود
الغليظ سواء كان فيه نار او لا والشعلة من النار ايضا وقرأ حمزة بضم الجيم وعاصم
بالفتح والباقون بالكسر وهى لغات لعلكم تصطلون تستدفؤن بها فلما اتيها
نودى من شاطئ الوادى الايمن شاطئ الوادى جانبه ولايمن الذى يقع
فى صوب اليمين والواد المقدس يقع فى جانب يمين الذاهب الى مصر فى البقعة المباركة
حال من الشاطئ او صلة نودى من الشجرة من ابتدائية والجار والمجرور بدل من قوله
من شاطئ بدل الاشتمال ان يا موسى اى يا موسى انى انا الله رب العالمين فان قلت
قد وقع فى طه انى انا ربك الى آخر الاية وفى النمل انه انا الله وهنا انى انا الله بالفاظ
مختلفة والقصة واحدة قلت قد خاطبه فى ذلك الموطن بهذه الالفاظ كلها
وذلك انه كان ابتداء رسالته فبسط الكلام معه وعرفه بعض صفاته العليا
او نقل بالمعنى فى بعض المواضع وان الق عصاك فلما رآها تهتز تضطرب كانها جان
حية صغيرة فى السرعة وان كانت ثعبانا عظيم الجثة ولى مدبرا ولم يعقب ولم
يرجع من شدة الخوف يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين نودى بهذا الكلام
يسكن روعه اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء من غير آفة برص و
اضمم اليك جناحك كناية مستعار من ضم الطائر جناحه لعدم الخوف فان الطائر
اذا خاف نشر جناحه وما قيل ان يديه كانتا مبسوطتين تتقى بهما الحية فغير انه
لما رآها تهتز ولى مدبرا ولم يقابل الحية من الرهب اى لاجل الرهب وقرأ ابن عامر
وابو بكر وحمزة والكسائى بضم الراء والكوفيون وابن عامر باسكان الهاء والتخفيف
فذانك برهانان العصى واليد وقرئ ابن كثير وابو عمرو وذانك بنون مشددة
زادا على نون التثنية نونا آخر بدلا عن لام ذلك والباقون بفتح الراء والهاء وهو
الشايع المختار من ربك كائنين او مرسلا بهما انه الى فرعون وملائه انهم كانوا
قوما فاسقين خارجين عن طاعة ربهم فهم احقاء بالانذار قال رب انى قتلت
منهم نفسا فاخاف ان يقتلون واخى هرون هو افصح منى لسانا فارسله معى ردءا
يصدقنى الردء العون والناصر وقرأ نافع ردا بنقل حركة الهمزة وقرأ عاصم وحمزة
يصدقنى بالرفع والباقون بالجزم لكونه جواب الامر وهو المختار لبقاء الرد على
الاطلاق فى التصديق انى اخاف ان يكذبون فى دعوى الرسالة فان قلت اذا كذبوا

كذبوا موسى مع العصا واليد البيضاء فما فائدة تصديق هرون قلت ليس المراد من تصديقه
ان يقول له صدقت بل المراد فان سحبان وباقلا فيه سواء بل التصديق مجاز عن
تلخيص الحجة وازاحة الشبهة لكونه افصح من موسى او المراد تصديق المرسل اليهم اى
يصدقونى واسناده الى هارون اسناد الى السبب ويويد انى اخاف ان يكذبون
قال سنشد عضدك باخيك سنقويك به من باب الكناية لان اليد يشتد بالعضد
لانه قوامها والشخص يشتد باشتدادها واستعارة تمثيلية بان شبه حال موسى فى
تقويه باخيه بحال اليد فى اشتدادها بالعضد ونجعل لكما سلطانا غلبة او حجة
واضحة فلا يصلون اليكما بمكروه باياتنا متعلق بنجعل اى نسلطكما باياتنا او بلا
يصلون على معنى يمتنعون منهم باياتنا او هو قسم محذوف الجواب لدلالة يصلون عليه
او القسم الذى يتوسط الكلام فلا يحتاج الى الجواب او صلة لما بينه انتما ومن اتبعكما
الغالبون لا له لعدم جواز تقدم الصلة على الموصول فلما جاءهم موسى باياتنا بينات
قالوا ما هذا الا سحر مفترى اختلقه من تلقاء نفسه مثل صفة مخصصة او ظاهر افتراؤه لا
يشتبه بالمعجزة من باب بخبه انتى او مفترى كسائر انواع السحر ثم وصفه بالافتراء
تغليب لانه من صفة الاقوال والسحر اعم وما سمعنا بهذا فى آبائنا اى كائنا فى زمانهم
حال من هذا والمشار اليه اما النبوة على معنى انكار ان يكون الرسول بشرا او السحر والمراد
تقطيعه وكونه سحرا لم ير مثله ولم يسمع وقال موسى ربى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده
فهو عالم انى محق وانتم مبطلون وقرأ ابن كثير قال بحذف الواو على الاستيناف وعليه رسم
المكى والباقون بالواو على العطف حكاية للقولين ليميز السامع بين الصحيح والفاسد منهما
وعليه سائر الرسوم وهذا ابعد معنى ومن تكون له عاقبة الدار هذه الدار لانه المتلو
الاول وعاقبتها الجنة لقوله اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن انه لا يفلح الظالمون
فى الدارين لهم خزى فى الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وضرب الجزية وفى الآخرة عذاب
النار وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى جعل عدم علمه مستلزما لعدمه لانه
يدعى الالوهية فلو كان هناك اله لعلمه وقيل اراد به نفى المعلوم وهذا انما يصح فى
العلوم العقلية لكونها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها وهنا
فاوقد لى يا هامان على الطين نادى هامان وهو وزيره باسمه وامره بالايقاد على
طريقة الجبابرة ولم يقل اتخذ لى آجرا لكونه اول من وضع صنعة الآجر ويحكى عن عمر
بن الخطاب لما دخل الشام ورأى القصور المشيدة قال ما كنت اظن ان احدا يبنى بالآجر
غير فرعون فاجعل لى صرحا لعلى اطلع الى اله موسى ما اجهله ظن ان الاله جسم فى
مكان ثم لو فرض انه كما ظن من اين يلزم ان يكون فى محاذاة قصر فرعون ولو سلم
من اين علم ان القصر يبلغ السماء ولو سلم من اين له انه اذا بلغ السماء يجد فى ذلك
طريقا اليه وانى لاظنه من الكاذبين فى ان له الها غيرى وهذا ايضا جهالة اخرى

حيث ظن ان هناك الها اخر بعد علمه بان لا اله غيره واستكبر هو وجنوده في الارض
بغير الحق تجاوزوا عن طورهم لان الكبرياء رداء الله وظنوا انهم الينا لا يرجعون
كانوا دهرية لا يقولون بالمعاد ولذلك اقدموا على ذلك الاستكبار والطغيان
قرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وعاصم يرجعون بضم الياء وفتح الجيم فاخذناه
وجنوده اخذ عزيز مقتدر فنبذناهم في اليم كما ينبذ الشيء الحقير فما ظنك بمن
الارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه فانظر تأمل كيف
كان عاقبة الظالمين الكاملين في الظلم وسوف ترى عاقبة مكذبيك وجعلنا
هم ائمة يدعون الى النار الى موجباتها من الكفر والمعاصي ويوم القيمة لا ينصرون
بدفع العذاب كما يدفع الاتباع عن القادة في الدنيا واتبعناهم في هذه الدنيا
لعنة لعن الناس لا ترى احدا من الناس الا وهو يلعن فرعون وقومه او طردا من
رحمته حيث اهلكهم عن اخرهم ويوم القيمة هم من المقبوحين المطرودين يقال
قبحه الله اي نحاه وطرده او من قبح وجوههم ومن قرأ هذه الاية ثم قال بايمان
فرعون فهو اكفر من فرعون ولقد اتينا موسى الكتاب التورية من بعد ما
اهلكنا القرون الاولى من قوم نوح الى فرعون بصائر للناس ذلك الكتاب
لاشتماله على المعارف التي هي انوار القلوب وهدى الى طريق الجنة ورحمة
لان من عمل به يصل الى رحمة الله لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال يرجى منهم
التذكر وما كنت بجانب الغربي بالوادي الذي في الجانب الغربي من الطور اذ
قضينا الى موسى الامر ارسلنا اليه الوحي وما كنت من الشاهدين للوحي او عليه
وهم السبعون المختارون للميقات وهذا اوجه لان الحضور قد علم من قوله وما
كنت بجانب الغربي وسياق الاية للدلالة على ان اخباره بتلك الوقائع ليس الا
باعلام الله ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر لكنا اوحينا اليك انشأنا
قرونا كثيرة من بعد موسى فتطاول الزمان وتحرفت الاخبار وخفيت اعلام الشرائع
فارسلناك فارسلناك مجددا فحذف المستدرك واقيم سببه مقامه وما كنت
ثاويا مقيما في اهل مدين قوم شعيب تتلو عليهم اياتنا تتعلم منهم يقال تلوت
على فلان القران اذا تعلمت منه اولم تكن انت مرسلا اليهم تتلوا عليهم اياتنا بل كان
شعيبا فاخبارك باعلام الله وقيل الضمير لاهل مكة ولكنا كنا مرسلين اياك وما
كنت بجانب الطور اذ نادينا موسى حين قربناه نجيا او استنبأناه وهذا اولى
لتقدم ذلك ولكن رحمة من ربك اعطاكهما والتفت الى الغيبة للدلالة لفظ الرب
على التربية الملائمة للرحمة لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لوقوع الفترة
بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة وقد روى البخاري عن سلمان انها ستة
مائة سنة اللام متعلق بالفعل المقدر لعلهم يتذكرون اذا تليت عليهم تلك الوقائع

تلك الوقائع فيعلمون انك رسول من عند الله ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت
ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا لولا الاولى امتناعية والثانية
بمعنى هلا تحضيضية والمعنى لولا انهم قائلون اذا عوقبوا بما قدمت ايديهم من الشرك
والمعاصي هلا ارسلت الينا رسولا لما ارسلنا اليهم رسولا وكان الظاهر دخول حرف
الامتناع على القول وانما دخل على العقوبة لانها السبب لذلك القول والقول هو السبب
لارسال الرسل وانما لم يكتف بهذا القول بل ذكر سببه تنبيها على ان قولهم هذا ليس
تأسفا على فوات الايمان بل لما نالهم من العقوبة وفيه دلالة على استحكام كفرهم ولما
كان في التحضيض معنى الامر لكونه باعثا على الفعل نشأ دخل الفاء في قوله فنتبع
اياتك جوابا له كما يجاب الامر بالفاء ونكون من المؤمنين بتلك الايات فلما جاءهم
الحق من عندنا قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى يريدون الكتاب جملة او العصا
واليد البيضاء تعنتا اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل يريد ابناء جنسهم ومن مذهبهم
من العناد والتعنت وعن الحسن قد كان للعرب اصل في ايام موسى وذلك ان فرعون
وقومه كانوا من اولاد العمالقة وهم عرب فعلى هذا يتعلق الجار والمجرور باولم
يكفروا وهذا وجه حسن للدلالة على ان مشركي مكة لهم قدم راسخ في الكفر وعرق اصيل
في العناد واحسن منه ان كفار مكة كانوا كافرين بموسى فلما طلبوا من رسول الله
معجزات موسى رد الله عليهم بانهم قبل محمد كانوا كافرين بموسى قالوا ساحران اي موسى
وهرون او موسى ومحمد تظاهرا تعاونا على السحر وقرأ الكوفيون سحران على حذف
المضاف او على المبالغة او اراد نوعي الكتابين التورية والقران لقوله لولا اوتي مثل
ما اوتي وعليه الرسم وهو ابلغ معنى وان كان الاول اشهر قالوا انا بكل كافرون اي
بكل واحد من الرسولين او الكتابين وقيل بكل الانبياء ولا يستقيم لان كفار مكة لم يكفروا
بابراهيم واسمعيل قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما من الكتابين وهذا
يؤيد ان السحرين هو القران والتورية والساحران موسى ومحمد اتبعه ان كنتم صادقين
انا ساحران الاتيان بهم مستحيل وحرف الشك ارخاء للعنان تبكيتا فان لم يستجيبوا لك
فان لم يستجيبوا دعاءك الى الكتاب الاهدى فحذف المفعول لان الغالب ان فعل الاستجابة
اذا تعدى الى الداعي باللام يحذف الدعاء فاعلم ازدد علما ودم على علمك انما يتبعون
اهواءهم اذ لم يبق لهم شبهة فيصدوا عن الحجة ومن اضل ممن اتبع هواه اي لا اضل منه بغير
هدى من الله في موضع الحال للتوكيد لا للتقييد بناء على ان هوى النفس قد يوافق الحق لعدم الانقياد
بتلك الموافقة ان الله لا يهدي القوم الظالمين المجبولين على الظلم المنهمكين فيه و
لقد وصلنا لهم القول اي اتبعنا بعض القران بعضا في الانزال متواصلا وعدا ووعيدا
وقصصا ونصائح وهذا الجواب عن قولهم لولا اوتي مثل ما اوتي موسى لعلهم يتذكرون
بعد التفكر في ذلك المنزل المتواصل الذين اتيناهم الكتاب من قبله اي من قبل القران

امرهم عليه السلام هم به يؤمنون تقديم هم للاختصاص وبه للاهتمام نزلت في مؤمني
اهل الكتاب كسلمان وعبد الله بن سلام وعن رفاعة بن قرظة في عشرة وانا منهم اثنان و
ثلثون من الحبشة قدموا في السفينة مع جعفر وثمانية قدموا من الشام فهذا اخبار بما
سيقع لان السورة مكية وعن محمد بن اسحق هؤلاء عشرون رجلا بعثهم النجاشي ورسول
الله بمكة فقرا عليهم القرآن فامنوا وعن سعيد بن جبير هم سبعون واذا يتلى عليهم قالوا
آمنا به اي بانه كلام الله تعالى انه الحق من ربنا تعليل الايمان به لان كونه من عند الله حقيق
بان يؤمن به انا كنا من قبله مسلمين استيناف لبيان ان ايمانهم به ليس محدثا بل كانوا
سمعوا من آبائهم وقرأوا في كتابهم انه سينزل كتاب نعته كذا والمسلم اسم لكل موحد
يؤمن بالله وكتبه ورسله اولئك يؤتون اجرهم مرتين ضعفا اجر من آمن بمحمد من
المشركين روى البخاري ومسلم عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله قال ثلثة لهم اجران
رجل آمن بنبيه وآمن بمحمد وعبد مملوك ادى حق الله وحق مواليه ورجل له امة
فادبها فاحسن تاديبها ثم اعتقها فتزوجها بما صبروا على اذى الكفار او على تكاليف
الشرايع ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعون ما ينالهم من المكروه من الشتم والسخرية
بالقول الجميل او المعاصي بالطاعات لقوله صلى الله عليه وسلم اتبع الحسنة السيئة تمحها
ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير نفقه بوعد الله الثواب واذا سمعوا اللغو الباطل
وما لا طائل تحته اعرضوا عنه تكرما وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم امان
منا لكم عن المقابلة بالمثل لا نبتغي الجاهلين لا نرضى بالتخلق باخلاقهم عن محمد بن
اسحق هذا الكلام بعث النجاشي فانهم لما امنوا اعرضهم ابو جهل ونفر من قريش وقالوا
خيبكم الله ارسلكم صاحبكم لتعلموا خبر الرجل فما استقر بكم المجلس حتى فارقتم دينكم انك
لا تهدي من احببت لا تقدر على ادخال الايمان في قلبه ولكن الله يهدي من يشاء
بخلق الايمان روى البخاري عن سعيد بن المسيب عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دخل على ابي طالب حين حضرته الوفاة وعنده ابو جهل وعبد الله بن ابي امية فقال اي عم
قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله فقال ابو جهل وعبد الله اترغب عن ملة عبد
المطلب فلم يزل رسول الله يعرضها عليه ويعيدان تلك المقالة حتى قال ابو طالب آخر ما
كلمهم هو على ملة عبد المطلب وابى ان يقول لا اله الا الله فانزل فيه انك لا تهدي من
احببت وعن ابن عباس رضي الله عنه قيل له انت شفيع الجنائز لا شراك الهداية وهو
اعلم بالمهتدين بالقابلين له وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا نخرج
منها سريعا قالته قريش وقال القايل الحرث بن عثمان بن نوفل واسناده اليهم لتوقعه
بينهم تعللوا بعلة باطلة فرد الله عليهم بقوله اولم نمكن لهم حرما آمنا اي جعلنا
مكانهم حرما ذا امن يجبى اليه ثمرات كل شيء يجلب اليه ثمرات اكثر الاشياء كقوله
واوتيت من كل شيء واذا كان هذا حالهم وهم على الشرك فكيف لو ضموا الى الحرم البيت

البيت شرف الايمان وقرأ نافع تجبى بالتاء والياء احسن لوجود الفاصل رزقا مصدر
لان يجبى في معنى يرزق او مفعول له وان جعلته بمعنى المرزوق فهو حال من الثمرات
لتخصصها بالاضافة من لدنا تفضلا من غير استحقاق منهم ولكن اكثرهم لا يعلمون
ذلك مع ظهوره لكونهم ختم ما على قلوبهم وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها اهلكنا
كثيرا من اهل القرى كان حالهم كحال هؤلاء في الامن ولين العيش والبطر شدة الفرح
بالدنيا والغفلة عن شكر المنعم وفيه تخويف بليغ لاهل مكة وانتصاب معيشتها اما
بحذف الجار كقوله واختار موسى قومه او بحذف الزمان المضاف اي ايام معيشتها
او بتضمين بطرت معنى كفرت فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا من
السكنى قال ابن عباس لم يسكنها الا المارة ساعة للاستراحة وقيل لم يسكنها الا البوم
والوحوش او لم يسكن من سكن الا قليلا بشوم معاصيهم لسرايته الى كل ساكن وكنا
نحن الوارثين بان تركناها بلا نفع وارث وبذلك تدخل في عداد خالص ملك الله لا
لانقطاع تعلق الغير وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلو عليهم آياتنا
الزاما للحجة وقطعا للمعذرة اي ما كان الله ليهلك القرى التي على وجه الارض الا بعد
ان يرسل في امها رسولا وهي مكة او كل قرية عظيمة في كل وقت سائر القرى توابعها
وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون اي ما كانت في الزمان السالف هلكت قرية
الا والحال ان اهلها ظالمون بتكذيب الرسول المبعوث اليهم وفيه تخويف لاهل مكة
بانهم بتلك الصفة فهم بصدد ذلك وما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا
وزينتها اي شيء كان وان كان ملاء الارض ذهبا ليس الا متاعا قليلا لانه في مقابلة
الباقي الذي اشار اليه بقوله وما عند الله خير وابقى لانه ابدي وفي الحديث لو كانت
الدنيا من الذهب والآخرة من الخزف لاختارها العاقل فكيف والامر بالعكس ولذلك
عقبه بقوله افلا تعقلون لان ايثار الفاني على الباقي ليس من افعال العقلاء وقرأ
ابو عمرو بياء الغيبة على الالتفات وهو اشد ذما والخطاب ابلغ موعظة افمن
وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه تقرير وايضاح لما تقدم والمعنى ابعد ذلك التفاوت
الظاهر بين الباقي والفاني يسوى بين ابناء الدنيا والآخرة والوعد الحسن الوعد
بالجنة والفاء الثانية للدلالة على سببية الاول كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا
ثم هو يوم القيمة من المحضرين الى النار وثم لبيان تراخي حال الاحضار عن حال التمتع
لا للتراخي في المدة لكونه معلوما لا طائل في ذكره وقرأ نافع في رواية قالون
والكسائي ثم هو بسكون الهاء لان الواو والهاء تنزلا من هو منزلة الجزء لعدم استقلالها
فصار وهو كعضد فخفف ثم حمل عليها بجامع العطف ويوم يناديهم منصوب باذكر فيقول
اين شركائي الذين كنتم تزعمون اضافة الشركاء الى نفسه على زعمهم تهكما بهم و
مفعولا زعم محذوفان اي زعمتموهم شركائي والدال على الحذف تقدم الذكر قال

الذين حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وهو الخلود في النار ربنا هؤلاء الذين
أغوينا أي أغويناهم فحذف الراجع أغويناهم كما غوينا خبر هؤلاء والكاف في موضع
المصدر ومعنى التشبيه أنهم غووا باختيارهم والمعنى أغويناهم فغووا غيا باختيارهم
مثل ما غوينا وإن كان ذلك بتسويلنا ويجوز أن يكون أغويناهم استينافا والذين
أغوينا خبرا تبرأنا إليك من كفرهم باختيارهم ما كانوا إيانا يعبدون بل كانوا
يتبعون أهواءهم والجملتان مقررتان للكلام السابق ولذلك خلتا عن العاطف ومن
جعل ما مصدرية حذف عنها الجار المتعلق بتبرأنا تكلف وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم
من فرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم لعجزهم عن الاستجابة والنصرة ورأوا العذاب
وتيقنوا أنهم صائرون إلى النار لو أنهم كانوا يهتدون لوجه من الحيل يدفعون
به العذاب لدفعوا أو لو كانوا يهتدون في الدنيا لما رأوه أو تمنوا الاهتداء لما رأوا
العذاب وتحيروا ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين وبخهم أولا على اتخاذ
الشركاء ثم بما يقوله الشيطان أو أئمتهم حين تبرؤوا منهم ثم بما يشبه الشماتة والتهكم
بهم لما أمرهم بدعائهم والاستغاثة بهم بعد التبري منهم ثم بالسؤال عما أجابوا به
الرسل إزاحة للعلل وتبكيتا فعميت عليهم الأنباء يومئذ أصله فعموا عن الأنباء
وإنما عكس مبالغة كأن عماهم سرى إلى الأنباء فلا تجد إليهم سبيلا والمراد عمى القلب
وتعدى الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا
لتساويهم في عمى الأنباء عليهم فأما من تاب من الشرك وآمن بما يجب الإيمان به
وعمل صالحا بعد الإيمان فعسى أن يكون من المفلحين رغبة في الإفلاح فكأنه قال
ما ذكر حال المصر وأما التائب فمن الفائزين وعسى الكرام تحقيق فما ظنك بأكرم الأكرمين
ويجوز أن يتصل بقوله أفمن وعدناه وحديث الشركاء مستطرد لذكر الإحضار وربك
يخلق ما يشاء ويختار من هداية أحد الفريقين وإضلال الأخرى فإن قلت ما الفرق
بين المشيئة والاختيار حتى جمع بينهما قلت الاختيار هو القصد إلى اتخاذ ما تعلقت به الإرادة
وترجيح أحد الطرفين بعد ملاحظة الأخرى ما كان لهم الخيرة بيان لقوله ويختار
ولذلك لم يدخل العاطف والخيرة من التخير كالطيرة من التطير رد لقول الوليد بن المغيرة
حين قال لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقيل ما موصولة والمعنى
ويختار للعباد الذي لهم فيه الخيرة كخلق الأنبياء ودلائل الآفاق والأنفس وعلى
الوجهين لا يلزم سلب الاختيار عنهم في أفعالهم الجزئية سبحان الله تنزيها له عن
منازع أو مزاحم فيما يشاء وتعالى عما يشركون عن إشراكهم أو ما يشركونه به وربك
يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون من عداوة رسول الله والطعن فيه وهو الله
لا غيره لا إله إلا هو لا يستحق الألوهية غيره توكيد وتقرير للأولى له الحمد في
الأولى والآخرة لأنه مولى النعم في الدارين يحمده المؤمنون في الآخرة تلذذا وابتهاجا

وابتهاجا كما يحمدونه في الدنيا تعبدا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن الحمد لله الذي
هدانا لهذا الحمد لله الذي صدقنا وعده روى مسلم وأبو داود عن جابر أن رسول
الله قال أهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون يلهمون التسبيح والتهليل
كما يلهمون النفس وله الحكم لا حاكم غيره وإليه ترجعون للمجازاة لا إلى غيره قل
أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة لما ذكر تفرده بالألوهية و
استحقاقه الحمد في الدارين أردفه بنعمتين لا يمكن الانتفاع بسائر النعم بدونهما
ولا يشك أحد أنهما منه إذ لا مجال لتوهم مشاركة الغير والسرمد الدائم من السرد وهو
المداومة على الشيء من إله غير الله يأتيكم بضياء قدم ذكر الليل لأن انكشافه
عن النهار بالنير الأعظم أبلغ في المنافع وأجلب للمصالح ولذلك آثر ذكر الضياء
على النهار مع كونه ظاهرا في التقابل للدلالة على أن المقصود من النهار والانتفاع
بالنهار من روادفه ولذلك جعل الفاصلة أفلا تسمعون لأن مدرك العقل
بواسطة السمع أكثر من مدركات البصر إذ ما لا يمكن إدراكه بحاسته يمكن أن يعبر
عنه بعبارة تفهمه قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من
إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه لم يقابل الضياء بالظلام لكونه غير مقصود
في نفسه مع استمرار النفس من سماعه في معرض الامتنان وذكر السكون في الليل ولم
يقابل بالتصرف في النهار لاختصاص نفع الليل فيه دون النهار في التصرف فالتوبيخ
في أفلا تسمعون أبلغ منه أفلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا
فيه ولتبتغوا من فضله لف ونشر مرتب وهو من محسنات الكلام ولعلكم تشكرون
ولكي تعرفوا نعمة الله فتشكروه وجعل ذلك ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين
كنتم تزعمون ونزعنا من كل أمة شهيدا أخرجنا وهو نبيهم لأن الأنبياء شهداء على
الأمم فقلنا بعد احضار النبي هاتوا برهانكم على الشرك وتكذيب الرسل فعلموا
أن الحق لله في الألوهية وضل عنهم غاب غيبة الضائع ما كانوا يفترون من
الباطل وبخهم أولا على اتخاذ الشركاء بقوله ويوم يناديهم فيقول أين شركائي ليبكتهم
بعد صلوحهما ولذلك عقبه بقوله ادعوا شركاءكم تهكما بهم وثانيا بقوله أين شركائي
الذين كنتم تزعمون وعقبه بقوله وضل عنهم ما كانوا يفترون ليدل على أن ذلك الاتخاذ لا
لم يكن له حقيقة وقيل الأول لبيان فساد رأيهم والثاني لبيان أن ذلك لم يكن له
سند إن قارون كان من قوم موسى لما كان افتخار المشركين بما كان لهم من الأموال
والبنين وما كان فيه رسول الله والمؤمنون من ضيعة ذات اليد هددهم الله أولا
بقوله وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها وأردفه بمن ضرب به المثل في الثروة والغنا
وما آل إليه أمره وجر عليه غروره وكيف صار هلاكه عبرة لأولي الأبصار وأشار في
أثناء القصة إلى أنه قد أهلك قبله من كان أشد منه قوة وأكثر مالا قال الكلبي كان

ابن عم موسى وعن محمد بن اسحاق كان عم موسى وعن ابن عباس كان ابن خالته فبغى عليهم
بان طغى وخرج عن اتباع موسى وذلك ان موسى جعل الحبورة والقربان لهرون فقال قارون
الامر لكما ولست على شيء قال موسى هذا صنع الله وقيل بغى اي ظلم وذلك ان فرعون
كان جعله واليا على بني اسرائيل فظلمهم وقيل تكبر بكثرة الاموال والاولاد وآتيناه من
الكنوز من انواع الاموال المدخرة من الكنز وهو الجمع ما ان مفاتحه جمع مفتح بالكسر
وهو ما يفتح به او مفتح بالفتح وهو خزانة المال لتنوء بالعصبة اولي القوة يقال ناء به
اذا اثقله والعصبة الجماعة الكثيرة وقيل من عشرة الى اربعين من العصوبة وهي الاحاطة
ومنه عصبة الميت وقد بولغ في اظهار الكثرة حيث ذكر الكنوز والنوء والعصبة ذوي
القوة قيل كان يحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلا وكان لكل مفتاح لا يزيد على اصبع اذ قال له
قومه ظرف لتنوء لا تفرح بالدنيا التي حبها هو رأس كل خطيئة ان الله لا يحب الفرحين
بزخارف الدنيا وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة فانها دار الاقامة والمال نعم
الوسيلة اليها وفي الحديث نعم المال الصالح للرجل الصالح ولا تنس نصيبك من الدنيا
بان تخرج من مالك كله بل خذ منه قدر كفايتك كقوله ولا تبسطها كل البسط او ما
تصلح به آخرتك فان نصيب المؤمن من الدنيا كقوله صلى الله عليه وسلم يقول ابن آدم
مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلته فافنيت ولبسته فابليت وتصدقت به فابقيت و
يؤيده قوله واحسن كما احسن الله اليك اي انعم به على المحاويج كما انعم الله عليك ولا
تبغ الفساد في الارض لا تطلبه فضلا عن الوقوع فيه ان الله لا يحب المفسدين
والعاقل لا يدخل نفسه في زمرتهم قال انما اوتيته على علم عندي اي علم كان عندي
استوجبت به التفوق على الناس وذلك انه كان اعلم بني اسرائيل بالتورية وقيل اراد علم
الكيميا فانه كان تعلمه من موسى وقيل علم التجارة والمكاسب وقيل علم بكنوز يوسف
والوجه ان عندي جملة مستأنفة تقرر ما ذكره اي هكذا الامر عندي وفي اعتقادي
اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا اي
قد علم ذلك قراه في التورية وسمع من المورخين اخبار نمرود الفحل وملكا نوافيه
فكيف لم يتنبه واغتر بما فيه ولم يقس حاله على اولئك ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون
لان سؤال الاستعلام محال في حقه تعالى وسؤال المعاتبة يكون بين الاحبة هذه مقد
يدل على هلاك قارون بغتة فخرج على قومه في زينته مفتخرا عليهم في زينته المخصوص به
قيل كان راكبا بغلة شهباء وعليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة
الاف من الغلمان على زيه وقيل ثلثمائة غلام عن يمينه وثلثمائة جارية عن يساره وعليهن
الحلي والديباج وقيل في تسعين الفا وعليهم المعصفر قال الذين يريدون الحيوة الدنيا
وهم عوام المؤمنين يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون تمنوا مثله لئلا يكون حسدا وعن قتادة
تمنوه ليتقربوا به الى الله تعالى وينفقوه في وجوه الخير وقيل بل كانوا كفارا انه لذو

حظ عظيم الحظ النصيب والبخت في المثل الدنيا احاظ وحظوظ وقال الذين
اوتوا العلم بسرعة زوال نعيم الدنيا ودوام الآخرة ويلكم اصله الدعاء بالهلاك
لم يرد وامعنا بل التعجب من قولهم وتمنيهم الفاني ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا
مما اوتي قارون بل من الدنيا وما فيها ولا يلقاها الا الصابرون على الطاعات عن
الشهوات والضمير لما قاله العلماء لانها كلمة عرفا او للثواب لانه بمعنى المثوبة او الجنة او
للايمان والعمل الصالح لانه في معنى السيرة والطريقة فخسفنا به وبداره الارض كان
مع بغيه يداريه موسى للرحم الذي بينهما حتى طالبه بزكوة ماله وشارطه على دينار من
كل الف فاستكثره فجمع بني اسرائيل وقال ان موسى يريد ان ياخذ اموالكم فقالوا انت سيدنا
فامرنا بما رايت فقال قد دبرت له فجعل لبغي من بغايا بني اسرائيل الف دينار وقيل بل
حكمها في ماله فقام موسى يوم عيد خطيبا فقال يا معشر بني اسرائيل من سرق منكم قطعناه
ومن زنا غير محصن جلدناه وان كان محصنا رجمناه فقال قارون وان كنت ذلك
الرجل قال بلى قال ان بني اسرائيل يزعمون انك زنيت بفلانة فاحضرها موسى وناشدها
الله بالذي فلق البحر وانزل التورية فقالت كلا ولكن جعل لي قارون جعلا لافتري
عليك فخر موسى ساجدا يبكي وقال يا رب ان كنت لك رسولا فاغضب لي فاوحى اليه
ان مر الارض بما شئت فقال موسى خذيهم يا ارض وكان معه رجلان وبقية بني اسرائيل
قد اعتزلوا عنه مع موسى فاخذتهم الارض الى الركبة ثم نادها خذيهم فاخذتهم الى
الاوسط ثم نادها خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وكان في اثناء ذلك يناشده بالله والرحم
ويستغيث به وموسى لا يلتفت اليه لشدة غضبه ثم ناداها فانطبقت عليهم فقطع
دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين قيل ناداه ربه بعد هلاك قارون ما
اقسى قلبك يا موسى استرحمك مرارا فلم ترحمه وعزتي لو دعاني مرة لاجبته ثم اصبحت
بنو اسرائيل يتناجون ان موسى لم يدع على قارون الا طمعا في ماله فانه لم يكن له وارث
غيره فدعى الله ان يخسف بماله فخسف به بعد ثلث فما كان له من فئة من اعوان من
فاء رجع لان بعضهم يرجع الى بعض عند الانتصار والالتجاء ينصرونه من دون الله
من دون عذابه وما كان من المنتصرين وما كان من الممتنعين بغيرها من الاسباب
واصبح الذين تمنوا مكانه الذين قالوا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون بالامس يقولون
قبل هلاكه بقليل ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر بمقتضى
مشيئته لا لكرامة المرزوق ولا لهوان الذي قدر عليه وي صوت يقوله المتندم
والمتعجب قال الخليل هذا قول قوم تنبهوا ونبهوا والكاف جردت عن التشبيه
كقوله صلى الله عليه وسلم كانك بالدنيا ولم تكن وبالآخرة ولم تزل وعليه قول
امرء القيس كاني لم اركب جوادا للغارة ولم اتبطن كاعبا ذات خلخال وعند الكوفيين
اصله ويلك حذفت اللام تخفيفا لكثرة استعمال هذه الكلمة وعليه قول عنترة ويك

عشر اقدم وفتحتان لتقدير العلم وعن قطرب لتقدير اللام ورسمت مركبة لتوقف
المعنى عليه وقد وقف الكسائي على الياء وابو عمرو على الكاف والباقون على النون لولا
ان من الله علينا لخسف بنا كما خسف بقارون حيث تمنينا ان نؤتى مثل ما اوتي
وقرأ حفص خسف على بناء الفاعل ويكأنه لا يفلح الكافرون لا محالة تلك الدار الآخرة
اشارة تعظيم التي بلغك خبرها وتيقنت بشأنها العجيب نجعلها للذين لا يريدون
علوا في الارض غلبة وقهرا كما اراد فرعون ولا فسادا كما اراد قارون وعلق با
لارادة مبالغة في الردع عنهما والعاقبة للمتقين اي الجنة او العاقبة المحمودة
وهذا التذييل يدل على ان ملاك الامر هو التقوى ولا يكفي في النجاة عدم تلك الارادة
من جاء بالحسنة فله خير منها ذاتا وقدرا ووصفا ومن جاء بالسيئة فلا يجزى
الذين عملوا السيئات وضع المظهر موضع الضمير للدلالة على ان لا فرق بين من ارتكب
سيئة او سيئات ولم يفد تكرار الاسناد من تقبيح حال المسيء المقتضي لتنفير السامع معنى
الا ما كانوا يعملون الا مثله وانما حذف المضاف مبالغة في المماثلة كما بالغ في
جانب الحسنة بلفظ الخير الدال على الكثرة ان الذي فرض عليك القرآن اي اوجب تلاوته
وتبليغه والزمك مشاقه لرادك الى معاد اي معاد وهو المقام المحمود الذي خصك
به وقيل اراد مكة وتنكيره لان فتح مكة كان له شأن روي انها نزلت في مهاجره حين
بلغ الجحفة واشتاق الى مولده ومولد آبائه وحرم ابراهيم قل ربي اعلم من جاء بالهدى
ومن هو في ضلال مبين امر ان يقول للمشركين ان الله اعلم بمن هو على الهدى وله الثواب
في المعاد ومن هو بضده ذلك وان اريد بالمعاد فتح مكة فالمعنى ان ذلك ادنى ما اوتيته
وانما النعمة العظمى ما نؤتاه في العقبى واشار اليه بالهدى المنتج له والضلال المنتج ضده
لاعدائه فان قلت قال موسى هذا القول بعينه وزاد الفاء ومن عنده قلت الكلام موسى كان
جوابا لهم حين قالوا ما هذا الا سحر مفترى فكان حقيقا بالتأكيد وهذا الكلام مذكور ابتداء
لبيان دفعه شانه وما يؤول اليه امره فاقتصر على ما يؤدي الغرض وما كنت ترجو ان
يلقى اليك الكتاب كنت اميا ناشئا بين الكفار الذين لا يقرؤن كتابا ولا يدينون دينا
ان كنت من القرآن المعجز وهذا دفع لما يختلج في الوهم من استبعاد رده الى معاد الا رحمة
من ربك لكن رحمة ربك ادركتك ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى كانه قال
وما القي عليك الكتاب الا رحمة من ربك لا اذن نفي الرجاء نفي للالقاء على ابلغ وجه ولا تكونن
ظهيرا للكافرين عونا لهم فارقهم فانه اغراء لهم ولا يصدنك عن آيات الله عن تلاوتها
وتبليغها بعد اذ انزلت اليك اذ لم ينزل الا للتلاوة والعمل وادع الى ربك توحيده
ولا تكونن من المشركين بترك الدعوة الى التوحيد ولا تدع مع الله الها آخر من باب
الالهاب وقطع اطماع المشركين لا اله الا هو استئناف كالبرهان على عدم صلوحيته
لغيره كل شيء هالك الا وجهه ذاته كقوله كل من عليها فان وقيل كل ممكن قابل للعدم

للعدم وقيل كل عمل باطل الا ما اريد به وجهه له الحكم القضاء النافذ واليه ترجعون
للجزاء تمت والحمد لله على نعمه سورة العنكبوت وهي تسع وستون آية بسم الله الرحمن الرحيم
الم اسم السورة او حروف مقطعة ايقاظا احسب الناس انكار للحسبان المتعلق بما بعده
وهو ان يتركوا لكونه سادا مسد مفعوليه ان يقولوا آمنا متعلق بيتركوا بتقدير
اللام والترك بمعنى التصيير كقوله فتركته جزر السباع وثاني مفعوليه محذوف
لدلالة الحال عليه اي كما هم وهم لا يفتنون اي غير مفتونين وقيل ان يتركوا مفعول
اول وان يقولوا ثاني المفعولين بتقدير اللام وهم لا يفتنون ثاني مفعولي يتركوا و
فيه قلق لدخول الواو على الخبر والفصل بين مفعولي يتركوا بثاني مفعولي حسب وهو
ان يقولوا والمعنى انكار حسبان الناس بعد كلمة الايمان على السنتهم ان يسلموا بذلك
عن كل آفة في هذه الدار مع انها دار المشاق نحو قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما
يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ولقد فتنا الذين من قبلهم اي سنة الله في المؤمنين
ان يمتحنهم روى البخاري عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله ما نلقى
من المشركين فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل
فيحفر له في الارض ثم يجعل فيها ويؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين و
يمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه فليعلمن
الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين علما حاليا به يقع التمييز بين الصادق في ايمانه
والكاذب او اريد لازمه وهو التمييز او المجازاة ام حسب الذين يعملون السيئات
جميعها من الكفر والمعاصي ان يسبقونا ان يفوتونا لم يحدثوا به نفسهم ولكن لتماديهم
في الغفلة كانهم طامعون ذلك صلة ان لاشتمالها على المسند والمسند اليه سدت
مسد مفعولي الحسبان كما اشرنا اليه في الاول ويجوز ان يكون حسب بمعنى قدر ومعنى
ام الاضراب للدلالة على ان هذا الحسبان ابطل من الاول لان شرف الايمان ربما يخيل
ان من اتصف به يسلم عن الآفات والشرور بخلاف ظن عدم المجازاة على سيئ العمل
فانه ظاهر البطلان ولذلك اردفه بقوله ساء ما يحكمون اي بئس الذي يحكمونه
او حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص من كان يرجوا لقاء الله حقيقة في الجنة
لما روى البخاري انكم سترون ربكم كما ترون الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب
او الوصول الى الحساب والجزاء مثلت تلك الحالة بحال عبد قدم بعد عهد طويل الى
مولاه فان اجل الله لآت اي الموت كائن لا محالة وهو الطريق الى تلك الحالة كما تقول
لمن يرجو لقاء الامير فان الغد قريب اذا علم انه يقدم فيه والمعنى فليبادر الى ما يصدق
رجاءه ويحقق امله وهو السميع لاقوال العباد العليم باعمالهم فهو حقيق بالتقوى
والخشية ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه نفع مجاهدته مقصور عليها وانما الترغيب
والحث عليها لكمال رأفته بالعباد ان الله لغني عن العالمين تصريح بما علم ضمنا

وتوكيد لذلك المفهوم والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم
احسن الذي كانوا يعملون لما بين ان العمل الصالح لا يتعدى نفعه العامل بين كيفية جزا
المجاهد ترغيبا وهي تكفير ما مضى من السيئات والمجازات باحسن الجزاء بان يجازيه في مقابلة
ادنى عمله ما يجازيه على افضله تفضلا منه ووصينا الانسان بوالديه حسنا لما بين
نفع الايمان والعمل الصالح اشار الى بعض ما يعتري الانسان فيه والوصية بالشيء الامر
مؤكدا من وصيت الشيء بكذا اذا وصلته به ويقال وصيت الارض اذا اتصل نباتها
والمعنى امرناه ايتاء والديه احسنا او ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه ويجوز نصبه
بفعل مفسر للوصية اي قلنا افعل بهما حسنا في هذا ويحسن الوقف على بوالديه وعلى
الاول بقدر القول في قوله وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم وان امراك
بالاشراك وبلغا طاقتهما فلا تطعهما اذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وايما نفي
العلم والمراد نفي المعلوم اشارة الى ان ما لا يعلم لا يجوز اتباعه فضلا عما علم بطلانه
فان قلت قد ذكر في سورة لقمان وان جاهداك على ان تشرك بعلى وهنا باللام فما
وجه اختصاص كل بموضعه قلنا الكلام في سورة لقمان معترض في اثناء وصية لقمان
فيدل على شدة الاهتمام بعدم الاشراك وعلى يدل على القسر والالجاء اي وان قسراك
عليه فلا تطعهما وما في الآية انما اشير به الى القصار عن الايمان الذي سبق له الكلام
الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون المؤمن منكم والمشرك وعد ووعيد والآية نزلت
في سعد بن ابي وقاص وامه حمنة بنت ابي سفيان بن امية بن عبد شمس وكانت مشركة
فلما اسلم سعد قالت صبأت يا سعد فحلفت لا تاكل ولا تشرب ولا يظلها ظل حتى يرجع
سعد عن الاسلام فبقيت على ذلك حتى غشي عليها فنزلت والذين آمنوا وعملوا الصالحات
لندخلنهم في الصالحين الكاملين في الصلاح وهم الانبياء والصلاح صفة جامعة
لسائر الكمالات ولذلك طلبها الانبياء قال سليمان وادخلني برحمتك في عبادك
الصالحين ويوسف توفني مسلما والحقني بالصالحين وابراهيم رب هب لي حكما و
الحقني بالصالحين ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله هذا اخبار عما
يكون في المستقبل لان الآية مكية ولم يكن بها نفاق ولا قتال ولا غنيمة وانما اعاد
لفظ الجلالة اشارة الى ان الايذاء في الله حقيق بان يحمل جعل فتنة الناس كعذاب
الله كما ان عذاب الله صارف المؤمن عن الكفر فكذلك عذاب الناس صارف المنافق
عن الايمان ولئن جاء نصر من ربك فتح وغنيمة ليقولن انا كنا معكم في الدين يتوسلون
بذلك الى سهم الغنيمة اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين تكذيب لهم على ابلغ وجه
اي لو كان في صدورهم ايمان لعلمه وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين اي
ليميزن بين الفريقين بحيث لا يشتبه بعضهم ببعض وكذلك وقع كما قال قل لا تعتذروا
لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من اخباركم وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا

سبيلنا ولنحمل خطاياكم مقالة صناديد قريش قالوا لمن آمن منهم ان كان بعث على ما زعم
محمد فانا نحمل عنكم الآثام ان اتبعتمونا علقوا الحمل بالاتباع وأثروا طريقة الامر للمبالغة
في التشجيع ولذلك بالغ في الرد عليهم بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء
انهم لكاذبون من الاولى بيانية والثانية تبعيضية اي ادنى جزء منه وقيل مزيدة
والتكذيب راجع الى الوعد بالضمان لان الانشاء لا يتصف بالكذب وانهم كاذبون
عند انفسهم بمعنى انهم يعلمون ان ذلك الوعد غير مطابق للواقع وليحملن اثقالهم
اوزارهم التي اقترفوها واثقالا مع اثقالهم بسبب الاضلال فان الدال على الشر كفاعله
من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة وليسألن يوم
القيامة عما كانوا يفترون سؤال توبيخ ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف
سنة الا خمسين عاما ذكر بعد مقالة المشركين بعض قصص الانبياء تسلية لرسول الله
وابتداء بنوح اذ لم يكابد من الانبياء ما كابد احد ولبثه في قومه هذه المدة كان بعد
بعثته فانه بعث على راس اربعين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة وعن وهب
انه عاش الفا واربعمائة سنة وعن عون بن شداد الفا وستمائة وخمسين سنة واما اثر
ما في التنزيل على تسعمائة وخمسين لئلا يتوهم تجوز مع كونه اخصر واعذب وكون
الالف اشد انباء عن طول المدة فهو اوقع فاخذهم الطوفان الطوفان الماء و
المطر الغالب بحيث يغشى كل شيء من طاف فحول الشيء قال الخليل وقد شبه العجاج
ظلام الليل بذلك فقال وغم طوفان الظلام الاثابا وهم ظالمون بالكفر فانجيناه
واصحاب السفينة قيل كانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم اناث
وعن ابن اسحاق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم
انهم كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلثة سام وحام ويافث مع اهليهم و
جعلناها آية للعالمين اي السفينة او الواقعة يضرب بها المثل وابراهيم عطف
على نوحا او نصب باضمار اذكر اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ظرف لارسلنا
على الاول وبدل اشتمال على الثاني ذلكم خير لكم من عبادة الاصنام ان كنتم
تعلمون الخير والشر وتميزون بينهما او ايثار الدلالة على ترجيح عدم العلم انما
تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا وتسميتها آلهة يصرفونه بالناس
عن سبيل الحق ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا شيئا مما
يطلق عليه اسم الرزق دليل ثان على بطلان ما هم عليه ابلغ من الاول لان افراد جا
المعبود ان يكون له نفع في الحال فابتغوا عند الله الرزق كله فانه القادر و
اعبدوه توسلوا بالعبادة الى مطالبكم واشكروا له على آلائكم اليه ترجعون وعد
ووعيد وان تكذبوا اي تكذبوني فقد كذب امم من قبلكم اي كذبوا الرسل ولم
يضرهم تكذيبهم بل ضروا انفسهم وما على الرسول الا البلاغ المبين الواضح او الموضح

المزعج لتشبيه هذه الآية وما بعدها الى قوله فما كان جواب قومه اما قول ابراهيم لامته
والامم المكذبة قوم شيث وادريس ونوح او ابتداء كلام من الله بقريش وسائر
العرب اعترض به في اثناء قصة ابراهيم وذلك ان ذكر هذه القصص انما هو لتسلية
رسول الله فكانه قال ان تكذبوا يا معشر العرب محمدا فقد كذب ابراهيم قومه ومني بما
مني به محمد وكذا سائر الرسل قبله وبعده اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق اي علموا
علما واضحا كالرؤية بالباصرة والهمزة وكيف مسلوب عنهما معنى الاستفهام وقرأ
حمزة والكسائي وابو بكر بالخطاب اما من ابراهيم او منه تعالى بناء على ما تقدم ولا حاجة
الى تقدير القول ثم يعيده عطف على اولم يروا لا على يبدئ لان الرؤية ليست بواقعة
على الاعادة لان الابداء ايضا كذلك والرؤية بمعنى العلم يصح تعلقه بهما بل لان العلم
بالابداء دليل على العلم بالاعادة ومستلزم له فلا يحسن نظمها في سلك واحد ان
ذلك على الله يسير ولا يحتاج الا الى تعلق الارادة قل سيروا في الارض اي قل يا ابراهيم
او قل يا محمد فانظروا كيف بدأ الخلق تاملوا في عجائب صنعه في انواع مخلوقاته
يدلكم ذلك على سهولة امر الاعادة عليه ولما كان دليل الانفس اقرب من الافاق امر في الاول
بالرؤية وفي الثاني بالنظر ولذلك قيل الاول حدسي والثاني فكري ثم الله ينشئ النشأة
الاخرة اي يحييهم ثانيا كما ابدعهم اولا واصل النشاء الارتفاع يقال نشأ في بني فلان
فكان الله بالايجاد اخرجهم من حضيض العدم الى اوج الوجود وقرأ ابن كثير وابو عمرو
النشاءة بالف بعدها همزة مفتوحة على انهما لغتان او الثاني اسم المصدر والقصر
اخف وانما ابرز اسمه لكونه الاسم الجامع الدال على الاوصاف المعتبرة في الابداء من
العلم والقدرة والحكمة فكانه قال ذلك الموصوف هو الذي ينشئ النشأة الاخرة ان
الله على كل شيء قدير لاستواء نسبة القدرة الى الكل دليل على المدعى يعذب من يشاء
ويرحم من يشاء واليه تقلبون تردون فيجازي كلا على وفق ارادته وما انتم بمعجزين
في الارض بالتواري والهبوط في مهابطها ولا في السماء التي هي افسح وابسط
لو قدر صعودكم اليها او القدر ولا من في السماء فحذف كما في قول حسان امن يهجو رسول
الله منكم ويمدحه وينصره سواء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لا في الارض
ولا في السماء اي لا يقدرون انتم على دفع قضائه ولا لكم من تلتجؤن اليه في ذلك
والذين كفروا بآيات الله الدالة على وحدانيته ولقائه والبعث وما يعقبه من الجزاء
اولئك يئسوا من رحمتي ييأسون يوم القيمة لان المنكر للبعث لا يوصف باليأس لانه شان
من يوصف بالرجاء او المراد بيان مباينة حالهم حال المؤمنين فذكر اليأس للمشاكلة او
استعارة تبعية شبهوا بمن مات على الكفر او بمن ايس رضا اشارة الى توغلهم في الكفر وانما
التفت الى التكلم اشارة الى قوله ورحمتي وسعت كل شيء ولذلك لم يصف العذاب في قوله
واولئك لهم عذاب اليم فما كان جواب قومه اي قوم ابراهيم الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه

فابلى النصيحة بابلغ مكروه وهو القتل او الحرق وآثر صيغة التفعيل الدالة على التكثير
والمبالغة فانجاه الله من النار بان قال لها كوني بردا وسلاما فصارت روضة
وانما اختصر كيفية الانجاء لان الغرض بيان ما قاساه من امته ليكون تسلية لرسول
الله ان في ذلك لآيات في اخمادها في فترة وانشاء روضة مكانها وسلب الحرارة
عنها واحداث البرودة مكانها لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون بالتأمل فيها يزدادون ايمانا و
يوقنون بان العاقبة لهم وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا
وقرأ نافع وابن عامر بتنوين مودة ونصب الكلمتين على ان مودة مفعول له وبينكم ظرف
اي اتخذتموها لتوادوا وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها كما ترى اليوم اهل كل مذهب
كذلك او مفعولا ثانيا كما في قوله اتخذوا ايمانهم جنة وقرأ ابن كثير وابو عمرو و
الكسائي مودة مرفوعا مضافا الى بينكم على الاتساع كقوله يا سارق الليلة اهل الدار
على ان ما موصولة والعائد محذوف ومودة خبرها او مصدرية اي ان سبب اتخاذكم
اوثانا ارادة مودة او كافة ومودة خبر مقدر اي نحلتكم عليها مودة او مبتدأ
وفي الدنيا خبره اي تواصلكم في الدنيا وعلى هذين الوجهين الجملة صفة اوثانا و
قرأ حمزة وحفص مودة بينكم منصوبا مضافا والمختار نصبه منونا لظهور المعنى
والاستغناء عن التقدير والجري على الاصل ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض و
يلعن بعضكم بعضا اي بعض العبدة يلعن بعضا كقوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم
لبعض عدو الا المتقين او العبدة والاصنام لقوله ويوم القيمة يكونون عليهم ضدا و
ومأواكم النار وما لكم من ناصرين فان قلت لم لم يذكر هذا قبل جواب قومه ليكون
كلامهم منتظما في سلك واحد قلت ما تقدم كان نصحا وارشادا وهذا وعيد وتهديد
وما يؤول اليه امرهم فلم يحسن نظمه معه فآمن له لوط هو اول من آمن به حين رأى
النار لم تؤثر فيه وهو ابن اخيه وقال اني مهاجر الى ربي الى حيث امرني انه هو
العزيز الذي يمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يأمرني الا بما فيه حكمة كان تكون سافر
الى حران بديار بكر ثم الى الشام وفلسطين ثم صعد الى مصر وملك مصر هو الذي اعطاه
هاجر ونزل لوط سدوم ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة حين سأل الولد و
لذلك لم يذكر اسمعيل وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب جنس الكتاب فيدخل تحته
الكتب الاربعة وآتيناه اجره في الدنيا اجر الهجرة من الثناء الحسن لا ترى امة الا وهم
ينتمون اليه وانه في الاخرة لمن الصالحين لمن الجامعين لمحاسن الافعال والاخلاق
ولوطا عطف على ابراهيم ان نصب باذكر وعلى ما عطف عليه ان كان معطوفا على
نوحا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة الفعلة البالغة في القبح وقرأ انكم بالا
نافع وابن كثير وابن عامر وحفص اكتفاء بالثاني ما سبقكم بها من احد من العالمين
استئناف مقرر لزيادة القبح فيها حيث اشمأزت الطباع باسرها عن ارتكابها في سالف

الذين أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل تتعرضون للسابلة اتفق السبعة على
الاستفهام هنا للانكار والتعجب وتأتون في ناديكم المنكر من الضراط في المجلس والتضارط
والحذف ورمي البندق وفرقعة الاصابع وحل الازرار فما كان جواب قومه الا ان
قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين في دعوى النبوة او في نزول العذاب قال
رب انصرني على القوم المفسدين بانزال العذاب وصفهم بالافساد بذلك في استعجال
نزول العذاب ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى بالبشارة بالولد والنافلة او
باهلاك قوم لوط قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية اشارة الى قرية سدوم وفي المثل
اجور من قاضي سدوم ان اهلها كانوا ظالمين مصرين على الظلم في الزمن الماضي
قال ان فيها لوطا بيان للمانع وسؤال عن كيفية الهلاك مع وجوده بين اظهرهم وهو
بريء عما كانوا يفعلون قالوا نحن اعلم بمن فيها تسلية له على ابلغ وجه بانهم اعلم بعدم
استحقاقه العذاب لننجينه واهله الا امرأته كانت من الغابرين الباقين في العذاب
لكونها كافرة مثلهم وقرأ حمزة والكسائي لننجينه مخففا من الانجاء والتشديد ابلغ
ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ان صلة تفيد اتصال الفعلين كانه قيل لما جاءت
الرسل فاجأته المساءة من جهتهم خوفا عليهم من قومه وضاق بهم ذرعا كناية عن
فقد القدرة على تدبيرهم وذلك ان طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع فضرب ذلك
مثلا في العجز والقدرة وقيل في عكسه رحب الذراع وقالوا لا تخف ولا تحزن لما راوا
فيه اثر الضجرة انا منجوك واهلك الا امرأتك كانت من الغابرين كانت في علم الله تعالى
في عدادهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وابو بكر منجوك مخففا والتشديد ابلغ ونصب
اهلك بالعطف على محل الكاف ومنجوك انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء الرجز
والرجس القلق والاضطراب اطلقا على العذاب لاضطراب المعذب وقرأ ابن عامر منزلون
مشددا بما كانوا يفسقون على الاستمرار ابلغ من قوله ان اهلها كانوا ظالمين ولقد
تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون فان آثارهم باقية ماء اسود ونطق القرآن بسوء
حالهم وتواترت بها الاخبار والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا
اليوم الآخر ما ترجون به ثوابه فاقيم المسبب مقام السبب وهو على اصله والرجاء بمعنى
الخوف ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة الزلزلة الشديدة او
صيحة جبرائيل لان القلوب ترجف بها فاصبحوا في دارهم في ارضهم او في ديارهم اكتفى
بالواحد جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا وثمود منصوبان باضمار اهلكنا لان
قوله فاخذتهم الرجفة يدل عليه وقرأ حمزة وحفص وثمود غير منصرف بتاويل القبيلة وقد
تبين لكم من مساكنهم منازلهم وخرابها فان اهل مكة كانوا يمرون عليها في اسفارهم وزين
لهم الشيطان اعمالهم من الكفر والمعاصي فصدهم عن السبيل عن طريق الحق وكانوا مستبصرين
ذوي بصائر عاقلين بحقية الدين ولكن لجوا حتى هلكوا او كانوا متمكنين من الاستبصار ولكن

ولكن تغافلوا وقارون وفرعون وهامان عطف على عادا وتقديم قارون لشرف
نسبه وتأخيره في سورة غافر نظرا الى الوجود ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا
في الارض وما كانوا سابقين فائتين امر الله فيهم بل ادركهم لا محالة فكلا اخذنا بذنبه
فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ريح الحصباء او ملكا رماهم بها كقوم لوط
ومنهم من اخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الارض كقارون
ومنهم من اغرقنا كقوم نوح وفرعون وجنوده وما كان الله ليظلمهم ليفاجئهم بالعذاب
ويعاملهم معاملة الظالمين ولكن كانوا انفسهم يظلمون بان عرضوها للعذاب
مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا فيما اتخذوه
معتمدا ومتكلا في دينهم بما هو مثل عند الناس في الوهن والغرض من التشبيه تقرير
من وهن دينهم وانه بلغ الغاية التي لا غاية بعدها وهذا كتشبيه من لا يحصل
من سعيه على طائل بالراقم على الماء من تشبيه المركب بالمركب وان اوهن البيوت
لبيت العنكبوت تذييل تقرير الغرض لو كانوا يعلمون جهلهم اولا في الاتخاذ ثم زادهم
تجهيلا بانهم لا يعلمون هذا الجهل البين ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء ما نافية
ومن زائدة او استفهامية ومن سان العلم معلق توكيد للمثل وزيادة عليه حيث
لم يجعل ما يدعونه شيئا ويجوز ان يكون مصدرية او موصولة والعائد محذوف
وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي بتاء الخطاب على اضمار القول
والغيبة احسن لجريه على سنن السابق وعدم التقدير وهو العزيز الغالب على
كل شيء الحكيم الذي لا يعمل شيئا الا وفيه حكم وفي الوصفين رمز الى غباوتهم حيث
تركوا عبادة الموصوف بهما وعبدوا من لا يطلق عليه اسم الشيء وتلك الامثال نضربها
للناس اي هذا المثل ونظايره كشفا للحجب عن وجوه محاسن الفرائد وتقريبا للمعاني الدقيقة
الى الافهام وما يعقلها الا العالمون تعريض بالمشركين الطاعنين في القرآن لاشتماله
على ضرب المثل بالذباب والعنكبوت وعن رسول الله انه تلاها وقال العالم من عقل
عن الله وعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السموات والارض بالحق حقا ملتبسا
والمعنى خلقها لتكون مساكن عباده ودلائل قدرته وعلمه وعظم شانه ولذلك قال
ان في ذلك لآية للمؤمنين المتاملين فيها اتل ما اوحي اليك من الكتاب تقربا الى الله
تعالى بتلاوته فانه من افضل الاعمال وعنه صلى الله عليه وسلم من رواته عن ربه
شغله لسانه بتلاوة القرآن عن دعائي ومسألتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين
واقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر اذا اشتغاله بها والمحافظة على شرايطها و
مراقبة اوقاتها يمنعه عن الاشتغال بغيرها او لان الصلوة معراج العبد فاذا واظب
عليها وذاق حلاوة المناجاة ينسى سائر اللذات فلا يكون له هم سواها ولكن شرط
ذلك ان يقبل عليها بقلبه ويطرح ما سوى الله وراء ظهره روي ان فتى من الانصار

كان مسرفا على نفسه لا يدع شيئا من المنكر الا ارتكبه فوصف لرسول الله فقال كيف صلوته
فقالوا هو يصلي الصلوة مع رسول الله فقال ان صلوته ستنهاه ثم تاب عن قريب
ولذكر الله اكبر اي الصلوة اكبر الطاعات وعبر عنها بالذكر اشارة الى ما هو العمدة فيها
بل في سائر العبادات وهو ملاحظة كبرياء المذكور او ولذكر الله اكبر من الصلوة لقوله
افضل ما قلت انا والنبيون قبلي لا اله الا الله او ولذكر الله اياكم رحمة اكبر من ذكركم
اياه والله يعلم ما تصنعون لا يخفى عليه منه شئ وفي انتاء رمنة تشي التصنيع على العمل
حث على العمل بالقلب والجوارح لا ابانة عن زيادة تعمل وتكلف ولا تجادلوا اهل
الكتاب الا بالتي هي احسن لما بلغ الغاية القصوى في بيان طريق ارشاد المشركين شرع
في بيان مجادلة اهل الكتاب والمناظرة معهم والجدال بالاحسن هو مقابلة الخشونة
باللين والغضب بالكظم والسورة بالاناءة وقيل منسوخ باية السيف وليس
كذلك لانه مشروط بعدم نفع الجدال بالاحسن وقيل المراد ذوو العهد منهم وقيل
الداخلين في الذمة ولا يصح الا بالتاويل لان السورة مكية الا الذين ظلموا منهم
افرطوا بنسبة الولد اليه تعالى ووصفه بالبخل كقولهم يد الله مغلولة وقولوا امنا بالذي
انزل الينا وانزل اليكم من حسن المجادلة بالتي هي احسن روى البخاري عن ابي هريرة
قال رسول الله قال لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وكتبه و
رسله والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون منقادون لا لغيره تعريض باهل
الكتاب وكذلك انزلنا اليك الكتاب اي ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك الكتاب
مصدقا لما بين يديه من الكتب فالذين اتيناهم الكتاب يؤمنون به وهم عبد الله بن
سلام واضرابه ومن هؤلاء العرب من يؤمن به وهم الصحابة وقيل الذين اتيناهم
الكتاب هم المتقدمون على البعثة ومن هؤلاء هم اهل الكتاب الذين في عهد رسول الله
وما يجحد باياتنا الا الكافرون المتوغلون في الكفر لانها من الظهور في اقصى الدرجة
وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك وهذا امر مسلم عندهم اذا
لارتاب المبطلون وقالوا لعله تعلمه من غيره وكان اذ ذاك للارتياب في الجملة وجه
ان اريد بالمبطلين مشركو مكة وان اريد بهم اهل الكتاب كان لهم ان يقولوا لست
بالموعود اذ شرطه ان يكون اميا فان قلت على ذلك التقدير ليسوا بمبطلين لان
نعته في الكتابين انه امي فكيف سماهم مبطلين قلت لان مدار النبوة على المعجزة و
كونه اميا لا يحط بشيء مما يتوقف عليه امرها فكانه قال هؤلاء المبطلون في كفرهم
ولو لم يكن اميا لارتابوا اشد الريب لارتيابهم مع كونه اميا بل هو اي القرآن
ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم يحفظونه عن التحريف والتبديل بخلاف
سائر الكتب وما يجحد باياتنا الا الظالمون لان التكذيب بعد ازالة الشبهة
في غير موضعه وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه كمائدة عيسى عنادا منهم بعدما

بعدما الزموا قل انما الايات عند الله لو شاء انزلها قرئ نافع وابو عمرو وابن عامر
وحفص ايات من ربه لموافقة الثاني وانما انا نذير مبين منصور على الانذار ليس
لي قدرة على انزال ما تقترحونه اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم
شيئا فشيئا بايات متلون مغايرة وسلاسة الفاظه وجعل الضمير لليهود بعيد لكون
السورة مكية والاستفهام للتقرير ان في ذلك الكتاب الموصوف لرحمة لنعم عظيمة
وذكرى وموعظة لقوم يؤمنون لقوم قصدهم الايمان لا التعنت قل كفى بالله
بيني وبينكم شهيدا يعتقد في بالمعجزة الدالة على نبوتي او كفى شهيدا باني قد بلغت
ما ارسلت به واديت الامانة يعلم ما في السموات والارض برهان على كونه كافيا
والذين امنوا بالباطل هي الاوثان وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون في صفقتهم
اسغارة بنعمة ويستعجلونك بالعذاب بقولهم متى هذا الوعد ولولا اجل مسمى
مدة موقتة لعذابهم لجاءهم العذاب اذ لا مانع سواه وليأتينهم بغتة فجاة
كوقعة بدر وهم لا يشعرون باتيانه يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة
بالكافرين اعاد ذكر استعجالهم وساقه مساق التعجب وان الظاهر موضع المضمر
للدلالة على موجب الاحاطة والمراد احاطتها بهم يوم القيمة او الآن لتكامل اسبابها
من الكفر والمعاصي يوم يغشيهم العذاب ظرف لمحيطة على الاول ومنصوب بمضمر
على الثاني اي كيت وكيت من فوقهم ومن تحت ارجلهم اي من جميع الجوانب ويقول
الله او بعض ملائكته الموكل بعذابهم وقرئ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بنون العظمة
اسنادا مجازيا اذ لا يكلمهم الله يوم القيمة ذوقوا ما كنتم تعملون اي جزاءه يا عبادي
الذين امنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون كان المؤمنون بمكة لا يقدرون على
اظهار دينهم والقيام به على الوجه الاكمل فناداهم الله واضافهم اليه تشريفا لهم
وبين لهم ان الاقامة بين اعداء الله المانعين من عبادته لا وجه له مع اتساع بلاد الله
الفاء في فاياي فاء التسبيب عن قوله ان ارضي واسعة كما تقول زيدا خوك فاكرمه وفي
فاعبدون فاء الجزاء كل نفس ذائقة الموت يتجرع مرارتها فعلى العاقل المبادرة الى
العمل قبل فوات الفرصة ثم الينا ترجعون للجزاء ثم للتراخي رتبة فانه اول الجزاء بعقب
الموت وقرأ ابو بكر يرجعون بياء الغيبة والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم
لننزلنهم من الجنة غرفا علالي وقرأ حمزة والكسائي لنثوينهم من الثواء وهو الاقامة
وعلى هذا نصب غرفا على تضمين معنى الانزال او بتقدير في او حمل المكان المعين
على المبهم تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين المخصوص محذوف
دل عليه ما قبله الذين صبروا على مفارقة الاوطان واذى المشركين وعلى ربهم
يتوكلون في جميع الامور وكاين من دابة لا تحمل رزقها لضعفها او لا تدخره توكلا
على الله الله يرزقها واياكم باذ اقدركم على الكسب تشجيع لهم على الهجرة الاحباب ومفارقة

الاوطان وان لا يهمهم امر المعيشة وهو السميع لقولكم حين قلتم كيف نقدم بلدا ليس لنا
فيه اسباب المعيشة العليم بضمائركم ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
وسخر الشمس والقمر الضمير لاهل مكة واراده لتوكيد ما تقدم كانه قال ان الذي
اوجد ابتداء احرى بان يكون قادرا على الابقاء فكما اوجد بلا مادة هذه الاجرام يقدر
على تيسير الرزق على هولاء الضعفاء من غير اسباب ليقولن الله لما تقرر في العقول
بحيث لا يقدر احد على انكاره فانى يؤفكون كيف يصرفون عن التوحيد بعد هذا الاقرار
تعجيب من حالهم الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له فكم من بارع
لا يقدر على قوت يومه وكم من فارغ البال يأتيه الارزاق من كل اوب ويجوز ان يكون
الموسع عليه والمضيق واحدا والبسط والقبض على التعاقب ان الله بكل شيء عليم
يعلم من يصلح له البسط والقبض ووقت كل منهما ولئن سألتهم من نزل من السماء
ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله اعترافهم بان الموجد للكائنات
قل الحمد لله اي اذا كان الكل منه فالحمد مختص به لا يشاركه فيه احد وفيه رد على
المشركين وتسفيه لهم لانهم معترفون بالمقدمات وينكصون عند النتيجة واستيناس عليه
صلى الله عليه وسلم حيث عصم عن مثل تلك الضلالة ووفق لاظهار الحجة بل اكثرهم
لا يعقلون فلذلك يناقضون اضراب عن جهلهم الخاص الى ما هو ابلغ وهو انهم سلبوا
العقول وقوله قل الحمد لله اعتراض تقريرا لاستحقاقه العبادة والزاما لهم او لا
يعقلون لماذا الحمد عند سعالم الحمقا، فهو من تتمة قل الحمد لله ومعنى الاضراب انهم
اذا لم يفطنوا لتلك المناقضة الظاهرة فبالاولى ان لا يفطنوا المكان حمدك وما
هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب ازدراء بهذه الدنيا الدنية لا يساوي عند الله
جناح بعوضة فهي كالشيء الذي يتلهى به الصبي ويلعب ثم يتركه بعد لحظة
وان الدار الآخرة لهي الحيوان اي الحيوة الدائمة وكما بالغ في تحقير الدنيا بالغ في تعظيم
الاخرة بتاكيد الجملة انواع تاكيدات تصديرها بان وادخال اللام وايثار المصدر
الدال على انها نفس الحيوة ثم ايثار الحيوان على الحيوة لما في بناء فعلان من معنى الحركة و
الاضطراب اللازمين للحيوة لو كانوا يعلمون لو كانوا من اهل العلم لما استبدلوا
بالشريف الخسيس والباقي الفاني فاذا ركبوا في الفلك نوع آخر من جهلهم لانهم
متصل بما قبله بما دل الحال عليه دعوا الله مخلصين له الدين بعلمهم بان لا قدرة
لغيره فلما نجاهم الى البر نجاهم من الغرق واوصلهم الى البر اذا هم يشركون فاجاؤا
التشرك من غير تلبث ليكفروا بما آتيناهم من النعمة وهي النجاة من الغرق وكان
الواجب عليهم شكرها واللام فيه لام كي ويحتمل ان يكون لام الامر لقوله وليتمتعوا
بسكون اللام وهي قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي وقالون لان لام كي لا يجوز اسكانها
لحذف ان بعدها وضعفت عوامل الافعال ويؤيده هذه القراءة قوله في سورة الروم

سورة الروم ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون وخامة العاقبة اولم يروا
انا جعلنا حرما آمنا اي قد روا وتوبيخ لاهل مكة خاصة من المشركين لاختصاصهم
هذه النعمة وهي الامن في اشرف البقاع ويتخطف الناس من حولهم التخطف سلب الشيء
خفيه وكان هذا شان العرب لم يزالوا في التجاذب والتناهب افبالباطل يؤمنون
بعد وضوح هذه النعمة تعجيب من حالهم وبنعمة الله يكفرون بالاشراك به وتقديم
الصلتين للاهتمام او للاختصاص مبالغة ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي
لا اظلم منه وفي الحديث ليس الكذب علي كالكذب على احد واذا كان الكذب على رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يشبهه كذب فعلى الله من باب الاولى او كذب بالحق لما جاءه
اي بالرسول والكتاب والتعبير عنه بالحق لدلالته على المدح ولما نظرة اذا الفجائية
في لما للدلالة على انهم كذبوه من غير توقف كما يفعله العقلاء والمراجح عند سماع الخبر اليس
في جهنم مثوى للكافرين استفهام تقرير كقول جرير الستم خير من ركب المطايا او
المعنى لا يستوجبون الثواء وقد افتروا على الله وقد صح عندهم ان في جهنم مثوى
للكافرين ومع ذلك فقد اجترأوا على الافترى فمدار الاول على تبيين حالهم للغير واستحقاقهم
والثاني على توبيخهم تذكير المانع عندهم والذين جاهدوا فينا خاصة من غير
اسم الجعل ذاته مستغرق للمجاهدة واطلق المجاهدة لتعم الظاهرة والباطنة لنهدينهم
سبلنا الطرق الموصلة الينا وسبل الحق وان كان واحدا الا انه جمع باعتبار انواع
المجاهدة وفي الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وان الله لمع المحسنين
المخلصين في عبادتهم بتقوية جانب المجاهد في العبادة بان الله معه بالنصر والاعانة
تمت السورة الحمد لله على الاحسان والصلوة على خير البرية وعين الانسان انسان العين
سورة الروم مكية وقيل الا قوله فسبحان الله وهي ستون وقيل تسع وخمسون آية
بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم في ادنى الارض اي ارض العرب لانها المعهودة
عندهم وهي اذرعات وبصرى من بلاد دمشق وبها كانت غلبة فارس على الروم او ادنى
ارضهم اي ارض الروم الى العدو وهي الجزيرة والروم من اولاد عيص بن اسحاق وهذه
الطائفة من ذريته وكانوا على ملة عيسى بن مريم والفرس كانوا مجوسا والمشركون
عبدة الاوثان ولما بلغهم الخبر فرحوا بغلبة الفرس لانهم ليس لهم كتاب كالمشركين
فنزلت الآية وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين ففرح بذلك المؤمنون
وكثر التشاجر بينهم وبين المشركين حتى راهن ابو بكر رضي الله عنه ابي بن خلف على
عشر قلائص ان لم يغلب الروم الفرس في سبع سنين فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال البضع من الثلث الى التسع فزائد في الخطر والمدة فزاد ابو بكر رضي الله عنه
الى ابي بن خلف وتوافقا على تسع سنين ومائة قلوص فلما دخل السنة السابعة غلبت
الروم وجاء الخبر بذلك ورسول الله بالمدينة وكان ابي قتل يوم احد فاخذ ابو بكر رضي

تعالى عنه القلاص من ورثته وكان ذلك قبل تحريم القمار لان آية الميسر في المائدة وهي آخر القرآن
نزولا وكان هذا من دلائل النبوة وباهر اياته لله الأمر من قبل ومن بعد اي له الحكم
والأرادة من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين
وهو وقت كونهم غالبين ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الروم لانهم اهل كتاب و
شريعة مثلهم وفي ذلك تفاؤلهم وعن ابن عباس رضي الله عنه والثوري ان غلبة
الروم على فارس كانت يوم بدر وعن قتادة وعكرمة والزهري انها كانت يوم الحديبية
سنة ست من الهجرة وهذا اقرب لما روي ان هرقل كان قد نذر لئن نصره الله على الفرس
ليزورن بيت المقدس فلما انتصر وذهب الى بيت المقدس لقيه دحية بن خليفة الكلبي
بكتاب رسول الله يدعوه الى الاسلام ينصر من يشاء وهو العزيز الغالب بذل من اراد
بالخذلان الرحيم يعز من يشاء بالنصر وعد الله مصدر مؤكد كقولك له علي الف
اعترافا لا يخلف الله وعده لكونه كذبا وهو عليه محال ولدلالته على العجز وعدم
العلم بعواقب الأمور تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك
لعدم النظر الصحيح يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا بدل من لا يعلمون بدل الكل وفي
باداء المقصود لدلالته على ان العلم بظاهر الحيوة كلا علم لان الغرض من الدنيا باطنها
وهو انها مزرعة الاخرة وانما نكر ظاهرا اشارة الى كمال بلادتهم وانهم لم يعلموا من
ظاهرها الا نزرا قليلا فان من العلم بظاهرها معرفة حقائقها وصفاتها وكيفية
الصدور منها والتصرف عنها وهم عن كلها بمعزل وهم عن الآخرة هم غافلون هم
الثانية تكرير للاولى او مبتداء وغافلون خبره والجملة خبر الاولى وعلى الوجهين تحقيق
لما تقدم أولم يتفكروا في أنفسهم توبيخ على عدم التفكر فيما يعود نفعه بدل الاشتغال
بالبحث عن نظر المحسوس وفرحهم بذلك والمعنى هلا احدثوا التفكر في انفسهم الفارغة
عنه والفكر لا يكون الا في النفس فذكرها لتصوير الحال كقولك ابصرته بعيني ويجوز
ان يكون في صلة يتفكروا كقولك تفكر في المسئلة واجال الرأي فيها والمعنى ان انفسهم
اقرب الاشياء اليهم وقد اشتملت على نظائر ما يعرف في الكائنات من العالم العلوي
والسفلي فلم يتفكرون فيها ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق يتعلق
بمقدر اي فيعلموا بعد التفكر ان خلق هذا العالم ليس عبثا بل الحكمة بالغة وهي الابتلاء بالمجازة
المحسن والمسيء والباء في بالحق مثل الباء في اشتريت الفرس بلجامه دالة على المقارنة
واللزوم وأجل مسمى معين لا يجاوزونه وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون
جاحدون لكونهم دهرية لا يقولون بالمعاد أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم كعاد وثمود وقوم لوط استفهام تقرير اي قد وقع ذلك السير
والنظر مع عدم التفاتهم اليه وتأملهم واعتبارهم كانوا أشد منهم قوة في الحديث
خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا فلم يزل يتناقصون الى يومنا هذا وأثاروا

الأرض وعمروها أكثر مما عمروها قلبوا الأرض لرفع البنيان وطلب المعادن
وغرس الاشجار اكثر مما فعل اهل مكة لطول اعمارهم وقوة اجسادهم وكثرة اموالهم
واولادهم فلم يقدروا على دفع العذاب النازل بهم فكيف سكان واد غير ذي
زرع لا انبساط لهم في المال ولا تسلط على البلاد وجاءتهم رسلهم بالبينات
المعجزات الواضحات فلم يبق لهم عذر يعتذرون به فما كان الله ليظلمهم بعد ذلك
الارسال وقطع الاعذار ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بتعريضها لسخط الله ثم كان
عاقبة الذين أساؤا السوأى اي كان عاقبتهم العقوبة السوأى وهي جهنم وضع الظاهر
موضع المضمر للدلالة على ان تلك العقوبة السوأى جزاء الاساءة منهم أن كذبوا بآيات
الله وكانوا بها يستهزؤن اي لان كذبوا ويجوز ان يكون مفسرة للاساءة لانها تكون
قولية وفعلية والسوأى مفعول اساؤا اي اكتسبوا الخطيئة الفحشاء وان كذبوا عطف
بيان والخبر محذوف اي جهنم وقرأ ابن عامر والكوفيون عاقبة بالنصب على خبرية
كان فالسوأى اسمه بمعنى العذاب او دخول جهنم او هي مفعول اساؤا وان كذبوا هو
الاسم الله يبدؤ الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون للجزاء ثوابا وعقابا فيه وعد ووعيد
ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ييأسون من الابلاس وهو اليأس ومنه ابليس
للشيطان او يدهشون ويتحيرون ومنه المبلس للحزين والابلاس بها ولم يكن لهم من
شركائهم اي ممن اشركوه بالله في الالوهية شفعاء كما كانوا يزعمون وكانوا بشركائهم
كافرين اي يكفرون بهم في ذلك اليوم وايثار الماضي لتحقق وقوعه او الباء للسببية
اي كانوا كافرين في الدنيا بسببهم ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون اي المؤمنون
والكافرون لقوله تعالى وامتازوا اليوم ايها المجرمون وقوله فأما الذين آمنوا وعملوا
الصالحات فهم في روضة ارض ذات ازهار وانهار واشجار وثمار يحبرون يسرون
وينعمون من الحبرة وهي البهاء والحسن في كل شيء ومنه حديث ابي موسى الاشعري لما
استمع رسول الله لقرائته واستحسنه لو كنت اعلم انك تستمع لحبرته تحبيرا وأما الذين
كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون لا يغيبون عنه
ما هم عنها بمخرجين وانما لم يكتف بالكفر بل اضاف اليه التكذيب بآيات الله ولقاء
الآخرة لكونه في مقابلة الذين آمنوا وعملوا الصالحات فسبحان الله حين تمسون
وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون كأنه قال اذا
صح عندكم حال المعرضين عن عبادته والمقبلين على طاعته فسبحوه في هذه الاوقات
هربا من عقابه وطلبا لنيل ثوابه وانما صدر الكلام بالفاء للتنبيه واوقع الحمد اعتراضا
لان الكلام مع المشركين فالتقديس هو الغرض المسوق له الكلام وخص الاوقات
المذكورة به لظهور القدرة فيها على باهر قدرته سئل ابن عباس رضي الله عنه هل تجد
في القرآن ذكر الصلوات الخمس فقال نعم وقرأ الآية وذلك ان تمسون يدل على المغرب

والعشاء وتصبحون على الصبح وعشيا على العصر وتظهرون على الظهر وما روي عن الحسن
ان الآية مدنية والصلوات الخمس فرضت بالمدينة منكر لانها فرضت ليلة المعراج
بلا خلاف وعن ابن عباس رضي الله عنه من قرأ هذه الآية ادرك ما فاته في يومه و
من قرأها حين امسى ادرك ما فاته في ليلته ثم استأنف بما يدل على استحقاقه التقديس
والتحميد بقوله يخرج الحي من الميت الانسان من النطفة او المؤمن من الكافر او العالم
من الجاهل ويخرج الميت من الحي في عكس ذلك ويحيي الارض بعد موتها باخراج انواع
النبات منها مع عدم التجانس وكذلك تخرجون منها اذ لا فرق بين اخراج النبات
الاخضر واخراج البشر بل الثاني اظهر لكون تلك الاجزاء كانت محل الآية مرة وقرأ
حمزة والكسائي بفتح التاء وضم الراء ولابن ذكوان وجهان ومن آياته بعض آياته
الدالة على العلم والقدرة ان خلقكم من تراب اي اصلكم وهو آدم او كل واحد لما
في الحديث من ان النطفة التي يخلق منها الانسان يعجن بالتراب الذي يدفن فيه
اذا مات ثم اذا انتم بشر تنتشرون اي خلق كثير متفرقون في اقطار الارض واكناف
البلاد لاسباب المعايش وساير الاغراض فان قلت كيف استقام الجمع بين ثم واذا
الفجائية مع تنافي مقتضاهما قلت لا تنافي لان ثم للدلالة على بعد هذه الكثرة من
ذلك الاصل الواحد الكائن من تراب ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا
اي من جنسكم اناثا او من نطفكم اولادا حوا خلقت من ضلع آدم وساير النساء خلقن
من اصلاب الرجال لتسكنوا اليها لتميلوا اليها وتألفوا بها فان الانس في الوحدة وحشة وفي
اختلاف الجنس نافر وجعل بينكم مودة بواسطة شهوة ركبها في كل من الزوجين و
رحمة رقة الجنسية والفة الازواج وعن الحسن الرحمة الولد لقوله تعالى ورحمة منا ان
في ذلك لآيات لقوم يتفكرون في ذلك ومن آياته خلق السموات والارض و
اختلاف السنتكم لغاتكم كالعربي وساير اللغات بان علمها آدم بالهام او خلق علم ضروري
كما قاله الاشعري او بالاقدار على وضعها كما قاله غيره والاول هو الظاهر والوانكم في
اصولها كالبياض والسواد والحمرة وما يتركب منها لا ترى بين افراد البشر اتحادا في لون
فقط ان في ذلك لآيات للعالمين من الملك والانس والجن وقرأ حفص بكسر اللام والفتح
ابلغ لان الآيات وان لم يعقلها الا العالمون الا انه اعم مفهوما ومن آياته منامكم
بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله اي في النهار وكان ظاهر القرآن يقول ومن
آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار الا انه عدل عنه اهتماما بالظرف
لان الآية انما يحصل به وقدم المنام لكونه انه مستقلة في قطع النظر عن الليل بخلاف الابتغاء
ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع تدبر ومن آياته يريكم البرق الفعل مقدر
بان وبعد حذفه نزل الفعل منزلة المصدر وازيل اثره في تسمع بالمعيدي وقوله شعر
وقالوا ما تشاء فقلت الهو الى الاصباح آثر ذي اثير او التقدير من آياته ما يتلى عليكم ثم بين

ثم بين بقوله يريكم البرق وقيل حال من البرق مقدم اي ويريكم البرق خوفا وطمعا حال
كونه من آياته وقيل صفة حذف موصوفه اي ومن آياته آية يريكم بها البرق خوفا من
الصاعقة او من الاخلاف او للمسافر وطمعا في المطر او للحاضر ونصبهما على العلية
بتقدير مضاف اي ارادة خوفكم او الخوف بمعنى الاخافة ويجوز كونهما حالين اي خائفين
طامعين كقوله كلمته شفاها وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بالنبات مجاز
حكمي بعد موتها بيبسها وذهاب نضارتها مجاز لغوي ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون
يستعملون عقولهم ولما كان خلق الازواج للالفة والاطمئنان اليها وايقاع المودة و
الرحمة بين الزوجين الذي لا يتم امر التعيش الا به غموض يحتاج الى التأمل وتدبر جعل
الفاصلة التفكر وخلق السموات والارض واختلاف الالسن لما كان محسوسا لا
يحتاج الى ان يكون الناظر فيها من اولي العلم او العقل فصل الآية به ولما كان وجه
الحكمة في تعاقب الليل والنهار للاستراحة وكسب المعاش في غاية الظهور اكتفى
فيها بالسماع وفي اراءة البرق وانزال الماء لاحياء الارض بالنبات بعد ذهاب
نضارتها وكيفية تكونها ليظهر كمال قدرة الصانع نوع خفاء يحتاج الى توجيه
العقل نحوه اوقع الفاصلة يعقلون واما قيام السماء والارض بامره فامر بين
فلم يحتج الى ذكر شيء من الادوات الادراك ولذلك قيل ومن آياته ان تقوم السماء
والارض بامره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون اذا الاولى شرطية
والثانية فجائية داخلة على الجزاء قائمة مقام الفاء والجملة الجزائية في تأويل
المفرد معطوفة على ان تقوم وانما غير الاسلوب اشعارا بان هذه الآية خارجة
عن جنس تلك الآيات مستقلة مقصودة في ذاتها ومن مقدماتها من الارض متعلق
بدعا كقولك دعوته من البعيد اذا كان المدعو فيه ولا يجوز تعلقه بتخرجون لان
ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها والداعي هو اسرافيل لقوله يوم يسمعون الصيحة بالحق
ذلك يوم الخروج ولما روي ان اسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس وينادي ايتها
العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركم بالحضور
للقضاء وقيل هو الله تعالى وذكر دعوة اشارة الى سرعة خروجهم وانه لا يتوقف الا
على تجرد ما يطلق اسم الدعاء والعطف بثم للدلالة على عظم ذلك الامر وكمال اقتدار
الله ويجوز ان يكون للتراخي زمانا وله من في السموات والارض خلقا وملكا
كل له قانتون نافذ فيهم امره طوعا او كرها اصل القنوت الطاعة وقد جاء بمعنى
الدعاء والخشوع والصلوة والقيام وطول القيام والسكوت كما في حديث زيد بن
ارقم كنا نتكلم في الصلوة حتى نزل قوله تعالى وقوموا لله قانتين فسكتنا وعن ابي سعيد
مرفوعا كل قنوت في القرآن بمعنى الطاعة وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون
عليه من البدء في مجاري عرفكم وان كان الكل تحت قدرته على السواء وفيه سعة نظم

حيث جعلوا هذا القياس الجلي وعن ابن عباس الاهون بمعنى الهين وقيل الضمير في عليه للخلق
ويرده ما رواه البخاري من الخبر القدسي كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك بقوله
لن يعيدني كما بدأني وليس اول الخلق باهون علي من اعادته وله المثل الاعلى الوصف
العجيب الشان عن ابن عباس هذا مثل قوله ليس كمثله شيء يريد ان ذاته لا تشبه الذوات
ولا صفاته تماثل الصفات وعن قتادة هو قول لا اله الا الله يريد التوحيد في
السموات والارض يتعلق بالاعلى او بالخبر الذي يتعلق به الجار اي يشهد له من فيهما
من الاشخاص وما فيهما من الاجزاء اما نطقا او دلالة وهو العزيز الغالب الذي لا يغالب
الحكيم الذي لا يفعل شيئا الا الحكمة ولذلك ضرب لكم مثلا من انفسكم منتزعا منها فان
للامثال شأنا في ابراز المعاني وتقريرها في النفوس لارائها المعقول في صورة المحسوس
لا سيما اذا كان المثل ماخوذا من احوال الممثل له هل لكم من ما ملكت ايمانكم من العبيد و
الاماء من شركاء فيما رزقناكم من الاموال فانتم فيه سواء تتصرفون فيه على السواء
تخافونهم كخيفتكم انفسكم كما تخاف الاحرار بعضهم من بعض من الاولى ابتدائية و
الثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتأكيد النفي واذا كنتم تأنفون عن مشاركة ما ملككم
وانتم وهم سواء في البشرية فكيف تجوزون ذلك لرب الارباب خالق السادات والمماليك
كذلك نفصل الايات مثل هذا التفصيل الجلي نفصل سائر الايات لقوم يعقلون يتدبرون
بعقولهم في الامثال وعن ابن عباس كان المشركون يقولون لبيك لا شريك لك الا شريكا
هو لك فنزلت بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير علم اي لا خفاء في هذا المثل ولكن المشركين
اتبعوا اهواء جاهلين لا علم لهم يكفهم عن ذلك فمن يهدي من اضل الله اي لا احد يقدر
على هداية من اراد الله ضلاله وما لهم من ناصرين لامتناع وقوع خلاف مراده او كما لا
هادي لهم في الدنيا لا ناصر لهم في الاخرة من العذاب فاقم وجهك للدين حنيفا اي
بعد ما بلغت اصرف كمال الطاعة مائلا عن غيره غير ملتفت الى سواه والتعبير بالوجه
لان من اهتم بشيء سدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا عليه ويحتمل ان يكون حنيفا
حالا من الدين فطرت الله اي عليكم او الزموا فطرة الله هي ما جبلوا عليه من القابلية و
التمكن من الايمان التي فطر الناس عليها لما روى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من مولود يولد الا على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه ولما رواه
عياض ان الله تعالى يقول خلقت عبادي كلهم حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم و
قيل الفطرة العهد في عالم الارواح لا تبديل لخلق الله خبر في معنى الانشاء اي لا تغيروا
تلك الفطرة او اعتراض كأنه قيل الزموا تلك الفطرة اذ لا قدرة لكم على هداية من خلق
شقيا ذلك الدين القيم اي الدين المأمور به هو الدين الذي لا اعوجاج فيه ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ذلك لاخلالهم بالنظر الصحيح منيبين اليه حال من ناصب فطرة
لا من فاعل الزموا ومعنى كون خطابه خطابا للامة باعتبار الحكم وشموله والانابة الرجوع

الرجوع الى الله بالتوبة مرة بعد اخرى من التوبة واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من
المشركين معطوفات على ذلك المضمر الناصب من الذين فرقوا دينهم بدل من المشركين
اي امنوا ببعضه وكفروا ببعضه او كل ذهب الى رأي وقرئ حمزة والكسائي فارقوا
بالف بعد الفاء اي تركوه وهذا ابلغ وكانوا شيعا فرقا كل فرقة شيعة امامها الذي
اضلها كل حزب بما لديهم فرحون مبتدأ وخبر اي مسرورون بدينهم حقا كان
او باطلا او كل حزب مبتدأ ومن الذين فرقوا خبره فيختص بالدين الباطل وفرحون
خبر بعد خبر وقيل صفة كل وفيه انه لسان الكمية فلا يوصف الا ما دخل عليه
فلا يقول كل عالم فاضل في الدار برفع فاضل واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين
اليه راجعين اليه بالتوبة ثم اذا اذاقهم منه رحمة شفاء من المرض ونجاة
من الشدة اذا فريق منهم بربهم يشركون فاجاء فريق منهم الاشراك وفي ابنائه لفظ
الرب زيادة توبيخ لهم ليكفروا بما اتيناهم اللام للعاقبة او تعليل لما دل
عليه الكلام اي افاض عليهم ليكفروا او لام الامر للتهديد كقوله اعملوا ما شئتم
بدليل قوله فتمتعوا وانما التفت مبالغة فسوف تعلمون وبال تمتعكم ام انزلنا
عليهم سلطانا اضراب الى ما هو ابعد فهو يتكلم بما كانوا به يشركون اي بكونهم
مشركين بالله ويجوز ان يكون ما موصولة والتكلم مجاز عن الدلالة او يقدر سلطانا
اي ذا سلطان او ملكا واذا اذقنا الناس رحمة سعة وعافية يريد بعضهم
لقوله في سورة هود الا الذين صبروا فرحوا بها بطرا وان تصبهم سيئة شدة
بما قدمت ايديهم بسبب معاصيهم اذا هم يقنطون فاجاؤا القنوط لا كالمؤمنين
الشاكرين في السراء والضراء اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
تتميم للانكار على من بطر بالنعمة وييأس عند زوالها وقد علم ان القابض هو الله
فهلا رجع اليه بالتوبة ليعيدها ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون بان الكل
منه تعالى اذا سلبوا نعمه ذكروا الله فآت ذا القربى حقه بالجهد او من بسط له
اذا علمت ان البسط وضده من الله فآثر الاحسان على هؤلاء ليكون مجلبة لاحسان
الله اليك واستدل به ابو حنيفة على وجوب نفقة المحارم اذا كانوا فقراء وفيه
ان ذي القربى يعم المحارم وغيرهم وحقه سائر انواع البر والمسكين وابن السبيل
حقهما من الزكوة ذلك خير للذين يريدون وجه الله اي يقصدون بمعروفهم اياه
خالصا او جهة التقرب اليه لا جهة اخرى وقيل النظر الى وجهه واولئك هم
المفلحون الفائزون وما اتيتم من ربا ليربوا في اموال الناس ما اعطيتم كله
الربوا زيادة على حقهم فلا يربوا فلا يزكوا ذلك عند الله ولا يبارك فيه لكونه
حراما وعن ابن عباس هذا في الربوا المباح وهو ان يعطي الرجل المال مريدا ان يثيبه
اكثر من هديته واستدل بقوله تعالى ولا تمنن تستكثر وما الحديث المستفز يثاب

من هدبته وقرا ابن كثير اتيتم بالقصر من الاتيان بالفعل ونافع لتربوا بضم التاء و
اسكان الواو وخطابا من الارباء اى لتزيدوا فى اموالهم او لتزدادوا انتم وما اتيتم
من زكوة تريدون وجه الله يشمل الواجب والنفل فاولئك هم المضعفون
ذوو الاضعاف من الثواب لم يجر الكلام على السنن السابق كانه يعرف ملئكته
وخواص عباده مكانة المتصدقين عنده ولما فى اسم الاشارة من الاشعار بعلية
الوصف ويجوز تقدير الكلام فمؤتوه اولئك وكم بين الوجهين الله الذى خلقكم
ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء الله مبتدا
والذى خلقكم خبره او صفته وهل من شركائكم هو الخبر والرابط اسم الاشارة
هذه خواص الالوهية اثبتها للذات بكلام خال عن التوكيد لكونها امورا مسلمة لا
نزاع لهم فيها من الاولى للتبعيض تفيدان ثانيهم فاعل قطعا والثانية ايضا كذلك
تفيدان بعضا من تلك الافعال لا يتاتى من احد من شركائهم فضلا من الكل والثالثة
مزيدة لتوكيد شمول النفى ما ينطلق عليه اسم الشىء ولا بين استحالة الشريك قدر
ذاته فالوا سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او ما اشركوه به ظهر الفساد فى
البر والبحر بما كسبت ايدى الناس عن ابن عباس عنه البر هو المفازة والبحر المدن
والقرى لما روى البخارى ان رسول الله صالح ملك ايلة وكتب له ببحره اى بلده و
قيل هما البر والبحر المعروفان ومعنى ظهور الفساد فيهما محق البركات وقلة المنافع
فى كل صنف من اصناف الاموال وانواع الحرف بشوم الظلم والمعاصى وفى الحديث اذا
مات الفاجر استراح منه العباد والبلاد والشجر والدواب وعن الامام احمد بن
حنبل وجد فى زمن ابن زياد صرة فيها البر كل حبة مثل نوى التمر مكتوب على الصرة
هذا نبت فى زمن العدل ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون انما فعل بهم
ذلك ليذيقهم فى الدنيا بعض جزاء تلك المعاصى عسى ان يعتبروا ويقلعوا عنها وقرا
ابن كثير فى رواية قنبل لنذيقهم بالنون وهو اشد تهويلا قل سيروا فى الارض فانظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبل اى اذا قصر ادراككم عن المعقولات سيروا فى الارض
لتشاهدوا بالابصار آثار الامم المكذبة وما حل بهم فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا
كان اكثرهم مشركين منكم فاقم وجهك للدين القيم الشديد الاستقامة من قبل ان
ياتى يوم لا مرد له من الله لا يقدر على رده احد الجار متعلق بياتى ويجوز تعلقه بمرد
لانه مصدر بمعنى الرد اى لا رد له من جهته لابرام القضاء بعد تعلق الارادة يومئذ
يصدعون يتفرقون تفرقا لا اجتماع بعده فريق فى الجنة وفريق فى السعير من كفر
فعليه كفره لا يجاوزه الى آخر ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون يسوون
المنزل ويفرشونه فى الجنة كمن اراد الرقاد فى مكان لا يبقى فيه شيئا مما يؤذى
الراقد ويشفقون على انفسهم كناية عن كمال شفقتهم وفى المثل ام فرشت فانا

رشت فانامت قال قراد بن عوم وكنت له عما لطيفا ووالدا رؤفا واما فرشت فانا
ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات تعليل ليمهدون دل بمنطوقه على اختصاصهم
بالجزاء وبمفهومه على انهم اهل الزلفى والمحبة من فضله اى ذلك تفضل منه لا اداء
للواجب انه لا يحب الكافرين دل صريحا على ان عدم المحبة اقتضى حرمانهم وبمفهوم
على مقتضى الجزاء موفر لاضدادهم فيلزم منه محبة المؤمنين ومن آياته ان يرسل
الرياح مبشرات ايام المطر وهى الصبا والشمال والجنوب ومنه قوله صلى الله عليه
وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا يريد به الدبور فانه للعذاب قال
نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وليذيقكم من رحمته عطف على مبشرات كانه
قال يبشركم وليذيقكم او على علة محذوفة دل عليها مبشرات او على يرسل باضمار فعل
معلل دل عليه ولتجرى الفلك بامره بارادته لا بمجرد الرياح اذ ليس كل ريح موافقة بل
ارادته من امور الخاصة التى لا يقدر عليها غيره ولتبتغوا من فضله هو تجارة البحر
ولعلكم تشكرون ولكى تشكروا نعمة الله فيهما ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم
فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا اى فكذبوهم فانتقمنا من المجرمين
للذين آمنوا وكان حقا علينا نصر المؤمنين على المجرمين رفع من شان المؤمنين واهلهم
للكرامة حيث جعلهم مستوجبين للنصرة منه وقد يوقف على حقا اى كان ذلك الانتقام
حقا ثم يبتدى علينا نصر المؤمنين اى فى كل آن وعن ابى الدرداء ان رسول الله قال
ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم ثم تلا هذه
الاية الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء اشارة الى كيفية
انشاء السحاب فى السماء صاحبه فيرسل ريحا فتثير سحابا اما انشاء من العدم او من
البحر كما قيل فيكثره شيئا فشيئا ويمده كيف يشاء متصلا ومتفرقا فاكثفا ورقيقا و
قرا ابن كثير وحمزة والكسائى الريح مفردا لارادة الجنس ويجعله كسفا قطعا جمع كسفة
كقطع فى قطعة وقرا ابن عامر فى رواية ابن ذكوان واحد عن ابى هشام بالسكون
اما لانه مخفف بالاسكان او مصدر فترى الودق اى المطر يخرج من خلاله فى تلك
الحالات فاذا اصاب به من يشاء من عباده اى بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون
وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين كرر لفظ قبل للتاكيد دلالة على ان
ابلاسهم وقنوطهم كان فى غاية الاستحكام فيكون الاستبشار الواقع بعده فى اقصى
الدرجات فانظر الى آثار رحمة الله من النبات والاشجار والثمار اشارة الى تحقيق طرف
المعاد بعد البرهان على طرف المبدا من ارسال الرياح وانشاء السحاب وقرا نافع
وابن كثير وابو عمرو وابو بكر اثر بالافراد والجمع احسن لتشريك الاثر كيف يحيى الارض بعد
موتها بعد يبسها ان ذلك لمحيى الموتى اى الذى احيا الارض هو الذى يحيى الموتى
لان احياءهم اعادة الحياة فى تلك المواد كما ان احياء الارض اعادة للنضارة واحداث

القوى الثانية بعد تلاشيها وهو على كل شيء قدير برهان على ذلك لاندراجه في هذه
الكلية ولئن ارسلنا ريحا فرأوه اى الاثر الرحمة وهو الزرع او الريح لانه اذا كان مصر
مصفرا لا ينبت فظلوا من بعده يكفرون اللام الاولى موطئة والثانية داخلة
على جواب القسم الساد مسد الجوابين والريح المصفر هو الذي يضرب الزرع بالاصفرار
وهو آفة يصفر منه الزرع ذم المشركين بانهم لا يستدلون بالآيات على وحدانيته ولا
يستكبرون نعمته ولا يصبرون على بلائه فهم راجعا بالانتقام وفى ذلك التسلية له
ووعد بالنصر فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت
بهادى العمى عن ضلالتهم لما اكثر في البراهين القاطعة والادلة النيرة الساطعة ولم
يزدادوا الا طغيانا جعلهم موتى لا حس لهم وصما لا تسامع لهم وقيد الادبار لتشديد
الاستماع فان الاصم اذا كان مقبلا ربما فهم بالاشارة وعميا لا يبصرون وفى هذا الترتيب
تنزل من الاقوى الى الاضعف مع اشتراك الكل في الاستحالة وقرأ ابن كثير ولا يسمع بالياء
الصم والخطاب ابلغ مع موافقته للاول ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا لمن فهم القوى
والحواس الى التدبر في آيات ويجوز ان يراد المشارفون فهم مسلمون منقادون لاوامر الله
ولما لم ينجع فهم آيات الآفاق تلا عليهم آيات الانفس في اطوارها من اول النشأة الى الاثم
فانها ادل دليل واعدل شاهد على الصانع القدير الله الذي خلقكم من ضعف بنى
عليه اساسكم لقوله خلق الانسان ضعيفا او من نطفة لقوله من ماء مهين وقرأ عاصم
في رواية ابي بكر واحد وفي حفص وحمزة بفتح الضاد وهما لغتان الفتح لغة تميم والضم
لغة الحجاز ثم جعل من بعد ضعف قوة وقت البلوغ واوان الشبيبة ثم جعل من
بعد قوة ضعفا وشيبة بالشيخوخة والتنكير في المعاد للتغاير وهو العليم القدير
كامل العلم والقدرة ولذلك يحدث في عادة اطوارا متباينة ويوم تقوم الساعة يقسم
المجرمون ما لبثوا غير ساعة في الدنيا او في القبور لاستعظامهم عذاب يوم القيمة او فيما
بين فناء الدنيا وبعث لما روى انه لا تعذب احدا اذ ذاك الساعة الاولى علم اليوم
القيمة كالنجم للثريا والكوكب للزهرة والثانية ما يتعارفه الناس من الزمان
كذلك كانوا يؤفكون يصرفون في الدنيا عن الحق ويسوق امرهم على الباطل بيان لحال
المجرمين في الجهل المفرط واشارة الى ان ما اغتروا به من زخارف الدنيا ليس الا ساعة
باعترافهم وقال الذين اوتوا العلم والايمان من الملئكة والانس لقد لبثتم في كتاب الله
في اللوح او علمه او قضائه والتعبير بالكتاب للدلالة على عدم التبدل كالشئ المكتوب
او القرآن لقوله ومن ورائهم برزخ الى يوم البعث فهذا يوم البعث الذي انكرتموه و
لكنكم كنتم لا تعلمون انه كائن لعدم تصديقكم الرسل والكتب فيومئذ لا ينفع الذين
ظلموا معذرتهم اعتذارهم لفوات وقته وقرأ الكوفيون لا ينفع بالتذكير وهو لحسن
لوجود الفاصلة ولا هم يستعتبون يدعون الى الاستعتاب كما كانوا يدعون اليه في الدنيا

في الدنيا يقال استعتبني فلان اى طلب من ازالة العتاب فاعتبته اى ازلت عتابه
ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل من كل نوع من انواع الدلائل الدالة على
التوحيد وكمال الصفات وصدق الرسل هي كالامثال في الحسن والغرابة ولئن جئتهم
بآية من آيات القرآن دالة على شيء من تلك الامثال ليقولن الذين كفروا من قسوة
قلوبهم واستبعادهم حديث الآخرة ان انتم الا مبطلون مقصورون على التزوير لا
يخطئونه كذلك مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون لا يسعون في
تحصيل العلم بمزاولة اسبابه فاصبر ان وعد الله حق فهو ناصرك ومظهر دينك
ولا يستخفنك الذين لا يوقنون لا يحملنك على الجزع والقلق تكذيبهم وعده بالنصر
في اول السورة واوسطها وخاتمتها وامره بالصبر اشارة الى ان بين يدى ذلك شدائد
بلوى بمثله ان يحملها بتوطين نفسه على تلقيها بصدر رحيب اذا وقعت صلى الله عليه
صلوة توازى عناه وتجازى غناه والحمد لله على الشدة والرخاء في كل صباح ومساء
سورة لقمان مكية وهي ثلث وثلثون آية وقيل اربع بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك
آيات الكتاب الحكيم اى آيات السورة آيات الكتاب ووصف الكتاب بالحكيم لاشتماله على
الحكم او لكونه كلام الحكيم او لكونه محكما آياته هدى ورحمة للمحسنين المخلصين
في الدين لانهم المنتفعون به او الذين يعملون الحسنات او جميع ما يحسن من الاعمال
الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون وصف كاشف على
الاول والاستئناف موضحه اولئك على هدى من ربهم وعلى الثاني الموصول مبتداء
وخبره اولئك على هدى وهو استيناف بذكر الصفة الموجبة للاستيهال كما مر في الصفة
المادحة محل حسن واولئك هم المفلحون الفائزون بالبغية لاجل تلك الاوصاف
ومن الناس من يشتري لهو الحديث ما يلهي والاضافة بيانية وهو الحديث المنكر من كل ما
يصد عن ذكر الله وفي الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات وروى الترمذي عن ابي
امامة ان الآية نزلت في ناس كانوا يشترون المغنيات والاضافة بيانية كخاتم
الحديد وقيل الاضافة بمعنى من التبعيضية على ان المراد بالحديث مطلقة فلا يجب
تقييد الحديث بالمنكر كما في الوجه الاول لان الغرض تمييز اللهو القولي والغرض تعجيب
السامعين ممن يختار اباطيل الحديث على الآيات والحكم ليضل عن سبيل الله كما كان
يفعله النضر بن الحارث يقول ان كان محمد يحدثكم باحاديث عاد وثمود فانا احدثكم
ايضا مثله ويحكي لهم حروب الفرس من وقايع رستم واسفنديار وقرأ ابن كثير و
ابو عمرو بفتح الياء وهو ابلغ لاستحقاقه العذاب بمجرد الضلال ولسلامته من الحذف
والمراد زيادة الضلال والاستمرار واريد به الاضلال لان الضلال المضاعف
لا ينفك عنه بغير علم اى بجهله وانما آثر ما في التنزيل لدلالته على فعل ما شرف
الاشياء ويتخذها اى سبيل الله هزوا سخرية وقرأ حمزة والكسائي وحفص ويتخذ بالنصب

وهو اولى لقرب المعطوف عليه والباقون بالرفع اما استئنافا او عطفا على يشتري اولئك
لهم عذاب مهين جزاء من جنس عملهم لاستهزائهم بالدين واذا تتلى عليه آياتنا ولى
مستكبرا كأن لم يسمعها مترفعا عنها غير ملتفت اليها كأن في اذنيه وقرا ثقلا لا يقدر على
السماع فالاول حال من المستكن في مستكبرا او في ولى والثاني من المستكن في لم يسمعها
لا بدلا من الحال الاولى لفوات المبالغة المقصودة وذلك انه شبه المستكبر بمن لم
يسمع ولما احتمل عدم السماع لعدم الالتفات سلب عنه القابلية بطريان الآفة في الآلة
وقرأ نافع باسكان الذال فبشره بعذاب اليم اذ التبشير على الاعلام والاخبار تهكما ان
الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم لاضدادهم العذاب الاليم خالدين فيها
حال من ضمير لهم او من جنات اذ جعل فاعلا للظرف وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول
لنفسه لان الاخبار السابق وعد بلا احتمال والثاني لما كونه حقا اعم مفهوما فهو مؤكد لغيره
وهو العزيز الغالب لا يمنعه شيء عن انجاز الوعد الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه حكمته
من مجازاة الفريقين على وفق اعمالهم خلق السموات بغير عمد احتجاج على من يشرك به
ترونها استئناف مؤكد اذ لا علم اجلى من المحسوس ويجوز ان يكون في محل الجر صفة لعمد
والاول هو الوجه لايهام الثاني نفي المركب من حيث هو والقى في الارض رواسي ان تميد بكم
جبالا ثوابت كراهة ان تميل لان جرم الارض بالنسبة الى الماء في غاية الصغر فلا يخلو
عن اضطراب وبث فيها من كل دابة من كل نوع من انواعها ما يدب على الارض وانزلنا
من السماء ماء التفت الى التكلم لان انزال الماء من جهة العلو ابدع واغرب فانبتنا
فيها من كل زوج كريم من كل صنف كثير المنافع هذا خلق الله مخلوقه فأروني ماذا
خلق الذين من دونه مما يشركون به بكتهم بما لا يخالجهم عن رده بل الظالمون
في ضلال مبين جلي لا يخفى على ناظر آثر المظهر للدلالة على ان الاشراك بعدهم عن الحجة
النيرة كمال الظلم ولقد آتينا لقمان الحكمة كان المشركون يرجعون الى اهل الكتاب
في امر رسول الله وقصة لقمان ونهيه ولده عن الاشراك مشهورة عندهم فكانت حجة
على المشركين ولقمان هذا عبد حبشي وقيل نوبي كان اولا راعيا فاتاه الله الحكمة
فكان قاضيا في بني اسرائيل الى ان بعث داود فترك القضاء فقيل له في ذلك فقال
كيف لا اتركها وقد كفيت بغيري وقيل لم يكن عبدا بل كان من اولاد آزر عاش الى زمن
داود عمر الف سنة واتفق المفسرون من الصحابة والتابعين على انه لم يكن نبيا
الا ما تفرد به عكرمة ومجاهد وعن قتادة انه خير بين النبوة والحكمة فاختارها
فقيل له في ذلك فقال خفت ان اضعف عن القيام بحق النبوة وروي ان مولاه امره بذبح
شاة وقال له ائتني باطيب مضغتين منها فاتى بالقلب واللسان ثم امره بذبح شاة اخرى
بعد ايام وقال ائتني باخبث المضغتين منها فاتى بهما ايضا فقال له كيف وجه ما فعلت
فقال هما اطيب شيء اذا طابا واخبث شيء اذا خبثا وعن سعيد بن المسيب انه وقف عليه

عليه اسود فقال له لا تحزن فانه كان من خير الناس ثلاثة من السودان لقمان
وبلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب والحكمة العلم المشفوع بالعمل وهذا معنى استكمال النفس
بحسب القوة النظرية والعملية ولذلك فسر ايتاءها بقوله ان اشكر لله ثبتنا واعتقادا
بالجنان وعمل الاركان والقول باللسان ومن يشكر فانما يشكر لنفسه لان نفعه لا
يتخطاها يجوز ان يكون مما قيل للقمان وان يكون اعتراضا حثا على الشكر ومن كفر فان
الله غني لا ينقص بذلك من ملكه شيء حميد في ذاته محمود ذاته قبل حمد الحامدين او
حميد بلسان الحال حيث افاض الوجود على الماهيات وانار بضيائه الكائنات واذ
قال لقمان لابنه وهو يعظه اسمه اشكم وقيل انعم وقيل ماثان كان هو وامه كافرين
فلم يزل يعظهما حتى اسلما يا بني تصغير اشفاق قرأ حفص بفتح الياء في الكل ووافقه
البزي في الثالثة لدلالته على حذف الالف المقلوبة من الياء واسكن الاولى وكسر
الثانية وقنبل باسكان الطرفين تخفيفا وكسر الوسط ونافع وابو عمرو وابن عامر
وحمزة والكسائي وابو بكر بالكسر بحذف ياء المتكلم اكتفاء به لدلالته عليه لا تشرك
بالله في الوهيته ان الشرك لظلم عظيم لا يحاط بكنهه قبحا اذ ليس من يخلق كمن لا يخلق
والوقف على لا تشرك وجعل بالله قسما ضعيف ووصينا الانسان بوالديه عطف على
ولقد آتينا لقمان الحكمة دفع لما يتوهم من عدم جواز القيام بحقهما لانه يشبه العبادة
وهو كلام معترض في قصة لقمان لدلالة على ان شكر الوالدين مقرون بشكر الله
ومع ذلك لا يجوز ارتكاب الشرك لرضاهما فكيف بالغير وقيل عطف على مضمر اي
وقلنا له ووصينا الانسان حملته امه وهنا على وهن اي لم يزل يتضاعف ضعفها
منذ حملته الى حين الوضع اعتراض يؤكد حق الام روى البخاري ومسلم عن ابي هريرة ان
رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابر قال امك ثم امك ثم امك ثم اباك و
فصاله في عامين لانه اقصى مدة الرضاع لقوله يرضعن اولادهن حولين كاملين
ان اشكر لي ولوالديك تفسير للوصية او بدل اشتمال من والديه او علة لوصينا الي
المصير وعد ووعيد وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم اي ما ليس بشيء
حقيقة ولا يصح ان يتعلق به العلم حقر شان الشريك في جعله دون المعدوم فلا تطعهما
في ذلك اذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وصاحبهما في الدنيا معروفا صحابا
يرتضيه الدين والمروءة واتبع سبيل من اناب الي في التوحيد والاخلاص ثم الي مرجعكم
للجزاء فانبئكم بما كنتم تعملون فاجازيكم على وفق اعمالكم نزلت في سعد بن مالك حين
اسلم حلفت امه لا تاكل ولا تشرب ولا تقعد في ظل حتى يرتد ولذلك قيل من اناب الي
ابو بكر لان اسلام سعد كان على يده يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل اي الفعلة
من الحسنة والسيئة مثقال الشيء ما يوازنه والخردل نبت حبه يضرب به المثل في
الصغر وقرأ نافع مثقال بالرفع والتانيث لان الفاعل مضاف الى المؤنث او لان المراد

به الحسنة او السيئة فتكن في صخرة او في السموات او في الارض الصخرة هي التي عليها الثور
في خارجة عن السموات والارض او المراد داخل الصخرة واعماقها والغرض بيان احاطة
علمه بها وان كانت في لحو مكان يعمور يأت بها الله يوم القيمة ان الله لطيف يصل
علمه الى النبي وان دق مسلكه خبير ببواطن الاشياء يا بني اقم الصلوة فانها عماد الدين
دل هذا على انها عبادة قديمة في سائر الملل وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فانه كمال وتكميل
روى الترمذي عن ابي هريرة ان رسول الله قال لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر
ليبعثن الله عليكم عذابا من عنده واصبر على ما اصابك من المكاره في الاوقات كلها
لاسيما عند الامر والنهي اذ قل ان يسلم من اذى الاشرار ان ذلك من عزم الامور اي المذكور
من اقامة الصلوة الى اخره من الامور المفروضة المقطوعة ومنه الحديث سجد ص ليست
من عزائم السجود وقوله اذا سألت فاعزم المسئلة مصدر بمعنى المفعول او بمعنى الفاعل من
عزم الامور اذا جد ولا تصعر خدك للناس لا تولهم صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون
وفي الحديث يأتي على الناس زمان ليس فيهم الا اصعر او ابتر والصعر داء يصيب البعير يلوى
منه عنقه وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة والكسائي تصاعر بالمد وهي لغة الحجاز الفصحاء
عطا بستانه ولا تمش في الارض مرحا بطرا وهو شدة الفرح غرورا حال او مصدر اي
تمرح مرحا او للمرح وفي الحديث كان رجل يمشي وعليه برد قد بطر في عطفه فخسف الله به
الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة ان الله لا يحب كل مختال في مشيته فخور على الغير
نشر لما تقدم وتغيير الترتيب لتوافق رؤس الاي واقصد في مشيك اي توسط بين
الاختيال والتماوت فتكون سنيا بين مشيين وفي الحديث نظرت عائشة رجلا كاد يموت
تخافتا فقال ما لهذا قالوا رجل من القراء فقالت عمر سيد القراء وكان اذا مشى اسرع
واذا قال اسمع واذا ضرب اوجع وفي وصف مشية صلى الله عليه وسلم كان اذا مشى كانه
ينزل في صبب واغضض من صوتك وانقص منه ولا ترفع صوتك الا مقدار ما تسمع جلساءك
اصل الغض الخفض والكسر ومنه في الحديث كان اذا فرح غض طرفه لئلا يكون اشرا ان
انكر الاصوات افحها لصوت الحمير بالغ في التحذير عن الافراط في رفع الصوت باخراج
الكلام مخرج الاستعارة وانزل لفظ الجمع لان الصوت المنكر اذا توافقت عليه الحمير كان
انكر هذا يعني ان للحمار مثل في الذم حتى ان اهل الادب يكنون عنه بطويل الاذنين تحاشيا
عن لفظه فان قلت من الاصوات ما هو اشد نكرا من صوت الحمار قلت اذ كان المراد بالانكرية
القباحة البين فيه منه صوت هذا مع ان سائر الحيوانات انما تصوت عند اصابة مكروه
والحمار لا يصوت الا بطرا الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات من الشمس والقمر والنجوم و
السحاب اسبابا لمنافعكم وما في الارض من الاشجار والانهار والزروع والثمار واسبغ
عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ما يتعلق بظاهر الانسان مثل الاستقامة وما في الخلقة
من المحاسن والباطنة هي القوى الدراكة ونتائجها من المعارف وما في اعماق الاجسام

الاجسام من الاشياء التي لا شعور للانسان بها وقرأ نافع وابو عمرو وحفص بكسر النون
وفتح العين على صيغة الجمع مضافا الى الضمير وهذا ابلغ واشمل ومن الناس من يجادل
في الله بغير علم مستفاد من طريق العقل ولا هدى ولا هداية من رسول ولا كتاب
منير انزله الله ارشادا واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه
اباءنا انهماكا في التقليد اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير عطف على
مدخول الاستفهام توبيخا اي يتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير
النار والمنصوب في يدعوهم اما لهم او لابائهم ويؤيد الثاني قوله اولو كان اباؤهم
لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ومن يسلم وجهه الى الله اي ذاته بالكلية الفرق
بين اللام في قوله بلى من اسلم وجهه لله وبين الى كما في الاية ان اللام لتقييد الاختصاص
اي جعل نفسه خالصة لله لا شركة فيها لاحد والى لتقييد التفويض كما يسلم الرجل متاعه
الى الغير وهو محسن في عمله كانه يرى ربه فقد استمسك بالعروة الوثقى مثل حال
المتوكل بحال من اراد الارتقاء الى الشاهق فاستمسك باوثق حبل يا من الانقطاع
والى الله عاقبة الامور فيجازيه بما يليق بكرمه ومن كفر فلا يحزنك كفره اذ عليك
البلاغ وقد وفيت به وقرأ نافع يحزنك بضم الياء وكسر الزاء من احزن والباقون
بفتح الياء وكسر الزاء قال الخليل حزنه جعل فيه حزنا واحزنه جعل حزينا كادخله
جعله داخلا فالاول ابلغ وعن الفراء انهما بمعنى فالقول بان احزن ليس بمستفيض وهم
الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا يجازيهم عليه ان الله عليم بذات الصدور بخفيات
الضمائر اثر الالتفات لفظ الجلالة لان الالوهية مستلزمة للاحاطة بالسر واخفى
نمتعهم قليلا ليزدادوا اثما عبر عنه بالقليل لان الفاني وان طال قليل بالنسبة
الى الدائم ثم نضطرهم الى عذاب غليظ استعار الغلظ من الاجرام اشارة الى شدته
كانه تجسد من عظمه ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لا يقدرون
على غير ذلك لغاية الظهور قل الحمد لله على هذه النعمة اذ في اقرارهم الزام لهم وقلع
دابر شبههم بل اكثرهم لا يعلمون اضراب الجهل هو اقوى من الاول اذ المعنى ان
جهلهم انتهى الى انهم لا يعرفون ان قول الحمد لله انما هو لالزامهم لله ما في السموات
والارض من الجزئيات الخارجة والاجزاء الداخلة ان الله هو الغني المطلق الحميد
بلسان الحال وان لم يحمد مقالا لان الكل خلقه وملكه ولو ان ما في الارض من شجرة
اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله قرأ السبعة الا ابا عمرو
والبحر رفعا عطفا على محل ان ومعموليها اي لو ثبت كون الاشجار اقلاما وكون البحر
ممدودا بسبعة ابحر او رفعا بالابتداء والواو للحال وقرأ ابو عمرو بالنصب اما عطفا
على اسم ان او بفعل يفسره يمده وهو المختار لرجحان عطف اللفظ على المحل وعدم الاحتياج
الى التقدير والمعنى لو ان اشجار الارض اقلام والبحر المحيط ممدود بسبعة ابحر وكتبت

تلك الأقلام بذلك المداد وكلمات الله لما نفدت كلماته و نفدت تلك الأقلام والمداد وانما أوثر جمع القلة اشارة الى ان ذلك لا تفي بالقليل فكيف بالكثير كذا قيل وانما يستقيم اذا لم يجعل الجمع المضاف مستغرقا اذ عند ذلك لا تفاوت بين الجموع ان الله عزيز غالب لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج عن علمه شيء ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة لاستغنائه عن الأسباب و الآلات بل علة وجود الأشياء انضمام الارادة الى القدرة الشاملة ان الله سميع جميع المسموعات في آن واحد بصير يبصر المبصرات كذلك فكما لا يشغل سمعه وبصره شيء عن شيء فكذلك الخلق والبعث الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل من النيرين يجري الى اجل مسمى دل بتعاقب الليل والنهار وزيادتهما ونقصانهما وجري كل من النيرين في فلكهما كل ذلك على حساب وتقدير على عظيم قدرته وكمال علمه وايقاع الى صلة الجري معناه الا الانتهاء واللام الاختصاص ولما كان الثاني ابلغ كثر في القرآن ولم يقع الاول الا في هذا الموضع والمراد بالأجل آخر السنة في الشمس وآخر الشهر في القمر وعن الحسن هو يوم القيمة لانقطاع جريهما حينئذ وان الله بما تعملون خبير يعلم بواطن اعمالكم ذلك بان الله هو الحق ذلك الوصف العجيب من كمال القدرة وباهر الحكمة لاجل انه الثابت الالوهية التي من لوازمها الكمال المطلوب في كل وصف يليق بكبريائه وان ما يدعون من دونه الباطل يعجزه عن الاتصاف بوجوده الأمن ذلك الحق قرأ ابو عمرو والكوفيون الا ابا بكر يدعون بالياء وهو المختار لاخراجهم عن شرف خطابه اذ عبد واعزه الباطل فان قلت قد زاد في مثل هذا الاسند لان ضمير الفصل في قوله وان ما يدعون من دونه هو الباطل في سورة الحج فما الوجه في تركه هنا قلت الكلام هناك كان في نصر المظلوم والمشركون كانوا يزعمون ان آلهتهم تنصرهم ولذلك لما انهزم المسلمون يوم احد نادى ابو سفيان باعلى صوته اعل هبل اعل هبل فكان المقام حقيقا بالتاكيد وان الله هو العلي الكبير العلي شانه الكبير سلطانه وما سواه حقير صغير تحت قهره الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمت الله بالريح المرسلة التي هي من نعم الله لقوله ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد ليريكم من آياته من عجائب البحر كما اريكم بدائع البر ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور اي لكل مؤمن لان الصبر على البلاء والشكر على النعماء من صفاته كناية يراد بهما الموصوف وفي ايثارها اشارة الى ان الوصفين هما عمدتا الايمان واذا غشيهم موج كالظلل جمع ظلة وهي كل ما اظلك اراد الأمواج المتراكبة عند هيجان البحر دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما ينازع الفطرة من شدة الخوف فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد متوسط في كفره قد خفض من غلوائه او مؤمن موحد باق على ذلك الاخلاص وفي الكلام شائبة انكار اذ بعد النجاة من تلك المهالك كان اللائق به ان يكون من الكمل السابقين وما يجحد بآياتنا الا كل ختار الختر شدة الغدر قال شعر وانك لو رايت ابا عمير ملأت يديك

عن

بدلك من غدره وختر كفور بنعماء الله يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا لما شيد اركان البراهين على قيام الساعة بما لم يبق للريب فيه مجال حذر كافة الناس بان لا يتكل احد على احد فان اقرب الناس واحد هم بالنفع الوالد والولد واذا لم يقدر احدهما على نفع الآخر فالغير بالاولى وعبر النفي في جانب الولد عن السابق الاول مؤكدا بضمير الفصل لان المولود لا يقال الا لمن ولد منك بخلاف الولد فانه يطلق على الحافد واذا لم ينفع من ولده فالاحفاد من باب الاولى ان وعد الله حق لا بد من وقوعه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا بالاشتغال بزخارفها ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بالاغراء على المعاصي قائلا ان الله غفور رحيم و بالتسويف عن التوبة ان الله عنده علم الساعة لا عند غيره كقولك عند زيد الخبر و ينزل الغيث يعلم وقت نزوله دون غيره لانه معطوف على المختص به ولقرينة المقام لان المسوق له الكلام شمول العلم والاختصاص لا القدرة على الانزال ويعلم ما في الارحام من الكمية والكيفية وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت عطف على جملة ان الله عنده علم الساعة ولما كان الكلام مسوقا للاختصاص لا لافادة اصل العلم لزم من النفي على سبيل الاستغراق اختصاصه به على الوجه الابلغ كناية وفي ايثار الدراية من جانب العبد اشارة الى انه لا يعلم وان بذل مجهوده في الحيل ان الله عليم كامل العلم بالاشياء كلها خبير عالم ببواطنها كما يعلم ظواهرها تمت سورة لقمان والحمد لله على الانعام والاحسان والصلوة على المبعوث من عدنان سورة السجدة مكية وهي ثلثون آية وقيل تسع وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم الم مبتدا خبره تنزيل الكتاب ان جعل اسم السورة او القرآن وان جعل تعديد الحروف ايقاظا تنزيل الكتاب خبر مبتدا محذوف او مبتدا خبره لا ريب فيه او من رب العالمين ولا ريب فيه اعتراض وهو الوجه لان قوله ام يقولون افتراه انكار على الزاعم انه من عند غير الله وتعجيب من ذلك القول مع وجود نافي الريب فيحسن موقع الاعتراض ويفيد انه لا التفات الى شغب المكابر ثم اضرب عن ذلك الى اثبات كونه هو الحق بعد اماطة الشبهة بقوله بل هو الحق من ربك وفي اضافة الرب اليه بعد اضافته الى العالمين تخلص الى اثبات نبوته وفيه اشارة الى انه العبد الذي جمع فيه ما فرق في العالمين وفي اسلوب الترقي اشارة الى ان الكمال فيه اتم مما في كل العالم لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك اي بعد الضلال لقوله وان من امة الا خلا فيها نذير ولانهم كانوا يزعمون انهم على ملة ابراهيم واما دعوة موسى وعيسى فلم تكن عامة لعلهم يهتدون راجيا انت هدايتهم الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش دليل على استحقاقه العبودية دون غيره تعالى ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع اي ما لكم مجاوزين رضاء الله ولي يتولى امركم

ولا شفيع على ان من دونه حال من ضمير المخاطبين او الشفيع فمجاز عن الناصر ومن دون
الله حال مقدم كانه قيل ما لكم ولى ولا ناصر غير الله أفلا تتذكرون بهذه المواعظ الجلية
يدبر الأمر من السماء إلى الأرض اى المأمور به من الطاعات ضمن معنى الانزال ثم
يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون العروج هو الصعود والمعنى
لا يصعد اليه ذلك المأمور به خالصا الا في مدة متطاولة لقلة العباد الخلص فذكر
الالف للاستطالة لانها نهاية العقود ثم للاستبعاد ويدل على هذا الوجه قليلا ما
تشكرون او امر الدنيا كلها من السماء الى الارض فالامر بالمعنى الثانى والعروج مجاز
عن الثبوت في صحف الملئكة والمعنى انه لكل يوم من ايام الله وهو الف سنة تدبير لشان
الدنيا ثم على التدريج يقع ذلك في الوجود ثم اذا اتمت تلك المدة دبر لالف آخر و
هلم جرا الى قيام الساعة فكانه قيل يجدد هذا التدبير مستمرا او هو الوحى ومقدار
ما بين السماء الى الارض خمسمائة سنة فيقع النزول والعروج في الف سنة ولا ينافى
هذا قوله في يوم كان مقداره خمسين الف سنة لان ذلك عروج الى العرش او المراد
امر الدنيا الى قيام الساعة فالامر بمعنى الشان والظرف يتعلق بالعروج كانه قيل
يدبر الامر الى يوم القيمة ثم في ذلك اليوم الذى مقداره الف سنة يصير اليه ذلك
الامر كله فيحكم بموجبه والتوفيق بينه وبين قوله خمسين الف سنة على هذا التفاوت
في الاستطالة بحسب الشدة وقيل فيه خمسون موطنا وكل موطن الف سنة ذلك عالم
الغيب والشهادة اى ذلك المدبر يعلم الغايب والشاهد بلا تفاوت وهذا يدل
على كمال اتقانه في ذلك التدبير العزيز الغالب على امره الرحيم بعباده راعى مصالحهم
تفضلا الذى احسن كل شىء خلقه مما يليق به واقتضته حكمته بدل اشتمال من كل شىء
وقرأ نافع والكوفيون خلقه بفتح اللام على انه ماض ومحل الجملة النصب على انه صفة
كل وجر صفة شىء هذا ابلغ وبدأ خلق الانسان من طين هو آدم ثم جعل نسله
ذريته سميت به لانها تنسل اى تنفصل من سلالة فعالة بمعنى المفعول اى مسلولة
من ماء مهين هى النطفة لانها مستقذرة او ممتهنة ثم سواه قومه بتصوير الاعضاء
في احسن تقويم ونفخ فيه من روحه اضافة تشريف كقوله في جبرائيل فارسلنا اليها
روحنا وحديث من عرف نفسه على تقدير صحته لا يدل الا على ان الهم النفس يوجب العلم
بالصانع كالنظر في الآفاق لقوله وفي انفسكم افلا تبصرون وجعل لكم السمع و
الابصار والافئدة آلات الادراك ليستنبطوا الكليات من المحسوسات والتفت الى
الخطاب مكافحة بقوله قليلا ما تشكرون شكرا قليلا تشكرون وقالوا أئذا ضللنا
في الارض صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض لا نتميز بين اجزائنا واجزائها وقرأ ابن عامر
اذا بدون الاستفهام أئنا لفي خلق جديد الاستفهام في الموضعين للتعجب مع التكلم
وقيل القائل ابي بن خلف وقرأ نافع والكسائى بالاخبار وما دل عليه هو العامل في اذا

في الظرف المتقدم بل هم بلقاء ربهم كافرون اضراب الى ما هو ابلغ من انكار البعث وهو جحود
ما يكون بعد الموت من الحشر والحساب والمجازات قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم
لا كما تزعمون نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر ولا ينافى هذا قوله تتوفاهم الملئكة لانهم
اعوانه قيل يزعمون الروح الى الحلقوم فاذا بلغه قبضه ملك الموت والتوفى اخذ الشىء
بتمامه وكذا الاستيفاء لان التفعيل والاستفعال يلتقيان كثيرا ثم الى ربكم ترجعون
للمجازات ولو ترى يا محمد او يا من يتأتى منه الرؤية اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند
ربهم من الحجل والخزى لرأيت امرا فظيعا والمراد وجود الرؤية فلا يقدر له مفعول ويجوز
ان يكون تمنيا لرسول الله ليشمت بهم حين يجرع الغصص ولو واذ اختصا بالماضى
الا ان المترقب في كلامه تعالى كالثابت فلما ربنا ابصرنا وسمعنا ابصرنا ما وعدتنا
وسمعنا بتصديق رسلك منك او كنا عميا وصما فابصرنا وسمعنا فلا يقدر مفعول فارجعنا
نعمل صالحا انا موقنون اذ لا علم اجلى من المشاهدة ولو شئنا لآتينا كل نفس هديها
ما تهتدى به الى الايمان بخلق قدرة الطاعة فيها ولكن حق القول منى ثبت وتحقق
الحكم ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين
هذا الاثم لذلك الحكم او القول هو هذا فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم اى بترككم التفكر
والتدبر فيه بترك الناسى هذا اى ما انتم فيه من الخزى مفعول ذوقوا وقيل صفة يومكم و
الاية صريحة في ان الله لم يرد ايمانهم بناء على التوسط الذى هو مناط التكليف وكون
الامرين لا امرين لا جبر ولا قدر انا نسيناكم تركناكم في العذاب ترك المنسى وفي استيناف
وبناء الفعل على ان واسمها اشارة الى شدة الانتقام وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون
من الكفر وساير المعاصى الخطاب للمشركين فلا يدخل فيه اصحاب الكباير انما يؤمن
بآياتنا الذين اذا ذكروا بها وعظوا وفي ايثار التذكير اشارة الى انها من الوضوح
بحيث لا يحتاج الى تأمل خروا سجدا لله وفي لفظ الخرور اشارة الى انهم لم يتمالكوا حين
ذكروا وسبحوا قدسوا الله عما لا يليق به بحمد ربهم ملتبسين بحمده على التوفيق وهم
لا يستكبرون تصريح بما علم ضمنا وتعريض بالمشركين تتجافى جنوبهم عن المضاجع
ترتفع وتتبعد مستمرين على ذلك يدعون ربهم خوفا من عقابه وطمعا في ثوابه
عن اسماء بنت يزيد قالت قال رسول الله اذا جمع الله الاولين والاخرين يوم القيمة نادى
مناد بصوت الخلايق يسمع اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادى ليقم الذين
كانت تتجافى جنوبهم فيقومون وهم قليل ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير جميعا
بانواع ما يتقرب به فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين مما تقر به اعينهم والفاعل
هو الله تعالى وانما ابهم لعدم ذهاب الوهم الى الغير وقرأ حمزة اخفى بسكون الياء
مضارع اخفى وما موصولة او استفهامية والعلم بمعنى المعرفة جزاء بما كانوا يعملون
اى جزوا الجزاء او اخفى جزاء وعن الحسن اخفوا عن الناس اعمالهم فاخفى الله جزاءهم لم يطلع عليه

لا نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر بله ما اطلعتم عليه اقرأوا ان شئتم فلا تعلم نفس افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا
خارجا عن الدين ردّ لما كانوا يزعمون ان لو كان بعث فنحن احسن حالا منهم هؤلاء
الصعاليك قياسا للدار الآخرة على الدنيا وعن عطاء بن يسار والسدي انها نزلت في
علي بن ابي طالب وعقبة بن ابي معيط وقيل في علي ووليد بن عقبة وليس بصواب لان
المراد بالفاسق هنا الكافر ولان السورة مكية فنزول الآية بعد بدر غير مستقيم
لا يستوون في الرتبة وجمع الضمير بالنظر الى المعنى اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فلهم جنات المأوى لانها دار الاقامة فهي المأوى حقيقة والدنيا كمنزل المسافر و
قيل جنة المأوى جنة مخصوصة عن يمين العرش تأوي اليها ارواح الشهداء نزلا
طعام يعد للنازل ثم صار عاما في كل عطاء بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم
واما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها فهم مخلدون
فيها لما في كلما من التكرار وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون يقال
لهم هذا زيادة في العذاب بتوفير حظ حاسة السمع كقول ابي نواس الا فاسقني
خمرا وقل لي هي الخمر ولنذيقنهم من العذاب الادنى في الدنيا من القحط والاسر
دون العذاب الاكبر اي عذاب الآخرة لعلهم يرجعون بالتوبة وعن مجاهد
العذاب الادنى عذاب القبر ومعنى لعلهم يرجعون يطلبون الرجوع من باب فالتقطه
آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا او الترجي راجع اليهم ومن اظلم ممن ذكر
بآيات ربه ثم اعرض عنها اي لا اظلم منه وثم لاستبعاد الاعراض مع الجلاء كقول
الحماسي يرى غمرات الموت ثم يزورها انا من المجرمين منتقمون طرا فكيف بالاظلم
ولقد آتينا موسى الكتاب كما آتيناك فليست ببدع من الرسل فلا تكن في مرية
من لقائه من لقاء الكتاب وان ما ونيته نظير ما اوتي موسى وقيل من لقاء موسى ليلة المعراج
وقيل من لقائك موسى يوم القيمة او ليلة الاسراء والاول هو الوجه لقوله فان كنت
في شك مما انزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك وجعلناه هدى لبني
اسرائيل اي كتاب موسى او موسى وجعلنا منهم ائمة يهدون الناس بامرنا بتوفيقنا او
بامرنا اياهم بذلك وفي الحديث اخذ الله العهد على العلماء كما اخذ على الانبياء ليبيننه
للناس ولا يكتمونه لما صبروا على الطاعات وقرأ حمزة والكسائي لما بكسر اللام وتخفيف
الميم اي لصبرهم ومآل الوجهين واحد وكانوا بآياتنا يوقنون لتدبرهم فيها فكانوا
احقاء بالامامة لكمال قوتيهم العملية والنظرية وتقديم الاول لكونه المقصود
من العلم ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون اي يميز بين
المحق والمبطل من سائر الامم او من بني اسرائيل اولم يهد لهم اي لاهل مكة عطف على منوي

على منوي مثل الم يكشف والفاعل ما دل عليه كم اهلكنا من قبلهم من القرون اي كثرة المهلكين
او هذا الكلام بمضمونه كقولك لا اله الا الله يعصم الدماء والاموال وقيل فيه
ضمير الله يمشون في مساكنهم في اسفارهم وهي مساكن عاد وثمود وقوم لوط ان
في ذلك لآيات افلا يسمعون سماع تدبر فان قلت كان الظاهر بعد ذكر المشي في
مساكنهم ورؤية غضب الله تعالى افلا يبصرون قلت تلك الرؤية كانت وقت مرورهم
وقد ذهلوا عنها فلما ذكرهم اياهم حذرهم الذهول عنها بان حثهم على سماع الانعاظ
اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز المنقطع النبت بها لعدم المطر من جرز الشئ
قطعه لا الارض التي لا تنبت لقوله فنخرج به زرعا والمراد كل ارض هذه صفتها وعن
ابن عباس ارض اليمن وذلك لانها مربع انعام اهل مكة تأكل منه انعامهم من التبن
والاوراق وانفسهم من الحب والثمر افلا يبصرون ابصار اعتبار فيستدلون به
على من قدر على ذلك قدر على الاحياء ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين يوم
الفتح يوم القيمة لقوله ثم يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا من الفتاحة وهي الحكم وقيل
يوم بدر او يوم فتح مكة وعلى هذا معنى قوله قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم
ولا هم ينظرون هم المقتولون في ذلك وانطباق هذا الجواب على سؤالهم من حيث التهكم
والاستهزاء بهم كما كانوا يستهزؤن في سؤالهم واستعجالهم فكانه قال لكاني بكم وقد
جاء ذلك اليوم الذي لا ينفع فيه ايمانكم ولا تنظرون اذا استنظرتم فاعرض عنهم
بعدما بلغت الغاية القصوى من التبليغ والانذار وانتظر النصر الموعود انهم منتظرون
ما يتمنون انفسهم من العاقبة والغلبة تمت السورة والحمد لله على الآلاء الموفورة و
الصلوة على محمد ذي الآيات المشهورة سورة الاحزاب مدنية وهي ثلث وسبعون آية
بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اتق الله لم يناد الا ملقبا بما يدل على رفعة
محله من الرسول والنبي والمزمل بخلاف سائر الانبياء من قوله يا موسى ويا آدم جل جلاله
له واما ذكر اسمه في قوله محمد رسول الله وقوله وما محمد الا رسول فللحكم عليه
بالرسالة الا ترى الى قوله لقد جاءكم رسول وقوله آمنوا بالله ورسوله اتق الله
دم على التقوى او ازدد وان المنافقين غير متناهية ولا تطع الكافرين والمنافقين
روي ان ابا الاعور السلمي وابا سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل قدموا المدينة
فنزلوا على ابن ابي رأس المنافقين وجد بن قيس فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا
دع ذكر اللات والعزى وقل ان لها شفاعة فقال عمر يا رسول الله ائذن لي في قتلهم
فقال قد اعطيتهم الامان فنزلت وقيل نزلت في بني قريظة والنضير ويهود بني قينقاع
كان ناس منهم تابعوا على النفاق وكان رسول الله يلين لهم رجاء ان يرجع عن دينه ويعطوه شطر اموالهم
وان يزوج شيبة بن ربيعة ابنته ان الله كان بما تعملون خبيرا بما هم فيه من المكر حكيما
في عدم معاجلتهم بالعذاب واتبع ما يوحى اليك من ربك لا تعدل عنه تأكيد لقوله اتق الله

ان الله كان بما تعملون خبيرا فيوحي اليك ما تصلح به اعمالكم انت وامتك وقرأ ابو عمرو بالياء على انه وعيد للكافرين والمنافقين وتوكل على الله في مجامع امورك وكفى بالله وكيلا حافظا موكولا اليه الامور ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه عن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يوما يصلي والمنافقون يصلون معه فسهى في صلوته فقال المنافقون ان له قلبين قلب معكم وقلب مع اصحابه وعن الزجاج ان عبد الله بن خطل كان يقول ان لي قلبين وقيل هو ابو معمر وكان من حفظ العرب وقيل هو جميل بن اسد الفهري فلما انهزم المشركون يوم بدر ولى هاربا فمر بابي سفيان فقال له ما فعل القوم قال هم مقتول وهارب وكان قد علق احدى نعليه في يده والاخرى في رجله فقال له ما بال احدى نعليك في يدك فقال ما ظننت الا انهما في رجلي فاكذب الله قوله وقولهم وجعل ذلك اصلا وبنى عليه شيئين لا حقيقة لهما وهما التبني والظهار وذكر الجوف لزيادة التصوير وتقوية الانكار وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم كان الظهار في الجاهلية طلاقا وحقيقته ان يقول الرجل لزوجته انت علي كظهر امي او كالام سائر المحارم فاخبر الله تعالى بان ذلك القول لا اصل له ولم يثبت له حكم في علم الله تعالى كما لم يتعلق ارادته بخلق القلبين في جوف وقيل لان هذا يؤدي الى التناقض وان يكون كل منهما اصلا لكل القوى وغير اصل ولان الام مخدومة والزوجة خادمة لان الرابعين امري واكمل وكون الحسن شرعيا لتضمن الظهار معنى التجنب عدي بمن وقرأ الكوفيون وابن عامر واللائي بهمزة مكسورة بعدها ياء ساكنة على الاصل والباقي فروي عن ورش بهمزة مكسورة مسهلة في الوصل ويقف بياء ساكنة ولابي عمرو والبزي وجهان الياء الساكنة ومختلسة الكسر وقرأ قالون وقنبل بهمزة مكسورة لا ياء بعدها وقرأ ابو عمرو والحرميان بفتح التاء في تظاهرون والهاء وتشديدها والظاء بلا الف وابن عامر بالفتحتين وتشديد الظاء وتخفيف الهاء والالف بينهما وعاصم بضم التاء وكسر الهاء وتخفيفها والالف بينهما وحمزة والكسائي بالفتحتين والالف وتخفيف الهاء فيهما والوجه في الكل واضح لكن التخفيف اشهر وما جعل ادعياءكم ابناءكم جمع دعي وهو الذي يدعى ابنا من غير ولادة وهذا هو المقصود من سوق الكلام وذلك ان رسول الله كان دعى زيد بن الحارثة ابنا قبل النبوة لانه كان قد سبي ووقع في يد حكيم بن حزام فوهبه لخديجة زوج رسول الله فوهبته له فجاء بعد ايام ابوه وعمه في طلبه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم احبه فلما طلباه منه قال رسول الله تخيّره فان اختاركم فهو لكم وان اختارني فدعوه قالوا رضينا ظنا منهم بانه لا يختار على ابيه احدا فلما خير اختار رسول الله وقال اني رايت منه شيئا لم ير احد من ابيه فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد زيد واخرجه الى المسجد الحرام ونادى يا معشر قريش ان زيد

ان زيد بن حارثة ابني فلما تزوج زينب فرح المنافقون وقالوا كيف يتزوج زوجة ابنه وهو ينهى عن ذلك فرد الله ذلك بان الادعياء ليست ابناء ذلكم قولكم بافواهكم من غير ان يترتب عليه امر في الاحكام الشرعية والله يقول الحق وسواء باطل وهو يهدي السبيل طريق الجنة وقد وقع النظم في رد مقالتهم احسن موقع وذلك بان بناه على قضيتين هما كالشاهدين مسلمتين عندهم ثم اتى بالعد تكلة للدلالة على ان الثالثة معهما ملزوزة في قرن بلا انفصام ثم ذيل الكل بقوله والله يقول الحق وهو يهدي السبيل تاكيدا على تاكيد وتمهيدا لما بعده من قوله ادعوهم لابائهم الى اخر السورة فانه تفصيل لقوله الحق وهداية السبيل هو اقسط عند الله اي النسبة الى الاباء هو القول الصواب اسم التفضيل يريد به الزيادة المطلقة فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم في الدين لقوله تعالى انما المؤمنون اخوة ومواليكم واولياؤكم فيه فقولوا يا اخي يا مولاي وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به قبل ورود النهي او بعده على سبيل الخطاء وسبق اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم مجرور عطف على ما اخطاتم او مبتدا خبره محذوف اي ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح ويجوز ان يراد العموم في الخطاء والعمد كقوله صلى الله عليه وسلم لا الخطاء اخشى عليكم ولكن العمد وعلى الوجهين ذكرهما يؤكد ابتنائه لما ندبوا اليه وكان الله غفورا للمخطي رحيما بقبول توبة العامد النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم فيجب عليهم وقايته بالارواح والمهج وايثار رضاه على رضاهم ولذلك يحرم مرغوبته على زوجها وفي الحديث لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده والناس اجمعين وهذا دفع لما عسى يقال وان لم يكن الدعي ابنا فليس في المرأة نكاح زوجته او المعنى اراف بهم من انفسهم لما روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن الا وانا اولى الناس به في الدنيا والاخرة فاقرؤوا ان شئتم النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم فايما مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا وان ترك دينا او ضياعا فليأتني فانا مولاه وازواجه امهاتهم في الاحترام والتعظيم وحرمة النكاح لا في تحريم بناتهن وامهاتهن وفي قراءة ابي وهو اب لهم وقيل لا يقال لرسول الله ابو المؤمنين لقوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم والصواب الاول واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في التوارث نسخ توارث الموالات بين المهاجرين والانصار في كتاب الله في اللوح او في القران وهو اية الانفال او هذه الاية من المؤمنين والمهاجرين من بيانه اي اولوا الارحام الذين هم هؤلاء بعضهم اولى ببعض في التوارث من الاجانب او ابتدائية او تبعيضية اي اولوا الارحام الكائنين من هؤلاء او هم بعضهم الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا برا واحسانا استثناء من اعم العام كقوله لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد والمراد بالاولياء المؤمنون والمهاجرون من اقامة المظهر مقام المضمر على تقدير الابتداء والتبعيض

دون البيان لان الاجانب مدلول عليهم سياقا اذا ذاك كان ذلك في الكتاب مسطورا
اى المذكور من الاحكام والكتاب وما ذكر آنفا وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم اى
اذكروا الميثاق اخذ العهد عليهم بان يبلغوا رسالته ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى
وعيسى ابن مريم هؤلاء اولوا العزم من الرسل فردهم بالذكر تنبيها على عظم شانهم
وقدم سيدهم اشارة الى انه المقدم رتبة وان تاخر زمانا وعن الزجاج هو اذ لم
خلقا وان كان اخرهم بعثا وتاخره في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا
لان المراد بيان اصالة دينه وقدم عهده وأخذنا منهم ميثاقا غليظا هو ذلك
الميثاق استعار له الغلظ من الاجرام اجلالا لله وقيل هو العهد المؤكد باليمين
ليسأل الصادقين عن صدقهم اى الانبياء عن صدق عهدهم في اداء الرسالة او
عن تصديق الامم اياهم تبكيت لمن كذب من وضع المظهر موضع المضمر مدحا للرسل
بالصدق او المؤمنين الذين صدقوا في عهدهم حيث اشهدهم على انفسهم الست
بربكم ليشهد لهم الانبياء بوفاء العهد واداء الامانة التي حملوها او تصديقهم الرسل
فان تصديق الصادق صدق واعد للكافرين عذابا اليما عطف على اخذنا من
النبيين معنى لان التقدير اكد الله العهد على الانبياء في اداء الرسالة لاثابة
المؤمنين واعد للكافرين عذابا اليما او على ما دل عليه ليسأل الصادقين كانه
قال فاثاب هؤلاء واعد لهؤلاء وذلك لان سؤال الصادقين عن صدقهم اثابة لهم
ومنه اى كل خبر اذ لا يسأل المجرمون يومئذ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم
إذ جاءتكم جنود قريش وقادتهم ابو سفيان وغطفان وقائدهم عيينة بن حصن
وانضم اليهم بنو قريظة والنضير من اليهود وذلك في شوال سنة خمس من الهجرة و
سبب هذا الاجتماع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلى بني النضير من المدينة الى
خيبر فذهب اشرافهم الى ابي سفيان واتفقوا على حرب رسول الله وبذلوا في ذلك
وسعهم فاتوا واحاطوا بالمدينة وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق حول
المدينة باشارة سلمان الفارسي فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وذلك
بعد ان قاموا على محاصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من شهر فارسل الله عليهم
ريح الصبا والقى من الملائكة فكبروا حول عسكرهم وقطعوا اطناب خيامهم والقوا
قدورهم وسفت الريح في وجوههم والقى في قلوبهم الرعب فقال طلحة بن خويلد الاسدي
اما محمد فقد بدأكم بالسحر النجاء النجاء فنادوا بالرحيل وانصرفوا خائبين وكان
الله بما تعملون بصيرا لا يخفى عليه شيء إذ جاءوكم من فوقكم من اعلى الوادي من قبل
المشرق وهم غطفان وحلفاؤهم من اهل نجد ومن اسفل منكم من جهة الغرب وهم قريش وكانوا عشرة الاف
وقريبا من اثني عشر الفا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة الاف واسند ظهره
الى سلع وحصن الذراري والنساء في اطام المدينة وإذ زاغت الأبصار عن مستوى

عن مستوى نظرها حيرة او مالت عن كل شيء وشخصت نحو العدو وبلغت القلوب الحناجر
جمع الحنجرة وهي منتهى الحلقوم وهذا مثل في اضطراب القلوب من شدة الخوف وقيل اذا
خاف الانسان او غضب انتفخت الرئة وارتفعت الى الحنجرة وارتفع القلب بارتفاعها
وتظنون بالله الظنونا يظن المؤمنون ان الله سينجز ما وعد رسوله من النصر ولكن
خائفون ضعف الاحتمال والمنافقون يظنون ان الكفار يستأصلون محمدا واصحابه
حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر واحدنا لا يقدر ان يذهب
الى الغائط او المؤمنون الذين في ايمانهم ضعف وليس لهم فيه قدم راسخ يقولون
لو كان الله اراد نصر المؤمنين لما بلغ الامر في الشدة والضيق هذا المبلغ قرأ ابو عمرو
وحمزة الظنون بالقصر في الحالين وابن كثير وحفص والكسائي بالقصر وصلا والمد
وقفا ونافع وابن عامر وابو بكر بالمد في الحالين مناسبة للفواصل وعليه الرسم
والقصر هو الاصل هنالك ابتلي المؤمنون امتحنوا فامتاز الثابت من المتزلزل و
زلزلوا زلزالا شديدا روى مسلم باسناده الى حذيفة بن اليمان ان رسول الله قام
يصلي تلك الليلة التي حدث الاضطراب ثم قال من يأتي بخبر القوم ويكون له
الجنة حتى اعاد الكلام مرارا فلم يجبه احد ثم قال لي يا حذيفة فلم اجد بدا من
الجواب فقمت ونحن من البرد والجوع ما لا يعلمه الا الله فقال يا حذيفة ادخل في
القوم وانظر ما يفعلون ولا تحدث شيئا قال فقمت ومشيت كانما امشي في الحمام
ولا ارى اثر الجوع فلما دخلت فيهم رايت ابا سفيان يصلي ظهره بالنار فوضعت سهما
في كبد القوس ثم ذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحدث شيئا فرجعت
واخبرت رسول الله بخبرهم واخذني البرد الذي كان بي اولا فالبسني رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا تحدث شيئا فرجعت واخبرت رسول الله بخبرهم واخذني البرد
الذي كان بي اولا فالبسني رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل عباءة كان يصلي فيها
فنمت حتى الصباح فقال لي رسول الله قم يا نومان وإذ يقول المنافقون والذين
في قلوبهم مرض من عطف الصفات كقوله الى الملك القرم وابن الهمام او من في قلبه
مرض وضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا باطلا لا حقيقة له وإذ قالت
طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم قاله اوس بن قيظي ومن وافقه على رأيه وعن السدي
قاله ابي وبني يثرب اسم المدينة في الجاهلية سميت باسم رجل من العمالقة نزل بها ثم ورد
النهي عن تسميتها بذلك وسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم طابة وقرأ حفص
مقام بضم الميم من الاقامة والباقون بالفتح وهذا ابلغ والمعنى لا قيام لكم ولا اقامة
او لا مكان لكم عند رسول الله في وجه العدو فارجعوا الى بيوتكم او فارجعوا عن دينه
واسلموا الى عدوه ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة اى معرضة للعدو
اصل العورة كل عيب وخلل يستحيى منه وما هي بعورة تكذيب من الله لهم إن يريدون

شيئا الا فرارا من القتال ولو دخلت عليهم من اقطارها من جوانب المدينة ولم يذكر الفاعل
اذ لم يتفاوت الحال سواء كان الداخل هؤلاء او غيرهم ثم سئلوا الفتنة الردة عن
الاسلام لآتوها لارتدوا وما تلبثوا بها الا يسيرا ريثما سئلوا لعدم ذوقهم حلاوة
الايمان او لم يلبثوا في المدينة بعد الردة الا زمانا يسيرا ويقلع الله شأفتهم وقرأ
الكوفيون وابو عمرو وابن عامر آتوها بالمد بمعنى لاعطاء والقصر ابلغ ولقد كانوا
عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار هم بنو حارثة لما نزل في الغارين يوم احد
ما نزل عاهدوا الله ان لا يفروا بعدها وقيل هم السبعون الذين عاهدوا ليلة العقبة
ان يمنعوا عن رسول الله ما يمنعوا عن انفسهم وقيل هم طائفة غابوا عن بدر عاهدوا
الله تعالى لئن حضرنا قتالا لنقاتلن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكشفوا الكربة
عن وجهه والكل خلاف الظاهر والظاهر انه في المنافقين وكان عهد الله مسئولا
عنه للمجازات قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل اذ الموت منه اما حتف
انف او قتل واذا لا تمتعون الا قليلا جواب وجزاء اي وان نفعكم الفرار لا يكون ذلك
الا زمانا قليلا لا يرغب العاقل في مثله قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا
او اراد بكم رحمة اي لا احد يقدر على خلاف مراده وكان اصل الكلام او يصيبكم بسوء
ان اراد بكم رحمة كقوله متقلدا سيفا ورمحا فاختصر الكلام او حمل الثاني على الاول
لما في العصمة من معنى المنع وهذا مقرر ومؤكد لعدم نفع الفرار ولا يجدون لهم من دون
الله وليا ولا نصيرا في حال من الاحوال قد يعلم الله المعوقين منكم المانعين من العوق وهو
المنع والتفعيل لتكثير الفعل والمبالغة فيه وقد للتحقيق وهم المنافقون المثبطون للمسلمين
عن القتال والقائلين لاخوانهم من اهل المدينة من الانصار هلم الينا قربوا انفسكم
منا وتمتعوا بظل الاشجار واكل الثمار وما محمد واصحابه الا اكلة رأس وهلم اسم الفعل
يطلق على الواحد وما فوقه عند اهل الحجاز وعند تميم يثنى ويجمع ولا يأتون البأس الا
قليلا الا اتيانا قليلا يوهمون بذلك انهم مع المؤمنين اشحة عليكم بخلاء بالمعاونة
والانفاق في سبيل الله وقيل اضناء بكم مشفقين عليكم متحسنين كما يفعله الذاب
على المناضل عنه والشح البخل اذا قارنه الحرص ونصبه على الحال او الذم فاذا جاء الخوف
رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم احداقهم لا يستقر في مكانها من شدة الخوف كالذي
يغشى عليه من الموت كمن وقع في سكرات الموت فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم
سلقوكم بالسنة حداد ستقبلوكم سالقين السلق رفع الصوت ومنه في الحديث لعن الله
الحالقة والسالقة اشحة على الخير على الغنيمة كأنها من اموالهم ويقولون لولا نحن و
شوكتنا لم تظفروا بشيء نصب على الحال ايضا او على الذم اولئك الموصوفون لم يؤمنوا
قط لان الايمان فعل القلب فاحبط الله اعمالهم لم يعتد بها وجعلها هباء منثورا
لعدم الاساس وكان ذلك على الله يسيرا لكونها حقيقة بالاحباط لا صارف عنه يحسبون

يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وقد ايقنوا بذهابهم وذلك من غاية جبنهم وعليه الوهم على
القوة العاقلة وان يأت الاحزاب كرة اخرى يودوا لو انهم بادون في الاعراب ساكنوا
البدو بين الاعراب لا يبالون بفراق المال والوطن يسئلون عن انبائكم كل قادم من
جانب المدينة او يسأل هؤلاء القائلون لاخوانهم هلم الينا عما جرى بينكم وبين الاحزاب
ولو كانوا فيكم في حيثكم حاضرين ما قاتلوا الا قليلا رياء او خوفا ثم يفرون لقد كان
لكم في رسول الله اسوة حسنة الاسوة ما يؤتسى به اي يقتدى والمعنى انه في نفسه
اسوة حسنة اي قدوة كما تقول في البيضة كذا منا من الحديد اي هي في نفسها عشرون
منا او فيه خصلة من حقها ان يؤتسى بها وقرأ عاصم بضم الهمزة وهو لغة تميم و
الكسر لغة الحجاز الفصحاء لمن كان يرجو الله واليوم الآخر اي يأمل ثوابه او يخاف
عقابه وخصوصا اليوم الآخر فان هوله شديد والجار صلة حسنة لا اسوة لان
المصدر الموصوف لا يعمل او مع المجرور بدل من لكم بدل بعض اي لمن كان يرجو الله منكم
وامتناع الابدال من المتكلم او المخاطب انما هو في بدل الكل وايضا ذلك في الابدال عن
الضمير وهذا ابدال الجار والمجرور وذكر الله كثيرا في احواله جامعا بين الرجاء و
الذكر وهذه كانت صفة المقتدى به صلى الله عليه وسلم فيحصل بها كمال التأسي
ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله بقوله ام حسبتم ان تدخلوا
الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ورسوله حيث قال ان الاحزاب سائرون
اليكم في آخر تسع ليال او عشر فلما رأوهم وزلزلوا زلزالا شديدا ايقنوا بالنصر
والعاقبة وصدق الله ورسوله اي ظهر صدق خبرهما فيما وعدا واظهار المظهر في
الاسمين للاستلذاذ ولان اسناد الصدق الى الصريح ابلغ وما زادهم ذلك الا
ايمانا بصدق وعد الله وتسليما لقضائه وانقياده له من المؤمنين رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه لما ذكر صدق وعده اردفه بذكر صدق العهد من عباده الذين
قد تخلقوا بالجلادة نزلت في انس بن النضر لم يكن شهد بدرا فقال اول مشهد شهده
رسول الله غبت عنه لئن شهدت معه مشهدا ليرين الله ما اصنع فلما كان يوم احد
نادى سعد بن معاذ يا ابا عمرو ولها لريح الجنة اجدها من قبل احد قال سعد فلا ادري
ان اصنع مثل ما يصنع فلم اقدر فقتل شهيدا قالت اخته ما عرفته الا ببنانه ووجد
فيه بضعا وثمانين من ضربة وطعنة فمنهم من قضى نحبه كأنس وحمزة ومصعب بن
عمير النحب النذر واريد به الموت لانه لازم لزوم النذر ومنهم من ينتظر كطلحة وعثمان
والزبير وما بدلوا تبديلا كما فعل المنافقون الذين عاهدوا الله من قبل ليجزي الله
الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم متعلق بالمثبت
والمنفي على سبيل النشر والمعنى قصد الذين صدقوا بصدقهم العاقبة الحسنى والمبدلون
العذاب وعكس ذلك وجعل التبديل بالعذاب مجازا كقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم

عدقا وحزنا وبعد الاستغفار انسلك في سلك الحقيقة ان الله كان غفورا لما فرط
من الصادقين رحيما بقبول توبة المنافقين ان تابوا ورد الله الذين كفروا اي الاحزاب
بغيظهم ملتبسين به لم يفارقهم لم ينالوا خيرا فظ بوجه مع ما خسروا من الاموال و
منا في السفر ثم وكواهار بين بيان لسبب الغيظ وكفى الله المؤمنين القتال بارسال الريح
والملائكة عليهم وهذا زيادة امتنان على المؤمنين حيث نجاهم من تلك البلية العظمى
من غير حول منهم ولا قتال وكان الله قويا عزيزا ذا قوة بالغة لا يغالب وانزل الذين
ظاهروهم من اهل الكتاب اعانوهم وهم بنوا قريظة كانوا معاهدين رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنقضوا العهد من صياصيهم من حصونهم جمع صيصية وهي
ما يدفع به الشيء ويحصن ولذلك يقال لقرون البقر صياصي وقذف في قلوبهم الرعب
فريقا تقتلون وتأسرون فريقا تقتلون الكبار وتأسرون الصغار والنساء وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من قتال الاحزاب دخل بيت ام سلمة رضي الله
عنها ووضع السلاح وشرع يغتسل تبدى له جبرائيل معتجرا بعمامة فقال اوضعت
السلاح قال بلى قال لكن الملائكة لم تضع السلاح وهذا الآن رجوعي من طلب القوم اخرج
اليهم واشار الى بني قريظة وكان بعد صلوة الظهر فاذن رسول الله صلى الله عليه و
بالمسير اليهم وقال لا يصلين احد العصر الا في بني قريظة فصلى بعضهم في الطريق و
قالوا لم يرد الا سرعة النهوض اليهم ولم يصل آخرون امتثالا لقوله فلم يعنف على احد
فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فرضوا بان ينزلوا على حكم سعد بن
معاذ وكانوا حلفاءه يرجون ان يستعطفهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل
ابن ابي ببني قينقاع وكان سعد قد جرح يوم احد في اكحله فاتوا به راكبا على حمار فلما
قرب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا الى سيدكم فقاموا فانزلوه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء قد نزلوا على حكمك فاعرض عن رسول الله اجلالا
وقال قد حكمت بان يقتل مقاتلهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله فوق سبع ارقعة ثم امر بالاخاديد فخدت في الارض
ثم قدمهم وضرب اعناقهم وكانوا بين سبعمائة الى ثمانمائة واورثكم ارضهم بلادهم
وديارهم بيوتهم واموالهم سائر ما يملكون من الصامت والناطق وارضا لم تطؤوها
بعد بشارة بفتح مكة وقيل خيبر وقيل فارس والوجه انها كل ارض تفتح الى يوم القيمة
وكان الله على كل شيء قديرا لا يعجز عن شيء يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن
الحيوة الدنيا وزينتها اي متاع الدنيا وزخارفها فتعالين امتعكن اعطكن المتعة
واسرحكن اطلقكن سراحا جميلا من غير بدعة ولا مضارة عن جابر رضي الله عنه ان
ابا بكر وعمر رضي الله عنهما دخلا على رسول الله وحوله نساؤه وهو واجم فقال عمر لاقولن
كلاما اضحكه به فقال يا رسول الله لو رأيت اليوم وقد سألتني بنت زيد نفقة

نفقة فوجأت عنقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن حولي يطلبن النفقة
فقام ابو بكر الى عائشة وعمر الى حفصة يريدان ضربهما فنهاهما رسول الله فنزلت فبدأ
بعائشة وقال يا عائشة اني ذاكر لك امرا فلا تستعجلي حتى تستأمري ابويك فتلا عليها
الآية قالت افي هذا استأمر ابوي اني اختار الله ورسوله وقلن له لا تذكر لازواجك
اني اخترت الله ورسوله فقال لا تسألني واحدة الا اخبرتها اني ما بعثت مبلغا ولم
ابعث متعنتا والتخيير نفسه ليس بطلاق لقول عائشة خيرنا رسول الله فلم يكن ذلك
طلاقا واما اذا اختارت نفسها قبل الاشتغال بما يدل على الاعراض فطلقة رجعية
عند الشافعي وبائنة عند ابي حنيفة رحمهما الله وعندي لا متعة حيث لا مهر او كان
كل المهر وعند ابي حنيفة رحمه الله اذا لم يكن مدخولا بها ولم يعرض لها في العقد شيء
متعتها واجبة وسائر المطلقات متعتهن مستحبة وتقديم المتعة على التسريح المسبب
عنه اهتماما بما هو من محاسن الاخلاق وان كنتن تردن الله ورسوله والدار
الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن ممن تسألنا الا منهن كلهن محسنات واتيان المظهر
موضع المضمر للدلالة على الاختيار من الله ورسوله والايتان بالحسن اجرا عظيما لا
يحاط به ولا نسبة بينه وبين زخارف الدنيا يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة
كبيرة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين اذ الذنب منهن اقبح وكان ثوابهن
يضاعف فكذلك العذاب قرأه نافع والكوفيون يضاعف بالياء والفتح والتخفيف
ورفع العذاب وكذا ابو عمرو الا انه قرأ وشدد وابن كثير وابن عامر بالنون والفتح
وكسر العين والتشديد ونصب العذاب والتاء هو المختار لعدم التصريح بالفاعل
في تضعيف العذاب بخلاف ايتاء الاجر مرتين المقابل له جريا على سنن سبق رحمته
وكان ذلك على الله يسيرا لا يكن ايماء الله واحترامكن انما هو لطاعة الله ورسوله
فاذا خرجتم عن ذلك زال موجبه ومن يقنت منكن لله ورسوله تطع لوامره
وتعمل صالحا من الاعمال والتذكير في احد الفعلين والتانيث في الآخر بالنظر الى
لفظ من ومعناه نؤتها اجرها مرتين مرة على فعل الطاعة ومرة لكونها في شرف
صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ حمزة والكسائي يعمل ويؤتها بالياء حملا
على لفظ الاول ولفظ الجلالة في الثاني واعتدنا لها رزقا كريما زائدا على ذلك الاجر
تفضلا يا نساء النبي لستن كاحد من النساء همزة احد اصلية وهو اسم لمن يخاطب
مفردا كان او اكثر مذكرا كان او مؤنثا والمعنى لستن كجماعة من النساء ولنطابق النسبة
لان الغرض تفضيلهن من حيث كونهن نساء النبي على سائر النساء لا تفضيل كل واحدة
منهن على كل واحدة منهن ومثله لا نفرق بين احد وما منكم من احد عنه حاجزين ان
اتقيتن ان صح ما تتصفن به من التقوى بسوق المعلوم مساق المجهول وان اردتن
التقوى فكيف وانتن متقيات فلا تخضعن بالقول لا ترققن اصواتكن في خطاب الاجانب

فيطمع الذي في قلبه مرض ريبة وفجور وقلن قولا معروفا بعيدا عن الريبة وقرن في
بيوتكن ملازمات للطاعة فانه افضل واستر وفي الحديث صلوة المراة في مخدعها خير
من صلوتها في بيتها وصلوتها في بيتها خير من صلوتها في حجرتها قراء نافع وعاصم وقرن
بفتح القاف اما لانه من قررن مكسور العين والامر منه اقررن حذفت الراء الاولى استثقالا
بعد نقل حركتها الى القاف ثم حذف الهمزة استغناء عنها او امر من قار يقار كخاف يخاف
اذا اجتمع والامر منه قر كخف والباقون بكسر القاف اما من قر بفتح العين يقر بكسرها و
حذف الراء والنقل كما تقدم واما من وقر وقارا فالامر منه قر كعد من وعد ولا تبرجن
لا يظهرن زينتكن تبرج الجاهلية الاولى قيل هو بين نوح وادريس عليهما السلام وقيل
بين آدم ونوح وقيل زمن ولادة ابراهيم وقيل بين داود وسليمان عليهم السلام و
كانت المراة تلبس درعا من اللؤلؤ ثم تمشي فيه تعرض نفسها على الرجال والجاهلية
الاخرى ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعيسى عليه السلام او جاهلية في الاسلام
تشبه جاهلية الكفر لما في حديث ابي ذر قال ساببت رجلا فعيرته بامه فقال لي رسول الله
اعيرته بامه انك امرء فيك جاهلية قلت جاهلية الكفر قال نعم واقمن الصلوة وآتين
الزكوة واطعن الله ورسوله في سائر الطاعات وافراد الصلوة والزكوة بالذكر لانافة
محلهما انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت اي ما يريد الله بهذه الاوامر والنواهي
الا اذهاب الاثام عنكم ولما استعار الرجس الذي هو النجس للاثم لانه يدنس العرض
رشحه بقوله ويطهركم تطهيرا مبالغة في التنفير واهل البيت نصب على النداء او
على المدح وهذا نص على ان نساءه اهل بيته والاتفاق الكل على ان هذا سبب النزول لما روته
ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعليه كساء اسود فجاء علي وفاطمة وابناهما
الحسن والحسين فجلس ولف عليهم الكساء وقال اللهم هؤلاء اهل بيتي فلا يقتضي الحصر و
الحق ان كل من حرمت عليه الصدقة من نسائه وآل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل عباس
رضي الله عنهم كلهم داخلون في اهل البيت على ما رواه زيد بن ارقم واذكرن ما يتلى في
بيوتكن من آيات الله والحكمة اي اشكرن هذه النعمة وهي الكتاب الجامع بين كونه معجزة دالا
على النبوة وعلم الشرايع وانتم قارون في مهبطه وجبرئيل يردد بالوحي في منازلكم
فمن اولى بالشكر منكم ان الله كان لطيفا بدقائق المسالك علم ولذلك جعل الكلام معجزا
خبيرا ببواطن الامور ولذلك جعله مع اعجازه مشتملا على الحكم والشرايع ان المسلمين
والمسلمات المنقادين لامر الله المتوكلين عليه والمؤمنين والمؤمنات المصدقين بما يجب
التصديق به والقانتين والقانتات المداومين على الطاعة والصادقين والصادقات
في القول والعمل والصابرين والصابرات على مشاق الطاعات وترك المعاصي والخاشعين
والخاشعات المتواضعين لله بالقلوب والجوارح والمتصدقين والمتصدقات
الصدقة المفروضة او ما يتم والصائمين والصائمات ما فرض عليهم والحافظين فروجهم

فروجهم والحافظات عن الحرام والذاكرين الله كثيرا والذاكرات بالقلب واللسان وفي
الحديث سبق المفردون قالوا يا رسول الله ما المفردون قال الذاكرون
الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة لما فرط منهم واجرا عظيما على طاعتهم وعن
ابي سعيد سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم من افضل العباد قال الذاكرون الله كثيرا
قلت ومن الغازي قال ولو ضرب سيفه حتى يكسر ويختضب دما وعن ام سلمة رضي الله
عنها قلت يا رسول الله ذكر الله الرجال ولم يذكر النساء فما لنا لم نذكر فنزلت وقيل
لما نزل في ازواج النبي ما نزل قالت النساء ما لنا لم نذكر فنزلت وعطف الاناث على الذكور
في الاية لا بد منه لتغاير الذوات والقصد الى الاشتراك في الحكم واما عطف الزوجين
فلا لاتحاد الذوات وكما في قوله عابدات ثيبات وانما عطف اشعارا باستقلال كل
من اتصف بتلك الصفات بالخير ويجوز تركه اعتمادا على الالتيام وشدة الاتصال
معنى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم
نزلت في زينب بنت جحش الاسدية خطبها رسول الله لزيد بن حارثة فاستنكفت ثم لما
نزلت رضيت بقضاء الله ورسوله وعن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم نزلت في ام كلثوم
بنت عقبة بن ابي معيط اول من هاجرت الى رسول الله بعد الحديبية مع اخيها خطبها
رسول الله لزيد بن حارثة بعد فراق زينب فسخطت هي واخوها وقالوا انما اردنا رسول الله
فلما نزلت استسلما لقضاء الله ورسوله وعن انس بن مالك ان امراة من الانصار خطبها
رسول الله لجليبيب فابت امها فقالت الجارية لا تردوا على رسول الله قد رضيت لجليبيب
فزوجها اياه فلم يتفق ايم في الانصار ما انفقت والمعنى ما صح في الدين مخالفة رسول الله
في امر يتعلق لله ارادة وذكر الله للتعظيم والاشعار بان قضاءه قضاء الله وجمع
الضمير المجرور نظرا الى المعنى لوقوع النكرة في سياق النفي والخيرة على وزن العنبة
المختار من الشيء يقال لمحمد خيرة الله في خلقه وقراء الكوفيون وهشام عن ابن عامر
يكون بالتذكير وهو المختار لكون المؤنث غير حقيقي مع وجود الفاصل ومن يعص الله
ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا جليا لا يخفى على احد واذ تقول للذي انعم الله عليه
بتوفيق صحبتك والاسلام والخروج عن الرق وانعمت عليه بتقريبه ورفع شانه
هو زيد بن حارثة عبده الذي تقدم ذكره امسك عليك زوجك وذلك ان رسول الله
رأى زينب بعد ما تزوجها زيد فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب و
كما القى حبها في قلبه القى بغضها في قلب زيد لما اراد الله واقتضت الحكمة ان لا يأبى
احد نكاح زوجة دعيه ولا يستقبح فشاوره زيد في فراقها فقال له هل رابك منها
شيء قال لا ولكن تفتخر علي بشرفها فقال له لا تفعل امسك عليك زوجك واتق الله
فان الطلاق من غير ضرورة انكر المباحات الى الله وتخفي في نفسك نكاحها ان طلقها
زيد وقيل تعلق قلبه بها وقيل مودة فراق زيد والاول هو الوجه لقوله ما الله مبديه

ولم يبد سوى نكاحها ولما روى ابن ابي حاتم عن الامام زين العابدين ان الله كان اعلمه
انه سيزوجها له بعد فراق زيد فعاتبه الله على قوله امسك عليك زوجك بعد علمه بان
ذلك واقع لا محالة وعن عائشة رضي الله عنها لو كتم رسول الله شيئا مما انزل اليه لكتم
هذه الاية وتخشى الناس ان يقولوا تزوج امرأة ابنه والله احق ان تخشاه وقد علمك
انها زوجك بعد زيد هذا على الوجه الاول وان كان فيه ما يخشى والواو للحال
وعلى هذا المعاتبة ليس على الاخفاء وحده فانه مستحسن بل على الاخفاء مخافة قالة الناس
واظهار خلاف ما في الضمير فلما قضى زيد منها وطرا حاجة الرجال من النساء وطلقها
زوجناكها اى بعد انقضاء عدتها وعن الشعبي ان زينب قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اني ادل عليك بثلث ليس احد بها في نسائك جدتي وجدك واحد وزوجني الله اياك
من السماء وجبرائيل كان السفير وقد روى البخاري عن انس رضي الله عنه ان زينب
كانت تفتخر على سائر ازواجه زوجني الله وزوجكن اهاليكن لكي لا يكون على المؤمنين
حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا علة للتزويج وفيه دليل على ان حكم
امته حكمه ما لم يقم دليل وكان امر الله مفعولا مكونا لا محالة مثل ما اراده من تزويج
زينب ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قسم له وقدر سنة الله في الذين
خلوا من قبل اى سن به سنته بالانبياء وهو انه لا حرج عليهم فيما اباح لهم من النساء و
السراري وروى ان سليمان كان له ثلثمائة مهيرة وسبعمائة سرية وكان امر الله ارادته
اذا تعلقت بشيء قدرا مقدورا قضاء مبتوتا وهذا ابلغ من الاول الذين يبلغون
رسالات الله بدل من الذين خلوا او رفع او نصب على المدح وما بينهما اعتراض ويخشونه
ولا يخشون احدا الا الله وصف ليس فيه تعريض كما ظن لانه لم يكن ما اضمر مما امر بتبليغه
ولذلك قالت عائشة لو كتم شيئا لكتم هذه الاية كيف وقد قال انا اخشاكم لله واتقاكم
وهو اصدق القائلين الذي ما ينطق عن الهوى وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف فلا
ينبغي ان يخشى غيره او محاسبا على الصغير والكبير ما كان محمد ابا احد من رجالكم
حقيقة يريد بالولادة فلا يثبت فيه التبني لزيد ولا يكون نحو الحسنين واما اولاده
الذكور فلم يبلغوا مبلغ الرجال بل ماتوا صغارا وما قيل لو عاشوا لكانوا انبياء لا يساعده
النقل والعقل ولكن رسول الله وخاتم النبيين لا نبي بعده وقرأ عاصم وخاتم بفتح
التاء وهو ما يختم به وقراءة الغير اولى يؤيدها قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ولكن نبيا ختم
النبيين وكان الله بكل شيء عليما كامل العلم وقد علم انه يليق به ان يكون خاتم الرسل
يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا في اغلب الاوقات يعم ذكر القلب واللسان بانواعه
وسبحوه بكرة واصيلا خصوصا في هذين الوقتين الشريفين كما التسبيح فانه اشرف
الاذكار لكونه تنزيها عما لا يليق بكبريائه وقيل الفعلان موجهان اليهما وعن عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه اريد بالتسبيح الصلوة للخمس في اوقاتها هو الذي يصلي عليكم يرحم

يرحم وملائكته لانهم يستغفرون للمؤمنين فجابوا الدعوة فكانهم مترحمون او اريد بالصلوة
تعلق العناية باصلاح الاحوال وقيل الصلوة لاشتمالها على الركوع والسجود واستعيرت للتعطف
المعنوي والحنو ليخرجكم من الظلمات الى النور من ظلمة المعصية الى نور الايمان والطاعة
حيث امركم بالذكر واكثاره والتوفر على الصلوة والطاعة وكان بالمؤمنين رحيما بليغ
الرحمة حيث لم يكتف برحمهم حتى يشغل ملائكته المقربون به تحيتهم يوم يلقونه اضافة
المصدر الى المفعول والتقاء بعد الموت او عند الخروج من القبر او عند دخول الجنة سلام
اخبار بالسلامة من كل مكروه واعد لهم اجرا كريما الجنة وما فيها من النعيم روى انه
لما نزل قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي قال ابو بكر رضي الله عنه يا
رسول الله ما خصك الله بشرف الا واشركنا فيه فنزلت يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا على من بعثت اليهم بالتصديق والتكذيب ومبشرا بالجنة لمن آمن ونذيرا
بالنار لمن كفر وداعيا الى الله باذنه بتيسيره وفيه اشارة الى ان الدعوة الى التوحيد
امر صعب لا يتأتى الا بتيسيره فان قلت كونه داعيا الى الله هو عين كونه مبشرا
ونذيرا فما وجه الجمع قلت روعي في الجمع حال المرسل والمرسل اليه صريحا وان كان
كل منهما مستلزما للاخر وسراجا منيرا يستضاء به في ظلمات الجهل وكما يمد نور
السراج نور الابصار كذلك امد الله بنور نبوته نور البصائر وانما وصف السراج
بالانارة لان من السراج ما لا يضيء كما اذا قل سليطه ودقت فتيلته وفي كلامهم ثلثة
تضني القلب رسول بطيء وسراج لا يضيء ومائدة لا ينتظر عليها من يجيء وقيل السراج
هو القرآن والمعنى ذا سراج او تاليا سراجا ويجوز ان يكون عطفا على كاف ارسلناك
اى ارسلناك والقرآن اما على سبيل التبعية واما من باب متقلدا سيفا ورمحا
وبشر المؤمنين عطف على مقدر اى فراقب احوال امتك وبشرهم بان لهم من الله فضلا
كبيرا على سائر الامم وفي الحديث نعتد بكم سبعون امة انتم خيارها او فضلا زائدا
على مقدار الجزاء ولا تطع الكافرين والمنافقين اى دم واثبت على ما انت عليه وهيج
والهاب ودع اذاهم ما يؤذونك به لا يلتفت اليه او ما تؤذيهم به مجازاة او مؤاخذة
على الكفر فالمصدر مضاف الى الفاعل او الى المفعول وعن ابن عباس رضي الله عنه نسخت
باية السيف وتوكل على الله فان فيه كفاية وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامر وصف
خير خلقه بصفات خمس ثم قابل كلا منها بما يناسبه فقابل الشاهد بالمراقبة وحذفه
لان ما بعده دال عليه مقتضيه والمبشر بالامر ببشارة المؤمنين والنذير بالنهي عن
طاعة الكفار وعدم المبالاة بهم والداعي الى الله بتيسيره بالامر بالتوكل عليه و
السراج المنير بالاكتفاء به لان من جعله نورا اضاءت المشرق والمغرب جدير بان يكتفى به
يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن النكاح لغة الوطء
واطلاقه على العقد اطلاق على السبب وقيد المؤمنات للاشارة الى ما هو اولى بالمؤمن

بالمؤمن من ان يؤثر لنطفته وان لا يجمع فراش وطىٔ الله وعدقه وثم لدفع ما عسى يتوهم
من ان طول المدة يؤثر فى ايجاب العدة والمس كناية عن الوقاع وجعله ابو حنيفة
رحمه الله اعم منه ومن المس بالشهوة وجعل الخلوة الصحيحة قائمة مقامه فما لكم عليهن
من عدة تعتدونها يستوفون عددها من اعتد الدراهم اذا عدها لنفسه كقولك
اكتاله واتزنه وفى اللام وعلى دلالة على ان وجوب العدة انما هو للرجال وكونه
من حقوقهم فمتعوهن شطر المهر ان كان لها مفروض والا فالمتعة الواجبة ومن جوز
استعمال المشترك فى اكثر من معنى والجمع بين الحقيقة والمجاز فالتمتع يشمل الواجب
والمسنون عنده وسرحوهن سراحا جميلا اخرجوهن من غير ضرار ولا منع حق
يا ايها النبى انا احللنا لك ازواجك اللاتى آتيت اجورهن مهورهن سماه اجرا لكونه
فى مقابلة البضع والتقييد بايتاء الاجر وان صح النكاح بدونه اشارة الى ايثار الاولى
على ما هو الاولى به كما فى قوله وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك اى اغنمك
فان الجارية اذا كانت مما غنمها بسيفه احل واطيب من المشتراة من نوع الجلب وبنات
عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك توسط بين الافراط والتفريط
فان اليهود ينكحون بنت الاخ وبنت الاخت والنصارى لا ينكحون الا اذا تباعدا
بسبعة اجداد وافراد العم والخال للتخفيف واشار بهما بذلك للشرف تفرع عن
اليمين والشمايل وفى ذلك ايماء الى الجبار الناقص بصيغة الجمع اللاتى هاجرن معك
من قبل الا قول كما تقدم لان غير المهاجرات لا تحل وقيل لم يحل له غيرهن لما روى
ابن ابى حاتم باسناده الى ام هانىٔ انها قالت خطبنى رسول الله فاعتذرت اليه
فاعذرنى ثم انزل الله هذه الاية فلم اكن احل له لانى كنت من الطلقاء وامرأة مؤمنة
ان وهبت نفسها للنبى ان اراد النبى ان يستنكحها اى واحللنا لك باحلال امرأة
مؤمنة ان وقع انها تهب واستنكحتها انت وايثار لفظ النبى اشارة الى ان علة
هذا الاحلال شرف نبوته ولذلك عدل الى الخطاب فى خالصة لك من دون المؤمنين
وعن الشافعى ان النكاح لا ينعقد بلفظ الهبة لان اللفظ تابع للمعنى والمعنى
مختص به وعند ابى حنيفة رحمه الله الاختصاص فى المعنى دون اللفظ ولا لزوم بين
اللفظ والمعنى لان دلالة الالفاظ وضعية واختلف فى انه هل قبل نكاح واهبة
نفسها ام لا والحق انه لم يثبت وقيل قبل اربعا ميمونة بنت الحارث وزينب بنت
خزيمة وام شريك وخولة بنت حكيم وخالصة مصدر مؤكد كوعد الله اى خلص
احلال الواهبة او صفة بمصدر او هبة خالصة قد علمنا ما فرضنا عليهم فى
ازواجهم من اشتراط الولى والشهود والمهر والحصر فى الاربع وما ملكت
ايمانهم لا يملكون شيئا الا ارثا او هبة او بالعوض وذلك صفى المغنم ما شئت لكيلا
يكون عليك حرج متعلق بخالصة وما بينهما اعتراض يؤكد معنى اختصاصه بما اختص

بما اختص به وان هذه الاثرة مما يليق بمنصبه ناشئة على علم تام بحال من فضل عليه
من المؤمنين وقيل خالصة مصدر مؤكد للاحلال لان الاربع وكيلا يكون عليك
حرج متعلق به والاعتراض بحاله وفيه ان ما عدا الواهبة ليس من خصايصه
لمساواة امته معه فى الاحلال والاولوية ايثار الافضل وكان الله غفورا لما يعسر
التحرز عنه رحيما بتوسعته فى مظان الحرج ترجى من تشاء منهن تؤخرها
وتترك مضاجعتها وتؤوى اليك من تشاء وتضم اليك من تشاء من ازواجك
او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء او لا تقسم لمن تشاء او تترك تزوج من تشاء و
تتزوج بمن تشاء من نساء امتك فالارجاء والايواء باطلاقهما يتناولان هذه
الاقسام وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر ترجئ بالهمز والباقون بالياء ومن
ابتغيت ممن عزلت وتراجع من تشاء من المطلقات فلا جناح عليك فى شىء من
ذلك وفى الاية دليل على انه لم يجب عليه القسم بين زوجاته ودل عليه ما روت
معاذة عن عائشة رضى الله عنها لما نزلت هذه الاية كان يستأذن المرأة منا فقلت
ما كنت تقولين قالت كنت اقول ان كان ذلك الى فانى لا اوثر عليك احدا ذلك
ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن اى ذلك التفويض
اليك اقرب الى قرة اعينهن وقلة حزنهن ورضاهن كلهن لانك ان قسمت على
ان ذلك الذى تفعله انما تفعله تفضلا منك واحسانا وان لم تقسم لم يجدن
عليك لعلمهن بانه حكم الله والله يعلم ما فى قلوبكم من الميل الى بعض دون البعض
وقد روت عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقسم
بين نسائه ثم يقول اللهم هذا فعلى فيما املك فلا تلمنى فيما تملك ولا املك و
كان الله عليما بالمصالح حليما لا يعاجل العقوبة حقيق بان يتقى لا يحل لك النساء
من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج عن مجاهد والضحاك وابن عباس رضى الله
عنهم انها نزلت بعد ما اختارت نساؤه الله ورسوله كرامة ومجازاة لهن فلم يكن
له بعد نكاح امرأة لكن له التسرى وعن عائشة وام سلمة رضى الله عنهما انه احل
له ونسخ هذه الاية بقوله ترجى من تشاء فانها وان تقدمت فى ترتيب المصحف
فهى متاخرة نزولا وقيل انما حرم عليه غير الاجناس المذكورة من الاعرابيات
فى ازاء المهاجرات والغرايب فى ازاء القرايب والكتابيات بازاء المؤمنات
ونكاح الاماء اكتفاء بما ملكت يمينه وعن ابى بن كعب انما نهى عن التبدل الذى
كان فى الجاهلية كان يقول احدهم انزل عن زوجتك لى وانزل عن زوجتى لك روى
البزار باسناده ان عيينة بن حصين دخل على رسول الله وعنده عايشة رضى الله
فقال له رسول الله اين الاستيذان يا عيينة فقال ما استأذنت على احد من مضر
منذ ادركت يا رسول الله ثم قال ما هذه الجميلة الى جانبك فقالت عايشة رضى الله

ام المؤمنين فقال انزل لي عنها وانزل لك عن احسن الخلق قال ان الله قد حرم ذلك
فلما ادبر قالت عائشة من هذا قال الاحمق مطاع في قومه ولو اعجبك حسنهن حال
من فاعل تبدل لا من المجرور في من ازواج لانه في سياق النفي مستغرق فكما يصح
مبتداء يصح ذا حال الا ما ملكت يمينك استثناء من النساء وكان الله على كل
شيء رقيبا تحذير عن تخطي حدوده يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا
ان يؤذن لكم الى وقت الاذن لكم الى طعام متعلق بيؤذن لانه في معنى يدعى غير
ناظرين اناه حال من ضمير لكم وقيل حال من ضمير لا تدخلوا والاستثناء واقع على
الوقت والحال كانه قيل لا تدخلوها الا وقت الاذن الا غير ناظرين اذ في تعدد
الاستثناء المفرغ كلام وهذا مختص بطائفة كانوا يتحينون طعام رسول الله ولا
لما جاز دخول بيوته الا اذا اذن للطعام والى الطعام ادراكه يقال انى الطعام
انى كقلاه قلى ومنه قوله من حميم آن اي بالغ غاية الحرارة ولكن اذا دعيتم فادخلوا
فاذا طعمتم فانتشروا تفرقوا ولا مستانسين لحديث ولا تطلبوا الجلوس استيناس
بعضكم ببعض لحديث او ان تستانسوا حديث اهل البيت تسمعا وتحسسا مجرور معطوف
على ناظرين او نصب على الحال من مقدر اي ولا تدخلوها مستانسين لحديث كما لم تدخلوها
ناظرين اناه الطعام ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم فيحتمله ولا يظهر لكم حياء
والله لا يستحيي من الحق وهو اخراجكم وكان نحفا ابلغ اوليس لهم الجلوس في بيته بغير
رضاه طرفة عين فكيف وقد يأذى بذلك وهو اعز الخلق واكرمهم على الله تعالى وفي
لابنكه نزل من يستحيي نزلت في وليمة زينب بنت جحش لما بنى بها رسول الله صلى الله
عليه وسلم اولم لها وليمة لم يولم على امرأة وليمة مثلها ذبح شاة واشبع الصحابة
خبزا ولحما فخرج القوم بعد الطعام وتخلف ثلاثة نفر يتحدثون في بيته فثقل ذلك
عليه واستحيى منهم فخرج ودار على حجر نسائه وسلم عليهن ودعت كل واحدة منهن له
بالبركة فاهله وعاد فوجدهم في الحديث فشق ذلك عليه فاحسوا بذلك فخرجوا
فقال انس كنت باسكفة الباب حين نزلت عليه فتلاها وارخى الحجاب وحرم النظر
الى نسائه وهذه هي آية الحجاب وعن ابن ابي حاتم باسناده الى عائشة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان يتعشى وانا آكل معه فمر عمر فدعاه الى الطعام فاصاب اصبعه اصبعي
فتاوه وقال لو اطاعني فيكن ما رأتكن عين وذلك انه كان يحث رسول الله صلى
الله عليه وسلم على ضرب الحجاب على نسائه ويقول يراهن البر والفاجر فلما وقع
اصبعه على اصبع عائشة وقال لما قال نزلت الاية واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن
من وراء حجاب لحرمة النظر اليهن وان كن امهات احتراما واجلالا ذلكم اطهر
لقلوبكم وقلوبهن دفعا لهواجس النفس وخواطر الشيطان الجاري من الانسان مجرى
الدم وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله في وقت من الاوقات توبيخ لهم على عدم حيائهم

اشيائهم والتوجيه الى مراقبته احوالهم حتى يدركوا بالقرائن ما يرضاه ويبادرون اليه
ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا فانهن ازواجه حيا وميتا والخلف فيمن
فارقها في حياته ولم يمسها والجون ان ذلكم كان عند الله عظيما ذنبا لا يعادله ذنب
اجلالا له من ان يطأ فراشه غيره وتصل يد الغير الى حرمه ان تبدوا شيئا او تخفوه فان
الله كان بكل شيء عليما كامل العلم الحالتان عنده سواء وعيد شديد لمن يخفي في صدره
شيئا مما يؤذيه وان لم يقله او يفعله لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا
اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن لما نزل الحجاب سأل هؤلاء الاقارب
عن حالهم في الحجاب فنزلت وان لم تذكر الخال والعم لانهما بمنزلة الوالدين وعن
عكرمة والشعبي لانهما يصفان لابنائهما وهم غير محارم فكره ذلك سدا للمسالك
الشيطان ولا نسائهن اي نساء المؤمنات وهن المؤمنات ولا ما ملكت ايمانهن
من الارقاء ذكورا واناثا وعن سعيد بن المسيب اناثا لا ذكورا واتقين الله في
السر والعلن ان الله كان على كل شيء شهيدا حاضرا فخافوه في السر كما تخافونه في
العلن ان الله وملائكته يصلون على النبي لما استيد اركان شرف رسول الله بما اختصت
به من بين عباده المؤمنين من خصائص الاحكام بما عسى يذهب الوهم الى انه لا مزيد على هذا
في الاكرام اشار الى انه قد بلغت كرامته الى انه تعالى وملائكته المقربون من الملاء
الاعلى والكروبيين مستمرون على اظهار شرفه والاعتناء بتبجيل شانه يا ايها الذين
آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما بحلوه بما في وسعكم وقد روى البخاري باسناده الى
كعب بن عجرة قلنا يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف نصلي قال قولوا اللهم
صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم
بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد و
جملة الكلام ان الله تعالى امر العالم العلوي والسفلي بالاشتغال بما فيه تبجيل له كله
بما في وسعه وكان في ذلك اشارة الى انه المقصود والنتيجة وهما المقدمتان اللتان
رتبهما العلام الحكيم ولذلك كان مقدما خلقا وان تأخر بعثا وقد اختلف في وجوب
الصلوة عليه اما مرة في الدهر فاتفاقا واما كلما جرى ذكره فقيل لا يجب والحق و
جوبه لتظاهر الاحاديث الكثيرة ولدلالة يصلون على الاستمرار والتجدد واما
الصلوة على غيره من الانبياء فالافضل ان يصلى عليهم عند جري ذكرهم واما غيرهم
من الصحابة والتابعين فلا يجوز الا تبعا لانه صار شعار الرفضة ان الذين يؤذون
الله ورسوله ذكر الله للتوطية اشعارا بان ايذاء رسول الله ايذاؤه وايذاؤه نسبة
ما لا يليق بجلاله وكبريائه اليه لما روى ابو هريرة رضي الله عنه يؤذيني ابن آدم يسب
الدهر وانا الدهر اقلب الليل والنهار وايذاء رسوله اما بقولهم ساحر وشاعر واما
بفعلهم كما كسروا رباعيته وشجوا راسه الى غير ذلك لعنهم الله في الدنيا بالقتل والا

والآخرة بعذاب النار واعد لهم عذابا مهينا مجازاة على اهانتهم رسوله هذا يعني
آذاه قصدا واما ايذاء المؤمنين لم يكن كذلك بل عن غفلة والذين يؤذون المؤمنين
والمؤمنات بغير ما اكتسبوا بغير جناية توجب ذلك فيه لان ايذاء المؤمن
قد تكون حقا بخلاف ايذاء الله ورسوله فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا
ظاهرا يشمل السب والغيبة والواقف اول داخل فيه نزلت في المنافقين
الذين كانوا يؤذون علي بن ابي طالب وقيل في الزناة الذين كانوا يتبعون او
يتعرضون للعفائف وهن كارهات وهذا اوفق بقوله يا ايها النبي قل لازواجك
وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن كانت بيوت المدينة
لا كنف لها وكانت النساء يخرجن ليلا لحاجة الانسان الى الصحراء فاذا اختلط
الظلام وكان الفساق والشطار يتعرضون لهن لاشتباههن بالاماء فامر الله
رسوله بان يامر نساءه وبناته ونساء المؤمنين بلبس الجلباب وهو ازار فوق الخمار
او ملحفة ليمتاز سماتهن عن سمات نساء الجاهلية والاماء ومن تبعيضية اي
بعض الجلباب وعن ابن سيرين سالت عبيدة السلماني عن معناه فغطى وجهه و
ابرز عينه اليسرى ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين لعدم اللبس وكان الله غفورا
لما سلف رحيما براعي مصالح عباده لئن لم ينته المنافقون عن النفاق والذين
في قلوبهم مرض وهم الزناة واهل الفجور لقوله فيطمع الذي في قلبه مرض وقيل قلة
ثبات في الايمان والمرجفون في المدينة ناس من المؤمنين يخبرون عن سرايا رسول
الله اخبار السوء من القتل والانهزام وغير ذلك من الرجفة وهي الزلزلة لانه
خبر يزلزل قلوب المؤمنين لنغرينك بهم لنسلطنك عليهم من الاغراء وهو ما يلصق
به الشيء بالشيء ولذلك عدي بالباء ثم لا يجاورونك فيها اي في المدينة الا
قليلا عطف على لنغرينك جوابا للقسم وانما رتبه للدلالة على ان جلاء الوطن
اعظم المصائب عندهم ملعونين نصب على الشتم او الحال والاستثناء شامل له
ايضا ولا يجوز تعلقه بقوله اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا لان ما بعد كلمة الشرط
لا يعمل فيما قبله سنة الله في الذين خلوا من قبل من الامم الماضية مصدر
مؤكد كوعد الله ولن تجد لسنة الله تبديلا اذ لا يقدر احد على تبديلها وما
تعلق به ارادته كان لا محالة يسألك الناس عن الساعة عن وقت قيامها و
السائل المشركون استهزاء او اليهود تعنتا لما في التورية وسائر الكتب عليه
مما استاثر الله به قل انما علمها عند الله لا عند غيره وما يدريك لعل الساعة
تكون قريبا شيئا قريبا او تكون عن قريب تهديد للمستعجل كقوله ماذا يستعجل
منه المجرمون واسكات للمستحن ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا نارا
ذات هيجان وطب خالدين فيها ابدا اي ما لا نهاية له لا يجدون وليا متولى

من يتولى حفظهم ولا نصيرا يدفع عنهم العذاب يوم تقلب وجوههم في النار تصرف
فيها من جهة الى اخرى كما ترى البضعة من اللحم في القدر حال غليانها او تغير
هيآتها او يطرحون منكوسين والتعبير بالوجه لانه اشرف الاعضاء يقولون
يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا تمنيا على ما فات وقالوا ربنا انا اطعنا
سادتنا وكبراءنا اشرافنا وعلماءنا فاضلونا السبيلا بما زينوه لنا يقال
ضل السبيل واضله غيره والالف في الرسولا والسبيلا كما في الظنونا
والتوجيه ما تقدم ربنا آتهم ضعفين من العذاب للضلال والاضلال و
العنهم لعنا كبيرا اوزاده وقرا عاصم بالباء الموحدة اي اشد اللعن واعظمه
وقراءة العشر او فوق لدلالة الضعفين على التعدد يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا
كالذين آذوا موسى فبراه الله مما قالوا روى البخاري عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان موسى بن عمران كان رجلا حييا وكان بنو اسرائيل
يغتسلون عراة وكان موسى لا يغتسل الا مستترا فقالوا ما يمنعه ان يغتسل معنا
عريانا الا انه آدر فاغتسل يوما ووضع ثوبه على الحجر ففر بثوبه فاخذ العصى
وعدا خلف الحجر وهو ينادي ثوبي حجر ثوبي حجر فوقف الحجر على ملأ من بني اسرائيل
فقالوا والله ما بموسى من باس وقيل اتهموه بقتل هرون وقيل اقترءوا فاروني
عليه بالزنا كما مر في القصص وكان عند الله وجيها ذا مكانة ورتبة فكان
جديرا بان يبرئه عما شينه ويتنا في ما بين وجاهة الكليم والحبيب يا ايها
الذين آمنوا اتقوا الله في كل الامور لا سيما فيما يؤذي رسول الله وقولوا
قولا سديدا جوابا مستقيما لا اعوجاج فيه فيشمل قضية زينب وغيرها يصلح
لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم جوابا للامر اي اذا فعلتم ما امرتم به حصل لكم
ما هو غاية طلبه كل عاقل وهو تقبل حسناتكم والتوفيق لمجي اعمالكم في المستقبل
مرضية وهذه الاية مقررة لما تقدمها مع اشتمالها على الوعد كاشتمال تلك على
الوعيد فيقوي الصارف عن الاذى ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما
لنجاته من عذاب الدارين ونيل ما لا عين رأت انا عرضنا الامانة على السموات
والارض فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان لما علق بالطاعة
الفوز العظيم عظم شانها وفخم امرها وعبر عنها بالامانة اشارة الى انها لازمة
الرعاية واجبة الاداء والمراد منها ما يعم الطبوع بالجماد ومن حيث كونه مسخرا
لما اريد منه ولم يمتنع عن المشية وبالانسان من الانقياد لاوامره ونواهيه
تحت تجرب تلك الاجرام واستمرت على ما سخرت له والانسان خاس به ولم
يف بما كان في وسعه حكم عليه بالجناية من قولهم حمل فلان الامانة اي
استمر على حملها ولم يودها الى صاحبها فعلى هذا الاباء والعرض والاشفاق

مجازات منفرعة على تمثيل حال الجماد بالمأمور الذي اذا ورد عليه امر سيده المطاع
بادر بالامتثال وفيه تعريض بالانسان وانه كان احق بذلك انه كان ظلوما
في ترك الاداء مع التمكن جهولا شديد الجهل بوخامة العاقبة لتفويته الفوز
العظيم وتوريطه نفسه في العذاب المقيم واشارة الى عظم شأن الطاعة
حيث كان ما يشبهها مما يتبادر اليه الجماد وقيل اريد بها الطاعة حقيقة
والا هو مبني على الغرض والتصوير وذلك بان مثلت حال التكليف في صعوبته
وثقل محله وما في المحافظة على الامانة الى حين الاداء على الوجه الاتم لو كان
في هذه الاجرام العظام الاقوياء فهم وادراك الخطاب وعرضت الامانة
عليها لما حملتها ولا آثرتها اختيارا والانسان الذي خلق ضعيفا آثره وحمله
وكان ظلوما واضعا لنفسه غير موضعها بحمله عليها ما عجزت عنه السموات
والارض والجبال جهولا بوخامة العاقبة وان ترك حفظها مع الامكان يورث
الهبوط من اوج السعادة الى حضيض الشقاء وقيل الامر على ظاهره وان الله تعالى
لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما واهلية خطاب وقال اني فرضت فريضة
وخلقت جنة لمن اطاعني ونارا لمن عصاني فقلن نحن مسخرات لما خلقتنا له لا نحتمل
فريضة ولا نبغي ثوابا ولا نرضى لانفسنا عقابا والاوجه ان يقال العرض مجاز
عن نسبة الامانة اليها واباء الحمل عن عدم الاستعداد والقابلية لها وحمل
الانسان عن استعداده وكمال القابلية واصل نشأته على ما اشير اليه بفطرة الله
التي فطر الناس عليها وبكل مولود يولد على الفطرة وكان ظلوما حيث افسد
تلك الفطرة التي هي بمثابة الاكسير جهولا شديد الجهل بما يترتب على ذلك هيجانا
على القوة العاقلة التي هي بمثابة الملك على سائر القوى ويقهرها جنود القوى
الغضبية والشهوة التي هي بمنزلة الشياطين ليعذب الله المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات التعذيب نتيجة
حمل الامانة مجازا كما ان التاديب نتيجة الضرب حقيقة والمعنى ليعذب الله
الخائن في الامانة الخائس في ضمانه ويتوب على الامين الوافي بحق الامانة القائم
بما ضمنه وفي هذا نوع آخر من عذاب الخائن الغادر وكان الله غفورا للفرطات
المؤمنين رحيما متفضلا بثواب طاعاتهم سورة الاحزاب والصلوة على من انزل
عليه الكتاب واله واصحابه مدى الكتاب الى يوم الحساب سورة سبأ مكية وهي اربع
وخمسون اية بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له ما في السموات وما في
الارض ما دخل في قوامها وما يكون فيها واستقر فان كل ذلك نعمة وبنوية يحمد
موليها وله الحمد في الآخرة على تلك النعم فكانه قال هو المحمود على نعم الدارين لاجل
وكما دل على الاختصاص هنا تقديم الصلة دل عليه ثم اذ لا منعم سبحانه ما قيل

ما قيل تقديم الصلة هنا لان نعم الدنيا قد يكون بواسطة من يستحق الحمد الا ترى الى قوله
في سورة القصص له الحمد في الاولى والآخرة بتقديم الصلة فيهما مع ان قوله نعم
الآخرة لا يكون بواسطة من يستحق الحمد ممنوع واي واسطة اقوى من شفاعة رسول
الله والملئكة والصالحين وانما سمي مقام شفاعته مقاما محمودا لانه يحمده الاولون
والآخرون كما رواه البخاري وهو الحكيم المتقن امر الدارين الخبير ببواطن الامور
وفي الوصفين اشارة الى ان كل ذلك انما هو على وجه الحكمة وعلم تام بموضع الاحكام
يعلم ما يلج في الارض من الامطار والدفائن والاموات وسائر ما له الارض كفاتا
وما يخرج منها من الاشجار والفلزات وانواع النبات وما ينزل من السماء من
الامطار والثلوج والملئكة باصناف البركات وما يعرج فيها من الاعمال و
العبادات تقرير لوصف الخبرة وتفصيل لما اجمله في قوله ما في السموات وتصير
لانواع النعم الكلية وهو الرحيم المتفضل بانعامها الغفور لفرطاتهم وتقصيرهم
في شكرها وتقديم وصف الرحمة لان الكلام في الانعام فذاك اوفق بالمقام وقال
الذين كفروا لا تاتينا الساعة انكار لمجيئها واستبطاء سخرية كقولهم متى هذا الوعد
قل بلى وربي لتاتينكم رد لانكارهم واكده بالقسم ثم امد ذلك التاكيد بقوله عالم
الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر
لان هذا الوصف بمنزلة الشاهد على وقوع المقسم عليه من غير مجال ريب واو نوع
من صفاته العلى احاطة علمه بالمغيبات في العالم العلوي والسفلي لان العلم بوقت
الساعة من امهات الغيوب فاذا وصف بالعلم الشامل دخل ذلك تحته ففيه رعاية
حسن الاقسام وقرأ حمزة والكسائي علام على صيغة المبالغة بالجر ونافع وابن عامر
بالرفع على انه خبر مبتدأ او مبتدأ خبره ما بعده والباقون بالجر وقرأ الكسائي
لا يعزب بكسر الزاي الا في كتاب مبين هو اللوح وجعل الضمير في عنه للغيب على معنى
لا ينفصل عن الغيب شيء الا مسطورا في اللوح لا يلائم المقام ليجزي الذين آمنوا وعملوا
الصالحات علة لقوله لتاتينكم رد لانكار صدق المخبر المؤكد خبره بالقسم البالغ
كانه قيل له القدرة التامة على ايجاد العالم والعلم الشامل بجليات الاشياء و
خفياتها ولكنه يقتضي جزاء المحسن والمسيء وهذا بضمام كون في غرائزهم فقد تم
المقتضي وارتفع المانع اولئك لهم مغفرة ورزق كريم لا تعب فيه ولا من والذين
سعوا في آياتنا في ابطالها وتصديقها معاجزين مسابقين في زعمهم يقال عاجزه فلان
اذا ذهب فلم يوصل اليه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بلا الف ومن التعجيز هو المختار لانه
ابلغ اولئك لهم عذاب من رجز اليم من بيان اي لهم حصة من العذاب الاليم
وقرأ ابن كثير وحفص برفع اليم والجر اولى لعدم الفصل ولانه امكن معنى ويرى
الذين اوتوا العلم عطف على قال الذين كفروا اهم الصحابة ومن بعدهم او علماء اهل الكتاب

الذين آمنوا الذي أنزل إليك من ربك هو الحق هو الحق مفعول ليرى وهو ضمير الفصل ويجوز
عطفه على يجزي والمعنى ليعلم الذين أوتوا العلم إذا شاهدوها علماً لا مزيد عليه في الإتقان
فيحتجوا به على من أنكرها أو ليعلم من لم يؤمن بها من الأحبار فيزداد واحسرة ويهدي
إلى صراط العزيز الحميد هي دين الإسلام وقال الذين كفروا بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل
نكروه متجاهلين به كأن غريب جاء بأمر بديع لا يقبله العقول ينبئكم إذا مزقتم كل
ممزق أي كل تمزيق على أنه مصدر أو ذهبت بكم السيول وصرتم في أجواف الطير وبعثت
بكم الرياح على أنه مكان إنكم لفي خلق جديد ما دل عليه هو العامل في إذا كما تقدم في
سورة السجدة والجديد فعيل بمعنى الفاعل كالحديد وعند الكوفيين بمعنى المفعول
ملحقه جديد والجواب أنه من قبيل رحمة الله قريب أفترى على الله كذباً أم به جنة حصروا
خبره الكاذب في الكذب قصداً وغير قصد إذ لا اعتقاد لهم في صدقه والعدول عن
الفعل في الثاني إيماء إلى أنه الكاذب إذ لم يجربوا عليه كذباً قبل النبوة بل الذين لا يؤمنون
بالآخرة في العذاب والضلال البعيد إضراب عن ذلك الحصر الباطل إلى ما هو الحق
وتقديم العذاب على الضلال المتقدم عليه إشارة إلى تحقيق استحقاقهم وتوقّه سبباً
ووصف الضلال بالبعيد وهو للضال على طريقة المجاز الحكمي مبالغة فيه وأنهم
لا يرجى خلاصهم أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن
نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء أي أعموا فلم ينظروا إلى
السماء والأرض المحيطين بهم حيث كانوا سافروا وحضروا والمعنى قد علموا ذلك ولم يعلم
بأنا إن نشأ نخسف بهم الأرض كما خسفنا بقارون أو نسقط عليهم قطعة من السماء
نهلكهم بها وإذا علموا بذلك وأيقنوا فهلا استدلوا بذلك على القدرة على الإنشاء
والإعادة ثانياً وقرأ حمزة والكسائي الأفعال الثلاثة بالياء إسناداً إلى ضمير الله تعالى
والباقون بالنون وهذا أبلغ وعيداً لقوله ولعذابنا وقرأ حفص بفتح السين
في كسف إن في ذلك لآية لكل عبد منيب راجع إلى الله بالتوبة فإن الناظر في
آيات الله ثم ذكر ما يرغب في الإنابة ومما يتفضل الله على المنيب بما أتبعه من قصة
داود لاشتمالها على إنابته وما رتب عليها ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال
أوبي معه أي قلنا يا جبال أوبي معه أي رجعي معه في التسبيح لقوله إنا سخرنا
الجبال معه يسبحن والترجيع هو الرجوع إلى الصوت الأول ومنه ترجيع الأذان
والفضل المبين الجمع بين النبوة والملك وتسبيح الجبال الراسيات والطيور
السارحات وقيل كانت تسير معه بالنهار حيث سار والتأديب سير النهار
والطير بالنصب معطوف على محل يا جبال وعلى فضلاً أو مفعول معه لقوله وسخرنا
وألنا له الحديد كالشمع يفتله بيده من غير نار وآلة أن اعمل سابغات أي أمرناه
بعمل الدروع الواقية من سبغ الشيء إذا وفى ويحتمل أن مفسرة أو مصدرية وقدر

وقدر في السرد في نسجها بأن يتناسب بين الحلق ومنه سرد الصوم إذا تابع الأيام و
قيل قدر في السرد أي اجعل المسامير على قدر الحلق لا دقيقاً فيقلق ولا غليظاً فيخرق
واعملوا صالحاً الخطاب له ولأتباعه إني بما تعملون بصير فأجازيكم عليه عن و
هب بن منبه أن داود كان يتنكر ويسأل الركبان عن حال داود وكانوا يثنون
عليه فأرسل الله ملكاً في صورة رجل فسأله فقال هو خير الناس لولا أنه يأكل هو وأهله
من بيت المال فسأل الله أن يعلمه صنعة يأكل منها هو وأهله فعلمه الله عمل الدرع يكون
سبباً لمعاشه وآلة للجهاد فكان كل يوم يفرغ من درع ويبيعه بأربعة آلاف
درهم وقيل بستة آلاف ينفق على نفسه وأهله منه ثم يصرف الباقي إلى مصالح
بني إسرائيل ولسليمان الريح أي وسخرنا له الريح غدوها شهر جريها مسيرة شهر
بالغداة ورواحها شهر سيرها آخر النهار كذلك كان يغدو من دمشق إلى
إصطخر فيتغدى بها ثم يروح إلى كابل فيتعشى به وكل من المسافتين شهر يحكى أن وجد
وجد مكتوباً كتبه بعض أصحاب سليمان عليه السلام بناحية دجلة نحن نزلناه
وما بنيناه ومبنياً وجدناه غدونا من إصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون
بالشام إن شاء الله تعالى وأسلنا له عين القطر النحاس المذاب جعله ينبع نبوع الماء
وكان ذلك باليمن ببلدة صنعاء ومن الجن من يعمل بين يديه مبتدأ وخبر أو من
يعمل عطف على الريح ومن الجن حال فقدمت اهتماماً لا لكونه من الجن هو المستغرب
بإذن ربه بإرادته وتيسيره وفيه إشارة إلى أن تسخيرهم أمر في غاية البعد لولا
تسهيله لما تيسر ومن يزغ منهم عن أمرنا عما أمرناه به من طاعة سليمان نذقه
من عذاب السعير الحريق يعملون له ما يشاء من محاريب قصوراً حصينة وأماكن
شريفة لأنها تحارب عنها وتذب وتماثيل صور الملائكة والأنبياء ليروها على
تلك الصور تذكراً للناس بحالهم ليعبدوا كعبادتهم وتحريم التصوير شرع مجدد
وكانت بلا رأس ولم يكن صور حيوان لأن التمثال كل ما صور على صورة غيره و
جفان كالجواب كالحياض جمع جابية لأن الماء يجبى فيها أي يجمع قال الأعشى
تروح على آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق وقدور راسيات ثابتات
في أماكنها لعظمها لا تزول من الأثافي اعملوا آل داود شكراً حكاية ما قيل لآل
داود شكراً نصب على العلة لأن العمل لله تعالى للشكر وفيه إشارة إلى أن العبادة
يجب أن تؤدى شكراً أو مصدر لأن اعملوا معناه اشكروا أو مفعول به أي اعملوا أنتم
شكراً لأن الجن تعمل لكم ما شئتم وقليل من عبادي الشكور المتوفر على الشكر باللسان
والجنان والأركان الباذل وسعه في القيام وعن ابن عباس رضي الله عنه الشكور
من يشكر على الأحوال كلها وقيل من يشكر على الشكر وقيل من يرى العجز عن الشكر وقد
روى البخاري ومسلم رحمهما الله بإسنادهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

انه قال احب الصلوة الى الله تعالى صلوة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام
سدسه واحب الصيام اليه صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما وقيل لم يخل
بيت آل داود من قايم يصلى لا ليلا ولا نهارا فلما قضينا عليه الموت على سليمان
ما دلهم على موته اعاد المظهر لئلا يتوهم عود الضمير الى سليمان الا دابة الارض
دويبة تسمى سرفة والارض فعلها ولذلك يقال لها الارضة تأكل منسأته
عصاه لانه ينسأ بها اى يطرد ويؤخر وقرأ نافع وابو عمرو بالالف بدلا عن الهمزة
من غير قياس مبالغة في التخفيف وابن ذكوان عن ابن عامر باسكان الهمزة نقلا من
الخفيف الى الاخف وهو لغة الحجاز فلما خر تبينت الجن علمت علما جليا ان لو كانوا
يعلمون الغيب كما كانوا يزعمون ويوهمون الناس ذلك ان مع صلتها بدل من الجن
بدل اشتمال ما لبثوا في العذاب المهين وذلك ان داود اسس بيت المقدس
مكان فسطاط موسى ثم مات قبل تمامه فوصى به سليمان فاستعمل فيه الشياطين
فلما دنى موته ولم يكمل بعد سأل ربه ان يعمى موته على الجن حتى يتموا المسجد فأمر
الجن ان يبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب واتكى على المنسأة يصلى فقبض
في الصلوة على تلك الهيئة فاكلت الارضة العصا فخر على الارض فوضعوا الارضة
على العصا فاكلت يوما وليلة مقدارا فقاسوه فكان موته منذ سنة وكان
عمره حين ملك ثلث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلث وخمسين سنة وابتداء
بناء المسجد لاربع مضين من ملكه لقد كان لسبا هو سبا بن يشجب بن يعرب
بن قحطان اريد به القبيلة لقوله في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال اى كان
لكل رجل له بستانان احدهما عن يمين مسكنه والآخر عن شماله او كانت البساتين
عن الجانبين متصلة متضامة كانها جنتان قرأ ابو عمرو والبزى سبأ بفتح الهمزة
من غير تنوين لارادة القبيلة وقنبل باسكان الهمزة اجراء للوصل مجرى الوقف و
الباقون بالكسر والتنوين باعتبار الحي وقرأ حمزة والكسائى وحفص مسكن
بفتح الكاف مفردا لارادة البلد ومسكن كل واحد والكسائى بالكسر على الشذوذ
كالمسجد والباقون جمعا على التوزيع وهو الظاهر كلوا من رزق ربكم حكاية
لما قال لهم نبيهم قيل بعث اليهم احد عشر نبيا او قيل لهم بلسان الحال او دلالة
بان يقال لهم ذلك واشكروا له طلبا للمزيد ومحافظة على العتيد بلدة طيبة ورب
غفور استيناف لبيان موجب الشكر وعن ابن عباس كانت اخصب البلاد واطيبها
كانت تخرج المرأة وعلى رأسها المكتل فتسير بين الاشجار لحاجتها فيمتلى مما يتساقط
فيه وقيل لم يكن فيها ذباب ولا بعوض ولا برغوث فاعرضوا عن الشكر فارسلنا
عليهم سيل العرم هو الجرذ الذى نقب السد الذى كان بناه بلقيس الملكة بالصخر
والقار يجتمع فيه ماء العيون والامطار وكانت جعلت فيه ثقبا على قدر الحاجة تفتح في

تفتح في وقت وقيل العرم المسكر وهو السد وقيل المطر الشديد وقيل اسم واديهم
وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط ثمر بشع عطف بيان او صفة و
قرأ ابو عمرو بالاضافة على ان الخمط هو الشجرة شجر الاراك عن ابن عباس وقيل كل
شجر ذي شوك ثمر وعن الزجاج كل شجر مر واثل هو الطرفاء عطف على اكل لا على خمط
لان الطرفاء لا ثمر له وشيء من سدر قليل عطف على خمط وهو النبق وله ثمر حسن
والحكمة في ابقائه زيادة العذاب عليهم كلما رأوه تذكروا ما فاتهم ولذلك قلله و
تسمية ما بدلوا بجنتين تهكم او مشاكلة ذلك جزيناهم بما كفروا اى ذلك الجزاء الذى
جزيناهم لاجل كفرهم النعمة او الرسل بالتكذيب وهل نجازى الا الكفور اى
لا يجازى بذلك الجزاء البالغ الا البالغ في الكفر والمراد الجزاء عقابا وما يصيب
المؤمن يختص لذنوبه ولا نزيد العقاب على جميع ما فعله من السوء ولا كذلك المؤمن
لان حسناته يذهبن السيئات قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر بالياء
على بناء المفعول والباقون بالنون وهو ابلغ تهويلا وجعلنا بينهم وبين القرى التى
باركنا فيها قرى ظاهرة هي قرى الشام وقيل قرى بصنعاء قرى ظاهرة متواصلة يظهر
بعضها لبعض او راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة وقدرنا فيها السير على ما يلائم
المسافر فيقيل الغادي في قرية والرائح يبيت في اخرى سيروا على ارادة القول لحالا او
مقالا فيها ليالي واياما آمنين لا يختلف الامن باختلاف الاوقات ليلا ونهارا او
وسيروا فيها آمنين مدة اعماركم فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا اشروا النعمة وسئموا
العافية وبطروا وسألوا الله خراب تلك القرى ليكون مكانها مفاوز يركبون فيها
الرواحل ويتزودون الازواد كما استبدلت بنو اسرائيل الثوم والبصل بالمن والسلوى
وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام عن ابن عامر بتشديد العين وهما لغتان بمعنى والمد
اكثر وظلموا انفسهم حيث جعلوها الشقاء بعد النعيم والرخاء فجعلناهم احاديث يتحدث
بعدهم بما جرى عليهم ويضربون بهم الامثال اذا بالغوا في وصف القوم بالتفرق قالوا
ذهبوا ايدي سبا ومزقناهم كل ممزق فرقناهم كل تفريق لحق غسان بالشام والانمار
بيثرب والاسد بالبحرين وخزاعة بتهامة والازد بعمان والآية والتي قبلها تفصيل
لما تقدم من حال الجنتين واربابهما وما جرى على سبيل النشر وقدم جعلهم احاديث
على التمزيق لانه الغرض ان في ذلك لآيات لكل صبار شديد الصبر على البلاء شكور
كثير الشكر على النعم والمزايا ولقد صدق عليهم اى على اهل سبا ومن هو على طريقتهم
ابليس ظنه تحقق ظنه وتبينه لما كفروا وكذبوا الرسل هو الظن الذى حصل له
لما وسوس الى آدم وحوا ودلاهما بغرور او لما سمع مقالة الملئكة اتجعل فيها
من يفسد فيها ويسفك الدماء وقرأ الكوفيون صدق مخففا على ان ظنه مفعول فيه
او مفعول مطلق لمقدر فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين من بيانية اى الا فريقا هم المؤمنين

او تبعيض اى الا فريقا من المؤمنين وهم الخلص ويؤيد الاول قوله لاملأن جهنم منك
وممن تبعك منهم **وما كان له عليهم من سلطان** من تسلط واستيلاء بالاغواء
والوسوسة **الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك** اى ليتميز المؤمن من
الشاك او ليعلمهما موصوفين بالصفتين او علما يترتب عليه الجزاء او ليؤمن من قدر
ايمانه ويشك من قدر ضلاله فالمراد من حصول العلم ما يتعلق به مبالغة وفى
نظم الصلتين اشارة الى نكتة لا تخفى **وربك على كل شيء حفيظ** مراقب فعيل بمعنى المفاعل
وعد ووعيد **قل ادعوا الذين زعمتم** اى زعمتموهم آلهة حذف المفعولان لطول الصلة
من دون الله صفة آلهة ولا يصح ان يكون هو المفعول الثانى لعدم الالتيام مع
لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض اى فى العالم العلوى والسفلى ولا
يعبد المعبود الا لجلب نفع او دفع ضر وفيه تبكيت لهم وانهم لا ينطقون بغير هذا
وما لهم فيهما فى العالمين **من شرك** لا خلقا ولا ملكا **وما له منهم من ظهير** من
يعينه فى امر **ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له** دفع لما كانوا يتوهمون من
الشفاعة ان لو كان بعث ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله والمعنى لا تنفع الشفاعة
الا لمن اذن الله له ان يشفع او يشفع له فاللام مثلها فى المقدرة فى شفاعة زيد اما فاعلا
او مفعولا ويجوز ان يكون لام العلة اى الا لمن وقع الاذن للتشفيع لاجله كقولك
اذن لزيد لعمرو اى لاجله وقرئ ابو عمرو وحمزة والكسائى اذن على بناء المفعول بضم
الهمزة والفتح اولى واخف ولذلك اتفقوا عليه فى لمن اذن له الرحمن **حتى اذا فزع عن
قلوبهم** غاية لمقدر دل عليه المقام اى يتربصون فزعين فيهم وقت ذلك الفزع يتوقفون
ملقى عليهم رداء الهيبة حتى اذا كشف عنهم ذلك الفزع بالاذن فى الشفاعة سأل
بعضهم بعضا وقرأ ابن عامر فزع على بناء الفاعل وهو اولى لكونه الاصل واخف
قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو الاذن فى الشفاعة ولاختيار لفظ الرب شان
لا يخفى وما روى ابو هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا
قضى الله امرا فى السماء ضربت الملئكة اجنحتها خضعانا كانه سلسلة على صفوان فاذا
فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وكذا روى عن ابن مسعود رضى الله
عنه مثله فلا تنافى بينهما وكلاهما واقع واما ان ذلك تفسير للآية فلا لعدم الارتباط
ومن قال به انما نظر الى طباق اللفظ ضمنا وتقدم الملئكة ضمنا لا يجدى **وهو العلى**
شانه **الكبير** سلطانه نحوله ان لا يتكلم احد الا باذنه **قل من يرزقكم من السموات
والارض** تقرير لقوله لا يملكون مثقال ذرة **قل الله** اذ لا جواب له سواه وان سكتوا
مخافة الالزام **وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين** بعد البرهان النير و
التقرير الوافى البليغ تنزل وترديد الامر بين الفريقين بان الحق واحد وفاقا
فليتأمل من المصيب منا ومن المخطئ ومثله يسمى كلام المنصف لان من سمعه من موال

او مخالف يقول للخصم قد انصفك ولا يرى اشد تبكيتا منه للخصم ولا اوصل
بالمناظر الى الغرض ولا اهجم به على الغلبة ولا ادفع لشغب المكابر ومنه بيت
حسان يخاطب ابا سفيان اتهجوه ولست له بكفؤ فشركما لخيركما الفداء وانما
خالف بين الصلتين لان المحق كانه على جواد يركضه حيث يشاء والمبطل كانه
مرتبك فى ظلمة لا يدرى اين يتوجه **قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون**
اذا لا غرض لى فى دعائكم الا النصح وفيه تنزل ابلغ من الاول حيث عبر عما نسب
الى انفسهم بالاجرام وعما نسب الى الخصم بالعمل **قل يجمع بيننا ربنا** للحجاج والخصام
ثم يفتح بيننا بالحق يحكم ويجازى المحق والمبطل كلا على حسبه **وهو الفتاح** الحاكم
بالصواب **العليم** لا يحتمل تطرق الخلل الى حكمه **قل ارونى الذين الحقتم به شركاء**
كان يريهم ويعرفهم ولكن اراد التنبيه على خطائهم وقبحهم **كلا** ليس الامر كما زعموا
بل هو الله العزيز الحكيم واين تلك الجمادات من هذه الصفات الضمير لله او للشان
وما ارسلناك الا كافة للناس صفة مصدر اى ارسالة عامة تكف خروج احد
منهم وعن الزجاج حال من الكاف والتاء للمبالغة كعلامة والمعنى كافا لهم جامعا معا
فى الابلاغ والانذار كقوله بعثت الى الاحمر والاسود وعن ابن مالك حال من المجرور
بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون لعدم التدبر فى شانك او علمهم كلا علم
حيث قارنه الانكار **ويقولون متى هذا الوعد** المبشر به والمنذر عنه **ان كنتم
صادقين** خطاب له ولامته **قل لكم ميعاد يوم** وعدا وزمان وعد **لا
تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون** جواب تهديد موافقا لما قصدوا بسؤالهم
من التعنت والانكار فلوحظ المقصود دون ما يعطيه ظاهر اللفظ **وقال
الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه** من الكتب الدالة
على قيام الساعة ونشر الاموات وذلك ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب عن
رسول الله فاخبروهم انهم يجدونه فى كتبهم فاغضبهم ذلك فكفروا بها جميعا وقيل
الذى بين يديه يوم القيمة الذى دل القرآن على وقوعه **ولو ترى اذ الظالمون
موقوفون عند ربهم** فى ذلك اليوم الذى ينكرونه **يرجع بعضهم الى بعض القول**
يتجاوبون فى الحوار كل ينسب الذنب الى الآخر **يقول الذين استضعفوا للذين
استكبروا** للرؤساء **لولا انتم** اى اضلالكم **لكنا مؤمنين** بما جاءت به
الرسل **قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى
بعد اذ جاءكم** ادخلوا همزة الانكار على الاسم لان الغرض انكار كونهم صادين
عن الايمان لا انكار الفعل من اصله وانما اضيف بعد الى اذ وهو لازم الظرفية
كما يضاف الزمان الى الجمل اتساعا **بل كنتم مجرمين** بسوء اختياركم **وقال الذين
استضعفوا للذين استكبروا** كروا عليهم ثانيا وابطلوا اضرابهم بقولهم

بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا اى غرنا مكركم با
لليل والنهار دائما وحملكم إيانا على الكفر بالله واتخاذ الانداد واضافة مكرهم
الى الليل والنهار للملابسة والاتساع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به او جعل
الليل والنهار ماكرين على الاسناد المجازي وأسروا الندامة لما رأوا العذاب اى
كل من الضال والمضل مخافة التعيير او اظهروها وازالوا اسرها ونظيره في الوجهين
يشكي كقوله شعر تمازالت الايام لاشكاية وما زالت الايام تشكى ولا تشكى
وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا في اعناقهم والاظهار للدلالة على
الموجب هل يجزون إلا ما كانوا يعملون اى لا شئ سوى ذلك ومحل ما نصب
بنزع الخافض او بتضمين الجزاء معنى القضاء وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال
مترفوها بعد استيفاء الدلائل على التوحيد والرسالة وضرب الامثال بالقوم
التي اصابت من لم يقابل النعم بالشكر سلى رسوله بان من قبله من الرسل كل
قد كابد من الجهلة ما يكابده إنا بما أرسلتم به كافرون عنادا وجحودا من غير
شبهة في الطريق فضلا عن امارة او برهان وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا
الذين هما زينة الدنيا وما نحن بمعذبين في الآخرة قياسا على الدنيا جهلا وسفاهة
ولم يدروا ان الدنيا بحذافيرها لا تساوي عند الله جناح بعوضة وتلك الدار
في جواره دار اوليائه واهل عرفانه فكيف يقاس احديهما على الأخرى قل إن
ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اى حظوظ الدنيا انما هي بمقتضى مشية الله
وحكمه في البسط والقبض ولا يلاحظ فيهما القرب والمحبة بخلاف الثواب والجزاء
فانهما في مقابلة الايمان والعمل الصالح ولكن أكثر الناس لا يعلمون بسواء مرة
العلماء فيجرون على احد النقيضين ما يجرونه على الآخر وما أموالكم ولا أولادكم
بالتي تقربكم عندنا زلفى اى قربة مفعول مطلق اى وما اموالكم واولادكم يوجب
عندنا زلفى وقربا او التي كناية عن التقوى اى بأموالكم ولا اولادكم بالتي هي تقوى
حتى يقربكم عندنا زلفى ولا مقترب سواها إلا من آمن وعمل صالحا استثناء من مفعول
تقربكم اى الا الاموال من آمن فانه يقربه لصرفه في وجوه البر وعلى الثاني استثناء من اموالكم
على معنى الا مال من آمن وفيه مبالغة حيث جعل مال المومن وولده التقوى ولا يصح الاستثناء
على هذا من مفعول تقربكم لانه مثبت فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا اى الموصوفون
بالايمان والعمل الصالح يجازون اضعاف استحقاقهم واقله العشر واكثره لا يعلم
الا الله وهم في الغرفات آمنون في القصور آمنون عن المكاره وعن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة قصورا يرى ظاهرها
من باطنها وباطنها من ظاهرها فقال اعرابي لمن يا رسول الله قال لمن اطعم الطعام وادام
الصيام وطيب الكلام وقرء حمزة الغرفة على ارادة الجنس كقوله يجزون الغرفة والذين

يسعون في آياتنا معاجزين مغالبين وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالقصر مشددا
وقد سلف انه ابلغ أولئك في العذاب محضرون على الدوام لا يغيبون قل إن ربي يبسط
الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يوسع عليه تارة ويضيق اخرى في رد مقالتهم وهذه
في الحث على الانفاق وقد ذيل بقوله وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه فلا تكرار اى وما
انفقتم مما يصدق عليه اسم الشيء فالله تعالى يجعل له خلفا في الدنيا فقللوا او كثروا
وفي الحديث المشهور ان لله ملكين ينزلان كل صباح ينادي احدهما اللهم اعط
كل منفق خلفا والآخر ينادي اللهم اعط كل ممسك تلفا وهو خير الرازقين اذ
من عداه انما يكون رازقا مجازا كانه قيل فلينفق فان الله يرزقه من حيث لا يحتسب
ويوم يحشرهم جميعا الرؤساء والضعفاء او العابدين والمعبودين ثم يقول
للملائكة خصوصا لكونهم اشرف من عبدوه ولانهم فاعبدوا الاصنام الا انها صور
الملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون الغرض من هذا السؤال تقريع المشركين وزيادة
تعذيب بأن من عبدوه ليكون شفيعا يتبرأ عنهم مواجهة ويكذبهم احوج ما كانوا
قالوا سبحانك تنزيها عن الشريك أنت ولينا من دونهم متجاوزين عنهم لا ولاية
ولا مودة بيننا الا لك بل كانوا يعبدون الجن حيث اطاعوهم وقيل كانوا يعبدون
الاصنام والجن تدخل في اجوافها فيعبدون من عبادتها وقيل صورت الشياطين
صور الجن وقالوا هذه صور الملائكة أكثرهم اى كلهم بهم مؤمنون الضمير الاول
للمشركين والثاني للجن فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا اذ الامر في
ذلك اليوم ولا نافع الا الله وتقديم النفع اهتماما لانه الغرض من عبادتهم ونقول
للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون عطف على لا يملك مبين للغرض
من تمهيده وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا اى محمد إلا رجل يريد أن يصدكم
عما كان يعبد آباؤكم ارادوا نفي رسالته وحصر اوصافه في هذا الغرض الفاسد و
قالوا ما هذا اى القرآن إلا إفك كذب لا يطابق الواقع مفترى في نسبته اليه تعالى
وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم اى القرآن او كل ما جاء به رسول الله إن هذا إلا
سحر مبين واضح لا ستره به وفي ايثار المظهر موصولا وما في لما من معنى المبادرة على
التكذيب من غير تأمل انكار شديد كانه قال اولئك الكفرة المتمردون قالوا للحق
النير قبل ذوق معناه ليس شيئا سوى السحر وما آتيناهم من كتب يدرسونها يكون
لهم في قولهم الباطل متشبث كاهل الكتاب وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير
يدعوهم الى ترك الشرك ويتوعدهم بالعقاب على تركه فهم جهلة اميون ثم توعدهم
بقوله وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم اى كذب الذين من قبل
هؤلاء وما بلغ كفار مكة عشر ما آتينا اولئك من المال والقوة او ما بلغ اولئك معشار
ما آتينا كفار مكة من الآيات والهدى فكذبوا رسلي عطف المقيد على المطلق وما بينهما

اعراض وجعل الاول للتكثير كما بدل الاطلاق وعطف على بلغوا من تتمة الاعتراض و
الضمير لاهل مكة وتكذيبهم للرسل هو تكذيب محمد عليه الصلوة والسلام فانه تكذيب
لهم من وجهين فكيف كان نكير انكاري عليهم بالتدمير تنزيلا للفعل منزلة القول
قل انما اعظكم بواحدة خصلة او صفة ان تقوموا لله تفسير لواحدة الجار والمجرور في
محل النصب اى مخلصين من غير اتباع هوى ولا تقليد والقيام اما هو المتعارف او النهوض
بالراى والهمة مثنى اثنين اثنين وفرادى واحدا واحدا لان الكثرة تشوش الخاطر و
تفرق البال والاثنان كل منهما يعرض رايه على الآخر والواحد يؤامر نفسه ثم تتفكروا
ما بصاحبكم من جنة فتعلموا ان ليس به جنون وذلك ان ما ادعاه من الشان الذي دونه
ملك الدارين لا يدعيه الا احد رجلين مجنون لا يدري ما يقول او مؤيد من عند الله بمعجزة
باهرة اذ العاقل لا يرضى بافتضاحه لدى المعارضة ومحمد بريء من الجنون فقد صاحبتموه
دهرا وتبين لكم انه اصدق الناس لهجة وارجحهم عقلا وارزنهم حلما بل هو مركز دائرة
الفضائل والمحامد وهذا وقد ايده الله تعالى بمعجزات باهرة من انواع شتى لا تبقى شبهة
في امره ويجوز ان يكون ما بصاحبكم مستانفا منه تعالى تنبيها لهم على وجه النظر وهذا
الحكم واستنطاقا وما نافية او استفهامية وجه حسن اى اى شيء فيه من آثار الجنون
ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قدامه قال بعثت في نسم الساعة قل ما سألتكم
من اجر فهو لكم اى اى شيء سألتكم من الاجر بحا ورثته عنه وتركته لكم نفي لسؤال الاجر
على ابلغ وجه ويجوز ان يكون ما موصولة والذي سأله منهم هو قوله لا اسألكم عليه
اجرا الا المودة في القربى وقوله ما اسألكم عليه الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا
ولا شك انه لهم لا له ان اجري الا على الله الذي ارسلني وهو على كل شيء شهيد
مهيمن يعلم صدق مقالتي وضميري قل ان ربي يقذف بالحق القذف الالقاء بدفع و
اعتماد استعير للالقاء والانزال او يقذف به الباطل فيدمغه علام الغيوب لا يخفى
عليه شيء فهو يعلم من يستحق الاصطفاء او ما هو جدير بالدمغ والازهاق وقرا
حمزة وابو بكر بكسر العين لمناسبة الياء والباقون بالضم على الاصل كالقلوب قل
جاء الحق وهو القرآن او دين الاسلام وما يبدئ الباطل وما يعيد الباطل ما عبد
من دون الله تعالى لا يقدر على الانشاء ولا على الاعادة اللذين هما من لوازم الالوهية
او كناية عن الهلاك كقولهم لا ياكل ولا يشرب كناية عن الميت فان الحي يبدئ الفعل و
يعيده وقيل الباطل ابليس لانه ذو الباطل او لانه هالك وفيه تقرير لما تقدم لانه
اثبات الحق وهذا ازالة الباطل وعن الزجاج ان ما استفهامية قل ان ضللت فانما
اضل على نفسي عليها وزره لانها الامارة بالسوء فكل ضرر امرت به وبالها
وان اهتديت فبما يوحي الي ربي فبهداية الله وتوفيقه وان كان لها مدخل في اكتسابه
هذا وان خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد دخل تحته كل مكلف انه سميع قريب

لا يخفى عليه شيء من مقالي ولو ترى اذ فزعوا يوم القيامة او عند الموت او يوم بدر فلا فوت
منا واخذوا من مكان قريب من الموقف الى النار او من ظهر الارض الى بطنها او من صحراء
بدر الى القليب وعن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في خسف البيداء وذلك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يغزو جيش الكعبة اذا كانوا ببيداء يخسف بهم قالت
عائشة رضي الله عنها فقلت كيف لمن كان مستكرها قال يخسف بكلهم ثم يبعثون
على نياتهم واخذوا عطف على فزعوا او على فلا فوت على معنى فلم يفوتوا واخذوا والاول
اوجه لانه يقتضي اعادة فلا فوت تقديرا فيفيد تاكيدا ولو واذ والافعال الواقعة
بعدهما من فزعوا واخذوا وحيل وان كانت للمضي اريد بها المستقبل لان فعله المستقبل
كالواقع وقالوا آمنا به وانى لهم التناوش هو التناول السهل اى كيف لهم حين
اخذوا آمنا بمحمد لتقدم ذكره في ما بصاحبكم من جنة من مكان بعيد مثل حالهم
بحال من يريد تناول الشيء مع بعد المكان وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر
التناؤش بهمزة مضمومة من ناش تناول من بعد والباقون بالواو ومن ناش ينوش
والمعنى واحد وقد كفروا به من قبل اى اوان التكليف ويقذفون بالغيب يرجمون به
عطف على كفروا والمضارع لحكاية الحال من مكان بعيد وذلك قولهم في رسول الله
شاعرا وساحرا وفي القرآن شعر واساطير الاولين اذ لا مظنة لهم لالتباس مثل حالهم
بحال من يقذف شيئا من بعيد لا يظن لحوقه او قولهم ان كان هنالك بعث نحن احسن حالا
من اصحاب محمد قياسا بالدنيا مع ظهور الفارق وحيل بينهم وبين ما يشتهون حيث
استواحين لم تقبل توبتهم وما كانوا يتصورون منها انهم احسن حالا كما فعل باشياعهم من قبل
باشباههم من الامم المكذبة الذين كانوا يشيعونهم في الاعتقاد انهم كانوا في شك مريب
موقع في الريبة او شك ذا ريب كلاهما اسناد مجازي والوجه مختلف تمت السورة و
الحمد لله على جزيل نعمه والصلوة على من فاق البرية باخلاقه وشيمه سورة فاطر مكية وهي
خمس واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فاطر السموات والارض خالقهما
من فطر الشيء شقه كانه شق العدم باخراجهما منه والاضافة محضة ولذلك وصف
به المعرفة جاعل الملائكة رسلا بينه وبين عباده ومتوفى الاحياء وكتبة الاعمال اولي
اجنحة ذوي اجنحة والوجمع ذو من غير لفظه كالمخاض وهي حوامل النوق مفرده خلفة
مثنى وثلث ورباع نعتها على الوصف غير منصرفة للعدل والوصف وفي الاختلاف
في الكمية تنبيه على تفاوت رتبهم فلا دلالة فيه على عدم الزيادة ولذلك اردفه بقوله
يزيد في الخلق ما يشاء من الاجنحة وغيرها على ما اقتضته الحكمة راى رسول الله صلى الله
عليه وسلم جبريل في صورته الحقيقية له ستمائة جناح بين كل جناحين ما بين المشرق والمغرب
والآية باطلاقها تتناول كل ما قيل في تفسير الزيادة بالوجه الحسن والصوت والخط
الحسن والملاحة وغيرها من السجايا والمزايا ان الله على كل شيء قدير فالموجب للتخصيص تعلق

الارادة ما يفتح الله للناس ما يرسله ويطلقه عبر بالسبب عن المسبب من رحمة نعمة سماوية
او ارضية كالمطر والامن والعافية فلا ممسك لها لا يقدر احد على منعها وما يمسك
فلا مرسل له من بعده بعد امساكه وتذكير الضمير العايد اليها تارة وتانيثه اخرى
نظرا الى المعنى واللفظ واوثر ما فى التنزيل دون العكس لان الاول فسر بالرحمة فحسن
التانيث وفى ذلك اشارة الى سبق رحمته وترك تفسيرا كتفا لدلالة الاول عليه او اطلق
ليتناول كلما يمسكه من غضبه ورحمته وهو العزيز الغالب يرسل ويمسك على وفق مشيته
الحكيم لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم بالقيام بشكرها
وصرف القلب والجوارح الى طاعة موليها هل من خالق لتلك النعم او مطلقا فيتناولها تناو
اوليا والاستفهام الزام وتبكيت غير الله صفة خالق على المحل او بدل وقرأ حمزة و
الكسائي بالجر على اللفظ يرزقكم مستأنف فلا يمنع اطلاق الخالق على غيره تعالى او جعل
صفة رفعا او جرا او مفسر الرافع من خالق محذوف المشعر لاختصاصه بالرازق من السماء و
الارض لا اله الا هو مستأنف كيرزقكم فى الوجه الاول اذ لو جعل صفة لخالق لزم التناقض
لان هل من خالق غير الله اثبات للخالقية له تعالى فاذا وصف ذلك الخالق بانه لا اله الا هو كان
تناقضا فانى تؤفكون فكيف تؤفكون تصرفون عن التوحيد بعد هذا البيان وان
يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك فصبروا فاصبر انت فانك اولى بذلك لانك
سيدهم المقدم والى الله ترجع الامور فيجازيكم على قدر النصب وقرأ ابن عامر وحمزة
والكسائي بفتح التاء وكسر الجيم يا ايها الناس ان وعد الله حق ثابت لا محالة تقرير لما
تقدم فلا تغرنكم الحيوة الدنيا التمتع بلذاتها بعد علمكم بزوالها عن قريب ولا يغرنكم
بالله الغرور الشيطان بالاغراء على المعاصي والوعد الكاذب ان الشيطان لكم عدو
قديم عداوته عادى اباكم قبل كونه بشرا سويا فاتخذوه عدوا واحذروا عن كيده لان
ازالة عداوته غير ممكنة انما يدعوا حزبه شيعته ومن يتبع خطواته بالوسواس وتزيين
المعاصي ليكونوا من اصحاب السعير الملازمين لها اللام للعاقبة الذين كفروا لهم
عذاب شديد والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير بعد التحذير عن
اتباعه بين حال حزبه وحزب الله ترغيبا وترهيبا وفى وصف العذاب بالشديد اشارة
الى ان مخالفة الهوى ليس امرا شاقا بالنسبة الى ذلك العذاب افمن زين له سوء عمله
فرآه حسنا اى رأى القبيح حسنا كقوله يحسبون انهم يحسنون صنعا والجواب محذوف اى
كمن وفق وهداه الله حذف لدلالة قوله فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء
وعليه وعن الزجاج ان الكلام على التقديم والتاخير اى افمن زين له سوء عمله ذهبت
نفسك عليهم حسرة فحذف لدلالة فلا تذهب نفسك عليهم حسرات والمعنى اذا علمت
ان الاضلال والهداية بيده تعالى فلا تتأسف ولا تذهب نفسك وتفارقك للحسرات على
عدم اهتدائهم والاوجه ان يكون حالا كان نفسه صارت عين الحسرات وفى اينا الجمع

للجمع مبالغة كانها حسرات بعدد كل نغص منهم او بعدد كل سيئة والجار والمجرور يتعلق
بتذهب او بحسرات وتقديم معمول المصدر شايع ان الله عليم بما يصنعون فيجازيهم
عليه والله الذي ارسل الرياح من جهات مختلفة فتثير سحابا حكاية للحال تصويرا لتلك
الهيئة البديعة ولان المراد بيان احداثها بتلك الخاصة ولذلك اسند الفعل اليها و
يجوز ان يراد باختلاف الافعال الاستمرار وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح بالافراد
على الجنس فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض اى بالمطر دل عليه ذكر السحاب
او بالسحاب لانه سبب السبب ولما كان فى الفعلين مزيد صنع التفت الى ضمير المتكلم
لانه ادخل فى الاختصاص قرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر ميت مخففا بعد
موتها بعد يبسها وذهاب نضارتها كذلك النشور فى محل الرفع مثل احياء الموات
احياء الاموات وعن ابى رزين قلت يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى قال هل مررت
بوادي قومك يا ابا رزين محلا ثم مررت به يهتز قلت بلى قال فكذلك يحيي الله الموتى و
قيل الكلام فى الكيفية المخصوصة لما روى انه ينزل مطر من تحت العرش مثل المنى تنبت
منه الموتى من كان يريد العزة الرفعة والشرف فلله العزة جميعا فى الدارين
فليطلبها منه فان الشيء يطلب عند مالكه وعزة رسوله والمؤمنين عزة تعالى
ربه بتعززهم بالاصنام لقوله واتخذوا من دونه الهة ليكونوا لهم عزا الا ترى
الى ابى سفيان يوم احد لما راى المسلمين اضطربوا كيف نادى لنا عزى ولا عزى
لكم ثم قال اعل هبل اعل هبل اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه اشارة
الى ما ينال به العزة من عند الله تعالى وهو الايمان والعمل الصالح روى الطبراني باسناده
الى ابن مسعود ان الكلم الطيب سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا
قال العبد احدهن اخذ الملك بجناحه لا يمر على الملئكة فى السموات الا استغفروا لقائلها
فيجيء بها وجه الرحمن وعن ابن عباس رضي الله عنه العمل الصالح اداء الفرائض فمن
ذكر الله وادى الفرائض حمل عمله ذكره ومن لم يؤد رد ذكره فعلى هذا المستكن
فى يرفع للعمل وقيل للذكر اذ لا يقبل العمل الا من الموحد وقيل الرافع هو الله والحق
ان الكلم الطيب يتناول كل كلمة صالحة وقراءة القرآن افضل من الذكر والذين
يمكرون السيئات لهم عذاب شديد حث على الاخلاص فى العمل الصالح فلا بد تنبيه
بالرياء قاله مجاهد وسعيد بن جبير وقيل هم المشركون الذين اذا رووا الرأى
فى شانه صلى الله عليه وسلم لقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليقتلوك اخبارا بالغيب
قبل وقوعه ونصب السيئات على المصدر لان مكر فعل لازم اى المكرات السيئات
ومكر اولئك هو يبور لا عزه وهو مكر الله حيث استدرجهم الى الدرك الاسفل والى
قليب بدر ثم الى العذاب السرمد والله خلقكم من تراب اى آدم ثم من نطفة بان
ذريته ثم جعلكم ازواجا ذكرا وانثى وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه اى ملتبسة

بعلمه محفوظا احوالها اشار بقوله والله خلقكم من تراب الى الحول الكامل وبهذا الى العلم
الشامل ثم الى القضاء والقدر بقوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره خطابا لافراد
الانسان اى ما يمد فى عمر احد ولا ينقص من عمر آخر الا فى كتاب الا فى علمه وفى اللوح
وقيل التعمير والنقص راجع الى شخص على الفرض والتقدير وذلك انه كتب عمره اربعين
ان لم يتصدق بكذا وستين ان تصدق لما روى ان الصدقة وصلة الارحام تزيد
ان فى العمر وعن سعيد بن جبير نقص العمر ما يمر من عمره والكتاب كتاب الحفظة يكتب فيه
مضى يوم مضى يومان وهكذا وعن قتادة المعمر من بلغ عمره ستين والمنقوص من مات
دونه وهذا راجع الى الوجه الاول الا انه اشار الى غالب الاعمار ان ذلك المذكور
على الله يسير لحصوله بتعلق الارادة لا بغيره وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ
شرابه وهذا ملح اجاج العذاب الحلو الفرات ما يكسر العطش من الفرت والسائغ السهل
الانحدار والاجاج الذى يحرق بملوحته مثل ضربه الله للمؤمن والكافر ثم استطرد وصف
البحرين بما يتعلق بهما من المنافع بقوله ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون منه
حلية تلبسونها لان الكلام فى ادلة وحدانيته وكمال قدرته وقيل هو من تتمة التمثيل
لتفضيل المشبه به على المشبه استدراكا لدعوى الاشتراك فى الملح خاصة لاشتماله
على فوائد لم توجد فى المشبه فلو يرتضى وقيل هو من تتمة التمثيل على معنى ان البحرين و
ان اشتركا فى بعض الفوائد لكن خالط احدهما ما افسد فطرته الاصلية كذلك المؤمن
والكافر وان اتفقا فى بعض الاخلاق والمكارم تفاوتا فيما هو الاصل لبقاء احدهما
على الفطرة دون الآخر وترى الفلك فيه مواخر شواق من مخر شق وقيل هو صوت
جريها وانما قدم الجار والمجرور هنا واخره فى النحل لان الكلام هناك فى تعداد النعم و
كون الفلك ماخرة سبب ترتيب لها وهنا وقع استطرادا او تتمة للغرض لتبتغوا
من فضله بالمسافرة للتجارة ولعلكم تشكرون تلك النعم حرف الترجى باعتبار
ظاهر حالكم يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل
يجرى لاجل مسمى هو تمام دوره او منتهاه وهو يوم القيمة ذلكم الموصوف مبتداء
الله ربكم له الملك اخبار مترادفة وفى اسم الاشارة اشارة الى هو عليه الوصف
لثبوت الاخبار ويجوز ان يكون له الملك كلاما مبتداء فى قران قوله والذين تدعون
من دونه ما يملكون من قطمير للدلالة على تفرده بالالوهية والقطمير لفافة
النوى واما ايقاع اسم الجلالة صفة لاسم الاشارة فلو نصح لفظا لكونه علما ولا
معنى لان الغرض انه منفرد بالالهية لان المنفرد بالالهية هو ربكم وكذا عطف البيان
لابهامه تخيل الشركة ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا فرضا
اذ كانوا من جهلهم يزعمون ذلك ما استجابوا لكم لعدم القدرة وهذا محسوس لا
يكابرون فيه ويوم القيمة يكفرون بشرككم ينكرون عبادتكم كقوله ويكونون

عليهم ضدا انتفى النفع وثبت الضر واى ضر ولا ينبئك مثل خبير اى
لا يخبرك بالامر مخبر مثل عالم خبير بحقايق الاشياء وبواطنها وهو الله تعالى وفيه
تحقيق وتقرير لما اخبر به عن حال آلهتهم يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله فى
ذاتكم واحوالكم وتعريف الفقراء لافادة ان فقر غيرهم كلا فقر لشدة احتياجهم
من باب ذلك الكتاب وحاتم الجواد والله هو الغنى فى ذاته وصفاته وافعاله
الحميد المحمود على النعم من باب التكميل اذ ليس كل غنى جوادا وسوق هذا الكلام لدفع توهم
ان دعاءهم الى التوحيد والعبادة ليس للاحتياج ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق
جديد بان ينشئ عالما آخر ومن يوحده وما ذلك على الله بعزيز متعسر ولا تزر
وازرة وزر اخرى الوزر الثقل اريد به الاثم اى لا تحمل نفس اثم نفس اخرى وانما سيق
للدلالة على ان الله غنى عن عبادتكم ورسوله لا يحمل وزركم فليس ارساله ودعاؤه
الى الايمان الا لصلاحكم وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شئ اى ان تدع
كل نفس مثقلة بالاوزار كل من يمكن ان يكون مدعوا لحمل بعض الاوزار لا يجيبها الى ذلك
المدعو له لشدة الهول فالاولى دلت على كمال العدل وهذه على شدة الهول ولو كان
ذا قربى اى المدعو ذا قرابة ان تدع وكيف ينفع ذو القرابة فى يوم يفر المرء من اخيه
وامه وابيه انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب اى لا يقدر الاعلى انذار هؤلاء
لانتفاء القابلية عن غيرهم ومحل بالغيب نصب على الحال من الفاعل اى غائبين او من
المفعول اى غائبا عنهم او الباء صلة اى فى خلواتهم واقاموا الصلوة حلوا ظواهرهم
بالعبادات كما زينوا بواطنهم بالخشية والايمان بالغيب والاكتفاء بالصلوة
لاستجلابها ساير الطاعات ومن تزكى تطهر ظاهرا وباطنا اعراض يؤكد ما تقدم
فانما يتزكى لنفسه نفسه لا يتخطاها والى الله المصير للجزاء وعدهم وما يستوى
الاعمى والبصير مثل الكافر والمؤمن او للصنم والمعبود بالحق فعلى الاول عطف على
قوله وما يستوى البحران وعلى الثانى من تتمة قوله ذلكم الله ربكم له الملك والاول
اولى لانه شبههما اولا بالبحرين ثم فضل الملح على الكافر ثم بالاعمى والبصير ففيه ترق
ولا الظلمات ولا النور ولا تشبهات الكفر ولا الاسلام ولا الظل ولا الحرور الحرور
هو السموم وقيل الحرور بالليل والسموم بالنهار وما يستوى الاحياء ولا الاموات
المؤمنون والكفار ترق ثان هذا وكلمة لا فى ولا الظلمات ولا الظل مذكرة للنفى
مؤكدة له كما فى ولا الضالين واما التى فى ولا النور ولا الحرور ولا الاموات
فليست كذلك اذ لا يصح تقدير الفعل بعدها لان التفاعل مجموع المتقابلين فهى زايدة
للتوكيد وقيل قصد بها نفى الاستواء من كل منهما مقيسا الى الآخر فان قلت لم لم يعد لا
المؤكدة فى البصير كما اعادها فى ساير المعطوفات قلت لانه تمهيد للترقى الى التنبيه بالاحياء
والاموات الا يرى كيف اعادها وما يستوى وما بينهما من التمثيلين مقصودان ذاتا

فلذلك اعيدت واتما وسطا لما بين فقدان نور البصر والنور الخارجي من التلاؤم ان
الله يسمع من يشاء هدايته وما انت بمسمع من في القبور ترشيح لتشبيه المصرين على
الكفر بالاموات ان انت الا نذير وقد انذرت وليس عليك الاسماع انا ارسلناك
بالحق محقين او محقا حال من الفاعل او من المفعول او منهما او صفة للمصدر وتعلق
بقوله بشيرا ونذيرا بالوعد الحق والوعيد الحق وان من امة اهل عصر الا خلا فيها
نذير اي ليس من امة الا بعث اليها نذير فاذا ذهب واندرست آثاره بعث آخر ويجوز
ان يكون النذير اعم من النبي والعالم القائم مقامه وانما اكتفى بالنذير لكونه قرين البشير
غالبا ولتقدم ذكره آنفا ولم يعكس لان الانذار هو الاهم وان يكذبوك فقد كذب
الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات الشواهد على نبوتهم وبالزبر الصحف
وبالكتاب المنير كالتورية والانجيل والزبور والمجيء بالكتاب لا يقتضي الايتان به
اصالة لقوله يحكم بها النبيون وقيل الاسناد الى الكل بمعنى شمول البعض للكل كالبينات
واختصاص البعض بالبعض ثم اخذت الذين كفروا بالاستيصال وقطع شأفتهم
فكيف كان نكير انكاري بتغيير ما صنع بهم الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا
به ثمرات مختلفا الوانها انواعها واصنافها ومنه تلوين الكلام ورجل متلون او المتغاير
من الحمرة والصفرة وغيرهما كقوله واختلاف السنتكم والوانكم ومن الجبال جدد ذو جدد
اي خطط جمع جدة من الجد وهو القطع لانها مقطوعة من سائر الالوان وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنه هي الطرائق بيض وحمر مختلف الوانها في الشدة والضعف بتفاوت
ودونهما وغرابيب سود اي متحد اللون جمع غربيب وهو الذي تناهى سواده صفة مضمر
تفسيره سود اذ لا يجوز ان يكون سود تاكيدا له او سود بدل منه ومن الناس والدواب
كل ما يدب والخيل والبغال والحمير والانعام الابل والغنم والبقر من عطف الخاص على العام
على الاول مختلف الوانه اي بعض منها مختلف الوانه كذلك كاختلاف الثمرات والجبال
نصب على المصدر او رفع اي الامر كذلك ولما خاطبه وعدد عليه دلائل التوحيد من
العالم العلوي والسفلي من البسائط والمركبات ومن الحيوان والنبات وسائر الهيئات
من الالوان والصفات قال انما يخشى الله من عباده العلماء كانه قال انما يخشاه مثلك
ومن بذا اسلك في المعرفة من الذين قدروا الله حق قدره وسلك في ذلك طريق الكناية
كقولهم العرب لا تخفر الذمم دلالة على ان العلم صفة تناسب الخشية وراعى في ذلك براعة
المطلع بذكر اولياته ان الله عزيز لا يغالب غفور لمفرطات من خشيته ان الذين يتلون
كتاب الله يداومون تلاوته فانها من افضل الاعمال ويعملون بما فيه وقيل اريد
جنس كتب الله ثناء على المصدقين من الامم واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم
سرا وعلانية اي في الاوقات كلها وقيل السر في التطوع والعلانية في الفرض آثر في
التلاوة المضارع دون التاليين اشارة الى استغراقهم الماضي والمستقبل بالطاعات

يرجون تجارة لن تبور لن تكسد من البوار وهو الهلاك خبر ان ليوفيهم اجورهم علة لما دل
عليه لن تبور اي تنفق عند الله ليوفيهم بها اجورهم ويزيدهم على ما يقابل اعمالهم
من فضله كقوله ويؤت من لدنه اجرا عظيما ذلك ان يجعل يرجون حالا عن فاعل انفقوا
اي فعلوا جميع ذلك راجين لهذا الغرض وخبر ان انه غفور شكور اي غفور لفرطاتهم
شكور لطاعتهم والذي اوحينا اليك من الكتاب من للبيان ان اريد بالكتاب القرآن
وللتبعيض ان اريد به الجنس هو الحق مصدقا لما بين يديه حال مؤكدة لان الحق لا ينفك
عن هذا التصديق ان الله بعباده لخبير بصير عالم بالعلم ببواطن احوالهم وظواهرها
فلو لم يكن اهلا لهذا الكتاب المعجز المهيمن على سائر الكتب لما انزل به وتقديم الخبير فلما
لان الاطلاع على الخفايا والسرائر هو المختص به تعالى وذكر البصير على طريقة التتميم
وقيل لان العمدة في ذلك الامور الروحانية عند اهل الحق ثم اورثنا الكتاب حكمنا
بتوريثه منك او نورثه واثار الماضي كما في نظائره لتحقق وقوع ما اخبر به او ورثنا
من الامم السالفة ان جعل الذين يتلون ثناء على المصدقين من الامم والذي اوحينا
اليك اعتراضا لبيان كيفية التوريث الذين اصطفينا من عبادنا هم امة محمد كنتم
خير امة اخرجت للناس وقيل العلماء ويرده قوله فمنهم ظالم لنفسه بترك الاعمال
وارتكاب المحرمات ومنهم مقتصد متوسط خلط عملا صالحا وآخر سيئا ومنهم
سابق بالخيرات بالاتيان بالطاعات وترك المنكرات باذن الله بتوفيقه و
تيسيره هذا الذي عليه اكثر المفسرين من الصحابة ومن بعدهم ودل عليه التعظيم
بالايراث والاصطفاء وكيف لا وقد اشار الى القسم بعد بقوله والذين كفروا
لهم نار جهنم وبه فسر من انزل عليه الكتاب روى الترمذي باسناده الى ابي سعيد
ان رسول الله لما تلا هذه الاية قال هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم اهل الجنة
وقد وافقه روات اخر يكاد ان تتواتر وترتيب النظم على هذا لان الظالم اكثر و
المقتصد كثير والسابق قليل وقيل الظالم هو الكافر والضمير عائد الى العباد وذلك
هو الفضل الكبير اشارة الى الايراث او الاصطفاء جنات عدن يدخلونها مبتدأ
وخبر والضمير للفرق الثلث بدل عن الفضل الكبير يحلون فيها خبر آخر او حال مقدرة
من اساور من ذهب من الاولى تبعيضية والثانية للبيان ولؤلؤا عطف على اساور
في قراءة نافع وعاصم بالنصب وعلى لفظ ذهب في قراءة غيرهم والمعنى من ذهب مرصع
باللؤلؤ او من ذهب في صفاء اللؤلؤ ولباسهم فيها حرير على الدوام يحلون في
الاسورة وربما تنزع كما هو المتعارف في الدنيا وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن
جنسه او كل فرد منه مما يشفق منه في الدنيا والاخرة وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في القبور ولا في النشور وكاني بهم
ينفضون التراب ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور لكثير الغفران

شكور للبسير الذي احلنا دار المقامة من فضله اذ لا يستحق العبد على مولاه اجر العمل
لا يمسنا فيها نصب مشقة اذ لا تكليف هنالك ولا اثم ولا طلب رزق واذا لم يوجد
المس تكيف بما فوقه ولا يمسنا فيها لغوب فتور يعترى الانسان من النصب وانما نفيا
صريحا مبالغة والذين كفروا لهم نار جهنم يختص بهم لا يقضى عليهم بالموت
فيموتوا ثانيا ويستريحوا نصب باضمار ان ولا يخفف عنهم من عذابها طرفة عين
كما او كعا كذلك نجزي كل كفور مبالغ في الكفر او في الكفران وقراء ابو عمرو ويجزى
بالياء على بناء المفعول والنون اشد تهويلا وهم يصطرخون فيها يتصارخون
من الصراخ وهو الصياح بشدة استعمل في الاستغاثة لان المستغيث يجهد في
الصياح ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل اذ كان فحسبانهم انهم على عمل
صالح قال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا او المراد التحسير على ما فاتهم من العمل الصالح
فالوصف على الاول مميز وعلى الثاني مؤكد اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر
جواب منه تعالى على وجه التوبيخ والاقناط وجاءكم النذير وهو النبي الصادق لقوله
وان من امة الا خلا فيها نذير احتجاجا عليهم بالعمر القابل للعمل مع الرسول المرشد
للرشد وقيل الشيب والعقل وموت الاقارب فذوقوا فما للظالمين اى لكم و
الاظهار للاشارة الى العلة من نصير يدفع عنهم العذاب ان الله عالم غيب السموات
والارض لا يخفى عليه شئ وقد علم انهم اهل الطبع وانهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه انه عليم
بذات الصدور وهي الضماير التي لم تبرز واذا علمها فعلمه بغيرها اولى هو الذي
جعلكم خلائف في الارض جمع خليفة وهو الذي استخلف على الشئ والقى اليه مقاليد
التصرف فيه وفيه تقرير لقوله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر فمن كفر فعليه
كفره اى جزاؤه ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا لانهم كلما ازدادوا
جرما بالاصرار ازدادوا بعدا وعكس ذلك المؤمن ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
خير الناس من طال عمره وحسن عمله والمقت اشد البغض ولا يزيد الكافرين كفرهم
الا خسارا في الاخرة لازدياد العذاب بازدياد الاثام والتكرير لافادة ان استقلال
الكفر باقتضاء كل من الامرين قل ارأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اخبروني
عن حالها هل يستحق الشركة واضافها اليهم لانهم المثبتون لها اروني ماذا خلقوا
من الارض اى جزء من اجزائها بدل الاشتمال من ارأيتم ام لهم شرك في السموات بان
شاركوه في خلقها فيشاركونه في الالوهية ام آتيناهم كتابا ينطق بذلك فهم
على بينة منه على حجة واضحة والكلام على الترقي في اثبات الشركة لان الاستقلال
بخلق شئ من الارض شركة تما والاشتراك معه في خلق السموات ادل ثم ان انزال الكتاب
بانهم شركاؤه ادل وادل ويجوز ان يكون على التدرج من الاستقلال الى الشركة ثم الى
حجة مكتوبة بها وان يكون الضمير في اتيناهم للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا

سلطانا وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر بينات بصيغة الجمع وفيه ايماء الى ان الشرك
امر خطير لا بد له من دلائل والافراد ابلغ لان الكلام مسبوق للتبكيت وانه ليس
في ذلك شبهة فضلا عن دليل وعليه الرسم بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا
الا غرورا اضراب عن تلك الاقسام الى ما هو الواقع وهو قول الرؤساء للاتباع
هؤلاء شفعاؤنا عند الله ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا كراهة
زوالها قيل وانه لما بين عجز الشركاء عن خلق ذات في العالم العلوي والسفلي
اتبعه بما يدل على كمال قدرته وفيه دلالة على ان الممكن حال بقائه يحتاج الى المبقى
ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده من بعد الزوال ومن بعد الله من الاولى
زائدة والثانية ابتدائية انه كان حليما لا يعاجلها بالعقوبة وفيه ايماء الى ان دعوى
الشريك له مما تزيل هذه الاجرام عن مقارها لولا حلمه كقوله تكاد السموات
يتفطرن منه غفورا لمن تاب على الشرك ما قد سلف واقسموا بالله جهد ايمانهم
لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم هذه كانت مقالة مشركي العرب
قبل بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قبحوا في الامم المكذبة من اليهود و
النصارى وغيرهم فكذبهم الله في تلك المقالة ومعنى احدى الامم افضلها كقولهم
زيد واحد القوم وقول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها او بعض الامم من غير
تعيين فلما جاءهم نذير محمد ما زادهم شيئا الا نفورا بعدا عن الحق استكبارا
في الارض مفعول له او بدل من نفورا ومكر السيئ برسول الله ومن آمن به
عطف على استكبارا او على نفورا واصله وان مكروا السيئ اى المكر السيئ ثم
حذف الموصوف استغناء بوصفه ثم بدل ان مع الفعل بالمصدر ثم اضيف وقرأ
حمزة ومكر السيئ اولا باسكان الهمزة اجراء للوصل مجرى الوقف ولا يحيق المكر السيئ
الا باهله اى لا يحيط وكذا كان يوم بدر ومن امثالهم من حفر لاخيه قليبا وقع
فيه قريبا ومن حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا فهل ينظرون ينتظرون الا
سنة الاولين من الامم المكذبة وان ينزل بهم مثل ما نزل باولئك فلن تجد
لسنة الله تبديلا تغيرا بان يجعل مكان العقاب ثوابا ولن تجد لسنة الله
تحويلا بان ينقل عقاب العاصي الى المطيع اولم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم اى قد ساروا وشاهدوا في اسفارهم الى العراق
والشام واليمن آثار تلك الامم ولا يبقى اعلى واجلى من المشاهدة فكان ينبغي
ان يعتبروا او يعملوا ضد فعالهم وكانوا اشد منهم قوة عددا واجسادا و
اموالا وما كان الله ليعجزه من شئ ليسبقه ويفوته في السموات ولا في الارض انه
كان عليما قديرا بالغ العلم تام الاقتدار اشارة الى ان امهالهم بعد الاصرار مع كمال الاقتدار
لما في علمه الشامل من الحكم ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا من المعاصي ما ترك

على ظهرها اي على ظهر الارض من دابة ما يدب على الارض من سائر الحيوانات بشؤم
المعاصي وقيل الدابة الانسان وعن انس بن مالك ان الضب ليموت في جحره هزلا
لا يذنب بني آدم وفي رواية ان الحبارى ليموت ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى آخر
اعمارهم او يوم القيامة فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا فيجازيهم
على حسب اعمالهم تمت السورة والحمد لله حق حمده والصلوة على رسوله وعبده وآله و
صحبه الذين فازوا بشكره وحمده سورة يس مكية وآيها ثلث وثمانون آية
بسم الله الرحمن الرحيم يس اسم السورة او حروف مقطعة كما تقدم وعن ابن عباس
معناه يا انسان بلغة طي ووجهه الاقتصار على شطر الكلمة لكثرة الاستعمال بعد
ان صغر على انيسين وعن ابن جني حروف معجمة وقائم مقام انسان كما نقل عن ابن عباس
الم معناه انا الله اعلم ونحوه وحمزة والكسائي وابو بكر يا وادغم النون في الواو
ابن عامر وابو بكر والكسائي وورش والقرآن الحكيم ذي الحكمة على معنى النسبة كلابن
وناطق بالحكمة استعارة مكنية او وصف بوصف صاحبه مجاز حكمي انك لمن
المرسلين على صراط مستقيم خبر ثان او حال من المستكن في الجار والمجرور وهو
التوحيد ودين الاسلام والمرسل وان كان من لوازمه انه يكون على صراط مستقيم
الا ان الغرض وصفه ووصف ما جاء به صريحا وتنكير الصراط للتعظيم منهاجه
على طريق سائر الرسل لكونه حنيفية سمحاء تنزيل العزيز الرحيم خبر مبتدأ محذوف
وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالنصب على المصدر المقدر او على المدح
وهذا ابلغ واوفق لرواية حمزة لتنذر قوما متعلق بتنزيل او بمعنى لمن المرسلين
ما انذر آباؤهم اي الادنون كقوله وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير فلا ينافي
قوله وان من امة الا خلا فيها نذير او ما موصولة اي لتنذرهم الذي انذر به
آباؤهم او مصدرية اي انذار آبائهم فهم غافلون متعلق بالنفي على الاول
بمعنى ان سبب غفلتهم عدم انذار آبائهم وبقوله انك لمن المرسلين لتنذر على الثاني
بمعنى الباعث كقولك اسقه ماء فانه عطشان لقد حق القول على اكثرهم بانهم يموتون
على الكفر بقوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقوله خلقت هؤلاء للنار
ولا ابالي فهم لا يؤمنون بعد ذلك القول وفيه تسلية لرسول الله انا جعلنا
في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان اي واصلة اليها والغل قد يجمع به الايدي الى
العنق ولذلك يقال له الجامعة ويكون ملتقى طرفيه تحت العنق فيه عمود يمنع المغلول
من ان يطأطئ رأسه ويوطئ قذاله فهم مقمحون من قمح البعير رفع رأسه اي يركب
الاغلال رؤسهم مرتفعة من الضيق وهو مثل ضربه الله لمنع التوفيق وبيان حالهم من
التصميم على الكفر والاعراض وعدم التأمل في آيات الله استكبارا بالمغلول الذي لا
يقدر على النظر خلفه ولا قدامه ثم قرر ذلك واكده بقوله وجعلنا من بين ايديهم

سدا ومن خلفهم سدا حاجزا قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بفتح السين والباقون
بالضم وعن ابي عبيدة الضم لفعل الخالق والفتح لفعل المخلوق ويتقاربان فاغشيناهم
فهم لا يبصرون شيئا اما الآفاق فلان السد قد احاط بها واما السدين فلان
الشيء اذا قرب غايته لا يمكن رؤيته وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون
لانهم اهل الطبع انما تنذر من اتبع الذكر اي الانذار الذي يترتب عليه الغرض لان مطلق
الانذار لهم ولغيرهم والذكر القرآن او اعم وخشي الرحمن بالغيب حال كونه
ملتبسا بالغيب لاخبارك او بقلبه الذي هو غائب عن الخلق وفي ذكر الرحمن مع
الخشية اشارة الى ان يغتر برحمانيته فانه شديد العقاب فبشره بمغفرة واجر
كريم لا من فيه ولا تعب انا نحن نحيي الموتى نبعثهم للجزاء وعدا ووعيدا وعن
الحسن نخرجهم من الشرك الى الايمان ونكتب ما قدموا من الاعمال الصالحة و
الطالحة قال حكيم بن حزام يا رسول الله ارأيت اشياء كنت اتحنث بها في الجاهلية
فقال اسلمت على ما اسلفت وآثارهم الباقية بعدهم من علم علموه وولد صالح
زكوه وسنة حسنة سنوها واضدادها من السيئات وقيل الآثار هي الخطى الى
المسجد لما روي جابر ان بني سلمة ارادوا الانتقال الى قرب مسجد رسول الله فقال
يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم دياركم تكتب آثاركم وكل شيء احصيناه في امام
مبين في اللوح المحفوظ واضرب لهم مثلا لنفسك وهو من قولهم عندي من هذا
الضرب كذا اي اذكر لقولك قصة عجيبة اصحاب القرية اي قصة اصحاب القرية
وهي انطاكية اذ جاءها المرسلون بدل اشتمال من اصحاب القرية اذ ارسلنا اليهم
اثنين هما يحيى وبولس وعن ابن اسحاق تاروص وماروص وعن مقاتل تومان
وماكوص واسناد الارسال اليه لانه فعل رسوله المرسل باذنه فكذبوهما فعززنا
بثالث هو شمعون اي قويناهما من عزز المطر الارض لبدها وقرأ ابو بكر
مخففا من عز غلب والتشديد ابلغ وانما حذف المفعول لان الغرض ذكر المعزز به
فقالوا انا اليكم مرسلون وذلك ان اهل انطاكية كانوا عبدة الاصنام فارسل
اليهم عيسى اثنين يدعوهم الى عبادة الله فلما قربا المدينة رأيا حبيبا النجار يرعى
غنما له فاخبراه فقال هل معكما آية فقالا نعم نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص
وكان له ابن مريض فمسحاه فشفي ثم شفي على يديهما خلق كثير ونما خبرهما الى الملك
فدعاهما وسألهما فاخبراه الخبر فامر بحبسهما ثم ارسل عيسى شمعون فدخل متنكرا
وصاحب حاشية الملك حتى انس به ونال مكانة عنده وكان يدخل معه بيت الا
الاصنام ويتذلل لها فقال يوما للملك سمعت انك حبست رجلين فقال نعم قال
هل سمعت مقالتهما قال لا قال لو سمعت فارسل فدعاهما فاخبراه الخبر فقال ما
آيتكما فقالا ما تتمنا فدعى بغلام مطموس العينين فدعوا الله فتنوله بصرا فاخذا

بدفتين فوضعا موضع العينين فصارتا مقلتين فقال له شمعون ايها الملك لو سألت آلهتك حتى تفعل مثل هذا لكان شرفا لك فقال ليس لي عنك ستر ان آلهتنا لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع ثم قال الملك ان قدر الهكم على احياء ميت آمنا به فدعيا بغلام مات منذ سبعة ايام فدعوا فقام وقال اني دخلت سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه وقال اني نظرت الى السماء ففتحت ابوابها فرأيت شابا حسنا يشفع لهؤلاء الثلثة فلما رأى شمعون ان القول قد اثر فيه دعاه الى الله فآمن و آمن معه جمع وصاح جبرئيل على من لم يؤمن فهلكوا قالوا ما انتم الا بشر مثلنا لا مزية لكم زعما ان البشر لا يكون رسولا وما انزل الرحمن من شيء من الوحي لا عليكم ولا على غيركم ان انتم الا تكذبون تصريح بما علم ضمنا قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون اكدوا الكلام بان واللام وما يجري مجرى القسم لما قوي الانكار منهم وما علينا الا البلاغ المبين الواضح المؤيد بالمعجزات قالوا انا تطيرنا بكم تشأمنا بكم اي بما سمعنا منكم نخاف ان تسخط علينا آلهتنا وقيل حبس عنهم المطر لئن لم تنتهوا لنرجمنكم بالحجارة او بالشتم وليمسنكم منا عذاب اليم مؤلم قالوا طائركم معكم شؤمكم دائر معكم بسبب كفركم ائن ذكرتم جواب الشرط محذوف اي تطيرتم انكروا ان يكون التذكير الذي هو سبب السعادات كلها جالبا للشوم بل انتم قوم مسرفون دابكم الاسراف في العصيان وذلك اجلب شيء للشوم او اضراب عن مجموع الكلام اي انتم قوم مسرفون في الضلال ولذلك جعلتم سبب السعادة من اسباب الشوم والشقاء وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى هو حبيب النجار وكان في غار يعبد الله فلما بلغه ان القوم عزموا على قتل الرسل سعى اليهم وباح باسلامه ليشتغلوا به عن الرسل قال يا قوم اتبعوا المرسلين اضاف القوم الى نفسه واطلق الرسل اظهارا للنصح اتبعوا من لا يسألكم اجرا بدل من الاول واوفى بالمقصود وهم مهتدون الى البغيه فلا خسار لكم في الدنيا ولا في الآخرة وما لي لا اعبد الذي فطرني اي ما لكم لا تعبدون بدليل قوله واليه ترجعون وانما اسند الى نفسه ابرازا له في معرض المناصحة وانه لا يريد لهم الا ما يريد لنفسه أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا اي كيف افعل وكيف يترك عاقل عبادة من بيده ملكوت كل شيء الى عبادة من لا يغني في الدارين شيئا ولا ينقذون بالنصر والمغالبة اني اذا لفي ضلال مبين واضح لا يخفى على احد اني آمنت بربكم فاسمعون اي اسمعوا قولي واطيعوا فقد ارشدكم بما لا مزيد عليه وقيل لما ارادوا قتله خاطب الرسل اي اسمعوا كلامي واشهدوا لي عند الله قيل ادخل الجنة استيناف كانه قيل ما ذا كان جزاؤه بعد ذلك التصلب والتسخي بنفسه في نصرة دينه فقيل قيل له ادخل الجنة و انما حذف له لان الغرض بيان عظم المقول لا المقول له وكونه معلوما قال يا ليت قومي

يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ليكون ذلك باعثا لهم الى اكتساب الايمان وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نصح قومه حيا وميتا وفيه تنبيه للعالم ان لا يشتغل بالشماتة باعدائه الجهلة ويتلطف معهم لعل ان ينقذ وابى الا يرى لهذا العبد كيف تمنى الخير لقتلته الساعين لدمه وقيل تمنى ان يعلموا انهم على خطاء وانه كان على الحق وقد فاز ليكون ذلك زيادة في سروره والاولى اوجه للحديث المرفوع وللتنبيه المذكور وما مصدرية او استفهامية او موصوله وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء لاهلاكهم والانتقام منهم بل كانوا احقر من ذلك اذ كفى ذلك صيحة جبرائيل بهم وما كنا منزلين وما اقتضت حكمتنا ذلك وفيه اشارة الى ان انزال الخمسة آلاف من الملائكة مسومين او المردفين انما كان اجلالا لقدرك واعظاما لرتبتك التي لم يؤمل لها احد من اولي العزم فضلا عن حبيب النجار الا ترى كيف رفع جبرائيل مداين لوط بريشة من جناحه ان كانت الا صيحة واحدة اي ما كانت الاخذة الا صيحة واحدة من جبرائيل وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه زقية واحدة من زقاء الطير يزقو اذا صاح فاذا هم خامدون كما يخمد النار استعارة تبعية اي ميتون يا حسرة على العباد اي المشركين كانه قال الله تعالى فان هذا اوانك وهو ما دل عليه ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن فان من استهزاء بناصح دال على الخير الذي يحقق بان يتلهف عليه او الملئكة والمؤمنون يتحسرون عليهم كما تمنى حبيب ايمان قومه بعد موته او يتحسر من الله تعالى على عظم ما جنوا على انفسهم كالتعجب والضحك على سبيل الاستعارة الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون اي قد علموا ذلك فما لهم لا يعتبرون والفعل قد علق عن العمل في كم لان الخبرية اصلها الاستفهام انهم اليهم لا يرجعون بدل من كم اهلكنا معنى اي الم يروا كثرة اهلاكهم غير راجعين وان كل لما جميع لدينا محضرون ان مخففة واللام هي الفارقة وما مزيدة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما مشددا بمعنى الا وان نافية وانما جمع بين كل وجميع لافادة كل معنى الاحاطة وجميع الاجتماع كقوله ذلك يوم مجموع له الناس لانه فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له او لمحضرون وآية لهم الارض الميتة قرأ نافع مشددا احييناها استيناف لبيان كونها آية او صفة الارض اذ لم يرد بها معينة او خبر الارض والجملة خبر آية واخرجنا منها حبا جنسه الشامل لانواع شتى فمنه يأكلون قدم الصلة للدلالة على ان الحب اعظم واعم معاشهم وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب لم يذكر التمر مع الحب والاعناب لاختصاص شجره بمزيد النفع وكثرة المنافع وفي الحديث انه مثل المسلم وفجرنا فيها من العيون صفة محذوفة اي شيئا من العيون او من زائدة كما قاله الاخفش ليأكلوا من ثمره اي ثمر المذكور او ثمر النخيل ويعلم حال الاعناب منه او الاصل من ثمرنا فالتفت الى الغيبة اشا

الى انحطاط الثمر من الحب وقرأ حمزة والكسائى ثمره بضمتين لغة فيه او جمع ثمار وما عملته ايديهم ما موصولة او موصوفة اى من ما عملته ايديهم وهو ما فيه صنع وهو ما يتخذ من الثمار كالدبس واشباهه او نافية اى ليس ذلك الثمر بكسبهم وان غرسوا وسقوا بل هو خلق الله كقوله أأنتم تخلقونه ام نحن الخالقون وهذا اشبه لكونه آية وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر بحذف الهاء لجواز حذف المفعول عائدا كان او غير عائد وليس فيه تأييد للوجه الاول لان حذف العائد الى الموصول والموصوف انما يكون احسن اذا لم يعارضه قوة المعنى ومناسبة المقام افلا يشكرون ابلغ من الامر لانه انكار على الترك سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم نزه ذاته عن الشريك لتفرده بخلق ما فى الآفاق والانفس من الانواع والاصناف ومما لا يعلمون ماهياتها وخواصها مفصلة وانما اعلمهم بها بجملة للدلالة على كمال القدرة روى ان موسى سأل ربنا تعالى انك لما قلت للسموات والارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين لو قالتا ابينا ما كان عقابهما قال كنت آمر دابة تبلعهما قال يا رب واين تكون تلك الدابة قال فى مرج من المروج قال يا رب واين يكون ذلك المرج قال فى غامض علمى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار نزيله ونكشطه عن مكانه ومبلغ ظلمته والكلام فى الاعراب ما سبق فى وآية لهم الارض الميتة فاذا هم مظلمون داخلون فى الظلام والشمس تجرى لمستقر لها لمكان استقرارها من فلكها وهو ما ينتهى اليه فى آخر السنة شبه بمستقر المسافر او منتهى المشارق والمغارب وهو اقصى ما ينتهى اليه منها ثم ترجع او لحد من مسيرها كل يوم وهو المغرب او الوقت الذى ينقطع فيه جريها عند خراب العالم ويؤيد هذا ما روى ابو ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشمس اذا غربت تذهب فتسجد تحت العرش فيقال لها اذهبى فاطلعى حيث كنت تطلعين ويوشك ان تستأذن فلا يؤذن لها ويقال ارجعى حيث جئت فتطلع من مغربها ذلك الجرى على هذا المنوال تقدير العزيز الغالب القاهر العليم الكامل العلم بالاشياء ودقائق احوالها التى يدهش منها الفطن والقمر قدرناه منازل ذا منازل وسير فى منازل نصب باضمار المفسر وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بالرفع على الابتداء وما بعده خبر والعطف على السابقة وهو المختار للتقوى والسلامة عن التقدير ويجوز انتظامه فى سلك الآيات كانه قيل ومن آياته الليل ومن آياته الشمس ومن آياته القمر وهى ثمانية وعشرون موزعة على اثنى عشر برجا ثم يستتر الى ان يهل حتى عاد كالعرجون القديم العرجون فعلون من الانعراج وهو الانعطاف وهو ما عليه حبات الرطب بمثابة العنقود من العنب والقديم ما تقادم عهده لانه يدق وينصفر وينحنى فتشبه به من ثلاثة اوجه لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر فى سلطانه وتطمس ما انيط به من العوائد ولا الليل سابق النهار اى آية اذا الكلام

ان الكلام فيهما يدل عليه السابق واللاحق وانما اوثر لفظ الكناية ليدرج فيه الاشارة الى اختلاف الليل والنهار ايضا ولما ذكر فى الشمس الادراك الدال على انها طالبة للحاق اردفه بلا ينبغى اى لا يصح ذلك لها ولما نفى السبق فى القمر لانه اسرع سيرا اكده بالجملة الاسمية فلم يبق لذكر الانبغاء وجه وكل فى فلك اى كل واحد والتنوين عوض يسبحون يسيرون سريعا من سبح الفرس اذا جرى او من السباحة فى الماء وهذا صريح فى ان الحركة للكوكب خلاف ما عليه اهل النجوم وآية لهم انا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون المملوء من شحن السفينة اذا وقرها وهى سفينة نوح عليه السلام وانما ذكر ذريتهم دون انفسهم لانه ابلغ فى الامتنان او اريد سائر السفن والذرية اولادهم ونساؤهم فان الذرية تطلق عليها اطلاق النساء على المطر وقرأ نافع وابن عامر ذرياتهم بالجمع وخلقنا لهم من مثله ما يركبون اى من مثل سفينة نوح او من الابل فانها سفائن البر وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم فلا مغيث لهم مصدر فى الاصل كالصراخ ولا هم ينقذون ينجون من الموت لشىء الا رحمة منا الا لرحمة ومتاعا وتمتيع بالحيوة او لكن رحمة وتمتيعا الى حين الى وقت آجالهم التى لا بد لهم منها واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم ما تقدم وما تأخر من الذنوب او نوائب السماء والارض او عذاب الدنيا والآخرة او ما تقدم من عقابات الله للامم المكذبة ان ينزل بكم مثلها وما تأخر من عذاب الآخرة لعلكم ترحمون لتكونوا راجين رحمة الله وجواب اذا محذوف دل عليه قوله وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين اى دأبهم الاعراض عند مجىء كل آية واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله هم الدهرية قال الذين كفروا اى الذين قيل لهم للذين آمنوا اى فى شأنهم انطعم من لو يشاء الله اطعمه تهكما بالمؤمنين القائلين بانه متصف بالمشيئة والاقتدار ولما كان مدار الايمان على تعظيم الله والشفقة على خلقه نفى عنهم الوصفين فى الآيتين ان انتم الا فى ضلال مبين من كلام الكفار او جواب المؤمنين او قول الله تهديدا لهم ويقولون متى هذا الوعد هو الذى اشير اليه بقوله وما خلفكم اى عذاب يوم القيمة ان كنتم صادقين فى دعويكم ما ينظرون الا صيحة واحدة هى نفخة الفزع الاولى تأخذهم وهم يخصمون اى تأخذهم وهم غافلون مشتغلون بالخصومات فى متاجرهم ومعاملاتهم او تأخذهم وهم يخصمون المؤمنين مدلين بحجتهم الفاسدة على ان لا بعث وقرأ ابن كثير وورش عن نافع وهشام عن ابن عامر بفتح الخاء وتشديد الصاد على ان اصله يختصمون فادغمت التاء فى الصاد للتقارب وابو عمرو وقالون كذلك الا انهما اختلسا الفتحة لكونه اخف وكافيا فى تحريك الساكن وقرأ عاصم والكسائى وابن ذكوان عن ابن عامر بكسر الخاء وتشديد الصاد تحريكا للساكن بالكسر الذى هو الاصل فيه وحمزة باسكان الخاء وتخفيف الصاد فلا يستطيعون توصية فى امر من امورهم ولا الى اهلهم يرجعون

بل يموتون حيث اخذتهم وقيل يحيط بهم النار وتسوقهم احياء الى المحشر ثم يميتهم حيث
باتوا كما جاءت به الاحاديث ونفخ في الصور نفخة البعث فاذا هم من الاجداث جمع
جدث وهو القبر الى ربهم ينسلون يسرعون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا موضع
نومنا لما شاهدوا اهوال القيمة عدوا عذاب القبر راحة وعن مجاهد والحسن وقتادة
يرفع الله عنهم العذاب بين النفختين فيهجعون هجعة هذا ما وعد الرحمن وصدق
المرسلون مبتداء وخبر وهذا صفة مرقدنا وما وعد الرحمن مبتداء وخبر محذوف
اى ما وعد الرحمن وصدق فيه المرسلون حق او وقع او خبر محذوف وما موصولة
او مصدرية وهو من كلام الكفار اقرارا بما كذبوا به من قبل او كلام الملئكة والمؤمنين
او كلام الفريقين معا والسؤال وان كان عن الباعث الا انهم عدلوا عن السنن انتظام
محطه لهم حيث حسبوه بعث النائم كانهم قالوا الباعث معلوم وليس ذلك البعث
الذى تظنونه بل هو بعث آخر ذو الاهوال والافزاع الذى جاءت به الرسل والكتب
ان كانت الا صيحة واحدة هى النفخة الاخيرة فاذا هم جميع لدينا محضرون
بمجرد تلك الصيحة فهو من لامر الساعة وانها لا تحتاج الى اسباب فاليوم لا تظلم نفس شيئا
ولا تجزون الا ما كنتم تعملون تصوير لذلك الموعود في صورة الموعود الحاضر تمكينا لها
في النفس وترغيبا لذلك للسامعين وليطمئنوا بهم وكذلك قوله ان اصحاب الجنة اليوم في
شغل فاكهون الفاكه والفكه المتنعم ومنه الفاكهة وهى حديث ذوى الانس و
العشرة والتنكير في شغل للتعظيم اى في اى شغل عن ابن عباس رضى الله عنه هو افتضاض
الابكار وضرب الاوتار وعن ابن كيسان التزاور وعن الحسن عن اهل النار وعذابهم
وقيل في ضيافة الله تعالى وروى ابن ماجه باسناده الى اسامة بن زيد ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال الا مشمر الى الجنة ورب الكعبة نور كلها يتلألأ لا
دار سلام وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وزوجة جميلة وحلل كثيرة قالوا
يا رسول الله نحن مشمرون قال قولوا ان شاء الله وقرأ الكوفيون وابن عامر بضم
الغين هم وازواجهم في ظلال جمع ظل كقوله وظلالهم وقرأ حمزة والكسائى
في ظلل جمع ظلة وهو الساتر العالى كقوله في ظلل من الغمام على الارائك متكئون على
السرر وهى حجال جلوس اهل الدعة والفراغ هم مبتداء وازواجهم عطف عليه وفي
ظلال خبرهما كقولك زيد وعمرو منطلقان وعلى الارائك جملة مستأنفة او خبر ثان
لهم فيها فاكهة ما يتفكهون به ويتلذذون لان الاكل هناك ليس لدفع الجوع ولهم
ما يدعون لانفسهم من اللذة كقولك اكتال واتزن اذا كال ووزن لنفسه والمعنى
لهم كل ما يطلبه احد لنفسه لان هناك طلبا او لهم الطلب والاجابة فان الاجابة من
الملك المفضل بعد الطلب توجب لذة سنية او يدعون بمعنى يتداعون كقولك ارتموا
بمعنى تراموا والمعنى كل ما يصح ان يطلب احد من صاحبه فهو حاصل لهم او الدعاء بمعنى التمنى

بمعنى التمنى اى لهم ما يتمنون وما موصولة او موصوفة سلام بدل منها او انه موصوف
بقوله من رب رحيم اى سلام يقال لهم قولا من رب رحيم او ما يدعون مبتدا وخبره
سلام اى لهم ما يدعون سلام خالص لا شوب فيه او صفة لما بعد صفة وقولا مصدر
مؤكدا ونصب على المدح وهو احسن الوجوه والمعنى يسلم الله عليهم بواسطة الملئكة
او بلا واسطة مبالغة في اكرامهم ولذلك اثر من الثناء الرب الرحيم وامتازوا اليوم
ايها المجرمون عطف قصة المجرمين على قصة المؤمنين كقولك زيد يعاقب بالقيد و
الارهاق وبشر يا فلان عمرا بالعفو والاطلاق والانشاء في معنى الخبر كقوله
ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون واوثر صورة الطلب لانه ابلغ في التهويل
كقوله اصلوها وعن معناه اعتزلوا عن كل خير ومن الفتحاك لكل كافر بيت ينفرد
به لقوله في عمد ممددة والقولان في ايثار الطلب كما تقدم الم اعهد اليكم يا بنى
آدم ان لا تعبدوا الشيطان من جملة ما يقال لهم في ذلك اليوم توبيخا لهم وقطعا
للمعذرة والعهد التوصية والمراد به ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية و
عبادة الشيطان الاغترار بوساوسه او عبادة غيره وجعلها عبادة الشيطان
لانه الآمر بها والمزين انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة تعليل للنهى وان
اعبدونى هذا صراط مستقيم اشارة الى عبادته او الى العهد والتنوين للتعظيم
ويجوز التبعيض اى لو كان بعض الطرق المستقيمة لكفى ذلك في انتهاجه فكيف و
هو الحق الذى ليس بعده الا الضلال ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون
فتحذرونه قرأ نافع وعاصم بكسر الجيم والباء وتشديد اللام جمع جبلة كقوله
والجبلة الاولين بمعنى الخليقة وابن كثير وحمزة والكسائى بضمتيها والتخفيف جمع جبل
بمعنى مجبول كسبيل وسبل وابو عمرو وابن عامر بالضم والاسكان مخفف جبلا
هذه جهنم التى كنتم توعدون على لسان الرسول يقال لهم اذا برزت الجحيم للغاوين
اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ذوقوا حرها بكفركم في الدنيا اليوم نختم على
افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون عن انس بن مالك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول العبد يا رب انى لا اجيز على الا شاهدا من
نفسى فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقى فتشهد
عليه بما عملت فيقول سحقا لكن فعنكن كنت اناضل وقيل الكلام والشهادة
بظهور آثار المعاصى على الاعضاء مستغنى عنه ولو نشاء لطمسنا على اعينهم
مسحنا عليها ومحونا آثارها فاستبقوا الصراط اى الى الصراط بحذف الجار و
ايصال الفعل او ضمن الاستباق معنى الابتدار او نصب على الظرف اى استبقوا في
الطريق او مفعول به اعجاوزه من قولهم استبق الصراط خلفه اى لو نشينا اعميناهم
ولو ارادوا سلوك طريق عز الذى الفوه ما قدروا عليه كما ترى العميان لا يقدرون

الا على سلوك الطريق المألوف دون غيرها فأنى يبصرون كيف يبصرون بعد ذلك والغرض ان الله تعالى سلب بصائرهم فضلوا طريق الآخرة ولو شاء سلب ابصارهم فلم يقدروا على الاهتداء الى مقاصدهم لكن لم يفعل ذلك لاقتضاء الحكمة امهالهم ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم المسخ تحويل الصورة الى ما هو اقبح منها والمكان والمكانة بمعنى كالمقام والمقامة والمعنى لو تعلقت ارادتنا لجعلناهم جمادا في مكانهم وعن ابن عباس جعلناهم قردة وخنازير وعن قتادة جعلناهم زمنى والاول اشد وعيدا واوفق بقوله فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون ولا رجوعا اثار المضارع للدلالة على الاستمرار وليوافق الفواصل ومن نعمره ننكسه في الخلق اى من نطل عمره نقلبه ونرده من قوة الشباب ونضارته الى الضعف الهرم وانتقاص القوى وانعدام الادراك وهو ارذل العمر وقرأ عاصم وحمزة ننكسه مضارع التنكيس اشارة الى كثرة المراتب من الصبا الى الشباب الى الكهولة الى الشيخوخة الى الهرم أفلا يعقلون ان من قدر على انشاء هذه الاطوار قدر على الطمس والمسخ ولذلك عطف عليه عطف العلة على المعلول وما علمناه الشعر رد لقولهم شاعر قال قتادة القائل عقبة بن ابي معيط قاله عنادا وانى يلتبس بالشعر كلام مشتمل على تخصيص امر المبداء والمعاد واخبار القرون الخالية المتضمن للمنافع الدينية والدنياوية وعلى اسلوب يفحم كل منطيق وما ينبغي له وما يليق به ان يكون في طبعه وسجيته ان يكون شاعرا ليكون ابعد من تخايل الشبه لكونه اميا الى قوله وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون وما صدر منه من الكلام الموزون انما وقع اتفاقا فاتحسب السليقة كما وقع مثله في القرآن من سائر الانحاء وشرط الشعر ان يكون موزونا مقفى بالقصد وما روى عنه من ذم الشعر ومدحه محمول على ما يتعلق به من الغرض كهجاء المشركين ومدح الله ورسوله والتغزل بالحسان والاكاذيب ان هو الا ذكر وقرآن مبين واضح الاعجاز والعطف باعتبار الصفات ذكر لما فيه من الموعظة والارشاد وقرآن يتعبد بلفظه يتلى في الصلوات وغيرها ويعمل بما فيه من الاحكام النظرية والعملية لينذر من كان حيا عاقلا ساعيا في امر الآخرة اذ الغافل المعرض كالميت ويحق القول على الكافرين اى كلمة العذاب وقرأ نافع وابن عامر لتنذر بالخطاب التفاتا وهو لحسن اذ هو المنذر حقيقة ولا التفاتهم في اول السورة ففي الخاتمة عود الى الفاتحة ثم الانتقال من حديث المعاد الى كون الرسول او القرآن منذرا الايرى احسن مخلصها منه أولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا اى قد علموا ذلك توبيخ لهم على الاشراك بعد العلم بذلك وذكر الايدي على طريقة التمثيل وزيادة التصوير وفي ايثار المنى اشارة الى كمال الاقتدار انعاما خصها بالذكر لكثرة وجودها عندهم وهي برأيهم على الدوام يخطر في التهاب

وظرف في التهاب الابرى الى قوله ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ولما فيها من بدائع الفطرة وكثرة المنافع التي فصل بعضها بقوله فهم لها مالكون لا يزاحمهم فيها احد ولهم في ذلك غرور وسرور ومتمكنون من ضبطها بتسخيرنا كقوله اصبحت لا احمل السلاح ولا املك رأس البعير ان نفرا ويؤيد الاول قوله وذللناها لهم انعاما للنعمة اذ لو كانت مملوكة وهي نادة لم تتم النعمة فمنها ركوبهم مركوبهم كقوله وتحمل اثقالكم ومنها يأكلون ما يؤكل منها تفريع على كونها مذللة ولهم فيها منافع اخر من جلودها واصوافها واوبارها واشعارها ومشارب وما يشرب من اللبن وما يتخذ منه ويجوز ان يكون اسم مكان وهو ما يتخذ من جلودها من الزوايا والقرب والمزاود أفلا يشكرون واتخذوا من دون الله آلهة لم يرضوا بان يشكروا على تلك النعم حتى اشركوا في الوهيته جمادات لعلهم ينصرون رجاء ان ينصروا لا يستطيعون نصرهم الذي كانوا يتوقعونه وهم لهم جند محضرون والمشركون جند لالهتهم يخدمونهم ويذبون عنهم كقولهم حرقوه وانصروا آلهتكم وهذا كمال السفاهة او الآلهة جند واتباع محضرون يوم القيمة ليكونوا وقود النار عليهم فلا يحزنك قولهم في الله ما تنزه عنه جناب قدسه وقرأ نافع بضم الياء من احزنه انا نعلم ما يسرون من العقائد وما يعلنون من الافعال والاقوال فنجازيهم على ذلك أولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ظاهر الخصومة وضرب لنا مثلا امرا عجيبا بان شبهنا بالمخلوق وحيث سلب القدرة عنا على الاعادة ونسي خلقه من تلك النطفة القذرة التي لم يكن حل فيها حياة قط فضلا عن ان يكون انسانا مكرما في احسن تقويم فاهما ناطقا قال من يحيي العظام وهي رميم القائل ابي بن خلف او عاص بن وائل كان جمع من قريش جلوسا قال احدهما ان محمدا يزعم ان الله يبعث الموتى فاخذ عظما باليا وقال لاجدن اليه والرميم بمعنى الرمة والرفات اسم لما بلي من العظام وليس تفعيل حتى يسئل لو لم يؤنث وبه استدل الشافعي على نجاسة عظم الميتة لان الحيوة تحله والجواب ان المراد بالحيوة ردها الى ما كانت عليه غضة طرية قل يحييها الذي انشأها اول مرة فان نسبة القدرة لا تختلف وفي العرف الاعادة اهون كما اشار اليه بقوله وهو اهون وهو بكل خلق عليم بكل مخلوق كامل العلم باجزائه وصفاته فاذا تقرر عندكم انه قادر على كل شيء عالم بكنه احواله فما وجه انكاركم المعاد ثم انتقل من الدليل العقلي الى المحسوس الذي لا يمارون فيه بقوله الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا وهو المرخ والعفار المرخ الذكر والعفار الانثى او بالعكس يكون بارض الحجاز وفي المثل استمجد المرخ والعفار فاذا انتم منه توقدون لا تشكون في انها نار قيل يؤخذ منه قضيبان رطبان فيحك الذكر على الانثى فيسيل منه الماء ومن ذلك الماء يحصل الحقيقة

النارية وهل بعد يتوهم ابعد مما بين النار والماء فالذي قدر على ذلك كيف لا يقدر على اتحاد الحيوة في الاجزاء التي هي مادة لها متى من العمر ثم ترقى الحد بل اخر بجلي واظهر من كل جلي وقال اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم اي لولم يكن تلك الاجزاء باقية حتى يعيد فيها الحيوة من خلق هذه الاجزاء العظام وفطرها من العدم كيف لا يقدر على ايجاد صغير حقير وهل يتوقف في هذا من به مسكة ولكن كالانعام بل هم اضل بلى وهو الخلاق العليم بل قادر على ذلك واشار الى الوصفين الذين هما العمدة في الايجاد وهما الاقتدار الكامل والعلم الشامل ثم اشار الى ان الايجاد والانشاء الذي يعدونه مستبعدا بل مستحيلا في مقام كبريائه اهون شيء ولا توقف له الا على تعلق ارادته واقتضاء حكمته بقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فان كلمة كن مجاز عن سرعة التكون بعد تعلق الارادة فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء تنزيه وتعجيب عما قالوا من نفي قدرته على هذا الشيء اليسير مع تلك البراهين القواطع والملكوت من الملك بفتح الميم يدل على مبالغة الاستيلاء على كل ما يطلق عليه الشيء في العالم العلوي والسفلي فهو تحت قهره وسلطانه اخذ بناصيته واليه ترجعون للجزاء فاختاروا بعد هذا البيان ما شئتم وتحته وعيد ليس فوقه وعيد ولذلك التفت الى الخطاب كما فيها روى ابو داود والنسائي واحمد بن حنبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء قلب وقلب القران يس من قراها يريد بها وجه الله غفر له وانما كانت قلب القران لان لب كل شيء وخلاصته قلب ذلك الشيء وانزال الكتب وارسال الرسل مقدمات بل خالق العالم وانشاؤه لمعرفة المعاد ولا شك ان السورة تشتمل على فنون من الدلائل الدالة على تحقق ذلك بلا مزية عند من له قلب او القى السمع وهو شهيد فكان هذا معنى تلك الاشارة منه عليه الصلوة والسلام تمت السورة والحمد لله على نعمه وصلى الله على افضل الخلق واشرفا سيد سورة الصافات مكية وايها اثنان وثمانون اية بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفا اقسم تعالى بطوائف من ملئكة قدسه الكمل الواقفين في مقام العبودية صفا على وجه الخشية لان هيأة الصف واجتماع الانفاس والهمم واتحاد توجه الكل له شان عند الله تعالى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه الا تصفون كما تصف الملئكة عند ربها فالزاجرات زجرا يزجرون السحاب ويسوقونه الى حيث امر بالامطار فيه من البقاع او الناس بالهام الخير وفي الحديث ان للملك لمة وهو ايعاد بالخير فالتاليات ذكرا ايات الله تعالى من كتبه المنزلة وغيرها يتلونه تعبدا او تلذذا او يتلونه على الانبياء فهو جبرائيل واتباعه من المقربين او بطوائف العلماء الراسخين الصافين في عبادته تعالى منفقين على اعلاء كلمة التالين لكتابه المتدبرين في رموزه واسراره او بنفوس الغزاة الصافين عند اللقاء الزاجرين الخيل في الكر والفر

والكر والغر التالين للذكر لا يشغلهم الخوف والحوز عند اللقاء والمبارزة وهذه كانت صفة علي بن ابي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يقول عند اخذ المضجع ثلثا وثلثين تسبيحه وثلثا وثلثين تحميده وثلثا وثلثين تكبيره قال ما تركتها منذ سمعتها قيل له ولا ليلة الصفين قال ولا ليلة الصفين والعطف لتغاير الصفات ان قدر الموصوف متحدا والا فباعتبار الذات والفاء تفيد الترتيب في الرتبة يحتمل ان يكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة او العكس وقيل الصافات الطير لقوله والطير صافات والزاجرات كلما زجر عما نهى الله تعالى والتاليات كلما تلو كتاب الله ادغم حمزة وفاقا لابي عمرو التاء في الكلمات الثلثة ان الهكم لواحد جواب القسم رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق دليل على تحقق المقسم عليه لانهم يسلمون انه متفرد بخلق السموات والارض وجميع المشارق لان للشمس في كل يوم مشرقا والاكتفاء به لدلالته على المغارب وابتداء بها دون العكس لانه ابلغ في النعمة واكمل في القدرة وابهر انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب من اضافة المصدر الى المفعول بان زان الله الكواكب وحسنها فزينت السماء بحسنها او الى الفاعل بان زانت الكواكب السماء وقرى حمزة وحفص بزينة الكواكب بالتنوين وجر الكواكب على انه عطف بيان او بدل والزينة على هذا اسم ما تزان به او جعلت الكواكب نفس الزينة مبالغة وقرى بالتنوين ونصب الكواكب على انها مفعول المصدر او على ان الزينة اسم والكواكب بدل على الموضع او نصب باعني والمختار الاضافة لانها اخف واعم والسماء الدنيا القربى وهو ذلك لان القمر وتزيين الكواكب بالاضواء والاشكال والاوضاع والشروق والغروب ولا يلزم ان يكون محلها لعدم توقف الزينة على ذلك وحفظا عطف على المحل او مصدر لمقدر من كل شيطان خارج عن الطاعة كقوله وجعلناها رجوما للشياطين مارد لا يسمعون الى الملا الاعلى صفة كل شيطان على معنى لا يمكنون من السماع مع الاصغاء او لا يتمكنون من التسمع مع سعيهم في ذلك والجملة في محل الحال مع المبالغة كما هو قراءة حمزة والكسائي وحفص بالتشديد او استئناف عن سؤال كيفية ما يكون عند الحفظ فان قوله وحفظا مما يخطر الخاطر له فقيل لا يسمعون وقيل كلام مبتداء مستطرد لبيان حالهم بعد الحفظ وقراءة الجمهور لا يسمعون من السماع ابلغ لقوله فمن يستمع الان يجد له شهابا وقوله انهم عن السمع لمعزولون وتعديته بالى لتضمن معنى الاصغاء وهو امالة الاذن للسماع فيفيد مبالغة في نفسه ويقذفون من كل جانب من جوانب السماء دحورا علة للرمي والدحور الطرد او مصدر ليقذفون كقعد جلوسا او حال ولهم عذاب واصب في الاخرة دائم من وصب الامر دام او من الوصب وهو المرض اي شديد الا من خطف الخطفة اختلس كلمة الملئكة استراقا ومن في محل الرفع بدل من واو يسمعون فاتبعه شهاب ثاقب نجم مضيء وانقضاض الكوكب

من مركز ممكن وقيل شعلة من النار ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح لانبا فيه لأن كل
ما في الجو من النيرات مصباح والاول هو الظاهر من السياق ولقوله صلى الله عليه وسلم
ماكنتم تقولون في الجاهلية اذا انقض كوكب واتبعه بمعنى تبعه ادركه وفي الحديث
يحرقه لما روى ابن عباس كانت للشياطين مقاعد في السماء يسمعون الوحي فلما بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قعد شيطان مقعده جاءه شهاب فلم يخطه حتى يحرقه وقيل
منعوا حين ولد فاستفتهم بعدما تلوت عليهم هذه الآيات الاستفهام للانكار الا انه
لوحظ معناه قيل فاستفهم أهم أشد خلقا اي اصعب واشق انشاء بعد الرفات أم من
خلقنا من العالم العلوي والسفلي وما فيهما من الأجرام والأوضاع وآثر من تغليبا لأولي
العقل وقيل من عاد وثمود وسائر الامم الدارجة من المكذبين لما اراهم الآيات وكذبوا
بها فكانه قال اهم انتظروا الهلاك كمن قبلكم ويرده قوله انا خلقناهم من طين لازب اذ
لا فارق بين السابقين واللاحقين في ذلك ويدل عليه الاطلاق ايضا اكتفاء بالبيان السابق
واللازب اللزج الذي يلزق بعضه ببعض وفيه رد لانكارهم لأنهم خلقوا منه ابتداء ولم
يكن لهم مثال فكيف ينكرون الاعادة وتلك الاجزاء المائية والارضية بحالها والمقتدر
الذي انشأ اشد منهم خلقا قدرته كما كانت لانها ذاتية بل عجبت ويسخرون اضراب
من الاستفتاء لانهم لا يجيبون بما هو الحق اي بل تشك بقربه وتعجب من تلك الدلائل
الدالة على كمال الاقتدار او من انكارهم الوحي او من انكارهم البعث وهو اهون من
البدء وقرأ حمزة والكسائي عجبت بصيغة التكلم والتعجب انفعال يعتري النفس عند رؤية
شيء خفي سببه وهو على الله محال فالمعنى ان حالهم حقيقة بان من يرها يقول عجبت
او قيل استعجبت او هو على الفرض من الله تعالى استعظاما لانكارهم او ويسخرون هم
من تعجبك لكمال سفاهتهم ثم قرر ذلك بقوله واذا ذكروا لا يذكرون اي دأبهم
انهم اذا وعظوا لا يتعظون فاذا لم يقدروا على الخطابيات فهم عن تحقيق القطعيات
بالبراهين بمعزل واذا رأوا آية اي اذا شاهدوا بالابصار معجزة يستسخرون
يبالغون في السخرية او طلب بعضهم من بعض ان يسخر بها واذا كان حالهم في المحسوسات
بالبصر هذا فلا يبعد منهم انكار البعث وقالوا ان هذا الا سحر مبين ظاهر لا سترة
أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون اصله انبعث اذا متنا فبدلوا
الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا الاستفهام مبالغة في الانكار لان
البعث في هذه الحالة عندهم اشد استحالة وقرأ ابن عامر بطرح الهمزة الاولى و
قرأ الجمهور ابلغ أو آباؤنا الاولون وهذا يعد عطف على محل ان واسمها على
المستكن في لمبعوثون للفصل بالهمزة وقرأ نافع في رواية ابن عامر بسكون الواو على
الترديد والباقون بفتح الواو على اعادة همزة الانكار واو وقوع بقوله اذا كنا ترابا
وآباؤنا قل نعم وقرأ الكسائي بكسر العين وانتم داخرون صاغرون اذلاء لا كما تزعمون

كما تزعمون ان كان بعث نحن احسن حالا الا من اصحابك المؤمنين فانما هي زجرة واحدة
جواب شرط مقدر اي اذا كان ذلك والضمير مبهم يفسره الجملة بعده والزجرة الصيحة
من زجر الراعي بغنمه صاح بها قال نابغة زجر ابي عروة السباع اذا اشفق ان يختلط
بالغنم فاذا هم ينظرون وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين الجزاء الذي انكرناه و
كذبنا فيه الرسل هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون هو كلام بعضهم لبعض او
جواب الملائكة والفصل قضاء الله بين عباده احشروا الذين ظلموا وأزواجهم
امر الله للملائكة او الملائكة بعضهم لبعض وازواجهم اخوانهم من الشياطين او اقرانهم
عابد الصنم مع عابد الصنم والزاني مع الزاني والسارق مع السارق وفي الحديث يحشر
المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل او نساؤهم اللاتي كانت على دينهم وما
كانوا يعبدون من دون الله من الآلهة وخرجت الملائكة وعيسى بقوله ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى فاهدوهم الى صراط الجحيم عرفوهم طريق النار وهذا يدل على ان الحشر
من الموقف الى النار وقوله وقفوهم انهم مسئولون لا ينافيه لان الواو لا ترتيب
فيه وتقديم الحشر الى النار لو ثبت او وحشر على السمع من الوقوف للسؤال ما لكم
لا تناصرون ينصر بعضكم بعضا تهكم بهم اذ كانوا في الدنيا يقولون نحن جميع منتصر
بل هم اليوم مستسلمون منقادون خاضعين لا يقدرون على المكابرة واقبل بعضهم
على بعض يتساءلون تساؤل الاختصام وتوبيخ قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين اي
قالوا الضعفاء للرؤساء بيان للتساؤل الواقع بينهم واليمين اقوى الجانبين واشرفه
ولذلك سمي يمينا من اليمن وكان على هذا اهل الجاهلية يؤثرون لليمين الافعال الحسنة
وينسبون اليه الخير واليمن وقرره الشارع وايده لان الحكمة اقتضت المناسبة وفي
الحديث كان يحب رسول الله التيامن في الطيبات كالاكل والشرب والسواك فاستعيرت لجهة
الخير والمعنى كنتم تأتوننا من تلك الجهة وتصدوننا عن الايمان والخير واليمين مجاز
عن القهر والتسلط قالوا بل لم تكونوا مؤمنين اجابهم الرؤساء بأن ما وقعوا فيه
من الضلال لم يكن بصدهم اياهم عن طريق الخير بل لم يكونوا مصدقين في فسادكم
وما كان لنا عليكم من سلطان قهر واجبار بل كنتم قوما طاغين شأنكم الطغيان
والتجاوز عن الحق وعدم الاكتراث به فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فاغويناكم
انا كنا غاوين اقروا على انفسهم بانهم الذين سبقت كلمة الله فيهم انهم اصحاب النار
وترتب على ذلك انا اغويناكم ودعوناكم الى الضلال فاثرتم باختياركم انا كنا غاوين
اسنينا فجار مجرى التعليل فانهم يومئذ في العذاب مشتركون كما اشتركوا في
الدين والغواية وان زاد المضل على الضال في العذاب انا كذلك نفعل بالمجرمين
بكل مجرم منهم ومن غيرهم انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون عن
الاقرار بالتوحيد بيان لاجرامهم ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون

ويقدحون في الموئد بالمعجزات والكلام الذي جاء به بانه مجنون وما اوتي به شعر
مجنون لايدرون ما يقول بل جاء بالحق الابلج وصدق المرسلين بقرءان عزيز
مصدقا لما بين يديه فكيف يكون مثله شعر مجنون انكم لذائقوا العذاب الاليم
لامحالة وما تجزون الا ما كنتم تعملون من انكار الحق بعد ظهوره بالبراهين
القاطعة الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع اي لكن حال المخلصين
المختارين من عباده بخلاف هؤلاء اولئك لهم رزق معلوم حاله انه للتلذذ لا
للقوت ودفع الم الجوع فواكه بيان له لان الفاكهة لا يقصد باكلها الا
التنعم او معلوم باوصاف وخصائص من طعم ورائحة ممتزة له عن ارزاق الدنيا و
فواكه على هذا بدل دلالة على انه مع تميزه بذلك فواكه وهم مكرمون بنيل ذلك
الرزق من غير سعي وتعب وفي جنات النعيم ظرف مكرمون او حال من مستكنة او
خبر اولئك على سرر حال او خبر متقابلين لا ينظر احد في قفا احد ليكمل لذتهم
بالمشاهدة يطاف عليهم بكأس يدار عليهم بالقدح او بالشراب كقول الاعشى
وكاس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها من معين يجري كانهار الدنيا لقوله
وانهار من خمر والمعين الجاري وفيه اشارة الى كمالها فانه باق على خلقته لم
يد ولامن ولا عمل بيضاء تلتذ حاسة البصر برؤيتها لذة للشاربين هي عين
اللذة لا يشوبها حاد ولا يعتري شاربها ما يعتري شارب الخمر لا فيها غول صداع
وسلب عقل تقرير له والتقديم الظرف للاختصاص ولا هم عنها ينزفون بضم الياء
وفتح الزاء يسكرون من انزف الرجل اسكر وقرا حمزة والكسائي ينزفون بكسر الزاء
من انزف الرجل سكر كقوله لعمري لئن انزفتموا وصحوتم او من انزف بعدا اي لا ينفد
شرابهم بل دائم وعندهم قاصرات الطرف على ازواجهن لا ينظرون الى غيرهم عين
نجل العيون كانهن بيض مكنون مصون في الكن عن الغبار ونحوه في صفائه
من البياض المشرب بادنى صفرة كما يكون في بيض النعام وهو احسن الوان البدن بخلاف
البياض المفرط فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى وطرى في الدنيا كما هو عادة
الندامى اذا جلسوا على الشرب قال واذا جلست على المدام شربها فاجعل حديثك كله
في الكاس وقال الآخر وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام قال
قائل منهم في اثناء المحاورة اني كان لي قرين جليس في الدنيا يقول أئنك لمن
المصدقين بالبعث منكرا علي موبخا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون
لمجزيون باعمالنا اي لا يكون ذلك قال القائل المذكور هل انتم مطلعون لاريكم
ذلك القرين او القائل هو الله اي ان شئتم اريكم لتعرفوا منزلتكم او بعض الملئكة
فاطلع فرءاه في سواء الجحيم في وسطه قال تالله ان كدت لتردين ان هي المخففة
واللام فارقة والمعنى كدت فاريت اهلاكي وابنا والنا التعجب كيف نجي منه ولولا

ولولا نعمة ربي بالتوفيق لكنت من المحضرين معك في العذاب افما نحن بميتين
عطف على محذوف اي انحن مخلدون فما نحن بميتين اي بمن شانه الموت الا موتتنا
الاولى التي في الدنيا وبينا وبين ما في القبر بعد الاحياء لانه في حكم الدنيا كذا قيل
والحق ان ذلك لا يسمى موتا لانه اما منعم او معذب وما نحن بمعذبين ان هذا
لهو الفوز العظيم اذ لا طيب للعيش مع مراقبة الموت هو كلام القائل والكل او
كلام الله تعالى وكذا قوله لمثل هذا فليعمل العاملون في الاحتمال اذلك خير نزلا
ام شجرة الزقوم عاد الى ذكر الرزق المعلوم بعد استطراد مقالة المؤمن لان الكلام
يجر الكلام والشيء بالشيء يذكر والنزل ما يعد للنازل من الرزق كالسكن وهو
الرزق المعد لساكن واصله الريع وما يحصل من الشيء ومنه في الحديث العسل ليس
من انزال الارض وبه استدل الشافعي على عدم الزكوة فيه لانه من انزال الطير
والتفاضل بين النزلين على التهكم اذ لا خير في نزل اهل النار ونصبه على التمييز
او الحال وهذا اوجه لان المفاضلة بين الرزقين فهذه الحال لا بين الوصفين
وشجرة الزقوم شجرة صغيرة الورق ومرة كريهة الرائحة تكون بتهامة انا جعلنا
فتنة للظالمين عذابا لهم في الآخرة او سبب ضلالهم فانهم لما سمعوا قالوا اما عجب
هذا ان محمدا يقول نار جهنم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر وعن ابن عباس
رضي الله عنه لما سمع ابوجهل ان شجرة الزقوم طعام الاثيم خلط التمر بالزبد و
قال تزقموا وذلك لان الزقوم كان اسم طعام لهم من التمر والزبد فانزل الله تعالى
انها شجرة تخرج في اصل الجحيم في قعرها وترتفع اغصانها الى دركاتها في مقابلة
طوبى لاهل الجنة طلعها كانه رؤس الشياطين في تناهي القبح ونهاية الكراهة
لما تقرر في النفوس ان الشيطان اقبح الاشياء كما ان الملك احسنها والطلع ثمر النخل
استعير لثمر الزقوم تخييلا على وجه التهكم وقيل الشياطين حيات هائلة في
النار لها اعراف فانهم لآكلون منها لغاية الجوع او اجبارا وقسرا فمالئون منها
البطون اي من الشجرة او من ثمرها ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ماء حار مخلوط
بصديد والاتيان بثم للتراخي زمانا لانهم لا يسقون منه الا بعد زمان لتناهي
عطشهم تعذيبا لهم او رتبة اشارة الى كراهية ذلك الحميم وبشاعته فوق الزقوم
ثم ان مرجعهم لالى الجحيم اي بعد ذلك الاكل والشرب مصيرهم اليها فان ذلك
نزلهم قبل الاستقرار في دركاتها وقيل يخرجون من مقارهم الى شجرة الزقوم فاذا
ملؤا بطونهم اوردوا الى الحميم ثم يرجعون الى تلك المقار وقيل الحميم خارج عن
الجحيم لقوله هذه جهنم التي يطوفون بينها وبين حميم ءان ولا دليل فيه انهم الفوا
اباءهم ضالين فقلدوهم تعليل لما هم فيه فهم على آثارهم يهرعون يسرعون
من اسرع اسرع وبناؤه للمفعول للمبالغة كانهم يزعجون قسرا فلا التفات لهم الى التامل

والنظر ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين من الامم ولقد ارسلنا فيهم منذرين الرسل فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تسلية له وتحذير لقومه فانهم سمعوا اخبارهم وشاهدوا آثارهم الا عباد الله المخلصين في التوحيد والايمان استثناء من الاولين او من المنذرين وقرأ نافع والكوفيون بفتح اللام وهو المختار كما تقدم ثم اورد احوال مشاهير الرسل مع المكذبين وبدأ بنوح لانه ابو البشر ثانيا واول رسول عذب قومه فقال ولقد نادينا نوح حين قال اني مغلوب فانتصر فلنعم المجيبون نحن حذفه لدلالة الكلام عليه واللام جواب القسم والفاء تدل على سرعة الاجابة ونجيناه واهله من الكرب العظيم وهو الغرق واذى قومه وجعلنا ذريته هم الباقين لم يبق احد ممن كان معه في السفينة الا بنوه الثلثة وهم سام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو القبط والسودان ويافث ابو الترك ويأجوج ومأجوج وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح اي هذا القول جيئ به على صورة الحكاية اي يسلمون عليه وقيل هو من الله تعالى ومفعول تركنا محذوف في العالمين دعاء بالثبات كانه قيل ثبت هذه التحية وادامها في الملئكة والثقلين انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لاكرامه بتلك الاكرامات دلالة على ان موجبة ذلك احسانه لا عزتعيب فيه انه من عبادنا المؤمنين بيان لاحسانه اشارة الى شرف الايمان وجلالته وانه يستجلب كل كمال ثم اغرقنا الآخرين وان من شيعته لابراهيم ممن شايعه في اصول العقائد والتصلب في الدين ومصابرة الاعداء المكذبين ويجوز توافق شرعيهما اكثر الاحكام وكان بينه وبين نوح الفان وستمائة سنة وقيل الف ومائة واثنتان واربعون سنة اذ جاء ربه متعلق بما في الشيعة من معنى الفعل اي شايعه في دينه حين جاء ربه بقلب سليم عن آفات القلوب من الشرك والغل والحقد وهذا ما اشار اليه ابن عباس رضي الله عنه كان يحب للناس ما يحب لنفسه او بقلب سليم حزين من قولهم للديغ سليم تفألا او ذكر المجيئ على المثل كانه كان جاء به متحفا اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون بدل من الاول أئفكا آلهة دون الله تريدون افكا مفعول له قدم على المفعول به اولى همزة الانكار لان الغرض منكا فحاتهم على الباطل او هو مفعول به وآلهة بدل منه على انها نفس الافك مبالغة او في موقع الحال اي آفكين او بتقدير مضاف اي عبادتها فما ظنكم برب العالمين حتى اتخذتم له شريكا اذ توحده في الالهية اظهر من ان تختلج فيه شبهة او اي شيء من الاشياء ظننتم حتى جوزتم ان يكون له الاصنام شريكا او ما ظنكم بعقابه حتى اجترأتم على ذلك فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم قال ابن عباس انما نظر في النجوم لان قومه كانوا يتعاطون علمه فاوهمهم بذلك ليتمكن من التخلف او النظر بمعنى التأمل في علم لذلك الايهام فقال اني سقيم اي من كونكم على الشرك وعبادة غير الله او سأسقم كقوله انك ميت او مزاجي خارج عن الاعتدال وما رواه ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم غير ثلث كذبات ثنتين في ذات الله تعالى قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم فالمراد منها المعاريض لقوله في المعاريض مندوحة من الكذب فهو كقوله نحن احق بالشك من ابراهيم فان قلت ما تفعل بقوله في حديث الشفاعة حيث اعتذر بقوله لست لها ولذكر كذبات ثلث فلو كانت معاريض لم يكن لو كذب حقيقة حتى يعتذر به قلت هو من قبيل حسنات الابرار سيئات المقربين ولما كانت صورتها صورة الكذب عدها كذبات فتولوا عنه مدبرين الى معيدهم فراغ الى آلهتهم مال اليهم خفية من روغان الثعلب واصله الميل بحيلة فقال الا تأكلون وذلك انهم كانوا وضعوا قدامها من اطعمة العيد لتتبرك عليها ما لكم لا تنطقون قاله تهكما واشارة الى انحطاطها عن درجة عبدتها فراغ عليهم ضربا باليمين ضربا مصدر راغ لانه بمعناه او لمقدر اي يضربهم ضربا او حال اي ضاربا وذكر اليمين لانها اقوى الجارحتين وقوة الآلة تستلزم قوة الفعل او اليمين هو الحلف اي بسببه وهو قوله وتالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه يزفون يسرعون من زفيف النعامة وقرأ حمزة يزفون من ازف دخل في الزفيف كاصبح او معدى اي يزف بعضهم بعضا ثم اسند الى الكل لان كلا منهم حامل ومحمول قال اتعبدون ما تنحتون الذي تنحتونه من الاصنام والله خلقكم وما تعملون اي وما تنحتونه فان جواهرها بخلق الله وليس لكم فيه الا التشكيل والتصوير فكيف يجوز عبادة مخلوق لاخر يحتاج اليه وقيل ما مصدرية اي وعملكم وفيه فوات الاحتجاج لان الغرض المسوق له الكلام كون المخلوق عابدا لآخر والمناسبة لان ما في ما تنحتون موصولة والاستدلال بالمصدرية بناء على ان فعلهم اذا كان بخلقه تعالى فالموقوف عليه وهو المعمول من باب الاولى لا يجدي لان الخصم قايل بان العبد وارادته وقدرته بخلقه تعالى والفعل المتوقف عليها بخلق العبد والحق ان القوم ما كانوا ينكرون ان تلك الاجرام قبل الصنع مخلوقة له تعالى ولا تصلح للالوهية وانما يصلح لذلك بعدما بنا تنيرهم فيها فكانه قيل لهم ذلك البناء تراه ايضا بخلقه تعالى فلم تزد بذلك الا عن تلك الرتبة فيتم الحجاج سالما واما ترجيح المصدرية على الموصولة وجعل العمل بمعنى المعمول بسلامتها عن الحذف والمجاز فمعارض بكثرة الموصولة وكون المصدر بمعنى المفعول مجازا مشهورا قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم كل نار عظيمة في مهواة فهي جحيم واللام بدل الاضافة اي جحيم ذلك البنيان فارادوا به كيدا لما قهرهم بالحجة قصد واحراقه فجعلناهم الاسفلين بان جعلنا ها عليه بردا وسلاما وكان ذلك برهانا على علو شانه وقال اني ذاهب الى ربي حيث يأتي الى عبادته ثم سيهدين الى ما فيه صلاح حالي وانما بت القول لسبق وعد الله له بذلك او لفرط توكله او للبناء على عادته معه ولانه تعالى تجلى له بصفة الرحمة وتجلى لموسى بصفة الغنى ولذلك قال

عسى ربي أن يهديني سواء السبيل رب هب لي من الصالحين بعض الصالحين يؤانسني في الغربة اراد الولد لان الهبة غالبة فيه فبشرناه بغلام حليم انطوت البشارة على ثلث بشارات كون الموهوب له ذكرا وكونه يبلغ اوان الرجال فان الصبي لا يوصف بالحلم وكونه حليما فيه شرف ابيه شاهد لطهارة اصله ولم يوصف من الانبياء احد بالحلم غيره وغير ابيه وحالهما المذكور بعد يكشف عنه الغطاء فلما بلغ معه السعي اوان ان يسعى مع ابيه في اشغاله وذكر الاب لانه ارفق به فانه كان ابن ثلث عشرة سنة لم يستحكم قواه وتعلق مع لا يجوز ان يكون ببلغ لاقتضائه ان يكون بلوغهما حد السعي معا ولا بالسعي لان معمول المصدر لا يتقدم لا سيما وهو معرفة فبقي ان يكون بيانا كانه قيل فلما بلغ حد السعي معه قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك قيل لما طلب الولد وبشرته الملئكة به قال هو ذبيح الله فلما بلغ حد السعي معه قيل له في المنام اوف بنذرك فلما اصبح روّى ذلك اليوم فسمي يوم التروية فرأى ذلك المنام في الليلة القابلة فلما اصبح علم ان ذلك من الله تعالى فسمي يوم عرفة وفي اليوم الثالث عزم على نحره فسمي يوم النحر وانما رأى في المنام دون ان يؤمر به في اليقظة ليعلم بذلك تساوي حالتيه في الاحكام الشرعية ولذلك كانت رؤيا الانبياء وحيا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام عيناي ولا ينام قلبي وانما شاوره مع انه كان امرا لازما مضافا ليوطن نفسه على شدة تلك البلية ويتلقاها بصدر رحب وليكون المشاورة سنة بعده وفي المثل ما خاب من استشار ولو شاورا آدم الملئكة لما اصاب الخطيئة فانظر ماذا ترى المراد النظر بالبصيرة وترى من الرأي بمعنى الفكر وقرأ حمزة والكسائي بضم الياء وكسر الراء قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين اجابه بانه ليس من مجال المشاورة بل يحب الفداء لله فلما اسلما وتله انقادا لامر الله تعالى اسلم وسلم واستسلم بمعنى اصله من سلم المال لفلان اذا خلص له عن منازع وتله للجبين صرعه على احد الجبينين وانما القاه على هذا الوجه لئلا يشاهد بشره فيرق له وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا بمباشرة المقدمات وقيل امر السكين على المذبح فصار صفحة نحاس وقيل كلما قطع مكانا التحم وليس بشيء اذ لو كان كذلك لم يحتج الى الفداء وجواب لما محذوف اي كان من الامر ما ينطق به الحال ولا يحيط به المقال من السرور والحبور من ذلك الفداء انا كذلك نجزي المحسنين المخلصين الصابرين على البلاء الشاكرين في الرخاء ان هذا لهو البلاء المبين الاختبار الجلي الذي لا يكون فوقه اختبار ولذلك قال لحمته وابراهيم الذي وفى والمحنة التي لا محنة اشد منها او النعمة العظمى وهي نجاة الولد من الذبح وفديناه بذبح ما يذبح بدله عظيم قدره من كباش الجنة ارسله تعالى تحفة من عنده وعطاء الملوك بجلالة القدر وان قل كما نرى الآن اذا القى الملك لاحد خواصه تفاحة قام له قائما وربما قبل الارض له وليس الا افتخارا بالملك

الملك بعد من العناية وايضا فدى به ابن خليل وابو حبيب الله واي عظم فوق ان يكون كبش وقاية لتلك النفس الزكية والشجرة المثمرة وعن قتادة كان الكبش تقرب به هابيل وكان يرعى في الجنة وبرز لهذا المقصد المنيف وفي كون هذا من قبيل النسخ قبل الفعل كلام طويل الذيل قال به الشافعية وانكرها الحنفية وتركنا عليه في الآخرين الذكر الحسن والثناء الجميل سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين اعاده تأكيدا لما سبق من حسن استسلامهما وانهما معدودان من المحسنين داخلون في زمرتهم وجملة اولياء انه من عبادنا المؤمنين الكمل الذين يؤثرون رضاء الله في كل الاحوال ثم الولد الموصوف هو اسمعيل لانه اكبر من اسحق اتفاقا ولانه الذي نشأ ببلاد الحجاز وهي البيت مع ابراهيم والذي نبعت له بئر زمزم ولكونه وصف بصدق الوعد وهو قوله ستجدني ان شاء الله من الصابرين واثنى عليه تعالى بالصبر في قوله واسمعيل واليسع وذا الكفل كل من الصابرين ولقوله صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين ولقوله وبشرناه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب ومن بشر بانه يولد له ابن اسمه فلان كيف يكلف بذبحه وهو غلام مراهق ولقوله تعالى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين بعد استيفاء ذكر صفاته والذي وقع لبعض ان الذبيح اسحق من تخاليط اهل الكتاب حسدا منهم ان يكون الذبيح من اجداد رسول الله صلى الله عليه وسلم وباركنا عليه وعلى اسحق بان وهبنا ابراهيم اسحق واخرجنا انبياء بني اسرائيل من نسله او بان افضنا عليهما بركات الدنيا والدين ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه بالكفر والمعاصي مبين ظلمه وانما قيد الظلم بالظهور لان النفوس الكاملة قل ما يخلو عن ادنى خطرات في ارتكاب خلاف الاولى وفي بيان كون ذريتهما منقسما الى المحسن والظالم اشارة الى ان ظلم اعقابهما لا يعود عليهما بنقص فان المرء لا يؤاخذ بسوء فعل غيره كائنا من كان ولقد مننا على موسى وهرون بالنبوة التي كل نعمة دونها ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ظلم فرعون وطغيانه وقتل الابناء ونصرناهم اردنا نصرهم فكانوا هم الغالبين على عدوهم وهذا ابلغ في الامتنان من الانجاء لان خذلان العدو حسم مادة الاوهام والامن الكلي وآتيناهما الكتاب المستبين الواضح الجلي او المبين للاحكام يقال استبان الشيء واستبنته وهديناهما الصراط المستقيم وهو دين الاسلام وسبيل الذين انعم الله عليهم وفيه تعريض باليهود والنصارى واللام للعهد وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون اي هذا الكلام اورده على وجه الحكاية انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين وان الياس لمن المرسلين هو الياس بن ياسين من سبط هرون وقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر بالوصل على ان الاسم ياس واللام للتعريف والباقون على انه عجمي غير منصرف اذ قال لقومه الا تتقون من الشرك

أتدعون بعلا اسم صنم لهم او البعل لغة المالك وكأنهم سموا ما عبدوه بعلا لذلك اليمن
وهم اهل المدينة المشهورة ببعلبك وتذرون أحسن الخالقين اي عبادته وفيه
اشارة الى علة الانكار وكونه احسن الخالقين لا يقتضي جواز كون غيره خالقا
لقوله هل من خالق غير الله الله ربكم ورب آبائكم الأولين الله ربكم مبتدأ وخبر
ورب آبائكم عطف على الخبر وقرأ حمزة والكسائي وحفص بنصب الاسماء الثلثة على
البدل والبيان في الاول والنعت في الثاني والعطف في الثالث فيحسن الوقف على
الخالقين في الوجه الاول ونفتح في الثاني فكذبوه فإنهم لمحضرون في العذاب وانما
اطلقه لاشتهاره في الشر إلا عباد الله المخلصين مستثنى من واو كذبوا لا من
المحضرين وقرأ الكوفيون ونافع بفتح اللام وتركنا عليه في الآخرين سلام على
إل ياسين بكسر الهمزة قطعا هو الياس المذكور آنفا لغة فيه كطور سيناء وطور سينين
وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكوفيون آل ياسين كآل محمد وعليه الرسم وهو المختار
لكثرة الفائدة وزيادة الدلالة على شرف المضاف اليه وقيل الياسين صيغة جمع
اراد به نفسه واتباعه وقيل ياسين محمد اضيف اليه او القرآن وذكر ياسين
لانه قلب القرآن والوجهان لا يناسبان نظم سائر القصص إنا كذلك نجزي المحسنين
إنه من عبادنا المؤمنين اي الياس وإن لوطا لمن المرسلين إذ نجيناه وأهله
أجمعين إلا عجوزا في الغابرين سبق مرارا ثم دمرنا الآخرين اهلكناهم من الدمار
وهو الهلاك وإنكم يا اهل مكة لتمرون عليهم اي على منازلهم وآثارهم فان في
لوط على طريق الشام مصبحين داخلين في الصباح وبالليل وتعيين الوقتين
لان المسافر اكثر ما يكون سائرا اول النهار وبالليل ويستريح في اثناء النهار
او لعلها كانت نزيلة قريتهم المرتحل عنه صباحا والقاصد لها مساء أفلا تعقلون
ويحذرون عن سخط الله وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق اي كان رسولا زمان اباقه
إلى الفلك المشحون المملوء فساهم فقارع من في السفينة وذلك انه زعم البحارون ان
السفينة اذا كان فيها آبق لا تجري فكان من المدحضين مغلوبين في القارعة من
الادحاض وهو الازلاق فالتقمه الحوت وهو مليم نفسه على ما فعل او واقع في الملامة
فلولا أنه كان من المسبحين اي المصلين او الذاكرين الله بالتقديس وفيه دلالة
على ان المعرفة السابقة والعمل الصالح ينفعان في المضائق وقد دل عليه دلالة صريحة
حديث الثلثة في الغار الذي رواه البخاري وكذلك ايمان فرعون لم يقبل لعدم سبق
المعرفة وعلى هذا دأب الملوك مع خدمهم اذا جنى احد يجعلون من سالف خدمته سببا
العفو عن تلك الجريمة يقولون لولا ان له علينا يدا لفعلت به كذا وكذا وقيل اراد تسبيحه
في بطن الحوت حين نادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين
للبث في بطنه إلى يوم يبعثون حيا وقيل ميتا فنبذناه بالعراء بالمكان الخالي عن الشجر

عن الشجر والنبات وذلك حين استجيب دعاؤه وأراد الله انجاءه فأمر الحوت ان يلقيه الى البر
واختلف في مدة لبثه فقيل اربعون يوما وقيل عشرون وقيل سبعة وقيل ثلثة وقيل
بعض يوم وفي شعر امية بن الصلت وانت بفضل منك نجيت يونسا وقد بات في اضعاف
حوت لياليا وهو سقيم بدنه مما ناله في تلك الواقعة الهائلة او قلبه مما آد نكبه
من الخروج والذهاب بغير اذن الله تعالى وأنبتنا عليه شجرة من يقطين كل ما
انبسط على الارض من النبات والشجر كالقثاء والدباء من القطن وهو الاقامة
وروي انه صلى الله عليه وسلم قال في الدباء انها شجرة اخي يونس عليه السلام والحكمة
في انباتها ان ورقها يستظل به ولا يقربها الذباب ويؤكل نيا ومطبوخا وقيل
شجر الموز وقيل التين وقيل سخر الله له ظبية تختلف اليه يشرب من لبنها ويحكى انه
المسك اول ما خلق في تلك الظبية مكافاة لها وأرسلناه إلى مائة ألف هم قومه
اهل نينوى وبها قبره الآن يزار في الموصل يقطع بينهما الشط قيل ارسل اليهم ثانيا
فآمنوا به وقيل ارسل الى الآخرين أو يزيدون بل يزيدون عن ابن عباس رضي الله عنه
كانوا مائة وثلثين الفا وروى الترمذي عن ابي بن كعب انه سأل رسول الله
فقال يزيدون عشرين الفا فآمنوا فمتعناهم إلى حين آجالهم آمنين وانما لم يسلم
على لوط ويونس كما يسلم على من تقدم من الرسل لانه مكرر فاختصر الكلام ولقوله
وسلام على المرسلين في آخر السورة فيتناولهما وقيل تفرقة بين ارباب الشرائع و
اولوا العزم وفيه ان الياس ليس منهم فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون عطف
على استفتهم في اول السورة وما بينهما اخذ بعضه بحجزة بعض ذلك انه استفتاهم
اولا حين انكروا البعث بقوله أهم اشد خلقا أم من خلقنا من السموات والارض
تبكيتا لهم والزاما وارد فه بقصص المكذبين المنكرين للبعث تسجيلا على المشركين
بانه سيحل بهم ما حل باولئك ثم استفتاهم ثانيا عاطفا على الاول اشارة الى ان كونه
خالق السموات والارض كما يدل على توحده وكمال قدرته يدل على تنزهه عن الولد
الا يرى الى قوله بديع السموات والارض انى يكون له ولد ثم لم يرضوا باثبات الولد
مطلقا بل اثبتوا له اخس النوعين وهو الانثى التي لا يرضى بها احد ناهم واذا بشر احدهم
بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وقد زاد واعلى الشرك انواعا من الكفر الجسيم
فان الولد يستلزمه وتفضيل انفسهم ونسبة الملائكة الاعلى الى الانوثة التي يأنفونها
ادنى الناس بل كل عيب دونها أم خلقنا الملائكة إناثا لم يذكر كونه منزها عن الولد
بل نفي الانوثة عن الملائكة لان استحالة الولد منه تعالى جلي لا يتوقف فيه الا من هو
كالانعام بل اضل وهم شاهدون تهكم واستهزاء بهم فان العلم بوصف الانوثة
لا يمكن الا باخبار صادق ولم يصدقوا رسولا او باستدلال عقلي ولا سبيل للعقل
اليه او بالمشاهدة ولا يشكون في انتفائها او مبالغة في وصفهم بالكفر اي يجزمون

على هذا القول الذي تكاد السموات يتفطرن منه كانهم شاهدوا ذلك الا انهم من افكهم
ليقولون ولد الله اي بعض الكائن هذا القول وفيه تقرير لسفاهتهم وان من نسب
الى الله الولد لا يستبعد من جهله ان يثبت للملائكة ما لا يليق بهم من وصف الانوثة وانهم
لكاذبون في ذلك القول اصطفى البنات على البنين اي آثرها واختارها على
الذكور وهل يفعل ذلك من به مسكة ولذلك قال تجهيلهم بقوله ما لكم كيف تحكمون
يعتقدون شيئا لا يقدر العاقل على اخطاره بباله فضلا عن ان يتخذه دينا افلا
تذكرون تتعظون بعد هذا البيان ام لكم سلطان مبين نزل عليكم بنص قاطع
لا يمكنكم العدول عنه وان كان معناه غير معقول كبعض نصوص الشارع فأتوا بكتابكم
ان كنتم صادقين في دعواكم وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا حيث قالوا ان
الملائكة بنات الله وانما عبر بالجنة لاستتارهم عن الابصار وفيه دلالة على حط
مقدارهم عن مجانسة الاله وتحقيق ذاتهم مقربون وعباده المكرمون واشارة الى
انهم من شأن الاستتار الذي هو من خواص الاجسام كيف يجانس المنزه عنهما الحدوث
وقيل كان من غاية سفاهتهم يقولون ان الله صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل كانوا
يقولون الشيطان والرحمن اخوان ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون في العذاب اي الكفرة
الذين يعبدونهم بكفرهم وافترائهم او الانس والجن ان فسرت الجنة بغير الملائكة سبحان
الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع من المحضرين او متصل من ضمير
ان فسر بما يعمهم وما بينهما اعتراض او من واو يصفون فانكم وما تعبدون ما انتم
عليه بفاتنين حض لشأنهم وما هم عليه من الاضلال اي اسم يا ايها الكافرون و
معبودكم لا تفسدون على الله من عباده بالاغواء والاضلال الا من هو صال الجحيم
الذي خلق للنار صال منكم من قولهم فتن على فلان امرأته افسدها ويجوز ان يكون
الواو بمعنى مع ساد مسد الخبر كقولك كل رجل وضيعته اي انكم وما تعبدون لا تبرحون
قرناء ثم قال ما انتم عليه بفاتنين اي على معبودكم حاملين على عبادته الا من
يكون ضالا لا يخلو للنار مثلكم وما منا الا له مقام معلوم قوله سبحان الله عما
يصفون الى هنا من كلام الملائكة فانهم كذبوا من نسبهم الى الله واستثنوا من ذلك
المخلصين ثم هونوا شأن الكفرة بانهم لا يقدرون الا على اغواء مثلهم ثم اعترفوا
بانهم عباد منقادون لامر الله لكل واحد منهم مقام في العبودية لا يتجاوزه وقوله
فانكم وما تعبدون التفات كقوله فقد كذبوكم بما تقولون ويجوز ان يكون
حكاية قولهم وان يكون قول رسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قيل فاستفتهم وقل
وما منا الا له مقام معلوم اي انع عليهم شأنهم في كفرهم وانعت لهم ما انت
واصحابك متصفون به من اضدادها وموقعه الاستطراد على هذا القول وان كانوا ليقولون
وانا لنحن الصافون في طاعته تعالى على الاقدام منا قائم وراكع وساجد وصافون

او صافون باجنحتنا مذعنين لاوامره خاشعين من هيبته او صافون حول العرش
يستغفرون للذين آمنوا روى مسلم باسناده عن حذيفة قال رسول الله عليه م
فضلنا على الناس بثلث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لي الارض مسجدا
وطهورا وقال يوما لجلسائه اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا
عليه ملك راكع او ساجد وقال لاصحابه الا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها
قالوا وكيف ذلك قال يتمون الصف الاول فالاول وانا لنحن المسبحون المقدسون
عما لا يليق بكبريائه وان كانوا ليقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله
المخلصين ان هي المخففة واللام الفارقة اي كانوا يؤكدون كلامهم قاطعين
ان لو اتاهم كتاب من الله تعالى ليتلقوه وعملوا بما فيه مخلصين فلا كاهل التورية
والانجيل المخالفين لما فيه من الاوامر والنواهي فكفروا به اي بذلك الكتاب الذي
كانوا يتمنونه وفي الفاء دلالة على انهم كفروا به بغتة من غير روية فسوف يعلمون
ما يحل بهم من الانتقام ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين هي قوله انهم لهم
المنصورون ولا يقدح في ذلك ما يقع من الانهزام في بعض المواضع لان الامور بخواتيمها
وعن الحسن لم يقتل في حرب ولا غلب وكذلك شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يول في حرب قط وعن ابن عباس رضي الله عنه ان لم ينصروا في الدنيا نصروا
في الآخرة وان جندنا لهم الغالبون هم الطائفة التي تقاتل في سبيل الله بالسيف
او بالحجة سواء كان فيهم نبي او لا والمذكور وان كان كلمات سماها كلمة لانتظامها
في معنى واحد كما تقول بعت ثمرة بستاني وان كان فيه ثمرات فتول عنهم بعدما فرغت
جهدك في التبليغ حتى حين الى زمان قريب يؤذن لك في القتال وهو يوم بدر او وقت
الموت او يوم القيمة وابصرهم وما يقضى عليهم من القتل والاسر وفي ايثار الا
والامر تنفيس عنه وتقريب للمدة كانما يحل بهم قدام عينيه فسوف يبصرون ما يكون
لك من النصر والتاييد او الدرجات العلى في الآخرة وسوف للوعيد لا للتبعيد
افبعذابنا يستعجلون اي ايستعجلون فبعذابنا الذي يحق به ان يستعاذ من
شره يستعجلون فاذا نزل بساحتهم بفنائهم مثل شبه عذابه النازل اعاذنا
الله منه بجيش اغار على قوم انذرهم بعض نصحائهم فلم يلتفتوا اليه فاجتاحهم وقطع
دابرهم فساء صباح المنذرين صباحهم توشيح للاستعارة والصباح من اسماء
الغارة ومن دأبهم اذا وقعت الاغارة ينادون واصباحاه وذلك انهم كانوا يغيرون
في الصباح عن انس بن مالك ان رسول الله لما اصبح بخيبر قال الله اكبر خربت خيبر انا
اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف
يبصرون تسلية بعد تسلية وتاكيد الى تاكيد واطلاق الفعلين للدلالة على
ان ما يبصر ويبصرون من انواع المسرة والمساءة مما يضيق عنه نطاق البيان وقيل

الاول لما يبصرون فى الدنيا وهذا فى الآخرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون و
سلام على المرسلين سوق الكلام من اول السورة الى هنا لاثبات التوحيد وازاحة
شبه المشركين وابطال ما نسبوا اليه تعالى مما تقدس ساحة عزه ومقام كبريائه عنه
فنزه ذاته المقدسة بهذه الآية التى هى من الجوامع الكوامل فذلكة ذلك واثنى على
المرسلين الذين بلغوا حقائقه وجاهدوا فى اعلاء كلمته حق جهاده ثم ختم بالختام
المسكى بقوله والحمد لله رب العالمين اشارة الى اختصاص المحامد كلها به تعالى وان
ثناءه على الرسل تفضل منه اذ هو الذى اختارهم ووفقهم لما اكتسبوا به الثناء الجميل
فسبحان الذى يعطى ويثنى عن زيد بن ارقم عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من قال فى دبر كل صلوة سبحان ربك رب العزة عما يصفون الى آخره ثلث مرات
فقد اكتال بالجريب الاوفى وعن على بن ابى طالب من سره ان يكتال الاجر يوم القيمة
بالمكيال الاوفى فليقل آخر مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون الى آخر الآية
تم والحمد لله رب العالمين سورة ص مكية وآيها ست وثمانون بسم الله الرحمن الرحيم
ص بالسكون على الوقف حرف من حروف الهجا للتحدى والايقاظ والقرآن قسم حذف
جوابه لدلالة التحدى عليه كانه قيل والقرآن المؤلف من هذه الحروف لمعجز او اسم السورة
خبر مبتدأ كانه قال هذه السورة اعجزت العرب والقرآن كقولك هذا حاتم والله تريد به
ذلك المشهور بالسخاء ويجوز ان يكون مقسما بها اسما للسورة او القرآن والعطف
باعتبار تغاير الصفتين والجواب محذوف اى انه لمعجز ذى الذكر اى الشرف كقوله وانه
لذكر لك ولقومك او الموعظة او ذكر ما يحتاج اليه فى الدين والدنيا من الشرائع والقصص و
بل الذين كفروا فى عزة وشقاق اى انه لمعجز ومن كفر به انما كفر استكبارا ومشاقة مع الله
ورسوله وتنكير الاسمين مع ايراد فى الدال على الاستغراق اشارة الى كمال اتصافهم بالوصفين
واستغراقهم فيهما وايماء الى ان من لم يكن بهذه المثابة لا ينكره لذلك الامر الجلى كم اهلكنا
من قبلهم من قرن اى كثيرا من القرون المكذبة اهلكنا قبل هؤلاء فنادوا رفعوا اصواتهم
بالاستغاثة والجؤار ولات حين مناص ذهب الخليل وسيبويه الى انها لا التى شبهت
بليس زيدت عليها التاء كما زيدت فى رب وثم لتوكيد النفى وحدثت لها احكام بعد هذه
الزيادة اختصاصها بالاحيان وبروز احد جزئى مدخولها دون الآخر وعن الاخفش انها
النافية للجنس زيدت عليها التاء وحين منصوب بها كانك قلت ولا حين مناص لهم وعنه
ان ما ينتصب بعده بفعل مضمر اى ولا ارى حين مناص لهم وعندهما ان النصب على ولات الحين
حين مناص وعجبوا ان جاءهم منذر منهم كأن من انفسهم يعرفون صدقه وامانته
وقال الكافرون هذا ساحر كذاب لم يبيلنه لوانسانه الى ان هذا القول بعد ذلك
الاعجاز لم ينشأ الا عن كفر بواح وانهماك فى الغى اجعل الآلهة الها واحدا روى
الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنه لما مرض ابو طالب دخل عليه مشيخة قريش وقالوا ان ابن

ان ابن اخيك يشتم آلهتنا فلو نهيته فبعث اليه ابو طالب فلما حضر قال يا ابن اخى ان قومك
يشكونك انك تشتم آلهتهم فقال يا عم انى اسالهم كلمة تدين لهم بها العرب وتؤدى الجزية
اليهم العجم فقالوا ما هى تلك الكلمة نعم نعطيك عشرا قال يقولوا لا اله الا الله فقاموا
ينفضون ثيابهم يقولون اجعل الآلهة الها واحدا قيل كان هذا بعد اسلام عمر ان
هذا لشئ عجاب بليغ العجب مخالف لما اطبق عليه آباؤنا الاولون ولم يكونوا ينكرون
ان مدبرا للكائنات وموجدها هو الله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله فلا وجه لما قيل انما قالوا لان الواحد لا يفى علمه وقدرته بالاشياء
وانطلق الملأ منهم ان امشوا اى انطلق اولئك الاشراف بعدما سمعوا مقالته و
ان بمعنى اى لان المنطلقين عن مجلس التقاول لا يخلون عن تفاوض واصبروا على آلهتكم
على عبادتها والتمسك بها ان هذا الامر الذى انتم فيه لشئ يراد يطلب ليؤخذ
منكم وتغلبوا عليه او ان هذا شئ ارادة الله تعالى فلا محالة كائن او ان هذا الذى
يطلبه من الترفع على كافة الخلق مراد كل احد او هذا من ريب الدهر ونوائبه الذى
اريد بنا فلا بد من وقوعه ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة اى ملة النصارى التى هى
آخر الملل يريدون ان لو كان التوحيد حقا لم يتكلموا او ملة قريش التى ادركوا عليها
آباءهم او فى الملة الآخرة حال اى كائنا فى الملة وليس متعلقا بسمعنا اى لم نسمع
من احد من اهل الكتاب ولا الكهان ان يحدث فى الملة الآخرة القول بالتوحيد
ان هذا الا اختلاق افتراء مخترع لم يسبق له نظير أانزل عليه الذكر من بيننا انكروا
اختصاصه بشرف النبوة مع كونه واحدا منهم بل وفيهم من له الاسباب من الاموال
والاولاد والحشم اكثر منه ولهذا قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم
وهذا منهم منشأه الحسد لا غير وتلك الخرافات التى تقدمت ناشئة منه بل هم فى شك
من ذكرى اى جزمهم بالاختلاق ليس عن اعتقاد وثبت بل قول بافواههم اذ الشاك
لا حكم له فان قلت الشك فى الذكر وهو القرآن لا ينافى الجزم بان التوحيد مختلق قلت
يرتابوا فيه لاشتماله على دلائله والمرتاب فيهما شاك فيه بل لما يذوقوا عذاب اضراب
عن حديث الحسد والشك والمعنى انهما لا يزولان الا اذا ذاقوا العذاب كقوله فلا يؤمنوا
حتى يروا العذاب الاليم ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب بل اعندهم و
تحت تصرفهم خزائن من اتصف بالغلبة والفيض المطلق حتى يجعلوها لمن شاؤا والاضراب
عن قولهم أانزل عليه الذكر نظير قوله اهم يقسمون رحمة ربك وفى وصفه بالعزة اشارة
الى بطلان ما هم فيه من الترفع والتجبر على من خص بالنبوة لانهم تحت قهر غالب لا يغالب
وبالوهاب الى ان النبوة محض موهبة ربانية فلا وجه للتشفع وذكر الوهاب بمناسبة الخزائن
وفيه اشارة الى ان النبوة ليست عطية واحدة بل عطايا جمة ام لهم ملك السموات والارض
وما بينهما يريد ان ملك السموات والارض شئ من خزائنه الدنية لان العالم الجسمانى

لا يقاس بعالم الروحانيات واذا كانوا عاجزين عن التصرف فيه فهم عن غيره اعجز ثم بين عجزهم بقوله فليرتقوا في الاسباب الموصلة الى العرش والاستيلاء عليه وانزال الوحي الى من يختارون ثم حقر شانهم وخساهم بقوله جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب ما مزيدة للتقليل وهنالك ظرف مهزوم واشير به الى المحل والرتبة كقوله الخليل عليه السلام في حديث الشفاعة لست هناك والمعنى هؤلاء الكفار اعوان وانصار قليلون من الذين يتحزبون على الانبياء عما قريب يكسرون في المحل الذي وضعوا انفسهم فيه اين هم من التعرض لتلك المقالة والاعتراض على مالك الملك والملكوت وقيل هنالك اشارة الى يوم بدر او يوم الخندق او يوم فتح مكة والاول هو الوجه كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد هؤلاء الاحزاب الذين اهل مكة منهم وصف فرعون بذي الاوتاد للاشارة الى طول مدته استعارة من اوتاد البيت المطنب للثبات كقوله في ظل ملك ثابت الاوتاد وقيل كان يعذب بالاوتاد يجعل اعضاءه الاربعة الى الاربعة الاطراف ويضرب على كل واحد وتدا ويتركه الى ان يموت وكان يرسل عليه وهو كذلك الحيات والعقارب والاوتاد مجاز عن الجموع لان بعضهم يشد بعضا وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة قوم شعيب والايكة الغيضة وقراء نافع وابن كثير وابن عامر وليكة على وزن ليلة اولئك الاحزاب اي الاحزاب الذين منهم جند مهزوم هم هؤلاء والمعنى المشار اليهم هم الذين يقال لهم الاحزاب لقوتهم بالاموال والاسباب وطول الاعمار لا جند مكة كما تقول بعد ذكر زيد وعمرو زيد الرجل ان كل الا كذب الرسل اعاد التكذيب ثانيا على اوكد وجه او هو طريقه وافاد ان كل واحدة من تلك الامم كذبت كل رسول الله لان تكذيب واحد منهم تكذيب لسايرهم لان بعضهم يصدق بعضا فحق عقاب بعد ذلك الافراط في التكذيب وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة في النفخة وقيل العذاب المفاجئ من قولهم صاح الزمان بفلان قال صاح الزمان بآل برمك صيحة خروا لشدتها على الاذقان ما لها من فواق من لبث ماخوذ من فواق الناقة وهو ما بين الحلبتين فانها لا تدر دفعة بل تدر ادنى زمان وقرا حمزة والكسائي بضم الفاء وهي لغة وقالوا ربنا عجل لنا قطنا القط القسط من الشيء من القط وهو القطع اي نصيبنا الموعود من العذاب يريدون تكذيبه او نصيبنا من الجنة لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وعد المؤمنين الجنة قالوا هذا الكلام استهزاء قبل يوم الحساب قبل يوم القيمة او لنؤمن به كقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الايد اي تحمل اذاهم واذكر قصة داود فانه لم يكن في زمان نبوته على وجه الارض اكرم على الله ولا اعز منه ومع ذلك جرى عليه من ادنى خطرة خطرت له ما جرى وبكى على ذلك مدة طويلة ونقش جنايته في باطن كفه حتى لا ينساها فما ظنك بهؤلاء المسرفين المستهزئين بالله وآياته او اصبر

او اصبر على ما يقولون واذكر لنفسك حال داود وحافظ على تذكرها لئلا تقع لك في المصابرة ما تعاتب عليه كما عوتب ذلك وعلى هذا الذكر ذكر القلب ذا الايد ذا القوة في الدين والمحافظة على الطاعات بدليل قوله انه اواب وقوله صلى الله عليه وسلم افضل الصيام صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما وافضل الصلوة صلوة داود وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ولان الاوابية لا يدخل لها في قوة البدن انا سخرنا الجبال معه يسبحن على الدوام بالعشي والاشراق اي في هذين الوقتين يقال شرقت الشمس شروقا طلعت واشرقت اضاءت وصفا شعاعها وعن ابن عباس رضي الله عنه انه لما سمع ام هانئ يقول جئت رسول الله يوم فتح مكة فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره فلما اغتسل التحف بثوب وصلى ثمان ركعات وذلك ضحى فقال لقد ظننت ان لهذه الساعة صلوة وتلاها فان قلت كيف دل تسبيح الجبال معه على الصلوة في تلك الساعة قلت لما روي في الحديث ولان تسبيح الجبال مجاز فيحمل تسبيح داود على المجاز لان الحمل على المجاز انسب والطير محشورة جملة وحدة ولذلك لم يراع المطابقة بين الحالين اذ حشرها على هذا الوجه ادل على كمال الاقتدار كل له اواب رجاع الى الله رجوعا بعد رجوع ويلزمه الذكر والتسبيح فكانه قال كل معه تسبيح على الدوام او الرجاع كناية عن المرجع ومعلوم ان الترجيع في التسبيح لا في فعل آخر وشددنا ملكه قويناه بالرجال والعدد قيل كان يحرس محرابه اربعون الفا من ذوي اللامة وقيل كان [illegible] الهيبة وذلك ان رجلا ادعى على آخر بقرة فانكر المدعى عليه فاوحي الى داود ان اقتل المنكر فقال له لم يؤاخذني الله بهذا بل باني قتلت اباه غيلة فامر بقتله فهابه الناس واتيناه الحكمة النبوة وعلم الشرائع كل كلمة وافقت الحق فهي حكمة وفصل الخطاب الفصول الذي يتبينه من يخاطب به ولا يلتبس عليه مصدر بمعنى المفعول والفاصل بين الحق والباطل في القضايا والتدبير فانه اذا انضم الى العلم والحكمة يجمل شان الحاكم وتحقيقه انه كان كاملا في البلاغة يورد كل كلام على ما يقتضيه الحال خاليا عن الاملال والاخلال ويدخل فيه كل ما ذكروه من الوجوه وهذا مثل ما جاء في وصف كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نزر ولا هذر وهل اتيك نبؤا الخصم اذ تسوروا المحراب الاستفهام للتشويق والدلالة على انه من الامور المستغربة التي العلم بها امر خطير والخصم مصدر في الاصل يقع على الواحد والجمع مثل الضيف كقوله حديث ضيف ابراهيم المكرمين تسوروا المحراب تصعدوا والسور حائط المدينة اراد حائط مسجده والمحراب الغرفة و صدر المجلس واذ يتعلق بالنبأ لانه وان كان بمعنى القصة الا انه في الاصل مصدر والظرف يكفيه رائحة من الفعل او متعلق بمقدر اي نبا تحاكم الخصم وتعلقه باتاك لا يستقيم اذ دخلوا على داود ظرف تسوروا او بدل من اذ والضمير للخصم

فَفَزِعَ مِنْهُمْ لانهم نزلوا من الحائط من غير اذن وهم ناس اجانب لا يعرفهم وكان خاليا
للعبادة كان جزّأ الزمان جعل يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما يعظ فيه بني
اسرائيل ويوما يشتغل فيه بخاصته قَالُوا لَا تَخَفْ لما شاهدوا منه اثار الخوف
خَصْمَانِ اي نحن فوجان بدليل قوله تسوروا ودخلوا فهو كقوله خصمان اختصموا
ولا ينافيه ان هذا اخى لانه قول بعضهم بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ وهذا على التمثيل
والغرض فلا يمتنع صدوره عن الملئكة فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ ولا تجر في الحكم
من الشطط وهو مجاوزة الحد في كل شيء وفي الحديث طامح منها لا وكس ولا
شطط وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ الى وسط الطريق الى الحق الذي لا ميل فيه إِنَّ
هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ هي الانثى من الضان يكنى بها
عن المرأة للين عريكتها وضعف بنيتها وكثيرا ما يطلق اهل مصر على الرجل الجبان
الخوّان نعجة فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا اي اجعل امرها الي لاكفلها كما اكفل ما تحت يدي
وحقيقته القيام بامرها كقوله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم كهاتين واشار
بالسبابة والوسطى وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ غلبني في الجدال لا اقدر على رده وقيل
غلبني في الخطبة وينافيه ولي نعجة وقوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك وقوله
اكفلنيها اذ لا يخاطب به الخاطب بل ولي المخطوبة الا ان يجعل مجازا قَالَ لَقَدْ
ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ جواب قسم محذوف وانما اقسم مبالغة في الانكار وحكم عليه
بالظلم اما لاعترافه او على تقدير صدق المدعي والسؤال مصدر مضاف الى المفعول
إِلَى نِعَاجِهِ ضامًّا اليها وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ من الاصدقاء المتعارفين كقوله ان
الخليط اجدّوا البين فانصرموا لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فلا تعجب مما جرى بينكم إِلَّا
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ اي في غاية القلة ما زائدة وهذا
الكلام منه على طريق الموعظة والترغيب في انتهاج مسالك ذلك القليل وايثار دعائم
والتدرع بلباسهم وحمل الخلطاء على الشركاء حديث الاول باعتبه وَظَنَّ
دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ اي ايقن انا ابتليناه استعار الظن لليقين لان الظن الغالب
يدانيه فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا سجد لله لان الركوع وصلة بين عبادة وتطلق
على السجود لانه مبداه وبدايته في الخضوع او اراد به الصلوة مجازا وَأَنَابَ
رجع اليه بالاستغفار وانما بداه بالسجود او الصلوة المشتملة عليه لانه مظنة
الاجابة واليه اشار بقوله صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد الى الله وهو
ساجد وهذا من عزائم السجود عند ابي حنيفة رحمه الله لما روى ابن عباس رضي الله عنه
سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في ص وقال سجدها داود توبة ونسجدها شكرا
واستدل الشافعي بما رواه ابن عباس سجدة ص ليست من عزائم السجود ولكن رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها فقال بها استحبابا فان قلت ما صدر عن داود

من داود حتى اوجب هذا الابتلاء والانبياء عن الصغائر فضلا فضلا عن الكبائر
منزهون قلت هذا على طريقة حسنات الابرار سيئات المقربين وغاية ما يمكن في
حقه انه رأى بغتة امرأة اوريا وهو رجل من غزاه يلقى فسأله ان ينزل له عنها
فاستحيى منه فنزل وهو ام سليمان وقيل لم يكن امرأته بل خطب على خطبته فعوتب في
ذلك وقيل له ما كان ينبغي لمثلك ان يمد عينيه الى متاع الدنيا مع ما خولك من
الملك المديد وكثرة النساء كيف تسأل رجلا له امرأة واحدة ان ينزل لك عنها بل كان
الواجب عليك ان لو سألك هو ان تنزل عنها الاباء الكلي وقهر النفس ومغالبة
الهوى كما فعله سيد المرسلين حين شاوره زيد في فراق زينب هذا ان صح عنه
كان مباحا غايته انه خلاف الاولى وقد روى البخاري عن عبد الرحمن بن عوف
انه لما نزل على سعد بن الربيع قال له لك نصف مالي وانظر ايّ امرأتي اعجبتك نزلت
لك عنها وان كان امرا آخر لم يحكه الله مقتضاه بل ستره عليه فنحن اولى بذلك
فما لنا وللخوض فيه ولذلك لما حكي عند عمر بن عبد العزيز رجل قاص على غير هذا
الوجه من تلك الخرافات التي لا يجوز اشاعتها وكان رجل من اهل المعرفة حاضرا
فقال ايها الرجل ان كانت القصة على ما في كتاب الله فاعظم بما ذكرت فيه وان كان
كما ذكرت وقد سترها الله على عبده فكنت اولى بذلك فقال عمر لسماعي هذا الكلام
احب الي مما طلعت عليه الشمس وعن سعيد بن المسيب ان علي بن ابي طالب قال
من حدثكم بحديث داود على ما يحكيه من القصاص جلدته مائة وستين وقيل ما وقع
منه هو قوله لقد ظلمك بمجرد قوله قبل ان يسأل المدعى عليه ويؤيده قوله بعد هذا
فاحكم بين الناس بالحق فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ بعد الانابة وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى قربة
ومكانة لم يحصل له بتلك الجناية تنزل وَحُسْنَ مَآبٍ مرجع هو جوار الله تعالى في
الجنان يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ يقال استخلفه على كذا اذا جعله و
اليا متصرفا فيه كقوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه او خليفة عن الانبياء
الذين تقدموا فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ الذي امرك الله به اي بحكم الله وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى
فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ طريقة الموصل اليه إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ
شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ اي ذلك الضلال بسبب عن نسيان ذلك اليوم اذ لو
تذكر وراقب احواله واعماله المعروفة في ذلك اليوم على العلام الخبير لم يرتكب
ضلالا قال لعبد الملك بن مروان يوما لابي زرعة انك قرأت الكتاب الاول والقرآن
هل وجدت ان الخلفاء لا يجري عليهم القلم فقال يا امير المؤمنين الخلفاء اعظم ام
الانبياء ثم تلا هذه الآية وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا عبثا باطلا
خاليا عن الحكمة كقوله ما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين بل انما خلقناهما
ابتلاء لكم بالتكاليف والشرائع ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا اي كونهما مخلوقين ناطلا

مظنون الكفار فويل للذين كفروا من النار من بيانية او ابتدائية ام نجعل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض انكار لذلك وكيف يستوي الحكم بين المؤمن
والكافر ام نجعل المتقين من المؤمنين كالفجار كالفساق منهم او تكرير للاول
باعتبار الوصفين واذا كان التساوي منكرا ويلزم هذا الدار الجزاء ولذلك نرى اكثر
اهل الدين والتقوى ناقصة حظوظهم فيها فلابد وان يكون دار اخرى تقع فيها
المجازات كتاب انزلناه اليك مبارك لما بين جملة من المقاصد الصحيحة التي يدعو لها
العقل الصريح ارد فه بوصف الكتاب المشتمل عليه بالبركة واي بركة اعظم من الارشاد
الى البقاء سرمدا فيما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ليدبروا
آياته ويستنبطوا منها دقائق حكمه وليتذكر اولوا الالباب ذووا العقول الخالصة
المبرأون عن العوائق المؤيدون بالتوفيق الناظرون بنور الله فان تلك الدقائق
كالمعلوم عندهم لا يحتاج الا الى التفات الذهن ووهبنا لداود سليمان اردف
قصة الوالد بقصة الولد لانه فتن واناب مثل ما اناب فعبر عن اعطائه بالهبة اشارة
الى جلالة قدره نعم العبد حذف المخصوص للعلم به اي سليمان انه اواب رجاع الى الله
او متوب اي مسبح ولا يكون الا اوابا اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد الصافن
من الصفون وهو الوقوف على ثلث قوائم قال الف الصفون فما يزال كانه مما يقوم
على الثلث كثيرا والجياد جمع الجواد من الجودة بضم الجيم الفرس الواسع الجري وهو
الواسع العطاء ايضا من الجودة بفتح الجيم وصفها بالصفون والجودة جمعا للحسن في
حالتيها كانه قال ساكنة عند الوقوف سراع عند الجري وقيل الصفون وصفها به
بالاصالة فانه يكون في العراب دون الهجن قيل غزا سليمان دمشق فاصاب الف فرس
وقيل ورثها من ابيها واصاب ابوه من العمالقة وقيل خرجت من البحر وكانت ذات اجنحة
وهذا هو الوجه اذ في الارث والاصابة غنيمة اشكال لقوله صلى الله عليه وسلم نحن
معاشر الانبياء لا نورث ولقوله اوتيت خمسا لم يؤت احد من قبلي وعد منها حل الغنائم
فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي استعمال احبه بعن لتضمين معنى انبت او الجار متعلق
بمقدر حالا اي معقبا والخير المال لقوله تعالى ان ترك خيرا الوصية للوالدين والمراد به
الصافنات المذكورة وكان اصله احببت الخير واتم للحب اشارة الى فرط المحبة كانه
لحسنها حتى حجبتها حتى توارت بالحجاب الشمس وفاته صلوة العصر وقيل توارت
الخيل بالحجاب اي بظلام الليل وفيه بعد ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق
اي شرع يقطع اعناقها وعراقيبها قربانا في سبيل الله وخصها بذلك لانها كانت سببا
في الاشتغال وهذا كقطع يد السارق لانها آلة الجناية وفي الحديث سمع رسول الله
رجلا يقول لناقته يا ملعونة فقال ردوها لا يصحبنا دابة ملعونة ولما فاتته صلوة
الصبح ارتحل من ذلك المكان آخر نزر فصاها كراهة له حيث نام عن الصلوة فيه وقيل

وقيل مسح اعرافها وعراقيبها احتراما وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح اعراف الخيل
وقال الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيمة من اعزها اعزه الله ولقد فتنا سليمان
والقينا على كرسيه جسدا روى البخاري باسناده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان سليمان قال يوما لاطوفن الليلة على اربعين امرأة تأتي كل واحدة بغلام
يجاهد في سبيل الله فقال له الملك قل ان شاء الله ولم يقل فما حملت الا واحدة
اتت بشق ولد فوالذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فرسانا وروي انه
كان له ابن يخاف عليه من الجن فكان يربيه في السحاب فكان يوما جالسا فوقع
على كرسيه ميتا فعلم انه كان تاركا لما هو الاولى من التوكل ثم اناب رجع الى الله
تعالى بالتوبة وما ذكره بعضهم من ان خاتمه وقع في يد صخر الجني وانه استولى على
ملكه اربعين يوما وما يضمون الى ذلك من الخرافات فلا يجوز ذكرها لانها اكاذيب
لا يشاعرها عقل ولا نقل قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي كان
ناشيا في بيت الملك سأل معجزة تناسب حاله وقيل قاله شفقة على اخوانه النبيين
حيث راى الدنيا غدارة لا سيما ابهة الملك فطلب من الله ان يزويه عنهم ويخصه
به وقيل لم يرد الا سعة الملك وعظمه لا الاختصاص ويرده قوله صلى الله عليه
وسلم تفلت علي البارحة شيطان فقصدت ان اربطه بسارية من سواري المسجد
فيلعب به صبيان المدينة ثم تذكرت دعوة اخي سليمان قيل للحجاج انك حسود فقال
احسد مني سليمان حيث قال هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي وقد كفر في ذلك الكلام كما كفر
في قوله طاعتنا اوجب من طاعة الله لان الله تعالى قال فاتقوا الله ما استطعتم و
قال واولي الامر منكم واطلق وقد عمي في كفره لان اولي الامر عطف على طاعة الله
ورسوله فكيف يكون احدهما مطلقا والآخر مقيدا وانهما ما استطعتم قيد الاطلاق
انك انت الوهاب لا يرد فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء لينة من الرخاوة
لا تحصب وطيعة وفي ذلك تمام النعمة كالفرس الذلول حيث اصاب قصد حكى
الاصمعي عن العرب اصاب الصواب فاخطأ وقصد رؤبة الشاعر رجلان اشكل عليهما
هذا اللفظ فقالا ما تصيبان فقالا هذا الجواب والشياطين كل بناء وغواص في البحار
لاستخراج الدرر والجواهر وآخرين مقرنين في الاصفاد في القيود كفانهم جمع
صفد بالتحريك وهو العطاء ايضا لربطه المنعم عليه بالمنعم قال ومن وجد الاحسان
قيدا تقيدا ويروى من برك اسرك ومن جفاك اطلقك والفعل للعطاء اصفد و
القيد صفد عكس وعد واوعد هذا عطاؤنا اشارة الى الملكة الممدود فامنن اعط
ما شئت منه او امسك بغير حساب حال كونه غير محاسب لك لا امر مفوض اليك تصرف كيف
تشاء كما هو شان الملوك وعنه صلى الله عليه وسلم خيرني الله بين ان اكون عبدا نبيا
او نبيا ملكا فاشار الى جبرائيل ان تواضع فاخترت ان اكون عبدا نبيا ولذلك كان

مأمورا لم يطلق له التصرف قال إنما أنا قاسم والله المعطي ولما تواضع ولم يلتفت إلى ملك الدنيا عوضه المقام المحمود **وإن له عندنا لزلفى** قربة ومنزلة **وحسن مآب** مرجع في جوارنا ولم ينقص ملك الدنيا شيئا من مكانته **واذكر عبدنا أيوب** هو أيوب بن عيص بن إسحق لما ذكر أولي النعم والآلاء أردف بذكر ذوي العاهات والبلاء ليعلم أنهم كانوا مع الله في السراء والضراء ولذلك قال بعد شرح ملك سليمان ونصب أيوب في كل منهما نعم العبد ومن ذلك افترق أهل الحق في الغني الشاكر والفقير الصابر أيهما أقرب إلى الله **إذ نادى ربه** بدل اشتمال **أني مسني الشيطان بنصب** تعب ومشقة في بدني **وعذاب** ألم في القلب وقيل الأول في البدن والثاني في المال والأولاد وإنما نسبه إلى الشيطان وإن كان كل ذلك بخلق الله تعالى تأدبا أو لأن ما حصل له لفعل رتب على وسوسة إذ أعجب بكثرة المال أو استغاثه مظلوم فلم يغثه أو كانت مواشيه في ناحية كافر فداهنه أو كان يغريه على الجزع والقنوط وإن لو كان له عند الله منزلة لما ابتلاه **اركض برجلك** اضرب بها أي فقيل له ذلك إما بلا واسطة أو بواسطة **هذا مغتسل بارد وشراب** وإنما قدم البارد لأنه أهم للمريض المحرور ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء وإن صح ما يقال لما ركض برجله نبعت عينان حارة وباردة فتقديم بارد للفواصل وعن أبي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم بينما أيوب يغتسل خر عليه رجل من جراد ذهب **ووهبنا له أهله ومثلهم معهم** أي أضعاف ما كان **رحمة منا** عليه **وذكرى** وموعظة لمن يسمع بحاله فيصبر على بلائه **لأولي الألباب** لأرباب العقول الخالصة عن شوائب الأوهام ومن الأمثال لكل شيء آخر والصبر نعم الناصر **وخذ بيدك ضغثا** حزمة من حشيش أو ريحان أو نحوه أصله الاختلاط ومنه أضغاث الأحلام **فاضرب به ولا تحنث** في يمينك فإن زوجته كانت ذهبت في حاجة فأبطأت عليه فحلف ليضربنها مائة ضربة فحلل الله تعالى يمينه وهون عليه وتلك السنة باقية في الحدود **إنا وجدناه صابرا** ولا ينافيه الشكوى إلى الله تعالى واختلف في مدة بلائه وقد تقدم في سورة الأنبياء **نعم العبد إنه أواب** رجاع بالذكر والتوبة **واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب** هؤلاء أيضا أهل البلاء وقدم أيوب لأنه علم في ذلك وقرأ ابن كثير عبدنا بالإفراد إما لقصد الجنس أو لإرادة إبراهيم عليه السلام إشارة إلى شرفه والجمع هو المختار لقوله إله آبائك إبراهيم وإسحق ويعقوب **أولي الأيدي والأبصار** ذوي القوة في الأعمال والبصائر النافذة في التدبر والأفكار وفيه تعريض بالبطلة الجهال كالزمنى والعمي **إنا أخلصناهم** جعلناهم خلصا أصفياء لا كدر فيهم ثم بينه بقوله **بخالصة** أي بخصلة لا شوب فيها **ذكرى الدار** بيان لتلك الخصلة وحاصله نزعنا من قلوبهم حب الدنيا فليس لهم هم إلا الدار الآخرة وإنما أطلقها لأنها الدار

الدار حقيقية وإنما الدنيا كمنزل راكب راح عشيا وهو في الصبح راحل وقرأ نافع وهشام بالإضافة إما إلى الفاعل أي بأن خلصت ذكرى الدار لهم ولم تشب بغيرها أو إلى المفعول على أن الخالصة مصدر متعد بمعنى الإخلاص أي بأن ذكروا الناس ورغبوهم في الآخرة وزهدوهم وهذا الوجه أحسن لأنه تكميل يستدعي سبق الكمال **وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار** جمع خير بكسر الخاء كشرير وأشرار أو بفتح الخاء جمع خير مشددا ومخففا كميت وأموات المصطفين به إذ المختار قد لا يكون خيرا **واذكر إسمعيل واليسع وذا الكفل** هما ابنا عم **وكل من الأخيار** أي كل هؤلاء **هذا ذكر** أي القرآن شرف تذكرون به أو هذا ذكر من مضى من الأنبياء أو لما أريد نقل الكلام من ذكر الأنبياء إلى ذكر الجنة وهما نوعان من الكلام قال هذا ذكر كما يقول الكاتب إذا فرغ من باب وأراد الشروع في باب آخر هذا **وإن للمتقين لحسن مآب** مرجع **جنات عدن** بدل أو عطف بيان وهو من الأعلام الغالبة **مفتحة لهم الأبواب** حال والعامل فيها هو العامل في الجار والمجرور والتقدير جنات عدن استقرت للمتقين حال كونها مفتحة لهم الأبواب بدل اشتمال بلا راجع اكتفاء بدلالة المعنى كقولك في بدل البعض ضرب زيد اليد والرجل **متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب** حالان مترادفان من ضميرهم أو متداخلان واختيار المضارع في الثانية دون الأولى لتجدد الدعاء بهما دون الاتكاء والاقتصار على الفاكهة والشراب لأن ما يتناول في الجنة إنما هو للتلذذ لا لدفع ألم الجوع **وعندهم قاصرات الطرف** لا ينظرن إلى غير أزواجهن **أتراب** متفقات في السن أو لأزواجهن فإن التحاب بين اللذات أثبت جمع ترب بمعنى المتارب كالمثل بمعنى المماثل لأن التراب مسهن معا **هذا ما توعدون ليوم الحساب** أي لأجله فإن الحساب علة الوصول إلى الجزاء وقرأ ابن كثير وأبو عمرو يوعدون بالياء جريا على سنن ما تقدم والباقون بالخطاب التفاتا وهو أحسن معنى وأوفق لقوله وأنتم فيها خالدون بعد قوله يطاف عليهم **إن هذا لرزقنا ما له من نفاد** انقطاع **هذا** تقدم الوجه فيه آنفا **وإن للطاغين لشر مآب** **يصلونها** بدل أو بيان **فبئس المهاد** مهادهم مستعار من فراش النائم **هذا فليذوقوه حميم** هذا مبتدأ وحميم خبره وفليذوقوه اعتراض على نحو زيد فافهم رجل صالح أو ليذوقوه فليذوقوه بالإضمار على الشريطة أو خبر مبتدأ أي العذاب هذا **وغساق** عطف على حميم وهو ما يسيل من صديد أهل النار من غسقت العين إذا سال دمعها وقيل هو شراب يحرق بالبرودة كما أن الحميم يحرق بفرط الحرارة وعن الحسن عذاب لا يعلم عظمته إلا الله تعالى مقابل لما أعد لهم في الجنة التي أشار إليه بقوله فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وقرأ حمزة والكسائي وحفص بتثقيله عن القراء هما لغتان وقيل الأول اسم كالنكال والعذاب و

والمنتن صفة او نسبة كالتمار وآخر من شكله من مثل هذا المذوق في الشدة عطف على حميم و
غساق ازواج صفة للثلاثة او للآخر لانه ضروب واجناس وقرأ ابو عمرو واخر
بضم الهمزة جمع اخرى ككبر وكبرى وازواج خبر ومن شكله صفة المفرد اخف والجمع الاظهر
ولا يخفى ما في ابهام آخر من التهويل هذا فوج مقتحم معكم كلام الرؤساء من الطاغين
للاتباع حين دخول النار كقوله كلما دخلت امة لعنت اختها الا ان الاولى عنه هنالك
هي للاتباع وهنا بالعكس والاقتحام الدخول في الشيء عنفا وقيل هو كلام الخزنة وقوله
لا مرحبا بهم انهم صالوا النار كلام الرؤساء تعليل لاستيهال الاتباع هذا الدعاء
وقيل الكل كلام الخزنة قالوا اي الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم انتم قدمتموه لنا
بالاغواء والاغراء فانتم احق بهذا الدعاء فبئس القرار مكاننا قالوا ربنا من قدم
لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار اي مضاعفا للضلال والاضلال كقوله ربنا
هؤلاء اضلونا فآتهم ضعفا من النار وان جعل قوله لا مرحبا بهم من كلام الخزنة فوجه
قوله بل انتم لا مرحبا بكم ان يكون كلام الاتباع للرؤساء لما دعى عليهم الخزنة صرفوا
الدعاء اليهم لانهم السبب وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار استفهاما
تعجب وتحسر اتخذناهم سخريا صفة رجالا ام زاغت عنهم الابصار ام منقطعة
متصلة بقوله ما لنا لا نرى كأنهم لما لم يروهم في النار وتعجبوا من ذلك قياسا على
حظوظ الدنيا سلوا انفسهم بعض التسلي وقالوا بل زاغت عنهم الابصار فلا نريهم في
النار وهم فيها وقرأ نافع وابن عامر وابن كثير وعاصم بالاستفهام انكارا على
انفسهم كيف اتخذوا سخريا من كان اعلى منا ثم اضربوا الى قولهم بل زاغت عنهم
الابصار او متصلة ومعادلها اتخذناهم على انكار الامرين جميعا كأنهم قالوا انكروا
على انفسهم اي الفعلين فعلنا بهم السخرية او الازدراء والتحقير اذ المسخور منه ربما
كان محجوبا وفي اسناد الزيغ الى الابصار اشارة الى شدة الازدراء بهم كأنهم لفرط
كراهتهم تجتهم الاعين وان قد يحذف همزة الاستفهام في الوجه الاول لدلالة ام عليه
بسوي القراءتان وقرأ نافع وحمزة والكسائي سخريا بضم السين وعن مجاهد ان
الضمير في قالوا لصناديد قريش ولا دليل له فالوجه التعميم في كل طاغ ان ذلك
لحق اي ما ذكر من التقاول كائن لا محالة تخاصم اهل النار بيان له وكان الظاهر
ان ذلك التخاصم حق وانما قدم الحق اهتماما قل يا محمد لمشركي مكة انما انا منذر
لا ساحر كذاب كما تقدم منهم في اول السورة وهذه الدعوى منه بعدما قدم ما يدل
على كونه رسولا باثبات كون القرآن معجزا وما اردفه به من ذكر الانبياء مع اممهم مما
يستقل بانواع من الاعجاز وما من اله الا الله الواحد القهار اي مبعوث بهذين الامرين
الانذار والدعوة الى التوحيد والمعنى انما انا منذر وليس لي علم بمقدار عقابكم هذا
شأنه فالانذار هو المبعوث به وهذا مخصوص لهم والاول هو الوجه لقوله رب

رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار اذ التعقيب بهذه الصفات دليل على كون
الدعوة مقصودة ولان هذا ملخص ما تقدم ومن ذلك قولهم اجعل الآلهة الها واحدا
قل هو نبأ عظيم اي ما انبئت به من الانذار والدعوة الى التوحيد وقيل يوم القيمة
وقيل القرآن انتم عنه معرضون لتماديكم في الغفلة ما كان لي من علم بالملأ
الاعلى دليل على كونه رسولا اذ يختصمون يتعلق بمقدر اي بكلامهم في ذلك الوقت
ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اي الا لانما انا نذير كقولك لمرسل قم ما
كلفتك الا انك حكيم مرشد ولعله اوحي بهذا الامر المشتمل على الامور كلها صريحا او
التزاما ولعله اوحي الا بهذا لانذار دون الهداية اذ قال ربك للملئكة اني خالق
بشرا من طين بدل من اذ يختصمون فان قلت اذ يختصمون ظرف لكلام الملئكة وهذا
لكلام الله فكيف يصح ابداله منه قلت ذلك زمان ممتد وقع فيه الفعلان فان قلت
ما كان ذلك الاختصام قلت هو تقاولهم في شأن آدم واباء ابليس فان قلت الملأ
هم الاشراف وذلك التقاول انما كان من جميع الملئكة كما صرح به في البقرة بقوله
واذ قال ربك للملئكة وقوله قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء قلت
ذلك القول نسب الى الكل لكونه صادرا عن البعض كما يقال بنو فلان قتلوا زيدا ولا شك
ان المتصدي لخطاب الله انما هو الاشراف فان قلت الملأ اسم الجمع فلم وصف بالمفرد قلت
بالنظر الى اللفظ وما قيل من الجائز ان يكون مقاولة الله والملئكة اياهم بواسطة
الملك وان يكون الملأ هنا ملأ الله والملئكة فلا يخفى بعده من غير ضرورة تدعو الى
ارتكابه هذا والوجه ان يكون المراد باختصام الملأ الاعلى ما في الحديث وهو قوله
رأيت ربي في احسن صورة فقال لي فيم يختصم الملأ الاعلى قلت لا اعلم فوضع كفه
بين كتفي فوجدت برده في صدري فعلمت ما بين السماء والارض ثم قال لي فيم يختصم
الملأ الاعلى قلت في الكفارات والحدود ثم اشار مستأنفا الى قصة البعد واغرب
بقوله اذ قال ربك للملائكة ومما يؤيده قوله ان يوحى الي الا انما انا نذير
مبين فاصلا في البين فاذا سويته عدلت خلقته ونفخت فيه من روحي
الاضافة للتكريم فقعوا له ساجدين من غير تراخ لم يذكر جوابا للملائكة لانه
تكرر مرارا ولان مصب الغرض هنا حديث ابليس اشارة الى انه بمخالفة امر الله اولا
جرى عليه ما جرى عليهم فكيف بهم وهم مغمورون في الكفر وانواع المعاصي و
ايماء الى انه امامهم في الدنيا لانه اول من سن العصيان وفي الآخرة فابدهم
الى النار فسجد الملئكة كلهم اجمعون التأكيد بكل واجمعين للمبالغة في
الاحاطة والشمول وقيل الاول للاحاطة والثاني للدلالة على ان سجود الكل كان في زمان واحد ورد
لمخالفة المعنى الاصلي لفظ اجمع وان كان علما من اعلام التأكيد ولمناسبة
المقام لان الاحاطة على وجه الاجتماع في زمان اتم واكثر مدحا للملائكة واشد

تقريعا لابليس الا ابليس استكبر ترفع عن قدره لم يذكر اباه لان الاستكبار يستلزمه وكان
من الكافرين في علم الله في الازل او صار من الملائكة كافرا قال يا ابليس ما منعك
ان تسجد لما خلقت بيدي ذكر اليد تمثيل وتصوير والتثنية للدلالة على كمال الاعتناء
بشأنه وان لو كان خلقه مما يحتاج الى الجارحة واستعمال الآلة لكان من العظم
بحيث لا بد ان يعمل باليدين استكبرت ام كنت من العالين اي ترفعت من غير استحقاق
ام كنت من العالين بعضا ناشئا بينهم متعدا من جملتهم قال انا خير منه خلقتني
من نار وخلقته من طين هذه الشبهة الفاسدة لم يلاحظ شأن الامر وانه المالك
المتصرف له ان يأمر الاشرف بخدمة الاخس وان الحسن ما حسنه والملائكة الذين هم
الملأ الاعلى لم يتجسسوا عن حال المادة ولا نظروا في التفاصيل بين الاصلين بل بادروا
بعد الامر الى ما امروا به هذا وهم مخلوقون من النور وجواب ابليس اخبارا للشيء الثاني
ودعوى انه في نفسه من العالين معللا بكونه مخلوقا من النار وقد بينا فساد تعليله
في الاعراف قال فاخرج منها فانك رجيم مرجوم مطرود من دار الكرامة ومحل الاكرام
لان العادة رجم المطرود بالحجارة او مرجوم بالشهب وان عليك لعنتي ابعد
من جواري ذكرها بعد الرجم اشارة الى كمال خسرانه ببعده من الله الى يوم الدين الى انقطاع
التكليف وحرف الغاية ليس للانقطاع بل لانه يرى بعدها من العذاب ما هو اطم قال رب
فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم اجابه لسؤاله
وانما عبر عنه باليوم المعلوم اشارة الى ان ذلك كان في علم الله قبل سؤاله بل في الازل
وقيل لم يجبه الى ما سأل اذ قصد ابليس يوم البعث لا موت فينجو منه قال فبعزتك
بصفات جلالك التي انا من مظاهرها ومحل حلولها لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم
المخلصين قرأ نافع والكوفيون بفتح اللام وهو المختار قال فالحق والحق اقول
بنصب الاسمين على ان الاول مفعول مطلق اي احق الحق او على الاغراء اي الزموا او على
حذف حرف القسم وايصال الفعل كقوله ان عليك الله ان تبايعا تؤخذ كرها او تجيء
طائعا وجوابه لاملأن والثاني نصبه باقول والجملة اعتراض بين القسم وجوابه وقد
وقرأ عاصم وحمزة الاول بالرفع مبتدأ خبره لاملأن او بقي كقوله الحق من ربك
او خبرا اي انا الحق نحو فتعالى الله الملك الحق او قولي الحق نحو قوله الحق لاملأن جهنم
منك وممن تبعك منهم اجمعين توكيد للضمير المجرور وضمير منهم على معنى الى الاباى من
تبعك من الناس كائنا من كان وترك ذكر التابع من الشياطين اكتفاء اذ هم اولى بذلك
من الناس لقوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس او تاكيد لضمير منك اي
من جنسك والمجرور في من تبعك فيشمل الكل والاول اوجه لان التقاول بينه تعالى
وبين ابليس انما هو في شأن عباده الذين عادى اباهم ولعن لاجلهم قل ما اسألكم
عليه من اجر وما انا من المتكلفين بان اقول على الله واقول شيئا ليس عندي وليس الغرض

ليس الغرض من قوله هذا اعلامهم بفائدة هذا الخبر بل الاستشهاد بمعرفتهم حاله على صدق
مقاله ان هو الا ذكر للعالمين اي القرآن موعظة للثقلين وهذا ابلغ من قوله ذي
الذكر في اول السورة فانتظم الخاتمة مع الفاتحة ولتعلمن نبأه بعد حين بعد الموت
او قيام الساعة او ظهور الاسلام وفيه تهديد ووعيد شديد تمت السورة و
الحمد لله وحده سورة الزمر وهي اثنان وسبعون آية مكية الا قوله قل يا عبادي
الذين اسرفوا الى آخر ثلث آيات بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب مبتدأ
خبره بقوله من الله العزيز الحكيم او خبر مبتدأ محذوف اي هذا والجار صلة التنزيل
او خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف وحال عمل فيه معنى الاشارة لان المقدر
كالملفوظ والكتاب على الاول القرآن لاطلاق اللفظ فخامة المعنى وعلى الثاني
السورة بقرينة الاشارة والاول اوجه لما ذكرنا ولقوله انا انزلنا اليك الكتاب
بالحق ملتبسا او بسبب اظهاره فاعبد الله مخلصا له الدين ممحضا له الدين عن
شوب الشرك والرياء الا لله الدين الخالص اي تنبهوا ايها السامعون بان الذي
يجب ان يخلص له الدين هو لا غير لاتصافه بصفات الجلال والجمال والاطلاع على الاسرار
والذين اتخذوا من دونه اولياء المستكن في اتخذوا للموصول وهم العابدون
والخبر يقولون مقدر من قوله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى او الخبر ان الله
يحكم بينهم والقول حال والموصول للمعبودين والمستكن للمشركين وان لم يسبق
ذكرهم لدلالة السياق والعائد الى الموصول محذوف اي الذين اتخذهم المشركون
اولياء ويتعين ان الله يحكم بينهم للخبرية والقول المقدر حال وقيل بدل من
الصلة وليس بذلك اذ حذف البدل ينافي المقصود منه فيما هم فيه يختلفون اي
العابدون والمعبودون واختلافهم انهم يلعنونهم ويتبرؤن منهم وهم يرجون
تقريبهم الى الله او الفريقان من المؤمنين والكفار واختلافهم ظاهر والحكم بينهم
ادخال المحق الجنة والمبطل النار ان الله لا يهدي لا يوفق من هو كاذب كفار
اي لا يهديهم والاتيان بالمظهر تعليل للحكم وايثار صيغة المبالغة في الوصف
الثاني لانه منشأ الاول لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء اي
لو اراد اتخاذ الولد لامتنعت تلك الارادة اي تعلقها لان الاتخاذ محال والارادة
صفة ترجح بعض الممكنات فحذف الجواب وجيء بدله لاصطفى اشارة الى ان الممكن في
حقه هو هذا لان المخلوق لا يماثل الخالق فلا يصلح للولدية فلو هنا مثلها في
قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ثم اشار الى دليل الامتناع بقوله سبحانه
هو الواحد هو الاله لا غير فلو كان له ولد لكان شريكا له لكان جزءا منفصلا منه
والواحد الحقيقي من كل جهة لا يعقل فيه ذلك ولانه يماثل الوالد في تمام الماهية فيمتاز
كل منهما بتعين ولا يستند ذلك التعين الى الماهية والا لانحصرت في فرد فيكون بسبب

منفصل وهو عين الاحتياج تعالى عن ذلك القهار الذي لا يغالب وكل شيء تحت قهره فناء
الزوال المحوج الى الولد الذي يقوم مقامه ثم بين ذلك بما لا مزيد عليه بقوله خلق
السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل التكوير اللف
من كار العمامة وكورها لفها على راسه ولما كان الليل والنهار خلفة يعقب كل منهما الآخر
شبه احاطة كل منهما بالآخر اي بمكانه بان يصير اسود مظلما بعدما كان ابيض مشرقا
وبالعكس باللباس الملفوف على صاحبه او شبه تغيب كل منهما بالآخر بستر الشيء الظاهر
عن مطامح الانظار او لما كان كل منهما كرورا متتابعا كتتابع اكوار العمامة شبه به وهذا
اوجه لاشتماله على الزيادة وهي الاطراد الدال على كمال الاقتدار ولا يضر كون
الاكوار في العمامة متظاهرة وفيهما متعاورة وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل
مسمى منتهى دوره ومنقطع حركته الا هو العزيز الغفار لما كان الدليل الذي ساقه
يحسم مادة توهم الولد بل الشركة مشتملا على كمال الاقتدار مدمجا فيه معنى الرأفة
بما اشار اليه من التكوير الذي هو مدار الراحة والتكسب ذيله بالوصفين ترغيبا
للمذنب في التوبة وترهيبا للمصر بالعقاب خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها
قدم دلائل الآفاق لكونها الحد وقد يقدم دلائل الانفس لكونها اغرب وابدع
باعتبار المقامات وفيها ثلث دلالات الاول خلق آدم من تراب ولم يصرح به
لشهرته الثاني اخراج حوا من ضلعه الاقصر وثم للتراخي رتبة لان خلقها على
النمط المذكور ابدع من تشعب الخلق الكثير من ام واب او عطف على مقدر اي
خلقكم من نفس واحدة خلقها ثم خلق منها زوجها وقيل خلقكم اشارة الى اخراجهم
في عالم الذر وخلقها في هذا العالم وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج هي التي عدها
في الانعام من الابل اثنين ومن البقر اثنين ومن الضان اثنين ومن المعز اثنين و
الانزال اما انزال الماء الذي هو سبب تعيشها او لان قضاياه تعالى توصف بذلك
لانها مسطورة في اللوح او لانه انزل هذه الاجناس من الجنة والزوج اسم لكل شيء معه
آخر من جنسه فاذا انفرد فهو فرد ووتر يخلقكم في بطون امهاتكم بيان لكيفية
خلق ما ذكر خص الانسان لانه المقصود ويعلم حال البواقي منه او على طريقة التغليب
خلقا من بعد خلق بشرا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد مضغ من بعد علق
من بعد نطف في ظلمات ثلث ظلمة البطن والرحم والمشيمة او الصلب والبطن و
الرحم ذلكم الموصوف الله ربكم الذي اوجدكم له الملك السلطان دون غيره
لا اله الا هو فانى تصرفون كيف يعدل بكم بعد هذا البيان الى الشرك بغيره ان تكفروا
فان الله غني عنكم لان ذاته كافية في كل كمال تعالى عن ان ينتفع بخير او يتضرر بشر و
ولا يرضى لعباده الكفر لكل عبد فان الرضى ايثار الشيء مع الاستحسان فهو اخص
من الارادة يقابل السخط والارادة الكراهة فهما غيران بالضرورة ثم في العدول

العدول عن الخطاب اشارة الى ان كونهم عبيد الله يقتضي ان لا يرضى لهم بذلك وانهم اذا
اتصفوا بالكفر خرجوا عن رتبة العبودية ثم اشار الى مزيد الاختصاص بقوله
وان تشكروا يرضه لكم قراءة ابو عمرو وفي رواية السوسي وهشام عن ابن عامر
والدوري عن ابي عمرو في احد الوجهين باسكان الهاء لما نقل الفراء ان العرب
تسكن هاء الضمير اذا تحرك ما قبلها وضم بلا صلة عاصم وحمزة وهشام في وجه
ونافع وبالضم والصلة ابن كثير والكسائي وابن ذكوان والدوري في الوجه
الآخر وهو الاصل لوقوع هاء الضمير بين متحركين ولا تزر وازرة وزر اخرى
ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور بمضمراته
واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه راجعا اليه لا يخطر بباله غيره لزوال
ما ينازع العقل ثم اذا خوله اعطاه مالا وملكه من الخول وهو العطاء الذي
لا يقصد به عوض اذا كان له وقع لان اصله التعاهد والحفظ يقال فلان خايل
مال اذا اصلحه وقام بامره ومنه حديث ابن عمر كان رسول الله يتخولنا بالموعظة
كراهة السآمة علينا او من الخول وهو الافتخار والتكبر ومنه الخيال لانه يوقع فيما
لا حقيقة له نعمة منه نسي ما كان يدعوا اليه من قبل قيل الضمير الذي
كان يدعو الله لكشفه او الله الذي كان يتضرع اليه وما اريد بها الصفة كما في
قوله والسماء وما بناها وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله تعليل للجعل وان لم
يكن غرضا وقرأ ابن كثير وابو عمرو يضل بفتح الياء والضم ابلغ ذما اذ كل مضل
ضال قل تمتع بكفرك قليلا امر تهديد لا يراد منه وجود الفعل انك من اصحاب
النار اقناط له عن نعيم الجنة امن هو قانت آناء الليل قائم بوظائف الطاعات
في ساعات الليل لان القيام فيها اشق واستر وابعد من الريا واقرب الى الاجابة
ام منقطعة ومعادلها محذوف لتقدم ذكر الكافر ولقوله قل هل يستوي الذين
يعلمون والذين لا يعلمون والاستفهام للتبكيت كانه بعد ما لخص الموجب لاخلاص
الدين له قال لسامعه هل من آثر الكفر كمن قام بشكر النعمة ويجوز ان يكون منقطعة
كانه قال اعرض عن بيان الموجب لانه جلي وقل اهذا خير ام ذاك وقرأ نافع وابن
كثير وحمزة امن مخففا على انها همزة استفهام دخلت على من الموصولة والمعادل
محذوف لما تقدم ساجدا وقائما حالان يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه حال
آخر او استيناف للتعليل قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون اي هل
يستوي القانت وغيره وانما آثر ما في التنزيل دلالة على ان ذلك مقتضى العلم و
ان العلم اذا لم يقترن بالعمل ليس بعلم سواء جعل من اقامة المظهر مقام المضمر او
استينافا فالسؤال تبكيت ويجوز ان يكون على طريقة التشبيه اي كما لا تساوي بين
العالم والجاهل فكذا بين القانت وغيره ولا ارتياب لهم في الثاني لانه مركوز في

في الطباع وقيل همزة امن حرف النداء كانه قيل يا من هو قانت آناء الليل قل لهم هل
يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون على ان المنادى رسول الله صلى الله
عليه وسلم والوجه هو الاول وهو نور فوائد انما يتذكر اولوا الالباب بالعقول
الخالصة من شوائب الوهم قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم اذ قد علمتم
ان الطائع ليس كالعاصي للذين احسنوا في هذه الدنيا اي اخلصوا الدين
لله فيها حسنة واي حسنة وارض الله واسعة اعتراض لدفع ما عسى يتعلل
به المفرط انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب من تتمة الاعتراض كانه
لما ازاح عللهم بانه ارض الله سعة حال في خلدهم هل يمكن ان يكون الاتساع
فارغ البال في غير بلدته اجيبوا بان اجر الصابرين بغير حساب انما هو لارتكاب
مشقة الهجرة ومفارقة الحباب وعن السدي ان حسنة مبتدأ وفي هذه الدنيا
بيان وللذين احسنوا الخبر والمعنى ان لهم في هذه الدنيا حسنة بسبب هي الصحة
والعافية وتمام توفيه الاجر في الاخرة قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين
جواب لقريش لما دعوه الى ملة عبد المطلب وامرت لان اكون اول المسلمين وامرت
بذلك الاخلاص لاكون مقدما في الدنيا والاخرة حائز فضيلة السبق ويجوز ان يكون
اللام مزيدة يدل عليه قوله امرت ان اكون اول من اسلم اول المومنين اول المسلمين
وفائدتها تاكيد الطلب والارادة ولا تزاد الا مع ان جبر الما فاتها من الاصل اذ
الاصل في الفاعل صرائح الاسماء والمعنى امرت ان اكون اول الذين دعوتهم الى الاسلام
ويلزم ان يكون اول مسلم في زمانه ومن قومه واول من دعا نفسه الى ما دعا اليه غيره
قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم بترك الاخلاص قل الله اعبد مخلصا
له ديني وليس فيه تكرار لان الاول للاخبار بانه مامور بالاخلاص والثاني امر
بالاخبار باختصاصه تعالى به دون غيره فاعبدوا ما شئتم من دونه امر تهديد كما
تقدم قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة اي ان الكاملين
في الخسران الذين اوردوا انفسهم واهليهم في النار وخسروا اهليهم بان فارقوهم فانه
لا رجوع بعدها ان كان من اهل الجنة او اهليهم في الجنة ان كانوا مومنين وفي
الحديث ما من عبد الا وله مقعد في الجنة ومقعد في النار الا ذلك هو الخسران المبين
استيناف مصدر بحرف التنبيه والمبتدأ اسم الاشارة ووصف الخسران بالمبين بعد توسط
الفصل وتعريف الخبر مبالغة في خسرانهم ثم زاد عليه بقوله لهم من فوقهم ظلل من النار
ومن تحتهم ظلل اي يحيط بهم النار المتكاثفة من جميع الجهات واطلاق الظلل على
الاطباق السفلى من اطلاق اسم الضد او المماثل لتساويهما في الحرارة وقيل لانها ظلل لآخرين
ويرد عليه اهل الدرك الاسفل مع ان التكاثف هناك اشد ذلك يخوف الله به عباده
اي ذلك العذاب المذكور يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون اي يا عبادي الذين

المومنين فاتقوا العذاب المعد للكافرين والذين اجتنبوا الطاغوت اصله طغيوت
او طغووت من الطغيان قدم اللام على العين ففيه مبالغات من جهة البناء والتسمية
بالمصدر والقلب اذ لا يطلق الا على الشيطان حقيقة لانه رأس
في الضلال وعلى غيره مجازا ان يعبدوها بدل اشتمال وانابوا الى الله اقبلوا اليه
بشراشرهم لهم البشرى من الله على لسان الرسل والملئكة عند الموت فبشر عباد الذين
يستمعون القول اي فبشرهم وانما اظهر لبيان تعدد موجب الاستحقاق فيتبعون
احسنه اي احسن الجائزين بايثار الراجح كالعفو على القصاص والاغضاء على الانتصار
والاخفاء على الابداء فهو ضربكم وحاصله حراص على ايثار الافضل فالافضل نقادا
وفيه تحقيق الانابة وعن ابن عباس هو الرجل يسمع الحديث فيه الحسن وغيره فيحدث
بالحسن ويكف عما سواه اولئك الذين هداهم الله ووفقهم لذلك الايثار وذكره
امتنانا واولئك هم اولوا الالباب العقول الخالصة عن شوائب الوهم ثناء عليهم
بانهم لم يدنسوا الفطرة افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار
جملة شرطية عطف على مقدر اي انت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب فانت تنقذه
وكررت الهمزة لتاكيد الانكار لان الشرط والجزاء جملة واحدة والاستفهام انما
يتوجه الى مضامين الجمل ويجوز تنزيله على الجملتين تقديره افمن حق عليه كلمة العذاب
فانت تخلصه افانت تنقذ من في النار على ان الثانية استيناف يدل على الجزاء
المحذوف وحاصل الوجهين انه نزل استحقاقهم العذاب وهم في الدنيا منزلة دخول
النار اما لان ضلالهم موصل اليه او نثبت حاله صلى الله عليه وسلم في المبالغة
معهم بحال من يريد انقاذه من في النار لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها
غرف قصور عالية مقابل لقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل مبنية
محكمة لا كعلالي الدنيا يكون اضعف من الاسفل تجري من تحتها الانهار لان الماء
الجاري جالب للسرور وعد الله مصدر موكد لا يخلف الله الميعاد لانه كذب وعجز
تعالى عنه وعن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة غرفا يرى بطونها
من ظهورها وظهورها من بطونها فقال له اعرابي لمن هي يا رسول الله فقال لمن اطعم
الطعام واطاب الكلام وصلى بالليل والناس نيام وعن ابي سعيد الخدري ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان اهل الجنة يتراؤن اهل الغرف كما تتراؤن الكوكب
الدري في الافق الشرقي والغربي فقالوا يا رسول الله اولئك النبيون قال والذي
نفسي بيده واقوام آمنوا بالله ورسله الم تر ان الله انزل من السماء ماء المطر او
سائر المياه لما روي انه ينزل تحت الصخرة ثم يقسمه الله فسلكه ينابيع في الارض
ادخله في اعماق الارض حال كونه عيونا تجري في المجاري كالعروق في الجسد ثم يخرج
به زرعا مختلفا الوانه انواعه واصنافه من بر وشعير وسائر الحبوب واشكاله

وهيئاته من البياض والسواد ثُمَّ يَهِيجُ ييبس فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا من غاية اليبس ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا
فتاتا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى تذكرة تدل على ان للعالم صانعا مدبرا او على ان هذا مثل
الدنيا وسرعة زوال نعيمها فيكون تنفيرا عنها بعد الترغيب في الآخرة لِأُولِي الْأَلْبَابِ
اذ غيرهم لا يتذكر أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ اشارة الى ان
علة عدم قبول المشركين ما يدعوهم اليه من الايمان وان ذلك ليس لقصور في الداعي
ولا لعي وفتور في التبليغ بل لما استأثر الله به من الهداية وفي الحديث ان الله خلق
الخلق في ظلمة ثم ألقى عليهم نوره فمن اصابه من ذلك النور اهتدى ومن اخطأه
غوى وشرح الصدر كناية عنه لان محل القلب الذي به الادراك واليه اشار بقوله
اذا دخل النور القلب انشرح له الصدر فقيل هل لذلك علامة قال نعم التجافي عن
دار الغرور والانابة الى دار الخلود والتأهب لما بعد الموت وهذا مثل امن هو قانت
فحذف الخبر والدال عليه فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ في اسناد شرح الصدر
اليه تعالى والقسوة الى قلوبهم اشارة الى سبق رحمته أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ظاهر بادنى
تأمل نزلت في حمزة وعلي وابي لهب وولده اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ عن ابن مسعود رضي الله
ملوا يوما فقالوا حدثنا يا رسول الله فنزلت ثم ان ايقاع اسم الجلالة مبتدأ وبناء
نزل عليه دليل على احسنيته لصدوره ممن لا يتصور الخلل منه فهو احسن حديث صدر
من اجل متكلم كِتَابًا مُتَشَابِهًا بدل من احسن اي متشابها ابعاضه في الصحة والاحكام
والبناء على الصدق والحق وتناسب الالفاظ وتجاوب النظم وتاليفه في الاعجاز مَثَانِيَ
جمع مثنى من التثنية او مثنى مفعل من الثني لان اقاصيصه واحكامه ومواعظه تتكرر في
اساليب مختلفة وفيه رمز الى نوع اعجاز وذلك ان كل حديث اذا اعيد يسمج في المسامع
بخلاف القرآن فانه كلما اعيد حلا وازداد بهجة فكان الوصف به مؤكدا لاحسنيته او
جمع مثنية لاشتماله على الثناء على الله والرسل والملائكة والمؤمنين وانما وصف الكتاب
باعتبار تفاصيله لقيام المعنى بها لا باعتبار الجملة ويجوز ان يكون مثاني بيانا للمتشابه كقولك
رأيت رجلا احسن شمائل فيتقيد التشابه به والاول اولى معنى تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ
يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ تصوير للخوف بذكر آثاره وتشبيه حاله بالحري على طريقة التمثيل او ذكر
له بذكر لازمه او هو تحقيق الواقع وانهم اذا سمعوا تلاوة القرآن تعتريهم تلك الحالة
والاقشعرار انقباض الجلد وقف الشعر ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ الى رحمته
الواسعة وانما لم تذكر لاشتهارها بسبق الرحمة فلم يسبق من ذكر الله الى الخاطر غيرها
وقد دل عليها لين الجلود والقلوب ايضا وانما لم يذكر القلوب اولا لان اقشعرار الجلد
منشأه خشية القلب وقدم الجلود ثانيا اشارة الى فرط رحمته وشدة سرايتها ذَلِكَ
هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ذلك الكتاب والمنعوت نفس الهداية التي يوفق الله بها كقوله
هدى للمتقين وفي ابتناء من يشاء على الضمير تفخيم لشأنهم كأنهم ممتازون من سائر العباد

من سائر العباد لكونهم مصب المشيئة وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ اذ خلاف مراده محال
أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ مثل آخر للمؤمن والكافر كقوله أمن هو قانت وقوله
افمن شرح والمقابل محذوف للعلم به اي كالآمن وذكر الوجه لان الكافر يلقى في
النار منكوسا مغلولة يداه الى عنقه فلا يقدر ان يتقي الا بوجهه يَوْمَ الْقِيَامَةِ متعلق
بيتقي او هو من تتمة سوء العذاب والمعنى افمن يتقي عذاب يوم القيمة كالمصر على الكفر
ويجوز ان يراد بالوجه الجملة والاصل العذاب السوء وصفا بالمصدر ثم قدم
الوصف واضيف مبالغة على مبالغة وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ يقال لهم وايثار المظهر للتسجيل
عليهم بالظلم والاشعار بالموجب والواو للحال ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ اي وباله
كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ شرع يهددهم بعد ضرب الامثال وشرح مباينة الاحوال
وما للكفار من الويل والاهوال كانه يقول ان لم يكن لهم قلوب يعقلون بها فلا اقل
من ان يدركوا المحسوس فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ فاجاءهم بغتة من جهة
لا يتصورون مجيئه منها وذلك افظع لان توطين النفس على الشدة قبل اللقاء مما يهون
فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بالقتل والسبي والخسف وغيرها وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ
أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ اولئك او هؤلاء لاعتبروا وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ
مِنْ كُلِّ مَثَلٍ مما يحتاج اليه تتميم لما تقدم من الامثال وتمهيد لما يستعقبه لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ
لان المثل يجعل المعقول كالمحسوس قُرْآنًا عَرَبِيًّا حال مؤكدة لان ذكر الموصوف للتمهيد
كانه قال عربيا محققا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لا عوج فيه بوجه قط لانه في سياق النفي وهو
ابلغ من قولك لا عوج فيه لانه يحتمل المبالغة كما في لا فتى الا علي ولذلك اوثر على مستقيما
وغير معوج ولاختصاصه بالمعاني لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ بعد ذلك التذكر ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ ارشده الى طريق المحاجة والتبكيت
في اوانها فكانه قال اضرب لقومك هذا المثل وقل لهم ما تقولون في عبد مشترك بين
شركاء مختلفين فيه متغالبين فيه بسوء خدمته كل منهم على حسب اغراضهم ثم هو مع
هذا التعب متحير في شانه لا يدري على من يعتمد وممن يطلب مؤنته دائما ضائع الحال
مضطرب فهمه شعاع وقلبه اوزاع وآخر لواحد من غير شركة فيه فهو فارغ البال
رضي الحال احواله مضبوطة ومقاصده بالنجاح منوطة فهذا مثل من يثبت آلهة
شتى يتغالبون فيه فلا يدري على ايهم يعتمد ولا احد منهم يقوم بامره ومن لا يثبت
الا الها واحدا يقوم بما يحتاجه به والمولى راض عنه ملاحظ له بعين عنايته
قرأ ابن كثير وابو عمرو سالما بالالف بعد السين اسم فاعل اي خالصا عن الشركة و
الباقون بفتح اللام من غير الف مصدرا بمعنى الخلوص اما بتقدير مضاف او جعل عينه
مبالغة كرجل عدل وعليه الرسم هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا نصب على التمييز اي هل يستوي الندان
مثلين كلا لا يستويان وهم معترفون بذلك فهم اذا يجيبون مبكتون مثلا الْحَمْدُ لِلَّهِ

او قل الحمد لله على ما انعم عليك بل اكثرهم لا يعلمون انك لم تحمد الله او لا يعلمون ان الحمد
مختصة به لا يشاركه فيها احد انك ميت وانهم ميتون آثر الميت على المائت مع ان
المعنى على الاستقبال لان من كان الموت طوق عنقه فجوته عين موته وان طال المدى
ثم انكم يوم القيمة غلب المخاطب عند ربكم تختصمون بالبرهان على انك اجتهدت
وبالغت وبعتذرون بما لا طائل تحته مثل قولهم انا وجدنا اباءنا على امة وقولهم انا
اطعنا سادتنا وكبراءنا وقيل الاختصام اعم من ان يكون بينه وبينهم او بين المؤمنين
والكفار او المؤمنين بعضهم مع بعض هذا منقول عن جل الصحابة والتابعين و
ذلك لان ضرب المثل للقبيلين وبعموم الموت والتقييد في قوله بل اكثرهم واما قوله
فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق وقوله والذي جاء بالصدق انما يدل
على دخوله معهم دخولا اوليا والكذب على الله بنسبة الولد اليه والصدق
ما جاء به محمد جعل نفس الصدق مبالغة اذ جاءه من غير تامل بل عنادا ومكابرة
أليس في جهنم مثوى للكافرين فهو كاف لهم مجازاة والذي جاء بالصدق و
صدق به هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل وصدق به ابو بكر وفيه ان
تقدير الموصول غير جائز ويجوز ان يراد الجنس او يقدر قبله فوج او فريق فقوله
اولئك هم المتقون والاحسن ان يراد رسول الله والاتباع يدخل بدلالة السياق
كقوله ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم يتقون يهتدون لهم ما يشاؤن عند ربهم
من انواع الكرامة ذلك جزاء المحسنين كل محسن ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا
ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون اضافة الاسوأ والاحسن من اضافة
الشيء الى ما هو بعض منه كاعلم قريش والاشج اعدل بني مروان من غير مشاركة
المضاف اليه في اصل المعنى مع قصد التفضيل على معنى ان الزلة المكفرة عندهم
هو الاسوأ لاستعظامهم المعصية والحسن الذي يعملونه هو الاحسن عند الله حيث
جازاهم على الحسن مجازاته على الاحسن أليس الله بكاف عبده رد لمقالة المشركين
حيث زعموا ان محمدا تصيبه آفة لذمه آلهتهم همزة الانكار دخلت على النفي فافاد
تقرير الاثبات اي كاف وقرأ حمزة والكسائي اي عبادة الانبياء كلهم او رسول
الله واتباعه والافراد اوفق بقوله ويخوفونك بالذين من دونه وقوله انا
كفيناك ومن كفايته امته فهذا هو الوجه وعليه الرسم ويروى انها نزلت
حين ارسل خالدا لكسر العزى فقال له سادنها احذركها يا خالد ومن يضلل الله
يخذله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل اذ لا رادة لقضائه ولا ثني
دون ارادته أليس الله بعزيز غالب ذي انتقام من اعدائه فما لهم يخوفونك
بعد علمهم بهذا ثم استدل على ذلك بقوله ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله لا يقدرون على غير هذا القول قل افرأيتم ما تدعون من دون

من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن
ممسكات رحمته اي اتقرون بانه المنفرد بالخلق فاخبروني عن حال الحكم ان اراد لي
الموصوف المنفرد ايصال ضر او خير الى هل يقدر على منع شيء من ذلك وانما انث الضمير
بعد قوله بالذين من دونه تحقيرا وتبعيدا عن رتبة الضر والنفع لان الانوثة تنبئ
عن الرخاوة والعجز وتقديم الضر لان دفعه اهم واهون وقرأ ابو عمرو كاشفات
ممسكات منونا ناصبا ما بعد لانه اسم فاعل معتمد على صاحبه روي انه لما تلا عليهم
سكتوا فنزل قل حسبي الله اي كاف عليه يتوكل المتوكلون لتفرده بايجاد الضر والنفع
قل يا قوم اعملوا على مكانتكم المكانة ترادف المكان شاعت في الاحوال والرتب استعارة
محسوسة لمعقول وقرأ ابو بكر بالجمع للتوزيع اني عامل لم يقل على مكانتي ليقابل
بمكانتهم لعدم استمراره على حاله بل شأنه في التزايد كل يوم وقد دل عليه قوله
فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه في الدنيا ويحل عليه عذاب مقيم دائم في الاخرة
فانه اشارة الى كونه منصورا بإظهار دين الله على الدين كله انا انزلنا عليك
الكتاب للناس رجل نفعهم بالحق بالتوحيد والدين الثابت فمن اهتدى فلنفسه
اونفعه لا يجاوزه ومن ضل فانما يضل عليها كذلك وما انت عليهم بوكيل
بمسلط تجبرهم كان عليك البلاغ وقد تممت به قيام الابد الله يتوفى الانفس حين
موتها والتي لم تمت في منامها تقرير لما تقدم من تفرده بالالوهية واشارة الى
ان الاضلال والهداية كالاحياء والاماتة لا يقدر عليهما غيره والنفس تراد في
الروح وهي الجسم النوراني في البدن باتصاله الحيوة وبانفصاله الممات فان قلت
التوفي اخذ الشيء كله فكيف يستقيم في النائم قلت النائم والميت في عدم الحس
والارادة سواء وبقاء التعلق لا يمنع ذلك الاطلاق وما روي عن ابن عباس ان في
ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فبالنفس التعلق والتمييز بالروح
التحرك فالمقبوض عند النوم النفس دون الروح لم يوافق عليه دلالة في ذلك برهان
والله اعلم بصحة النقل عنه فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل
مسمى الوقت المضروب لموته وقرأ حمزة والكسائي قضى على بناء المجهول ان في
ذلك لآيات لقوم يتفكرون في نوعي الاماتة والامساك والارسال ام اتخذوا
من دون الله شفعاء تشفع لهم قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون اي او
يشفعون ولو كانوا جمادات لا قدرة ولا علم لها قل لله الشفاعة جميعا لا يملكه احد
شيئا الا باذنه كانوا يقولون ان الاصنام تماثيل لاناس مقربين عند الله او الملائكة
رد ذلك بان اولئك ايضا لا يملكون شيئا من الشفاعة لاختصاصه به تعالى له ملك
السموات والارض تقرير لذلك الاختصاص ثم اليه ترجعون يوم القيمة وله الملك
في ذلك اليوم على ابلغ وجه لانقطاع التعلقات كلها لقوله لمن الملك اليوم وكذا

ذكر الله وحده اشمأزت انقبضت من التوحيد ونفرت منه من زايدة وعن ابي زيد اشمأزت
ذعر قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه مما يعبدونه اذا هم
يستبشرون فاجاؤا الاستبشار والامتلاء واسوروا لشدة غفلتهم واغراقهم في الكفر
حتى لم يوازوا مبدع الكائنات بتلك الجمادات قل اللهم فاطر السموات والارض عالم
الغيب والشهادة بلغ علوهم في الكفر وشدة شكيمتهم الى ان لم يبق الا الالتجاء الى رب
العباد بان يحكم بينه وبينهم وفيه اشارة الى ان ما اوقيه من بذل المجهود وبلوغه اقصى
الغايات بمكان عند الله حيث امره بهذه المقالة انت تحكم بين عبادك في ابتنائه على قوله
احكم بيني وبينهم مبالغة اخرى وكذا في اجراء الاوصاف الدالة على كمال الاقتدار واحاطته
عليه بالجناية ايماء الى الانتصار والبطش الشديد فيما كانوا فيه يختلفون من التوحيد و
الشرك او الحق والباطل ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به
من سوء العذاب يوم القيامة اجابة لدعائه بانه قد اعدلهم عذابا لو كانت لاحدهم الدنيا
ومثلها معها وافتدى نفسه بها لم يقبل منه وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون من
العذاب الذي لم يخطر على قلب بشر كما لاهل الجنة ضد ذلك وقيل من اعمال عملوها على انها
حسنات فاذا هي سيئات قال ابن دريد يقال اصبت كذا اجرا عند الله وبدا لهم سيئات
ما كسبوا من اعمالهم حين عرضت الصحائف او جزاؤها كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها
وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن احاط بهم جزاؤه فاذا مس الانسان ضر دعانا الكفه
والعطف بالفاء دون ما تقدم او السورة لسببية ما قبله كانه قال اذا ذكر الله وحده
اشمأزوا واذا مسهم ضر دعوا الذي كانوا يشمأزون من ذكره ويسنوا ما كانوا
يستبشرون بذكره وما بينهما اعتراض مؤكد لانكار ذلك عليهم ثم اذا خولناه نعمة منا
كانه هنا تفضلا وتحقيق معنى التخويل في اول السورة قال انما اوتيته اي ذلك الحظ
من النعمة وما في انما موصولة والضمير لها على علم من وجوه كسبه او باني ساعطاه
لما في من الاستحقاق او لعلمه تعالى بذلك بل هي فتنة ابتلاء وامتحان ليتميز الشاكر من
الكافر وتانيث الضمير باعتبار اللفظ او الخبر كقولهم ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك دليل
على ان الانسان للجنس والاكثر بمعنى الكل كالقليل بمعنى المعدوم قد قالها الذين من
قبلهم اي مقالة مقالة هؤلاء وهم قارون والذين قالوا نحن اكثر اموالا واولادا
فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من تلك الاموال فاصابهم بعد تلك المقالة عن قريب
سيئات ما كسبوا جزاؤها والذين ظلموا من هؤلاء المشركين سيصيبهم سيئات ما
كسبوا وما هم بمعجزين الله اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر باعتبار الاول
فدل ذلك على ان البسط ليس لذاته وانما هو بمشيئته تعالى ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون
بان المؤثر في الكائنات هو وحده وللاشد في الوعيد وهذا وارد فيما يدل على رحمته
الواسعة كل شيء السابقة غضبه بانزال رسوله بان يسكن خوف المؤمن والكافر بقوله

بقوله قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم افرطوا في الظلم حاملين عليها لا تقنطوا من رحمة
الله روى البخاري ومسلم ان ناسا من اهل الشرك كانوا قتلوا فاكثروا وزنوا فاكثروا
قالوا يا محمد ان ما تدعوا اليه لحسن لو علمنا ان لما عملنا كفارة فنزلت فيسقط ما قيل
ان اضافة العباد اليه تخصص بالمؤمنين ثم توسط ان الله يغفر الذنوب جميعا مصدرا
باسم الجلالة الدال على الالوهية المستلزمة للغنى المطلق وانه لا يبالي في كل ما يفعل ويحكم
بين المعطوف والمعطوف عليه وتعقيبه بقوله انه هو الغفور الرحيم الدال على المحبة
الغفران والرحمة فيه مع كون الجمع المحلى باللام مفيدا للاستغراق نص على ان شرط
التوبة كلام من حاد عن الحق هذا وله نظائر كقوله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ان
الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وتقييد المشية بالتوبة كنسخ
العنكبوت وقرأ ابو عمرو والكسائي لا تقنطوا بكسر النون وقد تقدم انها لغتان وانيبوا
الى ربكم واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون اي توبوا الى الله واخلصوا له
العمل تلك توبات وفيه لان مغفرته لغير التائب ليست بلازمة والعاقل يفر من مظان الآفة
واتبعوا احسن ما انزل اليكم القرآن لانه احسن الحديث والناسخ منه او المأمور به دون
المنهي عنه او العزائم دون الرخص من ربكم من سيدكم المربي لكم بالارشاد الى الكمال
من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون بمجيئه ان تقول نفس كراهة ان تقول
والتنكير لان القائل بعض النفوس وهي الكافرة او النفس الممتازة بشدة الكفر او عظم
العذاب او للتكثير يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله في طاعته مستعار من الجارحة لما يلزم
الشيء كقوله سائق البريء اما تتقين الله في جنب عاشق له كبد حرى عليك تقطع وان كنت
لمن الساخرين كانه قال فرطت وانا ساخر او والحال او تقول لو ان الله هداني لكنت
من المتقين الشرك والمعاصي او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين
ثم وجه هذا الترتيب ان النفس اذا رأت اهوال يوم القيامة عند تطاير الصحف ومجازاة
الناس باعمالهم تتحسر على التفويت ثم تتعلل بان التقصير لم يكن منها ثم تتمنى ان هذا
كسبت دلالة على ان كل واحد يكون صارفا عن الكفر وداعيا الى اتباع احسن ما انزل
بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين رد للقرينة الثانية
وهي قوله لو ان الله هداني وانما فصل عنها لئلا ينفك نظم القرآن ولو اخرت الثانية
لاختل الترتيب الذي عليه الوجود كما تقدم آنفا وتذكير الخطاب على ارادة الشخص ويوم
القيامة ترى الذين كذبوا على الله كل كذاب على الله وجوههم مسودة جملة موضحة
الحال من تعلق به الرؤية او حالية وقيل في محل النصب مفعول ثان لان الرؤية رؤية القلب
وفيه ان الغرض بيان قبائحهم فلا يلائم رؤية القلب اليس في جهنم مثوى للمتكبرين
اي لهم وابراز المظهر للاشعار بالعلية الاستفهام للتقرير وينجي الله الذين اتقوا
بمفازتهم بفلاحهم اسم مصدر يقال فاز بكذا اظفر به او اسم مكان بمعنى النجاة لان النجاة

من اعظم الفلاح او المراد العمل الصالح او الايمان من الطلاوة واسم المسبب على السبب وقرأ الكوفيون غير حفص بصيغة الجمع لمطابقة المضاف اليه لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون استيناف لبيان الفوز على الوجه الاول وحال على الثاني الله خالق كل شيء عاد الى ادلة التوحيد بعد توفية مقام الوعد والوعيد حقه وهو على كل شيء وكيل حافظ رقيب له مقاليد السموات والارض كناية عن كونه مالك الامور فيهما بيده ازمتها لا يحافظ الخزائن هو الذي بيده مقاليدها جمع اقليد معرب اكليد على الشذوذ كالمذاكير جمع ذكر وقد روى ابن ابي حاتم عن عثمان انه سأل رسول الله عن المقاليد فقال له يا عثمان ما سألني احد قبلك هي لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ولعل المراد ان من تكلم بها فاضت عليه سجال نواله والذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون متصل بينجي الله الذين اتقوا والتقدير وينجي الله المتقين والذين كفروا بآيات الله اولئك المخصوصون بعدم النجاة او بما يليه كانه قيل له مقاليد السموات والكافرون يجحدون ذلك اولئك هم الخاسرون وهذا احسن لقربه ولان قوله وينجي الله متصل بقوله ويوم القيمة ترى الذين كذبوا فلا يحسن ان يقال بعده والذين كفروا كذا وكذا والمراد بآيات الله دلائل قدرته قل افغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون اي اتأمرون بعد هذه الدلائل فغير الله تأمروني اعبد وانتصاب غير باعبد وتأمروني اعتراض والمعنى افغير الله اعبد بامركم ولولا هذا التقدير لما صح لوقوعه في حيز المصدر لا يتقدمه او بما دل عليه تأمروني اعبد اي تعبدونني بمعنى تقولون لي اعبد غيره والاصل ان اعبد فحذف ان كما في قوله الا ايها الزاجري احضر الوغا وقرأ نافع تأمروني بنون واحدة اكتفاء بها وابن عامر بنونين الاولى نون الاعراب والاخرى نون الوقاية والباقون مشددا بادغام الاولى في الثانية ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك من الرسل لئن اشركت ليحبطن عملك اللام الاولى موطئة والثانية لام الجواب والقسم الثاني مسد الجوابين وهذا كلام على سبيل الفرض في الرسل لاغاظة المؤمنين واقناط الكفار والمعنى اوحي اليك والى كل واحد من الرسل هذا القول لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بحبوط عملك بالموت عليه لقوله فيمت وهو كافر وفي الدنيا بعد الكفر اتفاقا والسابق عليه ايضا عند طائفة والقول بان هذا مختصا بهم لم لا يسند مع قول الفرض وهو تحذير الامم بل الله فاعبد رد لما كانوا يدعونه اليه من استلام اوثانهم اي اقصر عبادتك عليه وكن من الشاكرين على هذا التوفيق وما قدروا الله حق قدره من عرف قدر شيء عظمه على حسبه فعبر عن اللازم باللزوم ثم نبه على عظمته وكبريائه بقوله والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ولما دلت البراهين على انه منزه عن الجارحة والقبض بها فاما ان يؤول المفردات بعلاقة مجازية تناسب المقام او يؤخذ زبدة الكلام من غير التفات الى المعاني الحقيقية ولا المجازية بان يراد كمال اقتداره وتحقير الافعال العظام التي تتحير فيها الافهام والاذهان بالنسبة الى قدرته على طريقة التمثيل والتخييل فان قلت اللفظ المستعمل في المعنى لا يخلو عن كونه حقيقة او مجازا فما وجه ما ذكرته قلت المراد عدم الالتفات الى معاني المفردات بالنظر الى الموصوف المجرى عليه وهو الله تعالى شأنه اخذا لزبدة الكلام ولا يقدح ذلك في استعمال المفردات في احد المعنيين من حيث هي والارض اي الارضون السبع لقوله والسموات ولاقتضاء المقام ذلك ولذلك اكده قبل مجيء الخبر بقوله جميعا ومنه يظهر ضعف ارادة الابعاض البادية والغائرة قبضته والقبضة مرة من القبض اطلق على المقبوض كتسمية ما بالمصدر كما روي انه صلى الله عليه وسلم نهى عن خطفة السبع وكقولهم الجزور اكلة لقمان وايثار لفظ اليمين في السموات لدلالته على زيادة الاقتدار الملائم لعظمتهن روى البخاري باسناده الى ابن مسعود رضي الله عنه ان حبرا من احبار اليهود قال يا محمد ان الله تعالى يجعل السموات على اصبع والارضين على اصبع والشجر على اصبع والماء على اصبع والثرى على اصبع والخلائق على اصبع فيقول انا الملك فضحك رسول الله ثم قرأ الآية سبحانه وتعالى عما يشركون به من الجمادات ما ابعد ما اراه ثم بعدما لم يبق ريبة في ادلة التوحيد يضرب الامثال في طرق شتى حتى وضح الصبح لذي العينين شرع في المقصود وهو بيان كيفية وقوع الساعة وما فيها من الاهوال بقوله ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله هذه هي النفخة الاولى التي يموت فيها كل حي الا الحي القيوم وقيل هي الثانية لمغايرتها نفخة الفزع والمستثنى جبرائيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ثم يموت ميكائيل واسرافيل ثم جبرائيل وملك الموت وايهما مقدم خلاف وقيل الشهداء وقيل موسى عليه السلام لما تقدم في سورة النمل ثم نفخ فيه اخرى وهي نفخة البعث فاول من يحيى بعد الصعق اسرافيل صاحب الصور والعطف بثم لما روي ان بين النفختين اربعين يوما فاذا هم قيام ينظرون ينتظرون ما يفعل بهم او يقلبون ابصارهم حيرة كالمبهوت واشرقت الارض بنور ربها عبر عن الحق والكتاب والدليل بالنور الذي هو الظاهر في نفسه المظهر لغيره وقد استعير هنا للعدل الذي يقيم في ذلك اليوم وقد دل على ذلك اضافته الى اسمه ثم اضافته اسمه الى الارض اذ نشر العدل وبسطه رونقها وكما افتتح الآية ختمها بنفي الظلم ولقوله صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيمة ولانه عطف عليه من وضع الكتاب وما بعده تفاصيل العدل ومقوماته وقيل هو عرض يخلقه في الارض من غير شمس ولا قمر وقيل هو نور التجلي الجلالي والجمالي باعتبار الاوقات ووضع الكتاب ديوان القضاء وهو اللوح المحفوظ فيه كل حركة وسكون او كتاب الحفظة واكتفي باسم الجنس وجيء بالنبيين والشهداء المؤمنين من اممهم يشهدون لهم بالتبليغ او

اوالكتبة او من استشهد في سبيل الله فانهم كانوا حول العرش طايفين متقلدين السيوف
يحضرون ذلك اليوم وجاءت كل نفس معها سايق وشهيد وقضي بينهم بالحق بين
العباد وهم لا يظلمون بنقص ثواب او زيادة عقاب ووفيت كل نفس ما عملت جزاءه
تقرير لما تقدم لان القضاء بالحق لا يكون الا كذلك وهو اعلم بما يفعلون من الاعمال وصفاتها
من الاخلاص والرياء وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا سايقهم الملائكة بعد القضاء
الى جهنم سوق الدواب بالعنف عطاشا عميا والزمر جمع زمرة للجمع القليل شاة زمرة
قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروة ولعله باعتبار الجميع والمراد طوائف الكفار مع ما
عبدوه يتبعونه الى النار حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها حين وصولهم بلا لبث وقال لهم
خزنتها على وجه التوبيخ الم ياتكم رسل منكم من جنسكم استفهام تقرير يتلون عليكم
ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا اي لقاء ما فيه من الجزاء وفيه دليل على ان
لا تكليف قبل البعثة قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين اي علينا
وذكر المظهر للاشعار بالعلية والكلمة قوله لاملان جهنم اعترفوا بان لم يكن للرسل
تقصير ولا في الايات من خفاء وانما الصارف القضاء الازلي الذي لا يتبدل قيل ادخلوا
ابواب جهنم طبقاتها بقدر مراتبهم في الكفر وابهم القايل لتهويله اذ من حقهم ان يقول
لهم هذا القول كل قايل خالدين فيها مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين جهنم
اللام للجنس لان كل من ستر الحق وانكره فهو متكبر وفي الحديث التكبر هو ان ترفع على الناس
وغمط الحق وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا طوائف النبيين والشهداء
والعلماء والزهاد وسوق هؤلاء سوق مراكبهم ليصلون الى الحور والقصور سريعا
كما كانوا يسارعون الى الخيرات حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وجدوها مفتحة لهم
الابواب قبل مجيئهم اكراما واجلالا كما ترى الملوك في الدنيا كذلك وقال لهم خزنتها
سلام عليكم امن من كل مكروه طبتم فادخلوها خالدين اي طهرتم عن الذنوب فادخلوا
طبقاتها على مراتبكم وترتيب الدخول على الطيب والطهارة اشارة الى انه لا يدخل الجنة الا
من طهر عن دنس الاثام اما ابتداء او بالتوبة او بالشفاعة او بعد تمحيص الذنوب ويجوز
ان يكون دعاء من الملئكة كما تقول لمن يكون في سرور طاب عيشك وقالوا الحمد لله تلذذا
لا تعبدا الذي صدقنا وعده بقوله ان المتقين في جنات واورثنا الارض ارض
الجنة ترابها المسك نتبوأ منها حيث نشاء لغاية اتساعها فنعم اجر العاملين الجنة من
كلام الله او من كلامهم بعد الدخول وترى الملئكة حافين من حول العرش محدقين به
دايرين حوله اجلالا لا من مزية يسبحون بحمد ربهم ملتبسين بحال الحمد او مقيدين للدوام
والمعنى ذاكرين في طوافهم صفات جلاله وجماله وقضي بينهم بالحق اي بين العباد
كلهم وقيل الحمد لله رب العالمين اعاده لان الحمد الاول على التفريق بينهم في الوعد
والوعيد والسخط والرضاء وهذا على التفريق في الابدان فريق في الجنة وفريق في السعير

في السعير وقيل القضاء الكائن بين الملئكة والحمد منهم على تخصيص كل منه بمنزلته ومقامه
اللائق به والقائل هو المقضي بينهم او الكون كله وكذلك ابهم تمت سورة الزمر و
الصلوة على خير البشر واصحابه اشرف الزمر من اهل المدر والوبر سورة المؤمن
مكية اياتها اثنتان وثمانون اية بسم الله الرحمن الرحيم حم امال الحاء حمزة والكسائي
وابو بكر وابن ذكوان لان الفها تنقلب ياء في التثنية اسم السورة امتنع صرفه للعلمية
والتانيث او للتركيب والعلمية او لكونه على وزن العجمي كقابيل وهابيل وحروف مقطعة
وامال امالة صغرى ورش وابو عمرو تنزيل الكتاب خبر حم او مبتدا خبره من الله
العزيز العليم ايثار الوصفين للدلالة على ان من يجادل لا بانه جاهل مقهور غافر
الذنب وقابل التوب الاتيان بالواو للدلالة على ان التايب فايز بالطلبتين
غفران الذنوب وقبول التوبة الذي هو من اعظم المقاصد ولا يمنع ذلك غفران غير
التايب والتوب مصدر كالتوبة وقيل جمعه والاضافة حقيقية لارادة الاستمرار
شديد العقاب اضافة لفظية تعمد تنكيره لدلالة على زيادة الانذار كقوله
عند مليك مقتدر لكمال الاقتدار اي لا يوصف ملكه ولا يكتنه اقتداره فهو بدل
على ما نقل عن الزجاج وحده او الكل ابدال او وصف بنية اللام كما قال الخليل
في قولك ما يحسن بالرجل خير منك ان يفعل كذا انه على نية اللام ذي الطول
الفضل الوافر من الطول بالضم الطول لا استاذين وفي توحيد صفة العذاب
وتكثير صفات الجمال دلالة على رحمته عليه وانها مغمورة بها لا اله الا هو الا
ذلك الموصوف اليه المصير للجزاء لا الى غيره فلا يبعد غيره ما يجادل في ايات الله
الا الذين كفروا بعد ما تبين ان القران تنزيل من الاله الموصوف بالجلال والجمال
اشار الى ان الجادل فيه كافر والمراد الجدال بالباطل لقوله وجادلوا بالباطل
ولقوله صلى الله عليه وسلم ان جدالا في القران كفر اراد نوعا منه وهو المراء
واما الجدال فيه لايضاح مشكله وازاحة الشبه وتكثير الفوائد واستخراج الفرايد
فهو شان رسول الله والراسخين في العلم فلا يغررك تقلبهم في البلاد في جهتي
الشتاء والصيف الى الشام واليمن بالتجارات النافعة والمكاسب المربحة والفاء
سببية لما قبله اي اذا تبين انهم كفار عند الله فلا ينبغي لاحد ان يلتفت الى
ما هم فيه من الحطام او لك ايها الرسول كقوله فلا تمدن عينيك الى ما متعنا به
ازواجا منهم كذبت قبلهم قوم نوح رسولهم كما كذبوا هؤلاء والاحزاب
من بعدهم الذين تحزبوا على الرسل كعاد وثمود وفرعون وهمت كل امة برسولهم
لياخذوه فيقتلوه او يسروه يقال للاسير اخيذ وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق
ليزيلوه عن مقره وفي لفظ الحق اشارة الى عدم امكان الادحاض فاخذتهم اي
لم يتم لهم ما راموه وتسبيب ذلك لاخذ على اخر جزاء مشاكلا لما هموا به فكيف كان

عقاب فنجوا منه ايها السامعون فانكم قد شاهدتم تلك الآثار وفيه تقرير بتسلية
رسوله بانهم مأخوذون عما قليل وكذلك حقت كلمة ربك على الذين
كفروا قضاؤه انهم اصحاب النار بدل من كلمة والمعنى كما ثبت للكفار العذاب
المستأصل في الدنيا كذلك ثابت لهم عذاب النار والموصول معهود وهم كفار
قريش واللام محذوفة من ان وذا الشانى الى الامم المحزبة اى كما حق اهلاك
اولئك فكذلك اهلاك هؤلاء لانهم متعاندون مجادلون بالباطل هامون باخذ
فالعلة متحدة وانما لم يعلل بتلك الصفات لان كونهم اصحاب النار آخرها و
نتيجتها الذين يحملون العرش ومن حوله وجه اتصاله بما تقدم هو ان الجامع
بين من يجادل من هؤلاء وبين الاحزاب الكفر وبين هؤلاء الملئكة المقربين وبين
المؤمنين هو الايمان يسبحون بحمد ربهم يقدسون عما لا يليق بكبريائه ويثنون
عليه بكل كمال وانما جعل التسبيح اصلا والحمد حالا لان الحمد مقتضى حالهم دون
التسبيح لانهم مظهر الجمال ويؤمنون به حامل العرش المقدس الحامد لا يكون الا
مؤمنا وانما ذكر لاظهار شرف الايمان والدلالة على ان ايمانهم وايمان غيرهم سيان
في كونهما في الدليل والبرهان دون المشاهدة والعيان والمانع خارج عن الطريق
السواء ويستغفرون للذين آمنوا ربنا قائلين ربنا وسعت كل شيء رحمة
وعلما توسلوا اليه برحمته الواسعة وعلمه الشامل وجعلوهما تمهيدا لما طلبوه
بقولهم فاغفر للذين تابوا اى رحمتك واسعة وعلمك محيط بما اخفوا وما اعلنوا
وهم يتضمنان ذلك وفيه اشارة الى طهارتهم من كدر الزلات والهواء فان قلت
اى فرق بين هذا وبين قوله ويستغفرون لمن في الارض قلت يحتمل ان يكون هذا
مفسرا لذلك وان يكون من عاما في المؤمن والكافر والمراد ترك المعاجلة بالعقاب
وادرار الرزق والارتفاق بما خلق من المنافع وان كانت المؤمنون هم الاصل في ذلك
فان قلت هل لحمل التوبة على التوبة من الشرك وجه قلت لا لتقدم ذكر المؤمن ولان
التوبة عند الاطلاق تنصرف الى التوبة عن الذنوب فان قلت التائب المتبع سبيل
الحق اى حاجة له الى استغفار الملئكة والتائب من الذنب كمن لا ذنب له قلت ليس
فائدة الاستغفار منحصرة في طلب الغفران بل لاظهار شرف الايمان وان المؤمنين
بمكان عند الله حتى ان حملة العرش والمقربين من الكروبيين يشتغلون بالدعاء لهم
الا ترى انا مأمورون بالصلوة على رسول الله الذي صلى الله عليه وملئكته وقد
غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر واتبعوا سبيلك الطريق الموصل الى جنتك التوبة
اشارة الى التخلية وهذا الى التحلية وقهم عذاب الجحيم تصريح بما علم ضمنا فان
المغفور له لا عذاب عليه والتقييد بالجحيم لشدة هوله ربنا اعاده للتلذذ بذكره
وتذللا لعزه وتوسلا به لما طلبوه وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح

ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم عطف على هم الاول اى ادخلهم مع هؤلاء
ليتم سرورهم كقوله الحقنا بهم ذرياتهم او على الثانى لعموم الوعد انك انت العزيز
الذي لا يمتنع عليه مقدور الحكيم الذي لا يفعل الا الحكمة ومنه الوفاء بالوعد
وقهم السيئات العقابات او على تقدير مضاف اى جزاء السيئات تعميم بعد التخصيص
لان عذاب الجحيم منها وقد علم ان الغرض اظهار شرف المؤمنين فلا يقدح ان الكبائر
مكفرة بالتوبة والصغائر باجتناب الكبائر او الضمير لمن صلح او المعاصي في الدنيا
لقوله ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته اى ومن تقه في الدنيا فقد رحمته في
الاخرة وذلك هو الفوز العظيم لانه ملك الابد بعمل يسير ان الذين كفروا ينادون
يوم القيمة لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان المقت اشد البغض
واذ تدعون ظرف للمقت الاول ولا يمنعه فصل الخبر للاتساع في الظروف والمعنى
ان مقت الله لكم في الدنيا حين دعاكم الرسل الى الايمان فتكفرون فكفرتم
بالله وكذبتم الرسل اشد من مقتكم انفسكم الان وايثار المضارع للدلالة على
استمرار الرسل على الدعوة واستمرارهم على الكفر او مقت الله يوم القيمة اكبر
من مقتكم فيه واذ تدعون تعليل للثانى لانه لم يكن حين الدعاء قالوا ربنا امتنا
اثنتين واحييتنا اثنتين الاماتة الاولى السابقة على افاضة الحيوة على النطفة
والثانية عند انقضاء الآجال والاحياءة الاولى هي المتعقبة لتلك الاماتة
والاخرى الابدية التي بعد البعث وطوى ذكر الاماتة والاحياءة في القبر لان
المنكر للحيوة بعد البعث منكرها هكذا عن ابن عباس وابن مسعود واليه اشار
بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم والتحقيق ان الاماتة لا يستدعي
سبق الحيوة حقيقة لان صرف المصنوع عن احد الجائزين كفعله عنه كما يقولون
للراسم وسع الدائرة هذا ومن قال ان الاماتتين هي الاولى المعروفة والتي
في القبر لزمه ثلث احياءات فان اجاب بان احياء القبر واحياء البعث نوع
واحد وهم ينكرونه بقسميه فلذلك اقتصر على احدهما ورد عليه ان الاماتة
في القبر على ما قاله دليل على ان التعدد شخصى اللهم الا ان يقال المراد بالا
حياءتين احياء القبر واحياءة البعث لانهما المنكرتان ويتفرع عليه قوله
فاعترفنا بذنوبنا وهو التكذيب بالاماتة والاحياءتين فهل الى خروج من سبيل
من طريق نسلكه سريعا او بطيئا كلام القانط بقوله تعللا وتحيرا ولذلك
اجيبوا بقوله ذلكم اى ما انتم فيه بانه اذا دعي الله وحده كفرتم بالتوحيد وان
يشرك به تؤمنوا بالاشراك مستمرين على ذلك الايمان لا لارعواء ولا تدبر فالحكم
لله بعد ما اخرتم العلي الكبير ذي العظمة والكبرياء فلا يكون عذاب لمن كفر
الا ابدا سرمدا لوقوع افعاله على اتم الوجوه وهو اللائق بجبروته هو الذي يريكم

آياته وينزل لكم من السماء رزقا المطر الذي هو سبب المأكل والمشرب وما يتذكر الا من
ينيب وما يلتفت الى هذا الامر الجلي الا من ينيب يرجع عن الانكار والتقليد ويتدبر
فادعوا الله مخلصين له الدين خطاب للمنيبين مسبب عن الانابة التفت اليهم تقريبا
لهم وتنشيطا للاقبال على العبادة او مسبب عن قوله هو الذي يريكم يعم المؤمن
والكافر وما يتذكر الا من ينيب اعتراض يفيد ان الانتفاع بتلك الآيات انما هو
للمنيب ولو كره الكافرون ولو غاظ ذلك اعداءكم فكان قد حصل ذلك ووقع
التضاد بينهم رفيع الدرجات ذو العرش خبران آخران لهو والمبتدأ محذوف و
الدرجات مصاعد الملائكة كقوله ذي المعارج ورفعها دليل على عزه وملكوته
كما ان ذي العرش كناية عن ملكه وسلطانه او درجات ثوابه التي ينزلها اولياءه و
هذا انسب بقوله فادعوا الله مخلصين له الدين كما ان قوله يلقي الروح من امره على
من يشاء من عباده انسب بالاول والروح هو الوحي الذي به الحيوة الابدية ولذلك
اوثر عليه ومن بيانه للوحي فالامر هو الحث على الخير كفا او امتثالا لان تلك الحيوة
انما يكون بعد التخلي والتحلي لينذر يوم التلاق اي الله او الروح او الملقى اليه وهو
الرسول وهذا قريب لفظا واسد معنى ويوم التلاق يوم القيمة لتلاقي الخلايق
والعابد والمعبود بالطاعة كان او حقا يوم هم بارزون بدل من الاول اي خارجون
من قبورهم او ظاهرون لا يسترهم شيء حفاة عراة او اعمالهم وسرائرهم لقوله يوم
تبلى السرائر لا يخفى على الله منهم شيء من ذواتهم وصفاتهم واعمالهم لمن الملك اليوم
لله الواحد القهار قد سبق في حديث موت الخلق طرا ان الله يقول تلك قرابت
لمن الملك اليوم ثم يجيب نفسه تعالى بقوله لله الواحد القهار وقيل ينادي مناد في
اهل الحشر لمن الملك فيجيبونه بقولهم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت
لا ظلم اليوم ان خيرا فخير وان شرا فشر ولا ظلم بنقص ثواب او زيادة عقاب ان الله
سريع الحساب لا يشغله شان عن شان هذه نتائج تفرده بالملك في ذلك اليوم والتقييد
بذلك اليوم لانقطاع العلائق المجازية فيه وانذرهم يوم الآزفة يوم القيمة سميت
به لازوفها اي قربها او الخطة الآزفة وهي حال مشارفتهم دخول النار كقوله فلما رأوه
زلفة سيئت وجوه الذين كفروا اذ القلوب لدى الحناجر مرتفعة الى الحلوق زائلة
عن اماكنها من شدة الخوف كاظمين عليها من كظم القربة اذا ملأها وشد فاها و
المعنى ممسكين انفاسهم حابسين اياها على القلوب لئلا يخرج معها او حال من القلوب
اي كاظمة على الغم والجمع بالواو والنون لاسناد فعل العقلاء اليها ما للظالمين اللام
فيه للجنس المشار به الى الكمل في الظلم وهم الكفار من حميم قريب مشفق ولا شفيع
يطاع اذ التوجه للنفي الى المقيد اما النفي القيد وحده كما اذا كان عندك كتاب لا تريد بيعه
فيقول ليس عندي كتاب ابيعه وتارة يتوجه الى اصل الكلام فينتفي القيد مع المقيد كما في الآية

كان في الاية اذ لا شفيع لهم راسا لقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى وفائدة ذكر القيد ثم سلبه
مع المقيد الاستدلال بانتفاء الموصوف على انتفاء الصفة كانه قيل كيف يتصور
الاطاعة ولا شفيع لهم يعلم خائنة الاعين الخائنة صفة النظرة الثانية قصدا
الى المحارم او مصدر كالعافية وجعله صفة العين لا يلائم وما تخفي الصدور
اي مضمراتها والله يقضي بالحق لانه الغني العليم الحكيم ولذا اعاد الاسم الجامع والذين
يدعون من دونه لا يقضون بشيء تهكم بهم لان الجماد لا حراك به فضلا عن الحكم و
القضاء وقرأ نافع وهشام بالخطاب على الالتفات تقريعا وهو احسن ان الله هو
السميع البصير تقرير لعلمه بخائنة الاعين ومضمرات الصدور ووعيد لهم بان ما
يفعلونه ويقولونه بمرأى منه ومسمع وفيه اشارة الى ان شرط القاضي ان يكون
سميعا بصيرا اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم
اي قد ساروا ونظروا فما بالهم لا يعتبرون حتى لو لم يكن عذاب الآخرة كان الواجب
ان يحذروا عذاب الدنيا كانوا هم اشد منهم قوة احسادا وعددا وانما جاء ضمير الفصل
بين اسم كان وافعل من لمضارعته المعرفة في امتناع دخول اللام وقرأ ابن عامر منكم تغليبا
وعليه رسم مصحف الشام وآثارا في الارض كالقلاع والحصون والمدن الحصينة
او اكثر آثارا كقولك تقلدت سيفا ورمحا فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من
الله من واق من عذاب الله ذلك الاخذ بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات
المعجزات الظاهرة فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب وقد دل عليه بالله
الآثار ولقد ارسلنا موسى باياتنا معجزاتنا لما ذكر انه اهلك اشد منهم قوة اردفه
باشهرهم وهو فرعون وهامان وقارون فرعون بالعتو وهامان بالدهاء وقارون
بالمال وسلطان مبين حجة واضحة العطف باعتبار الصفات او اريد اشهرها كا
اليد البيضاء والعصا الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب جعلوا ما
سحرا او قوله كذبا فلما جاءهم بالحق من عندنا بالرسالة قالوا اقتلوا ابناء الذين
امنوا واستحيوا نساءهم عن ابن عباس اعيدوا القتل فانه كان امر اولا بالقتل خوفا
من المولود الذي اخبره الكهان فلما مضت تلك السنة دفع القتل فلما جاء موسى
واظهر المعجزات اعاد القتل غيظا له وتخويفا لبني اسرائيل عن مظاهرته وما كيد الكافرين
الا في ضلال اي كيدهم وابراز المظهر ليوسموا بالكفر ويقاس عليه كيد كل كفار و
يشار به الى ان كيد قريش كذلك وقال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع ربه كان يسفك
الدماء في اهون شيء فكيف بمن خاف بثل عرشه وهدم ملكه ولكنه يخشى من ايابه انه
رسول العزيز المقتدر وخاف انه لو هم بقتله ان يعاجل بالوبال وتعلل بهذا الكلام و
انه لا يبالي بموسى وربه اني اخاف ان يبدل دينكم الذي نزعته لكم كان قد امر باتخاذ
اصنام وامر بعبادتها ليتقربوا بذلك اليه فانه الرب الاعلى او ان يظهر في الارض الفساد

من التهارج والتحارب وابطال اسباب المعايش وقرئ الكوفيون او على معنى الخوف من احد الامرين والباقون بالواو لقصد الجمع بين الامرين وهو اوفق بالمقام اذ قصد التنفير عنه وقرئ نافع وابو عمرو وحفص بضم ياء يظهر وكسر الهاء ونصب الفساد والباقون بفتحهما والاول ابلغ واوفق بما تقدم وقال موسى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب لما خاطب فرعون قومه مستشيرا اياهم ليجيلوا الرأي في شأنه خاطب موسى قومه ايضا واضاف الرب اليهم حثا لهم على الاقتداء واشار الى ان الاعتماد وهذه القضية على الالتجاء الى الله وآثر لفظ الرب دلالة على ان المرتبي يراعي لحق المرتباه والمتكبر بمعنى المستكبر ذكره على طريقة التعريض ليدل بشمول الحكم وعدم ايمانه بيوم الحساب هو الذي بعثه على هذه الجراءة وكان لعنه الله دهريا وقال رجل مؤمن من آل فرعون من اقاربه يكتم ايمانه من فرعون وقيل من آل يتعلق بيكتم وهو اسرائيلي والاول هو الصق لقوله يا قوم مكررا ولقوله رجل مؤمن لكونه مؤمني بني اسرائيل وقد دل عليه قول فرعون ابناء الذين آمنوا معه واختلف في اسمه قيل سمعان بالمهملة او المعجمة وقيل حبيب وقيل غيرهما والله اعلم اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله اتقصدون قتل من هو بهذه الصفة التي هي واسطة العقد واخر المناقب واشار الى اثبات مدعاه بقوله وقد جاءكم بالبينات من ربكم بحجج متكثرة قواطع فلا وجه لانكاركم على من ثبت انه رسول ربكم ثم تنزل معهم وقال وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم اي لا تتعرضوا له فانه كاذب اثم كذبه لا يتجاوزه ولا يصيبكم من اثمه وعاره شيء و يحتمل ان يكون محتاطا اقل ما يصيبكم بعض ما يعدكم وهذا يقتضي ان يكون المقدم على قتله مقدما على فعل ليس له فيه مستند الا العناد ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب رجح جانب صدقه بانه لو كان مسرفا كذابا لما عضده الله بالبينات ويحتمل ان يريد انه كان مسرفا كذابا كما زعمتم فسيفضح امره عن قريب لان الباطل لا يكاد يروج وفيه تعريض بفرعون بانه مسرف كذاب وسوف لا يهدي شأنه يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض ارض مصر فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا ادخل نفسه معهم اكمالا للنصح قال فرعون ما اريكم الا ما ارى ما اشير اليكم الا بما ارى من استصوابه من قتله وما اهديكم الا سبيل الرشاد وما ادلكم عليه من قتله هو الصواب كان يعلم انه كاذب في قوله وان ما يدل عليه ايضا هو عين الضلال وانما كان يقول ما يقول خشية وتكابرا وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب افرد اليوم اختصارا لدلالة المضاف وعدم اللبس كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا ولانه بينه بقوله مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والمعنى جزاء ما كانوا دائبين عليه ملازمين من الكفر والتكذيب وسائر المعاصي والذين من بعدهم كقوم لوط وما الله يريد ظلما للعباد واذا لم يرده فعن ارتكابه ابعد و لذلك كان ابلغ من وما ربك بظلام للعبيد او لا يريد الظلم للعباد اي لا يهمل الظالم حتى

حتى ينتقم منه والى كلا المعنيين اشار في الحديث القدسي يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وحرمته فيما بينكم ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم القيامة ينادي بعضهم بعضا استغاثة او مناداة اهل الجنة واهل النار واصحاب الاعراف كما تقدم او المناداة بالويل والثبور او مناداتهم مالك النار ليقض علينا ربك يوم تولون من الموقف يؤيد الاول مدبرين منصرفين الى النار وعن مجاهد فارين من النار ما لكم من الله من عاصم زيادة تهديد ومن يضلل الله فما له من هاد لما ايس من تسكينهم بعد ذلك الارشاد والتناصح البليغ عرض بانهم الذين ختم الله على قلوبهم ولقد جاءكم يوسف هو يوسف بن يعقوب على ان فرعون يوسف قد عاش الى زمن موسى وقيل هو يوسف بن ابراهيم بن يوسف الصديق عاش فيهم قبل موسى عشرين سنة من قبل بالبينات بالمعجزات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ليس هذا اقرارا برسالته بل الغرض تكذيب من يدعي الرسالة بعده مضموما الى تكذيب رسالته كذلك يضل الله مثل هذا الاضلال من هو مسرف في العصيان مرتاب في المعجزات الذين يجادلون في آيات الله بدل من من لانه في معنى كل مسرف بغير سلطان اتاهم بل بمجرد تقليد واتباع هوى كبر مقتا عند الله وحد الضمير باعتبار اللفظ كاعتبار الضمير التذكير والتأنيث في قوله ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا او الذين يجادلون مبتدأ بتقدير مضاف اي جدال الذين وضمير كبر عائد اليه او الذين مبتدأ وبغير سلطان خبره وفاعل كبر ضميره وعند الذين آمنوا ايضا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار استئناف لبيان موجب الجدال وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان قلب منونا بقطع الاضافة وهو الوجه لان محل الكبر وسائر الاوصاف النفس والجملة انما توصف بها بالواسطة وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا اردف وصفه بالتكبر افعاله الدالة عليه والصرح القصر العالي الظاهر من صرح الشيء ظهر لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات الطرق الموصلة اليها ابهم اولا ثم فسر لما في الابهام والايضاح من المبالغة وتشويق السامع بعطيه حق التمكن لانه ازيد تمكن فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا وقرأ حفص فاطلع بالنصب حملا للترجي على التمني بجامع عدم التحقق وكذلك زين لفرعون سوء عمله المزين هو الشيطان لقوله وزين لهم الشيطان او الله تعالى لقوله زينا لكل امة عملهم وصد عن السبيل الفاعل فيه هو الفاعل في الاول وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر وابن كثير صد على بناء الفاعل وهو فرعون الذي صد الناس عن اتباع موسى وهو المختار لان الحديث عنه والسوق لعد مثالبه وما كيد فرعون الا في تباب في خسار من تب هلك مبالغة في خسرانه وقال الذي آمن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد لله دره ما ادراه بايراد الكلام في الحجاج لما لم يرعو فرعون عن غوايته وجهله المفرط صرح بمعارضته وانه الدال على سبيل

الرشاد دونه يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع شئ يمتع به يسيرا وان الآخرة هي دار
القرار لخلودها من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ان لم يعف فلا تزيد الا مثلها
ومن عمل صالحا من ذكر او انثى سيان في جزاء العمل لا تفاضل كما في الدنيا وهو مؤمن
اذ لا عبرة لعمل دونه ولذلك اوقعه قيدا فاولئك يدخلون الجنة بتلك الاعمال وقرأ
ابن كثير وابو عمرو وابو بكر يدخلون على بناء المفعول وهو ابلغ معنى واوفق بقوله
وادخل الذين امنوا يرزقون فيها بغير حساب تفضلا منه تعالى ويا قوم ما لي ادعوكم
الى النجاة وتدعونني الى النار كرر نداءهم لما لاح له انهم مستغرقون في بحر الغفلة اعاد
الواو هنا دون الثاني لانه بيان لما اجمل لانه ذم الدنيا وعظم الآخرة وهو عين الارشاد
والدلالة على سبيل الرشاد واما قوله ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى
النار فللموازنة بين دعوته التي ثمرتها الجنة ودعوتهم التي ثمرتها النار فليس من تفسير
الارشاد تدعونني لاكفر بالله بدل عن الاول والدعاء كالهداية يعدى باللام
والى واشرك به ما ليس لي به علم ما ليس باله نفي للمعلوم على طريق الكناية وانا ادعوكم
الى العزيز الغفار الى المستجمع للصفات فانهما مستلزمان للعلم والارادة المسبوقان
بالحيوة لا جرم انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة رد لما يدعونه
اليه واستدلال على بطلان صلوحه للاشراك اي حق بطلان دعوته لانه لا يدعو الى
دعوته في الدنيا وشان المعبود ان يدعو عباده المكرمين كالانبياء او لانه يدعو
بعضهم بعضا وفي الآخرة اذا خلق الله فيه الادراك يلعن العباد يتبرأ منهم او ليس
له استجابة دعوة في الدارين تسمية للاستجابة باسم الدعوة كما يسمى الفعل المجازى
عليه باسم الجزاء يؤيده قوله والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ او جرم
بمعنى كسب والفاعل مستكن اي كسب ذلك الدعاء منكم ان لا دعوة لما تدعونني اليه بمعنى
انه لم يظهر الا بطلان دعوته او معناه لا بد فعل من الجرم وهو القطع اي لا قطع
لبطلان دعوة الاصنام بل يستمر وقد سبق في النحل ان هذا اصله لكن كثر استعماله
في معنى حق ولذلك يجاب باللام كما يجاب القسم وان مردنا الى الله بالموت وان
المسرفين المبالغين في العصيان السفاكين الدماء يعم موجب تعريض بما افتتح به
من قوله اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله هم اصحاب النار الملازمون لها ملازمة
المالك لملكه فستذكرون ما اقول لكم اذا جاء باس الله اما في الدنيا كوقت الغرق
او عند معاينة عذاب الآخرة وافوض امري الى الله لما راهم لا يدعون وقد بان
لهم انه على دين موسى التجا الى الله في دفع مكرهم ان الله بصير بالعباد فيجازي
كلا على حسب حاله فوقيه الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم قيل فر منهم فامر
فرعون بطلبه فوجدوه يصلي والوحوش حوله فرجعوا الى فرعون فقتلهم وحاق
بال فرعون سوء العذاب اي العذاب السوء النار بدل منه وقوله يعرضون عليها

غدوا وعشيا حال منها او من الآل وخبر مبتدأ محذوف كانه قيل ما سوء العذاب
فقيل هو النار او مبتدأ خبره يعرضون عليها والجملة مستانفة بيانا وتفسيرا لقوله
وحاق بال فرعون سوء العذاب وهذا اوجه للابهام والتفسير ولافادة الاولى
احاطة سوء العذاب والثانية ان لا اسوء من ذلك المحيط وهو النار المعروضون هم
عليه غدوا وعشيا وتخصيص الوقتين لانهما اطيب الاوقات فاذا ذاقوا فيهما
اسواء العذاب كان افظع وما بينهما مسكوت عنه اما لانهم يعذبون بذلك العذاب
ايضا او بجنس آخر او ينفس عنهم وقيل كناية عن الدوام لقوله ويوم تقوم الساعة
اي هذا دائم الى ذلك الوقت وفيه دليل على ان عذاب القبر حق دليل على عذاب
القبر ادخلوا آل فرعون اشد العذاب وهي جهنم او اشد عذابها وقرأ نافع
وحمزة والكسائي وحفص بقطع الهمزة وكسر الخاء والوصل ابلغ توقيفه لحظ المسامع
من العذاب فانه نوع آخر منه واذ يتحاجون في النار اي واذكر لقومك محاجة
اهل النار ولعلهم يرعوون فيقول الضعفاء اي الاتباع تفصيل للمحاجة للذين
استكبروا هم الرؤساء انا كنا لكم تبعا اي اتباعا كخدم جمع خادم او ذو تبع
فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار بالرفع او بالحمل ونصبا مفعول لما دل عليه
مغنون او له على التضمين او مصدر كشيئا في قوله لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئا قال الذين استكبروا انا كل فيها نحن وانتم سواء فكيف تستغنون
بنا ان الله قد حكم بين العباد فريق في الجنة وفريق في السعير لا تبديل لحكمه
وقال الذين في النار كلهم التابع والمتبوع لما يئس الاتباع من نصرة الرؤساء
والاختصاص على الخزنة لخزنة جهنم للموكلين بها وايثار جهنم للتهويل وقيل
لان جهنم ابعد طبقات النار قعرا من قولهم بئر جهنام وهذا انما يستقيم ان لو
كان اللفظ عربيا والاكثر على انه عجمي ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب
شيئا من الاوقات قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات المعجزات الدالة على
صدقهم وينذرونكم لقاء يومكم هذا استفهام توبيخ وتقريع قالوا بلى قالوا
فادعوا انتم اذ لا نقدر على الشفاعة الا بشرط ان يكون المشفوع له مؤمنا ويؤذن
لنا في الشفاعة وما دعاء الكافرين الا في ضلال في ضياع لا تاثير له انا لننصر
رسلنا مبنى السورة على بيان مجادلة الكفار مع الرسل ولما امتد الكلام في
الرد عليهم عاد الى تسلية رسوله فانه منصور لا محالة والذين امنوا لانهم اتباع
الرسل في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد اي في الدارين وان وقع بعض فتور
في شانهم فذلك امتحان وظهور العاقبة والاشهاد جمع شاهد وهم الذين يشهدون
على الناس من الملئكة والانبياء والمؤمنين والتعبير عن يوم القيمة بيوم يقوم الاشهاد
للتهويل ولذلك ابدل عنه يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ظاهره انهم يعتذرون

ولا يقبل منهم والحق انه مبني على الغرض اي لو اتوا بمعاذير لا ينفع لقوله ولا يؤذن لهم
فيعتذرون وقرئ الكوفيون ونافع ينفع بالتذكير وهو احسن لوجود الفصل ولهم
اللعنة الطرد من رحمة الله ولهم سوء الدار هو ما يسوءه من النار بتقرير
بعدم قبول المعذرة اذ من كان هذا حاله كيف يرجى قبول عذره ولقد اتينا موسى
الهدى التورية وسائر ما يحتاج اليه في باب الدين واورثنا بني اسرائيل الكتاب
اي جعلناهم متصرفين فيه تصرف الوارث في مال مورثه وفي ذكر الكتاب اشارة
الى ان ما عداه ذهب بذهابه عليه السلام وان الكتاب كاف لقوله هدى
وذكرى لاولي الالباب اي هاديا ومذكرا لذوي العقول وهذا مثل قوله في
الاية ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا وفيه بيان نصر المؤمنين في الدنيا
بالحجة بعد ذهاب الانبياء فاصبر ان وعد الله وهو قوله انا لننصر رسلنا وقوله
ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون حق كائن لا محالة وقد علم
حال موسى ومن كذبه واستغفر لذنبك لذنب امتك لقوله واستغفر لهم او تهييج لامته
او لما وقع منه من خلاف الاولى بحاله وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار طرفي النهار
لشرف الوقتين او دوام على ذكره بصفات الجلال والجمال في جميع الاوقات والمراد
الصلوة الخمس وقيل كان بمكة الواجب ركعتين بكرة وركعتين عشيا ولا سند له مع
انه يوهم ان الخمس وجبت بالمدينة والاجماع انها وجبت بمكة ليلة المعراج ان
الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم ان في صدورهم الا كبر اعاد ذكر
المجادلين لبيان الموجب لجدالهم وهو الكبر والترفع خوفا من فوت الرياسة او
النبوة سلب كل مال ورياسة ما هم ببالغيه ليسوا ببالغين موجب ذلك الكبر و
هو ما تعلقت به ارادتهم من الترؤس او دفع الايات فاستعذ بالله من شرهم انه
هو السميع البصير لاقوالكم وافعالكم نزلت في المشركين وقيل في اليهود وقالوا يخرج
صاحبنا قوله المسيح بن داود تسير معه الانهار ويبلغ سلطانه البر والبحر يريد
به الدجال لعنهم الله ويؤيد الاول قوله لخلق السموات والارض اكبر من خلق
الناس فانه استدلال به على من انكر البعث واليهود لا ينكرونه ولكن اكثر الناس لا
يعلمون ذلك لاغفالهم النظر الصحيح وما يستوي الاعمى والبصير ضربا مثلا للمحسن
والمسيء والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء عطف الموصول بما عطف عليه على
الاعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود او الصراحة والتمثيل ولا في المسيء مذكرة
واذا لم يتساويا فلا بد من مجازاة وليس ذلك في الدنيا فلا بد من ان يكون بعد البعث
قليلا ما تتذكرون الضمير للناس او الكفار والقلة بمعنى العدم لقوله وما يتذكر
الا من ينيب وقرئ الكوفيون بالخطاب اما تغليبا او امرا للرسول بالمخاطبة او التفات
وهذا اوفق لان العدول الى الخطاب في مقام التوبيخ اشد تعييبا وابلغ في الانكار ان

ان الساعة لاتية لا ريب فيها لا ارتياب في وقوعها لما تقدم من الادلة ولكن
اكثر الناس لا يؤمنون بذلك لقصور النظر وقال ربكم عطف على ان الذين يجادلون
عطف قصة على اخرى ادعوني اعبدوني استجب لكم لقوله ان الذين يستكبرون
عن عبادتي ولما روي عن الثوري انه قيل له ادع الله فقال ان ترك الذنوب هو الدعاء
اراد ان ترك الذنوب من اجل العبادات وسئل الحسن عنه فقال اعملوا وابشروا او
الدعاء والاستجابة على اصلها وقوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي معناه
عن دعائي لان الغرض من العبادة الخضوع ولا شك ان ذلك في الداعي اظهر وابلغ
العبادة صلة الاستكبار مما يؤيد هذا لان الداعي مستكبر خاضع سيدخلون
جهنم داخرين صاغرين وقرئ ابن كثير وابو بكر بضم الياء وفتح الخاء وهذا ابلغ
اما انه الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا اي خلق الليل باردا
مظلما ليؤدي الى ضعف الحركات وهدوء الحواس ولما كان السكون والاستراحة علة
غائية في الليل دون الابصار في النهار بل العلة ابتغاء الفضل صرح به في الاول
واشار اليه في الثاني مع ما افادة الاسناد المجازي من المبالغة حتى كان
الابصار سرى في نهار المبصر ان الله لذو فضل على الناس اي فضل لا يوازيه
فضل ولذلك نكره واثره على المفضل ولكن اكثر الناس لا يشكرون نعم الله تكرير
الناس لايقاع عدم الشكر على صريح اللفظ ذلكم الموصوف بصفات الالوهية الله
ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة او كل بدل عن سابقه ان جوز البدل
عن البدل والا فالكل عن الاول فان قلت قد وقع مثل هذا التركيب في سورة الانعام
خالق كل شيء مؤخرا عن كلمة التوحيد وقدم هنا فما وجه ذلك قلت وجهه والله
اعلم ان خالقيته لكل شيء دليل توحيده وفي الانعام قدم قوله خلق كل شيء وهو بكل
شيء عليم فكان نتيجة المقدمتين لا اله الا هو ثم اردفه بقوله خالق كل شيء على
سبيل التقرير والتوكيد وهنا لم يتقدم مثله فكان حقه ان يقدم ليكون كلمة
التوحيد نتيجة له فانى تؤفكون من اي وجه تصرفون عن عبادته انكار وتوبيخ
كذلك يؤفك الذين كانوا بايات الله يجحدون مثل صرف هؤلاء صرف الذين كانوا
قبلهم ينكرون ايات الله عنادا فهم على اثارهم مقتدون الله الذي جعل لكم
الارض قرارا يستقرون فيها احياء وامواتا والسماء بناء قبة العرب تسمى
القباب ابنية على التشبيه وصوركم فاحسن صوركم خصكم باحسن الصور واحسن
تقويم وفي الحديث خلق الله تعالى ادم على صورته طوله ستون ذراعا ورزقكم من
الطيبات لذائذ الانواع طعاما وشرابا وفاكهة ذلكم الله ربكم اي الموصوف
الممتاز فتبارك الله رب العالمين فان ما سواه مربوب مفتقر ولما كانت الادلة
المذكورة من الافاق والانفس مع كونها ادلة نعما جساما عقبها بقوله فتبارك

الدال على كثرة نعمائه وتواتر آلائه هو الحي لا غير لان من عداه اما ميتا وبصدده لا اله
الا هو لان من يعتريه الموت كيف يصلح للالوهية فادعوه مخلصين له الدين فكما انفرد
بالالوهية افردوه بالعبادة لانه المستحق الحمد لله رب العالمين قولوا الحمد لله رب
العالمين وعن ابن عباس من قال لا اله الا الله فليقل بعده الحمد لله وذلك للدلالة على
اختصاص الذات المحمود فيه كاختصاص الالوهية قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون
الله لما جاءني البينات من ربي شامل الادلة العقل والنقل او الآيات الدالة على صدقه
فانها كلام معجز يؤيد الادلة العقلية وتناصر الادلة اقوى في ابطال مذهبهم و
امرت ان اسلم لرب العالمين ان انقاد له اشار الى انه لا يريد لهم الا ما اراد لنفسه هو
الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا لما امتن عليهم بانه
خلقهم في احسن الصور اشار الى بداء خلقهم من التراب الذي هو مادة ابيهم آدم او
مادة كل واحد منهم لما ورد ان النطفة تعجن بالتربة التي تكون مضجع الميت ثم بعده
الانقلابات البديعية الدالة على كمال الاقتدار وافرد طفلا لارادة الجنس او كل واحد
ثم لتبلغوا اشدكم اللام تتعلق بمقدر اي يبقيكم ثم لتكونوا شيوخا قرأ نافع وابو عمرو
وهشام وحفص بضم الشين ابتاعا بضم الباء ومنكم من يتوفى من قبل قبل الشيخوخة
او قبل هذه الاحوال كما اذا وقع سقطا والاول هو الاوجه ولتبلغوا اجلا مسمى
اي وفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى هو وقت الموت او يوم القيمة والاول وجه لقوله
اذا جاء اجلهم واوفق بالسياق ولعلكم تعقلون ما في ذلك من الدلائل كمال الصانع
والعبر هو الذي يحيي ويميت اي القادر الذي نقل النطفة من تلك الاطوار بعضها
الى بعض هو الذي شانه الاحياء والاماتة ثم رتبوا شان ذلك بقوله فاذا قضى امرا
تقضيها ارادته اليه فانما يقول له كن فيكون بلا احتياج الى آلة وتعمل كان اسرع
شيء وقرأ ابن عامر يكون بالنصب بتقدير ان الم تر الى الذين يجادلون في آيات الله
انى يصرفون كرره لان مبنى السورة على رد المجادلين في آيات الله الدالة على التوحيد
والبعث يفنون مختلفة من الدلائل ولما استوفى تلك الفنون ولم يؤثر فيهم تعجب
السامع من حالهم الذين كذبوا بالكتاب بالقرآن او بجنسه وبما ارسلنا به رسلنا
من الآيات يؤيد الاوجه الثاني فسوف يعلمون جزاء تكذيبهم اذ الاغلال في اعناقهم
ولا تنافي بين سوف واذ لان المترقب في كلامه متحققا كالكائن والسلاسل عطف على
الاغلال يسحبون في الحميم الماء الشديد الحرارة حال من الفاعل او خبر سلاسل ان لم يعطف
بحذف العائد ثم في النار يسجرون يحرقون اي ظاهرها لمن اهل الجنة من سجرت
التنور اوقدتها واصله الملء يقال سجرت الثماد اذا املئت من المطر والمعنى يملؤا نارا ظاهرا
وباطنا كقوله نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من
دون الله قالوا ضلوا عنا يقال لهم توبيخا ومعنى ضلوا عنا غابوا ولا ينافي قولهم انكم وما

انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لجواز كونهم غيبا اوان التوبيخ اوما لم ينفع
حضورهم كانهم غيب بل لم نكن ندعو من قبل شيئا لعدم غناهم كانهم ليسوا بالشيء
او قالوا كذبا على انفسهم كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين كذلك يضل الله الكافرين
اي مثل ضلال الهتهم يضلهم الله في الدنيا عن طريق الحق وقيل يضلهم عن الهتهم حتى
لا يتصادفوا ولا نطالبوا وبه يظهر ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وهو
الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون تبطرون وتفرطون في الفرح والعدول الى
الخطاب لكونه ابلغ في التقريع ادخلوا ابواب جهنم طبقاتها على قدر الاعمال كقوله لكل
منهم جزء مقسوم خالدين فيها مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين مثواكم او
جهنم فاصبر على اذى هم وجدالهم الباطل ان وعد الله حق في نصركم واتمام ما ارسلت
به فاما نرينك ان شرطية وما زائدة للتوكيد ولذا الحقت نون التاكيد وجواب الشرط
محذوف اي فذاك بعض الذي نعدهم من العذاب كالقتل والاسر يوم بدر او
نتوفينك قبله فالينا يرجعون فنريهم اشد العذاب فان قلت قد تقدم مثل هذا
التركيب في الرعد ولم يقدر لكل واحد من المعطوف والمعطوف عليه جزاء فهلا سلك تلك
الطريقة قلت مساق الكلام هنا لانجاز الوعد بالنصر وهم رسول الله والمؤمنين
معقود به فاقتضى تقدير الجزاء مستقلا بتحريك الشرة بخلاف ما في الرعد فان الكلام
في ايجاب تبليغه وانه ليس عليه الا ذلك كيف ما دارت القضية ولقد ارسلنا رسلا
من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك دل على انه لم يخبر بتفاصيل
سائر الانبياء وقد روى ابو ذر انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عدتهم فقال
مائة وعشرون الفا الرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر او خمسة عشر جما غفيرا وما كان
لرسول ان يأتي باية الا باذن الله بارادته وتيسيره جواب لاقتراحهم الآيات عليه كانه
قيل لهم اذا كان الامر في الآيات الى الله تعالى ولم يكن لاحد ممن تقدم ان يأتي باية فمن اين
لي ان آتي بآية فاذا جاء امر الله بالعذاب قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون اي
اذا جاء يوم القيمة الذي هو يوم الفصل قضي بينك وبينهم بالحق وخسر اذ ذاك المبطلون
في الاقتراح المجادلون عنادا الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون
من جنسها ما يؤكل كالغنم ومنها ما يؤكل ويركب كالابل والبقر ولكم فيها منافع كالالبان
والجلود والاوبار ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم من المسافرة لمقاصدكم و
عليها وفي البر وعلى الفلك في البحر تحملون وانما قال على الفلك دون فيها كما في قوله
قلنا احمل فيها لان الفلك وعاء ما فيها وحمولة له مع ما في ذلك من المزاوجة مع
ما قبله من المزاوجة وانما غير النظم في الجمل الاربع لان الركوب وبلوغ الحاجة فيهما
في بهم ديني واجبا ومندوب بخلاف الاكل وسائر الانتفاعات فكانا اولى بدخول
اللام الدال على العلية والغرض وقيل فرقا بين العين والمنفعة وانما جعلا مكتنفين

بما خلاحه اشارة الى قصوره عنها وعن الزجاج ان الانعام هي الابل خاصة وعلى هذا ينبغي
الوجه لان الركوب وبلوغ الحاجة من اتم الغرض منها ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون
لم يقل اية لان التفرقة في غير الصفات بالتاء نحو حمار وحمارة غريب وفي ايّ اغرب لو ضعه
على الابهام اغرب افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا في الارض قصورهم المشيدة ومصانعهم المحكمة و
قيل مشيهم بالاقدام لعظم اجرامهم وبعد لايح فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما
الاولى نافية او استفهامية منصوبة المحل والثانية موصولة او مصدرية اى مكسوبهم
او كسبهم رفع على الفاعلية فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم
بامور الدنيا واسباب المعاش يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا او علم الفلاسفة و
الدهرية ويدفعون بذلك الاوهام على الانبياء كما روى ان سقراط كان في زمن موسى
فقيل له هلا تتبعه فقال نحن مهذبون او سمى جهلهم المفرط علما اى لم يفرحوا بعلم
الرسل وفرحوا بجهلهم المفرط سماه علما على طريقة التهكم او المراد علم الرسل وفرحهم
بما اوتوه من العلم بسوء عاقبة الكفار وشكرهم لله على ما نجاهم وفيه تفكيك الضمائر
او المعنى فرح الكفار بما عند الرسل من العلم فرح ضحك واستهزاء يؤيده قوله وحاق
بهم ما كانوا به يستهزؤن الا ان في الدلالة على هذا المعنى غموضا فلما رأوا بأسنا
قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين الناس شدة العذاب لقوله فلم
يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا لفوات وقته الوجه في ترتيب الفاءات ان
قوله فما اغنى نتيجة ما كانوا فيه من التكاثر بالاموال والاولاد وقوله فلما جاءتهم
رسلهم الى قوله وحاق بهم ايضاح لذلك المجمل وكيف انقلب الحال بهم الى عكس ما املوه و
قوله فلما رأوا بأسنا مترتب على قوله فلما جاءتهم تابع له كانه قال لما جاءتهم رسلهم
كفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا الا انه فصل ذلك الكفر المشتمل على سوء معاملة الرسل
وكفران اعظم نعم الله وكذا فلم يك مع الايمان سنة الله التي قد خلت في عباده اى
سن الله ذلك سنة ماضية في العباد مصدر مؤكد وخسر هنالك الكافرون هنا
مستعار من المكان للزمان اى خسروا وقت رؤية البأس لزوال ما كانوا فيه من التنعم و
لزوم الخلود في عذاب الجحيم تمت سورة غافر والحمد لله على فضله الوافر والصلوة على سيد
الاوائل والاواخر واله وصحبه ذوى المحاسن والمآثر سورة السجدة ايها ثلث واربع
وخمسون بسم الله الرحمن الرحيم حم ان جعلته اسم السورة كان مبتداء تنزيل من الرحمن
الرحيم خبره وان جعل تعديدا فتنزيل خبر مبتدء محذوف كتاب بدل من تنزيل او خبر بعد
خبر او خبر مبتداء محذوف او تنزيل مبتداء لتخصصه بالصفة وكتاب خبره فصلت
آياته جعلت تفاصيل في معان مختلفة من احكام وامثال ومواعظ ووعد ووعيد و
ميزت باعتبار اللفظ والمعنى قرآنا عربيا نصب على المدح ويجوز الحال وفي حال كونه عربيا

كونه عربيا امتنان لسهولة تلاوته وفهم معناه لانه افصح اللغات لقوم يعلمون
صفة اخرى لقرآنا اى كائنا لقوم يعلمون العربية او لاهل العلم والنظر وقيل
يتعلق بتنزيل وفيه الفصل بين المتعلقين وهو كتاب الى قوله عربيا وبين الصفات
ايضا لان بشيرا ونذيرا صفتا قرآنا وقيل بفصلت وفيه التفريق بين الصفات
والفصل بين الصلة وموصولها ايضا بشيرا ونذيرا للمقبل والمعرض فأعرض
اكثرهم انكروا اعجازه ولم يقبلوا بشارته ونذارته فهم لا يسمعون لا يذعنون له
مع العلم بانه الحق وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه في اغطية جمع كنان
وفي آذاننا وقر صمم اصله الثقل اى جمعوا بين الاعراض وهذا القول مبالغة في
الانكار فان قلت هلا قيل على قلوبنا اكنة كما في سورة بني اسرائيل والكهف قلت
المراعى في البلاغة جانب المعنى وهو كذلك في الاسلوبين لان الاستعلاء والاحتواء
من واد واحد مع رعاية التفنن فان قلت كان العكس محصلا لذلك فلا بد من اختصاص
كل بموضعه من نكتة قلت الكلام في بني اسرائيل والكهف منسوب اليه تعالى فالاستعلاء
والمقهورية انسب وهنا حكاية مقالهم فالاحتواء اقرب ومن بيننا وبينك حجاب
البين هو الوسط بالسكون يصدق على كل جزء من المسافة استوعب ولا قريد من
ليدل على الاستيعاب الذي هو غرضهم وذلك لان من لابتداء الغاية الذي هو طرف
المتكلم فيقع الطرف الآخر غاية فاعمل اننا عاملون اعمل في دينك وفي ابطال
ديننا فانا على ديننا او ابطال دينك قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله
واحد كان انكارهم نبوته لكونه بشرا مثلهم قلت عليهم القول بان البشرية هي التي
تناسب الرسالة ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا انما الهكم اله واحد اشار الى ما هو
الغرض من البعثة وهو التوحيد فاستقيموا اليه فاستقيموا على التوحيد والاخلاص
متوجهين اليه واعرضوا عن اعراضكم معرجين على تقليد آبائكم الضالين واستغفروه
واطلبوا الغفران منه على ما ضيعتم فيه الاعمار من عبادة الجماد وويل للمشركين
الذين لا يؤتون الزكوة تأكيد للامر بالاستقامة وترغيب فيه وترهيب عن الشرك
قرن به الزكوة من بين سائر الاعمال لانها شقيقة الروح والمعيار على الايمان
المتمكن في القلب والزكوة على هذا الوجه المقرر في الاحاديث والفروع وان فرض
بالمدينة الا ان اخراج طائفة من المال على وجه القربة كان شائعا واطلاق اسم
الزكوة عليه في الجاهلية ايضا كما وقع في شعر امية بن ابي الصلت الفاعلون للزكوات
والى ذلك اشار في آخر المزمل واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة والمزمل من اوائل القرآن
نزولا وهم بالآخرة هم كافرون دهرية لا يقولون بالمعاد ولا يعترفون بالجزاء
وفيه اشارة الى علة منع الزكوة فان قلت اذا كانوا دهرية فلم كانوا يعبدون الاصنام
قلت رجاء بها في درّ الارزاق واندفاع البلايا ولو فرض وقوع المعاد كانت شافعة

إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون غير مقطوع او غير ممنون به لأن الاجر
غني عن ذلك مقابل لسابقه كأنه قال ويل للمشركين وطوبى للمؤمنين وفيهما من التحذير
والترغيب ما يؤكد امر الايمان والاستقامة تأكيدا لا يخفى وقيل نزلت في المرضى والهرمى
فانه يكتب لهم من الاجر على قدر الطاعات حال العافية ولا ينقطع من ذلك شيء قل أئنكم
لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين بعد تقرير دليل التوحيد والامر بالاستقامة
انكر على من يعلم منه هذه الصفات ثم يعدل الى عبادة غيره ثم اعترض في البين بقوله
وتجعلون له أندادا اي من لا يتصور له ند واحد تتخذون له اندادا ذلك الذي
خلق الأرض في يومين رب العالمين موجد الكائنات كلها وجعل فيها رواسي
عطف على خلق مقدرا او استئناف اذ لا يعطف على خلق المذكور للزوم الفصل بين اجزاء
الصلة من فوقها مرتفعة بارزة للنظار ليشاهدوا ما فيها من ضروب الاستبصار
اظهارا لاتمام النعمة وكمال الاقتدار وخص بالذكر هنا لانه اتم موضع تفصيلا لهذا
البيان في القرآن وبارك فيها بان جعلها منابع المياه ومنابت الاشجار ومراتع
الحيوان وقدر فيها أقواتها اقوات اهلها بان عين لكل نوع ما يليق به او خص
كل قطر بنوع منه تحسينا للنظام في أربعة أيام سواء فذلكة ما تقدم ومجمل ما
فصل كأنه قال كل ذلك في اربعة ايام كوامل مستوية ولو قال يومين آخرين لاحتمل
الاطلاق على اكثرهما تجوزا وقال الزجاج في اربعة ايام اي في تتمة اربعة وهما
يومان والاول اولى فانه بلا تقدير حذف والمراد المقدار الذي وقع فيه الخلق
لا اليوم المصطلح وقرأ حمزة والكسائي وحفص سواء بالنصب للسائلين متعلق بمقدر
اي هذا الحصر للسائلين عن المقدار او بقدر اي قدر فيها الاقوات للطالبين للرزق
وانما يستقيم على تقدير الزجاج ثم استوى إلى السماء وهي دخان توجهت ارادته
الى ايجادها من قولهم استوى الى كذا قصده قصدا لا يلوي الى غيره وثم على اصله
من التراخي زمانا لا رتبة اسند لا لان وجود الارض متأخر لقوله والارض بعد
ذلك دحيها لان خلق الاقوات فيها قبل الدحو غير ممكن فان قلت التقدير لا يستلزم
الخلق بالفعل قلت فسر قوله في سورة البقرة قوله خلق لكم ما في الارض جميعا فان
يحمل الخلق على التقدير قلت لا يلائم مقام الامتنان فالوجه ان دحاها ليس عاملا في
بعد ذلك بل هو جملة مستأنفة كما تقدم الاشارة اليه في سورة البقرة قيل كان عرش
الرحمن على الماء فصعد منه دخان فخلق منه الارض ثم فتقها ارضين وخلق من ذلك
الدخان السماء فقال لها وللأرض ائتيا اي كونا مسخرين لما اريد منكما بان يكون احدكما
مظلة والاخرى مقلة وابرازهما او دعتما من الاوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة
او لتكونا على ان معنى الخلق اولا التقدير والكلام على التمثيل بان نزل حالهما في سرعة
التكون على وفق الارادة ومقتضى الحكمة بحال المأمور المطيع المبادر الى امتثال الامر المطاع

المطاع طوعا أو كرها مثل للزوم تأثير قدرته فيهما وامتناع عدم حصول ما اراده منهما
وحاصله تصوير كمال عظمته وكبريائه وعدم تخلف مراده في شيء اسند الاتيان الى العالم
العلوي والسفلي قالتا أتينا طائعين منقادين اجرى عليهما وصف العقلاء لما انه
جعلهما مخاطبين كقوله رأيتهم لي ساجدين فقضاهن سبع سماوات الضمير للسماء على
المعنى كقوله اعجاز نخل خاوية او مبهم فسر بسبع سماوات تمييز على خلق الاول حال في
يومين خلقهن وما فيهما في يومين فتم شأن العالمين في ستة ايام خلق الارض
يوم الاحد ويوم الاثنين وخلق الجبال يوم الثلثاء وخلق الاشجار والمياه يوم الا
الاربعاء وخلق السماء يوم الخميس وخلق الشمس والقمر والنجوم والملئكة يوم الجمعة
في ثلاث ساعات وفي آخر ساعاته خلق آدم قيل هي الساعة التي تقوم فيها الساعة
وأوحى في كل سماء أمرها ما امر به ودبرا او حمل الى اهلها بما اراد وزينا السماء
الدنيا بمصابيح وحفظا وحفظناها حفظا من ان يقع فيها خلل ومفعول له على المعنى
كأنه قال وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح زينة وحفظا وانما قدم اليومين مع
ما ذكر بعدهما من تدبير امر السموات واوقع فيهما للاهتمام اشارة الى ان العالم
العلوي الذي نسبة السفلي اليه نسبة الحلقة الى الفلاة تكون وتم امره في اقصر
من مدة تكونه فيعلم ان ايقاع هذه الافعال على وجه التدريج انما هو لارشاد
العباد الى التأني في الامور والا فامره تعالى في الايجاد انما هو بين الكاف والنون
ذلك تقدير العزيز العليم اي المذكور صنع الغالب على كل شيء العالم به فإن أعرضوا
بعد هذا البرهان النير فقل أنذرتكم صاعقة عذابا شديدا يشبه الصاعقة
في الوقع والشدة مثل صاعقة عاد وثمود مثل ذلك العذاب في الشدة كان ابو جهل
في ملاء من قريش فقال قد التبس علينا امر محمد فهل منكم احد يأتينا ببيان منه فقال
عتبة بن ربيعة انا لكم فاني قد علمت من السحر والشعر والكهانة ما لا يخفى فاتى رسول
الله ودعاه الى ترك سب الاصنام وذكرا بآبائهم فلما فرغ من كلامه تلا عليه السورة
الى ان بلغ صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده بالله
ان يكف وولى هاربا إذ جاءتهم الرسل صفة صاعقة الثانية لا الاولى ولا ظرف
انذرتكم لفساد المعنى من بين أيديهم ومن خلفهم من كل جانب واجتهدوا في
كل حيلة وعن الحسن حذروهم بالوقائع في الامم الماضية وبعذاب الآخرة او ان هودا
وصالحا كل منهما دعا قومه الى الايمان به وبمن تقدم من الرسل وبمن يأتي من بعد
فان الايمان بالكل واجب فكان الكل قد جاؤا وحمل على الكثرة كما في قوله يأتيها
رزقها رغدا من كل مكان لا يستقيم لاختصاص كل قوم بنبيهم ألا تعبدوا إلا الله
ان مخففة حذف منها ضمير الشأن او مفسرة قالوا لو شاء ربنا ارسال الرسل لأنزل
ملائكة بالرسالة فإنا بما أرسلتم به كافرون ليس اقرارا بالرسالة بل قالوه تهكما

والخطاب لهما ولمن دعوهم الى الايمان به من سائر الرسل فاما عاد فاستكبروا في الارض
بغير الحق بغير استحقاق وذكرا ولا كفرهم ثم تربين ما اختص كل طائفة وقالوا من
اشد منا قوة اي لا احد كانوا طوالا اعلاظا شدادا حتى كان الرجل منهم يقتلع الصخرة
من الجبل بيده فاغتروا بذلك اولم يروا يعلموا ان الله الذي خلقهم هو اشد
منهم قوة اذ هم لا يقدرون على مثله فتح انه اقوى واقدر وكانوا باياتنا يجحدون
اي كانوا يعلمون ذلك الا يقدرا رمنا وغيره من الايات الا انهم كانوا ينكرون عنادا
وعتوا فارسلنا عليهم ريحا صرصرا ريحا باردة تهلك ما اصابته اي تقبضه وتيبسه
ومنه الصرة لانه يجمع الدراهم او من الصرير وهو صوت هبوبها في ايام نحسات هي
الثمانية في قوله سبع ليال وثمانية ايام والنحس ضد السعد وقراء الكوفيين وابن
عامر بكسر الحاء والباقون بالاسكان والكسر اولى لانه قياس الصفة من فعل كحذر
وفهم ونهم وروي ما لا يتبين عن الكسائي لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا
اي الذل صفة للمعذب وصف به العذاب كشعر شاعر على الاسناد المجازي مبالغة كان
الخزي سرى من المعذب الى العذاب ولعذاب الاخرة اخزى لكونه اشد واعم وهم
لا ينصرون في الدارين بدفع العذاب واما ثمود فهديناهم بنصب الادلة وارسال
الرسول فاستحبوا العمى على الهدى اي هدينا هم على طريقي الضلالة والرشاد لقوله
وهديناه النجدين وفيه دلالة على ان الهداية لا يستلزم الاهتداء ونفي الاستحباب
اشارة الى عدم استقلال العبد بالايمان لان القاء الحب في القلب ليس بقدرة العبد
وان كان اثارة العمى حيا باحيانا وهذا مما يلقم القدرية حجرا فاخذتهم صاعقة
العذاب الهون صاعقة من السماء والهون الهوان والكلام في اضافة العذاب اليه
كما تقدم في عذاب الخزي بما كانوا يكسبون من الكفر ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون
من تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله الى النار اراد بيان عذاب الاخرة بعد ذكر
عذاب الدنيا قراء نافع بالنون على بمط ونحشر ونصب اعداء والباقون بالياء على
بناء المفعول والنون اشد تهويلا فهم يوزعون يحبس اولهم حتى يلحق آخرهم كناية عن
الكثرة حتى اذا ما جاؤها ما مزيدة للدلالة على ان وقت مجيئهم لا محالة وقت
الشهادة شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يكسبون وفي الحديث
ان الكافر يقول يوم القيمة يا رب اليس قد وعدتني انك لا تظلم فيقول بلى فيقول اني لا
اقبل الا شاهدا من نفسي فيختم الله على فيه وينطق جوارحه بالاعمال التي صدرت منه
فيقول سحقا لكن فعنكن كنت اناضل وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا توبيخا لهم على
عدم مراعاة الصحبة مع ان العذاب ينزل والخطاب للجلود وحدها لشمولها سائر
الاعضاء قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء اعتذروا بان ذلك لم يكن باختيار
منهم بل بمن انطق كل حي وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون اي الذي انطقنا هو الذي

هو الذي انشاكم ابتداء واليه ترجعون للجزاء فلا عجب منه اذا انطقنا ويجوز ان يكون
ابتداء كلام منه تعالى بعد قوله ترجعون وقوله وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم
سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم اي ما كان استتاركم وقت فعل القبائح خيفة
من شهادة الجوارح كيف وانتم منكرون للبعث ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما
تعملون اي لكن كان استتاركم من الناس وقد لانكم ظننتم انه غير عالم بخفيات اموركم
وذلكم الظن ظنكم الذي ظننتم بربكم اردلكم اهلككم خبران لذلكم او ظنكم بدل
عنه اي ما اهلككم الا ذلك الظن الكاذب فاصبحتم من الخاسرين داخلين في زمرة
الكاملين في الخسران وعلى العاقل ان يكون في خلواته استحياء واهيب واوفر تحفظا
لعلمه بانه لم يزل عليه منه تعالى عين كالئة ورقيب مهيمن فان يصبروا فالنار مثوى
لهم فيتقاسون حرها واحراقها وان يستعتبوا يطلب العتبى وهو الرضا عنهم فما هم
من المعتبين من الذين يعطون الرضا ويفوزون به والعدول الى الاسمية من لم
يعتبوا مبالغة في اخراجهم عن زمرة المعتبين وقيضنا لهم قرناء قدرنا لهم شياطين
يشابهونهم فصاروا اخوانا واحبابا واصل القيض المساوات يقال ثوبان قيضان
اذا كانا متكافئين ومنه لقشر البيض القيض لانها يقذنه وكذا المقايضة لتقدير
تساوي الثمرين البدلين فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم ما تقدم من قبائحهم
وما هم عازمون عليها في المستقبل او ما بين ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات
وما خلفهم من امر الاخرة بان لا بعث فاقترصوا اللذات قبل فواتها وحق عليهم القول
كلمة العذاب في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس في جملة اولئك الذين كانوا
على مثل اعمالهم ليكونوا في العذاب قرناء كما كانوا في الدنيا احبة واخلاء انهم كانوا
خاسرين في استبدال الضلالة بالهدى تعليل لاستحقاق العذاب واشارة الى ان الذي
الشقا يجب هذا الخسران وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه كانوا
يعلمون فصاحة الفاظ القران وحلاوة معناه وانه جاذب للقلوب سالب للعقول والنهى
ومن سمعه سماع تامل وتدبر امن به وايقن انه ليس بشعر ولا سحر وانه خارج من طوق
البشر فتواصوا بانهم اذا سمعوا قارئا يقراوه يكثرون اللغط والا باطيل حتى لا يفهم
ويتشوش القارئ لعلكم تغلبون الخصم فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا هم
هؤلاء واتباع الكفر صلة اشارة الى علة العذاب وعامة الكفار ولنجزينهم اسوء
الذي كانوا يعملون اي اسوء جزاء اعمالهم او جزاء العمل الاسوء والاول اولى لقوله
ذلك جزاء اعداء الله فانه خبر عن الاسوء النار عطف بيان او خبر مبتدا محذوف
لهم فيها دار الخلد هو دار الاقامة كما تقول لك في هذه الدار دار سرور وعلى طريقة التجريد
جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون يكذبون بها غالبين عنادا ولذلك جوز والجار
الاولى وفيه اشارة الى ان عذاب الاخرة كله اسوء بالنسبة الى عذاب الدنيا وقال

الذين كفروا ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس الشياطين على قسمين كما اشار اليه بقوله من الجنة والناس ولقوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن وقيل هما ابليس وقابيل سنا الكفر والقتل نجعلهما تحت اقدامنا انتقاما منهم كقوله هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار ليكونا من الاسفلين لكونهما اشد كفرا للضلال والاضلال ان الذين قالوا ربنا الله اقروا به معترفين بربوبيته ثم استقاموا لم يزل قدمهم عن طريق العبودية قلبا وجوارحا وهذا مقام عزيز وقد اليه اشار صلى الله عليه وسلم بقوله شيبتني هود واخواتها وروى الامام احمد عن سفيان بن عبد الله الثقفي انه قال يا رسول الله حدثني بامر اعتصم به فقال قل ربي الله ثم استقم تتنزل عليهم الملئكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون ان مفسرة بمعنى اي او مخففة حذف منها ضمير الشان الخوف يكون من مكروه مترقب والحزن على فائت في الماضي والمعنى لا تخافوا على ما تقدمون اليه ولا تحزنوا على ما خلفتم من الاهل والمال وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون على لسان الرسل قيل تبشير الملائكة في ثلث مواطن عند الموت وفي نزول القبر وعند البعث والظاهر ان ما في الاية هو الاول بقولهم نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا بالمحافظة عن الشياطين والهام الخير وفي الحديث ان للملائكة وللشياطين لمة اما لمة الملائكة فايعاد بالخير واما لمة الشيطان فايعاد بالشر وفي الاخرة بالشفاعة والتلقي بالاكرام هؤلاء في مقابلة القرناء للكفار ولكم فيها ما تشتهي انفسكم من اللذائذ ولكم فيها ما تدعون تطلبون من الدعاء بمعنى الطلب اعم من الاول وحمل الدعاء على التمني لا يلائم المقام نزلا من غفور رحيم حال من الضمير في لكم لانه خبر ما تدعون اي المدعي كائن لكم حال كونه نزلا لا من المحذوف العائد اليهما لان الادعاء والتمني ليسا في حال كونه نزلا وفيه اشارة الى ان هذا نزل الضيف وله بعده الذي لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الى عبادته وعمل صالحا اي وافق فعله قوله وقال انني من المسلمين اي اتخذ الاخلاص دينا كما تقول هذا قول ابي حنيفة اي معتقده وما يدين به وقيل قاله مفتخرا به وهذه الرتبة اعلى من الايمان والاستقامة فانها الكمال وتلك كمال ولذلك قيل هو رسول الله والحق انها عامة وهو اول داخل فيها وما روي انها نزلت في المؤذنين يرده كونها مكية والاذان شرع بالمدينة ولا تستوي الحسنة ولا السيئة اي الحسنات تتفاوت الى حسن واحسن وكذلك السيئات الى السيئ والاسوء ادفع بالتي هي احسن اي ادفع السيئ والاسوء باحسن الحسنتين كما اذا قدرت على من اساء اليك فالحسنة ان تعفو عنه والاحسن ان تحسن اليه مقام اساءته وانما ترك الفاء لان الاستئناف اقوى الوصلين فهو على تقدير قائل وقيل لا مزيدة والمراد نفي المساواة بين الجنسين والاعلام بان بينهما بونا بعيدا وكان الظاهر ادفع بالحسنة السيئة عدل الى التنزيل لان من دفع بالاحسن هان عليه الدفع بالحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم اي اذا جازيت المسيء بالاحسان صار عدوك المنافق كانه ذو قرابة شفوق وفي معناه قال شعر ان العداوة تستحيل مودة بتدارك الهفوات بالحسنات وما يلقاها الا الذين صبروا اي ما يعطى هذه الخليقة الا من حبس نفسه على المكروه وما يلقاها الا ذو حظ عظيم من الحلم وكمال النفس وعن الحسن ما عظم حظ والله دون الجنة واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ هو النخس اريد به وسوسته وبعثه على الشر وهو الانتقام والدفع بالاسوء وقيل من قبيل جد جده او وصف للشيطان بالمصدر على طريقة التجريد فاستعذ بالله من شره انه هو السميع لاستعاذتك العليم بقصدك ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر دلائل قدرته ووحدانيته ذكران لا احسن قولا من الداعي الى الله ثم ارشد الى ما يدعوا به من ادلة الافاق لا تسجدوا للشمس ولا للقمر كما تسجدون للكواكب على قصد التقرب الى الله فنهوا عن ذلك واسجدوا لله الذي خلقهن فانه المستحق وحده والضمير للاربعة لانها جماعة ما لا يعقل ان كنتم اياه تعبدون ان كنتم موحدين غير مشركين فان استكبروا عن الامتثال فالذين عند ربك ملئكة المقربون يسبحون له بالليل والنهار مداومون على تقديسه وهم لا يسأمون لا يملون هذا موضع السجود عند ابي حنيفة والشافعي في اصح الوجهين لانه تمام المعنى واحتياطا لانه ان كان عند تعبدون فالفصل يسير والتقديم غير جائز وفي وجه تعبدون لاتصاله باسجدوا ومن اياته انك ترى الارض خاشعة دليله اصله الانحطاط من قولهم اكمة خاشعة اي لاطية فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت انتفخت وتزخرفت بالنبات كالمختال في زيه بعد ما كانت كالذليل في اطمار رثة ان الذي احياها بالانبات النضر البهيج لمحي الموتى لا محالة انه على كل شيء قدير كامل الاقتدار ان الذين يلحدون في اياتنا اللحد واللحد الميل عن الاستقامة استعير لصرف الكلام عن وجهه وقرأ حمزة يلحدون بفتح الياء والحاء لا يخفون علينا وعيد لهم افمن يلقى في النار خير ام من ياتي امنا يوم القيمة تهديد لمن يلحد في ايات الله بانه كالمخوف فيها وبيان الايات كذلك يعدل به عن الصراط الموصل الى النعيم الى الجحيم اعملوا ما شئتم اذ قد علمتم حال الرجلين ومآلهما الامر للتهديد لا لايجاب الفعل انه بما تعملون بصير فيجازي على وفق ما علم ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من الذين يلحدون اشارة الى ان الحامل على الالحاد مجرد كفرهم وفيه امدا والتحذير بوضع الذكر موضع الايات تخسير الهم وبما في لما من الدلالة على انهم كفروا اول ما وقع سمعهم من غير تدبر وتمهيد للحديث عن كمال الكتاب بقوله وانه لكتاب عزيز شريف جم المنافع او غالب لا ياتيه الباطل من بين

يديه ولا من خلفه مثل حاله بحال الشيء المحمي من جميع الجوانب فلا يمكن للعدو الوصول اليه
وفيه اشارة الى انه محفوظ من حين النزول الى آخر الدهر كما قال انا نحن نزلنا الذكر و
انا له لحافظون ورد لالحاد الملحدين فيه بان يشبههم في ذلك كالرقم على الماء تنزيل
من حكيم واي حكيم حميد افعاله واقواله على وجه الاتقان والكمال فكيف يتطرق
الباطل الى وحيه ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك اي ما يقول لك كفار قومك
الاشياء قيل لمن تقدم من الرسل مثله كقوله وان كذبوك فقد كذبت رسل من
قبلك ان ربك لذو مغفرة لانبيائه وذو عقاب اليم لاعدائه او ما يقول
لك الله الا ما قد قيل للرسل قبلك وهو الوعد بالمغفرة لمن آمن وبالعقاب لمن
كفر وانما وصف العقاب دون المغفرة لان الكلام في الترهيب ولو جعلناه قرآنا
اعجميا اي لو فرض كذلك لقالوا لولا فصلت آياته بينت بلسان عربي نفهمه والغرض
ان تعنتهم لا سبيل الى دفعه أأعجمي وعربي اي هذا امر منكر والاعجم هو الذي
لا يفصح ولا يفهم كلامه من اي لغة كان والياء للنسبة والعجمي منسوب الى الطائفة
المعروفة وانما اتى بالمفرد مع ان المنزل عليهم امة العرب لان القصد بيان تنافي
حالتي الكتاب والمكتوب اليه فلو جمع كان ثابتا نابيا لا مدخل له في الغرض وهذا اصل
كلي في الاثبات والحذف والاطلاق والتقييد المرشد لك في كل كلام بليغ وقرأ
حمزة والكسائي وابو بكر بتحقيق الهمزتين على الاصل والباقون بتسهيل الثانية تخفيفا
سوى هشام فانه قرأ باسقاط الاولى اما على الاخبار على معنى لولا نوعت آياته
فيكون بعضها اعجميا وبعضها عربيا لتكون لكل طائفة منه حظ او على حذف و
تقدير فتوافق الاولى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء هاد الى كل خير وشفاء عن
داء الجهل والشبه والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر عطف على المجرور اي هو للذين آمنوا
هدى وشفاء وللذين لا يؤمنون وقر في آذانهم بيان لمحل الوقر او حال من المستكن
في الظرف عائد الى وقر وهو من العطف على عاملين مختلفين او مبتدأ ما بعده خبره
اي والذين لا يؤمنون هو في آذانهم وقر وقرئ وقر منه في آذانهم بحذف الرابط وهو عليهم
عمى استولى على بصائرهم ولم يتعرض لحال القلب لانه علم مما في شفاء من التعريض انه
مريض بعلة الطبع اولئك ينادون من مكان بعيد لا يمكن لحوق الصوت اليهم
تمثيل لبعدهم عن الحق ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فقال بعضهم حق وكذب
البعض وكذلك حالك وحال من ارسلت اليه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم
باستئصال المكذبين وانهم اي اليهود او الذين كفروا لفي شك منه من التورية
او القرآن مريب موقع للقلق والاضطراب من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها لا
يتجاوزها خيره وشره وما ربك بظلام للعبيد بان يأخذ من غير جرم والكلمة السابقة
هي العدة بالفصل يوم القيامة وفيه تخلص الى ذكر الساعة بقوله اليه يرد علم الساعة ارشا

رشاد للمؤمنين الى الجواب ان سئل احدهم عنها بان يقول لا يعلمها الا الله وما تخرج من
ثمرة من اكمامها وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه الاكمام جمع كم بالكسر وهو وعاء الثمرة
والاستثناء من الكل اي لا يحدث شيء من هذه الاشياء الا ملتبسا بعلمه وليس من الاستثناء
المعقب بالجمل المختلفة في متعلقه لاتحاد المقصود ولاختصاص ذلك بغير المفرغ وقرأ
نافع وابن عامر وحفص من ثمرات بالجمع لاختلاف الانواع ويوم يناديهم اين شركائي
قالوا آذناك ما منا من شهيد اي اعلمناك ان احدا منا لا يشهد اليوم انهم شركاؤك
فاعادة السؤال عليهم لزيادة التوبيخ او ما منا احد يشاهدهم لقوله وضل عنهم
ما كانوا يدعون من قبل او معناه انك علمت بواطننا انا لم نعتقد الآن فيك شريكا
فالاعلام بلسان الحال او آذناك انشاء فلا يقتضي سبق اعلام ويجوز ان يكون من
كلام المعبودين والضلال مجاز عن عدم النفع وفيه تفكيك الضمائر وظنوا ما لهم من
محيص ايقنوا بان لا مهرب والظن معلق بحرف النفي لا يسأم الانسان من دعاء الخير
من طلب الزيادة في المال والجاه وان مسه الشر في بعض الاوقات فيؤس كثير الياس
قنوط ظاهر عليه آثاره فالاول فعل القلب والثاني للجوارح بولغ فيه بناء وتكريرا و
هذا شأن الكافر ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي لاني
كنت مستحقه ولا يرى في ذلك منة المنعم ولا يتلقاه بالشكر عظم الرحمة بالشكر والوصف
وحقر الضراء بلفظ المس وما اظن الساعة قائمة تجلب له الاغترار بذلك سوء الاعتقاد
في المعاد ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى اي لو فرض ذلك ان لي عند الله الحالة
الحسنى فاقياسا لامر الآخرة على الدنيا فلننبئن الذين كفروا بما عملوا عكس ما اعتقدوه
ولنذيقنهم من عذاب غليظ مفرط في العظم وفوق جهلهم المفرط واذا انعمنا على الانسان
اعرض عن شكر المنعم ونأى بجانبه تكبر ولفظ الجانب يعم اشارة الى المعاظمة كقول الكتاب
الجناب العالي والمجلس السامي او على اصله فانه عند الاعراض يثني عطفه كقوله تولى بركنه
وقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر ناء بتقديم الالف على الهمزة مقلوب نأى او من ناء بمعنى
نهض والقلب اولى ليوافق الاولى في معنى البعد زائدا على الاعراض واذا مسه الشر فذو
دعاء عريض كثير استعير مما له عرض وهو ابلغ من الطويل فانه اقصر الامتدادين فاذا كان
كذلك فالطول اولى ذاته اولا على شدة حرصه على الجمع وغاية جزعه على الفقد وثانيا
بطيشه المتولد عن الاستكبار عند وجود النعم والاستكانة عند فقدها لانه حالة السعة
شاكر ولا في حال الفقد صابر مديحا فيه الاشارة الى غاية تخلفه فان الياس والقنوط
ينافيان الدعاء العريض واين ادعاء استحقاقه الحسنى عند الله من هذا بل هو كالغريق
في المثل قل ارأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق بعيد اي اخبروني
ان صح ان القرآن من عند الله فانكم تستمرون على لجاجة في انكاره وقد كفرتم به من يكون اغرق
في الشقاق منكم وايثارتم لبيانه بعد الكفر بالقرآن والا فقد كذبوا به لما جاءهم من غير

تلعثم اورده على اسلوب كلام المنصف حثا على التامل واستدراجا الى الاقرار ثم بقوله
سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اى عن قريب نريهم ما يدل
على ان القرآن حق لا ريب فيه او الرسول او التوحيد بما يجري على يدي رسولنا ومن بعده
من الخلفاء وسائر الصحابة من الفتوح في مشارق الارض ومغاربها لا سيما في ناحية العرب
وساحتها او في ذلك من الدلالة على قوة الاسلام واهله ووهن الباطل وحزبه ما يحقق
صدق قوله ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وبه يتبين انه الحق الذي لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد يعلم الاشياء علما
شهوديا يستوى عنده كل غيب وشهادة تحقيق لتلك الاراءة فانها نزلت والمؤمنون
في غاية الضعف والقلة كذا عن مجاهد والحسن والسدى وعن عطا آيات الآفاق والانفس
ما في اقطار السماء والارض وما في الانسان من بدايع الصنع ولطايف الحكم والالتفات
الى التكلم لزيادة الاختصاص تحقيقا لثبوت الاراءة ومعنى تبين لهم انه الحق اى الله ذاتا
وصفة وقولا وفعلا فهو الحق من كل وجه واذا تبين لهم ذلك تبين حقية القرآن
فانه كلامه ثم قيل ولم يكف بربك شهوده على كل شيء فمنه يشهد الاشياء على التحقيق
لا ان يستدل بالمؤثر على الاثر على طريقة البرهان اللمي وهو اقوى من الاستدلال
بالاثر وفي اضافة الرب اليه اشارة الى ان ذلك ليس للعمل فيه مدخل بل محض عناية
كما اشير اليه جذبة من جذبات الرحمن توازي عمل الثقلين الا انهم في مرية من لقاء ربهم
لعدم ذلك الشهود فهم في ظلمة متكاثفة الا انه بكل شيء محيط علما وقدرة فمن
شهد شهد كل شيء تمت والصلوة على من به دايرة الرسالة

سورة الشورى مكية وهي ثلث وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم عسق مقطعات للايقاظ واسماء للسور
ولذلك فصل بينهما او ليوافق ساير الحواميم كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك
اى مثل المعاني التي في هذه السورة اوحى الله اليك في ساير السور والى الرسل من قبلك في سائر
الكتب مشتملا على الكثير من التقرير والتذكير والدلالة على انها امور مهمة وايثار
المضارع حكاية للحال الماضية لافادة الاستمرار وان الحاء مثله حقيق به وقرا ابن كثير
يوحى بالفتح على ان كذلك مبتدأ وهو خبره والله مرتفع بما دل عليه يوحى كارتفاع رجال
في يسبح بفتح الباء كانه قيل من الموحى فقيل يوحى الله على ان قوله العزيز الحكيم وصفان له
او يوقف على من قبلك وقف التمام والله مبتدأ والاسمان بعده خبران او الاول خبر
والثاني نعته او كلاهما نعت والخبر ما بعدهما وايثار الوصفين للدلالة على انه غالب
على امره مختار من يشاء لرسالته حكيم في افعاله يوحي الى رسله ما للعباد فيه خير الدارين
له ما في السموات وما في الارض مالكهما وخالقهما وهو العلي شانه العظيم سلطانه
تكاد السموات قرا نافع والكسائي بالياء والتانيث اولى لعدم الفصل يتفطرن
يتشققن وقرا نافع وابن كثير والكسائي وحفص يتفطرن بالتاء المفتوحة وتشديد الطا

الطاء من التفعل وهو اولى لدلالة الصيغة على المبالغة الخليقة بالمقام وانفطارها آيات
عظمة الله وكبريائه كما دل عليه العلي العظيم او من نسبة الولد لما يأتي من قوله ام اتخذوا
من دونه اولياء ولقوله في سورة مريم تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض ان
دعوا للرحمن ولدا والاول اولى بالمقام من فوقهن من جهة الفوق كانت تاثيرها العرش
والكرسي دلالة على ان كل ما عظم وعلا من الكائنات اخضع لجلال جبروته او من اعالي
سطوحهن فان الكلمة الشنعاء وهو اتخاذ الولد جاءت من تحتها فحينئذ تاثيرها في جهة الفوق
كان تاثيرها في جهة التحت من باب الاولى والملائكة يسبحون بحمد ربهم مداومون على
تقديسه وتمجيده خاضعين لكبريائه حامدين على ما اولاهم او ينفون عنه ما اضافه
الولد اليه حامدين له على ما عصمهم عن موجبات سخطه ويستغفرون لمن في الارض
اى للمؤمنين لقوله ويستغفرون للذين آمنوا او لاهل الارض كافة حرصا على نجاة
الخلق بان لا يعاجلهم بالعذاب عسى ان يتوب المسيء الا ان الله هو الغفور الرحيم
حث على الاستغفار وان الناس اولى بذلك من الملائكة ولذلك صدر الكلام بحرف
التنبيه والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ عليهم رقيب يجازيهم على وفق
عملهم وما انت عليهم بوكيل موكول اليه امرهم وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا
ذلك اشارة الى كونه رقيبا وحده وهذا المعنى متكرر في القرآن والكاف مفعول به وقرآنا
عربيا حال منه او الى مصدر الايحاء اى مثل ذلك الايحاء اوحينا اليك قرآنا عربيا بلسانك
نفهمه لتنذر ام القرى وهي مكة لان الارض دحيت من تحتها اى اهلها ومن حولها
من العرب انذره والذريه بمعنى وتنذر يوم الجمع يوم القيمة لاجتماع الخلق فيه او
الارواح والاجساد او العامل وعمله افرده بالذكر لعظم اهواله وليوقع عليه لفظ
الانذار صريحا لا ريب فيه اعتراض لا محل له فريق في الجنة وفريق في السعير اى من
المجموعين لدلالة الجمع عليه والمعنى بعد الجمع والقضاء يتفرقون ولو شاء الله لجعلهم
امة واحدة في الهدى او الضلال ولكن يدخل من يشاء في رحمته وهم المؤمنون
بالتوفيق والظالمون المتخذون من دونه وليا اى بالظالم ليكون علة لقوله
ما لهم من ولي ولا نصير اوعام فيدخلون دخولا اوليا وتغيير المقابلة للمبالغة
في الوعيد لان الكلام في الانذار ام اتخذوا من دونه اولياء انكار لاتخاذهم اولياء
من دونه وما بين الاتخاذين اعتراض فالله هو الولي جواب شرط مقدر اى ان
ارادوا اولياء بحق فالله هو ذلك الحق ارشاد الى من يصلح بعد انكار من لا يصلح وفيه
شد لعضد الانكار وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ومن هذا شانه حقيق
بالولاية وما اختلفتم فيه من شيء من امور الدين انتم والكفار حكاية قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكمه الى الله مفوض اليه يثيب المحق ويعاقب المبطل
وما وقع بينكم ايها المؤمنون من الحكومات فتحاكموا الى رسوله او ما اشتبه من الكتاب

ردوه الى المحكم وفي المجتهدات لجواز الاجتهاد في زمانه وبحضرته دل عليه حكم الصديق
في سلب قتيل قتاده على ما رواه البخاري من غير معارض ذلكم الله ربي عليه توكلت في مجامع اموري
واليه انيب في حل المعضلات فانتم اولى بذلك فاطر السموات والارض خبر آخر او مبتدأ
خبره جعل لكم من انفسكم من جنسكم ازواجا نساء ومن الانعام ازواجا اناثا للتوالد
والتناسل يذرؤكم يكثركم من الذرء والذر اخوان فيه اي في هذا التدبير والجعل والضمير
لما دل عليه الفعل وفي يذرؤكم تغليب العقلاء والخطاب ليس كمثله شيء نفي لمن يماثله
على طريق الكناية وذلك ان البرهان دل على نفي مثله فلو كان لمثله مثل كان مثلا له
هذا اسلوب معروف بين البلغاء يقولون انفعت لذاته وبلغت اترابه وفي المدح بالجود
مثلك لا يبخل ولا فرق بينه وبين قولك انت لا تبخل الا ما اعطته الكناية من المبالغة من
وجهين الدلالة على موجب عدم البخل والثاني ادخاله في زمرة من لا يبخل فهو ادل على عدم
البخل وقيل حرف التشبيه للتاكيد والوجه ما تقدم وهو السميع لكل المسموعات البصير
لكل المبصرات تقرير لنفي المماثل له مقاليد السموات والارض خزائنها او مفاتيحها تضمن
ذكر سائر الصفات الذاتية وافراد السمع والبصر لانهما اخص اوصاف المعبود من جنس الى
معبود الآخر الحى قول ابراهيم عند نصح ابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر يوسع ويضيق وفق ... انه بكل شيء عليم فيفعل ويفعل على حسب علمه
شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى
وعيسى تفصيل لما اوحي اليه والى الذين من قبله وهو باب الالهيات والعقائد التي لا تتبدل
لا الفروع لقوله لكل جعلنا منكم شرعة ان اقيموا الدين بدل من مفعول شرع او استئناف في
جواب ماذا شرع ولا تتفرقوا فيه اي في هذا الاصل كبر على المشركين ما تدعوهم اليه
من التوحيد الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب الضمير لله والاجتباء الاصطفاء
وقدمهم على اهل الاهتداء وان اتحدوا في التوحيد لشرفهم والذين والاجتباء من
الجباية وهي الجمع لانه لما نهى عن التفرق وان ذلك شاق على المشركين اردفه بان الله
يجمع على دينه من يشاء توفيقه على زعم المشركين والاول اسد فائدة لدلالته على
ان الله عبادا هم صفوته ولان الاجتباء في الاصطفاء اظهر والثاني اوفق بالمقام وما
تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم اي لم يتفرق الامم بعد موت الانبياء من لدن نوح الا
بعد علمهم ان الفرقة ضلال وفساد او وما تفرق ابناء الموحدين الا بعد العلم من
الانبياء بان التفرق ضلال لان الناس كانوا بعد الطوفان امة واحدة مؤمنين فاختلفوا
او وما تفرق اهل الكتاب الا بعد ما جاءهم العلم من المبعوث المصدق لكتابهم آمن بعضهم
وكفر آخرون بغيا بينهم ظلما فيما بينهم لطلب الدنيا ولولا كلمة سبقت من ربك الى
اجل مسمى هي العدة الى قيام الساعة لقضي بينهم باستيصال المبطل وان الذين اورثوا
الكتاب من بعدهم اعقابهم الذين كانوا في عهده لفي شك منه من كتابهم ضموا الى التفرق

الى التفرق الحاصل في الكتاب الذي هو اصل دينهم وعلى الثالث هم مشركو مكة اورثوا
القرآن فهم في شك منه مريب معلق فلذلك فادع اي لاجل تشعب الكفر في الامم فادع
الى الملة الحنيفية القديمة والاتفاق عليها او اشارة الى مضمون شرع وما يتصل به
اي لاجل ما شورك مع اولئك الرسل من الامر باقامة الدين والنهي عن التفرق فادع
واستقم كما امرت على الدعوة ولا تتبع اهواءهم الباطلة وقل آمنت بما انزل الله من
كتاب اي كتاب انزله فانهم آمنوا ببعض وكفروا ببعض وامرت لاعدل بينكم اي بحاكمتم
الي فالاول اشارة الى القوة النظرية وهذا الى العملية الله ربنا وربكم لا اله
غيره لنا اعمالنا نجازى يوم القيمة ولكم اعمالكم كذلك تجازون فانظروا لنفسكم
لا حجة بيننا وبينكم لا حجاج لان الحق قد ظهر والمراد ترك المقاولة الله يجمع بيننا
واليه المصير لا الى غيره والذين يحاجون في الله اي في دينه من بعد ما استجيب له
من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا او استجاب الله لرسوله بالنصر والوعد باظهار
دينه حجتهم داحضة عند ربهم ساقطة هم المشركون الذين كانوا يصدون
عن سبيل الله بانما اتى به محمد شعر او سحر وقيل هم اليهود كانوا يقرون بنبوته و
يستفتحون به فلما جاءهم كفروا فان قلت التقييد بقوله من بعد ما استجيب له يدل
على ان قبل الاستجابة كانت حجتهم ناهضة قلت لا دلالة فيه بل انما ذكر اشارة
الى فرط جهلهم اذ بعد ظهور تباشير النصر وشروق شمس الحق لا وجه للانكار اذ
الانكار بعد الاقرار حماقة فهم في ذلك كالراقم على الماء وعليهم غضب
واي غضب ولهم عذاب شديد مدمر لشدة جهلهم الله الذي انزل الكتاب بالحق
والميزان تهديد للكفار بعد ظهور الحق والميزان العدل والمعنى الله الذي انزل
جنس الكتاب مشتملا على الحق وامركم باقامة العدل بينكم وما يدريك لعل الساعة
قريب فيفاجئكم اليوم الذي يحاسبكم فيه فيوفي لمن وفى ويطفف لمن طفف والساعة
في تأويل البعث ولذلك قيل قريب او على تقدير المجيء يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها
يقولون متى هذا الوعد والذين آمنوا مشفقون منها خائفون منها غاية الخوف كيف
وهو يوم يجعل الولدان شيبا ويعلمون انها الحق الذي لا مرية فيه يؤكد الاشفاق
الا ان الذين يمارون في الساعة يجادلون في وقوعها من المراء او من المري يقال
مريت الفرس اذا استخرجت ما عنده من الجري فان كلا من المتناظرين يستخرج من
صاحبه ما يقدر عليه لفي ضلال بعيد عن الحق لتوافق العقل والنقل على وقوعها
الله لطيف بعباده بليغ البر بهم ولذلك اخر العذاب عن منكري الساعة مع تحقق
استحقاقهم واللطف ايصال نفع له موقع بدقة يرزق من يشاء ما يشاء مترتب
على السابق ترتب الانواع على الجنس فالكل للكل بحسب هذا نعمة وذاك باخرى
وهو القوي العزيز بليغ القدرة الغالب على ما اراد والماشمل رزق الدارين قال

من كان يريد حرث الآخرة الحرث في الأصل إلقاء البذر في الأرض يشبه به العمل الذي يطلب به
الثواب فإن الدنيا مزرعة الآخرة نزد له في حرثه أي في ثواب عمله الحسنة بعشر
أمثالها إلى ما شاء الله تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها شيئا وهو المقدر له
إذ ليس كل ما يتمناه يدركه ولم يذكر ما للمؤمن من الدنيا لحقارته ولأنه ليس مرادا
له بل وسيلة إلى المراد كأنما بالعرض وما له في الآخرة من نصيب إذ لم يزرع لها شيئا
أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله من الشرك وإنكار البعث وقصر
النظر على حرث الدنيا الهمزة في أم للتقرير والتوبيخ أضرب عن قوله شرع لكم من الدين و
ما في البين اعتراض تتميما للأول وتأخير الإضراب عنه ليدل على أن ما شرعوه مخالف
لشرع الله من كل وجه ولولا كلمة الفصل أي القضاء السابق بتأجيل العذاب أو
العدة بأن الفصل يكون يوم القيامة لقضي بينهم بين المؤمنين والكافرين أو بين
المشركين وشركائهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم يوم القيامة وكل آت قريب ثم
هول شأنه بقوله ترى الظالمين في ذلك اليوم مشفقين مما كسبوا من وباله وهو
واقع بهم لا محالة إذ قد فات وقت التلافي والذين آمنوا وعملوا الصالحات في
روضات الجنات في أنزه أماكن الجنة وأشرفها لهم ما يشاؤون عند ربهم عند
ربهم نصب بالظرف لا بيشاؤون لفوات غرض المبالغة لأنك إذا قلت لك عند فلان
ما شئت أفاد أن كل مطالبك ثابتة عنده وإذا قلت ما شئت عند فلان فهو ثابت
لا يفيد حصول كل مطلوب والأولى جعله خبرا آخر وإنما أخر ترقيا من الأدنى وذلك
أن الوافد الكريم ينزل أولا في أنزه الأماكن ثم يقدم إليه ما يتمناه ولم يقرب به رب
المنزل وجعله حالا لا يفيد هذا المعنى أيضا الآية فضله ذلك هو الفضل الكبير أي الذي يعطى
المؤمن هو الذي يصغر دونه كل فضل ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا
الصالحات أي يبشر به فحذف الجار ثم العائد أو ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده وقرأ
ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي بفتح الياء وإسكان الباء وضم الشين مخففا و
التشديد أبلغ قل لا أسألكم عليه أجرا على تبليغ الرسالة إلا المودة في القربى إلا أن
تودوني لقرابتي منكم وذلك أنه لم يكن في قريش بطن إلا كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فيهم قرابة كذا رواه البخاري عن ابن عباس لما سئل عن تفسير القربى في الآية وقيل الأقرب
إلى الله بالطاعة وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا أسألكم عليه أجرا قط لكن أسألكم
المودة وفي القربى حال أي ثابتة متمكنة في حق القرابة وما روي أنها لما نزلت قيل
يا رسول الله من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم قال فاطمة وعلي وابناهما فحديث منكر
لأن الآية مكية اتفاقا وعلي إنما تزوج فاطمة بعد بدر وما رواه مسلم بإسناده
إلى زيد بن أرقم أنه صلى الله عليه وسلم قال في خطبة أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم
الله في أهل بيتي إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ولم يفترقا حتى يردا علي الحوض

على الحوض ففيه كفاية في إيجاب حب أهل بيته وإجلال قدرهم وأبنائهم على الأزواج
والمهج وإذا كان الحب في الله بين المؤمنين من الإيمان فكيف يحب ذريته اللهم
إني أحبهم من محبتهم لله أعني على محبتهم واحشرني في زمرتهم اللهم اشدد وطأتك
على من ناواهم وآذاهم ومن يقترف حسنة يكتسب طاعة وعن السدي هي
المودة في القربى والحق عمومها لكن تناولها أولى لأن سياقها لها نزد له فيها حسنا
بمضاعفة ثوابها إن الله غفور لمن أذنب شكور مجاز عن أعداده بالطاعة أم
يقولون افترى على الله كذبا إضراب آخر عطف على الأول فإن شرع الشركاء لهم الدين
وإن كان شر الآثام لا يبلغ فحشه رتبة الافتراء على الله من مدعي الرسالة والاستفهام
للتوبيخ كأنه قال أيقدرون على إجراء هذه الكلمة على أفواههم ولا يخافون أن
تصيبهم قارعة من السماء فإن يشأ الله يختم على قلبك لتكون مثلهم إشارة إلى
أن الفرية عليه تعالى شأن من كان مختوما على قلبه وفيه تعريض بهم ويمح الله الباطل
ويحق الحق بكلماته استئناف يؤكد مفهوم السابق أي كيف يكون افتراء وعادة
الله القذف بالحق على الباطل وإزهاقه وما أتى به يزداد كل يوم فهو الحق الذي
يؤيده بوحيه أو قضائه وقيل هو عدة لرسول الله بالنصر ومحق باطلهم بالقرآن
فهو اعتراض يؤكد كونهم مبطلين في نسبة الافتراء إلى من هو أصدق الناس لهجة
جاء بأصدق حديث من أصدق متكلم وعن قتادة يختم على قلبك بقطع الوحي عنك
أو يربط الصبر على قلبك حتى لا يشق عليك قولهم فيك إنه عليم بذات الصدور بمضمراتها
فيجازيهم على ما أضمروا من بغضهم وحسدهم إياك فضلا عما أظهروه وهو الذي يقبل
التوبة عن عباده لما عظم جرمهم دعاهم إلى التوبة إشارة إلى أن الذنب وإن عظم
فعفوه أعظم وأضافهم إليه إيماء إلى أنهم لم يخرجوا بالذنب عن خطته ولم تنقطع بذلك
العلاقة وحقيقة التوبة الإقلاع عن الذنب خوفا منه تعالى وأما الندم على الماضي والعزم
على أن لا يعود فمن شرائطه ويعفو عن السيئات لمن يشاء صغيرها وكبيرها إلا
ما استثناه من الشرك ويعلم ما تفعلون من خير وشر وقرأ حفص وحمزة والكسائي
بتاء الخطاب التفاتا مقبلا عليهم ليكون أدعى لهم إلى الرجوع ويستجيب الذين آمنوا
وعملوا الصالحات أي يستجيب لهم بحذف الصلة وإيصال الفعل أو دعاءهم بحذف
المضاف ويزيدهم من فضله زيادة على ما سألوه وقيل الاستجابة فعل المؤمنين
حين دعاهم إلى التوحيد وما روي عن إبراهيم بن أدهم قدس سره أنه قيل له ما لنا
ندعو فلا نجاب قال لأنكم دعيتم فلم تجيبوا ثم قرأ والله يدعو إلى دار السلام و
يستجيب الذين آمنوا يؤيده وهو من قبيل كما تدين تدان ومن تقرب إلي شبرا تقربت
إليه باعا ويزيدهم من فضله على هذا معطوف على مقدر أي فيثيبهم أجورهم ويزيدهم
والكافرون لهم عذاب شديد بدل ما للمؤمنين من النعيم ولو بسط الله الرزق

لعباده بان نفيض عليهم فوق حاجتهم لبغوا في الارض لافسدوا فيها بطرا واشرافان
المال مبطرة ماشرة وكفى بحال قارون عبرة وفي الحديث والله لا الفقر اخشى عليكم و
لكن اخاف ان يبسط عليكم فتنافسوا فيها كما تنافس من قبلكم وفيه عنه تعالى ان من
عبادي من لا يصلح له الا الفقر والمراد البغي الذي يختل به النظام فلا يرد ان البغي
كائن والحالة هذه ولكن ينزل بقدر ما يشاء بتقدير جرت به المشية واقتضته
الحكمة انه بعباده خبير بصير يعلم بواطنهم وظواهرهم تقرير للسابق وهو الذي ينزل الغيث
المطر النافع الذي يغيثهم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد من بعد ما قنطوا
ايسوا لبعد العهد وعدم ظهور العلامات وينشر رحمته بركات الغيث ومنافعه
او رحمته من سائر الوجوه قيل شكي الى عمر قحط المطر فقال مطرتم واشار الى الاية وهو الولي
الحميد السيد الذي يستحق ان يحمد ومن اياته خلق السموات والارض دلايله الدالة
على انه صانع حكيم وما بث فيهما من دابة مرفوع او مجرور اي من اياته ما بث او خلق
ما بث قيل نسبة الدابة الى السموات والارض مع اختصاصها بالارض نسبة اللؤلؤ
الى العذب والاجاج وكقولهم بنو فلان فعلوا كذا ولا داعي الى هذا لوجود الدواب
فيها حقيقة دل عليه حديث البراق وكبش اسمعيل ومراكب اهل الجنة وهي كائنة الان
في السماء وهو من مفردات القران لبناء السورة على بيان كمال الاقتدار وفي تغليبها
على العقلاء اشارة الى الكثرة الانواع والاصناف وما يعلم جنود ربك الا هو وهو
على جمعهم اذا يشاء قدير اي وقت اراد واذا تدخل المضارع دخولها على الماضي
كقوله والليل اذا يغشى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم من المعاصي فذلك
كفارة لها وعن بعض العارفين اني اذا ارتكبت معصية اعرف ذلك من خلق دابتي وذكر
الايدي مقحم لان اكثر الاعمال بها وقرأ نافع وابن عامر بدون الفاء لان ما الموصولة
لا تستلزمها فيؤتى بها تارة وتحذف تارة اخرى حطا للمشبه عن المشبه به مع ما يفهم
الفاء من معنى السببية والنظم لا يدل على الحصر فما يصيب اهل العصمة كالانبياء و
الاطفال فلرفع درجاتهم ودرجات اباءهم بالصبر ويعفو عن كثير لا يواخذ به وما
عفا عنه فهو اكرم من ان يرجع عن عفوه ولذلك قال علي رضي الله هي ارجى اية وما انتم
بمعجزين في الارض بفائتين لما قضى عليكم وما لكم من دون الله من ولي يتولى
امركم ولا نصير يدفع عنكم ما قضاه فلولا لطفه بكم لما عفا عن كثير ومن اياته الجوار
في البحر من ايات كمال اقتداره السفن الجارية في البحر مسخرة بحيث امره كالاعلام كالجبال
كقول الخنساء كانه علم من فوقه نار ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره اي
فيصرن واقفات على ظهر البحر من ركد الماء سكن ان في ذلك لايات لكل صبار
شكور اي لكل مؤمن لانهما صفتا حالتي الضراء والسراء او يوبقهن بما كسبوا او يهلك
السفن بسبب معاصيهم عطف على يسكن الريح وايقاع الاباق عليها مع ان الغرض ايباقهم

ايباقهم للدلالة على ان شوم معاصيهم تسري الى تلك الجمادات ويعف عن كثير عطف
على يوبقهن بمعنى ان يشأ يهلك بالريح العاصفة ما يشاء وينج اخرين وفيه
الكثرة في مقام الانتقام اشارة الى سبق رحمته ويعلم الذين يجادلون في
اياتنا ما لهم من محيص استيناف او عطف على مجموع الشرطية كانه قال يعترف
باياتنا المدبرون ويعلم المجادلون فيها ما لهم من محيص او على ومن اياته الجواري
وما بينهما اعتراض بما يدل على وعيد المجادل فيها مع الاشارة الى اشتمال تلك
الاية ايات وقرأ نافع وابن عامر بالنصب عطفا على تعليل مقدر نحو لينتقم
منهم وكم مثله في القران نحو ولتجزى كل نفس وقدر الزجاج ان ناصبة ولم يحسن
سيبويه تقدير ان بعد الواو والفاء في مثل ان تأتني آتك واكرمك او فاكرمك
لكونه عدولا عن الاصل بلا فائدة فما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله
من الثواب خير افضل وابقى وادوم للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون عن علي
رضي الله كان عند ابي بكر مال فتصدق به فلامه المسلمون فنزلت والذين يجتنبون
كبائر الاثم والفواحش عطف على للذين امنوا وكذا ما بعده اي الكبائر من هذا الجنس
وقرأ حمزة والكسائي كبير الاثم لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما او الجنس او
لان فعيلا يقع موضع الجمع نحو وحسن اولئك رفيقا والجمع اظهر واذا ما غضبوا هم
يغفرون اي هم احقاء بالغفران والتجاوز عن المسيء اذ لا يغتال احلامهم الغضب
والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة نزلت في الانصار لما دعاهم رسول الله
بعد ان دعا سائر العرب فلم يجيبوه وامرهم شورى بينهم ذو شورى بمعنى التشاور
كانوا على ذلك قبل مقدم رسول الله فلذلك عطف الاسمية على الفعلية و
بالغ بجعل الامر نفس الشورى ومما رزقناهم ينفقون اي بعضه في وجوه البر
والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون اي هم مخصوصون بالانتصار وهو
الانتصار على قدر الاستحقاق دون غيرهم فانهم يعتدون لانهم ينتصرون
ولا يغفرون لما تقدم وجزاء سيئة سيئة مثلها والثانية سيئة لانها
تسوء من تنزل به وقيل للازدواج وفيه اشارة الى ان طريق الانتصار غير مامون
العثار لانه مما يحمد بشرط رعاية الاحتياط وهي عسرة ولذلك فرع عليه
فمن عفا واصلح بالتجاوز عن خصمه واصلح ما بينه وبينه فاجره على الله لا يقادر
قدره انه لا يحب الظالمين فليحذر المنتصر على البغي وزيادته لئلا يدخل في زمرة
الظالمين فقد ارشد الى ايثار الاحسن على ابلغ وجه ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك
ما عليهم من سبيل لانه ما اثر الحسن لا عتب عليه بترك الافضل لا حالا ولا مالا
انما السبيل على الذين يظلمون الناس ابتداء ويستكبرون عليه ويبغون في الارض
بغير الحق يتكبرون ويفسدون اولئك لهم عذاب اليم على بغيهم ولمن صبر وغفر

لمن ظلمه إن ذلك لمن عزم الأمور المطلوبة المرغوبة وهذا إذا لم يزد طغيان الظالم
بالعفو عنه لما روي عن عروة بن زبير عن عائشة رضي الله عنها دخلت علي زينب
وهي غضبى فأغلظت الكلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أقبلت علي فما
تم عرضت عنها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دونك فانتصري فأقحمتها حتى
يبس ريقها في فيها ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده يتولى أمره عطف على
أولئك لهم عذاب أليم عن الظالم تسجيلا عليه بالضلال وما في البين اعتراض تحذيرا
من الظلم وترى الظالمين لما رأوا العذاب يرونه والماضي لكونه لازم التحقق
والخطاب عام يقولون هل إلى مرد من سبيل إلى الدنيا وتراهم يعرضون عليها
على النار دل عليه العذاب خاشعين من الذل متخضعين لما يلحقهم من الذل ينظرون
من طرف خفي من بين الأجفان كالمصبور إذا نظر السيف وقال الذين آمنوا إن
الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم بالتعريض للعذاب يوم القيامة
يتعلق بالخسران على أن قول المؤمنين في الدنيا أو بالقول على طريق التنازع بينه
وبين الخسران والأصل أنهم والعدول إلى المنزل للتسجيل عليهم بالخسران والقول
كالرؤية وإن كان عاما إلا أنه أسند إلى المؤمنين لابتهاجهم بالنجاة ألا إن
الظالمين في عذاب مقيم دائم من كلام المؤمنين أو تصديق من الله وما كان
لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل إلى الهدى
أو النجاة استجيبوا لربكم إذ لم يبق في البيان موضع اشتباه من قبل أن يأتي
يوم لا مرد له من الله صلة مرد أي بعد ما قضى به لا يرده أو متعلق بيأتي أي
إذ أتى لا يعد واحد على رده ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير إنكار
يجدي وذلك بعد شهادة الجوارح عليهم فإن أعرضوا بعد الدعوة عن الاستجابة
فما أرسلناك عليهم حفيظا رقيبا تضبط أحوالهم حتى تهالك على هدايتهم إن
عليك إلا البلاغ وقد قمت به قيام الايد وإنا إذا أذقنا الإنسان منا
رحمة فرح بها فرح بطر لا استبشار بما تفضل به ملتفتا إياه بالشكر وإن
تصبهم سيئة آفة في المال أو في البدن بما قدمت أيديهم لشؤم ما اكتسبوا
من الكفر والمعاصي فإن الإنسان كفور بالغ الكفران والمراد به المجرم لما تقدم
فاللام للعهد وإنما أوقع موقع المضمر للدلالة على أن هذا الجنس موسوم بالكفران
مثل قوله إن الإنسان لظلوم كفار وإيثار إذا في الحسنة وإن في السيئة لتحقق
الحسنة وشيوعها وندرة السيئة ووقوعها لله ملك السموات والأرض يذيق
تارة الحسنة وأخرى السيئة كما بينا بيده الآلاء والبلاء وفيه إشارة إلى أنه
كان يجب عليه عند إذاقة الرحمة الاستكانة شكرا لموليها لا البطر والأشر وعند
إذاقة ضدها الرجوع بالتوبة إلى مبليها لا الجزع والجور يخلق ما يشاء أحوال الكائنات

احوال الكائنات من الآلاء والبلاء ثم بينه بأمر مسلم لا يمارون فيه فقال يهب لمن يشاء
إناثا ويهب لمن يشاء الذكور ولما كان الكلام فيما لا يحبه الإنسان ولم يكن
عندهم بلاء أعظم من الإناث وحديث وأد البنات أصدق شاهد قدم الإناث
وجبر ما فات الذكور من رتبة التصدير بأن عرفها إشارة إلى أنه الحاضر في
خواطرهم أول كل خاطر ثم أعطى بعد انقضاء هذا الوطر كلا منهما حقه بقوله أو
يزوجهم ذكرانا وإناثا ولم يعد لفظ المشية لتركبه من الأولين وأعاد في
قوله ويجعل من يشاء عقيما لا يولد له أصلا لأنه قسيمها إنه عليم قدير وما
كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي
بإذنه ما يشاء يشير إلى أنه كما خص من يشاء ما يشاء من الإناث والذكور كذلك التكليم
لخواص البشر أطوار على مقتضى المشية والظاهر الحصر في الأوجه الثلث وأراد بالوحي
ما يعم الإلهام كما لأم موسى والمنام كما لإبراهيم ومن وراء حجاب كما كلم موسى
أو يرسل رسولا ملكا كأكثر أحوال رسول الله أو رسولا من البشر إلى الأمم وهم
الرسول ووحيا وأن يرسل ومن وراء حجاب أحوال من فاعل يكلمه أو مفعول له
أو الثلثة موضوعة موضع كلاما لأن الوحي كلام خفي والإرسال كلام على ألسنة
الرسل أو التقدير بأن في الثلثة هنا وليس في الآية دليل لمثبت الرؤية ولا لنا
فيها بل إنها لو وقعت لم تكن في أحد الأحوال الثلثة وعليه التحمل الواصلون
إذ في مقام الشهود يرتفع حجاب المخاطبة لكون البقاء به تعالى وفي ايرادها رعي
أسلوب الترقي وقرأ نافع أو يرسل بالرفع خبر مبتدأ أي هو يرسل وكذا فيوحي
إنه علي متعال في ذاته وصفاته وأفعاله ولذلك كان كلامه على النعت المذكور
حكيم يضع كل شيء موضعه وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا كما أعطيناك
مراتب الكلام أوحينا إليك القرآن الذي يحيي به القلوب الميتة بداء الجهل وقيل
هو جبرئيل أرسل بالوحي ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان أي شرايعه و
تفاصيله إذ كان أكمل المؤمنين قبل النبوة إما تعبدا بالاجتهاد أو بشرع أو
نفس الإيمان فإن الذي يعني هو العلم به لا وجوده ولا تلازم بينهما ولكن جعلناه
نورا نهدي به من نشاء من عبادنا بالتوفيق وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم
لا عوج فيه صراط الله شرعه الذي شرعه لك الذي له ما في السموات وما في
الأرض ومن يكون هذا شأنه صراطه أقوم السبل ألا إلى الله تصير الأمور وبرى
كل جزاء تمت الشورى والحمد لله في الآخرة والأولى والصلوة على المختص بالشفاعة
العظمى وآله وصحبه ذوي السابقة الأدنى والأعلى سورة الزخرف مكية
وعن مقاتل إلا قوله واسأل من أرسلنا وهي تسع وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم
حم والكتاب المبين إنا جعلناه قرآنا عربيا أقسم بالقرآن على أنه جعله قرآنا عربيا

وهو من بدائع الايمان لتناسب الظاهر والاشارة الى انه لا شىء اعلى منه يقسم به
ولا اهم من وصفه فيقسم عليه مثله قول ابى تمام وثناياك انها اغريض المبين
الواضح لمن تدبره او الموضح طريق الهدى او ما يحتاج اليه فى الدين او باعجازه صدق
المرسل به وجعل بمعنى صيّر معدى الى مفعولين او خلق فالى واحد وقرانا عربيا حال
والاولى وفى ذلك لم يقع الكلام فى كونه مخلوقا بل فى كونه واردا على اسلوب كلامهم
ليدركوا اعجازه لعلكم تعقلون لكى تفهموا معانيه وانه فى ام الكتاب فى اللوح
لانه اصل الكتب منه تنقل وقرأ حمزة والكسائى بكسر همزة ام لدينا لعلىّ شأنه
ذو شرف او عال على سائر الكتب باعجازه او عن تطرق التحريف ووجوه الفساد
انا له لحافظون حكيم ذو حكمة او محكم لا ينسخ ابدا وهما خبر ان وفى ام الكتاب
يتعلق بهما واللام غير مانعة لاتساع الظروف ولدينا بدل منه او حال من الكتاب
افنضرب عنكم الذكر صفحا عطف على مقدر اى انترككم ونذود عنكم القرآن
وننحيه تمثيل شبه حال الذكر وتنحيته بحال غرائب الابل وذودها كقول طرفة
اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس والمعنى انكار ان يكون
الامر على خلاف ما تقدم من انزال القرآن عربيا ليعقلوه وصفحا مصدر من غير لفظه
او حال اى صافحين او مفعول له او ظرف بمعنى الجانب اى ننحيه عنكم جانبا ان كنتم
قوما مسرفين لان كنتم وقرأ نافع وحمزة والكسائى ان بالكسر شرطا والقصد التحقيق
وان كان العلم بكونهم مسرفين قطعيا كقول الاجير ان عملت لك فاعطنى حقى وكم
ارسلنا من نبى فى الاولين فى الامم وما يأتيهم من نبى حكاية الحال الماضية
دلالة على استمرارهم الا كانوا به يستهزؤن فاهلكنا اشد منهم بطشا من المسرفين
صرف الخطاب عنهم بعد الانكار ومضى مثل الاولين قصتهم وحالهم ما نزل
بهم من الامر الغريب الذى ينبغى ان يسير مسير المثل وسينزل بهؤلاء مثله سنة الله
فى الذين خلوا من قبل وقيل معنى سلف فى القرآن ذكر قصتهم فى مواضع ولئن
سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الوصفان
وما بعدهما من الصفات من كلامه تعالى لقوله الذى جعل لكم الارض مهدا ولقولهم
خلقهن الله فى مواضع والمعنى ليسندن خلقها الى الموصوف بهذه الصفات كما اذا سميت
لمخاطبك رجلا باسم العلم فيبلغه عنك كلاما فتساء عند التبليغ بلقبه الدال على المدح
وقيل هما من كلامهم وما بعده استيناف الذى جعل لكم الارض مهدا فراشا وقرأ
الكوفيون مهدا اسم لما يمهد راجع الى الاول وجعل لكم فيها سبلا طرقا تسلكونها
لقضاء الاوطار او ما يوصلكم بالتدبر فيها الى الصانع ووحدانيته لعلكم
تهتدون لكى تهتدوا والذى نزل من السماء ماء بقدر بمقدار وحد اقتضته
الحكمة لا افراط ولا تفريط فانشرنا به بلدة ميتا غلبها اليبس وفارقتها النضارة

النضارة والنماء وتذكير ميت باعتبار المكان كذلك تخرجون من القبور اذ كل
منهما نوع احياء وانما وسط بين الصفات اهتماما لكونها الغرض المسوق له الكلام
وليكون مخاطبا بالادلة واشارة الى ان كلا من السابق واللاحق كاف على اصاله
وبدئه وقرأ حمزة والكسائى يخرجون بفتح التاء والذى خلق الازواج كلها الاصناف
بلا وساطة وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون تركبونه يقال ركب فى
الفلك وركب الانعام غلب المتعدى لقوته وتقديم الفلك لكونه اعرق فى كونه
نعمة لتستووا على ظهوره ظهر المركوب الضمير لما باعتبار اللفظ ثم تذكروا نعمة
ربكم اذا استويتم عليه باللسان والقلب ولذلك اثره على الحمد والمراد بذكر
تلك النعمة ما الشكر وفى ثم اشارة الى انه لا يفوت وقته بالتراخى لو ذهل عند
الركوب وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين مطيقين لولا
تسخيره اصله من القرن وهو الجمع ومنه الاقران لاجتماعهم فى الزمان والصفات
عن على بن ابى طالب رضى الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بدابة فلما اراد
الركوب قال بسم الله الرحمن الرحيم فلما استوى عليها قال الحمد لله الذى سخر لنا
هذا وما كنا له مقرنين ثم ضحك فقلت مما تضحك يا رسول الله قال تعجب الرب
من عبده اذا قال رب اغفر لى فيقول علم عبدى ان له ربا يغفر الذنوب وانا الى
ربنا لمنقلبون بعد الموت تذكره بسير الحقيقى وركوب الجنازة ولانها حالة
اغترار وللنفس فى ذلك الوقت شموخ فيذكرها الموت والرجوع اليه تعالى
حافيا عاريا لا مركب له سوى العمل الصالح هذا فى ركوب الدابة ويقول عند ركوب
السفينة بسم الله مجريها ومرساها وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله ولئن
سألتهم حال من فاعل ليقولن اى بعد ذلك الاعتراف المنافى لهذا القول
ولم يحجوا وصمة التهافت والتناقض وهو قولهم الملئكة بنات الله وعبر بالجزء
لان الولد بضعة من ابيه كقوله صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة منى وفيه اشارة
الى استحالة مقالتهم لان الواحد الحقيقى لا يعقل له جزء بوجه وقرأ ابو بكر باسكان
الزاى وهما لغتان كالكفؤ والعقب ان الانسان لكفور مبين ظاهر الكفران
ام اتخذ مما يخلق بنات واصفيكم بالبنين انكار وتعجيب من فرط جهلهم
حيث اثبتوا له اخس الصنفين ترتيب ذلك بقوله واذا بشر احدهم بما ضرب
للرحمن مثلا بالبنات سماه مثلا لانه يبلغ فى الشناعة الى حيث جدير بان يسير
مسير الامثال ظل وجهه مسودا صار اسود غاية من شدة الحياء وهو كظيم
مملوء غيظا او كاظم على غيظه او من ينشؤ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين
انكار آخر اشد من الاول يشرح حال ذلك الاخس والمعنى اجعلوا له من يربى فى
الزينة والحال انه لا يقدر على اقامة برهان عند الجدال والجاج فالاول اشارة

الى ضعف البنية والثانى الى نقصان العقل وقلما تصدت امرأة الى محاجة الا انت بما
هو عليها وقرأ حمزة والكسائى وحفص ينشؤا بضم الياء وتشديد الشين وهو اولى
لدلالته على زيادة الاحتياج وجعلوا الملئكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اى
جعلوا عباده المكرمين والملأ الاعلى المقربين اناثا مع ان ادنى مخلوق يستنكف
هذا الاسم والغرض من ذكر على وجه الاعراض الدلالة على ان ماهم عليه من اعتقاد
الولد مثل ماهم عليه من تأنيث الملئكة وانه مع عدم ملاحظة نسبة الولد اليه
فى نفسه كفر عظيم وتحقير لما عظمه الله وافتراء على سكان ملكوته وفى العباد ايماء
الى تكذيبهم وقرأ نافع وابن عامر وابن كثير عند الرحمن كقوله الذين عند ربك
والمراد قربهم رتبة وهذا ابلغ ذما اشهدوا خلقهم وذلك لم يكن قطعا ولا دليل
لهم عقلا ولا بناعدهم نقلا فليس ذلك الا افتراء وقرأ نافع اشهدوا بزيادة همزة
مضمومة مسهلة كالواو وسكون الشين وقالون عنه وجه آخر هو الفصل بينهما
بالالف ستكتب شهادتهم على الملئكة اى كتبت لا محالة والسين للتوكيد ويسألون
سؤال تقريع وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم قالوه استهزاء ولو قالوا جازمين
لكانوا مؤمنين لما تقرر ان لا كائن دون مشيئته هذا والحق انهم لم يكفروا بمجرد
قولهم ان الكفر بمشيئته تعالى بل لقولهم انه اذا شاء ذلك لا يجوز منه الامر بالايمان
ولذلك جهلهم بقوله ما لهم بذلك من علم لاعتقادهم عدم الانفكاك بين الامر و
الارادة مع تحققه ان هم الا يخرصون يكذبون ويجوز ان يكون الاشارة الى جميع
ماسبق من قوله وجعلوا له من عباده جزءا والاول اقرب للقرب وللتعقيب كلا بما
يستقل ولطباقه ما فى الانعام ام آتيناهم كتابا من قبله ابطال لطريق النقل فى
ذلك بعد ابطال طريق العقل فهم به مستمسكون معتصمون لا يقدرون على تركه
بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون اى ليس لهم فى ذلك
دليل عقلا او نقلا بل مبنى امرهم على تقليد آبائهم الضالين والامة الطريقة التى
تقصد من الام كالرحلة لمن يرحل اليه ثم اشار الى ان هذا الضلال طريقة امثالهم
فى تكذيب الرسل بقوله وكذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال
مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون وفى ذكر
المترفين دون غيرهم اشارة الى ان التنعم يوجب البطالة وعدم النظر فى العواقب
او لان غيرهم اتباع لهم لقوله صلى الله عليه وسلم لهرقل فان توليت فعليك اثم
الاريسيين قال او لو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم اى اتقتدون
بهم ولو جئتكم بما هو اهدى من دين آبائكم وهذا على زعمهم اذ لا هداية فى دين آبائهم
والمخاطب رسول الله او النذير ويؤيده قراءة ابن عامر وحفص قال قالوا انا
بما ارسلتم به كافرون كناية عن الثبات على دين آبائهم واشارة الى ان مقصودهم

مقصودهم غير حاصل ولو انتقلوا من دين آبائهم لانهم كافرون بما ارسلوا به فا
نتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين فلا تبال وتسل فانك سترى مثله
فيمن كذبك واذ قال ابراهيم لابيه وقومه اى اذكر لقومك وقت قوله لاعزته
انى براء مما تعبدون من الاصنام كيف ترك التقليد وتبرأ منه وهم يفتخرون
بالانتماء اليه فهلا اتبعوه وهم لا يرجعون عن تقليد الآباء فكان تقليد الاب
الافضل الاعلم اولى واحق وبراء كسماع مصدر وصف به الا الذى فطرنى
استثناء منقطع او متصل لشمول المعبود الحق والباطل ويجوز ان يكون بدلا
لان قوله انى براء مما تعبدون لا اعبد ما تعبدون فانه سيهدين سيثبتنى على
الهداية او يزيدنى وجعلها كلمة باقية فى عقبه اى كلمة التوحيد كقوله
ووصى بها ابراهيم بنيه او الضمير لله لعلهم يرجعون يرجع المشرك عن الاشراك
بدعاء الموحد بل متعت هؤلاء وآباءهم بطول العمر وبسط الرزق والعافية
فاشتغلوا به عن التوحيد والنظر فى دلائله حتى جاءهم الحق ورسول مبين واضح
الرسالة بالمعجزات ولما جاءهم الحق اى القرآن قالوا هذا سحر وانا به كافرون
اى لما جاءهم الرسول بالحق لينبههم عن سنة الغفلة ويزجرهم عن الانهماك فى
الملاذ عكسوا فجعلوا ما هو سبب للتنصل موجبا للتوغل فضموا الى الشرك والغفلة
هذه القبائح بعد مجئ ما يقلعها عن اصله وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل
من القريتين عظيم بابا آخر من كفرهم اخذوا فى التحكم والاعتراض على العلام
الخبير كانوا ينكرون ان يكون الرسل من البشر فلما تكرر عليهم الحجج قاسوا امر النبوة
على حظوظ الدنيا اى لو كان الامر كذلك كان اللائق بهذه الرتبة رجل من مكة
او من طائف ذو مال وجاهة قيل ارادوا الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود
الثقفى وقيل الوليد وحبيب بن عمرو الثقفى وقيل عتبة بن ربيعة وابن عبد
ياليل وعن ابن عباس رضى الله جبار من جبابرة قريش وهذا اظهر أهم يقسمون رحمة
ربك وهى النبوة انكار وتعجيب من تحكمهم نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة
الدنيا ما يعيشون به ويتمتعون ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات فى المال والجاه
والقوة والضعف فمنهم الموالى ومنهم الخدم ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليسخر
فى اشغاله ويستعمله فى خدمه حتى يتم النظام ويحصل بينهم التألف والتناظم واذا
كانوا عن تدبير المنزل عاجزين فهم عن تدبير الدارين واختيار من يكون واسطة بين الله
وبين عباده ورحمة ربك النبوة والدين خير مما يجمعون من الحطام الفانى ثم
احقر شأن ما هم فيه من الدنيا وزخارفها بقوله ولولا ان يكون الناس امة
واحدة فى الكفر لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج
جمع معرج وهى المصاعد عليها يظهرون الى العلالى والسطوح وانما اتى لنا

لوجود الاول وهو كراهة اجتماع الكل على ملة الكفر المنافى للحكمة لبيوتهم بدل اشتمال
وقرأ ابن كثير وابو عمرو سقفا بفتح السين مفرد الدلالة جمع البيوت ولبيوتهم
ابوابا وسررا عليها يتكئون تزنها وزخرفا اى وجعلنا لهم زخرفا زينة من
الذهب فى كل شيء من الاوان والالات ويجوز عطفه على محل من فضة اى بعضها
ذهبا والغرض تحقير زهرة الدنيا وفى معناه قوله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا
تساوى عند الله جناح بعوضة لما سقى كافرا منها شربة ماء وان كل ذلك لما متاع
الحيوة الدنيا شيء يتمتع به ان هى المخففة واللام هى الفارقة وقرأ حمزة وعاصم
وهشام بخلاف عنه لما بالتشديد بمعنى الا وان نافية والآخرة عند ربك
للمتقين الكفر والمعاصى ومن يعش عن ذكر الرحمن يقال عشى الرجل اذا صار لا
يبصر بالليل دون النهار فهو اعشى واذا نظر نظر الاعشى ولم يكن به آفة يقال
عشا يعشو نقيض له شيطانا يزين له المعاصى ويوسوس اليه فهو له قرين مصاحب
ملازم وانهم اى الشياطين ليصدونهم عن السبيل الطريق الموصل الى الله و
جمع الضمير لارادة الجنس لقوله وقيضنا لهم قرناء ويحسبون انهم مهتدون باتباع
الشياطين كذلك يضل الله من يشاء حتى اذا جاءنا العاشى وقرأ نافع وابن كثير
وابن عامر وابو بكر بلفظ المثنى اسنادا للفعل الى القرينين والاول لان الكلام
قصدا هو العاشى بوتيرة قال يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين القائل هو العاشى
والمعنى بعد المشرق من المغرب لانه غاية البعد لا بعدهما من شيء آخر فاقتصر
من اللبس وفيه تغليب الاشرف فبئس القرين انت ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم
انكم فى العذاب مشتركون اى لا ينفعكم اشتراككم فى العذاب كما ينفع الواقعين فى
بلية اشتراكهم بتحمل الاعباء وتقسيم العناء لان كلا منكم قد حمل ما لا يبلغه طاقته
او لا ينفعكم هذا التمنى لانه حقكم ان تشتركوا فى العذاب كما اشتركتم فى سببه وانكم
تعليل او ليس لكم ما يجده المكروب من الروح والتاسى اذا رأى من يشاركه فى العذاب
كقول الخنساء اعزى النفس عنه بالتأسى واذ بدل من اليوم بتقدير ماض اى تبين او
صح افانت تسمع الصم او تهدى العمى انكار وتعجيب من ان يكون له القدرة على ذلك
فانه من خواص مقام الربوبية وفيه مدح له حيث بالغ فى تحصيل هدايتهم الى ان بلغ
هذا الحد شبههم بالاعشى نظرا الى البداية وحكم بالصمم والعمى بعد التمرن ومن
كان فى ضلال مبين مستغرقا فيه لا يرجى خلاصه عطف على العمى باعتبار الوصف
وفيه اشارة الى ان ذلك الاستغراق هو علة العمى والصمم فاما نذهبن بك قبل
نصرك واهلاكهم فانا منهم منتقمون اشد انتقام فى الآخرة لا محالة او نرينك
الذى وعدناهم او نجز فى حياتك العذاب الموعود لهم فانا عليهم مقتدرون
لانهم تحت ملكتنا لا يفوتوننا فاستمسك بالذى اوحى اليك سواء عجلنا لك الظفر و

الظفر او اخرنا الانتقام وتمسك بما اوحى اليك وتصلب على الحق كما تصلبوا هم على
الباطل انك على صراط مستقيم استئناف فى موضع التعليل وانه لذكر لك و
لقومك اى القرآن مع كونه هاديا الى سبيل السعادة شرف لك ولقومك فى الدنيا
وسوف تسألون عن معاملتكم اياه وهل وفيتم بحقه واسأل من ارسلنا من قبلك
من رسلنا كان انكارهم عليه انه نهى عن عبادة الاوثان اجعل الالهة الها واحدا
ان هذا لشيء عجاب فاستشهد عليهم باجماع الرسل على التوحيد وانه شرع قديم
والمراد سؤال اتباعهم الذين اسلموا كقوله فان كنت فى شك مما انزلنا اليك فاسئل
الذين يقرؤن الكتاب من قبلك اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون هل اذنا
بذلك ملة من الملل ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون و
ملئه فقال انى رسول رب العالمين كما قلت فكذبوه كما كذبوك وافتخروا بما اوتوا
من زهرة الدنيا كما افتخرت قريش فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون
اى فاجاؤا وقت مجيئها الضحك من غير تامل ليظهر لهم الصدق من الكذب و
لذلك لم يصفها بالبينات لان فائدة ذلك انما تظهر لمن تدبر وما نريهم من
اية الا هى اكبر من اختها اخت الاية ما يكون مثلها ولما كان فى سياق النفى افاد
ان كل واحدة اكبر من البواقى اذا نظر الى فرد مفصلة وان لوحظ الكل يتوقف
كقول الانمارية فى بنيها الكملة وقول الحماسى من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل
النجوم التى يسرى بها السارى والمعنى ان الكل موصوفات بالكبر لا تفاوت بينها
فى افادة المقصود على التمام واخذناهم بالعذاب الطوفان وما عداه اجمله لانه
بصدد بيان كفرهم لا بيانه لعلهم يرجعون كى يرجعوا وقالوا يا ايه الساحر
ادع لنا ربك بما عهد عندك من النبوة او من استجابة دعائك او كشف العذاب عمن
آمن بك او بما عهد اليك من الايمان والطاعة فوفيت اننا لمهتدون لا ينافى هذا
تسميتهم اياه ساحرا لانهم لفرط حيرتهم سبق لسانهم الى ما تعودوه وايضا لان
السحر كان عندهم فضيلة يسمون العالم الماهر ساحرا وقيل كان هذا من حماقتهم و
قيل قولهم اننا لمهتدون وعد منوى فيه الاخلاف فلذلك سموه ساحرا وكانوا بما بعد
اذ حالة التضرع ينافى اظهار الاخلاف والحمق فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون
فاجاؤا نكث عهدهم ونادى فرعون فى قومه لما حشرهم او امر بان ينادى فى المجلس
والاسواق والاسناد مجاز قال يا قوم اليس لى ملك مصر تفسير للنداء وهذه
الانهار تجرى من تحتى تحت امرى او قصرى او بين يدى فى جنانى وحدائقى والواو
اما عاطفة للانهار على الملك فتجرى حال منها او وهذه الانهار مبتدأ موصوف وتجرى
هو الخبر افلا تبصرون ام انا خير ام متصلة وذلك انه لما قدم ذكر اسباب التقدم
عقبه بافلا تبصرون اشارة الى انه من الوضوح بحيث لا يخفى على ذى بصر ثم وضع ام انا خير

مكان ام تبصرون دلالة على ان هذ الشق هو الواقع كانه يحكيه على لسانهم وقيل هو
من اقامة المسبب مكان السبب لان تلك الاسباب سبب ان يقال فيه انا خير وقيل لان
علمهم بانه خير مستفاد من الابصار من هذا الذي هو مهين يريد موسى من المهانة وهي
القلة ولا يكاد يبين لا يقرب من بيان المقصود واراد ما كان به من الرتة فلولا
ألقي عليه أسورة من ذهب كناية عن اسباب الملك فانهم كانوا اذا ملكوا رجلا سوروه
وطوقوه وقرا حفص اسورة جمع سوار وقرئ اساورة جمع الجمع او فق لان
المعنى على الكثرة أو جاء معه الملائكة مقترنين حافين به يعينونه ويصدقونه
فاستخف قومه استخف احلامهم واستزل عقولهم فاطاعوه وعن الرشيد لما تلا اليس لي
ملك مصر قال لاولينها اخس عبيدي فولاها خصيبا وكان على وضوئه وعن عبد الله بن
طاهر لما ولي مصر سار اليها فلما اشرف عليها قال اهذه القرية التي ادعى فرعون الربوبية
بملكها والله لهي اقل عندي من ان ادخلها فثنى عنان فرسه انهم كانوا قوما فاسقين
ولذلك عبدوا فاسقا مثلهم فلما آسفونا اغضبونا من الاسف وهو شدة الغضب
انتقمنا منهم اردنا الانتقام فاغرقناهم اجمعين التابع والمتبوع فجعلناهم سلفا
ومثلا للآخرين قدوة في العذاب لمن عمل مثل عملهم وحديثا عجيبا يضرب به المثل كما
ترى في الالسنة اطلاق فرعون على كل جائر مسرف وقرا حمزة والكسائي سلفا بضم السين
واللام جمع سليف كأسد وأسد او سليف كرغيف ورغف او سالف كصابر وصبر
ولما ضرب ابن مريم مثلا بات آخر من كفر قريش وذلك ان رسول الله تلا عليهم
قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال ابن الزبعرى النا ولآلهتنا
يا محمد ام عامة فيمن عبد من دون الله قال بل عامة فقال خصمتك ورب الكعبة عبد
الملائكة والمسيح فسكت رسول الله حتى نزل ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها
مبعدون وقيل لما سمعوا ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب فقالوا ان النصارى
وهم اهل الكتاب قد عبدوا من هو مخلوق من تراب ونحن عبدنا الملائكة وقيل لما سمعوا
ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم قالوا يريد محمد ان نعبده كما عبد عيسى وليس بظاهر وفيه
فك الضمائر وقيل لما انكر عليهم عبادة الملائكة فقالوا لم تفعل بدعا فان النصارى
ايضا قد عبدوا عيسى والمعاني الغريبة والحجج البديعة تسمى امثالا لانها تسير مسيرها
اذا قومك منه يصدون يضجون من الصديد وهي الجلبة واللغط في الكلام وقرا
نافع وابن عامر والكسائي بضم الصاد وهو الاعراض والاول ابلغ وعن الفراء هما لغتان
وقالوا أآلهتنا خير ام هو عيسى او محمد ما ضربوه لك الا جدلا لاجل الجدل او
جدلين ابطال لقولهم اجمالا اشارة الى ان ما قالوه ليس اعتقادا بل عنادا اذ لا
يقول بان عيسى والملائكة في النار ذو مسكة لكن التعصب يغطي على الابصار والبصائر
بل هم قوم خصمون لد اشداء في الخصام ان هو الا عبد انعمنا عليه بالرسالة

بالرسالة رد لما ادعته النصارى وما قرفه به اليهود وجعلناه مثلا لبني اسرائيل
شانه بديعا اشارة الى وجه افتتان النصارى واليهود فيه ولو نشاء لجعلنا
منكم ولدنا من الانس ملائكة في الارض يخلفون كما تخلفكم اولادكم تذييل للدلالة
على كمال اقتداره والاشارة الى بعد المسيح عن ذلك الافراط والتفريط وانه لعلم
للساعة شرط من اشراطها يعلم دنوها روى البخاري مرفوعا يوشك ان ينزل فيكم
ابن مريم حكما مقسطا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ولا يقبل الا الاسلام
او لانه كان يحيي الموتى فدل على جواز البعث فلا تمترن بها فلا تشكوا [illegible]
بها واتبعون هداي او رسولي وقيل واتبعون فلا يحتاج الى التقدير هذا صراط
مستقيم اشارة الى ما ذكره من الجواب وبيان شان المسيح ولا يصدنكم الشيطان
عن اتباعي انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة من لدن آدم والبغض والحسد بينا
ولما جاء عيسى بالبينات المعجزات الواضحات او الاحكام الجلية قال قد جئتكم
بالحكمة الانجيل او الشريعة ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه ما يتعلق
بامر الدين عطف على مقدر اي لادعوكم الى الله فاتقوا الله واطيعون فيما امركم به
ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه وحده واثبات ضمير الفصل هنا دون غيره لان الكلام
في كونه عبد من دون الله فكان المقام جديرا بالتأكيد هذا صراط مستقيم من
كلامه عليه السلام او من كلام الله تعالى ثناء عليه ودلالة على ما يقتضي اتباعه فاختلف
الاحزاب من بينهم الذين تحزبوا بعد عيسى وهم الملكانية واليعاقبة والنسطورية
وقيل اليهود والنصارى الضمير لمن خاطبه عيسى فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم
وعيد للاحزاب بعد الجواب عن شبهتهم اشارة الى ان حال عيسى مع من ارسل اليهم مثل
حالك دعاهم الى الله فاختلفوا فيه كما اختلف فيك قريش ثم هددهم بقوله هل ينظرون
الا الساعة اي لا ينتظرون شيئا سواها لقيام البراهين وانزياح الشبهة ان تأتيهم
بغتة بدل من الساعة وهم لا يشعرون غافلون في اشتغالهم قيد للاتيان لجواز اجتماع
البغتة والشعور الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين شرع بعد
ترهيبهم بمجيء الساعة ببيان بعض احوالها والمعنى ان في ذلك اليوم تنقطع المحبات و
تنقلب عداوة ويلعن بعضهم بعضا الا المحبة المتقين الذين احبوا الله واتقوا ان
يشوب حبهم غرض غير الحق فان ذلك باق لانه من اوثق عرى الايمان يا عباد لا خوف
عليكم اليوم ولا انتم تحزنون حكاية ما ينادي به المتقون المتحابون في الله ومن
معتمر بن سليمان اذا كان يوم القيامة ينادي بها فيرجوها كل احد ثم يتبعها الذين
آمنوا بآياتنا فييأس غير المؤمنين فالعام مخصوص إما بالسابق او باللاحق والاول
اوفق وكانوا مسلمين مخلصين حال من الواو ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون
تسرون من الحبار وهو الاثر او تنعمون من الحبرة وهي المبالغة فيما وصف بالجميل

يطاف عليهم بصحاف من ذهب اوانى المأكل جمع صحفة قصعة تشبع خمسة واكواب
جمع كوب كوز لا عروة لها على ما يعارفه اهل السكر من الزجاجيات وفيها ما تشتهيه
الانفس وتلذ الاعين اى يتوافق فيه العين والقلب وهو الغاية والعين رايد القلب
وكنت اذا ارسلت طرفك رايدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر ومدرك ساير المشا
ادرج فى مدرك القلب وانتم فيها خالدون هذا اتم النعم بل لا نعمة بدونه فان
لا طيب للعيش ما دامت منغصة لذاته باذكار الموت والهرم وتلك الجنة
التى اورثتموها بما كنتم تعملون اى الموصوفة هى الجنة التى اورثتموها جزاء
لعملكم والتعبير بالارث مبالغة لان ملك الارث لازم لا يمكن رده وقيل
لان المؤمن يرث ما كان معدا للكافر لو آمن لقوله صلى الله عليه وسلم ما من احد
الا وله مقعد من الجنة ومقعد من النار لكم فيها فاكهة كثيرة منها
تأكلون من الفاكهة تأكلون لا من عزتها اذ اكل اهل الجنة لا يكون الا تفكها
وقيل من تبعيضية لانهم لا يأكلون الا بعضها ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون
اردف الوعد بالوعيد على الدأب المستمر والمراد الكاملون فى الاجرام لا يفتر
عنهم لا يخفف من عذابها من فتر الحمى سكن حرها قليلا ومن قال يعتادون فلا
يألمون فقد كذب القرآن وهم فيه فى العذاب مبلسون آيسون وما ظلمناهم
ولكن كانوا هم الظالمين بتعريضها للسخط ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك
بالموت لنستريح ولا ينافيه الابلاس لاختلاف الاوقات وله نظاير اولشدة ما
بهم لا يدرون ما يقولون كما يرى الواقع فى شدة بيننا قض كلامه معترفا بذلك
قال انكم ماكثون اقام المكث مقام الخلود لاشعاره بالانقطاع تهكما والقائل
هو الله تعالى لقوله لقد جئناكم بالحق اى بالارسال وانزال الكتب ولكن اكثركم
للحق كارهون لما فيه من ترك الترؤس ومفارقة المألوف واحتمال اعباء التكاليف
روى ان اعشى اراد القدوم الى رسول الله فلقيه احد المشركين فسأله عن حاله
فقال يأمر وينهى فقال عما ذا ينهى قال ينهى عن كذا وكذا حتى بلغ الخمر فقال ان
للنفس فيه لذاذة اقضى منه الوطر هذا العام واقدم فى القابل فمات قبل تمام
السنة ام ابرموا امرا احكموا وتقنوا تحكمهم بان ما هم فيه من انواع المكر وما
يخترعونه بين الجبل رقم على الماء فانا مبرمون تدبير لجازاتهم ام يحسبون انا لا
نسمع سرهم ما فى انفسهم قبل التكلم به ونجواهم وتناجيهم فى شان رسول
الله بلى نسمع ورسلنا لديهم يلازمونهم يكتبون كل حركة وسكون مما يلفظ
من قول الا لديه رقيب عتيد قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين ان
صح ببرهان ان له ولدا فانا اول من يعظم ذلك الولد وهذا على الغرض لغرض
المبالغة فى نفى الولد تعليقا بالمحال وقيل اول الجاحدين لقولكم الموحدين لله

وقيل اول الآنفين من عبد بالكسر استنكف واشتدت انفته وقيل ان نافية اى ما كان
لله ولد يؤيده ما روى انه لما نزلت فقال النضر قد صدقنى الله فقال له الوليد بن
المغيرة ما صدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد ثم نزه ذاته المقدسة بقوله سبحان
رب السموات والارض رب العرش عما يصفون اى من هذا شانه كيف يكون جسما
يولد ينه آخر وان هذه الاجسام لما كانت اصولا ذات استمرار تنزهت عن التوالد
فكيف بمبدعها الذى ليس كمثله شئ فذرهم يخوضوا فى باطلهم ويلعبوا فى دنياهم
كالصبيان والبله الذين لم يجر عليهم العلم وفيه اشارة الى انهم اهل الطبع
حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون يوم جزائهم وهو الذى فى السماء اله و
فى الارض اله اى المعبود فيهما ولذلك صح تعلق فى السماء وفى الارض به والعائد
محذوف لطول الصلة وزاده حلولا ان المعطوف داخل فى خبر الصلة ويجوز ان
يكون فى السماء صلة الذى واله خبر مبتدأ محذوف على ان الجملة بيان للصلة وان
كونه فى السماء بمعنى الالهية لا بمعنى الاستقرار وهو الحكيم فى صنعه العليم كامل العلم
وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة مختص به
متصل بقوله حتى يلاقوا يومهم مسوق للوعيد واليه ترجعون وقرأ ابن كثير
وحمزة والكسائى بالياء على الغيبة على سنن السابق والخطاب على الالتفات اشد تهويلا
ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق بالتوحيد استثناء
متصل ان اريد بالموصول كل ما عبد من دون الله لشموله الملائكة وان خص بالاصنام
فمنقطع وهم يعلمون ما يشهدون به موقنين مخلصين ولئن سألتهم من خلقهم
ليقولن الله لا يقدرون على عنزه قدم السؤال عن الآفاق ثم عن انفسهم وذكر الجواب
عنهم متحدا ثم تعجب من حالهم بقوله فانى يؤفكون يصرفون عن التوحيد بعد هذا
الاقرار وقيله يا رب الضمير لرسول الله القيل والقال والقول مصادر بمعنى جر
عاصم وحمزة عطفا على الساعة اى عنده علم قيله ونصبه الباقون عطفا على محل
الساعة واتبعه الزجاج ولا يقدح وجود الفاصل للانفصال معنى وارتباط اللاحق
بالسابق او مفعول مطلق على يسرهم ونجواهم او النصب على حذف حرف القسم والجر على
اضماره وان هؤلاء قوم لا يؤمنون جوابه والاقسام بقوله تعظيم لجنابه
فاصفح عنهم اعرض آيسا من ايمانهم وقل سلام متاركة لا تحية فسوف يعلمون
عاقبة امرهم تسلية له وعيد لهم وقرأ نافع وابن عامر بالخطاب من رسول الله
وهو اوفق لعدم الفصل واشفى لعليله واكفى لخصمه تمت والحمد لله نعم تمت سورة
الدخان مكية وآيها خمس او سبع او تسع وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم
حم والكتاب المبين الواو للقسم ان جعلت حم تعديدا او اسم السورة خبر مبتدأ محذوف
وللعطف ان جعلت مقسما به انا انزلناه فى ليلة مباركة جواب القسم وهى ليلة القدر

لقوله انا انزلناه في ليلة القدر ولقوله شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن وكونها
في رمضان كاد ان يتواتر وكونها مباركة لكثرة منافع الدين والدنيا فيها وكون انزال
القرآن فيها بركة وقيل هي ليلة النصف من شعبان وليس له دليل سوى حديث مرسل
ومعنى انزاله فيها انزاله الى السماء الدنيا جملة كما تقدم في شهر رمضان الذي انزل
فيه القرآن **انا كنا منذرين** مستأنف لتعليل الانزال اي انزلناه لان شأننا الانذار
والتحذير **فيها يفرق كل امر حكيم** جواب عن تخصيص الانزال بتلك الليلة كانه قال هو جدير
بذلك لان الله تعالى اثرها بفصل كل امر محكم لا مبدل من الارزاق والآجال وغيرهما من
الكائنات الى القابلة فيدفع نسخة الارزاق واسبابها الى ميكائيل ونسخة الحروب
وما يليها من الزلازل والطواعن الى جبرئيل ونسخة الموت والمصائب الى ملك الموت
ونسخة الاعمال الى اسماعيل صاحب سماء الدنيا **امرا من عندنا** نصب على الاختصاص
وما فيه من التنكير والوصف والاختصاص يزيد فخامة الامر الحكيم والمعنى امرا كائنا
من لدنا كما اقتضاه تدبيرنا ويجوز نصبه على المصدر لان يفرق بمعنى يؤمر كانه قيل يؤمر
فيها بكل شأن على وجه الحكمة امرا او ان يكون حالا من فاعل انزلناه او مفعوله والفصل
بين الحال وصاحبه ليس باجنبي **انا كنا مرسلين** بدل من انا كنا منذرين اي انا انزلناه
لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب **رحمة من ربك** اي لاجل الرحمة على العباد وابراز
لفظ الرب للدلالة على ان مقام الربوبية اقتضت بذلك لانه من اجل انواع النعم و
افراده بالخطاب اشارة الى ان كونه ربك وارسالك رحمة للعالمين اقتضى ارسال الرحمة
او علة ليفرق او امرا ورحمة مفعول به والمعنى في تلك الليلة نفصل كل امر او تصدر
الاوامر من لدنا لان من شأننا ان نرسل الرحمة ولا يستقيم ان يكون على هذا مفعولا له
انه هو السميع لاقوال عباده **العليم** بحاجاتهم وبهما تكمل الربوبية **رب السموات والارض
وما بينهما ان كنتم موقنين** في قولكم حين تسألون من خلق السموات والارض الله وكان
الدليل على ان الانزال للرحمة وان المنزل في غاية الشرف لانه كلام من هذا شأنه وقرأ
الكوفيون رب بالجر بدلا من ربك او صفة والباقون رفعا بدلا من السميع العليم او
صفة وهو المختار لعدم الحذف والفصل **لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم
الاولين** والنعمة على الاصل افضال على الفرع **بل هم في شك يلعبون** نزلهم اولا
منزلة الشاكين ثم سجل عليهم بالشك قطعا لانهم وان اقروا لم يكن اقرارهم عن علم
ولذلك اتخذوا اصنافا واشركوا به ولما لم ينتفعوا بالمنزل عليه وقابلوا النعمة
بالكفران اردفه بقوله **فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين** دلالة على انهم
اهل السخط والخذلان لا اهل الرحمة والغفران عن ابن مسعود رضي الله ان قريشا
ابطأت عن الاسلام فدعا عليهم رسول الله سبعا كسبع يوسف فاصابتهم السنة
حتى اكلوا الجيف وكان الرجل ينظر الى السماء ويرى شبه الدخان من غاية الجوع ثم قال

ثم قال مضى خمسة الدخان والروم والقمر والبطشة واللزام وقيل الدخان مرتقب
بعد لما روى حذيفة بن اسيد الغفاري ان رسول الله قال لا تقوم الساعة حتى تروا
عشر آيات قبلها فعد منها الدخان يمكث اربعين يوما بملأ ما بين المشرق والمغرب
اما المؤمن فيأخذه كهيئة الزكام واما الكافر فكالسكران ولا ينافي تجويز الامرين
الا ان السياق بما رواه ابن مسعود اشد ملاءمة **يغشى الناس** يحيط بهم **هذا عذاب
اليم ربنا اكشف عنا العذاب** مقدر بيقول وقع حالا **انا مؤمنون** وعد بالايمان
على تقدير الكشف **انى لهم الذكرى** بكشف العذاب **وقد جاءهم رسول مبين** واضح
الشأن باهر البرهان **ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون** اعرضوا عنه ولم يكتفوا
بالاعراض حتى قال بعضهم يعلمه غلام اعجمي وبعضهم لما رأى ان صدور مثله عن
الاعجمي محال قال انه مجنون **انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون** الى الكفر في
ذلك الزمان القليل اشارة الى ان ذلك الايمان لم يكن عن ايقان بل كان اضطرارا
عن خوف العذاب هذا على قول ابن مسعود ظاهر وعلى قول حذيفة هو مثل قوله ولو
ردوا لعادوا **يوم نبطش البطشة الكبرى** يوم بدر او يوم القيمة ونصب يوم
بما دل عليه **انا منتقمون** لا به لان ان حاجزة **ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون** بان
وسعنا عليهم الارزاق واسباب البطر من العافية وطول العمر **وجاءهم رسول كريم**
على الله او على المؤمنين او في نفسه شريف النسب كريم الحسب **ان ادوا الي عباد الله**
وهم بنوا اسرائيل الذين استعبدهم القبط كقوله ان ارسل معنا بني اسرائيل ان مفسرة لان
الرسالة في معنى القول او مخففة اي بان ويجوز ان يكون عباد الله منادى والمعنى
ادوا الي حق الله من الايمان وقبول الدعوة **اني لكم رسول امين** على وحي الله وقد ثبت
بالمعجزات صدقي **وان لا تعلوا على الله** لا تتكبروا **اني آتيكم بسلطان مبين**
علة للنهي ولا يخفى حسن المراعاة في ذكر الامين مع الاداء والسلطان مع العلاء
واني عذت بربي وربكم ان ترجمون ضربا او شتما **وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون**
لا موالاة بيننا او كفوا شركم عني الى ان يفعل الله ما يشاء **فدعا ربه ان هؤلاء قوم
مجرمون** اي بان هؤلاء والجار صلة الدعاء كما يقال دعى بهذا الدعاء وقيل هو قوله
ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم او قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين
وقوله ان هؤلاء قوم مجرمون من كلامه تعالى بيانا لما استوجبوا به الدعاء من نوح
والاجابة منه وانه ما دعا الا بعد اليأس **فاسر بعبادي ليلا انكم متبعون** بقطع
الهمزة وقرأ نافع وابن كثير بالوصل وهما لغتان والتقدير فقال اسر او يقدر ب
شرط اي ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادي بني اسرائيل اضافة تشريف **واترك البحر
رهوا** ساكنا قارا على حاله ليدخله فرعون وجنوده فانه اراد بعد العبور ان يضربه
بالعصا ليعود الى ما كان لئلا يلحقه القبط او مفتوحا من رها بين رجليه اذا وسع

إنهم جند مغرقون لا محالة كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم كم
خبرية للتكثير والمقام الكريم منازلهم الحسنة او المنابر ونعمة كانوا فيها فاكهين
ناعمين وقرئ فكهين بطرين كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجناهم الكاف في محل النصب او مرفوع
اى الامر مثل ذلك وهى مقحمة للدلالة على ان الوصف لا يفي به فكانه قال الامر مثل ذلك
وما اشبهه واورثناها قوما آخرين اجانب لا قرابة بينهم وهم بنو اسرائيل لقوله
واورثناها بني اسرائيل فما بكت عليهم السماء والارض تمثيل على سبيل التهكم وعدم
الاكتراث بهم او اهل السماء والارض من المؤمنين والملائكة او هو حقيقة لما روى
ابو يعلى عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا مات العبد المؤمن
بكت السماء والارض عليه وتلا هذه الآية وابن جرير اذا مات المؤمن بارض غربة
وغابت عنه بواكيه بكت عليه السماء والارض وعن ابن عباس رض تبكي عليه الارض
اربعين صباحا وما كانوا منظرين طرفة عين سنة الله في الذين خلوا ولقد
نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين علم بنجاتهم من هلاك عدوهم الا انه ذكر ليبنى
عليه ما خوطبوا به من النعم من فرعون بدل من العذاب المهين جعل نفس العذاب لافراطه
ولذلك بقوله علته انه كان عاليا من المسرفين متجاوزا متكبرا في عتوه خبران
او الاول خبر والثاني حال من المستكن في الاول ولقد اخترناهم على علم بانهم
احقاء بذلك او مع علمنا بانه قد تفرط منهم فرطات على العالمين عالمي زمانهم
كقوله في موسى انى اصطفيتك على الناس او على الكل من حيث ان فيهم الانبياء فلا ينافي
تفضيل الاحاد عليهم وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين نعمة ظاهرة سميت
بلاء لوقوع الاختبار بها او اختبار ظاهر وحمله على المحنة لا يلائم لانه في مقام
الامتنان ان هؤلاء ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى اشارة الى كفار قريش الذين
هم فى شأنه بالعدول وقصة موسى كانت استطرادا الموتة الاولى هي التي اشير اليها بقوله
وكنتم امواتا فاحياكم وذلك انهم لما قيل لهم لكم حيوة بعد الموت قالوا لا نعرف
الا الموتة الاولى التي يعقبها الحيوة والاظهر ان الموتة الاولى هي التي بعد الحيوة
الدنيا وهي للمبادرة للمغارقة وذلك انهم انذروا بان في القبر احياء ثم موتا
الى وقت البعث فانكروا موتة القبر وما بعدها بقوله وما نحن بمنشرين
على ان الاولى لا يقتضي ان يكون لها ثانية كما تقول قتلته باول ضربة وصرعته
اول مسكة فأتوا بآبائنا ان كنتم صادقين فان هناك حشرا احيوا لنا واحدا
ممن سلف لنشاهده ونسائله وقيل سألوه ان يحيى قصيا لنشاوره هل ينبغي له
اهم خير ام قوم تبع ملك اليمن اسمه اسعد بن كرب اول سلاطين بني قحطان
وكان مسلما وقد اسلم قومه على يده ثم بعده كفروا وقيل انه عاش ملكا ثلثمائة سنة
وهو اول من سن كسوة الكعبة وكان قد عزم على تخريب الكعبة ثم ندم وتاب وقرب

تاب وقرب قربانا كثيرا واحسن على اهل مكة ثم مات قبل البعثة بسبعمائة سنة و
لما اجتاز بالمدينة قالت له احبار اليهود ان نبي آخر الزمان هذه البلدة مهاجره
فترك ذلك ابيات تواراثها اهل المدينة وقد صح ان رسول الله ص قال لا تسبوا
تبعا فانه كان مسلما ولا ادري اكان نبيا ام لا والذين من قبلهم كعاد وثمود
والتفاضل في الخيرية ولا خير في الكل انما هو باعتبار القوة والاسباب اهلكناهم
استيناف او حال بتقدير قد انهم كانوا مجرمين بيان للموجب الجامع وما خلقنا
السموات والارض وما بينهما لاعبين من غير حكمة بل لا بد من محاسبة ومجازاة
لا يفوت مثقال ذرة كقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا ما خلقناهما الا بالحق الا
خلقا ملتبسا بالحق هو الايمان والطاعة كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
ولكن اكثرهم لا يعلمون هذه الحكمة لاغفالهم النظر والتأمل ان يوم الفصل يوم
القضاء بين المحق والمبطل او يوم الفصل بين المرء واحبائه ميقاتهم اجمعين يجمع
هؤلاء المشركين واولئك المتقدمين يوم لا يغني بدل من ميقاتهم او صفته او بدل
من الفصل او معمول لما دل عليه الفصل لا له لوجود الفاصل مولى صديق اي صديق
كان من قرابة او غيرها عن مولى شيئا عن اي صديق كان شيئا نزرا يسيرا من الاغناء
ولا هم ينصرون لو طلبوا النصر الضمير للمولى الاول والجمع لانه عام الا من رحم الله
بالعفو عنه او بقبول الشفاعة رفع على البدل من واو ينصرون او نصب على الاستثناء
انه هو العزيز الرحيم الغالب لا ينصر من خذله ولا يسعد من اشقاه ذكر رسول الله
ان طعام اهل النار هو الزقوم واهل اليمن اكلوا الزبد والتمر يسمونه الزقوم فدعى
ابو جهل بزبد وتمر وقال لهلموا الى ما يخوفكم محمد فنزلت ان شجرة الزقوم طعام
الاثيم الكافر الكثير الآثام كالمهل كالحديد والنحاس الذي اذيب في النار حتى
ذاب وقيل هو دردي الزيت يغلي في البطون خبر آخر او المستكن في فيه للطعام
دون المهل لفساد المعنى وقرأ ابن كثير وحفص بياء التانيث مسندا الى ضمير الشجرة
والاول احسن لكونه اقرب ولسلامته عن الحذف كغلي الحميم الماء الحار الذي انتهى
غليانه خذوه فاعتلوه فجروه والعتل الاخذ بتلابيب الرجل بعنف وغلظة ثم
جره الى ما يكره الى سواء الجحيم الى وسطه وافسح اماكنه ثم صبوا فوق رأسه
من عذاب الحميم جعل العذاب مصبوبا دون الحميم كما في قوله يصب من فوق رؤسهم
الحميم ابلغ وهو طريق الاستعارة لانه في مقام الكبرياء واظهار السخط العظيم
وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر فاعتلوه بضم التاء وهما لغتان ذق انك انت
العزيز الكريم امرا هانة تهكما به واغاظة لحي حاسة السمع من العذاب نزلت في ابي
جهل قال لرسول الله ص ليس بين جبليها اعز ولا اكرم مني ان هذا ما كنتم به تمترون
تشكون ضمن معنى التكذيب ان المتقين في مقام امين هو موضع القيام ثم اتسع

فيه فانه استعمل في مطلق المكان والأمين من الامانة ضد الخيانة استعير للآمن المكروه
فيه في جنات وعيون بدل من مقام للدلالة على المآكل والمشارب التي بها قوام الوجود
يلبسون من سندس مارق من الديباج واستبرق ماغلظ منه معرب والتعريب
صار عربيا بالتصرف واجراء احكام لفظ العرب عليه على ان وقوع الفاظ يسيرة
لا يخرجه عن العربي متقابلين ينظر بعضهم بعضا في مجالس الانس كذلك وزوجناهم
بحور عين زوجات حسان الحور شدة بياض العين مع شدة سوادها وعن ابي عمرو
وهو ان يكون العين كلها سوداء كعين الظباء وفي الانسان على التشبيه والعين
جمع العيناء واسعة العين يدعون فيها بكل فاكهة اي يتوسع ارادوا في اي وقت
كان امنين من كل المكاره لا يذوقون فيها الموت هذا رأس النعم كلها الا الموتة
الاولى التي في الدنيا من التعليق بالمحال لان موتة الدنيا لا يمكن وقوعها في الجنة
او لان المؤمن لا يموت حتى يرى مقعده من الجنة فكان موته فيها والضمير للآخرة
والموت اول احوالها والاستثناء منقطع ووقاهم عذاب الجحيم اي والحال انهم حفظوا
من عذاب النار ولا ينافي دخول بعض المؤمنين لان الكلام في المتقين فضلا من ربك
اي اعطوا كل ذلك تفضلا لا لسابقة وجوب اذ العبد لا يستحق على المولى اجرا ذلك
هو الفوز العظيم لانها نعم خالصة عن شوب كدر فانما يسرناه بلسانك فذلكة للسورة
تذكيرا لما سلف من انزال الكتاب وما يترتب عليه واجمال بعد التفصيل لعلهم يتذكرون
يتعظون به فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون منتظرون ما يحل بك روى
الترمذي باسناده الى ابي هريرة عن رسول الله من قرأ حم الدخان في ليلة اصبح يستغفر
له سبعون الف ملك وباسناده ايضا من قرأها في ليلة الجمعة غفر له تمت سورة الدخان
والحمد لولي الاحسان والصلوة على المبعوث من عدنان وآله وصحبه السابقين الى الايمان
سورة الجاثية مكية سبع وثلثون اية وقيل ست بسم الله الرحمن الرحيم حم حروف
مقطعة تنزيل الكتاب مبتداء من الله العزيز الحكيم خبر او اسم السورة مبتداء بتقدير
مضاف اي تنزيل حم فان اريد بالكتاب السورة فمن اقامة الظاهر مقام المضمر اشارة
الى انه الكتاب الكامل وان اريد به القرآن فللاشعار بان انزاله كانزال كله في غرض
التحدي والهدى فان قلت فلم لم يؤثر هذا الاسلوب في حم تنزيل من الرحمن الرحيم قلت
لما افاد هذا المعنى بقوله كتاب فصلت مع الافتنان في الكلام ان في السموات والارض
لآيات للمؤمنين اي في انفسهما لما فيهما من فنون الدلالة على القادر الحكيم او فيما
خلق فيهما من الكواكب والجبال وسائر الكيفيات والاول ابلغ وفي خلقكم عطف
الخاص على العام على الثاني وما يبث فيهما من دابة اي وخلق ما يبث لا ان يعطف على
المجرور بدون اعادة الخافض غير فصيح آيات لقوم يوقنون قرأ حمزة والكسائي بنصب
آيات عطفا على لفظ الآيات والباقون رفعا على الابتداء اما عطف مفرد او عطف جملة

جملة واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق من مطر لانه سبب الرزق
فاحيا به الارض بعد موتها هيج النبات بعد اليبس وتصريف الرياح تغيرها من جهة
الى اخرى قرأ حمزة والكسائي الريح على ارادة الجنس آيات لقوم يعقلون عطف على
معمولي عاملين مختلفين رفعت الآيات او نصبت كقراءة حمزة والكسائي في الرفع الا
وفي النصب ان وفي اجازه الفراء والكوفيون مطلقا والاخفش اذا تقدم المجرور
المعطوف ومنعه سيبويه والبصريون معللين بقصور الحرف عن نيابة العاملين
فالوجه عندهم النصب والرفع على الاختصاص او يقدر في لتقدمه في الاولين وفي
ترتيب الفواصل رعي للترقي في الدليل والمدلول وان السموات والارض اظهر
الكائنات جعلت دليلا على اصل الايمان ثم نظر الانسان في حاله وحال ساير الحيوان
لكثرته وتكرره ادخل في نفي الشك واجلب لاطمينان القلب جعل دليلا على الايمان
الذي هو على درجات الايمان ولما كان التأمل في الاختلاف والتصريف وما بينهما
ادل على استحكام اليقين لانه يتجدد حينا فحينا ويتجدد فيه النظر والاعتبار
جعل دليلا على التعقل الذي هو مدار الايمان واليقين تلك آيات الله اي تلك الآيات
الدالة على وحدته وكمال اقتداره نتلوها عليك حال الفاعل والعامل معنى الاشارة
بالحق متلبسا به او متلبسين فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون اي بعد آيات الله
وتقديم الاسم الاعظم لتعظيم الآيات كقولك اعجبني زيد وعلمه او دلالة على انه لا ايات
ازيد من هذا البيان ولذلك اشار اليها بما وضع لاكمل التميز واضاف الآيات
الى ضميره اخرى او بعد مضافا اي بعد حديث الله وهو القرآن وحسن الاضمار لتقدم
وعطف الآيات عليه عطف المفصل على المجمل او اريد بها فيه من الدلالات وقرأ ابن
عامر وابو بكر وحمزة والكسائي بالخطاب وهو ابلغ تقريعا ويل لكل افاك كذاب اثيم
كثير الاثم يسمع آيات الله تتلى عليه ليتأملها ويؤمن بما فيها ثم يصر يقيم على
كفره من اصر الحمار اد بعه مستكبرا عن الايمان وثم لاستبعاد الاصرار بعد سماع الآيات
كقوله يرى غمرات الموت ثم يزورها ويجوز ان يكون على اصله لان اصراره يكون
بعد تردده كأن لم يسمعها حال فاعل مستكبرا اي مثل غير السامع وكأن مخفف
كأن حذف منه ضمير الشان كقوله كأن ظبية تعطوا الى ناصر السلم فبشره بعذاب
اليم استعار البشارة تهكما واذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا ترقي من الاصرار
الى الاستهزاء بآيات بعد علمه بانها آيات الله ولم يقل اتخذه اشارة الى افراطه في طغيانه
بانه اذا علم شيئا ما من الآيات خاض في الكل ولم يقتصر على ما بلغه او اذا علم ادنى
شيء من المواضع التي يمكن التلبيس والمغالطة فيها كما فعله ابن الزبعرى والنضر
جعله دستورا للباقي وزعم ان الكل من هذا القبيل فالاول قبل التأمل وهذا بعده
والضمير للآيات او للشيء لانه في معناها اولئك لهم عذاب مهين لاهانتهم بآيات الله

من ورائهم جهنم قدامهم وخلفهم اي بعد آجالهم والوراء اسم لما توارى بد الشخص من قدام
وخلف ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا من العذاب ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء
من الاوثان ولهم عذاب عظيم لا يحاط بكنهه هذا هدى اي القران لان الكلام
فيه والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز اليم هم من العذاب اليمه وقرأ
ابن كثير وحفص بجر اليم على انه صفة الرجز وهو اشد العذاب اي لهم عذاب من هذا
الجنس وهو ابلغ واوفق لعدم الفصل الله الذي سخر لكم البحر بان خلقه على وجه
يمكن الانتفاع به لتجري الفلك فيه بامره باذنه وتسهيله ولتبتغوا من فضله
بالتجارة والغوص على اللؤلؤ والصيد وغيرها ولعلكم تشكرون عقب به الآيات
المتلوة زيادة في توبيخهم ولذلك رتب عليه الاغراض العاجلة التي يستجلب بها
الشكر من الكافر عادة فكانه قال تلك اولى بالشكر من هذه وسخر لكم ما في السموات
وما في الارض جميعا منه حال من ما اي سخر هذه الاشياء كائنة منه او خبر لمحذوف اي هي جميعا منه والمعنى
كما ان التسخير منه كذلك الايجاد والتكوين او وسخر لكم تاكيد الاول والعطف
لتعقيبه بقوله ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون لان المتفكر يزداد ايقانا فكان
الثاني غير الاول وعلى هذا ما في السموات مبتدأ خبره منه قل للذين آمنوا يغفروا
للذين لا يرجون ايام الله وقائعه وانزال باسه بالمكذبين يقال ايام العرب لوقائعها
او الاوقات التي وقتها الله للجزاء من الثواب والعقاب في ابتداء الاسلام كانوا مأمورين
بالصفح وقيل نزلت في عمر بن الخطاب شتمه رجل من غفار فهمّ ان يبطش به والقول بنزولها في غزوة بني
المصطلق سهو ليجزي قوما بما كانوا يكسبون من الغفران والصبر علة للامر وتنكير
قوما للتعظيم كانه قيل قوما واي قوم فهذا التنكير كال التعريف ايماء الى انهم لا
يجهلون عرفوا او نكروا مع العلم بان المجرى لا يكون الا الغافر ومن حمل قوما على الكفار
او على الشيوع استدل الله اعلم بالذي هو خير وقرأ ابن عامر والكسائي وحمزة
لنجزي بالنون التفاتا ليكون اشد تعظيما من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها
تقدم مرارا ثم الى ربكم ترجعون للجزاء ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب التورية
والحكم والنبوة اي الحكمة او الفقه او فصل الخصومات ورزقناهم من الطيبات المن
والسلوى وسائر المآكل والثمار وفضلناهم على العالمين بالملك والنبوة لم يجمعها
في غيرهم وآتيناهم بينات من الامر معجزات دالة على حقية دينهم فما اختلفوا الا
من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم جعلوا ما هو سبب الالفة موجبا للاختلاف ظلما او
حسدا ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون وبجازي المحق
والمبطل ثم جعلناك على شريعة من الامر على منهاج خاص من امر دينك والتنوين للتعظيم
كما اشار اليه بقوله جئتكم بالحنيفية السمحاء ولو كان ابن عمران حيا لما وسعه الا اتباعي
فاتبعها اي اثبت على سلوكها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون بدع الجهال كانوا يدعونه

يدعونه الى ملة عبد المطلب انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا ان خالفتهم من قبيل الالحاح
والتهييج وان الظالمين بعضهم اولياء بعض اذ الجنسية علة الضم والله ولي المتقين
فوالهم وانت امامهم فعليك بموالاته هذا بصائر للناس اي القران والمراد فيه من
المعارف والحكم بصائر للقلوب كما جعلت روحا وحيوة وهدى من الضلالة ورحمة
من العذاب لقوم يوقنون لمن آمن وايقن ام حسب الذين اجترحوا السيئات اكتسبوا
ومنه جوارح الطيور لكواسبها ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات نصيرهم
مثلهم سواء محياهم ومماتهم كالمؤمنين انكر حسبان المجترحين تساوي حالهم على
معنى انهم وان ساووا المؤمنين في الحيوة الدنيا في شمول الرحمة لهم ساووا وهم موتى
لانهم في النعيم وهؤلاء في الجحيم او على معنى ان لا نساوي في الحالين لانهم في
الطاعة وهم في المعصية وفي الآخرة هم اهل الزلفى والرضوان وهؤلاء اهل الخذلان
والخسران وعلى التقديرين ان كان الضمير للموصول الاول فالجملة بدل من الكاف
وان كان للفريقين فاستيناف يدل على ان المشابهة بمعنى التشابه والتساوي دون
التفاضل ويجوز ان يكون كلاما مستأنفا غير داخل في حكم الانكار بيّن حال المؤمنين
في الحالين خاصة وكذلك حال المجترحين فهو تعليل للانكار دال على عدم المماثلة
في الحالين لان المؤمنين تساوى حالاهم كان اولئك كذلك وان اختلف وجه التساوي
وقرأ حمزة والكسائي وحفص سواء بالنصب على انه حال من الضمير المنصوب ومن الكاف وما
اضيف اليه ساء ما يحكمون بئس حكمهم هذا وخلق الله السموات والارض بالحق دليل
على الحكم الاول لان العدل يقتضي عدم تساوي المسيء والمحسن وليس ذلك في المحيا فلابد
وان يكون في الممات ولتجزى كل نفس عطف على علة محذوفة مثل ليعدل وليدل
على قدرته او على بالحق لكونه في معناها بما كسبت وهم لا يظلمون بنقص ثواب
او زيادة عقاب وقد تقدم مرارا ان مثله جار على المتعارف لانه لو فعله كان ظلما
لعدم امكانه افرايت من اتخذ الهه هواه تعجيب من حال من ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكانه يعبده
وتامل كما كان المشركون عليه يعبد واحدهم حجرا ثم اذا رأى حجرا احسن منه
رمى الاول بعد تعفير وجهه له زمانا واضله الله على علم اي على علم منه تعالى
بانه يستحق الاضلال لكونه مخلوقا للنار او بعد بلوغ العلم اليه وقيام الحجة عليه
وختم على سمعه وقلبه فلا يبالي بسمعه المواعظ ولا يوجه قلبه الى التدبر في آيات
الله وتقديم السمع على القلب عكس ما في البقرة لان الكلام في المعرض عن الهدى
المتبع لما لا يهواه المستكبر عن الآيات كان لم يسمعها وما في البقرة ابتداء كلام منه
تعالى اشارة الى الجبلة والقلب هو الاصل في ذلك وجعل على بصره غشاوة لا يجلي
آيات الله بعين الاستبصار وقرأ حمزة والكسائي غشوة وهما لغتان والاول اشهر
ولذلك اتفقوا عليه في البقرة فمن يهديه من بعد الله استفهام انكار اي لا احد افلا تذكرون

الكل منه تعالى وفيه نهي رسول الله عن سبها تكه على ابائهم وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا
ما الحياة الا هذه التي نحن بها نموت ونحيى يموت بعضنا ويحيى بعضنا او يكون نطفا
ونحيى بعد ذلك او نموت نحن ونحيى باولادنا او يصيبنا الامران وما يهلكنا الا الدهر
كسائر الاشجار والنبات في الاصل اسم لمدة بقاء العالم من المبدا الى الانقضاء وقوله
انا الدهر انا الخالق لحوادث الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون تقليدا
لابائهم واذا تتلى عليهم اياتنا بينات الدالة على عكس ما يظنونه لعلهم يرشدون
ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بابائنا ان كنتم صادقين سماها حجة تهكما او على
زعمهم قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه اجاب عن حجتهم بما
هو اثبات المطلوب وذلك انهم مقرون بان الاحياء والاماتة منه تعالى ومن سلم قدرته
على هذا يلزمه ان يسلم على ذلك وعدم الاتيان بالاباء لحكمة اقتضت ذلك ولكن اكثر
الناس لا يعلمون لاخلالهم بالنظر والتدبر في الايات المبثوثة في الافاق والانفس
ولله ملك السموات والارض هو الخالق لهما والمدبر ومن هذا شانه فالاعادة
منه اهون ما يكون ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون المنكرون لها استماهم
مبطلين لان انكار الحشر ابطال الحكمة تعالى العامل في يوم يخسر ويومئذ بدل منه
وترى كل امة جاثية باركة على الركب من شدة الخوف والخصومة ومنه قول علي بن
ابي طالب انا اول من يجثو بين يدي الله للخصومة او مجتمعة لما روي ابن عمر ان الناس
يكونون جثا كل امة تتبع نبيها كل امة تدعى الى كتابها كتاب اعمالها كقوله ووضع
الكتاب اليوم تجزون ما كنتم تعملون على تقدير القول كقوله ينبؤ الانسان يومئذ
بما قدم واخر هذا كتابنا اضافه اليهم اولا لانه صحائف اعمالهم وثانيا اليه تعالى
لانه كتب بامره ينطق عليكم بالحق بما هو ثابت في نفس الامر من غير زيادة ولا نقصان
انا كنا نستنسخ على ايدي الكتبة ما كنتم تعملون من نقير وقطمير تقرير وتوكيد
لشهادته بالحق فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته في
الجنة ذلك هو الفوز المبين الجلي لا يحتاج الى تردد واما الذين كفروا افلم تكن
اياتي تتلى عليكم جواب محذوف اي فيوبخون ويقال لهم هذا القول وفيه دلالة على
ان اهل الجنة يدخلون الجنة وهم في الموقف بعد كذا قيل وفيه نظر لان الواو لا
تدل على الترتيب والحديث يخالفه فاستكبرتم عن الايمان وكنتم قوما مجرمين ذكر
الاجرام اشارة الى العلة الاستكبار واذا قيل ان وعد الله حق كائن لا محالة
والساعة لا ريب فيها افردها بالذكر اهتماما بشانها وقرأها حمزة بالنصب عطفا
على اسم ان والرفع احسن للاستقلال والتاكيد حاصل لاندراجها في المؤكد قلتم ما
ندري ما الساعة تجاهلهم كانكم ما تعلمون معناها ان نظن الا ظنا اي ظنا
ضعيفا او لا اعتقادا او لا نفعل اطلاقا للخاص على العام او ما الثابت الا ذلك الظن اشارة

اشارة الى ان المورد كله مظنون وقيل لنفي ظنهم فيما سوى ذلك للمبالغة ولا دلالة للكلام
عليه وما نحن بمستيقنين توكيد للظن بسلب نقيضه بتايد الوجه الاول وبدا لهم
سيئات ما عملوا اي جزاؤها من اطلاق السبب على المسبب وما يسوءهم والالتفات
الى الغيبة لحكاية حالهم بعد تمام التوبيخ وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون احاط بهم
جزاء استهزائهم بحيث لا يخرج عنه وقيل اليوم ننساكم اي نترككم في العذاب ترك من
نسي شيئا تركه او نجعلكم بمنزلة الشيء المنسي على الاستعارة التمثيلية كما نسيتم لقاء
يومكم هذا اي كما تركتم الاستعداد له ولم تكترثوا به واضافة اللقاء الى اليوم اضافة
المصدر الى الظرف واما اجراؤه مجرى المفعول به واما مجرى الفاعل لاتساعا فيه فقيد
لقيت ومأواكم النار وما لكم من ناصرين يدفعون عنكم العذاب ذلكم بانكم اتخذتم
ايات الله هزوا اي انما تركتم الاستعداد لاستهزائكم بايات الله ولم تتاملوا فيها
وغرتكم الحياة الدنيا فظننتم ان لا حيوة بعدها فاليوم لا يخرجون منها لسبق القول
القول وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء والضم ابلغ واوفق بقوله ولا هم يستعتبون
لطلبنا منهم ان يعتبوا ربهم لفوات وقته يقال استعتبه ارضاه بمعنى ازال عتباه والتفت
الى الغيبة بعد تمام التقريع كانه يخبر غيرهم سوء جزاؤهم ليعتبروا فلله الحمد رب السموات
ورب الارض رب العالمين اوله المحامد كلها نطقا وحالا سواء حمده الحامدون
او لا اذ الكائنات كلها منه وبه بقاؤها وله الكبرياء في السموات والارض لا
يشاركه فيها احد ولا يليق الا بجلاله جبروته وهو العزيز الغالب الذي لا يغالب
تقرير لكبريائه الحكيم الذي اتقن كل شيء فلا يهجد عزه اذ له الكمال المطلق ختم
السورة بما افتتح به وله الحمد والكبرياء والصلوة افضل على افضل الارض والسماء
واصحابه البررة الانقياء سورة الاحقاف مكية وهي اربع وثلثون اية وقيل خمس
وثلثون اية بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم الكلام
في اعرابه كما تقدم في اول السابقة ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا
بالحق الذي يقتضيه الحكمة المستدعية لاثابة المحسن وعقاب المسيء واجل مسمى
وبتقدير اجل مضروب وهو يوم القيمة الذي ينتهي اليه امر الكل وقيل كل واحد وهو
آخر لمدته ولا يلائم لان الكلام في تقرير ما ينكره المشركون من البعث والذين كفروا
عما انذروا معرضون به من هول ذلك اليوم او عن انذاره على ان ما مصدرية معرضون
لا يتفكرون فيه ولا يستعدون للقائه قل ارايتم ما تدعون من دون الله اروني ما
ذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات اي اخبروني عن حال الاوثان التي
تعبدونها هل خلقت جزءا من اجزاء الارض او تما يستند منها من النبات والحيوانات
اشير واليه فانه برأي منكم ام لكم دليل على ان لها شركا في شيء من السموات وقيل
تخصيص الشرك بالسموات احترازا عما يتوهم ان للوسائط شركة في ايجاد الحوادث السفلية

قلت فعلى هذا كان للتوزيع فلمع ذلك الوهم كما في سورة الرعد يسقى بماء واحد ومع ذلك لا
يسلم له لقوله في سماء وما لهم فيهما من شرك ائتوني بكتاب من قبل هذا اى القرآن
اذ ليس فيه ما يدل على ذلك أو اثارة من علم بقية من علوم الانبياء من اثر الحديث
نقله ومنه الآثار للاخبار ان كنتم صادقين في دعويكم ولما ابكتهم عليهم بقوله
ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيمة لا يقدر على الجواب
لكونه جمادا فضلا عن كشف ملمة او دفع بلية وهم عن دعائهم غافلون لانهم اما جماد
او ملئكة مكرمون لبس لهم على بعبادتهم هذا وهم في الدنيا واذا حشر الناس فا الامر
اظم كانوا لهم اعداء لعبادهم او العباد لهم يلعن بعضهم بعضا وكانوا بعبادتهم
كافرين فانهم كانوا يعبدون الجن والعباد يقولون والله ربنا ما كنا مشركين
واذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا
سحر مبين نوع آخر من كفرهم عنادا كما ان الاول كان تجهلا عبر اولا بالبينات و
ثانيا بالحق والى بالمظهر الدال على علة العناد ولما الدال على كفرهم كما جاء من غير
تدبر كما هو شان الحبيب الحازم دلالة على اغراقهم في الكفر ام يقولون افتريه
اضراب عن نسبة السحر الى ما هو ادخل في الانكار وذلك ان السحر امر خارق لا يقدر
على الاتيان به مع انه ما كان عندهم صفة ذم واما الكذب فكان عندهم اقبح ما يوصف
به كما دل عليه حديث ابي سفيان مع هرقل لاسيما الكذب على الله قل ان افتريته
فلا تملكون لي من الله شيئا ان اراد عقوبتي فكيف اجترى على الافتراء واي فائدة
لي في ذلك هو اعلم بما تفيضون فيه اقاض في الحديث اندفع فيه من غير روية كفى
به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالتبليغ وعليكم بالتكذيب وهو الغفور الرحيم
ترغيب لهم في التوبة مع الاشعار بحلمه عنهم مع عظم جريمتهم قل ما كنت بدعا
من الرسل بديعا مثله خف بمعنى خفيف والمعنى لست اول رسول حتى يشتبه عليكم نعتا
بل قد تقدمني رسل دعوى الكل واحدة وكلهم من البشر ولم يقدر احد على الاتيان باية
الا باذن الله وما ادري ما يفعل بي ولا بكم مفصلا لانه غيب وعن ابن عباس والحسن
وعكرمة وقتادة رضي الله عنهم لنسخت بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تاخر ولما نزلت قال المؤمنون هنيئا لك يا رسول الله فما لنا فنزلت ليدخل المؤمنين
والمؤمنات جنات وعن الجرير ان هذا في امر الدنيا وما يؤل اليه حاله معهم ويوليه
قوله ان اتبع الا ما يوحى الي لا قدرة لي على الاتيان بما تقترحون وما انا الا نذير
مبين لا ساحر ولا كذاب قل ارايتم ان كان من عند الله اى القرآن وكفرتم به
عطف على فعل الشرط وشهد شاهد من بني اسرائيل عطف على الشرط وما عطف عليه
على مثله على المعاني المطابقة لما في القرآن من التوحيد والوعد والوعيد فآمن
بالقرآن واستكبرتم انتم وشاهد بني اسرائيل موسى او عبد الله بن سلام فان قلت

فان قلت الاية مكية وعبد الله بن سلام بالمدينة قلت نزل ما سيكون منزلة الواقع
وتحقيقه ان مناط الالزام ايمان شاهد ما من بني اسرائيل لما اتاه موافقا للتورية
اى لو وقع ذلك الستم اضل الناس ثم آمن عبد الله بعد مدة فكان هو ذلك الشاهد
هذا تاويل ما روى انها نزلت فيه ان الله لا يهدي القوم الظالمين دليل على الجواب
المحذوف واستعار بان ضلالهم ناش عن ظلمهم وقال الذين كفروا للذين آمنوا
لو كان خيرا ما سبقونا اليه اى قالوا في حقهم ولاجلهم ارادوا عمارا وبلالا و
صهيبا واضرابهم من فقراء الصحابة وقيل قاله غطفان وبنو عامر واشجع واسد
طوائف من الاعراب لما اسلم غفار واسلم ومزينة وجهينة واذ لم يهتدوا به ظرف
لمحذوف اى ظهر لعدم جواز تعلقه بقوله فسيقولون لتدافع دلالتي المضي والاستقبال
وليس من قبيل فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم نظما للمستقبل في سلك المقطوع
لان علم الهداية محقق ولا تاويل سيقولوا بمعنى قالوا والعدول للاستمرار كون
السبب مانعا فسيقولون هذا افك قديم كقولهم اساطير الاولين ومن قبله
كتاب موسى مبتداء وخبر اماما ورحمة نصبا على الحال والعامل الظرف وهذا
القرآن كتاب مصدق لكتاب موسى ولغيره لسانا عربيا حال من فاعل مصدق و
فيه دلالة على انه كما دل على صدق كتاب موسى دل باعجازه على انه في نفسه كلام الله
لينذر الذين ظلموا اى القرآن وقراء نافع وابن عامر والبزي في وجه بالتاء
مسند الى رسول الله او الله وبشرى للمحسنين اى هو بشرى او عطف على محل لتنذر
مفعولا له كما استشهد شاهد بني اسرائيل على صدق القرآن وكونه كتاب الله تعالى
استطرد كتاب موسى بانه والقرآن متطابقان كل منهما يصدق الآخر وذلك كاف
شهد الشاهد اولم يشهد وتقديم من قبله للاهتمام بان انزال الكتاب امر مستمر
او نزلوا منزلة من لا يعرف ان كتاب موسى انزل من قبله لعنادهم فقدم تخصيصا
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا على ما يلزمهم اعتقادا وعملا فلا خوف
عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون على فوات محبوب اولئك اصحاب
الجنة خالدين فيها حال من المستكن في اصحاب جزاء بما كانوا يعملون يشمل العقائد
لانها عمل القلب ووصينا الانسان بوالديه افرده بالذكر بعد ما ادرجه تحت
الاستقامة اهتماما لان طاعتهما شقيقة طاعة الله حسنا فعلا ذا حسن وقراء
الكوفيون احسانا وعليه رسم مصحفهم واسلم من الحذف حملته امه كرها ووضعته
كرها ترجيح لجانبها في البر على الاب اى ذات كره او حملا ذا كره وقراء نافع وابن كثير
وابو عمرو وهشام بالفتح وهما لغتان والضم في المشقة اشهر والفتح في الاجبار
وحمله وفصاله مدة حمله وفطامه ثلثون شهرا ومنه علم ان اقل مدة الحمل
ستة اشهر لقوله حولين كاملين في مدة الرضاع ولذلك عبر عن الفطام بالفصال

اذ قد يعظم قبل الرضاع التام حتى اذا بلغ اشده ثلثا وثلثون سنة وبلغ اربعين
سنة وتكامل قواه واستحكم عقله ولذلك لم يبعث نبي الا بعد اربعين سنة و
ذلك لان القوى الشهوانية تأخذ في الانتقاص فيقل نزاعها مع العقلية قال
رب اوزعني الهمني اصل الايزاع الاغراء بالشيء ان اشكر نعمتك التي انعمت علي
بالتوفيق لدين الاسلام وعلى والدي كذلك قيل نزلت في ابي بكر فانه اسلم هو
ووالداه واولاده واولاد اولاده ولم يتفق لاحد من المهاجرين والانصار اربعة
ابطن صحابيون غيره وما يقال لم يكن في المهاجرين والانصار جابر وابوه وغيرهم
وان اعمل صالحا ترضيه تقبله واصلح لي في ذريتي اجعلهم مكان الصلاح و
موقعه اني تبت اليك واني من المسلمين المخلصين جعله وسيلة اولئك الذين نتقبل
عنهم احسن ما عملوا جميع حسناتهم كقولهم الاشج اعدل بني مروان او غير المباح
فانه حسن لا ثواب عليه ونتجاوز عن سيئاتهم ذكره لان قبول العمل لا يستلزم العفو
عن الذلل في اصحاب الجنة كائنا في زمرة الانبياء والصديقين والشهداء و
الصالحين وعد الصدق الذي كانوا يوعدون مصدر مؤكد لان نتقبل ونتجاوز
في معنى الوعد وقرأ حفص وحمزة والكسائي الفعلين بالنون ونصب احسن والسيئات
وهو احسن لكونه نصا على الفاعل مع التعظيم والذي قال لوالديه اف لكما هذا
العاق ضد ذلك الصالح والمراد به الجنس الذي هذا شانه يدل عليه الاخبار بالذل
وما قيل انها نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر كذب لان عبد الرحمن من كبار الصحابة
وقد اخبر في الاية ان هذا حق عليه العذاب ولما روى البخاري ان عائشة لما
بلغها ان مروان بن الحكم هو الذي قال هذا القول لما طلب من عبد الرحمن البيعة ليزيد
وابى عبد الرحمن قالت والله عبد الرحمن ليس بذلك ولكن انت لعنك رسول الله
وانت في ظهر ابيك ارادت الحكم بن العاص طريد رسول الله الى الطائف وقرأ ابن كثير
وابن عامر بفتح الفاء والباقون بالكسر ونونها نافع وحفص تنكيرا والكسر احسن
لانه الاصل عند التقاء الساكنين اتعدانني ان اخرج من القبر وقرأ ابن عامر و
في رواية هشام بالادغام وقد خلت القرون من قبلي ان اخرج ولم يخرج واحد
منهم وهما يستغيثان الله تنزه كيلا يصيبهما او ان يوفقه ويلك آمن اصل
الويل الدعاء بالهلاك اريد به الحث على الايمان لدلالته على ان مرتكبه جدير بان
يدعى عليه بالهلاك ان وعد الله حق في قيام الساعة والجزاء على الاعمال فيقول
ما هذا الا اساطير الاولين الاباطيل التي تداولها الناس اولئك الذين حق
عليهم القول بانهم اهل النار في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس كقوله
فضلة في اصحاب الجنة انهم كانوا خاسرين استئناف لتعليل الحكم ولكل درجات
اي لكل من الفريقين والدرجات على التغليب ولكل مؤمن ويعلم حال المقابل منه او

سنه او اريد بدرجات اعمالهم مما عملوا من جزاء اعمالهم وليوفيهم اعمالهم اي جزاءها وقرأ
نافع وحمزة والكسائي وابن ذكوان بالنون وهو ادل على التعظيم وهم لا يظلمون
بنقص ثواب او زيادة عقاب تعليل حذف معلله كانه قيل ليوفيهم اعمالهم ولا
يظلمهم قدر لهم جزاء اعمالهم على مقاديرها ولما كان مبنى السورة على تهديد الكفار
ومن يقابلهم بذكر اعتراضا شرح حالهم ويوم يعرض الذين كفروا على النار
العرض على النار التعذيب بها يقال عرضه على السيف اذا قتله به وعن ابن
عباس رضي الله عنهما يكشف لهم عنها اذهبتم اسوقتيم هو العامل في يوم وقرأ
ابن كثير وابن عامر بالاستفهام تقريرا طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم
بها تمتعهم تمتع الانعام فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون
في الارض تتكبرون بغير الحق ولم تكونوا اهلا له لان الكبرياء رداء الله و
بما كنتم تفسقون تخرجون عن الطاعة والاحسن رد الفسق الى العذاب والهون
الى الكبر نشر بعد اللف واذكر اخا عاد اي حاله مع قومه لقومك فان غلوهم
واغراقهم في الكفر يشبه اغراقا ولذلك اذ انذر قومه بالاحقاف بدل اشتمال
والاحقاف جمع حقف وهو الرمل المستطيل الذي فيه انحناء من احقوقف الشيء
اعوج عن علي بن ابي طالب رضي الله واد بحضرموت يلقى فيه ارواح الكفار
وعن قتادة مكان ببلاد يمن يقال له الشحر وقد خلت النذر من بين يديه
ومن خلفه حال من الفاعل اي معلما اياهم انذار الرسل او المفعول اي عالمين
بذلك اما باعلامه او بعلمهم عندهم فان قلت من لم يات من الرسل كيف يصدق
عليه قد خلت قلت نظما لما ياتي في سلك الماضي لتحقق وقوعه او اعتراض بين
المفسر والمفسر والمعنى اذكرهم اخا عاد وسائر الرسل الذي قبله والذي بعده
وغير الاسلوب اشارة الى ان المذكور اصالة قوم هود وهذا اسلم من التكلف في
الجمع بين الماضي والمستقبل ان لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم
هائل قالوا اجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا لتصرفنا عن عبادتها فأتنا بما تعدنا ان
كنت من الصادقين في وعدك العذاب كما قال في حق قريش يستعجلونك بالعذاب
قال انما العلم عند الله لا يعلم ذلك الوقت الا هو وابلغكم ما ارسلت به ما لم
يات العذاب وكنت بحكم وقرأ ابو عمرو وابلغكم مخففا ولكني اراكم قوما تجهلون
غارقين في الجهل مستمرين لا يجدي فيكم الايات والنذر وهل يكون اجهل ممن
يطلب حلول بأس الله به سريعا قال معاوية لم يكن اقل عقلا من اهل سبأ حيث
ولوا عليهم امرأة فقال رجل من اهل سبأ بل اقل عقلا منهم من قال اللهم ان كان
هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فلما
رأوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا لما استمروا على تكذيبه

امسك الله تعالى عنهم الغيث فارسلوا رجلا منهم يسمى قيلا ليستسقى لهم عند الكعبة
فلما استسقى ظهرت لهم سحابة فظنوا انه سحاب ممطر على ما تعارفوه والعارض السحاب
الذي يعرض في افق السماء والضمير في رأوه اما عايد الى ما تعدنا او مبهم يفسره
عارضا حالا او تميزا وهذا احسن للاجمال والتفصيل والاضافة في مستقبل و
ممطرنا اضافة الصفة الى معمولها بل هو ما استعجلتم به من العذاب القايل
هود وقيل كلام الله تعالى وفيه فك الضماير مع ان المناظرة بينهم وبين
هود ريح بدل من ما فيها عذاب اليم صفتها تدمر كل شيء بامر ربها تهلك كل
شيء مرت به من اموالهم وانفسهم عام خص واضافة الرب اليها للدلالة على انها في تصريفه
وتحت ارادته وان شان المرتجى لا يكون في طاعة المرتجى ساعيا في قضاياه وعن ابن عباس ان
رسول الله ص قال لم يفتح على عاد من الريح الا قدر موضع الخاتم ثم عتت على خزانها فلا يعلم
قدر ما خرج الا علام الغيوب قيل اول ما راوها تطير بمواشيهم واهل الحرث بين السماء و
الارض كالجراد دخلوا البيوت واغلقوها فخربت البيوت وامالت عليهم الاحقاف فبقوا
سبع ليال وثمانية ايام تحت الرمل لهم انين ثم اخذتهم والقتهم في البحر فاصبحوا لا يرى الا
مساكنهم ايها الرائي او يا محمد وقرأ عاصم وحمزة بيا الغيبة اي لا يرى الا بديارهم
والخطاب ابلغ واسلم كذلك نجزي القوم المجرمين كل مجرم كامل ولقد مكناهم فيما ان
مكناكم فيه ما موصولة وان نافية والمعنى مكنا عادا في شيء من الاسباب والاموال
ما مكناكم فيه ولم نعطكم ما اعطيناهم وقد علمتم حالهم وما جرى عليهم وقيل ان شرطية
اي ان مكناكم فيه كنتم اكثر بغيا منهم وقيل صلة والوجه هو الاول لقوله كانوا اشد
منهم قوة وآثارا في الارض وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة ليستدلوا بها على وجود
المنعم ويقابل النعمة بالشكر فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من
شيء اي شيء من الاغناء اذ كانوا يجحدون بآيات الله اذ منصوب باغنى جار مجرى
التعليل لانه مؤدى التعليل والظرف واحد كقولك ضربته لاساءته وضربته اذ اساء
الا ان اذ وحيث خصا بذلك دون ساير الظروف وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن
من العذاب ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى اي اهل القرى وهم عاد بحضرموت و
سبا باليمن وقوم شعيب بمدين وثمود بالحجر وقوم لوط بسدوم وكانوا يمرون على الكل
في اسفارهم وصرفنا الآيات كررناها عليهم قبل الاهلاك فلم يبق لهم حجة لعلهم
يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة هلا نصرهم لما جاءهم
بأسنا كما كانوا يزعمون انهم شفعاؤهم وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله واحد مفعولي اتخذوا
العايد المحذوف والثاني آلهة وقربانا حال او مفعول له وجعله مفعولا ثانيا وآلهة
بدلا منه غير سديد لان المنكر اتخاذهم آلهة دون الله يتقربون بهم لا اتخاذهم قربانا
دون الله اذ ليس من شان الله ان يكون قربانا حتى يكون التجاوز عنه منكرا بل ضلوا

بل ضلوا عنهم غابوا عن نصرتهم وقت الاحتياج وذلك افكهم وما كانوا يفترون
اي ذلك الامتناع عن نصرهم اثر افكهم وصرفهم عن الحق وهو الاتخاذ وافترائهم
على الله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن اي اذكر لقومك وقت صرفنا اليك نفرا من
الجن كيف لم يتوقفوا في الايمان لما سمعوا القرآن روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رض
انه لما بعث رسول الله حيل بين الجن وبين خبر السماء فقالوا ما هذا الا لامر حدث
فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فانصرف نفر منهم نحو تهامة فوافوا رسول الله
بنخلة في طائفة من اصحابه عامدين سوق عكاظ يصلي بهم الفجر ببطن نخلة فلما
سمعوه قالوا هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء والنفر ما بين الواحد الى العشرة
قيل كانوا تسعة سبعة منهم زوبعة يستمعون القرآن استينافا وحال اي مقدرين
استماعهم فلما حضروه القرآن او الرسول قالوا انصتوا اي قال بعضهم لبعض
الانصات السكوت بقصد الاستماع فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين بما فهموا من
كلام الله قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى كانوا يهودا امنوا بموسى
ولم يسمعوا بعيسى او لم يكن شرعه ناسخا بل كان اكثر احكامه بالتورية وهذا اوجه
مصدقا لما بين يديه من الكتب السماوية يهدي الى الحق الى الثابت من العقايد
التي لا تتبدل والى صراط مستقيم شريعة لا عوج فيها يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا
به يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم ولا ينافي قوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
لانها في الحربي وهؤلاء كانوا مؤمنين بنبيهم ثم برسول الله والمؤمن لا يسقط عنه
تبعات الناس الا بالاداء والاستحلال مع ان غفران البعض لا ينافي غفران الكل
فانه مفهوم اللقب ويجركم من عذاب اليم استدل به من قال ان الجن لا يدخل
الجنة اذ لم يذكروا الا النجاة من العذاب وهو يروى عن الامام ابي حنيفة رحمه الله
والحق دخولهم لانهم مكلفون بما كلف به الانسان ولقوله ولمن خاف مقام ربه
جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض لا ملجأ
له وليس له من دونه من دون الله اولياء اولئك في ضلال مبين حيث اعرضوا
عن الحق بعد ظهوره اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي
بخلقهن صدر السورة بما حقق به المبداء وختمها بما يحقق المعاد وقرر بينهما التوحيد
والنبوة وهذه هي المقاصد وما عداها فروع وتوابع يقال عييت بالامر اذا لم
يهتد لوجهه بقادر على ان يحيي الموتى خبر ان وادخل الباء لان المقصود اثبات
القدرة وهذا تعجب من عدم رؤيتهم كانه قال اليس الله بقادر ولذلك اجاب
بقوله بلى انه على كل شيء قدير تقرير الها ويوم يعرض الذين كفروا على النار نصب
بقول مضمر مقوله أليس هذا بالحق والمشار اليه العذاب بقوله قالوا بلى وربنا
قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون معنى الامر الاهانة فاصبر كما صبر اولوا

اولوا العزم من الرسل اولوا الثبات والجد من بيان فيشمل الرسل كلهم او تبعيض لقوله
في آدم فنسي ولم نجد له عزما وفي يونس فلا تكن كصاحب الحوت وهم اصحاب الشرائع الذين
جدوا وسعوا في تقريرها وصبروا على اذى الطاعنين ومشاهيرهم نوح وابراهيم
وموسى وعيسى وقيل الصابرون على البلاء وهم نوح كان يضرب حتى يغشى عليه و
ابراهيم القي في النار وامر بذبح ولده واسماعيل صبر على الذبح ويعقوب على فقد يوسف
ويوسف على السجن وايوب على الضر وموسى على طغيان فرعون عن عائشة ان رسول
الله صام ثلثة ايام مواصلا ثم قال يا عائشة ما ينبغي هذه الدنيا لمحمد ولا لآل محمد
ان الله لم يرض من اولي العزم من الرسل الا الصبر وقد كلفني ما كلفهم فقال فاصبر
كما صبر اولوا العزم من الرسل واني لاصبرن كما صبروا ولا تستعجل لهم لكفار قريش
كأنهم يوم يرون ما يوعدون من العذاب لم يلبثوا الا ساعة من نهار استقصروا
المدة من هول العذاب بلاغ اي هذه السورة او هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة
لمن كان له قلب او القى السمع او تبليغ من الرسول وقيل مبتداء خبره لهم وما بينهما اعتراض
والمعنى لهم وقت يبلغونه ورا وانما فيه استقصروا مدة لبثهم فهل يهلك الا القوم
الفاسقون اي بعد هذا البلاغ لا يهلك الا الخارج عن الطاعة تمت سورة الاحقاف
والحمد لله المن والالطاف والصلوة على من كلت عن نعته الاوصاف وآله وصحبه
اهل التقى والانصاف سورة محمد وتسمى سورة القتال مكية وقيل مدنية وهذا
اصح تسع او ثمان وثلثون آية بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن
سبيل الله اي اعرضوا عن الاسلام او منعوا الغير عن الدخول فيه والاول وفق
بقوله والذين امنوا عن ابن عباس هم المطعمون يوم بدر وعن مقاتل اثنى عشر رجلا
من اهل الشرك وقيل هم اليهود اضل اعمالهم المكارم التي كانوا يباهون بها من فك
الاسارى وصلة الرحم وقري الاضياف والذين آمنوا وعملوا الصالحات يشمل كل
مؤمن وقيل ناس من قريش وقيل من الانصار وقيل مؤمنوا اهل الكتاب يؤيده قوله
وآمنوا بما نزل على محمد وعلى الاول فراده اشعار بتعظيمه وانه الاصل الذي
لا يعتد باعتقاد ولا بعمل دونه ولذلك اكده بقوله وهو الحق من ربهم اي الثابت
الذي لا يعقبه نسخ كفر عنهم سيئاتهم سترها خبر ثان او حال بتقدير قد واصلح
بالهم وسدد حالهم في الدين ذلك اشارة الى ما مر من اضلال طائفة وتكفير سيئات
اخرى مبتداء خبره بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق
من ربهم اي ذلك كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق او خبر مبتداء محذوف
اي الامر ذلك والجار والمجرور منصوب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة والباطل
ما لا ينتفع به وعن مجاهد هو الشيطان كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس
امثالهم اي امثال الناس او امثال المذكورين للناس ليعتبروا وذلك بان جعل اتباع الكل

الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين او جعل الاضلال مثلا لخيبة
الكفار وتكفير السيئات مثلا لفوز المؤمنين فالمثل على هذا استعارة وبناء التجوز
على اختلاف المثال اليه بذلك فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب اي بعد ما
علمتم من ضرب المثل اذا حاربتم الكفار واللقاء اسم الحرب فاضربوا الرقاب حذف الفعل
واقيم المصدر مقامه اختصارا مع ما يفيده من التاكيد والمراد به القتل كيف كان و
ايثاره لما جرت العادة بان من يقتل يضرب عنقه مع ما في اللفظ من الغلظة وتصوير
القتل باشنع صورة وهو اطارت الرأس الذي هو رئيس الاعضاء وزاد على هذه
الغلظة في قوله فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان حتى اذا اثخنتموهم
كثرتم القتل من الشيء الثخين وهو الغليظ فشدوا الوثاق شدوا الاسرى بالوثاق
وهو ما يوثق به فاما منا بعد واما فداء ما تمنون عليهم بالاطلاق او هم
يفدون فداء ويفكون رقابهم وهذا دليل على ان الاية نزلت بعد بدر اذ لو
نزلت قبلها لم يكن رسول الله ص يجتهد في اخذ الفداء وعند ابي حنيفة المن
مأول بالاسترقاق او بان يخلى سبيله ليكون ذمة للمسلمين ولا فداء عنده
وعند الشافعي الامام مخير بين القتل والاسترقاق والمن والفداء استدلالا
بما روى البخاري ان رسول الله ص من على ثمامة بن اثال وفادى رجلا من المسلمين
برجلين من المشركين وقتل عقبة بن ابي معيط والنضر بن الحارث بعد الاسر حتى
تضع الحرب اوزارها الاتها من السلاح والكراع سميت اوزارا لان الحرب لا تستقل
بدونها فكانها حاملة لها وقيل اثامها حتى لا يبقى لاهل الشرك شوكة غاية لما تقدم
من الضرب وما بعده والمعنى ان هذه الاحكام جارية فيهم حتى لا يكون حرب مع
المشركين وقيل ذلك عند نزول عيسى لما في الحديث ان الجهاد ماض في امتي حتى يقاتل
اخرهم الدجال ذلك الامر ذلك او افعلوا ذلك اشارة الى ضرب الرقاب وما بعده
ولو يشاء الله لانتصر منهم استأصلهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض بان يستوجب
المؤمنون الاجر العظيم ويرى الكفار على ايديهم بعض العذاب لكي يرتدع اخرون و
الذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم لن يضيعها ترغيب في الجهاد وقرا ابو عمرو
وحفص قتلوا اي استشهدوا وعليه الرسم وهو المختار لما روى قتادة انها نزلت في
قتلى احد سيهديهم طريق الجنة ويصلح بالهم حالهم الذي افسده القتل بان يبدل
لهم اعضاء خيرا من اعضائهم ولذلك سمي جعفر بن ابي طالب الطيار لان الله عوضه
عن يديه المقطوعتين في الحرب جناحين مرصعين يطير بهما في الجنة ويدخلهم الجنة
عرفها لهم من العرف وهو الرائحة اي طيبها لهم او اعلمهم طريقها وعن مقاتل الملك
الذي وكل بعمله يقدمه حتى يدخله الجنة وعنه صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده
ان احدهم لاعرف بمنزله في الجنة منه بمنزله في الدنيا وذلك لانه يفتح له في قبره

ثابا الى منزلة في الجنة فقد راى منزلة مدّة سطاولة يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا
الله تنصروا رسوله ودينه ينصركم على عدوكم في مواقف القتال ويثبت اقدامكم
في القيام بحقوق الاسلام فلا يعتريكم شكوك وريب والذين كفروا فتعسا لهم
عثورا وسقوطا في مقابلة التثبيت للمؤمنين نصب على المصدر اي تعس الذين كفروا
دعاء من الله دال على استحقاقهم الهلاك وتحققه ويقال في عكسه والدعا بالسلامة
لعا قال شعر لها الله يوما لم يقولوا العاثر ولا الابن عم ناله الدهر لع لعا واضل
اعمالهم جعل تابعة عطف على ناصب تعسا اما دعاء او على تقدير فقضى تعسا لهم ذلك
الهلاك بانهم كرهوا ما انزل الله من الاحكام والشرايع لكونها على خلاف ما الفوه من
الاطلاق العنان والانهماك في الشهوات والملاذ فاحبط اعمالهم كرره اشارة الى ان هذا
اللزوم وعدم الانفكاك ومبالغة في التحذير افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبلهم اي قد ساروا وشاهدوا فما لهم لا يعتبرون دمّر الله
عليهم دمّره اهلكه ودمّر عليه اهلك كل ما له من نفس ومال وولد ومنشا وحذف
المفعول وجعله نسيا ينبيع الاتيان بكلمة الاستعلاء وللكافرين امثالها اي لهم امثال
تلك العاقبة او السنة لقوله سنة الله التي قد خلت وجمع الامثال لله لا له
على ان لكل من هؤلاء امثال عاقبة او لتلك لعظاجنايتهم لان الكفر بمحمد والقران
ليس كالكفر بساير الانبياء والكتب او على التوزيع ذلك بان الله مولى الذين امنوا
ناصرهم وان الكافرين لا مولى لهم لا ناصر لهم ومعنى قوله ثم ردوا الى الله مولاهم
الحق اي مالكهم وسيدهم فلا تنافي لما راى ابو سفيان يوم احد بالمؤمنين بعض
انهزامهم نادى باعلى صوته اعل هبل اعل هبل ثم قال لنا عزى ولا عزى لكم قال رسول
الله لاصحابه وهو جالس يداوي جرحه الا تجيبونه قالوا ماذا نقول قال قولوا الله
مولانا ولا مولى لكم ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها
الانهار تقرير لتوليه والذين كفروا يتمتعون اياما قلايل ويأكلون كما تأكل
الانعام غافلين في الكفر غافلين عن العاقبة غفلة الانعام عما هي بصدده من النحر
والذبح والنار مثوى لهم منزل ومقام نصب على الحال وكاين من قرية هي اشد
قوة من قريتك التي اخرجتك وقرا ابن كثير وكاء على وزن فاع بعد بيان ما للقرية
التفت اليه سيليا اي وكم من اهل قرية كانوا اشد قوة من هؤلاء واكثر اسبابا واو
اموالا اهلكناهم لما كذبوا الرسل فلا ناصر لهم اي لم يكن لهم من ينصرهم والعدول
الى المنزل لاجرائه مجرى الحال المحكية كانه قيل فهم لا ينصرون افمن كان على بينة
من ربه اراد به رسوله والبينة ما معه من القران المعجز الدال على الوعد والوعيد
او كل مؤمن لقوله افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى كمن زين له
سوء عمله هم مشركوا مكة واتبعوا اهواءهم لا شبهة فضلا عن حجة مثل الجنة

مثل الجنة التي وعد المتقون مبتدا خبره كمن هو خالد في النار مرتب على الانكار
السابق في افمن كان والمعنى امثل الجنة التي وعد المتقون كمثل جزاء من هو خالد
في النار فحذف المضاف لدلالة ما تقدم عليه وفائدة التعرية عن حرف الانكار
الدلالة على ان من استتبه عليه الاول فالثاني مثله واذ ذاك يسقط عن رتبة
الخطاب فيها انهار من ماء غير آسن تكرير للصلة وتفصيل للموعود ولذلك لم
يدخل العاطف وحال يؤكده او استيناف بتقدير مبتدا كانه قيل ما مثلها فقال
مثلها كذا وكذا او الجملة خبر المبتدا وعن سيبويه فيما قصصنا عليك مثل الجنة
وعلى الوجهين كمن هو خالد خبر مبتدا محذوف اي ليس المتقي الذي له الجنة كالخالد
في النار وقرينة المحذوف وعد المتقون والآسن المتغير من اسن وقرا ابن كثير
اسن على فعل والاول ابلغ لان نفي العام يستلزم نفي الخاص دون العكس وانهار
من لبن لم يتغير طعمه حموضة وغيرها وانهار من خمر لذة للشاربين اي لاجل لذة
للشاربين خاليا من آفات خمر الدنيا من ذهاب عقل وغول وخمار تانيث لذ او لذة
جذة او مصدر وصف به مبالغة وعنه صلى الله عليه وسلم من سال منكم الجنة فليسال
الله الفردوس فانه اوسط الجنة منه تتفجر الانهار وانهار من عسل مصفى خلو كذلك
لا يخالطه شمع ولا روايح نور ولهم فيها من كل الثمرات ماعدا المذكور ومغفرة
من ربهم من سيدهم هذا اجل من تلك النعم اذ لا يوازي رضى الله شيء كمن هو
خالد في النار وسقوا ماء حميما بالغا في الحرارة يشوي الوجوه فقطع امعاءهم من
شدة الحرارة ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا
العلم ماذا قال آنفا كان المنافقون يحضرون خطبة رسول الله ومجالس تذكيره
ومواعظه ولا يلقون السمع الى مقالته ولا يكترثون به فاذا خرجوا من عنده سالوا
الصحابة ماذا قال محمد في اول الساعة القريبة منا استهزاء وايذانا بانهم يحضرون
بابدانهم دون قلوبهم وقرا ابن كثير في رواية البزي انفا مقصورا قال
ابو علي هما لغتان كحاك وفكه اولئك الذين طبع الله على قلوبهم فلا يمكنهم
ادراك مقالتك واتبعوا اهواءهم فلذلك يستهزؤن ولا يبالون بها والذين
اهتدوا الى الايمان وادراك المعارف والحكم زادهم هدى بالتوفيق والالهام و
الايمان بما يتجدد من الوحي والاحكام وآتاهم تقواهم جزاء تقواهم او منحهم
تقواهم الخاص وهو ربط السر على الله وكما ان المعاصي بالمداومة عليها يؤدي
الى الطبع والرين فكذلك الطاعات تؤدي بالسالك الى الفناء عن وجوده
فيكون الرب تعالى سمعه وبصره فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة
بدل اشتمال من الساعة اي ما ينظرون الا اتيانها فقد جاء اشراطها علة للانتظار
كانه قال ما ينظرون الا اتيان الساعة بغتة لان اشراطها قد جاءت وبعد مجيئها

لابد من مجيء الساعة والاشراط جمع شرط بفتح الراء بمعنى العلامة والمراد بها رسول الله
وما فتح على المسلمين من الاموال والاسباب وكثرة السبايا وعن سهل بن سعد رايت
رسول الله يشير باصبعه الوسطى والتي تليها بعثت انا والساعة كهاتين ثم تعجب من
نفع التذكير بعد وقوعها بقوله فانى لهم اذا جاءتهم ذكريهم توبيخا على ترك التشمر
لها قبل فوات الوقت فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك سبب عن جملة ما
سبق من اول السورة من حال الفريقين كانه قال اذا علمت ذلك فدم على موجبات
السعادة وتمسك بها وللمؤمنين والمؤمنات واطلب للذنب بتبعيك المغفرة من الله
تعالى يقال استغفر لذنبه ومن ذنبه والاول ابلغ كانه قيل لانك مذنب وفي
اعادة الجار دلالة على ان ذنوبهم نوع آخر اذ لا يجوز في حقه الا ترك الاولى نادرا
والله يعلم متقلبكم بالنهار في حوائجكم ومثويكم واستقراركم بالليل كقوله الذين
يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون فراقبوه في الاحوال كلها او في حيوتكم
وفي القبور او في اعمالكم ومثويكم في الجنة فاخلصوا لله العمل وفيه اشارة الى
فضل العلم وان لا عمل بدونه وان فضله انما يظهر اذا شفع بالعمل ويقول الذين
آمنوا لولا نزلت سورة قبل الاذن في القتال حين كانوا مامورين بالصبر فاذا
انزلت سورة محكمة في شان القتال لم يعترها نسخ ولا اشتباه وذكر فيها القتال
الامر به رايت الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون لقوله في قلوبهم مرض فزادهم
الله مرضا ولقوله ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت فاولى لهم اي فاهلكهم الله
اهلاكا اقرب من كل شيء ولا يمكن هذا في حق مؤمن ضعيف الايمان طاعة وقول
معروف امثل لهم او امرهم طاعة استئنافا او مقول قولهم قبل القتال لقوله ويقولون
طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول فاذا عزم الامر جد
هو فعل صاحب الامر اسند اليه مجازا كقولهم قام الحرب فلو صدقوا الله اي المنافقون
لكان خيرا لهم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم نقل
الكلام منهم الى الخطاب ليكون ابلغ واشد توبيخا والاستفهام للتقرير والمعنى انكم
تقولون كيف تقاتل العرب وهم من جلدتنا تظهرون هذا من ديانتكم ووفور
مروتكم وكمال فتوتكم فلو فوض الامر اليكم وتوليتم واستقام لكم الامر لاخذتم تنازع
هل يتوقع منكم الا افساد الارض وقطع الرحم الذي لا شيء اقبح عند العرب منه ولا في
الشرع اشنع منه وان كان بعض الكبائر اكبر منه وهذا منه تعالى على لسان العباد كانه
قال يقول لكم قائل هذا الكلام ثم كشف عن حالهم بما لا مزيد عليه بقوله اولئك الذين
لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم طردهم عن مظان رحمته ومهاب نسيم لطفه
وازال حاسة السمع عنهم فلا يستطيعون تلقي المعارف والحكم ولم يصل بصائر الوحي
الى شغاف قلوبهم وازال ابصارهم فلا يدركون الآيات المبثوثة في الآفاق والانفس

والانفس فهذا التقرير يرشدك ان الكلام كله بعضه مرتبط ببعض في شان الكاملين
في النفاق ولا مجال لتوهم ارادة ضعفاء المؤمنين الغير الراسخين في الايمان مع
الغضب الشديد على ان الالتفات لا يقع موقعه الا اذا كان الكلام مع المنافقين
افلا يتدبرون القرآن الفاظه الرائقة ومعانيه المونقة التي لو انزلت على جبل
لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله ام على قلوب اقفالها ام بمعنى بل والهمزة
تقرير هذا الشق من الترديد وان القلوب مقفلة مختوم عليها والتنكير في
القلوب اما للتهويل وتفظيع شانها في القسوة كانه لا يمكن تعريفها ولا يقادر
قدرها او لانها قلوب متميزة عن سائر القلوب وهذا ايضا معنى حسن واما اضافة
الاقفال فهي التي لا يجوز غيرها لانها تفيد ان تلك الاقفال المختصة بها لا يمكن
رفعها ابدا ان الذين ارتدوا على ادبارهم هم المنافقون من بعد ما تبين لهم
الهدى ظهر لهم بحيث لم يبق لهم شبهة الشيطان سول لهم اي سهل لهم ارتكابه
وهونه من السول الجوف واوتي وقيل من السؤل مهموز العين بمعنى التمني وفي
صحته تعريفا واشتقاقا نوع تكلف واملى لهم ارخى لهم العنان ومد لهم في العمر
ومناهم الاماني والآمال قرا ابو عمرو واملي على بناء المجهول ماضيا ذلك بانهم
قالوا للذين كرهوا ما نزل الله القائلون هم المنافقون والذين كرهوا ما انزل
الله هم اليهود لقوله تعالى بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا
ان ينزل الله من فضله على من يشاء وقيل القائل يهود والذين كرهوا المنافقون
وقيل قول المنافقين لقريظة والنضير واحد الفريقين للمشركين والوجه
هو الاول كما اشير اليه مرارا سنطيعكم في بعض الامر وهو المهم الذي يحتاج الى
التظاهر والتعاون لعداوة رسول الله والاتفاق على تكذيبه والتكذيب بالتوحيد
والله يعلم اسرارهم فان هذه من تلك الاسرار وقرا حمزة والكسائي وحفص اسرارهم
بكسر الهمزة مصدر اسر وهذا ابلغ وذاك اظهر وانسب بالفواصل فكيف اذا توفتهم
الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم اي حالهم حال كونهم يضرب اشرف
اعضائهم واخسها ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه اتبعوا
الطاغوت وكرهوا الكلام المنزل وسماه رضوانا مبالغة لانه سبب رضوانه
او الاسلام او رسول الله فاحبط اعمالهم اسقطها عن درجة الاعتبار وقدمنا
الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج
الله اضغانهم اي بلى كان حسبانهم ذلك اذ لو علموا ان رسول الله والمؤمنين
سيطلعون على ما هم فيه من النفاق لم يرتكبوه ولو نشاء لاريناكهم لعرفناك
ذواتهم وهيآتهم فلعرفتهم بسيماهم بتلك العلامات التي اعلمناك ولتعرفنهم في
لحن القول جواب قسم محذوف ولحن القول اسلوبه ونحواه واصله امالة الكلام

من ظاهره الى نحو من الانحاء قال ولقد لحنت لكم لكيما تفقهوا واللحن يعرفه ذووا الالباب ومنه اللحن في الاعراب لانه عدول عن الصواب وعن ابن عباس هو قولهم مالنا من الثواب ان اطعنا ولم يقولوا ما علينا من العقاب ان عصينا وعن عثمان رض ما اسر احد سريرة الا ابداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه {والله يعلم اعمالكم ولنبلونكم} بالاوامر والنواهي الدالة على التكاليف الشاقة {حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين} على مشاقها علما متعلقا بوقوعها {ونبلوا اخباركم} اي اعمالكم فان الخبر على وفق المخبر عنه كذلك فصح ان يكون بلوء الاخبار كناية عن بلاء الاعمال وقراء ابو بكر الافعال الثلثة بالياء {ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى} قريظة والنضير والمطعمون يوم بدر {لن يضروا الله شيئا} لا ينقص ذلك من ملكه شيئا او رسول الله صلى الله عليه وسلم ولفظ الجلالة مفخم {وسيحبط اعمالهم} يبطلها ولا يثيب عليها او مكايدهم وحيلهم التي بيتوها لرسول الله والمؤمنين فلا يصلون الى مقاصدهم منها {يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم} كما ابطل هؤلاء بالنفاق اي لا تاتوا بها على وجه الاثاب عليها بان تقرنوها بالعجب والمن والاذى عبر عن ذلك بالاحباط بجعل ما كان بصدد الثبوت كالثابت مبالغة في التحذير وعن ابن عمر كنا معشر اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نرى كل حسنة مقبولة حتى نزل لا تبطلوا اعمالكم قلنا ما هذا الذي يبطل اعمالنا حتى نزل ان الله لا يغفر ان يشرك به ولا دليل فيه لمن يقول الكبيرة تحبط العمل ولذلك اردفه بقوله {ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم} اذ مفهومه ان من لم يمت على تلك الحالة جاز ان يغفر له كائنا ما كان من ذنوبه {فلا تهنوا} اي بعد ما علمتم ان الغرض من الامر بالقتال وساير التكاليف تعلق علمه بالمجاهدين الصابرين فلا يكن منكم وهن بل تجلدوا لتنالوا اجر الصابرين {وتدعوا الى السلم} الصلح وترك القتال ابتداء فانه يطمع العدو ولا ينافي ما صالح عليه في الحديبية اذ لم يكن ذلك الا بسؤال المشركين وقراء حمزة وابو بكر بكسر السين {وانتم الاعلون} والحال انكم الغالبون في الوقايع والحروب {والله معكم} بالنصر والاعانة فلا وجه للوهن {ولن يتركم اعمالكم} ينقص من ثوابها شيئا دفع لما يتوهم من ان النصر اذا كان منه تعالى فاي اجر لهم يقال وتر الرجل اذا قتلت له قتيلا قريبا كالولد والاخ ثم افردته عن قريبه فشبه به الافراد عن العمل في عظم المصيبة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من فاته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله ولا بد من تضمين معنى السلب ليتعدى الى المفعول الثاني {انما الحيوة الدنيا لعب ولهو} اللعب ما يجذب به السرور واللهو ما يدفع به الغموم والهموم {وان تؤمنوا} تدوموا على الايمان {وتتقوا} مخالفة اوامره ونواهيه {يؤتكم اجوركم} كاملة {ولا يسالكم اموالكم} عطف على الجزاء وفيه مقابلة حسنة بين اعطاء الاجور كلها واخذ بعض المال وهو العشر او ربعه نزر يسير {ان يسئلكموها فيحفكم} يجهدكم الاحفاء المبالغة في السؤال من احفيت الشارب اذا استاصلته {تبخلوا} باعطاء جميع المال {ويخرج اضغانكم} يظهر كراهتكم ومقتكم لمحمد ولدينه لذهابه باموالكم والضمير في يخرج لله تعالى او للبخل فانه سبب الاضغان {ها انتم هؤلاء} هذا انكم ايها المخاطبون وصفتكم {تدعون} استيناف كانهم قالوا ما وصفنا ويجوز ان يكون هؤلاء موصول تدعون صلته {لتنفقوا في سبيل الله} في الجهاد والفقراء يشمل الزكوة {فمنكم من يبخل} بهذا القدر {ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه} اذ ضرره لا يتعداها والبخل لتضمنه المنع والتضيق يتعدى بعن نظرا الى الاول وبعلى الى الثاني ثم قرر ذلك بقوله {والله الغني وانتم الفقراء} اي كما ان الغنا لازم ذاته لا يفارقها كذلك الاحتياج لكم قال فالفقر وصف لذاتي دائم ابدا كما ان الغني ابدا وصف له ذاتي {وان تتولوا} تعرضوا عطف على تؤمنوا {يستبدل قوما غيركم} كقوله ان يشاء يذهبكم ويات بخلق جديد {ثم لا يكونوا امثالكم} بل يكونوا سامعين مطيعين روى ابن جرير باسناده الى ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلعم تلا هذه الاية قالوا من هؤلاء يا رسول الله فضرب بيده على كتف سلمان وقال هذا وقومه ولو كان الدين بالثريا لتناوله رجال من الفرس تمت سورة القتال والحمد لولي النعم والنوال والصلوة على النبي المفضال واله وصحبه خير صحب وال

سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم

{انا فتحنا لك فتحا مبينا} نزلت بعد صلح الحديبية بكراع الغميم وذلك ان رسول الله قصد زيارة البيت قبل الفتح سنة ست قبل الهجرة فحالت كفار قريش بينه وبين البيت واجتمعوا بالحديبية وهي بئر بقرب مكة فوقع بينهم الصلح على ان يدخل في القابل مكة ويطوف بالبيت ويقيم بها ثلثة ايام فلما تلاها على الناس فقال عمر بن الخطاب او فتح هو يا رسول الله قال والذي نفسي بيده وانما كان فتحا لانه تسبب لفتوح كثيرة لانه تفرغ لقتال ساير العرب وفتح في تلك السنة خيبر وامن الناس واجتمع المؤمن بالكافر والصديق بالصديق وسمعوا القران واسلم بشر كثير وانتشر العلم والايمان وقيل هو فتح مكة والتعبير بالماضي على داب اخباره تعالى وفيه فخامة حيث جعل المترقب كالمحقق وان الازمنة كلها عنده على السواء فاذا اخبر عن حادث فهو كائن لا محالة {ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر} علة للفتح من حيث انه سبب عن الجهاد والسعي في ازاحة الكفر وتكميل النفوس واعلاء كلمة الله او مع ما بعده معلول الفتح من حيث المجموع فانه علة للنصر العزيز والذنب المغفور له مما لا يخلو البشر عنه من خلاف الاولى وقيل ما تقدم تحريم مارية وما تاخر اخفاء قضية زينب وفيه ان قضية زينب متقدمة {ويتم نعمته عليك} نعمة الاسلام واعلاء كلمته {ويهديك صراطا مستقيما} موصلا لا عوج فيه وهي الملة الحنفية وشرعية الغزاء {وينصرك الله نصرا عزيزا} غلبة على العدو ومع العز

اذ النصر قد تخلوا عنه وذلك اصلح الحديبية لانه كان بسولهم لما القى الله في قلوبهم من الرعب
والتعز للمنصور فالاسناد مجازي هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين لما اصطلحوا
امر رسول الله بنحر الهدي انكر اصحابه ذلك وقالوا كان بعدنا انا نطوف بالبيت حتى قال
لهم ذلك ثلث مرات لم يتحرك منهم احد فدخل على ام سلمة وشكا اليها ما رأى منهم فقالت
انحر انت هديك واحلق رأسك حتى يتبعوك ففعل فاتبعوه فالسكينة هي الطمانينة التي
كانت بعد القلق والاضطراب او انزل السكون الى ما جاء به رسول الله من الشرايع ليزدادوا
ايمانا مع ايمانهم اذ لم يكن في بداء الاسلام الا التوحيد ثم نزلت الصلوة والزكوة وساير
الشرايع قالت عايشة رض لو نزلت الافراض جملة لم يؤمن منهم احد ولله جنود السموات
والارض لو اراد اهلاك اعدائه لاهلكهم طرفة عين ولكن اجرى الامور على وفق حكمته
ومن ذلك قضية الحديبية وما كان في ذلك من الحكم وكان الله عليما كامل العلم
حكيما في كل ما دبر ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها متعلق بمحذوف اي دبر ما دبر وقضى ما قضى ليعرف المؤمنون نعم الله عليهم
فيشكروها وينالوا بها هذه الرتبة او بدل اشتمال ليزدادوا ويكفر عنهم سيئاتهم
وكان ذلك عند الله فوزا عظيما اذ هو منتهى المطالب وغاية الغايات عندما كان من
الممكن وعظيما ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات عطف
على ليدخل الا اذا جعل بدلا فعطف على المبدل وتقديم المنافقين لانهم اضر على الاسلام واهله
كان اغيظهم الظانين بالله ظن السوء وهو ان الله لا ينصر رسوله والمؤمنين
او ان الله لا يعلم كثيرا مما يعملون والسوء الفساد والذم والاضافة فيه كرجل صدق
والمعنى ظن الشيء الفاسد عليهم دائرة السوء دائرة ذلك الفساد الذي يظنونه
بالمؤمنين الدائرة ما احاط بالشيء من جميع جهاته خيرا كان او شرا غلبت في الشر كغلبة
الدولة في الخير والاضافة للبيان كشمس النهار وقرا ابن كثير وابو عمرو بفتح السين
وهو الشر والعذاب والبلاء وهو ابلغ واصرح وغضب الله عليهم اراد الانتقام منهم
لان الغضب قد لا يكون مغضوبا عليهم ولعنهم طردهم عن رحمته اذ الغضب بالابعد
الى الطرد ثم اشار الى ما لهم في الاخرة بقوله واعد لهم جهنم وساءت مصيرا ولم يعطف
الاخيرين بالفاء مع ان كل واحد مسبب عما سبقه اشارة الى استقلال الكل بالوعيد
ولله جنود السموات والارض فلو شاء لانتقم واستاصلهم كما فعل بعاد وثمود و
كان الله عزيزا حكيما غالبا لا يغالب حكيما في تاخير العذاب لما فيه من المصالح انا
ارسلناك شاهدا على امتك ومبشرا ونذيرا على الطاعة والمعصية لتؤمنوا بالله
ورسوله اي المرسل اليهم وتعزروه التعزير النصر القوي وتوقروه تعظموه وتسبحوه
تنزهوه بكرة واصيلا دائما او في هذين الوقتين لانهما اشرف الاوقات وعن ابن
عباس رض يريد صلوة الصبح والعصر والظهر الضماير لله وقرا الكوفيون ونافع و

ونافع وابن عامر بتاء الخطاب في الافعال الاربعة والخاطب رسول الله وامته لانه مؤمن
بما جاء به قبل كل احد فغلب على الغايب ان الذين يبايعونك المضارع لتصوير الماضي
بصورة الحال انما يبايعون الله لانك رسوله والواسطة بين الله وبينهم يد الله
فوق ايديهم اراد يد رسول الله عند المبايعة والله منزه عن الجارحة بل هو على
سبيل التخييل وان العقد والميثاق مع رسوله انما هو معه تعالى وهذه البيعة هي بيعة
الرضوان واهلها كلهم في الجنة وهم الف وثلثمائة او اربعمائة او خمسمائة وسببها
ان رسول الله عم دعى عمر بن الخطاب ليرسله الى كفار قريش ورئيسهم ابو سفيان
ليخبرهم انه انما جاء زائرا لا يريد حربا فقال عمر يا رسول الله قد علمت كفار قريش ما كان
مني من الغلظة وليس بمكة من بني عدي من يحميني ولكن ادلك على من ترسله عثمان
بن عفان فانه من بني امية فارسله رسول الله فارجف الناس ان الكفار قتلوا عثمان
فعند ذلك دعاهم الى البيعة واختلفت الرواية في كيفية البيعة عن سلمة بن الاكوع
انهم بايعوه على الموت وعن جابر انهم بايعوه على ان لا يفروا ولما بايع الحاضرين رفع
يده وقال هذه يد عثمان ووضعها على الاخرى ثم قال كلكم في الجنة الا صاحب الجمل
الاحمر لجابر فابتدرنا اليه فقلنا تعال بايع رسول الله وكان قد اضل جمله فقال
لان اصيب جملي خير لي من ان ابايع صاحبكم فمن نكث فانما ينكث على نفسه اذ لا يعود
ضرره الا اليها قال جابر ولم ينكث احد منا ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه
اجرا عظيما لا يحاط به وقرا حفص بضم هاء عليه وقرا نافع وابن كثير وابن عامر بالنون
التفاتا وهو ابلغ في الترغيب سيقول لك المخلفون من الاعراب هم المنافقون منهم
بنو لحيان وغطفان وعصية والديل وعبد عفان واسلم ومزينة وجهينة
عن شديد لانهم تخلفوا لما استنفرهم رسول الله سنة الحديبية حذرا من قريش ان يقاتلوه
او يصدوه عن البيت فاعتذروا بالاموال والاهل ولما رجع رسول الله قالوا
شغلتنا اموالنا واهلونا لم يكن من يقوم مقامنا فاستغفر لنا قالوا نفاقا و
استهزاء يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم تكذيب لهم في الاعتذار والاستغفار
قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا اي فلا احد يدفع
ضره ولا نفعه فليس الشغل بالمال والاهل عذرا اذ لا يرد ذلك عن الضر شيئا ولا
معافضته العدو يمنع النفع ان اراده واللام للبيان كما في هيت لك او صلة
وقرا حمزة والكسائي بضم الضاد على انهما لغتان او هو الاذى وسوء الحال وبالفتح
ضد النفع مصدر وهو اوفق ولعله ثم ترقى الى التهديد بقوله بل كان الله بما تعملون
خبيرا بما اكتنتم في انفسكم ثم كشف الغطاء عنه بقوله بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول
والمؤمنون الى اهليهم ابدا وذلك انه عليه السلام لما استنفرهم قالوا غزوة في المدينة
وقتلوا اصحابه وتشاوروا على قتله كيف يذهب اليهم وذلك دابا وزين ذلك في قلوبكم المزين هو الله

حقيقة والشيطان سبب وظننتم ظن السوء الفساد وهو ان لا ينصر الله رسوله
وكنتم قوما بورا هلكى وصف بالمصدر مبالغة او جمع بائر كعائذ وعوذ قال كعب
عوذ مطافيل ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا ومن
لم يؤمن بالله ورسوله ظاهرا وباطنا فانا اعتدنا لهم وضع الظاهر موضع المضمر
وتنكير سعيرا لانها نار مخصوصة كما ان تلظى ولله ملك السموات والارض يتصرف
فيه كيف يشاء يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء لا علة لصنعه وفيه ترغيب للم
تخلف في التوبة وكان الله غفورا رحيما كثير الغفران والرحمة سيقول المخلفون
عن الحديبية اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها في غنائم خيبر وعد الله رسوله و
المؤمنين ان يعوضهم عن غنائم قريش بشرط ان لا يشاركهم فيها احد والتعبير بالمغانم
والاخذ اشارة الى سهولة حصولها ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله هو
حكمه السابق لاهل الحديبية بان يكون غنائم خيبر لهم دون غيرهم الى الآن رسول الله
اعطى جعفر بن ابي طالب ومن قدم معه من الحبشة فانهم جاؤا رسول الله على خيبر وقرأ حمزة
والكسائي كلم الله جمع كلمة وقراءة الجمهور اولى اذ لا يدرى تأويل هذا الى الكلام قل لن
تتبعونا كذلكم قال الله من قبل هو ذلك الوعد فسيقولون بل تحسدوننا وبما يكذبون
كلام الله كما هو دأبهم بل كانوا لا يفقهون الا قليلا اضراب عن اضافة الحسد الى
المؤمنين الى ما هو اقبح منه وهو الجهل وعدم الفهم الذي كل داء دونه ولذلك نسبوا الحسد
الى من طلب الدنيا وضرتها وما زاغ البصر الى شيء دون جناب القدس وخاطبهم قل
للمخلفين من الاعراب كرر هذا الاسم لشناعة تعيير التسامعين ستدعون الى قوم
اولي بأس شديد يختبر ايمانكم قيل هم هوازن وثقيف قاتلهم رسول الله بعد الفتح وقيل
فارس والروم وعن الضحاك هم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب قاتلهم خالد بن الوليد
في خلافة الصديق تقاتلونهم او يسلمون مستأنف وليس بصفة قوم لانهم دعوا
الى قتال قوم لا الى قتال قوم موصوفين بالمقاتلة والايراد بانه لا بد من تأويله باو
اذ قد يتركوا سدى او يهديهم غير قادح اذ الكلام في قوم مخصوصين وقد رفع الاتفاق
على اي تقدير فتشير العموم اما ايمانا او جزية او للتنويع والحصر اذ لا ثالث فان تطيعوا
يؤتكم الله اجرا حسنا الغنيمة في الدنيا والجنة في العقبى وان تتولوا كما توليتم
من قبل عن الحديبية يعذبكم عذابا اليما ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج
استثنى المعذورين من المخلفين ووعيدهم ومن يطع الله ورسوله كما سبق
يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا اليما قرأ نافع وابن
عامر ندخله ونعذبه وهو ابلغ ترغيبا وترهيبا لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك
تحت الشجرة هي السمرة نوع من شجر الطلح عن سعيد بن المسيب ان اباه اخبره انهم
خرجوا في العام القابل فنسوها فلم يظفروا بها وكانت تلك حكمة من الله لئلا يبطل

لئلا يضل بها اقوام فعلم ما في قلوبهم من الاخلاص فانزل السكينة عليهم الطمأنينة
الى قول رسول الله قال عمر لما عاهد قريشا على ان يرد اليهم من جاء مسلما قلت الست
رسول الله حقا قال بلى قلت الست تعدنا ان نطوف بالبيت قال بلى قلت فلم نعطي
الدنية في ديننا قال اني رسول الله ولن يضيعني الله هل قلت لك انك تطوف بالبيت
في هذا العام قلت لا قال فانك آت وتطوف وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها
وكان الله عزيزا غالبا حكيما راعيا لحاجتكم واخلاقكم وعدكم الله مغانم كثيرة هي ما يفيء الله
على المؤمنين الى يوم القيمة تأخذونها ذكر الاخذ في الموضعين للدلالة على سهولة
الحصول فعجل لكم هذه غنائم خيبر كانت ارضا ذات عقار واموال فقسمها عليهم وكف ايدي
الناس عنكم اهل خيبر وحلفاؤهم اسد وغطفان جاؤا لنصرهم فقذف الله في قلوبهم
الرعب فنكصوا خائبين او اهل مكة بالحديبية حين سألوا الصلح ولتكون آية للمؤمنين
اي هذه الكفة ليعلموا انهم بمكان من الله وعين كالئة والعطف على علة محذوف قد
مثل لينفعكم بها او ولتكون الكفة آية للمؤمنين فعل ذلك ويهديكم صراطا مستقيما
اذا وجدتم وعد الله ورسوله صادقا ازددتم ايمانا وتفويضا اليه لانه العالم
بعواقب الامور واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها عن ابن عباس هي الفتوح
التي تفتح الى يوم القيمة اخرى مجرور برب او مرفوع على الابتداء قد احاط الله
الجملة خبره وقيل عطف على هذه والمراد بها غنيمة هوازن يوم حنين ومعنى لم تقدروا
عليها انهم انهزموا والمعنى غنمتم من غير حول وقوة وفي جعلها من الغنيمة المعجلة وهي
بعد فتح مكة بعد وقيل فتح مكة وهذا ابعد اذ لم يكن فيها غنيمة سواء قلنا فتحت
صلحا او عنوة وعن ابن عباس في ليلى انها الروم والفرس وكان الله على كل شيء قديرا
لا تفاوت نسبة الممكنات الى قدرته ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم
لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله مصدر مؤكد اي سن غلبة انبيائه التي
قد خلت من قبل في الامم الماضية ولن تجد لسنة الله تبديلا تغييرا كتب الله
لاغلبن انا ورسلي تشجيع لهم ليثبتوا في مواطن الحرب بعد ان علموا ذلك وهو الذي
كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة روى انس بن مالك ان ثمانين رجلا من
المشركين نزلوا من جبل التنعيم يوم الحديبية يريدون غرة رسول الله فاخذهم المسلمون
واتوا بهم رسول الله فقال هل نزلتم على عهد احد من اصحابي قالوا لا وكذا عن سلمة
بن الاكوع وعكرمة مولى ابن عباس الا ان في رواية سلمة سبعين وفي رواية عكرمة
اربعين فعفا عنهم وقال دعوهم يكن بدء الفجور منهم وثناؤه وقيل ان عكرمة بن ابي
جهل خرج في خمسمائة فارس يريد قتال رسول الله فارسل اليه خالد بن الوليد فهزمه
حتى ادخله حيطان مكة وفيه ان خالدا لم يكن اسلم يوم الحديبية بل كان طليعة
للمشركين كما رواه البخاري وقيل كان ذلك يوم الفتح مع رسول الله وباسناد احمد

ان مكة فتحت عنوة ولا يستقيم اذ لم يكن يوم الفتح مع رسول الله هدي بل جاء في جيش كثيف
محاربا من بعد ان اظفركم عليهم وكان الله بما تعملون من اعمال البر ومحاسن الاخلاق
بصيرا لا يخفى عليه وقرأ ابو عمرو يعملون بياء الغيبة والخطاب اوجه لان الكلام
في مناقب المؤمنين هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان
يبلغ محله الهدي ما يهدى الى الكعبة من الانعام معكوفا محبوسا عن البلوغ الى محله
المعهود وهو منى لقوله صلى الله عليه وسلم نحرت هنا ومنى كله منحر واستدل به الشافعي
رحمه الله على ان المحصر ينحر حيث احصر كما فعله رسول الله بالحديبية وقال ابو حنيفة
رحمه الله يبعثه الى الحرم لان الاراقة قربة فلا يقع موقعها الا في زمان ومكان معين
الشارع وقد قال رسول الله فجاج مكة كلها منحر وكان مضارب رسول الله في الحل ومصلاه
في الحرم فدل على انه نحرها في الحرم ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم
ان تطؤهم اي تهلكوهم وتستأصلوهم اصله الدوس بالقدم عبر به عن الاهلاك
لان من وطئ برجله على شيء فقد استقصى في هلاكه قال الشعر ووطئتنا وطأ على
حنق وطأ المقيد نابت الهرم وفي حديث خولة بنت حكيم انه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم آخر وطأة وطأها الله بوج فتصيبكم منهم معرة بغير علم مشقة وكراهة
من العرو ذلك انهم لو قاتلوا بقتل من بمكة من المستضعفين وكانت تجب بقتلهم الدية
والكفارة ولا تسلع المشركون ان محمدا قتل من آمن به في الحرم والجار والمجرور متعلق
بان تطؤهم على انه حال من ضمير المخاطبين ولا تكرار سواء جعل ان تطؤهم بدل اشتمال
من رجال ونساء او من المنصوب في لم تعلموهم لانه عدم العلم في الاول بالايمان وفي الثاني
بالاهلاك وجواب لو محذوف دل عليه الكلام وفي حذفه اشارة الى شدة غضب الله
اي لولا حق المؤمنين ومكانهم عند الله لاوقع بمن صدكم عن بيته ما لا يدخل تحت الوصف
ليدخل الله في رحمته من يشاء كان ذلك الكف وذلك بان يسلم المؤمنين من القتل ويدخل
في الاسلام من وفقه لمن كان مشركا لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا
اليما لو تفرقوا وامتاز بعضهم عن بعض من زال يزيل كما ذ بميز لفظا ومعنى ومنه
قوله تعالى فزيلنا بينهم وجوز ان يكون لو تزيلوا تكرارا لقوله لولا رجال مؤمنون
لان مآل المعنى واحد ويكون لعذبنا هو الجواب اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية
ظرف لعذبنا او صدوكم او نصب باذكر حمية الجاهلية التعصب الباطل لا الحمية
الاسلام من المحافظة على حرمات الله فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين
اي الوقار والطمانينة وقد تقدم ما كان من عمر واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الامتناع عن نحر الهدي ولما كتب على كتاب الصلح بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قضى
عليه محمد رسول الله اهل مكة فقال سهيل بن عمرو اما الرحمن فلا نعرفه اكتب باسمك
اللهم ولو عرفناك انك رسول الله ما قاتلناك اكتب محمد بن عبد الله فقال لعلي

لعلي امح رسول الله قال والله لا امحاه ابدا فاخذ منه ومحاه وكتب محمد بن عبد الله
والزمهم كلمة التقوى الوفاء بالعهد وذلك انه لما وصل الى الحديبية بركت
ناقته فقالوا خلأت القصوى فقال والله ما خلأت وليس ذا لها بخلق ولكن
حبسها حابس الفيل والله لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله الا اعطيتهم
فكل ذلك كان وفاء بما عاهد الله عليه وقيل كلمة الشهادة وقيل بسم الله الرحمن
الرحيم اختارها الله للمؤمنين وان ابى المشركون والاضافة الى التقوى لانها سببها
وكانوا احق بها واولى من غيرهم لا من غيرها كما توهم واهلها وستأهلها وكان
الله بكل شيء عليما علم استحقاقهم لها وانهم اهل للهداية لقد صدق الله رسوله
الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام رأى رسول الله قبل الحديبية في المنام انه
دخل هو واصحابه المسجد الحرام وطافوا وحلقوا وقصروا فقصها على اصحابه
ففرحوا بذلك وايقنوا ان يكون ذلك في تلك السنة فلما كان من امر الصلح ما كان
تغيرت خواطرهم ووسوس اليهم الشيطان حتى قال عمر ما قال واجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بما اجاب فانزل الله ان ذلك المنام حق ولا بد من وقوعه على الوجه الذي رآه وما
قيل ان عبد الله بن ابي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث قالوا والله ما حلقنا
وما قصرنا ولا آتينا المسجد الحرام لا يستقيم لانه لم يكن معه في الحديبية منافق الا
صاحب الجمل الاحمر كما تقدم بالحق صفة مصدر اي صدقا ملتبسا بالحق اي الحكمة
البالغة من الابتلاء او حال من الرؤيا اي لم تكن من اضغاث الاحلام او قسم اما باسم
تعالى او بنقيض الباطل وقوله لتدخلن المسجد الحرام جوابه وعلى الاولين جواب قسم
محذوف ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين كما رآه رسول الله من غير
تبدل ولا نقصان والتقييد بالمشيئة تعليم للعباد في العزم على المترقب واشارة الى
ان ذلك بمجرد مشيئته تعالى لا بجلادتهم او هو حكاية بما قاله ملك الرؤيا او رسول
الله حين قص الرؤيا وقيل المعنى باسركم ان لم يمت منكم احد او يغب ورد عليه
ان علمه تعالى بنا في ذلك لا تخافون اي بعد الدخول حال مقيدة لان الاحوال المتقدمة
احوال مقدرة فعلم ما لم تعلموا من الحكمة الفاء للتعقيب في الذكر فجعل من دون
ذلك فتحا قريبا صلح الحديبية لما تقدم ان عمر رضي الله عنه قال او فتح ذلك قال
اي والذي نفسي بيده وقيل فتح خيبر هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق
ملتبسا بالهداية ودين الله الذي ارتضاه لنا او والدين الحق اضيف اليه مبالغة
كرجل صدق ليظهره على الدين كله يجعله غالبا بحيث لا يبقى لتلك الاديان بقاء
واذا كان عناية الله معه في هذه الرتبة فكيف يستبعدون فتح مكة ودخول
المسجد الحرام آمنين وكفى بالله شهيدا على نفسه في انجاز هذه المواعيد محمد رسول
الله صرح باسمه العلم دفعا لتوهم عزه من لفظ الرسول اي ذلك الرسول الموصوف

محمد ورسوله الله عطف بيان ولا يكون تركيب ابلغ منه ويجوز ان يكون مبتداء ورسول
الله خبره والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم وصفهم بكمال الرجولية
والحكمة حيث وضعوا كل شيء موضعه وفي الحديث المؤمنون في توادهم وتراحمهم
كالجسد الواحد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ولما مشى
ابو دجانة الى القتال يتبختر فنظر اليه الناس وهو يختال في مشيته قال رسول الله
هذه مشية يكرهها الله الا في هذا الموطن تريهم ركعا سجدا هذه معاملتهم مع
الله وتلك معاملتهم مع الناس يبتغون فضلا من الله ورضوانا الثواب والرضاء
الذي هو اعلى المطالب وفيه تعريض بالمنافقين الذين يراؤن الناس سيماهم في
وجوههم من اثر السجود السيما العلامة من السومة والياء بدل من الواو ومن بيانه
اي سيماهم التي هي اثر السجود وقد روى ابن ماجه باسناده من صلى بالليل حسن
وجهه بالنهار والمراد اشار صلى الله عليه وسلم في قوله الصلوة نور ولذلك ترى
تارك الصلوة على وجهه ظلام ولو فعل من البر ما فعل وعن منصور سالت مجاهدا
فقال هو الخشوع فقلت ما ارى الا الاثر في الوجه فقال ربما كان ذلك بين عيني
من هو اقسى قلبا من فرعون ذلك الوصف العجيب مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل
الكتابين اللذين لم ينزل قبل القران اعظم منهما ثم ابتداء فقال كزرع اي هم كزرع
وقيل تم الكلام في قوله مثلهم في التورية ثم ابتداء بقوله ومثلهم في الانجيل
كزرع اخرج شطاه فرخه والجمع اشطاء ما يخرج حول السنبلة من الفروع وقرأ ابن
كثير وابن عامر في رواية ابن ذكوان بفتح الطاء لغة منه فآزره قواه واعانه
من الازر او من المؤازرة وقرأ ابن ذكوان فازره كنصره لغة والمد اشهر واكد ٥
فاستغلظ صار من الدقة الى الغلظ او استحكم غلظه فاستوى على سوقه على
قصبه جمع مبالغة في استحكامه وقرأ ابن كثير في رواية قنبل بالهمز على ان مفرده
مهموز كالكاس يعجب الزراع بقوته وحسن منظره اي مثل محمد في قيامه وحده
في مكة ودعواه الرسالة ثم تايده بالصحابة كسنبلة هذا نباتها ليغيظ بهم الكفار
تعليل لما دل عليه الكلام اي كونهم بهذه الصفة يغيظ الكفار وشبه خلقهم او لقوله
وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما من بيانية كقوله
واجتنبوا الرجس من الاوثان تمت والحمد لله اولا واخرا والصلوة على من عليه الابلاغ
صلت سورة الحجرات مدنية وهي ثمانية عشر اية بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين
امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله التقديم جعل الشيء متقدما فاما ان يجعل
مفعوله محذوفا او ليذهب النفس كل مذهب او نسيا كيحيي ويميت وجاء بمعنى تقدم ومنه
مقدمة الجيش والاول ابلغ واشهر يقال فلان بين يدي زيد اذا كان قدامه وبين
الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله وذكرهما مع الله على سنن المجاز المسمى تمثيلا وفيه

وفيه تصوير لشناعة ما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا بامر ديني ولا تحكموا به من دون
اذن الله ورسوله فيه والاولى ان يجعل ذكر الله توطية من قبيل اعجبني زيد وكرمه
لان الكلام مسوق لاجلاله رسول الله وفي ذلك من قوة الاختصاص والمكانة ما لا
يخفى وهو الموافق لقوله تعالى فما اتيكم الرسول فخذوه ثم اذا علم شان التقديم بين
يديه علم شان التقديم بين يدي الله من باب الاولى واتقوا الله فان التقوى ملاك
الامر ومن تمسك بها جاز كل ادب وجانب كل شبهة وريب ان الله سميع لاقوالكم
عليم بنياتكم وضمائركم يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي
اذ من كان مقامه ومكانته عند الله من القرب والحظوة ما تقدم كان خفض الصوت
والتخافت بالكلام بين يديه ادنى ما يجب له من التوقير والاجلال ولذلك اعاد النداء
حثا على الاستبصار وايقاظا عن سنة الغفلة تذكيرا واعتبارا روى البخاري باسناده
الى ابن ابي مليكة قال كاد الخيران ان يهلكا ابو بكر وعمر رفعا اصواتهما عند رسول الله
لما قدم عليه ركب بني تميم اشار الصديق بان يؤمر القعقاع بن معبد عليهم واشار
الفاروق الى الاقرع بن حابس فارتفعت في ذلك اصواتهما فنزلت فقال ابو بكر والله
لا اكلمك بعد هذا الا كاخي السرار وكان عمر اذا خاطب رسول الله لا يسمعه حتى يستفهمه
ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض فضلا عن رفع الصوت فوق صوته ان تحبط
اعمالكم فان الاستخفاف به كفر محبط للعمل والمعنى انتهوا عن ذلك خشية من حبوط
العمل على ان المنهي معلل والفعل لاجل الحبوط منهي على ان المعلل منهي لانه لما ادى
اليه فكانه فعل لاجله ولما نزلت افتقد رسول الله ثابت بن قيس الانصاري فذهب
اليه عاصم بن عدي فوجده يبكي في بيته فاخبر بذلك رسول الله فدعاه فقال ما
يبكيك يا ثابت فقال قد خشيت ان يكون قد حبط عملي وكان جهوري الصوت فقال
لست هناك تعيش حميدا وتموت شهيدا قال انس لما كان يوم قتال مسيلمة الكذاب
تحنط ولبس كفنه فقاتل حتى قتل في كفنه وانتم لا تشعرون بذلك وعنه صلى الله
عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا تكتب له بها الجنة وان
الرجل ليتكلم بكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في النار ابعد ما بين السماء والارض
ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله يخفضونها كل شيء كففته فقد غضضته
اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اي علم انها اقوياء على احتمال التكاليف
والمشاق لان الامتحان سبب المعرفة والجار والمجرور حال اي كائنة للتقوى خليقة
بها كقولك انت لهذا الامر اي مختص به لا يتجاوزك او ضربها بانواع المحن ليظهر تقواها
لان حقيقة التقوى لا تعلم الا عند الابتلاء او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذابه
وخلص ابريزه وعن عمر اذهب شهواتها ثم في جعل اسم ان المؤكدة موصولا مشيرا
بصلته الى وجه بناء الخبر وتعريفه والاتيان باسم الاشارة والاتيان باللام لل

الاختصاص والاستيناف في لهم وابهام الجزاء وتنكيره في مغفرة واجر عظيم احماد و
ارتضاء لمن تأدب بهذا الأدب وسلك مع رسوله سبيل التوقير والاجلال وتعريض
باضدادهم نزلت في الشخصين ايضا ان الذين ينادونك من وراء الحجرات ناس من
بني تميم مقدمهم الاقرع بن حابس نادوه باسمه وهو في حرمه الحجرات بيوت ازواجه
جمع حجرة فعلة بمعنى المفعول من الحجر وهو المنع والوراء وان كان حقيقة في الخلف
والقدام الا انهما لم يراد بخصوصهما لان مساط الانكار نداؤه على الوجه المذكور
في اي جهة كان والجمع لانها كانت متصلة فالمنادي من وراء احدها مناد من وراء
الكل او تفرقوا فيها او على التعاقب وانما علم انه كان داخل الحجرات من زيادة
من لان الاتيان يختلف المبداء والمنتهى اكثرهم لا يعقلون اي كلهم واطلاق القلة
على النفي والعدم غير عزيز او يكون فيهم من لم ينص ذلك ولو انهم صبروا حتى
تخرج اليهم لكان خيرا لهم في الدنيا لان الآداب مغناطيس القلوب والآخرة فان
توقيرك من اجل الطاعات والقربات وفي التقييد باليهم اشارة الى ان خروجه
لو لم يكن اليهم بل لامر آخر لم يكن لهم ان ينادوه بالخطاب فضلا عن ندائه على ذلك
الوجه والله غفور رحيم وآثر الغفران والرحمة ترغيبا لهم في التوبة ولما ارشدهم
الى طريق السلوك معه وشيد اركان اجلاله بما لا مزيد عليه شرع يبين معاملة
المؤمنين بعضهم مع بعض بقوله يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا
نزلت في الوليد بن عقبة بن ابي معيط ارسله رسول الله الى بني المصطلق ليأخذ صدقاتهم
فاستقبلوه اكراما له لانه رسول رسول الله وكان بينه وبينهم مشاحنة فظن انهم مقاتلوه
فكر راجعا واخبر انهم منعوا الزكوة واراد قتله فبعث اليهم بعثا فلما كانوا با
الطريق رأوا الحرث بن ضرار وهو ابو ميمونة زوجة رسول الله مع قومه فسألوا
البعث فقالوا جئناك مقاتلين اردت قتل الوليد ومنعت الزكوة فقال معاذ الله
فورد على قومه الى رسول الله وحلف له فنزلت وروي انه بعث بعد الوليد خالدا
فرآهم مواظبين على الطاعات فانكر بصدقاتهم وقصد بتنكير فاسق ونبإ العموم
اي اي فاسق كان باي نبإ كان فان النكرة في الشرط تعم والفسق الخروج عن الطاعة
باتيان الكبيرة والاصرار على الصغيرة وفي تركيب هذه الحروف معنى الخروج كيف ركبت
وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا بالثاء وقراءة الباء اوفق لانه المقصود من التثبت
ولما روي انه قال بعد نزولها الاناة التبين من الله فتبينوا وفيه دلالة على رد
خبر الفاسق وقبول خبر العدل ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم
نادمين كراهة اصابتكم قوما بمكروه وهم براء عن موجبه حال كونكم جاهلين
بحقيقة الحال فتصيروا ذوي ندم وهو الغم اللازم اما لفوته او لعدم عقبته موجبه
او لكثرة تذكره كالتائب الصادق في توبته وتركيب الحروف يدل على الدوام ومنه

ومنه التنديم والمنادمة والادمان واعلموا ان فيكم رسول الله لئن عليهم ما فرط من
الوليد وما كان من بعض المؤمنين من حث رسول الله على الايقاع ببني المصطلق قبل
التثبت وتركهم منزلة من لم يعلم انه بين اظهرهم هنا وقد تقدم لهم النهي
عن التقديم بين يدي الله ورسوله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم نصب على
الحال من المستكن في الفعل او البارز المجرور او هو فيكم على حاله يجب تغييرها
وهي ارادتكم استتباع رأيه لما يظهر لكم في كثير من الامور وذلك مما يوقعكم
في المشقة وفي ايثار لو اشارة الى ان ما اراد وحقه ان يكون مفروضا كا
المستحيل واتي بالمضارع تصوير الاستهجان ما كانوا عليه من ارادة الاستمرار
فيما حقه ان يكون مفروضا وبالعنت الذي هو الكسر بعد الجبر الى اشد المحذور
مع الرمز الى انه ليس باقل بادرة منهم وتعميم الخطاب ليكون تعريضا وهو ادع
لمرتكبه وازجر لغيره فان قلت اذا نزلوا منزلة الجاهل كان قوله واعلموا ان
فيكم رسول الله كلاما مفيدا وكان الاستيناف في لو يطيعكم ظاهرا كان قائلا
قال ماذا فعلوا حتى نسبوا الى ذلك التفريط ويجاب بانهم يريدون ما يوقعهم
في العنت بسبب استتباع من يخطئ على الجزم في الكمال وتنقصا له التمسوا دون
رأيه لدى الظهيرة قبل الزوال قلت ذلك وجه حسن لولا ارتباط الكلام بما
تقدم من شان الوليد ومبادرة البعض الى تصديقه وحث رسول الله على الايقاع
فيفوت التعريض وينفك النظام ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم
وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان استدراك ببيان عذرهم وهو ان فرط
حبهم للايمان وكراهتهم الكفر وما يخالف طاعة الله ورسوله حملهم على ذلك
او بصفة من لم يفعل ذلك منهم احمادا لهم وذما لغيره تعريضا اولئك هم الراشدون
يؤيد الثاني والكفر عدم الايمان والفسوق الكبائر والعصيان الصغائر وكل ما
انكره الشرع والرشد الاستقامة على الحق من الرشادة وهي الصخرة فضلا من الله
ونعمة متحدان ذاتا الاول باالنظر الى المنعم والثاني الى المنعم عليه ونصبه
على المصدر لان الرشد فضل او مفعول له لمقدر اعني جرى ذلك فضلا او لحبب
وما عطف عليه واولئك هم الراشدون اعتراض او للراشدين لان الرشد لما كان
بتوفيقه فكانه فعله ولا يخلو عن تعسف والله عليم باحوال الناس حكيم يتفضل
وينعم على من اقتضت حكمته وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الجمع باعتبار المعنى
فان كل طائفة جمع وايثار ان مع كثرة الاقتتال اشارة الى ان الايمان خليق
بان لا يوجد معه الاقتتال الا نادرا فاصلحوا بينهما بين الطائفتين فان بغت
احديهما على الاخرى تعدت فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله ترجع الى حكمه
وايثار المضارع لان المقاتلة باعتبار البغي الحادث فان فاءت رجعت فاصلحوا

بينهما بالعدل قيد بالعدل دون الاول لانه مظنة الحيف من حيث انه بعد المقاتلة والاشارة الى ان الباغي بعد الفيء حكمه حكم العادل والتائب من الذنب كمن لا ذنب له لا سيما وكانت لهم شبهة واقسطوا في سائر
الامور وتأكيد للاصلاح بالعدل ان الله يحب المقسطين يجيبهم على فعلهم
وفي الحديث المقسطون على منابر من نور يوم القيمة يقال قسط ظلم مصدره
القسط بالفتح واقسط ازال القسط من القسط بالكسر العدل نزلت في الاوس
والخزرج ركب رسول الله حمارا يعود سعد بن عبادة فمر على مجلس فيه الانصار
وابن ابي المنافق فاخذ بانفه وقال لا تؤذنا بنتن حمارك فقال عبد الله بن
رواحة ان حماره اطيب ريحا منك فوقع بين الطائفتين القتال بالايدي و
النعال انما المؤمنون اخوة في الدين الحصر اهتماما بشأنها واشارة الى ان
مع الايمان زالت الاجنبية وهي اشرف من اخوة النسب لانقطاع الانساب يوم
القيمة واخوة الدين باقية ابدا صافية لا كدر فيها بخلاف اخوة النسب اذ قل
ما تخلو عن كدورة ومجانبة فاصلحوا بين اخويكم ان وقع بينهما شنآن وايثار المثنى
لان اكثر ما يكون بين الاثنين ولانه اذا وجب الاصلاح بينهما ففي الاكثر اوجب
والزم واتقوا الله في مجامع اموركم او في ترك الاصلاح بين الاخوين فانه كثيرا
ما يتساهل فيه لعلكم ترحمون حال كونكم راجين رحمة الله يا ايها الذين امنوا
لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن
خيرا منهن القوم الرجال خاصة ولذا قوبل بالنساء ولانهم قوامون على النساء
ولقول زهير اقوم آل حصن ام نساء وقوم نوح ونظائره تغليب او لانهن توابع
مصدر في الاصل لقولهم اذا اكلت احببت قوما وابغضت قوما اي قياما او جمع
قائم كزور في زائر والتنكير لارادة البعض او الشيوع ولم يقتصر على التوحيد لان
السخرية اكثر ما يكون في المحافل والراجح فيها كالناصح ولم يعطف عسى بالفاء لكونها
مستأنفا جوابا عن سؤال الموجب للنهي ولا تلمزوا انفسكم اي لا يعب بعضكم بعضا
لان المؤمنين كنفس واحدة كقوله ولا تقتلوا انفسكم او ولا تفعلوا ما تلمزون بسببه
كقوله صلى الله عليه وسلم لا يسبن احدكم اباه قالوا وهل يسب احد اباه قال نعم يسب
ابا احد فيسب اباه واللمز في الاصل الاشارة بالعين شاع في القول كالهمز في الفعل
ولا تنابزوا بالالقاب التنابز التداعي باللقب والمراد به ما يسوء الانسان وفي
الحديث على المؤمن ان يدعو اخاه باحب اسمائه وقد غير رسول الله كثيرا من الاسماء
بئس الاسم الفسوق بعد الايمان المراد بالاسم الذكر يقال طار اسمه في الافاق اي
ذكره والفسوق مصدر فتح المحل والمعوذ ثم الاجتماع فان الايمان يابى ذلك كما تقول
بئست الصبوة بعد الكبر او ذكر المرء بالفسوق بعدما اتصف بضده كما لو قيل لمن اسلم
من اليهود ما يهودي وبئس الاسم الفسوق بدل الايمان تغليظا كانه بذلك يخرج عن

يخرج عن الايمان والاية نزلت في الانصار كانوا يتنابزون بالالقاب رواه ابو
داود وقيل في نساء النبي ع عيرن زينب الهلالية بالقصر او صفية شكت الى
رسول الله ان نساءك يقلن لي يا يهودية بنت اليهوديين فقال هلا قلت ان ابي هرون
نبي وعمي موسى نبي وانا زوجة نبي ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون الكاملون
في الظلم لاستمرارهم على الباطل بعد العلم به يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا
من الظن اي كونوا في جانب منه ونكر كثيرا ليكون محترزا على اي ظن كان الا بعد
التأمل ولو عرفه لكان المنهي عنه الظن الموصوف بالكثرة ان بعض الظن
اثم الاثم ذنب يوجب العقاب من الوثم وهو الكسر الهمزة بدل من الواو وعن مالك
عن ابي هريرة عن رسول الله اياكم والظن فانه اكذب الحديث وعن عمر رضي الله عنه
لا تظن بكلمة تسمعها من اخيك سوءا وانت تجد لها محملا ولا تجسسوا ولا
تفتشوا على عورات المؤمنين المسلمين من الجس وهو الاختبار باليد شاع في الشر كما
التحسس بالحاء في الخير كقوله فتحسسوا من يوسف واخيه وعن عقبة بن مسعود ان
رسول الله قال من ستر على مسلم عورته فكانما احيا موؤودة من قبرها ولا يغتب بعضكم
بعضا الغيبة ذكر المسلم بما كان فيه مما يكرهه وان لم يكن فيه فبهتان وعن
عائشة رض ذكرت صفية عند رسول الله بالقصر فقال لقد قلت كلمة لو مزجت
بالبحر مزجته وعنه عرض المؤمن كدمه الا اذا كان المغتاب مجاهرا بالفسق كما روي
عن الحسن لما مات الحجاج قال اللهم امته فاقطع سنته اخيفش اعيمش لا من الله يتقي
ولا من الناس يستحيي او احتيج اليه للجرح او استشير فيه وما لم يبلغ المغتاب اذا تيب
عنه سقط الاثم ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا تصوير وتمثيل لما يناله
المغتاب من عرض اخيه على افحش وجه بابلغ طرق استفهام التقرير الذي لا يكون
الا في كل مسلم عند كل سامع وجعل اكره الاشياء محبوبا وتخصيص لحم الانسان الذي
تنفر منه الطباع حال كونه ميتا من غير زكوة وكون ذلك من اخيه واسناد الفعل
الى احد دلالة على ان احدا من الاحاد لا يرضى بذلك وقراءة نافع مشددا فكرهتموه
لا محالة انتم قابلون به فقدمتم الالتزام والفاء فصيحة مثل فقد جئنا
خراسانا وعن ابي هريرة لما رجم ماعز فقال رجلان قد ستر الله عليه فلم يستر على
نفسه حتى رجم رجم الكلب فسار رسول الله م وسرنا معه حتى مر بجيفة حمار فقال
اين فلان وفلان فقالا ها نحن يا رسول الله فقال انزلا فكلا من لحم هذا الحمار فقالا
يغفر الله لك يا رسول الله وهل يؤكل لحم هذا فقال ما نلتما من عرض اخيكما اشد
من هذا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة
فنام يوما عن شأنه فبعثاه الى اسامة وكان على طعام رسول الله يطلب لهما اداما
فقال عندي شيء فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فانطلقا الى رسول

الله فقال انى ارى خضرة اللحم فى افواهكما قالا ما اصبنا طعاما منذ نزلنا قال قد اغتبتما سلمان وفى لفظ الخضرة زيادة تهجين لانه من خواص لحم الجيفة فنزلت وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ شديدا لاعتناء بقبول التوبة وافر الرحمة بعد الاسراف دهرا طويلا اذا تاب قبل الغرغرة بلحظة يبدل لمعاصيه طاعات يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ادم وحواء وكلا منكم من اب وام فلا وجه للتفاخر وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ للعرب فى الانساب مصطلح حصرها و فى ست مراتب الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة على هذا الترتيب اعلاها الشعب فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة و قصى بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة لِتَعَارَفُوا الانساب فلا يعتزى احد الى غير ابيه وسهل نقل الاخبار فلان بن فلان ورعاية الاصول فى صلة الارحام ومراعاة الاكفاء فى الازواج وتحمل الدية إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ لا دخل للانساب فى امر الاخرة من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه روى البخارى باسناده الى ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن اكرم الناس عند الله قال اتقاهم وعنه لا فضل لاحد على احد الا بالتقوى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ يعلم حقيقة التقوى يحذر عن شوب الرياء بعد حصر الكرامة فيها قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا لما ذكر ان ملاك الامر هو التقوى اشار الى ما به قوامه وهو الايمان الذى لا يعتد بعمل دونه وساق الكلام لهذا الغرض مساقا بديعا حيث ادمجه فى غرض آخر وهو توبيخ من زعم انه احاط بهذا المطلب الشريف وهو عنه بمراحل ولم يصرح بتكذيبهم لئلا يقلبوا اخما بقهم ويلبسوا جلد النمر ولم يرشد المنزل عليه فى سلوك هذا المنهج مع الجاهلين وكون احدى الجملتين خبرية والاخرى انشائية ونفى الايمان ومقابلة اثبات الاسلام دون الامر به لا يقدح فى الغرض بعد وجود المطابقة المعنوية مع ما فيها من الفوائد الزوائد وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ فى موقع الحال من واو قولوا اى قولوا اسلمنا والحال ان الايمان غير داخل محله وكون لما للتوقع لا يستلزم وقوع ما دخله وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا لا ينقصكم من لاته نقصه ومنه الحمد لله الذى لا يفات ولا يلات لغة اسد والحجاز وقرأ ابو عمرو وفى رواية الدورى يألتكم من ألت السلطان حقه وهى لغة غطفان إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لما فرط منكم من الدعوى المجردة رَحِيمٌ حيث ارشدكم الى طريق الصواب إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا فى هذا الحصر تعريض وكشف عن حقيقة الايمان ومعنى ثم انهم استمروا على ذلك ولم يعترهم ما ينافى الايمان من الارتياب بل هم على ثلج الصدر دوام حياتهم او هو من عطف

من عطف جبريل على الملائكة وايثار ثم للدلالة على ان ثباتهم فى الايمان على الترقى والازدياد اما فى الكمال او فى الاصل الايقان عند القائل بالزيادة والنقصان ومن لم يقل به فبانضمام العيان الى البيان وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يشمل سائر العبادات لانها اما مالية او بدنية او مركبة ثم اما ان يسوى مجاهدا كالشيطان والهوى او يكون فاعل بمعنى فعل جئ به على صيغة المبالغة ليكون ابلغ واقوى وفى تأخيره الانفس رعاية الترقى أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ اى الذين لم يكذبوا او الذين ايمانهم ايمان صدق وثبات على ان الصدق شامل للقول والفعل والعقد وعلى الوجهين تعريض بالاعراب والثانى احسن واوفق بقوله لم تؤمنوا لانه فى المعنى كذبتم قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ توبيخ لهم على تلك الدعوى المجردة اى هب ان دعويكم اشتبهت علينا لان الايمان محله خفى فكيف شأنكم مع الله تعلمونه ما لا يعلم وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ اعاد لفظ الجلالة مبالغة فى احاطة علمه لاقتضاء الالوهية ذلك ودل على ان خارج السموات والارض اشياء لا يحيط بها الا علمه يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا اى ذلك الايمان الذى ليس شيئا وراء الاسلام الذى هو الانقياد يمنون عليك به قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ باسلامكم على نزع الخافض وفى اضافته اليهم اشارة الى خساسته وانه شئ يليق بامثالهم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ ذلكم على ما هو ايمان حقيقة ولم يضفه اليهم لعدم الملابسة ولذلك اكده بقوله إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ دلالة على ان ذلك كذب واختلاق والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يطلع على ما يخفى عليك ويفيض من المعارف والحكم ما ليس لك اليه سبيل وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ عيان عنده سركم وعلانيتكم وقرأ ابن كثير يعملون بياء الغيبة مسندا الى الضمير الماتى تمت سورة الحجرات والحمد لخالق الارض والسموات والصلوة على المبعوث باهر المعجزات وآله وصحبه ذوى المكارم واولى الكرامات

سورة قاف مكية خمس واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

ق حرف الهجاء او اسم السورة مقسم به والجواب محذوف اى الآتى به لصادق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ عطف على القسم او قسم والمجد الشرف المتسع من مجدت الابل اذا رعيتها فى مرعى واسع فهو ابلغ من قوله ذى الذكر ولذلك عقبه بقوله بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ انكار لتعجبهم دلالة على جهلهم لان التعجب يكون من شئ يخفى سببه وكونه مجيدا اما لانافته على سائر الكتب او وصف بنعت منزله او لان من احاط به علما مجد فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ فى اضمار ذكرهم ثم اظهاره اشارة الى ان اقدامهم على هذا القول ناش من الكفر وهذا اشارة الى الرجع الدال عليه الانذار أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا مستأنف لبيان موجب تعجبهم وعولوا على المنذر به دون التعرض

للمنذر لانه ادخل في الانكار لاستقصارهم القدرة بخلاف كون واحد منهم رسولا فانه
مجرد استبعاد ذلك رجع بعيد من كلامه تعالى مقصد رد معنى المفعول لتخطية امرهم في المناظرة
اي رجوع كلامهم وتحصل جوابهم بعيد عن الصواب لكون ما انكروه اهون مما يشاهدونه
لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ويجوز ان يكون من كلامهم وذلك اشارة
الى اذا متنا والناصب لاذا البعث الدال عليه قد علمنا ما تنقص الارض منهم ما تاكل
من اجسادهم والقدرة على الانشاء مسلمة عندهم فالانكار اذا وعندنا كتاب
حفيظ ضابط للحوادث ما كان وما يكون فلو فرض خروج شيء من علمنا بنا على جهلهم
لم يخرج من ذلك الكتاب المحفوظ عن التبدل وفيه كما بدانا اول خلق نعيده وعدا
علينا بل كذبوا بالحق لما جاءهم بالنبوة راسا فان انكارها انكار المنبا به الذي
البعث وما يتبعه من جزئياته او الاخبار بالبعث فان التكذيب به اسوء من التعجب منه
او القرآن فان قوله بل عجبوا اضراب عن حديث القرآن ومجده وما يدل عليه اعجازه من
صدق من اتى به فانكار حقيته ادخل في الانكار من انكار ما يلزم منه من النبوة والبعث
وعلى كل تقدير الاضراب الثاني ابلغ ذما لهم من الاول فهم في امر مريج مختلط تارة
يسمون المويد بالمعجز الباهر ساحرا وتارة شاعرا او المعجز ذلك من حراقتهم افلم ينظروا
الى السماء فوقهم كيف بنيناها من غير سبق مثال فيدلهم ذلك التقريع على ان اعادة
امثالهم اهون شيء اي فلم ينظروا ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وزيناها بزينة
الكواكب وما لها من فروج فطور وفتوق بان خلقت ملساء ولا شك ان هذا الصنع
انفس من ذي خشونة وشام والارض مددناها بسطناها والقينا فيها رواسي
جبالا ثوابت شامخات اوتادا لها وانبتنا فيها من كل زوج بهيج من كل صنف يبتهج به
لحسنه ورونقه تبصرة وذكرى لكل عبد منيب راجع الى الله متفكر في بدائع صنعه
علتان للافعال المذكورة الاولى للراسخين والثانية للقاصرين ونزلنا من السماء
ماء مباركا كثير الخير والمنافع فانبتنا به جنات اشجارا ذوات ثمار وحب الحصيد
ما شانه ان يحصد مما يقتات واخره لفضله عند العرب فان اكثر ما يعيشهم الماء
والتمر ولذلك عقبه بقوله والنخل باسقات لها طلع نضيد بعد تناول الجنات
اياها الباسق الطويل والطلع ثمر النخل والنضيد المنضود اما لتراكمه لكثرته او لكثرة
ثمره رزقا للعباد علة للانبات ومصدر لان بمعناه واحيينا به بلدة ميتا ارضا
يابسة بايجاد النبات والنضارة فيها ولم يؤنثه باعتبار المكان والبلد كقوله
والبلد الطيب كذلك الخروج الخروج من القبور مثل ذلك على انه مبتدا والكاف
خبره وقيل عكسه والاول اظهر والثاني ابلغ كانه قال مثل هذا المحسوس الخروج الذي
يستحيلونه والمشار اليه خروج النبات لا الاحياء كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب
الرس قوم شعيب وثمود وعاد وفرعون اي قومه وانما ذكره دلالة على كونه السبب

السبب لتكذيبهم والداعي اليه فاستخف قومه فاطاعوه واخوان لوط اي قومه كقوله
واذكر اخا عاد والاختلاف للتفنن واصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل
اي كل فرد او كلهم وافراد الضمير باعتبار اللفظ فحق وعيد فحل بهم واستقر افعيينا
بالخلق الاول العي عدم الاهتداء الى وجه المطلوب فتضمن معنى الاعسار فعدي
بالباء والمعنى انهم معترفون بالاقتدار على الخلق الاول لا ينكرونه ومن اعترف
بذلك لزمه الاعتراف بالثاني بل هم في لبس من خلق جديد مستغرقون في الحيرة
لاجل ذلك انكروا وتنكير الخلق ووصفه بالجديد تنبيه على مكان شبهتهم الناشئة
من الوهم الحاكم باستحالة العظم الرميم انشاؤنا في احسن تقويم ولذلك قلع شأفة
شبهتهم بقوله ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ما تحدث به من
الهواجس وسوسة الحلي الصوت الخفي ومن علم بخفايا المعقولات هكذا فباجزاء الاجسام
اجلى من اصعبها ما يكون والقدرة قد شاهدوا اثارها في الافاق والانفس ويجوز
ان يكون ما مصدرية والباء للتعدية والمعنى ان النفس تجعل الانسان قائما به
الوسوسة فالانسان هو المحدث والوسوسة حديثه كقول لبيد واكذب النفس
اذا حدثتها ونحن اقرب اليه من حبل الوريد تمثيل لعلمه او من اطلاق السبب وارادة
المسبب لان القرب من الشيء سبب العلم به والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتي العنق
سميا بذلك لانهما يردان من الراس اولان الروح يرد فيهما واضافة الحبل اليه بيانية
كشجر الاراك او هو في الاصل للعاتق اضيف اليه للمجاورة اذ يتلقى المتلقيان عن
اليمين وعن الشمال قعيد اذ ظرف لاقرب وان لم يكن افعل التفضيل عاملا في
المظهر فاعلا او مفعولا للاتساع في الظرف والمعنى نحن اقرب من حبل الوريد في تلك
الحالة فليس توكيل الملكين لاستفادة علم بل لطفا بالانسان فانه اذا علم بذلك
وان عمله ملزم في عنقه يخرج له يوم القيمة كتابا يلقيه منشورا كان ازجر له
واكبح لعنانه الا ترى انه اذا ارتكب معصية يستتر من الناس مع علمه بان الله تعالى
يراه ولذلك كان ظلوما جهولا ويجوز تعلقه باذكر والقعيد بمعنى المقاعد كالجليس
بمعنى المجالس وحذف احدهما للدلالة الاخر عليه ما يلفظ من قول الا لديه رقيب
عتيد حافظ حاضر لا يفوته شيء وتخصيص القول مع ان المراقبة عامة لان السياق
في حديث الانسان نفسه ولفظ ما مع زيادة من يدلان على كتابه كل نقير وقم
قال الحسن وقتادة وعن ابن عباس ما كان من خير وشر وصاحب اليمين امين
على صاحب اليسار فاذا اذنب الانسان ذنبا لا يمكنه من كتابته الى سبع ساعات
لعله يستغفر وجاءت سكرة الموت بالحق بعدما اثبت ما انكروه من امر المعاد
بما دل على شمول علمه بالجزئيات واحاطة قدرته بالممكنات اشار الى هذا المنكر
لهم لاقوه عن قريب فخذوا حذركم والباء للتعدية كقولك جاء زيد بعمرو اي

احضرت الامر الذي بعثنا لرسل لاجله او حلية الحال من السعادة والشقاوة او من ان
كل نفس ذائقة الموت او للملابسة اي ملتبسة بحقيقة الامر وسكرة الموت شدته الذاهبة
بالعقل ذلك ما كنت منه تحيد اشارة الى الموت والخطاب للكافر لان الكلام معه و
في احواله وللانسان التفاتا والحيد الميل والنفرة وقيل الخطاب لرسول الله ص وفيه
فك النظم وركاكة المعنى ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد اي وقت ذلك يوم الوعيد
والاشارة الى مصدر نفخ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ملكان احدهما
يسوقه الى المحشر والاخر يشهد عليه او ملك واحد جامع للوصفين ومحل معها سائق
النصب على الحال من كل لكونه في معنى كل النفوس لقد كنت في غفلة من هذا مستغرقا
فيها لا ترى شيئا فكشفنا عنك غطاءك ازلنا الستار بينك وبين الحق فبصرك
اليوم حديد شديد الرؤية نافذ وقال قرينه الملك الموكل هذا ما لدي عتيد
صفة ما ان كانت موصوفة وبدل ان كانت موصولة وفيه ابدال النكرة من المعرفة
او خبر بعد خبر او خبر مبتداء محذوف اي هذا الذي من اعماله محفوظ عندي حاضر
بلا زيادة ولا نقصان او الشيطان الذي قيض له يقول هذا الذي في ملكي اعددته
لجهنم باغوائي واضلالي فيه قوله ربنا ما اطغيته لانه مثل قول ابليس وما كان لي
عليكم من سلطان بعد قوله ووعدتكم فاخلفتكم القيا في جهنم كل كفار عنيد
خطاب للسائق والشهيد فان كان واحدا فالالف بدل نون الخفيفة اجراء للوصل
مجرى الوقف كقول الحجاج يا حرسي اضربا عنقه او بتنزيل تثنية الفاعل لدلالته على
تعدده في قام الزيدان لما بينهما من شبه الاتحاد لفظا ومعنى كانه قيل الق الق
او لان العرب كثر في خطابها بلفظ المثنى خليلي صاحبي للعين ذلك فيحمل هذا على الاول
المؤول كقوله فان تزجراني يابن عفان انزجر وان تتركاني احم عرضا ممنعا
مناع للخير كثير المنع عن البر والمعروف والاسلام على ما روي انها نزلت في الوليد
لما منع بني اخيه عن الاسلام والوجه الاول لتناوله الاسلام لانه رأس الخير
معتد متجاوز مريب شاك في دين الله تعالى الذي جعل مع الله الها آخر رفع
او نصب على الذم فالقياه في العذاب الشديد من ذكر الخاص بعد العام او الذي
جعل مبتداء تضمن معنى الشرط فالقياه خبره او بدل من كل كفار فالقياه تأكيد
للاول والفاء للدلالة على ان الالقاء لتلك الصفات المذكورة قال قرينه ربنا
ما اطغيته جواب لكافر حين ادعى على القرين انه كسبه في ضلاله كقوله لقد اضلني
عن الذكر بعد اذ جاءني ولذلك لم يعطفه بخلاف الاولى فان العطف فيها
للدلالة على الجمع بين مجيء كل نفس وقول قرينه ولكن كان في ضلال بعيد حيث ترك
الحق بعد ظهوره بوسوستي ووعد كاذب قال لا تختصموا لدي استئناف كانه قيل
ماذا قال تعالى في جوابه والمعنى ان دار الجزاء ليس محل الخصام لعدم الجدوى وقد

وقد قدمت اليكم بالوعيد والحال اني لم ابق لاحد حجة وقد صح عندكم ذلك والباء
في بالوعيد مزيدة مثلها في ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او صلة قدم على انه بمعنى
تقدم او الجار والمجرور حال من الفاعل او المفعول مقدما عليه والفعل واقع
على قوله ما يبدل القول لدي اي بينت لكم مضمونه وما انا بظلام للعبيد
اي لا احد شيئا من الظلم والمبالغة اما بالنظر الى الافراد واما لانه لو ظلم لكان
كبيرا لصفاته وافعاله في غاية الكمال يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل
من مزيد يوم ظرف لظلام او نصب باذكر او انذر او بنفخ واشار بذلك الى اليوم
كانه قيل ذلك اليوم اي يوم القول يوم الوعيد وفيه بعد لوقوع الفصل بما لا
يصلح اعتراضا على ان زمان النفخ ليس يوم القول الا على فرض الامتداد وقرأ نافع
وابو بكر يقول بالياء التفاتا والنون ابلغ ترهيبا روى البخاري عن انس عن رسول
الله ص يلقى في النار من يلقى وهي تقول هل من مزيد حتى يضع الجبار فيها قدمه
فتقول قط قط بعزتك فعلى هذا الاستفهام على اصله وما روي عن ابن عباس
وعكرمة هل من مزيد هل بقي في من مكان اي لم يبق في موضع ابرة وذلك لما روى
مسلم عن ابي سعيد ان الله تعالى وعد لكل من الجنة والنار ملأها فيحمل على
ما بعد وضع القدم ولا ضرورة من صرف السؤال والجواب عن الحقيقة وقيل
هو من التخييل الذي يقصد به التصوير والتبيين وازلفت الجنة للمتقين قربت
لهم غير بعيد مكانا غير بعيد نصب على الظرف او على الحال وتذكيره لانه على زنة
المصدر كالعذيد والوجيب او على حذف الموصوف اي شيئا وعلى كل تقدير توكيد
لازلفت معنى هذا ما توعدون جملة اعتراضية وقرأ ابن كثير بالياء لكل
اواب رجاع الى الله بدل للمتقين باعادة الجار حفيظ حافظ لحدوده من خشي
الرحمن بدل بعد بدل او من موصوف اواب جوز حذف المبدل ولا يجوز
ابداله من اواب لان من لا يوصف به او مبتدا وخبره ادخلوها بسلام او مناد
حذف حرف النداء منه جعله بمنزلة الحاضر عناية ورفعا لمحله وايثار الرحمن
من بين اسمائه تعالى وجعله مقرونا بالخشية للثناء على الخاشي بانه يخشاه مع
علمه بسعة رحمته او لعله بشدة عقابه فلم يامن ولم يغتر بكثرة رحمته بالغيب
زيادة في الثناء اي بخشيته وهو غائب عنه حال من المفعول والفاعل اي في
خلواته غائبا عن اعين الناس او بسبب الغيب الذي اوصل به وجاء بقلب منيب
تائب والاقتصار على القلب لان الجسد وسائر الحواس الآت وجنود وفي الحديث
ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا
وهي القلب ادخلوها بسلام آمنين سالمين من العذاب او من زوال النعم او مسلما
عليكم ذلك يوم الخلود اي يوم تقدير الخلود لان ذلك اشارة الى الزمان الذي

ويجوز ان يشار به الى ما بعده نحو هذا الخلود او يجعل يوم الخلود مبتدأ بأمن حين
الدخول فيستغني عن التقدير لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد الذي لم يخطر ببالهم
روى مسلم عن صهيب انه النظر الى وجه الله تعالى وكم اهلكنا قبلهم من قرن اي قبل
قومك هم اشد منهم بطشا كعاد وفرعون فنقبوا في البلاد وجالوا في الارض
من كل مجال حذرا هل من محيص من ملجأ او منجأ من عذاب الله واهلاكه ويجوز
ان يراد اهل مكة وتنقيبهم اسفارهم ومسايرهم على ديار المهلكين كقوله فسيروا
في الارض والغرض منه انهم وان عموا عنه لا بد البعث فكان عليهم الحذر من العقاب
العاجل لما شاهدوا من حال امثالهم ان في ذلك فيما ذكر من حال الامم او فيما ذكر في
السورة لذكرى موعظة واعتبارا لمن كان له قلب فاهم عن الله او القى السمع الى من له
ذلك الاستعداد مستفيدا منه وهو شهيد اي حاضر بقلبه متيقظ للتفطن اذ غير
بمثابة الغايب ويجوز ان يكون من الشهادة اي القى السمع والحال انه مؤمن بما يلقى عليه
او من الذين قال الله فيهم لتكونوا شهداء على الناس والاول اوجه والصق بالمقام
ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب
اذ تعب تكذيب لليهود في قولهم بدأ بخلق العالم يوم الاحد وفرغ يوم
الجمعة واستراح يوم السبت فاصبر على ما يقولون اي المشركون او اليهود والاول
اوجه وسبح بحمد ربك نزهه حامدا قبل طلوع الشمس وقبل الغروب لشرف
الوقتين ومن الليل فسبحه في جزء من الليل ايضا وهو الثلث الاخير وقيل المراد
بالصلوة قبل طلوع الشمس الصبح وقبل غروبها العصر والظهر ومن الليل العشاء
وادبار السجود وخلف الصلوة روى مسلم باسناده انه صلى الله عليه وسلم
قال من قال في دبر كل صلوة ثلثا وثلثين تسبيحة وثلثا وثلثين تحميدة واربعا
وثلثين تكبيرة غفرت ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر وعن علي رضي الله عنه ركعتان
بعد المغرب وعن ابن عباس رضي الله عنهما الوتر وقرأ نافع وابن كثير وحمزة و
ادبار بكسر الهمزة مصدرا دبر انقضى بتقدير مضاف اي وقت انقضاء السجود واستمع
يوم ينادي المنادي اي استمع لما اخبرك به من احوال يوم القيمة وفيه تهويل روي
ان رسول الله ص قال لمعاذ استمع ثم اخبره بعد سبعة ايام والمنادي اسرافيل ينفخ في
الصور وينادي ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة و
الشعور المتفرقة هلم لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ في الصور وجبرئيل ينادي
وقرأ ابن كثير ينادي باثبات الياء في الوقف لانها جزء الكلمة وحذفها الباقون اتباعا
للرسم من مكان قريب من صخرة بيت المقدس فانها اقرب الارض الى السماء باثني عشر ميلا وهي
وسط الارض او من تحت اقدامهم او من منابت شعورهم يوم يسمعون الصيحة بدل
من يوم ينادي وانتصابهما بما دل عليه الخروج اي يخرجون من القبور يوم ينادي

ينادي المنادي بالحق متعلق بالصيحة والمراد بها البعث والصيحة النفخة الثانية
ذلك يوم الخروج من اسماء يوم القيمة انا نحن نحيي ونميت والينا المصير للجزاء
جرده عن الدليل لما تقدم من الادلة مستوفاة يوم تشقق الارض عنهم بدل
بعد بدل او ظرف للمصير او نصب بما دل عليه حشر علينا وقرأ نافع وابن
كثير وابن عامر بتشديد الشين لان اصله تتشقق والباقون مخففا بحذف
احدى التائين سراعا مسرعين حال من المجرور ذلك حشر علينا يسير قدم
الظرف للاختصاص اذ لا يتيسر ذلك الامر البديع الا لمن امره بين الكاف و
النون نحن اعلم بما يقولون تسلية له وتهديد لهم وما انت عليهم
بجبار بمقتدر تكرههم على مرادك انما انت منذر لاعز وقد وقيت بما ارسلت
به فذكر بالقرآن من يخاف وعيد اذ لا ينتفع به غيره فان الدواء لا يجدي
الا اذا صادف محله قابلا للشفاء تمت سورة ق والحمد لمن لا ينبغي جميع
الاوصاف والصلوة على خير خلقه وآله وصحبه اولي المكارم والانصاف
سورة الذاريات مكية وهي ستون آية بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات
ذروا الرياح التي تذرو التراب وغيره وادغم ابو عمرو وحمزة التاء في
الذال فالحاملات وقرا السحاب لانها تحمل المطر فالجاريات يسرا السفن
الجارية في البحر جريا ذا سهولة فالمقسمات امرا الملئكة تقسم الامور كل
واحد موكل بشأن جبرئيل بالوحي واهلاك المكذبين وميكائيل بالارزاق
واسبابها وملك الموت بالارواح واسرافيل بالنفخ وملك الجبال بالجبال
وملك البحار بالبحار الى غير ذلك مما لا يحيط به الا علم الشامل هذا هو المروي
عن عمر بن الخطاب وعلي والترتيب باعتبار ما سبق له الكلام من الدلالة على
كمال القدرة المحقق لما اقسم عليه من صدق الوعد بالبعث لا الاظهر فالاظهر
لان الكلام مع الجاحد وقيل الكل صفات الرياح لانها تنشر السحاب وتحمله
وتجري به في الجو وتقسمه على الاماكن على ما امرت به فالعطف باعتبار الصفات
انما توعدون من البعث ابهمه لتعينه لصادق مطابق للواقع والوعد الصادق
كعيشة راضية وان الدين الجزاء لواقع والسماء ذات الحبك ذات الطرائق وهي
طرائق النجوم في سيرها او آراء النظار الذين يتفكرون فيها من حبك الريح
الرمل والماء اذا اثرت فيه بالتجعيد والتكسير قال زهير يصف غديرا مكلل
باصول النجم تنسجه ريح خريق لضاحي مائه حبك ولما كان في ذلك التكسر حسن
منظر قال الحسن الحبك النجوم لانها زينة السماء وقيل صفاقتها من حبك النساج
اذا احكم النسج وعن ابن الاعرابي كل شيء احكمته فقد حبكته جمع حبيكة كطريقة
وطرائق او حباك كمثال ومثل انكم لفي قول مختلف في الرسول منكم مكذب ومنهم

مصدق او منكم من يقول شاعر ومنكم من يقول ساحر او في القرآن كذلك وقد روعي
في القسم اولاً وثانياً ملاءمة المقسم عليه وذلك اي المقسم عليه اولاً لما كان البعث
وما بعده جعل القسم بما تشاء من القدرة من الاثار والاطوار وثانيا كونهم مختلفين
فيما لا يقبل الاختلاف جعل المقسم به ذات الحبك المختلفة يؤفك عنه من افك يصرف
عنه من صرف الصرف للرسول او القرآن ولما اسند الفعل الى الموصوف به جاءت المبالغة
اي صرف لا يمكن اشد منه كقوله فغشيهم من اليم ما غشيهم او المعنى يؤفك عنه من افك
في علم الله لا يكاد عنه الارعواء فيكون اشارة الى الختم ويجوز عود الضمير الى ما توعدون
او الدين اقسم لا على وقوعه ثم على كونهم مختلفين فيه وقيل الضمير للقول المختلف
اي يصدر افكهم عن القول المختلف وفيه تعسف وفوات تلك المبالغة قتل الخراصون
لعن الكذابون اي هؤلاء المكذبون بالدين والعدول الى المنزل لان تكذيبهم من
جملة الكذب اصله الدعاء بالقتل ثم شاع في اللعن لانه فوق القتل الذين هم
في غمرة في جهل عظيم عارفون فيه اصله المال التيار ما يجنه ساهون غافلون
عما امروا به يسئلون ايان يوم الدين تكذيبا به واستهزاء والمعنى اي زمان يقع
او في اي زمان وقوع بان يجعل الزمان لكونه مرتقبا منتظرا زمانا لحقا بالزمان
وهذا شائع في كل زمان له شان كيوم العيد والنيروز يوم هم على النار يفتنون
يحرقون يقال للحرة فتين لان حجارتها السود كانها محرقة ويوم منصوب بما دل
عليه السؤال اي يقع او مفتوح لاضافته الى الجملة والعامل فيه ذلك الفعل
المدلول عليه او خبر مبتداء اي هو يوم هم وعلى اي تقدير كان قائم بمقام الجواب
ذوقوا فتنتكم عذابكم بتقدير القول هذا الذي كنتم به تستعجلون ويجوز ان
يكون بدلا من فتنتكم والموصول صفته ان المتقين في جنات وعيون آخذين
ما آتاهم ربهم اي قابلين لكل ما اعطاهم راضين به من اخذت اخذ فلان سرت
سيرته الحسنة والمعنى ان كلما اعطاهم حسن مرضي انهم كانوا قبل ذلك محسنين
تعليل لاستحقاقهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون بيان لاحسانهم ما مزيدة و
قليلا صفة مصدر محذوف اي هجوعا قليلا ومن الليل صفة اي مبتدأ منه او
لغو متعلق بيهجعون او موصولة او مصدرية فاعل قليلا ومن الليل حال متقدم
على الاول بيان على الثاني لان معمول المصدر لا يتقدم ولا يجوز ان يكون نافية
لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وفيه مبالغات لفظ الهجوع الذي هو قليل من
النوم وتاكيد بالقلة وذكر الليل الذي هو محل الراحة ولفظ كان الدال على
الاستمرار وبالاسحار هم يستغفرون يستقصرون عملهم كان ما فعلوه من
الطاعات في تهجدهم جرائم وفي بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم الاحقاء بالاستغفار
دون غيرهم لكمال خشيتهم وعنه صلى الله عليه وسلم اذا بقي الثلث الاخير من الليل

من الليل ينزل ربنا الى السماء الدنيا ويبسط يده ويقول هل من تائب فاتوب عليه
هل من مستغفر فاغفر له الى طلوع الفجر وذلك كل ليلة وفي اموالهم حق للسائل
والمحروم المستجدي والذي لا يسال اما لعدم قدرته على السؤال ويمنعه الحياء
وعنه صلى الله عليه وسلم ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة و
التمرتان انما المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه وعن
الحسن بن علي رضي الله عنهما ان رسول الله قال للسائل حق وان جاء على فرس
وفي الارض آيات للموقنين عطف على انما توعدون لصادق وقصة المتقين
معترضة وفي تخصيص الموقنين مع ان الكلام مع الجاحدين لانهم الذين يجدون
عليهم الايات والنذر وآيات الارض ما فيها من الصفات وما عليها من النبات
والحيوان وما اشتملت عليه من الاشكال والالوان والخواص التي يفوتها الحصر
وفي انفسكم من الآيات اذ ليس في العالم شيء الا وفي الانسان نظيره بل هو الذي
اختص به من بدائع الاوصاف وغرائب المعاني والمعقولات ولذلك افنى بعض
العارفين العمر في التامل في قوله افرايتم ما تمنون ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون
ولم يقض منه الوطر افلا تبصرون تنظرون نظر اعتبار والتعبير بالابصار اشارة
الى غاية الظهور وفي السماء رزقكم اسبابه من الامطار والثلوج والكواكب وما
توعدون ثواب اعمالكم والجنة فانها فوق السماء السابعة وسقفها عرش الرحمن
فورب السماء والارض انه لحق كما تقدم من اول السورة وقيل الضمير لما توعدون
مثل ما انكم تنطقون كما لا يشك احدكم في نطقه فكذلك لا يجوز له ان يشك في
حقيته وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر مثل بالرفع صفة حق والباقون بالفتح لبنائه
بالاضافة الى المبني محله الرفع على الوصف او نصب صفة مصدر اي حقا مثل نطقكم
او حال من مستكن حق وعن الاصمعي ان بدويا سمعها فقال من ذا الذي اغضب
حتى حلف له بذاته لم يصدقوه حتى الجأوه الى اليمين قالها ثلاثا وخرجت روحه
هل اتيك حديث ضيف ابراهيم لما استوفى ادلة المعاد بما دل على كمال اقتداره وحيث
لم يبق ريبا لذي عينين مهد لاثبات نبوته وفخم شان الحديث اشارة الى انه من
العلم الذي لا يمكن الوصول اليه الا بالوحي فعلى ما بنى عليه الاتباع لمن اتى به لانه صادق
مؤيد بهذا المعجز الباهر وضمن فيه تسلية المنزل عليه من تكذيب من ارسل اليه
بان له اسوة حسنة في قدوة الانبياء وسيد الموحدين خليل رب العالمين قيل
كانوا اثني عشر وقيل ثلثة والضيف في الاصل مصدر ولذلك يطلق على الجمع وسموا
ضيفا لانهم كانوا في صورته المكرمين عند الله او عند ابراهيم حيث خدمهم واخدمهم
زوجته او عجل لهم القرى اذ دخلوا عليه ظرف للحديث او للضيف او نصب باذكر او
بما في المكرمين من الاكرام ان فسر باكرام ابراهيم فقالوا سلاما اي نسلم سلاما قال سلام

اى حياهم باحسن من تحيتهم لان الرفع من الدلالة على الدوام بمعونة المقام قوم
منكرون اى انتم لم يكونوا على اشكال الناس المعهودين او لان السلام تحية الاسلام
ولم يكن بارضه كقول الخضر لما سلم عليه موسى وانى بارضك السلام او كان على طريق
السؤال اى عرفونى فانى لا اعرفكم فراغ الى اهله ذهب اليهم خفية من الضيف فان من
من الفتوة اعلام المضيف ضيفه انه يسعى فى قراه فجاء بعجل سمين وكان عامة ماله البقر
وقيل لحمه خير اللحوم فقربه اليهم قال الا تاكلون لما راهم لم يتناولوا منكرا عليهم
او الهمزة للعرض على ما هو دأب المضيف فاوجس منهم خيفة اضمر ويؤيد الاول وكذا
قوله فلما راى ايديهم لا تصل اليه قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم كامل العلم
اذا بلغ مبلغ الرجال وهو اسحق فاقبلت امراته لما سمعت حديثا لغلام فى صرة
فى صيحة من صرير القلم والباب فصكت وجهها فلطمت وجهها على دأب النساء
عند سماع امر غريب وقالت عجوز عقيم ليس من شانها الولادة فى وانه فكيف تلد بعد
سن الياس قالوا كذلك قال ربك ليس هذا من عندنا انه هو الحكيم المتقن فى صنعه
العليم بالاشياء واوقاتها فلا استبعاد ولا وجه له قال فما خطبكم ايها المرسلون
اى فما الامر العظيم الذى جئتم بسببه فان الاجتماع وهذه الهيئة ليست الا كذلك
قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين ارادوا قوم لوط لقوله انا ارسلنا الى قوم لوط
لنرسل عليهم حجارة من طين طين طبخ حتى تحجر وهو السجيل مسومة معلمة من السومة
مكتوبا على كل حجر اسم من يهلك به او علامة انها حجر العذاب وانها ليست من حجر
الدنيا عند ربك بعلمه واذنه فيه بمعنى للمسرفين المجاوزين الحد سماهم مجرمين
ومسرفين وتارة عادين تشويها واشعارا باستحقاقهم العذاب فاخرجنا من كان
فيها من المؤمنين امرناهم بالخروج لقوله فاسر باهلك فما وجدنا فيها غير
بيت من المسلمين اى اهل هو وبناته وفيه دلالة على اتحاد الايمان والاسلام
صدقا لا مفهوما لان المعنى اخرجنا من كان فيها من المؤمنين فلم نجد الا اهل بيت
وفى ايرادهما والاتيان بمن دلالة على استقلال كل سببا لنجاة الموصوف بهما كائنا
من كان اين كان وتركنا فيها آية علامة ماء اسود منتن لا ينتفع به بعد ان كانت
ارضا ذات اشجار للذين يخافون العذاب الاليم لانهم لا يتدبرون ولا يعتبرون
وفى موسى عطف على وتركنا فيها آية او على وفى الارض آيات والاول اولى لقربه
ولدخوله فيما نسلى به رسول الله ص كما فى سائر السور مع ان الكل لا يستقيم الا على
تقدير وجعلنا فى موسى كقوله علفتها تبنا وماء باردا اذ ارسلناه الى فرعون
بسلطان مبين معجز ظاهر ولم يذكر الا فى معجزة موسى ولعل الحكمة فيه انه مشتق
من السلاطة وهو القهر المناسب لمن ارسل اليه من فرعون وقومه فتولى بركنه كناية
عن الاعراض كنا فى بجانبه وتأى عطفه والباء للتعدية او بملأ ثم وجنوده لانه ركن

ركن الشى جانبه الاقوى وما به قوامه فى البناء للمصاحبة وقال ساحر او مجنون
اى بان يأبه من الجن اما تخيلا او اضابة دون اختيار فاخذناه وجنوده فنبذناهم
فى اليم فى البحر وهو مليم آت بما يلام عليه من الكفر والرجل الذى يأتى بما يلام عليه
قال ومن يخذل لا خاه فقد الاما وفى المثل رب لائم وهو مليم حال من ضمير اخذناه
وفى عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم هى الدبور على ما رواه البخارى نصرت
بالصبا واهلكت عاد بالدبور وسميت عقيما لانها لا تلقح سحابا ولا شجرا او لانها
خربت ديارهم واهلكت آثارهم من قولهم الملك عقيم ويوم القيمة عقيم لانه لا
يوم بعده ما تذر من شىء اتت عليه الا جعلته كالرميم كالرماد والمتفتت من
عظام ونبات وغير ذلك فهو رميم وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين ثلثة ايام
لقوله تمتعوا ثلثة ايام فعتوا عن امر ربهم استكبروا وامترتب على تمام القصة
لا على تمتعوا لقوله فعقروها فقال تمتعوا فاخذتهم الصاعقة النار النازلة
من السماء وقرأ الكسائى الصعقة مقصورا وهى الصوت الذى مع النار لقوله به
ومنهم من اخذته الصيحة وهم ينظرون لانها جاءت معاينة بالنهار ولا تقدر
على دفعها فما استطاعوا من قيام اى قياما من صلة بل ما نوا جاثمين مكانهم
او لم يقدروا على دفعه من قام بالامر اذا كفاه ومنه قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء
اموالكم التى جعل الله لكم قياما وما كانوا منتصرين بوجه لا مناشرة ولا معاونة
وقوم نوح من قبل قبل هؤلاء المذكورين عطف على مفعول فاخذتهم معنى اى
اهلكناهم واهلكنا قوم نوح او على مفعول نبذناهم اى اغرقناهم واغرقنا قوم
نوح وفيه لطف اونصب باذكر وقرأ حمزة والكسائى وابو عمرو بالجر على تقدير
الجار اى وفى قوم نوح انهم كانوا قوما فاسقين علة للاهلاك والسماء بنيناها
بايد بقوة مصدر اد اشتد وقوى وانا لموسعون ذو وسعة واستطاعة وقدرة
على كل شىء فضلا عن بناء السماء من اوسع صار ذا وسع وطاقة وفيه ردلهم
الجارحة او لموسعون الرزق المطر النازل من السماء او لموسعون ما بين السماء
والارض والارض فرشناها فنعم الماهدون نحن ومن كل شىء خلقنا زوجين
صنفين ليل ونهار وظلام وضياء وشمس وقمر وبر وبحر وموت وحيوة وسعادة
وشقاء وارض وسماء وقيل من كل حيوان ذكرا وانثى لعلكم تذكرون بالتدبر
فيها وتعلمون ان موجدها واحد ليس كمثله شىء وان من قدر على هذا لا يعجز عن
الاعادة ففروا الى الله اى قل لهم يا محمد بعد ما علمتم من كمال قدرته وما حل بمن
تقدمكم من الامم اعتصموا به والجأوا اليه انى لكم منه نذير مبين واضح امره ولا
تجعلوا مع الله الها آخر انى لكم منه نذير مبين كرره لاتصال الاول بالامر والثانى
بالنهى وقيل الاول انذار بترك العمل والثانى بالتوحيد كقوله واعبدوا الله ولا

تشركوا به شيئا ولا بد لعلى عدم نفع المجرد وكذلك الامر مثل ذلك تقرير وتوكيد لما تقدم
او فصل خطابا اى مثل اختلافهم قيل على ان ذلك اشارة الى القول المختلف فى الرسول
عليه السلام ثم بتبتيه بقوله ما اتى الذين من قبلهم من قبل هولاء من رسول الا
قالوا ساحر او مجنون فاختلفوا فيه اتواصوا به اى اوصى الاولون الاخرين
استفهام انكار ولذلك اضرب عنه بقوله بل هم قوم طاغون اى ليس الجامع التواصى
بل الطغيان والعناد فتول عنهم لان المناظرة لا تجدى مع المكابرة فما انت بملوم
بعد الابلاغ وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين المستعدين للايمان او الراسخين
فيه زيادة وتثبيتا وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اى يجب بيان تهم
العبادة بسلامة الاسباب والدلالة على انها غاية كاملة وراءها غاية الغايات
وعدم وصول البعض لعائق لا يقدح وقيل ليقروا بعبادتى طوعا او كرها ولئن
سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقيل المراد منهم المؤمنون ويرده
ما اريد منهم من رزق لاختلال مفهومه وابعد منه الا لامرهم بالعبادة وما
اريد ان يطعمون كما هو شان السادات مع العبيد وتقديم الرزق وتنكيره وتاخير
الاطعام وتخصيصه به تعالى فيه ترق اى لا اريد منهم تحصيل الرزق ولا تقديم الحاصل
اى هو داب الملوك مع خواص خدمهم ان الله هو الرزاق حقيقة وغيره اسباب
واعادة المظهر لدلالة لفظ الجلالة على الالوهية المستلزمة لذلك ذو القوة
المتين القدرة التامة المتين من المتانة وهى الصلابة تاكيد بعد تاكيد فان
للذين ظلموا رسول الله بالتكذيب ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم الذين تقدموهم
فى تكذيب الرسل والذنوب ولو ملاءه تمثيل لنوبة حظهم من العذاب فلا يستعجلون
بقولهم متى هذا وقولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السماء فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون يوم القيمة او يوم بدر
فالموصول معهود تمت سورة الذاريات فلهالحمد الاوه متواليات والصلوة على
المؤيد بالبينات سورة الطور مكية تسع واربعون اية بسم الله الرحمن الرحيم
والطور وطور سينين جبل كلم الله موسى عليه السلام وقيل ما طاد من عالم الغيب
الى عالم الشهادة من المعارف والاشتقاق لا يساعده وكتاب مسطور مكتوب فى رق
منشور الجلد الذى يكتب فيه اى والقران او التورية او ما فى اللوح او ما فى قلب
العارف من المعارف والحكم او صحيفة الاعمال والبيت المعمور بالعبادة هو
الذى كان فى الارض ياقوتة حمراء رفع فى الطوفان الى السماء السابعة يدخله سبعون
الف ملك كل يوم لا يأتيهم النوبة الى اخر الدهر والسقف المرفوع والبحر المسجور المملو
او الموقد به كذا فسره باب العلم كرم الله وجهه ان عذاب ربك لواقع لا محالة
اقسم عليه بامور متعلقة بالمبدا والمعاد كلها دالة على كمال اقتداره مع اشارة الى انه

الى ان ذلك لاقامة العدل لانه مدون فى الكتاب كما تدون الحقوق ما له من دافع
قط اذ جزء لا يقدر وهو لا يريد يوم تمور السماء مورا تدور من مار يمور جاء
وذهب وقيل المور تحرك فى تموج وتسير الجبال سيرا سريعا تمر مر السحاب
فويل يومئذ للمكذبين يوم وقوعه الذين هم فى خوض يلعبون اصله خوض
الماء ثم غلب على الشروع فى الباطل كالاحضار فى العذاب يوم يدعون الى نار
جهنم دعا يدفعون اليها بعنف يوخذ بالنواصى والاقدام ويلقون فيها على
وجوههم زخا فى اقفائهم هذه النار التى كنتم بها تكذبون اى يقال لهم توبيخا
وتوفيرا لحظ الاسماع من العذاب افسحر هذا كما انتم تقولون للوحى ام انتم
لا تبصرون ما انتم فيه وهذا كما تقول لمن يجادلك فى مسئلة بعد ظهورها فاورد
عليه ما لا مجال له لدفعه افتذكر هذا اصلوها فاصبروا او لا تصبروا
لا بد من صليها سواء عليكم مبتدا حذف خبره او بالعكس انما تجزون ما كنتم
تعملون تعليل للاستواء فان الجزاء لما كان واجب الوقوع فالصبر وعدمه سيان
ان المتقين فى جنات اى جنات ونعيم اى نعيم او جنات مخصوصة بهم بما يان
عن غيرها ولذا نكرت فاكهين ناعمين متلذذين بما اتيهم ربهم بالذى اوتيه
ووقيهم ربهم عذاب الجحيم اعاد المظهر لدلالة على استقلال كل نعمة عطف على
جنات او اتاهم ويقدر فى المعطوف عائد ان كانت ما موصولة او حال باضمار
قد من المستكن فى الظرف او من فاعل آتى او مفعوله او منهما كلوا واشربوا يقال
لهم هنيئا اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا وهو الذى لا غصة فيه او مصدر
اى هنأكم هنيئا كقول كثير هنيئا مريئا غير داء مخامر لعزة من اعراضنا ما استحلت
وقيل فاعله بما كنتم تعملون على ان الباء زائدة وقيد ان زيادتها لا تسمع فى
غير كفى متكئين على سرر على طريقة المتنعمين مصفوفة ليقع المواجهة مع الاخوان
والاحباب وزوجناهم بحور عين بيض نجل العيون والذين امنوا عطف على
حور ان فسر زوجناهم بقرناهم او لا فمبتدا خبره والحقنا بهم واتبعتهم
ذريتهم اعتراض لتعليل الحكم وقرا ابو عمرو واتبعناهم وهو ابلغ واوفق بالسابق
واللاحق بايمان الحقنا بهم ذريتهم اى بايمان رفيع المحل وهو ايمان الاباء
او بايمان يسير لولا كرامة الاباء لم يكونوا اهلا لتلك المنزلة فان قلت هذا
خلاف الذرية فما حال الاصول ان قصرت عن رتبة الفروع قلت هم بذلك اولى لزيادة
استحقاق الكرامة وكثرة الحقوق واليه يشير قوله وكم اب قد علا بابن له شرفا
كما علت برسول الله عدنان وقد روى ابو هريرة ان رسول الله قال ليرفع المؤمن
فى الجنة درجة يستقصر نفسه دونها فيقول يا رب انى لى هذا فيقول بدعاء ولدك
لدك واستغفاره وقرا الكوفيون وابن كثير ذريتهم بالتوحيد لدلالة الكلمة

على الكفر وما ألتناهم من عملهم من شيء اي ما نقصنا الآباء ادنى شيء بل كان
ذلك تفضلا واكراما لهم كل امرئ بما كسب رهين مرهون عند الله بكسب ما افترض
عليه فان اداه اليه فك رقبته كقوله كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين
فانهم فكوها وامددناهم بفاكهة زدناهم وقتا بعد وقت ولحم مما يشتهون
يستلذون يتنازعون فيها كأسا يتعاطون متغالبين فيه كما هو داب اهل الترف
يتباهون بكثرة الشرب لا لغو فيها ولا تأثيم لا يتكلمون بسقط الكلام ولا بما
يورث اثما مما يقع امثاله في الدنيا من متعاطي الخمر بل يشكرون الله على ما خولهم و
قرأ ابن كثير وابو عمرو والابصريين بالفتح غير منون ويطوف عليهم غلمان لهم سقاة
مخصوصون بهم كأنهم لؤلؤ مكنون مصون في الصدف في غاية الصفا وكطراوة
او مخزون محفوظ لكماله وشرفه واقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى
لهم في الدنيا كما يفعله السكارى اذا اخذت منهم الخمر قالوا انا كنا قبل في اهلنا
مشفقين خائفين استئناف لبيان تساؤلهم فمن الله علينا بما نحن فيه من اللذة
والسرور ووقانا عذاب السموم النار التي تدخل في المسام انا كنا من قبل
قبل هذا في الدنيا ندعوه انه هو البر المحسن الرحيم المتفضل بالنعم قرأ نافع والكسائي
بالفتح بتقدير اللام والكسر ابلغ فذكر فدم على التذكير فان الذكرى تنفع المؤمنين
ولا تبال فما انت بنعمة ربك بحمد الله بكاهن ولا مجنون كما يزعم من يحسدونك
اذ حالك ينافي حال الكهنة والمجانين ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون
ام منقطعة دلت على ان هذا هو الراجح عندهم والمنون الدهر لانه يقطع الاعمار
من المن وهو القطع قال الاعشى أأن رأت رجلا اعشى اضر به ريب المنون ودهر
متبل خبل او الموت لانه يقطع العلائق والاسباب قل تربصوا فاني معكم من
المتربصين بكم ما تربصون بي من الدوائر من باب مجازاة للخصم ام تأمرهم
احلامهم بهذا عقولهم وكانت سكان مكة بين العرب تدعى اولى الاحلام لورود
اهل الآفاق عليهم واكتساب الاخلاق والآداب منهم وفي الكلام تهكم بهم لتنقيص
كمالاتهم ام هم قوم طاغون مجاوزون طور العقل عنادا ام يقولون تقوله
افتراه بل لا يؤمنون بشيء ولذلك اضطربت اقوالهم فليأتوا بحديث مثله ان
كانوا صادقين انه شاعر او كاهن جواب عن كل ما تقدم او عن التقول فانه اوغل
في الانكار لاشتهاره عندهم بالصدق والامانة فالافتراء منه ابعد شيء والاول
اوجه ام خلقوا من غير شيء احدثوا من غير خالق موجد لهم والا لاهتمهم البحث
عنه وعن صفاته وافعاله او المعنى ام خلقوا سدى من غير خطاب ولا تكليف ام
هم الخالقون ولذلك عملوا انك شاعر او كاهن او متقول ام خلقوا السموات
والارض اذ حالهم في الكبر والعلو يشبه شان من يكون هذا فعله كناية عن غاية

عن غاية عنادهم وتماديهم في الاستكبار والا لم تصدر عنهم هذه المقالات
صريحا بل لا يوقنون اصلا فلذلك في ريبهم يترددون لا يعولون على شيء كل يوم
في حال ام عندهم خزائن ربك خزائن رحمته يختاروا للنبوة من شاؤوا او
يعلموا انك متقول لانهم لم يرسلوا رسولا للناس والا لا وجه لما سيشير
الى خزائن العلم في قوله ام عندهم الغيب ام هم المسيطرون الارباب الغالبون
الذين يدبرون امر العالم كيف شاؤوا يقال سيطر عليه قرأ ابن كثير وابن عامر
في رواية هشام وقنبل بالسين على الاصل وحفص بالوجهين وحمزة في رواية خلف
باشمام الصاد وفي رواية خلاد بصاد خالصة والرسم بالصاد ولما ابطل
مقالتهم بالتدليل العقلي ولم يبق لهم الا المشاهدة والعبادة اشار الى بطلانه
على وجه التهكم بقوله ام لهم سلم يصعدون به الى السماء يستمعون فيه كلام
الملائكة وما يوحى اليهم فليأت مستمعهم بسلطان مبين بدليل واضح على
ذلك ادعاء مثل هذا الامر العظيم لا يثبت الا بمثل ذلك ام له البنات ولكم البنون ومن كان
هذا حاله في الجهل حتى جعل لرب الارباب ما لا يرضاه لنفسه لا يبعد منه مثل الخرافات
وكأنه قال له ناهيك بذلك تسكينا ولما لم يكن مقالة اشنع منها ولا محال اجلى منه التفت
اليهم في مقام السخط مكافحا بها ضاربا في وجوههم المسودة ام تسألهم اجرا فهم من
مغرم مثقلون فلذلك زهدوا وابوا واعرضوا المغرم التزام ما لم يلزم وفيه تقريع
بحسدهم لان من برئت ساحته عن لوث الطمع فلا وجه لاتهامه ام عندهم الغيب
خزائن علمه غيبا فهم يكتبون منه ما شاؤوا من غير مانع فاستدلوا بذلك على عدم
نبوتك ولما كان العلم اشمل مورد الخروج جريا على سنن الترقي ثم اضرب عن الانكار
الى الاخبار عن حالهم بقوله ام يريدون كيدا بك حين يجيلون الرأي في دار الندوة
فالذين كفروا اي هم هم المكيدون المصابون بوبال كيدهم ويحتمل الموصول العموم
ثم تحقق ذلك بقوله ام لهم اله غير الله يحميهم من عذابه سبحان الله عما يشركون به
او عن اشراكهم وان يروا كسفا من السماء ساقطا جواب لقولهم اسقط علينا كسفا
من السماء اتفق السبعة على اسكان سينه يقولوا سحاب مركوم ركم بعضه فوق بعض
ولبس ما سألناه لفرط عنادهم فذرهم اذ لا اصطلاح مع المكابر حتى يلاقوا يومهم
الذي فيه يصعقون يموتون فيفرقون بما اعتد لهم وقرأ ابن عامر وعاصم يصعقون
على بناء المفعول اما من اصعقه او صعقه يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا من الاشياء
بدل من يومهم ولا هم ينصرون من عذاب الله بوجه آخر وان للذين ظلموا بالتكذيب
عذابا دون ذلك قبل عذاب القيمة بالقحط والقتل والاسر ولكن اكثرهم لا يعلمون
وفيه اكثر لان بعضهم كان يعلم ذلك واختار النار على العار واصبر لحكم ربك
من قبل الله فان وعده كائن فانك باعيننا جمع لعين مبالغة في العناية بكلاءته

فان الكلام على التمثيل الا ترى كيف افرده فى قوله ولتصنع على عينى فى قصة موسى ليمتاز
بذلك مقام الحبيب عن مقام الكليم وسبح بحمد ربك حين تقوم اى من اى مكان تقوم منه
او من منامك فان النوم شاغل ومقامك وجلوسك يقتضى استيعاب الازمان بذكره
او للصلوة ومن الليل فسبحه فى بعضه فان العبادة فيه اشق واحلى وابعد عن الريا
واقرب الى القبول وادبار النجوم بعد طلوع الفجر فانه وقت تغيب فيه النجوم وقرآن الفجر كان
مشهودا وانفق لسبعة على كسر الهمزة تمت سورة الطور والحمد لله على فضله الموفور
والصلوة على رسوله واله وصحبه الى يوم النشور سورة النجم مكية اجماعا وهى
آيها اثنتان وستون آية بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اذا هوى اقسم بالثريا
فانه ابدع الكواكب صنعا والنجم علم غالب له عند العرب وفى امثالهم اذا طلع النجم عشاء
طلب الراعى كساء وقيل جنس النجوم لانها زينة السماء ورجوم الشياطين وهوى من
الهوى بفتح الهاء وهو السقوط او بضمها وهو الطلوع لانه ادل على كمال الاقتدار كقوله
والليل اذا عسعس او نجم القرآن لانه نزل نجما وهذا اوفق لوجوه نظايره والصدق
بقوله ما ضل صاحبكم وما غوى الضلال ضد الاهتداء والغواية ضد الرشد وهما
جواب القسم اى ليس هو كما تزعمون ضالا لا غاويا فى ترك دين آبائه وفى لفظ الصاحب و
اضافته توبيخ لهم حيث عرفوا امانته وصدق لهجته ثم نسبوه الى الضلال وما ينطق
عن الهوى فى امر الدين والدعوة اليه ونفى للاتيان به مضارعا بعد قوله ما ضل وما
غوى اشارة الى انه اذا لم يكن له سابقة ضلال قبل النبوة فبعدها ابعد ان هو
الا وحى يوحى استدل به من منع اجتهاده وليس بتام لانه اذا قال الله تعالى وتقدر
ما ظننت فهو حكمى يكون اجتهاده وحيا لا ابا الوحى وعزم ليس كذلك علمه شديد
القوى جبرئيل والاضافة لفظية اى قواه الجسمانية من البطش والسمع والبصر
ذو مرة عقل كامل ورأى وافر اتى به فى اسلوب الترقى فاستوى على صورته الحقيقية
وهو بالافق الاعلى مطلع الشمس وانما ظهر له فى تلك الصورة ليتيقن انه ذلك اذا
اتاه فى غير تلك الصورة ثم دنى فتدلى قرب من محمد فتعلق به فكان قاب قوسين
او ادنى اى كان البعد بينهما مسافة قوسين او اقرب فى رأيكم لو رأيتم القاب و
القيب كالقاد والقيد هو المقدار وقيل القاب ما بين المقبض الى السية فلكل قوس
قابان او ادلى على تقديركم كقوله او يزيدون وهذه الرؤية كانت بعد مجيئه
بحراء اول ما بعث لما فتر الوحى على ما رواه الثقات انه لما اشتد به الكرب من تكذيب
قريش حتى قالوا مجنون شيطانه قال لقد اردت ان القى نفسى من شاهق فلما خرجت فاذا
هو جالس على كرسى بين السماء والارض وقال لا تفعل فانك رسول الله حقا فرغبت
منه ورجعت الى اهلى فقلت دثرونى فنزلت يا ايها المدثر قم فانذر فهذا معنى الدنو
والتدلى او القرب لا انه تمثيل للعروج به فاوحى الى عبده الموحى هو جبرئيل وضمير عبده

عبد الله ولا لبس فيه والقول بان الضمير لله فالدنو والتدلى على التأويل خلاف
الظاهر بعيد عن السياق ما اوحى لم يأت بالضمير تفخيما لشان المنزل وانه مما يجل
عن الوصف اى يتوهم المناسبة بالشعر والكهانة وكما فخم شان المنزل كذلك شان
المنزل اليه بايثار لفظ العبد المضاف اليه تعالى اشارة الى انه العبد الحقيق الكامل
الذى لا يذهب الوهم سنه وايماء الى انه حقيق بالحظوة والاصطفاء ما كذب
الفؤاد ما رأى اى ما رآه من صورة جبرئيل اى لم يكن فيه منكرا له اذا رآه مرة اخرى
فى غير صورته وقيل ما رآه من جلال الله تعالى لما روى مسلم عن ابن عباس ان رسول الله
رأى ربه بفؤاده مرتين والحق ان ذلك ليس تفسيرا للآية وان صح افتمارونه
على ما يرى افتجادلونه من المراء اصله المرى يقال مريت الناقة اذا جذبت ضرعها
لتدر وقرأ حمزة والكسائى افتمرونه على المغالبة من ماريته فمريته ولقد رآه نزلة
اخرى فعلة من النزول اى مرة اخرى ولذلك نصبت على الظرف عند سدرة المنتهى
ليلة الاسرى وهى شجرة النبق كل نبقة كقلة من قلال هجر وان اوراقها كآذان الفيلة
وقد غشيها من الانوار ما لا يقدر على نعتها الا الله وسميت بالمنتهى لانتهاء علم
الخلائق اليها وهى فى السماء السابعة كذلك رواه البخارى عندها جنة المأوى
الجنة التى تأوى اليها ارواح الشهداء او المتقون اذ يغشى السدرة ما يغشى من
الانوار والالوان ما يجل عن الوصف وقيل ملائكة كالغربان على كل ورقة ملك
يسبح ما زاغ البصر ما مال عن سنن الاستقامة وما طغى وما تجاوز عن المرئى
لما قرر ان الفؤاد لم يكذب ما رأى ازال الشبهة من يتوهم ان آلة الادراك قد تخطى
فى الادراك كما يتخطى فى موضعه او ما مال النظر وما تجاوز عن مطلبه وهو الحق تعالى
وهذا مقام مخصوص به لم يتيسر لفرد من البشر لقد رأى من آيات ربه الكبرى استيناف
يؤكد ما تقرر اى قد رأى من عجايب الملكوت ما لا يمكن وصفه فضلا عن رؤية جبرئل
ويجوز ان يكون الكبرى مفعول الرؤية اى رأى كبراها وفيه تمسك لمن اثبت الرؤية
اذ لا اكبر منها ثم افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى هذه اصنام
كان اهل الجاهلية يعبدونها اللات كانت بالطائف تعبدها ثقيف والعزى
سمرة بنخلة تعبدها غطفان ومناة صنم كان على الساحل تعبده هذيل وخزاعة
وقد همزه ابن كثير جعله مفعلة من النوء لانهم كانوا يستمطرون عنده بالانواء
ومن لم يهمزها اخذها من منى اراق فانهم كانوا يريقون دماء النسائك عليها
والعزى تأنيث الاعز قطعها خالد بن الوليد فخرج منها شيطانة ناشرة شعرها
تدعو بالويل فضربها خالد بالسيف وقال كفرانك يا عزى لا سبحانك فاخبر بذلك رسول
الله فقال تلك العزى ولن تعبد بعد اليوم ابدا واللات قيل رجل كان يلت السويق
وعن مجاهد اسم رجل كان يلت السمن بطعم فلما مات اتخذوا قبره وثنا والمعنى

ابعد هذه كيف تستمرون على الضلال فيرون هذه الاصنام الهة تستحق العبادة و
تجعلونها شركاء الله الاخرى صفة ذم اي الوضيعة فانهم كانوا يرون التقدم للات
والعزى ألكم الذكر وله الانثى وانتم تقتلون الاناث ولا ترضونها تأنفون منها
عارا فكيف تجوزون ان يكون اولادا له وشركاء في الالوهية واذا كان شانكم
في الجهالة والضلال هذا فكيف تضللون من يدعو الى التوحيد والعبادة من الخلق
والامر تلك اذا قسمة ضيزى جائرة من ضازه يضيزه اذا ظلمه اصله ضوزى لان
فعلى صفة لم تثبت على ما ذكره سيبويه الا مع التاء كعزهات فكسر الفاء لتسلم الياء
كما فعل ببيض وقرأ ابن كثير بالهمز من ضازه اذا ظلمه ان هي اي الاصنام الا اسماء
سميتموها اي لا حقيقة لها باعتبار الالوهية انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان
برهان يدل على جواز اطلاق اسم الاله عليها وفيه تهكم بهم بان العقل لا يجيز اطلاق
الاله على الجماد لو فرض ذلك لم يكن الا تعبدا محضا من الله ان يتبعون الا الظن
تقلدون اباءهم ولا اعتبار للظن في العقائد ولا تقليد وما تهوى الانفس
انفسهم ولقد جاءهم من ربهم الهدى الرسول والكتاب الذي هو مناط الايقان
ام للانسان ما تمنى ام منقطعة ومعنى همزتها الانكار اي ليس للانسان ما يتمنا
خاصا له وهو طمع هؤلاء في شفاعة تلك الجمادات او ما كانوا يقولون لئن كان
هناك بعث نحن احسن حالا من محمد واصحابه كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده
للحسنى ولو لا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم او هو قول عاص بن وائل
لأوتين مالا وولدا فلله الآخرة والاولى يعطي ما يشاء لمن يشاء ليس لاحد فيهما
شركة وقدم الاخرة لان الكلام فيها وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم
شيئا ادنى شيء مع مكانتهم وقربهم عند الله فكيف تشفع هذه الجمادات التي هي
اخس الكائنات والمراد اشراف الملائكة ليدل بالاولوية على انتفائها من غيرهم
ولذلك نكر الملك وخصه بمن في السموات الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ان
يشفع ويشفع له ويرضى بتلك الشفاعة اي يكون مقبوله لان الاذن في الشفاعة
لا يستلزم القبول ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى
حيث قالوا لهم بنات الله قالوا تزوج سروات الجن فولدت له الملائكة والتقييد بالاخرة
اشارة الى فرط جهلهم بانهم يعتقدون ان الانسان يترك سدى ومن كان هذا
شانه لا يبعد منه تلك المقالة وما لهم به من علم اي بذلك ان يتبعون الا الظن
لما سمعوه من آبائهم وان الظن لا يغني من الحق الذي لا يكون يدرك بالاختلاق و
التشريع ويدرك الاعيان وهي المسائل الاصلية والمباحث الالهية شيئا ادنى شيء
فاعرض عن من تولى عن ذكرنا اعرض عنه ولا تقابله والمراد به القرآن او في
اضافته الى نفسه اشارة الى انه كان حقيقا بالاقبال ولم يرد الا الحيوة الدنيا

الدنيا الا هذا الخسيس لان ذلك كان لغاية آخر ذلك مبلغهم من العلم اعتراض يؤكد
الامر بالاعراض لان السعي في الارشاد دائما يجدي لمن له قابلية الترقي ان ربك هو
اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى يعلم من يجيب ومن لا يجيب وقد علم
ان هؤلاء اهل الطبع وفي اعادة العلم ثانيا مبالغة دالة على كمال تمايز الفريقين
عنده ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا تنزيه توهم الاهمال وتركهم
سدى من قوله فاعرض ولذلك عقبه بقوله ليجزي الذين اساؤا بما عملوا بجزاء
اعمالهم ويجزي الذين احسنوا بالحسنى غير النظم للدلالة على ان جزاءهم ليس
على قدر اعمالهم ويجوز ان يتعلق ليجزي بقوله ان ربك هو اعلم وقوله ولله ما
في السموات اعتراض يؤكد حديث الجزاء بانهم تحت ملكه الذين يجتنبون كبائر
الاثم بدل من الذين احسنوا او صفته او نصب او رفع على المدح اي الكبائر من
الاثم فانه جنس الذنوب والكبيرة ما توعد عليه الشارع بخصوصه كالقتل
والزنى او كان قبحه ازيد منه او مساويا وقرأ حمزة والكسائي بالافراد على
ارادة الجنس والفواحش ما زاد قبحه من الكبائر من عطف الخاص على العام الا اللمم
ما قل قبحه فانه معفو عنه اذا اجتنب الكبائر وهو ما دون الكبيرة كمقدمات
الزنى والسرقة والقتل قبل الوقوع واصل التركيب يدل على القلة ومنه اللمة
لشعر جاوز الاذن والمام الضيف قال لقاء اخلاء الصفاء لمام وهو استثناء
منقطع او صفة كانه قيل كبائر الاثم غير اللمم لان المضاف الى المعرف الجنسي في حكم
النكرة ان ربك واسع المغفرة حيث يتجاوز عن الصغائر التي قل ان يخلو عنه الانسان
واليه اشار صلى الله عليه وسلم ان تغفر اللهم تغفر جما واي عبد لك ما الما هو
اعلم بكم اذ انشاكم من الارض لما خلق اباكم آدم واخرجكم من ظهره ذرية واذ انتم
اجنة في بطون امهاتكم فعلمه بكم الآن وبما يصدر منكم اجلى واظهر فان قلت اذا
كان اعلم بهم وقت الانشاء من الارض فلا يخفى انه اعلم بهم حال كونهم اجنة فما الفائدة
في ذكره قلت اراد ان علمه لا يتفاوت بجلاء المعلوم وخفائه كما هو شان العلم الحادث
فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى فان محل التقوى هو القلب والوقوف على احواله و
اسراره ينقطع دونه التقوى والمنهي تزكية النفس تمدحا لا شكرا او ترغيبا للغير ويجوز
ان يراد مدح المؤمن اخاه لما روى ابو بكرة ان رجلا مدح رجلا عند رسول الله
فقال قطعت عنق صاحبك فاذا كان احدكم مادحا اخاه فليقل احسبه كذا ولا ازكي
على الله احدا افرايت الذي تولى اي ابعد علمك بان الله هو اعلم بحال الانسان منه
بنفسه اخبرني عن حال من اراد سلوك سبيل الآخرة والوصول الى الله استقلالا لا
يجيب منه واعطى قليلا واكدى وامسك بعده عن الجزاء اكتفاء بذلك القليل اصله كدا
الحافر وهو ان يلقاه كدية اي صخرة فيمسك عن الحفر والاية نزلت في الوليد بن المغيرة

اراد ان يتبع رسول الله فعيّره بعض المشركين وقال تترك دين الاشياخ فقال انى اخاف
عذاب الله فقال اعطنى بعض مالك وانا احمل عنك العذاب فقعل فاعطاه بعض ذلك و
تر والباقى عثمان وتفسير التولى بالفرار يوم احد باطل لان السورة من اول ما نزل
بمكة اعنده علم الغيب ما فيه العلم بالمغيبات وهو اللوح فهو يرى يعلم ان صاحبه يحمل عنه
فلذلك اكتفى به واستغنى عن اتباع الرسول ام لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى
وفى الا تزر وازرة وزر اخرى والمعنى ان هذا شرع قديم ليس من خواص ما جاء
به محمد فهلا استغنى فى ذلك ما جاء اهل الكتاب بحرزه بجلية الحال وتقديم موسى
لكون كتابه اشهر والاطلاع على ما فيه ايسر ولا ينافيه قوله ان هذا لفى الصحف
الاولى صحف ابراهيم وموسى لان الغرض هناك تقرير كون الاخرة خير وابقى وذلك
مما ينظر فى صحف ابراهيم فضلا عن كتاب التوراة الذى هو اعلى واجل ولما تاخر ذكره زاده
وصفا وهو كونه فيه المبالغة فى الوفاء واطلق ليتناول كل وفاء من تبليغ الرسالة
والقيام بسائر المكارم من ذبح الولد والصبر على نار نمرود قيل كان عاهد الله ان
لا يسأل غيره فلما القى فى النار لقيه جبريل فقال له هل من حاجة يا خليل الله فقال
اما اليك فلا فقال سل ربك قال علمه بحالى يغنى عن سؤالى وروى انه مدح عن
الحذر ان رسول الله قال الا اخبركم لم سمى الله ابراهيم الذى وفى كان اذا اصبح
يقول كل يوم سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى اخر الاية وليس معنى الحديث
انه بمجرد هذا الذكر بلغ تلك الرتبة بل الاشارة الى انه كان يحافظ على محاسن الاعمال
وان ليس للانسان الا ما سعى الا سعيه اى كما لا يؤاخذ احد بذنب غيره كذلك لا
يصل اليه ثواب عمله وما يصل الى المؤمن من ثواب دعاء المؤمنين واستغفار الملائكة
والصدقة له هو ايضا من سعيه لانه اعم من المباشرة والتسبب واليه يشير قوله
صلى الله عليه وسلم من دعا الى الهدى فله اجر فاعله وان سعيه سوف يرى يوم القيمة
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ثم يجزيه يجزى العبد سعيه او على سعيه نصب على نزع
الخافض الجزاء الاوفى الاوفر من استحقاقه ولذلك يرى عمله الخير نصب على
المصدر ويجوز ان يكون البارز المنصوب ضمير الجزاء المدلول عليه والجزاء الاوفى
بدل منه وان الى ربك المنتهى انتهاء الخلائق كلهم هنا وما بعده ايضا من جملة
ما فى الصحف وانه هو اضحك وابكى اى خلق الضحك والبكاء واسبابهما وانه هو امات
واحيى خلق الموت والحيوة وفيه مراعاة النظير مع اللف والنشر وانه خلق الزوجين
الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى تدفق يقال منى وامنى او يقدر من منى الماتن اى قدر
واكد فى الاوليين بضمير الفصل لظنه وهم العز الاثرى لحقل بن خاج ابراهيم انا احيى و
اميت وقولهم اضحكنى الدهر دون هذه اذ لا مجال لذلك الوهم وان عليه النشأة
الاخرى وفاء بوعده وقرأ ابو عمرو وابن كثير بالمد كلاهما مصدر نشأ وانه

وانه هو اغنى بالمال واقنى اى اعطاه ما يقتنيه زيادة على قدر حاجته من القنية
وهى المال المحفوظ لا للتجارة او ارضاه من القنا وهو الرضى وعن ابى زيد تقول
العرب من اعطى مائة من المعز فقد اعطى القنا ومن اعطى مائة من الضان فقد اعطى
الغنا ومن اعطى مائة من الابل فقد اعطى المنا وعن ابى عبيدة اقنى اى الله اعطاه
ما يقتنى من المال والنسب وانه هو رب الشعرى كوكب معروف يتبع الجوزاء وهو
كوكب وقاد يقال له مرزم الجوزاء كانت الخزاعة تعبده اول من عبدها احد اجداد
رسول الله من جهة امه يسمى ابا كبشة ولهذا لما ادعى رسول الله النبوة وفارق
دينهم سموه ابن ابى كبشة كما جاء فى حديث هرقل من قول ابى سفيان وفيه
اشارة الى رده قولهم الباطل فانه وان وافق جده فى مخالفة دينهم فقد خالفه
ايضا فى عبادتها وانه اهلك عادا الاولى والكلام فى تاكيد الاوليين بضمير الفصل
وتركه فى الاخير كما تقدم انفا وعاد الاولى قوم هود والثانية ارم وقيل الاولى
القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد قوم نوح او المتقدمون فى الاشراف وثمود
عطف على عادا لان ما بعد ما النافية لا يعمل فيما قبلها فما ابقى اى من الفريقين
احدا كقوله فهل ترى لهم من باقية وقرأ عاصم وحمزة وثمود بغير تنوين والوقف
بالالف لمن قرأ بالتنوين وقوم نوح من قبل من قبل عاد وثمود نصب بما نصبا به
انهم كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين لانهم وان لم يؤمنوا بنبيهم فلم يؤذوه
كما آذى قوم نوح نوحا اذ قد تواتر انهم كانوا يشجونه ويضربونه حتى يغشى عليه
فاذا افاق قال اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون والمؤتفكة قرى قوم لوط
ائتفكت انقلبت قلبها عليهم جبريل جعل عاليها سافلها اهوى اسقطها بعد ان
رفعها الاسناد الى الله لانه الآمر فغشيها ما غشى فباى آلاء ربك تتمارى
المذكورات بعضها وان كانت نقما لاقوام فهى نعم للانبياء واتباعهم قال ابو الطيب
بذا حكم الايام ما بين اهلها مصائب قوم عند قوم فوائد تتمارى تتشكك والخطاب
لرسول الله الها با وتهييجا وتعريضا بالعراو للانسان على الاطلاق وهذا اوفق
هذا نذير من النذر الاولى اى هذا القرآن من الانذارات الاولى اى من جنس الكتب
المنزلة فذلكة لما عدد من الآى والاحكام التى اشتمل عليها الصحف ولما افتتح به
السورة او الرسول قل ما كنت بدعا من الرسل ازفت الازفة قربت القريبة وهى الساعة
المخبر عن قربها فى قوله اقتربت الساعة واقترب للناس حسابهم ليس لها من دون
الله كاشفة لا يعلمها غيره لقوله لا يجليها لوقتها الا هو او ليس نفس تقدر على
كشفها اذا وقعت الا هو لكنه لا يكشفها او ليس احد يقدر على كشفها الان بتأخير
لو وقعت ويجوز ان يكون كاشفة مصدرا كالعافية افمن هذا الحديث تعجبون
اى من القرآن وتضحكون استهزاء ولا تبكون وكان الواجب عليكم ذلك كما يفعله

الموفون يخرون للاذقان يبكون وانتم سامدون مستكبرون من سمد رفع رأسه
تكبرا اولاهون من سمد البعير في سيره فاسجدوا لله واعبدوا بعد هذا البيان
والترهيب اعبدوه ولا تعبدوا غيره تمت سورة النجم والحمد لكاشف الغم والصلوة
على من به فضل الامم سورة القمر مكية وهي خمس وخمسون اية بسم الله الرحمن الرحيم
اقتربت الساعة اي قد قرب قيام الساعة وانشق القمر وانشقاقه من اياتها روى البخاري
ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه ان اهل مكة سألوا رسول الله ان يريهم اية فاريهم
القمر شقين حتى راوا الحراء بينهما وان يروا اية اهل مكة وان لم يسبق لهم ذكر للعلم
بهم كقوله توارت عليها الظلام رواق يعرضوا ويقولوا سحر مستمر دائم اي ليس هذا
وحده من سحر محمد بل كم له من هذا ويعدون ما سبقه من المعجزات او محكم من استمر مريره
او مر غاية لا نقدر على اساغته من استمر الشيء قويت مرارته او مار لا ابقاء له يسلون
بذلك انفسهم ويمنونها وكذبوا واستمروا على التكذيب ودفع الحق واتبعوا اهواءهم
ما سولت لهم انفسهم وكل امر مستقر اي كل امر له نهاية يثبت فيه كلام مستقل جار
مجرى المثل كقوله كل شيء له آخر والصبر نعم الناصر اي كل امر ينتهي اما الى السعادة
او الى الشقاوة او كل من امره وامرهم يستقر على حاله من خذلان او نصر وقرأ ابو جعفر
مستقر مجرورا عطفا على الساعة اي قرب كل امر مستقر على ان انشق القمر حال بتقدير
قد وان يروا اية اعتراض وفي قراءة ثم زيادة تسلية وتهويل ولقد جاءهم من الانباء
في القرآن مما نزل بالامثال لهم ما فيه مزدجر ازدجار افتعال من الزجر قلبت تاؤه
دالا لتناسب الدال والزاء حكمة بالغة غايتها في الاحكام بدل من ما او خبر مبتدأ
محذوف فما تغني النذر بعدها نفي او استفهام انكار اي اي غناء تغني النذر
بعد وصول الامر الى الغاية فتول عنهم اعرض يوم يدع الداع اسرافيل نصب بيخرجون
او باذكر اثبت ياء الداع البزي عن ابن كثير في الحالين وابو عمرو وورش وصلا
الى شيء نكر منكر تنكره النفوس لفظاعته قرأ ابن كثير بضم الكاف خشعا ابصارهم
كناية عن الذل لان العز والذل يظهر اثارهما في العيون واسناد جمع التكسير الى
المظهر فاش فصيح وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي خاشعا وهو المختار ولم يؤنث لعدم
الفاصل وانتصابه على الحال من فاعل يخرجون من الاجداث وقرئ خشع بالرفع على
الخبرية فيكون الجملة حالا كانهم جراد منتشر في الكثرة والتفرق مهطعين الى الداع
مسرعين مادين اعناقهم اثبت ابن كثير ياء الداع في الحالين ونافع وابو عمرو في الوصل
يقول الكافرون هذا يوم عسر شاق كذبت قبلهم قوم نوح تسلية وترهيب
فكذبوا عبدنا تفصيل لما اجمل اوكذبوه تكذيبا اثر تكذيب كلما مضى قرن تبعه آخر
او كذبوا الرسل راسا فكذبوه لانه من جملتهم وقالوا مجنون اصابه الجنون وازدجر
زجروه شتما وضربا عطف على قالوا او ترنا ابالمفعول تطهيرا للالسنة عن ذكرهم

عن ذكرهم ودلالة على ان فعلهم اسوء من قولهم ولتوافق الفواصل او هو من قولهم
انه مجنون وقد ازدجرته الجن والاول اوجه واوفق لقوله فدعا ربه اني مغلوب
بعد ما ايس وجرب الاولاد والاحفاد فانتصر انتقم ففتحنا ابواب السماء اي
بعد الامر باتخاذ السفينة والفراغ منها وركوبه بمن معه بماء منهمر منصب بكثرة
وتتابع مطاوع همره قيل لم ينقطع اربعين يوما وفجرنا الارض عيونا جعلنا الارض
كلها كانها عيون اصله فجرنا عيون الارض عدل الى المنزل مبالغة فالتقى الماء على
امر قد قدر اي ماء الارض وماء السماء التقيا على مقدار سواء بسواء او على امر قدر
في اللوح من هلاك قوم نوح او على امر قدره الله تعالى واقتضته حكمته وحملناه
على ذات الواح ودسر اي السفينة عبر بالوصف عن الموصوف كناية كقولهم في الانسان
حي مستقيم القامة عريض الاظفار وفيه فخامة ليس في الاصل واشارة الى الكمال الاقتدار
لعدم خلال الخشب والحديد عن دفع ذلك الطوفان العظيم والدسر جمع دسار وهي المسمار
من الدسر وهو الدفع تجري باعيننا محفوظة بكلاءتنا جزاء لمن كان كفر علة للفتح وما
بعده والذي كفر نوح لان كل نبي نعمة من الله او على حذف الجار وايصال الفعل اي كفر
ولقد تركناها اية اي الفعلة او السفينة تواتر خبرها في اقطار الارض في الاعصار
كلها الى آخر الدهر فهل من مدكر معتبر يتعظ بها فكيف كان عذابي ونذر واندار جمع
نذير بمعناه استفهام تعجيب وتهويل ولقد يسرنا القرآن للذكر للاتعاظ لاشتماله
على انباء الاولين والآخرين وبيان ما اصاب من كذب الرسل او سهلناه للتلاوة
لانه عربي مبين يتلوه اهل كل لسان او حفظه دون سائر الكتب او بان نزلناه على
سبعة احرف بحسب لغة القبائل تيسيرا على العرب ازاحة لعذرهم والاول اوفق بالمقام
ولذلك اعاده مرارا فهل من مدكر متعظ كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر و
انذاري لهم قبل نزول العذاب وبعده لمن بعدهم انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا
باردا من الصر بكسر الصاد او شديد الصوت من الصرير في يوم نحس شوم مستمر
شومه او اليوم على ارادة الجنس لانه كان سبع ليال وثمانية ايام او على اشخاصهم
لم يدع صغيرا ولا كبيرا او شديد مرارته تنزع الناس تقلعهم بيان لشومه كانهم
اعجاز نخل منقعر اصول نخل منقلع من مغارسها وتذكير الصفة باعتبار لفظ النخل
وتانيثه في قوله اعجاز نخل خاوية باعتبار المعنى روي انهم كانوا يصطفون آخذا
كل واحد بيد الآخر فيدخلون في الشعاب ويحفرون فتنزعهم وتدق رقابهم وقيل
تقلع رؤسهم وتبقى الجثث ساقطة على الارض فكيف كان عذابي ونذر كرره للتهويل
او الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيط بهم في الآخرة لقوله فيها انهم لنذيقهم
عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اخزى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل
من مدكر كذبت ثمود بالنذر بالانذارات او بالآيات او بالرسل فقالوا ابشرا منا واحدا

نتبعه انكروا ان يكون الرسول بشرا لاسيما وهو ليس من طائفة اخرى يكون له المزية موصوفا بالوحدة والانفراد فكيف يتبعه الجم الغفير ونصب بشرا بمضمر على شريطة التفسير وفي مثله يختار النصب لمكان الاستفهام انا اذا لفي ضلال وسعر وجنون يقال ناقة مسعورة اي مجنونة او عكسوا عليه لما دعاهم الى التوحيد لئلا يقعوا في سعر فقالوا لو اتبعناه وقعنا فيها على ان السعر جمع سعير أألقي الذكر عليه من بيننا وفينا من هو اكثر اموالا واسبابا كقول قريش لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم بل هو كذاب شديد الكذب حتى اخترع هذا الكذب البديع أشر بطر حمله عليه بطره سيعلمون غدا من الكذاب الاشر اي يوم القيمة فان الدنيا والاخرة يومان وقرأ ابن عامر وحمزة بالتاء على حكاية قول صالح او التفات من الله تعالى اليهم كانهم حضور يبقى عليهم جنابهم ثم حكاه لرسول الله دلالة على انهم كانوا احقاء بذلك الوعيد انا مرسلوا الناقة فتنة لهم امتحانا وذلك بعد ان سألوها فارتقبهم انتظرهم مراقبا احوالهم مع الناقة واصطبر على اذاهم ونبئهم ان الماء قسمة بينهم ذو قسمة لهم شرب يوم ولها شرب يوم معلوم وفي الضمير تغليب العقلاء كل شرب محتضر يحضره صاحبه في نوبته فنادوا صاحبهم قدار بن سالف اشقى الناس نطق به القرآن وقال رسول الله اشقى الناس رجلان عاقر الناقة وقاتل علي رض فتعاطى اجترأ على تعاطي الامر العظيم من باب يعطي ويمنع او تعاطى قتل الناقة او السيف والتعاطي تناول الشيء بتكلف فعقر اي الناقة فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة صاح بهم جبرئل فكانوا كهشيم المحتظر كالشجر المنكسر اليابس الذي يمر عليه زمان طويل والمحتظر من يعمل الحظيرة لماشيته او هو الحشيش الذي يجمعه ليعلفها به في الشتاء ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر لم يعد حديثا لانذار كما اعاده في قصة هود اكتفاء به وكذا لم يعده في قوم نوح لانهم بذلك اولى اذ هم اظلم واطغى وتركه راسا في قصة لوط لتكرره مرارا ونزل ذكر التيسير والادكار في آل فرعون لانها آخر القصص فاختصر ليدل الاختصار على الاقتصار فهذا من اسرار التنزيل لله دره كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا ريحا تحصبهم اي ترميهم بالحجارة وقد جمع الله عليهم انواعا من العذاب قلب الارض وامطار الحجارة عليهم والرمي بالحصباء الا آل لوط نجيناهم بسحر هو قبيل الصبح صرف لانه لم يرد به معين والا فعلى العدل وقد يطلق على ما بعد انصداع الفجر فيقيد الاول بالاعلى ومنه حديث عائشة رض ما القاه السحر الاعلى عندي الا نائما وذلك ليكون في صلوة الصبح على نشاط بخلاف ما اذا واصل بين التهجد وبينها نعمة من عندنا انعاما عليه نقصده كذلك نجزي من شكر بالايمان والطاعة كما نجينا من كان ولقد انذرهم بطشتنا اخذتنا بالعذاب فتماروا بالنذر كذبوا بها متشاكين ولقد راودوه عن ضيفه جبرئل ومن معه من الملئكة فطمسنا اعينهم مسحناها وجعلناها

بحيث لم يبق لها اثر بل بقيت كسائر اجزاء الوجه طمسها جبرئل لما دخلوا بيت لوط بقوا يترددون في الازقة لا يهتدون الى منازلهم وشرعوا يتهددون لوطا ان اصبحنا لنفعلن بك كذا وكذا فكانوا وقت الصبح فمتهم آخر فذوقوا عذابي ونذر على تقدير القول من الملئكة ولقد صبحهم بكرة اول طلوع الفجر عذاب مستقر بهم لا يفارقهم حتى يسلمهم الى النار فذوقوا عذابي ونذر الاول قيل لهم عند الطمس وهذا عند قلب الارض ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر اعاده في كل قصة تجديدا للاتعاظ وحثا على الاتعاظ لئلا يستولي عليهم الغفلة وهكذا شأن كل تكرير في القرآن ولقد جاء آل فرعون النذر الانذارات واكتفى بالاول للعلم باشتراكهم كذبوا باياتنا كلها يعني الآيات التسع لم يعطفه بالفاء اكتفاء بالاتصال المعنوي واشارة الى شدة كفرهم كان تكذيبهم كان مع مجيء تلك الآيات فأخذناهم اخذ عزيز مقتدر بان طبق البحر على ذلك الجيش الكثيف في لحة طرف كأن لم يكونوا اكفاركم يا اهل مكة خير من اولئكم الكفار المهلكين زينة واموالا وقوة واسبابا او دينا شكيمة وعنادا اي ليس الامر كذلك بل هؤلاء اقل اسبابا واكثر كفرا وعنادا ام لكم براءة في الزبر بان لا عذاب عليكم الزبر الكتب السماوية جمع زبور من زبره كتبه ام يقولون نحن جميع منتصر اوحد الضمير باعتبار لفظ الجميع وعدل عن الخطاب كانه يحكي عنهم لغيرهم كما يقول المولى بعد استيفاء عتاب عبده اوجه سيهزم الجمع ويولون الدبر الادبار وافرده لارادة الجنس او باعتبار كل واحد روى البخاري عن ابن عباس ان رسول الله خرج يوم بدر من القبة يثب في درعه وهو يتلو سيهزم الجمع ويولون الدبر وعن عكرمة ان عمر قال كنت لا ادري اي جمع يهزم فلما رأيت رسول الله يوم بدر يثب في الدرع وهو يتلوها عرفت تأويلها بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر من القتل والاسر والداهية داء لا دواء له وانما اعاد لفظ الساعة تهويلا ولئلا يتوهم عود الضمير الى وقعة بدر ان المجرمين في ضلال في الدنيا وسعر ونيران في الاخرة او في ضلال وجنون تا وسعور اي مجنونة يوم يسحبون في النار على وجوههم ظرف لسعر او بدل الاشتمال منه ذوقوا مس سقر اي يقال لهم هذا القول في ذلك الحين تقريعا وايقاعا للحق السامعة من العذاب والمس مستعار للايلام كما يقال ذاق طعم الضرب وسقر علم لنار الاخرة من سقرته النار وصقرته اذا لوحته قال ذو الرمة اذا ذابت الشمس نفى صقراتها بافنان مربوع الصريمة معبل انا كل شيء خلقناه بقدر منصوب بمضمر يفسره اي خلقنا كل شيء واوجدناه ملتبسا بما سبق من التقدير في الازل وسطر في اللوح روى مسلم والترمذي انها نزلت في اهل القدر وعن زرارة ان رسول الله لما تلاها قال هذه في ناس من امتي يكونون في آخر الزمان يكذبون بالقدر وما امرنا الا واحدة الا فعلة واحدة وهي بلا آلة واسباب كلمح بالبصر في سرعة التكون كقوله كن فيكون ولقد اهلكنا اشياعكم

اشياعكم ومن يشابهكم في الاعتقاد فهل من مدكر متعظ بمصيبة اولئك وكل شيء فعلوه في الزبر ثابت فيه مسطور فيجازون به وكل صغير وكبير قولا كان او فعلا او اعتقادا مستطر مكتوب لا محالة ان المتقين في جنات ونهر وضياء وسعة او في انهار واكتفى باسم الجنس في مقعد صدق بدل من في جنات سميت به لانها منزل الصادقين او لانها مكان مرضي كما يقال رجل صدق اي مرضي الخصال محمودة الفعال عند مليك مقتدر حال من المستكن في الخبر اي مقربين ذوي رتب عند سلطان كامل الاقتدار ولا الذ للتقرب من قرب الملوك ولذا يبذل الاموال والارواح دونه مع ملوك الدنيا تمت سورة القمر ولله الحمد في الآصال والبكر والصلوة على صفوة عدنان ومضر واله وصحبه من هاجر او اوى ونصر سورة الرحمن مكية وست وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن هذه السورة مقصورة على بيان نعم الدارين التي لها شان لا لاحصاء الكل لمحال فلذلك صدرها بالاسم الدال على جلائل النعم براعة للاستهلال وبداء باجلها وهي نعم الدين ثم اختار اعلاها شانا واسناها مكانا وهي القرآن الحاوي لاصول الدين وفروعه الموضح للسبل المصدق لسائر الكتب والرسل ولما كان كمال الانسان في تكميل قوته النظرية وهو الغاية المطلوبة من خلقه قدم تعليم القرآن ثم اردفه بما يتوقف عليه بقوله خلق الانسان علمه البيان المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير الذي لا يمكن تعلم القرآن وتعليمه الا به واتى بالجمل الثلث على نمط التعديد اشارة الى تقاعد الانسان عن الوفاء بشكرها كما تقول لمن قصر في مكافات معروفك يا هذا كنت صغيرا ربيتك محتاجا اعطيتك ضايعا آويتك ثم بعد قضاء الوطر من هذا الاسلوب افاض في تعداد النعم واحدة اثر اخرى على النمط المعروف بحرف التشريك رعاية للتقارب والتناسب بقوله الشمس والقمر بحسبان يجري كل منهما في منازله ويرى بحد بلا اختلال لينضبط بذلك احوال الكائنات ويتميز به الفصول والاوقات والنجم والشجر يسجدان ينقادان لامره فيما خلقا له شبه ذلك بسجدة المكلف والنجم نبت لا ساق له والشجر ما له ساق وارتباط الجملتين بما تقدم معنوي وذلك انه لما رمز الى تقاعده في الشكر اخذ في تعداد نعم اخرى حثا له على ما طلب منه ولو عطف لم يفد هذا الغرض وفيهما اشعار الى ان ما في العالم العلوي والسفلي قائم بما خلق له والانسان مع كونه المقصود من الكون حس بذلك وكان ظلوما جهولا والسماء رفعها شرفا ورتبة لانها منشاء احكامه ومصدر قضاياه ومتنزل اوامره ونواهيه او مكانا فوق الارض كقوله وجعلنا السماء سقفا محفوظا دل به على علو شانه وعظم كبريائه وسلطانه مع كونه مبدا جوده واحسانه ووضع الميزان قانون الشرع الذي به النظام والوفاق بين الانام الذي هو لافعال المكلفين كالمكيال والمقياس الذي يعرف به الاشياء والامثال الا تطغوا في الميزان لا تتجاوزوه بالزيادة والنقصان فيورثكم الندم والخسران واقيموا الوزن

واقيموا الوزن بالقسط اجعلوا وزن اعمالكم قويما لا عوج به بالعدل السوي وهو ما قننه الشارع ولا تخسروا الميزان لا تنقصوا ما وجب عليكم عن حقه اعاده مبالغة في التوصية والارض وضعها للانام بسطها مدحوة للتوسيع عليهم للتصرف والتردد في اكتساب المعاش والمعاد والانام الانس والجن كذا عن الحسن او كل ذي روح فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به والنخل ذات الاكمام جمع كم بالكسر وهو وعاء الطلع او ما يغطى من ليفه وسعفه وكفراه وبالجملة ليس في شجر النخل ما لا ينتفع به ولذلك قال رسول الله ان من الشجرة شجرة مثلها كمثل المسلم ثم قال انها النخلة وعلى هذا ذكرها بعد الفاكهة لم يكن تكريرا بل كذكر جبريل بعد الملائكة والحب ذو العصف كالبر والشعير والحبوب العصف ورق النبات والريحان لب الحب وما يوكل منه ولذلك فسر بالرزق استوعب اقسام ما يتناول في حالة الرفاهية لانه اما للتلذذ وهو الفاكهة اوله وللتغذي وهو ثمر النخل او للتغذي وحده وهو الحب وفي ذكرها على هذا الاسلوب ترق من الادنى الى ما هو ادخل في الامتنان وقرأ ابن عامر الثلثة بالنصب عطفا على الفعلية بتقدير خلق وعليه رسم الشام ونافع وابن ذكوان وابن كثير وابو عمرو وعاصم برفعها عطفا على الاسمية اي فيها فاكهة وفيها الحب وعليه بقية الرسوم وقرأ حمزة والكسائي بجر الثالث ورفع الاولين اي ذو العصف والريحان اصله روحان قلبت واوه ياء تخفيفا او ريوحان حذف واوه فوزنه فيلان فباي الاء ربكما تكذبان الخطاب للثقلين لما تقدم ذكرهما في الانام ولقوله ايها الثقلان عن جابر قرأ رسول الله علينا سورة الرحمن الى اخرها ثم قال قرأتها على الجن كانوا احسن ردا منكم كلما اتيت الى فباي الاء ربكما تكذبان قالوا لا بشيء من الائك نكذب ربنا خلق الانسان من صلصال من طين يابس له صلصلة او صوت كالفخار كالخزف وعبر عنه بالطين اللازب والحماء المسنون والتراب ايضا باعتبار انتقاله في الاطوار وخلق الجان ابا الجن وهو ابليس من مارج من نار اي من نار صافية او مختلطة بالدخان ومنه الامر المريج من بيان او من نار مخصوصة ممتازة عن هذه النيران فلذا نكره ومن ابتدائية فباي الاء ربكما تكذبان اذ افاضة الجود اجل الانعامات واولاها رب المشرقين ورب المغربين مشرقي الشتاء والصيف ومغربيهما فباي الاء ربكما تكذبان لما في ذلك من الفوائد التي لا تحصى مرج البحرين يلتقيان ارسلهما متلاقيين من مرجت الدابة ارسلتها بينهما برزخ لا يبغيان فباي الاء ربكما تكذبان حاجب من قدرته يمنع احدهما من التعدي على الاخر بالاختلاط اذ في ذلك من الايات ما يدل على كمال اقتداره الموصل الى الايمان الذي كل نعمة دونه وتفسير الالتقاء بتماس السطوح ثم تفسير البرزخ بحاجب من الارض وحمل البحرين على بحر فارس والروم غير سديد يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان احدهما ابيض يقق والاخر احمر قاني وهما من خواص الملح دون العذب وانما قال منهما لانفصالهما

في المراى والقول بانهما يخرجان من مجمع البحرين برده المشاهدة قرأ نافع وابو عمرو بضم الياء
وفتح الراء والباقون بالعكس والاولى الاصل والثانية التعبير باللازم فباى آلاء
ربكما تكذبان وكونهما من فواضل النعم غنى عن البيان وله الجوار السفن الجارية في البحر
المنشآت في البحر المرفوعات الشرع وقرأ حمزة بالكسر اى الرافعات الشرع او الموج او السير انشأنا
او المبتديات في الفعل من انشأ شرع في الفعل كالاعلام كالجبال الشامخة قالت
الخنساء كانه علم في رأسه نار فباى آلاء ربكما تكذبان لما في ذلك من الدلائل الدالة
على كمال علمه تعالى واقتداره وما في ضمنه من منافع العباد كل من عليها فان اى على الارض
من الموجودات ومن للتغليب العقلاء كقوله كل شيء هالك الا وجهه والاقتصار على
من على الارض لانه في تعداد النعم واشار الى العموم بقوله ويبقى وجه ربك اى
ذاته تجوز به اولا عن الجملة كاليد والعين ثم اشتهر حتى صار حقيقة فاستعمل فيمن
تنزه عن الاجزاء ذو الجلال والاكرام اى الذى يجله الموحدون وينبونه الى الكرم
او الذى جدير بان يقال له ما اجلك وما اكرمك قيل او لم يقل وتقديم صفة السلب
لانه في مقام الجلال وقهر الخلق بالفناء فباى آلاء ربكما تكذبان لما في ذلك
من العلم بكمال الصانع وكبريائه مع الوصول الى الجزاء والحيوة الابدية يسئله
من في السموات والارض لافتقار الكل اليه ابتداء وبقاء روى انه تعالى لما لعن
ابليس وطرده من جواره وكان من الحافين بالعرش بكى جبرائيل وميكائيل فسألهما الله
تعالى وهو اعلم بهما لم تبكيان قالا ربنا من خوفك فقال هكذا كونا راهبين كل
يوم هو في شان يسعد ويشقى ويحيى ويميت ويغنى ويفقر شؤون يبديها لا شؤون
يبتديها فباى آلاء ربكما تكذبان لما في ذلك من دفع الضر وجلب النفع والاعتبار
والتذكر المنجى من عقابه سنفرغ لكم ايها الثقلان كناية عن التوفر للانتقام و
توجه الارادة اليه او تمثيل بان شبه حاله تعالى بعد انتهاء الشؤون الى واحد وهو الاخذ
بالجزاء بحال من له سابقة اشتغال عن شيء ثم فرغ له والثقلان الانس والجن
لان الارض ثقل لهما كالحمولة قرأ حمزة وابو بكر في وجه سيفرغ بالياء فباى آلاء ربكما
تكذبان لما في هذا التهديد من الحث على الطاعة يا معشر الجن والانس ان استطعتم
ان تنفذوا من اقطار السموات والارض من ملكوتى لتنجوا بذلك من قهرى فانفذوا
امر تعجيز وفى معناه ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ساء ما يحكمون
وقيل المراد به يوم الحشر فان الملائكة تحدق بهم سبعة صفوف يقول الانسان
يومئذ اين المفر وتقديم الجن لانهم اعتى واشد قوة لا تنفذون الا بسلطان وانى
لكم ذلك يرسل عليكما شواظ لهب مركب من النار والدخان وعن ابن عباس نار لا دخان
فيه وقرأ ابن كثير شواظ بكسر الشين من نار ونحاس صفر مذاب يحشر الناس الى الموقف
وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالجر عطفا على المجرور اى من نار ومن نحاس على ان المراد

على ان المراد به الدخان ونشد بمعنى كضوء السراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا
والرفع ابلغ واليه ذهب ابن عباس فلا تنتصران فباى آلاء ربكما تكذبان فان
في التهديد كبح عنان العاصى وحث الطائع على المزيد فاذا انشقت السماء فكانت
وردة قطعة حمراء كلون الورد وعن ابن عباس الوردة اديم احمر كالدهان كالزيت
المذاب الذى يدهن به كقوله يوم تكون السماء كالمهل والمعنى انها تذوب
من حر نار جهنم والدهان كل ما يدهن به كالحزام والادام والختام فباى آلاء ربكما
تكذبان فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان هذا في اول الحال قبل شفاعة
رسول الله للفصل والقضاء فلا ينافيه فوربك لنسئلنهم اجمعين والهاء للانس
والجان لتقدمها رتبة فباى آلاء ربكما تكذبان لما في ذلك الوقت من النعيم في ظل
عرش الرحمن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون يعرف المجرمون بسيماهم بعلامتهم سواد
الوجه وزرقة العين فيؤخذ بالنواصى والاقدام مجموعا بينهما او على التعاقب
فباى آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين
حميم آن بلغ نهاية الحرارة يحرقون بالنار ويشربون من الحميم فباى آلاء
ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه الوقوف بين يديه يوم يقوم الناس لرب
العالمين كقوله ذلك لمن خاف مقامى او لفظ المقام مقحم اى لمن خاف الله كقول
الشماخ ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين جنتان فباى آلاء ربكما تكذبان
اى لكل واحد احدهما للاعتقاد والاخرى للعمل او احدهما لترك المعاصى والاخرى
لفعل الطاعات وجعل احدهما للخائف من الانس والاخرى للخائف من الجن بعيد
مخالف للاحاديث ذواتا افنان جمع فنن وهو الغصن خصها بالذكر لانها
التى ينتفع بظلالها وثمارها وحسن المنظر باوراقها او جمع فن اى انواع من الثمار
فباى آلاء ربكما تكذبان حيث اعد لكم هذا وانتم بعد في العدم فيهما عينان تجريان
كيف شاؤا احديهما السلسبيل والاخرى التسنيم روى انهما ينبعان من جبل من مسك
والوصف بالجريان لتوفير حظ الباصرة فان النظر الى الماء الزلال اجلب شئ للسرور
فباى آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان صنفان مما تعلمون
ومما لا تعلمون او رطب ويابس لئلا يمل فباى آلاء ربكما تكذبان واى نعيم
افضل من هذا التنويع متكئين على فرش بطائنها من استبرق من ديباج غليظ و
ظهائرها من سندس نصب على المدح او حال من فاعل خاف لانه في معنى الجمع وجنى
الجنتين دان قريب يناله القاعد والمتكئ اسم بمعنى المجتنى فباى آلاء ربكما تكذبان
فيهن اى في الجنان التى لكل واحد منهما جنتان او في الجنتين لاشتمالها على الاكنة
او في الآلاء المعدودة قاصرات الطرف على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم لم يطمثهن
انس قبلهم ولا جان فهن ابكار كما خلقن وقرأ الكسائى ورواية الدورى هنا بضم

الميم وكسرها في الثانية وفي رواية الليث عنه بالعكس وفي رواية حفص الكسائي بين ضم احديهما وكسر الاخرى على التخيير وهذا احسن جمعا بين اللغتين بلا ترجيح من غير مرجح كأنهن الياقوت والمرجان في صفاء الياقوت وبياض المرجان روى مسلم عن ابي هريرة ان رسول الله قال لكل واحد زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم وفي رواية ابن مسعود رض من وراء سبعين حلة فبأي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا الاحسان اي لا يكون الا ذلك فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان دون الجنتين الاوليين في الشرف هما للمقربين وهاتان لاصحاب اليمين روى البخاري عن عبد الله بن قيس عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وفي اللفظ دلالة على مزية الاوليين فبأي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان سوداوان من الري في مقابلة ذواتا افنان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان في مقابلة عينان تجريان والنضخ الفوران اقل من الجري فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان افردهما لبيان شرفهما على سائر الفواكه كانهما جنسان آخران او لاشتمالهما على غير التفكه كالتغذي في التمر والتداوي في الرمان ولذلك ذهب ابو حنيفة رحمه الله الى ان من حلف لا يأكل الفاكهة لا يحنث بأكل احدهما والوجه هو الاول اذ هذا انما يتصور في فاكهة الدنيا لان كل ما ثبتا ولد في الجنة لا ثبتا ولد الا على وجه التفكه فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات حسان جيدات حسان الاخلاق وتخفيف خيرات صفة لا اسم تفضيل اذ ذا لا يجمع هذا الجمع فبأي آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات في الخيام محذورات لا يخرجن او مقصورات طرفهن على ازواجهن فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر وسائد من حرير اخضر لانه لون مفرح ويقال ايضا للبسط ولاطراف الخيمة وكل ثوب اخضر وعبقري حسان بسط حسنة منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد للجن ينسبون اليه كل شيء عجيب ومنه في وصف عمر فلم ار عبقريا يفري فريه والمراد به الجنس ولذلك جمع وصفه فبأي آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك كثر خيره وازداد اراد لفظ الرحمن الذي يعقبه هذه النعم وكل اسم له فانه لابداء شيء الاصار ذا بركة ويمن ذي الجلال والاكرام تقدم الكلام فيه وقراءة ابن عامر ذو بالرفع صفة للاسم وفيه مبالغة حسنة تمت سورة الرحمن والحمد لله الفضل والاحسان والصلوة على المبعوث الى الانس والجان وآله وصحبه ذوي الحلم والشان سورة الواقعة مكية وهي سبع وتسعون آية بسم الله الرحمن الرحيم اذا وقعت الواقعة اي القيمة عبر عنها بالواقعة دلالة على تحقق وقوعها لا

لا محالة كقولك حدثت الحادثة واذ ظرف لليس او بنصب باذكر او بمقدر اي اذا وقعت يكون كيت وكيت وهذا اجزل ليس لوقعتها كاذبة نفس تكذب في الاخبار عن عدم وقوعها كاليوم كقوله لما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله او من كذبته نفسه عند الخطب اذا شجعته على امر لا طاقة له به كانه قال هذا الخطب ليس من الخطوب التي تقدر نفس على الكذب مع صاحبها في احتماله وعلى الوجهين اللام للوقت مثلها في قدمت لخمس خلون او هو كلام على طريقة التمثيل اي بعد وقوعها ليس نفس تكذب بلسان الحال او المقال وتقول لها لم تكوني او مصدر بمعنى الكذب كما يقال حمل عليه حملة صادقة اي ذات صدق خافضة رافعة لاخرين لقوم وتلقوم تيل اذا رجت الارض رجا حركت تحريكا عنيفا كقوله اذا زلزلت الارض وبست الجبال بسا سيرت وفي الحديث اذ فتحت العراق يأتي قوم يبسون باهليهم او فتت لقوله فكانت هباء غبارا منبثا منتشرا وكنتم ازواجا اصنافا ثلثة فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة اي اصحاب الجنة هل تدري ما صفتهم وما هم وفيه اقام المظهر مقام المضمر لما فيه من الفخامة والميمنة الجهة التي تسامت اقوى الجانبين من اليمن وهو البركة والعرب تتيامن باليمين وتتشاءم بالشمال وليستويها الشؤمى ولان اهل السعادة يؤخذ بهم ذات اليمين واهل الشقاوة ذات الشمال واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة اي ما هم وما صفتهم سيق للتعجيب والسابقون السابقون مبتداء وخبر اي السابقون الى الايمان هم الذين بلغك خبرهم في علو الرتبة ورفعة الشان كقوله انا ابو النجم وشعري شعري وتخصيصهم بالانبياء مما لا وجه له اولئك المقربون في جنات النعيم اي الموصوفون بالسبق هم الذين قربت درجاتهم من الله تعالى واعليت منازلهم في الجنة استيناف لبيان ذلك الابهام ثلة من الاولين جماعة كثيرون من الثل وهو الصب والهدم خبر محذوف اي هم وقليل من الآخرين وفي تفسير الاولين وجهان قيل السابقون على هذه الامة من لدن آدم الى محمد عليه الصلوة والسلام فالسابقون منا ولذلك اكثر من سابقي هذه الامة ورد واهذا عن الحسن وهذا قول لا سند له بل السابقون والآخرون من هذه الامة وذلك لما صح ان اهل الجنة مائة وعشرون صفا ثمانون من هذه الامة واربعون من سائر الامم وقد نطق القرآن بان هذه الامة خير الامم روى البخاري ومسلم انه صلى الله عليه وسلم قال نحن اقل عملا واكثر اجرا فكيف يكون السابقون من اربعين اكثر من السابقين من ثمانين مع ان هولاء اكثر اجرا وخيرا منا ولذلك بنص القرآن والحديث بل الاولون هم اوائل هذه الامة الذين اشار اليهم بانهم خير القرون السابقون الاولون من المهاجرين والانصار على سرر موضونة منسوجة بالدر واليواقيت داخل بعضها

في بعض كخلق الدرع وقيل متداخلة ادنى بعضها من بعض مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ
حالان من الضمير في على سرر يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ مبقون على تلك
الهيئة ابدا لا يعتريهم تغير وتبدل من كبر سن او في آذانهم الخلدة وهي القرطة
وعن الحسن هم اولاد الكفار اذ الحق انهم اهل الجنة وقيل هم الاولاد والاطفال
الذين ماتوا من غير عمل بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ متعلق بيطوف والكوب ما ليس له
عروة ولا خرطوم والابريق عكس ذلك وهذا التنويع على طريقة اهل الشرب في
الدنيا وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ هو القدح الذي يشرب به والمعين الجاري اي ليس مثل
خمر الدنيا توخمت من مجاورت الدن لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ لا يحصل
لهم بشربها صداع وَلَا يُنْزِفُونَ يسكرون يقال انزف سكر قال لعمري لئن انزفتم
او صحوتم لبئس الندامى كنتم آل ابجرا او لا ينفد شرابهم من انزف نفد والمعنى لا
ينفد عقولهم ولا شرابهم وقرأ غير الكوفيين بفتح الزاء على بناء المفعول من
انزفه اسكره وهذا اوفق بقوله لا يصدعون وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ يختارون
وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ يستلذون وَحُورٌ عِينٌ بيض نجل العيون عطف على ولدان
معنى اي لهم ولدان وعندهم حور او على فاعل متكئين لوجود الفاصل كقوله
ما اشركنا ولا اباؤنا وقرأ حمزة والكسائي بالجر عطفا على جنات اي في جنات و
معاشرة حور عين وعن الزجاج عطفا على باكواب اي يطوف عليهم الولدان بالحور
كما هو داب الملوك بالخادم يخطا باهم الى اماكن انفسهم وعن القراء الجر
على الجوار كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ في الصدف في الصفاء والطراوة او المخزون لشرفه
وبهائه جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مفعول له اي هذا الذي تحفناهم به لجزاء اعمالهم
لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا كلاما باطلا وَلَا تَأْثِيمًا ولا نسبتا لو كان في الدنيا اوجب
اثما كما يقع من اهل السكر في مجالسهم إِلَّا قِيلًا قولا سَلَامًا سالما عن ذلك سَلَامًا
بدل منه او الاسلاما اثر سلام تحيتهم فيها سلام وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ
الْيَمِينِ اي لهم شان واي شان ثم شرع بتفصيله فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ غير مشوك كانه
خضد وقيل هو موقر بالحمل من خضده اذا ثناه وامالة وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ نضد بالحمل
من اسفله الى اعلاه هو شجر الموز او ام غيلان وقيل شجر في البادية والظاهر انه انما
خصا بالذكر لكثرتهما في ارض العرب وليس لهما ثمر فاخر فاشار الى انهما في الجنة
ليسا على ما كانا عليه وقيل انما ذكر المعنى التفضيل دون الثمر وليس بوجه لذكر الظل
بعده ولكون الوصف بالخضد والنضد مرادا ثم وقيل ما دام هذا الكلام مع اهل الوبر
وام غيلان له رائحة طيبة وله شوك فاشار الى ان ما في الجنة لا شوك له مع كونه
موقرا بالثمر وَظِلٍّ مَمْدُودٍ لا فرج فيه ولا ينقلص كما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس
وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ على الدوام كيف شاؤا وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ الانواع لَا مَقْطُوعَةٍ في وقت

في وقت كفاكهة الدنيا وَلَا مَمْنُوعَةٍ من الوصول اليها وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ على السرر
او نضد بعضها فوق بعض فارتفعت روى الترمذي عن ابي هريرة ان رسول الله
قال في تفسير فرش مرفوعة ارتفاعها كما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة
عام او هو كناية عن الحور إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً اي خلقناهن خلقا جديدا اما
ابتداء وهن الحور او نساء الدنيا والضمير للفرش ان كان كناية عن النساء او
لما دل عليه ذكر الفرش وان لم يسبق له ذكر وعن ام سلمة رضي الله عنها سالت
رسول الله عن قوله انا انشأناهن قال هن اللاتي كن في الدنيا شمطا رمصا
فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا جمع عروب متحببات الى ازواجهن وقرأ ابو بكر بسكون
الراء مخففا أَتْرَابًا لداتهن والازواج في سن واحد ثلثين وطول آدم ستين
ذراعا في عرض سبعة اذرع لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ متعلق بانشأنا او صفة اخرى لابكارا
ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ خبر مبتداء محذوف وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ
الشِّمَالِ في سوء الحال فِي سَمُومٍ في نار تنفذ في المسام وَحَمِيمٍ وماء متناه في
الحرارة وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ دخان اسود من الحمة وهي السواد لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ليس فيه
برد وروح كسائر الظلال اثبت لهم الظل ثم نفى برده وروحه تهكما وتعريضا
بان ذلك انما يستحقه اضدادهم إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ منعمين اذهبوا
طيباتهم في الحيوة الدنيا من ارفد النعمة اطغته وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ
الكفر بالله وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ منكرين
ذلك مكذبين للرسل نافين لقدرة المقتدر أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ مع تقادم العهد
هذا اشد بعدا والعطف على المستكن في مبعوثون لوجود الفاصل او على محل اسم
ان وقرأ ابن عامر وقالون بسكون الواو ويتعين العطف على المحل قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ
وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ الميقات ما يوقت به الشيء ومنه ميقات
الاحرام اي الى وقت معين من يوم معلوم والاضافة بمعنى من ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ
الْمُكَذِّبُونَ بالبعث قدم الضلال لانه منشأ الكذب لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ من
الاولى لابتداء الغاية والثانية بيان فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ لغلبة الجوع فَشَارِبُونَ
عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ الماء المتناهي في الحرارة وتانيث الضمير اولا وتذكيره ثانيا باعتبار
اللفظ والمعنى وحمل التذكير على الاكل يفك الضماير فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ جمع هيماء
وهي التي لا تروى من العطش لداء بها قال ذو الرمة فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد
صداها ولا يقضي عليها هيامها او جمع هيام وهو الرمل الذي لا يمسك الماء والعطف
باعتبار الصفة لان شربهم الحميم لدفع العطش بديع كان شربهم كشرب الهيم عجيب و
قرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر والكسائي بفتح الشين وهما لغتان والضم اشهر
هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ هو ما يعد للضيف النازل واذا كان هذا النزل فما بعد ما

نحن خلقناكم لا تشكون في ذلك فلولا تصدقون بالاعادة فانها اوضح من البدء
افرأيتم ما تمنون تلقون في الارحام من النطف ءانتم تخلقونه ام نحن
الخالقون هب انكم لا تعلمون خلق انفسكم الستم تشاهدون ما تولد منكم نحن قدرنا
بينكم الموت قضينا بذلك وسوينا كم فيه مع الاختلاف في الاعمار كالارزاق وما
نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم يقال سبقته على كذا غلبته عليه وننشئكم
فيما لا تعلمون ما هو وما عهدتم مثله قدرتنا على الامرين سواء ولقد علمتم النشأة
الاولى فلولا تذكرون فانها في غاية الظهور لا يحتاج الى ترتيب مقدمات افرأيتم
ما تحرثون تشقون الارض وتلقون فيها من البذر ءانتم تزرعونه تنبتونه
وتوصلونه الى الكمال ام نحن الزارعون الفاعلون لذلك لو نشاء لجعلناه حطاما
متكسرا فظلتم تفكهون فضيتم بها ركم تعجبون او تندمون على تعبكم فيه او على
المعاصي التي تسبب له وعن ابي هريرة ان رسول الله قال لا يقل احدكم زرعت وليقل
حرثت انا لمغرمون لذهاب رزقنا من الغرام او ملزمون بغرامة ما انفقنا فيه
من الغرامة وقرأ ابو بكر بالاستفهام تعجبا والاخبار ابلغ بل نحن محرومون
مصابون بالحرمان والشقا افرأيتم الماء الذي تشربون عذبا فراتا ءانتم
انزلتموه من المزن جمع مزنة السحاب الابيض فان ماءه اعذب ام نحن المنزلون
لو نشاء جعلناه اجاجا مرا زعاقا لا يسوغ فلولا تشكرون هذه النعمة وانما حذف
اللام لتقدمها قريبا مع اشتهارها لولا ولان المشروب تبع للماكول لتدل على ان فيه
اهم والاهتمام به اتم افرأيتم النار التي تورون تقدحون بالزند والزندة ءانتم
انشأتم شجرتها المودعة فيها النار ام نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة تذكر
على قدرتنا على الاعادة وانموذجا من نار الاخرة ومتاعا للمقوين النازلين بالقواء
ممدود ومقصور من القوى وهو المكان القفر وخص بالذكر لفرط الاحتياج فيه او من اقوى
وهو الخلو فيعم المسافر والمقيم فسبح باسم ربك العظيم نزهه عما لا يليق بجلاله بذكر
اسمه العظيم شكرا لعظيم آلائه او اذكره باسم العظيم تعجبا ممن يرى هذه النعم ثم يكفر
الباء للاستعانة او للملابسة فلا اقسم بمواقع النجوم بمساقطها اذ في ذلك الوقت
زوال سلطانها فيكون ادل على وجود الصانع وعن الحسن انكدارها يوم القيمة وقيل
منازلها وقيل اوقات نزول القرآن ولا مزيدة وقرأ حمزة والكسائي بموقع النجوم لارادة
الجنس وانه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض فيه اعتراض لما في المقسم به من كمال القدرة
او نهاية الرأفة انه لقرآن كريم شريف نيط به امر المعاش والمعاد او كريم عند الله
وانما بالغ في القسم وجعل القرآن مقسما به لكونه مصدرة بامر المعاد وقد بسط
فيها ادلة الافاق والانفس على وجه يحار فيه الالباب ولا يبقى لذي العينين ريبا
في كتاب مكنون مصون عن ايدي الاغيار لم يقع فيه شائبة تبديل لا يمسه الا المطهرون

من دنس الاثام وهي السفرة الكرام البررة او المطهرون من الاحداث رواه مالك وابو
داود فالنفي بمعنى النهي تنزيل من رب العالمين مصدر نعت به صفة اخرى للقرآن
افبهذا الحديث انتم مدهنون متساهلون من الدهن فان المتهاون يلين جانبه وتجعلون
رزقكم شكر ما رزقتم من فهمه او رزقكم الذي بين في السورة من نعم الدارين
انكم تكذبون به وقيل الرزق المطر وتكذيبهم به نسبته الى الانواء فلولا اذا
بلغت الحلقوم اي النفس والخطاب للذين حول المحتضر وانتم حينئذ تنظرون نظر
المحتاج العاجز ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون ذلك فلولا ان كنتم غير مدينين
مربوبين مملوكين من دان السلطان رعيته ساسها ترجعونها النفس الى البدن
ان كنتم صادقين في ان لا صانع وانكم تتركون سدى وهؤلاء وان لم يصرحوا بنفي الصانع
الا ان تكذيبهم الرسل وانكار البعث والجزاء مؤد اليه ثم استطرد ذكر الازواج الثلثة
التي صدر بها السورة زيادة في الترغيب والترهيب وليتجاوب طرفاها ردا للعجز
على الصدر فقال فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم راحة ورزق
ومقام كريم قدم الاهم فالاهم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك
من اصحاب اليمين اي من اخوانك المؤمنين من ابتدائية وقيل سلم انت منهم واما
ان كان من المكذبين الضالين اي من اصحاب الشمال عبر عنهم بالوصف دلالة على
ان ذلك الوصف اورثهم الشقاء فنزل من حميم وتصلية جحيم في ذكر النزل
تهكم بهم ان هذا ما ذكر في السورة او في شان الازواج لهو حق اليقين لا يقين فوقه
كقوله امين حق امين فسبح باسم ربك العظيم اي بعد ما بلغت هذا البلاغ المبين نزه
ربك عما لا يليق بجلاله مستعينا باسم الاعظم وذرهم في خوضهم يلعبون تمت
سورة الواقعة والحمد لمن رحمته واسعة والصلوة على من شفاعته شايعة وعلى آله
وصحبه دائما تمت بعد سورة الحديد مكية وهي تسع وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم
سبح لله ما في السموات والارض جاء بلفظ الماضي في مواضع والمضارع اخرى دلالة
على ان شان من اسند اليه الفعل الاستمرار في جميع الازمان وحيث كانت هذه
اطول ما صدرت بلفظ التسبيح لم يعد الجار في المعطوف بخلاف سايرها ولم يغلب
العقلاء اشارة الى انهم في القلة مغمورون في جملة لا تحصى كثرة ففي كل شيء
له آية تدل على انه واحد وهو العزيز الغالب القاهر الحكيم المتقن في صنعه فهو
حقيق بالتسبيح له ملك السموات والارض يحيي ويميت مرفوع خبر مبتدا او منصوب
حال من المجرور او استيناف مقرر لما تقدم وهو على كل شيء قدير كامل القدرة
احياء واماتة وغيرهما هو الاول قبل كل شيء والآخر الباقي بعد فناء كل شيء
والظاهر في كل شيء والباطن عن كل شيء لا يحيط به شيء علما ولا دليل فيه لنافي
الرؤية وتفسير البطون بعدم ادراك الحواس قصور بل بطونه عدم ادراك كنهه ازلا

والبداحتا وعقلاء تعالى عن ذلك علوا كبيرا والواو الاولى والثالثة لعطف المفرد على
المفرد والوسطى لعطف المركب على المركب والمعنى انه جامع لهذه الصفات ازلا وابدا
ولما اوهم بطونه عن الاشياء بطونها عنه كما في الشاهد رفعه بقوله وهو بكل
شيء عليم يستوي في علمه الظاهر والباطن هو الذي خلق السموات والارض في ستة
ايام ثم استوى على العرش لتدبير الكائنات تمثيل يعلم ما يلج في الارض من ماء وحب
وما يخرج منها من نبات وزرع وما ينزل من السماء من مطر او ثلج وبرد واقدار
واحكام وما يعرج فيها من الملئكة والارواح والاعمال وهو معكم اينما
كنتم والله بما تعملون بصير شاهد لا يخفى عليه الاخلاص والرياء واعادة الجلالة
دلالة على ان ذلك من لوازم الالوهية له ملك السموات والارض اعاده ليقرن
به امر المعاد كما قرن به المبداء والى الله ترجع الامور فيجازي كلا على حسبه
يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور بمضمراتها
ابلغ من قوله بما تعملون بصير امنوا بالله ورسوله اذ لم يبق لكم شبهة وانفقوا
مما جعلكم مستخلفين فيه من الاموال التي بايديكم اذ هي في الحقيقة لله تعالى
بمنزلة الوكلاء والخزان فانتم تختارونه فكما يامركم به يجب عليكم الامتثال
ولا ينبغي ان يشق عليكم اذ لا اخس ممن يشح بمال الغير فالذين امنوا وانفقوا
لهم اجر كبير مع كونكم غير مالكين لكم اجر لا يحاط به ترغيب ووعد فيه مبالغة
بناء الخبر على الموصول واعادة الايمان والانفاق وتنكير الاجر والوصف بالكبير
وما لكم لا تؤمنون بالله ما تصنعون غير مؤمنين بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا
بربكم حال من ضمير لا تؤمنون وهو من ضمير تصنعون فهما حالان متداخلان وقد
اخذ ميثاقكم حال من احد ضميري يدعوكم او حال بعد حال من ضمير تؤمنون
والحال انه قد اخذ عليكم الميثاق قبل الرسول بما ركب فيكم من العقل ونصب الادلة
فقد ازاح الشبهة عنكم من كل وجه وقراء ابو عمرو واخذ على بناء المفعول ان كنتم
مؤمنين بموجب الايمان فقد بان لكم الموجب بما لا مزيد عليه كقولك لتارك
الصلوة هذا الماء والحجر ان كنت تصلي والعتاب عام لمن لم يؤمن ومن امن ولم
ينفق هو الذي ينزل على عبده ايات بينات واضحات الاعجاز او الدلالة على
الاحكام ليخرجكم اي الله او الرسول والاول اولى لقوله تعالى الله ولي الذين امنوا
يخرجهم من الظلمات الى النور وان الله بكم لرؤف رحيم حيث بين لكم واوضح وما
لكم الا تنفقوا في سبيل الله فيما يكون قربة اليه من الجهاد والصدقة على المحاويج
ولله ميراث السموات والارض هو الباقي بعد فنائنا ومن في السموات والارض فانى فائدة
في الامساك وهلا يقدم العاقل ماله بين يديه ويشتري بالفاني الباقي عنه صلى الله
عليه وسلم يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلته فافنيت او لبسته فابليت

فابليت او تصدقت به فابقيت لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح فتح مكة وقيل
حديبية في حال شدة الاحتياج ومن بعده حذف لوضوح الدلالة عليه وقاتل
بيان لتفاوت الانفاق وحث على طلب المحل القابل وتقديم الاولى والاحوج
اولئك هم المنفقون اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا بعد فتح
مكة وكلا وعد الله الحسنى اي من المنفقين السابقين واللاحقين موعود بالجنة
وان تفاوت حالهم وقراء ابن عامر وكل بالرفع على الابتداء والفعلية خبر بحذف
العائد والنصب احسن لعدم التقدير والله بما تعملون خبير يعلم نية المنفق
اخلاصا ورياء قيل نزلت في الصديق انفق ماله في سبيل الله حتى تخلل بعباء فجاء جبرئيل
فقال لرسول الله يقول الله تعالى قل لابي بكر هل هو راض عني في فقره وسلم عليه مني من
ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا مثل حال المنفق في سبيل الله بحال من اقرض انسانا
يؤدي به اليه وقت احتياجه والقرض الحسن ما لا يجر نفعا ولا يطلب فيه زيادة فيضاعفه
له اضعافا لا يعلمها غيره قراء بالنصب ابن عامر وعاصم بانه مضمرة بعد الفاء جوابا للكلام
معنى وقراء ابن كثير وابن عامر ويضعفه مشددا وكما زاد كما فكذلك عظم كيفا بقوله
وله اجر كريم شريف لا كسائر الاجور يكون مع نماء يوم ترى المؤمنين والمؤمنات
مقدر باذكر فانه يوم عظيم او ظرف ليضاعفه او وله اجر كريم يسعى نورهم بين ايديهم
وبايمانهم اي يسرع نورهم قدامهم وعن اليمين والشمائل على قدر سيرهم منهم من
سيرهم كالبرق الخاطف ومنهم كالريح ومنهم كاجاويد الخيل وكذلك انوارهم على
قدر اعمالهم حتى ان فيهم من يقوم ويقع لضعف نوره وفي لفظ الايمان تغليب بشريكم
اليوم اي تقول لهم الملئكة الذي بشرتم به اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها خبر بشريكم ذلك هو الفوز العظيم اي كالفوز الذي بشروا به من كلامه تعالى يوم
يقول المنافقون والمنافقات بدل من يوم ترى للذين امنوا انظرونا نقتبس من نوركم
بعد القضاء بين العباد يؤخذ بالكفار الخلص الى النار وبالمؤمنين الى الجنة و
يتبعهم المنافقون كما كانوا في الدنيا يعدون انفسهم منهم ويعطون نورا مجازاة
لخداعهم فاذا توسطوا الصراط انطفى نورهم نادوا المؤمنين انظرونا او انظروا
الينا نأخذ قبسا اي شعلة من نوركم كما يفعله الاصحاب في الدنيا اذا انطفى مصباح
احدهم قيل ارجعوا وراءكم الى الدنيا القائل المؤمنون او الملئكة فالتمسوا نورا
آخر لانه محل الاعمال التي صارت اليوم انوارا وقراء حمزة انظرونا بهمزة القطع اي
امهلونا وهو قريب من الاول فضرب بينهم بسور هو الاعراف حائط الجنة له باب
يدخل منه المؤمنون الجنة باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وتغيير الاسلوب
للدلالة على ان داخله كله نعيم بخلاف ظاهره لبعده النار عنه ينادونهم الم نكن معكم
في الدنيا منفقين في الدين قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم محنتموها بالنفاق وتربصتم

بالمؤمنين الدوائر وقلتم ربح الاسلام تحت ساعة ثم تسكن وارتبتم في امر الساعة وقلتم
ما الساعة ان نظن الا ظنا وغرتكم الاماني الكاذبة وقلتم ان كان بعث سيغفر لنا
حتى جاء امر الله قيام الساعة او امره بدخول النار وغركم بالله الغرور الشيطان
بوعده الكاذب فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ان لو كان لكم ما تفدون وقرأ ابن عامر
بالتاء ولكن التذكير احسن لوجود الفصل ولا من الذين كفروا ظاهرا وباطنا مأويكم
النار مقامكم هي موليكم اي اولى بكم من غيرها لما معكم مما ادّيتموها من الاعمال او هي
التي تتولى امركم او ناصركم تهكما وبئس المصير مصيركم الم يأن للذين آمنوا ان تخشع
قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق اي القرآن من عطف العام على الخاص او عطف باعتبار
الصفة وقرأ نافع وحفص نزل مخففا والتشديد ابلغ يأن من أنى يأني الامر اذا جاء
اناه اي وقته والهمزة للاستبطاء كقولك للغلام الم ادعك والمعنى ليس للمؤمنين
عذر في عدم خشوع قلوبهم وما رواه مسلم عن ابن مسعود لم يكن بين اسلامنا وبين
ان عاتبنا الله الا اربع سنين وما رواه قتادة عن ابن عباس ان الله عاتب المؤمنين
على رأس ثلث عشرة من نزول القرآن يدل على ان السورة مكية فان قلت اذا كان
السورة مكية فما وجه قصة المنافقين والنفاق انما نجم بالمدينة قلنا اخبار
بما يقع كسائر الاخبار عن المغيبات ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل عطف
على تخشع ويجوز ان يكون نهيا لهم عن مماثلة اولئك فطال عليهم الامد الزمان
فقست قلوبهم فغلب عليها القسوة والجفاء لتراكم الذنوب وظلمات المعاصي فاحدثوا
التحريف والبدع وكثير منهم فاسقون خارجون بالكلية عن دينهم لفرط قسوتهم
اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها مثل حال القلوب النابية من الخشوع ثم تأثرها
من ذكر الله وما نزل من الحق بحال ارض غلب عليها اليبس ثم اصابها الغيث فاخضرت
قد بيّنا لكم الآيات لعلكم تعقلون في تصدير الكلام باعلموا وختمه بلعلكم تعقلون
نوع عتاب اذ كان الاولى بهم التدبر بدون هذا الجلاء والحال ان المصدقين والمصدقات
واقرضوا الله قرضا حسنا عطف على المصدقين لكونه في معنى الذين صدقوا وفيه تغليب
لئلا يقع فصل بالاجنبي والمعنى الذين تصدقوا واخلصوا في ذلك واخرجوه من المال
الطيب وقرأ ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد من التصديق اي آمنوا بالله ورسوله
والتشديد اولى لذكر الايمان بعد يضاعف لهم ولهم اجر كريم تقدم تفسيره آنفا و
الذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم اي بمنزلة
هؤلاء وان كانوا قاصرين تنزلوا منزلتهم لهم اجرهم ونورهم اي مثل اجر اولئك
ونورهم لا في الاضعاف اي جميع ما يحصل لهم من الاجر والاضعاف بل مثل مجرد اجر التصديق بغير
وحده فان قلت فاي ترغيب في ذلك قلت كل ترغيب لان آحاد المؤمنين اذا جعل ثواب
عمله مثل ثواب عمل الصديق فاي احسان فوق ذلك واما الاضعاف فذلك ليس اجرا كاملا

الى الاعمال بل ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ويجوز ان يكون والشهداء مبتدأ ولهم
اجرهم خبره وليس بقوي والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم الذين
لا يفارقونها لافادة الكلام الحصر اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو لما ذكر ما للفريقين
في الآخرة حقر امر الدنيا بان حصر ما فيها في امور خيالية قليلة النفع ترغيبا فيما عنده
وتحذيرا عن الاغترار بها واللعب ما يجلب السرور واللهو ما يدفع الهم وزينة
بالاموال والبنين وتفاخر بينكم انا ابن فلان وانت ابن فلان وتكاثر في الاموال
والاولاد انا لي كذا مالا وولدا وانت لا تملك ما املك كمثل غيث اعجب الكفار
نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما مثل حال الدنيا في قلة جدواها
وسرعة تقضيها بحال نبات انبته الغيث فاستوى على سوقه اخضر ناضرا وارقا فا
عجب الزراع شأنه او الكفار بالله لقصور نظرهم الى الدنيا والمؤمن اذا رآه علم ان
ما عند الله هو الباقي وان هذا عن قريب زائل ثم اصفر بعد ذلك النضارة وتبدل
حاله ثم تكسر وذهب كان لم يكن وفي الآخرة عذاب شديد تنفير عن الركون اليه
ومغفرة من الله ورضوان حث على العمل المثمر لذلك وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور
الا شيء يسير ونفع قليل يغتر به سابقوا الى مغفرة من ربكم مسابقة الفرسان الى
احراز قصب السبق وجنة عرضها كعرض السماء والارض انما ذكر العرض لانه اقصر
الامتدادين فاذا كان حاله كذلك فما ظنك بالطول والمراد جنس السماء لقوله عرضها
السموات والارض فان قلت ايهما ابلغ قلت كلاهما لحذف اداة التشبيه والتصريح
بما يدل على العدد فان قلت لم اختص كل بموقعه قلت لان الثاني في آل عمران وهو
متاخر نزولا فلو عكس لم يبق فائدة في ذكره اعدت للذين آمنوا بالله ورسله الاستدلال
به على ان مجرد الايمان كاف ليس بناهض لقوله في آل عمران اعدت للمتقين الذين
نعتهم كيت وكيت ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده من غير ايجاب لان العبد
لا يستحق على المالك اجرة والله ذو الفضل العظيم لا يحاط بفضله خلق وهدى و
اعطى ما لم يخطر على قلب من غير وجوب ولا استحقاق ما اصاب من مصيبة في الارض
ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها نخلقها اي الانفس والمصيبة والاول
اوجه لما روى مسلم ان الله كتب مقادير الخلائق قبل خلق السموات والارض بخمسين
الف عام وكان عرشه على الماء ان ذلك على الله يسير لعلمه بالاشياء قبل وقوعها
كعلمه بها حال وقوعها ثم اشار الى الحكمة في ذلك بقوله لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا
تفرحوا بما آتيكم فان من علم ان ما اصابه من الضر كان مقدرا عليه في الازل لم يحزن
الحزن الشديد لانه قد وطن نفسه على ذلك وكذا في جانب الخير لانه كان مترقبا والمراد
بهما ما يخرج الى الجزع وعدم الصبر والفرح المطغي المفضي الى البطر لا ما يعتري
الانسان من الهم والسرور وشكرا لنعم الله وقرأ ابو عمرو اتاكم مقصورا اي جاءكم

وهي قراءة حسنة فسرها كيلا تأسوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ
فَخُورٍ متكبر بفخور على الناس بكثرة المال واكتفى باحد الشقين لدلالته على الآخر وآثر الثاني
لانه اشد تنكيرا الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ بدل من كل مختال واو في منه
لدلالته على ان عز المال وحبه بلغ حدا ينشح بمال الغير وقراء حمزة والكسائي البخل
بفتح الثاء وهما لغتان كالرشد والرشد وَمَنْ يَتَوَلَّ يعرض ولم ينته عما نهى
الله فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ لا يحتاج الى انفاق المنفق الْحَمِيدُ محمود في ذاته وان لم يحمدوا
عن شكره وقراء نافع وابن عامر بحذف ضمير الفصل وعليه رسم مصحف المدينة
والشام والاثبات آكد وعليه بقية الرسوم لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ
اي الملئكة الى الانبياء بالمعجزات لانبياء الى الناس لقوله وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ
وَالْمِيزَانَ قانون الشرع يشمل الميزان الذي به تعامل الناس وكل ما يعرف به الانصاف
من امور المعاش والمعاد ولذلك علله بقوله لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ بالعدل وَأَنْزَلْنَا
الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ يتخذ منه آلة للجهاد والقتل وفيه اشارة الى ان تمام
الشرع لا يستقل بدون السيف والسنان الظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة
فلعله لا يظلم وعنه صلى الله عليه وسلم نزل في نحت ظل دمح وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ اذ
صنعة الا والحديد فيه مدخل وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ عطف على محذوف
دل عليه السياق اي ليتفعهم وليعلم الله وفي الحذف اشارة الى ان الكل هو المطلق
بالذات بِالْغَيْبِ حال من المستكن في ينصره اي غائبا عنه عن ابن عباس رضي الله عنه
ينصره ولا يبصره إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ ذو قدرة بالغة عَزِيزٌ غالب على كل شيء وانما
انزل الحديد وامر بالقتال لينالوا بذلك القربة عنده والزلفى وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ اي الوحي المتلو اشار الى
قانون الشرع والامر بالقسط بين الناس قديم من لدن نوح الى محمد عليهما السلام
واقتصر على نوح لانه ابو البشر ثانيا ليس في الدنيا الا ذريته فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ
مِنْهُمْ فَاسِقُونَ غير الاسلوب للدلالة على ان الغلبة لاهل الضلال ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ
بِرُسُلِنَا اي اثار نوح وابراهيم والجمع للتعظيم اوهما ومن عاصرهما من الرسل او من
ارسلوا اليه وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ اي انتهى ارسال الرسل اليه وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَ
جَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً مصدر رهب وهو شدة
الخوف والمراد تعبدهم في الجبال والمغاير والكهوف وذلك ان بني اسرائيل بعد صعود عيسى
افترقوا اثنين وسبعين فرقة ثلث فرق على الحق والباقون على الضلال فدعوا
الملوك والجبابرة الى دين عيسى وقاتلوهم حتى لم يبق منهم الا قليل فلم يقدروا على
المقاومة فتفرقوا في الجبال ابْتَدَعُوهَا اخترعوها من عند انفسهم مَا كَتَبْنَاهَا
عَلَيْهِمْ ما فرضناها عليهم إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ استثناء منقطع اي لكن ابتدعوها طلبا

طلبا لمرضات الله فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ما قاموا بها حق القيام وفيه اشارة الى ان
التعمق في العبادة فوق ما سنه الله ورسوله مذموم وقد روى البخاري عنه صلى الله
عليه وسلم ان الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فان بني اسرائيل شددوا
على انفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع رهبانية ابتدعوها وتنقيبا
بضمير مفسر وجعلها من المجعولات عدول عن الظاهر مخالف للاحاديث فَآتَيْنَا الَّذِينَ
آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ الذين وفوا بما نذروا وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ لم يحافظوا على ما
عاهدوا الله عليه يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا احدثوا الايمان اتَّقُوا اللهَ في اوامره
ونواهيه وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ محمد عليه السلام عن ابن عباس والضحاك رضي الله عنهم
انها نزلت في مؤمني اهل الكتاب ويدل عليه قوله يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وذلك
لما رواه البخاري ومسلم ان رسول الله قال ثلثة يؤتون اجرهم مرتين رجل آمن بنبيه
وآمن بمحمد وعبد مملوك ادى حق الله وحق مواليه ورجل الجئة له امة فادبها
ثم اعتقها فتزوجها والكفل الحظ الوافر والنصيب الكامل كانه تكفل بالكفاية
وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ على الصراط يسعى بين ايديكم وبايمانكم او نورا ينقذكم
به عن ظلمات الجهل وَيَغْفِرْ لَكُمْ ما سلف لكم وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ عن سعيد بن جبير
افتخر مؤمنوا اهل الكتاب بان لهم الاجر مرتين فانزل الله تعالى لمؤمني هذه الامة وزادهم
النور والمغفرة ويؤيده ما رواه البخاري ان رسول الله قال مثلكم ومثل اهل الكتابين
مثل رجل استأجر قوما فعملوا له الى الظهر واستأجر آخرين فعملوا الى العصر ثم استأجر
قوما فاكملوا بقية اليوم فاعطاهم مثل اجر الفريقين فغضبوا وقالوا نحن اكثر اعمالا
عملا واقل اجرا فقال هل نقصتكم مما شرطت لكم قالوا لا قال فذلك فضلي اوتيه من
اشاء وما قيل رسول الله ارسل جعفرا يدعو النجاشي الى الايمان فآمن به وارسل سبعين
رجلا الى رسول الله فجاؤا ورسول الله قد تهيأ لوقعة احد كلام لا اصل له وجعفر انما
قدم مع من هاجر الى الحبشة ورسول الله في محاصرة خيبر بعد احد بثلث سنين رواه
البخاري مكررا في مواضع لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللهِ لا مزيدة
والمعنى على الاول انما وعدنا من آمن من اهل الكتاب كفلين من رحمتنا ليعلم الذين لم يؤمنوا
منهم ان ايمانهم السابق لا يورثهم شيئا من فضل الله قط وعلى الثاني اتبعوا ايها المؤمنون
على ايمانكم واتقوا الله يؤتكم ما وعد من آمن من اهل الكتاب من الاجر مرتين ويزيدكم
النور والمغفرة وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وقيل لا غير مزيدة والمعنى انما فعلنا
كذا وكذا لئلا يعتقد اهل الكتاب ان رسول الله والمؤمنين لا يقدرون على حصر فضل الله
فيمن آمن بمحمد وقوله وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ عطف على الا يعلم ولا يخفى بعده تمت
وبحمد الله على العبيد ونسئله من فضله المزيد والصلوة على الماجد الفريد وآله
وصحبه الذين قاتلوا بالحديد هام كل جبار عنيد ● سورة المجادلة مدنية وهي اثنان

وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله
عن عائشة تبارك الذي اوعى سمعه كل شيء لقد جاءت المجادلة خولة بنت ثعلبة زوجة
اوس بن صامت الانصاري الى رسول الله تشتكي زوجها وانا في ناحية البيت يخفى علي
بعض كلامها وكان اوس ولاج الخوالف وكان به حدة فدعاها الى الفراش فابت فظاهر
عنها فاستفتت رسول الله فقال حرمت عليه فقالت ان لي منه صبية ان ضممتهم اليه ضاعوا
وان ضممتهم الي جاعوا فقالوا قد حرمت فقالت اشكو الى الله فاقتي فنزلت وروي
انها استوقفت عمر بن الخطاب يوما زمانا طويلا فدنا منها واصغى اليها فقال رجل يا
امير المؤمنين حبست رجالات قريش على هذه العجوز قال ويحك هذه خولة التي سمع الله
تعالى شكواها من فوق سبع سموات لو لم تنصرف لوقفت معها الى الليل وفي قد دلالة
على ان رسول الله والمجادلة كانا يتوقعان ان الله تعالى سينزل في شانهما ما يفرج
كربها والله يسمع تحاوركما تراجعكما في الكلام ان الله سميع بصير للاقوال والاحوال
الذين يظاهرون منكم من نسائهم الظهار كان طلاقا في الجاهلية موكدا باليمين وفي
منكم توبيخ للعرب وتصوير لزيادة التهجين لانه كان مخصوصا بهم وقرا حمزة
والكسائي بفتح الياء والهاء والتشديد من اظاهر وعاصم بضم الياء وكسر الهاء والتخفيف
من ظاهر ما هن امهاتهم حقيقة بكسر التاء قراءة السبعة على ان ما عاملة ان
امهاتهم الا اللائي ولدنهم والمرضعات وازواج الرسول ملحقات بهن احتراما
قرأ الكوفيون وابن عامر اللائي بالهمز والياء وابو عمرو وابن كثير في رواية قنبل
بالياء ساكنة ونافع في رواية ورش كالياء مكسورا وفي رواية قالون وابن
كثير في رواية البزي بالهمز وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا باطلا منحرفا
عن الصواب اذ بين الزوجات والامهات بعد ما بين الضب والنون فان قلت الظهار
كالطلاق فكيف يوصف بالزور الذي هو من خواص الخبر قلت باعتبار ما تضمن من
الحاقها بالام وان الله لعفو غفور والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون
لما قالوا الظهار قول الرجل لزوجته انت علي كظهر امي او كراسها او جسدها وسائر
المحارم كالام الآية الاولى في ذم المظاهر وهذه في بيان حكمه ثم العود عند الظاهرية
ان يعود الى لفظ الظهار فيكرره وعند ابي حنيفة رحمه باستباحة ما حرم ولو بالنظر
بالشهوة وعند الشافعي بان يمسكها زمانا يمكنه ان يفارقها وعند الامام احمد رحمه
ان يعود الى الجماع او يعزم عليه وعند مالك العزم على الوطي او الامساك فتحرير رقبة
اي فكفارته تحرير رقبة قيده الشافعي رحمه بالمؤمنة بناء على اصله من حمل المطلق على
المقيد والفاء للسببية وفائدتها الدلالة على تكرر الكفارة بتكرر الظهار من قبل
ان يتماسا يستمتع كل من المظاهر والمظاهر بالآخر لعموم اللفظ او ان يجامعها وفيه دليل
على حرمة ذلك قبل التكفير ذلكم التكفير على هذا الوجه توعظون به تزجرون به لان

لان المظاهر اذا علم بوجوب الكفارة وهي اعتاق رقبة ينزجر والله بما تعملون خبير
حث على الاتيان به على الوجه الاكمل فمن لم يجد ما لا يعتق به رقبة ومن ماله غائب
واجد فلا يعدل عن العتق فصيام شهرين متتابعين فان افطر يوما لغير عذر او نسي
النية او مرض بطل تتابعه دون الحيض والقربان بالليل يقطعه عند ابي حنيفة
ومالك دون الشافعي من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع لفرط شبق او هرم او مرض لا
يرجى زواله فاطعام ستين مسكينا وهو نصف صاع من بر او صاع من شعير اعتبارا
بالفطرة وعند الشافعي مد بمد رسول الله وهو رطل وثلث وكل خمسة ارطال وثلث
ستمائة درهم وثلاثة وتسعون درهما وثلث درهم والدليل للشافعي حديث الاعرابي
الذي جامع في رمضان وانما لم يعد التماس لتقدمه مكررا او لجوازه في خلال الاطعام
كما قال ابو حنيفة ولجزاء بعضهم على الظاهر ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله اي فرض
ذلك لتصدقوا بالله ورسوله فيما شرع من الاحكام وتتركوا ما كنتم عليه في الجاهلية
وتلك حدود الله اي الاحكام المذكورة فلا تتجاوزوها وللكافرين الذين لم يصدقوا
عذاب اليم جزاء بكفرهم ان الذين يحادون الله ورسوله يشاقونهما من الحد لان كلا
من المتعاندين في حد يقابلونهما في شرع الحدود وخلاف ما شرعا كبتوا كما كبت الذين
من قبلهم اخذوا واهلكوا اشتهم قبل النضير في كبتوا لبني قريظة فان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قتلهم وسبى ذراريهم بعد الخندق ومن قبلهم المشركون يوم بدر
وقد انزلنا آيات بينات واضحات لا لبس بها وللكافرين بتلك الآيات عذاب مهين
لاستكبارهم عن الايمان بها يوم يبعثهم الله جميعا ظرف لمهين لان الخزي في الجمع الكثير
اشق او منصوب باذكر فينبئهم بما عملوا من التكذيب وسائر المعاصي على رؤوس الاشهاد
تمجيدا للخزي والاهانة ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم احصاه الله
علما مفصلا ونسوه لتهاونهم والله على كل شيء كل ما يطلق عليه اسم الشيء من
الذوات شهيد حاضر يعلم غائبا ثم اقام البرهان عليه بقوله الم تر ان الله يعلم
ما في السموات وما في الارض من الاجزاء والجزئيات والخطاب عام ما يكون من نجوى
ثلاثة اسم من النجو وهو القطع لان السر منقطع عن الغير او من النجوة وهي الارتفاع
لعدم وصول العين اليه والمعنى ما يكون شيء من نجوى ثلاثة نفر على ان نجوى مضاف
الى الثلاثة او موصوف بها اي من اهل نجوى فحذف الاهل وجعلوا نفس النجوى مبالغة
الا هو رابعهم في العلم ولا خمسة الا هو سادسهم كذلك وتخصيص العددين اما
نظرا الى الواقع وهو ما روي انها نزلت في حبيب وربيعة ابني عمرو وصفوان بن
امية كانوا يتناجون باحوال المؤمنين وذكر معه الخمسة لتناسب الوتر او لان التنجي
انما يكون من ذوي الاحلام والنهى وهم قليلون في الاغلب لا يعدون عشرة فذكر الوتر
لان الله وتر يحب الوتر ثم اشار الى الطرفين بقوله ولا ادنى من ذلك ولا اكثر على انه

لو ذكر الاربعة لم يتناول الادنى الاثنين الاعلى الموسع الا هو معهم اينما كانوا اذ علمه
بالاشياء لا يتفاوت بالقرب والبعد منه بحال الآن ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة
او يجازيهم عليه او يوبخهم به تفضيحا ان الله بكل شيء عليم الم تر الى الذين نهوا
عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه تعجيب للسامع لوقاحتهم عن ابن عباس نزلت في
المنافقين وعن مجاهد في اليهود كانوا اذا رأوا المؤمنين سار بعضهم بعضا وغمزوهم
فشكوا ذلك الى رسول الله فنهاهم فلم ينتهوا ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية
الرسول بالكذب والظلم ومخالفة الرسول بيان وكشف عن حال نجواهم بما يؤكد
ذمهم اذ لو كان تناجيهم بما فيه خير كان امر الرسول موجبا للانتهاء والامتثال وقرأ
حمزة ينتجون مقصورا من الافتعال كلاهما بمعنى واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله
يقولون السام عليك والسام هو الموت ويقول الله وسلام على عباده الذين اصطفى
روى البخاري ان يهود اتوا رسول الله وعائشة عنده فقالوا السام عليك فقالت عائشة
وعليكم السام واللعن فقال رسول الله لا تكوني فحاشة قالت الم تسمع ما قالوا قال
او لم تسمعي ما قلت قلت وعليكم فيستجاب لي ولا يستجاب له ويقولون في انفسهم لولا
يعذبنا الله بما نقول ان كان نبيا كما يزعم حسبهم جهنم كافيهم في العذاب يصلونها
يدخلونها فبئس المصير جهنم والفاء للسببية مبالغة في استحقاقهم وليس في القرآن
غيره يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول
صرح بما علم ضمنا ليترتب عليه قوله وتناجوا بالبر والتقوى بما فيه الثواب والاتقاء
عن معصية الرسول واتقوا الله الذي اليه تحشرون في مجامع اموركم انما النجوى
من الشيطان اي نجوى المنافقين ليحزن الذين آمنوا الشيطان او النجوى وقرأ نافع
يحزن بضم الياء على انهما لغتان وقال الخليل احزنه ادخل فيه الحزن فهو ابلغ وليس
بضارهم شيئا الا باذن الله فعلى المؤمن اذا رأى شيئا من ذلك ان لا يحزن وعلى الله
فليتوكل المؤمنون لعلمهم بان لا ضار ولا نافع غيره يا ايها الذين آمنوا اذا قيل
لكم تفسحوا في المجالس توسعوا وتباعدوا عن ابن عباس نزلت في مواضع الحرب كانوا
يتنافسون فيها وعن مقاتل كان رسول الله في الصفة يوم الجمعة فجاء البدريون
والصفة غاصة بالناس فلم يجدوا موضع الجلوس فوقفوا فاقام رسول الله طائفة
حتى جلس البدريون فنزلت روى البخاري ومسلم ان رسول الله قال لا يقم احدكم اخاه
ثم يجلس مكانه ولكن تفسحوا وقرأ غير عاصم المجلس مفردا وعليه الرسم فافسحوا يفسح الله
لكم المجلس قيل لم يضق المكان قط عمن جاء بعد التفسح وفي اموركم كلها ببركة الامتثال
واذا قيل انشزوا فانشزوا عن الحسن انهضوا الى الحرب وعن قتادة الى كل معروف وعن
الجزري ارتفعوا عن مجلسه وقرأ نافع وابن عامر وحفص بضم الشين وابو بكر بخلاف
عنه وهما لغتان والكسر اخف يرفع الله الذين آمنوا منكم جزم على الجواب اي امتثلوا

امتثلوا امر الله يرفع الله لهم المنزلة لاجل تواضعهم والذين اوتوا العلم خاصة درجات
للجمع بين العلم والعمل وفي الحديث فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم والله
بما تعملون من الامتثال خبير فليكن ذلك عن اخلاص وصفاء قلب يا ايها الذين
آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة كان يخاطبه المؤمن و
المنافق واجلاف البوادي والاماء والعبيد ويبرمون فيما لا طائل تحته فاراد
الله اظهار كرامته واوجب لمن اراد ان يناجيه ان يتصدق امام نجواه بشيء فبقي
الامر على ذلك عشرة ايام وقيل ساعة ثم نسخ بالذي بعدها وعن علي بن ابي طالب
لم يعمل بها غيري كان معي دينار فصرفته وكنت اذا ناجيت تصدقت قبله بدرهم
وعن ابن عمر كانت في علي ثلث لو كانت في واحدة كانت احب الي من جميع النعم
صهارة رسول الله بفاطمة والنجوى والراية يوم خيبر ذلكم خير لكم اي التصدق
من الامساك واطهر فان الصدقة طهرة الذنوب لا سيما في مناجاة رسول الله
فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم اباح المناجاة من عجز تقديم صدقة ءاشفقتم
ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات اي اخفتم بما امرتم به من الصدقة بين يدي
النجوى والجمع باعتبار كثرة المخاطبين الهمزة للتقرير ولم يرد تقريعهم على اظهارهم
الخوف ولكن الله اخبر عما حدثت به انفسهم فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم
بان رخص لكم ترك الصدقة امام النجوى الجمهور على ان هذا ناسخ لوجوب الصدقة
وقيل نسخت بوجوب الزكوة فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة مسبب عما قبله كانه
قال لا تقصروا في ادائهما كما قصرتم في الصدقة وفيه نوع تعييرهم واطيعوا
الله ورسوله في سائر الامور وان كانت شاقة عليكم والله خبير بما تعملون
ظاهرا وباطنا فيجازيكم على حسب ذلك الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله
عليهم تعجيب من حال المنافقين يتولون اليهود الذين غضب الله عليهم ما هم
منكم ولا منهم اي المنافقون ليسوا من المسلمين ولا من اليهود ويحلفون على الكذب
الذي هو ادعاء الاسلام وهم يعلمون انهم كاذبون فيتعمدون الكذب وهي
اليمين الغموس اعد الله لهم عذابا شديدا نوعا منه متفاقما انهم ساء ما كانوا
يعملون في الازمنة المتطاولة او هو حكاية ما يقال لهم يوم القيمة اتخذوا ايمانهم
جنة يستترون بها ويدفعون اطلاع المؤمنين على حالهم فصدوا عن سبيل الله
الذين يريدون الاسلام يوهنون امر الاسلام وانه لا بقاء له عن ابن عباس كان
رسول الله جالسا في نفر من اصحابه في ظل حجرة من حجره فقال سيأتيكم الآن رجل
ينظر بعين شيطان فدخل عليه عبد الله بن نبتل فقال له رسول الله علام تشتمني
انت واصحابك فجاء اصحابه فحلفوا انهم لم يفعلوا فنزلت فلهم عذاب مهين لكفرهم
وصدهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم

مِنَ اللّٰهِ شَيْئًا من عذاب الله او شيئاً من الاغناء وذلك انهم كانوا يقولون لنا الاموال و
الاولاد ان كان يقول محمد اصل نفتدى بها يوم القيمة أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ الملازمون
لها هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ابدا يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا مجتمعين فَيَحْلِفُونَ لَهُ انهم مؤمنون
حقا كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ فى الدنيا وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ان تلك الايمان تروج عنهم
كما راجت فى الدنيا جاهلين بعلم علام الغيوب أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ الغالون فى
الكذب كان من عداهم ليس بكاذب اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ استولى على قلوبهم بالن
لذلك الكذب المفرط فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ فلا يتأملون فى صفاته بتميز لهم ما لا يليق
بكبريائه أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ جنده أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ الكاملون
فى الخسران إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ اعاده بتفصيل احوالهم المجملة فى كبتوا ويقولون
بها احوال اضدادهم المؤمنين حزب الرحمن أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ فى زمرة هم اذل خلق
الله كَتَبَ اللَّهُ فى اللوح لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي بالسيف والبرهان وذكر الله لبيان ان
الرسل عنده بمكان كانه معهم فى المناظرة والمحاربة إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ ذو قدرة كاملة
عَزِيزٌ غالب قاهر لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
لانه جمع بين الضدين قال تودّ عدوى ثم تزعم اننى صديقك ليس النوك عنك بعازب
والمعنى لا ينبغى الوجدان وانما عبّر عنه به مبالغة فان الواقع عدم الانبغاء لا الوجدان
فصور بصورته ايذانا بما لا يمتنع ممتنعا وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ
أَوْ عَشِيرَتَهُمْ كما فعل ابو عبيدة بن الجراح قتل اباه يوم بدر وكان اسيرا ذكر رسول الله
بما لا يليق به فضرب عنقه وابو بكر دعى ابنه على البراز يوم بدر ومصعب بن عمير
قتل اخاه يوم بدر ولما استشار رسول الله عمر بن الخطاب رض فى الاسرى قال هؤلاء
رؤس الكفار مكنّى من فلان لقريب له ومكن عليا من عقيل وفلانا من فلان ليعلم المشركون
ان الله لا هوادة فى قلوبنا أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ الزمه فيها الزام المكتوب فى
الرق وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ بقوة من عنده حتى اجترؤا على قتل اعزتهم او بنور الايمان
فانه حيوة للقلوب او من كان ميتا فاحييناه وفيه دليل على ان الايمان فعل القلب
وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قبل طاعاتهم
وَرَضُوا عَنْهُ بما جازاهم به أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ اولئك هم
الفائزون فى الدارين بالغلبة فى الدنيا والجنة فى العقبى عن المجادلة والحمد لله
الاوه شامله والصلوة على سيد الزمرة الكامله واله وصحبه دائمة متواصلة ٥

سورة الحشر مدنية وايها اربع وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ سبق الكلام عليه هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لا انتم والمراد بنو النضير وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما جاء الى المدينة ودعاهم الى الايمان وابوا عاهدهم ان لا يكونوا لا له ولا عليه حتى قتل

حتى قتل عمرو بن امية رجلين من بنى عامر خطاء فخرج رسول الله الى بنى النضير يستعين
بهم فى دية الرجلين وكان بنو عامر حلفاء بنى النضير فقالوا نفعل ذلك يا ابا القاسم واجلسوه
فى ظل جدار واخذوا فى المشاورة وقالوا لن نرى فرصة احسن من هذه فانتدب عمرو بن
جحاش لقتله بان يصعد ويلقى عليه صخرة فاتاه خبر السماء بكيدهم فكر راجعا وكان معه
ابو بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم فتجهز لقتالهم وسار اليهم وكانت لهم حصون منيعة
فتحصنوا بها على ما يفصل بعد كان بعد احد وقيل بعد بدر بستة اشهر لِأَوَّلِ الْحَشْرِ واللام
للتوقيت مثل قدمت لخمس خلون ومعنى اولية الحشر انهم لم يكن اصابهم جلاء واول حشرهم
من الشام الى ارض العرب كان باختيارهم او انهم اول من اخرج من جزيرة العرب او ان
هذا اول حشر اهل الكتاب والثانى اجلاء عمر اهل خيبر وآخر حشرهم يوم القيمة حاصرهم
ستة ايام ثم اتفقوا على ان لهم ما حملت الابل فاجلاهم الى الشام ولحق بعضهم بخيبر
واسلم منهم رجلان يامين بن عمرو وابو سعد بن وهب واستدل عكرمة بالاية على ان
ارض الشام هى المحشر غدا ثم مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا ايها المؤمنون لكثرة عددهم وعددهم
وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ كان الظاهر وظنوا ان لا يخرجوا فالعدول الى النظم
لما فى تقديم الخبر ثم اسناد الجملة الى الضمير من الدلالة على ان ظنهم قارب اليقين لا كظن
المؤمنين فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا اى بأسه ولم يكن ذلك فى حسابهم لاعتمادهم
على شدة بأسهم وحصانة حصونهم وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ الخوف الذى يملأ الصدر
واكده بلفظ القذف الدال على القوة يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ عن قتادة كانوا يخربونها
ليصلحوا بها ما انهدم من السور وكانوا يفعلون ذلك لئلا تبقى للمسلمين جنة وَأَيْدِي
الْمُؤْمِنِينَ لانهم تسببوا لذلك فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ولا تخالفوا امر الله ورسوله
ولا تعتمدوا على قواكم واتكلوا على الله فى اموركم وفيه دليل على جواز القياس فيما
لا نص فيه بشرائط المعلومة فى موضعه وقرا ابو عمرو بالتشديد وهو ابلغ لدلالته
على التكثير وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ الذى هو اشق لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا بالقتل
وسبى الذرارى كما فعل ببنى قريظة وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ الذى القتل والجلاء
عنده اهون شئ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ اى ذلك الغضب الذى اورثهم عذاب
الدارين لاجل انهم عادوا رسول الله وكذبوه وذكر الله تعالى للدلالة على ان مشاقة
رسوله مشاقته ولذلك اكتفى به فى قوله وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ
وفيه تهديد لغيرهم مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ هى النخلة ما عدا العجوة والبرنية من اللون
سميت به لاشتمالها على الالوان فقلبت الواو ياء للكسرة والجمع لين أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً
عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ لما امر رسول الله بقطعها وتحريقها وقع فى قلوب المؤمنين
وسوسة وقيل ارسلت قريظة يقول يا محمد كنت تنهى عن الفساد فنزلت وفيه يقول
حسان بن ثابت وهان على سراة بنى لؤى حريق بالبويرة مستطير وانما ابقوا العجوة والبرنية

لانها احسن وليخزي الفاسقين اليهود اذا اشاهدوا ذلك والمعلل محذوف اي اذن
لكم وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب لقرب حصونهم
ولم يقع منهم قتال الايجاف الاسراع والركاب الابل التي يسار بها لا واحد له من لفظه
ولكن الله يسلط رسله على من يشاء بالقاء الرعب في قلوب عدوهم نزلت حين طلبوا منه
قسمة اموالهم كما قسم اموال المشركين ببدر والله على كل شيء قدير ما ينصر بالملائكة
وبدونها ما افاء الله على رسوله من اهل القرى لم يدخل العاطف لانه بيان الاول ثم ثال
لما لبني النضير ولسائر اموال الفيء الى يوم القيمة فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل هذه مصارف مال الفيء وهي مصارف خمس الغنيمة فلما قطع عنه
مطامع انظار اهل الغزو وامره ان يضعها هذه المواضع فكان رسول الله يأخذ من ذلك
قوت سنته واهله ثم يصرف الباقي في هذه المصارف وكذلك فعلت الخلفاء مع
امهات المؤمنين وذكر الله للتعظيم وقيل يصرف سهمه في عمارة الكعبة ثم فيها ولسائر
المساجد وذهب الشافعي الى ان المصروف في هذه المصارف في زمانه كان اربعة اخماس
الخمس واما الاخماس الاربعة مضافا اليها خمس الخمس كانت خالصة رسول الله يأخذ
منه نفقة اهله ويصرف الباقي الى الكراع والسلاح وهي الان تصرف الى المرتزقة
واستدل بحديث رواه البخاري عن عمر بن الخطاب كيلا يكون دولة بين الاغنياء
منكم اي انما بينا مصارف الفيء كيلا يكون جدا وحظا بين الاغنياء يتكاثرون به
والدولة ما يداول مع الانسان من الحظ اي يدور وفعلة بمعنى الفاعل او كيلا يكون
دولة جاهلية وكان اهل الشوكة يختصون بها ويقولون من عز بز او بمعنى المفعول
اي يتداولونه ويتعاودونه كالعرفة لما يعرف وقرأ هشام في احد الوجهين بالتأنيث
الفعل ونصب دولة على ان كان ناقصة منكم وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا لا تخالفوه في شيء ولا تتوهموا في افعاله واقواله جز الحق واتقوا الله
بطاعة رسوله ان الله شديد العقاب حيث بان يتقي للفقراء المهاجرين بدل
من ذوي القربى باعادة الجار لا من الرسول وما عطف عليه لخروجه عنهم بقوله وينصرون
الله ورسوله ولكونه اجل من ان يطلق عليه اسم الفقير ولان المبدل في حكم السقوط
وذلك يخل بتعظيم الله لان الاسم الاعظم وان كان مذكورا توطئة وتمهيدا الا
انه لا يليق ان يقال انه في حكم السقوط الا يرى انه لا يقال له علامة لمكان الثناء الذين
اخرجوا من ديارهم واموالهم استولى عليها المشركون يبتغون فضلا من الله الجنة
ورضوانا ورضاه حال مقيدة وينصرون الله ورسوله دينهما اولئك هم الصادقون
في دعوى الايمان لتنور دعويهم بالبرهان والذين تبوؤا الدار والايمان هم الانصار
عطف على المهاجرين اي دار الهجرة ودار الايمان فاللام في الاول بمعنى غنى الاضافة
وحذف المضاف من الثاني او اخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا او جعل

او جعل الايمان مستقرا ومتوطنا على انه استعارة مكنية وهذا ابلغ الوجوه واطلاق
الدار حينئذ للتنويه كانها الدار التي يحق لها ان تسمى دارا من قبلهم من قبل هجرة
المهاجرين وقيل سبقوا المهاجرين بالنبوة والايمان اذ سبق الانصار بالايمان
على كل من هاجر غير مسلم ولا يستقيم الا بتقدير الاضافة يحبون من هاجر اليهم ولا
يعدونه كلا قال سعد بن الربيع لعبد الرحمن بن عوف وكان رسول الله اخا بينهما
كما اخا بين المهاجرين والانصار اشاطرك مالي وانظر اي زوجتي اعجبتك اطلقها
فتزوجها ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا مما اعطي المهاجرون وذلك ان
رسول الله لم يعط من مال بني النضير الانصار شيئا الا ابا دجانة وسهل بن حنيف
والحارث بن الصمة وقد بالغ في مدحهم حيث نكر الحاجة وذكر الصدور والوجدان
اي لم يخطر بخاطرهم ما يسمى حاجة فضلا عن توجه النفس الى طلبها ولذا اوثر الوجدان
دون العلم ويؤثرون على انفسهم اي يختارون المحتاج على انفسهم مما لهم فكيف
يطمح الى شيء ليس لهم ولو كان بهم خصاصة فقر وحاجة من خصاص الابنية وهو فرج
بين اجزائها روى البخاري عن ابي هريرة رض جاء رجل الى رسول الله وقد اصابه
الجهد فارسل الى نسائه فلم يجد شيئا فقال الا رجل يضيف هذا فقام رجل من الانصار
فقال انا يا رسول الله فذهب به فقال لامرأته ما اجد الا قوت الصبية قال نومي
الصبية وقدمي الطعام ثم قومي كانك تصلحين السراج فاطفئيه لنأكل وحده فانه
ضيف رسول الله ففعلت فلما اصبح جاء الى رسول الله فقال لقد عجب الله منك
فنزلت ومن يوق شح نفسه الشح البخل مع الحرص واضافه الى النفس لانه غريزة فيها
اي ومن يحفظ عن هذه الرذيلة فاولئك هم المفلحون الفائزون الى الثناء بالثناء
من الله عاجلا والثواب آجلا والانصار داخلون اولا دخول والذين جاؤا من
بعدهم اي من بعد الفريقين واهم الذين اتبعوهم باحسان الى يوم الدين وقيل
الذين هاجروا بعد السابقين الاولين وفيه انه لا يستوعب مستحق الفيء ويرد
قوله يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان لان اللاحق
هجرة يجوز ان يكون اسبق ايمانا ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا غشا و
حقدا من الغلل وهو الماء بين الاشجار وعن مالك ان سابّ السلف لا يستحق
من الفيء شيئا لعدم اتصافه بما في الآية ربنا انك رؤف رحيم حقيق باجابة
دعائنا الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب
ابن ابي رأس المنافقين ومن تبعه دسوا الى اهل الكتاب بما اخبر الله به رسوله
والمراد بالاخوة توادهم وتوافقهم في الكفر فلا ينافيه قوله ما هم منكم ولا
منهم لئن اخرجتم من دياركم لنخرجن معكم اذ لا عيش لنا بدونكم ولا نطيع فيكم
في قتالكم احدا ابدا محلا وعزه وان قوتلتم لننصرنكم لاحالة والله يشهد انهم

كاذبون في كل ما قالوه ثم رد مقالهم مفصلة بقوله لئن أخرجوا لا يخرجون معهم
ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم فرضا وتقديرا ليولن الأدبار انهزاما
ثم لا ينصرون اي المنافقون بل يقتلون لظهور نفاقهم وقيل الضمير لليهود وليس
بوجه لان سوق الكلام لذم المنافقين لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله اي
مرهوبية والمعنى يخافونكم في السر اكثر من تخوفهم من الله او من اظهار دعوى الخوف
من الله لكم اذ لم يكن لهم خوف من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون عظمة الله ليعلموا
انه الحقيق بان يخاف لا يقاتلونكم جميعا المنافقون واليهود الا في قرى محصنة لضعف
قلوبهم واستيلاء الجبن عليها او من وراء جدر جمع جدار كحمر وحمار وقرأ ابن كثير وابو عمرو
وجدار مفردا لقصد الجنس او ارادة السور الجامع والجمع اظهر واوفق بالقرى بأسهم
بينهم شديد اذا تقاتلوا واما اذا حاربوا الله ورسوله اجبن من صافر تحسبهم جميعا
ذوي ألف واتحاد ظاهرا وقلوبهم شتى جمع شتيت متفرقة هؤلاء عبدة الأصنام و
اولئك اهل الكتاب ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ان تشتت القلوب والآراء مما يورث
الفشل والوهن كمثل الذين من قبلهم اي مثل اليهود في محاربة رسول الله كمثل المشركين
يوم بدر وعن ابن عباس بني قينقاع اجلاهم رسول الله قبل هؤلاء قريبا اي في زمان
قريب وانتصابه على الحال اي وجد مثل هؤلاء مثل وجود مثل ذلك او لكن قريب
لم ينطمس بعد آثاره فكان لهم عبرة فيهم ذاقوا وبال امرهم بيان للمشبه به بتقريره
وفيه زيادة تجهيل لليهود الوبال سوء العاقبة من قولهم مرعى وبيل اي وخيم ولهم
عذاب أليم في الآخرة كمثل الشيطان لما شبه حال اليهود بحال اهل بدر شبه المنافقين
بحال الشيطان يوم بدر جاءهم في صورة سراقة سيد كنانة وقال للمشركين اني جار
لكم فلما رأى الجمعان نكص على عقبيه هاربا وقال اني بريء منكم اذ قال للانسان اكفر فلما
كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين والمراد بالانسان الجنس او كفار قريش و
قيل راهب حمله على الفجور بامرأة وله قصة يرويها القصاص فكان عاقبتهما انهما في
النار خالدين فيها نصب على الحال والظرف خبر كان وفيها تأكيد وذلك جزاء الظالمين
كل كامل في الظلم وهو الكفار يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد
يوم القيامة سماه غدا لقربه او لان اليوم يومان وتنكيره لاستقلال الانفس النواظر كأنه
قال ولتنظر نفس واحدة او للتعظيم وهي النفس المطمئنة كأنه قال ولتنظر النفس التي لها قدر
واما جعله من قبيل علمت نفس فيأباه المقام لان سوق المقام لبيان استيلاء الغفلة و
القسوة على الانسان وتنكير الغد للتعظيم اي غد واي غد واتقوا الله اعاده لأن الأول
فيما قدم من الاعمال وهذا جار مجرى الوعيد ولذا عقبه بقوله ان الله خبير بما تعملون
وفي بعضهما مطلقين من الفخامة ما لا يخفى ولا تكونوا كالذين نسوا الله نسوا حقه
فأنساهم انفسهم حيث لم يرشدهم الى طريق الهدى او اراهم يوم القيامة ما نسوا انفسهم

انفسهم اولئك هم الفاسقون الكاملون في الفسق لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة
كأن الناس لاستيلاء الغفلة عليهم لم يفرقوا بين الفريقين فاحتاجوا الى الاعلام
كقوله وما يستوي الاعمى والبصير واستدل الشافعي بالآية على ان المسلم لا يقتل بالذمي
ورد ذلك لانه لما نهى المؤمنين ان يكونوا كالذين نسوا الله اشار الى عدم مساواة
الحزبين في احكام الدارين وان كان الملحوظ بالقصد الاول احكام الآخرة ولذلك
عقبه بقوله اصحاب الجنة هم الفائزون بما لم يخطر على قلب بشر لو انزلنا هذا القرآن
على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله تمثيل وتصوير لزواجر القرآن وما
فيه من الوعيد والآيات الدالة على شدة سخطه على من كفر انه لو كان في الجبل فهم و
كان هو المكلف والمخاطب لتكسر وتفرقت اجزاؤه من الخوف وتلك الامثال هذا
المثل ونظائره نضربها للناس لعلهم يتفكرون وفيه من الدلالة على قسوة قلبه وعدم
تدبره ما لا يخفى هو الله الذي لا اله الا هو لما اثنى على القرآن واعلى شأنه بما لا مزيد
عليه اقام البرهان على ذلك بانه كلام من هذه اوصافه ونعوته عالم الغيب والشهادة
ما غاب عن الضمير وما شاهده او الموجود والمعدوم او الدنيا والآخرة او السر
والعلن هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلطان المنزه
عن وصمة النقص والزوال واختلال ملكه كسائر الملوك السلام ذو السلامة
عن الآفات كأنه عينها المؤمن للجاهل غيره آمنا المهيمن الرقيب الحافظ من الأمن
الا انه ابلغ منه وهاؤه منقلبة من الهمزة وقيل من الامانة لأن الأمين هو
الحافظ العزيز الغالب الجبار الذي جبر الخلق على ما اراد او كثير الجبر للمنكسرين
ما كسر الا وجبر المتكبر البليغ الكبرياء كلت العقول عن ادراك ذاته سبحان
الله عما يشركون ليس كمثله شيء فكيف يكون له شريكا هو الله الخالق المقدر للاشياء
على وفق حكمته البارئ الموجد لها بريئة عما لا يليق بل جاءت كما اراد المصور
المفيض للصور والاشكال على المواد القابلة له الاسماء الحسنى الدالة على صفات
الجلال ونعوت الكمال وهذه نبذة منها عن ابي هريرة ان لله تسعة وتسعين اسما
من حفظها دخل الجنة وقيل انما يسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تنينا
لانه لم يعرف الله بهذه الاسماء ولم يؤمن بها يسبح له ما في السماوات والارض من
الاجزاء والجزئيات وان من شيء الا يسبح بحمده وهو العزيز الغالب الحكيم المتقن
في صنعه فذلكة للسورة ورمز الى اجلاء اليهود وايراثه اموالهم لرسول الله والمؤمنين
روى الامام احمد بن حنبل عن رسول الله من قال حين يصبح اعوذ بالله السميع العليم
من الشيطان الرجيم ثلث مرات ثم قرأ ثلث آيات من آخر الحشر وكل الله به سبعين
الف ملك يصلون عليه الى ان يمسي وان مات في يوم مات شهيدا تمت سورة الحشر
والحمد لرؤوف البر والصلوة على المؤيد بالعز والنصر وآله وصحبه الى آخر الدهر

سورة الممتحنة مدنية وآيها ثلث عشرة بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي
وعدوكم أولياء كان رسول الله هادن قريشا سنة الحديبية ثم نقضوا العهد فأراد
أن يغزوهم وكان وقت الفتح الموعود فقال اللهم أعم عن المشركين شأننا فكتب
حاطب بن أبي بلتعة وهو رجل من المهاجرين ولم يكن من قريش بل كان حليفا لعثمان
رضي الله عنه وكان قد تخلف عنه أهله وماله كتابا إلى أهل مكة يخبرهم بأمر رسول
الله وقصده إياهم وأعطاه لعجوز من عجز مزينة وقيل لسارة مولاة أبي المطلب فلما
توجهت أخبر جبريل رسول الله بشأنها فأرسل عليا والزبير وأبا مرثد والمقداد بن
الأسود وقال ائتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب خذوه منها فقال
علي رضي الله عنه فذهبنا تعادى بنا خيلنا فأدركناها فقالت ليس معي كتاب فقلت
ما كذب رسول الله لتخرجن الكتاب أو لأجردنك فأخرجته من حجزتها وكانت
محتجزة بكساء وفي رواية من عقاصها فأتوا به رسول الله فطلب حاطبا وقال
ما هذا الكتاب قال يا رسول الله لا تعجل فوالله منذ أسلمت ما ازددت إلا إيمانا ولكني كنت
مهاجرا من أصحابك لهم قرابات يحمون بها أهليهم وكنت لصيقا فيهم فأردت أن
أتخذ ذلك أن أصطنع يدا عندهم يحمون بها قرابتي قال رسول الله قد صدقكم فلا
تقولوا له إلا خيرا فقال عمر يا رسول الله منافق دعني أضرب عنقه فقال يا عمر وما يدريك
أن الله قد اطلع على أهل بدر وقال افعلوا ولا حرج قد غفرت لكم ففاضت عينا عمر
فنزلت والعدو فعول من عداه جاوزه ولكونه على زنة المصدر كالقبول يطلق على
الجمع وفي تقديم عدوي إشارة إلى أنه المهتم وإن فرض أن لم يكن عدوا لهم تلقون إليهم
بالمودة حال من فاعل لا تتخذوا أو صفة أولياء جرت على غير من هي له من دون الإبراز
لكونها فعلا أو استئناف والباء مزيدة للتوكيد كما في ولا تلقوا بأيديكم أو للسببية
والمفعول محذوف أي أخبار رسول الله بسبب المودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق
حال من فاعل تلقون إن جعل مستأنفا والإخبار أن يكون منه أو من فاعل لا تتخذوا
يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم استئناف جار مجرى التفسير كأنه قيل كيف
كفروا فقيل كفروا أشد الكفر لإخراجهم الرسول والمؤمنين لإيمانهم بالله مولاهم
خاصة لا لغرض آخر وهذا أملاء فائدة من جعله حالا من فاعل كفروا إن كنتم خرجتم
جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي حذف جواب الشرط لدلالة ما قبله عليه تسرون إليهم
بالمودة جواب سؤال مقدر كأنه قيل ماذا فعلوا حتى عوتبوا بما عوتبوا ولذلك أوثر
أن على إذا ويجوز إبداله من تلقون والباء فيه كما في تلقون وأنا أعلم بما أخفيتم وما
أعلنتم منكم واطلع رسولي عليه فأي فائدة في الإسرار بعد علمكم بهذا وإياكم ومن
يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل الطريق القويم إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء إن
يظفروا بكم يظهر لكم منهم نتيجة العداوة من الإسرار بما يمكنهم ويبسطوا إليكم أيديهم

أيديهم وألسنتهم بالسوء بالقتل والشتم جار مجرى تفسير العداوة وودوا لو تكفرون
ردة ونكم كفارا وإيثار الماضي هنا وإن كان الماضي والمضارع لا يتغايران بعد وقوعهما
جزاء الشرط للإشارة إلى أن ودادتهم لكفر المؤمنين أهم لانحسام مادة العداوة
وارتفاع المنافاة حينئذ والمراد ودادة مقارنة للمقدرة على ردهم كفارا فلا يرد
أن ودادتهم مستمرة فلا يفيد التقييد بالشرط ليوثر العطف على الشرطية لا الجزاء كما
في ثم لا ينصرون في سورة الحشر لن تنفعكم أرحامكم قراباتكم ولا أولادكم الذين
توالون الكفار لأجلهم خطأهم أولا في موالات من هو خالص العداوة لهم ثم في من
توالون لأجله ثم بين وجه ذلك بقوله يوم القيامة يفصل بينكم يفرق بينكم يوم يفر المرء
من أخيه وأمه وأبيه فأي فائدة في موالات أعداء الله لمن لا يبقى ولا نفع في وده وقرأ
عاصم بضم الياء وكسر الصاد وشدده حمزة والكسائي وابن عامر وهو أبلغ وأوفق
بالمقام والله بما تعملون بصير مشاهد له قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم و
الذين معه الأسوة اسم لما يؤتسى به كالقدوة لفظا ومعنى كسر همزته غير عاصم إذ قالوا
لقومهم ظرف لخبر كان وهو لكم إنا برآء منكم جمع بريء كظرفا جمع ظريف ومما تعبدون
من دون الله كفرنا بكم أي بكل شيء تلتبسون به مما يدان به والكلام على المشاكلة و
التهكم إذ الكفر إنما يكون بالحق وما أوحي به الرسل وبدا بيننا وبينكم العداوة
والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده فحينئذ ينقلب العداوة موالاة والبغضاء
حبا إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك مستثنى من أسوة حسنة لأنها عبارة
عن قولهم إنا برآء إلى آخره وما أملك لك من الله من شيء هذا وإن صح أن يكون من
الأسوة لكونه كلاما حقا إلا أنه جعله تابعا للاستغفار مبالغة في تحقيق الوعد
كأنه قال أبذل جهدي ولو ملكت غير الاستغفار لفعلته ربنا عليك توكلنا و
إليك أنبنا وإليك المصير كلام مستأنف الالتجاء إلى الله بعد إظهار العداوة و
التبرؤ عنهم في كفاية شرهم أو تعليم من الله للصحابة بعد النهي عن موالاة الكفار
والأمر بالاقتداء بإبراهيم عليه السلام تتميما للوصية كقوله انتهوا خيرا لكم
ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا محل فتنة بأن تسلطهم علينا فيفتنونا
علينا ديننا واغفر لنا ما فرط ربنا إنك أنت العزيز الحكيم حقيق بإجابة الدعاء و
تحقيق رجاء المتوكلين لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة كرره مبالغة في الحث
على الائتساء ولهذا أكده بما هو غاية في التوكيد وهو القسم وأبدل عن قوله لكم
لمن كان يرجو الله واليوم الآخر إشارة إلى أن من توقف ليس بمؤمن بالآخرة و
عقبه بقوله ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد فلا يضر توكيده بل ضر نفسه
عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة توكيد للأمر بالتصلب و
تهوين عليهم بأن ذلك عن قريب سينقلب مودة وسببا للسعادة أولئك بدخولهم

في الايمان عكس ما كانوا يودونه من كفر المؤمنين ويظهر ان حزب الله هم الغالبون
ويقطع عسى على دأب الملوك في المواعد التي لا يخلفونها في انجازها والله قدير على ذلك
والله غفور لما فرط منكم من موالاتهم سابقا رحيم يجمع بينكم في الايمان عن قريب لا ينهاكم
الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم كالنساء والضعفة ان
تبروهم بدل من الذين بتقدير مضاف اي مبرة الذين وتقسطوا اليهم تعاملوهم بالعدل
فيما بينكم من الحقوق ان الله يحب المقسطين روى البخاري ومسلم عن اسماء بنت ابي بكر
انها قالت يا رسول الله اني قدمت وهي راغبة افاصلها قال نعم صلي امك وارسل
الله بمرحلة من حرير نكتبها اخا مشركا له بمكة انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في
الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم سعى بعضهم في الاخراج وعاون
عليه البعض ان تولوهم بدل اشتمال من الذين ان تولوهم ومن يتولهم منكم فاولئك
هم الظالمون الكاملون في الظلم اذ لا عذر له بعد هذا البيان يا ايها الذين آمنوا
اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن عن ابن عباس كان الامتحان ان تقول لا اله
الا الله محمد رسول الله ثم تقول بالله ما خرجت من بغض زوجها ولا رغبة في ارض عن ارض
بل حبا لله ولرسوله وكان الذي يتولى الامتحان عمر بن الخطاب رضي الله عنه الله
اعلم بايمانهن منكم وانما امركم بالامتحان لاجراء الحكم وعدم اللبس فان علمتموهن مؤمنات
بالامارات اراد الظن واطلاق العلم عليه شايع وفائدته الامعان في الامتحان
فلا ترجعوهن الى الكفار لان رسول الله صلى الله عليه وسلم شرط في صلح الحديبية
ان من جاء مسلما يرده اليهم فجاءت نساء مؤمنات وهو باسفل الحديبية على ما رواه
الزهري فنزلت فكانت ناسخة للسنة وقيل كانت ذلك منه اجتهادا واجتهاده
الخطاء لا يقرر وعن عروة والضحاك ان الشرط كان في الرجال خاصة لا هن حل لهم
ولا هم يحلون لهن اي الحل مرتفع من الجانبين لا كالكتابية مع المسلم وآتوهم
ما انفقوا ما دفعوا اليهن من المهور وكان هذا مخصوصا بتلك الواقعة في المهاجرات
وبعد الفتح لا هجرة فانتهى الحكم بانتفاء سببه ولا جناح عليكم ان تنكحوهن المهاجرات
لوقوع البينونة وعدم حلهن لازواجهن اذا آتيتموهن اجورهن مهورهن لان المهر
اجر البضع وانما تعرض له لئلا يظن ان ما اعطى الازواج بدل ما انفقوا يغني عن المهر
استدل ابو حنيفة رحمه الله على ان من اسلمت من الحربيات وتخلف زوجها في دار الحرب
وقعت الفرقة ولا عدة واجاب الشافعي رحمه الله بان عدم التعرض للعدة ليس تعرضا
لعدمها وعدم العدة يؤدي الى اختلاط المياه ولا تمسكوا بعصم الكوافر اللاتي تخلفن
في دار الكفر جمع عصمة وهي النكاح يقال هي في عصمة الزوج اي في نكاحه عن المسور بن
مخرمة ان عمر طلق يومئذ قريبة بنت ابي امية فتزوجها معاوية وام كلثوم بنت
عمرو فتزوجها ابو جهم واسئلوا ما انفقتم من مهور المشركات وليسئلوا ما انفقوا

من مهور المهاجرات اعادة توكيدا لئلا يتهاونوا به من حيث انهم مشركون ولذلك امرهم
بالسؤال فانه حق من حقوقهم ذلكم حكم الله اي ما ذكر يحكم بينكم مستأنف
او حال والله عليم باحوال العباد حكيم فيما شرع وان فاتكم شيء من ازواجكم
الى الكفار راجعة عن الاسلام كان في صلح الحديبية ان من ذهب اليهم لا يرد وقد
قال رسول الله من جاءكم منا سحقا له ولذلك نكر الشيء استهانة بالراجعة وقيل
لزيادة العموم فعاقبتم جاءت عقبتكم اي نوبتكم فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل
ما انفقوا عن الزهري ان المؤمنين لما سئلوا ما انفقوا الى المشركين فكان الحكم ان
ما كان يعطى زوج المهاجرة من المهر يعطى زوج المرتدة وعن ابن عباس عاقبتم غنمتم
امروا بان يعطوا زوج الراجعة ما انفق من الغنيمة وهو الوجه واتقوا الله الذي
انتم به مؤمنون فان الايمان به حامل على التقوى يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك
على ان لا يشركن بالله شيئا من الاشياء ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن
كما كان الوائدات يفعلن ذلك ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن كان
احديهن تلتقط لقيطا وتقول لزوجها ولدته منك وما بين ايديهن وارجلهن البطن
والفرج ولا يعصينك في معروف هذا القيد مع ان امره لا يكون الا معروف للدلالة
على ان لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولو فرض ان يكون امره فبايعهن على هذه
الشرايط روى البخاري عن ابن عباس خطب رسول الله يوم الفطر ثم شق الرجال واتى
النساء فقرأ عليهن هذه الآية ثم قال انتن على ذلك فاجابته واحدة ثم قال تصدقن
فشرعن يلقين الخواتم والاقراط في ثوب بلال وعن ام عطية لما قال ولا يعصينك
في معروف قالت امرأة ان فلانة اسعدتني تريد النياحة فانما اريد ان اجزيها فذهبت
ثم عادت فبايعت وعن عائشة والله ما مست يده يد امرأة قط وانما بايعهن بهذه
الآية واستغفر لهن الله ما سلف ذنوبهن ان الله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا
لا تتولوا قوما غضب الله عليهم روي ان بعض فقراء المؤمنين كانوا يوالون اليهود
لعل ان يصيبوا منهم بعض ثمار قد يئسوا من الآخرة لعنادهم نبوة محمد مع علمهم انه
الموعود في التورية كما يئس الكفار من اصحاب القبور من بيان اي كما يئس من مات على
الكفر من رحمة الله او كما يئس الكفار من الموتى لعدم اعتقادهم الحشر تمت سورة الامتحان
ولله المن والاحسان والصلوة على المبعوث من عدنان والة وصحبه الى انصرام الزمان

سورة الصف مدنية وآيها اربع عشر بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات
وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون الاستفهام
للانكار ولما صار الجار والمجرور لشدة الاتصال كشيء واحد حذف منه الالف مثله
عم وبم ويوقف عليه بالاسكان وبها السكت عن مقاتل تمنوا احب الاعمال فنزلت
ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا فلما ولوا يوم احد عوتبوا بهذه الآية

وعن قتادة كانوا يقولون فعلنا ضربنا ولم يكونوا فعلوا ذلك روي ان صهيبا قتل كان
شديد النكاية في المسلمين ورآه رسول الله فانتحل آخر قتله فقال عمر ذلك لصهيب
فقال انما قتلته لله ويشمل كل قول خالف الفعل وبه استدل على ان الوعد ملزم و
حمله الجمهور على امر الآخرة كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون بالغ في تعجيبه لانه
كبر من معنى التعجب المراد منه تعظيم الجناية واسناده الى القول ولا تم تمييز بالمقت
وتقديمه وجعله عند الله مع كون المقت اشد البغض ان الله يحب الذين يقاتلون
في سبيله صفا صافين فانه اهيب في عين العدو واشد تقوية لقلب المقاتل كأنهم
بنيان مرصوص محكم من الرصاص وهو الآن حال من المستكن في الحال واذ قال موسى
لقومه يا قوم لم تؤذونني اي اذكر للمؤمنين ذلك الوقت وقد تعلمون اني رسول الله
اليكم والذنب مع العلم اشد فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم صرفها عنه والله لا يهدي
القوم الفاسقين لا يوفقهم لانهم اهل الزيغ الذين خلقوا للنار واذ قال عيسى ابن
مريم يا بني اسرائيل لم يقل يا قوم تذكيرا لهم بانهم اولاد اسرائيل الذي وصى بنيه ان
لا يعبدوا الا الله لا انهم ليسوا من قومه لانه لا نسب له فيهم لدخوله في ذرية اسرائيل
كما تقدم في الانعام اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا
برسول يأتي من بعدي اي انا على ما عليه سائر الرسل من تقدم ومن تأخر هذا كقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنت بدعا من الرسل وانتصاب مصدقا ومبشرا
على الحال والعامل فيه معنى الرسالة في رسول لا الى اليكم لانه حرف الجر اذا وقعت
صلة يسوغها معنى الفعل اسمه احمد قيل كذا كان مكتوبا في الانجيل ولعل ذلك
لما فيه من الاشارة الى انه احمد الرسل روى البخاري عن جبير بن مطعم عن ابيه ان
رسول الله قال ان لي اسماء انا محمد وانا احمد وعن ابي اسحق انا دعوة ابراهيم وبشرى
عيسى ورؤيا امي فلما جاءهم بالبينات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص قالوا
هذا سحر مبين اي ما جاء به او عيسى مبالغة ويؤيده قراءة حمزة والكسائي ساحر والرسم
على الاول ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام اي لا احد اظلم
اذ لا اجابة فوقه مع عدم العذر وزوال الاشتباه والله لا يهدي القوم الظالمين
الكاملين في الظلم يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم هم اليهود الذين حرفوا
الكلم وبدلوا نعته مثل حالهم بمن يريد اطفاء نور الشمس بنفخه في الهواء والاصل
يريدون ان يطفئوا كما في سورة براءة واللام جيء بها تأكيدا للارادة لما في اللام
من معناها والله متم نوره لا محالة وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر وابو بكر
منونا ناصبا ما بعده ولو كره الكافرون الساترون نعمة الله هو الذي ارسل رسوله
بالهدى ودين الحق الذي لا يتطرق نسخ ولا تبديل ليظهره على الدين كله اذ لم يأت
احد بما جاء به وضع الاصر والاغلال بالحنيفية السمحاء ولو كان موسى بن عمران حيا

ما وسعه الا اتباعه ولو كره المشركون عباد الاوثان واليهود القائلون عزير ابن
الله والنصارى المثلثون يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم
قرأ ابن عامر بتشديد الجيم وهو ابلغ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله
باموالكم وانفسكم استيناف كانهم قالوا كيف نعمل قال تؤمنون وايثاره على آمنوا
مبالغة في الحث عليه كانهم امتثلوا فهو يخبر عنهم وهذا سبيل كل دعاء اخرج بصيغة
الاخبار ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون انه خير لكم اي لو علمتم لسعيتم في تحصيله ببذل
الاموال والانفس يغفر لكم ذنوبكم ما بينكم وبينه جزم جوابا للامر المدلول عليه بلفظ
الخبر او لشرط مقدر اي ان تؤمنوا او لاستفهام اي هل تتجرون بالايمان يغفر لكم
ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك المذكور
الفوز العظيم الذي لا يحيط به الوصف واخرى تحبونها اي ولكم النعمة الاخرى الدنيوية
بالنسبة الى الاولى وفي الوصف بالمحبة بعد الدلالة على انها دون الاولى نوع
تعيير لهم وفي ايثار الاسمية مع العطف على الفعلية وهي يغفر لكم دلالة على ان
هذه الدنيوية امكن في نفوسهم وهي اليها اميل نصر من الله بدل او بيان وفتح قريب
فتح مكة وعن الحسن فارس والروم وبشر المؤمنين عطف على تؤمنون لانه بمعنى
آمنوا وما في البين ليس باجنبي كانهم قالوا دلنا يا ربنا على تلك التجارة فقال
آمنوا وبشرت يا محمد وفيه تنويع الخطاب وايقاع المظهر موقع المضمر فهو املأ
فائدة من تقدير فابشر يا محمد وبشر والعطف على قل مقدرا والقول بان ذلك انما
يحسن اذا اعيد حرف النداء لا سند له ولو سلم فلعدم تعين المخاطب بدونه واما
اذا تعين فذكره وطيه سيان يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله انصار دينه
كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله من جندي متوجها الى نصرة دينه
وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو انصارا منونا والمعنى كونوا من جملة من ينصر الله
والاضافة اقوى معنى واخف لفظا ولذلك اتفقوا عليه في آل عمران قال الحواريون
نحن انصار الله الاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين والثانية اضافة الفاعل
الى المفعول والتشبيه بحسب المعنى اي قل لهم كقول عيسى او كونوا ايها المؤمنون انصار الله
كالحواريين وقت قول عيسى ع م كانوا اثني عشر رجلا قصارين يقصرون الثياب
ولذا قيل لهم حواريون وعنه صلى الله عليه وسلم لكل نبي حواري وحواريي الزبير
فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة بعيسى فايدنا الذين آمنوا على عدوهم
على الكافرين وايثار لفظ العدو للاشعار بالتشفي فاصبحوا ظاهرين غالبين بالسيف
والحجة غلبة لا اخفاء بها تمت السورة والحمد لله الاول منشوره والصلوة على من
سيبه مشكور وآله وصحبه الذين آثارهم مشهور سورة الجمعة مدنية وهي
عشر آيات بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس

البديع المنزه عن وصمة النقص والشين العزيز الحكيم الغالب البالغ حكمته توطئة لقوله
هو الذي بعث في الاميين رسولا لفرط احتياجهم اليه لانهم لا يكتبون ولا يقرؤن ثم
يعرفون صدقه وامانته وكونه اشفق بهم وارفق يتلوا عليهم آياته مع كونه اميا
مثلهم اشارة الى معجزته الموقوفة نبوته عليها ويزكيهم من الاخلاق الذميمة او
عند الله حيث يشهد لهم بالايمان يوم القيمة ويعلمهم الكتاب والحكمة الشرايع وان كانوا
من قبل لفي ضلال مبين ظاهر يعبدون الحجر ويأكلون الجيف ويطوفون بالبيت عراة
وآخرين منهم عطف على اميين اي وفي آخرين من الاميين لما يلحقوا بهم بعد وسيلحقون
لما في لما من معنى التوقع روى البخاري عن ابي هريرة رضي الله لما نزلت سألت رسول الله
منهم هؤلاء وفينا سلمان فوضع يده عليه وقال هم قوم هذا لو كان الايمان بالثريا
لناله رجال من هؤلاء ويدخل فيه جميع الغير فيتناول كل من يأتي بعد الصحابة رضي الله
عنهم الى آخر الدهر وهو العزيز الحكيم في تمكينه من هذا الامر العظيم واختياره له ذلك
فضل الله كونه رسولا للاولين والآخرين وفي ايثار اسم الاشارة بلفظ البعيد و
اضافة الفضل الى كلمة الجلالة اشارة الى ان كل فضل دونه يؤتيه من يشاء تفضلا
والله ذو الفضل العظيم الذي لا يحاط به مثل الذين حملوا التورية علموها ثم
لم يحملوها لم يعملوا بها ولا حملوها على محاملها كمثل الحمار يحمل اسفارا كتبا كبارا
من كتب العلم مثل حالهم في حمل التورية بحال الحمار الحامل لاسفار من الكتب والجامع
الحرمان من الانتفاع بابلغ نافع مع الكد والتعب والجملة في محل النصب على الحال او الصفة
اذ لم يرد بالحمار معين وهذا ابلغ ذما وانضاله بما قبله انهم علموا في التورية
نعت المبعوث في الاميين رسولا وكتموه بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله اي
مثل الذين كذبوا بحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او حذف المخصوص اي
هو والضمير لمثل اليهود او بئس مثلا مثل الذين على حذف المفسر وهذا قليل والله
لا يهدي القوم الظالمين اي اليهود الذين لم يحملوا التورية قل يا ايها الذين هادوا
تهودوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين
في زعمكم لان من علم انه منا واه جنة عدن يتمنى الخلاص من دار الفناء وانما خوف
الانسان من عدم علمه بحاله وانما اتى بان مع الزعم اشارة الى ان الاولى بحال من على
طريقتهم الشك والدعوى الباطلة ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم من الكفر
وتحريف آيات الله واختصاص آية البقرة بلن لان دعواهم هناك ان اختصاصهم بها
امر مكشوف فبولغ في الرد عليهم والله عليم بالظالمين ظاهرا وباطنا قل ان الموت
الذي تفرون منه ولا تجترؤن على تمنيه فانه ملاقيكم ودخول الفاء في خبر الموصوف
بالموصول للسببية باعتبار الوصف كانه قيل ان الفرار الذي تظنونه سبب النجاة سبب
الملاقاة مبالغة في عدم الفوت ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما

كنتم تعملون فيجازيكم عليه يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة
فاسعوا الى ذكر الله لما نعى على اليهود ما يثبتون به انفسهم من الاماني الباطلة امر
المؤمنين بالسعي الى ما فات اليهود من ادراك فضيلة يوم الجمعة لما روى البخاري
ومسلم ان يوم الجمعة هو اليوم الذي فضل على ساير الايام واختلف فيه اهل الكتابين
فلم يهتدوا اليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهدانا الله تعالى اليه نحن الآخرون
السابقون يوم القيمة هو سيد الايام فيها ساعة يستجاب فيها الدعاء والاصح انها
من وقت خروج الامام الى الفراغ من الصلوة وقيل بعد العصر وكانت العرب تسميه
يوم العروبة فسماه الله يوم الجمعة والمراد النداء بين يدي الخطيب فان الاول
شرعه عثمان على الزوراء عند كثرة الناس والبيع والشرى وساير الاشتغال حرام اتفاقا
والمراد بالسعي القصد والاهتمام لا الاسراع لورود النهي عنه والمراد بذكر الله
الخطبة لانها موعظة وتذكير ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ايثار ان على اذا مع
علمهم بذلك تعييبا لما بدا منهم من الخروج وتركه قائما لاشعاره بعدم علمهم فاذا
قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله من رزقه جبرا لما فاتكم روى
ابن ابي حاتم عن بعض السلف ان من باع او اشترى بعد الجمعة بارك الله له سبعين
مرة وكان عراك بن مالك اذا صلى الجمعة وقف على باب المسجد وقال اللهم اني اجبت
دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما امرتني فارزقني وانت خير الرازقين وقيل
المراد به الطاعة كعيادة المريض وتشييع الجنازة وزيارة الاخوان في الله و
اذكروا الله كثيرا في الاحوال كلها لعلكم تفلحون تفوزون بمرضاته واذا رأوا
تجارة او لهوا انفضوا اليها روى البخاري ومسلم عن جابر ان رسول الله كان على
المنبر يخطب فقدمت عير من الشام بميرة فخرجوا الا اثني عشر رجلا قال مقاتل
العير كانت لدحية قبل اسلامه وكان معها طبل وهو الذي اريد باللهو والضمير
للتجارة لان الانفضاض اليها اذا كان مذموما فالى اللهو اولى وتركوك قائما
فيه غاية التعيير اذ لو لم يكن الا تركه على هذه الحالة دون ان يكون خطيبا كان
شنيعا قل ما عند الله مدخرا لكم خير من اللهو ومن التجارة لكونه باقيا صفوا بلا
كدر والله خير الرازقين هو الرازق حقيقة والبواقي وسايل اليه توجهوا في طلب
الرزق تمت السورة ولله المنة والصلوة على رسوله وآله وصحبه السابقين
الى الجنة سورة المنافقين مدنية وهي احدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم
اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله انشاء جار مجرى القسم ولذلك
اكد بان واللام ويتضمن ادعاء المواطأة بين القلب واللسان والله يعلم انك
لرسوله وان ما قالوه كلام مطابق للواقع قطعا والله يشهد ان المنافقين
لكاذبون في ادعاء المواطأة لانهم يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم او كاذبون

فى انفسهم لا يعتقدون صدق مقالتهم ومطابقتها للواقع وانما اعترض بقوله والله
يعلم انك لرسوله لئلا يتوهم رجوع التكذيب الى قولهم انك لرسول الله اتخذوا ايمانهم
جنة وقاية استيناف لبيان فائدة تلك الشهادة التى هى بمثابة اليمين او كلام
مستقل لعد قبايحهم وان من دابهم الاتقاء بالايمان الكاذبة كما استجنوا با
الشهادة الكاذبة فصدوا عن سبيل الله اعرضوا ومنعوا غيرهم عن سلوكها انهم
ساء ما كانوا يعملون من النفاق وانشاء كانه فيل ما اسوء ما ارتكبوه ذلك كله
بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم منع دخول نور الحق فيها فهم لا يفقهون
شيئا من الحق فلذلك جروا على تلك العظايم وانما قال آمنوا ثم كفروا مع انهم
لم يؤمنوا طرفة عين لانهم نطقوا بالشهادة ثم ظهر كفرهم او نطقوا بها عند
المؤمنين وكفروا عند شياطينهم وللحمل على اهل الردة بعيد نابعنه المقام واذا
رايتهم تعجبك اجسامهم هيأتهم لرواء منظرهم وجسامتهم وان يقولوا تسمع
لقولهم لفصاحة كلامهم وحلاوة الفاظهم قيل كان ابن ابى رأس المنافقين و
بعض اتباعه جساما وساما فصحاء بلغاء والخطاب فى رأيتهم اما للرسول الله او
عام والاول وجه لتقدم اذ جاءك ولانه اذا اعجبته فغيره اولى كانهم خشب
مسندة الى الحائط لعدم الانتفاع بها بوجه او كالاصنام المسندة الى الحيطان فى حسن
الصور وبهجة المنظر قراء ابو عمرو وقنبل والكسائى باسكان الشين اما مخفف خشب
او جمع خشباء وهى الخشبة المجوفة وهذا اخف واقوى شبها وناهيك بسفاهة
النفاق خلة خبث شبه اهله بجماد هذا شانه وشبه الكفار بالانعام يحسبون
كل صيحة عليهم واقعة عليهم وقيل كانوا خائفين من ان ينزل فيهم ما يهتك
استارهم ويظهر اسرارهم ويبيح دماءهم وديارهم هم العدو الاعز لان اعدى
العدو من يلقاك بوجه الصديق لتوقفه على اسرارك وتمكنه من اشاعة اخبارك
وقيل عليهم صلة وهم العدو المفعول الثانى والتذكير باعتبار الخبر وليس بوجه
فاحذرهم فخذ حذرك منهم ولا تغتر قاتلهم الله لعنهم الله دعاء منه تعالى بنبئ
عن فرط السخط او تعليم للمؤمنين انى يؤفكون يصرفون عن الحق تعجب من العدول
بعد موجب الاقبال والقبول واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم
اما لوها ولم يلقوا السمع اليه قراء نافع لووا مخففا وقراءة الغير ابلغ ورايتهم
يصدون يعرضون فضلا عن الاستماع وهم مستكبرون رافعون انفسهم فوق
حدها اتفق الثقات على ان السورة نزلت فى ابن سلول كان مع رسول الله فى غزوة
تبوك او بنى المصطلق فاقتتل على الماء جهجاه بن سعد الغفارى وكان اجيرا لعمر بن
الخطاب وسنان بن يزيد وكان حليفا لابن سلول فبلغ ذلك ابن سلول وكان عنده جمع
من الانصار فقال او فعلوها والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قيل سمن كلبك ياكلك

بالكاف والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فنقل كلامه زيد بن ارقم
الى رسول الله فارسل رسول الله الى ابن سلول فحلف انه لم يقل شيئا من ذلك فقال
عمر زيد له ما اردت الى ان كذبك رسول الله ومقتك قال فبت فى شر ليلة فلما فقل
رسول الله لقينى فى الطريق ضحك فى وجهى وفرك اذنى فلقينى عمر فقال ماذا قال
لك رسول الله قلت ما زاد على ان ضحك فى وجهى وفرك اذنى وكذلك سالنى ابو بكر
لما نزل قراء عليهم السورة وقال الحق الله فقد صدقك يا غلام ثم ارسل اليهم يستغفر
لهم لووا رؤسهم سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لا يؤمنون بك
ولا يعتدون باستغفارك لن يغفر الله لهم لعلمه بانهم اهل الدرك الاسفل ومن
الذين ذراهم لجهنم ان الله لا يهدى القوم الفاسقين المنهمكين فى الكفر والنفاق
هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا اى قاله ابن سلول ذلك
اليوم ولله خزائن السموات والارض قادر على اغناء محمد واصحابه عن انفاق الانصار
وانما وفق الانصار لذلك لينالوا مرام القربة والزلفى ولكن المنافقين لا يفقهون
ذلك يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل يريد بالاعز
نفسه وبالاذل رسول الله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين مختصة بهم
لا حظ لغيرهم فيها ولا ينافيه ان العزة لله جميعا لان عزة الرسول والمؤمنين
عزة الله تعالى ولكن المنافقين اعاد المظهر تنويها فعمهم هذا الوصف لا يعلمون
بسوا من ذوى العلم ليدركوا هذا الامر الجلى ولما كان فى امر الرزق نوع خفاء فى
بادى الرأى جعل الفاصلة الفقه المنبئ عن نوع تعمل وعن قتادة ان ابنه
عبد الله لما بلغه ذلك جاء الى رسول الله وقال ان كنت قاتله فمرنى به لاحمل اليك
راسه ووالله لقد علمت الخزرج ان ليس فيهم ابر بوالديه منى واخاف ان يقتله
غيرى فلا احتمله فادخل النار فقال لا نقتله بل نحسن صحبته وعن عكرمة وابن زيد
انه وقف بباب المدينة وسل سيفه فلما جاء ابوه قال له وراءك حتى جاء رسول
الله وهو حابسه فشكى اليه فقال له خل سبيله وقيل لم يمكنه حتى اقر انه الاذل
ورسول الله هو الاعز فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الذين آمنوا
لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله لما كان اغترار المنافقين بالحطام الفانى
وانهم اذا لم ينفقوا على المؤمنين ينفد شئ ارهم ورد الله عليهم بانهم ما لك خزائن
السموات والارض وكان فيه اشارة الى انه سيغنى المؤمنين ويفيض عليهم من خزائنه
بما ليس فى حسابهم نهاهم عن الاشتغال بها عن ذكر الله قبل وجودها ليوطنوا انفسهم
على ذلك والمنهى التوجه اليها بحيث يفوت القيام بحق العبادة الا يرى الى قوله فى
معرض المدح رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك
هم الخاسرون لاستبدالهم الخسيس بالشريف وانفقوا مما رزقناكم بعض ما رزقنا

من قبل ان ياتي احدكم الموت اماراته ومخايله فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب
فاصدق واكن من الصالحين فعلى العاقل المبادرة الى التصدق اذ كل لحظة
بصدد الموت ولا يغتر بالصحة اذ كم صحيح مات وكم سقيم عاش قال تعجبين
من سقمي صحتي هي العجب وقرأ ابو عمرو واكون بالنصب عطفا على لفظ فاصدق وهو
الاظهر لاحتياج الجزم الى التقدير اي ان اخرتني اصدق واكن ولن يؤخر الله نفسا
اذا جاء اجلها انتهاء عمرها والله خبير بما تعملون فاختاروا لانفسكم ما ينبغي
وقرأ ابو بكر بالياء الغيبة نظرا الى ولئك هم والخطاب لقوله لا تلهكم وهذا اشد
تهديدا تمت سورة المنافقين والحمد لله رب العالمين والصلوة على صفوة
المرسلين وآله وصحبه اجمعين سورة التغابن قال عطاء مكية الا آيات يا ايها الذين
امنوا الى اخر الثلث وهي ثمان عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في
السموات وما في الارض نقدم الكلام في مثله له الملك وله الحمد قدم الظرفان
لتاكيد الاختصاص وازاحة الشبهة راسا فان قلت اذا اختصت المحامد به فما معنى
قوله صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله قلت الكلام في حقيقة الحمد وانما احمد
غيره مجاز باعتبار ان نعمة الله على يده فهو حمد الله حقيقة وهو على كل شيء قدير كامل القدرة لا
يقاومها قدرة ولا يشاركها في اثباتها تدل على الاختصاص هو الذي خلقكم فمنكم
كافر ومنكم مؤمن باختياركم لا جبر فمن رأى خيرا فليحمد الله ومن رأى شرا فليستغفر الله
والله بما تعملون بصير مشاهد فيجازي عليه خلق السموات والارض بالحق بالحكمة
البالغة مرتبا اسباب معايشكم فيهما وصوركم فاحسن صوركم فخصكم باحسن الصور
بين المخلوقات ليس فيها رشاقة قد ولا صباحة خد وانظر ان شئت العجب في تركيب
بنانه وجواهر اسنانه وقوس حاجبه ونبال اهدابه بيد ما اودع من القوى المدركة
ولذلك كان نسخة عالم الملك والملكوت واليه المصير فيسالكم عن النقير والقطمير
فاشكروا النعم واحذروا عذابه ونقمه يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون
وما تعلنون والله عليم بذات الصدور بمضمراتها فضلا عن السر والعلن فاستعملوا
في عباداتكم ظواهركم وطهروا سرائركم واخلصوا ضمائركم لتحمدوا عواقبكم الم ياتكم
نبؤا الذين كفروا من قبل قبلكم اي كفار مكة بلى قد اتاكم فذاقوا وبال امرهم وخامة
كفرهم في الدنيا بالاستيصال ولهم عذاب اليم في الآخرة ذلك المذكور من عذاب
الدارين بانه بان الشان كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا انكروا
كون البشر رسولا منكم يطلق على الواحد والجمع فكفروا بالرسل وتولوا اعرضوا
واستغنى الله بليغ الغنا عن كل شيء فضلا عن طاعتهم والله غني في ذاته
وصفاته وافعاله حميد ذاتا وصفة وفعلا دلت على ذلك ذرات الكون زعم الذين
كفروا ان لن يبعثوا اي كفار مكة اوهم ومن حملوا على الاعتبار بهم الزعم بمعنى العلم ولامع

وان مع ما في حيزها قائم مقام المفعولين قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن
بما عملتم بالمحاسبة والمجازات وذلك على الله يسير لغناه عن الآلات ودورانه
بين الكاف والنون فآمنوا بالله ورسوله الكريم والنور الذي انزلنا القرآن والله
بما تعملون خبير لا يخفى عليه منه شيء يوم يجمعكم متعلق بخبيرا او بلتنبؤن وذلك
على الله يسير وقوله فآمنوا اعتراض الاول يؤكد القدرة والثاني ما سيق له الكلام
من الحث على الايمان به وبالقرآن وبمن جاء به وبما تعملون خبير من تتمة الثاني
او نصب باذكر ليوم الجمع ليوم مخاص بالجمع يجمعكم فيه والاولين واللام للتعليل
كقوله اعددت لهذا اليوم ذلك يوم التغابن هو ان يغبن التاجر شاريه والعكس
استعارة لنيل السعداء وويل الاشقياء وكان لا تغابن الا ذلك فلذلك عرف و
اطلق لكونه علما له ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم قرأ نافع وابن عامر
الفعلين بالنون التفاتا وهو ابلغ في الترغيب والذين كفروا وكذبوا باياتنا
اولئك اصحاب النار خالدين فيها غير الاسلوب اشارة الى سبق رحمته وبئس المصير مصيرهم
الاتيان بيان لوجه التغابن ما اصاب من مصيبة الا باذن الله بتقديره كقوله
الا في كتاب من قبل ان نبرأها ويدخل فيها كفر الكافر اولا اذ لا اعظم منها ومن
يؤمن بالله يهد قلبه يثبته ان ابتلاه صبر وان اعطاه شكر وان ظلمه احد عفا
ومن كان قابلا مستعدا للايمان يوفقه له بوتيه والله بكل شيء عليم يعلم من هو
اهل للهداية واطيعوا الله واطيعوا الرسول لان عصيانهما اعظم المصائب فان توليتم
اعرضتم فانما على رسولنا البلاغ المبين الواضح وقد وفى به الله لا اله الا هو وعلى الله
فليتوكل المؤمنون لعلمهم ان لا مؤثر في الكون غيره وفيه حث لرسول الله والمؤمنين على
الصبر لما يصيبهم من اذى الكفار يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا
لكم لانه يلتهي به عن امر الدين كقوله لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم وفي الحديث الولد
مجبنة مبخلة فاحذروهم خذوا حذركم ولا تغفلوا عن العدو وعن ابن عباس رض نزلت
في ناس ارادوا الهجرة منعهم نساؤهم واولادهم فلما هاجروا بعد برهة وجدوا السابقين
قد فقهوا في الدين تغاضبوا وهموا بالانتقام منهم فنزلت وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا
العفو محو الجريمة عن الخاطر والصفح الاعراض والغفران الستر كان لم يكن ولما كان الصبر على
اذى من احسنت اليه اشق وابعث على الانتقام جمع بين الثلثة فان الله غفور رحيم
انما اموالكم واولادكم فتنة ابتلاء لينظر هل تؤثرون محبتهم على طاعة الله والله عنده
اجر عظيم حث على ايثار طاعته فاتقوا الله ما استطعتم ما بلغه جهدكم اذ لا تكليف
فوق ذلك فنسخت قوله اتقوا الله حق تقاته واسمعوا لاولي الامر واطيعوا اوامرهم
ما لم يكن معصية اذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وانفقوا خيرا لانفسكم نصب

خيرا بكن اى ان تنفقوا يكن خيرا لكم او صفة مصدر او بفعل مقدر اى ائتوا والقرينة
كون السوابق كلها من ابواب الخير ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون الفائزون
ان تقرضوا الله قرضا حسنا عن طيب نفس خالصا لوجه الله والتعبير عن التصدق بلفظ
القرض للتلطف في الطلب يضاعفه لكم بالواحد عشرة الى سبعمائة الى ما لا يعلمه غيره
ويغفر لكم ما فرط لان الحسنات يذهبن السيئات والله شكور يقابل القليل بالكثير حليم
لا يعاجل بالعقاب عالم الغيب والشهادة على سواء حث على الاخلاص وهو العزيز الغالب
لا مانع لعطائه الحكيم في كل ما دبر تمت والحمد لمن اعطى وتكرم والصلوة على حبيبه خير مضر وآله
وصحبه ذوي العليا والخطر سورة الطلاق مدنية وآيها اثنتا عشرة آية بسم الله
الرحمن الرحيم يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن ناداه اولا لانه
سيد القوم وامامهم وفيه اجلال له واشارة الى انهم لا يصدرون الا عن رأيه والمعنى
اذا اردتم الطلاق كقوله اذا قمتم الى الصلوة وله نظائر تنزيلا للمشرف على الشيء منزلة
المباشر والطلاق المأمور به ان يكون في طهر لم يجامع فيه او حامل استبان حملها و
اللام للتوقيت فالذي يقول ان الاقراء بالاطهار فلا اشكال عنده والذي يقول با
لحيض يقدر مستقبلات كقولك جئتك لليلة بقيت في الشهر روى البخاري عن ابن عمر
انه طلق امرأته وهي حائض فسأل عمر رض رسول الله فتغيظ منه وقال مره فليراجعها
فاذا طهرت ثم حاضت ثم طهرت فليطلقها ان شاء فان قلت اذا كان الغرض ايقاع
الطلاق في الطهر فما معنى تكرار الطهر في الحديث قلت ان لا يكون الرجوع للطلاق
ولان طول المدة عسى تؤثر في تبدل الحال والطلاق ابغض المباحات فاحتيط لذلك
وقوله مره فليراجعها دل على وقوع الطلاق في الحيض واطلاقه دل على ان الثلث
دفعة لا بدعة فيها وما روي ان رجلا طلق امرأته ثلثا فقال رسول الله اتلعبون
بكتاب الله لا اصل له ولا ذكر الثلث في كتاب الله في معرض الذم واحصوا العدة و
احفظوها واتقوا الله ربكم في التطويل في العدة والاضرار بالنساء لا تخرجوهن
من بيوتهن مساكنهن الى انقضاء العدة ولا يخرجن ايضا استقلالا وان اذن الازواج
لان ذلك الحق الشارع ليس لاحد اسقاطه الا ان يأتين بفاحشة مبينة هي الزنا او
النشوز بان طلقت وهي ناشزة لان النشوز يسقط الحق حال الوفاق فاولى ان يسقطه
حال الفراق فالاستثناء راجع الى الامرين او البذاء وايذاء الزوج فيرجع الى الاول
وتلك حدود الله الاحكام ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه عرضها لسخط
الله لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا الرغبة في المطلقة والندم على فراقها
واستدل الامام احمد على ان المبتوتة والمتوفى عنها زوجها لا سكنى لها فاذا بلغن اجلهن
شارفن آخر العدة فامسكوهن راجعوهن ان شئتم بمعروف بحسن عشرة لئلا يؤدي
الى فراق آخر او فارقوهن بمعروف بايفاء حق واتقاء ضرار بان يراجعها ثم يطلقها

يطلقها تطويلا للعدة وأشهدوا ذوي عدل منكم عند الفراق والرجعة لانه ابعد
عن الريبة واقطع للنزاع امر ندب وعن الشافعي قول بالوجوب في الرجعة واقيموا
الشهادة لله ادوها من غير ميل ولا غرض ايها الشهود ذلكم المذكور من ايقاع
الطلاق على وجه السنة واحصاء العدة والكف عن الاخراج واقامة الشهادة
وقيل اشارة الى الاخير والاول اوجه لقوله يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
سيما اذا جعل ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب اعتراضا
مؤكدا لتلك الامور وان كان الاوجه ان يكون استطرادا لا على ان التقوى ملاك
الامر به نيط سعادة الدارين وبينا ولامر الزوجين اولنا وعن ابن اسحق ان
عوف بن مالك الاشجعي اسر ابنه فشكى الى رسول الله الفاقة فامره بالصبر وكثرة قول
لا حول ولا قوة الا بالله فلم يفجأ ابويه الا وهو بالباب يناديهما ومعه سرح القوم
قد اساقها فنزلت ومن يتوكل على الله في اموره فهو حسبه كافيه ان الله بالغ امره
الذي يريده ولا يفوته قرأ حفص بالاضافة قد جعل الله لكل شيء قدرا تقديرا
وتوقيتا لا يتقدم ولا يتجاوزه وفي الحديث يستجاب لاحدكم ما لم يعجل ويقول دعوت
فلم يجب لي واللائي يئسن من المحيض من نسائكم روى ابن جرير عن ابي بن كعب انه سأل
رسول الله عن عدد النساء لم تذكر في الكتاب فنزلت والآيسة هي التي انقطع دمها
لكبر السن واختلف القراء في اللائي تقدم في الاحزاب ان ارتبتم جهلتم وشككتم
في عدتهن من الصغر فعدتهن ثلثة اشهر واللائي لم يحضن واولات الاحمال
طلقت او توفي عنها زوجها اجلهن ان يضعن حملهن ذهب علي وابن عباس
رضي الله عنهما الى ان عدة المتوفى زوجها ابعد الاجلين من اربعة اشهر وعشر
ومدة الحمل للتعارض من غير علم بتأخر احدهما وذهب ابن مسعود الى ان هذه الآية
ناسخة لآية البقرة في قدر ما تناولته من الحوامل وقال من شاء باهلته ان سورة
النساء القصرى بعد التي في البقرة والعام المتأخر ناسخ للخاص المتقدم فاولى اذا كان
العموم من وجه ويؤيد قول ابن مسعود ما روى البخاري ومسلم ان سبيعة الاسلمية
كانت تحت سعد بن خولة توفي زوجها وهي حامل فوضعت بعده باربعين يوما
فانكحها رسول الله واما كون العموم هنا بالذات وهناك بالعرض وكون الحكم معللا
مما لا يعتبر ترجيحا ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا يسهل عليه امره ذلك امر الله انزله
اليكم لتعملوا بموجبه ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا يوم الجزاء ولقد
بالغ في امر النساء بالحث على التقوى مرارا وذلك لضعفهن ونقصان عقلهن وما
يبدو منهن مما يوجب النفرة والغضب وفي آخر خطبة خطبها رسول الله استوصوا
بالنساء خيرا خلقن من ضلع اعوج ان ذهبت تقيمه كسرته اسكنوهن من حيث سكنتم
من وجدكم ما تقدرون عليه الوجد الوسع ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن فيخرجن

الى الخروج وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن تعميم الاسكان وتخصيص
الانفاق باولات الاحمال دليل ظاهر للشافعي رحمه الله على ان المبانة لا نفقة لها و
للحنفية ان هذا مفهوم لا يعارض ما روي عثمان وعمر وان رسول الله قال لها السكنى
والنفقة وفائدة التقييد دفع وهم من يذهب الى ان المدة اذا زادت على اربعة اشهر
وعشر لا يستحق الزيادة فان ارضعن لكم بعد انقطاع النكاح فآتوهن اجورهن على
الارضاع مقيد بغير اللباء الذي به البقاء غالبا وأتمروا بينكم بمعروف اتفقوا على ام الولد
بلا مشاقة ولا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وان تعاسرتم تضايقتم
فسترضع له اخرى امرأة وفيه معاتبة للام وحث على المساهلة لينفق ذو سعة
من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله كل من الموسر والمعسر على قدر حاله
لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها من المال سيجعل الله بعد عسر يسرا وعد للفقراء بان
الحال تتبدل كقوله ان مع العسر يسرا وحث على الانفاق بقدر الطاقة وكأين من قرية
عتت عن امر ربها ورسله فحل بهم بأس الله تعالى فخذوا حذركم بعد بيان جمل من الاحكام
اشار الى ان اهل القرى كثيرة عاندوا واشتغلوا عن امتثال اوامره قرأ ابن كثير كاء
على وزن فاع فحاسبناها حسابا شديدا اهلكناهم لقوله صلى الله عليه وسلم
من نوقش في الحساب هلك وعذبناها عذابا نكرا كالخسف والغرق فذاقت وبال
امرها وخامة الامر الذي خالفته وكان عاقبة امرها خسرا لا ربح فيه اعد الله لهم
عذابا شديدا يوم القيمة وقيل الحساب والعذاب يوم القيمة والتعبير بالماضي كقوله
ونادى اصحاب الجنة لان المترقب من وعده ووعيده كالكائن وقوله اعد الله لهم
عذابا شديدا تكرار للوعيد فاتقوا الله بعد هذا البيان يا اولي الالباب العقول الخالصة
الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا الذكر القرآن ورسولا بدل منه بدل الاشتمال
والمراد به جبريل والنزول فبدل كل ويجوز ان يراد محمد صلى الله عليه وسلم او نصبه
بارسل مقدرا دل عليه الانزال وهذا هو المتبادر ويدل عليه قوله يتلو عليكم آيات
الله مبينات لان تلاوة جبريل عليهم السلام تجوز وجعل الخطاب شاملا له والمؤمنين
تكلف ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي ليخرجكم والاتيان بالظاهر للاشارة
الى فائدة الارسال من الظلمات الى النور من الضلالة الى الهدى ومن يؤمن بالله ويعمل
صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قرأ نافع وابن عامر
بالنون وهو ابلغ في الوعد قد احسن الله له رزقا اي رزق فيه تعجيب الله الذي
خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن سبع ارضين ايضا روى البخاري عن سعيد بن زيد
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم من غصب شبرا من الارض طوقه من سبع ارضين وفي
الحديث ما السماوات السبع والارضون السبع عند الكرسي الا كحلقة في فلاة وقلها على
الاقاليم باطل يتنزل الامر بينهن اي قضاء الله بالاماتة والاحياء وسائر احكامه لتعلموا

لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما علة لخلق او ليتنزل او لمعنى
يعمهما فان كل واحد يدل على كمال القدرة تمت سورة الطلاق والحمد للملك الخلاق والصلوة
على الكامل بالاتفاق وآله وصحبه الى يوم التلاق سورة التحريم مدنية اثنتا عشرة
آية بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك اضطربت الرواية في
سبب نزولها وما الذي حرم وتحريم ما احل وما المحرم روى البخاري عن عائشة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على زينب فشرب عندها عسلا فتواطأت انا وحفصة
على ان ايتنا دخل عليها تقول اني اجد منك ريح مغافير وكان يكره الرائحة الكريهة فدخل
على حفصة فقالت له ذلك فقال شربت عسلا عند زينب وقد حلفت لا اعود اليه فلا
تخبري احدا وفي رواية عن عائشة ايضا ان الذي سقته هي حفصة وعائشة وسودة
رضي الله عنهما هما اللتان تواطأتا وروى النسائي عن انس ان رسول الله اصاب مارية
في يوم حفصة وفي بيتها فقالت اي رسول الله في يومي وفي بيتي فقال قد حرمتها فلا تقولي
لاحد فذكرته لعائشة تبتغي مرضات ازواجك حال او تفسير يفيد زيادة تهجين او
كانه قيل ما وجه العتاب وقد تقدم في ذلك الانبياء كقوله الا ما حرم اسرائيل على نفسه
فقيل يجل منك عن طلب مرضات النساء في ترك ما اباحه الله فالمنكر هو الباعث لا التحريم
والله غفور غفر لك ما تقدم وما تأخر رحيم اعطاك ما لم يعط احدا من العالمين
قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم بين لكم بشرعية الكفارة فاذا حلف احدكم على فعل ورأى
غيره خيرا فليأته وليكفر او شرع استثناء اليمين بان يقول في حلفه ان شاء الله واستدل
به الامام احمد على ان من حرم شيئا ثم فعله يلزمه الكفارة وليس فيه دليل لما في رواية
البخاري حلفت والله مولاكم متولي اموركم وهو العليم باحوالكم الحكيم المتقن في احكامه
فبادروا الى ما امرتم به واذ اسر النبي الى بعض ازواجه هي حفصة او سودة حديثا تحريم
العسل او مارية وما قيل من ان الخلافة بعدي لابي بكر وعمر منكر فلما نبأت به واظهره
الله عليه اطلعه على افشائه عرف بعضه واعرض عن بعض عرف مقدار ما فعلت اطلاعه
واعرض عن الاستقصاء على ما هو دأب الكرام وقرأ الكسائي عرف مخففا اي جازاها
على البعض اطلاقا للتسبب على المسبب كقوله وما تفعلوا من خير يعلمه الله فلما نبأها به قالت
من انبأك هذا تعجبا لبناء الامر على الكتمان بينهما قال نبأني العليم بالاشياء الخبير بمواطنها
ان تتوبا الى الله عائشة وحفصة او سودة فقد صغت قلوبكما اي حق لكما التوبة لوجود
موجبه وهو ميل قلوبكما الى مخالفة الرسول والتفت اليهما مكافحا زيادة توبيخ وان
تظاهرا عليه تتعاونا وقرأ الكوفيون بالتخفيف بحذف احدى التائين فان الله
هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين اي فلن يعدم مظاهرا من هذا نعته وهو الله و
رئيس الكروبين الذي يباشر عقاب المخالف وصالح المؤمنين الذين هم اعوانه واتباعه
والملائكة بعد ذلك ظهير عطف على قوله ان الله مولاه وما عطف عليه وفي بعد ذلك

والاه على ان وجوه نصرة الله له وان تنوعت فاولها نصرة الملئكة وفيهم جبريل لان افراده
بالذكر اولا لعلو شانه عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن من ابن
عمر رض ان عمر رض قال اجتمعت نساء النبي في الغيرة فقلت عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا
خيرا منكن فنزلت وقرا نافع وابو عمرو ان يبدله بالتخفيف والتشديد ابلغ مسلمات
منقادات اوامر مؤمنات بانتخالفته عصيان قانتات طائعات تائبات من الذنوب
عابدات متذللات الاخلاق سائحات صائمات لما في الحديث سياحة امتي الصيام و قيل
مهاجرات ثيبات وابكارا ادخل الواو هنا دون سائر الصفات لانهما متنافيان
فلا بد من العاطف يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم بترك المعاصي واهليكم ايضا
بان تامروهم بالطاعات وتنهوهم عن المعاصي وفي الحديث كلكم راع وكلكم مسؤل
عن رعيته نارا وقودها الناس والحجارة حجر الكبريت يتقد بهما كما يتقد غيرها
بالحطب عليها ملئكة الزبانية تسعة عشر غلاظ الاخلاق شداد القوى
لا ياخذهم في تعذيب اعداء الله رأفة لا يعصون الله ما امرهم فيما مضى ويفعلون
ما يؤمرون في المستقبل ويقبلون الاوامر ويأتون بموجباتها يا ايها الذين كفروا
لا تعتذروا اليوم يقال لهم حين يساق بهم الى النار اذ لا عذر لهم او لانه لا ينفع
الاعتذار انما تجزون ما كنتم تعملون جزاؤه يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله
بالاقلاع عن الذنب والندم على الماضي توبة نصوحا النصح لغة خلوص كل شيء
يقال عسل ناصح صاف والنصوح صيغة مبالغة منه اي بالغة في الصفاء عن شوب
الذنوب ويجوز ان يكون من النصح بفتح النون اصلاح الثوب بعد الخرق وفي الحديث
من اغتاب خرق ومن استغفر رفا فهي تنصح صاحبها او ندعو غيره الى التوبة لظهور
اثارها على الاسناد المجازي وفسرها خير الامة بالتحسر بالقلب والاستغفار باللسان
والاقلاع بالجوارح والاستمرار على الترك وقرا ابو بكر بضم النون مصدرا بمعنى
ذات خلوص عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار
اورد في التوبة النصوح بعسى على دأب الملوك واشعارا بانه لا وجوب بل تفضل منه يوم
لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه ظرف ليدخلكم ومعنى المعية الاجتماع في الايمان
لا في الزمان يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم استيناف للتعريض بمن ناواهم
وقيل خبر للذين امنوا وبس بوجه يقولون ربنا اتمم لنا نورنا اذا راوا نور
المنافقين قد انطفى يعتريهم الخوف على ما هو مقتضى البشرية وان كانوا جازمين
بالاتمام والنجاة او هو قول من يكون نوره ضعيفا فان الانوار على قدر الاعمال
فيسئلون اتمامه تفضلا او يقولون ذلك على وجه التقرب والتلذذ كسائر الاذكار
في الجنة يؤيده قوله واغفر لنا انك على كل شيء قدير اذ اعطاء النور انما هو
بعد الغفران يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم بالحجة

بالحجة والسيف لان الرفق قد بلغ مداه ومأويهم جهنم وبئس المصير مصيرهم ضرب
الله مثلا للذين امنوا امرأت نوح وامرأت لوط مثل الله حال الكفار في عدم انتفاعهم
بما لهم مع الانبياء والمؤمنين من العلاقة صهرا ونسبا بحال المرأتين كانتا تحت
عبدين من عبادنا صالحين ممتازين عن سائر العباد بالصلاح والزكى فخانتاهما
في الدين لا في الفجور لانها فراش النبي ولا عار عليه في كفرها فلم يغنيا عنهما من الله
شيئا بسببها من الاغناء وقيل ادخلا النار مع الداخلين الذين لا علاقة بينهم
وبين الانبياء وفيه تهديد للنبي تظاهرا على رسول الله لا سيما التي افشت سره
كامرأة لوط حين دلت على اضيافه واشارة الى ان شرف صحبته انما تفيد زيادة الكرامة
اذا نصحت لله ولرسوله وضرب الله مثلا للذين امنوا امرأت فرعون اعدى عدو
الله هي آسية بنت مزاحم اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ومعنى عندك
مرتفع الدرجة كقوله عند مليك مقتدر ونجني من فرعون وعمله من عذابه
والابتلاء بعمله قيل لما علم بايمانها هددها لترجع فابت وتدها او تاد اوربطها
وارسل عليها الحيات ونجني من القوم الظالمين هم القبط اتباع فرعون ومريم
ابنة عمران التي احصنت فرجها عطف على امرأة فرعون جمع في المثل بين ذات
زوج والتي لا زوج لها تسلية للارامل وحثا لهن على المحافظة وتحصين الفروج
فنفخنا فيه في الفرج هو نفخ جبريل والاسناد اليه للتشريف من روحنا مخلوق
بلا واسطة وصدقت بكلمات ربها باحكامه او الصحف المنزلة عبر بها عنها
لقصرها وكتبه وقرا غير ابي عمرو وحفص كتابه مفردا على ارادة الجنس او الانجيل
والمؤمن به حقا مؤمن بسائر الكتب وكانت من القانتين من جملة العابدين
غلب التذكير اشارة الى ان طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكمل ويجوز ان يكون
من ابتدائية لانها كانت من اعقاب هرون فيكون مدحا لها بشرف النسب بعد مدحها
بكرم الحسب روى مسلم والبخاري رحمهما الله ان رسول الله قال كمل من الرجال كثير
ولم يكمل من النساء الا آسية امرأة فرعون ومريم ابنت عمران وخديجة بنت خويلد
وفضل عائشة على النساء على الاطلاق ولان الرفعة وعلو الشان انما هو بالعلم
ولم يدانها كثير من الرجال فضلا عن النساء تمت سورة التحريم والحمد لمن فضله
عمم والصلوة على النبي الكريم واله وصحبه ذوي الفضل الجسيم سورة الملك
مكية وهي ثلثون اية وتسمى الواقية والمنجية بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي
بيده الملك تعالى وكثر خيره ودام من في قبضته الملك المطلق ذكر اليد معه مثل
لاستغنائه عن الكل وافتقار الكل اليه وهو على كل شيء قدير ما يصح ان يكون
كان او لم يكن مما يطلق عليه اسم الشيء كما الدليل على تلك الاحاطة والاستغناء
والافتقار الذي خلق الموت والحيوة قدرهما او اوجد الحيوة واعدمها وقدم

الموت لانه اقوى شيء دعا الى العمل وفي الحديث كفى بالموت واعظا وفيه اكثروا ذكر
هادم اللذات ليبلوكم ايكم احسن عملا ليعاملكم معاملة من يبلو ويختبر و
ايكم احسن عملا جملة في محل النصب مفعول ثان ليبلو المتضمن معنى العلم و
ليس من باب التعليق لانه مشروط بايقاع الجملة موقع المفعولين وقد تقدم المفعول
الاول الاستفهام فانتفى الشرط روي مرفوعا ان رسول الله قال احسن عملا واتم
عقلا عن الله واورع عن محارمه واسرع في طاعته وهو العزيز الغالب الغفور
للذنوب ترهيب وترغيب للعاصي في التوبة الذي خلق سبع سموات طباقا بعضها فوق
بعض مصدر طابق النعل او وصف بعضها فوق بعض ما ترى في خلق الرحمن
من تفاوت اي في خلقهن صفة مقوية لطباقا وانما اقام الظاهر مقام المضمر
تعظيما ودلالة على ان سبب سلامتها صدورها من الموصوف بنهاية الرحمة و
اشارة الى ان كونها مبدعة على تلك الصفة كما دل على كمال الاقتدار رحمة من
جلائل النعم ما لا يحصى وقرا حمزة والكسائي من تفوت عن سيبويه والجوهري
انهما بمعنى كتعاهد وتعهد فارجع البصر ثانيا لان الاولى ضعيفا هل ترى
من فطور من شقوق جمع فطر كبدر وبدور ثم ارجع البصر كرتين ثم بعد
النظرة الثانية داوم على النظر متفحصا احوالها ملتمسا خللا والتثنية للتكرير
مثل لبيك ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير بعيدا كالمطرود عن وجدان
الخلل كليلا ذا تعب في الطلب ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح هذا ادل على
كمال الاقتدار من كونها ملساء مستوية والمصابيح النجوم المضيئة في السقف
المرفوع كالسرج في سقوف البيت والدنو بالنسبة لمن في الارض وكونها
زينة لها لا يقتضي ان يكون مركوزة فيها وجعلناها رجوما للشياطين بانقضاض
الشهب منها كالنار المقتبسة وعليه يحمل انقضاض الكوكب في الحديث واشعار
لان كونها زينة السماء يقتضي استمرارها وقيل جعلناها رجوما اي ظنونا للشياطين
الانس اي سبب ظنونهم التي يرمون بها الغيب جمع رجم بالفتح مصدر سمي به ما يرجم به
واعتدنا لهم عذاب السعير في الاخرة مستطرد لذكر الشياطين وللذين كفروا بربهم
بعد هذه الدلائل النيرة عذاب جهنم وبئس المصير جهنم او عذابه اذا القوا
فيها سمعوا لها شهيقا صوتا كصوت الحمار امامنها او ممن تقدمهم وهي تفور تغلي
المرجل تكاد تميز من الغيظ تمثيل لشدة اشتعالها وامتلائها بالنار او يخلق الله
فيها ادراكا كما يدل عليه ظواهر النصوص كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم
ياتكم نذير ينذركم عذاب اليوم سؤال توبيخ قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا الندير
وقلنا ما نزل الله من شيء فقط ان انتم الا في ضلال كبير كلام الكفار للنذير
لانه مصدر وصف به للجمع مبالغة في انذارهم كرجل عدل او بتقدير مضاف اي اهل

اي اهل انذار او من كلام الخزنة على طريق حكاية ما كانوا عليه او الضلال الهلاك
او سمي عقابه باسمه وقالوا لو كنا نسمع كلام الرسل سماع تفهم وتدبر او نعقل
نتامل ايات الافاق والانفس ونستدل بها على ان الانسان لم يخلق سدى ما كنا
في اصحاب السعير في جملتهم فاعترفوا بذنبهم حين لا ينفع الاعتراف فسحقا لاصحاب
السعير بعدا لهم اي سحقهم الله سحقا فحذف منه الزائد كانبت نباتا وقرا
الكسائي بضم الحاء على انها لغة ان الذين يخشون ربهم ذكر الكفار كان بالعرض
لان الذي سبق له الكلام بيان حال من هو احسن عملا وكانه قيل ما ذا حال من سبق
له الكلام فاثبت لهم كمال العلم الذي اشير اليه بقوله انما يخشى الله من عباده
العلماء وكمال التقوى بقوله بالغيب بالغائب عنهم او غائبين عنه او بالغائب
المخفي وهو القلب لهم مغفرة لما فرط منهم واجر كبير لا يسعه تصورهم واسروا
قولكم او اجهروا به خطاب عام كما في ليبلوكم اي تقولوه في السر والعلن لا
في علمه حث للخاشي على الاستدامة والترقي الى حق الخشية وللغافل المغتر على الانتباه
ويجوز ان يكون التفاتا الى اصحاب السعير لما روي ان المشركين كانوا يقولون
اسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد فيخبر انه عليم بذات الصدور بضمائرها قبل ان
عن الصادر عنها سرا وجهرا الا يعلم من خلق الا يعلم السر والجهر من خلق
الاشياء كلها وهو اللطيف الرفيق في صنعه دقت حكمته في كل شيء الخبير
ببواطن الاشياء وحذف المفعول من خلق للتعميم ولا يجوز ان يكون من قبيل
يعطي ويمنع لارتباطه بما تقدم من حديث السر فلا بد من ملاحظة المفعول
ولا يجوز ان يكون من مفعولا وفي يعلم ضمير الرب اي الا يعلم الله مخلوقه وهذا ايضا
والاول اوجه لاقامة الظاهر مقام المضمر ولكونه ادل على المحذوف ولعموم المفيد
المتناول له ثبتا ولا اقتضاء هو الذي جعل لكم الارض ذلولا لينة يسهل عليكم
سلوكها فامشوا في مناكبها في جوانبها مثل في فرط التذلل لان منكب البعير
ارق شيء فيه وانباء عن وطئ الراكب بقدمه فاذا ذلل ذلك فقد بلغ التذليل
غايته وقيل مناكبها جبالها فالاستعارة في لفظ المنكب وكلوا من رزقه ما اخرج
منها اقواتا وثمارا واليه النشور فاجتهدوا في الشكر فانه يسالكم عنها ءامنتم
من في السماء ملكوته وسلطانه او نفسه على زعم جهلة العرب وقيل الملك الموكل
للعذاب وليس بمرضي ان يخسف بكم الارض كما خسف بقارون مقابل لقوله
مما فامشوا بدل اشتمال من من فاذا هي تمور تضطرب في ذهاب ومجيء من هيبة الله
وشدة غضبه ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا ريحا فيها الحصباء والحجارة
كقوم لوط مقابل لقوله وكلوا من رزقه ولقوله وفي السماء رزقكم فستعلمون
كيف نذير اذا شاهدتم المنذر به ولقد كذب الذين من قبلهم قبل قريش فكيف

كان نكير انكاري بالانتقام وقد شاهدوا اثاره وتواتر عندهم خبره ما لم يشاهدوه
اولم يروا الى الطير فوقهم صافات باسطات اجنحتهن في الجو فانها اذا بسطت
الاجنحة صفت القوادم ويقبضن لم يقل قابضات لان الطيران كالسباحة الاصل
فيه المد والقبض تارة وتارة والفعل دال على التجدد والحدوث ما يمسكهن
الا الرحمن بليغ الرحمة بان خلقها على وضع وهيأة يمكن بها من الطيران بان جعل
لها القوادم تشق بها الريح والخوافي ينتدها والاذناب يقيمها كما في السفن انه
بكل شيء بصير عليم عيانا لا يخفى عليه شيء مما يدهش العقل وفي ذكره عقيب
الخسف وارسال الحاصب اشارة الى ان من هذا شأنه ذلك اهون شيء عنده وايماء
الى ان دافع العذاب عن هؤلاء مع موجباته وتكامل اسبابه منهم انما هو تلك الرحمة
البالغة التي امسكت الطير في الهواء امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون
الرحمن متعلق بحديث الخسف لان قوله ولقد كذب اعتراض مسند من قصد التحذير
وكذا قوله اولم يروا تصوير لقدرته الباهرة والمعنى ام الذي يقال فيه هذا
الذي هو جند لكم امنكم من عذاب الله على ان ام منقطعة والاستفهام تهكم و
المشار اليه اما فوج مقدر او اصنامهم من مبتداء وهذا خبره والموصول صفة
هذا وينصركم وصف لجند محمول على اللفظ ان الكافرون الا في غرور يستغرقون
في الغفلة امن هذا الذي يرزقكم اي ام الذي يقال فيه هذا الذي يرزقكم ان
امسك رزقه اي الله تعالى بامساك اسبابه من المطر والانبات متعلق بارسال
الحاصب بل لجوا في عتو تماد واقبل العناد ونفور واعراض وهذا ادل على انهم
في الكفر من قوله الا في غرور كان يتوهم الرزق من الاصنام او من فوج مقدر بعد
من تخيل النصر منها افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى يقال كببته فاكب وعدوه
من النوادر لان القياس كون المجرد ساطعا للمزيد وقيل ليس من ذلك بل المعنى
صار ذا كب كاغد البعير ومعنى مشيه مكبا على وجهه يقع تارة ويقوم اخرى
بكونه ماشيا في عز الطريق او بكونه اعمى لا يبصر امن يمشي سويا على صراط مستقيم
هذا مثل ضربه للكافر والمؤمن فان الكافر في ظلمات الشبه والشكوك كمن لا يرى
جهة قصده او يسلك مكانا داعرا فهو بين قيام وسقوط والمؤمن في نور ايمانه
كمن يرى مواطئ قدمه او كمن سلك طريقا جادة سهلة السلوك وان شئت شبهت
الدينين بالمسلكين قل هو الذي انشأكم من تراب وجعل لكم السمع والابصار و
الافئدة الات الادراك واي بعد بعدنا بين التراب وهذه الامور قليلا ما
تشكرون بصرفها الى ما خلقت له فلا سمعتم سماع تفهم ولا انظرتم نظر اعتبار ولا
تدبرتم في دلائل الانفس والآفاق قل هو الذي ذرأكم في الارض بثكم فيها متمكنين
من اي تصرف شئتم واليه تحشرون للجزاء فتستعد واله ويقولون متى هذا الوعد

اي الحشر او العذاب كالخسف وارسال الحاصب ان كنتم صادقين الخطاب له ولمن آمن به
قل انما العلم عند الله لا يعلم ذلك غيره وانما انا نذير مبين فلما رأوه زلفة الضمير
للموعود وعبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه سيئت وجوه الذين كفروا ساءها
رؤية العذاب وغشيها الفترة وقيل هذا الذي كنتم به تدعون تستعجلون من الدعاء
والباء صلة او تدعون ان لا بعث من الدعوى فالباء سببية قل ارأيتم ان اهلكني
الله امانني ومن معي من المؤمنين او رحمنا بتأخير الآجال فمن يجير الكافرين من عذاب
اليم كانوا يتمنون هلاكه كما قال الله تعالى نتربص به ريب المنون اي ان اهلكنا الله
كما تمنون انتم او رحمنا بالنصر عليكم كما نرجوا نحن لا يجيركم من عذاب الله او نحن
هداكم ودعاكم الى النجاة فان اهلك الله هداكم كما تمنون او رحمهم عكس ما
تمنون فمن يجيركم او نحن مؤمنون وحالنا دائرة بين الاهلاك بالذنب والرحمة
بالايمان فما ذا لكم مع كفركم وعلى الوجوه من ايقاع المظهر موضع المضمر قل
هو الرحمن آمنا به فيجيرنا من عذابه ولم نكفر مثلكم وعليه توكلنا لا على العدد
والعدد مثلكم فستعلمون من هو في ضلال مبين منا ومنكم من كلام المنصف وقرأ
الكسائي بياء الغيبة قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم غورا غائرا في الارض فمن يأتيكم بماء
معين جار وسهل المأخذ فان لم تعبدوه للحيوة الباقية فاعبدوه للفانية فالكل
منه واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه تمت سورة الملك والحمد لمن
بيده البقاء والهلاك والصلوة والسلام على خير الانام وآله وصحبه الى يوم القيام
سورة ن مكية وآيها اثنتان وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم ن اسم السورة
او من حروف الهجاء كما تقدم في نظائره وقيل اسم الحوت الذي عليه الارض المسمى با
لبهموت وقيل اسم اللوح الذي كتب فيه القلم ما هو كائن وقيل اسم الدوات وفي
الدوات الكل بعد اذ الوجه اعرابه على ان ذكر للحوت مع القلم كذكر الضب مع النون
فان قلت اذا كان اسم السورة فلا تنكر سكون آخره فليكن كذلك اذا جعل اسم الدوات
او اللوح قلت قد سبق ان الحكاية وهذه الحروف انما يصح اذا كانت اسماء للسور مع
معانيها الاصلية ايقاظا لمن تحدى بها واقرب الوجوه ان يكون اسما للدوات التي
كتب بها العلم الكائنات وسكونه اجراء للوصل مجرى الوقف والقلم هو الذي خلقه
الله اول جنسه اقسم به لشرفه لانه آلة لكتابة وحيه وحكمه وما يسطرون ما يكتبه
من كتب من المعارف او الحفظة من الاعمال ويجوز ان يكون ما مصدرية وان يراد بالقلم
اصحابه وهم كتاب وحيه وحملة شرايعه اقسم بهم وبمسطوراتهم او بسطرهم وكتابتهم
ما انت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم والمعنى ما انت بمجنون منعما عليك بما انعم من
رزانة الرأي وخصافة العقل على ان الجار والمجرور حال من المستكن في مجنون وهو
العامل فيه والباء فيه زائدة فلا يمنع العمل فيما قبله وان لك لاجرا غير ممنون غير مقطوع

كقوله عطاءً غير مجذوذ وخاليا عن المنة والمعنى ان لك عندنا من الزلفى والمكانة
زيادة على اجر صبرك على اذاهم ما لا يستحق الاجراء بمن به عليك وقيل ممنون من
الناس لانه من عطاء ربك وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ وبه استوجبت تلك الرتبة العظمى و
عن قتادة رحمه الله قلت لعايشة اخبريني عن خلق رسول الله فقالت كان خلقه
القران وكذا عن سعيد بن هشام اشارة الى قوله خذ العفو وامر بالمعروف واعرض
عن الجاهلين وروى البخاري عن عبد الله بن عمرو ان نعته في التورية محمد عبدي سميته
المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا يجازي السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر وعن علي
بن ابي طالب رض كان رسول الله اجود الناس صدرا واصدقهم لهجة والينهم عريكة
واكرمهم عشرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه احبه فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بِأَيِّكُمُ
الْمَفْتُونُ اي ايكم الذي فتن بالجنون والباء زايدة او المفتون مصدر كالمعقول او
الباء بمعنى في اي في اي فريق منكم يوجد من يستحق هذا الاسم والخطاب وان كان معه
الا انه امته داخلة تبعا وهذا اوجه الاوجه لاشتماله على التعريض مع سلامته
من استعمال النادر إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ اي المجانين وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ
العقلاء اشارة الى ان الجنون والعقل بهذا الاعتبار لا بما توهموه فهم في هذا الزعم مجانين
ويجوز ان يكون وعيدا ووعدا اي اعلم بجزاء الفريقين فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ كانوا
يدعونه الى العبادة الاصنام وفتنا ليدعوه من غوايلهم او يعبد ما يعبدون وقتا
وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ فيلينون لك الفاء للعطف اي ودوا ادهانك فيدهنوا
بعد ادهانك او للسببية اي ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا
ادهانك فهم الان يدهنون طمعا فيه وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ كثير الحلف في الحق والباطل وفي جعله فاتحة
المثالب وامام القبايح دلالة على انه شر الخصال وذلك لانه يدل على عدم استشعار
عظمته تعالى مَهِينٍ حقير هَمَّازٍ عياب من الهمز وهو الكسر مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ النميم و
النميمة نقل الحديث لايقاع الفتنة وافساد ذات البين مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ شديد البخل
والخير المال واهله من الخير وهو الايمان ذكر الممنوع منه دون الممنوع عكس الوجه
الاول لان عدم ذكر الممنوع منه هناك اوقع مُعْتَدٍ ظالم متجاوز الحد أَثِيمٍ كثير
الاثم عُتُلٍّ جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ بعد ما ذكر من
المثالب دعي لا نسب له وهذا كما اذا عددت مثالب انسان ثم تقول وبعد ذلك لا يحب
ابا بكر وعمر رضي الله عنهما والزنيم شاة لها زنمة وهي ما يقطع من اذنها من غير فصل
فيتدلى قيل هو الوليد بن المغيرة استلحقه ابوه بعد ثماني عشرة من مولده وقيل بغت
امه فولدته من الزنا وقيل هو الاخنس بن شريق كان من ثقيف وعداده في زهرة و
ليس بصواب لانه اسلم معدود في الصحابة أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا
قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ متعلق بقوله ولا تطع اي لا تطعه بعد هذه المثالب لكونه ذا يسار

ذا يسار وحظ من الدنيا او بما دل عليه ما بعد من معنى التكذيب لا بقال لان ما بعد
الشرط لا يعمل فيما قبله اي كذب باياتنا لانه كان مستظهرا بالمال والبنين مغرورا
بها قيل كان له عشرة من البنين وله مال وافر ويقول من انس محمد منعت رفدي
وقرا حمزة وابو بكر بالاستفهام انكار الطاعة له لكونه ذا مال وكذا ابن عامر الا
انه سهل الثانية بزيادة الف بينهما لهشام ولابن ذكوان بين بين سَنَسِمُهُ عَلَى
الْخُرْطُومِ الوجه اشرف الاعضاء واشرفها اجزائه الانف والعرب على ان الشرف يظهر
في الانف يقولون فلان به شمم والقوم شم العرانين وفي وصفه صلى الله عليه وسلم
اشم العرنين فالكي على الانف اهانة واذلال يجوز ان يكون حقيقة او كناية عن الاذلال
والتعبير عنه بالخرطوم زيادة تشويه لانه لا يستعمل الا في الفيل والخنزير ومما قيل
انه خطم يوم بدر فبقي سمة على خرطومه سهو لان الوليد مات قبل بدر وابعد منه
ما نقل عن النضر بن شميل ان الخرطوم هو الخمر ومعناه سنحده على شربها إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ
كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ اي انا اختبرنا اهل مكة بارسال محمد نعمة عليهم فلما كفروا به
سلطنا عليهم القحط كما اختبرنا اصحاب الجنة عن سعيد بن جبير ان هولاء كانوا
من قرية يقال لها ضروان من قرى صنعاء وكان ابوهم ذا بر واحسان على الفقراء
كان يأخذ من غلة بستانه ما يحتاج قوت سنته ويصرف الباقي على الفقراء والمحاويج
فقال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر ونحن ذو عيال إِذْ أَقْسَمُوا
لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ داخلين في الصباح قبل ان يعلم بذلك الفقراء وَلَا يَسْتَثْنُونَ في
ايمانهم لم يقولوا ان شاء الله بل بنوا القول وجزموا به وانما سمي الشرط استثناء لانه
يؤدي مؤداه في الاخراج فَطَافَ عَلَيْهَا عَلَى الجنة طَائِفٌ بلاء من الطوفان مِنْ رَبِّكَ مرسل
من عند الله وَهُمْ نَائِمُونَ لا علم لهم بذلك فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ كالمجذوذ ثمارها من الصرم
وهو القطع او كالليل المظلم محترقا او النهار الابيض المقفر فان الصريم من الاضداد او
كالرمل المنصرم او كالتي اصابها الصرام وهي الداهية فَتَنَادَوْا نادى بعضهم
بعضا مُصْبِحِينَ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ ان مفسرة واستعمال الغدو بعلى لتضمينه
معنى الاقبال او لان الغدو للصرام استيلاء وهو والاستعلاء من واد واحد إِنْ
كُنْتُمْ صَارِمِينَ على الوجه الذي عزمتم عليه فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ يتكالمون الحديث
أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ ان مفسرة والمراد بنهي المسكين عن الدخول المبالغة
في النهي عن تمكينه كقولك لا ارينك هنا وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ الحرد المنع يقال حاردت
السنة اذا منعت المطر والابل اذا بخلت بالدر اي غدوا حاردين على المنع حال كونهم قادرين
على الخير او غدوا على محاردة جنتهم ومنع خيرها بدل كونهم قادرين على اصابة خيرها
وقيل الحرد السرعة يقال قطا حراد اي سراع اي ذهبوا على وجه السرعة للتوبيد زكيهم
المساكين وقيل الحرد القصد اي غدوا قاصدين الصرام قادرين على ذلك من عند انفسهم

حال بعد دنو وقيل لحرد اسم بستانهم فلما راوها على تلك الحالة قالوا انا لضالون طريق
جنتنا قالوه قبل ما تيقنوا الامر فلما قالوا بل نحن محرومون حرمنا خير جنتنا لجناياتنا
على انفسنا قال اوسطهم اى خيرهم رايا الم اقل لكم لولا تسبحون اى يستثنون لتلاقى
الاستثناء والتسبيح فى التعظيم واستعمل مكانه وعن الحسن لولا تصلون فان الصلوة تنهى
عن الفحشاء او لولا تذكرون الله وتتوبون اليه كانه نصحهم على خبث نيتهم فلم تطيعوه
قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين فى العقد لحرمان المساكين قالوه بعد خراب البصرة
وانساع الخرق على الواقع فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون كل منهم يقول للاخر انت الجيب
او لان بعضهم قاله وبعضهم رضى به وبعضهم كف فلم يطيعوه قالوا يا ويلنا انا
كنا طاغين فلذلك اصابنا البلاء عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها كما هو شانه مع التائبين
انا الى ربنا راغبون فى العفو ومحو الجريمة وافاضة الخير والظاهر ان الله تعالى قبل توبتهم
لوقوعها فى اوانها كذلك العذاب اى مثل ما بلوناه اهل مكة واصحاب الجنة العذاب
الواقع فى الدنيا وقد ادمج فى التمثيل باصحاب الجنة ان اهل مكة اولى بالبوار والهلاك
لان القصد لحرمان المساكين اذا افضى بهم الى ما ذكر فكيف بمن عاند الحق وكذب
اشرف الرسل وقطع الرحم التى اوصى الله تعالى بصلتها ولعذاب الاخرة اكبر من عذاب
الدنيا لو كانوا يعلمون لو كانوا من اهل العلم لعلموا ذلك ولاخذوا حذرهم ان
للمتقين عند ربهم فى جوار قدسه جنات النعيم جنات ليس فيها الا النعيم تعريض
بجنات الدنيا فان الغالب فيها التعب والنكد وحسن موقعه بعد ذكر اصحاب الجنة
المذكورة وذكر حالها افنجعل المسلمين كالمجرمين قال مقاتل كانوا يقولون ان لم نكن
فى الاخرة احسن حالا من المسلمين فلا اقل من المساواة قياسا على حظوظ الدنيا ما لكم
ما حصل لكم من الخلل كيف تحكمون هذا الحكم الذى لا يصدر عن ذى مسكة وفى الاستفهام
مبالغة فى التعجيب من سفاهتهم ام لكم كتاب فيه تدرسون بما فيه علم تام ان
لكم فيه لما تخيرون تختارونه وتشتهونه وكان الظاهر فتح ان لانه مدروس وانما
كسر لوجود اللام او هو على الحكاية كقوله وتركنا عليه فى الاخرين سلام على نوح ولا
يقدح فى هذا انكار فيه لكونه على منوال قراءة الكسائى فان فى الكشاف لفوائد وتخير
الشئ واختاره اخذ خيره ام لكم ايمان علينا يقال لفلان على يمين اذا حلفت له
على امر تضمنه له بالغة متناهية فى التغليظ جمع اليمين واكده لفرط اعتمادهم
الى يوم القيمة غاية للثبوت المقدر فى الظرف اى ثابتة الى ذلك اليوم كالاجل للدين
فاذا وفينا بالمقسم عليه خرجنا عن عهدتها او مبالغة على معنى انها مستمرة الى ذلك
اليوم لا تنحل منها يمين ولم يبطل حتى يحصل المقسم عليه ان لكم لما تحكمون جواب القسم
لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم سلهم ايهم بذلك زعيم كافل باثبات
ما ذكر ام لهم شركاء فى هذه العقيدة فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين فى دعواهم

فى دعواهم ومعلوم انه لا يوافقهم عاقل فقد انحسم مادة الشبهة عقلا ونقلا يوم يكشف
عن ساق منصوب بفليأتوا او باذكر او بمقدر اى يكون كيت وكيت والكشف عن الساق
والتشمر عنها جرى مجرى المثل عن شدة الامر واستعمله البلغاء حيث لا يتصور ساق
قال جرير الا رب سامى الطرف من ال مازن اذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا
واصل هذا ان الرجل اذا وقع فى امر عظيم شمر عن ساقه ولا ينافى هذا ما رواه البخارى
عن ابى سعيد انه سمع رسول الله يقول يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مومن و
مومنة ويبقى من كان فى الدنيا يسجد رياء فيذهب يسجد فيعود ظهره طبقا
اذ عند الاشتداد والفزع الاكبر يتجلى للمومنين بصفة الجمال وهذا انما يكون
بعد ذهاب اهل النار ولم يبق الا المومنون وفيهم المنافقون فارادوا النفاق
كما فى الدنيا فافتضحوا وهذا معنى قوله ويدعون الى السجود فلا يستطيعون لا انه
هناك دعى صريحا وتكليفا خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة تغشيهم وقد كانوا يدعون
الى السجود وهم سالمون من العوائق فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث اى كله الى
فانا اكفيكه سنستدرجهم من حيث لا يعلمون انه استدراج بان يفيض عليهم الرزق
والعافية فيحسبونه ايثارا لهم وتفضيلا على المومنين فيتمادون فى الضلال و
الاستدراج استنزال الشخص درجة بعد درجة حتى يتورط فى المهالك واملى لهم
اى اطيل لهم المدة ليزدادوا اثما ان كيدى متين احكام قوى وانما سمى احسانه استدراجا
وكيدا لانه فى صورته ام تسالهم اجرا متصل بقوله ام لهم شركاء وما فى البين اعتراض
ترغيبا للسامعين فى البدار قبل فوت الوقت فهم من مغرم مثقلون فلذلك
يعرضون ام عندهم الغيب اللوح الذى هو خزانة المغيبات فهم يكتبون منه
فهم يستغنون به عنك وعما جئت به فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم الى وقت معلوم
ولا تكن كصاحب الحوت هو يونس بن متى اذ نادى وهو مكظوم فى بطن الحوت ان لا
اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين والمعنى لا تكن مكظوما اى مملوا غيظا
على عدم ايمان قومك مثله فالمنهى عنه مشابهته اياه فى الكظم فلما كان موهما
بنوع المخالطة قال لا تفضلونى على يونس بن متى اذا كان غضبه لله وان لم يكن
من عزم الامور لولا ان تداركه نعمة من ربه رحمة منه او توفيقه اياه للتوبة
لنبذ بالعراء وهو مذموم اى امتنع نبذه بالعراء مذموما لوجود التدارك فالمعتمد
فى جواب لولا هو الحال لا النبذ لوجوده والعراء الفضاء الذى لا ساتر له فاجتبيه
ربه بعد الانابة فجعله من الصالحين من عداد الانبياء وقيل استنباه وهو خطاء
فاحش وكذا القول بنزول الاية حين اراد ان يدعو على المومنين الذين انهزموا
يوم احد لان السورة من اوائل ما نزل بمكة وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك
بابصارهم ليزلقونك وازلقه بمعنى ازاله عن مكانه وصفهم بالمبالغة فى العداوة

كانها سرت من القلب والجوارح الى النظر فصار يعمل عملها واليه اشار من قال يتقارضون
اذا التقوا في مواطن نظرا يزيل مواطئ الاقدام وقيل العين كانت في بني اسد وكان
يتجوع منهم رجل ثلثة ايام فلا يمر به شي يقول لم اركاليوم مثله الا عانه فارادوا ان يفعلوا
برسول الله فوقاه الله بعنايته وعن الحسن ان هذه الاية رقية العين من خاف من
اصابة العين فليقرأها وروى الامام احمد بن حنبل عن ابن عباس رضي الله عنهم لو كان
شي سابق القدر لسبقته العين والاخبار في حقية العين متواترة المعنى ومن شاهد
تاثير المغناطيس في جذب الحديد لم يستبعد تاثير العين وقرأ نافع يزلقونك بفتح
الياء وهي لغة والضم اشهر لما سمعوا الذكر القران الذي هو شرف لهم ويقولون
انه لمجنون ولذلك خالف كلامه اساليب كلام العرب وما هو الا ذكر للعالمين
عظة لكل ذي عقل من الملئكة والثقلين او شرف لمن حفظه وعمل بما فيه كائنا من
كان وهذا ابلغ من قوله وانه لذكر لك ولقومك تمت سورة نون والحمد لمن اجره
غير ممنون والصلوة على خير الخلق الى يوم يبعثون سورة الحاقة مكية واياتها احدى
وخمسون اية بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة من اسماء يوم القيمة اي الساعة الثابتة
التي لا ريب في ثبوتها او التي فيها ثوابت الامور من الحساب والجزاء على الاسناد
المجازي وكذا ان فسرت بما يحق فيها الامور وتعرف على الحقيقة ما الحاقة ما حقيقتها
الجملة خبر الاول والاصل ما هي تعظيم وتهويل لها وفي وضع المظهر مقام المضمر زيادة
ومبالغة واكد ذلك بقوله وما ادريك ما الحاقة اي لم يحط علما بكنهها وكل شي
قدرته في نفسك فهي اقطع من ذلك وما الاستفهامية علق عنها الفعل ولما هولها امرها
بما لا مزيد عليه اردفه بذكر المكذبين بها وما حل بهم وادخر لهم في الاخرة تحذيرا
لاهل مكة كذبت ثمود وعاد بالقارعة من اسمائها لانها تقرع الناس بالافزاع و
الاهوال والجبال بالدك والسماء بالانفطار والارض بالزلزال وهذا تهويل
اخر حيث لم يعبر عنها بالضمير ولا بالمظهر المذكور فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية
بالواقعة المتجاوزة عن الحد في الفظاعة وهي الصاعقة لقوله فاخذتهم صاعقة
العذاب ويجوز ان يكون معها الصيحة والرجفة كالحاصب مع الخسف في قوم لوط
وقيل مصدر كالعاقبة ولا يلائم قوله واما عاد فاهلكوا بريح لان الاية من قبيل
الجمع والتفريق ولحدث لا يناسب العين صرصر شديدة الصوت طامرة في هبوبها
او من الصر وهو البرد كانها التي كرر فيها البرد عاتية على قوم عاد فلم يقدروا على
دفعها وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عتت على خزانها فخرجت بغير حساب سخرها
عليهم سلطها سبع ليال وثمانية ايام استيناف لبيان الكمية بعد الكيف ليتكامل
الهول حسوما حاسمات كل خير جمع حاسم كشهود جمع شاهد والحسم ازالة اثر الشي و
منه الحسم للكي المستاصل للداء او متتابعة هبوب الريح حتى استاصلتهم كان كل هبة كبة

كبة ويجوز ان يكون مصدرا لفعل مقدر اي يحسم حسوما اي يفرق بينهم تفريقا شديدا
لا اجتماع بعده لكمال النحوسة فترى القوم فيها فيها بتها صرعى ملقى على الارض
كالاخشاب اليابسة قيل كانت من صبيحة الاربعاء الى غروب الاربعاء وتسمى ايام
العجوز لان عجوزا توارت في سرب فوجدها الريح في اليوم الثامن وقيل ايام العجز
وهي اخر الشتاء واساميها الصن والصنبر والامر والمؤتمر والمعلل ومطفئ الجمر
كانهم اعجاز نخل خاوية اصول النخل متاكلة الاجواف فهل ترى لهم من باقية بقية
او نفس باقية او بقاء وجاء فرعون ومن قبله قبل فرعون وقرأ ابو عمرو والكسائي
قبله بكسر القاف اي اتباعه والاول ابلغ واشمل اذ ذكر فرعون دل على اتباعه و
المؤتفكات قرى قوم لوط والاسناد مجاز بالخاطئة بالخطاء او بالفعلة
ذات الخطاء او بالافعال الخاطئة مجاز في الحكم فعصوا رسول ربهم كل منهم
رسولهم فاخذهم اخذة رابية شديدة لعظم جرمهم من ربا الشي زاد انا لما
طغى الماء على الخزان يوم الطوفان او جاوز الحد حملناكم في الجارية في السفينة
وذكرها باسم الجارية تصويرا لاظهار القدرة اذ لم يكن لها مجر ولا نوتي بل كان
باسم الله مجريها ومرسيها لنجعلها لكم تذكرة تلك الفعلة موعظة وتعيها
اذن واعية من شانها الوعي يقال وعيته اذا حفظته في نفسك واوعيته
اذا حفظته في وعاء اخر والتنكير للدلالة على قلة الاذن الموصوفة وان واحدة
منها اذا وجدت كانت بمثابة السواد الاعظم وقرأ نافع بسكون الذال وعن
علي رضي الله عنه ان رسول الله قال سالت الله ان يجعل اذنك واعية قال فما
نسيت بعد ذلك شيئا وما كان لي ان انسى فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة
وهي النفخة الاولى نفخة الفزع ويعقبها نفخة الصعق وبعدها نفخة القيام
وابتداء خراب العالم وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة ضربت احديهما
على الاخرى بالقدرة الكاملة فصارتا كثيبا مهيلا كما تضرب احدى البيضتين
على الاخرى فيومئذ وقعت الواقعة قامت القيامة وانشقت السماء فهي يومئذ
واهية مسترخية والملك على ارجائها جنس الملك على اطرافها جمع رجا مقصور
ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فان الجملة اليوم اربعة فاذا كان ذلك
اليوم امدوا باربعة اخرى وقيل ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله وروى
ابو داود في سننه ان رسول الله م قال اذن لي ان احدثكم عن ملك من حملة العرش
ما بين شحمة اذنه الى عاتقه سبعمائة عام واذا نطق القران بامر ممكن ووافقه
الحديث فلا وجه للتاويل والعدول عن الظاهر يومئذ تعرضون العرض انما يكون
بعد النفخة الاخرة والكلام في النفخة الاولى لان اليوم اريد به الزمان المتسع
روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يعرض الناس يوم القيمة ثلث

عرضات عرضتان جدال ومعاذير والثالثة تطير فيها الصحف لا تخفى منكم خافية
سريرة والمراد من العرض اظهار المعدلة واجزاء الجاحدين على رؤس الاشهاد وقرأ
حمزة والكسائي بالياء وحسن لوجود الفصل فاما من اوتى كتابه بيمينه تفصيل للعرض
روى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنه ان رسول الله قال يدنى الله المؤمن يوم
القيمة فيقرره بذنوبه حتى اذا راى انه قد هلك يقول له قد سترتها عليك فى
الدنيا وانا اغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته بيمينه واما الكافر فيقول على
الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين فيقول هاؤم اقرؤا
كتابيه يقوله لكل من رآه فرحا وهاء مجمع هاء بالف بعدها همزة تصرف تصريف
الكاف ومعناه خذ اسم فعل تنازع هاؤم واقرأوا فاعمل الثانى لقربه على ما اختاره
البصريون والا لقيل اقرؤه انى ظننت انى ملاق حسابيه ايقنت وانما عبر
عنه بالظن دلالة على ان هواجس النفس وخطراتها مما لا ينفك عند العلوم النظرية
لا يقدح فى الاعتقاد فهو فى عيشة راضية ذات رضا كلابن وتامر فان النسبة
كما يكون فى الحرف يكون بالصيغة او راض صاحبها على المجاز فى الاسناد فى جنة
عالية فوق السماء السابع سقفها عرش الرحمن او عالية قصورها واشجارها
بدل من عيشة او خبر بعد خبر قطوفها جمع قطف بالكسر من القطاف وهو نقل
الخطى فى سرعة فانها تجتنى من عز تعب دانية يتنا ولها القاعد والمضطجع كلوا
واشربوا على تقدير القول هنيئا اكلا وشربا هنيئا او هنئتم هنيئا بما اسلفتم
من الاعمال فى الايام الخالية الماضية فى الدنيا واما من اوتى كتابه بشماله
فيقول يا ليتنى لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه لما يرى من سوء الحال يا ليتها الموتة
الاولى كانت القاضية القاطعة فلم ابعث بعدها او يا ليتها دامت ولم ابعث من الشدة
ما يعده مرارة الموت حلاوة عندها كانت القاضية ما اغنى عنى ماليه شيئا من الاشياء او
اى شيء اغنى على ان ما استفهامية انكارا هلك عنى سلطانيه ملكى وتسلطى
على الاموال والحشم قرأ حمزة فى الوصل بدون الهاء فى الموضعين وهذا هو الاصل
لا نها هاء السكت ولا سكت فى الوصل ومن اثبتها اجرى الوصل مجرى الوقف اتباعا
للرسم خذوه امر من الله للخزنة فغلوه اجعلوه فى الغل ثم الجحيم وهى النار العظمى
صلوه لا غيرها بقال صليته النار ادخلته اياها ثم فى سلسلة ذرعها سبعون
ذراعا المراد منه الكثرة كقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة فاسلكوه اى لا تسلكوه
الا فى السلسلة الموصوفة ومعنى سلكه فيها ان تلف عليه مع ذلك الطول المفرط
مبالغة فى التضييق عليه وثم فى الموضعين للتفاوت بين ما دخله وما تقدمه انه كان
لا يؤمن بالله تعليل على طريقة الاستيناف العظيم اى ذلك العظيم من العذاب لكفره
بالعظيم ولا يحض على طعام المسكين فيه مبالغتان ذكره قرين الكفر وترك الحض

وترك الحض دون منع الطعام ليعلم من باب الاولى وفيه اشارة الى ان شر الخصال
بعد الكفر البخل وقسوة القلب فليس له اليوم ههنا حميم قريب يحميه وقد قر
كل امرئ من اخيه وابيه ولا طعام الا من غسلين غسالة اهل النار من دم وصديد
فعلين من الغسل لا يأكله الا الخاطئون العامدون للاثم من الخطأ بكسر الخاء وهو
الخطاء بفتحها ضد العمد الذى ذكره الفقهاء فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون
اى بجميع الكائنات التى هى آثار الصنع ولا مزيدة او لا اقسم بهذه الاشياء لظهور الامر
انه ان القرآن لقول رسول كريم مبلغ عن الله وما هو بقول شاعر كما تزعمون
قليلا ما تؤمنون لفرط عنادكم ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون القلة فى
الموضعين بمعنى العدم ولما كان عدم التباس القرآن بالشعر بينا جعل الفاصلة عدم
الايمان عناد البخلاف الكهانة فانها تتوقف على سبر احوال القائل من الصدق والتكلم
فذكر معها التذكر وقرأ ابن كثير وهشام يؤمنون ويذكرون بياء الغيبة مسندا
الى ضمير الخاطئون ولابن ذكوان وجهان تنزيل من رب العالمين رفع لتوهم ان يكون
كلام الرسول حقيقة لاسناد القول اليه والمراد بالرسول محمد لا جبريل عليهما السلام
اذ لم ينسبوا اليه شعرا ولا كهانة ويجوز ان يكون جبريل عم كانه قيل انه لقول
جبريل الرسول الكريم وليس من تلقاء محمد كما تزعمون انه شاعر او كاهن والاول
اوجه ولو تقول علينا بعض الاقاويل اى لو نسب الينا قولا لم نقله والتقول وهو
نسبة القول الى من لم يقله تكلفا وسمى الاقوال المتقولة اقاويل تحقيرا كالاعاجيب
والاضاحيك كانها جمع افعولة لاخذنا منه باليمين اى بيمينه ثم لقطعنا منه
الوتين كما يفعله الملوك بمن يكذب عليهم وصور القتل فى اشنع صورة وهو ان يأخذ
الجلاد بيمين المصبور ليرى السيف فى يمين الجلاد وهو اذا اخذ بيساره والوتين نياط
القلب وفى ذكره اشارة الى محل الجناية كالبد للسارق فان اللسان ترجمان لا
مواخذة عليه فما منكم من احد عنه حاجزين عن القتل او المقتول احد استعمل جمعا و
للخطاب للناس كلهم وانه لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون به وانا لنعلم ان منكم
مكذبين لما نقوله من تزكية الرسول وكون القرآن ليس بشعر ولا كهانة وانه اى
التكذيب والقرآن لحسرة على الكافرين اذا راوا ثواب المؤمنين وانه لحق اليقين
اى انه اليقين حق اليقين وخاصله عين اليقين كقولك عين الشىء ونفسه فسبح باسم
ربك العظيم اى نزه بذكر اسمه العظيم الدال على تقدسه عن امكان التقول عليه و
شكرا لما اولاك واوحى اليك تمت والحمد لمن الآء جلت والصلوة على من بالرسالة.
سورة المعارج مكية وهى اربع واربعون اية بسم الله الرحمن الرحيم سأل سائل بعذاب
واقع السائل هو النضر بن الحارث الذى قال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا

حجارة من السماء وقيل رسول الله لما قال اللهم عليك بقريش ويؤيد الاول قوله انهم يرونه بعيدا وقرأ نافع وابن عامر سال بالالف اما مبدلة من الهمزة تخفيفا او اجوف واوي كخاف يخاف قال ابو زيد سمعت من يقول هما يتساولان فهمزة سائل بدل عن الواو وكهمزة كائن وعلى الوجهين يتعدى الى المفعولين بنفسه وتعديته بالباء لتضمين معنى الاستعجال او من سال يسيل اجوف يائي كباع يبيع والمعنى سال سائل اي جرى واد وسيل بعذاب واقع ويؤيده قراءة ابن عباس رض سال سيل للكافرين صفة عذاب واقع اي كائن او يتعلق بالفعل اي سال للكافرين او بواقع اي نازل لاجلهم وعن قتادة سال سائل على من ينزل عذاب الله فعلى هذا قوله للكافرين جواب لذلك السائل والباء لتضمين سال معنى اهتم ليس له دافع من الله جملة مؤكدة على قول قتادة صفة اخرى لعذاب على الاول وعلى الوجهين من الله اما متعلق بواقع اي من جهته او بدافع اي لا مانع له من جهته ذي المعارج ذي المصاعد جمع معرج او معرج يصعد فيها الاعمال الصالحة او المؤمنون في سلوكهم او دار ثوابهم تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة بيان وتفصيل لتلك المعارج اظهارا لعز شانه وملكوته والروح جبريل وافراده لمزيته وقيل خلق اخر موكلون بالملائكة كالملائكة بنا واليوم يوم القيمة وصف بغاية الطول اما كناية عن شدته او حقيقة على ما قيل ان فيه خمسين موطنا يقف الخلق في كل موطن الف سنة ويؤيد الاول لما رواه الامام احمد بن حنبل عن ابي سعيد انه قيل لرسول الله ما اطول هذا اليوم قال والذي نفسي بيده انه ليخف على المؤمن حتى يكون اخف عليه من صلوة مكتوبة وقيل من اسفل الارض الى عرش الرحمن مسافة خمسين الف سنة لو قطعها الانسان وهذا ان صح لا تعلق له بتفسير الاية لان الغرض هو يوم القيمة وقرأ الكسائي يعرج بياء الغيبة فاصبر صبرا جميلا لا قلق معه ولا شكوى بعد علمك بوقوع العذاب على اعدائك انهم يرونه بعيدا عن امكان الوقوع ونراه قريبا منه لكمال قدرتنا والضمير للعذاب او لليوم فان قلت السائل سواء كان رسول الله او غيره لم يسأل الا عذاب الدنيا كما نزل بسائر الامم والسياق يدل على وقوع العذاب يوم القيمة فكيف طابق السؤال قلت هو من قبيل قوله حسبهم جهنم كانه قيل العذاب المستعجل به ليس بعذاب حقيقة بل العذاب هو المعد لهم وهم ينكرونه ويدعون احالته ثم هول شانه بما فصله يوم تكون السماء كالمهل منصوب بقريبا او بيقع مقدرا لدلالة واقع عليه او بدل عن محل في يوم ان علق بواقع او يوم يكون السماء كالمهل يكون كيت وكيت والمهل دردي الزيت وعن ابن مسعود الفضة المذابة وتكون الجبال كالعهن كالصوف الملون لاختلاف الوان الجبال بيض وحمر وغرابيب سود فاذا طيرت في الهواء اختلطت الوانها ولا يسئل حميم

حميما كيف حاله لكل شان يغنيه ويشغله عن غيره يبصرونهم استيناف جواب لم لا يسئل كانه لا يراه او حال وجمع الضميرين لان المعنى على العموم والاصل يبصرون بهم يقال بصرته بالشيء اذا اوضحته له وكانه ضمن معنى التعريف وحذف الصلة واوصل الفعل يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ حال من احد الضميرين او استينافا يدل على ان الامر اطم من الاشتغال بالسؤال عن حال احد ببنيه الذين هم اعز من الروح وصاحبته التي يختار ذهاب مهجته دونها غيرة واخيه الذي هو شقيقه وفصيلته التي عشيرته الذين فصل عنهم تؤويه تضمه في النسب وعند الشدائد ومن في الارض جميعا كائنا من كان ثم ينجيه عطف على يفتدي استبعادا لما يتمناه هيهات كلا ردع له عن ارتكاب ما لا ينفع فيه انها لظى الضمير للنار دل عليه ذكر العذاب او مبهم فسره الخبر وهو لظى او ضمير القصة ولظى علم النار منقول من اللظى وهو اللهب ويجوز ان يراد بها نفس اللهب مبالغة كان كلها لهب خالص نزاعة للشوى خبر بعد خبر لان او خبر لظى ان كان الضمير للقصة ويجوز ان يكون صفة ان اريد باللظى اللهب لان علم الجنس كالمعرف باللام في اجرائه مجرى النكرة وان لم يجعل علم الجنس فحذف التنوين لاجراء الوصل مجرى الوقف وقرأ حفص نزاعة بالنصب على الاختصاص كانه قيل تتلظى نزاعة للشوى والشوى جمع شواة جلدة الرأس او اطراف الانسان وكل ما ليس بمقتل يقال للرامي اذا لم يصب المقتل اشوى تدعوا من ادبر وتولى مجاز عن جذبها واحضارها من ادبر عن الحق وتولى عن الطاعة او تدعوهم بلسان المقال يا كافر يا منافق وهذا ابلغ وجمع فاوعى بخله وحرصه حفظه في الوعاء ولم يؤد حقوقه منه ان الانسان خلق هلوعا الهلع شدة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وقد فسره بقوله اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا فان جزوعا ومنوعا وصف كاشف لهلوعا الا المصلين استثناء منقطع لما وصف من ادبر وتولى بالهلع قال لكن المصلين في مقابلة اولئك او متصل اي ان الانسان خلق هلوعا واستمر ذلك عليه ولم يفارقه الا المصلين الموصوفين بالصفات الاتية فانهم خلعوا ربقة الهلع عن اعناقهم روى الامام احمد عن ابي هريرة رض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع الذين هم على صلوتهم دائمون لا يتركونها في اوقات الاعذار والضرورات والذين في اموالهم حق معلوم مقدار معلوم هو الزكوة لان وجوبه كان بمكة وتقديره نصبه مفصلا بالمدينة للسائل الذي يسأل والمحروم الذي لا يسأل يظنون بحاله ويفتشون عليه والذين يصدقون بيوم الدين اخره اهتماما بالصلوة والزكوة وقيل يصدقونه بالاعمال بالابدان والاموال ولذلك ذكر يوم الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خائفون ان عذاب ربهم غير مامون اعتراض دل على انه لا ينبغي لاحد ان يأمن وان كان على قدم راسخ في الطاعة

والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين
دل على ان المباح لايذم عليه فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون المتجاوزون
والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون حافظون وقرا ابن كثير امانتهم على التوحيد
لارادة الجنس والذين هم بشهاداتهم قائمون احياء للحقوق وهي من الامانة
افردها دلالة على زيادة فضلها وقرا حفص بالجمع مناسبة للمضاف اليه او لاختلاف
انواعها والذين على صلواتهم يحافظون على شرائطها واركانها وواجباتها وسننها
وادابها وكما شرفا جنسا ابتدا بها في عد المحاسن وختم بها اولئك الموصوفون
بتلك الصفات في جنات مكرمون بانواع الاكرام فمال الذين كفروا قبلك حول
مهطعين مسرعين نادي اعناقهم عن اليمين وعن الشمال عزين فرقا شتى جمع
عزة واصلها عزوة فلبث الواو ياء لانكسار ما قبلها ثم حذفت الياء وعوض عنها التاء
كانوا خمسة ارهط كل واحدة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى ايطمع كل امرئ
منهم ان يدخل جنة نعيم كانوا يقولون استهزاء نحن اولى بالجنة من محمد واتباعه
كلا ردع لهم عن هذا الاعتقاد انا خلقناهم مما يعلمون استدل على امكان البعث
بخلقهم اولا والقدرة على خلق مثلهم ثانيا واشار الى ان استحقاق دخول الجنة انما
هو بالاعمال الزاكية والافاضل نشأتهم من ماء مهين بين المباء يستحي من ذكره
صريحا ولذلك ابهم بقوله يعلمون فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون
على ان نبدل خيرا منهم بان نذهبهم ونأتي بقوم آخرين او نوفق لمحمد طائفة خيرا
من اهل مكة وهم الاوس والخزرج وفي المقسم به دلالة ظاهرة على القدرة على تحقيق
المقسم عليه وما نحن بمسبوقين بمغلوبين على ذلك فذرهم يخوضوا في اباطيلهم
ويلعبوا كالصبيان حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون اضافة اليوم اليهم لمزيد
الاختصاص يوم يخرجون من الاجداث سراعا كانهم الى نصب يوفضون اي مسرعين
اسراعا يشبه الاسراع الذي كانوا يسرعونه الى الحجر الذي كان علما لذبح النسائك
وعن الحسن كانوا يبتدرون عند طلوع الشمس الى اصنامهم لايلوي احدهم على الآخر وقرأ
ابن عامر وحفص نصب بضم النون والصاد جمع نصب كسقف جمع سقف وقرئ
نصب والنافون بفتح النون واسكان الصاد وسراعا وكانهم حالان من فاعل يخرجون
وكذا خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة ويجوز ان يكون احوالا متداخلة ذلك اليوم
الموصوف الذي كانوا يوعدون في الدنيا على السنة الرسل تمت سورة المعارج
والحمد لله الكل هم فارج والصلوة على المختار عدد رمل عالج سورة نوح مكية
ثمان او تسع وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر
بان انذر فحذف الجار واوصل الفعل اوان مفسرة لاشتمال معنى الارسال على القول قومك
من قبل ان يأتيهم عذاب اليم الطوفان او عذاب يوم القيمة والاول اوجه قال يا قوم

اني لكم نذير مبين لا فيزان توطيا المجرة ان اعبدوا الله باني اعبد والله و
اتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ما كان لكم من الذنوب وبعضها وهي التي
تقدمت الايمان فان الاسلام يجب ما قبله ويؤخركم الى اجل مسمى هو آخر الآجال
ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر والتوفيق بينه وبين تاخير الاجل ان القضاء معلق
ومبرم فالتاخير بالنظر الى الاول وعدمه بالنظر الى الثاني اي لو آمنوا عاشوا كذا
وان لم يؤمنوا فكذا وهذا معنى زيادة الصدقة والصلة في العمر وما في علم تعالى
لايبدل لو كنتم تعلمون جعلهم جاهلين بذلك لعدم جريهم على موجب العلم قال
رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا اي دائما فلم يزدهم دعائي الا فرارا عن الايمان و
اسناد الزيادة الى الدعاء اسناد الى السبب واني كلما دعوتهم لتغفر لهم اي
ليؤمنوا فتغفر لهم فذكر المسبب الذي هو حظهم ليكون ادل على قبح اعراضهم جعلوا
اصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا كلامي الحجول في الآذان رؤس الانامل واطلاق الاصابع
مجاز مبالغة واستغشوا ثيابهم تغطوا بها لئلا يروني كراهة منهم لرؤيتي او لئلا
اعرفهم فادعوهم الى الايمان والاتيان بصيغة الطلب للمبالغة كانهم طلبوا من
الثياب ان تغشيهم واصروا على الكفر من اصر الحمار على العانة اذنيه يطردها
للسفاد وكني بهذا التشبيه مزجرة واستكبروا عن اتباع الحق استكبارا مفرطا
ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا هذا دأب الناصح المشفوق ينصح سرا وان
لم ينجع يعلن بنصحه لكي يساعده من له وعى ثم يبالغ بالجمع بين السر والجهر و
نصب جهارا على المصدر من غير فعله او على الحال فقلت استغفروا ربكم انه
كان غفارا تفسير لدعائه وكانهم كانوا يتعللون بما اسلفوا من الذنوب فوعدهم
المغفرة ان آمنوا بما يجبها من الايمان يرسل السماء عليكم مدرارا قيل حبس الله
عنهم المطر اربعين سنة واعقم ارحام نسائهم فوعدهم باعادة المخصب ان تابوا
والسماء المظلة او السحاب وارسالها ارسال المطر منها دلالة على كثرة المطر
كقوله اذا نزل السماء بارض قوم والمدرار اسم فاعل كثير الدر كالمضراب يستوي
فيه المذكر والمؤنث ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم
انهارا جمع لهم في الوعد بين منافع الدارين روى ان رجلا اشتكى الى الحسن الجدب
فامره بالاستغفار والآخر الفقر فامره به والآخر قلة ريع ارضه فقال استغفر
فقال الربيع بن صبيح شكوا اليك ابوابا وسألوك الجواب واحدا فتلا عليه الآية
ولما استسقى عمر في خلافته لم يزد على الاستغفار فقيل له في ذلك فقال لقد استسقيت
بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر ما لكم لا ترجون لله وقارا اي ما حصل لكم من
الصارف حتى لا تكونوا على حال ترجون من الله تعظيما ولله بيان كانه قيل لمن
التعظيم اياكم فقيل لله ولو اخر كان صلة الوقار ولا يتوهم ذلك البيع لتقدم لم

لان معمول المصدر لا يتقدم عليه في الاكثر والحث على الرجاء كناية عن الحث على الايمان لاعتقاد
اسبابه او لا تخافون لله عظمة او حلما لان التوقير معظم في النفوس والحلم لا يخاف منه
وتفسيره بالعاقبة كما نقل عن ابن عباس ماخوذ من الوقار بمعنى الثبات لان العاقبة
حال استقرار الثواب والعقاب ثم نبههم على النظر في انفسهم لانها اقرب منظور بقوله
وقد خلقكم اطوارا على طريقة الحال اى خلقكم ترابا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم لحما ثم
عظاما ثم خلقا آخر ثم على النظر في الآفاق على وجه التعجب من تغافلهم بقوله **الم
تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا** علم ذلك باخبار القرآن المعجز او بالارصاد و
الطباق وهو كون بعضها فوق بعض لا يقتضى المماسة **وجعل القمر فيهن نورا** اى
في السماء الدنيا نسب الى الكل لملابسة بينها **وجعل الشمس سراجا** كالسراج في ازاحة
ظلمة الليل كقوله هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا **والله انبتكم من الارض
نباتا** انشأكم استعار الانبات له لانه ادل على الحدوث والتكون من الارض والاصل
انبتكم فنبتم نباتا كقولك كسرته فانكسر او نصب بانبتكم لان الفعل والانفعال واحد
حقيقة والاختلاف بالنسبة الى القابل والفاعل **ثم يعيدكم فيها** بعد الموت **ويخرجكم
اخراجا** لا محالة ولذلك اكد بالمصدر كالاول اشارة الى اتحاد الرتبة وكونهما
في قرن **والله جعل لكم الارض بساطا** مبسوطة تتقلبون عليها تقلب الرجل على فراشه
لتسلكوا منها سبلا فجاجا طرقا واسعة ومن لتضمن الفعل معنى الاتخاذ **قال نوح
رب انهم عصونى** في الامر بعبادة الله واتقائه بعدما تلوت عليهم آيات الآفاق
والانفس وصرح باسم نوح لطول الفصل ولم يعطفه لانه تفصيل لقوله فلم يزدهم دعائى
الا فرارا **واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا** اى رؤساءهم المتقدمين
بالاموال والاولاد واسناد الخسارة الى ذلك وان كان في الظاهر سببا للتقدم في الحقيقة
ليس سببا الا للبوار وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى ولده جمع ولد كاسد
واسد **ومكروا** عطف على من لم يزد والجمع باعتبار معنى من **مكرا كبارا** غاية في الكبر
بانواع الاذى وتسليط السفهاء عليه ابلغ من الكبار مخففا وهو من الكبير ابلغ **وقالوا
لا تذرن آلهتكم** عبادتها **ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا**
افردها بالذكر كانها كانت اكبر آلهتهم واشرفها اسماء رجال صالحين فلما هلكوا
وسوس الشيطان الى قومهم ان صوروا صورهم حتى تتبركوا بها ويبقى مذكرهم فلما
انقرضوا اوتلك وسوس الى اولادهم ان اباءكم كانوا يعبدونها فعبدوها من دون
الله روى البخارى عن ابن عباس رض ان هذه الاوثان التى كانت في قوم نوح انتقلت
الى العرب اما ود كانت بدومة الجندل لكلب وسواع كانت لهذيل ويغوث لمراد ثم
بنى غطيف بالجرف ويعوق لهمدان ونسر لحمير لآل ذى كلاع **وقد اضلوا كثيرا** الضمير
للرؤساء او للاصنام كقوله رب انهن اضللن كثيرا **ولا تزد الظالمين الا ضلالا** لا

الدوام للعهد وهم اولئك الذين ايس من ايمانهم والرضاء بكفر الغير مع استقباحه قصد الى
زيادة عذابهم لا عذوفيه الايرى الى قول موسى ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم
وقيل اراد في ترويج مكرهم او الضياع والهلاك كقوله ان المجرمين في ضلال وسعر
مما خطيئاتهم اى لاجل خطيئاتهم وما مزيدة للتوكيد **اغرقوا** بالطوفان وقرأ ابو عمرو
خطاياهم وهذا احسن لان جمع الكثرة فالاولى لا يحتاج الى التأويل **فادخلوا نارا** اى
بعقب الغرق دخول النار من غير تراخ والمراد عذاب القبر لانها لا روضة من رياض الجنة
او حفرة من حفر النيران والتنكير للتعظيم او النوع **فلم يجدوا لهم من دون الله** دون
عذابه **انصارا** كما كانوا يزعمون النصر من الآلهة **وقال نوح رب لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا** ديار من الالفاظ المستعملة في النفى العام يقال ما في الدار ديار
اى احد من الدور او من الدار فيعال قلبت واوه ياء وادغمت الاولى ولو كان فعالا
لكان دوارا **انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا** قال
ذلك بعدما اوحى الله تعالى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن وايضا جربهم
الف سنة الا خمسين عاما وكانوا يتواصون بعدم الايمان ويقولون لذريتهم اكبر
وهذا الشيخ ومضى على هذا جيل بعد جيل والفاجر الكفار للمولود باعتبار المال كقوله
من قتل قتيلا **رب اغفر لى ولوالدى** كان ابوه ملك بن متوشلخ وامه شمخا بنت
انوش **ولمن دخل بيتى مؤمنا** او مسجدى او سفينتى **وللمؤمنين والمؤمنات** من
مضى منهم ومن هو آت **ولا تزد الظالمين الا تبارا** هلاكا وبوارا تمت سورة
نوح والحمد لمن يبدى الخيرات والصلوة على سيد المخصوص وآله وصحبه كل
مساء وصبوح **سورة الجن مكية ثمان وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم قل اوحى
الى انه استمع نفر من الجن** النفر ما بين الثلثة الى العشرة والجن احد الثقلين بعث
اليهم رسول الله كما بعث الى الانس فدعاهم الى الله منهم من آمن ومنهم من كفر وهؤلاء
النفر هم الذين سمعوا القرآن من رسول الله وهو يصلى الصبح ببطن نخلة كما تقدم في
آخر الاحقاف ولا دلالة فيه على انه لم ير الجن وليلة الجن رواها ابن مسعود وروى
جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قرأت عليهم سورة الرحمن فكانوا احسن
ردودا منكم والقول بانه ارواح مجردة او نفوس بشرية مفارقة عن ابدانها لا يجوز
تفسير كلام الله بها ولم يذهب اليه احد من اهل الحق مخالف للنصوص **فقالوا** بعدما انقلبوا
الى قومهم **انا سمعنا قرآنا عجبا** في اسلوبه ومعناه وصفه بالمصدر مبالغة **يهدى
الى الرشد** الى الحق **فآمنا به** بما فيه من التوحيد **ولن نشرك بربنا احدا** ولا دلالة
فيه على انهم كانوا مشركين بل كانوا يهودا لقولهم انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى
وانه تعالى جد ربنا عظمته من جد فلان عظم او غناه مستعار من الجد بمعنى البخت
والغرض وصفه بالتعالى عن الصاحبة والولد وقوله **ما اتخذ صاحبة ولا ولدا**

بيان لذلك وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص ان المسبوقة بالواو بفتح الهمزة في اثني عشر موضعا متوالية والباقون بكسرها ووافقهم على الفتح في وانه لما قام عبد الله ابن كثير وابو عمرو واتفق الكل على فتح وان المساجد لله والوجه في الفتح العطف على الهاء في آمنا به من غير اعادة الجار على المذهب الكوفي او على محل الجار والمجرور او الايصال بعد الحذف او اضمار الجار يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا وانه كان يقول سفيهنا ابليس او مردة الجن على الله شططا قولا ذا شطط وصف بالمصدر مبالغة والشطط مجاوزة الحد وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا نصب على المصدر لان الكذب نوع من القول ولا دلالة فيه على انهم الى حين سماع القرآن كانوا مشركين وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن كان الرجل من العرب اذا نزل بارض قال في ارض ناحيه يقول اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فزادوهم رهقا فزاد الانس الجن تكبرا وعتوا باستعاذتهم بهم او بالعكس لزيادة اغوائهم الانس بالاستعاذة والرهق غشيان المحارم واطلاق الرجل على ذكر الجن للمشاكلة وانهم ظنوا كما ظننتم القائل الجن بعضهم لبعض والضمير في انهم للانس والعكس لا معنى له لان السياق في حكاية كلام الجن وقيل الآيتان والتي قبلها من كلام الله جار مجرى الاعتراض يؤكد ما حدث منهم من تماديهم في الكفر وقراءة الفتح يؤيد الاول ان لن يبعث الله احدا ساد مسد مفعولي ظنوا وانا لمسنا السماء اللمس المس مجاز عن الطلب لان الماس طالب متعرف والمعنى طلبنا خبر السماء على ما كنا نفعله قديما فوجدناها ملئت حرسا حراسا اسم جمع كخدم في خادم شديدا اقوياء افرده باعتبار اللفظ وشهبا جمع شهاب وهو الشعلة من النار وانا كنا نقعد منها من السماء مقاعد خالية عن الحرس للسمع للاستماع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا هو كالحرس اسم جمع اي ذوي شهاب راصدين للرجم وهم الملائكة ويجوز ان يكون بمعنى الراصد صفة للشهاب كانت الشياطين تسترق السمع قبل بعثة رسول الله فترجم بالشهب بقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ولما روى ابن عباس بينا جلوسا عند رسول الله اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في هذا في الجاهلية فقلنا كنا نقول يولد عظيم او يموت عظيم وفي لفظ ملئت ومقاعد اشارة الى ان ذلك قبل البعثة كان قليلا واما الآن فلا مجال وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض بحراسة السماء ام اراد بهم ربهم رشدا امرا اذا شد وانا منا الصالحون الابرار المتقون ومنا دون ذلك وهم المقتصدون كنا طرائق قددا ذوي مذاهب متفرقة جمع قدة كقطع وقطعة وعن ابي معوية قال سمعت الاعمش يقول قلت لجني فيكم الاهواء التي فينا قال نعم قلت كيف حال الرافضة قال هم شرنا وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض كائنين

كائنين في الارض اينما كنا ولن نعجزه هربا هاربين منها الى السماء او ان طلبنا في الارض لم نفته وان هربنا منه لم ننج والظن بمعنى اليقين لكونه كلام الموقنين وانا لما سمعنا الهدى القرآن كانوا كاملي المعرفة حيث جعلوا القرآن نفس الهدى آمنا به من غير توقف فمن يؤمن بربه فلا يخاف اي فهو لا يخاف آثره على لا يخاف لافادة التقوي والاختصاص كانه قيل فهو ناج لا محالة ومختص بذلك بخسا ولا رهقا البخس النقص والرهق القرب من الشيء ومنه الصبي المراهق والمعنى ان المؤمن لاجتنابه البخس وظلم الناس لا يخاف جزاءهما وكان اصل الكلام ومن لا يبخس احدا ولا يرهق ظلمه فوضع قوله ومن يؤمن موضعه اشارة الى ان حق المؤمن وشانه ان يكون كذلك او المعنى ان المؤمن لا يخاف نقصان جزائه ولا ان ترهقه ذلة وعن المؤمن كل ما فيه عين البخس لا بخس حق وانا منا المسلمون ومنا القاسطون الجائرون عن طريق الحق فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا واي رشد واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد بكفار الانس وان لو استقاموا على الطريقة عطف على انه استمع من كلام الله الموحى اليه وان مخففة حذف منها ضمير الشان والضمير للانس والجن او لهما والطريقة التوحيد والاسلام لاسقيناهم ماء غدقا لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء لعزة وجوده في ارض العرب ولانه اصل سائر الاوقات والثمار والغدق الكثير لنفتنهم فيه لنبتليهم في ذلك التوسيع ايشكرون ام يكفرون وقيل لو استقاموا على ما كانوا عليه ولم يؤمنوا لوسعنا عليهم الرزق استدراجا ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته لان الغرض منها ذكر المعبود يسلكه عذابا صعدا اي في عذاب كقوله واختار موسى قومه او ضمن معنى يدخله والصعد مصدر صعد وصف به مبالغة في علوه على المعذب كقوله تطلع على الافئدة وقرا غير الكوفيين بالنون مبالغة اي موافقة لاسقيناهم وان المساجد لله من الموحى اليه ليس من كلام الجن فلا تدعوا مع الله احدا خطاب للجن كانه قيل قل للمشركي مكة اوحي الي كذا وان قول الجن كذا وفي ضمن الحكاية اثبات الحكم للمشركين ايضا ويجوز ان يكون الخطاب للمشركين او عاما للانس والجن وعن سيبويه والخليل ولان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا والوجه فيه ان يكون كلاما مستطردا عقيب وعيد المعرض وعن الحسن المساجد الارض كلها لقوله عليه السلام جعلت لي الارض مسجدا وقيل المسجد الحرام لانه قبلة المساجد فالجمع للتعظيم وقيل اعضاء السجود وهي سبعة الرجلان والركبتان واليدان والجبهة والانف وهذا اوجه لان فيه تذكيرا لكونه المنعم بها وان الحكمة في خلقها خدمة المعبود والتعبير بالمساجد لله اشارة الى ما خلقت له وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا اي لما سمع الجن تلاوة رسول الله

بنخلة كادوا يدخل بعضهم في بعض من الازدحام عليه حرصا على السماع منه كالبنية
الصفة الى اخر فقد لبدته او قال الجن لقومهم لما قام عبد الله كاد اصحابه ان يكونوا
عليه لبدا من شدة طواعيتهم وعن الحسن كادت العرب تلبد عليه لما قال لا اله
الا الله وعن قتادة كادت الانس والجن تلبد عليه وعلى اطفاء نوره ثم الوجه على
قراءة الكسر ان يكون استينافا ابتداء قصة لبيان حال الرسول مع المشركين كانه
قال الله قل اوحي الي من حال الجن وايمان بعضهم وكفر آخرين وفي ذلك حث للثقلين
على الايمان ولطف بهم ثم ابتداء بقوله انه لما قام عبد الله يدعوه ويوحده كاد
الفريقان يكونون عليه لبدا عنادا وروما لاطفاء نوره مع ما تلا عليهم
من الايات الباهرة والدلائل النيرة والظاهر لما قمت تدعوه فالعدول الى المظهر
وايثار عبد الله على الرسول والنبي لانه واقع في كلامه فيؤدي على ما يقتضيه
التواضع او اشارتها الى ان العبادة من العبد لا تستبعد فما لهم ينكرون ذلك
فنقل كلامه تعالى اخفاء لنفسه عن البين اذ لا اعتداد بالاثر بعد العين وقرأ
هشام في وجه لبدا بضم اللام جمع لبدة كقربة وقرب والكسر جمع لبدة اخف قل
انما ادعوا ربي ولا اشرك به احدا فما للانكار وجه على من يعبد ربه وقرأ عاصم
وحمزة قال على سنن المقام وعليه رسم الامام وهذا ابلغ في مدحه لقيامه بالحق من غير
تعلم قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا اي نفعا او غيا ولا رشدا اعبر عن احدهما
باسمه وعن الآخر باسم سببه او مسببه اشعارا بالمعنيين قل اني لن يجيرني من الله
احد جملة معترضة لبيان عجزه وتأكيد نفي الاستطاعة فكيف يقدر من هذا شأنه
على نفع احد او ضره ولن اجد من دونه ملتحدا ملاذا وملتجأ من اللحد وهو
الميل الا بلاغا من الله كانه منه استثناء متصل اي قل لا املك شيئا الا بلاغا
وان فسر بلا املك ان اقسركم على الغي والرشد كان منقطعا او من باب ولا عيب
فيهم غير ان سيوفهم ورسالاته عطف على بلاغا بتقدير مضمر اي بلاغ رسالاته
والاصل الابلاغ رسالات الله والعدول الى المنزل بذكر البلاغ مرتين تنبيها على
ان كونه من الله وكونه بلاغ رسالاته مما يقتضي التشمر له ومن يعص الله ورسوله
ولم يطع امرهما بالتوحيد فان له نار جهنم لا محالة خالدين فيها ابدا جمع على
اعتبار الجمع في من حتى اذا رأوا ما يوعدون غاية لقوله يكونون عليه لبدا اي
تشربا لتلبد على العداوة والا فلمقدر اي لا يزالون يستضعفون حاله ويستقلون
عدده حتى اذا رأوا يوم بدر او يوم القيامة تبين لهم من المستضعف دل عليه
جواب اذا وما قبله لان كثيرة من فاتحتها تعريض بمشركي مكة وتعيير لهم لقصور
نظرهم عن الجن وفرط تمردهم حتى بادهوا بالتكذيب بدل لما دهمه الجن با
لتصديق فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا هو او هم قل ان

ادري اقريب ما توعدون جواب قولهم متى يكون هذا الوعد ام يجعل له ربي امدا
اي هو كائن لا محالة ولا علم لي بوقته والامد يطلق على القريب والبعيد واريد
الثاني بقرينة المقام كانه قال لا ادري ايقع في الحال ام عن قريب او ضرب له امد
بعيد عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا اي هو عالم الغيوب كلها ولا يطلع
على غيبه المختص به وهو ما يتعلق بذاته وصفاته وافعاله الا من ارتضى من رسول
ملكي او بشري فانه يطلعه على ما يشاء من ذلك ولا دلالة في هذا على ان غير
المختص لا يطلع عليه غير الرسول ولا يجوز حمله على العموم لاستلزامه ان يكون
رسول مطلعا على جميع المغيبات ولا دلالة في الاية على بطلان الكهانة والتنجيم و
لا ان كرامة الاولياء يكون تلقينا من الملئكة ولا تخصيص الرسول بالملك على ان
قوله فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا اي ملئكة يحفظونه من تخاليط
الشياطين ظاهر في ان المراد بالغيب ما هو بطريق الوحي ليعلم ان قد ابلغوا رسالات
ربهم علة لقوله يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا اي يفعلون عليه تحفظا بابلاغ
الرسل ما اوحي اليهم صانهم عن تخاليط الشياطين او ليعلم الرسول ان قد ابلغ جبريل
والملئكة النازلون واحاط بما لديهم لدى الرسل من الشرايع والاحكام واحصى
كل شيء عددا كل ما دخل في الوجود في اي عالم كان ومن هذا شانه كيف يخفى عليه
خافية وكيف لا يحيط بما لدى الرسل تمت سورة الجان والحمد للمنان والصلوة
على خلاصة الانسان واله وصحبه الى انصرام الزمان سورة المزمل مكية وهي
عشرة ايات بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المزمل اي المتزمل وهو المتلفف بثيابه
ادغمت التاء في الزاء روى ابو بكر البزار عن جابر ان مشركي مكة لما اختلفوا انه شاعر
او ساحر او كاهن او مجنون تزمل في ثيابه في بيته حزينا فاتاه جبريل وقال
يا ايها المزمل امر الله بان ينهض الى القيام في عبادة ربه في اشرف الاوقات وهو
الليل الخالي عن الشواغل وفيه من لطيف العتاب الممزوج بالرأفة لينشط و
يستعد لتلقي ما ياتي من قوله انا سنلقي عليك قولا ثقيلا وما قيل انه كان
متزملا في مرط لعايشة نصفه عليه ونصفه على عايشة رضي الله عنها لا
وجه له اذ السورة من اوائل القران نزولا وعايشة لم تكن موجودة فضلا
عن كونها عنده وكذا القول بانه اول ما اتاه جبريل الى خديجة وقال زملوني
فبينا هو كذلك اذ ناداه جبريل فناداه يا ايها المزمل بل كان هذا بعد فترة
الوحي لما رأى جبريل قاعدا على كرسي بين السماء والارض فرجع الى خديجة فنزل
يا ايها المدثر قم الليل الا قليلا نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء منه
اي قم اقل من النصف على البت او انقص منه او زد عليه انقص النصف او زد على
التخيير ولما كان الاقل هو الاصل كرر كقولك اكرم زيدا اما زيدا واما عمرا

فان قلت اذا كان التخيير بين الاقل من النصف على البت وبين احد الامرين النقصان
على النصف والزيادة عليه فقد خرج النصف عن الاقسام وقراءة الكوفيين وابن
كثير ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل ونصفه بنصب تدل على انه كان
يقوم تارة نصف الليل قلت الضمير فى منه وعليه للنصف واذا اجاز له الزيادة
على النصف فقد اجاز له النصف لا انه اذا اجاز له الاقل جاز له النصف ليلزم
اسناد ذلك ذكر الزيادة او نصفه بدل من قليلا فالتخيير بين امور ثلثة قيام
النصف بتمامه وقيام الناقص منه وقيام الزائد عليه وعلى هذا وصف النصف
بالقلة بالنظر الى الكل وفيه اشارة الى ان النصف المعمور بالعبادة وذكر الله
تعالى يعادل الليل والنصف الخالى عنه نزر قليل وان ساواه كما ويجوز ان يكون الضمير
فى منه وعليه للاقل من النصف كالثلث والتخيير بينه وبين الاقل منه كالربع
والزائد عليه كالنصف وعن الاخفش نصفه عطف على الليل بمعنى قم الليل
الا قليلا او قم نصفه او ثلثه او ثلثيه فالتخيير بين اربعة امور روى مسلم
عن عائشة ان قيام الليل كان فرضا باول هذه السورة فقام رسول الله واصحابه
حولا حتى انتفخت اقدامهم واصفرت وجوههم فنسخه آخر السورة فصار تطوعا و
عن ابن جبير نسخ بعد عشر سنين وقيل نسخ عن الامة فقط ورتل القرآن ترتيلا
اقرأه على تمهل وتؤدة لتتمكن من التأمل والتدبر فى دقائقه وحكمه فيكون قيامك
فى الليل الذى اشرف الاوقات على اكمل الاحوال شبه القراءة المفصلة بالثغر المرتل
وهو المفلج المشبه بالاقحوان انا سنلقى عليك قولا ثقيلا اعتراض دل به على ان قيام
الليل من التكاليف الشاقة التى ورد بها القرآن لان الليل محل الراحة فاحياؤه با
العبادة مضادة للطبع وفيه ايقاظ له على التشمر لتحمله وتوطين النفس على الكلفة
فى تبليغه وتحمله روى البخارى عن عائشة رأيته فى يوم الشديد البرد ينزل عليه
الوحى وان جبينه ليتفصد عرقا وقيل ثقيل فى الميزان او على الكفار او على المتأمل
لافتقاره الى نقاب القريحة فى استنباط معانيه او ثقيل تلاوته على الوجه المنزل
ولذلك خفف عن هذه الامة بالقراءة على سبعة احرف او على الراسخين لاشتماله
على المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وعلى الاوجه الجملة تعليل للامر بقيام الليل
لانه يعد للنفس ما به يعالج ذلك الثقل ان ناشئة الليل قيامه مصدر نشأ قام
بالحبشية وقيل ساعاته لانها تحدث واحدة اثر اخرى وقيل النفس التى تنشأ من
المضجع وترتفع من نشأت السحابة ارتفعت عن ابن عباس اول الليل وعن ابن عمر من العشاء
الى الصبح اى وقت كان وعن على والحسن رضى الله عنهما بين العشائين وعن عائشة ومجاهد
الصلوة بعد النوم وهو الاصوب لمداومة رسول الله على القيام بعد النوم ولقوله
هى اشد وطئا اى موافقة للحواس مع القلب على التوجه لعدم التشاغل وعن الفراء اشق

اشق واكثر علاجا لترك الراحة وعن الاخفش اثبت قياما وقراءة الكوفيين ونافع وابن
كثير وطئا بفتح الواو وسكون الطاء من وطاهم وطأ ثقل عليهم ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر والمداحض واوفق بقوله واقوم قيلا
اى اصح قراءة لهدء الاصوات وعدم الخواطر والالتفات ان لك فى النهار سبحا
طويلا فراغا ومتقلبا فى مهماتك فتوفر بالليل على عبادة ربك مستعار من سبح الفرس
وهو مد اليدين فى الجرى والطول ترشيح واذكر اسم ربك دم على ذكره فى كل الاوقات
واستغرق فى ملاحظة المذكور بتخطى بالزلفى والقرب عنده وتبتل اليه تبتيلا
وانفصل بالكلية عن الدنيا او عن وجودك لتبقى بوجود الباقى ولما كان المطاوع
والمطاوع واحدا فى الخارج ذكر التبتيل موضع التبتل مراعاة للفاصلة وقيل لا
معنى تبتل بتل نفسك رب المشرق والمغرب لا اله الا هو مبتدأ وخبر او خبر مبتدأ
محذوف ولا اله الا هو خبر آخر وقراءة ابن عامر وحمزة والكسائى وشعبة رب بالجر
بدلا من ربك وعن ابن عباس جر باضمار حرف القسم جوابه لا اله الا هو فاتخذه
وكيلا متفرع على التوحيد اى اذا انفرد بالالوهية فاجعل امورك موكولة
اليه او اجعله كفيلا بنصرك واصبر على ما يقولون فيك وفيما انزل اليك و
اهجرهم هجرا جميلا اعرض عنهم ونجانب من غير مقاولة ولا مقاتلة نسخت باية السيف
وذرنى والمكذبين فانا كافيك امرهم كلام من يكون واثقا بالوفاء متمكنا منه
اقصى التمكن ولذلك ابرزه فى صورة المنع عن الاستكفاء اولى النعمة التنعم وبكسر
الانعام وبالضم المسرة يريد المترفين من صناديد قريش المغترين بالحطام المانعين
اتباعهم عن الدخول فى الاسلام ومهلهم قليلا امهالا قليلا او زمانا قليلا
ان لدينا انكالا اجمع نكل القيد الثقيل وجحيما نارا شديدة الحر والاتقاد وطعاما
ذا غصة آخذا بالحلق ينشب لا يسوغ وعذابا اليما نوعا آخر لا يعرف كنهه الا
الله يوم ترجف الارض والجبال يضطرب ويتزلزل منصوب بما فى لدينا من معنى
الفعل وكانت الجبال كثيبا مهيلا رملا مجتمعا من غير مقدار ومهيلا من هيلت الدقيق
اذا ارسلته من غير كيل انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم الخطاب للمكذبين
التفات حسن الموقع كما ارسلنا الى فرعون رسولا اى عصيتموه كما عصى فرعون ولم
يسمه لان الغرض عصيان الرسول كائنا من كان فعصى فرعون الرسول اعاده معرفة
لتقدم ذكره ولا يخفى ان تشبيه عصيانهم بعصيان فرعون ينبئ عن فرط عتو وزاد
لهذا الرسول كونه شاهدا عليهم ليكون عصيانه ابلغ فى الذم واشار به الى انهم لو
استوا به كان شاهدا لهم لا عليهم فاخذناه فى الدنيا اخذا وبيلا ثقيلا ومنه
الوابل للمطر العظيم القطر اصله الوخامة يقال مرعى وبيل فكيف تتقون ان كفرتم
يوما مفعول به اى هب انكم لا تؤاخذون فى الدنيا اخذة فرعون فكيف تتقون انفسكم

هول يوم يجعل الولدان شيبا كناية عن شدته اذ عند تفاقم المصائب يسرع الشيب قال
ابو الطيب والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم او عن طوله وفي
ايثار ان مع القطع بوجود الكفر واستمراره منهم اشارة الى ان وجود الكفر مع هذا
الرسول الذي هو النور المبين ينبغي ان يكون على الفرض والتقدير او المعنى فكيف
تتقون الله في ذلك اليوم بعد فوات الوقت ففيه حث على الاقلاع قبل ان لا ينفع الندم
او فكيف يرجى منكم التقوى وانتم جاحدون ذلك اليوم والمجازات فيه السماء منفطر
منشق والتذكير باعتبار السقف به اي بذلك اليوم لشدته وهوله كان وعده
مفعولا لا محالة الضمير لله او لليوم على اضافة المصدر الى المفعول ان هذه الآيات
تذكرة موعظة لحاويها فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا موصلا اليه ان ربك
يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه لما نزل اول السورة كان الرجل
يحتاط في تقدير الاوقات ولا يدري متى الثلث والنصف والثلثان فشق ذلك
عليهم فنزلت واستعار الادنى وهو الاقرب للاقل لان المسافة بين الشيئين اذا دنت
قلت الاحياز وقرا الكوفيون نصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى وهو المختار
لدلالته على انهم قاموا بافضل ما وقع فيه التخيير وهو الاجدر بمجاولة منصبه
على ذاته افضل الصلوة وقرا هشام باسكان لام ثلثه تخفيفا وطائفة من الذين
معك من اصحابك والله يقدر الليل والنهار لا يعلم تقدير ساعاتهما وضبط مقدارها
غيره علم ان لن تحصوه اي تقدير الاوقات لاختصاص ذلك به تعالى فتاب عليكم برفع
عنكم ما كان تركه معصية فاقروا ما تيسر من القران في صلوة الليل واي وقت
كان امر ندب علم ان سيكون منكم مرضى استيناف لبيان حكمة اخرى اقوى من الاولى
تقتضي الترخيص ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه واخرون يضربون في الارض يبتغون
من فضل الله الضرب في الارض لابتغاء فضل الله المسافرة للتجارة واخرون
يقاتلون في سبيل الله اخبار عما يكون مستقبلا بالاعجاز لان الاية مكية وسوية
بين الضارب في الارض للتجارة والمجاهد في سبيل الله دلت على ان طلب الرزق اذا
قرن بالنية الصالحة له مكان عند الله كيف وقد قدمه على المجاهد ولذلك
روي عن عبد الله بن عمر ما خلق الله موتة اموتها بعد القتل في سبيل الله احب الي
من ان اموت بين شعبتي رحل اضرب في الارض ابتغاء فضل الله فاقروا ما تيسر منه
واقيموا الصلوة المفروضة فرضت ليلة الاسراء بمكة بعد خمس من البعثة على الاصح
واتوا الزكوة قد ران المال كان فرضا بمكة وتقرر المقادير بالمدينة واقرضوا
الله قرضا حسنا انفقوا في سبيله على وجه الاخلاص بتناول المفروض والمسنون
بل سائر اعمال البر بدنية ومالية وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا
واعظم اجرا من تاخيره الى حين الموت والوصية به لقوله الصدقة ان تتصدق وانت

صحيح شحيح ترجو الغنا وتخشى الفقر ولا يدع ان يبلغ الحلقوم ثم تقول لفلان
كذا ولفلان كذا وعن الزجاج خيرا من متاع الدنيا ويرده اعظم اجرا واستغفروا الله
لما فرط منكم لان الاستغفار متعذر او متعسر ان الله غفور للذنوب رحيم يجعل
مكانها الحسنات تمت سورة المزمل والحمد للرحيم المتفضل والصلوة على الكامل
المكمل سورة المدثر مكية ست وخمسون اية بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المدثر مايلي
الجلد من الثياب يسمى شعارا وما فوقه دثارا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الناس
دثار والانصار شعار واول هذه السورة اول ما نزل بعد فترة الوحي لما روي
البخاري عن جابر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي فبينا انا امشي سمعت
صوتا فرفعت بصري قبل السماء فاذا الملك الذي جاء في بحراء قاعد على كرسي بين
السماء والارض فجئثت منه حتى هويت الى الارض فجئت اهلي فقلت زملوني فانزل
الله يا ايها المدثر قم فانذر الى فاهجر ولم يقع ذكر حراء في بعض الروايات لانها
سورة نزلت وفي رواية عن ابن عباس ان قريشا لما قالت في رسول الله شاعر وقال
بعضهم ساحر تدثر في ثيابه حزينا فانزل الله يا ايها المدثر ولا منافاة بينهما لا
مكان وقوع الامرين معا فاقل الاقرا كان نبوة واول هذه كان ارسالا قم فانذر
اي قومك لقوله وانذر عشيرتك الاقربين او افعل الانذار وهذا ابلغ وربك
فكبر صفه بالكبرياء وحده وقيل لما نزل كبر رسول الله وكبرت خديجة وايقنت
انه الوحي اذ الشيطان لا يامر بالتكبير وحمله على تكبير الصلوة بعيد وثيابك
فطهر فقصرها وهذا اول ما امر به من مخالفة قومه فانهم كانوا يجرون الثياب
على الارض خيلاء او طهرها من النجاسة لانه الواجب في الصلوة والاحب في غيرها
او اخلاقك عما يدنسها من الرذائل والرجز فاهجر هو العذاب لقوله لئن كشفت
عنا الرجز اريد به ما يؤدي اليه اي دم على ترك الاوثان وهجران الاثام والفاء
ان اجوبة للشرط كانه قيل ومهما تكن فكذا وقرا حفص بضم الراء وهما لغتان
والكسر اشهر ولا تمنن تستكثر لا تعط شيئا حال كونك تعده كثيرا لاحتقار متاع
الدنيا وان جل وقيل لا تعط مستكثرا اي طامعا ان تعوض اكثر مما بذلت وهو من
خواصه لقوله عليه السلام المستغزر يثاب من هبته او نهي تنزيه ولربك فاصبر
لوجهه وانقياد الامر استعمل الصبر في مشاق التبليغ واذى الكفار فاذا نقر في
الناقور نفخ في الصور سمي ناقورا لما او وري فيه بعد كل كا روح نقر بناء
مبالغة كالجاسوس والفاء للسببية اي اصبر على اذاهم الى زمان تلقي فيه عاقبة
صبرك ويلقون فيه عاقبة ضرهم والعامل في اذا ما دل عليه قوله فذلك يومئذ
يوم عسير على الكافرين ذلك مبتداء ويوم عسير خبره ويومئذ ظرف اي فذلك
الوقوع وقوع يوم فالزمان ليس مظروف الزمان ويجوز ان يكون يومئذ مرفوع

المحل من ذلك غير يسير فائدة التعريض بحال المؤمنين وانها نقيض حال الكفرة
كما في قوله لا بارد ولا كريم وفي ذلك زيادة غيظ لهم او عيرحالا وما لا يجاوز
عسر الدنيا فانه سريع التبدل ذرني ومن خلقت وحيدا اطبقوا على انه وليد بن
المغيرة المخزومي وحيدا حال من الفاعل اي دعني وحدي معه في الانتقام فني كفاية
اذ خلقته وحدي لم يشاركني احد في خلقه والاحسن جعله حالا من المفعول اي
خلقته منفردا عن المال والولد ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة ولقوله
وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا من كل نوع كان صاحب الضرع والزرع
والذرع قيل كان له بستان في الطائف لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء وكان يملك
الف الف وبنين شهودا معه المجالس والمحافل وله بهم ابهة ورونق او شهودا
عنده لعدم تردادهم في اسباب المعاش استغناء بالخدم فهو يتمتع بهم ليلا ونهارا
قيل كانوا عشرة وقيل ثلثة عشر وقيل سبعة ومهدت له تمهيدا من بسط اسباب
الرياسة والجاه العريض ثم يطمع ان ازيد له كان يقول ان كان محمد صادقا فالجنة
لي او يطلب ان ازيد له في الدنيا فوق ما اوتيه كلا ردع له وعلله بقوله انه كان
لاياتنا عنيدا كافرا مكابرا من غير شبهة وذلك موجب لزوال النعمة فكيف يجعل
سببا للزيادة قيل بعد نزول هذه الاية لم يزل في نقصان حتى ذهب له سقر قيل
اسلم من اولاده خالد وعثمان والوليد ولم يصح الاسلام خالدا اما عمارة فقتل يوم
بدر او قتله النجاشي لما ارسله قريش مع عمرو بن العاص بعد بدر لخيانة نسبت
اليه والوليد مختلف فيه سارهقه صعودا اكلفه مشقا عليه طلوعه فجبل
من النار طوله سبعون خريفا اذا وضع يده ذابت واذا رفعها عادت وعن ابن عباس
هو حجر في جهنم وقيل هو مثل لما يلقى في كتبه انه فكر وقدر بدل او بيان لقوله
انه كان لاياتنا عنيدا او تعليل لارهاقه صعودا لابعاده في التفكير وغوصه على ما
يقدح به في كلام رب العزة فقتل كيف قدر تعجيب من فساد تقديره كقوله قاتلهم
الله انى يؤفكون او ثناء عليه تهكما نحو قاتله الله ما اشجعه او حكاية ما قالوه لما
سمعوا كلمته الحمقاء ثم قتل كيف قدر تعجيب ابلغ من الاول لانه صدر عن روية تجاوز
الاول فانه نشأ عن النظرة الاولى وهو حمقاء وفي هذا الترقي غاية تهكم به وبما عنه
بما نفوه به ثم نظر في امر القرآن او في وجوه الناس ثم عبس قطب وجهه
لما لم يجد طعنا شافيا وبسر وكلح من البسور وهو الكلوح من توابع عبس او كره
بسر الرجل طلب الحاجة في غير موضعها جرة ثم ادبر عن الحق واستكبر عن اتباعه فقال
ان هذا الا سحر يؤثر يروى ويتعلم والفاء للدلالة على انه لما خطر بباله بتمالك
ان هذا الا قول البشر من اساطير الاولين لم يدخل العاطف لانه توكيد للاول
او بيان عن ابن عباس رضي الله عنه لما سمع الوليد القرآن قيل سمع حم السجدة يتلوه رسول

رسول الله قال ان له حلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر و
انه ليعلو ولا يعلى فلما سمعوه قالوا لابن اخيه ابي جهل صبا الوليد فجاء وجلس اليه
ولامه عليها بدا منه فقال فماذا اقول والله ما منكم اعلم بالاشعار مني اعلم رجزه
وقصيده واعلم اشعار الجن ولا يشبه شيئا من ذلك فقال لا يرضي قومك حتى تقول
فيه ففكر وقدر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ساصليه سقر بدل من سارهقه
صعودا وما ادريك ما سقر لا تبقى سالما ولا تذر ولا تدعه بعد احراقه واعدامه
او لا تبقي شيئا من الاشياء ولا تذره كهذه النيران بل تهلك كل رطب ويابس وهذا
اوجه والصق بقوله وما ادريك ما سقر المسوق للتهويل لواحة للبشر مسودة
اعالي الجلد كالليل البهيم من لوحته الشمس غيرته وسفعته وعن الحسن لواحة
للبشر شديدة الظهر كقوله لترونها عين اليقين عليها تسعة عشر يلي امرها
تسعة عشر ملكا وقيل صنفا او صفا او نقيبا وما جعلنا اصحاب النار الا ملئكة
لانهم خلاف جنس المعذب من الجن والانس فلا تاخذهم رافة لعدم رقة الجنسية
ولانهم اطوع خلق الله لتنفيذ اوامره واشد غضبا له واقواهم عن عمرو بن دينار
رضي الله عنه ان واحدا منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم اكثر من ربيعة
ومضر وروي مرفوعا ان لاحدهم قوة الثقلين يسوق امة الى النار على عاتقه جبل
فاذا القاهم في النار القى الجبل وراءهم وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا
لما سمع ابو جهل تسعة عشر قال ثكلتكم امهاتكم ايعجز كل عشرة منكم ان يبطش بواحد
منهم فقال ابو الاشد كلدة بن اسيد بن خلف انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني انتم اثنين
وكان بلغ من قوته انه يقف على جلد البقر ويجذبه عشرة فيتمزق الجلد تحت رجليه
ولا يقدرون على اخراجه قال السهيلي دعى رسول الله الى المصارعة وقال ان صرعتني
امنت بك فصرعه مرارا فلم يؤمن والمعنى ما جعلنا عدتهم الا العدد المخصوص الذي
اقتضى فتنتهم واستهزاءهم ليستيقن الذين اوتوا الكتاب لتوافق الكتابين في هذا
العدد على حذف العاطف اي وليستيقن او عبر عن المؤثر وهو تسعة عشر بالاثر وهو
فتنة للذين كفروا اشارة الى ان هذا الاثر من لوازم ذلك المؤثر ويزداد الذين
امنوا ايمانا اذا صدقوا بذلك وازداد او انسليم اهل الكتاب لهذا العدد ولا يرتاب
الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون تصريح بما علم ضمنا توكيدا وليقول الذين في قلوبهم
مرض نفاق اخبار بالغيب عما يكون لان السورة مكية والنفاق انما نجم بالمدينة
او الشك والارتياب وكان اكثر المشركين كذلك والكافرون غير المنافقين او
الشاكين وانما عطف قول المنافقين والكافرين على الاستيقان مع كون المعطوف
عليه غرضا دون المعطوف لان اللام للعلة والعلة لا يلزم ان يكون غرضا كقولك
خرجت من البلد مخافة الشر ماذا اراد الله بهذا مثلا تمييز او حال استعارة والعد

الحزنة لفظ المثل من المثل المضروب لكونه غريبا عندهم بديعا كذلك يضل الله من يشاء و
يهدي من يشاء الكاف في محل النصب اي مثل ذلك الاضلال المذكور والهدى يضل الله
الكافرين ويهدي المومنين وما يعلم جنود ربك الا هو لفرط الكثرة فليس تخصيص الخزنة
بهذا العدد الا لحكمة اقتضته كعدد السموات والارضين وحملة العرش وما هي الا
ذكرى للبشر متصل بوصف سقر وقوله وما جعلنا اصحاب النار اي وما هي اعتراض
يوكد بعضه بعضا زيادة في تهويلها جهنم اي وما سقر او وما صفتها او وما الايات
المذكورة فيها الا تذكرة لهم كلا ردع لتذكرهم اي وان جعلت تذكرة فهم
لا يتذكرون او ردع لمن ينكران يكون احدى الكبر والقمر والليل اذ ادبر تولى قال
الزجاج تقول قريش قبل الشتاء ودبرجاء وذهب ومنه امس الدابر وعن هم اقبل
وادبر وعن يونس دبر ولى وادبر انقضى وقرا نافع وحمزة وحفص اذ بسكون
الذال وادبر بهمز القطع والرسم لا يختلف لوجود صورة الالف في القرانين والمختار
اذ للغة قريش ولقوله والصبح اذا اسفر اضاء انها لاحدى الكبر جواب القسم او تعليل
لكلا والقسم معترض والضمير لسقر والكبر جمع كبرى والفعل ليس من ابنية جمع فعلى
بل فعلة كزمرة وزمر الا ان الالف لحقت بالتاء كما القواصع في جمع قاصعا ،
لالحاق القفها بنا ، قاصعة والمعنى ان من سقر من احدى البلايا التي لا توجد لها نظيرة
كقولك هند احدى النساء في العقاب وعلي احد الرجال في العلم نذيرا للبشر تمييز
من عشية اي احدى الكبر انذارا او حال عما دلت عليه الجملة اي كبرت منذرة لمن شاء
منكم ان يتقدم او يتاخر بدل من للبشر وان يتقدم او يتاخر مفعول شاء او مبتدا
خبره لمن شاء اي التقدم والتاخر ممكنان لمن شاء كقوله فمن شاء فليومن ومن شاء
فليكفر كل نفس بما كسبت رهينة مصدر كالشتيمة والشريطة ولو كان صفة
لجرد عن التاء الا اصحاب اليمين فانهم فكوا رقابهم بالاعمال الصالحة وقيل هم
الملئكة او الاطفال في جنات حال من اصحاب اليمين والتنكير للتعظيم يتساءلون عن المجرمين
يسال بعضهم بعضا او يسالون غيرهم ما سلككم في سقر مع جوابه حكاية لما جرى
بين المسئول عنهم ما سلككم في سقر مع كونه معلوما لقصد التوبيخ وتحكي في الكتاب
لطفا بالسامعين ومن فسر اصحاب اليمين بالاطفال ايده بهذا السوال لان الاطفال لا
يعلمون موجب ذلك قالوا لم نك من المصلين الداخلين في عدادهم ولم نك نطعم المسكين
المحتاج اي لم نعظم امر الله ولم نشفق على خلق الله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون
بالفروع وكنا نخوض مع الخائضين نشرع في الباطل مع كل مبطل ونغوي مع كل غاو
وكنا نكذب بيوم الدين وبعد ذلك كله كنا نكذب بيوم الجزاء كقوله ثم كان من الذين
امنوا حتى اتانا اليقين الموت لقوله واعبد ربك حتى ياتيك اليقين فما تنفعهم
شفاعة الشافعين لو فرض شفاعتهم اذ لا يشفعون الا لمن ارتضى فما لهم عن التذكرة

معرضين حال من المجرور كقولك ما لك قائما والتذكرة القران او هو
وساير المواعظ كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة حمر الوحش شبه في النفار من
ادنى شيء والقسورة الاسد وعن ابن عباس الصايد وابن جبير الرامي فوعلة
من القسو كالحيدرة فيعلة من الحدر وكلاهما ملحق بالفعللة وقرا ابن كثير
وابو عمرو والكوفيون مستنفرة بكسر الفاء يقال نفر واستنفر مثل عجب واستعجب
بل يريد كل امرئ منهم ان يوتى صحفا منشرة تنشر وتقرا وقالوا لن نومن لك
حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه كلا بل لا يخافون الاخرة ولذلك يتفتنون ويعاندون
ولم يريدوا بقولهم حتى تنزل علينا كتابا الا العناد ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس
فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين كلا حقا انه تذكرة
وان اعرضوا او الاول ردع عن اقتراحهم الايات وهذا عن الاعراض فمن شاء ذكره
من الذكر بضم الذال فعل القلب وما يذكرون الا ان يشاء الله مشيتهم لقوله وما
يشاؤن الا ان يشاء الله او ذكرهم وقرا نافع تذكرون بالخطاب على الالتفات
او قل لهم هو اهل التقوى واهل المغفرة حقيق بان يتقى لعقوبته وجدير بالمغفرة
لسعة غفرانه روى الترمذي وابن ماجه والامام احمد عن انس بن مالك ان رسول
الله صلعم لما تلاها قال اي انا اهل ان يتقى فمن اتقاني ولم يجعل معي الها فانا
اهل لان اغفر له تمت بحمد الله والصلوة على افضل خلق الله سورة القيمة مكية
وهي تسعون وثلثون اية بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بيوم القيمة لا صلة تزاد كما
القسم مثلها في لئلا يعلم لتاكيد العلم وقيل هذا انما يكون اذا وقعت في خلال الكلام
كقوله فلا وربك واما اذا وقعت في صدر الكلام كما في هذه السورة وسورة البلد
فهي للنفي والمعنى نفي ان تقسم بيوم القيمة لان الاقسام بالشيء اعظام له ليتوسل
به الى تاكيد المقسم عليه وحاصله ان يوم القيمة في نفسه اعظم من ان يعظم بالقسم
ويجوز ان تكون لا ردا لقولهم انما انت مفتر والمعنى اقسم بالبيوم لا النفس اللوامة و
قرا ابن كثير لاقسم على ان اللام جواب القسم ولا اقسم بالنفس اللوامة هي النفسية
التي تلوم النفس المقصرة يوم القيمة على التقصير او نفس الكاملة التي تلوم نفسها
اذا ترقت الى مقام اعلى فهي ابدا في اللوم او نفس ادم لانها بعد الجناية داومت على
اللوم والحمل على الجنس اسند لا الا بقوله صلى الله عليه وسلم ما من نفس برة وفاجرة
الا تلوم نفسها يوم القيمة لا يلائم الاعظام بالقسم وقيل النفس المطمئنة لانها تلوم
الامارة اي في حال الاطمينان تلوم نفسها على ما فرط منها وجواب القسم محذوف
اي لتبعثن دل عليه ايحسب الانسان الن نجمع عظامه بعد تفرقها قيل نزلت في عدي
بن ربيعة ختن الاخنس بن شريق سال رسول الله عن امر القيمة فاخبره فقال
والله لو عاينت ذلك لم اومن بك بلى قادرين على ان نسوي بنانه مع صغر العظام فكيف

بكنانها واذا قدرنا على الالطف الابعد عن العادة فعلى الغير اقدر ومآ له الى عدم التفاوت
بين الاعادة والبدء وقيل معنى تسوية بنانه جعلها كخف البعير لا لة على كمال القدرة
والظاهر ان تخصيص البنان بالذكر لانه اعجب شئ في الانسان واخص به من بين
الحيوانات ثم في تصدير الكلام بالقسم بيوم البعث والمبعوث فيه على تحقق البعث على
اسلوب وثنايا انها اعريض ثم ابنا ر الحسبان وهمزة الانكار مسندا الى الجنس والاتيان
بحرف الايجاب وايقاع قادرين حالا ابعد من المبالغات في تحقيق المطلوب وتجهيل
المعرض عن الاستعداد ما يبهر عجايبه وزاده رونقا وحسنا بقوله بل يريد الانسان
ليفجر امامه عطفا على ايحسب ترق في الانكار لا لانه على ان ذلك الحسبان بمجرد
ارادة الفجور واضرب عن الانكار عن حاله بما هو ادخل في اللوم كانه قيل دع الانكار
عليه الى ان يرتدع بالانكار وهو يريد الدوام على الفجور وعلى الوجهين فيه ايماء الى
انه عالم بوقوع البعث الا انه يتغابى يسئل ايان يوم القيامة سئوال تعنت لما تقدم
من انكاره فاذا برق البصر تحير فزعا كانه نظر البرق فدهش بصره وقرأ نافع برق
بفتح الراء اي لمع من البريق وعن الفراء هما لغتان والكسر افصح وخسف القمر بذهاب
ضوءه وجمع الشمس والقمر في الطلوع من المغرب او في النار يعذب بهما من عبدهما
وتذكير الفعل لانه احد الجائزين ولموافقة خسف ومقارنة القمر حسن يقول الانسان
يومئذ اين المفر اين الفرار وبكسر الفاء اسم مكان كلا زجر عن طلب المفر لا وزر لا ملجأ
واصله الجبل لانه يلجأ اليه في الغارات الى ربك خاصة يومئذ المستقر لا ملجأ
غيره او الحكم ترجع امور العباد او الى مشيئته استقرار فريق في الجنة وفريق في السعير
ينبؤا الانسان بما قدم واخر بما قدم من ماله فتصدق وبما خلفه او بما قدم من
الاعمال وما اخر لم يعمل او بما اخر من سنة حسنة او سيئة او باول عمله وآخره بل
الانسان على نفسه بصيرة حجة واضحة فلا يحتاج معها الى ان ينبأ لانه الذي ينبأ
بما قدم واخر حين ينطق جوارحه ولو القى معاذيره اي ولو اتى بكل معذرة لا تقبل
لان الشاهد من نفسه لا يقبل الجرح وعن مجاهد المعاذير الستور والمعنى ولو القى الستور
عليه حين عصيانه لا تغني عنه شيئا لان عليه من نفسه بصيرة لاحظ قوله وما كنتم
تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم والمعاذير اسم جمع كالمناكير
لان قياس جمع المعذرة بدون التاء وجمع معذار على تفسير مجاهد لا تحرك به لسانك
اي بالقرآن عند اخذه من جبريل لتعجل به بحفظه مخافة ان يشذ عنك شئ ان
علينا جمعه في صدرك وقرآنه وقرآنه على لسانك فاذا قرأناه قرأه جبريل
والاسناد اليه لانه سفيره فاتبع قرآنه قرآنه اي اقرأه بعد ذلك ثم ان علينا
بيانه بيان ما اشكل عليك من معانيه وعن ابن عباس فاتبع قرآنه فاستمع لقرآنه
ثم ان علينا بيانه قرآنه على لسانك كان يستعجل الاخذ من جبريل مخافة ان يفوته

ان يفوته شئ فنهى عنه كلا ردع له عما كان عليه واستطراده بين نجيي العاجلة المدلول
عليه بقوله بل يريد الانسان ليفجر امامه وقوله بل تحبون العاجلة للدلالة على ان
العجلة اذا كانت مذمومة فيما هو رحمة وشفاء فكيف بما هو محنة وشقاء وفي
تحبون العاجلة تغليب للمخاطب كانه قيل وانتم يا بني آدم عادتكم العجلة في كل شئ
لجبلتكم على ذلك خلق الانسان من عجل فان قلت العجلة جبلة في الانسان فما معنى
الردع في كلا قلت وان كانت من مقتضى الطبع الا انها قابلة العلاج كساير الملكات
الردية ومن كان في اعلى منصب الرسالة لا ينبغي له الا استيصال شافية تلك الملكات
وقرأ ابو عمرو وابن كثير وابن عامر يحبون ويذرون الآخرة بالياء وهو ابلغ
لان فيه التفاتا واخراجا له عن صريح الخطاب بحب العاجلة مع الرمز اللطيف الانيق
بشأنه صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة بهية عليها اثر السرور الى ربها
ناظرة قصدا لا الى غيره كالطالب رؤية الهلال وان النظر الى غيره تعالى كلا نظر كما
تقدم في ذلك الكتاب والتقديم للاهتمام ورعاية الفاصلة والحمل على الانتظار
موت احمر كناية عن الرجاء لا يلائم روى الترمذي والامام ابن حنبل ان رسول الله صلى
قال اكرم الخلق على الله تعالى من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ الآية ووجوه
يومئذ باسرة عابسة شديدة الكلوح تظن ان يفعل بها فاقرة الداهية الشديدة
كانها تكسر فقار الظهر وايثار الظن لانها آنا فآنا تتوقع وتترقب اشد مما هي فيه
كلا ردع عن حب العاجلة وايثار الدنيا على الآخرة بذكر ما هو اعظم شئ للانسان
وهو الموت واهواله اذا بلغت التراقي الضمير للنفس وان لم تتقدم لان قرينتها
اظهر من نار على علم الا يرى ان حاتما من بلغاء العرب وهو الذي لا يشق غباره في ذري
الارواح بحكمه كما حاز قصب السبق في مضمار قرى الاشباح بنعم سلك هذه الطريقة ماوي
ما يغني الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر يخاطب ماوية بنت عفر
وكانت ملكة تحت حاتم والتراقي العظام المتداخلة عن يمين النحر وشماله وقيل من راق
القايل الاحباب والحاضرون بعضهم لبعض من يرقيه منكم لعل ان يكون ببركة الرقية
نجاة وهذا انما يقال عند اليأس وعجز الاطباء وقرأ حفص بسكتة لطيفة على من
للدلالة على ان الادغام فيه غير لازم وخلوصا من ثقل التقارب وظن انه الفراق
اي ظن المحتضر ان الفراق الحقيقي والتفت الساق بالساق من شدة الالم وسقوط القوى
مع خوف المآل بعض المشايخ جزع جزعا شديدا عند الموت فقال بعض اصحابه على ما هذا
الجزع قال بابا دققته سبعين سنة الآن يفتح ولا ادري ما وراءه الى ربك يومئذ
المساق لا الى غيره وهو عليم بذات الصدور وقد علمتم ان حب الدنيا رأس كل خطيئة
فكيف تؤثرون الحيوة الدنيا على الآخرة فلا صدق ولا صلى اي الانسان الحاسب ان لن نجمع
عظامه لا صدق بقلبه ولا اتى بالاعمال المصدقة لعقد القلب وعبر عنها بالصلوة

لانها رئيسة العبادات او لا يصدق بما له يقال صدق اذا اعطى الصدقة ولكن كذب وتولى
عن الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر ذاهبا الى اهله مفتخرا بما فعل من التكذيب و
التولي من غاية جهله يعتقد ان اشنع المثالب ارفع المناقب اولى لك فاولى اى اولا لك
ما تكرهه فاولا لك مرة بعد اخرى واللام مثل اللام في ردف لكم وقيل افعل من
الويل بعد القلب ثم اولى لك فاولى ابلغ فابلغ ايحسب الانسان ان يترك سدى مهملا
لا يجزى ولا يحاسب اى لا يكون ما حسب لان فيه بطلان الحكمة الم يك نطفة من مني يمنى
قرا حفص بالتذكير والضمير للمني ثم كان علقة فخلق فسوى فقدره وعدله فجعل
منه الزوجين الصنفين الذكر والانثى اليس ذلك الصانع بقادر على ان يحيي الموتى روى
ابو داود عن موسى بن ابي عايشة ان رسول الله قال اذا قراها قال سبحانك بلى عز و
الحمد لله على انعامه والصلوة على محمد واله وصحبه سورة الانسان مكية وهي احدى
وثلثون اية بسم الله الرحمن الرحيم هل اتى على الانسان هل بمعنى قد مع الاستفهام اى
اقد كقوله اهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم والمعنى على التقرير والتقريب حين من الدهر
طائفة من الزمن الممتد غير المحدود لم يكن شيئا مذكورا شيئا يعتد به ويذكر بل
منقلبا في الاطوار نطفة وعلقة ومضغة والمراد به بنو آدم لقوله تعالى انا خلقنا
الانسان من نطفة فالمعرفة عين الاولى وفي ايثار المظهر فضل تقرير وقيل الاول
آدم والثاني بنوه امشاج جمع مشيج كايتام في يتيم لان ماء الرجل والمراة كل منهما مختلف
الاجزاء رقة وقواما وخواص وما يصلح مادة جزء منه لا يصلح لاخر وعن ابن مسعود
عروق النطفة وعن قتادة امشاج الوان واطوار وقيل لفظه جمع ومعناه مفرد
كبرمة اعشار وبرد اكياش نبتليه حال مقدرة اى مقدرين ومريدين ابتلاءه او
ناقلين له من حال الى حال فالابتلاء مستعار لان في كل طور يظهر ظهورا آخر كظهور
الممتحن وقيل على التقديم والتاخير اى فجعلناه سميعا بصيرا نبتليه وفيه تكلف
لوجود الفاء وتخصيص السمع والبصر لانهما اعظم الحواس وبهما يتلقى الاوامر ويشاهد
المعجزات انا هديناه السبيل بانزال الايات ونصب الادلة اما شاكرا واما كفورا
حال من الهاء اى هديناه في حالتيه لئلا يكون للكفور حجة ومقابلة الشاكر بالكفور
اشارة الى غلبة الكفران على الانسان انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا
ذكر الوعد والوعيد بعد ذكر الشاكر والكفور وقدم الوعيد مع تاخر الكفور لان
الانذار اهم وليكون فتح الكلام وختمه مع المؤمنين قرا نافع والكسائي وابو بكر
وهشام سلاسلا منونا ليناسب اغلالا وحمزة وقيل باسكان اللام في الوقف وكذا
حفص وابن ذكوان والبزي في وجه لمنعها من الصرف ان الابرار جمع بر كارباب
جمع رب يشربون من كاس هو الزجاج ما دام فيه الخمر ويطلق على الخمر وهو المراد لقوله
كان مزاجها كافورا اى ماء كافور وهو عين في الجنة وقيل يخلق فيه رائحة الكافور

الكافور وبرده وقيل يمزج خمرهم بالكافور عينا بدل من كافورا على الاول وعلى الاخير
من محل من كاس على تقدير مضاف كانه قيل يشربون خمرا خمر عين او نصب على الاختصاص
يشرب بها عباد الله المقربون اى يمزجون الخمر بمائها كقوله ومزاجه من تسنيم هذا
ان جعل كافورا اسم عين والا فالباء مزيدة يفجرونها تفجيرا يجرونها حيث شاؤوا من منازلهم
تفجيرا سهلا بلا تعب يوفون بالنذر استيناف لما عسى ان يسال لماذا كان ذلك
الاكرام ونبه بذكر النذر على انهم في واجبات الله اسعى واوفى ويخافون يوما كان
شره مستطيرا منتشرا اقصى ما يمكن من الانتشار من استطار الفجر ويطعمون الطعام
على حبه اى حب الطعام والاحتياج لقوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون و
قيل على حب الله وفي قوله لوجه الله غنية عن هذا مسكينا ويتيما واسيرا مدح
لهم على اختيار موضع الصدقة فانها كالبذر لا تنبت الا في ارض طيبة ويدخل في
الاسير المسلم والكافر والغريم والمملوك وفي الحديث غريمك اسيرك فاحسن الى
اسيرك وكان يؤتى بالاسير الى رسول الله فيدفعه الى بعض المسلمين ويقول
احسن اليه انما نطعمكم لوجه الله يقولون بلسان الحال او بلسان المقال منعا لمن
احسنوا اليه عن المكافات والثناء لا نريد منكم جزاء ولا شكورا توكيد للاولى
انا نخاف من ربنا يوما عذاب يوم اى انما اردنا بالاطعام وجه الله لانا نخاف
جزاء ذلك اليوم ومن خاف ذلك لازم الاخلاص او لم نرد منكم على الصدقة مكافات
خوفا من عقاب الله على طلب المكافات عبوسا قمطريرا شديد العبوس من القمطرة والميم
مزيدة يقال جمع فلان قطريه اذا اشتد تغيره مغضبا اما مجاز حكمي وصف بوصف
اهله لما في الحديث ان الكافر يعبس حتى يسيل من بين عينيه مثل القطران او استعارة با
الكناية شبه بالاسد العبوس في ضراوته فوقيهم الله شر ذلك اليوم لما قدموا له
من البر ولقيهم نضرة بهجة في وجوههم وسرورا في قلبهم وجزاهم بما صبروا
جنة وحريرا ليأكلوا الهنيء ويلبسوا البهي وما نقلوه عن علي لا يصح لان السورة
مكية متكئين فيها على الارائك على هيئة المترفين نصب على الحال لا يرون فيها شمسا
ولا زمهريرا اى لا حر ولا برد لاعتدال الهواء وعن ثعلب الزمهرير القمر بلغة طي
وانشد وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر والمعنى لا احتياج
الى الشمس والقمر لضياء الهواء ودانية عليهم ظلالها عطف على الجملة الحالية لانها
في تأويل المفرد والواو للدلالة على اجتماع الامرين لهم كانه قيل جامعين في الجنة
بين البعد عن الحر ودنو الظلال عليهم ويجوز ان يجعل متكئين وما بعده صفات
لجنة على مذهب من لا يوجب ابراز الضمير في صفة جرت على غير من هي له لكون متكئين
كذلك او عطف على جنة على انهم وعدوا بجنتين كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان
وذللت قطوفها تذليلا اى لا تمتنع على القطاف بل يقطفونه كما شاؤوا او عطف على دانية

وايثار الفعلية لقصد التجدد لأن القطوف بحسب الحاجة او صفة مثلها او حال من ضميرها
ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب اباريق بلا عرى كانت قواريرا قواريرا
من فضة القارورة ما يكون من الزجاج استعيرت لما كان من فضة بجامع الصفاء
والشفيف فجاءت حسنة بديعة وقرأ ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص قواريرا
الاول غير منون و وقف عليه حمزة بدون الف وهم مع ابن كثير الثاني ايضا ووقفوا
بلا الف سوى هشام قدروها تقديرا صفة قوارير اي جاءت على مقدار ما صوروها
في انفسهم او قدروها باعمالهم الصالحة او الضمير للطائفين والمعنى قدروا الشراب
الذي فيها على قدر الري وهو الذ للشارب ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا
لان العرب يستلذ طعمه قال الاعشى كان القرنفل والزنجبيل باتا بها واريا مشورا
وعن قتادة يمزج لهم تارة بالكافور البارد واخرى بالزنجبيل الحار ليعتدل الامر
عينا فيها تسمى سلسبيلا بدل من زنجبيلا وقيل تجلوا الله تعالى طعم فيها وقيل يمزج
بالزنجبيل وعلى الوجهين عينا بدل من كأسا والسلسبيل كالسلسل والسلسال
سهل الانحدار اي وان كان فيها طعم الزنجبيل فليس فيه لذعة ولارادة المبالغة
جي به خماسيا وقيل اصله سل سبيلا سمي به لانه لا يشرب منها الا من سأل السبيل
اليها بالعمل الصالح وفيه تكلف وفوات المبالغة بالوصف ويطوف عليهم و
لدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا في الحسن وصفاء اللون والتفرق
في المجالس وانعكاس شعاع بعضهم بعض وكانهم لؤلؤ نثر من صدفه طريا من تشبيه
المفرد واذا رأيت ثم لم يقدر له مفعول والمعنى اذا كنت ذا بصر هناك رأيت نعيما
وملكا كبيرا واسعا حيث وقع بصرك عن ابن عمران رسول الله قال ان ادنى اهل الجنة
لمن ينظر في ملكه الى الف سنة ينظر الى اقصاه كما ينظر الى ادناه وروى البخاري عن ابي
سعيد الخدري ان رسول الله قال ان آخر اهل الجنة دخولا له مثل الدنيا مرات عشر
عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق عاليهم نصب على الحال اما من المجرور في عليهم
او المنصوب في حسبتهم او لقيهم او جزاهم وقرأ نافع وحمزة بسكون الياء على انه
مبتدأ مفرد في معنى الجمع كدأب القوم وسامرا يهجرون وثياب سندس خبره خضر
بالجر صفة سندس وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر وحفص بالرفع صفة ثياب و
استبرق بالجر عطف على سندس ورفعه نافع وابن كثير وعاصم عطفا على ثياب والسندس
ما رق من الحرير والاستبرق ما غلظ معرب استبرك عن ابن عباس رض كما ترى الرجل
يكون عليه الثياب يعلوها الافضل ويجوز ان يكون الاستبرق بطانة لقوله بطائنها
من استبرق وحلوا اساور من فضة ولا ينافيه قوله اساور من ذهب لامكان
الجمع والمعاقبة وقيل الفضة للابرار والذهب للمقربين وسقاهم ربهم شرابا
طهورا طهر باطنهم عن الغل والحسد كما زين ظاهرهم بالثياب والحلي وقيل هذا نوع

نوع آخر فوق الاول ولذلك اسنده الى ذاته ووصفه بالطهور فانه يذهب عن خاطرهم
سوى الاستغراق بمطالعة جماله وهذا نهاية درجاتهم ولذلك ختم به حديث ثواب
ان هذا كان لكم جزاء على اعمالكم والمشار اليه الثواب المذكور وكان سعيكم
مشكورا مجازى عليه غير مضيع وفائدة هذا القول ابراز الفضل في صورة الاجر المستحق
اخراجا له عن صورة الممنون به انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا كرر الضمير
واكده بان مع ايثار التنزيل الدال على التفريق الذي هو مقتضى الحكمة ليدل على ان قوله
فاصبر لحكم ربك صادر عن حكمة بالغة وان تأخير نصرك لما فيه من الحكم الخفية و
لا تطع منهم آثما او كفورا اي كل واحد منهما ولذلك الاثم او لئلا يتوهم الجمع وهم
وان كانوا كلهم كفرة الا ان منهم من كان يدعو الى الاثم ومنهم من يدعو الى الكفر
وقيل الاثم عتبة والكفور الوليد لان ذلك كان غالبا في الفسوق وهذا في الكفر
واذكر اسم ربك بكرة واصيلا طرفي النهار ولتنال به حلاوة تذهب عنك مرارة
الصبر وخص طرفي النهار لشرفهما وقيل داوم على صلاة الفجر والظهر والعصر
فان الاصيل يتناولهما ومن الليل بعض الليل فاسجد له فانه وقت الاقتراب اليه
لدنو رحمته وخلو الوقت للمناجاة وقيل صلوتي المغرب والعشاء وتقديمه و
سبحه ليلا طويلا اي تهجد او صل له تطوعا ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون
وراءهم يوما ثقيلا استعار له الثقل من الجملة والمراد شدته نحن خلقناهم وشددنا
اسرهم الاسر الربط الوثيق بالاسار والمراد توصيل عظامهم بعضها مع بعض و
توثيق مفاصلهم بالاعصاب واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا اي اهلكناهم و
انشأناهم نشأة اخرى فالتبديل في الصفات لان المعاد هو المبتدأ او بدلنا مكانهم
قوما آخرين كقوله ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت بآخرين واذا مع ان ذلك
امر ضجي للدلالة على تمام الاقتدار ان هذه تذكرة السورة والآيات القريبة فمن
شاء اتخذ الى ربه سبيلا موصلا اليه تقرب بالطاعة اليه وما تشاؤن الا ان
يشاء الله مشيئتكم لان المفعول المحذوف هو ما دل عليه المذكور كقولك لو شئت ..
لقتلت زيدا اي لو شئت قتله وفي اثبات المشيئتين بطلان الجبر والاعتزال والله
يقول الحق وهو يهدي السبيل وقرأ نافع والكوفيون تشاؤن بالخطاب ان الله
كان عليما حكيما بكنه الاشياء وحكيما لا يشاء الا ما تقتضيه الحكمة يدخل من يشاء
في رحمته بالهداية والتوفيق والظالمين اعد لهم عذابا اليما نصب الظالمين
على شريطة التفسير بما يلائم المفسر نحو اوعد وكافأ تمت سورة الانسان والحمد
للواحد المنان والصلوة على صفوة الانسان وآله وصحبه الى آخر الزمان سورة المرسلات
مكية وهي خمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفا اقسم بطوائف ارسلهن
لامضاء اوامره حال كونها كعرف الفرس في الاجتماع والتتابع فالعاصفات عصفا

بعصفن عصف الرياح مبادرة الى امتثال امره او العرف ضد النكر مفعول له اي المرسلة لانقاذ
الانبياء واهلاك الكفار نعم لاولئك ونقم لهؤلاء والناشرات نشرا نشرن اجنحتهن في
الجو نازلين بالوحي او ناشرين الشرائع او النفوس الموتى بالكفر والجهل فالفارقات فرقا
بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا وحيا الى الانبياء فان قلت الالقاء مقدم على العلم
بالفرق لا عليه وقيل على تقدير الارادة او اقسم برياح ارسلت للعذاب متتابعة فعصفن
وباخرى نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله ويجعله كسفا او نشرن الموتى ففرقن
بين المؤمن القائل مطرنا بفضل الله تعالى والكافر القائل بالانواء والقاء الذكر منها
لكونها سببا له اذا شكرت النعمة عذرا مصدر عذر محى الاساءة او نذرا اسم مصدر
هو الانذار او مصدر نذر بمعنى انذر او جمع عذير بمعنى المعذرة وجمع نذير وانتصابهما
على العلية اي عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين او للتنويع لا الترديد او البدل
من ذكرا ويجوز ان يكونا بمعنى العاذر والمنذر فانتصب على الحال وقرأ ابو عمرو و
حمزة والكسائي وحفص نذرا بالتخفيف انما توعدون لواقع لا محالة وهو قيام
الساعة فاذا النجوم طمست محيت واعدمت او اذهب نورها واذا السماء فرجت
فتحت فكانت ابوابا واذا الجبال نسفت نسف الحب والرمل فكانت كثيبا مهيلا واصله
القلع بسرعة واذا الرسل اقتت بلغت وقتها الموعود وهو وقت الحضور للشهادة
على الامم وقرأ ابو عمرو بالواو وهو الاصل لانه من الوقت الا ان الرسم على الهمز لانه
وان كان اثقل من الواو الا ان الضم عليه اخف منه على الواو لاي يوم اجلت الرسل
ليوم الفصل بيان ليوم التاجيل وما ادريك ما يوم الفصل بالغ في تهويله بابهامه
اولا ثم بيانه بانه يوم الحكم والقضاء ثم هول شانه بانك لم تحط علما بكنهه ذلك ويل
يومئذ للمكذبين الويل الهلاك اصله النصب على المصدر لعن فعله لعدم استعماله
والعدول الى الرفع لكونه ابلغ في الدعاء لدلالته على الدوام الم نهلك الاولين
من تقدم كفار مكة من الامم المكذبة ثم نتبعهم الاخرين نحن نتبع اولئك في
الاهلاك اهل مكة كذلك نفعل بالمجرمين بكل مجرم في كل عصر ويل يومئذ
للمكذبين اي يوم اهلاكهم فليس فيه تكرير لان الاول لعذاب الاخرة وهذا
العذاب الدنيا مع ان التكرير للتهويل له موقع حسن الم نخلقكم من ماء مهين
هي النطفة القذرة فجعلناه في قرار مكين هو الرحم تفصيل لكيفية الخلق الى قدر
معلوم له تعالى وهو وقت الولادة فقدرنا فنعم القادرون نحن على الاعادة
وقرأ نافع والكسائي فقدرنا بالتشديد الى خلق المولود شقيا او سعيدا الى
غير ذلك من حال النطفة علقة ومضغة وعظاما والقادرون بمعنى مقدرون
من قدرت الشيء اقدره قال الشاعر وقدر قدر الرحمن ما هو قادر وهذا اوفق
لقوله من نطفة خلقه فقدره ولان حديث القدرة قد تم في قوله الم نخلقكم لكون

الاستفهام للتقرير ويل يومئذ للمكذبين الم نجعل الارض كفاتا اسم لما يكفت اي يجمع
كالضمام اسم لما يضم او مصدر نعت به او جمع كافت كصيام في صائم لاسناده الى ضمير الارض
احياء وامواتا نكرهما لان احياء الانس وامواتهم بعض الاحياء والاموات ولابنا فيه
التفخيم لدلالته على كثرة لا تحصى وانتصابهما على المفعولية او الحالية من مفعوله المحذوف
وجعلنا فيها رواسي شامخات جبالا ثوابت طوالا والتنكير للتعظيم او التبعيض لكون
بعض الجبال في السماء لقوله من جبال فيها واسقيناكم ماء فراتا عذبا واي عذب ويل
يومئذ للمكذبين بامثال هذه النعم انطلقوا اي على تقدير القول الى ما كنتم به تكذبون
من العذاب انطلقوا الى ظل من حر الشمس ذي ثلاث شعب يحيط بهم من فوقهم وعن
ايمانهم وعن شمائلهم لا ظليل تهكم بهم ورد لما اوهم لفظ الظل ولا يغني من اللهب
وغير مغن من الحر كقوله لا بارد ولا كريم وهذا الظل هو الدخان الذي هو سرادق
النار احاط بهم سرادقها يقفون فيه الى الفراغ من الحساب بدل وقوف المؤمنين في
ظل عرش الله انها ترمي بشرر كالقصر في العظم كانه جمالات صفر جمع جمال او جمالة
جمع جمل شبهت اولا بالقصور ثم بالجمال فان العرب تشبه الابل بالقصور قال
كما طبنت بالفدن السياعا شبه الشرر حين ينفض من النار بالقصر في العظم وحين
ياخذ في الارتفاع والانشقاق عن اعداد غير محصورة مع الحركات السريعة في الجهات
بالجمال وعن ابن عباس كنا نرفع خشبة للشتاء طولها ثلاثة اذرع او اقل نسميه القصر
وعنه الجمالات حبال السفن يجمع حتى تكون كاوساط الرجال والاول هو الوجه وقد
روي عنه ايضا وقرأ حمزة والكسائي وحفص جمالة وجمالات ابلغ واوفق بالمقام
ويل يومئذ للمكذبين بذلك اليوم هذا اي الذي قص عليكم يوم لا ينطقون يوم
القيامة ذو مواطن ينطقون في موطن دون اخر او لا ينطقون بما يجدي ان يستحق نطقا
لعرائه عن الفائدة ولا يؤذن لهم فيعتذرون عطف على يؤذن او لا اذن ولا اعتذار
مطلقا ولو جعل جوابا لدل على ان عدم الاعتذار لعدم الاذن واوهم ان لهم عذرا
يعتذرون به لكن لم يؤذن لهم فيه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل جمعناكم
والاولين للحكم بين المحق والمبطل فان كان لكم كيد فكيدون تقريع لهم على ما كانوا
يكيدون به المؤمنين وتسجيل عليهم بالاستكانة ويل يومئذ للمكذبين ان المتقين
من الشرك لانه في مقابلة المكذبين في ظلال متراكمة وعيون جارية وفواكه مما
يشتهون كثيرة الانواع كلوا واشربوا هنيئا على تقدير القول بما كنتم تعملون في الدنيا
من الصالحات انا كذلك نجزي المحسنين المخلصين ويل يومئذ للمكذبين كلوا وتمتعوا
قليلا انكم مجرمون تذكير لما كان يقال لهم في الدنيا وتخبر لهم بايثار الحقير على الخطير
ويل يومئذ للمكذبين به واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون متصل بقوله للمكذبين كانه
قيل ويل يومئذ للمكذبين كذبوا والذين اذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ويجوز اتصاله

انضالله بالمجرمين كانه قيل هم احقا بان يقال لهم كلوا وتمتعوا لكونهم مجرمين ولكونهم
اذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ويل يومئذ للمكذبين به فبأي حديث بعده يؤمنون اي
بعد القرآن فانه لا حديث يدانيه فضلا ان يساويه وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من قرأ فبأي حديث بعده يؤمنون فليقل امنت بالله وبما انزل تمت المرسلات
والحمد لمواهب البركات وعلى الختام افضل الصلوات سورة النبأ مكية وايها اربعون
بسم الله الرحمن الرحيم عم يتساءلون اصله عن ما فاتصلت في الخط وحذف الالف
فرقا بينها وبين الخبرية وايذانا بشدة الاتصال وكثرة الدوران وقرأ ابن كثير في رواية
البزي عمه بهاء السكت في الوقف ليكون جبرانا عن الذاهب وهو لاحد من في الشأن
كان مشركو مكة يسأل بعضهم بعضا عن امر القيامة او رسول الله والمؤمنين استهزاء
على ان التساؤل بمعنى السؤال كالتداعي والتراءي بمعنى الدعوة والرؤية والمراد تفخيم شأن
المسؤول عنه مجردا عن الاستفهام لوقوعه في كلام من لا يخفى عليه خافية عن النبإ
العظيم بيان الشأن المفخم ومتعلق بيتساءلون وعم بما فسره الذي هم فيه مختلفون
منهم المنكر له ومنهم الشاك او الضمير للفريقين المؤمنون يتساءلون لزيادة الاستيقان
والاستعداد له والكفار استهزاء وعنادا كلا سيعلمون ردع للمتسائلين هزؤا
ووعيد ثم كلا سيعلمون كرر مبالغة وان ثم دلالة على ان الثاني اشد من الاول
وكما فخم شأن البعث فخم ما يقع بعده وقيل الاول عند النزع والثاني في القيامة او الاول
للبعث والثاني للجزاء ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا وانتم لا تنكرون شيئا
من ذلك فانكار البعث لماذا وهل ذلك الا على سؤال هذا اومن ابدع هذه الاشياء انما
ابدعها الحكمة لا عبثا فلا بد من البعث والجزاء وخلقناكم أزواجا ذكرا وانثى وجعلنا
نومكم سباتا موتا من السبت وهو القطع والنوم احد الموتتين وجعلنا الليل لباسا
ساترا عن العيون بمكن اخفاء بالارادة اظهاره من ثيابات العدو او الفرار منه الى امور يتخفى
وجعلنا النهار معاشا وقت معاشكم تتقلبون فيه لحوائجكم استدل بخلقهم ذكرا
وانثى واستوى في احوالهم مفترقين ومفترنين وبنينا فوقكم سبعا شدادا محكمة لا يؤثر
فيها مرور الدهور وجعلنا سراجا وهاجا اي الشمس النير الاعظم من وهجت النار
التهبت واضاءت وأنزلنا من المعصرات من السحاب التي شارفت ان يعصرها الرياح
للمطر من اعصرت الجارية قاربت عصر الحيض او من الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب وعن الحسن
وقتادة رضي الله عنهما من السموات لان الماء تنزل من السماء الى السحاب فكان السموات
يعصره اي يمكن من العصر ماء ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث
الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية والذكر وكثرة دماء القرابين لنخرج به حبا
للانسان ونباتا للدواب وجنات ألفافا ملتفة جمع لف كجف واخفاف او جمع
لفيف كشريف واشراف او لفاء كخضراء او ملتف بحذف الزوايد وفيه ان هذا لا نظير له لان

لان تصغير الترخيم ثابت دون تكسيره إن يوم الفصل كان ميقاتا في علم الله والميقات
ما يوقت به الشيء والمراد به حد الدنيا ونهايته او حد الخلايق وما ينتهون اليه
يوم ينفخ في الصور بدل او بيان ليوم الفصل فتأتون أفواجا جماعات من القبور تدعوا كل امة
بامامهم والحديث المروي ان النبي عليه السلام يحشر عشرة اصناف موضوع مختلق
وفتحت السماء فكانت أبوابا عطف على فتأتون وايثار الماضي لكونه محقق الوقوع او حال
اي فتأتون والحال انها قد فتحت والمراد كثرة الطرق والشقوق كقوله وفجرنا الارض
عيونا وقرأ الكوفيون مخففا وسيرت الجبال في الهواء كمر السحاب فكانت سرابا
اي كالسراب يحسبها ولا ماء لان شأن الجبل الثبات والقرار إن جهنم كانت مرصادا
مكانا يرصد فيه خزنة النار الكفار وخزان الجنة المؤمنين يحرسونهم اذا مروا
عليها للطاغين مآبا مرجعا ومأوى لابثين فيها أحقابا لا يذوقون فيها بردا
ولا شرابا إلا حميما وغساقا الاحقاب جمع حقب وهي ثمانون سنة وقيل دهر طويل
كقوله او امضي حقبا والمعنى يلبثون احقابا كثيرة لا يذوقون فيها الا الماء الحار
وغسالة اهل النار وصديدهم ثم ينقلون الى نوع آخر من العذاب وان جعل لا يذوقون
استئنافا فالمراد باحقابا دهورا غير متناهية كلما مضى حقب تبعه آخر الابدي كيف
دفع وهم الانقطاع بقوله فلن نزيدكم الا عذابا وقرأ حمزة لبثين مقصورا وهو
اقوى وعليه الرسم وحمزة والكسائي وحفص غساقا مشددا جزاء وفاقا اي جوزوا
جزاء ذا وفاق لاعمالهم او وصف بالمصدر إنهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا
بآياتنا كذابا يقال كذب تكذيبا وكذابا قال سيبويه الاصل كذابا والتاء عوض
عن التضعيف والياء عن الالف وكل شيء أحصيناه كتابا نصب على المصدر لان احصينا
او احصينا بمعنى كتبنا لتلاقي الاحصاء والكتبة في الضبط او على الحال اي مكتوبا في
اللوح او في صحف الحفظة فذوقوا اي العذاب التفت اليهم في مقام السخط زيادة في
العذاب فلن نزيدكم إلا عذابا استثناء من الاعم اي شيئا من الاشياء وعن ابي برزة الاسلمي
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشد آية في كتاب على الكفار فتلاها إن للمتقين مفازا مكان
فوز هي الجنة كما ان جهنم للطاغين مآبا ثم فسره بقوله حدائق جمع حديقة وهي روضة
ذات اشجار وقيل روضة احاط بها حايط وأعنابا افردها لفضلة وجودها في ارض
العرب وكواعب جمع كاعب ناهدة الثدي أترابا لدات وكأسا دهاقا مترعة من ادهق
الحوض فهو دهاق لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا اي لا يتبادرون من سماع اللغو و
تكذيب بعضهم بعضا وقرأ الكسائي كذابا مخففا اما مصدر كاذبا وكذب نحو كتب
كتابا كقول الاعشى فصدقتها وكذبته والمرء ينفعه كذابه اي لا يصدر منهم كذب حتى
يسمعه السامع جزاء من ربك نصب على المصدر عطاء بدل من جزاء او مفعول به له
او لناصبه المحذوف حسابا صفة بمعنى كافيا من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي

وقيل على حسب اعمالهم رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك ورفعه نافع وابن كثير
وابو عمرو على انه مبتداء خبره الرحمن او هو بدل والخبر لا يملكون وقرا الرحمن بالجر ابن عامر
وعاصم على البدل ومن جر الاول ورفع الثاني ابدل الاول وجعل الثاني مبتداء خبره
لا يملكون او خبر محذوف منه خطابا اي من الله والمعنى لا يملكون من جهته شيئا من
الخطاب لان المملوك لا يملك شيئا على مالكه وهذا لا ينافي الشفاعة بعد الاذن يوم
يقوم الروح والملئكة صفا ظرف يملكون او لما بعده والروح جبريل وافراده لشرفه
وقيل نوع اخر من المخلوقات وقيل ملك لم يخلق الله بعد العرش اعظم منه لا يتكلمون
الا من اذن له الرحمن وقال صوابا اي من تكلم من هؤلاء الاشراف انما يتكلم بشرط
الاذن وقيل الصواب ففيه تقرير وتوكيد لقوله لا يملكون منه خطابا ذلك اليوم
الحق الكائن لا محالة فمن شاء اتخذ الى ربه مابا منزلا وماوى بالايمان والعمل الصالح
انا انذرناكم عذابا قريبا اذ كل ات قريب ولان ابتداءه من الموت يوم ينظر المرء
ما قدمت يداه اي كل امرئ ينظر عمله خيرا كان او شرا لقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا
وقيل المرء هو الكافر لقوله انا انذرناكم وضع موضع المضمر وعن قتادة هو المؤمن لقوله
ويقول الكافر والاول هو الوجه لقوله ان يوم الفصل ولقوله فمن شاء اتخذ الى ربه
مابا ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا في الدنيا لم اخلق او في هذا اليوم لما يرى ان
الحيوانات والوحوش يصير ترابا بعد جريان القصاص بينهما تمت والحمد لله على الدوام
والصلوة على خير الانام واله وصحبه الى يوم القيام سورة النازعات مكية وهي
خمس او ست واربعون اية بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات غرقا والناشطات
نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا اقسم بالملئكة
الموصوفة بصفات تدل على كمال قدرته وتقادمه فالنازعات هم ملك الموت واعوانه
الذين ينزعون ارواح الكفار من اعماق ابدانهم والغرق اسم الاغراق كالسلام اسم
التسليم او مصدر بحذف الزوايد والناشطات الذين ينشطون ارواح المؤمنين برفق
من نشط الدلو اخرجها من البئر ونشط الحبل حله برفق ويسبحون اي يسرعون فيما
امروا به فيسبقون بارواح الكفار الى النار وبارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون امر
ثوابها وعقابها او النجوم تنزع من المشرق الى المغرب واغراقها قطع الفلك بتمامه الى ان
تغرب بان تنشط من برج الى اخر من نشط الثور اذا خرج من بلد الى اخر فتسرع في سيرها
فيسبق بعضها بعضا فتدبر ما نيط بها من الفوايد او خيول الغزاة تنزع في اعنتها اغراقا
لطول اعناقها لانها عراب فتخرج من دار الاسلام الى دار الكفر فتسبح في جريها فيسبق
بعضها بعضا فتدبر امر الظفر على الجهاد او نفوس السالكين تنزع من الشهوات وتسبح
وتنشط الى عالم الملكوت فتسبح في بحر المعارف فيسبق بعضها بعضا بقدر القابليات فتدبر
ساير النفوس بالارشاد والتكميل والمقسم عليه محذوف دل عليه ذكر القيمة بعد اي لتبعثن

لتبعثن يوم ترجف الراجفة نصب بذلك المحذوف والراجفة الواقعة وصفتها
يحدث بحدوثها من رجف الارض والجبال مبالغة وهي النفخة الاولى وانما صح ان يكون
وقتها ظرفا للبعث مع انه لا يكون الا بعد الثانية لاتساع الوقت على ان تتبعها الرادفة
وهي النفخة الثانية حال منها فلا بد من الامتداد الى وجودها وقيل الراجفة الارض
والجبال والرادفة السماء والكواكب قلوب يومئذ واجفة شديدة الاضطراب من الوجيف
والوجيب خوف ابصارها خاشعة خبر قلوب لانها نكرة موصوفة كقوله وجوه يومئذ
ناضرة الى ربها ناظرة او خبر بعد خبر لان تنكير التنويع قائم مقام الوصف يقولون
ائنا لمردودون في الحافرة يريدون الحيوة بعد الموت والحالة التي كانوا عليها
في الدنيا انكارا والحافرة الطريقة التي حفرها واثرتها بمشيه والقياس محفورة فلما
على تقدير ذات حفر او على الاسناد مجازا كعيشة راضية وعن ابن السكيت حافرة
الشيء اوله واستشهد بما انشده ابن الاعرابي احافرة على صلع وشيب معاذ الله
من سفه وعار ائذا كنا عظاما نخرة اي يكون ذلك والنخرة البالية من النخير
وهو صوت الريح والعظم اذا بلي نخر فيه الريح يصير وردته اجوف وقرا حمزة
والكسائي وابو بكر ناخرة بالمد والقصر ابلغ واذا منصوب بمقدر اي نرد
ونبعث قالوا تلك اذا كرة خاسرة اي رجعة ذات خسران او خاسر صاحبها ان
صح ما يقوله محمد قالوه استهزاء فانما هي زجرة واحدة لا استبعاد ولا استصعاب
بل هي في غاية السهولة على الله لا نتوقف لها الا على صيحة واحدة وهي النفخة الثانية
فاذا هم بالساهرة احياء كقوله فاذا هم قيام ينظرون والساهرة الارض البيضاء
المستوية لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة اي جارية او على المجاز
لان ساكنها لا ينام خوفا وعن قتادة اسم جهنم ولما كان الكلام من مفتتح السورة
الى هنا مسوقا للتهديد مدمجا فيه تسلية رسوله عقبه بقصة موسى وفرعون
لعراقتها في هذا الباب هل اتيك حديث موسى اي ليس قد اتيك حديثه المشتمل على نفسه
وقهر عدوه ففيه ما يسليك ثم فصله بقوله اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى الذي
قدس لانه مهبط الوحي اذهب الى فرعون انه طغى على ارادة القول فقل هل لك الى ان
تزكى اي هل لك رغبة في ان تتطهر من رجس الكفر والطغيان ارشده الى طريق الدعوة
بالطف طريق وذلك ان يعرض عليه ليوافق نفسه ويريد به كما يقول للضيف الا
تنزل بنا وهذا نحو قوله فقولا له قولا لينا وقرا نافع وابن كثير تزكى بتشديد
الزاء على ادغام احدى التائين في الزاء وحذفها الاخرون تخفيفا واهديك الى
ربك الى معرفته فتخشى لان الخشية على قدر المعرفة قال الله انما يخشى الله من عباده
العلماء وروى الترمذي عن ابي هريرة سمعت رسول الله يقول من خاف ادلج ومن ادلج
بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية فاراه الاية الكبرى اي فذهب اليه فدعاه فاراه

المعجزة العظمى من معجزاته وهي قلب العصى ثعبانا او كل معجزاته لانها كالواحد في الدلالة فكذب موسى وعصى ربه ثم ادبر يسعى اي اقبل يسعى في دفع موسى بكاية من قولهم اقبل يفعل كذا وعبر عنه بالادبار اشارة الى ان ذلك الاقبال كان ادبارا وعليه دمارا او ادبر هاربا لما انقلب العصى ثعبانا فحشر فنادى اي جمع السحرة او جنوده فنادى بنفسه او بمناد امره به على انه اسناد الى السبب فقال انا ربكم الاعلى اي اعلى من كل رب كما تقدم في الاعراف انه كان امر قومه باتخاذ الاصنام يتقربون بها اليه فاخذه الله نكال الآخرة والاولى النكال كالسلام اسم للتنكيل اي نكل الله به في الدنيا بالاغراق وفي الآخرة بالاحراق وعن ابن عباس نكال كلمتيه الاولى هي قوله ما علمت لكم من اله غيري والاخرى قوله انا ربكم الاعلى ان في ذلك اي فيما حكي عنه وعن ماله لعبرة لمن يخشى كان من شانه الخشية ءانتم اشد خلقا الخطاب لمشركي مكة ام السماء ولا شك ان الذي اصعب ثم شرع يبين كيفية ايجادها من غير ماله ومعين ليدل به على ان انكار البعث اما عنادا وتعام او تصام بناها خلقها على صورة القبة المتبنية رفع سمكها اي جعل مقدار ذهابها في سمت العلو مديدا رفيعا مقدار خمسمائة عام فسواها فعدلها مستوية الاجزاء مزينة بالكواكب على ما اقتضته الحكمة واغطش ليلها اظلمه نقل غطش الليل واغطشه الله كظلم واظلم ويقال ايضا اغطش الليل كاظلم لازما واخرج ضحاها وابرز ضوء شمسها وانما اضاف الليل والشمس الى السماء لان الليل ظل السماء في المرئي ولذلك كان ظل الارض حقيقة او لانهما يحصلان بغروب الشمس وطلوعها والارض بعد ذلك دحيها بسطها وقد سبق الكلام في تقدم خلق الارض في اوائل البقرة في قوله ثم استوى الى السماء بما لا مزيد عليه اخرج منها ماءها ومرعيها اي رعيها تفسير للدحو بما لا بد لتاتي السكنى منه من المأكل والمشرب وحال باضمار قد ودل بالماء والمرعى على كل ما يتمتع به من امر المعاش والجبال ارسيها اثبتها كالاوتاد لتستقر الارض متاعا لكم ولانعامكم لسائر الحيوانات ففيه تغليب فاذا جاءت الطامة الكبرى الداهية العظمى التي تطم على سائر الدواهي من طم الشيء علاه وغلبه في الوصف للتاكيد والمراد النفخة الثانية او الساعة التي يساق الفريقان الى داري الخلد يوم يتذكر الانسان ما سعى بدل من اذا جاءت اي يتذكر اعماله المسيئة اذا راى الكتاب منشورا والحي له الذكرى وما موصولة او مصدرية وبرزت الجحيم لمن يرى لكل راء لا يخفى على احد فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي المأوى اما مع جوابه جواب اذا جاءت الطامة فالطاغي مأواه الجحيم او جواب اذا محذوف اي كان كيت وكيت والمذكور بعدها تفصيل له واما من خاف مقام ربه اي من يديه للحساب ونهى النفس عن الهوى لعلمه بانه يجانب الهدى فان الجنة هي المأوى اي ماواه لا غير يسألونك عن الساعة ايان مرسيها اي اقامتها من ارسيت الشيء اثبته او متى استقرارها كما ان مرسي السفينة استقرارها وانتهاؤها فيم انت من ذكريها

من ذكريها اي في اي شيء انت من ذكر الساعة لهم فان علمها من امهات الغيوب لا ينفذ فيه الا علمه تعالى او فيم انكار لسؤالهم وانت من ذكريها ابتداء كلام والمعنى في اي شيء هم من سؤال الساعة انت من علاماتها فانك بعثت في نسيم الساعة واسمك نبي آخر الزمان فقد دنت الساعة الى ربك منتهيها انتهاء علمها انما انت منذر ما انت الا منذر من يخشيها من يخاف هولها وليست مبعوثا لتعلمهم بوقت الساعة وعن ابي عمرو منذر بالتنوين كانهم يوم يرونها لم يلبثوا في الدنيا او في القبور الا عشية او ضحيها عشية يوم او ضحاه كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار ولذلك اضاف الضحى ولو قطع لاحتمل عشية يوم وضحى آخر فيتوهم الاستمرار في ذلك الزمان الى مثله من اليوم الاخر واحتمل ايضا ان يراد بالعشية او الضحى كل اليوم تجوزا

سورة عبس مكية وهي احدى واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى ان جاءه الاعمى اتفقوا على انها نزلت في ام مكتوم مؤذن رسول الله واسم عمرو بن قيس او عبد الله بن عمرو واسم امه عاتكة بنت عبد الله المخزومية جاء الى رسول الله وعنده صناديد قريش يدعوهم الى الله باهتمام فقطع عليه كلامه وكرر عليه يقول يا رسول الله علمني مما علمك الله ولم يعلم تشاغله فعبس في وجهه واعرض عنه والمعنى عبس لان جاءه واعرض عنه لذلك على تنازع الفعلين وفي الوصف بالاعمى دون اسمه او وصف آخر توكيد للعتاب فان ذلك يناسب الاقبال والتعطف دون العبوس والاعراض وايماء الى ان كل ضعيف في معناه كقوله لا يقضي القاضي وهو غضبان فكان بعد ذلك يكرمه و يقول مرحبا بمن عاتبني فيه ربي وما يدريك لعله يزكى بما يسمعه منك من اوضار الاثام والمراد نفي درايته بما هو مترقب له والرجاء اما راجع الى الاعمى او الى الرسول وايثاره للدلالة على ان رجاء التزكي كاف في منع العبوس والاعراض كيف وهو في نفسه زكي حقيقة وقيل الضمير للكافر اي وما يدريك انما طمعت فيه من تزكية كائن حتى يهتم به فالترجي لرسول الله او يذكر فتنفعه الذكرى او يتعظ فتنفعه موعظتك وقرأ عاصم بالنصب جواب لعل المحمول على التمني وهذا يؤيد رجوع الضمير الى الكافر الا ان يحمل في الوجه الاول على المبالغة اي كان الاعمى جديرا بالاقبال لضعفه وان كان بعيدا حصول تزكية اما من استغنى فانت له تصدى تتعرض بالاقبال اليه وما عليك الا يزكي اي وليس عليك عتب في ان لا يتزكى بالاسلام ان عليك الا البلاغ هذا وامثاله وان كان عتابا في الظاهر لكن فيه كمال مدح له لاهتماله بشأن ما ارسل به وبذل جهده واما من جاءك يسعى يسرع الى تعلم شرايع الاسلام وهو يخشى يخاف الله بقلبه فانت عنه تلهى وهو التشاغل من لهي يلهى وقدم الضمير في الموضعين للتقوي ويجوز التخصيص على معنى ان التصدي والتلهي انما ينكر فيه دون غيره لعلو مقامه كلا ردع عن المعاتب عليه والعود الى مثله انها تذكرة فمن شاء ذكره الضمير للقرآن والتانيث باعتبار الخبر ولذا

ذكره ثانياً والمعنى ان القرآن موعظة فمن شاء حفظها فلا حاجة فى الموعظة الى المبالغة
وفيه توكيد لما تقدم فى صحف مكتوبة فيها خبر ثان او خبر محذوف او صفة لتذكرة
مكرمة عند الله لانها اوعية كلامه مرفوعة فى السماء او مرفوعة المقدار مطهرة عن
ايدى الشياطين بايدى سفرة كتبة ينسخونها من اللوح المحفوظ جمع سافر وهو الكاتب
او من السفر وهو الكشف لاظهار المكتوب ومنه السفر لانه يكشف عن الاخلاق كرام عند الله
بررة اتقياء روى البخارى عن عائشة ان رسول الله قال الماهر بالقرآن مع السفرة
الكرام البررة قتل الانسان ما اكفره القتل اعظم ما يخافه الانسان من الشدائد دعاء
على الانسان المرتكب اعظم القبائح والدعاء منه تعالى اظهار لغاية السخط من اى شىء
خلقه تحقير له ولذلك فسره بقوله من نطفة خلقه اى ولا اقذر منه فقدره
فسواه مهياً معداً بالقوى والآلات لمصالح التكليف ثم السبيل يسره اى طريق خروجه
من بطن امه بان فتح له فم الرحم والهمه بان ينتكس فانه فى البطن جالس وجهه الى ظهر
امه فاذا حان وقت خروجه قدم رأسه واخر رجليه على صفة الغواص او ذلل له
سبيل الخير ولم يكلفه ما لا طاقة له به وفى هذا اشارة الى ان الدنيا طريق والآخرة
كسبيل المارة وانتصاب السبيل بما يفسره الظاهر ثم اماته فاقبره عد الموت من
النعم لانه وسيلة الى النعيم فى الجنة والاقبار تشريف له لئلا يلقى كسائر الجيف يقال
قبرت الرجل اذا دفنته واقبرته اذا امكنته من ان يقبر ثم اذا شاء انشره للجزاء
كلا ردع للانسان عما هو عليه لما يقض ما امره الله به من الايمان به بعد هذه النعم
وعن مجاهد لم يقض احد من لدن آدم الى هذه الاوان ما امره الله به اذ لم يخل احد
من نوع تفريط ووجه ذلك ان الضمير عائد الى مطلق الانسان المذكور فى ضمن
المقيد ولذلك اعاد ذكر الانسان فى قوله فلينظر الانسان الى طعامه لان المذكور بعده
يعم الكل انا صببنا الماء صبا استئناف لبيان كيفية ايجاد الطعام وقرأ الكوفيون
انا بفتح الالف بدل اشتمال ثم شققنا الارض شقا بالنبات او بالحراث واسند الى ذاته
لانه كسبب فانبتنا فيها حبا جنس الحبوب وعنبا وقضبا مصدر قضبه قطعه سمى به
الرطبة وهى المسماة بالقت لانها تقطع فى عام مرارا وعن الحسن كل علف يقطع وزيتونا
ونخلا وحدائق غلبا متكاثفة الاوراق والعروق مستعار من وصف الرقاب
بغلظ الاوداج وانتفاخ الاعصاب مع تداخل بعضها فى بعض وفاكهة وابا هو
للدواب كالفاكهة للانسان وعن ابن عباس كل مرعى للدواب وروى ابو عبيد
القاسم بن سلام ان الصديق رضى الله عنه سئل عن الاب فقال لا اقول فى كتاب ما لا
اعلم وعن انس ان عمر بن الخطاب تلا هذه الاية فلما وصل الى قوله وابا قال ما الاب
ثم حار وقال لعمرك يا عمر ان هذا لهو التكلف وهذا يدل على انهم كانوا طالبين لمقاصد
كلام الله تعالى والعمل بمقتضى ما علموا ولهم عن طلب اللغات شغل شاغل وقد علموا ان الاية

او الاية مسوقة للامتنان على الانسان فهم كانوا ساعين فى القيام بشكر تلك النعم
متاعا لكم ولانعامكم اى المذكورات فاذا جاءت الصاخة اى النفخة الثانية يقال
صخ لحديث واصاخ اذا استمع له وصفت النفخة به مجازا لان الناس يصخون عندها
يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لاشتغاله بحاله او خوفا من
مطالبتهم اياه بما قصر فيه من حقوقهم ويؤيد الاول قوله لكل امرئ منهم يومئذ
شأن يغنيه وقول الرسل نفسى نفسى وتأخير الحب فالاحب للترقى كانه قيل يفر
من اخيه من ابويه من صاحبته من بنيه وجوه يومئذ مسفرة مضيئة من اسفر
الصبح اضاء لسرور القلوب وقيل من تصلوة بالليل فان من تهجد استنار وجهه
وقيل من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت فى سبيل الله ضاحكة بما تنال من الربح
والفوز مستبشرة برحمة الله ورضوانه ووجوه يومئذ عليها غبرة غبار وكدورة
ترهقها قترة يعلوها سواد كالدخان ولا ترى اقبح من سواد الوجه اذا علاه الغبار
اولئك هم الكفرة الفجرة اى الموصوفون باغبرار الوجوه واسودادها هم الذين
ضموا الى الكفر الفجور فالجزاء على وفق العمل تمت سورة عبس والحمد لله من كل مكروب
نفس والصلوة على رسوله بالليل عسعس وآله وصحبه الصبح تنفس سورة التكوير
مكية وهى تسع وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم اذا الشمس كورت روى
الامام ابن حنبل عن ابن عمر رضى الله عنهما قال من سره ان ينظر الى القيمة رأى عين فليقرأ
اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت والتكوير من كورت
العمامة اذا لففتها والمراد اذهاب ضوءها او عينها لان الثوب اذا اريد رفعه
لف وطوى او من طعنه فكوره اى القاه لما روى ان الشمس والقمر يكوران فى جهنم
لقوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم واذا النجوم انكدرت انتثرت
لقوله واذا الكواكب انتثرت وقيل اظلمت من كدرت الماء فانكدر وهو تفسير الاول
واذا الجبال سيرت عن وجه الارض مر السحاب واذا العشار عطلت اهملت
جمع عشراء وهى الناقة التى اتى على حملها عشرة اشهر ويبقى هذا الاسم بعد حملها ايضا
ولذلك فسر تعطيلها بعدم الحلب وقيل هى السحاب عطلت عن المطر واذا الوحوش حشرت
من كل اوب كما يحشر الانس والجن واذا البحار سجرت ملئت بان يفجر بعضها الى بعض
حتى يصير بحرا واحدا او احميت من سجرت التنور عن ابن عباس او قدت فصارت نيرانا
وقرأ ابن كثير وابو عمرو سجرت مخففا والتشديد للمبالغة اوفق بقوله زدناهم سعيرا
واذا النفوس زوجت كل نفس بشكلها فى الموقف الانبياء ثم الصديقون ثم الشهداء
ثم الامثل فالامثل او زوجت باعمالها وقيل نفوس المؤمنين بالحور والكفار بالشياطين
واذا الموءودة سئلت باى ذنب قتلت الوأد دفن الحى فى القبر والغرض من سؤالها
تبكيت الوائد على فعله وليس فى الاية دليل على انها فى الجنة ولكن دلت الاحاديث

على ان اطفال المشركين فى الجنة فهى من باب الاولى فان قلت روى سلمة بن يزيد انه
سال رسول الله ان امه قد وادت اختا له فى الجاهلية فقال الوائدة والموؤدة فى
النار قلت معارض بما روت خنساء بنت معاوية ان عمها اخبرها ان رسول الله قال
الموؤدة فى الجنة ويحمل قوله الموؤدة فى النار على ان تلك المعينة كانت بالغة فانهم
كانوا يدفنون اذا صار قامتها ستة اشبار وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ عند الحساب فانها
تطوى بعد الموت وقيل هى غير صحف الاعمال بل صحف تطير من تحت العرش فيقع صحيفة
المؤمن فى يده فى الجنة وصحيفة الكافر فى يده فى النار وقرا ابو عمرو وابن كثير
وحمزة والكسائى نشّرت مشددا لكثرة الصحف او لشدة التطاير وَإِذَا السَّمَاءُ
كُشِطَتْ كما يكشط الجلد من المسلوخ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ اوقدت ايقادا شديدا وقرا
نافع وابن ذكوان وحفص بتشديد العين والمبالغة فيه كما فى سجرت وَإِذَا الْجَنَّةُ
أُزْلِفَتْ قربت من المؤمنين كقوله وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذه اثنتا
عشرة خصلة ست منها فى الدنيا وست فى الآخرة عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ جواب
اذا الشمس كورت وما عطف عليه وهو العامل فيها والمعنى علمت كل نفس لقوله يوم
تجد كل نفس ما عملت وانما نكر لان الكلام صادر عن مقام الكبرياء اشارة الى ان من
يكون بغير هذه الاجرام العظام فعله تستقل النفوس الانسانية فى جنب قدرته
فهى كنفس واحدة فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ هى الكواكب لانها تخنس اى تتاخر فى الغيبة وتختفى و
منه سمى الشيطان خناسا لانه يتاخر اذا ذكر الله وقيل هى السيارة دون الثوابت و
قال الفراء هى الخمسة زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد الْجَوَارِ الْكُنَّسِ
التى تكنس اى تستتر من كنس الظبى دخل فى كناسه وقيل تظهر بالليل بعد الخنس بالنهار
وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ادبر لقول العجاج حتى اذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها
وعسعسا وقيل اقبل وهو من الاضداد وكلا المعنيين حسن وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ
انه اذا اقبل يقبل بقبوله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له مجازا وقيل شبه الليل
المكروب بعد زوال الكرب او جعل نسيم الصباح لاشتماله على الروح كالتنفس المفرج
عن القلب إِنَّهُ اى القران لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ عند الله وهو جبريل وكون القران
قوله لملابسة التبليغ ذِي قُوَّةٍ اى قوة كقوله شديد القوى عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ
ذى مكانة وعز مُطَاعٍ بين الملائكة الاعلى والكروبيين ثَمَّ أَمِينٍ اى عند الله موصوف
بالامانة على وحى الله وتنفيذا وامره وَمَا صَاحِبُكُمْ كما تزعمون وليس الكلام مسوقا
للموازنة والمفاضلة بين جبريل ورسول الله حتى يستند لسلك الاوصاف الفاضلة
على افضليته على المرسل اليه بل مسوق لبيان حقية المنزل والاشك ان وصف الآتى به
بتلك الصفات الكوامل يثبت من اعضاده وابلغ شد الآزر على مقام الحث على اتباعه كيف
جعله سراجا منيرا ورحمة للعالمين وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ بمطلع الشمس الاعلى وما هو

وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ اى محمد واخباره عن المغيبات بِضَنِينٍ بمتهم ولذلك تعدى الى مفعول
واحد اى لانهم فيما يوحى اليه بنقص او زيادة وقرا نافع وابن عامر وعاصم وحمزة
بالضاد وعليه الرسم اى لبس بخيل فى تبليغ ما اوحى اليه والاول اوفق بقوله وما
صاحبكم بمجنون وقوله افترى على الله كذبا ام به جنة ونظايرها وَمَا هُوَ اى القران
بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ مطرود تصريح بنا علم ضمنا ونفى الكهانة والتنجيم ولبقابله برسول
كريم فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ سبه عدولهم عن الحق واتباعهم بالعدول عن الجادة والذهاب عنها
الى المهالك من الغياض والمفاوز إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ موعظة لِلْعَالَمِينَ من الثقلين لِمَنْ شَاءَ
مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ بدل من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ
يَشَاءَ اللَّهُ مشيتكم حذف لدلالة الفعل عليه رَبُّ الْعَالَمِينَ مالكهم والمتصرف فيه
فلا يكون شئ الا بارادته ومقتضى مشيته تمت سورة التكوير والحمد لله الواحد الخبير
والصلوة على البشير النذير وآله وصحبه كل صغير وكبير سورة الانفطار مكية وآيها
سبع عشرة آية بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ انشقت وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ
تساقطت وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ بعضها الى بعض بازالة البرزخ فتصير بحرا واحدا ثم تنشف الارض
فتبقى مستوية لا ترى فيها عوجا ولا امتا وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ بعثت موتاها وترابها
زائدة للالحاق ونبا لغة مثله بحثر لفظا ومعنى عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ما قدمت
من الاعمال الصالحة وما ضيعت او ما اخرت من سنة حسنة او سيئة او ما قدمت
فى اول عمرها وما اخرت فى آخره يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ اى شئ جراك
على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة فى المنع عن الاغترار وللاشارة الى ان الباعث على
ذلك انما كان تسويل الشيطان بان ربك كريم يعفو ويغفر وقيل انما ذكر وصف
الكريم من كرمه تلقينا له ليقول غرنى كرمك وهذا باطل لان الانسان المذكور خاص بالمكذب
لقوله كلا بل تكذبون او عام له وللمؤمن لقوله ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى
جحيم ولا وجه لتلقين الكافر حجته الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ الذى اوجدك
سويا تام الخلق معتدل الاعضاء فلا يد اطول من اختها ولا يمين اوسع من نظيرتها
وكذا ما ثل بين سائر الاطراف وقرا الكوفيون عدلك مخففا من العدل وهو الميل وكا
المشدد الا ان فيه من المبالغة او التعرف اى يخالف عن خلق سائر الحيوانات او الى شبه
الابوين او الى الطول والقصر او الذكورة والانوثة فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ اى ركبك
فى اى صورة اقتضتها مشيته فما زائدة واى للصفة ولما اريد التعميم حذف موصوفها
ويجوز تعلقه بعدلك اى عدلك فى صورة واى صورة كقولك مررت برجل اى رجل
وحذف الموصوف لزيادة التفخيم والتعجيب ثم قال ما شاء ركبك اى ركبك ما شاء او تركيبا
بديعا كَلَّا ردع عن الاغترار بكرمه بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ اضراب الى ما هو السبب الاصلى
فى الاغترار وهو تكذيب القران والرسل بوقوع الجزاء فان قلت هذا انما يستقيم اذا اريد

بالانسان الكافر واما اذا كان عاما فلو قلت اذا كان عاما خطابا للكل بما وجد بينهم وَإِنَّ
عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ جملة حالية اى انكم تكذبون بالجزاء
والحال ان ثمة امر خطير مع علمه الشامل وقد وكل بكم من يحفظ عليكم النقير والقطمير و
انثى على الكتبة اشارة الى عظم امر الجزاء إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ اللام
للعهد وهم الذين يكذبون بيوم الدين لقوله هذا الذى كنتم به تكذبون يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ
الدِّينِ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ كقوله وما هم عنها بخارجين صريح فى سرمدية العذاب
ثم فخم شان الجزاء بتفخيم يومه بقوله وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ
ابهم امره وخاطبا على الخلق بانه لم يحط بكنه ذلك اليوم وكرر ذلك واتى بثم للتراخى
رتبة اشارة الى انه مهما ترقى فى العلم لم يبلغ ذلك ثم اجمل بقوله يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ
لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ تقرير لشدة هوله وفخامة امره وقراء ابن كثير وابو عمرو يوم
بالرفع خبر مبتدا اى يوم الدين يوم لا تملك او بدل كل منه ومن قراء بالفتح بناه لاضافته
الى غير المتمكن كقول على رضى الله عنه من اى يومى من الموت افر ايوم لم يقدر ام يوم
قدر تمت سورة انفطرت والحمد لله الاؤه تواترت والصلوة على من اياته بهرت
واله وصحبه ما غاب نجم ولمعت سورة المطففين ايها ست وثلثون بسم الله
الرحمن الرحيم وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ التطفيف نقص الكيل والوزن من الطفيف وهو القليل
لان الذى يسرق من كيل او وزن واحد لا يكون الا قليلا وعن الزجاج ماخوذ من طف
الشىء جانبه روى النسائى وابن ماجه عن ابن عباس ان رسول الله ص قدم المدينة وهم
اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوا الكيل وروى انه لما قراء الاية عليهم قال خمس بخمس
ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا سلط
عليهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا اخذوا
بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ
اى اذا اكتالوا لانفسهم ما لهم على الناس ياخذونه تماما وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ
اى كالوا لهم فحذف الجار واوصل الفعل او مكيلهم فحذف المضاف وقيل الضمير المنفصل
راجع الى المطففين وليس كذلك لان الغرض بيان اختلاف حالهم فى الاخذ والاعطاء
لا بيان المباشرة وعدمها ولا يستدعا اثبات الالف بعد الواو كما فى نظايره ولم يذكر
الاتزان مع الاكتيال اكتفاء به وقيل كانهم كانوا ياخذون الموزون بالمكيال ليتمكنوا
من الاستيفاء والسرقة لاحتمال ان يزعزع الكيل ويحتال فى الملى بخلاف الميزان
لانه لا يقبل ذلك أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ صدر الكلام بحرف
التنبيه ايقاظا وذكر الظن دلالة على ان الظن كاف فى الكف عن التطفيف كيف
والقاطع مستيقن ووصف اليوم بالعظم لعظم ما يقع فيه واسم الاشارة مشتمل
نحو ذلك التعيين وكل هذه التشديدات ليس من حيث التطفيف بل لان الميزان قانون

قانون العدل الذى به قامت السموات والارض يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ نصب
بمبعوثون او بدل من الجار والمجرور روى البخارى عن ابن عمر ان رسول الله قال يوم يقوم
الناس لرب العالمين يغيب احدهم فى رشحه الى انصاف اذنيه كَلَّا ردع عن التطفيف
إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ عقب ذكر التطفيف حديث الفجار زيادة تنفير عنه والسجين
فعيل من السجن وهو التضييق سمى به الكتاب الجامع لاعمال الشياطين والكفرة لانه
سبب للتضييق او لانه مطروح فى مكان مظلم تحت الارض السابعة فيقدر مضاف
ان موضع كتاب الفجار ونقل الواحدى باسناده ان السجين بئر مفتوح فى جهنم
والغرض من وصف كتابهم بالوصف الشنيع تقبيح حالهم وسفالة محلهم وَمَا أَدْرَاكَ
مَا سِجِّينٌ كِتَابٌ مَرْقُومٌ معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه او مسطور بين الكتابة وان كان
اسم موضع فالتقدير ما كتاب السجين او محل كتاب مرقوم حذف منه المضاف وَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ وصف موكدا وذام لان اللام فى
المكذبين للعهد وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ متجاوز عن الحد حيث تقلد فيما لا يصح
فيه وقطع النظر عن الايات والنذر أَثِيمٍ كثير الاثم منهمك فى الشهوات حيث شغله
ذلك عن التفكر إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ من فرط جهله وعدم تامله
لا ينفعه شواهد النقل كما لا ينفعه دلايل العقل كَلَّا ليس الامر كما قالوا من انه اساطير
بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ الرين صدا يعترى القلب من تكاثر الذنوب عن
الحسن هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب وروى النسائى عن ابى هريرة ان رسول الله
قال اذا اذنب العبد ذنبا كانت نكتة فى قلبه فان هو نزع واستغفر صقل قلبه
وان عاد ازدادت حتى يعلو القلب فهو الرين الذى قال الله بل ران على قلوبهم
كَلَّا ردع عن الكسب الراين إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ تمثيل لحالهم فى الاهانة
بحال من استاذن على ملك فلم يوذن له ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ لداخلون النار لا محالة
ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ تقريعا لهم وزيادة فى العذاب كَلَّا تكرير للاول
ليعقب به وعد الابرار كما عقب به وعيد الفجار او ردع عن التكذيب إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ
لَفِي عِلِّيِّينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ علم لكتاب الابرار او موضع يكون فيه
الكتاب جمع على فى الاصل من العلو سمى به لانه سبب العلو والارتفاع فى الجنة او لانه
مرفوع الى السماء السابعة يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ الكروبيون يحفظون منه المعارف
او يشهدون على ما فيه يوم القيمة إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ على الاسرة
فى الحجال ينظرون الى ما شاؤوا مد ابصارهم مما يسر لذة الاعين تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ
نَضْرَةَ النَّعِيمِ بهجة التنعم ورونقه كما ترى وجوه اهل الثروة والملوك فى الدنيا يُسْقَوْنَ
مِنْ رَحِيقٍ من اسماء الخمر مَخْتُومٍ لم يبتذله الايدى خِتَامُهُ مِسْكٌ مكان الطينة
فى اباريق الملوك وهذا غاية الاكرام وقراء الكسائى وخاتمه بفتح التاء وهو ما يختم به

كما الاول وقيل معنى الاول ان المسك سري الى آخره وفي ذلك فليتنافس المتنافسون
فليرتغب المرتغبون ومزاجه من تسنيم اسم عين في الاصل مصدر سنمه اذا رفعه
اما لانها ارفع شراب في الجنة او لانها مجري في الهواء متسنمة فتنصب في اوانيهم عينا
يشرب بها المقربون صرفا لانهم لم يلتفتوا الى غير طاعة الله تعالى ولم يشتغلوا بغيره
وانتصاب عينا على المدح او الحال من تسنيم والباء في بها مزيدة او بمعنى من ان الذين
اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون هم ابو جهل واضرابه كانوا اذا راوا صهيبا وبلالا
وعمارا وساير الفقراء يضحكون استهزاء بهم واذا مروا بهم يتغامزون يشير بعضهم
الى بعض بالعين والحاجب استحقارا واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين
مستلذين اشرا وبطرا بما هم فيه من الخطام وبما فيه فقراء الصحابة رضي الله عنهم
من التقشف والاذواء وقرا حفص فكهين مقصورا والمد اولى لوجود ذلك وقت
الانقلاب والرسم على القصر واذا راوهم قالوا ان هؤلاء لضالون طريق الرشاد في
اتباع محمد وترك دين الاشياخ وما ارسلوا عليهم حافظين موكلين بهم حتى
يقولوا فيهم بالضلال والرشد رد منه تعالى عليهم او هو كلام الكفار اذا دعوهم
الى الايمان وكان الظاهر وما ارسلوا علينا حافظين الا انه سلك طريقة الغيبة
كقولك قال زيد ليفعلن كذا فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون بدل ما كانوا
يضحكون منهم في الدنيا على الارائك ينظرون حال من يضحكون هل ثوب الكفار ما
كانوا يفعلون المخاطب هم المؤمنون على الارائك اذ نظروا الى الكفار في جهنم زيادة
في سرورهم وان الله تعالى تهكم بهم والتثويب الاثابة استعمل في العذاب تهكما و
الاستفهام للتقرير تمت سورة التطفيف والحمد للكريم اللطيف والصلوة على الرسول
الشريف وآله وصحبه ذوي الفضل المنيف سورة الانشقاق مكية وايها خمس
وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انشقت اي بالغمام وتنزل فيه
ملئكة العذاب كقوله يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملئكة تنزيلا وعن علي رضي الله عنه
تنشق من المجرة واذنت لربها واستمعت له من الاذن وهو الاستماع والمعنى الطاعة
لما اريد منها من الانشقاق اطاعة المأمور اذا ورد عليه امر من الامر المطاع وحقت
وكانت محقوقة جديرة بالاطاعة لورود امر القاهر المقتدر الذي لا يتابى عليه مراد
والجواب محذوف ليذهب المقدر كل مذهب او اكتفاء بما علم في سورتي التكوير والانفطار
وقيل الجواب ما دل عليه فملاقيه اي اذا وقع ذلك لاقى الانسان كدحه او فملاقيه
على ان يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا اعتراض واذا الارض مدت عن ابن عباس
مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا او هو من المدد اي زيدت سعة وبسطة و
الاول اظهر اذ الجاد اجزاء آخر مضافة لم يشهد له خبر ولا اثر والقت ما فيها من
الاموات والكنوز وتخلت غاية الخلو لدلالة التفعل كالتكلف كانها كلفت ان تلقي

في ذلك غاية الجهد واذنت لربها وحقت اي في الالقاء ما في بطنها وتخليها ولا تكرار
لان الاول في السماء وهذا في الارض يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه
الكدح الجد والجهد في العمل والضمير في ملاقيه للرب اي لا مفر لك منه او للكدح اي ملاق
جزاؤه كما في الحديث انما هي اعمالكم ترد اليكم ثم فصل ذلك بقوله فاما من اوتي كتابه
بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا سهلا من غير مناقشة يشق عليه روى الشيخان
وابو داود والترمذي عن عائشة ان رسول الله قال ليس احد يحاسب الا عذب قلت
او ليس الله يقول فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلك العرض
ومن نوقش في الحساب هلك وعنها سمعت رسول الله يقول اللهم حاسبني حسابا
يسيرا قلت يا رسول الله ما الحساب اليسير قال ان ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه
وينقلب الى اهله اي عشيرته او الى فريق المؤمنين او الى اهله من الحور والولدان في الجنة
مسرورا فرحا واما من اوتي كتابه وراء ظهره تغل يمناه الى عنقه وتثنى شماله
الى وراء ظهره فسوف يدعوا ثبورا اي يدعو بالويل والهلاك ويصلى سعيرا وقرا
نافع وابن كثير وابن عامر والكسائي بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام من التصلية
كقوله وتصلية جحيم معدى الى مفعولين انه كان في اهله مسرورا سرورا بطرا بالمال
والجاه لا يخطر بباله امر الآخرة انه ظن ان لن يحور بلى تعليل لذلك السرور بلى ايجاب
بعد النفي بلن اي ليحورن لا محالة والحور هو الرجوع وفي الحديث نعوذ بالله من الحور
بعد الكور اي الرجوع عن الدين بعد الدخول فيه ان ربه كان به بصيرا فيجازيه
على اعماله فلا اقسم بالشفق وهي الحمرة بعد مغيب الشمس وعن ابي حنيفة هي البياض
وروي اسد بن عمرو انه رجع عنه ذلك ماخوذ من الشفقة لرقته والليل وما وسق وما
احاط به الليل من الكائنات من الوسق وهو الجمع والقمر اذا اتسق انتظم واجتمع نوره اذا
كان بدرا لتركبن طبقا عن طبق اي حالا بعد حال وذا عن الآخر في الشدة وهي الموت وما بعده
من الاهوال والطبق ما طابق غيره اي وافقه ومنه اطباق الثرى والطبق الغطاء وقرا
ابن كثير وحمزة والكسائي بفتح الباء على انه خطاب لرسول الله وعد له بالاسراء اي يسلكن الطباق
السموات في المعراج او لكل احد من افراد الانسان نظرا الى اللفظ اي لفظ الانسان فانه
مفرد فما لهم لا يؤمنون بالبعث بعد ظهور دلائله واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون
لا يخضعون اكراما له لدلالة اعجازه على انه كلام الله واستدل به ابو حنيفة على وجوب السجدة
لان الذم لا يكون الا على ترك الواجب روى مسلم والبخاري عن ابي هريرة انه سجد فيها و
قال سجدت خلف ابي القاسم فلا ازال اسجد بها حتى القاه قبل قراءة رسول الله ذات يوم
واسجد واقترب فسجد وسجد معه المؤمنون فصفق المشركون وتضاحكوا فنزلت بل الذين
كفروا يكذبون بالقرآن والدليل انما ينفع المسترشد والله اعلم بما يوعون بما يضمرونه
من الكفر والرذائل او بما يجمعون في صحائف اعمالهم فبشرهم بعذاب اليم تهكم بهم الا الذين

إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات استثناء منقطع أو متصل بتقدير الضمير أي منهم لهم أجر غير ممنون مقطوع أو بالمنون بالمنة تمت سورة الانشقاق والحمد للواحد الخلاق والصلوة على الكامل بالاتفاق وآله وصحبه إلى يوم التلاق

سورة البروج مكية وآيها اثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء ذات البروج هي البروج الاثني عشر المشهورة والإقسام بها لأن سير الشمس فيها وبه ينتظم نظام العالم السفلي ومنازل القمر لأن تلك البروج منقسمة إلى ثمانية وعشرين منزلا أو الكواكب العظام أو أبواب السماء فإن النوازل يظهر منها وأصل التركيب للظهور ومنه تبرج المرأة واليوم الموعود يوم القيمة وشاهد ومشهود عن أبي هريرة وأبي مالك الأشعري عن رسول الله الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وكذا عن سعيد بن المسيب وعن ابن عباس الشاهد محمد والمشهود يوم القيمة قتل أصحاب الأخدود دليل جواب القسم أي أقسم أن قريشا لملعونون أحقاء بأن يقال فيهم قتلوا كما قتل أصحاب الأخدود وقيل المذكور هو الجواب والأول هو الوجه لأن الكلام مسوق لتصبير المؤمنين وتهديد المشركين كما دل عليه آخر السورة والأخدود جمع خد وهو الشق وفي الحديث أنهار الجنة تجري في غير أخدود والقصة على ما رواه مسلم أن رسول الله أخبر أنه كان فيمن كان قبلكم ملك كان له ساحر فلما كبر سأل الملك أن يدفع إليه غلاما ليعلمه السحر فدفع إليه غلاما وكان في طريق الغلام راهب على ملة عيسى فسمع الراهب وأعجبه كلامه فانقطع من الساحر إلى الراهب فكان يضربه الساحر لانقطاعه فقال له الراهب إذا قال لك الساحر ما حبسك عني فقل حبسني أهلي وإذا سألك أهلك فقل حبسني الساحر فمر يوما على دابة عظيمة في الطريق قد حبست الناس فأخذ حجرا وقال اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من الساحر فاقتل هذه الدابة فرماها فقتلها فأخبر الراهب فقال إنك أفضل مني وستبتلى فلا تدل علي فشرع الغلام يبرئ الأكمه والأبرص وكان جليس الملك قد عمي فأتى الغلام بأموال وقال اشفني قال الشافي هو الله فإن آمنت به دعوت الله فشفاك فآمن فدعا الغلام فشفاه الله فلما حضر الملك قال من رد عليك البصر قال ربي قال أنا قال لا ربي وربك الله فأخذ يعذبه فدل على الغلام فلما أتى به قال بلغ من سحرك أنك تبرئ الأكمه والأبرص قال الشافي هو الله قال ولك رب غيري قال ربي وربك الله فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فقال للراهب ارجع عن دينك فلم يرجع فوضع المنشار على رأسه فشقه ودفع الغلام إلى جماعة فقال اذهبوا به إلى ذروة شاهق فألقوه فلما علوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم فرجف بهم الجبل فهلكوا عن آخرهم فرجع الغلام سالما فسأله الملك عن القوم فقال هلكوا فدفعه إلى نفر وقال اجعلوه في قرقور فإذا توسطتم البحر فألقوه في البحر فلما توسطوا البحر قال اللهم اكفنيهم فغرقوا ورجع الغلام إلى الملك فقال ما فعل أصحابك قال غرقوا ثم قال للملك إنك لا تقدر على قتلي إلا إذا فعلت ما آمرك به اجمع الناس في صعيد واحد واصلبني وخذ سهما من كنانتي وقل بسم الله رب الغلام فإنك إذا فعلت ذلك قدرت على قتلي ففعل ذلك فقتل الغلام فقال الناس آمنا

آمنا برب الغلام فأمر بأفواه السكك فخدت أخاديد وأضرمت فيها النيران وقال من رجع عن دينه فدعوه فكانوا ينقادون ويتدافعون إلى النار رغبة في الموت على الدين فجاءت امرأة تحمل رضيعا فتقاعست فناداها الرضيع يا أماه اصبري فإنك على الحق فألقت نفسها مع الصبي وعن علي أنهم حين اختلفوا في أحكام المجوس قال هم أهل كتاب وكانوا متمسكين به فشرب بعض ملوكهم الخمر ووقع على أخته فلما أصحى ندم وطلب المخرج فقالت أخته المخرج أن تخطب وتقول في الخطبة أيها الناس إن الله قد أحل نكاح الأخوات ثم بعد ذلك تخطب وتقول إن الله قد حرم ذلك فخطب فلم يقبلوا منه فبسط فيهم السوط فلم يقبلوا فقال ابسط فيهم السيف ففعل فلم يقبلوا فأمرته بالأخدود وإيقاد النار وإلقاء من أبى فيها وروى ابن إسحق أن رجلا عالما من علماء النصارى وقع بنجران فدعاهم إلى دين عيسى فآمنوا به فسار إليهم ذو نواس اليهودي من بلاد اليمن فخيرهم بين النار واليهودية فأبوا فأحرق منهم اثني عشر ألفا وقيل سبعين ونجا منهم رجل فلحق بقيصر فكتب قيصر إلى ملك الحبشة ليجنده على قتال ذي نواس وينصر دين عيسى فأرسل النجاشي جيشا أميرهم أرباط فهزم ذا نواس اليهودي حتى دخل البحر في سفينة وغرق فيها واستمر ملك اليمن في يد الحبشة سبعين سنة حتى استنقذه سيف بن ذي يزن من أتباع تبع وهو الذي أخبر عبد المطلب بشأن رسول الله وصفاته النار ذات الوقود النار بدل اشتمال وذات الوقود صفة لها بالعظمة وكثرة الوقود من الحطب والناس قيل كان طول الأخدود أربعين ذراعا في عرض اثني عشر إذ هم عليها قعود ظرف لقتل أي لعنوا حين أحدقوا بالنار قاعدين حولها وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأنه لم يقصر في إحراقهم ولم يقصروا أو يشهدون يوم القيمة على أنفسهم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد أي وما عابوا منهم إلا أفضل المناقب وأحسن الخصال وهو الإيمان بمن هذه صفاته من كونه غالبا على كل شيء منعما محمودا على نعمه كقوله ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد أعاد المظهر للإشارة إلى أن شمول العلم شأن الألوهية ومن لوازمها إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا يشمل أصحاب الأخدود وغيرهم فلهم عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق نار أخرى عظيمة تتسع بهم كما تتسع الحريق لفتنتهم وقيل هم أصحاب الأخدود لما روي أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير الذي يستحقر ملك الدنيا دونه إن بطش ربك لشديد البطش هو الأخذ بالشدة والعنف فالوصف بالشدة زيادة مبالغة ثم قرر ذلك بقوله إنه هو يبدئ ويعيد ومن هذا شأنه يكون بطشه وانتقامه من أعدائه في نهاية الشدة وقيل يبدئ البطش في الدنيا ويعيد في الآخرة

وهذا يلايم ما قيل ان النار انقلبت على اصحاب الاخدود وهو الغفور للذنوب الودود
لمن تاب ذو العرش خالق العرش وكنى به عن الملك المجيد خبر رابع لهو ومجد الله
عظمته وكبرياؤه وقرأ حمزة والكسائي بالجر صفة العرش والمراد به عظم جرمه
او اتساع الملك لدلالته على كمال الاقتدار والرفع اولى لكونه غالبا في صفاته تعالى
فعال لما يريد لا يتأتى عليه مراد خبر مبتدأ محذوف لدلالته على تحقق الوصفين
البطش بالاعداء والمغفرة والود للاولياء ولو جعل خبر هو المذكور فاتت ولا يخفى
ما فيه لتنكير وزيادة اللام من الفخامة هل اتيك حديث الجنود فرعون وثمود
ابدلهما عن الجنود لان المراد فرعون وملاؤه وضم ثمود اليه دون غيرهم لقرب بلادهم
ورعاية للفاصلة والمعنى قد احطت علما بتكذيبهم وما حاق بهم تسلية له وتهديد
لقومه بل الذين كفروا في تكذيب في الاضراب دلالة على ان حال هؤلاء اعجب من اولئك
فانهم سمعوا باخبارهم وشهدوا آثارهم وهم مستغرقون في التكذيب والله من
ورائهم محيط علما وقدرة لا يفوته احد جملة معترضة بل هو قرآن مجيد اى ما
كذبوا به قرآن شريف معجز في الاضراب ترق واضراب ثان الى ان تكذيبه خارج عن سائر
انواع التكذيب في لوح محفوظ عن جمهور الملائكة لا يطلع عليه الا بعض المقربين فكيف
يكون كذبا سورة الطارق مكية وآياتها سبع عشر بسم الله الرحمن الرحيم والسماء
والطارق وما ادريك ما الطارق من الطرق وهو القرع والدق اطلق على الآتي
بالليل لانه يحتاج الى دق الباب والمراد به الكواكب لظهوره بالليل النجم الثاقب
ابهمه اولا ثم فسره اظهارا لفخامة شأن المقسم به والثاقب المضيء كانه يثقب الظلام
بنوره ان كل نفس لما عليها حافظ ان هي المخففة واللام الفارقة وما مزيدة اى ان الشأن
كل نفس عليها حافظ وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بتشديد الميم بمعنى الا على ان ان
نافية والجملة جواب القسم فلينظر الانسان مم خلق اى لما ثبت ان عليه حافظا
فلينظر في نفسه فانها اقرب الاشياء اليه وكيفية تكونها فان ذلك النظر يوصله
الى الحافظ الحقيق ويعرفه انه لم يخلق سدى خلق من ماء دافق ذى دفق نسبة كلا
بن وتامر واسناد مجازى وصف بوصف صاحبه يخرج من بين الصلب والترائب
اى صلب الرجل وترائب المرأة موضع القلادة او ما بين ثدييها كذا عن ابن عباس جمع
تريبة ولا ينافي قول الاطباء انه يتولد من جميع اجزاء البدن بعد الهضم الرابع فياخذ
من كل عضو ما يستعد لان يكون عضوا من مثله لانه نبه مع الاختصار على الاعضاء
التي هي اصول في التولد وذلك ان الترائب يشمل القلب والكبد والكلى والصلب الدماغ
لاتصال النخاع بالدماغ وينزل من الدماغ شعب الى مقدم البدن وهي الترائب على ان
كلامهم مبناه على الاوهام والظنون وكلام الله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه و
لا من خلفه انه اى الله تعالى فخم اولا يترك الفاعل في ثم خلق وثانيا بالاضمار لعدم

لعدم ذهاب الوهم الى الغير على رجعه لقادر اى على اعادة الانسان وقيل الضمير للماء
اى يقدر على رجعه الى مخرجه يوم تبلى السرائر منصوب برجعه والفاصل ليس باجنبي
لانه متعلق الجار اى يكشف وتظهر جميع سريرة وهي ما اخفي من العقايد والاعمال فما له
من قوة ولا ناصر من منعة في نفسه ولا من غيره والسماء ذات الرجع ذات المطر سمي
رجعا تفاؤلا او لان الله يرجعه وقتا وقتا او لان العرب تزعم ان السحاب يحمل من
بحار الارض ثم ترجعه الى الارض والارض ذات الصدع النبات او الشق بالنبات
والعيون انه اى القرآن او ما اخبر به من الاقتدار على الاحياء والاولى اولى
لتناوله هذا وغيره لقول فصل حد فاصل بين الحق والباطل وما هو بالهزل في شيء
بل جد كله انهم اى اهل مكة يكيدون كيدا يجتهدون في نصب المكايد واطفاء نوره
يسمونه شعرا وسحرا وكهانة واكيد كيدا بافاضة النعم عليهم والعافية في مقابلة
ذلك استدراجا ليزدادوا فمهل الكافرين الى الوقت المضروب لهم في علمه تعالى امهلهم
رويدا امهالا يسيرا كررها لغة في التسكين والتصبير وخالف لانه اوكد من مجرد
التكرار تمت سورة الطارق والحمد للخالق والصلوة على الكامل الصادق وآله
وصحبه المع شارق سورة الاعلى مكية وهي سبع عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم
سبح اسم ربك الخطاب عام اوله وامته تبع وكما يجب ان ينزه ذاته عما لا يليق من الاوصاف
فكذا الاسماء الدالة عليه تحمل على معاني الكمال والجلال وتصان عن التأويلات الزائغة
وان لا تذكر الا على وجه التعظيم تأدبا بآداب الله الا ترى الى قوله ولله الاسماء
الحسنى كيف يرشد الى ذلك الاعلى الاولى جعله صفة للاسم ويجوز ان يكون وصفا
للرب عن عقبة بن عامر لما نزل فسبح باسم ربك العظيم قال لنا رسول الله اجعلوه في
ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوه في سجودكم الذي خلق فسوى خلق
كل شيء فسواه بان جعل له ما يتأتى كماله به ويتم معاشه والذي قدر الاشياء اجناسا
وانواعا واشخاصا فهدى بنصب الدلائل والالهام وارسال الرسل وانزال الآيات
قرأ الكسائي قدر مخففا من القدرة والتشديد بدايع واوفق بسائر الآيات والذي
اخرج المرعى النبات الذي يرعاه الدواب فجعله غثاء احوى حطاما اسود بعد خضرته
ورفيفه والاولى جعل احوى حالا من المرعى اى اخرجه اسود من شدة الخضرة والفصل
بين الحال وصاحبها ليس اجنبيا وفي تقديمه اشارة الى سرعة طريان الجفاف كانه قبل ان
يتم رفيفه يصير غثاء سنقرئك فلا تنسى كانه لما امر بتنزيه اسمه خالج قلبه خوف
النسيان فبشره تعالى بكمال قوة الحافظة بان لا ينسى شيئا الا ما شاء الله نسيانه ولا بأس
نسيانه عليه في ذلك وفي الحديث انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني او
الا ما شاء الله نسيانه برفع تلاوته وحكمه وقيل نفي النسيان رأسا وقيل نهي والالف
للفاصلة انه يعلم الجهر وما يخفى وقد علم خوفك من النسيان ولذلك ازاله عنك او ما لم

بالأحوال ولذلك ننسي ما فيه حكمة ومصلحة او يعلم جهرك في القراءة مع جبريل مخافة فوت شيء
منه فلذلك ضمن لك حفظه ﴿ونيسرك لليسرى﴾ نوفقك للطريقة التي هي ايسر الطرق وهي
شريعته التي لا اصر فيها ولا اغلال كما قال عليه السلام جئتكم بالحنفية السمحاء لو كان
ابن عمران حيا لما وسعه الا اتباعي عطف على سنقرئك وقوله انه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض
﴿فذكر﴾ اشتغل بالتذكير بعدما استتب لك التيسير ﴿ان نفعت الذكرى﴾ كان مأمورا بالتبليغ
والدعوة نفعت الذكرى او لم تنفع فلما دعاهم وبلغ في ذلك اقصى جهده حتى قال له لعلك
باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين اشار الى استبعاد النفع فيهم كانه قال لما امرت به لو جرب
كانوا اهل الطبع او المعنى ذكر المؤمنين واعرض عن هؤلاء فان الذكرى تنفع المؤمنين يؤيده
قوله ﴿سيذكر من يخشى﴾ يخشى الله فانه يتفكر في الآيات ويتعظ بالمواعظ ﴿ويتجنبها
الاشقى﴾ اي الكامل في الشقاوة وهو الكافر وافعل للزيادة المطلقة لدخول الفاسق
في السعداء في قوله فمنهم شقي وسعيد ﴿الذي يصلى النار الكبرى﴾ نار جهنم في مقابلة
النار الصغرى وهي نار الدنيا او الدرك الاسفل ﴿ثم لا يموت فيها﴾ فيستريح ﴿ولا يحيى﴾ حياة طيبة
ثم للدلالة على ان كونه لا ميتا ولا حيا افظع من دخول النار روى مسلم عن ابي سعيد عن رسول
الله ان اهل النار الذين لا يريد الله اخراجهم لا يموتون فيها ولا يحيون والذين يريد الله رحمتهم
يميتهم فيها اماتة ثم يخرجون فيلقون في انهار الجنة ﴿قد افلح من تزكى﴾ تطهر من اوضار
الشرك والمعاصي او تكثر من صفات التقوى او تطهر للصلوة او ادى الزكوة والرواية
عن علي ان المراد زكوة الفطر لا يصح لان السورة مكية ولا عيد بها ولا فطر والاوجه حمله
على التزكي في الاعمال والاخلاص فيها لقوله ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه ﴿وذكر اسم
ربه فصلى﴾ ولا دلالة فيه على تكبيرة الافتتاح ليستدل به على خروجها عن الصلوة وجواز
قيام سائر الاذكار مقامها لتكبير ﴿بل تؤثرون الحيوة الدنيا﴾ الخطاب عام او خاص باهل
مكة والمضرب عنه فقد افلح او وذكر اي تؤثرون الحيوة الدنيا على الفلاح والذكر وقرأ
ابو عمرو بالغيبة باعتبار الاشقى اذ لم يرد به معين والخطاب اولى لقول ابن مسعود رضي
عجلت لنا الدنيا فآثرناها ولقراءة ابي بل انتم تؤثرون الحيوة الدنيا وفيه اشارة
الى قلة النفوس الكمل على اسلوب وقليل من عبادي الشكور ﴿والآخرة خير وابقى﴾ اذ نعم
الدنيا لا تشارك نعم الآخرة الا في الاسم مع سرعة زوالها ﴿ان هذا لفي الصحف الاولى﴾
المشار اليه جميع ما في السورة او قد افلح من تزكى الى خير وابقى والاول اتم واصح لما روى
النسائي عن ابن عباس ان رسول الله قال كلها ﴿صحف ابراهيم وموسى﴾ روى عن ابي ذر ان
رسول الله قال انزل الله تعالى مائة واربعة كتب على آدم عشر صحائف وعلى شيث خمسين
وعلى ادريس ثلثين وعلى ابراهيم عشرا والتورية والزبور والانجيل والفرقان تمت
سورة الاعلى والحمد لمن له الاسماء الحسنى والصلوة على صاحب المعراج والاسراء وآله
وصحبه اولي الفضائل والتقى سورة الغاشية مكية ست وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هل اتاك حديث الغاشية﴾ اي القيمة لانها تغشى الناس باهوالها وافزاعها ﴿وجوه يومئذ
خاشعة﴾ ذليلة ﴿عاملة ناصبة﴾ عملت في الدنيا وتعبت بلا نفع وقدمنا الى ما عملوا من عمل
فجعلناه هباء منثورا او عاملة في النار بجر السلاسل والاغلال ناصبة في الصعود و
الهبوط في جبال النار واوديتها وقيل هؤلاء نساك اليهود والنصارى اصحاب الصوامع
كانوا يحسبون انهم يحسنون صنعا ﴿تصلى نارا﴾ تدخلها وقرأ ابو عمرو وابو بكر بضم التاء
على بناء المفعول من اصليته ادخلته النار وهو ابلغ واوفق بقوله تسقى ﴿حامية﴾
في غاية الحرارة لان النار لا تكون الا حارة ﴿تسقى من عين آنية﴾ متناهية ﴿ليس لهم طعام
الا من ضريع﴾ جنس من الشوك يرعاه الابل ما دام رطبا فاذا يبس تحاماه وهو سم قاتل
ولا ينافيه الا من غسلين لاختلاف طبقات الاكلة لبعضهم الغسلين ولبعضهم
الضريع ولبعضهم الزقوم او بحسب الاوقات كمأكولات الدنيا في كل فصل يوكل ما
يلذ به جزاء على ما كانوا فيه من السفل في اللذات ﴿لا يسمن ولا يغني من جوع﴾ مرفوع
المحل او مجرور على وصف طعام او ضريع اي مع ما يقاسون منه في التناول لم يترتب
فائدة الاكل لان الغرض منه احد الامرين ﴿وجوه يومئذ ناعمة﴾ ذات بهجة ورونق
كقوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم ولم يعطف الوجوه على الوجوه عطف احد
الضدين على الآخر لان الاتيان بها على وجه الاعتراض استطرادا ﴿لسعيها راضية﴾
لما رأت من ثوابها ﴿في جنة عالية﴾ علو المكان او المقدار ﴿لا تسمع فيها﴾ للمخاطبة
او الوجوه ﴿لاغية﴾ كلمة ذات لغو او لغوا او نفسا تلغو فان كلام اهل الجنة ذكر وحكم
﴿فيها عين جارية﴾ اي عيون كثيرة كقوله علمت نفس وقيل التنكير للتعظيم ﴿فيها سرر
مرفوعة﴾ سمكا او قدرا ﴿واكواب﴾ اباريق لا عرى لها ﴿موضوعة﴾ عندها لكبراي اوسا
معتد له او موضوعة بين ايديهم لا يحتاجون الى الطلب او على حافات العيون لانها
الذ منظرا كما يتعاطاه اهل الشرب في مجالسهم ﴿ونمارق﴾ جمع نمرقة بضم النون
والراء وكسرهما وهي الوسادة ﴿مصفوفة﴾ بعضها الى بعض يجلس حيث اختار كما
يفعله الملوك في قصورهم لئلا يحتاجوا الى النقل ﴿وزرابي﴾ بسط عراض فاخرة وقيل
ما فيه خمل رقيق جمع زربية ﴿مبثوثة﴾ مبسوطة او مفرقة في المجالس ﴿افلا ينظرون
الى الابل كيف خلقت﴾ عاد الى ما افتتح به السورة من ذكر القيمة واهوالها ولما كان الكلام
مع العرب وجل ما لهم هي الابل ولم يزل تخيلتهم مشحونة بتخيل الماء والمرعى فكما
انتظم خيالهم الابل والمطر النازل من السماء المنبت في الجبال والاراضي الكلاء انتظم
الذكر على نحو ما انتظمه ذلك الخيال وفي خلق الابل واعضائها واخلاقها من التحمل على
المشاق وسرعة الانقياد مع عظم الجثة ما يقضي منه العجب حكى بعض الثقات ان قطارا منها
انقادت لو حدوها فاخذت فارة بحبل خطامها فدخلت به بيتها فتبعتها منها قال
بعض الادباء اردت ان اؤلف كتابا في شرح خلقها فتصورت اني لو فعلت جاء مجلدا

وإلى السماء كيف رفعت بلا عمد وإلى الجبال كيف نصبت نصبا راسخا لا تميل ولا تزول
في تلك المدد المتطاولة وإلى الأرض كيف سطحت حتى صارت مهادا سهل التقلب عليها
عليها فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر بمتسلط كقوله وما أنت عليهم بجبار
روى مسلم عن ابن عباس أن رسول الله قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله
فإذا قالوا عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله تعالى ثم قرأ إنما
أنت مذكر لست عليهم بمسيطر قرأ خلف عن حمزة بإشمام الصاد زايا وخلاد وجهان
الصاد الخالصة والإشمام وهشام بالسين وهو الأصل والباقون بالصاد وعليه
الرسم إلا من تولى وكفر استثناء منقطع أي لكن من أعرض وكفر فيعذبه الله العذاب
الأكبر عذاب الحريق في جهنم وقيل متصل فإن الجهاد مع الكفار تسلط عليهم وقيل
استثناء من فذكر أي فذكر إلا المعرض الكافر وما بينهما اعتراض إن إلينا إيابهم رجوعهم
ثم إن علينا حسابهم لا محالة سبق به الوعد وفيه تسلية له وتهديد لهم تمت
سورة الغاشية والحمد على نعمه الوافرة الوافية والصلوة على من شفاعته كافية
وعلى آله وصحبه صلوة زاكية سورة الفجر مكية وآيها تسع وعشرون آية بسم الله
الرحمن الرحيم والفجر هو الصبح أقسم به كما أقسم به في قوله والصبح إذا تنفس وعن عكرمة
ومحمد بن كعب هو فجر يوم النحر وقيل بتقدير المضاف أي وصلوة الفجر وليال عشر عشر
ذي الحجة قاله ابن عباس ومجاهد روى البخاري عن ابن عباس مرفوعا ما من أيام العمل
الصالح أحب إلى الله فيهن من عشر ذي الحجة قالوا ولا الجهاد يا رسول الله قال ولا
الجهاد إلا رجل خرج بماله ونفسه ثم لم يرجع بشيء منهما وإنما لم يعرف الليالي العشر
لأنها ليال مخصوصة فلو عرفت كانت اللام للعهد فلم تجانس السابقة واللاحقة
والشفع والوتر الأشياء كلها أو الخلق لقوله ومن كل شيء خلقنا زوجين وقد أكثروا
القول في المحتملات ولا طائل تحته وقرأ حمزة والكسائي الوتر بكسر الواو وهما
لغتان والفتح أخف ومصدر وترجحه بالكسر لا غير والليل إذا يسر إذا انقضى
ومضى كقوله والليل إذ أدبر أثبت ياءه ابن كثير في الحالين ونافع وأبو عمرو في الوصل
وحذفها الباقون اكتفاء بالكسر هل في ذلك قسم لذي حجر أي هل في الأشياء
المذكورة ما يحق عنده أن يكون مقسما به أو هل في الإقسام بها إقسام له وعلى الوجهين
أريد تعظيم المقسم به ويلزم منه توكيد المقسم عليه والاستفهام للتقرير والحجر العقل
لأنه يمنع صاحبه عن ارتكاب ما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لذلك وجواب القسم محذوف
أي ليعذبن دل عليه قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب ألم تر كيف فعل ربك بعاد
ألم تعلم والخطاب عام وكان هذا متواترا عند العرب وعاد هو ابن عوص بن إرم بن سام
بن نوح سميت أولاده عادا كما يقال لبني هاشم هاشم إرم ذات العماد إرم عطف
بيان لعاد وذلك أن أولاد إرم سموا عادا الأولى وقيل إرم بلدتهم وعلى الوجهين

منع الصرف للعلمية والتأنيث وإنما وصفوا بذات العماد لكونهم أهل خيام يسكنون
البادية أو لطول قاماتهم روي أن الرجل منهم كان أربعمائة ذراع فشبهت قدودهم
بالأعمدة والظاهر أن إرم اسم بلدة وذات العماد صفتها لما تواتر وكثر في الأشعار
ذكرها وقصتها أن عادا كان له ابنان شداد وشديد ملكا الأرض وقهرا الملوك
ثم مات شديد واشتغل شداد بالملك ملك الدنيا بأسرها بلا منازع فسمع
بذكر الجنة وكان عمره إذ ذاك ستمائة سنة فبنى مدينة عظيمة قصورها
من الذهب والفضة وأساطينها من اليواقيت والزبرجد في مدة ثلثمائة
سنة وفيها الأشجار والأنهار المطردة وكانت بأرض عدن فلما تم بناؤها
سار إليها بعسكره ليتمتع بذلك القصور والأنهار فلما كان بينه وبين المدينة
مسيرة يوم وليلة صاح بهم ملك صيحة هلكوا عن آخرهم وحكي أن عبد الله
بن قلابة خرج في طلب إبل له فاتفق دخوله فيها فحمل ما قدر عليه وأتى به
معاوية وأخبر الخبر والله أعلم التي لم يخلق مثلها في البلاد صفة أخرى لإرم
وهذا أيضا يؤيد أنها اسم البلدة إذ لو كان اسم القبيلة كان المناسب لم يخلق مثلهم
في العباد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد قطعوا الصخر واتخذوا فيها بيوتا
كقوله وتنحتون من الجبال بيوتا قيل نحتوا من الجبال ألفا وسبعمائة مدينة بالوادي
وادي القرى أثبت البزي وقنبل في أحد وجهيه الياء في الحالين وورش وقنبل
في الوجه الآخر في الوصل وحذفها الآخرون وفرعون ذي الأوتاد سمي به لكثرة
جنوده إما لأن الجنود كالأوتاد للأمر على التشبيه أو لكثرة خيامهم أو لأنه كان
يعذب بالأوتاد وهذا أشهر الذين طغوا في البلاد صفة المذكورين من عاد
وثمود وفرعون مرفوع أو منصوب فأكثروا فيها الفساد تفسير لطغيانهم فصب
عليهم ربك سوط عذاب الإضافة بمعنى من أي سوطا منه والمراد تقليل ما أصابهم
في جنب عذاب الآخرة ولذلك روي عن الحسن أنه لما تلاها قال إن عند الله أسواطا
كثيرة وقيل ما أغلظ منه وذكر السوط كناية عنه والأول أوفق بسائر الآيات
واشد تعويلا إن ربك لبالمرصاد مفعال من رصد إذا ترقبه كناية عن عدم
الفوت فأما الإنسان متعلق بقوله إن ربك لبالمرصاد كأنه قيل إن الله تعالى يرصد
العصاة بالعقوبة والإنسان لا يهمه إلا العاجلة إذا ما ابتليه ربه اختبره
بالغنى فأكرمه ونعمه بالمال والجاه فيقول ربي أكرمن مفتخرا بذلك متبجحا
ولم يتلقه بالشكر وأما إذا ما ابتليه فقدر عليه رزقه ضيقه عليه وقرأ
ابن عامر وقدر بتشديد الدال والمخفف أخف وأوفق بقوله ومن قدر عليه رزقه فيقول
ربي أهانن لقصور نظره إلى الحطام ولم يدر أن الدنيا لا تساوي عند الله جناح
بعوضة وأن التعسير قد يؤدي إلى كرامة الدارين ولذلك رواها عن أكثرهم صفتا

اثبت نافع في الوصل والبزي في الحالين ياء اكرمن واهانن ولابوعمرو وجهان الحذف
والاثبات وحذفها الباقون اكتفاء بالكسر كلا ردع للانسان عن هذا القول ثم
اشار الى انه مرتكب ما هو شر من هذا القول بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على
طعام المسكين لا تتفقدون اليتيم بالاحسان ولا تحثون انفسكم ولا غيركم على طعام
المسكين من غاية الشح وقلة الشفقة وقراء الكوفيون بفتح التاء والحاء والالف بعد
من التفاعل حذف منه احدى التائين اي لا يحث بعضهم بعضا وهذا ابلغ لدلالته
على انه لا يفعلون المعروف ولا يأمرون به وتاكلون التراث الميراث اصله وراث
قلبت الواو تاء كما في تجاه اكلا لما ذا لم اي جمع بين الحلال والحرام لانهم كانوا لا يورثون
النساء ويعولون المال لمن يحمي الحريم او ياكلون ما جمعه المورث من الحلال والحرام لا
يميزون بينهما او يسرفون في انواع الماكل والفواكه كما يفعله الآن الوارث لانه لم يتعب
في تحصيله وتحبون المال حبا جما شديدا مع الشره والحرص ومنع الحقوق وقراء
ابو عمرو الاربعة الافعال بالياء غيبة والخطاب ابلغ تقريعا كلا ردع لهم وانكار
لفعلهم اذا دكت الارض دكا دكا دكا بعد دك حتى يصير هباء منبثا وعيد لهم
على تلك الافعال التي يتحسرون على تركها حين لا ينفع وجاء ربك مثل حاله في ظهور اثار
قدرته وسلطانه وتوجه ارادته الى الانتقام من المجرمين بحال ملك اعتنى بقهر
اعدائه فلم يكتف بالجند والعساكر بل باشر بنفسه والملك صفا صفا اي الملائكة
كلهم صفا بعد صف على قدر مراتبهم محدقين بالانس والجن وجيء يومئذ بجهنم
روى مسلم والترمذي عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
يؤتى بجهنم لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يومئذ بدل من اذا دكت
والعامل فيهما يتذكر الانسان ما فرط منه او يتعظ وانى له الذكرى استبعاد لها
من حيث النفع لتلافيه تنافي ما يتقدمه ومن استدل به على عدم وجوب قبول التوبة فقد
ابعد عن الصواب لان عدم قبولها ليس بناء على عدم وجوب القبول بل لفوات الوقت بانقطاع
التكليف يقول يا ليتني قدمت لحياتي هذه وهي حيوة الآخرة او وقت حيوتي في الدنيا
كقولك جئت لعشر خلون من رجب وهذا من تمني المحال وفيه دلالة على ان للانسان
اختيارا في افعاله فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد الضمير لله اي
لا يتولى عذاب الكافر ولا ابنائه احد غيره تعالى ففيه هول نعوذ بالله من غضب الحليم او للكافر
اضافة للمصدر الى المفعول اي لا يعذب الزبانية احدا من خلق الله مثل تعذيبه الاشقى
وقراء الكسائي بفتح الذال والثاء والعذاب بمعنى التعذيب والوثاق بمعنى الايثاق كالسلام بمعنى
التسليم والعطاء بمعنى الاعطاء والضمير للانسان والمعنى كالوجه الثاني في قراءة الكسر
يا ايتها النفس المطمئنة المؤمنة التي اطمانت في الدنيا الى ذكر الله الا بذكر الله تطمئن
القلوب او الآمنة من الخوف والحزن القائلة يا ليتني قدمت لحيوتي حسرة وتحسرا وهذا اما

وهذا اما عند الموت او البعث او دخول الجنة ارجعي الى ربك راضية بما اوتيت من الا
لاءت مرضية عند الله فادخلي في عبادي في زمرة عبادي الصالحين وادخلي جنتي
دار كرامتي ومقر اوليائي تمت والحمد لله لمن نعمه عمت والصلوة على من به الرسل تمت

سورة البلد مكية وايها عشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بهذا البلد اقسم
تعالى بالبلد الحرام الذي هو اشرف الاماكن حرمه يوم خلق السموات والارض على ان
الانسان مخلوق في كبد مستغرق في الشدائد واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله
وانت حل بهذا البلد دلالة على ان من المكابدة كون مثلك حلا اي مستحلا حرمته في مثل
هذه البلدة التي لا يجوز التعرض لنباتها فضلا عن صيدها وفيه تسلية له واشارة الى
ان سوء صنيع المشركين قد بلغ الغاية القصوى فيقع الذم الآتي لهم في حاق موقعه او
وعد له بفتح مكة تسلية له بان ما يقاسيه من الاذى والمكابد عاقبته الظفر وحل البلد
الذي لم يحل لاحد قبله ولا لاحد بعده يفعل فيه ما يشاء قتلا ونهبا وفيه من اجلال
قدره ما ترى ونظيره في الاستقبال انك ميت وقولك لمن تعده انت مكرم ووالد
وما ولد وآدم وذريته او ابراهيم موسس البلد واسمعيل ومحمد وذريته
الطاهرة والعدول الى ما للدلالة على الوصفية فيفيد فخامته كقوله والله اعلم
بما وضعت لقد خلقنا الانسان في كبد اي في شدة ومشقة لان اول احواله ضيق
الرحم وآخرها الموت وضيق القبر وما بعده من كبد الرجل اذا وجع كبده ثم اتسع فيه
فاطلق على كل مشقة ايحسب الانسان ان لن يقدر عليه احد يظن هذا الصنديد
القوي ان لن تقوم القيمة ولا يقدر احد على الانتقام منه ثم ذكر ما يقوله في ذلك
اليوم يقول اهلكت مالا لبدا كثيرا من تلبد الشيء اذا اجتمع يريد ما كان ينفقه
رياء وسمعة مما كانوا في الجاهلية ينفقونه مفاخرة والمعنى على العموم وان نزلت
في ابي الاسد بن كلدة فانه كان قويا يبسط الاديم العكاظي تحت قدميه ويقوم عليه
ثم يقول لمن زاله عنه فله كذا فينقطع ويبقى ما تحت قدميه وقيل نزلت في الوليد
ايحسب ان لم يره احد حين ينفق ما ينفق رياء وفخرا اي ان الله كان رقيبا عليه الم
نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا يترجم به ويعبر به عن مقاصده وشفتين زينة
ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وهديناه النجدين طريقي الخير والشر
كقوله انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا والنجد ما ارتفع ففيه اشارة الى غاية
الايضاح والبيان وقيل هما الثديان فان العرب يقسم بها يقولون ونجديها فالبطن
كالغور وهما نجدان فلا اقتحم العقبة بعد هذه النعم وما ادراك ما العقبة ابهمه على
وجه الاعراض ثم فسره بقوله فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة
او مسكينا ذا متربة العقبة ما صعب من طرق الجبال كني به عن صعوبة هذه الاعمال على
النفس ولذلك عبر عن الاتيان بها بالاقتحام الذي هو الدخول في الشيء عنفا من القحمة وهي

التدع والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب
وترب اذا افتقر فكانه التصق بالتراب والمعنى ان الانفاق عند الله هو هذا لا ما افتخر
به ذلك المارد وقدم فك الرقبة لانه اقرب القربات روى مسلم والبخاري
عن عمرو بن عبسة ان رسول الله قال من اعتق رقبة مسلمة كانت له فكاكا من النار
عضوا بعضو وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة فك واطعام مصدر مضاف
الى المفعول بالرفع على الخبرية والباقون بالفعل بدلا من اقتحم ولا مكررة تقديرا اي
لا فك ولا اطعم على ان تكررها غير لازم كقوله فلا صدق ولا صلى انما يدل على الوقوع
دون اللزوم ثم كان من الذين آمنوا عطف على اقتحم اي لا اقتحم ولا آمن ولا يلزم كونه
خارجا منه بل لكونه اشرف الاجزاء واساس سائرها خص بالذكر مع ثم دلالة على انافة
محله وتواصوا بالصبر عن المعاصي وعلى مشاق الطاعات وتواصوا بالمرحمة الشفقة
على خلق الله اولئك اصحاب الميمنة اليمين او اليمن والذين كفروا باياتنا هم
اصحاب المشأمة الشؤم او الشمال عليهم نار مؤصدة مطبقة وقرأ ابو عمرو وحمزة
وحفص بالهمز يقال اوصدت الباب واصدته اذا اغلقته والواو افصح لاتفاقهم في
الوصيد تمت سورة البلد والحمد لمن وفق وسدد والصلوة على السيد الاوحد وآله
وصحبه الى آخر الامد سورة الشمس مكية وآيها خمس عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم
والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها تلا الشمس في النور والكمال ليلة البدر فانه
يظهر سلطانه لوقت الضحى للشمس او تلا الشمس اخذا من نورها وذلك في النصف الاول
من الشهر واما في النصف الثاني فلو تلو لانه مفارق او تلا طلوعه طلوعها والنهار
اذا جلاها اي الشمس على التقابل كما جعل الليل غاشيا للشمس جعل النهار مجليا لها فانها
تظهر غاية الظهور اذا انبسط النهار وقيل الضمير للظلمة او الدنيا او الارض والليل
اذا يغشاها يغشى الشمس فيستر ضوءها بظلامه ولما كانت واوات العطف نائبة للواو
القسمية الجارة بنفسها قائمة مقام الفعل سادة مسده بحيث اطرح ذكره رأسا
بخلاف الباء جاز ان يكون عوامل على الفعل والجار معا كقولك ضرب زيد عمرا وبكر خالدا
من غير عطف على عاملين مختلفين هذا ويرد عليه والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس
فانه عطف على المجرور بالباء والحق ان الظرف ليس متعلقا بفعل القسم لان التقييد بالزمان
غير مراد لا حالا ولا استقبالا بل المعنى وعظمة الليل وقت غشيانه لان الاقسام بالشيء
اعظام له والسماء وما بناها ما ليست مصدرية لقوله فالهمها بل موصولة وايثارها
على من لارادة الوصف فتفيد فخامة كانه قال والسماء والقادر العظيم الذي بناها
وكذا يقدر فيما يناسب في غيرها والقول باضمار العائد اليه تعالى العلم به مفوت لتلك
الفخامة والارض وما طحاها دحاها وبسطها ونفس وما سواها هي نفس آدم والتنكير
للتكثير اي كل نفس وتسويتها خلقها في احسن تقويم فالهمها فجورها وتقواها ارشدها

الى طريق الخير والشر وتقديم الفجور للدلالة على انه بقدرته وارادته ايضا لا
بناء على مدخلية قدرة العبد كسبا فان قلت التسوية خلق الاعضاء وتعديلها والافاضة
الروح والقوى والهام الفجور والتقوى انما يكون بعد البلوغ وتوجه التكليف و
الفاء تقتضي التعقيب من غير تراخ قلت التعقيب امر عرفي ولما كان تكامل القوى في
البلوغ فكانت التسوية قبله قد افلح من زكاها طهرها من دنس الاخلاق الذميمة وانماها
بالاعمال السنية جواب القسم حذف منه اللام لطول الفصل وقيل مستطرد لذكر
بعض احوال النفس والجواب محذوف اي ليدمدمن الله على كفار مكة كما دمدم على ثمود
وقد خاب من دساها اخفاها واطفأ نور الفطرة بظلمات المعاصي اصله دسس
قلبت الثالثة ياء كما في امليت وتقضى البازي واسناد التزكية والتدسية الى العبد
انما يقتضي القيام به لا الاستقلال ولا الايجاد فلا دليل فيه للقدرية على ان الارجح
عود المستتر اليه تعالى والبارز المنصوب الى من او النفس لما روى زيد بن ارقم عن
رسول الله انه قال اللهم آت نفسي تقواها وزكها انت خير من زكاها كذبت
ثمود بطغواها اسم بمعنى الطغيان ولذا قلبت ياؤه واوا فرقا بينه وبين الصفة
اي كذبت بسبب طغيانها او بعذابها الموعود ذي الطغوى كقوله فاما ثمود فاهلكوا
بالطاغية والباء صلة اذ انبعث اشقاها اشقى ثمود قدار بن سالف او هو و
من وافقه لان اسم التفضيل اذا اضيف صلح لما فوق الواحد فقال لهم رسول الله
ناقة الله نصب على التحذير ولما اضاف الناقة اليه تشريفا ذكر صالحا باسم الرسول
واضافه لانه اولى بالاجلال وسقياها لا تذودوها عنه فكذبوه فيما حذرهم
من نزول العذاب فعقروها فدمدم عليهم ربهم اطبق عليهم العذاب وعمهم به
تكرير دم الشيء كبسه نحو كبكب في كب وقيل غضب من الدمدمة وهو الكلام المزعج
وقيل رجف الارض بهم بذنبهم بسبب ذنبهم فسواها اي العقوبة بينهم عموما
او سوى ثمود بالارض ولا يخاف عقباها عقبى الدمدمة او التسوية الواو للحال اي
فعل ذلك والحال انه غير خائف من عاقبة فعله كبعض الملوك وقرأ نافع وابن عامر و
بالفاء والواو ابلغ روى البخاري ومسلم عن عمار بن ياسر ان رسول الله قال لعلي
رضي الله الا اخبرك باشقى الناس قال بلى قال احمر ثمود عاقر الناقة والذي يضربك
على هذا واشار الى قرن رأسه حتى تبل منه هذه يريد لحيته تمت والحمد لمن الآلاء و
عمت سورة والليل مكية وآيها احدى وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم والليل اذا
يغشى بظلامه كل ما يواريه او النهار او الشمس والنهار اذا تجلى تبين وتكشف بانكشاف
الليل عنه وما خلق الذكر والانثى والقادر الذي خلق الزوجين من كل نوع او آدم
وحوا ويجوز ان يكون ما مصدرية وقرأ ابن مسعود وابو الدرداء رضي الله عنهما
والذكر والانثى ان سعيكم لشتى جمع شتيت جواب القسم اي ان مساعيكم مختلفة الاغراض

مباينة الجزاء ثم فصل بما على انه فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ اعطى الطاعة
في حقوق الله تعالى واتقى المعصية وصدق بالتوحيد او الجنة فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ فسنوفقه
للخلة التي تؤدي به الى اليسر والراحة وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ بحقوق الله وَاسْتَغْنَىٰ بالحطام الفاني
وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ بالنعيم الباقي والتوحيد فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ فنخذله ونذله على
الطريقة التي اختارها واطلاق التيسير للمشاكلة وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ سقط
في حفرة القبر او في قعر جهنم او مات من الردى وهو الموت نفي او استفهام انكار إِنَّ عَلَيْنَا
لَلْهُدَىٰ الدلالة والارشاد الى طريق الصواب بشرع الاحكام وبيان الحلال والحرام وَإِنَّ
لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ نعطي ما نشاء لمن نشاء او لنا الغنى المطلق لا ينفعنا طاعة ولا يضرنا
معصية فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ تتلهب لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ واعرض عنه
وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى للحصر فيه ادعائي كان غير هذا الاشقى لا يصليها وغير هذا الاتقى
لا يجنب لاتفاق الكل على انها نزلت في ابي بكر وامية بن خلف حين اشترى منه بلالا ببرد
وعشر اواق وقيل ابي جهل وامية وابي بكر فالاشقى لم يرد به واحدا واما تفسير
الصلي بالتزوم فلا يدل عليه اللفظ ويلزم منه ان الشقي لا يلزمها وينافيه
واما الذين شقوا ففي النار خالدين فيها الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ في مصارف الخير يَتَزَكَّىٰ من
الزكاء اي يطلب ان يكون عند الله زكيا لا رياء او من الزكوة بدل من يؤتي داخل في
حكم الصلة او حال من فاعله وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ قيل لما اشترى بلالا
قالوا ما اشتراه الا ليد له عليه وعن ابن الزبير ان ابا بكر رضي الله كان يشتري
الضعفة فيعتقهم فقال له ابوه لو اشتريت الاقوياء إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ
منقطع اي لكن ابتغاء وجه ربه او متصل مفعول له عن محذوف اي لا يؤتي ماله
الا ابتغاء وجه ربه وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ بما يعطيه عينه وعد جميل وفي ابهامه ما لا يخفى

سورة الضحى مكية وهي احدى عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم وَالضُّحَىٰ اي وقت
الضحى وهو حين ارتفاع الشمس وظهور سلطانه وقيل اقسم به لانه وقت غلبة موسى
فرعون لقوله وان يحشر الناس ضحى وقيل جميع النهار لقوله تعالى ان ياتيهم بأسنا ضحى
في مقابلة بياتا وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ سكن متعد من سجيته او سكن من سجى البحر اي سكن موجه
او سكن ظلامه واستقر قدم الليل تارة باعتبار الاصل فان الليالي غرر الايام والنهار
اخرى باعتبار الشرف مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ جواب القسم اي ما تركك ترك المودع وَمَا قَلَىٰ ما
ابغضك من القلى بكسر القاف مقصورا روى البخاري عن جندب البجلي ان رسول الله
اشتكى فلم يقم ليلتين او ثلثا فجاءت امرأة فقالت يا محمد اني لارجو ان يكون
شيطانك قد تركك فانزل الله تعالى والضحى وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ اي الاوقات
المستقبلة خير لك من الايام الماضية فانه يعلو شأنك فيها ويظهر دينك على سائر
الاديان وترى الناس يدخلون في دين الله افواجا وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ في الدارين

في الدارين فَتَرْضَىٰ بحيث لا يبقى لك طلب بعد تلك العطية وانما حذف المفعول لغرض العموم
فيشمل مقام الشفاعة وسائر المزايا التي تخصه واللام للابتداء دخل الخبر بعد حذف
المبتدا والتقدير لانت سوف يعطيك لا للقسم فانها لا تدخل على المضارع الا مع النون
وجمع مع سوف للدلالة على ان العطاء كائن لا محالة وان تاخر لحكمة أَلَمْ يَجِدْكَ
يَتِيمًا فَآوَىٰ من الوجود بمعنى العلم والاستفهام للتقرير اي قد كنت يتيما اي قبل مات ابوك
وهو جنين اتى عليه ستة اشهر فلما ولد كان في حجر امه وفي حوطة عبد المطلب جده الى
ان بلغ عمره ثماني سنين مات عبد المطلب وامه فعطف الله تعالى عليه عمه ابا طالب
وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ قيل اضلته ظئره حليمة عند باب مكة وقيل ضل في بعض
شعاب مكة فرده ابو جهل الى عمه ابي طالب وقيل ضل في طريق الشام اضلته ابليس حول
راحلته فرده جبريل الى الركب وكنت ضالا عن علم الشرائع والاحكام وما طريقه
السمع ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ كنت عديم المال
فاغناك بمال خديجة رضي الله عنها او احل لك الغنائم ولم يحلها لاحد قبلك او كنت
مبعوثا الى الاحمر والاسود فاغناك بكثرة المعارف وهو القرآن فيخرج امتك من فرائد درره
الى اخر الدهر عدد عليه بعض نعمه السابقة تقريرا لقوله وللاخرة خير لك من الاولى
لانه اذا كانت هذه عنايته معه ولم يكن لابس الخلعة رسالته فكيف به وقد ارسله للناس
كافة بشيرا ونذيرا فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ لا تظلم في حقه وتعطف عليه واذكر حالك في
اليتم وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ لا تزجر يشمل الفقير والمسترشد في دينه وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ
فَحَدِّثْ فان اشاعتها شكرها روى ابو داود عن جابر رضي الله ان رسول الله قال من اعطي عطاء
فوجد فليكافئ فان لم يجد فليثن به فمن اثنى فقد شكر ومن كتم فقد كفر ولما من الله عليه
بتلك الخلال ارشده وحثه على تلك في مقابلتها ليكون متخلقا باخلاق الله ويقتدي به
في ذلك امته تمت سورة الضحى والحمد لله المعطي والصلوة على المجتبى واله وصحبه الانقياء

سورة الم نشرح لك مكية وهي ثمان آيات بسم الله الرحمن الرحيم أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ
اي شرحنا لان انكار النفي اثبات والمعنى نورنا صدرك بنور النبوة حتى وسع علم الاولين
والاخرين روى البخاري عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه ان رسول الله اخبر عن ليلة اسري
به قال فجاء جبريل بطست من ذهب مليء حكمة وايمانا فشق من نغرة نحري الى مراق بطني
فاخرج قلبي وشقه ثم غسله بماء زمزم فحشاه حكمة وايمانا او نزل فيه الاجمال والتفصيل
مبالغة في الايضاح وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ما كان يثقل عليك من عدم العلم بالحكم
والاحكام او ما كنت ترى من ضلال قومك مع عدم الاهتداء الى ما ترشدهم اليه او ما كنت
تلقى من الشدة عند تلقي الوحي خوفا من فوت شيء منه فضمنا لك حتى سكن روعك الَّذِي
أَنقَضَ ظَهْرَكَ من النقيض وهو صوت الرحل من ثقل الحمل مثل حاله به كناية عن غاية الشدة
وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ في الدارين بانك سيد المرسلين وخاتم النبيين ونعتك في زبر الاولين

واسمه معروف باسم رب العالمين براءة من الله ورسوله اطيعوا الله ورسوله ومن يطع الله
ورسوله عدد عليه بعض جلائل نعمه ثم قال فان مع العسر يسرا كانه قال اذا كنت بهذه
الرتبة عندنا فلا تبال بقول من قصر نظره على حطام الدنيا معيّرا لك ولاصحابك بضيق
ذات اليد فانكم سترون عن قريب يسرا واى يسر ودل على القرب بلفظ مع الدال على المقارنة
والمصاحبة ان مع العسر يسرا استيناف والبسر الثانى غير الاول على قانون النكرة المعادة
وترجيحا التاكيد على التاسيس وحملا لكلام الله تعالى على ابلغ الاحتمالين مع اقتضاء المقام
زيادة التسلية والتنفيس ولما روى مرفوعا انه قال لن يغلب عسر يسرين فان قلت فما يعنى
فى معنى الحديث من حمل الثانى على التاكيد وجعله مثل قولك ان زيدا قائم ان زيدا قائم
قيت يحمل اليسرين على يسر الدنيا والاخرة فان قلت كان الواجب تعريفه لانه الاول كالعسر
قلت ذلك ليس بواجب بل اكثرى عدل عنه للتفخيم فاذا فرغت فانصب فاذا فرغت من عبادة
اتبعها باخرى ليكون شكرك على وفق النعم واشار بلفظ النصب وهو التعب الى الترقى كما فى
جانب النعم بقوله وللاخرة خير لك من الاولى وعن ابن عباس اذا فرغت من الصلوة فاجتهد
فى الدعاء وذلك لان الصلوة عماد الدين والدعاء مخ العبادة وعن الحسن اذا فرغت
من الغزو فاجتهد فى العبادة وكانه لاحظ قوله رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر
والى ربك فارغب فى مطالبك لا الى غيره لعلمك بتفرده بالتاثير لا ينتهى احد الكل
منه وبه واليه فتوكل عليه تمت بحمد الله والصلوة على افضل خلق الله سورة
التين مكية وهى ثمان ايات بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون وطور
سينين اقسم بجبال الارض المقدسة والاولان سميا باسم الشجرتين النابتين بهما
والطور هو الجبل الذى كلم الله تعالى عليه موسى وسنين وسيناء اسم البقعة التى بها
الجبل قال ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس وقيل اراد الشجرتين
لكثرة منافعهما وليس بقوى لان النخلة اشرف الاشجار حتى قال رسول الله فى مدحها
مثلها مثل المسلم ولعدم الملائمة بين المعطوف والمعطوف عليه وهذا البلد الامين
الحافظ داخله هى مكة شرفها كانه قال والارض المباركة دينا ودنيا والبلد الذى
من دخله كان آمنا فى الدارين وفيه نجح الترقى اذ لا مطمح وراء امن الدارين لقد خلقنا
الانسان فى احسن تقويم تعديل شكله وصورته لا ترى فى الكائنات احسن منه حتى يبلغ
منه سن الملاحة حتى يعجز الواصف عن ابرازه نطقا ثم رددناه اسفل سافلين
وهو الكافر فى النار سنه مثل احد ويجر شفته على الارض والوجه اسود مظلم وما
بين كتفيه ما بين مكة والمدينة عافانا الله اورددناه فى الدنيا بعد ذلك الحسن
والجمال اسفل من سفل نقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد اسوداده وكل
سمعه وبصره وتناقضت قواه وعقله وانفه من كان يحبه الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
استثناء متصل على الاول ولظاهر الاتصال منقطع على الثانى اى لكن الذين آمنوا وكانوا

صالحين من الهرمى فلهم اجر غير ممنون غير مقطوع بل يجرى عليهم ثواب الاعمال التى
كانوا يعملونها وهم اقوياء فما يكذبك بعد بالدين الخطاب للانسان اى بعد من
الدلائل المشاهدة اى شئ يجعلك كاذبا بالاعادة فان مكذب الحق كاذب والباء
للسببية اولرسول الله التفاتا له اوتعريضا بالمكذبين اى بعد هذا البيان لا يكذبك
شئ كهؤلاء الذين لا يبالون بايات الله تعالى وعلى الاول استفهام توبيخ اليس الله باحكم
الحاكمين اى اليس ذلك الموصوف اقدر من كل قادر فما وجه انكار الاعادة بعد الخلق
واثر الاسم الاعظم دلالة على ان ذلك من خواص الالوهية تمت سورة التين والحمد لله
رب العالمين والصلوة على سيد المرسلين واله وصحبه اجمعين سورة اقرأ وهى تسع
عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ باسم ربك الجار فى محل النصب على الحال اى اقرأ
حال كونك مفتتحا قراءتك باسم الله الذى خلق خلق الانسان اى خلق كل شئ ثم خص
الانسان لاشرف البرية والمقصود بالانزال او المراد خلق الانسان او ترك فيه الابهام
والتفسير وفيه اشارة الى انه مخلوق للقراءة والدراية من علق جمع باعتبار الافراد
اقرأ تكرير للاول وهو مجزوم لانه اول امر ورد بالقراءة ولانكار القراءة بقوله ما
انا بقارئ وقيل الاول لنفسه والثانى للتبليغ او الاول خارج الصلوة والثانى فيها
وربك الاكرم على الاطلاق وذكر مع غيره تكلف فى جزئى لغرض الذى علم بالقلم دليل
على اكرميته لان كل عطية دون العلم والمعرفة كنقطة من المحيط وقل رب زدنى علما
ورمز فى ضمن ذلك الى فضل الكتابة لانها آلة التعليم وضابطة الحكم وفى المثل العلم
صيد والكتابة قيد علم الانسان ما لم يعلم ما لا يمكنه علمه الا بالتعليم كلا ردع
للانسان الذى قابل جلائل النعم بالكفر والطغيان ان الانسان ليطغى ليتجاوز عن حده
ان رآه استغنى لان رأى نفسه غنيا اى علم ولذلك جاز ان يكون الفاعل والمفعول
ضميرين لشئ واحد وذلك من بعض خصائص فعل القلب ان الى ربك الرجعى خطاب لذلك
الانسان الطاغى التفاتا لكونه ابلغ تحذيرا والرجعى مصدر كالبشرى ارأيت الذى
ينهى عبدا اذا صلى روى الترمذى والنسائى عن ابن عباس رضى الله عنه ان ابا جهل قال
هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم قالوا نعم قال والذى يحلف به لئن رايته لاطأن عنقه
فمر به وهو يصلى عند المقام فتوجه اليه والمشركون ينظرون اليه فما راوه الا وهو ينكص
على عقبيه ويتقى بيده فقيل له ما بدا لك فقال رايت بينى وبينه خندقا من نار وهولا
واجنحة فقال رسول الله لو دنا منى لاختطفته الملئكة عضوا عضوا ارأيت ان كان على
الهدى او امر بالتقوى ارأيت تكرير للاول والشرط مفعوله الثانى وحذف منه الجواب لدلالة قوله
الم يعلم عليه وحذف المفعول الاول لظهوره ارأيت ان كذب وتولى مقابل للاول المقابل
الشرطين والمعنى اخبرنى بامر له ادنى تميز عن حال من ينهى عبدا يصلى ان كان ذلك الناهى
على طريق الرشاد او امر بالتقوى فى امره بعبادة الاوثان او اخبرنى ان كان مكذبا معرضا الم يعلم

بان الله يرى ويشاهد وسوق الكلام على طريقة التنصيف والتهكم لان الناهي عن الصلوة ليس على هدى
قطعا وكذا كونه مكذبا معرضا مجزوم مرتبه كلا ردع للناهي لئن لم ينته لنسفعا بالناصية
لناخذن بناصيته ولنجرنه الى النار والسفع القبض على الشيء وجره بعنف قال عمرو بن
معدي كرب قوم اذا يقع الصريخ رايتهم ما بين ملجم مهره او سافع ناصية كاذبة خاطئة
بدل من الاول وحسنته الوصف وكان اوفى بالمقصود لدلالته على علة السفع وانما
الكذب والخطاء للناصية مجاز حكمي وتخصيصها لانها اشرف الاعضاء فليدع نادية
عن ابن عباس ان اباجهل لما لم يقدر ان يقرب رسول الله توعده بالكلام فاغلظ له
رسول الله فقال اتهددني يا محمد وانا اكثر اهل الوادي ناديا اراد عشيرته فسماهم باسم
مجلسهم ومجمعهم سندع الزبانية عن قريب بجره الى النار جمع زابن او زباني
او زبنية كعفرية قال الاخفش العرب لاتكاد تعرف هذا بل يجعله من الجمع الذي لا
واحد له مثل ابابيل واصل الزبن الدفع كلا ردع للناهي ايضا لاتطعه الخطاب لرسول الله
اي دم على عصيانه واسجد ودم على الصلوة ولاتبال بالناهي واقترب بها فانها اقرب
اليه او بالسجود لما روى مسلم عن ابي هريرة ان رسول الله قال اقرب ما يكون العبد من
ربه وهو ساجد تمت سورة العلق والحمد لمن خلق والصلوة على من في مضمار الشفعا
سبق وآله وصحبه ما الليل وسق سورة القدر مدنية وايها خمس ايات بسم الله الرحمن الرحيم
انا انزلناه في ليلة القدر فخم شان القران بان خص انزاله به وبالاضمار لانه العلم
الذي لا يذهب الوهم الى غيره وبزمان نزوله اتفقوا على ان القران نزل به جبرئيل في ليلة القدر
الى بيت العزة في سماء الدنيا فكتبه السفرة ثم نزل منجما في ثلث وعشرين سنة وتسمية
ليلة القدر لان الامور المتعلقة بذلك العام واقدارها تكتب من اللوح فيها وتدفع
الى الملئكة وما ادريك ما ليلة القدر لم تبلغ درايتك كنه فضلها ثم بينه بقوله
ليلة القدر خير من الف شهر اي القيام بالعبادة فيها خير من القيام بالعبادة في
الف شهر خالية عنها عن مجاهد ذكر رسول الله رجلا في بني اسرائيل لبس السلاح في
سبيل الله الف شهر فتعجب المسلمون فنزلت وروى البخاري ومسلم عن ابي هريرة ان
رسول الله قال من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له من ذنبه ما تقدم والاكثر
على انها في اوتار العشر الاخير من رمضان ومن علامتها ان ليلتها ساكنة لاحر ولا برد
ولا يرمى فيها بكوكب وهي صافية كان فيها قمرا وتطلع الشمس في صبيحتها ليس لها شعاع
وروى الترمذي عن حسن بن علي عن رسول الله انه راى بني امية على منبره فنزلت وعدوا
ايام بني امية فوجدوها الف شهر واهل ثبت ائمة الحديث ينكرونه تنزل الملئكة
والروح فيها باذن ربهم بيان لما فضلت به والروح جبرئيل وقيل خلق لا تراهم
الملئكة الا تلك الليلة من كل امر اي تنزل لاجل كل امر وقضاء وقدر في تلك السنة
وانما تنزل لتعظيمها وتنشر الخير وبركتها سلام هي مثل حيي اي ما هي الا السلامة

الاسلامة اي لا يقضي فيها الا السلامة والخير وعن مجاهد لا تستطيع الشيطان في تلك
الليلة على عمل السوء وقيل سميت سلاما لكثرة سلام الملئكة على المومنين والمومنات
حتى مطلع الفجر غاية للسلام او السلام والمطلع مصدر او زمان وقراء الكسائي
بكسر اللام والفتح اخف وهو القياس تمت سورة القدر ولله الحمد سورة لم يكن
مكية وقيل مدنية وهي ثمان ايات بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا
من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة مقالة اهل الكتاب والمشركين
كانوا قبل البعثة يقولون لاننفك عما نحن فيه حتى ياتينا النبي الموعود رسول
من الله بدل من البينة يتلوا صحفا مطهرة فيها كتب قيمة الصحف صحايف المصاحف
والكتب القيمة القضايا والاحكام القويمة المسطورة فيها وما تفرق الذين اوتوا الكتاب
الا من بعد ما جاءتهم البينة توبيخ لهم والزام بانهما كانوا يعدونه بسبب الوفاق
والزام جعلوه سبب الافتراق والاختلاف ونظيره قوله وكانوا من قبل يستفتحون على
الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وانما افرد اهل الكتاب بعد جمعهم مع المشركين
اولا لانهم اذا تفرقوا مع علمهم فالمشركون اولى بذلك وما امروا الا ليعبدوا الله
مخلصين له الدين استدل به على وجوب النية في العبادات حنفاء مائلين عن الباطل
والعقائد الزايغة ويقيموا الصلوة ويوتوا الزكوة وذلك دين القيمة دين الملة
القويمة ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها يوم القيمة
او بعد موتهم لان قبورهم حفر النيران والاشتراك في مطلق الدخول لا في مقدار العذاب
والدركات اولئك هم شر البرية الخليقة ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك
هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
ابدا اطنب في اوصاف الجنة وقدم الجزاء بانه عنده واكد الخلود بالتابيد اشارة الى
سبق رحمته رضي الله عنهم فوق ذلك الجزاء ورضوان من الله اكبر ورضوا عنه بما
منحهم مما لا مزيد عليه ذلك لمن خشي ربه ذلك المذكور لكل من خشي ربه وقراء نافع
وابن ذكوان البريئة بالهمز وهو الاصل من براء خلق قال يونس خالف اهل مكة العرب فهمزوا
البريئة والنبيء وكذا عن سيبويه تمت والحمد على نعم تمت سورة الزلزلة مختلف فيها
وهي سبع ايات بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت الارض زلزالها الزلزلة تحريك بعنف
ومنه الزلازل للشدايد واضافته الى الارض للمبالغة اي ما يمكن لها من الزلزال والمراد
النفخة الثانية لقوله واخرجت الارض اثقالها ما في بطنها من الاموات والكنوز روى
مسلم عن ابي هريرة تقيء الارض افلاذ كبدها كالاسطوان من الذهب والفضة فيقول القاتل
في هذا قتلت ويقول القاطع في هذا قطعت ويقول السارق في هذا قطعت ثم يدعونه
فلا ياخذون منه شيئا وقال الانسان ما لها حتى اخرجت هذه الاثقال يقولون تعجبا
وقيل القائل الكافر لانه كان لا يومن بالبعث واما المومن فيقول هذا ما وعد الرحمن و

صدق المرسلون يومئذ بدل من اذا وناصبهما تحدث او انتصب اذا بمضمر ويومئذ تحدث
اخبارها اى تحدث كل عبد وامة بما عمل على ظهرها رواه الترمذى والنسائى واحمد وقيل
بلسان الحال وهى الاحوال التى احدثها الله تعالى فيها من الزلزلة ولفظ الاموات والدفائن
بان ربك اوحى لها الباء للسببية اى بسبب ايحاء ربك اليها بالتحديث ويجوز ان يكون
بان ربك اوحى لها بدلا من اخبارها يقال اوحى له واليه كذا وبكذا يومئذ يصدر
الناس اشتاتا متفرقين كل شيعة مع امامها كما كانوا فى الدنيا يوم ندعوا كل اناس بامامهم
كان رسول الله يمشى يوما بين ابى بكر وعمر آخذا بيد كل منهما فقال وهكذا نبعث ان شاء
الله تعالى ليروا اعمالهم ويخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره اى يرى جزاءه تفصيل لقوله اشتاتا وحسنات
الكافر لها مدخل فى التخفيف كما ان زيادة سيئاته توجب ضعف العذاب ولا ينافى حبوط
عمله لان ذلك معنى آخر تمت السورة والحمد لله على الآية الموفورة سورة العاديات
مكية احدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات ضبحا اقسم بخيل الغزاة العادية
فى الكر والفر والضبح صوت انفاسها حين العدو وعن ابن عيينة هو السير ونصبه على المصدر
اما من فعله المحذوف او بالعاديات لانه يلازم العدو او الحال وعن على بن ابى طالب
انها الابل اذ لم يكن مع رسول الله يوم بدر سوى فرسين فرس المقداد وفرس ابى قتاده
ولا اظن صحته لان الخيل آلة الجهاد لقوله من ربط فرسا فى سبيل الله فله اجر ابوالها
وارواثها رواه البخارى وناهيك قوله من رباط الخيل وعدم وجدان الخيل فى غزوة بدر
لا يمنع الاقسام بها وادل من ذلك قوله فالموريات قدحا فالمخرجات نارا من الحجارة
بصك حوافرها قادحات فالمغيرات صبحا وقت الصباح كان رسول الله ينزل بقرب
العدو حتى يصبح فان سمع الاذان كف والا اغار وقال انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح
المنذرين فاثرن به نقعا بذلك الوقت والمكان غبارا كما ترى فى مواقع الحروب
كان مثار النقع فوق رؤوسنا واسيافنا ليل تهاوى كواكبه وقيل اصوات الذين اغير
عليهم فوسطن به جمعا من جموع الاعداء او اقسم بالنفوس العادية فى طلب الكمال اللائق
على القرطات الموذية باقدام الافكار من صحن المسالك الى لوامع المعارف المغيرات على جيش
الهوى بالاستغفار فى الاسحار فاثرن به غبار الشوق فوسطن به جمعا من جموع الملاء الاعلى
ان الانسان لربه لكنود لكفور جحود وعن الحسن هو الذى يذكر المصائب وينسى النعم وعن
ابى امامة سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه قال من يأكل وحده ويضرب عبده ويمنع
رفده وانه على ذلك لشهيد يدل على كونه كنودا حاله وعن الثورى الضمير لله وانه لحب
الخير لشديد شديد الحب للمال الكثير لو كان له واديان من ذهب لابتغى ثالثا ولا يملأ
عين ابن آدم الا التراب افلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور من الموتى اى بعث وفى زيادة
الراء مبالغة كبحث مع بحثه وحصل ما فى الصدور ابرز ما فيها من السرائر والضمائر

والضمائر ان ربهم بهم يومئذ لخبير باعمالهم والاخلاص فيها وآثرها اولا ثم قال بهم
لانهم حال البعث تراب ورفات تمت ولله الحمد والصلوة على رسوله وآله وصحبه
سورة القارعة مكية عشر آيات بسم الله الرحمن الرحيم القارعة ما القارعة وما
ادريك ما القارعة القرع الضرب بشدة والقارعة من اسماء الساعة لانها تقرع
الناس بالاهوال والافزاع او تقرع اعداء الله بالعذاب او لاصطكاك الاجرام العلوية
والسفلية فيها وقد بالغ فى التهويل بابهام امرها مرتين ولفظ القارعة ابلغ من الحاقة
يوم يكون الناس كالفراش المبثوث يوم نصب بما دل عليه القارعة شبههم بالفراش
فى الكثرة والانتشار ومثله قوله كانهم جراد منتشر وهذا ابلغ لما فى المثل اضعف من فراشة
واذل واجهل وتكون الجبال كالعهن المنفوش الصوف الملون المندوف لان الجبال
بيض وحمر وغرابيب سود فاما من ثقلت موازينه ترجحت مقادير حسناته روى
البخارى بسنده ان رسول الله قال ينشر للمؤمن صحائف سيئاته تسعة وتسعون صحيفة كل منها
مد بصره ثم يخرج له بطاقة فيها كلمة لا اله الا الله ويقال احضر وزنك ماذا يغنى
بفعل هذه البطاقة مع تلك الصحائف وموضع البطاقة فى كفة والصحائف فى اخرى
فتطيش صحائف السيئات ولا يوازن اسم الله تعالى شئ فهو فى عيشة راضية مرضية
الاسناد مجازى او ذات رضى واما من خفت موازينه وهو الكافر الذى ليست معه كلمة
الاخلاص فامه هاوية من اسماء النار لانها تهوى بالداخل فيها سبعين خريفا وسميت
اما على التشبيه لان الام تأوى الولد وعن قتادة ام رأسه هاوية لانه يسقط فيها
منكوسا ورده قوله وما ادريك ماهيه نار حامية لانه شرح للهاوية فان قلت كل
نار حامية قلت معناه حامية ولى حامية كان سائر النيران بالنسبة اليها ليست حامية
روى البخارى ومسلم عن ابى هريرة رضى الله ان رسول الله قال ناركم هذه جزء من سبعين
جزء من نار جهنم وروى الترمذى وابن ماجه عن ابى هريرة رض ان رسول الله قال اوقد
على النار الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة
حتى اسودت فهى الآن سوداء مظلمة عافانا الله منها تمت والحمد لله على الدوام والصلوة على
رسوله افضل الصلوة والسلام سورة التكاثر مختلف فيها وهى ثمان آيات
بسم الله الرحمن الرحيم الهيكم التكاثر شغلكم التبارى والتباهى بالكثرة عن طاعة الله
لهى عن الشئ غفل عنه حتى زرتم المقابر اى الى حين الموت لم ترجعوا عنه وقيل تفاخر
بنو عبد مناف وبنو سهم بكثرة القبيلة فنزلت وعن قتادة فى طائفتين من الانصار تكاثروا
حتى عدوا الاموات كلا ردع لهم عن مثله سوف تعلمون خطاءكم فى ذلك بما لابن آدم
وللفخر واوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة بين الحجر والتراب ثم كلا سوف تعلمون
كرره تاكيدا او الاول عند الموت او فى القبر والثانى عند النشور وفى ثم دلالة على ان
الثانى ابلغ كلا لو تعلمون علم اليقين تكرير للتنبيه والجواب محذوف اى لو علمتم ما قدامكم

من العقبة الكؤدة كما تسبقون من سائر العموم ثم غاية الجهد وفي الحديث لو علمتم ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا لترون الجحيم جواب قسم محذوف ولا يصلح ان يكون جواب لو لكونه محقق الوقوع قراء ابن عامر والكسائي لترون الجحيم بضم التاء ثم لترونها عين اليقين مشاهدة ولا علم فوقها ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم الذي كنتم فيه هل شكرتم ام لا روى البخاري ان رسول الله وابا بكر وعمر دخلوا حديقة ابي الهيثم ايام الرطب فذبح شاة واطعمهم من الرطب والبسر وسقى ماء باردا فقال رسول الله هذا من النعيم الذي تسئلون عنه يوم القيمة وقيل الخطاب خاص بمن الهاه النعمة والتكاثر بالاسباب عما يعنيه من الشكر لمولاها تمت والحمد لمن الاؤه جلت

سورة العصر مكية ثلث آيات بسم الله الرحمن الرحيم والعصر وصلوة العصر فانها افضل الصلوة لانها الصلوة الوسطى او بالليل والنهار وهو الدهر عظمه لانهم كانوا يسبون الدهر او بوقت العصر لانه وقت شريف كما اقسم بالضحى او بالعصر الذي انت فيه فانه اشرف الاعصار بوجودك ان الانسان لفي خسر لان رأس ماله عمره وهو شيء لا اعز منه يشتري به النعيم المقيم فاذا ضيعه لا يكون اخسر منه الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانهم ربحوا ما لا عين رأت ولا خطر على قلب في جوار رب العالمين وتواصوا بالحق وصى بعضهم بعضا بالدين الثابت مرشدا له تحملا كما حمل في نفسه وتواصوا بالصبر على اقامة الحق كثرة المبطلين اعلاء الدين او بالصبر عن اتباع الشهوات

سورة الهمزة مكية تسع ايات بسم الله الرحمن الرحيم ويل لكل همزة لمزة الهمز الكسر واللمز الطعن قال ومنهم من يلمزك في الصدقات والمراد الطعن في الاعراض قولا وفعلا صريحا واشارة والبناء يفيد الاعتياد والاستمرار كالضحكة واللعنة نزلت في ابية وفي الوليد كان هذا شانهم مع رسول الله وفقراء الصحابة والحكم عام ولذلك صرح بلفظ الكل الذي جمع مالا اي كثيرا او مذموما يعذب به يوم القيمة بدل كل او رفع او نصب على الذم وقراء ابن عامر وحمزة والكسائي بالتشديد وهو ابلغ ذما وعدده احصاه وضبطه كما هو شان البخلاء ليلا ونهارا او ارصدها في الحساب او جعله عدة ودخيرة يقال اعدد ثم وعدد ثم بمعنى روى ان الاخنس قال للموسر ما تقول في الوف لم افتد بها من ليئم ولا تفضلت على كريم قال ولكن لماذا قال لجفوة السلطان ونوائب الزمان قال اذا ندعه لمن لا يحمدك وترد على من لا يعذرك يحسب ان ماله اخلده لجهله وغروره واشتغاله عما امامه من وقائع الاخرة او يفعل افعال من يظن انه مخلد من تشديد الاركان وتشييد البنيان وفيه تعريض بالعمل الصالح بانه المخلد كلا ردع له عن حسبانه لينبذن في الحطمة من اسماء النار لانها تحطم اي تكسر ما يلقى فيها قابل كثرة الاعراض بكسر الاعضاء واستحقار

باستحقار بالنبذ الدال على غاية الحقارة وما ادريك ما الحطمة لم تحط بها علما نار الله الموقدة التي تطلع افئدها للانتقام والاضافة فيه كما في ناقة الله التي تطلع على الافئدة تستولي عليها بالاحراق بعد احراق الاعضاء والفؤاد الطف الاجزاء بنار ذي اذى ينزع فكيف بنار جهنم او تطلع على الافئدة اي تنظر فيها وتطالعها لانها معادن الذنوب ومصادرها ليكون العذاب على قدر ما تولدتها انها عليهم موصدة مطبقة واختلاف القراء كما في سورة البلد في عمد ممددة حال من ضمير موصدة والمعنى تغلق عليهم ابواب النار وتوثق بالاعمدة توكيدا لياسهم من الخروج او من المجرور في عليهم اي تغلق عليهم الابواب حال كونهم مسلسلين في العمد كاللصوص في المقاطر لانهم سراق الاعراض وقراء حمزة والكسائي وابو بكر عمد بضمتين والباقون بالفتح وكلاهما جمع عمود تمت ولله الحمد والصلوة على رسوله محمد

سورة الفيل مكية وايها خمس بسم الله الرحمن الرحيم الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل هم ابرهة الاشرم والي اليمن من قبل النجاشي ملك الحبشة وليس بالصحيح الذي صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصته انه قتل ارياطا من امراء النجاشي فغضب عليه فتدارك ابرهة ذلك بان بنى له كنيسة بصنعاء اليمن لم ير مثلها واراد ان يصرف حج العرب اليها وارسل يخبر بذلك النجاشي فاعجبه ذلك ورضي عنه فشق ذلك على العرب فاحتال رجل من كنانة فدخلها ليلا واحدث فيها فاخبروا بذلك ابرهة فاشتد غضبه وعزم على تخريب الكعبة الشريفة زادها الله شرفا واصطحب فيلة لهذا البيت بها فلما توجه عارضه ذو نفر من قومه من بني قحطان فلم يقدر عليه فاسره ولما بلغ ارض خثعم قاتله نفيل بن حبيب الخثعمي فاسره ايضا فلم يقتله ليدله على الطريق ولما بلغ المغمس وهو موضع بقرب مكة فارسل حناطة الحميري يخبرهم بان الملك لم يات لحربهم وانما قصده تخريب البيت ويأتيه باشرف البلد فجاء عبد المطلب فخرج معه الى ابرهة فلما رآه اكرمه وكان عبد المطلب وسيما حسن المنظر فقام له ابرهة واجلسه على سريره وساله عن حاجته فقال ان جيشك قد اغار على سرح مكة واخذ والي ابلا وكانوا اخذوا له مائتي بعير فقال لترجمانه قل له الي جئت في تخريب بيت هو شرفك وشرف ابائك فلم تذكره وتطلب الابل فقال عبد المطلب انا رجل مضياف ولا اقدر على قيام الضيافة الا بالابل والبيت له صاحب وذلك فرد ابله وذهب فلما اصبحوا هيأوا الفيلة وكان اكبرها اسمه محمود فقدموه فبرك فضربوه ضربا شديدا لم يتحرك فوجهوه نحو اليمن فهرول ثم نحو الشام فهرول ثم نحو مكة فبرك هذا وعبد المطلب آخذ بحلقة الكعبة وهو يقول لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع رحالك لا يغلبن صليبهم ومحالهم غدوا محالك ان تركهم وكعبتنا فامر ما بدا لك فجرد جموع بلادهم والفيل كي يسبوا عيالك عمدوا لحماك بكيدهم جهلا وما رقبوا جلالك فلم يتم كلامه الا والطير اقبلت الم يجعل كيدهم في تضليل في تضييع وارسل عليهم طيرا ابابيل جماعات

متفرقة كسراويل لا واحد له وقيل جمع ابالة وهي الحزمة وقيل ابول كعجول وقيل ابيل كقنديل
كانت فجئت الخطاطيف ترميهم بحجارة من سجيل معرب من سنك وكل وقيل من السجل وهو
الدلو الكبير وقيل من الاسجال وهو الارسال وقيل من السجل فانه كان مكتوبا على كل حجارة اسم
من قتل بها فجعلهم كعصف مأكول كورق زرع اكله الدود او كروث الدواب ولتفاعل
الى المنزل على نمط اداب القرآن قيل كان كل طير يحمل احجارا ثلثة يرمي بكل واحدة انسانا لا يرده
شي من الحديد ففر ابو كيسوم وزيره حتى بلغ النجاشي فاخبره فلما اتم حديثه كان فوق راسه
طير فرماه بحجر فقتله واما ابرهة فتساقطت اعضاؤه وتصدع صدره وقلبه وجمع عبد المطلب
واهل الحرام اموالهم ومما نقل عن عائشة رض انها قالت رايت قائد الفيل وسائسه مقعدين
ظاهر القرآن يخالفه واتفق الثقات ان رسول الله ولد في ذلك العام بعد وقعة الفيل ذلك
يمن مقدمه لله دره من صارم قبل ما سل يقطع تمت ولله الحمد والمنة والصلوة على كاشف النعم
سورة قريش مكية وايها اربع بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش يتعلق باخر الاولى كانه
قيل انما جعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش او باعجبوا او بقوله فليعبدوا والفاء لجواب
شرط اي ان لم يعبدوا الله لنعم الدارين فليعبدوه لايلافهم ايلافهم رحلة الشتاء
الى اليمن والصيف الى الشام نصبه على مفعولية الايلاف يقال آلف الشيء والفه
بمعنى وقرأ ابن عامر الاول بحذف الياء جمعا بين اللغتين او هو ايضا مصدر آلف
روي ان قريشا وهم اولاد النضر بن كنانة والقرش دابة عظيمة في البحر تلعب بالسفن
ولا يدفعها الا النار والتصغير للتعظيم كانوا سكان الحرم وكان اذا اصابهم مجاعة خرجوا
الى البر وضربوا الاخبية متفرقين ربما مات طائفة جوعا فقام هاشم يوما خطيبا
وحثهم على الرحلتين فاثروا بعد ذلك وحسن حالهم ولما اهلك الله اصحاب الفيل امنوا
من تعرض الناس فمن الله عليهم بذلك اولم نمكن لهم حرما آمنا فليعبدوا رب هذا البيت
الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف تمت والحمد لا وعمت والصلوة على المختار من
هاشم جلت سورة الماعون مكية وايها سبع بسم الله الرحمن الرحيم ارايت الذي
يكذب بالدين اي بالجزاء لاعتقاده عدم البعث الاستفهام للتعجب وقرأ الكسائي بحذف
الهمز الحاقا له بالمضارع ولما كان في التعجب تشويق الى تعرف حال المكذب رتب عليه قوله
فذلك الذي يدع اليتيم اي يدفعه عنيفا هو ابو جهل كان وصيا على يتيم فجاءه عريانا
سائله عن مال نفسه فدفعه وقيل الوليد وقيل ابو سفيان سأله يتيم وكان نحر جزورا
فقرعه بالعصا واسم الاشارة للتحقير وفي الصلة اشارة الى ان المكذب بالجزاء لا يمتنع
من هذه الرذائل ولا يحض على طعام المسكين غيره فهو مخل بكلا الواجبين لا يفعل الخير
ولا يامر به فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون تاركون لها غير مبالين
الذين هم يراءون باعمالهم ويمنعون الماعون الزكوة فاعول من العون لكونه معوانا
للفقراء والحوائج وفي الكلام ترق ولذلك زاد لفظ الويل اذا كان دع اليتيم وترك

وترك الحض على الاطعام من سمات التكذيب وسعر فانه فالويل لمن ترك عماد الدين قلة
مبالاة والزكوة الذي هو قنطرة الاسلام وتلبس بالريا الذي هو الشرك الخفي
فاشار الى العقيدة بالتكذيب والى الافعال بهذه الخصال ولذا كان دليلا على كونه
مخاطبا بالفروع فعلى المؤمن بالدين البعد عنها بمراحل فان قلت عن ابن مسعود ان
الماعون محقرات المتاع كالفاس والنار والملح فما وجه ذلك قلت المراد تجريد
المكذب عن الخير راسا والوصف بكمال الخسة وعدم المروة تمت والحمد لله على نعم عمت
والصلوة على محمد واله وصحبه سورة الكوثر مكية وايها ثلث بسم الله الرحمن الرحيم
انا اعطيناك الكوثر فوعل من الكثرة وهو الافراط في الخير من العلم والعمل وشرف الدارين
روى البخاري ومسلم عن انس ان رسول الله ص قال ليلة اسري بي اتيت على نهر حافتاه
قباب اللؤلؤ فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر وفي رواية ترابه المسك وحصباؤه
اللؤلؤ ماؤه احلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج آنيته اكثر من نجوم السماء
من شرب منه شربة لا يظما بعده ابدا اول من يرد عليه فقراء المهاجرين فصل لربك
خصك الله بذلك فخصه بالصلوة والتسجد وانحر له القرابين والبدن مراغما
للمشركين الذين يسجدون للاوثان وينحرون لها وقيل ضع يدك على النحر في الصلوة
وفيه بعد ويؤيد الاول قوله ان صلوتي ونسكي ان شانئك عايبك ومبغضك
هو الابتر الذي لا عقب له مات له ابن فقال العاص بن وائل ان محمدا ابتر اذا مات
انقطع ذكره وقيل القائل ابو لهب وقيل كعب بن الاشرف والمعنى ان الابتر من انقطع
ذكره بموته والنسل يكون سببا للذكر وانت فرع الذكر على الثنا الى اخر الدهر يريد ما
اعطيناك من الشرف والمقام المحمود وشانئك عليه اللعن من كل مؤمن وماواه جهنم
مقرونا مع الشيطان فلينظر من الابتر تمت سورة الكوثر ولله الحمد على الحفظ الاوفر و
الصلوة على خير البشر سورة مكية وايها ست بسم الله الرحمن الرحيم قل يا ايها الكافرون
الخطاب لرهط من قريش وهم الذين ما دعوا الكفر دعوه الى عبادة الهتهم ليعبد والهه
لا اعبد ما تعبدون في المستقبل لان لا لنفيه كما ان ما لنفي الحال ولا انتم عابدون
ما اعبد ايضا ولا انا عابد ما عبدتم في الماضي اذ لم اكن مرسلا فكيف وانا رسول من رب
العالمين ولا انتم عابدون ما اعبد اي ما عبدت وانا مستمر على عبادته ولذلك
لم يقابل الماضي بمثله وقيل انما عدل عنه لانه لم يكن موسوما بعبادة قبل البعثة
ولا عبادته على نمط التكليف وانما طوافه وتحنثه كان على مجرى العادة دون التعبد
وهذا كلام باطل بل كان متعبدا قطعا اما بشرع من شرايع من قبله او اجتهاد كيف
وقد صح في البخاري تعبده بحراء وكان قريش في موسم الحج يقفون بمزدلفة وهو بعرفات
فاين اقتضاء العادة لكم دينكم ولي دين كل منا لا يتجاوز دينه الى ان يموت وليس
فيه نسخ كما ظن ولا منع عن القتال معهم بعد الاذن والله اعلم تمت سورة الكافرون

والحمد لله رب العالمين والصلوة على سيد المرسلين سورة النصر مدنية وآيها ثلث بسم الله
الرحمن الرحيم اذا جاء نصر الله دينه والفتح فتح مكة نزلت في حجة الوداع ففهم رسول الله
تمام الامر فركب ناقته القصواء في المسجد الحرام وخطب الناس الخطبة المشهورة وودع
بينها وقال يبلغ الشاهد الغايب فلذلك سميت حجة الوداع وكان بين حجته واجابته
داعي الحق ثلثة اشهر ونيف فان قلت فتح مكة كان سنة ثمان من الهجرة وحجة الوداع
سنة عشر فكيف يصح نزولها في حجة الوداع واذا يدل على الاستقبال قلت قد روي انها
نزلت قبل سنتين وعلى تلك الرواية يحمل اذا ولما كان فتح مكة ام الفتوح جعله مترقبا
باعتبار ما ردفه من الفتوح وان كان متحققا في نفسه يدل عليه قوله ورايت الناس
يدخلون في دين الله افواجا جماعات كثيرة فوجا بعد فوج كانت العرب والاعراب ينتظرون
فتح مكة ويظنون ان من قصد مكة يصيبه مثل ما اصاب اصحاب الفيل فلما فتحها قهرا و
تمكن من رقابهم ثم اعتقهم وسموا مسلمة الفتح طلقاء لذلك فبادروا الى الاسلام قبيلة
قبيلة فسبح بحمد ربك نزهه عن خلف الوعد الذي سبق معك بالنصر وفتح مكة بقوله
لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين واستغفره لما عسى فرط منك من خلاف الاولى
الذي لا يليق بجلالة قدرك او لامتك لما روت عايشة انه عليه السلام كان عندي في
ليلة فما ظننت الا انه نام فقام الى الباب ففتحه خفية وذهب فلففت خماري وذهبت
وراءه فجاء الى البقيع فوقف ودعا زمانا طويلا ثم انصرف فاسرعت واسرع وراي حتى
دخلت البيت فدخل فوجدني الهث فقال ما لك قلت لا شيء قال اخبريني او ليخبرني العليم
الخبير قلت خرجت فظننت انك ذهبت الى بعض ازواجك فقال الا انت ذاك السواد الذي
رايته قلت بلى قال جاءني جبريل وناداني من وراء الباب ولم يدخل لانك وضعت الخمار
وقال الله تعالى استغفر لاهل البقيع فذهبت ثم قال وارأساه فكان ذلك ابتداء مرضه
صلوات الله عليه وسلامه انه كان توابا لمن استغفر تمت سورة النصر ونسال الله النصر
على الاعادي بحق افضل العباد سورة تبت مكية وهي خمس آيات بسم الله الرحمن الرحيم
تبت يدا ابي لهب التباب الهلاك والمراد جملته لان اليدين للانسان كالجناحين
للطاير فمن عدمت يداه فهو والهالك سواء وقيل رجم رسول الله بحجر ابيديه روى البخاري
عن ابن عباس ان رسول الله صعد الجبل ثم نادى واصباحاه فاجتمعت اليه قريش فقال
ارايتم ان حدثتكم ان العدو مصبحكم هل انتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك كذبا
قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك الهذا جمعتنا فنزلت واسمه
عبد العزى وانما سمي ابا لهب لاشراق وجهه وكان احول العين وهو عم رسول الله وقرا
ابن كثير ابو لهب بسكون الهاء وتب اي كان ذلك وحصل فالاول دعاء والثاني اخبار كما في
قوله جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ما اغنى عنه ماله وما كسب استيناف رد لما
كان يقول انا افتدي بمالي ان صدق محمد والمراد من الكسب الربح او ما حصله من مال ورثه

من مال ورثه او ما عمله من اعمال البر او اولاده وفي الحديث ولد العبد من كسبه سيصلى
نارا ذات لهب تصوير للهلاك بما يظهر معه عدم اغناء المال والولد وجمع بين
طرفي التاكيد بقوله وتب اولا ماضيا للتحقيق والسين ثانيا لتاكيد الوعيد و
امراته حمالة الحطب اسمها اروى بنت حرب بن امية اخت ابي سفيان كانت مع
زوجها في الكفر شانا وطبقه عدل عن كنيتها لاتصافها بالصد عن ابن عباس رضي الله
كانت تحمل الشوك على ظهرها فتضعه في طريق رسول الله اذا خرج للصلوة وقيل مجاز
عن المشي بالنميمة وحمل الخطايا وقرا عاصم حمالة بالنصب على الذم والشتم وقد طبق
فيه المفصل في جيدها حبل من مسد المسد الليف وينجر باليمن وعن ابي عبيد لا يتخذ
حبل مفتل من اخلاط حقر شانها بان صورها بصورة بعض الحطابات اللاتي لا يتخذن حمولة
فيجعل الحبل في العنق الذي هو اشرف الاعضاء هذا وهي من الثروة وشرف النسب بمكان
او هذا حالها في جهنم صورها الله لاهل النار بما كانت متصفة به في الدنيا
جعل الغل في عنقها وعلى ظهرها حزمة من حطب الزقوم والضريع وكذا كل مجرم يعذب
بما يماثل عمله تمت سورة تبت والحمد على نعم عمت والصلوة على سيد الرسل وموضح
السبل سورة الاخلاص وهي اربع آيات بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله احد روى
الترمذي والامام احمد ان المشركين سالوا رسول الله ان يصف لهم الاله الذي يدعو
الى عبادته فنزلت فضمير هو لما سالوا مبتدا والجملة خبر ولا حاجة الى العايد لان
الجملة اذا كان احد جزئيها عين المبتدا كقوله ولباس التقوى ذلك خير لا يحتاج
الى رابط وكذا ان جعل ضمير الشان لان الشان الله احد نفسه وعلى الاول يجوز
ان يكون الله بدلا ولذلك قرئ الله احد بدون هو واما جعل احد بدلا فلا لان
النكرة لا تبدل من المعرفة والاحدية توحيد الذات بانتفاء انحاء جهات التركيب
عقلا وخارجا والموصوف بها هو الواحد الحقيقي والواحدية عدم المماثلة في الصفات
وكل منهما يجوز انفكاكه عن الآخر وفي ذاته تعالى بلا زمان ولذلك وصف بالواحد
الاحد وقدم وصف الوحدية لانه الاشتباه في الجملة واما كونه احدي الذات فخفي
لا يخفى الله الصمد الصمد فعل بمعنى المصمود وهو السيد الذي يقصد في الحوائج من صمد
وهو المكان المرتفع اخلاه عن العاطف لانه نتيجة الاولى اذ من كان احدي الذات واحدي الصفات
لا يكون الا غنيا مطلقا او دليلها لان من كان مقصود الكل في الاحتياج ولا يحتاج الى شيء
فهو المتوحد ذاتا وصفة لم يلد ولم يولد لاقتضائهما التجانس والتماثل وقد دل التوحد
على انتفائهما اذ لا يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ولانه لو ولد او ولد لم يكن غنيا مطلقا
ولم يكن له كفوا احد كفوا لشيء مماثله ذاتا وصفة فالمتوحد المطلق الغني عن كل شيء
لا يماثله احد في شيء والاشتراك في الشيئية ليس الا في الاسم ولذا تقيد بكونه شيئا لا
كالاشياء وقرا حمزة كفوا باسكان الفاء وبالواو وقفا وكذا حفص وقفا ووصلا

بالأبدان لاستقبال الطرب بعد الغمتين روى البخاري عن ابي سعيد رضي الله عنه ان رسول الله
قال ايعجز احدكم ان يقرأ ثلث القرآن في ليلة فشق ذلك عليهم فقال قل هو الله احد ثلث القرآن
وذلك لاشتماله على التوحيد ومباحث المبداء والمعاد ومقاصد القرآن ثلث عقائد واحكام
وقصص وروى مالك واحمد والترمذي والنسائي ان رسول الله سمع رجلا يقرأ قل هو الله
احد فقال وجبت قيل يا رسول الله ما وجبت قال وجبت له الجنة وروى الامام احمد عن تميم
الداري ان رسول الله قال من قال لا اله الا الله واحدا احدا صمدا لم يلد ولم يولد ولم يكن له
كفوا احد عشر مرات كتب له اربعون الف الف حسنة وعن بريدة ان رسول الله دخل المسجد
فسمع رجلا يقول اللهم اني اشهد ان لا اله الا انت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم
يكن له كفوا احد فقال والذي نفسي بيده لقد سأله باسمه الاعظم الذي اذا سئل به اعطى واذا دعي
به اجاب تمت وفضائلها لا تنتهي والحمد للواحد الاحد والصلوة على الاوحدي في جميع الرسل
وآله وصحبه اجمعين سورة الفلق مدنية وهي خمس ايات بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ
برب الفلق فلق الشيء شقه قال تعالى فالق الحب والنوى والمراد به الصباح فعل بمعنى
المفعول لان الليل يفلق عنه اولان الله تعالى اخرجه من جيب الليل لقوله فالق الاصباح
وفي المثل فلق الصبح فالقه ومن الفحال هو الخلق كله لانه فلق من ظلمة العدم وعن
علي بن ابي طالب جب في جهنم اذا فتح صاح اهل النار من شدة حره واصل الفلق المطمئن من
الارض من شر ما خلق من شر خلقه فانه كلها ذوي العقول وغيرهم يعم شر الدارين في العالم
السفلي والعلوي ومن شر غاسق اذا وقب من شر الليل اذا دخل ظلامه من الغسق وهو الظلام
لقوله الى غسق الليل يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا وخص بالذكر لان انبعاث الشر
فيه اكثر والتحرز منه اشق روى البخاري ان رسول الله قال اذا دخل الظلام اجيفوا الابواب
وكفوا الصبيان حتى تذهب فحمة العشاء لان الشياطين تنتشر بعد المغرب وقيل هو القمر اذا
خسف لقول عائشة اخذ رسول الله بيدي ونظر الى القمر وقال تعوذي من شر هذا فانه الغاسق
اذا وقب والمعنى انه يعمق الليل بر قوبه فالاسناد مجازي واضافة الشر اليه للملابسة لوقوعه
يحدث بسببه والوقوب الدخول من وقب العين وهو النقرة التي يكون فيها العين ومن
شر النفاثات في العقد من شر النفوس الساحرة التي تعقد الخيوط وتنفث فيها لعمل السحر
ولعل ذلك اكثري اذ قد يكون بدونه والنفث فوق النفخ يجوز ان يكون معه ريق والتفل
لا يكون الا مع ريق والتعوذ من اثم ذلك العمل والاتصاف به او من الانخداع لتلك الاباطيل
او مما يصيب الله به المسحور فانه صلى الله عليه وسلم كان تخيل اليه انه فعل شيئا لم يكن فعله
سحر لبيد بن الاعصم اليهودي فان قلت اذا صح انه سحر كيف كذبهم الله في قولهم ان تتبعون
الا رجلا مسحورا قلت هذه مقالة المشركين بمكة وانما سحر بالمدينة وعائشة رضي الله عنها
منه وايضا لم يكن قصدهم في تسميته مسحورا ذلك المعنى بل المجنون بواسطة السحر ومن
شر حاسد اذا حسد اذا اظهر حسده بالقول والفعل والحسد تمني زوال النعمة الغير وحصولها

للحاسد والاغتباط هو تمني حصول مثله من غير طلب زوال عنه وهو المراد بقوله
صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في الاثنين العلم الذي يعمل به والمال الذي ينفق في سبيل
الخير وانما عبر عنهما بالحسد مبالغة في الحرص عليهما وانما عرف النفاثات دون غاسق
وحاسد لوصفهما بالظرف بعدهما وقيل لان كل النفاثات شر بخلاف الغاسق والحاسد
استدلالا بالحديث وليس بناهض لما اشير اليه من الفرق بين الحسد والاغتباط ولقوله
عليه السلام اذا دخل الظلام اجيفوا الابواب وكفوا الصبيان من غير تفرقة بين غاسق
وغاسق وفي دعائه صلى الله عليه وسلم اعوذ بك من شر كل حاسد تمت والحمد لله وحده
سورة الناس مدنية وهي ست ايات بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الناس بسيدهم
المتولي امورهم المتصرف فيهم ملك الناس اله الناس عطفا بيان على طريقة الترقي
لان الرب قد لا يكون سلطانا وهو اعم من ان يكون الها يستحق العبادة وتكرير الناس مظهر
ان بر الكل في البيان من شر الوسواس الوسواس اسم المصدر اطلق على الفاعل مبالغة والوسوسة
حديث النفس بالشر واصله صوت الحلي قال الاعشى تسمع للحلي وسواسا اذا انصرفت روى الترمذي
عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للشيطان يا ابن آدم لمة يوعد بالشر
وتكذيب الحق الخناس المنسوب الى الخنوس وهو التاخر لانه كلما سمع ذكر الله تاخر الذي
يوسوس في صدور الناس روى البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال تجاوز الله عن امتي ما وسوست به صدورها ما لم تتكلم او تعمل به ويجوز في محل
الموصول الحركات الثلاث الجر على الصفة والرفع والنصب على الشتم من الجنة والناس بيان للذي
يوسوس على ان الشيطان يعم القبيلتين لقوله شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض ويجوز ان يكون
من ابتدائية اي من جهة هذين النوعين فان قلت الوسوسة حديث النفس وذلك مختص بشيطان الجن
فكيف اسند الى الانس قلت المراد بالوسوسة الدلالة على الشر والتعاون في النفس فيحدث به سواء كان
بطريق ظاهر او خفي ولذلك قيل شيطان الانس اشد اغواء من شيطان الجن لانه يخنس عند ذكر الله تعالى دون شيطان
الانس ولما كان شان الثاني اتم امروا بافراد الاستعاذة له بعد ما كان داخلا في عموم شر ما خلق روى
مسلم عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الم تر آيات انزلت الليلة لم ير مثلهن قط قل اعوذ
برب الفلق وقل اعوذ برب الناس وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها كان اذا اوى الى فراشه
كل ليلة جمع كفيه وقرأ قل هو الله احد والمعوذتين ونفث فيهما ثم مسح بهما ما استطاع من جسده هذا وانا اعوذ
من شر نفسي وشر كل ما ذرأ وبرأ واستغفر الله من خطرات الاوهام وعثرات الاقلام واسئله العفو والمغفرة لي
ولوالدي وللمشايخ الكرام وكافة المسلمين هذا آخر ما اوردته من تفسير كلام الملك العلام مع انحطاط
رتبتي عن هذا المقام ولكن للمجتهد الاجر وان حرم عن اصابة المرام وقصر عن شأن الكلام والحمد لله متمم النعم
اولا وآخرا والصلوة على اكمل خلقه عظيم الشأن وآله وعلى اخوانه من المرسلين وسائر الانبياء والصالحين
من آله وصحبه ومن تبعهم الى يوم الدين

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور عند
وكفى عبده